مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الأول ـ القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٤ ـ ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ ـ المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم على إقامة الحق والعمل به

وعلى الدعوة إلى الخير والأنس به

وبعد ـ فإن من أسعد أوقات من يتوجه بقلبه إلى قلوب قرائه أن يستأنف الصلة بهم بعد افتراق. وكتاب هذه المجلة وقراؤها تتجاوب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به، والدعوة إلى الخير والأنس به، لأن الأزهر قبة الإسلام، والإسلام جماع الحق والخير، ومجلة الأزهر لسانهما الناطق بدعوتهما. فإذا عدنا وعاد قراؤنا ـ بعد انقضاء ربع قرن على هذه المجلة، وابتداء ربع آخر منه ـ إلى استقبال عام جديد من حياتها، كانت هذه العودة منا ومنهم إلى التحدث بدعوة الإسلام، وحبذا الحديث، وحبذا ما يدور عليه، والعود أحمد.

وكانت مجلة الأزهر فى الربع الأول من القرن الأول لحياتها تطلع على قرائها مع هلال كل شهر عربى، وقد شعرنا بأن المدة تطول بيننا وبين القراء فى هذه الفترة، ومن الخير أن تكون صلتنا بهم أقرب، ووصول المجلة إليهم أسرع، لذلك رأينا أن تكون مجلة الأزهر بين أيدى قرائها مرتين فى الشهر لا مرة واحدة. وعسى أن يقع ذلك منهم موقع الرضا، ما دمنا فى الحالتين متوخين رضا الله عزوجل، والله يتولى المؤمنين ؟

المجلة

بنـاء كيانا ننا النفسى

بعد الاتفاقية الجديدة



لمـا استهل شهر ذى الحجة من العام المنصرم ، انتحى صديق الدكتور عبدالوهاب عزام ناحية من دار السفارة المصرية فى مدينة كراتشى ، وأخـذ يستعرض فى ذهنه حساب السنة فى تقدم الأوطان الإسلامية نحو أهدافها ، أو انحرافها عنها . ثم وقف بفـكره وقفة تجاه وادى النيل ، ناظراً إليه من صفحة الأحداث الخلقية والإجرامية فى جريدة الأهرام ، فهاله ألا يخلو عدد منها من خبر يقرأه بعض الناس تشوقاً وتلهياً كما تقرأ القصص ، ويقف عليه المتأمل مكتئباً مرتاعا يصله بمـا وراءه من أسباب ، ويجمعه إلى ما يشبهه من أخبار ، فيرى أمراً هائلا ، وداءً عضالا ، جديراً أن تجتمع الأمة على النظر فيه ومداواته ، كأمر أولئك الشبان من طلبة العلم الذين قتلوا صاحباً لهم وقطعوا جثته ، وهلم جرا .

وبينما كان البريد يسير برسالة الدكتور عبد الوهاب عزام فيما بين كراتشى والقاهرة ، كان الأستاذ أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق يفـكر فى مثل ذلك ويقول : أصبح بيناً ومزعجاً معاً أن هناك ظاهرة حـديثة ألمت بالمجتمع المصرى ، تلك هى أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هوة الجريمة ، فماذا نحن صانعون لـكى نصد لطماتها العنيفة ؟ .

ومـا يدل على أن هذين التفكيرين صدرا عن وحى واحد من تطورنا الاجتماعى ، أن أحدهما كان وليد التفـكير تحت سماء باكستان ، وأن الآخر انبعث من داخل الأفق المصرى وقد نشرا فى عددين متتابعين من الأهرام . ومن نفس العدد الذى نشر فيه مقال الدكتور عبد الوهاب عزام سمعنا صيحة ثالثة تدوى فى صفحة الأهرام الأولى من أحد كبار خبرائنا فى السياسة الخارجية ، منبها العلماء والمثقفين وأفذاذ المسئولين عن التوجيه الخلقى والفكرى إلى أن الاتفاقية الأخيرة بين مصر وبريطانيا لتسوية مشكلة قناة السويس قد أكسبت مصر شخصية ذاتية وشخصية دولية من الطراز الأول ، وأن هـــذا الاتفاق يقتضى من مصر أن تضاعف جهودها فى بناء كيانها الروحى والفكرى والمادى . وأن مصر المتجـددة الآن قد

حلت عليها - فى الحيز العربى ، والحيز الإسلامى ، والإفريقى ، والإفريقى الآسيوى ، والحيز العالمى - فى كل حيز من أولئك ، قد حلت على مصر واجبات جديدة حلولا أعمق وأقوى مما كان فى أى وقت مضى ، فلا بد من « تحضير أنفسنا » لكل هذه الواجبات بسرعة ، وقوة ، وبدون تلفت أو تردد .

ولكن كيف ، وبماذا ، نستطيع « تحضير أنفسنا » لكل هذه الواجبات ؟ ومن الذى يتولى ذلك من أبنائنا رواد المدارس الذين سيكونون رجال المستقبل القريب ؟ وكيف نطهر مدارسنا من العدوى المخيفة التى بدأت تسرى إليها ، وقد اعترف أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هذه الهوة ؟

يقول الأستاذ أحمد محمد خليفة : إن الرأى فى تعليل هذه الظاهرة قد تشعب إلى فريق يلقى اللوم على سياسة التوسع فى التعليم ، حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا فى أوساط أكثر منهم اقتدارا وثراء ، فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التى صار يتطلبها مستواهم الجديد ، فاندفعوا إلى الحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع . وفريق يبرئ سياسة التوسع فى التعليم ، ويتهم ظروفا أخرى اجتماعية وتربوية . وقد ضم الأستاذ إلى ذلك عنصراً آخر مهما وهو اشتداد ضغط الإغراء الجنسى ومؤثراته على الشباب فى الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التى جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين ، ويخطرن أكثر مما يمشين . والأشرطة السينمائية زادت الطين بلة بما تعرض على أنظار الشباب من مشاهد خلابة تسخطه على حياته الخاصة . ولون معين من الصحف والمجلات تزوده بوقود الخيال ، وتحكى له قصص المتعة ، وتوحى إليه — فى صراحة أو مواربة — بالانطلاق والتحلل والرضاء الجسدى . وفى هذه الدوامة الهائلة التى تغذيها المدنية الحديثة يفقد الشباب توازنه ويتبلد تفكيره ، مما يعجزه عن العمل ، ويقعده عن الإنتاج ، فلا يعود إلا عبداً مسوقاً للشهوات ، تدفعه إلى الاعتداءات الجنسية ، وإلى نشدان المال بأى وسيلة ، بما فى ذلك السرقة والاحتيال والقتل .

إن الداء أظهر من أن يخفى على أحد ، وإنه لداء عضال ، وأعراضه فى ازدياد . ولكن ما هو السبيل إلى معالجته ؟

يتساءل أستاذ كلية الحقوق : هل معنى ذلك أن سياسة التوسع فى التعليم سياسة خاطئة يجب العدول عنها ؟ وأجاب بأن التوسع فى التعليم إذا كان قد تولدت عنه الجرائم فى مصر ، فإن العلاج لا يكون فى الكف عن التعليم ، ولكن فى رفع المستوى الاقتصادى للشعب إلى الحد الذى لا يجعل التعليم سبباً فى « هزة نفسية » تصيب التلميذ باضطراره إلى مواجهة ارتفاع مفاجئ فى حاجاته ومطالبه .

ومعنى هذا أن من الضرورى الصبر على هذه الظاهرة بجميع أعراضها ونتائجها التى ذكرها الأستاذ أحمد محمد خليفة إلى أن تصير طبقات الشعب الدنيا فى مستوى اقتصادى أرفع فيصير التلاميذ من أبناء تلك الطبقات أقدر على ارتداء ما يشتهونه من الملابس وارتياد ما يحبون أن يرتادوه من الملاهى ، ويزول أو يقل من نفوسهم « الشعور بالحاجة النسبية » ، ومتى تم هذا ثم زالت أو ضعفت « بواعث الإغراء الجنسى » بقدرة قادر ، زال السببان اللذان رتب عليهما ظاهرة الإجرام فى الطلبة .

أما الدكتور عبد الوهاب عزام فكان أوسع أفقا وأبعد نظراً إذ قال : إن مثلنا كمثل صاحب المزرعة يكثر فيها الشوك والنجيل ، فيقلعها جاهدا ، ولا يقلب الأرض ليستأصل جذورها وبذورها ، وكلما جد فى القلع جد الشوك والنجيل فى النبات .

أو كالذى به داء باطن له على الجلد بثور ، فهو يدهن بثوره كل يوم ، والمرض دائم ، والداء مستشر .

ينبغى أن نبحث عن سبب الجريمة فى نفس المجرم ، وعن علة نفسه فى نظام الجماعة التى نشأته ، والبيئة التى يعيش فيها :

فى البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة . هذه الاماكن مغارس (مشاتل) للجرائم لا بد أن نعنى بها ، ولن ينفعنا سن القوانين الزاجرة والإكثار من الشرط والمحاكم والسجون . ولن يجدينا إلا أن نتعرف أسباب الجنايات ونلتمسها فى الأنفس المريضة والجماعات المعتلة ، وفى الأحوال التى تضرب الناس بعضهم ببعض .

ويقول الدكتور عزام : إن أعظم ما على حكومة الثورة من تكاليف هو إصلاح الأنفس ، والطب لهذه الأدواء الدخيلة ، وتمكين الأخلاق القويمة التى هى عماد كل إصلاح « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وبعد فالحديث عن الأوف والضماد أخطر من أن نحصره فى الجريمة ووصول عدواها إلى الطلبة . إن الجرائم - سواء كانت من الطلبة أو من غيرهم - تعد بوادر ونوادر على كل حال ، مهما كثر حصاها فى أحداثنا اليومية . لكن مرض الأنفس هو المرض المزمن والدائم فى كل ما يقوم على أنانياتها ، وعلى سوء التعامل بين الناس ، وعلى إيثار المرء مصلحة نفسه - بغير حق - على مصلحة غيره من مواطن أو وطن . إن مرض الأنفس فى هذا الباب الواسع هو مرض الوطن ، وإذا عولج وزال من أهله كانت الجرائم فى الطلبة وغير الطلبة تبعا له فى الزوال إن شاء الله .

نحن نعانى الآن أمراضا من أمراض النفس ورثناها عن بضعة عصور قضيناها فى الذهول القومى والتبلد الاجتماعى ، فأسلمتنا تلك الأمراض إلى مخالب الاستعمار فى إبان قوته وجبروته . وقد سهر الاستعمار لتكوين كياننا النفسى فى مجتمعنا العصرى على أسس تضمن له استمرار ضعفنا ، فرسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التى اقتصر فيها على التعليم الشكلى دون التوجيه النفسى ، وكان الغرض من المدرسة — ولا يزال — تخريج الموظف الآلى ، لا تخريج رجل العلم المؤمن بعلمه ، ورجل العمل الكادح الدائب المخلص لعمله . وقد حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات السراة وجماهير العامة بما أقامه — أو شجع على إقامته — من الأندية والملاهى والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة ، وكانت هذه المرافق كلها محمية بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية . وتطورت الحال فى الصحافة ، فبعد أن كانت صحافتنا — أيام المؤيد واللواء — أداة إرشاد ترى من واجبها أن تأخذ بيد الشعب لتنهض بمستواه القومى والملى والعقلى والثقافى ، تحولت بين الحربين وبعد الحربين إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم من صور لحوم وقصص غرام ووسائل متعة وعناوين خداعة وبما تقوم به من تشجيع للملاهى والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها ولاعباتها وسائر ما شكاه أستاذ علم الجريمة فى كلية الحقوق . والسينما نفسها كان يمكن أن تكون أداة تثقيف وتلطيف وتكييف لا تقل نفعا عن المدارس

الصالحة إن لم تكن أجدى من كثير من مدارسنا وأنفع، لكنها هي الأخرى قلدت الصحافة في الاستلهام من أهواء الجماهير واستغلال شهواتهم، فكانت كما نرى كلنا بأعيننا، وما زلنا واقفين منها موقف المغلوب على أمره، معتقدين أن التيار أقوى من أن يصد.

لقد كان هذا الشعب وهذا الوطن إلى ما قبل سنتين يتيمين لا يكفلهما نصوح. وقد تغير الموقف الآن - كما قال أحد كبار خبرائنا في السياسة الخارجية - فأصبح من الواجب على مصر، وهي في سبيل تجديد شخصيتها الذاتية وشخصيتها الدولية، ولا سيما بعد الاتفاقية الأخيرة، أن تضاعف جهودها في بناء كيانها الروحي والفكري والمادي.

إن الشوك والنجيل لا يستأصلان بالقطع والقلع، ولا بد من قلب الأرض لاستئصال جذور الشر وبذوره.

يجب تحويل المدرسة من معهد لتحفيظ مواد من العلوم منصوص عليها في المناهج، إلى بيئة لتربية رجال المستقبل القريب يؤمنون بالأخلاق، ويتحلون بالروح العالية، ويؤثرون مرضاة الله في تصرفاتهم، ويوثقون صلتهم بالعربية والعروبة، وبالإسلام وتاريخه وشعوبه، ليستقبلوا عهد مصر الجديد في ميادين تعاونها مع الحيز العربي، والحيز الإسلامي، والإفريقي، والإفريقي الأسيوي، والحيز العالمي كما دعانا إلى ذلك كبير خبرائنا في السياسة الخارجية. والمدرسة إذا عنيت عناية عملية بالتربية والأخلاق والتحلي بالروح العالية كانت أسبق إلى وقاية طلابها - فقراء وأغنياء - من المساعي المبذولة لرفع المستوى الاقتصادي. ولن يسود هذا في المدرسة المرجوّة إلا إذا انتزع المدرسون من أدمغتهم الفوضى التي وصفها الصاغ أحمد شفيق أبو عوف في ماقل ودل من الأهرام يوم ١٤ أغسطس، ووجدوا من وزارة المعارف، أو ممن هم أقوى من وزارة المعارف، المؤدب الحازم الذي يسوق الناس بعصاه إلى الصراط المستقيم.

ويجب أن تعود الصحافة إلى اعتبار أنها أداة إرشاد، فتترفع عن كل ما يتعارض مع رسالتها الحقيقية - في صراحة أو مواربة - على حد تعبير الأستاذ أحمد محمد خليفة. ولما كان « فاقد الشيء لا يعطيه »، فإن من أول الشروط التي ينبغي مراعاتها في منح عضوية

نقابة الصحفيين أن يكون العضو أهلا لهذا الإرشاد، مؤمنا بالأخلاق والمثل العليا، متعاونا مع وطنه للنهوض بالمستوى الأدبى.

وأشرطة السينما إن لم تتحول من أداة شر إلى أداة خير كان كل سعى إلى الإصلاح عبثا وضائعاً. وإذا كانت وزارة الشئون الاجتماعية قد رأت فى السينما من الشر ما عبرت عنه بالقانون الجديد الذى منع الأحداث إلى سن السادسة عشرة عن غشيان هذه الدور الشريرة، فإن فى أبناء سن السابعة عشرة إلى الخمسين من هم أحوج إلى هذه الحماية والوقاية من الأطفال الذين ليس لهم ما لهؤلاء من الإدراك المقلد والغرائز المستعدة للتأثر. ونحن لا نريد أن نمنع أحداً عن السينما : لا الأحداث الذين هم دون السادسة عشرة، ولا غير الأحداث ممن هم أكبر سنا. ولكننا نطالب بتطهير السينما نفسها، وتحويلها من أداة شر إلى أداة خير، ثم ليدخلها بعد ذلك كل من شاء.

ومرافق الشيطان وبيوته التى سماها الدكتور عزام (مشاتل) للجريمة كان للاستعمار مصلحة فى تشجيعها وحمايتها والحرص على بقائها وزيادة عددها، أما نحن فأى مصلحة لنا فى ذلك ؟ وما الذى يحول بيننا وبين إنقاذ الأمة منها وقد زالت الحماية الأجنبية ولله الحمد ؟ لماذا لا تزول هى أيضا كما زالت تلك الحماية ؟ أنخاف أن يقال عنا إننا رجعيون ؟ إن ضرر هذه المرافق الفاجرة يفتك فى كياننا وأموالنا، ويحول بيننا وبين « تحضير أنفسنا » للواجبات التى يدعونا إليها تجديد شخصيتنا الذاتية وشخصيتنا الدولية، بل يحول بيننا وبين أن نغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا.

نحن منذ سنتين فى «ثورة». وكما أن للثورة جانبها السياسى والإدارى والاقتصادى فى بناء (كياننا المادى)، فإن لها جانبها الخلقى والروحى والفكرى فى بناء (كياننا النفسى). وقد كوننا الله من مادة ونفس، ولا يتم صلاح الكيان المادى إلا بإصلاح الكيان النفسى، وقد آن أوانه، وأظلنا إبانة، فإلى العمل الحازم أيها الثائرون ...

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ١٧ —

بين الصيام والاحرام(*)

١ — يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
٢ — وأتمـــوا الحج والعمرة لله

ركنان من أركان الإسلام : فى التصديق بهما تمام العقيدة ، وفى أدائهما مظهر الطاعة ، وإذا تمت لإنسان عقيدته ، وتجاوبت مع عقيدته طاعته ، فقد آمن وأسلم .

وتلك هى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وفى الاستمساك بها عصمة بالله ديناً ودنيا ، وليس بعد العصمة بالله ملاذ ، ولا دونها ملجأ « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

ركنان من أركان الإسلام : حين يأخذ العبد بهما يكون ربانياً ، لا تتحكم فيه المادة ، ولا تستبد به الشهوة ، ولا تتأمر فيه النفس .

بل تتغلب روحانيته فيذكر ربه ويصمد إليه ، ويناجيه ويقبل عليه ، فيكون له من جانب الله توجيه ، ومن توفيق الله تذكرة وتنبيه .

وبذلك يكون قد عرف نفسه معرفة صادقة ، فاستمد لها من فيض الله رعاية ، وسلك بها إلى الله سبيل هداية ، وليس كذلك من نسى الله فأنساه نفسه ، وزج بها وزجت به فى غواية وعماية .

وشتان : بين من يهدى الله فما له من مضل ، وبين من يضلل الله فما له من هاد .

الصيام والحج : ركنان من أركان الإسلام ، ولكن بينهما وشيجة أخرى : نظمتهما معا فى نهج القرآن ، وقاربت بينهما فى الأداء والزمان .

(*) تأخر المقال عن وقته المناسب (قبيل رمضان) لضرورة .

فأنت ترى - أولا - أن القرآن يتناولهما فى خمس وعشرين آية متوالية من سورة البقرة : من آية ١٨٣ « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ... » إلى آية ٢٠٣ « واذكروا الله فى أيام معدودات » .

وهذا القدر كله فى الصوم والحج ، لم يفصل بينهما فى هـذا المقام إلا ما يتصل بهما إجمالا : من حديث الاعتكاف للصائم ، أو مقاتلة المشركين عند المسجد الحرام .

وأنت ترى - ثانياً - أن زمن الصوم - وهو رمضان - يعقبه زمن الحج - وهو الأشهر المعلومات ... وليس بين العبادتين سوى فترة استجمام ، وربما تريث فيها المسلم بعد صيامه حتى يأخذ أهبته للحج : إن استطاع وأراد .

فما هى الوشيجة التى جمعت بينهما ذكرا فى القصص ، وقرباً فى الأداء ؟؟

أشهد أن نفحات القرآن تهدى إلى سر ذلك : فنظم القرآن لا يكون عفواً ، وترتيب القصص لا يخلو عن حكمة .

وأنت تعرف أن الصوم تخفيف من المطعم ، وتعفف عن البطنة ، وتنبيه للمشاعر ، ونهضة إلى مناجاة الله فى أنفاس كأنفاس الملائكة الأطهار : لولا أنها من جوف إنسان ... وفى تحرج من الشهوات ، ونقاوة من أدران المعصية : لولا ما يلاحقها من محاولات الشيطان ... وفى تجرد من إسفاف البهيمية ، وترفع فى مقام الإنسانية ، لمن عرف كيف يصوم .

وإن شهراً يقضيه المسلم على حال تشبه حال الملائكة المقربين ، لا يكون هين الشأن فى ميزان العمل ، بل هو عند الله عظيم وعظيم ، فما جزاؤه ياترى ؟ ؟

تكفل الله بجزائه ، وأجمل مقداره ، وأفسح للعبد طريق الأمل فى تقديره ، وقال على لسان رسوله الصادق : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) فالأعمال الصالحات كلها مأجورة ، وفى صحائف العباد مسطورة ، ولكن الصوم ارتفع شأنا عن مستواها ، حتى كأنه برز من حساب العبد ، وتمحض لله ، فلا يقابل فقط بالأضعاف من المثوبة التى تقابل بها الحسنات وإن بلغت سبعمائة ضعف . . بل يتجاوز هذه الحدود إلى حيث يدخر الله للصائمين من حبائه وفيض عطائه ... ذلك وعد الله ! ! والله لا يخلف الميعاد .

وأنت تعرف - كذلك - أن الحج وثبة بالجسم كله إلى حيث شاء الله من بقاع مكة في زمن معين محدود .

ففيه استيداع للأهل والولد ، واغتراب عن الوطن ، وهجرة لله ورسوله ، بل فيه تجرد من اللباس ، وانصراف عن مظاهر الترف ، وتفرغ للضراعة والتوبة ، ولياذ بالرجاء في عفو الله ، وتجديد للإيمان الخالص ، وتوثيق للعهد مع الله ، ووفاء صادق لذكريات طيبات ، حملها إلينا القرآن عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وفيه تعارف بين الشعوب ، وربط بين القلوب ، وتعاقد على الإخاء والتناصر في غير عصبية : إلا العصبية لكلمة التوحيد التي ينضوي تحتها العجمي والعربي ، ويلتقي في ظلها الفقير والغني . فإذا تجلى مظهر الإسلام في صوم الصائمين، ثم في إحرام المحرمين ، وكانت شعيرة الصوم واحدة حيث كانوا في جنبات الدنيا ، وكانت مواقفهم في الحج متلاقية ، حيث دعاهم أبو الأنبياء إبراهيم في غرة الزمن ، فلبوا وظلوا يلبون دعوته على مر القرون . . .

وإذا كان تجريد النفس من ملاذها ، وكفها عن المباحات ، وحبسها في حظيرة الصوم أشبه بتجريد الجسم من زينته ، وحرمانه من مناعم العيش ، والوقوف به عند التقشف زمناً ما في الحج ، وفي كلا الأمرين تحلل من المادة ، وسمو إلى الروحانية ، فتلك هي الوشيجة التي زاوجت بين الصيام والإحرام في نسق القرآن ، وقاربت بينهما في الزمان . . . وبينهما يكون العبد صاعداً من مرقاة إلى مرقاة ، وليس شيء أطيب من روحانية تتجدد بها أزمنة المناجاة ، وتلطف من شقاوة الدنيا ، وتطفيء من وهج الحياة .

فإذا لقيت ناصباً في دنياه ، مكدوداً في عيشه ، أو رافلا في نعماه ، سادراً في لهوه ، فذكره أن الدنيا في إدبار ، وأن الآخرة في إقبال ، وأن الأولى يكفي لها القليل من رزق حلال مكسوب ، وأن الآخرة لمن طابت حياته في دين غير مشوب . وذكره أن في الصوم وفي الحج . تنبيها إلى هذا لمن تدبر ... وكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

الجـوار الاعظم (١)

الجوار الالهى درجات — المعية الخاصة — المعية العـامة — الأسباب لا تلغى — حذر وأسلحة فى أعلى مقامات الجوار — نفحات إلهية — جوار الشيطان سراب

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : نظرت إلى أقـدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا ؛ فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحـدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ؛ فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟! رواه الشيخان .

* * *

إذا كان عظم الجوار ، على مقدار عظم الجـار ، فلا ريب أن جوار الله عز سلطانه ، أجل جوار وأعظمه ، وأن حماه تعالى شأنه أعز حمى وأكرمه ؛ وأين جوار الخلق أجمعين من جوار الخلاق العظيم ؟ ! بل أين حمى العبيد ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، من حمى الملك المجيد « الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً » ؟!

* * *

إن ذلك الجـوار الأعظم الذى نعنيه ، هو الذى عنـاه الرسول الأكرم ﷺ ، فى حديثه هـذا لصاحبه الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ... وهو الجوار الخاص الذى يختص الله به عباده المقربين ، من النبيين والصديقين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، على درجات لا يحصيها إلا من أحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عـددا ...

(١) كان « الجوار فى الاسلام » الذى اختتمنا بأحاديثه الثلاثة عامنا الغابر خاصا بجوار الأنام ، وأما هذا الجوار الذى نفتتح به عامنا الحاضر ، فانه خاص بجوار ذى الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام .

وهو جوار المعية الإلهية الخاصة ، والصحبة الربانية المقدسة ، التى حرمها الله على أعدائه ، لأنهم نسوا الله فنسيهم ، وأعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم ، واقرءوا إن شئتم قوله عز جاره : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون » .

* * *

و ثمّ جوار إلهى آخر ، وهو جوار المعية العامة الشاملة ، معية إحاطته تعالى بخلقه : علما ، وقدرة ، وجزاء ، لاتخفى عليه منهم خافية ، تلك المعية التى يشير إليها قوله جلت قدرته : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وينبىء عنها قوله تعالت عظمته : « ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » .

وشتان ما بين الجوارين : فذاك جوار التكريم والتأييد والتسديد ، وهذا جوار المحاسبة والإنذار والتهديد . . .

ولا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يأخذوا فى أسبابه ، وأن يعدوا العدة له ، ما داموا بربهم معتصمين ، وعلى ربهم متوكلين ، فإن الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه أساس هذا الجوار وعماده ، وقد أمر الحكيم العليم الذى ربط الأسباب بالمسببات ، والوسائل بالغايات ، أمر عباده ألا يلغوا هذه الأسباب ، فيلغوا معها حكمته ؛ وألا يغلوا فيها ، فيجحدوا بهذا الغلو مشيئته وقدرته . . . وهذا سيد المتوكلين ، يأخذ مع أول الصديقين ، بكل أسباب النجاة ، فى هجرتهما إلى الله . . . حتى إذا أحس الصديق وقع أقدام الكفار فوق الغار ، ألم وحزن ، وخشى أن يصاب الرسول ﷺ بأذى لا يستطيع الصديق أن يدفعه أو يحمله ـ وهو أول من يفتديه بنفسه وماله ـ طمأنه صلوات الله عليه وسلامه بأن الله معهما ، وأنهما اثنان الله ثالثهما ، وقد اعتصما به وحده دون خلقه ، فلو أن السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كادوا لهما لجعل لهما من هذا الكيد فرجا ومخرجا . . .

وقد ظاهر صلوات الله عليه فى الحرب بين درعين ، وكان يصلى فى الحرب صلاة الخوف بطائفة بعد طائفة وهم آخذون حذرهم وأسلحتهم ، مع أنهم جميعا فى أعظم الجوار ، وأمنع الحمى .

بل لا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يكونوا - بجوارحهم لا قلوبهم - فى جوار أحد من الناس وضمانه ، ما دام هذا الجوار سبباً كريماً مشروعاً ، ووسيلة سائغة للخير والهداية . لا جرم أن المجير مع المجار كليهما فى جوار الله حينئذ . . . ولما عاد ﷺ من الطائف لم يستطع دخول مكة - لما علمت قريش من توجهه إلى الطائف يستنصر بأهلها عليهم - إلا بجوار المطعم بن عدى ، وكان جواره هذا يداً حفظها له النبى ﷺ وذكرها بعد موته . . .

* * *

على أنه قد تعرض المتوكلين الصادقين نفحات إلهية تأخذ بقلوبهم وأنفسهم ، فلا يستطيعون لها مدفعاً ، وهم معذورون إذ ينسون فى هذه الأحوال جميع الأسباب ، ولا يذكرون إلا العزيز الوهاب . . . وقد يأخذون فى الأسباب ثم يرفضونها بكل شمم وإباء ، اعتزازاً ببارئهم وبارىء الأرض والسماء . . . ومن هذا ما وقع للصديق نفسه رضوان الله عليه مع ابن الدغنة لما لقيه وقد أجمع أمره على الهجرة إلى الحبشة . فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ فقال : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى ! فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج ، ووصفه بما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ أول ما رأى الملك ، وقال لها : لقد خشيت على نفسى . . . وانتهى الحديث بجواره إياه على أن يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته . . . غير أن أبا بكر كان رجلا بكاء لا يملك عينيه ، فأفزع ذلك أشراف قريش ، وسعوا إلى ابن الدغنة أن يسترد جواره أو يسر أبو بكر صلاته وقراءته . . . فرد أبو بكر جوار ابن الدغنة قرير العين بجوار الله عز وجل . . .

غير أن هذه مقامات خاصة محدودة ، لا ينبغى أن يقاس عليها ، ولا أن يدعى أحد إليها . . . ولبسط القول فيها مجال آخر . . .

* * *

وإذا كان جوار الرحمن أعظم الجوار وأكمله ، كان جوار الشيطان بلا ريب أحقر الجوار وأسفله ، فكم زين فى الدنيا ووعد بأنه جار ، فلما جد الجد تبرأ ونكص وولى الأدبار . . . وهو فى الآخرة أشد تبرؤاً ونكوصاً « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه » « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » ؟

طه محمد الساكت

زواج المسلم بالكتابية

– ٣ –

المسئلة الثانية :

إسلام زوج الكتابية وإجماع الفقهاء فيه .

قد تبين فى المسألة السابقة حكم تزوج المسلم بالكتابية ابتداء . أما إذا أسلم الزوج الكتابى وكان قد تزوج كتابية قبل إسلامه ، وبقيت هى على دينها فهى زوجته ، والنكاح بينهما باق كما كان عند جميع الفقهاء فى المذاهب الأربعة وعند الظاهرية والزيدية والإمامية . ومع أن بعض فقهاء الزيدية والإمامية ذهبوا إلى حرمة تزوج المسلم بالكتابية مخالفين فى ذلك قول الجمهور ، وقد حكوا الخلاف فى ذلك ، واستدلوا على الآراء المختلفة فيه ، فإنهم لم يذكروا خلافا فى بقاء عصمة النكاح فى حالة إسلام زوج الكتابية ، فدل ذلك على أنه موضع اتفاق ، وأن الخلاف فى المسألة الأولى لا تأثير له فى الثانية ، لضعف الاستدامة عن الابتداء . بل نقل صاحب الجواهر الإجماع عليه كما سيأتى .

مذهب المالكية :

وعند المالكية كما فى الشرح الكبير وحواشيه أن الحرة الكتابية يجوز زواجها من المسلم سواء أكانت يهودية أم نصرانية مع الكراهة عند مالك ، وبدونها عند ابن القاسم من أئمة المالكية .

وعلل الإمام الكراهة فى بلد الإسلام بعلل شتى : منها أنها تذهب إلى الكنيسة ويخشى أن تربى ولده على دينها ، وأن تتغذى هى وولدها بما لا يحل فى الإسلام ، ولا يقدر على منعها من ذلك .

وإذا أسلم الزوج الكتابى أو المجوسى وزوجته حرة كتابية بقى النكاح بينهما ، وذلك للترغيب فى الإسلام ، والملحوظ فى ذلك أن للدوام حكم الابتداء ، والمسلم يجوز له التزوج بالكتابية ابتداء فيجوز بقاء . والخلاف وراء ذلك فى أنه مكروه لا يؤثر فى أصل الجواز .

مذهب الحنابلة :

أما عند الحنابلة فقد قال فى المغنى ص ٥٨ ج ٧ : وإذا تزوجها وهما كتابيان فأسلم قبل

الدخول أو بعده فهى زوجته . وإن كانت هى المسلمة قبله وقبل الدخول انفسخ النكاح ولا مهر لها .

فإذا أسلم زوج الكتابية قبل الدخول أو بعده أو أسلما معا فالنكاح باق بحاله سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابى ، لأن للمسلم أن يبتدىء نكاح كتابية فاستدامته أولى .

ولا خلاف فى هذا بين القائلين بإجازة نكاح الكتابيات .

ويفهم من قوله : (ولا خلاف فى هذا) أن المجيزين لنكاح الكتابيات متفقون على بقاء عقد النكاح فى حالة إسلام الزوج أو إسلامهما معا .

أما المانعون فلم ينقل عنهم خلاف فى ذلك أيضا بل نقل الإجماع على بقاء النكاح عند الإمامية كما سيأتى .

وإذا أسلمت الزوجة الكتابية قبله وقبل الدخول تعجلت الفرقة سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابى ، إذ لا يجوز لكافر نكاح مسلمة ، قال ابن المنذر : أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم .

وإذا كان إسلامها بعد الدخول فالحكم فيه كالحكم فيما لو أسلم أحد الزوجين الوثنيين على ما تقدم اهـ .

مذهب الحنفية :

وأما عند الحنفية فقد قال السرخسى فى المبسوط ص ٤٥ جـ ٥ :

« ولو أسلم الزوج وامرأته من أهل الكتاب بقى النكاح بينهما ولا يتعرض لهما لأن ابتداء النكاح صحيح بعد إسلام الرجل فلأن يبقى أولى ، وإن كانت من غير أهل الكتاب فهى امرأته حتى يعرض عليها الإسلام ، فإن أسلمت وإلا فرق القاضى بينهما » .

مذهب الشافعية :

وعند الشافعية إذا أسلم الزوج وامرأته كتابية فهى له ، وإن كانت غير كتابية تقع الفرقة بمجرد الإسلام إن كان قبل الدخول وبعد انقضاء العدة إن كان بعد الدخول اهـ.

مذهب الظاهرية :

وأما عند الظاهرية فقد قال ابن حزم فى المحلى ص ١٤٢ ج ١٠ :

مما يقع به فسخ النكاح بعد صحته اختلاف الدين إلا فى جهة واحدة وهى أن يسلم الزوج وهى كتابية فإنهما يبقيان على نكاحهما .

وينقسم اختلاف دينهما (فى غير هذا الوجه الذى ذكرنا) خمسة أقسام : —

أحدها أن يسلم هو وهى كافرة غير كتابية . وثانيها أن تسلم هى وهو كافر كتابى أو غير كتابى ، فلو أسلما معا فهما على نكاحهما إلى أن قال : ففى كل هذه الوجوه ينفسخ نكاحهما سواء أسلم إثر إسلامها أو أسلمت إثر إسلامه) اﻫ .

وهذا صريح فى أن تلك الجهة الواحدة التى استثناها لاخلاف فيها . وهى مسألتنا فى هذا البحث . ولو كان فيها خلاف لذكره كما ذكر خلاف ابن عمر فى المسألة الأولى .

وقال فى المحلى ص ٣١٢ ج ٧ :

وأيما امرأة أسلمت ولها زوج كافر ذمى أو حربى فحين إسلامها انفسخ النكاح بينهما ، فلو أسلما معاً بقيا على نكاحهما ، فإن أسلم هو قبلها فإن كانت كتابية بقيا على نكاحهما أسلمت هى أو لم تسلم . وإن كانت غير كتابية فساعة إسلامه قد انفسخ نكاحها منه . وهو قول عمر وجابر وابن عباس وحماد بن زيد والحكم وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وعدى والحسن البصرى وقتادة والشعبى وغيرهم .

مذهب الزيدية :

وفى الروض النضير ص ٦٦ ج ٤ : عن على عليه السلام فى اليهودى تسلم امرأته أنه إذا أسلما كانا على النكاح ، وإن أسلم هو ولم تسلم هى كانا على النكاح ، وقد أخرجه البيهقى وعبد الرزاق .

وهذا الحديث متفرع على ما قبله من أنه يجوز للمسلم نكاح الكتابية ، وفيه إشارة إلى صورتين :

إحداهما أن يسلما معا فهما على النكاح الأول ، ووجهه الاتفاق فى الملة .

وثانيتهما أن يسلم الزوج دونها فالنكاح باق أيضا بدليل الآية لشمولها ما كان عن نكاح متقدم أو متأخر .

ونقل عن عطاء فى الرجل وامرأته يكونان مشركين فيسلمان قال : يثبت نكاحهما ، فإن أسلم أحدهما قبل الآخر انقطع ما بينهما ، وقال : إن ذلك فى المجوس والمشركين غير أهل الكتاب ، والآية المشار إليها هى قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »

مذهب الإمامية :

وفى الجواهر : وإذا أسلم زوج الكتابية فهو على نكاحه سواء كان قبل الدخول أو بعده بلا خلاف أجده ، بل فى المسالك وغيرها الإجماع عليه بل ولا إشكال على المختار من جواز نكاح المسلم الكتابية ابتداء فضلا عن الاستدامة ، بل وعلى غيره « أى غير المختار وهو حرمة نكاح المسلم الكتابية كما تقدم » لضعف الاستدامة عن الابتداء ، ولما عرفت من الإجماع المعتضد بنفى الخلاف .

ثم قال : ولو أسلمت زوجته قبل الدخول انفسخ العقد ، لحرمة تزويجها بالكافر ولا استدامة . وإن كان إسلامها بعد الدخول وقف الفسخ على انقضاء العدة ، فإن أسلم فهى امرأته ، وإلا ظهر أنها بانت منه بإسلامها .

ثم قال : هذا كله فى إسلام زوج الكتابية وإن لم يكن هو كتابيا . وفى إسلام زوجة الكتابى وإن لم تكن هى كتابية .

وأما إذا كان الزوجان غير كتابيين فالحكم فيهما أن إسلام أحدهما يوجب انفساخ العقد فى الحال إن كان قبل الدخول ، ويوقف على انقضاء العدة إن كان بعده بلا خلاف فى شىء من ذلك اهـ .

ولا يخفى أن الشيعة الإمامية قد اختاروا القول بجواز نكاح المسلم الكتابية، وعد فقهاؤهم القول بالحرمة غير المختار . ومع اختلافهم فى هذا أجمعوا كما نقله صاحب الجواهر على بقاء النكاح فيما إذا أسلم زوج الكتابية . وقرر صاحب الجواهر أنه لا خلاف فى ذلك ولا إشكال فيه على القولين : المختار وغير المختار .

ومن ذلك لا يصح أن ينسب للإمامية القول بانفصام عقد النكاح عند إسلام زوج الكتابية كما فهمه بعض المعاصرين أو كما أريد منه أن يقول ذلك فأطاع .

* * *

خلاصة البحث :

وخلاصة البحث فى هذه المسألة أن الفقهاء كافة يرون بقاء النكاح على حاله عند إسلام زوج الكتابية ، وأن آية المائدة تشمل النكاح ابتداء واستدامة .

وقد جرى على ذلك فقهاء الإسلام إلى الآن ، ودرجت عليه المحاكم على اختلافها وأيدته الفرامانات والخطوط الهمايونية والاوامر السابقة فى عهد الدولة العثمانية التى كانت لها الولاية على مصر والتى منحت المسيحيين وبعض اليهود امتيازات طائفية . ولم تغير الحكومة المصرية شيئا من ذلك بعد انتهاء سلطان الدولة العثمانية وانتقال سلطتها إلى السلطنة المصرية ، وليس لها أن تمس حكما موضوعيا قضت به الشريعة الإسلامية بلا خلاف فيه .

واستمرت الحكومة المصرية من بعد ذلك إلى الآن على هذا الحكم الإسلامى المجمع عليه ، والله ولى التوفيق ؟

(يتبع) حسنين محمد مخلوف

فى الحضارة العربية

روى لسان الدين بن الخطيب وزير دولة بنى نصر (التى شيدت قصر الحمراء) أن ثالث ملوك تلك الدولة كان يسهر على أنوار ضخام الشمع ، وكانت تتخذ له من جذوع فى أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل ومضى الهزيع . وإنما فعلوا ذلك لأنه كان يطيل السهر، وقد أصيبت عيناه من ذلك بأذى ، فرأوا أن يلفتوا نظره إلى مواقيت الليل بهذه الطريقة .

عام جديد
خواطر وأحكام

سبحان من يفنى الأعوام، وهو باق على الدوام. وتتناقص الأيام، وهو منفرد بالجلال والكمال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل). وهو القوى القادر ذو السلطان القاهر، وهو الحكيم الخبير. احتجبت منه الحقيقة وظهرت الآثار، فبهرت العقول، وأذهلت البصائر والأبصار. أخبت له المؤمنون، وجحد به الكافرون. سبحانه لا ينفعه إيمان، ولا يضره عصيان، وهو غنى عن عالمى الغيب والعيان.

تنطوى الأعوام وتطوى معها سجلات العباد، وقليل من يحرص على أن تكون صفحات أعماله كريمة، يباهى بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً.

والأعوام مراحل تنقضى من العمر، وتتخونه فى سرعة، يخالها الغافل بطيئة مستطيلة ويغطى على بصره الجهل والشباب حتى يستفيق على نذر من الشيب والهرم، فيقرع سن الندم، ويستعرض صحفه ليتدارك ما فرط منه، ويحاول أن يجبر التقصير وقد تحول المنية دون الأمنية، فيمضى لا ملجأ له من الله إلا رحمة الله والطمع فى عفوه ورضاه. ولقد قال أبو نواس بعد رحلة فى الجهل والشباب :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم   وأسمت سرح الطرف حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه   فإذا عصارة كل ذاك أثام

إن الغافل يستطيل العمر، ويستكثر الأعوام، ويسوف فى الأعمال، وينفق من عمره فى سعة، ويركض جهلا مطية شبابه حتى يهزلها فى الآثام ويضنيها فى الذنوب. أما المؤمن فينفق من أيامه فى رشد وكياسة، ويعطى حقوق الله فى أيامه ولياليه، فإذا جاء يوم الحساب فرح بمذخور الربح وموفور الثمار.

ولقد نبه إلى اهتبال فرصة العمر الأنبياء وصالحو المؤمنين . فمن رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه من حديث طويل : « والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة » وعن عيسى بن مريم عليه السلام : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » وكان يقول : اعملوا الليل لما خلق الله ، واعملوا النهار لما خلق الله . وعن الحسن رضى الله عنه : اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك . وكذلك ليلتك .

* * *

والعام الإسلامى الهجرى يقبل على المسلمين بذكرياته وبركاته ، وقد جعل الإسلام للشهر الأول منه فضلا خاصا ، وميزه بجملة من الشعائر لم يجعلها لغيره ، ليكون العام مفتتحا بالبركات ، مبنياً على الخيرات ، فتدوم بركته وترجى سلامته . فأوله وهو المحرم من الأشهر الحرم التى فضلت على غيرها من أشهر السنة ، وحرم الله فيها القتال ، وجعل الصيام فيها أفضل من الصيام فى غيرها إلا رمضان . وعن النبى ﷺ : « صوم يوم من الأشهر الحرم أفضل من ثلاثين من غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام » . وجعل للصيام فى المحرم خاصة فضلا على غيره ، لذا كان النبى ﷺ يكثر من الصيام فيه ، فقد روى عنه أنه قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » ، وقد صام العاشر منه ، وجعل صيامه سنة ، وعزم على صوم التاسع معه مخالفة لليهود وقال : « لئن عشت إلى قادم لأصومن التاسع والعاشر » . وقد كثرت الأحاديث فى سبب تخصيص اليوم العاشر من المحرم بالصوم وهو المعروف بيوم عاشوراء ، ومجمل ما قيل فيه : أنه يوم تاب فيه قوم من ذنوبهم فتاب الله عليهم . وقيل : إنه اليوم الذى تاب فيه آدم من زلته فقبل الله توبته . وقيل : إنه اليوم الذى نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون ، فكان صيامه شكراً لله على هذه النعمة .

وقد نحل الناس يوم عاشوراء طائفة من الشعائر ليس لها أصل صحيح فى الدين ، فجعلوا للاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه فضلا ليس لغيره ، ورووا فى ذلك أحاديث أنكرها العلماء . قال العلامة ابن رجب فى لطائف المعارف : « كل ما ورد فى فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال لا أصل له » . ومما يعتقده العامة فضل الإكثار

من الإنفاق فيه على العيال ، وهو ما يسمونه التوسعة على العيال ، ويجعلون من يوم عاشوراء موسما يخصونه بأطعمة خاصة ، ويستندون فى ذلك على أحاديث تروى فى هذا الشأن ، وهى مما لم يصح عند أهل الحديث . ومما يعتاده بعض أهل المدن اصطناع طعام (العاشوراء) وإهداؤه للأصدقاء والأقرباء .

وهـذه عادة إن صح أن يكون لغيرها مما ذكرنا أصل من الدين فهى لا تستند على أساس منه ، ولا ندرى مصدرها من التاريخ الصحيح ، وشأنها شأن كثير من العادات التى تتوارثها الشعوب وتجهل أصولها التاريخية ، ويجعل لها تطاول الزمن مقام المشروعات فى الأديان . ومما قيل فى أصلها أن « نوحا لما خرج من السفينة فى ذلك اليوم شكا من معه إليه من ألم الجوع ، فجمع ما بقى من أزوادهم فكانت حبوبا متفرقة من بر وعدس وغيرهما وطبخ الجميع فى قدر فأكلوا منه وأشبعهم فهو أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان ، فاتخذه الناس سنة ذلك اليوم » .

ويتصل بالحديث عن شعائر عاشوراء ذلك الشعار الذى اعتاده بعض الطوائف وحرصوا على إحيائه وهو إقامة مأتم فى ذلك اليوم تجديداً لذكرى قتل الحسين فى ذلك اليوم ، وعدم الإفطار من صومه على الماء رمزا لقتله عطشا رضى الله عنه . وقد أنكر العلماء ذلك الشعار وقال العلامة ابن رجب : « إنه عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا . ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ مصائب الأنبياء وموتهم مأتما ، فكيف بمن دونهم » وقال العلامة ابن العز الحنفى : « إنه لم يصح عن النبى ﷺ فى يوم عاشوراء غير صومه ، وإنما الروافض لما ابتدعوا المأتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء لكون الحسين قتل فيه ابتدع جهلة أهل السنة إظهار السرور واتخاذ الحبوب والأطعمة والاكتحال ، ورووا أحاديث موضوعة فى الاكتحال والتوسعة على العيال » .

وقد جزم الحافظ السخاوى فى المقاصد الحسنة بوضع حديث الاكتحال وتبعه غيره منهم ملا على القارى فى كتاب الموضوعات . ونقل الحافظ السيوطى فى الدرر المنتثرة عن الحاكم أنه منكر . وقال الجراحى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس قال الحاكم أيضاً : « الاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن النبى ﷺ وهو بدعة » .

ويقترن قدوم العام الهجرى بذكرى أكبر حادث فى تاريخ الإنسانية وهو حادث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة الذى سيبقى مدى الدهور والأجيال مثلا أعلى للإيمان بالفكرة الصالحة، واستعذاب الآلام فى سبيل تحقيقها، وإقناع الجماعة بها، ومثلا أعلى للإنسان الكامل الذى استجاب لدعوة الحق، وفنى فيها، واسترخص لها المال والجاه والأهل والوطن، وجهد وجاهد حتى تم لها النصر، وفاءت البشرية المكدودة المضطهدة إلى ظلالها تسترد أنفاسها، وتستنشق نسائم الحرية والأمن والاستقرار.

نعم، وسيظل حادث الهجرة وما بذله أبو بكر وعلى والأنصار بالمدينة وما تعرضوا له من خطوب وأهوال مثلا صالحا للمؤمنين بالدعوات فى التضحية والفداء وإنكار الذات، فقد وهب أولئك أنفسهم وأموالهم فداء للنبي ولدعوة الإسلام، واستجابوا لرأيه ومشورته دون تخاذل أو مماراة، وسيبقى قول المقداد بن الأسود للنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر: « لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكننا نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك » رمزا على ولاء الأصحاب والأنصار للقيادة العاملة والزعامة المخلصة.

إن على المسلمين أن يقفوا عند العام الهجرى وقفة التأمل والحذر، ووقفة الحساب والمراجعة، ويوازنوا بين ماضيهم وحاضرهم، ليستمدوا من ماضيهم عزما ومضاء وقوة ورجاء. وماضيهم حافل بالأمجاد والمآثر والمناقب والمفاخر، وأعيذهم أن يقفوا منه وقفة الحائرين اليائسين، ويغفلوا عن حاضرهم ومستقبلهم وما يتطلبان من عمل وجهاد، وليذكروا سنن دينهم فى العمل والجد، والعزة والكرامة، والعدل والحرية، والتأهب للأحداث والإعداد للأعداء، وما إلى ذلك من فضائل يقوم بها بناء الأمم وتشاد عليها صروح مجدها، ليصلوا مجد الحاضر بشرف الغابر، وليأخذوا مكانهم من التاريخ كما أخذ أسلافهم، ويكونوا أحقاء بالخلافة أحرياء بالوراثة:

إذا المرء لم يبن افتخاراً لنفسه ... تضايق عنه ما ابتنته جدوده

ألا وإن الأمل فى يقظة المسلمين وانبعاثهم إلى الخير قد بدت بوادره، ولاحت فى الأفق بشائره، وإنا لنرجو أن ينهمل الغيث ويضطرد الإرهاص، وما بعد الإرهاص إلا الإعجاز.

أبو الوفا المراغى

من ذكريات الهجرة :

الزوجان المهاجران

كلما هل هلال المحرم من كل عام هجرى ، حمل فى نوره الفضى إلى العالم الإسلامى الذكرى العزيزة على كل نفس مجاهدة ، الحبيبة إلى كل قلب مؤمن ، ذكرى أعظم حادث تاريخى عرفته الدنيا ، واتخذه المسلمون مبدأ لتاريخهم المجيد ، ألا وهو الهجرة الكبرى ، هجرة الرسول الأعظم وصحابته من مكة إلى المدينة ، تاركين الأهل والولد ، والمال والوطن ، فارين بدينهم إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكنهم أن يعبدوا الله ، وأن ينشروا دعوة الحق والخير والفضيلة بين عباد الله ، فكان لهم ما أرادوا ، وأبدلهم الله بضعفهم قوة ، وقلتهم كثرة ، وخوفهم أمنا .

وتاريخ الهجرة حافل بالمثل العليا الرائعة التى يقف أمامها المتأمل وقفة الإكبار والإجلال ، لهذه الثلة المؤمنة التى نشرت ـ بصبرها وكفاحها ـ دينا قويما ، وأقامت أمة هى خير أمة أخرجت للناس .

ولم تكن هذه المثل العليا من صنع الرجال فحسب ، وإنما صنعها الرجال والنساء على سواء ، وهذا هو سر الإيمان ، فقد صير من القوارير الضعاف بطلات فى باب الكفاح فى سبيل العقيدة والمثل العليا ، مع احتفاظهن بخصائص النساء الكوامل من عفة وحشمة ، وحفاظ لحقوق الله وحق الأزواج .

وأنا الآن بصدد التحدث عن بيت مسلم من البيوتات الإسلامية التى كافحت وجالدت وهاجرت الهجرتين ، وتقبلت بصدر رحب ونفس مطمئنة آلام الغربتين . وهذا البيت ـ إلى هذا ـ يعتبر مثالا صالحا لما ينبغى أن تكون عليه البيوت الإسلامية الرشيدة : فالزوجة كانت خير معوان لزوجها على جهاده وكفاحه فى سبيل عقيدته ، وأبت عليها نفسها الكبيرة ـ وقد نشأت وترعرعت فى بيت كبير من بيوت بنى مخزوم ـ إلا أن تكون مع

زوجها حيث كان ، تقاسمه الهموم والآلام ؛ والزوج كان المثل الكامل فى حسن العشرة والقيام بحقوق الزوجية ، فلا عجب أن استأثر حبه بقلبها ، ووفت له فى حياته وبعد مماته حق الوفاء .

أما الزوج فهو السيد الجليل أبو سلمة رضى الله عنه ، وأما الزوجة فالسيدة أم سلمة رضى الله عنها ، والتى صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين رضوان الله وسلامه عليهن .

ومن هو أبو سلمة ؟

هو السيد عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى ، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أخا رسول الله ، وأخا سيد الشهداء حمزة من الرضاع : أرضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب ؛ أرضعت حمزة ، ثم رسول الله ، ثم أبا سلمة . وبنو مخزوم من البيوتات القرشية التى كانت تتقاسم الشرف فى الجاهلية ، فقد كان فيهم القبة والأعنة [١] ، كما كان فى بنى هاشم السقاية . وإلى جده عبد المطلب انتهت السيادة والرئاسة فى قريش . فالرجل فرع من أصلين كريمين يطاولان السماء بمفاخرهما وشرفهما ، ومن ثمة كانت له همة لا تسامى ، كما كان عيوفا للذلة أو أن يقيم على ضيم .

إسلامه :

كان أبو سلمة رجلا زكى النفس ، طاهر الفطرة ، مجانباً للخنا والرذيلة ، سباقا إلى كل خير وفضيلة . وما أن عرض عليه الصديق الأكبر والداعية الأول أبو بكر رضى الله عنه الإسلام حتى استجاب له ، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام . قال ابن اسحق صاحب المغازى : إنه أسلم بعد عشرة أنفس ، وهى مزية تجعله فى الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن يوم أن أسلم وهو حريص على حضور مجلس رسول الله ﷺ ، يتلقى عنه الكتاب والحكمة وأصول العقيدة الصحيحة ، وله حديث واحد فى الاسترجاع عند المصيبة [٢] ، روى الإمام أحمد بسنده عن أم سلمة قالت : « أتانى أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت

[١] القبة كانت تضرب للجيش فيجمع فيها ما يمون به . والأعنة قيادة الخيل فى الحروب .

[٢] البداية والنهاية جزء رابع ص — ٩٠

به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة ثم يقول : اللهم آجرنى فى مصيبتى ، واخلف خيراً منها إلا فعل به ... الحديث » والظاهر أن قلة مروياته لتقدم وفاته ، ولو تأخرت به الحياة لظفرنا من مروياته بشيء غير قليل .

هجرته :

إن النفوس الكبيرة تستهين بكل شيء فى سبيل دينها وعقيدتها ، والقلوب المؤمنة سباقة إلى كل خير دينى أو دنيوى ، والسيد أبو سلمة كان ذا قلب مؤمن ونفس كبيرة ، فلا عجب أن كان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، بل قيل إنه أول من هاجر إليهما . روى ابن أبي عاصم فى الأوائل من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ... وهو أول من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة »[1] .

وقد صاحبه فى هجرته إلى الحبشة زوجه السيدة أم سلمة ، ومكث هو وزوجه بالحبشة مع القلة من إخوانهم المسلمين متحملين شظف العيش وألم الغربة ، وولد لهما بها بعض الولد حتى نمى إلى المهاجرين بها نبأ مهادنة قريش للمسلمين بسبب إسلام السيد الهمام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فرجعا فيمن رجعوا ، وما أن وصلوا إلى مكة حتى وجدوا أن محاربة قريش للمسلمين قد عادت كما كانت وأشد ، فرجع البعض ، ودخل البعض فى جوار بعض أشراف قريش ، ومن هؤلاء السيد أبو سلمة ، فقد دخل فى جوار خاله أبى طالب . ولما أجاره خاله مشى إليه رجال من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : هو استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإنى إذا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى . فعز على أبى لهب إحراجهم لأخيه أبى طالب فقال : يا معشر قريش ، لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه فى كل ماقام به حتى يبلغ ما أراد . فخافوا ، وقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة .

الهجرة إلى المدينة :

ولم يمنع أبا سلمة دخوله فى جوار خاله من أن يناله بعض الإيذاء ، حتى لقد فكر فى الرجوع إلى الحبشة ، ثم بلغه أن بالمدينة إخوانا لهم ، فعزم على الهجرة إليها ، ولا سيما

[1] الاصابة جزء ثان ص ٣٣٥

وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالخروج إليها لما اشتد بهم الإيذاء ، فكان أول من هاجر إليها من قريش من بنى مخزوم ، وكانت هجرته إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة ، فشد رحله إلى المدينة وبصحبته زوجه السيدة أم سلمة ، وهنالك يبتلى الرجل أشد ابتلاء ، فتمنع منه زوجه ، ويخلع ذراع ولده سلمة ، فما ضعف ولا استكان ، بل سار مهاجراً إلى ربه ، حتى جعل الله له فرجا ومخرجا ، فلحقت به زوجه وولده .

وسأدع السيدة أم سلمة تحدثنا حديث صدق عن هجرة زوجها فتقول :

« لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لى بعيره ، ثم حملنى عليه ، وجعل معى ابنى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره . فلما رأته رجال بنى المغيرة - رهطها - قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ فنزعوا خطام البعير من يده ، وأخذونى ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد - رهطه - وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، ففرق بينى وبين ابنى وزوجى ، فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح - مكان بمكة - فلا أزال أبكى حتى أمسى - سنة أو قريبا منها - حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها . فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ، فرد بنو عبد الأسد إلى ابنى ، فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال : إلى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وبنى هذا . فقال : والله ما لك من مترك . فأخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى ، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجر ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى . فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة . فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال :

زوجك فى هذه القرية ، فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت أم سلمة تقول : « ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آ ل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة [١] » .

وحقيق بنا أن نقف وقفة قصيرة هنا لنسجل للسيد أبى سلمة قوة إيمانه التى سمت على الأهل والولد والمال ، ولنسجل للسيدة أم سلمة حرصها على هجرتها واللحاق بزوجها وتحملها فى سبيل ذلك الآلام ، ولم ترض بالظل الظليل بين قومها وفى وطنها ، وآثرت عليهما رمال الصحراء وهجيرها فى الهجرة إلى الله عز وجل ، ولنسجل للعرب فى شخص السيد عثمان بن طلحة الخلق الكريم والفضائل الإنسانية السامية ، فما كانت المروءة والعفة والشجاعة وحماية الجار والوفاء بالعهود والترفع عن الدنايا إلا بعضا من فضائلهم ومفاخرهم التى أهلتهم لأن يكونوا حملة رسالة الإسلام الأولين ، وأصحاب خير رسل الله أجمعين .

ويخطىء بعض المؤرخين فى تصوير العرب بصورة غير التى امتازوا بها بين الأمم ، ولو نظرنا بعين الإنصاف لوجدنا أن العرب أحفل الشعوب بالفضائل البشرية ، ولأمر ما اختار الله خاتم رسله من العرب ، وجعلهم أهلا لحمل الرسالة ونشرها ، ولعل فيما صنعه عثمان بن طلحة فى جاهليته عبرة ومدكرا لأدعياء الحضارة فى القرن العشرين الذين طالما هتكوا الأعراض تحت ستار التظاهر بالعطف والحنان ، وتسوروا الخدور على الآمنات الغافلات ، واحتالوا فى سبيل الوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما وسعتهم الحيلة .

جهاده فى سبيل الإسلام :

لم تكن هجرة السيد أبى سلمة إلا بداية الجهاد فى سبيل الدعوة ، وما أن أذن الله للمسلمين فى الجهاد حتى سارع إليه ، فشهد بدرا وأحدا ، وفيها أصيب بجرح فداواه شهرا حتى برىء ، فلما برىء بعثه رسول الله ﷺ فى المحرم سنة أربع على رأس سرية إلى بنى أسد ، وكانت عدتها مائة وخمسين ، وفيها من خيار المهاجرين والأنصار أمثال أبى عبيدة وسعد ابن أبى وقاص وأسيد بن حضير . فلما انتهوا إلى أرضهم أخذوهم على غرة ، فتفرقوا وتركوا

[١] البداية والنهاية جزء ٣ ص ١٦٩ – ١٧٠ . وعثمان بن طلحة هذا ، أسلم بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معا ودفع إليه رسول الله والى ابن عمه شيبة مفاتيح الكعبة يوم الفتح وأقرها عليهم . وفى شأن عثمان هذا نزل قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) الآية .

نعما كثيرة من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة ، وقفل راجعا إلى المدينة بعد أن أبقى على هيبة المسلمين وسلطانهم فى الأرض ، وخمس الغنيمة فجعل الخمس لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقسم أربعة أخماسها بين المجاهدين .

ولما عاد إلى المدينة انتقض به جرحه ووافته منيته ، فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، وقد وفى بما عاهد الله عليه . ولما احتضر دخل عليه رسول الله فأغمضه ودعا له بخير قائلا : « اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه » وبذلك حظى أبو سلمة بدعوات : كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها ، فرضى الله عنه وأرضاه .

أما الحديث عن السيدة أم سلمة ففى مقال تال إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

من كلمات خليفة رسول الله أبى بكر الصديق

* أولى الناس بالله أشدهم توليا له .
* الصدق أمانة والكذب خيانة .
* إن عليك من الله عيونا تراك .
* اهدم الكفر بعضه ببعض .
* ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر .
* حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا .

الأشـــــعرى
ومراحل تطوره الفـكرى

تفضل السيد رئيس التحرير ـ مشكوراً ـ بالتعليق على كتابى (الأشعرى : أبو الحسن) وأسارع فأقدم إليه عميق الشكر على تلك التحية الطيبة التى استقبل بها الكتاب وصاحبه ، فهو فى رأيه « كتاب نفيس متعوب عليه » كما أحمد له تلك المحاولة التى لمس فيها التفرقة بين مراحل ثلاث من مراحل التفكير عند الأشعرى ، فهى محاولة عميقة وصادقة ، ولكنى مع ذلك أختلف معه فى ترتيب هذه المراحل ، فالسيد رئيس التحرير ـ مسبوقا بمكدونالد وترتين من المستشرقين ـ يرى أن الأشعرى كان معتزلياً ، ثم ترك مذهب الاعتزال إلى مذهب قريب مما عليه أتباعه من الأشاعرة ، ثم انتقل بعد ذلك فى أخريات حياته إلى مذهب السلف من إمرار صفات الله كما جاءت ، واعتقاد صحتها بلا تأويل ولا تعطيل ، مع التقييد والقطع بعدم المشابهة بين الله وبين خلقه . ولكن الفرق بين السيد رئيس التحرير وبين هؤلاء المستشرقين أن هؤلاء الأخيرين قد ذكروا رأيهم على أنه استنتاج وترجيح ، وربما عللوا هذا التطور فى الأشعرى بظروف إقامته ، فقد كان فى مبدأ تحوله بالبصرة ، وهى بعيدة عن نفوذ الحنابلة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد الخاضعة لنفوذهم .

أما السيد رئيس التحرير فقد ذكر ذلك على أنه حقيقة يجب أن يسلم بها ، بل إن حياة الأشعرى يجب أن تدرس فى رأيه على حسب ما افترضه من تطور ، لتنتهى دراستها بما انتهت به حياة الإمام وما استقر عليه ، « وبذلك يتبين لنا أن الأشعرى شىء ، والأشعرية شىء آخر » .

وفى رأيى ـ كما ناقشت ذلك فى هذا الكتاب ـ أن الأشعرى قد مر بمراحل ثلاث حقا ، ولكن هذه المراحل تختلف فى ترتيبها عما افترضه المستشرقون ، وما جزم به السيد رئيس التحرير ، فالأشعرى خرج عن الاعتزال إلى مذهب السلف وهو الطرف المقابل ، ثم استعاد توازنه العقلى بعد ذلك فى مذهبه الوسط الذى يعتبر بحق خير المذاهب فى الإسلام ، لأنه قد حاول المحافظة على العقل والنص معاً .

ورأيى فى ذلك يعتمد كما قلت فى كتابى على حقيقة نفسية ، وأخرى علمية .

أما الحقيقة النفسية فهو ما نشاهده من أنفسنا وما نلمسه من غيرنا من مبالغة فى العداء والمهاجمة للرأى الذى نريد التحول عنه فى المرحلة الأولى من مراحل هذا التحول . فالأشعرى - كما قلت - كان يعانى أزمة نفسية وثورة عقلية على المنهج العقلى ، وانقطع بذلك أياما عن المجتمع الذى يعيش فيه ، ثم خرج إلى الناس فى صورة عنيفة مضطربة . وأعلن رفضه لمذهب المعتزلة وطريقتهم ، فمن الطبيعى أو المرجح فى تلك الحالة أن يتشبث الأشعرى - فى شدة - بأذيال المذهب السلفى ، وأن يعمل على إرضاء نفسه الثائرة بالارتماء فى أحضان أحمد بن حنبل زعيم السلفية فى رأيه ، حتى إذا زالت تلك الغشية ، وفترت تلك الحرارة قليلا، فإن الرجل يعود إلى نفسه ليجمع منها ما نشأ عليه من إرضاء العقل ، وما لجأ إليه من احترام النقل فيتم له المذهب الجامع ، أو المذهب الوسط ، الذى حقق عظمته بين رجال الفكر إلى اليوم .

وأما الحقيقة العلمية فتعود إلى دراسة الأشعرى نفسه فى كتابه (الإبانة) الذى يعتبر فيه سلفيا محضا ، وفى كتبه الأخرى التى تمثل رأيه فى صورته الأخيرة - على حسب زعمنا - ككتاب (اللمع) مثلا ، فإننا نجد الأشعرى فى معالجته لموضوع واحد كموضوع الرؤية فى كلا الكتابين يختلف أسلوبا وفكرة ، فهو فى (الإبانة) أكثر حماسا وأشرق بيانا ، ولكنه ضحل التفكير نسبيا ، بينما نجده فى الكتاب الثانى أكثر تنظيما ، وأدنى إلى العمق والتعقيد والإجادة فى البرهنة ، مما يدل على تركز الفكرة ، ووضوح الحجة ، والإلف لهذا النوع من المعارضة ، وهذا يرجح على الأقل أن هذا النوع من الكتب لم يصدر عنه إلا فى فترة متأخرة .

وإذن فالمسألة فى رأيى لا يجب فيها أن تدرس كما يراها السيد رئيس التحرير ، بل ربما كان من الخير أن تدرس على هذه الصورة التى نراها ، اللهم إلا إذا استطاع السيد رئيس التحرير أن يقدم نصا للأشعرى يصرح فيه بأن كتاب (الإبانة) كان آخر كتاب أو من آخر الكتب التى ألفها ، فإننى بذلك سوف أطوى بحثى واستنتاجى أمام ما يصرح به صاحب المذهب نفسه . فهل يملك السيد رئيس التحرير هذا النص ؟ وما حجته فى الجزم بفرض دون فرض ؟ لا سيما وان الفرض الذى نقول به هو ما اعتمده تلامذته ومؤرخو العقيدة فى عهده وغير عهده . ومع ذلك فهو يصلح تعليلا واضحا لكراهة ابن حزم الظاهرى للأشعرى ولعنة متأخرى الحنابلة لمذهبه ونقد ابن تيمية له . ؟

الدكتور حموده غرابه
المدرس بكلية أصول الدين

آخر مراحل الأشعرى

إذا كان الحق هو الغرض الذى ينشده اثنان ، فهما متعاونان عليه ، وواصلان إليه لا محالة ، مهما اختلفت الزاوية التى ينظر منها إليه كل واحد منهما . وهذا ما لمسته فى الرسالة الكريمة التى نشرناها آنفا للأستاذ الجليل الدكتور حمودة غرابة المدرس بكلية أصول الدين ومؤلف كتاب (الأشعرى أبو الحسن) الذى وصفناه فى جزء رمضان من العام الماضى .

الحق الذى أنشده أنا وأخى الكريم الدكتور حمودة ينحصر فى تطـــور الإمام أبى الحسن الأشعرى بعد أن أكرمه الله باعتزال المعتزلة : هل انتقل من ذلك إلى نقيضه كما يقع أحيانا تحت تأثير « قانون رد الفعل » فاختار مذهب السلف بالتزام نصوص الإسلام فى الإيمان بالغيب ، ومنه آيات الصفات والأحاديث الصحيحة المفسرة لها أو الداخلة فى بابها ، وإمرار هذه الآيات والأحاديث كما وردت ، مع التقيد بأن الله ليس كمثله شىء ، جريا على طريقة الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، فكان طوره الثانى بعد الاعتزال هو الطور السلفى الذى يمثله كتابه (الإبانة) وحينئذ يكون كتاب الإبانة من أوائل مؤلفاته بعد براءته من الاعتزال ، ثم كان له طور ثالث تحول فيه عن مذهب السلف ، وسلك مسلك علم الكلام والجدل العقلى بالطريقة التى نسبت إليه ويمثلها كتابه (اللمع) وحينئذ ينبغى أن يكون كتاب اللمع من آخر مؤلفاته ؟

أم أنه لما اعتزل المعتزلة تصدى لمناظرتهم والرد عليهم بأساليبهم الكلامية ، فكان طوره الثانى هو طور الكلام والجدل والاعتماد — فى أمور الغيب — على الأقيسة المنطقية والأساليب التى تصلح لمكافحة المعتزلة وأهل الأهواء ، وحينئذ يكون كتاب (اللمع) من مؤلفاته فى طوره الثانى ، حتى إذا تقدمت به السن وسئمت نفسه هذه الأساليب وانتقل من بيئتها فى البصرة إلى بغداد رجع فى إيمانه بالغيب إلى عالم الغيب مكتفيا بالنصوص التى اكتفى بها الصحابة والتابعون ، ومقتنعا بأن الغيب قد استأثر الله بعلمه ، وأن أساليب القرآن أرجح فى سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة من جميع أساليب اليونان ، كقول من قال ، بعد طول المناظرة والجدال :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسرحت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن ، أو قارعا سن نادم

وحينئذ يكون الطور السابق هو الطور الثالث من أطوار هذا الإمام ، ولا سيما إذا اطمأنت النفس إلى أن (الإبانة) من أواخر مؤلفات أبي الحسن رحمه الله إن لم يكن آخـــرها .

أما كتاب (اللمع) فما لا ريب فيه أنه من أوائل مؤلفات الأشعرى بعد براءته من الاعتزال ، نقل ذلك الحافظ ابن عساكر فى كتاب (تبيين كذب المفترى) ص ٣٩ عن أبي القاسم حجاج بن محمد الطرابلسى من أهل طرابلس المغرب قال : سألت أبا بكر اسماعيل ابن إسحاق الأزدى القيروانى المعروف بابن عزرة فقال : « الأشعرى شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا . قام على مـذاهب الاعتزال أربعين سنة وكان لهم إماما . ثم غاب عن الناس فى بيته خمسة عشر يوما ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر النـاس ، إنى إنما تغيبت عنكم فى هذه المدة لأنى نظرت فتـكافأت عندى الأدلة ، ولم يترجح عندى حق على باطل ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبى هذا (وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به) ودفع الـكتب إلى الناس فمنها كان كتاب (اللمع) . . الخ » . فكتاب (اللمع) إذن هو أول ـ أو من أول ـ ما ألفه بعد أن هداه الله ، وهو يمثل الأشعرى فى أول ما كان عليه عند انقلابه على المعتزلة .

ومعـلوم أن اعتزال الأشعرى للمعتزلة كان فى سنة ٣٠٠ ، وكان امتداد طوره الثـانى إلى سنة ٣٢٠ ، وفى هذه العشرين من السنين كان يجادل المعتزلة بالمناظرات العلنية ، وبالمؤلفات التى تشبه كتاب (اللمع) ، بل إن كتاب اللمع ألفه ثلاث مرات إحـداهن كتابه هـذا الموجـود فى أيدينا الآن فيما يظن ، وله غيره (اللمع الـكبير) جعله مدخلا إلى كتابه (إيضاح البرهان) و (اللمع الصغير) جعله مدخلا إلى اللمع الـكبير . وقد ذكر ذلك الأشعرى نفسه فى ثبت مؤلفاته إلى سنة ٣٢٠ الذى أورده فى كتابه (العمد فى الرؤية) ونقـله عنه الحافظ ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى (ص ١٢٨ — ١٣٤) ولم يذكر فى هذا الثبت كتاب (الإبانة) لأنه لم يكن قد ألفه بعد . وإنمـا ألفه فى أواخر حياته بعد انتقاله إلى بغـداد ورأى فى تلك الحقبة أن يختم الله له فى إيمـانه بمثل ما ختم به لأصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين والأئمة الأولين . وتتجلى هـذه الحقيقة لـكل منصف

عقب قراءة رسالة أبي القاسم ابن درباس التي ألفها عن الأشعرى وألحقت بكتاب الإبانة فى طبعة ١٣٢١ بحيدر أباد الدكن بالهند بأمر نظام حيدر أباد .

وهنالك نص صريح بأن (الإبانة) آخر كتاب ألفه الأشعرى فى شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٣٠٣) .

والمسلم إذا بلغ مثل منزلة الإمام أبى الحسن الأشعرى فى العلم وإخلاص النية لله عز وجل فى جميع تصرفاته لا يمكن أن يرجع عن سلفيته بعد أن اطمأنت نفسه لها وأنست بها وتشربها قلبه ، كما يتجلى ذلك فى كل سطر من سطور كتابه (الإبانة) ، فهو إذا جادل أهل الأهواء فى كتبه الأخرى وناقشهم فيما يحتمل أن تكون له وجوه من النظر ، فإنه فى (الإبانة) يجزم بما صح به النص عن الله عز وجل فيما استأثر الله بعلمه من أمر الغيب ، وليس للعقل سبيل إليه كالسبيل الذى يهدى إليه كلام الله القديم وحديث المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

إن الإمام الأشعرى قام فى طوره الثانى بجهاد عظيم مشكور فى مكافحته أهل الأهواء والاحتجاج عليهم بأساليبهم ، وكان ذلك ضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ، ويلجأ إليها إذا لم تكن للمرء عن ذلك مندوحة . أما بعد يأسه من أهل الأهواء وأسفه على إضاعة وقته معهم ، فقد رجع فى إيمانه إلى مصادر الحق فى هذا الإيمان وأراد أن يلقى الله على ذلك.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يجل الإمام أبا الحسن ، ويستدل فى كتابه (منهاج السنة) فى عشرات كثيرة من المواضع بأقوال هذا الإمام التى أوردها فى (مقالات الإسلاميين) وفى غير ذلك من كتبه ، بل إن ابن تيمية يحفظ مذاهب الأشعرى فى كل مسألة ، ويدافع عنه فيما كان يتهمه به أهل الأهواء ، وفى خلال رده على الرافضة فى منهاج السنة يدافع حتى عن الأشعرية ويناقش المتحاملين عليها ، غير أنه فى كل أمر يعطى كل ذى حق حقه كما هو دأبه فى عرض كل أمر على النصوص الإسلامية ببيانات شافية يطمئن إليها قلب كل مسلم مخلص منصف .

وإنى أشكر لأخى الدكتور حمودة أن أتاح لى بسط الحديث فى هذا الموضوع المهم وكلانا ناشد حق ، ونلتقى عنده دائماً إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

قواعد الاديان

وقواعـــــــد الاخلاق

فى العدد ٦٣ الصادر بتاريخ ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٣ (٢٩ من يونيه سنة ١٩٥٤) من « مجلة التحرير » .

توجه السيد نوار محمود الرملى — فلسطين بالسؤال التالى :

« هل من المستطاع أن يجد الإنسان فى قواعد الأخلاق ما يغنيه عن قواعد الأديان ؟ »

إلى فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى الذى أجاب عنه بما يلى :

« نعم من المستطاع . غير أن هذه الاستطاعة نادرة الحدوث ، وضيقة الآفاق ، ولا تكاد تستجيب إلا لأفراد ممتازين فى الأمم والشعوب ، فأما عامة الناس وسوادهم الأعظم فذلك بالنسبة إليه مستحيل الحصول ، ولهذا كان الدين ضرورة اجتماعية لا بد منها فى تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق » .

* * *

بيد أنى لست أدرى أى غناء قصد السائل وأى غناء قصد المجيب .

إن قواعد الأديان تهدف إلى تحصيل سعادة فى الدنيا ، وسعادة فى الآخرة ، فهل يقصد السائل والمجيب معاً أن قواعد الأخلاق تكفل الحصول على هاتين السعادتين ، كما تكفل الحصول عليهما قواعد الأديان ؟ إن يكن ذلك ما قصداه ، فكيف أمكن فى رأيهما جواز الحصول على سعادة الآخرة ، دون الأخذ بأسباب دين صحيح ؟ وإن يكن ما قصداه شيئاً وراء ذلك ، لا يتصل بالحياة الآخرة من قريب أو من بعيد ، فكيف أمكن أن يتخذا منه موضوعا يقارنان فيه بين الدين والأخلاق ، وليس هنالك أمر من أوامر الدين إلا وجانب الآخرة ملحوظ فيه ، حتى تلكم الأوامر التى قصد بها تنظيم شئون الدنيا لا بد فى تنفيذها لتكون داخلة فى نطاق الدين — من استشعار أنها أوامر الله : وأن الله سيجزى على تنفيذها الجزاء الحسن فى الدار الآخرة .

ثم كيف تعقد مقارنة بين قواعد الأخلاق وقواعد الأديان ، كشيئين لكل منهما استقلاله عن الآخر ، والدين هو ينبوع الأخلاق ، ومصدرها الأول ، فقد عرف أول ما عرف أن « الصدق فضيلة ، والكذب رذيلة » من الدين الذى سبق التفلسف بزمن بعيد .

بل إن التفلسف نفسه لم يستطع أن يتجاهل العلاقة الوثيقة بين الدين والأخلاق . فهذا كبير فلاسفة العصور الحديثة « كانت » يتخذ من الأخلاق طريقه لإثبات وجود الإله .

وما أظن سقراط — واضع علم الأخلاق - حين قال : « إن جزاء الفضيلة فى الفضيلة نفسها » يعنى أنه السرور القلبى الذى يحسه المرء فى نفسه عقب إتيان فعل فاضل قد نسى — وهو فيلسوف مؤله — أن حصة من هذا السرور ترجع إلى الشعور بأن الله راض عن فعله .

تلك كلمة قصيرة أردت أن أوضح بها غموضا ورد فى هذا السؤال الذى يبدو خطيراً ، ثم فى الإجابة عنه كذلك ؟

سليمان دنيا
الأستاذ فى كلية أصول الدين

اختيار المسلمين المناخ لمستشفياتهم

لما أراد عضد الدولة أن يبنى مستشفى استشار طبيبه فى اختيار موضع لإقامة البناء عليه . فأخذ الطبيب قطعة لحم وشقها أربع شرائح ، ووضع كل شريحة فى مكان مكشوف حول المدينة ، ثم رتب رجالا يثبت كل منهم فى دفتره الدقيقة التى يحدث فيها التعفن فى كل من هذه الشرائح . ثم بنى المستشفى فى المكان الذى تأخر فيه تعفن اللحم .

الكسب الحلال

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟ ؟ » .

جاء رسول الإسلام فى هذا الدين الخالد بأسمى ما تتطلبه البشرية ، من أوضاع واضحة القصد ، مظفرة الغاية ، قريبة المنال ، سبيلها سوى ، وفضلها سنى ، وجلالها فى الروعة بالغ مشهود .

فالدين الإسلامى فى العقيدة : توحيد خالص ، لا يقبل إشراكا ولا رياء .

والدين الإسلامى فى العبادات : تهذيب وتنظيم ، وتكافل وتساند .

والدين الإسلامى فى الأخلاق : بر ومرحمة ، وعزة وسمو ، وترفع وإباء .

والدين الإسلامى فى المعاملات : يستهدف : أن لا ضرر ولا ضرار .

وحديثنا اليوم فى المعاملات توجيه حازم حاسم للناس : أن كلوا من الطيبات ، ولا تيمموا الخبيث ، فإن الطيب مقبول محمود ، وإن الخبيث مردود مرذول ، وإن الله عز سلطانه ، وجل شأنه ، لم يفرق فى أمره بالكسب الحلال ، بين الرسل الذين اصطفاهم وولاهم - والله أعلم حيث يجعل رسالته - وبين سائر المؤمنين الذين جلهم بالإيمان ، وهداهم إلى تعاليمه المشرقة ، بل سوى بينهم فى هذا الطلب ، لما له من عظيم الشأن ، وبالغ الأثر .

فالكسب الحلال طريقه طيب ، وريحه طيب ، ومذاقه طيب ، والحافز إليه نفس طيبة ، وقناعة راضية ، واطمئنان كريم .

لا يعمد إلى الكسب الحلال غاش ، ولا مزور ، ولا كذاب ، ولا فاجر .

ولا يجرى وراء الخبيث أبى ، ولا تقى ، ولا نظيف . فشعار الطيبين حمد مكسوب ، وشرف مرغوب . وشعار الآخسرين طمع لا يرعوى ، وظمأ لا يرتوى ، وجشع طويل عريض ، يمتد إلى أعماق السحت ، ويأخذ بأسباب الإفك ، ويمضغ بين فكيه كرامة يهدرها ، وأمانة يحقرها ، وشرفاً يزدريه ، ولا والله ما هو ببالغ فى جشعه الطويل العريض إلا رزقاً مقدراً محدوداً ، قسمه الله له من فوق سبع سموات . قال تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » . وقال عز شأنه : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

وقال ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

فالكتاب الكريم ، والسنة المطهرة يلفتان نظر الناس إلى أن الرزق مقسوم محدود . وسواء ألح بالإنسان الجشع أو قرت نفسه بالقناعة ، وسواء أظفر المرء بالرضا أو شقى بالإرهاق ، فلن ينقص من رزقه أو يزيد فيه قناعة ورضا ، أو لجاجة وإعنات . قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

فيامعشر الناس : التاجر فيكم إن صدق ووفى ، فكسبه حلال ، وتجارته رابحة ، وماله مبارك فيه ، وإن غش وخان ، أو احتكر وضيق ، فالغلاء الذى يكوى به الناس فى الأسعار

سيكون سعيراً يكتوى به فى عذاب النـار . وإن ربحه الفاحش أغلال فى عنقه ، وخيانته فى التعامل خسار فى دنيـاه وآخرته .

ويامعشر الناس : إن الموظف فيكم أمين فيما وليه من أمور الناس ، فإن ضيع الأمانة ، أو فوت الحق ، أو استغل النفوذ ، برشوة خبيثة ، أو مجاملة بغيضة ، أو سلطان أحمق ، فهو مدخول فى نفسه ، مضيع فى إثمه ، مدنس بمـا غل ، والله لا يهدى كيد الخائنين .

ويامعشر الناس : فيكم العامل والصانع والزارع ، فإن حفظوا حق الغير ، وراعوا حدود الله ، وكان فى صفاتهم الأمانة ، والوفاء ، والصدق ، وحسن الرعاية ، فقد أكلوا طيباً وربحوا حلالا . وإن هم عاثوا ، وخانوا ، وضلوا ، فقد حقت عليهم كلمـة العذاب ، ولعنة الوطن ، وكراهية الناس .

ويامعشر النـاس : أجمعوا أمركم ، وفوتوا على الغاشين والطامعين والمرتشين أطماعهم ، وكونوا على الحرام حربا ، وأشيعوا التعامل الكريم البرىء بين القانعين والصادقين ، ونظفوا المجتمع من هـذا الغول الشره الذى لا يفرق بين الحـلال والحرام ، ولا بين الخبيث والطيب .

وياهؤلاء الذين يتعجلون الرزق فيسلكون إليه كل سبيل ، ويتحرقون للجمع ليطفىء المـال نار جشعهم المتأججة : على رسلـكم . . . فكل قرش من رزقكم مرهون بوقته ، مضمون بوعد الله .

قال أبو حازم : وجدت الدنيـا شيئين ، شيئاً هو لى لن أعجله قبل أجله ، ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى ، وذلك ممـا لم أنله فيما مضى ، ولا أناله فيما بقى ، يمنع الذى لى من غيرى كما يمنع الذى لغـيرى منى . ففى أى هذين أفنى عمرى ، وأهلك نفسى ؟ ؟

وينبغى أن يكون معلوما أن الإسلام لا يتطلب من الناس أن يصبروا على الجوع دون سعى لتحصيل الرزق ، فإن الإسلام دين أمر بالـكد والعمل ، ولـكن الدين يهيب بالناس أن يثقوا برزق الله الذى وعد . قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ،

وأن يطلبوه حلالا طيباً ، ليكون بركة لهم فى أنفسهم ، وفى أولادهم وأهليهم ، فإن آكل الحرام لايجد إلا علة لا تبرأ ، أو فساداً لا يقوَّم ، أو ضياعا وحرمانا . فيدعو الله لتخفيف العلة ، وتقويم الفساد ، واسترداد الضائع ... يارب ... يارب ... ولكن ... أنى يستجاب له ؟ ؟

كيف يستجاب لدعوته وهو ظالم آثم ؟

كيف يستجاب له ، وقد ألبسه الله الداء ، وأحاطه بالبلاء ، وذلك من عدل الجزاء « وما ربك بظلام للعبيد » .

فالحلال الحلال ياقوم ، إنه زينة بيوتكم ، ومتاع أرواحكم ، وإنه نجاح مقاصدكم ، وظفر أولادكم ، وإنه عفة أيديكم ، وطهارة قلوبكم .

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

وفقنا الله جميعاً وهدانا ، وجملنا بالطيب الحلال ؟

محمد عبد التواب
مفتش الوعظ العام بالأزهر

هى النفس

قال الرّبيع بن ضبع الفزارى (وقد عمر جيلين) :

لقد عزفت نفسى عن اللهو جملة   وإن نهلت من لهوها ثم علت
رأيت قرونا من قرون تقدمت   فلم يبق إلا ذكرها حين ولت
هى النفس ما منيتها تاق شوقها   وإلا فنفس إن يئست تسلت

عريف أهل الصفة

الصفة : الموضع المظلل من المسجد ، كما كان جارياً فى أبنية المساجد أولا أن لا تظلل ، فإذا ظلل بها مكان لحاجة كان صفة .

وكانت فى مسجد الرسول ﷺ صفة يأوى إليها كثير من الفقراء والغرباء يسمون : (أهل الصفة) وكانوا قوما قد أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا التى زوى الله عنهم ، إبقاء عليهم .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر : كان أصحاب الصفة أناساً من الفقراء ، وكان رسول الله ﷺ يقول فى شأنهم : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس ، وقال أبو هريرة : مر بى رسول الله ﷺ فقال : أبا هر . قلت : لبيك يارسول الله . قال : الحق أهل الصفة فادعهم . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها - وروى أبو نعيم فى الحلية أنه ﷺ كان يجرى عليهم كل يوم مداً من تمر بين كل رجلين . والحديث عن هؤلاء يطول .

وإنما المقصود الآن الحديث عن عريف هؤلاء القائم بأمرهم وهو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الذى سكن تلك الصفة واستوطنها ، منذ لقى رسول الله ﷺ فى خيبر فأسلم على يديه فى السنة السابعة من الهجرة ، وعاد معه إلى المدينة فلزم ذلك المكان حتى وفاة رسول الله ﷺ . وقد كان السيد الرسول صلوات الله عليه إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لأمر تقدم إلى أبى هريرة ليدعوهم لمعرفته بهم وبمنازلهم جميعاً .

قال أبو نعيم : كان أبو هريرة أحد أعلام الفقراء والمساكين ، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد . أعرض عن غرس الأشجار ، وجرى الأنهار ، وعن مخالطة الأغنياء والتجار . أما مجمل ما يقال عن نشأة هذا الإمام العظيم فإنه كان من قبيلة من اليمن يقال لها دوس من الأزد كانت تعبد الأوثان ، وقد هدى الله أمه أميمة إلى الإسلام . ثم هدى إليه قلب هذا الفتى الدوسى من بعدها ، فهاجر إلى النبى ﷺ فى نحو السابعة والعشرين من عمره ، وأسلم على يديه ، وآمن بدعوته الكريمة إيماناً دعاه إلى ذلك الانقطاع

والتبتل الذى أشرت إليه . ويتحدث عن نفسه فيقول فى اعتداده وشكره لله : « نشأت يتيما ، وهجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطنى وعقبة رجلى ، وكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدوا إذا ركبوا ، فزوجنيها الله ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما . وكنيت بأبى هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها . وإذا كان فى الناس من يزعم أن الذى كناه بذلك رسول الله ﷺ فإن فى ظاهر هذه العبارة ما ينافى ذلك . ولقد كان من الشرف أن يقول : كنانى رسول الله ﷺ بأبى هريرة لو كان ذلك ، على أنه ليس من الأدب ـ لو كان ذلك ـ أن يقول : كنيت . وقد أسلم كما قلت لك فى فتائه وقوته ، فلزم الرسول ﷺ لا يأوى إلى أهل ولا ولد ، ولا يؤثر على مجلس رسول الله ﷺ شيئاً . فحضر ما لا يحضر كثرة الأصحاب ، وحفظ ما لا يحفظون ، وعلم ما لا يعلمون . واستمر فى عهود الخلفاء الأربعة ينثر ماجمع ، ويبشر بما انتفع ، حتى اختاره الله لجواره فى السنة السابعة والخمسين للهجرة النبوية فى عهد معاوية بن أبى سفيان .

صفاته :

وقد يستطيع المتتبع لتاريخ حياته وشئونه وأحواله ، أن يتعرف ما تحلى به ذلك الإمام من صفات كريمة ، أهمها :

(١) الزهد فى الدنيا والإعراض عما يغرى الجاهلين من أهلها ، شأن أهل الصفة الذين علمت أمرهم . وقد كان قبل الإسلام كما علمت أجيراً لآل بسرة ، وقد تجرد من دنياه وما أقل ما تجرد منه ، فانقطع لله ولعبادته ، وقد انتهى أمره إلى الإمرة فى الدنيا ، والإثراء منها بعد أن استقر الإيمان فى قلبه ، فانشرح الصدر ، وتجافت النفس عن دار الغرور ، فما تأسى على تركها .

عرف التاريخ من أحوال هذا الإمام أنه كان لا يسأل الناس شيئا على ما يكون به من خصاصة . وتحدث عن نفسه فقال : والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على كبدى من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله سبحانه ما أسأله إلا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ، وكذلك فعل مع عمر ، وفعل معه عمر . ثم مر به أبو القاسم ﷺ وعرف ما فى وجهه فتبسم ، ثم قال : يا أبا هر . قال : لبيك يا رسول الله . قال : الحق ، ثم مضى واتبعه أبو هريرة ، فدخل ثم دخل أبو هريرة ، فوجد لبنا فى قدح ، فقال : يا أبا هريرة الحق أهل الصفة فشربوا اللبن .

ويحدث بمثل هذا عن نفسه مرارا ، وفيه دليل على زهده وصبره وعزة نفسه ، وأنه لا يسأل الدنيا ولا يطلبها ، فإذا جاع التمس كفافه في عزة وكرامة . ويحدث أنه كان يصرع مرارا بين منبر النبي صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة ، فيقول الناس : إنه مجنون ، وما به إلا الجوع . والإسلام دين الطلب والسعي ، ولكنه وجد فيه وفي إخوانه من أهل الصفة ما لا يسمح لهم بالضرب في الأرض من معاني العجز عن التصرف ، واتجاه الاستعداد إلى طلب العلم والعبادة ، فأقرهم على ذلك ونزل فيهم قوله سبحانه : (واصبر نفسك) الآيات .

وكانت لأبي هريرة فكرة عن المال والدنيا تحمل على التجرد والإعراض ، فهو يبغض المال وينفر منه ، ويدعو لأحبابه أن يكثر الله المال لأعدائهم : فقد كان بعض الموالي يلزم أبا هريرة يتلقى عنه العلم والأدب ، وكان إذا سلم على أبي هريرة يقول له : سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، دمت وشيكا ، وأكثر الله لمن أبغضك المال .

وكانت له بنت حبيبة فكان ينهاها عن لبس الذهب خوفا عليها من الفتنة ، وكأنها كانت تتضايق من ذلك وتستحي من عدم لبس الذهب ، فيقول لها : قولي : أبي أبي أن يلبسني الذهب ، يخشى عليّ حر اللهب ، وهذا نهج لاحب لأبي هريرة ، يتمثل مشرقا متألقا فيما ورد عنه إذ يتحدث أيضا عن نفسه فيقول : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا تسألني شيئا من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله . قال : فنزعت نمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه ، فحدثني ، حتى إذا استوعبت حديثه قال : « اجمعها فصرها إليك » ، فأصبحت لا أسقط شيئا مما حدثني .

وفي النمرة أحاديث بروايات كثيرة ربما أوردت بعضها .

وموضع الإعجاب في هذا الخبر قوله في جواب النبي صلى الله عليه وسلم : أسألك أن تعلمني مما علمك الله . بخ بخ لك أيها العالم العصامي الرباني ، لقد استبدلت الحق بالباطل ، وآثرت ما يرفع وما يخلد على ما يخفض وما يذهب ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . وإذا فقد بلغ أبو هريرة من الزهد الذروة ، ولم يطلب من دنياه إلا ما يقيم الأود ، فملأ الله صدره من العلم والفقه والرواية ، ورفع شأنه بالدين الذي جعله قواما . وتلك هي الصفة التي سأتحدث عنها في المقال الآتي .

محمود النواوي
المفتش بالأزهر

الأزهر والصحافة

- ٢ -

تحدثنا فى مقالنا السابق [1] عن جهود الأزهريين فى الصحافة العربية منذ مولدها فى مصر فى العصر الحديث ، وكشفنا القناع عن توليهم صحيفة مصر الأولى « الوقائع » بالرعاية والتوجيه ، مما كان له أبلغ الأثر فى خلق صحافة واضحة المعالم بينة الأهداف ، ينمو فى ظلالها الأدب والرأى .

ونتابع فى هذه الحلقة وما يليها نهوضهم بالصحافة فى صدر هذا العصر ، متوخين فى ذكر هذه الصحف تتابعها فى الوجود . . . وقد ولى الوقائع فى الميلاد :

صحيفة وادى النيل سنة ١٢٨٤ ﻫ (١٨٦٧ م) :

فقد رغب إسماعيل فى إنشاء نهضة صحفية غير رسمية تعبر عن مجلس الشورى واتجاهه وتساير فكرته ، فأوحى إلى أحد أبناء الأزهر الأدباء ، وهو « عبد الله أبو السعود » بإنشاء هذه الصحيفة ، فكانت أول صحيفة عربية قامت بهذا العمل . ويذكر « فيليب دى طرازى » فى تاريخها أنها مجلة سياسية علمية أدبية كانت تصدر مرتين فى الأسبوع ، وعبارتها صحيحة ، وأفكارها سليمة [2] » .

أنشئت هذه المجلة سنة ١٢٨٤ ، وذكرت الوقائع المصرية خبر إنشائها فى محلياتها [3] ، وتلقتها بالتحية صحيفة فرنسية معاصرة كانت تصدر بالإسكندرية فقالت : « وقد حدثت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادى النيل وقد أوضح منشئها وناظرها فيها

---

[١] ص ١٠٢٥ من مجلة الأزهر ـ المجلد ٢٥ ـ رمضان ١٣٧٣ .

[٢] تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٦٩ .

[٣] الوقائع فى ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٢٨٤ ﻫ .

أورده من بيان الغرض المقصود من إنشائها أنه التزم بأن ينشر فيها الاخبار النافعة للديار المصرية ، سواء كانت ترد من أوروبة أم من الأقاليم المصرية [١] » .

وصحيفة وادى النيل أول صحيفة وطنية شعبية صدرت بمصر وقد كانت صورة للوقائع فى تفكيرها واتجاهاتها [٢] .

أضاء أبو السعود الطريق لهذا النوع من الصحف فنهج نهجه كاتبان شهيران فى عصر « إسماعيل » هما « ابراهيم المويلحى » و « عثمان جلال » فأنشآ مجلة « نزهة الأفكار » سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) سياسية أسبوعية .

وقد كان « أبو السعود » هذا علماً من أعلام الأدب وله جولات موفقة فى الشعر والنثر عدا جهده الرائع فى التأليف والترجمة . ويتمثل أسلوبه الجزل فى صحيفته وفى مقالاته التى نشرها بصحيفة « روضة الأخبار » التى أنشأها ابنه « محمد أنسى » للسياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥ م) .

روضة المدارس :

« كان على مبارك باشا مشرفا على شئون التعليم فى عهد إسماعيل ، وكانت النهضة المشبوبة تحمل ذوى الغيرة على الشباب المثقفين أن يهيئوا لهم ما يوسع مداركهم ، وينير أفكارهم ، ويهذب لغتهم ، فلم يكن أولى بتحقيق هذا الغرض من إنشاء صحيفة « روضة المدارس » التى نهضت باللغة العربية ، وأحيت آدابها ونشرت المعارف الحديثة والأفكار الجديدة ، وقد ألقيت مقاليد أمورها إلى أستاذ الصحافة الرسمية فى القرن التاسع عشر « رفاعة بك الطهطاوى » محرر الوقائع وناظر الترجمة فى عهد إسماعيل ، يعاونه فى إصدارها جهابذة العصر فى العلوم والآداب والفنون المختلفة [٣] » .

نهض رفاعة بك بهذه المجلة وأسبغ عليها من أدبه وفنه وإرشاده ، وعاونه طائفة من

---

[١] وادى النيل العدد العاشر .

[٢] تطور الصحافة المصرية ص ٧٧ .

[٣] « « « ص ٦٢ .

أدباء الأزهر كالشيخ « حسين المرصفى » كما شارك فى النهوض بها « على باشا مبارك » و « إسماعيل باشا الفلكى » وكان « عبد الله أبو السعود » يترجم مايرد إلى المجلة من مقالات الأساتذة الاجانب فيجد الناس فيها أفكار الغرب وعلومه وآدابه .

كانت روضة المدارس مياسة الغصن ، فواحة الزهر ، يصدح على أيكها الأدباء والشعراء والمفكرون . وكانت الميدان الرهيب الذى تتنافس فيه الأقلام ، وتتبارى الملكات ، زخرت بالآداب والعلوم والفنون ، وجالت فى الاجتماع والتاريخ والرياضة والفلك ، وحفلت بالشعر العربى فى القرن الماضى فنشرت الشعر الرقيق الطريف لشيخ الشعراء : « إسماعيل صبرى » رحمه الله ولغيره . وكانت تصدر مرتين فى كل شهر . وقدأمر « إسماعيل » بتوزيعها مجانا على طلبة المدارس ، فاستهوتهم وعودتهم حب الأدب والكلف بالاطلاع ، وأثرت فى مداركهم وأفكارهم .

جاء فى مقدمتها أن إرادة « خديو مصر المتكفل بسعود رحبتها ، ونمو بهجتها ، وتقويم صعدتها ، وتمكين نجدتها - شاءت إصدار صحيفة تكون مجالا لأنفس المواد العلمية بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة ، والمسائل المتأصلة والمتفرعة ، أقرب تناولا للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذا لمن يعانيها من قريب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة ، واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة ، غير حوشية ولا مجشمة لصعب التراكيب » .

وتمضى فى الإفصاح عن الغرض من إنشائها فتقول : « إن المراد من ظهورها بهذه الصورة هو أن تنكشف للعامة مخدرات العلم وترفع حجبها المستورة ، وتستضىء بنورها أرباب العقول السليمة ، وأصحاب الطبائع المستقيمة ، وخصوصا من أبناء المدارس . . . حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم ، وتبعثهم على ازدياد اهتمامهم ، إذا علم كل منهم أن مايظهر من أعماله المستحسنة ، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفئدة والألسنة ، سيقيد بهذه الصحيفة » .

موضوعاتها :

أما موضوعاتها فهى رسائل مؤلفة جديدة ، ونبذ مصنفة مفيدة ، من علوم وفنون مختلفة ، ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة ، وبعض تراجم من لغات أجنبية .

الشيخ محمد عبده والأهرام :

أنشأ « سليم تقلا » أحد أدباء سورية صحيفة الأهرام سنة ١٢٩٣ (١٨٧٥ م) . وكان

« الشيخ محمد عبده » يجرى على صفحاتها قلمه الأديب حيث كان أول عهده بالإنشاء . وقد نشرت له الأهرام خمس مقالات متفرقة بين العدد الخامس من السنة الأولى الصادر فى ١٤ من شعبان سنة ١٢٩٣ هـ ، والعدد الواحد والأربعين ، وهـذه هى السنة التى نال فيها « الشيخ محمد عبده » شهادة العالمية من الأزهر . وكانت الأهرام تحتفى به وتقدمه للقراء بديباجة فذة . ومن ذلك ما جاء فى العدد الخامس من السنة الأولى إذ قالت : « وردت إلينا هذه الرسالة من قلم العالم العلامة والأديب الفهامة الشيخ محمد عبده أحـد المجاورين بالأزهر فأدرجناها بحروفها » .

أبو نظارة ١٢٩٤ (١٨٧٧ م) :

كان لوجود الأفغانى بمصر أثر بليغ فى إنارة الفكر ، وإثارة العزم ، وإيقاظ الهمم ، ولم يقتصر فضله على محاضراته الفكرية بل كان يوجه الأدباء والمفكرين والمصلحين إلى كل ما ينهض بالأمة وبالشعوب الإسلامية . وكان له على الصحف العربية فى مصر فضل يتغنى به التاريخ ، ومن ذلك أنه سعى فى إخراج « مرآة الشرق » لصاحبها (سليم عنحورى) وظل يؤيده حتى منح التصريح بصدورها . وكانت مجالا لأقلام الصفوة المختارة من الكتاب الوطنيين ، ولبى « الشيخ محمد عبده » نداء الأستاذ الأفغانى فحرر بها كثيراً من مقالاته . كما فعل مثل ذلك « الشيخ على يوسف » ، وقد كانت هـذه الصحيفة لسان الحزب الوطنى فى نهاية عصر إسماعيل .

أما صحيفة أبى نظارة فهى أقدم الصحف الهزلية المصورة فى الشرق قاطبة . وقد لقيت من الأمة إعجاباً وتهافتاً ينم عنه قول « الدكتور محمد صبرى » فى كتابه عن تكوين الرأى العام المصرى : إنها شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر « أحمد سالم » حين دخل بائع الصحف فانصرفوا عن المطرب إلى قراءتها مع أن « أحمد سالم » كان يتغنى بأغنية من وضع أبى نظارة عنوانها « المضطهد » لقى بغنائها السجن عشرة أيام .

والذى نهدف إليه من الحديث عنها أن هذه الصحيفة ذات الخطر العظيم كان يعدها « جمال الدين » و « محمد عبده » ، وأنها كانت تقض مضاجع الخديو وحاشيته ، ومن ثم كانت قصيرة العمر حيث أغلقها الخديو وظفر من إيطاليا بالموافقة على نفى صاحبها من مصر .

يتبع

محمد كامل الفقى
المدرس بكلية اللغة العربية

غزوة أحد

— ٤ —

آيات من شجاعة النبي وجيش الاسلام

شجاعة الرسول :

ثبت الرسول ﷺ في المعركة ، ولم يتزعزع في هذه المحنة ، بل ما زال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ، فأخذ يرمى الأعداء بالحجارة وهو أقرب الناس إليهم ، وقد أقبلوا من كل مكان على أثر سماعهم لتلك الصيحة الشنعاء بأن محمداً قد قتل ، وكل منهم يريد أن يحظى بشرف التمثيل برسول الإسلام الأعظم ...

عن على رضى الله عنه قال : لما انجلى الناس يوم أحد ، نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : والله ما كان ليفر ، وما أراه في القتلى ، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . فما لى خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم .

ما أصاب الرسول :

في هذه المحنة أصيب النبي ﷺ عدة إصابات ، فقد رماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى . ورماه عبد الله بن شهاب الأزهرى فشجه في جبهته ، ورماه ابن قمئة فجرح وجنته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته . فلم يبال النبي ﷺ بما أصابه ، بل سار وحوله أصحابه ، فإذا به يقع في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فلحقه على بن أبي طالب وأخذ بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، وأخذ أصحابه يسعفونه وينزعون الحلقات من وجهه .

أما المسلمون الذين التفوا حول النبي ﷺ فقد عزموا على الدفاع عنه إلى آخر رجل فيهم ، ولقد أبلوا جميعاً في هذا أعظم البلاء ، وأتى كل منهم من آيات الشجاعة ما يعجز عنه الوصف ، فأبو دجانة مثلا ترّس دون رسول الله بنفسه ، وكان النبل يقع في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل .

وكان قتادة بن النعمان رضى الله عنه يتقى السهام بوجهه دون وجه الرسول حتى أصيبت إحدى عينيه .

وكان سعد بن أبى وقاص يرمى النبل دفاعا عن النبى ﷺ حتى رمى ألف سهم ، ما منها سهم إلا ورسول الله يقول له : ارم ، فداك أبى وأمى . . .

صيحة النجاة :

كان أول من عرف النبى بعد الهزيمة وبعد تلك الصيحة المشئومة . « إن محمداً قد قتل » هو كعب بن مالك رضى الله عنه ، فقد عرفه من عينيه وكانتا تزهران تحت المغفر ، فصاح بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله » .

فأشار إليه الرسول أن أنصت ، ولكن المسلمين لما عرفوا الرسول نهضوا به ونهض معهم نحو الممر ، ومعه أبو بكر وعمر وعلى وباقى من كانوا معه . ولكن أبىّ بن خلف لحق بالمسلمين وهو يقول : « أين محمد؟! . لا نجوت إن نجا » .

فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول النبى ﷺ حربة الحارث بن الصمة ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة جعلته يتدحرج عن فرسه ويعود من حيث أتى ليهلك فى الطريق .

وبينما رسول الله وصحابته فى الممر إذ علت خيل من قريش الجبل وكان على رأسها خالد بن الوليد .

فقال الرسول : « اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا !! اللهم لا قوة لنا إلا بك » فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين حتى هبطوا من الجبل . واشتغل المشركون ذكوراً وإناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم .

وكان أبو سفيان قد جاء يسأل عن النبى ، فأجابه عمر أنه لم يقتل ، فقال : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال النبى لعمر : قل : « نعم هو بيننا وبينكم موعد » . ثم انصرف المشركون ، فأرسل النبى عليا يتبعهم خشية أن يكون فى نيتهم التوجه إلى المدينة لنهبها ، فعاد فطمأنه .

من آيات الشجاعة الفائقة :

ولما خلا الميدان من الأعداء انطلق المسلمون يتفقدون القتلى فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأموات هو أم فى الأحياء ؟ فتقدم أبى بن كعب رضى الله عنه وهو من الأنصار لهذا الأمر ، وها هو ذا يحدثنا عما كان : بعثنى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم أحد لطلب سعد بن الربيع الأنصارى وقال : إن رأيته فأقرئه منى السلام ، وقل له : كيف تجدك ؟ (أى كيف حالك) . فأصبته (أى وجدته) وهو فى آخر رمق ، وبه سبعون ضربة : ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات . فقال : إنى فى الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ منى السلام وقل : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته . وقل : إنى أجد ريح الجنة ، وأبلغ قومك منى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : « لا عذر لكم عند الله تعالى إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عين تطرف ، ثم لم يبرح أن مات . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

العودة إلى المدينة :

أمر النبي بدفن شهداء المسلمين وقد بلغوا سبعين ثم اتجه مع باقى أصحابه - وكان أغلبهم جرحى - صوب المدينة ، فاستقبلهم المنافقون واليهود بعين الشماتة والسرور لما حدث لهم ، وأظهروا أقبح القول ، فقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبى قط : أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ! وقالوا : لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل !! وهكذا انكشفت للمسلمين قلوب المنافقين بما تحمل من أضغان وأحقاد ، لحز ذلك فى نفوسهم وأثر فيها أبلغ الأثر ، وأصبحوا بين قريش باستخفافها واستهزائها ، والمنافقين بحقدهم وقبيح كلامهم ، واليهود بشماتتهم وسخريتهم . فخشوا على الإسلام من التدهور ، وعلى سلطانهم من الذهاب ، وهناك تكون المصيبة الكبرى ، والخطب الجلل .

ولذلك عزم المسلمون على القيام قومة واحدة فى وجه هذا الخطر الداهم ، وعلى الضرب ضربة قوية جريئة فى هذا السيل الجارف . حتى يعود للإسلام مجده ومكانته ، ولسلطان المسلمين قوته وقيمته .

خروج الرسول فى أثر العدو :

فلما كان الغد من يوم أحد أى فى يوم الأحد ١٦ شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وبعد فراغ المسلمين من صلاة الصبح ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدعو جميع من شهدوا أحدا بالأمس بالاستعداد للخروج فى أثر العدو .

وقد رمى الرسول من وراء الاكتفاء بمن شهد غزوة أحد فقط إلى إظهار العزم الشديد على استرداد الهيبة ، لأن خروج المسلمين - وغالبهم جرحى - يعد أكبر دليل على صدق العزم .

وكذلك أراد الرسول أن يعظم من شهد أحدا ، وخشى اختلاط المنافقين بهم ، فيضعفون من شوكتهم ، ويعرقلون أعمالهم .

وقد وافق نداء بلال رغبة جميع المسلمين فأقبلوا على الإجابة بروح قوية ، وعزم صادق ، وفيهم من به بضع وسبعون جراحة .

ومن أمثلة استماتة المسلمين فى نصرة رسولهم : أن رجلا من بنى عبد الأشهل كان قد شهد أحدا مع النبى صلى الله عليه وسلم هو وأخ له فرجعا جريحين ، فلما أذن بلال بالخروج فى طلب العدو قالا : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل .

ثم خرجا مع الخارجين يتحاملان حتى انتهيا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وعلى عادة النبى حين يترك المدينة استعمل عليها ابن أم مكتوم ، وخرج المسلمون دون أن يشتغلوا بمعالجة جروحهم .

وأرسل الرسول ثلاثة من رجاله ليلحقوا بقريش ويتحسسوا الأخبار ، فلحق اثنان منهم بالقوم فى مكان يسمى حمراء الأسد [1] فقبضت عليهما قريش وقتلتهما .

ولما وصل المسلمون إلى المكان عسكروا فيه ووجدوا الرجلين فدفنوهما .

وقد مر بمعسكر المسلمين معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو مشرك ، وكان بنو خزاعة : مسلمهم وكافرهم يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا موضع سره .

---

[١] موضع على ثمانية أميال من المدينة .

فقال للنبي : « يا محمد ، والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك » .

ثم انطلق حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء ، وكانوا قد أجمعوا العودة إلى المسلمين ليفنوهم وقالوا : أصبنا أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ؟ ! لنكرن عليهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبدا الخزاعى قال : « ما وراءك يا معبد » ؟

قال : « محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط » .

فما لبث الرعب أن دب فى قلب أبى سفيان ورجاله ، فقرروا العودة إلى مكة . .

محمد جمال الدين محفوظ

إقامة الألسنة

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التى بها يتحاورون الكلام ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها . إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام . وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية .

يا بنى الدنيـــــا

علام إذا عراكم ... وأنتم ... بهـا غرباء ، أو قوم ... نيام ؟
فـا أدرى ... وبالدنيا غبـاء أنحن بها رعاة ؟ أم سوام ؟
لقــد عجزت فلاسفة وضلت بمهمهـا ، وما صـدق الأنام
وما أحسنتم فى الأرض شيئا وهـذا الشرق ، والدنيا ضرام
بنى الدنيا لقـــد ضقنا وضقتم فـا هـذا التناحر والزحام ؟
لقـــد نامت بعلمـكم الليالى وفى أحشائهـا النوب الجسام
فهـــذا الشرق تغزوه ذئاب وهذا الركن يعلوه الجهام
ونحن به تمزقنـا الأمانى ويقتلنا الخـــلاف والانقسام
غبـاء ... لا يدانيه غبـاء وداء فى مفاصلنـا عقـــام
شياطين على البطحـاء تعوى وأقوام على البـلوى ... أقاموا

* * *

نخوض معارك الدنيا ونمضى فيدعانا إلى الدنيا ... الرجام
فأين النور يمـــلأ جانبيهـا وأين بهـا المحبة ... والوئام ؟
فقوم بينـكم فيهـا كرام وقوم بينـكم فيهـا ... لئام !!
سياسات وأحلام حيارى وقوم ليس يجمعهم ... نظام
وأقدار بدنيـا الناس تجرى وأحقاد ، وأحـداث عظام
نصحتهم بمنعرج الليـالى فما ثابوا ، وما التام الـكلام
وساس الأمر فى الدنيا طغاة فحاق بأهلها الموت الزؤام
ولم يعصمهم فى الأرض (دين) ولم يرع الذمام لهم حسام
حياة ترقص الأقدار فيها ويصرخ فى زواياها الحمام
فما للظاعنين بهـا مقام وما للعاجز الوانى .. قيام

صابر على رمضان الجوشى

الكتب

الصراع بين الموالى والعرب

للدكتور محمد بديع شريف — ٢٧٠ ص — دار الكتاب العربى

الحديث عن الموالى والعرب فى الإسلام من أدق بحوث التاريخ الإسلامى ، وقد زلت فيه أقدام كثيرين - مثل جرجى زيدان - لأنهم لم يميزوا بين الموالى الذين أكرمهم الله بالإسلام فآمنوا به واغتبطوا بإيمانهم فكانوا أعز على العرب من كثير من العرب ، وفى مقدمة هؤلاء سالم مولى أبى حذيفة فالحسن البصرى والإمام البخارى ، وكل من آمن بإيمانهم وسار فى طريقهم ، فكانوا من أئمة الإسلام ، وهم رواة أحاديث رسول الله فى فضل العرب ، وخرجوا من الدنيا وهم يشهدون أن خير خلق الله بعد رسول الله أصحابه من العرب والتابعون لهم بإحسان . فهذا القسم من الموالى هم الذين تعاونوا مع حملة الدعوة الإسلامية من العرب على تعميم هذه الدعوة ، وكانوا معهم إخوانا يوالى بعضهم بعضا . وقسم آخر من الموالى أولهم عبد الله بن سبأ ، ومن بعده أمثال عبدالله بن يسار ، وأبى بكر الكروس ، ورشيد الهجرى ، ومحمد بن أبى زينب ، وجهم بن صفوان ، وشيطان الطاق دخلوا فى الإسلام ليفسدوه على أهله وليبثوا فيه ما ليس منه وليقوضوا سلطانه على الأرض ، فهؤلاء هم الذين كان الصراع قائماً بينهم وبين العرب قبل الدولة العباسية وبعد تأسيسها ، ولو ظهر أمثالهم فى أية دولة مهما كان دينها أو جنسها لاعتبرتهم خونة ، ولأنزلت فيهم من النكال والوبال ما يعد فى جانبه موقف العرب من هذا النوع من الموالى رحمة بل تهاونا وتقصيرا .

وكتاب (الصراع بين الموالى والعرب) للدكتور محمد بديع شريف الملحق الصحفى لسفارة العراق فى مصر يكاد يكون أول كتاب عن الموالى لاحظ هذا الفارق ، واعتبر الصراع بينهم وبين العرب صراعا بين الإسلام وشانئيه ، وصراعا بين دولة الإسلام والعاملين على تقويضها . لذلك كان موفقاً فى بحثه . وكان قد كتبه بالألمانية سنة ١٩٤١ م ، لينال به الدكتوراه من جامعة بازل فى سويسرا ، بعد أن كان قبلها فى جامعة بن بألمانيا .

والكتاب فى تسعة فصول ، أولها : عن العرب والفرس قبل الإسلام وبعده ، الثانى : عن « المولى » ومكانته عند العرب . الثالث : فيما صدر عن الموالى من الأذى منذ اغتالوا أمير المؤمنين عمر إلى آخر أيام بنى أمية . الرابع : عن حركة الموالى فى الدولة العباسية من أبى مسلم إلى نكبة البرامكة . الخامس : عن الموالى فى الإسلام وخطط الخرمية والراوندية والباطنية وضلالة الحلول الخ . السادس : عن دسائس الموالى فى الشعر كالمانوية والمزدكية فى شعر بشار وأبى نواس الخ . السابع : فى البويهيين إلى خلع الطائع وانهيار بغداد . الثامن : فى مقاومة الحمدانيين والمزيدين وابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى . التاسع : فى اليقظة العربية الحديثة إلى ظهور الجامعة العربية .

إن هذا الكتاب محاولة جيدة امتازت بالنظرة الصائبة إلى دخائل التاريخ الإسلامى ، فشكراً لمؤلفه الفاضل على هديته .

من تاريخنا

للأستاذ محمد سعيد العامودى – ١١٦ ص – دار مصر للطباعة

الأستاذ محمد سعيد العامودى من رجال الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ، وهو القائم على تحرير مجلة (الحج) الغراء ، وكنا نقرأ له فصولا ممتعة فى مجلة الحج ، وفى مجلة المنهل قبلها ، فصدرت الآن منقحة فى مجموعة لطيفة بهذا العنوان ، تولى تصديرها الأستاذ السيد عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المنهل المكية ، وإلى القارىء عناوين فصول هذه المجموعة : سياسة المال فى عهد عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب والضمان الاجتماعى ، من أوليات عمر ، العناصر النفسية فى سياسة العرب ، تاريخ العرب الموجز ، الموالى فى العصر الأموى ، ثم وصف لكتاب مخطوط « موائد الفضل والكرم ، لتراجم أهل الحرم » للشيخ عبد الستار الدهلوى ، يليه فصل عن تاريخ الصحافة فى الحجاز ، وآخر الكتاب فصل عنوانه : هل الحروب تطوى الحضارات .

وقد أحسن الزميل الفاضل فى جمع هذه الفصول ونشرها ، وبعضها مما يخص الحجاز وليس له مرجع آخر ، فشكراً للمؤلف ونرجو له دوام التوفيق .

دقائق العربية

للسيد أمين ناصر الدين - ٢٨٠ ص - مطبعة الاتحاد فى بيروت

السيد أمين ناصر الدين (رحمه الله) من كبار شعراء العربية الذين يعدون من طبقة حافظ إبراهيم والبارودى . ودواوين شعره الثلاثة : « صدى الخاطر ، والإلهام ، والفلك » تشهد له - فوق ذلك - بجهاده المتواصل فى سبيل الأخلاق ومقاومة تيار التفرنج والتحلل . وكتابه هذا (دقائق العربية) شاهد جديد على فضل آخر له وهو علمه بأسرار العربية ودقائقها وغيرته عليها . وقد سهر على تأليفه خمسا وعشرين سنة ، فبدأه بباب عن خصائص اللغة العربية ، وآخر للكلام على الاشتقاق ، والنحت ، والأعجمى والمعرب ، والاطراد والشذوذ ، واتفاق الأفعال واختلاف المصادر ، والفصيح والمبتذل ، والفصيح والأفصح ، وباب فى أفعل التفضيل وأحكامه ، وباب فى شتى الدقائق اللغوية ، وباب فى الدقائق البيانية ، وباب فى الدقائق البديعية ، وباب فى الدقائق العروضية ، وباب فيما يجوز فى الشعر دون النثر . وخاتمة فى تراجم موجزة لأشهر أئمة العربية من أبى الأسود وسيبويه إلى الجلال السيوطى .

رحم الله المؤلف ، ووفق الأمة إلى نشر ما لم يطبع من مؤلفاته ؟

الاسلام والشيوعية

للأستاذ عبد المنعم النمر - ١٦٨ ص - دار الكتاب العربى

يقول مؤلف الكتاب فى فاتحته : « أنا وأنت على اتفاق تام فى وجوب القضاء على عوامل الشكوى والضعف فى مجتمعنا ، وعلى اتفاق تام كذلك فى وجوب الارتفاع بمستوى الفرد ، وإتاحة فرص العمل الإيجابى له ليخدم بلاده وينهض بها ، شاعراً بحريته وكرامته . هذا شىء نتفق عليه . . . ولكن عند الوسيلة نختلف فيسلك البعض طريق الشيوعية ، ويحذو البعض الآخر حذو الاشتراكية العمالية فى بريطانيا ، ويأتى فريق ثالث فيدعو إلى سلوك الطريق القديم ، طريق المسلمين السابقين الذى رسمه القرآن .

والكتاب يدور حول بيان طريق المسلمين السابقين الذى رسمه القرآن ، وموقفه من مجتمعنا وعصرنا ومذاهبه ولا سيما الشيوعية ، وفيه البحث عن التشريع القومى الإسلامى ، وهل للإسلام أن يحكم ؟ وما هو ماضيه فى التشريع ، وما السر فى احتفاظه بقوته وخلوده . يلى ذلك فصول عن الربا ، والتأمين ، والملكية ، والضرائب ، وحماية الفرد فى الدولة ، وأن الإسلام هو الحرية . وتساءل المؤلف فى خاتمة كتابه : كيف نسير ؟ فنلفت إلى هذا الكتاب أنظار الباحثين فى هذا الموضوع .



الأدب والعلوم

المؤتمر الطبي العربي

انعقد فى دمشق المؤتمر الطبي العربي برئاسة الدكتور سليمان عزمى ، واشترك فى بحوثه ومحاضراته أطباء يمثلون الأوطان العربية وختم جلساته فى عيد الأضحى بجلسة كانت أغنى الجلسات من حيث غزارة الموضوعات وأهميتها ، وأعلن الدكتور سليمان عزمى أن مؤتمر هذا العام نجح كثيراً بسبب تحديد الموضوعات وتركيز الاهتمام بشئون السرطان والغدد ذات الإفراز الداخلى ، والصيدلة وغيرها ، مما ساعد الأطباء الإخصائيين على تهيئة موضوعاتهم وعرضها ومناقشتها .

خريجو الأزهر

فى مدارس الدولة

قررت وزارة المعارف العمومية أن خريجى كليتى أصول الدين والشريعة فى الأزهر يستحقون الترقية إلى وظيفة مدرس ثانوى أسوة بزملائهم خريجى كلية اللغة العربية ، مع مراعاة تقديراتهم والشروط الأخرى التى تطبق على زملائهم .

النتائج السيئة للامتحانات

كان لانخفاض نسبة النجاح فى نتائج شهادتى الثقافة والتوجيهية هذا العام أثره السيىء فى نفوس الطلبة وأولياء أمورهم . ويقول المدير العام لمراقبة التعليم فى الإسكندرية معللا أسباب هذا الانخفاض :

لوحظ فى السنوات الأخيرة ازدياد عدد التلاميذ نتيجة للإقبال على التعليم ، فترتب على ذلك اشتداد الضغط على المدارس حتى أصبحت المدرسة تستقبل ضعف العدد المقرر لها ، فبلغ عدد التلاميذ فى الفصل الواحد نحو خمسين تلميذاً مما لا يمكن معه لأى مدرس أن يقوم بواجبه ، كما أن أجهزة المعامل لا تتحمل هـذه الزيادة . وكان لا بد إزاء ذلك من توفير العدد الكافى من المدرسين ، وقد اقتضى الأمر ترقية عدد من مدرسى المدارس الابتدائية إلى المدارس الثانوية قبل النضوج الكافى لسد الحاجة إلى المدرسين بالثانوى ، فكانت النتيجة أن معظم هؤلاء المدرسين تكاد سنهم تقارب سن الطلبة الذين يدرسون لهم ، وقد تبين أن عدداً كبيراً من

التلاميذ يتغيبون عن حضور الدروس فى الأشهر الأخيرة من العام الدراسى بحجة الاستذكار فى المنازل ، فى حين أن مراجعة الدروس مع المدرسين فى آخر العام لا تقل عنها أهمية فى أوله .

وشكا المراقب العام لمراقبة التعليم فى الإسكندرية إهمال الأسرة وأولياء الأمور مراقبة الأبناء فى هذه الأيام ، وعدم تتبع تصرفاتهم .

الآثار الاسلامية

شكا الدكتور بشر فارس - فى مقال له نشرته الأهرام - من إهمال واقع فى دار الكتب المصرية لآثار إسلامية تعد من لطائف الذوق ورقائق الحسن ، وهى المخطوطات العربية ذوات الخط البهيج والنقش الرائق والصور المنمنمة . وبعد أن وصف ما هو واقع عليها من إهمال قال : ولا سبيل إلى النجاح ، لأن وزارة المعارف تعنى بالرياضة البدنية فوق عنايتها بالطاقة الفنية ، ولأن دار الكتب لا تجد فى لوائحها المالية ما يمكنها من صيانة ذخائرها ، ولأن مصلحة الآثار مشغولة بفرعون عن غيره . قال : وبسبب هذا التهاون من جانب وزارة المعارف ، وهذا العجز المالى من جانب دار الكتب ، وهذا الشغل الشاغل من جانب مصلحة الآثار ستبلى نفائس إسلامية فيها المصاحف الباهرة والصور الفاتنة ، وكلها ملك الأمة .

العربية فى باكستان

قررت الحكومة الكويتية إقامة مدرستين فى كراتشى لتعليم اللغة العربية ونشرها فى الباكستان . وكانت الحكومة الباكستانية قد رحبت بهذا المشروع وتبرعت له بالأرض التى تقام عليها هاتان المدرستان .

أستاذ أتاتورك

لأتاتورك أساتذة عند ما كان فى دراسته الابتدائية فالثانوية وفى المدرسة الحربية ، ولكن الأستاذ الذى تحدثوا عنه أخيراً لم يكن من هؤلاء ، بل هو أحدث سناً من أتاتورك ، وهو صحفى أديب من دعاة الخروج على الإسلام واسمه ضيا كوك آلب ، وكانت مقالاته فى الجرائد والمجلات هى التى دفعت أتاتورك للتخلى عن أنظمة الإسلام ، والجنوح للالتحاق بمركبة الغرب فى أنظمته ومظاهره وأهدافه .

وقد أعلنت جامعة أنقرة أن نيازى بركس شرع فى ترجمة مؤلفات ضيا كوك ألب من اللغة التركية إلى اللغة الإنجليزية باعتبارها ذات التأثير فى كيان تركيا الحاضر . وقد كان لذلك وقع بهيج فى الأوساط الأوربية ، والأمريكية وأذاعت شركة برقيات أسوشياتد برس برقية بذلك من مونتريال فى كندا .

وعندنا أن أتاتورك لم يكن فى حاجة إلى التأثر بكتابات ضياكوك ألب ، لأن الانقلاب فى تركيا ليس انقلابا فردياً ، ولولا أن لأتاتورك مئات من المثقفين أيدوه فى عمله ودفعوه واندفعوا معه فى تحويل تركيا من الاتجاه الإسلامى إلى الاتجاه الغربى وسهروا على مواصلة ذلك بعد موت أتاتورك ، لكان لتركيا عودة بالدولة إلى الإسلام بعد ذلك . وقد رأينا تركيا قد تعاقب عليها أحزاب متعددة ولا تزال مصرة إلى الآن على موقفها الرسمى من الإسلام .

زيادة السكان فى العالم

يؤخذ من بيانات إحصائيـة أعدتها الأمم المتحدة أن الزيادة السنوية للسكان فى مختلف أنحاء الأرض تقدر بحوالى ثلاثين مليون نسمة فى كل سنة . ومن المعلوم أن الزيادة تنمو مع الزمان ، وسيأتى وقت قريب تتجاوز فيـه هذا الرقم .

وهنـالك محاولات اقتصادية تبذل لرفع مستوى المعيشـة والتغذية باتخاذ الأسباب للزيادة فى المواد الغذائية . لكن نسبة الزيادة فى تعداد السـكان تطغى على نسبة الزيادة فى مواد الغـذاء ، لذلك يتوقع بعض المراقبين العالميين أن تبوء بالفشل المحاولات الاقتصادية التى تتخذ لمواجهة الزيادة فى تعداد السكان .

اليهود فى العالم

إن هذا العنصر الذى يزعج الإنسانية ، بما رسمه لنفسه من خطة (المخالطة والمزايلة) فى كل أمة من أممها وكل وطن من أوطانها ، فيفرض نفسه أمريكياً فى أمريكا وهو مع ذلك يهودى ، ويفرض نفسه سوفيتياً فى الاتحاد السوفيتى وهو مع ذلك يهودى ، ومصرياً فى مصر وهو مع ذلك يهودى - إن هذا العنصر المزعج لا يزيد تعداده فى الدنيا على ١١ مليوناً و٦٧٢ ألفاً و ١٨ شخصاً حسب آخر تعداد له فى سنة ١٩٥٢ . وإنما سخر أمريكا لإرادته وأهوائه وضلالاته لأن قريباً من نصف اليهود فى العالم موجود فى أمريكا ولا سيما فى نيويورك التى فيها من هذا الشعب أربعة أضعاف ما يوجد منه فى دولة إسرائيل . فاليهود فى أمريكا خمسة ملايين ، وفى الاتحاد السوفيتى مليونان ، وفى إسرائيل مليون و٤٥٠ ألفاً ، وفى دول أوربا الشرقية المتحالفة مع روسيا ٤٠٠ ألف ، وفى المغرب ٢٦٠ ألفاً وفى أرتريا ٢٢٠ ألفاً ، وفى هونج كونج ٢٠٠ ألف ، وفى ألبانيا ١٥٠ ألفاً ، وفى الصين الشيوعية ١٢٠ ألفاً ، وفى مالطة ١٠٠ ألف وفى أفريقية الجنوبية ١٠٠ ألف ، وفى استراليا ونيوزلندا ٥٥ ألفاً ، وفى سيام ٥٥ ألفاً ، وفى الهند الصينية ٥٠ ألفاً ، وفى مصر ٥٠ ألفاً وفى باكستان ٤ آلاف ، وفى أندونيسيا ١٢٠٠ وبقيتهم موزعون فى اليمن والبحرين وسنغافورة وكينيا وبلاد أخرى .

أنباء العالم الإسلامي

اتفاقية الجلاء عن مصر

في جلسة تاريخية وقعت مصر وبريطانيا بالأحرف الأولى في يوم الثلاثاء ٢٧ ذي القعدة الماضي (٢٧ يوليه) اتفاقا على الأسس التي ستقوم عليها اتفاقية جديدة بين البلدين بشأن القاعدة الحربية على قناة السويس . وقد تضمنت هذه الأسس جلاء القوات البريطانية عن مصر في خلال عشرين شهراً ، على أن تتولى شركات مدنية مصرية أو بريطانية صيانة منشآت القاعدة بعد الجلاء . ويسرى الاتفاق حتى نهاية سبع سنوات من تاريخ توقيعه . وتتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهراً الأخيرة من هذه المدة لاتخاذ ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق . وستبقى بعض أجزاء القاعدة في حالة صالحة وفق الحاجة المبينة في ملحق . وفي حالة حدوث هجوم مسلح من دولة أجنبية على مصر أو على أى بلد عربي يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً في معاهدة الدفاع المشترك بين الجامعة العربية - أو على تركيا - تقدم مصر للملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة ، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانىء المصرية في حدود الضرورة القصوى للأغراض السالفة الذكر . ويتم جلاء جميع القوات البريطانية عن الأراضي المصرية في مدة لا تزيد على عشرين شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق . ويقرر هذا الاتفاق أن قناة السويس التي تعد جزءاً لا يتجزأ من مصر هي طريق مائي له أهمية دولية من النواحي الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية . ويصمم كلا الطرفين على احترام اتفاق سنة ١٨٨٨ الذى يكفل حرية الملاحة في القناة .

كتلة إسلامية عالمية

أدى الرئيس جمال عبد الناصر فريضة الحج في هذا العام . ولما كان في منى وجدة قام باتصالات ومباحثات مع المسؤلين المسلمين الذين حضروا موسم الحج أسفرت عن نتائج سياسية لجمع كلمة المسلمين على عقد مؤتمر إسلامي دائم يقوم بإعداد سياسة إسلامية ثابتة بعيدة المدى لرعاية مصالح الشعوب الإسلامية والدفاع عن حريتها

وتكوين كتلة إسلامية عالمية يكون لها وجود إنسانى يعتد به بين المعسكرين الشرقى والغربى ، تضع سياستها مع الجبهتين فى ضوء مصلحتها ومصلحة شعوبها وحدها .

ومن المباحثات التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر العمل لتدعيم الجامعة العربية وإزالة الخلاف بين دولها الشقيقة وبين الأسرتين الكريمتين السعودية والهاشمية ، وبالفعل سافر الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى إلى بغداد للاتصال بجلالة الملك فيصل لهذا الغرض .

وقد رحب جلالة الملك سعود بفكرة عقد المؤتمر الإسلامى بمكة ، وأبدى استعدادا كبيرا لتحقيق هذه الفكرة بجميع الإمكانيات التى يمكن للحكومة السعودية تقديمها . وستخصص دار كبيرة فى مكة لاجتماع المؤتمر السنوى ، وسينزل جميع وفود هذا المؤتمر فى ضيافة الحكومة السعودية التى ستقدم جميع التسهيلات والمساعدات اللازمة لأعمال المؤتمر .

وإن مصر مستعدة لفتح اعتماد مالى كبير للإنفاق على أعمال التحضير للمؤتمر وتخصيص دار كبيرة فى القاهرة لأعماله .

الملاحة المصرية

كان من أثر التعاون بين المجلس الدائم لتنمية الإنتاج ، والمجلس الأعلى للنقل البحرى وشركات الملاحة المصرية ، أن تم توحيد الشركات المصرية الثلاث بعنوان « اتحاد شركات الملاحة المصرية » فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥٣ ، وكان نتيجة لتكون هذا الاتحاد ، ونتيجة للامتيازات التى خصته بها الحكومة أن تمكن من الحصول على تعهدات لنقل بضائع مختلفة لمصلحة السكة الحديد ووزارة التموين ووزارة الحربية .

ولما كان الحوض الجاف الوحيد الموجود الآن بالإسكندرية لا يتسع إلا للبواخر المتوسطة التى لا تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن ولا يزيد طولها عن ٥٠٠ قدم ، وبما أن قواتنا البحرية قد وضعت برنامج دعم أسطولها على أساس بناء ٥٢٠٠٠ طن فى السنوات الخمس المقبلة ، ومصلحة الموانى والمنائر تحتاج للنهوض ببرنامج توسعها إلى ما تقدر حمولته بنحو ١٢ ألف طن من الكراكات والسفن والقاطرات خلال العشر السنوات المقبلة ، ومصلحة السواحل تحتاج إلى التوسع فى وحداتها ، والجامعة العربية مقدمة على بناء أسطول تجارى تربو حمولته على ٢٢٠ طناً . . . الخ . لذلك أصبحنا أمام ضرورة جديدة للمبادرة بإنشاء حوض جاف جديد فى ميناء الإسكندرية تكفى سعته

لاستيعاب أكبر السفن حجما حسب أحدث التصميمات ، وبذلك تتمشى نهضتنا الملاحية مع نهضتنا الصناعية والعمرانية .

زيادة الجيش المصرى الى الضعف

أذيع أن فى النية زيادة قوة الجيش المصرى إلى ضعف القوة الحالية من الرجال والسلاح فى خلال عام واحد . وقد أعدت قيادة الجيش مشروعا ضخما بتفاصيله وسيوضع موضع التنفيذ فور تسلم الأسلحة التى كان الجيش المصرى ممنوعا من استيرادها .

وسيكون لكل قرية من قرى مصر وحدات من الجيش الإقليمى ترابط فيها باستمرار .

النهضة الصناعية

تألفت شركة برأس مال قدره ٣ ملايين جنيه لإنشاء مصنع ينتج ٢٢٠ ألف طن من الحديد والصلب ، وسيدعى الشعب للمساهمة فى هذا المشروع لإبلاغ رأس ماله إلى ١٧ مليون جنيه .

ودعت مصر الشركات العالمية لإنشاء مصنع لسماد النشادر تبلغ تكاليفه ٢٢ مليون جنيه وينتج ٢٧٠ ألف طن .

ودعت الشركات العالمية لتقديم عروض لإنشاء مصنع لورق الطباعة والكتابة يتكلف إنشاؤه ثلاثة ملايين جنيه ، وينتج ٣٠ ألف طن من الورق .

ميزاننا التجارى

كان العجز فى ميزاننا التجارى قبل سنتين ٨١ مليون جنيه فهبط فى نهاية السنة الماضية إلى ٣٨ مليوناً ، وقد استهلكت مصر هذا العجز وفاض منه فائض قدره ١٤ مليوناً فى الثلث الأول من هذه السنة .

الاصلاح العمرانى

اعتمد مبلغ خمسة ملايين و٥٠٠ ألف جنيه لتنفيذ المرحلة الأولى من برنامج تعميم مياه الشرب النقية فى جميع أنحاء البلاد المصرية .

ومبلغ ١٣ مليون جنيه لتوسيع شبكة المواصلات . وسينشأ ٤١٧٠ سريراً و ١٧٧ وحدة للأمراض المتوطنة فى مديرية الشرقية والمنيا ، ومستشفى للسرطان ، وآخر للموظفين ومستشفيات للعمال .

مشروع السنوات الخمس

تبلغ تكاليف مشروع السنوات الخمس الذى اعتمده مجلس الإنتاج نحو مائتى مليون جنيه ، وسيزداد بذلك الدخل القومى بنسبة ٣٠ ٪ على الأقل بالنسبة لما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ وسيسفر عن تشغيل ٣٠٠ ألف عامل فى السنة .

إمكانيات هائلة

لتعاون إسلامى

يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى (فلسفة الثورة) :

« حين أسرح بخيالى إلى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون وأكثر من مائة مليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة ، حين أسرح بخيالى إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج بإحساس كبير بالإمكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع . ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة » .

هل مات الاستعمار ؟

تقول جريدة (نيويورك تايمز) : إن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية يعتقدون أن اتفاق قناة السويس ، وهزيمة فرنسا فى الهند الصينية ، ليس لهما سوى معنى واحد وهو موت الاستعمار البريطانى والفرنسى فى إفريقيا وآسيا . ويعتقد كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية أنه ستحدث تطورات أخرى فى الشرق الأوسط وآسيا تزيد هذا المعنى تأكيداً .

منع الأحداث

من دخول السينما والمسرح

وافق مجلس الوزراء على قانون يمنع الأحداث من الجنسين - ممن تقل سنهم عن ست عشرة سنة - عن دخول دور السينما وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشرطة السينمائية وغيرها ، وذلك بعد أن لاحظت وزارة الشئون الاجتماعية أن السينما والمسارح تقوم بالفعل بدور خطير فى شتى نواحى الحياة الاجتماعية ، على أساس أنها أداة للتهذيب ، ووسيلة من وسائل التسلية وتمضية أوقات الفراغ . غير أنها قد تكون من أخطر الوسائل فى انحراف الأفراد ذوى النفوس الضعيفة ، أو الأحداث الذين لم يكتمل نضج عقولهم ، بالقدر الذى يسمح لهم بتفهم ما يعرض عليهم الفهم الصحيح . كما لاحظت الوزارة انتشار بعض الجرائم بين الشباب فى مصر نتيجة لما تصوره لهم عقولهم القاصرة على أثر ما يشاهدونه فى مثل هذه الدور .

وقد أحسن مجلس الوزراء كل الإحسان بالموافقة على هذا القانون كما أحسنت وزارة الشئون الاجتماعية كل الإحسان باقتراحه والتقدم بمشروعه إلى مجلس الوزراء.

لكن المشاهد أن أكثر الذين تأثروا بالسينما فانتشرت الجرائم بينهم إنما هم من الذين تزيد سنهم عن ست عشرة سنة ، والشر شر على كل حال ، سواء تعرض له هؤلاء أو هؤلاء ، ومما يحتاج إلى شجاعة أنصار الحق والخير فى التصريح به أن يقال للحكومة : إن فى عنقها الولاية على هذا الشعب نساء ورجالا ، وإن الشر الذى تحمله أفلام السينما يفتك بالكبار والصغار بلا استثناء ، وإنقاذ الأمة من مشاهد السينما التى تثير الغرائز وتشجع على الشر لا يقل - فى باب الإصلاح - عن إنقاذها قبل ذلك من الإقطاعيين والاستغلاليين. فهل لها أن تسن قانونا يجعل السينما أداة خير لا شر فيه ؟ إنها إن فعلت تحسن بذلك كل الإحسان.

تعداد سكان الاسكندرية

كان تعداد سكان مدينة الإسكندرية ٦٧٥٧٣٦ فى سنة ١٩٣٧ ، وما زال ينمو بنسبة ٢ ./. فى كل سنة حتى بلغ ٩١٩٠٢٤ فى سنة ١٩٤٧ ، وتدل الإحصائيات الحديثة التى قامت بها بلدية الإسكندرية على أن عدد سكان تلك المدينة بلغ فى هذا العام مليونا و ١٠٥ آلاف نسمة.

الموجات الكهربائية

ذات التردد الصوتى

من بين النظم التى يحتمل أن تتبع فى شبكة القاهرة الكهربائية نظام التحكم عن بعد بواسطة موجات ذات تردد صوتى. والغرض من هذا النظام التحكم فى بعض العمليات ، مثل إنارة الشوارع ، وإطلاق صفارات الإنذار جميعاً فى وقت واحد ، وتغيير التعريفة فى العدادات ذات التعريفتين ، والحد من استعمال بعض الأجهزة عند المستهلكين فى أوقات حدوث أقصى حمل مثل تسخين المياه وإنارة واجهات المحلات وغيرها ، وهذا النظام موضع دراسة الآن لتطبيقه على شبكة القاهرة الجديدة ذات الضغط ٦٣ ك . ف .

وإن الاتصال بمصادر القوى فى الجنوب عند أسوان ، وإمكان استخدام الفائض منها فى تغذية مدينة القاهرة متوقف على الناحية الاقتصادية فى المشروع ، وعلى ما يمكن إفادته من التطورات فى نقل القوى الكهربائية الكبيرة لمسافات طويلة.

فهرس

الجزء الأول — المجلد السادس والعشرون

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثانى ـ القاهرة فى ١٦ المحرم ١٣٧٤ ـ ١٤ سبتمبر ١٩٥٤ ـ المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الثانى ـــ المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال - وأجوبة

سأل كاتب نفسه فى افتتاحية إحدى صحف دار أخبار اليوم : « ماذا يفعل طالب فى مرحلة السن الخطرة - بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة والعشرين ، يشاهد فيلما غراميا فتلتهب حواسه ، أو يقرأ قصة عاطفية فيثور جسده ، ثم يسير فى الطريق ليزداد برما وضيقا بحرمانه ، وهو لا يجد النادى الرياضى الذى يسمو بغرائزه الجنسية ، وهو لا يجد الأسرة التى توفر له حياة اجتماعية تهذب من فورة جسده . وهو لا يجد المعلم الذى يشعره بالاهتمام والصداقة فى حل مشاكله ... ماذا يفعل مثل هذا الشاب إلا أن يقع فريسة سهلة طيعة لعشرة السوء ، والرذيلة التى تنفس عن غرائزه الحبيسة بوسائل غير طبيعية ، تنتهى إلى جو الدماء والجريمة » .

إن السؤال لخطير ، والموضوع الذى يحوم حوله لاشك أنه من أفدح أمراض مجتمعنا ، والتفكير فى معالجته من واجب الصحافة ، وهذه المجلة منها . ومن واجب معاهد التربية والتعليم ، والأزهر فى طليعتها إن لم يكن أولها . ثم هو من واجب الحكومة لأنها القيمة على الأمة ، والوصية على الجيل الناشىء ، وقد حصرت فى مدارسها حق احتكار الحضانة العامة فأصبح من الحق عليها أن تكون هذه الحضانة صالحة ، وأن تحيطها بجميع أسباب الوقاية .

والمألوف فى معالجة الأمراض أن يبدأ بالبحث عن أسبابها ، حتى إذا أمكن التحرز من تلك الأسباب واستئصالها والوقاية منها كان بذلك غنى عن العلاج ، وقديما قالوا : الوقاية خير من العلاج .

والكاتب الذى نقلنا أقواله فى السؤال الذى وجهه إلى نفسه قد ذكر من أسباب هذا المرض الأفلام الغرامية التى تلهب حواس الشبان والشابات ، والقصص العاطفية التى يقرأها المراهقون والفتيان فتثير أجسادهم ، وهذا التهتك الذى يشاهده الناشئون فى الطريق فيزدادون

برما وضيقا بحرمانهم . ونسى أسبابا أخرى كثيرة ، ومنها أن المجلة التى كتب هو مقالها الافتتاحى كان يوجد فيها إلى جانب مقالته صورة لإحدى المستحمات الفاتنات وهى تعرض ظهرها الفاتن فى أحد حمامات السباحة ، بل هو تجاهل الصورة الملونة المطبوعة على غلاف ذلك العدد ، وهى شر من كل ما ذكره الكاتب من أسباب المرض الذى جاء يشكوه ، ويرسل دموعه إشفاقا منه على الوطن وأهله والأمة ومصيرها . فالمجلة التى يكتب هو افتتاحيتها هى نفسها مباءة لجراثيم المرض الذى زعم أنه ينشد إنقاذ الشباب منه ، والأفلام التى وصفها وشكا منها هم الذين يعلنون عنها ، ويكتبون المقالات فى التحبيب بها ، وما ذكره مما يشاهده الشبان فى الطريق ، فيزدادون برما وضيقاً بحرمانهم ، إنما وصل إلى ما وصل إليه بتحريض طائفة من حملة الأقلام ، على ما وصفه الأستاذ أحمد محمد خليفة فيما نقلناه عنه بافتتاحية الجزء الماضى من هذه المجلة ، وقال : إنه يوحى — فى صراحة أو مواربة — بالانطلاق والتحلل والرضاء الجسدى .

وقد كان جواب الحكومة أخيراً على سؤال الكاتب « ماذا يفعل طالب فى مرحلة السن الخطرة يشاهد فيلما غرامياً فتلتهب حواسه ، أن أصدرت قانونا منعت فيه الفتيان والفتيات إلى سن السابعة عشرة من دخول دور السينما التى تعرض مثل هذه الأفلام . وهو جواب منطق مبنى على قاعدة « الوقاية خير من العلاج » ، وما دامت هذه الأفلام ضارة فيجب أن يصان منها الأطفال والفتيان إلى تلك السن بمنعهم عن مشاهدتها . لأنها شر ، وقد اعترف القانون بأنها شر ، والكاتب الذى نتحدث عن مقاله معترف بأنها شر ، ومن واجب الحكومة أن تمنع الشر عن الأمة ، فمنعت - بحكم القانون الجديد - الأولاد إلى سن ١٦ أو ١٧ من الوقوع فى هذا الشر . غير أننا اختلفنا معها فى تحديد دائرة الشر ، وهل هى تتناول الأولاد إلى تلك السن أم تشمل سائر الشبان والشابات ، والرجال والنساء ، وذهبنا فى افتتاحية الجزء الماضى إلى أن من الخير أن يقطع دابر الشر من أصوله ، فلا يباح من أشرطة السينما إلا النافع ، أو ما لا يضر . ولا بأس بعد ذلك أن يدخل دور السينما كل من شاء .

والقصص العاطفية التى اعترف صاحب المقال بأنها من أسباب المرض الذى يشفق منه على الشباب ، لماذا لا يكون من إصلاحات الثورة القضاء عليها وعلى مثل الصور التى يلهبون بها حواس الشبان ، ويشغلون مواهبهم عن التفكير فى معالى الأمور ، ودواعى

التقدم والنهوض. وهل هى أقل ضرراً على مستقبل الأمة والوطن من كل ما عالجته الثورة من أمراض أخرى اقتصادية واجتماعية ؟

ومدارسنا لماذا لا تجبر ما ينقص منازلنا من تربية خلقية ودينية لأبناء الجيل وفلذات أكباد الأمة ، ولماذا تبقى كما كانت مصانع لتخريج موظفين آليين ، ولا تعنى بإعداد نفوس الطلبة وقلوبهم للمهمة التى تنتظرهم فى عشرات السنين الآتية بتحويل هذا الوطن إلى ما ينبغى أن يكون عليه فى عظمته وصناعاته ومعارفه وأسباب قوته ورفعته بين الأمم ، وهل يكون هذا على أيدى الطلبة الذين شغلوا عقولهم وقلوبهم بمثل ما وصفه الكاتب من أهواء وشهوات وتحلل ، أم على أيدى طلبة لا تقع أنظارهم على مثل الصور التى تنشرها مجلات دور النشر القائمة بيننا ، والقصص التى تتفنن فى إهاجة عواطف الشباب ، والأفلام التى أصبحت شراً محضاً ، وليس للطلبة شاغل غيرها .

إن رسالة المدرسة فى عهد الثورة يجب أن تكون أقدس رسالات الإصلاح ، وكان ميئوساً منها عند ما كانت وزارة المعارف ضحية الروتين الذى رسمه لها النظام الدانلوبى وسهر على حراسته رجال يتوارثون حياطته والدفاع عنه . أما وقد ألغينا وزارة المعارف الدنلوبية وأقمنا على أنقاضها وزارة التربية والتعليم ، وقام على أمانتها ورسالتها رجل عسكرى ، فيجب أن تبدأ السنة الدراسية الآتية بعهد جديد من التربية ، وأن يصان الطلبة بل الأمة من الأشرطة الفاجرة فى دور السينما ، ومن الأدب الغرامى الداعر الذى فرضته علينا العهود الماضية ولا يزال مستمراً إلى الآن ، وأن تطهر الصحافة من الصور التى تثير الغرائز ، غرائز الرجال فضلا عن الطلبة والفتيان ، وبذلك يكون علاج المرض الذى تحدث عنه كاتب تلك المجلة بوقاية الأمة من أسبابه ، وهذا هو جوابنا على ذلك السؤال ، بل هذا هو جواب الحكومة عليه لما سنت القانون الجديد لدخول الصغار إلى دور السينما ، ولا نزال نطمع فى أن يتحول ذلك القانون إلى ما يضمن منع الأشرطة الفاجرة والضارة منعاً باتاً ، فنمنع بذلك شرها عن الصغار والكبار جميعاً .

وقد يقول قائل : لقد عرفنا جواب الحكومة وجوابكم عن ذلك السؤال ، فما هو جواب السائل نفسه ؟

وسوف يعجب القارىء إذا قلنا له : إن الكاتب الذى كان يبكى على ما تتركه السينما الفاجرة والقصص الداعرة من أثر سيء على الطالب ، وهو فى مرحلة السن الخطرة — بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة والعشرين ـ قد أفتى بأن تفتح له منازل الدعارة الرسمية ، وأن تيسر له الدولة أسباب البغاء . . .

وقد حمله على ذلك الشفقة على مثل هذا الطالب لأنه « لا يستطيع أن يدعو زميلة له إلى السينما ، وإذا أتيحت له هذه الفرصة فيجب أن يسير إلى جوارها وكأنه شيخ طريقة أو واعظ فى كنيسة . وإذا جلست إلى جنبه فى السينما فهى الجريمة الكبرى لو ضغط على يدها بأنامله . وإذا سنحت لهما الفرصة الذهبية أن يمضيا وقتا فى حديقة عامة ، فهو المذنب لو جرؤ وقبلها ، وينادينا الكاتب بملء فيه فيقول : « أجيبوا يا دعاة الفضيلة ماذا يمكن لهذا الشاب إلا أن ينفس عن غرائزه فى الظلام . . . » ولذلك هو يفتى بإعادة البغاء ، وبأن تفتح الدولة لطلبة المدارس منازل الدعارة ، لأنه يظن أن حكومة الثورة لا تستطيع أن تحطم أسباب هذا المرض وتستأصلها من جذورها : لا تستطيع أن تمنع مجلته من نشر الصور التى أشرنا إليها ، ولا المجلات الأخرى من التفنن بالقصص التى وصفها لنا ، ولا هذه الصحافة من أولها إلى آخرها من إقناع القراء بأن ما تعرضه السينما هو المثل الأعلى للحياة ، ويجب أن تكون حياتنا فى مجتمعنا كحياة الممثلين والممثلات فى السينما ، وبعد ذلك لا يبقى متنفس للطلبة إلا فى دور البغاء فيجب إعادتها !

إذن فنحن أمام ثلاثة أجوبة على سؤاله : أحدها ما نراه نحن من اتخاذ أسباب الوقاية بإبادة جراثيم المرض واستئصال أسبابه .

والجواب الثانى ما يعبر عنه القانون الجديد الذى يعترف بشرور السينما وأمثالها ويكل أمر الوقاية منها إلى الكبار فلهم الحرية فى دخولها أو الامتناع عنها . وأما الصغار إلى سن ١٦ فالقانون يكفل وقايتهم من هذا الشر .

والجواب الثالث جواب كاتب ذلك المقال ، وهو أن نبقى على أسباب المرض كلها ، وأن لا تمد الدولة يدها إلى قدس الأقداس من تلك الشرور . ولكنها تعالج ذلك بإيجاد متنفس للطلبة بفتح دور الدعارة لهم ، ولعله قد ظلم الجنس الثانى فلم يفكر فى ما ينفس عنه ، أم أنه ترك هذا الأمر إلى مرحلة ثانية ينتقل إليها بعد النجاح فى التنفيس عن الفتيان أولا .

وهذه الحملة الجديدة لإشاعة الفاحشة على أرض الكنانة فى العهد الجديد أذكرتنا بحملة أخرى فى صحيفة أخرى من صحف دار أخبار اليوم حيث كتب أحد رؤساء تحريرهم (يومية) أثنى فيها على لبنان بأنه عملى واقعى، رأى أن «الميسر باب رزق واسع كبير، كما أنه مشجع للسياحة والاصطياف فى لبنان، ولذلك فإن فنادق عاليه وصوفر وظهور الشوير تعج بالمصطافين ولاعبى القمار، وإن مشاتى ومصايف الريفيرا الفرنسية طقسها أقل جمالا واعتدالا من طقس مصر، ولكنها مزدحمة دائما بالسائحين لأنها تقدم لهؤلاء ألوانا من التسلية لا تقدمها مصر المخلصة لتعاليم ابن حنبل رضى الله عنه، ثم ردد اقتراحا قديماً له بأن ترفع حكومة مصر الحظر عن ألعاب الميسر فى فنادق مصر الجديدة والقاهرة والإسكندرية والأقصر وأسوان.

وبعد فإن حكومة الثورة أمام صيحة من سفيرها فى باكستان يقول فيها: فى مصر أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة. هذه الأماكن مغارس (مشاتل) للجرائم ولا بد من قلب الأرض لنستأصل منها جذور الجرائم وبذورها. وصيحة بل صيحات أخرى تصدر من بعض الصحف المرة بعد المرة، وبخطة منظمة، وكلما نسى الناس أولها أعادوا على مسامعهم مايذكرهم بها، وهى تعترف بالداء، وتنصح لهذا الوطن بأن يداوى نفسه بالتى كانت هى الداء.

وقد كان التداوى من الداء بالداء مألوفاً فى مصر أيام كرومر عندما كان زارعو الشر يتوافدون على أرض الكنانة بين أروام وإيطاليين ويهود متحصنين كلهم بالحماية الأجنبية، فيغرسون تلك (المشاتل) ليفسدوا بها على مصر الإسلامية دينها وأخلاقها وثروتها وسعادتها، أما الآن فقد شب عمرو عن الطوق، وصارت مصر تعرف طريقها إلى المجد، وأنه طريق الفضيلة والاستقامة والقوة، وهو الطريق الذى نصح به محمد بن عبد الله وأحمد بن حنبل ومحمد عبده وكل من عاش مستقيما ودل أمته على طريق الاستقامة. وتعبيد هذا الطريق فى يد وزير التربية والتعليم وإخوانه من وزراء الثورة، وفى استطاعتهم أن يقوموا برصفه وافتتاحه لمصر الناهضة بأسرع مما يفعل وزير البلديات فى طرق العاصمة وميادينها ومعالمها.

هذا هو العلاج بالوقاية، وهذا هو الإصلاح بالفضيلة وبأسباب القوة، وكل دعوة تخالف ذلك فمن الشيطان ونعوذ بالرحمن منه.

محب الدين الخطيب

— ١٨ —

ضراعة الأبرار

« وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

هكذا يحكى القرآن عن الأبرار فى ضراعتهم إلى الله ، يلهجون بها فى سرهم وجهرهم ، وفراغهم وعملهم ، وقياما وقعوداً وعلى جنوبهم . ومن حق الله على عباده أن يسمعوا ويطيعوا ، ومن رجاء العبد فى ربه بعد السمع والطاعة أن يغفر له ما فرط منه ، ويفسح له رحاب فيضه ، ويغمره برضوانه .

وفى ذكرهم السمع والطاعة قبل سؤالهم المغفرة توجيه لنا إلى السبيل المأمونة ، والغاية المرجوة ، فالعمل وسيلة ، والمثوبة غاية ، وقد نادانا ربنا أن نأخذ بالوسيلة ، ووعدنا من فضله بتحقيق الغاية ، فمن تخلف عن تلبية النداء فقد استغنى عن الرجاء .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

وقد عرف الأبرار ـ أولا ـ أن يستجيبوا لربهم ، فساغ لهم أن يبتهلوا إليه بما قدموا ، ويطمعوا فيما وعدهم ، والله يحب أن يسمع الدعاء من أحبائه ، وهو بهم رحيم ، وبر كريم ، فلن يضن عليهم بالعطاء ، ولن يفوت عليهم الرجاء ، وتعالى الله أن يخلف وعده .

ولله — سبحانه — أن يبسط يده لمن أراد ولو كانت سبيله معوجة ، وأن يقبضها عمن أراد وإن كان على الجادة المثلى ، فهو العلى الكبير ، ولا يسأل عما يفعل ، ذلك شأنه ولا ريبة .

ولكن حكمته فيما دبر ، وعدله فيما قدر ، أن يميز بين الخبيث والطيب ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فلن يستوى الأعمى والبصير ، كما لا تستوى الظلمات والنور .

غير أن ناساً أهملوا الوسيلة ، ثم هم يطمعون فى الغاية . . . عللوا أنفسهم بالأمانى المكذوبة ، وغالطوها فى عدله المشهود ، فقالوا : يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وحسبوا أن ذلك إيذان بالتقاعد ، وإهمال للحساب ، فلهم – على ما زعموا – أن يتكلوا ، وليس يحجبهم عن الظفر شىء إذا شاء الله لهم المغفرة وسيشاء ، وهذه أمنية النفس ، وأحلامها الكواذب .

وهل يكون ثمر بلا شجر ، وحصاد من غير زرع ؟؟!

لا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل

على أن الله – جلت حكمته – لم يرهق عباده بما طلب ، ولم يشق عليهم فيما شرع ، وما كان له – وقد وسعت رحمته كل شىء – أن يجعل عليهم فى الدين من حرج .

فلم يكلف نفساً إلا وسعها ، ولم يحملها فوق مقدورها ، وإنما هى نيات مشكورة ، وعبادات ميسورة ، وأعمال مأجورة ، « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » .

فلتأخذ كل نفس بما رضيت ؛ وهى بما فعلت رهينة ، لها جزاء ما كسبت من الخير ، وعليها وزر ما اكتسبت من الشر ، وذلك حكم غير جائر ؛ وهو القسطاس المستقيم بين الله وعباده ، وقد أراد الله للأبرار من عباده أن يواصلوا دعاءه : توثيقاً للعهد بربهم ، واحتفاظا بما أمدهم من توفيقه .

فعلمهم أن يقولوا : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وهل بلغ بهم أن يخافوا العقوبة على النسيان والخطأ ؟؟ .

معروف أن للمرء زلات ، وقد يتراخى فيما ينبغى الاهتمام به من شأن دينه حتى ينسى ويكون أشبه بغير المبالى ، وقد يخطىء فى عمل غير سائغ أو وضع أمر فى غير موضعه ، وكلا النسيان والخطأ مظهر لعدم الحرص والحيطة .

فكان العذاب على ذلك مخوفا ، ورجاء العفو بغية مرموقة .

« ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا »

يريدون إذا وقع منا ما فيه الإصر وهو الذنب ، فلا تحمله علينا بتركنا مدينين فيه ، بل هيئ لنا رجوعا إليك بالاستغفار والتوبة حتى لا نبوء بالإثم ، ونقدم عليك حاملين للوزر كما حمله من قبلنا ممن عصوك ، ولم يثوبوا إليك ، فخرجوا من دنياهم مغضوباً عليهم منك .

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .

كلفتنا من أمر ديننا ودنيانا ما نطيقه ونستطيعه ، فنحن ندعو بدوام ذلك شكراً لك على ما أوليتنا ، فاجعلنا دائما من القادرين على ما طلبت منا ، ولا تجعله ثقيلا على نفوسنا ، ولا عسيراً بين أعمالنا .

« واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا » .

فاصفح لنا عما تعلم ، واستر علينا ما اجترحنا ، وأسبغ علينا رحمتك التى تطيب لها القلوب ، وتتلاشى فى غمارها الذنوب ، وتدرك فى ضوئها المباهج ؛ فأنت مولانا الصمد المسئول ، وكن لنا فى دنيانا نصيراً على الكافرين بك ، حتى نعز دينك ، ونعتز به ، ونعيش فى هديه ، ونؤوب إليك ، على وفاء بالعهد ، وتمام صدق فى الإيمان ، فإليك المصير والمآب ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

ونحن نتأسى بالأبرار فيما أشاد به القرآن من مآثرهم ، ونرجو على الله أن ينفحنا من هدى كتابه مثل ما منحهم ، حتى نكون فى ظلال رحماته بين الخلف عن خيار السلف .

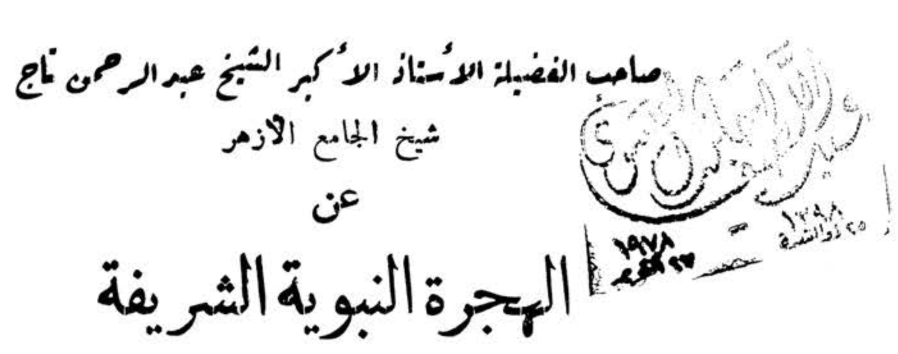
وربنا الرحمن ، وهو المستعان ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

كلمـــــة

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

عن



الهجرة النبوية الشريفة

فى الحفل الذى أقامه الأزهر بهذه المناسبة الكريمة فى غرة المحرم سنة ١٣٧٤ هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فإنا نحتفل اليوم بإحياء ذكرى هى أروع الذكريات ، وأعظمها شأنا ، وأجلها خطراً . ذكرى حادث لم يعرف التاريخ له نظيرا عند أمة من أمم الأرض ، ولا فى حياة زعيم من زعماء الدنيا .

نعم لم يعرف التاريخ مثله ، لا فى الدوافع التى بعثت عليه ، ولا فى الطريقة التى اتخذت لتنفيذ فكرته ، ولا فى الآثار العظيمة التى ترتبت على ذلك التنفيذ .

ذلك هو حادث الهجرة الذى كان أول الفتح والفوز ، ودعامة النصر والظفر ، والذى كان الأساس القوى المكين فى بناء دولة الإسلام .

فالهجرة هى التى فرقت بين الحق والباطل ، وفصلت بين الهدى والضلال ، وباعدت بين الإيمان وعبادة الأوثان .

شاع بها نور الإسلام فى أجواء شبه الجزيرة العربية ، ثم نفذ إلى ما حولها وإلى ما وراء ذلك من أقطار الأرض . فكل خير أصابه المسلمون منذ انتقلت الدعوة الإسلامية إلى المدينة المنورة ، وكل عـــزة أدركوها على مر الدهور والأعصار إنما كان ثمـــرة طيبة لهذه الهجرة المباركة .

حادث الهجرة كان بدء انقلاب على الظلم والإثم، وعلى الشرك والكفر، وعلى الفجور والطغيان، والفسوق والعصيان. كان بدء انقلاب على هذا كله. لا بل نستطيع أن نقول: إنه كان صلب هذا الانقلاب وعموده الفقرى: له أخص خصائص الانقلابات الصالحة ومقوماتها، وله أظهر صفاتها ومميزاتها، فقد آتى سريعاً طيب ثمراته، ونفذ من غير توان إلى مقاصده وغاياته، وشمل به التغيير والإصلاح كل ما كان هنالك من عادات سيئة وأوضاع شائنة.

ثم إنه لم يكن بقتل ولا سفك دم، ولم ينطو على طغيان أو عدوان، بل كان سامياً كل السمو، طاهراً كل الطهارة، نبيلا أعظم النبل فى مقاصده وغاياته. ولذلك كان محوطا بعناية الله، مؤيداً بوحى السماء، فبلغ الغرض وأدرك الغاية.

وكذلك كل من يعمل لنصرة دينه، وعزة أمته، وتخليص وطنه من تسلط الأعداء، فإن الله يكتب له التوفيق والتأييد والفوز والفلاح.

* * *

أوحى الله إلى محمد ﷺ أن يدعو إلى دين الإسلام، دين التوحيد الخالص، توحيد الإله الخالق، مبدع الأرض والسموات، مدبر الكون وبارئ النسم، دين لا يعرف التقديس والعبادة إلا لله وحده، فهو يدعو إلى خلع الشرك، ونبذ الأوثان، والاعتداد فى ذلك كله بما يهدى إليه العقل، وما يؤيده من الشرع؛ وينهى عن التعويل على ما يخالف ذلك مما كان عليه الرؤساء والآباء.

كانت رسالة محمد ﷺ هكذا نقية طاهرة، جلية واضحة، لا لبس فيها ولا إبهام، من استقام عليها استقام له الأمر كله، وظفر بالسعادة فى دنياه وأخراه.

امتثل النبى الكريم أمر ربه، ودعا إلى دين الله أهله وعشيرته وغيرهم من قبيلته قريش وأهل القبائل الأخرى.

دعاهم فى لين ورفق، وأخذ نفسه معهم بالحكمة؛ وتودد إليهم بكل عاطفة، وبكل صلة من صلات النسب والوطن والقرابة، حرصاً منه على نفعهم، وإشفاقا على مصيرهم.

لم يثقل عليهم بالأوامر، ولم يرهقهم بالتكاليف، وإنما كان كل أمره معهم: «يأيها الناس، قولوا لا إله إلا الله، كلمة تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا أنتم آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة».

آمن بدعوته قليل منهم ، ولج فى الكفر والعناد أغلب ساداتهم ورؤسائهم ، وتبع هؤلاء جمهور قبائل العرب وعامتهم ، ممن يجرون فى كل حال وراء السادة والرؤساء .

أعرضوا عن دعوته ، وكذبوا برسالته ، وهم فى قرارة نفوسهم يعلمون أنه الصادق الأمين ،لم يعهدوا عليه كذبا ، ولم يقف له أحد منهم على خيانة أو خديعة .

أعرضوا وكفروا ، ثم لم يكونوا معه فى شيء من الإنصاف والعدل ، فهو لم يبدأهم بشر ، ولم يأخذهم فى جفوة ولا قسوة ، كما يفعل الدعاة المتنطعون ، الذين يحملون على قومهم ، ويقسون فى دعوتهم ، بل لا ينهم ووعظهم وأخلص لهم النصيحة ، وكاد يقتل نفسه بالغم والحسرة على ما كانوا يتورطون فيه من مواقف العناد والمكابرة ، والإعراض عن حقه إلى باطل لا تقوم لهم فيه حجة ولا شبه حجة .

لكنهم لم يقابلوا خيره إلا بالشر ؛ ولم يجازوا إحسانه إلا بالإساءة ، ولم يتركوه إلى النفر القليل الذى آمن به ، يعبدون ربهم ، ويقبلون معهم من يؤمن بدعوتهم ، بل أخذوا يشتدون عليه ويؤذونه ، ويعذبون أصحابه وينكلون بهم ؛ ويصدون عن سبيل الحق كل من يتطلع إلى الحق .

نكلوا بأصحابه فاضطروهم أن يهاجروا أكثر من مرة إلى الحبشة ، بلاد غير بلادهم ، وناس لا يدينون بدينهم ، وغاظ المشركين أن هؤلاء المهاجرين قد أفلتوا من أيديهم ، فأنحوا على من بقى فى مكة من صحابة الرسول ﷺ بألوان الإيذاء ، وصنوف الاضطهاد ، يشتفون منهم ، ويطفئون بتعذيبهم ما تضطرم به صدورهم من نيران الحنق والغيظ .

* * *

وهنا أشار النبى ﷺ على هؤلاء المؤمنين المضطهدين أن يخرجوا متسللين إلى المدينة ، فخرجوا لم يبق منهم بمكة إلا من حبسته حاجة ،أو من تنبه له المشركون فحبسوه عن الخروج بالقهر والغلبة .

وقد هم أبو بكر بالرحيل أيضا ، فأشار عليه الرسول بالبقاء معه حتى يقضى الله أمره .

خرجوا وتركوا مكة لأهلها المشركين ، لكن محمدا ما يزال باقيا هناك مستمسكا بعقيدته ، معتصما بيقينه ، يعبد الله ، ويدعو إلى دين الله ، فماذا يصنعون معه ؟

إنهم قد أعيتهم الحيل ، وقد مكثوا سنين طويلة يعالجون أمره ، ويحاولون إغراءه وإغواءه ، بكل ما يفتتن به الرجال وأشباه الرجال ، من سلطان ومال ، فلم يفلحوا ، فماذا ينتظرون ؟ لابد لهذا الأمر من آخر ، هكذا يقررون .

تداعوا إلى دار الندوة ، وتشاوروا وقلبوا وجوه الرأى ، ثم أجمعوا أمرهم على قتله والتخلص منه ، ولكن من ذا الذى يقوى على أن يبوء بإثمها ؟ .

قر قرارهم على أن ينتخبوا له فتيانا أشداء من قبائل مختلفة ، يرصدون له أمام بيته حين يبدأ الليل ، ثم ينقضون عليه وهو فى فراشه ضربة رجل واحـــد ، وبذلك يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقوى أهله بنو عبد مناف أن ينهضوا للأخذ بثأره ، ويكتفون من ذلك بدية أو ديات .

تواعدوا على ليلة وذهبوا إليه ، وربضوا أمام بيته لتنفيذ خطتهم ، لكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قد دبر قبل ذلك مع صاحبه أبى بكر تدبيراً حكيما ، أفسد عليهم تدبيرهم ، وفشلت به خطتهم ، وذلك بعد ما أوحى الله إليه يأمره بالهجرة ، وألا يبيت فى فراشه تلك الليلة .

كان قد ذهب إلى أبى بكر ظهيرة ذلك اليوم ، وأفضى إليه بما عنده من الأمر ، فاتفقا على طريقة الخروج وساعته ومكانه ، ووقع اختيارهما على « عبد الله بن أريقط » من أمهر الأدلاء الخبراء بالصحراء ومسالك الطرق . عرفا فيه الرجولة والأمانة على السر ، واطمأنا إليه واستأجراه ، على رغم أنه كان على دين قريش ، وواعداه أن يوافيهما براحلتيهما بعد ثلاث ليال فى غار ثور .

خرج محمد عليه الصلاة والسلام من ليلته على النفر الأشقياء الذين كانوا رابضين أمام بيته . وكان منهم أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف .

خرج عليهم فلم يره أحد منهم ، أخذهم النوم أو أصابهم الدوار ، أو غشى الله على أبصارهم كما طمس على بصائرهم .

وأخيرا أدركوا خيبتهم ؛ فراحوا يقتفون الآثار التى كانت تنتهى بهم دائما إلى ذلك

الغار ، ولكن الله صرفهم عنه بما أكرم به رسوله من عجائب ومعجزات : حمامات تبيض ، وشجرة تمتد فروعها وأغصانها ، وعناكب تتشابك خيوطها ويتكاثف نسيجها . كل ذلك يجدونه فى مدخل الغار أعلاه وأسفله ، حتى ليحلف أحدهم — وهم يتآمرون عند الغار — : ان نسج ذلك العنكبوت لأقدم من ميلاد محمد .

انصرفوا حينئذ عن الغار ، يتتبعون الطرق ، ويرسلون عيونهم فى جميع المسالك ، ويبعثون النداء فى كل واد : من يأتى بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة .

مكث محمد ﷺ وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام كانا يغتذيان فيها بلبان شاة كان يغدو بها عليهما ويروح « عامر بن فهيرة » مولى أبى بكر رضى الله عنه ، كما كان يوافيهما بأخبار أهل مكة وما يصنعون ، ثم قدم عليهما « ابن أريقط » بالراحلتين وطعام جهز فى بيت أبى بكر ، فارتحلا ، وأردف أبو بكر معه مولاه ، وسلك بهم عبد الله بن أريقط طريق الساحل ، حتى إذا كانوا تجاه حى بنى مدلج بصر بهم رجل من الحى ، فنادى فى القوم : إنى قد رأيت على الطريق أسودة ما أظن إلا أنها محمد صاحب قريش وناس معه ، فرد عليه سراقة ابن مالك : لا : إنى لأعرف من رأيت ، إنهم ليسوا بهؤلاء ، إنهم فلان وفلان ، وسمى جماعة خرجوا لحاجات لهم . وكان يريد بذلك إبهام الأمر على غيره ؛ كى يخرج وحده ، ويظفر بالجعل الذى جعلته قريش لمن يعود إليها بمحمد .

أخرج سراقة فرسه مع غلام ينتظره به خلف أكمة ، وأمره ألا يشعر أحداً ، ثم خرج من وراء الخباء مستخفيا ، فركب وجد فى السير حتى قارب الجماعة ، ورآه أبو بكر فخاف منه على رسول الله ﷺ ، فثبته الرسول كما كان يثبته وهما فى الغار إذ يقول له : « لا تحزن إن الله معنا » ، ودعا الرسول على سراقة فساخت قوائم فرسه فى الأرض ، فاستنجد بالرسول فأنجده ؛ وقطع سراقة على نفسه عهداً أن ينصرف عنهم ، ثم يخذل ويرد كل من يريد اللحاق بهم من أعدائهم ؛ وقد وفى وبر بعهده ، وعرفها له الرسول ﷺ .

* * *

وهكذا خرج محمد ﷺ من مكة فى أول يوم من شهر ربيع الأول بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، ثم سار هو وأبو بكر وصاحبهما حتى بلغوا المدينة فى تمام اثنى عشر يوما

لاقى فيها الرسول وأبو بكر عقبات ومصاعب ، لكن عناية الله كانت تدركه فى كل عقبة ، وتلحظه فى كل خطوة ، وتدفع عنه السوء بأنواع العجائب والمعجزات .

* * *

طالعته عوالى المدينة ، فخرج أهلها يستقبلونه بالتهليل والتكبير والفرح والغبطة . ثم أخذ يرسم خطط النهضة والإصلاح : يعقد الاتفاقات ويقيم المنشآت ، ويؤسس المساجد للعبادة والتعليم والإرشاد ، حتى أكمل الله له دينه ، وأتم عليه نعمته .

نزل عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل - فى بنى عمرو بن عوف ، فأقام أياماً أسس فيها مسجد قباء ، جعله مسجداً عاماً جامعاً بعد أن كان مصلى خاصاً لبنى عمرو .

ثم ارتحل يوم جمعة ، فنزل فى بنى سالم بن عوف ، فخطب فى مصلاهم خطبة الجمعة ، وصلى بهم صلاتها الجامعة .

ثم امتطى ناقته ، وخلى لها الزمام ، فأخذت تخط به مسالك المدينة ، وكل صاحب بيت من بيوت الانصار يتعلق بزمام الناقة ويدعو الرسول أن ينزل عنده ، وهو عليه الصلاة والسلام يقول لهم : « دعوها فإنها مأمورة » ، حتى بركت فى مكان كان مربداً يملكه غلامان من الانصار ، فى حى بنى النجار ، أخوال عبد المطلب جد الرسول ﷺ ، ثم نهضت بالرسول ، فبركت أمام دار أبى أيوب الانصارى ، ثم نهضت وعادت إلى المكان الاول فبركت وألقت بجرانها ، فنزل عليه الصلاة والسلام عنها ، ودعاه أبو أيوب أن ينزل عنده فى داره ، فأقام فيها حتى بنى له مسكنه الخاص .

ورأى عليه الصلاة والسلام أن يبنى هناك مسجداً ، فتقدم الغلامان صاحبا الارض التى بركت فيها الناقة مرتين ، يرجوان الرسول أن يقبلها منهما هبة ، فأبى عليه الصلاة والسلام إلا أن يكون ذلك بالثمن ، واشتراها منهما بعشرة دنانير ، وكانت تقريباً مربعة : مائة ذراع فى مائة ، فبنى فيها المسجد الشريف الذى شمر للعمل فيه كل المسلمين من أنصار ومهاجرين . وكان عليه الصلاة والسلام يعمل فيه بنفسه : يحمل الطوب وينقل الاحجار ، وينشد — وينشدون معه — أناشيد تقوى العزائم ، وتحفز الهمم ، وتلهب شعور الإخلاص والإيمان :

هـــذا الحمال لا حمال خيبر هـــذا أبر ربّنا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

ثم عقد عليه الصلاة والسلام فى بيت أنس بن مالك عقد مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار — وكانوا جميعا تسعين رجلا : نصفهم من الأولين ، ونصفهم من الآخرين — مؤاخاة على التعاون والمواساة ، والتكافل والتساند ، وحتى على التوارث .

وهو عمل حكيم تمت به الوحدة ، وقويت به الألفة ، واستبشر به الأنصار ، وتأسى به المهاجرون عن مفارقة الأهل والدار .

ثم عقد عقد موادعة ومسالمة مع يهود المدينة من بنى النضير وقينقاع وقريظة ، ليعيش الجميع عيشة استقرار وصفاء وأمن وسلام .

لكن اليهود — وهم الذين كانوا يترقبون ظهور الرسول يفتصرون به على مناوئيهم من أهل وطنهم المشركين عبدة الأوثان — سرعان ما نقضوا العقد ، ونكثوا فى العهد ، وصاروا أعداء مقيمين ، أعداء داخليين ، أشد عداوة على المسلمين ، وأعظم فتنة عليهم من أهل مكة المشركين . فكان لا بد من كسر شوكتهم ، وتطهير المدينة من فتنتهم ، وقد مكن الله لرسوله منهم ، ونصره عليهم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

العبرة فى حادث الهجرة :

إحياء الذكريات المجيدة إنما هو تمثيل لحوادثها ، وعرض لوقائعها ، للانتفاع بما فيها من عبرة ، والتأسى بما تشتمل عليه من أسوة حسنة .

وحادث الهجرة كله عبر خالدة ، وكله دروس نافعة : فهو جهاد عظيم ، وكفاح قوى ، وتضحية أعظم تضحية ، فى سبيل المبدأ والعقيدة ، وتدبير حسن حكيم ، وعمل جيد رشيد ، لنصرة الحق والعدل ، على الضلال الباطل الفاضح .

وهو منهج عظيم للدعوة ، والتعليم والتربية ، والهدى والإرشاد ، وتمكين لأسباب العزة والقوة ، والأمن والسلام ، وتقوية لروابط الألفة والمحبة والوئام .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ بهجرته وارتحاله عن مواطن الشر والشغب أحسن مثل يجب أن يحتذيه المعنيون بإصلاح الجماعات ، فى مكافحة الشرور والجهالات ، ومغالبة الآثام والمنكرات .

وإذا كان الظلام لا يمحوه إلا الضوء والنور ، فإن الجهل لا يقتل إلا بالعلم ، والرذيلة لا يقضى عليها إلا بتربية الفضيلة .

فأما الصخب والشغب والتهريج ، وأما الصراخ والصياح ، والمظاهر الفارغة ، والادعاءات الكاذبة ، فهى شىء ليس من شأن أهل المعرفة بعلل الجماعات وبما يصلح لها من علاج .

والرسول الحكيم كان خير عليم بهذه الحقائق ، فقد رأى أن مكة حينذاك ليست بيئة صالحة تساعد على تكوين معاهد الفضيلة ، ونشر تعاليم الهداية ، وأن مشركيها قلوبهم قاسية كصخورها أو أشد منها قسوة ، ومن أجل هذا كان منذ زمن قبل الهجرة ، يجد فى روعه أو فيما يوحيه الله إليه أن الأمر سينتهى به إلى ترك مكة ، فانسحب منها فى هدوء ليجد المجال الفسيح للدعوة ، فى المدينة الهادئة الوادعة ، عند أصحابه الأنصار ، الذين بايعوه بيعة العقبة على الإيواء والنصرة ، وأنه إذا ذهب إليهم فى بلدهم آزروه وأيدوه ، ومنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم .

ففكرة الهجرة كانت تختمر فى نفس محمد ﷺ ، يرمى من ورائها أن يتمكن من العمل فى جو هادىء ووسط صالح ، غير أن حادث التآمر على قتله كان هو الحافز على إنفاذ هذه الفكرة ، وكان بمنزلة الشرارة التى انطلق بها عزمه عليه الصلاة والسلام على الهجرة .

وهكذا هاجر ﷺ إلى المدينة ، فأنشأ المؤسسات الدينية ، ووضع قواعد الدولة الإسلامية ، وهكذا استقرت فى هذه المدينة أصول الهداية والرشاد ، ثم عادت بصلاحها ورشادها على مكة وعلى سائر البلاد .

تقرير سنة الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى :

لم يقرر مبدأ للتاريخ الإسلامى إلا فى خلافة عمر رضى الله عنه ، بعد ست عشرة أو سبع عشرة سنة من الهجرة ، لما أخذت تنتشر بين أفراد الأمة كتابة الوثائق وغير

الوثائق . ولا شك أن الكتابة - ولا سيما كتابة الوثائق - هي التي تظهر أكثر من غيرها لزوم العناية بالتاريخ ، وتتبين فيها عيوب إهمال التوقيت .

رفع إلى عمر رضى الله عنه صك بدين لرجل على آخر ، قد كتب فيه أن هذا الدين يحل في شهر شعبان ، فقال عمر : أي شعبان ؟ شعبان هذه السنة ، أم شعبان السنة التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع أهل الرأي لتقرير مبدأ معين يكون به التاريخ الإسلامي : فمنهم من رأى أن السنة التي ولد فيها الرسول ﷺ هي التي ينبغي أن تجعل مبدأ لهذا التاريخ . ومنهم من رأى أن يكون المبدأ السنة التي بعث فيها . ثم استقر الرأي أخيراً على أن يؤرخوا بالسنة التي وقعت فيها الهجرة .

وبذلك صار شهر المحرم من سنة الهجرة هو الشهر الأول من السنة الأولى من هذا التاريخ .

ولكن لماذا لم يجعلوا أول السنة الهجرية شهر ربيع الأول الذي كانت فيه الهجرة ؟

الواقع أن العرب من قبل الإسلام كانوا يعرفون السنة القمرية وأنها اثنا عشر شهراً ، وكانوا يسمون هذه الأشهر بأسمائها المعروفة . وكان أول السنة عندهم هو شهر المحرم ؛ اختاروه كذلك لأنه هو الشهر الذي يكون بعد انتهائهم من موسم الحج ، فلم تكن هناك ضرورة تدعو إلى تغيير مبدأ السنة . إنما الحاجة هي في تعيين السنة التي تكون مبدأ للتاريخ الإسلامي . وقد تم الأمر على أنها سنة الهجرة .

هذا وإنا نسأل الله تعالى أن يهدينا بهدى نبيه الكريم ، وأن يوفق الأمم الإسلامية للتمسك بدينه ، وإحياء تعاليمه ، وأن يديم عنايته وتأييده لجيشنا العظيم ، كي يدرك لمصر حظها من السعادة ، وليعمل - بالوفاق مع الجيوش الإسلامية الأخرى - على ما يعيد لدولة الإسلام مجدها وعزتها وقوتها وكرامتها .

وأن يوفق رئيس جمهوريتنا ، ورئيس حكومتنا ، وإخوانهما قادة الثورة ، وأعضاء الوزارة ، لما فيه خير الأمة وصلاح أمرها ، والسير بها في طريق السداد والرشاد ، إنه مجيب الدعاء ، نعم المولى ونعم النصير . ؟

٤ - مشروع خطير

يحركه رجال الطوائف للقضاء على أحكام الإسلام فى مواد الأحوال الشخصية تحت ستار تنظيم المحاكم الملية وقضائها

قد مهدنا بالمسألتين السابقتين للبحث فى هذا المشروع الخطير ، ومدى مناقضته للأحكام الإسلامية فى موضوعه . والآن نقول :

منذ نيف وعشرين عاماً رؤى تنظيم القضاء الطائفى لغير المسلمين ، وإنشاء محاكم ملية للقضاء فى مواد أحوالهم الشخصية ، تضم بعض المتعلمين منهم ، يحدد تشكيلها واختصاصها ودرجات التقاضى أمامها بقانون ، وتطبق فى المنازعات التى تقع بينهم فيها أحكام مذاهبهم ومللهم .

وألفت لذلك لجنة من كبار رجال القانون والطوائف فى سنة ١٩٣٢ ، ووجد أعضاؤها غير المسلمين ومن ورائهم رؤساء الطوائف الفرصة سانحة لتحقيق ما ظلوا يحلمون به قروناً من إبطال بعض أحكام الشريعة الغراء الخاصة بإسلام أحد الزوجين وأثره فى علاقة الزوجية ، وفيما ينشأ عنها من خصومات بعد الإسلام ، وفى الأحكام التى تطبق ، وفيمن له ولاية القضاء فى هذه الأحوال .

أثاروا ذلك فى الجلسات وفى غيرها ، وأجمعوا أمرهم على ضرورة إقامة العراقيل فى سبيل اعتناق الإسلام ، ومعاقبة من يعتنقه بفسخ زواجه بمجرد إسلامه ، وتحريم معاشرته لزوجته ، والحكم عليه بالحبس إذا أقدم على معاشرتها دون أن يعلنها بإسلامه ، وإخضاعه بعد إسلامه للقضاء الطائفى فى مختلف درجاته ، وتطبيق أحكام مللهم ومذاهبهم التى تم عقد الزواج فى ظلها على من أسلم ولو من زمن بعيد .

* * *

واحتدم النزاع بين الأعضاء فى هذه المقترحات ورأى الأعضاء المسلمون فيها - وكنت منهم - مخالفة صريحة لشريعة الإسلام كتاباً وسنة وإجماعاً ، والدار دار إسلام ، والإسلام

هو الدين الرسمى للدولة بنص الدستور ، والسائد منذ الفتح الإسلامى إلى الآن . ومهمة اللجنة الإصلاح والتنظيم لا هدم الأحكام الإسلامية التى ظلت الطوائف خاضعة لها قروناً ، ولا نقل من أسلم من ولاية القضاء الشرعى إلى ولاية المحاكم الطائفية ، فلا تملك أن تقرر فى مشروع القانون ما يخالف صريح الإسلام والحق الصريح .

وبالرغم من ذلك وضع المشروع ، ولكنه لم يلبث أن عفى أثره ، وطوى فى زوايا الإهمال ، لمخالفته الصريحة لدين الإسلام ، إلى أن جدت ظروف أخرى ، فأعيد بحثه ، ثم اختفى لهذا السبب .

* * *

وفى أثناء تولى المرحوم (صبرى أبو علم) وزارة العدل ألفت لجنة لبحث المشروع - وكنت عضواً فيها - وانتهت بوضع مشروع سليم من كثير من تلك العيوب ، وإن كان كسابقه مشتملا على بعض عيوب جوهرية ، وكان حظه من الإهمال كحظ المشروعات السابقة .

وأخيراً نشر المصرى فى يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ١٩٥٤ المشروع الذى يراد عرضه على مجلس الوزراء ، فإذا به لم يتغير من ماضيه البعيد شىء ، وإذا به ينقض أحكام الإسلام صراحة ، ويعاقب من يعتنق الإسلام بحريته بعقوبات غير مشروعة .

ولبيان ما فيه من خطورة نقدم بين يدى البحث تلخيصاً للمبادىء الآتية المتفق عليها بين الفقهاء فى المذاهب الأربعة .

اولا :

عقد زواج المسلم بالمسيحية صحيح شرعا لقوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

وللزوج عليها مع بقائها على دينها كل الحقوق التى للأزواج على زوجاتهم فى الإسلام كما أن لها عليه كل الحقوق التى للزوجات على أزواجهن فيه .

وتخضع فى جميع المنازعات المتعلقة بالزوجية إلى أحكام الشريعة الإسلامية وإلى القضاء الشرعى .

ثانياً :

عقد زواج المسيحى بالمسيحية عقد صحيح فى حكم الإسلام ، فإذا أسلم الزوج وبقيت زوجته على دينها استمر العقد صحيحاً واستتبع كل آثاره ومنها حل المعاشرة والطاعة والنفقة .

وبمجرد إسلامه يخضعان جميعاً فى المنازعات المتعلقة بحقوق الزوجية لأحكام الشريعة الغراء والقضاء الشرعى ، سواء كان إسلام الزوج قبل التخاصم فى هذه الحقوق أم فى أثنائه .

ثالثاً :

أحكام الزواج والطلاق والفرقة بجميع أسبابها وما يتبع ذلك هى من الأمور المتعلقة بحل المعاشرة وحرمتها فى الدين ، وهى من صميم أحكام الإسلام ، سواء أكان إسلام الزوج أصلياً أم طارئاً ، وسواء أكانت الزوجة مسلمة أم كتابية ، فلا يخضع فيها المسلم إلا لدين الإسلام وأحكامه ، والزوجة إذا لم تسلم تتبع زوجها المسلم فى ذلك .

رابعاً :

الإسلام عقيدة قلبية ، ومظهرها الإقرار اللسانى بالشهادتين ، فمن أقر بهما حكم بإسلامه « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » وليس لأحد أن يتحكم فى عقيدته وضميره ، والسرائر موكولة إلى علام الغيوب .

وكما أنه ليس لأحد أن يكرهه عليه ليس لكائن من كان أن يصده عنه مباشرة أو بالوسائل التى تكرهه على عدم اعتناق الإسلام .

والعمل بالإقرار مبدأ متفق عليه فى جميع الشرائع ، ولا زال أهل الأديان الأخرى

يحكمون فيمن ارتد عن الإسلام الحنيف إلى دين آخر أنه قد دخل فى حوزته بمجرد ردته . - وإن كان حكمه عندنا أنه لا يقر على دين - .

* * *

والنتيجة المنطقية لهذه المبادىء المقررة بإجماع المذاهب .

أولا : أن عقد الزواج الذى تم بين الزوجين وهما مسيحيان لا يفسخ ، ولا ينفسخ بإسلام الزوج ، بل يبقى كما كان صحيحا من الوجهة الشرعية ، مستتبعاً كل آثاره ، ويحل للزوج معاشرة زوجته الباقية على دينها معاشرة الأزواج ، ولا يجوز أن يمنع من تمتعه بجميع حقوقه الشرعية التى كفلها له الإسلام .

أما هذا المشروع المنشور فقد نقض هذا الحكم نقضا صريحا حيث قضت المادة ١٢ منه بأن الزوج إذا أسلم وجب عليه إعلان زوجته الباقية على دينها بإشهاد إسلامه فى ظرف ثلاثين يوما من تاريخ الإشهاد ، وللزوجة أن تعلنه فى هذه الحالة فى مدى عشرين يوما من تاريخ الإعلان ، باعتبار الزواج مفسوخا .

ويحرم على الزوج معاشرة زوجته من وقت الإشهاد قبل إعلانها به ، وإلا عوقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين ، ولها أن تقيم عليه الدعوى الجنائية . ومن هذه المادة يتضح أن المشروع يعاقب الزوج على إسلامه ، بفسخ نكاحه ، وبحرمانه من الاستمتاع بحقوقه المشروعة ، وتحريم معاشرته لزوجته ، وعقابه عليها .

وبالضرورة يسمح لها بالزواج من غيره بعد هذا الفسخ الجبرى ، وذلك فى الإسلام باطل ، فإنه يحكم ببقاء عقد الزواج بينهما ، ويمنع إنهاءه إلا برضا الزوج ، ويحل معاشرته لزوجته بعد الإسلام ، ويحكم بأن فسخ النكاح بسبب الإسلام باطل ، وبأن زواجها بغيره بعد هذا الفسخ الباطل باطل وسفاح .

أليس هذا المشروع هادما لأحكام دين الله ، والدار دار إسلام ، ودين الدولة دين الإسلام .

* * *

ثانيا : أن إسلام الزوج أثناء الخصومة مع زوجته يخرج الزوج عن ولاية القضاء

الملي كما أن إسلام الزوجة أثناءها يخرجها عن ولايته ، فبمجرد إسلام أحدهما يخضع الخصمان ـ ولو بقي أحدهما على دينه ـ لشريعة الإسلام وقضائه .

أما المشروع فنصت المادة ١١ منه على أن تغيير الدين أثناء سير الدعوى لا يؤثر في اختصاص المحكمة الملية بنظرها .

ومعنى ذلك أن يخضع الزوج إذا أسلم ، أو الزوجة إذا أسلمت أثناء الخصومة إلى القضاء الملي وأحكامه ، وعندئذ يحكم بفسخ النكاح بسبب إسلام الزوج ، وبحرمانه من جميع حقوقه المشروعة كما يراه المشروع في المادة ١٢ . بل سيحكم بعدم الاعتداد بإسلامها ، ويحل للزوج المسيحي معاشرتها معاشرة الأزواج .

أليس في هذا مخالفة صريحة لحكم الإسلام بإجماع المسلمين ؟!

* * *

ثالثا : وكذلك إسلام أحد الزوجين في أي وقت قبل الخصومة يخرجه من ولاية المحاكم الملية في المنازعات المتعلقة بأمور الزوجية ، فلا يجوز أن تطبق عليه شريعة الجهة الملية التي كان كلا الزوجين تابعا لها وقت العقد ، وإنما يخضع الخصمان في هذه الحالة لأحكام الشريعة الإسلامية وقضائها .

أما المشروع فقد قرر في المادة ٣٣ أن المحاكم المدنية تطبق في المسائل التي تختص بنظرها وفقا لأحكام هذا القانون شريعة الجهة الدينية التي كان كلا الزوجين تابعا لها وقت العقد ، وتطبق شريعة الجهة الدينية التي كان يتبعها الزوج وقت العقد إذا اختلف الزوجان دينا أو مذهبا .

ومعنى ذلك أن من أسلم من الزوجين يخضع بعد إسلامه ولو كان قبل الخصومة للمحاكم المدنية وهي لا تطبق عليه إلا أحكام شريعة العقد التي تم الزواج في ظلها ، وهما مسيحيان .

وفي هذا بداهة مخالفة صريحة لأحكام الإسلام المعروفة في المذاهب الاربعة .

رابعاً — يريد رجال الطوائف أن تصدر قوانين بهذه الأحكام وتتوج باسم الأمة المصرية وفيها مخالفة صريحة لأحكام الإسلام .

إننا نعتقد أن حكومة الجمهورية المصرية لا تقدم على ذلك ، وأن تتويج الحكم باسم الأمة المصرية يتضمن إقرار الأمة بمشروعية هذه الأحكام ، والأمة المسلمة لا يمكن أن تقر بذلك بحال ، ولا أن تقرره فى أى تشريع .

* * *

ومما يجب أن يعلم أننا نحن المسلمين ندعو إلى السلام ، ونود الصفاء بين عنصرى الأمة ، ونسعى للوفاق بين الأكثرية والأقلية فى مختلف الشئون ، إلا ما يختص بالعقيدة والدين . ونحرص كل الحرص على رأب الصدع ولم الشمل ، والإسلام يدعونا إلى كل ذلك ، وإلى إحسان المعاملة مع المواطنين من الكتابيين .

وفى ظل هذه التعاليم عاش الجميع فى سلام ووئام ، ومما يؤسف له ما نراه من حرص هؤلاء المواطنين على تعكير الصفو ، وإثارة القلق ، واستثارة الشر بالسعى لإقرار مثل هذه المشروعات التى فيها عدوان صريح على أحكام الإسلام .

ومن واجب المسلمين عامة ، والعلماء خاصة ، أن يكشفوا لولاة الأمر عما فيها من مخالفة صارخة للإسلام ، وعما ينجم عنها من أخطار وخصام .

وإذا كان لنا رجاء فى الكف عن السير فى هذه المشروعات وأمثالها فى ظروف عادية ، ففى هذه الظروف القاسية التى تقف فيها البلاد موقف الدفاع عن الحوزه ، والمحاربة للجشع الاستعمارى يعظم الرجاء ، ويقوى الأمل فى وأد هذه المشروعات المفرقة للجماعة والنافخة لروح الفتنه بين عناصر الأمـة .

ونسأل الله التوفيق والسداد ؟

حسنين محمد مخلوف

المفتى السابق ورئيس لجنة الفتوى

لوعـــــــة

لهفي على ورق الشبابِ　　وغصونه الخضر الرطاب
ذهب الشباب ، وبان عني　　غــير منتظر الإياب
فلأبكين على الشـــبا　　ب وطيب أيام التصابي
ولأبكين من البلى　　ولأبكين من الخضاب
إني لآمل أن أخلد　　والمنية في طــلابي !

* * *

من قائل هذه الأبيات ؟ ...

إنها لأبي العتاهية ، وهو الشاعر العباسي المعروف : أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم ابن سويد ، كان مولى لعنزة ، وكان جرارا ، وقد رماه الكثيرون بالزندقة والبخل والشكلف ، وكان أبو العتاهية لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف ، كثير القول في الحكم والأمثال والزهد . وكثير من الباحثين يعدونه من رجال التصوف ، لما يتميز به شعره من سمات صوفية ، وله أرجوزة مزدوجة طويلة تسمى : « ذات الأمثال » وهي من بدائع أبي العتاهية ، وقد جمع فيها بين الحكمة والزهد حتى صارت دستوراً للأخلاق ، وقد أعجب بها الجاحظ كثيراً ، وأثنى على قوله فيها :

يا للشباب المرح التصابي　　روائح الجنة في الشباب

ومنها ذلك البيت المشهور :

إن الشباب والفراغ والجدة　　مفسدة للمرء أي مفسدة !

ويقال إن المهدي والرشيد حبساه لبعض أشعار قالها ، ثم تشفع إليهما مرة بعد أخرى حتى أطلقا سراحه . وتوفي أبو العتاهية سنة خمس ومائتين ، وقيل سنة إحدى عشرة ومائتين .

وفي أي مناسبة قيلت هذه الأبيات ؟ ...

حدث أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد بسنة ، فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد :

لهفى على ورق الشباب ... ... (الأبيات)

قال : فجعل ينشدها وإن دموعه لتسيل على خديه ، فلما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها ، وسألت عن الشيخ فقيل لى : هو أبو العتاهية ...

* * *

والممعن النظر فى هذه الأبيات يشهد فيها دلائل حيرة قلبية اصطلى فيها صاحبها بنيران مضرمة تأتيه عن يمين وشمال ، فهو أولا يتلهف على الشباب وأوراقه وغصونه ، ويتحدث عن ذهابه بغير عودة ، ورحيله بدون أوبة ، ثم نراه ثانيا يبكى على أيام الشباب وعهود التصابى ؛ ونظن نحن بأيام التصابى هذه مختلف الظنون ، وإذا بنا فجأة نرى الشاعر ينتقل إلى البكاء من البلى والبكاء من الخضاب ، ثم ينتقل مرة أخرى إلى الحديث عن الأمل فى الخلود ، وخيبة الظن فى هذا الأمل ، لأن المنية من وراء صاحبه تلاحقه ولن تفلته ...

ولقد كانت هذه الحيرة الظاهرية وذلك التردد البادى فى الحديث مدعاةً لصاحب « التصوف الإسلامى » إلى أن يسىء الظن فيها بأبى العتاهية ، فيقول بعد أن يورد تلك الأبيات ومناسبتها :

« فهذه الحسرة على الشباب وأيام التصابى تصوره رجلا مغلوبا على اللذات ، وتطعن فى صحة زهده ، ولو كان زهده عن إخلاص مطلق لرمى بذكريات الشباب حيث رمتها الأيام .

ولسنا نقول بأن الزهد يقضى على جميع الصبوات القلبية ، وأن بكاء الشباب لا يمر بقلب رجل زاهد ، وأن الحسرة على أيام التصابى لا تكون إلا من رجل مزعزع اليقين ، لا ، ولكننا نتخذ من ذلك شاهدا على أن الرجل ظل يعيش إلى أخريات أيامه بقلب مفتون بأيام الصبوة والفتك ، وإن كان شعره فى الزهد ملأ الدنيا وغزا صوامع الرهبان » .

والخير فيما نرى هو أن نخفف من حدة هذا الهجوم على أبي العتاهية ، بسبب هذه الأبيات الرقيقة الدقيقة ، فليس فيها ولا في مناسبتها وظروفها ما يوحي إلينا بقطع الرأي في ذلك الافتتان وتلك الصبوة ؛ فأبو العتاهية قد قال الأبيات في المسجد ، ولو كان يراد بها ما فهمه مهاجموه لما اتخذ لها المسجد موطناً للإنشاد ، ولقد كان ينشدها ودموعه تسيل على خديه كما تقول الرواية ، فلم يكن هناك إذن حنين إلى الفتك أو شوق إلى التصابي ، أو انقهار أمام اللذات ، بل كان هناك بكاء وحزن ، وتفجع ودموع ، وخشية وإنابة ، فكيف نتخذها معتمداً للطعن في زهده ؟ ...

ولقد قالها أبو العتاهية — فيما نفهم من حوادث الأيام — وهو كبير طاعن في السن ، وهذه السن ليست سن الاندفاع إلى المآرب ، أو التعلق بالأهواء ، أو الخضوع للشهوات ، وإنما هي سن التوبة والمآب ، والاستقامة على طريق الصواب ... ولو فرضنا أنه كانت فيه همة لمجاوبة التصابي لأزالها توالي الأيام والأعوام ... ولو جارينا القائلين بأن هذه الأبيات ذات صلة بالتصابي لكان جوابنا أن هذا التصابي قد جرى على طريقة المتصوفين المتواجدين لا على طريقة اللاهين العابثين . وأهل الوجد من الصوفية يستخدمون في تعبيرهم عن أشواقهم الروحية ، ولواعجهم النفسية ، وأزماتهم القلبية العالية ، تشبيهات وتعبيرات ، وصوراً بيانية حسية ؛ وكل يغني على ليلاه ! ...

ولكن يظهر أن أبا العتاهية كان رجلا مبتلى بافتراء الناس عليه من كل ناحية ، إذ لم يكتفوا بذكر ما فيه ، بل أضافوا إليه أشياء وأشياء ، فافتروا عليه مثلا أنه نبطي وليس بعربي ، مع أنه عربي صريح ، لجده كيسان كان من أهل عين التمر ، وهي بلدة قريبة من الأنبار ، وأوسعوا في اتهامه بالبخل والشح ، ونقلوا في ذلك أخبارا منها ما يصح ومنها ما لا يصح . . وألصقوا به لقب « أبي العتاهية » لا لشيء إلا لأن المهدي كما روى قال له : أنت رجل متحذلق متعته ، والرجل المتحذلق يقال له عتاهية ، فما كان منهم إلا أن أطلقوا عليه اللقب ونبزوه به دائما ، وعيروه ببيع الجرار ، وليس ذلك بعار مع فرض الإجماع على صحته ، وفوق ذلك فقد قال أبو العتاهية في رد هذا : أنا جرار القوافي ، وأخي جرار التجارة .

ونعود إلى أبى العتاهية فى أبياته التى تصور موقفاً عنيفاً من مواقف الزلزلة الروحية التى تلم بساحة الإنسان حينما يعتبر ويتذكر ، ويتمثل له لقاء ربه فيستعظم الصغير من أعماله ، ويستصغر ما قدم من طاعة ، ويخشى أن يصعب عليه الحساب فيفضى به إلى العقاب ، وهناك يدرك أبا العتاهية ما لزم طبعه من الحيرة والاضطراب نتيجة لغلبة السوداء عليه حتى إنه لينتقل من أحواله بين الأضداد ، ويبالغ فيما يأتيه أشد المبالغة ؛ وإنا لنراه فى هذه الأبيات يتحدث أولا عن ذهاب الشباب ، ثم ينتقل إلى البكاء عليه وعلى أيامه الطيبة ، ثم ينتقل فجأة إلى البكاء من البلى والخضاب ، ثم ينتقل إلى أمل الخلود ، ثم يتذكر أن الموت من ورائه ، فلا أمل ولا لقاء . .

يقول أبو العتاهية :

لهفى على ورق الشباب   وغصونه الخضر الرطاب

ذهب الشباب وبان عنى   غـير منتظر الإياب

إنه ليعبر تعبيراً قوياً أخاذا عن اللهفة التى تعتصر فؤاده ، والألم الذى يسحق نفسه ، والحزن الذى يعم ساحته ، أسفاً على ذلك الشباب الذى ذكر ورقه ، والورق من عادته أن يكون أخضر نامياً ناضراً مهتزا ، ومن ورائه الأغصان والفروع والجذوع ، ومن خلف هذه الأشياء كلها الماء الجارى الذى يسبب الحياة ويبعث النماء ؛ فتصور معى الشباب شجرة مورقة قد كللت هامتها هذه الأوراق النامية الخضراء لتشعر بما شعر به أبو العتاهية من لهفة ، ولكنه لم يكتف بورق الشباب ، بل ذكر له غصونه الخضر الرطاب ، وقد تكون الأغصان خضراً ولا تكون رطاباً ، ولكنها حين تكون خضراً رطاباً تكون فى غاية نضرتها وشبيبتها وفتوتها ، ويكون لها بهاؤها ورواؤها ؛ فياله من شباب كان حياً وكان قويا وكان مؤثرا فعالا ؛ ولكن هذه الأوراق النامية قد تطايرت ، وهذه الغصون قد جفت ويبست ، ولعلها أيضاً قد تكسرت وتحطمت ؛ ولم لا وقد ذهب الشباب بلا رجعة ، وبان عن صاحبه بلا عودة ؛ ولكل فراق لوعة ، ولكن الفراق الذى تنتظر بعده عودة ولقاء يخف ويهون ، وإن كان شديدا فإلى حين ، وأما الفراق الأبدى الذى لا رجاء معه فى العودة أو اللقاء فدون ذلك وينفد حلم الحليم . . .

ولذلك كان ذهاب الشباب من أقسى ما عاناه أهل الإحساس والشعور ، لأنه يذهب غير منتظر الإياب أو الرجوع ، فهو شديد عسير !! . . .

وما دام ذهاب الشباب هو أشد ما يلاقيه الأحياء فلا مذمة ولا ملام إذا استباح الحساس الشاعر لنفسه أن تبكى هذا الشباب .

فلأبكين على الشباب وطيب أيام التصابى
ولأبكين من البلى ولأبكين من الخضاب

نعم فلأبكين على الشباب الحلو الجميل ، ولأبكين على تلك الأيام الخوالى التى كان فيها العزم موفورا والعمل ميسورا والفضل كثيرا ؛ ولكن النفس الأمارة بالسوء حدثت صاحبها بالأمانى ، فاستقام حينا راعوج سيره أحياناً ، وهذا تقريع من أبى العتاهية المتزمت لنفسه ، ومن الخير أن لا تذهب بنا الظنون كل مذهب فى شباب الشاعر ، فنتصوره ماجنا أو مسرفا ؛ فقد وصف أيام تصابيه بالطيب والطهر ؛ ومن هنا لا نستطيع أن نضيفه إلى زمرة الآثمين ، ولو فرضنا أن التعبير يحتمل هذا التفسير لحملنا كلام الشاعر على أنه لون من التشديد والتزمت فى وصف النفس بالسوء والتفريط ، مع أنها قد تكون أفضل من غيرها ، ولقد جرى الصالحون من قبل ومن بعد على تحميل النفس ما لم تأت من قبل ، وحلا هذا الاتهام للنفس عند الكثيرين من السابقين واللاحقين ، حتى صار واضحاً أن أمثال هذا الاتهام لا يراد بها مطابقة الواقع ، بل يراد بها إثارة عوامل التبصر والاعتبار .

ولعله مما جاء على هذا النهج قول أبى العتاهية فى موطن آخر :

تعلقت بآمال طوال أى آمال
وأقبلت على الدنيا ملحاً أى إقبال
أيا هذا تجهز لفراق الأهل والمال
فلا بد من الموت على حال من الحال

لئن كان هذا القول من ضروب الاتهام الظاهرى الذى أشرنا إليه فهو نمط جميل وتصوير لطيف ، وإن كان يدل على شىء وقع فهو برهان على شخصية أبى العتاهية التى لا تخشى الاعتراف بما كان منها ، فكيف بعد هذا يوصف بالتصنع والتكلف والمراءاة ؟ ! . . .

وها هو ذا فى موطن آخر يناجى ربه مناجاة الخاشع الخائف ، الذى لا يقطع بالرأى فيما سيفعل به يوم يلقى مولاه ، فنراه يتعلق بعفو الله ، ويشير إلى ما كان منه ، ويتحدث عن فضل الله الواسع ، وعن ندمه العميق الأسيف على ما بدر منه ، ويشجع فيتحدث عن ثناء الناس عليه ، ويرى أنه ليس أهلا له ، وذلك على طريقة الكرام من السلف حين يمتدحهم الناس فيقولون : « اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون ، واجعلنا خيرا مما يظنون » . . .

يقول أبو العتاهية فى آخر شعر نظمه يناجى ربه :

إلهى لا تعذبنى ، فإنى مقر بالذى قد كان منى
فمالى حيلة إلا رجائى لعفوك إن عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى الخطايا وأنت علىّ ذو فضل ومنّ
إذا فكرت فى ندمى عليها عضضت أناملى وقرعت سنى
أجن بزهرة الدنيا جنونا وأقطع طول عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقت الزهد عنها قلبت لأهلها ظهر المجن
يظن الناس بى خيراً ، وإنى لشر الخلق إن لم تعف عنى !

* * *

ولا يبكى أبو العتاهية على الشباب والتصابى الطيب فحسب ، بل هو يبكى من البلى ومن الخضاب . يبكى من الوهن والضعف والحالة السيئة التى صار إليها حين قل مجهوده وضاقت خطواته ، وحين جاء الخضاب متحدثا عن مظهر من الحياة ليس وراءه كبير عزم أو قوة ، وذلك الضعف الذى لا حيلة للإنسان فيه يبعث كوامن الحزن والأسى من أعماق النفس فتذوب حسرات وتذهب أسفاً . . .

أين الطاقة الماضية التى كانت واسعة ؟ . وأين العزم الذى كان بالأمس مشبوبا ؟ . وأين دم الشباب الفوار الدافع إلى الحركة والعمل ؟ . وأين نضرة الحياة التى لا تحتاج إلى خضاب أو تجميل ؟ ! ...

لقد ذهب كل هذا ولن يعود ... ولن يعود ! ! ...

* * *

إنى لآمل أن أخلد والمنيـة فى طـــلابى

هـذا الحنين الطاغى إلى الخلود حلم يراود كل عقل ويختلب كل إنسان ، ولـكن أين السبيل إلى هذا الخلود « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ؟ ! ...

ها هو ذا أبو العتاهية يتمنى أن يمتد به العمر ، وأن يخلد فى هذه الحياة ؛ وهو يرجو ذلك إما استجابة لذلك الدافع المستسر فى صدر كل إنسان ، وهو دافع الحرص على البقاء والخلود ، وإما لأنه يريد أن يستزيد من الخير وأن يتخفف مما لا يرضاه فى كتابه غدا ؛ ولـكن كيف الوصول إلى هذا المأمول ؟ ... كيف البقاء والموت من خلف الأحياء يتبعهم فى سائر الأرجاء : « أينما تـكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ؟ ! ...

وما دام الموت فى الطلب ، وما دام الأجل مطويا خلف ستار الغيب ، فـلم يبق إلا الإسراع والبدار إلى رضا العزيز الغفار ...

أحمد الشرباصى

من علماء الأزهر الشريف

مناهجنا

أرى شعباً تحـــير ناشئوه فما يجدون من عمل قواما

مدارس لم تهيئهم لـكسب ولم تبن الحياة ولا النظاما

شوقى

تذوق الأدب

« إن النور ذاته يتلاشى إذا لم يوجد فى العالم سوى عميان ! »

بعض متصوفة الغرب

« يجب أن تصبح العين معادلة ومشابهة للشىء المرئى كيما يمكن استخدامها فى تأمله . ولن ترى عين الشمس دون أن تصير مشابهة لها ، ولن ترى نفس الجميل دون أن تكون جميلة . »

أفلوطين

يتذرع الكثيرون بلفظة « الذوق » عند ما يتناولون عملا أدبياً بالقراءة ، أو يستمعون إليه ويطلب منهم بيان رأيهم فيما يقرؤون أو يسمعون ، وقصارى كل حكم نقدى أن يقول بجمال هذا العمل الأدبى أو قبحه ، فيعلن بذلك عن رضاء « المتذوق » عنه أو نفوره منه . وعندئذ يبدأ ظهور الجانبين التقليديين للمشكلة .

أما الجانب الأول فهو : الجمال أو القبح فى العمل الفنى ؛ وأما الجانب الآخر فهو : رضاء المتذوق أو نفوره .

وهنا نتساءل : هل هناك علاقة بين الرضاء والجمال ، وكذلك بين النفور والقبح ؟

قد يبدو للوهلة الأولى أننا نرضى عن الشىء لأنه جميل ، وأننا نفر منه لأنه قبيح . ولكن ألا يحدث كثيراً أننا نقف أمام الشىء الواحد فيرضى عنه بعضنا ويفر بعض ؟ وعندئذ نتساءل : ترى هل هذا الشىء جميل قبيح فى وقت معاً ؟ ولو أننا أجبنا بالإيجاب لأغضبنا المنطق . فبماذا يجيب الناس على هذا التناقض الواضح ؟ إنهم يحلون الإشكال فى كثير من البساطة فيقولون : إنها مسألة ذوق .

وقد شاعت منذ القدم عبارة De gustibus non disputandum أى أنه لا مشاحة فى الذوق . وقد عملت هذه العبارة عمل السحر فى عقول الناس وعقول كثير ممن يتعاطون

صناعة النقد ؛ فوجدوا فى هذا المبدأ مخلصاً من كل إشكال يعرض لهم حول القول بجمال الأشياء أو قبحها ، فيكون تعليلهم لكل حكم نقدى يصدرونه أن المسألة مسألة ذوق . ويغنيهم هذا التعليل عن كل تعليل . ثم إن هذا المبدأ كان من الخطورة بحيث أتاح الفرصة لكل شخص أن يحكم على الأشياء بالجمال أو القبح ، بالنجاح أو الفشل ، سواء أكانت له خبرة كافية بهذه الأشياء أم لم تكن لديه هذه الخبرة . وتأتى الخطورة من أنك لا تستطيع ـ بحسب هذا المبدأ ـ أن تناقش هذا الحكم . لماذا ؟ لأنه حكم الذوق ، ولا مشاحة فى الذوق .

وأحسبنى وأحسب الكثيرين الآن غير راضين عن إطلاق هذه القضية التى تقف فى سبيل أى تفهم صادق لمشكلة الجمال بصفة عامة ، وفى الإنتاج الأدبى بصفة خاصة ، كما أن من شأنها أن تشيع لونا من الفوضى فى ميدان الأدب . فالمشاحة كل المشاحة فى الذوق ، وكل حكم نقدى لابد أن يعلل ، ولا يكفى مطلقاً فى هذا التعليل القول برضاء النفس وارتياحها ، أو نفورها وقلقها ، لأنها قد ترتاح إلى أشياء لا يرتاح إليها آخرون ، كما قد تنفر من أشياء يقبل عليها غيرها من النفوس .

إن كثيراً من أهوائنا تتدخل فى أحكامنا النقدية ، فتبعدنا بذلك عن الاتصال المباشر بالعمل الأدبى وما يمكن أن ينطوى عليه من جمال . وتتشعب هذه الأهواء تشعباً غريباً . وهى تتضح فى موقفنا بصفة عامة من القديم والحديث ، وفى العصبية لبعض الأدباء على بعض ، وفى التأثر بالشخصيات الكبيرة ؛ فتكون آراؤنا وأحكامنا من خلال هذه الشخصيات ، وفى التأثر بمبدأ أخلاقى معين ، أو نزعة فكرية خاصة ، أو مبدأ سياسى بذاته ... الخ . فكل هذه العوامل تتدخل فى أحكامنا النقدية التى نصدرها على الأعمال الأدبية بمجرد أن نطلع عليها . ومن بين هذه العوامل ومن أقواها أننا اعتدنا أن نتحيز لأنفسنا ؛ فيوم نسبق إلى إصدار حكم من الأحكام نضطر إلى الوقوف بجانبه والدفاع عنه حتى الأبد ونحن فى كثير من هذه الحالات نكون خاطئين ، ولكن تحيزنا لأنفسنا يمنعنا دائما من الاعتراف بهذا الخطأ والإقلاع عنه .

أما علم النفس فقد أسهم بنصيب موفور فى الكشف عن العوامل النفسية التى تتدخل فى أحكامنا على الأشياء وتحدد موقفنا منها وقد انتهى هذا العلم ـ كما هى العادة فى كل العلوم ـ

إلى تصنيف الناس بحسب مواقفهم من العمل الأدبى ، ولكن أغلب هذه الأصناف لا تتصل ولا تحاول أن تتصل اتصالا مباشرا بعناصر الجمال والقبح فى هذا العمل ، بل ترتد إلى ذاتها ، إلى الاستجابات الحسية والنفسية والفسيولوجية التى تأتى صدى لإثارات العمل الأدبى . وبهذه الطريقة يمدنا البحث النفسى بالأصول اللازمة لعملية التفسير التى قلنا من قبل إنها ضرورية ولازمة لكل حكم نقدى بالجمال أو بالقبح .

إن هذا العمل الأدبى يؤثر فىّ وأنا أتأثر به . فما هى هذه العناصر المؤثرة ، وما هى هذه الجوانب المتأثرة ؟ ولماذا كانت هذه العناصر على هذا النحو من التآلف والتكوين جميلة ؟ هل هناك مبدأ فى الجمال يرتد إليه كل ذوق ؟ .

إن جميع الناس يتفقون على أن التفاحة جميلة ، فلماذا ؟ أيكون ذلك لأن حلاوتها تفوق حلاوة كثير من الأنواع الأخرى ، ولأن رائحتها العطرة تنفذ إلى صميم النفس ؟ إنها لكذلك عند كل الناس . وهى عند البعض منهم أجمل الأنواع لأن شخصاً حبيباً إلى نفوسهم هو الذى أهداها إليهم أو قدمها لهم .

بهذا المثال نستطيع أن نلمس أطرافا من الحقيقة . فهذا البعض الأخير قد حكم بجمال التفاحة لسبب آخر غير التفاحة ذاتها ، وهو سبب لا يدخل عنصراً فى تكوين التفاحة ، لا هو يتصل بحجمها ولا بشكلها ولا بلونها ولا برائحتها أوطعمها ، ولكنه سبب كاف لأن يجعلها محببة لدى الشخص ، فهذا عامل من العوامل الخارجية التى تتدخل فى أحكامنا على الأشياء . ولو لم تكن فى التفاحة ذاتها عناصر جميلة لكان من الطبيعى جداً أن يختلف الناس وتتسع بينهم هوة الخلاف حول جمال التفاحة . فالناس تختلف أذواقهم ، لا بالنسبة للعناصر التى تقع فى العمل الأدبى ، ولكن بالنسبة للعوامل الخارجية المختلفة التى تكيف موقف كل منهم . وهذه العوامل الخارجية هى التى ينشأ عنها أكبر اختلاف فى الأحكام النقدية ، لأنها ترتبط بظروف حياة كل فرد ارتباطا من نوع خاص ، ومن هنا أمكننا أن نقول : إن لكل إنسان ذوقه الخاص ، ورحنا ننكر المشاحة فى الأذواق .

هذا طرف من الحقيقة .

وطرف آخر نلمسه هو أننا نتلقى من العمل الأدبى موضوع الحكم إثارات كما نلمس

عناصر بذاتها تجعلنا نتخذ موقفا نقديا خاصا . ولا أظن الناس قد أجمعوا على جمال التفاح إلا بعد أن رأوه رأى العين ، وتذوقوه بألسنتهم ، وتشمموا رائحته بأنوفهم . فهناك إذن عناصر مثيرة ، وأدوات تستجيب لهذه الإثارة . ترى لو كانت حاسة الشم معطلة لدى أحد من الناس هل كان يحكم بجمال التفاحة كما يحكم سليم الأنف ؟ ولا يمكن أن تكون المسألة مسألة سلامة الحواس أو فسادها فحسب ، لأن التفاحة ذاتها لن تكون جميلة إذا هي كانت فاسدة ، وذلك بالنسبة لسليم الحواس بطبيعة الحال . أما الحواس التي لا تميز فيستوى لديها التفاح والقثاء .

ومعنى كل هـــذا أنه لا بد لكي نتذوق الجمال أن يكون لدينا الاستعداد الكافي لهذا التذوق ؛ فلكي نتذوق جمال التفاحة لا بد أن نكون متمتعين بحواس سليمة ، ويومئذ لن يحدث بيننا ذلك الاختلاف الشنيع الذي يأتي نتيجة للأهواء والعوامل الخارجية وفساد الحواس ، وعندئذ نستطيع أن نعلل لكل حكم جمالي نصدره تعليلا مقبولا يستطيع أن يشاركنا فيه أكبر عدد ممكن من المتذوقين ؛ ذلك أننا سنلمس من أجل هذا التعليل عناصر واقعة محققة في الشيء موضوع الحكم .

ولكن إذا كانت المسألة في تذوق التفاحة والحكم عليها مسألة حواس ، فإن تذوق العمل الأدبي والحكم عليه أعوص من ذلك بكثير . صحيح أن هناك عناصر حسية واقعة في العمل الأدبي ، وأن تأليف هذه العناصر وتركيبها له خطره في تقرير جمال العمل الأدبي أو قبحه ، ولكن هل ينكر أحـــد أن في العمل الأدبي عناصر فكرية وروحية تشارك مشاركة فعالة في تقرير جمال هذا العمل أو قبحه ؟ إن العمل الفني نشاط روحي قبل كل شيء ولا بد إذن ـ كيما نحكم عليه حكما عادلا وصادقا ـ أن يكون نشاطنا الروحي مدربا تدريبا يمكننا من تلقي العمل الأدبي ، والتفاعل مع ما فيه من ألوان النشاط الروحي والفكري . وهذا يحتاج إلى كثير من المزاولة التي يفتقر إليها كثيرون ممن يتحدثون في النقد أو يصدرون أحكاما نقدية . ؟

عز الدين اسماعيل

معركة البلاط :

عبد الرحمن الغافقى

البطل الشهيد

— ١ —

كان عبد الرحمن الغافقى رحمه الله ، بطلا بعيد الهمة ، حازم الإدارة ، وكان جديرا بتخليد اسمه ، وترداد ذكره ، لولا أن حافظة التاريخ لا تعى غير أسماء محظوظة ، كتب لأصحابها النصر فى النهاية ، ولقد أبدى هذا البطل العظيم من ضروب الفدائية ، وروائع التضحية ما يدهش ويعجب ، إلا أنه كان فى المعركة الأخيرة مع بسالته الخارقة قائدا بغير جنود .

وقد نشأ نشأة مباركة ، فصحب كرام الصحابة ، وتلقى الفقه والحديث عن عبد الله بن عمر وغيره ، وفاضت نفسه حماسة للإسلام وشغفا بانتصاره ، فنزح فيمن نزح إلى الأندلس من البواسل الكماة مجاهدا فى سبيل دينه ، ثم تألق نجمه فيما اشترك فيه من الغزوات والحروب ، فعرف بالشجاعة والمروءة ، واكتسب إجلال معارفه وأصحابه ، وتقدم الصفوف قائدا ممتازا ، يرسم الخطط ويدير المعارك .

وكانت الأندلس فى عهدها الأول مرتعا للفتن والثورات ، ومسرحا للخلاف القبلى والعنصرى ، وقد وليها بعد موسى بن نصير أناس لم يثبتوا للحوادث ، حتى رأسها السمح بن مالك الخولانى فأعاد إليها النظام والاستقرار ، وأبرز مهارته الإدارية ، وكان بطلا مقداما ، فرأى أن يستأنف الغزو ، ويرفع راية الجهاد ، وتقدم بجيشه الباسل ، فاقى كثيرا من النجاح والتوفيق ، واستعاد أربونة وقرقشونة ومعظم قواعد سبتمانيا وحصونها ، وأقام بها حكومة إسلامية ، ثم اتجه إلى أكوتين ، فوجد مقاومة عنيفة ، ولكنه اكتسح العدو اكتساحا رائعا ،

وتقدم إلى تولوشة فوقف أمام جيش كثيف ، يفوقه عددا وعددا ، فلم يعبأ به واخترق صفوفه ، وقذف بجنوده فى حومة حمراء تعج بالدماء ، وشاء القدر أن يسقط شهيدا فى مأزقه الكريه ، فانسحب المسلمون ثانية ، بعد أن فقدوا قائدهم البطل ، وخسروا عددا كبيرا من الجنود .

وكان عبد الرحمن الغافقى أحد جنوده فى المعركة ، فأجمع الجيش على اختياره للقيادة ، ورأى من الحنكة أن يرتد إلى الجنوب ، ولكن حزنه الأليم على مصرع قائده ، واستشهاد زملائه ، جعله يفكر جديا فى الانتقام لمصارع الأبطال ، واستئناف الغزو والهجوم .

ولم يرض الوالى الإفريقى عن اختيار الغافقى للقيادة ، وكانت الأندلس تابعة له فى تعيين الولاة ، فبعث بغيره مكانه ، إلا أن القلق والاضطراب فى مدى خمسة أعوام متتابعة قد أجبره على تعيين عبد الرحمن مرة ثانية ، فعاد الأسد إلى عرينه ، يتقدم الصفوف ، ويجهز الكتائب للنضال .

بدأ عبد الرحمن بإصلاح داخلى يقوم على العدالة والمساواة ، فعدل نظام الضرائب ، وعزل من العمال من حامت حوله الريب والظنون ، وأظهر تسامح الإسلام فى معاملة النصارى واليهود ، فلهجت الألسنة بالثناء عليه ، وفرح الأندلسيون بولايته فرحا زائدا ، ولم يكن ليحابى أحدا فى سبيل الحق والعدالة ، بل إن أخلاق الإسلام قد سرت فى عروقه ، واختلطت بدمائه ، فألهمته سبيل الرشاد ، وقد غزا غزوة عاجلة ، فغنم أسلابا وفيرة ، وكان فيما أصابه عمود صغير من الذهب المرصع بالدر والياقوت ، فأمر به فكسر ثم أخرج الخمس كما أمر الله ، وقسم الباقى على من معه من الجنود ، فغضب والى إفريقية غضبا شديدا ، إذ كان يود أن يتقدم به إليه مجاملة ، فكتب يتوعده فى لهجة قاسية ، فرد عبد الرحمن يقول : « إن السموات والأرض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين مخرجا منها ! ! » وذلك يدل دلالة ساطعة على إيمان القائد وورعه ، وتخلقه بالخلال الإسلامية واضحة شفافة ، فهو لا يعبأ بكبير فى الحق ، ولا يدخر لنفسه شيئا دون جنوده ، وبهذه الشمائل العالية نال ثواب الله ، واحتل شغاف القلوب .

وكان هذا البطل الباسل يعزم عزما أكيدا على تحقيق أمنية موسى بن نصير فى الفتح الإسلامى ، فهو يريد أن يوغل فى أرض الإفرنج حاملا مدنية الإسلام وحضارته

إلى شعوب غارقة فى الظلام والضلال ، ثم يعطف إلى الشرق فينفذ من القسطنطينية إلى دمشق وبذلك يعم الإسلام القارة الاوربية ، وينتشل شعوبها من الظلمات إلى النور ، هذا إلى أن مصرع السمح بن مالك ورفقائه ، كان يذكى فى صدره نار الحمية ، فهو يود - وقد شاهد المأساة - أن يؤدب هؤلاء الذين ظنوا الظنون الوخيمة بقوة الإسلام ، فأشاعوا الشائعات المسمومة حول شجاعة أبطاله ، ومقدرة قواده ، ومن ثم أخذ يدرب الجيوش ، ويحشد الذخائر ، ويضع كل جندى فى موضعه اللائق بكفاءته ، ولم تثنه أعباؤه الإدارية عن إعداد الجيش ، وإذكاء الحمية فى نفوس تتطلع إلى النصر أو الاستشهاد ، كما انتخب فرقاً مختلفة من البربر وعهد بقيادتها إلى أبطال من العرب ، فأحسنوا تدريبها الحربى ، وأضافوا إلى الجيش الإسلامى قوة عظيمة ، وقد خلع الغافقى بعمله هذا على البربر مكرمة خالدة !! فشعروا أنهم لا يقلون عن العرب كفاءة وموهبة ، وإن كانت روح الإسلام لم تهيمن على مشاعرهم هيمنة تامة عاجلة ، فقضوا - بعد - أمداً كبيراً فى التوجيه والاستعداد .

وقد رأى عبد الرحمن أن يطهر الجبهة الداخلية ، قبل أن يشتبك مع أعداء الإسلام فى موقف حاسم ، فبعث بكتيبة من جنوده إلى عثمان بن أبى نسعة ، وكان من قبل والياً بربرياً على الاندلس ، فعزل عنها ، وعين حاكماً لولايات البرينيه ، فاضطرم حسداً وحقداً على الغافقى ، وتعاهد مع أعداء الإسلام على مقاتلته ، بل إنه تزوج ابنة دوق (أوكتين) ليضمن مساعدته فى قتال عبد الرحمن ، وكان هذا الدوق بين نارين ، فهو يخشى من الجنوب الجيوش الإسلامية التى أصبحت على مقربة منه ، تهدد مقاطعته ، وتدمر حصونه ، كما يخشى جيوش الإفرنج من الشمال ، وقد بعث (شارل مارتل) بطلائعها الزاحفة لمناوشته ، وإسقاط معاقله ، فاضطر اضطراراً مجازفاً إلى معاهدة ابن أبى نسعة ، ومصاهرته أيضاً ، وطار الخبر إلى عبد الرحمن فأرسل إلى الوالى الخائن جيشاً بقيادة أحد المهرة من جنوده ، لحاصره وقتله جزاء مروقه وخيانته .

عبأ الغافقى جنوده واستأنف الغزو طبقاً لمشروعه الضخم الذى رصد حياته لتنفيذه ، فاكتسح المدن الواقعة على نهر الرون ، ثم هجم على ولاية (أكوتين) وحالفه النصر فمزق جيوشها ، وطارد فلولها ، وسقطت فى يده ، وتابع زحفه منتصرا فى جميع خطواته ، حتى افتتح نصف فرنسا الجنوبى من الشرق إلى الغرب فى بضعة أشهر ! وأصبحت العاصمة

الفرنسية مهددة بالسقوط ، وقد التهب جنوده حماسة وحمية ، وزادهم إقداما ما يتوجون به فى كل معركة من النصر الباهر والفتح العظيم ! ! .

انزعجت أوربا انزعاجا صارخا لتقدم الجيوش الإسلامية ، وفزع زعماء المسيحية ، فأرسلوا صيحاتهم الصليبية فى آفاق أوربا ، وبذلوا أقصى ما يقدرون عليه فى إشعال الكراهية للإسلام ، وتأريث العداوة لرجاله ، وكان ملك الفرنجة ضعيفا عاجزا يتولى حاجب قصره (شارل مارتل) قيادة أموره فتجمع حوله الصليبيون ، وقدموه قائدا للكفاح النصرانى ، وكان ذا أطماع واسعة يهدف إليها من وراء قيادته ، فحشد جيشا ضخما يؤلف العصابات الجرمانية ، والعشائر المتوحشة ، ويجمع طوفانا مرعبا من الآدميين المتوحشين ، وقد خرجوا حفاة عراة يتشحون بجلود الذئاب والنمور ، ويرسلون ضفائرهم الممتدة فوق ظهورهم ، فيرسمون للوحشية البدائية صورا مزعجة حمراء ، وضاقت بجموعهم الكثيفة سهول فرنسا ، فتدافعوا على ضفاف اللوار متراصين متزاحمين ! !

« يتبع »

محمد رجب البيومى
المدرس بوزارة التربية والتعليم

الأمومة والأبوة

قال برنارد شو :

لست معلما للأمهات ، ولست مدربا للأطفال . ولكننى أحتقر المرأة إذا تزوجت ولم تقم بواجبها كأم وزوجة فى آن معا .

وأمقت الرجال إذا تزوجوا ورزقوا أبناء وجعلوا حياة أبنائهم كالجحيم .

إن من لا يستطيع القيام بحق الأبوة والأمومة ، ينبغى له أن لا يكون أبا أو أما .



أخلاقنا فى الريف

تجاوبت دعوات المصلحين فى كل ناحية من نواحى المجتمع ، ولمست أيديهم كل شأن من شؤوننا القومية ... وكان للدعوة الإصلاحية جولات فسيحة فى حياة الريف ، ونظرات وثابة نحو الأخلاق فى البيئات القروية . وقد عشنا نرى ونسمع ما يجرى بيننا فى الريف من آثار الخلق ، ونسمع ونقرأ ما يبدو من ذوى الفكر ، وأصحاب الأقلام ، وأهل الجد ، من محاولات مشكورة لإصلاح الوسط الريفى ، وتهذيب أخلاقه ، والسير به إلى الوجهة التى يلتقى فيها مع الأوساط الأكثر منه إدراكا للحياة ، وفهما للحضارة ، ومعرفة بالمكارم الخلقية .

ولكننا ـ مع الأسف ـ ما زلنا نجد الريف على قديم عهده من الناحية الخلقية ، وإذا كان جائزاً فى عرف الزمن الماضى أن تقف مصلحة المستعمر ويقظته عقبة فى سبيل الإصلاح الشامل ، وأن يعزل الريف عن مجاراة الحياة فى أفقها الواسع ، فخليق بنا بعد أن هيأ الله لمصر وثبة مرموقة أن تتطلع إلى يد الإصلاح توالى نشاطها فى استئصال ما بالريف من أدواء عضال .

فليس الريف مجرد حقل زراعى كما يخال أناس ، بل هو حقل آدمى للبيئة الأولى ، وللكثرة الساحقة من سواد الشعب .

وتركه على قديمه يعتبر تركا للأكثرية التى يتألف منها عداد الأمة .

وإذا كان الجهل فى الريف هو الجرثومة الأولى ، أو هو الداء العياء ، أو هو الحاجز الكثيف الذى انكمش الريف وراءه ، فقد انبثق للعلم فى ثنايا القرى نور لم يكن معهوداً لها قديماً ، وبه أصبح الأمل فى العلاج أقوى إذا اقترنت الوثبة الإصلاحية بروح دينية ، وعناية بالثقافة الإسلامية ، ولم يقف نشاط التعليم عند الجانب المدنى الذى لا يعنى بتربية الروح كثيرا ، ولا يكفى لإنضاج الخلق الإسلامى ، فضلا عن أن التعليم المدنى فى ظروفنا هذه تتنازعه شطحات أخرى للشباب المدرسى نرجو أن يبرأ منها قريباً .

وما أحسب عيوب الريف فى أخلاقه بحاجة إلى إيضاح ، فأكثرنا عارف بما هناك من تحاسد وأحقاد متغلغلة فى أبناء القرية ، تراها كامنة فى الصدور ، ويثيرها تفاوت يطرأ فى الرزق ، أو توفيق لبعضهم فى ناحية من نواحى الحظ .

وهناك رغبة ملحة فى تتبع العورات ، وإفشائها ، وهناك شماتة فيمن يصيبه إخفاق فى مقصد من مقاصده . وهناك نزوع إلى الغمز فى الشخصيات ، والغض من أقدار الناس .

وهناك أنانية تدفعهم كثيرا إلى الخصومات ، بل تدفعهم إلى التهافت على الباطل وهم يعلمونه باطلا ، ولكنهم بارعون فى الضلال والمحاولات الوضيعة لكسب الدعاوى المكذوبة .

وهناك إسفاف فى استغلال أقويائهم لضعفائهم ، واستذلال أغنيائهم لفقرائهم ، مع الشح الممقوت الذى يكاد يكون طابعا معترفا به بين أهل اليسار والإعسار ، ولو كانوا ذوى قربى ، أو فى الصف الأول من أولى الأرحام .

وما أحب أن أشق على القارىء فى استيعاب ما فى الريف من مآخذ ، فتلك غاية يندفع إليها موتور ، أو حانق على البيئة المصرية ، أو غير حريص على الوفاء بحق بلده وعشيرته .

وبين أهل الريف الذين نتحدث عنهم فئة ضخمة العدد من رجال التعليم : هم يعرفون أن الأمل كان عالقا بهم أن يفيدوا فى جانب الإرشاد ، وأن صلتهم بأهليهم وقومهم فى المجالس ، وفى المصليات والمساجد ، ستكشف لهم عن كل مخبوء ، وتتيح لهم أن يتضافروا فى التوجيه .

ومن أجل ذلك رُبِّى لهم أن يكونوا بمدارس قراهم ، وألا يزحزحوا عن مساقط رؤوسهم .

ومن أجل ذلك أيضا سمعوا يوما أنهم ورثة الأنبياء . وذلك استنهاض كان يكفى لإبدائهم من النشاط الأدبى ما فرض فيهم قديما .

ولكن القرية جذبتهم إلى تقاليدها ، ولم يجتذبوها إلى ناحية معرفتهم وهدايتهم ، وتمخض الأمل فيهم عن أبواق للمهاترة فى جانب حزب دون حزب ، أو متابعة وجيه دون وجيه .

وفيما عدا ذلك وقفوا عند غاياتهم الشخصية : ففريق ينزع إلى المقاهى الريفية ، وتخير

الطرقات الحافلة بالمارة ، والتندر بالفكاهات ولو غير مستساغة ، وفريق مكدود فى تربية الماشية ، وتكوين الملكية ، وإفساح الزراعة ، واكتناز النقود عن كل واجب ، ولو كان واجب أم محرومة ، أو أخت بائسة .

وأصبح اتصالهم بالعمل فى أضيق حدوده بصغار التلاميذ ، دون أن تكون لهم صلة تهذيبية بالأوساط التى جيء بهم إلى مقرها لتبليغ الرسالة التى وصفوا كذبا بأنهم ورثة الأنبياء فيها .

ثم هم اليوم ، وبعد أن استكانوا إلى ذلك الوضع ، فى عداد أهل الريف الذين نرثى لحالهم ، وننشد النظر إليهم ، وندعو إلى إصلاح شأنهم .

وسنعود إلى الحديث .

عبدالخالق امام موسى
المدرس بمدرسة سبك الضحاك الأميرية

تزكية سلبيـة

كان شوبنهور الحكيم الالمانى يحسن الفكاهة ، على كونه إماما للفلاسفة المتشائمين فى العالم .

وكان فى شبابه قد لبى اقتراح جامعة كوبنهاجن فكتب رسالة فى (أصول الأخلاق) وعرضها على مجلس الأساتذة مع العارضين فلم تظفر بالجائزة ، وظفرت بها رسالة أخرى لا يقرأها الآن أحد ، ولا تذكر إلى جانب الرسالة التى كتبها شوبنهور فى شبابه وظلت إلى الآن مرجعا فى فلسفة الأخلاق وأصول الاجتماع .

ومن ذلك الحين يتكرر طبع رسالة شوبنهور ، وعلى الصفحة الأولى منها ، بالخط العريض : « لم تقبلها جامعة كوبنهاجن » .

... كأنما هذا الرفض من تلك الجامعة اعتبره شوبنهور تزكية لكتابه ، وتقريظاً يستحق الإعلان والتنويه .



توجيه الشباب

تنحرف الاقلام فى بعض الايدى فتتجه عن قصد أو عن غير قصد نحو دعوة الشباب إلى التحلل، وإغوائهم بمسايرة العواطف الجنسية، ويلقنونهم التعلل عن أنفسهم بأن عاطفة الشباب أغلب عليه من كل اعتبار آخر، وأن تقاليد مجتمعنا قاسية على الشبان: إذ لا تفسح لهم المجال فى استيفاء رغباتهم، ولا تقدر الظروف المحدقة بهم الخ.

وأولئك يرون حتما أن تلين التقاليد، فلا تكبت العاطفة فى نفس صاحبها، ولا تنكر على الرجل أن يعانق أو يقبل من تعلقت بها رغبته، وأينما كان.

وقد كنا نربأ بتلك الاقلام الكريمة أن تتورط فى هذه الفتنة، وندخرها للتوجيه الصالح وللمؤازرة فى السمو بالجيل الجديد عن التدهور، واقتلاع الرذيلة من صفوفه، وتربية الحياء فى وجهه، وتركيز الخلق الرفيع فى نفسه، حتى يكون من الشباب جيل جديد ترتجيه الامة فى نهضتها الفتية، وتحرص اليوم على حسن إعداده، وتأمل أن تبنى على سواعده وفى ضوء فتوته مجدها الذى تداركته قبيل انهياره: لا ذلك الشباب الرخو الذى طاوع قديماً أبواق الفساد والتضليل، وشب على غير تقاليدنا، حتى كاد ينصرف عن رجولته، ويجهل قوميته ويتنكر لدينه، ولوطنه، ولبيئته.

كنا نربأ بتلك الاقلام الكريمة أن تسخر نفسها لهذه النغمة المشئومة، ثم تتكلف الدفاع عن موقفها بأنها تحاول الإصلاح الخالق، وأنها تحافظ على الشبيبة إبان نشأتها، وتحنو عليها بين الدوافع القاهرة والضرورات الحاجزة بينها وبين الحياة الزوجية.

وأنها فى سبيل ذلك تواجه الواقع بشجاعة، فهى تقدر للشباب عذره، وتخلق له متنفسا فى جوانب الحياة المغلقة.

ذلك المتنفس: هو ما دعا إليه طبيب أديب فاضل، حينما كان يصطاف فى سويسرا، ورأى هناك ما رأى من عرى فاتن، ولكن بمداومة النظر لم يعد يتأثر بذلك الجمال - كذا

يقول ! ـ فهو ينشد الإباحية فى مصر آمنا خطرها ، وزاعما أنها تدفع خطرا أشد ، وهو الطبيب الأديب الذى يذكر قول الشاعر :

إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلّك ما شفاكا

وأحسبه يذكر أن وعيه الباطن قد احتفظ بذكريات هذا الجمال ، وأنه وإن غاب عن عينه وذهنه فهو كمين فى وعيه ، وكأن دعوته إلى التوسع فى الحرية الشخصية صدى لما يهتف به وعيه ، ولا يلبث أن يستفزه الشجن إذا هاجته الذكريات .

دعانا الطبيب الفاضل إلى التجاوز عن القبلة والعناق من أى شاب ولأية امرأة ، ونحن نؤمن بأنه لا يستسيغ ذلك لنفسه ولا فى المحيط الذى ينتمى إليه ، فكيف يجهر بالناس أن يعملوا به ؟ ذلك المتنفس : هو الذى ألح فى الدعوة إليه كاتب جليل يطلب إعادة البغاء الرسمى كما كان ، وتتسع بعض المجلات لتكرار هذه الدعوة ناسية وناسيا معها ذلك الكاتب الأديب أنها وصمة من وصمات الاحتلال يوم كانت يده الغاشمة تدفع بمصر إلى الوراء ، وتغمرها بأنواع من اللهو لا تبقى بها على وطن ولا أمة ، ولا دين ولا خلق .

يزعم كاتبنا الجليل أن إعادة البغاء وقاية للشباب من خطر أفحش ، ودرء لثورة العاطفة الجنسية أن يستفحل عدوانها ، وهل كانت العاطفة أو ثورة الشباب مكفوفة يوم كان البغاء قائما ؟ ولم كانت الأمة تجأر بالشكوى من تغلغل العدوى الجنسية فى غير بيوت الدعارة ؟ وهل كان البغاء إلا تسجيلا للوصمة المخزية التى دمغنا بها الاحتلال ؟ .

أرجح أن هذه النغمة التى يتناولها من تناولها من قبيل زلات الرأى ، وعثرات الأقلام . وكتابنا الأفاضل يعلمون أن فى تاريخ الجماعات ما يغنى عن التجارب ، وأن الفوضى الجنسية باسم التنفيس عن العاطفة كم كانت معول هدم لنظام المجتمع وسبب انتكاس لراية الدولة ، لذلك أجمعت الشرائع السماوية على حظر هذا التنفيس الذى يدعون إليه ، ولم تعتبره مطلقا من الهفوات التى يحسن فى شأنها التسامح . ومن لم يؤمن بالشرائع فليذكر ما تحدث به إلى العالم كله حاكم فرنسا ـ بيتان ـ يوم سقطت رايتها فى الحرب العالمية الأخيرة ، فقد سجل على دولته فى مضض ولوعة أن سبب نكبتها لم يكن إلا من متابعتها للذات والشهوات ، والسير فى مساقط الحرية الجنسية الخ .

فما بال إخواننا ينسون هذا ، وينسون أن لنا دينا وتقاليد تأبى علينا هذا الانحراف ! خليق بهم أن يعالجوا المسألة من طريقها المشروعة ، فيطلبوا تحديد المهور بأيسر ما يسمى صداقا ، وبإلزام الشباب القادر أن يتأهل ويبنى أسرة ، بدلا من التهرب وإيثار العزوبة ، والتطلع هنا وهناك .

ويطلبوا كف المرأة عن الإسراف فى مظهرها الذى زعزع كثيراً من ثقة الرجل فيها ، وحمل أغلب الشباب على التخوف ، وقياس من لم يعرفها على من عرفها ، فركن إلى الوحدة ، وحفلت بيوت الأسر بالعوانس من الفتيات الصالحات للزيجة الهنيئة .

ذلك هو الطريق فاسلكوه ، ودعونا من همزات الشياطين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الخـــــــــير

فى الحديث النبوى

* خير الناس من طال عمره وحسن عمله .
* خير الناس أنفعهم للناس .
* خير النكاح أيسره .
* خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه .
* خير ما أعطى الناس خلق حسن .
* خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى .
* خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح .
* خياركم أحسنكم قضاء للدّين .

المثـالية الواقعية

فى الفـكرة الدينية

أولا — العقيــدة :

عقيدة الإسلام بسيطة مفهومة ، يستطيع الفيلسوف أن يغوص فى أعماقها فيجد نشوة ، ويستطيع العامى أن يهضمها فى مجملها فيستريح .

ومن بساطتها أنها مرتكزة على التوحيد الخالص ، والواحد الصحيح يفهمه الخاص والعام ، دون التواء أو تعقيد .

فليس فيها الثلاثة الذين أصلهم واحد ، ولا الواحد الذى يتمثل فى ثلاثة ، إلى غير ذلك من التعقيدات ، التى تحتاج لتبسيطها إلى التطرق إلى الرموز والأقانيم ، وهـــذه أمور أكثر تعقيداً .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه يرتكز إلى صيغة « لا إله إلا الله » وهى تنفى الألوهية عن كل أحد حين تثبتها لله ، ومن ثمّ يكون فى هذا كل نفى لأى شرك ضمنا ، ودون حاجة إلى عبارة جديدة .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه يتعرض لوصف ذات الله بطريق نفى المماثلة عنها ، دون أن يلجأ إلى التفصيل فى وصفها مباشرة « ليس كمثله شىء » ولذلك قالوا : « كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » . وهذا المسلك تهضمه كل العقول ، إذ ليس فى طاقة الآلة الإنسانية أن تحيط بهذه القوة الإلهية ، ومن ثم فكل ما يعرض لها من وصف لذات الله فستحمله محملا يطابق ما يراه الإنسان وما يألفه فى هـذه الحياة ... ولذلك جاء وصف ذات الله بتلك الطريقة السلبية ، وهـذا الوصف يرضى العقل ، لأنه من المنطق أن يكون الخالق بخلاف المخلوقين ، من حيث ذاته ومن حيث إدراك هذه الذات « لا تدركه الأبصار

وهو يدرك الأبصار » . وفى الوقت ذاته لا يورط ذاك الوصف الإنسان فى تفصيلات هذه الموازنة بين الخالق والمخلوق حتى لا يزل ولا يضل .

ولو راجعت ما ورد عن الإسراء ، وما ورد عن المعراج ، من نصوص قرآنية ونبوية لوجدت مصداق هذه الحقيقة ... فأنت تشاهد فى نصوص الإسراء تفصيلا وتحديداً ، لأن الإسراء رحلة أرضية فى طوق العقول أن تتتبع مشاهدها ، لكن المعراج لقاء ربانى ليس فى طوق الإنسان أن يدرك حقيقته ، لذلك جاءت الإشارات الربانية والإيقاعات القرآنية فى شأنه سريعة خاطفة « ما زاغ البصر ، وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه قرر فكرة الجزاء فى عقيدته ، فإن الإنسان بحكم تكوينه مخلوق لا يقوم بذاته ، وهو محتاج إلى الفضل ويسوؤه الأذى ، ومن ثمّ كانت مخاطبته بالثواب والعقاب مسايرة لفطرته ، متمشية مع طبيعته ، لذلك فصلت الآيات والأحاديث القول فى وصف الجنة بنعيمها ومتاعها ، وفى وصف النار بجحيمها وعذابها . وتعرض هذا الوصف للنعيم الحسى والعذاب الحسى لمن لا يزنون الأمور إلا بموازين الحس الغليظ ... كما تعرض للنعيم النفسى ، والعذاب النفسى ، لمن ينشدون الراحة المعنوية ، ويهربون من جحيم الروح ، فأنت تقرأ فى الناحية الأولى « لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب » . « ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ».وتقرأ عن التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم .

بينما تقرأ فى الناحية الثانية صور القلق النفسى ، والاضطراب الروحى « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » . « وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار . أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار . إن ذلك لحق تخاصم أهل النار » .

ومن بساطة التوحيد الإسلامى أنه غذى فى النفس البشرية نوازع الرغبة والرهبة ، فلله سبحانه تعالى أسماء الجمال والجلال ، فهو الغفور الودود الشكور ، وهو العزيز الجبار المتكبر . وهناك جنته التى أعدها للمتقين ، كما أن هنالك النار التى توعد بها العاصين .

وهناك الملائكة النورانيون الذين ترى فيهم رمز الخير والطاعة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ، وهناك الشياطين المردة الذين يتمثل فيهم الكفر والمروق والعصيان ، والإنسان يجرى منه الشيطان مجرى الدم . كما أن الملائكة تحوطه وترعاه .

* * *

هذه العقيدة فى بساطتها مثالية ، تقدم للإنسان فكرة كلية عن الكون والحياة ، وترضى فيه الإيمان بالغيب ، والتطلع لغير المحسوس ، وتغذى أشواق الروح وفطرة الخلق فى التطلع للخالق .

وهى عقيدة واقعية من حيث بساطتها وتقبل الناس لها كما أسلفنا ، وهى واقعية من حيث آثارها الاجتماعية التى لا تتأتى إلا بها ، والتى تجعل منها حاجة حتمية للمجتمعات الإنسانية .

فالإنسان لا يتحقق توازنه النفسى والعقلى إلا بأن يعرف مركزه فى هذا الكون ، هل هو القوة الأولى التى تتحكم فى كل شىء فيطغى ويطيش ، أم هو عبد الطبيعة ، وريشة فى مهب الريح فيضعف ويستخذى ؟ ؟ ؟

إن العقيدة الربانية تجعل هذا الكون الذى خلقه الله مسخراً بأمره لعباده من بنى آدم الذين كرمهم وفضلهم تفضيلا ، ومن هنا يأمن صاحب العقيدة شر العجز الكسير ، وشر القوة المغرورة سواء بسواء ، فهو لا يلتصق بالأرض ولا يشمخ فى السماء ، لا يطغيه الفرح ، ولا تشقيه المصيبة ، إن أصابته السراء شكر فكان خيراً له ، وإن إصابته الضراء صبر فكان خيراً له .

والناس لا يتحقق فيهم التوازن الاجتماعى ، إلا إن استشرفوا قوة أكبر من الإنسان ، ومتاعا أكبر من الحياة الدنيا ، فإن تجاهلوا قوة الله وحساب اليوم الآخر فسيعيشون فى حدود أنفسهم ، ومن ثم ستكون النتيجة الحتمية لمن آمن بالإنسان فقط أن يؤمن بنفسه فقط ، لأنه إنسان ، لا يزيد غيره من الناس عنه شيئاً .

وستكون النتيجة الحتمية لمن آمن بالدنيا فقط أن يؤمن بدنياه فقط ، وعليه أن يحرز من هذه الدنيا أكبر قسط عن أى طريق ، ما دامت هى غاية همه ومبلغ علمه .

وهنا تتأصل جذور الأنانية الفردية ، والمادية النفعية فى المجتمع الإنسانى . ولن تستطيع الفلسفة الأخلاقية أن تثمر ثمرتها ، ما دامت هذه الفلسفة نتاجا إنسانياً من إنسان مماثل ، وليست وحياً من قوة عليا ، فهو يستطيع أن يأخذ من هذه الفلسفة وأن يدع ، وفق مصالحه ورغباته هو وحده ، ولن يستطيع القانون أن يقتلع هذه الجذور الشريرة ، لأنه صناعة إنسانية ، فلماذا يكلف الإنسان نفسه أن يخضع لإنسان ؟؟

وقد تهدد الإنسان بالقوة ، وهنا يكلفه منطقه الفردى النفعى أن يوازن بين الأرباح والخسائر ، فإن كان الخروج على سلطان القوة يكلفه أكثر سكن ولكن إلى حين ، وإن كان هذا الخروج أكثر ربحاً وأقل خسارة خرج ينعم فى دنياه ، ويحقق منفعة ذاته .

ثم من هذا الذى سيحرس الفضائل الإنسانية عن طريق القوة ؟ ؟ ومن هذا الذى سيقيم القانون بين الناس ؟ ؟ إنه إنسان مثل الناس ، أنانى مثلهم ، نفعى مثلهم ، يحتاج لغيره أن يهدده بسلطان القانون وسيف القوة .

وهكذا ستحتاج إلى حارس يحرس الحارس من نفسه ، وحارس آخر لحراسة حارس الحارس ، وهكذا سيكون كل الناس فى الدنيا حراساً بعضهم على بعض ، ومحروسين من أنفسهم ، ولن تجد أخيراً من يحرس الطبقة العليا من الحراس .

وهيهات للعدالة السياسية والاجتماعية والدولية أن تستقر فى مجتمع كهذا .

أما تربية النفوس على مراقبة الله واليوم الآخر ، فإنه يجعل كل إنسان يراقب الله فى علاقته بالناس ، ويعمل للآخرة فى سعيه لدنياه .

ومن ثمّ يقوم فى كل نفس حارس على القيم والمثل والفضائل . حارس من صنع العقيدة فهو أقوى وأكفى من كل حارس ، وهو حارس (مجانى) لا يتكلف أجراً ولا سلاحاً .

أفليست العقيدة إذن (حاجة) واقعية حتمية لكل مجتمع إنسانى ؟ ؟

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

لغويات

هذا أحمد مدرس النحو

جرى بحث فى هـذا الأسلوب من الوجهة النحوية . ذلك أن « مدرس النحو » جرى وصفاً للمعرفة ، وهو نـكرة ؛ إذ هو وصف أضيف إلى معموله ، فقصره أن يـكون وصفا للنـكرة ؛ كما فى قوله تعالى فى الآية ٩٥ من سورة المـائدة : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الـكعبة » فترى أن « بالغ الـكعبة » وقع وصفا للنـكرة مع إضافته إلى معرفة ، ويسمى النحويون هذه الإضافة لفظية ، وهى إنمـا تفيد التخفيف بترك التنوين فحسب ، والمعروف أن مثل هذا إذا وقع وصفاً للمعرفة يجب قرنه بأداة التعريف ، فيقال فى مثالنا : هذا أحمد المدرس النحو . وقـد وقف بعض الباحثين عند هذا الحد أخذاً بظاهر هذه القاعدة السابقة . وفى الحق أن لهذه القاعدة تكملة قد تسوغ ما أنـكره هذا الباحث ، وتجيز المثال الذى صدر به هذا البحث ، وقد أردت أن أبسط الـكلام فيه بعض البسط .

يذكر النحويون أن الوصف إذا كان اسم فاعل أو اسم مفعول فإنما تـكون إضافته لفظية إذا كان للحال أو الاستقبال . فأما إذا كان للمضى فإضافته حقيقية . فإذا أضيف إلى معرفة صح أن يوصف به المعرفة . وجاء من ذلك قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » ؛ ألا ترى أن فطر السموات والأرض أى إبداعهما وشقهما قد مضى . وكذلك جعل الملائكة رسلا إذا فسر ذلك بخلقهما على هـذه الصورة . فأما إذا كان الوصف صفة مشبهة فإنها لا تتعرف بالإضافة إلى معرفة بحال .

وقد عرض لهذا سيبويه فى الـكتاب ١ / ٢١٣ . ويؤخذ منه أن الوصف إذا عرف الموصوف به يقع صفة للمعرفة إذا أضيف لمعرفة ؛ إلا الصفة المشبهة فلا يكون فيها ذلك . وهذا حيث يقول : « وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى المعرفة ، التى صارت

صفة للنكرة قد يجوز فيهن كلهن أن يكن معرفة وذلك معروف فى كلام العرب . يدلك على ذلك أنه يجوز أن تقول : مررت بعبد الله ضاربك ، فتجعل (ضاربك) بمنزلة صاحبك . وزعم يونس أنه يقول : مررت بزيد مثلك إذا أرادوا : مررت بزيد الذى هو معروف بشبهك ، فتجعل (مثلك) معرفة ، إلا حسن الوجه فإنه بمنزلة رجل ، لا يكون معرفة » . يريد سيبويه أن الوصف فى « مررت بعبد الله ضاربك » معرفة ، إذ كان عبد الله عرف به . وهو إنما يعرف به إذا كان قد ضربه فيما غبر من الزمن . فمن هذا أخذ أتباعه تعرف الوصف بإضافته للمعرفة إذا كان للمضى . وانظر قوله : « إلا حسن الوجه فإنه بمنزلة رجل ، لا يكون معرفة » فهذا يقضى بأن الصفة المشبهة لا تتعرف البتة . وهذا مذهب البصريين ، وعند الكوفيين أن إضافة الوصف إلى المعرفة تكسبه التعريف مطلقا ، وسيمر بك مزيد فى هذا .

وجاء فى الكتاب العزيز وصف المعرفة بالوصف المضاف إلى معرفة ـ عدا ما ذكر فى سورة فاطر ـ فى موضعين :

الأول : فى قوله تعالى فى سورة الفاتحة : « مالك يوم الدين » .

والثانى : فى قوله تعالى فى سورة غافر : « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » .

فالأول جاء فيه « مالك يوم الدين » وصفاً للفظ الجلالة . ويخرجه بعضهم على أن الوصف فيه وإن كان للمستقبل نزل منزلة الماضى ، لتحقق وقوعه ، كما فى قوله تعالى : أتى أمر الله ، فهو لهذا معرفة .

فأما الموضع الثانى فى سورة غافر فلا يأتى فيه هذا التخريج ؛ فإن غفران الذنوب وقبول التوبة وشدة العقاب ليست فى الماضى فقط ، ومن ثم جعل بعض النحويين هذه الأوصاف أبدالا ، وإبدال النكرة من المعرفة سائغ مقبول . ويغض من هذا الوجه أن وقوع الوصف بدلا عزيز .

وذهب متأخرون من النحاة ــ كالزمخشرى ـ إلى أن الوصف ـ عدا الصفة المشبهة ــ

إذا أريد به الاستمرار أو الوقوع فى الأزمنة كلها جاز أن يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ؛ باعتبار ما فيه من المضى . وعلى ذلك خرج « مالك يوم الدين » إذا أريد أن هـذا وصف دائم لله سبحانه وتعالى . وكذلك « غافر الذنب » و « قابل التوب » . وهؤلاء لما لم يتم هذا فى « شديد العقاب » إذ كان الوصف فيه صفة مشبهة أولوه بمشد العقاب أى جاعله شديداً ، فكان فى معنى اسم الفاعل ، فتعرف من هذا التأويل . وخرج بعضهم من هـذا بأنه على حذف أل ، فأصلة الشديد العقاب ، وقد سوغ حذف أداة التعريف الرغبة فى التناسب مع الوصفين السابقين مع أمن اللبس وظهور المراد .

وقد سلف أن الكوفيين يجعلون إضافة الوصف مطلقاً حقيقية . وفى البحر ٧ / ٤٤٧ : « وحكى صاحب المقنع عن الكوفيين أنهم أجازوا فى حسن الوجه وما أشبهه أن يكون صفة للمعرفة . . . . وقال أبو الحجاج الأعلم : لا يبعد أن يقصد بحسن الوجه التعريف ؛ لأن الإضافة لا تمنع منه انتهى ، وهـذا جنوح إلى مذهب الكوفيين » . وفى هذا سعة أية سعة .

وأعود بعد هذا للمثال المصدر به البحث ، وهو : هذا أحمد مدرس النحو . فإن كان المراد أنه وقع منه ذلك فى الزمن الماضى ، وانقطع منه هـذا الحدث فلا إشكال فيه ؛ إذ هو معرفة بالإضافة وإن أريد أن هـذا وصفه الدائم فلنا أن نذهب مع الزمخشرى وأتباعه فى النظر إلى جانب الماضى ، فتكون الإضافة أيضا حقيقية تكسبه التعريف . فأما على مذهب الكوفيين فهو سائغ بمرّة ، لا يحتاج إلى نظر ولا اعتبار .

ومن هذا قولهم : الموضوع سالف الذكر لا يعجبنى . وترى أن الوصف فيه للمضى ، فهو جائز عند الجميع .

* * *

بارك الشيخ هـذا الأمر ، برّك عليه ، وبرّك فيه

يكثر فى هذه الأيام أن يقال : بارك الوالد زواج ابنه ، وبارك رئيس الدولة الجهود التى تبذل لإصلاح البلد . وظاهر أن المراد الدعاء بالبركة أن يمنحها الله من يدعى له بذلك ، والبركة من الله .

وقد فرقت اللغة بين منح البركة والدعاء بها . ففى الأول يقال : بارك الله فلانا وبارك له ، وبارك فيه ، وبارك عليه ، وفى الثانى يقال : برّك عليه ، وبرك فيه . وفى اللسان : « البركة : النماء والزيادة . والتبريك : الدعاء للإنسان وغيره بالبركة . يقال : برّكت عليه تبريكا أى قلت له بارك عليك . وبارك الله الشىء ، وبارك فيه ، وعليه : وضع فيه البركة » .

وفى الأساس : « بارك الله فيه ، وبارك له ، وبارك عليه ، وباركه . وبرّك على الطعام وفيه إذا دعا له بالبركة » .

وفى النهاية لابن الأثير — ونقله صاحب اللسان — : « وفى حديث أم سليم : فحنكه وبرك عليه أى دعا له بالبركة » . وفى البخارى فى (باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة) عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها حين ولدت عبد الله بن الزبير أتت به النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه ، ثم حنكه — أى دلك حنكه بالتمرة — ثم دعا له وبرك عليه أى قال : اللهم بارك فيه أو بارك عليه . وفى سيرة ابن هشام فى غزوة الخندق أن جابرا رضى الله عنه دعا النبى ﷺ ومن معه على شويهة طبخت ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، قال جابر : فجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرجناها إليه ، فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس . وفى القاموس (زخى) : « زخى كَسُمَىّ والخاء معجمة عنبرى من ولد قرط بن عبد مناف صحابى برك عليه النبى صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه » .

وقد يستعمل الكتاب التبريك مصدرا ، ولا يكادون يستعملون الفعل منه ، وفى أهرام ١٩٥٤/٩/٥ فى الحديث عن بعض المعاهدات ، فوصفها المتحدث بأنها « حادث سار يستحق كل تبريك وتقدير »

* * *

قلع ثوبه . جلع ثوبه

يقال فى لسان العامة : قلع ثوبه . وينطق معظم سكان ريف مصر القاف بين الكاف والجيم ، كما ينطق الجيم سكان القاهرة ، وينطق سكان القاهرة وما جاراها القاف همزة ، فيقولون : ألع . وهكذا يذهبون فى تصاريفها . وهذا الاستعمال لا تسوغه اللغة ، فإن القلع إنما يكون لشىء له أصل ينتزع منه ، تقول : قلعت الشجر واقتلعته .

وقد بان لى أن هذا تحريف عن الجلع . والجيم ينطق بها بعض أهل اليمن

بين الجيم والكاف ، فظن بعض من سمعهم أنها قاف ، وجاء المتأخرون من سكان القاهرة فجعلوها همزة ، كما يجعلون كل قاف .

فالصواب أن يقال : جلع ثوبه ، وأن يؤخذ فى هذا التصريف .

وفى اللسان : « جلعت عن رأسها قناعها وخمارها - وهى جالع - خلعته ؛ قال :

ياقوم إنى قد أرى نوارا   جالعة عن رأسها الخمارا

وقال الراجز :   جالعة عن رأسها وتجتلح

أى تنكشف ولا تتستر ... وقال الأصمعى : جلع ثوبه وخلعه بمعنى » . والنصيف الخمار وكل ما غطى الرأس . وقد ذكر ابن السكيت فى كتابه « القلب والإبدال » جلع وخلع ، وهذا يقضى بأن أحدهما بدل من الآخر . وانظره فى الكنز اللغوى ص ٢٩ ؟

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

النفس الرفيعة

إنى لأرفع نفسى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، وجهل أكثر من حلمى ، أو عورة لا يواريها سترى ، أو إساءة أكثر من إحسانى .

معاوية

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلى :

شخص يبيع سلعة بخمسة قروش مثلا ، وإذا كان المشترى عاجزاً عن دفع الثمن فورا أجل له الدفع مع زيادة عن الثمن الذى يبيع به ، فيزيده مثلا من خمسة قروش إلى سبعة . فهل هذا يعد من قبيل الربا أم يكون بيعا حلالا ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن بيع السلعة بثمن مؤجل زائد عن الثمن الحاضر جائز ، وليس من قبيل الربا . والله أعلم ؟

— ٢ —

ما قولكم ـ دام فضلكم ـ فى رجل عنده مال ويرغب إخراج زكاة ماله ـ هل يجوز أخذ زكاة المال ليشيد به جزء من مسجد أم لا ؟ أفتونى بالصواب رحمكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن من مصارف الزكاة المذكورة فى قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء » الآية (سبيل الله) .

وقد فسره بعض العلماء على ما نقله الشيخ القفال من علماء الشافعية بكل مصلحة خيرية كتكفين الموتى الفقراء ، ومن ذلك بناء المساجد وعمارتها ، وإنشاء المستشفيات والملاجىء ونحو هذا من المصالح .

وبناء على هذا الرأى يصح صرف الزكاة فى بناء المساجد إذا كان المسجد يحتاج لذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

– ٣ –

ما رأيكم فى بيع البيرة وجواز بيعها أو عدم الجواز ؟ وما رأيكم فى شربها حسب المقرر فى المذاهب الأربعة ؟ أرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال . وتفيد بأن شرب البيرة حرام ، لأن الكثير منها مسكر ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، وحينئذ لا يجوز الاتجار فيها بيعاً وشراء ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

ركن الطلبة :

من علماء الأمس ...
إلى علماء اليوم !!

إلى علماء اليوم أقدم شخصية من شخصيات التاريخ كان لها أثر قوى ونداء صارخ صريح، شخصية لم تخف إلا الله ولم تحب إلا الحق!! كان شجاعا جريئا خلد التاريخ اسمه، وكان قويا بعلمه معتزاً بكرامته، فدك العروش وقوض أنصار الظلم، وأزهق الباطل وانتصر على كل بدعة وضلالة، تلك الشخصية هى شخصية الإنسان العظيم والرجل الحر والعالم الجليل: «عز الدين بن عبد السلام» الذى مثل سلطان العلماء وقوتهم وزهدهم وورعهم أصدق تمثيل... عاش هذا العالم طوال حياته لم يركن لكسل ولم يرضخ لخمول، بل قاوم وجاهد حتى عذب ونفى وسجـــن، كان هذا الشيخ أول من ترك الدعاء للسلطان فى خطبة الجمعة حين بغى واستبد ... ويقول ابن السبكى فى طبقاته عن هذا العالم الجليل: «إنه وقف فى وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلا: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلى، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى الحرام، وضربته سكة ونقدا وفرقته ولم يقم بالكفاية، لك أن تطلب القرض وأما قبل ذلك فلا».

ولما توفى هذا العالم القوى ومرت جنازته تحت القلعة شاهد الظاهر بيبرس كثرة العلماء الذين خرجوا مع الجنازة فقال لحاشيته: «اليوم استقر أمرى فى الملك، لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس فى« بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره !!».

وهكذا فلتكن رسالة العلماء فى أوطانهم: قوة علمية، وسلطة روحية، يخافهم الحاكم، ويخشاهم الظالم والفاسد !!.

نريد للأزهر علماء يخلدون أسماءهم، ومن ثم يخلدون معهم جامعتهم الأزهرية العتيقة !! فهيا يا رجال الأزهر، اعملوا وأدوا رسالتكم التى حملكم الله إياها. والعهد الذى نعيش فيه عهد يتطلب العمل والكفاح.

إن الندم على ما فات مجلبة لغيره من الآفات، وإن الماضى لن يعود أبدا، فلنعمل على تحسين حاضرنا، ولنواجه المستقبل المجهول بنفس قوية وقلب شجاع ؟

موسى صالح شرف
كلية اللغة العربية

الأدب والعلوم

رسالة الأزهر فى العهد الجديد

نوهنا فى ص ٥٩ من الجزء الماضى بالمؤتمر الإسلامى المزمع عقده فى موسم الحج القادم لإعداد سياسة إسلامية ثابتة بعيدة المدى لرعاية مصالح الشعوب الإسلامية والدفاع عن حريتها ، وتكوين كتلة إسلامية عالمية يكون لها وجود إنسانى يعتد به بين المعسكرين الشرقى والغربى . وقد نيط القيام بسكرتارية هذا المؤتمر بالقائمقام أنور السادات وزير الدولة فى الوزارة المصرية بعد تعديلها الأخير. وقد عقد اجتماعا طويلا مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتب السكرتارية العامة بدار المؤتمر الإسلامى نوقشت فيه رسالة الأزهر من جميع الوجوه بوضوح وصراحة . وتحدث الوزير فى هذا الاجتماع عن الدور الذى ينبغى أن يضطلع به الأزهر فى العهد الجديد - باعتباره أكبر هيئة إسلامية فى العالم - فقال : إنه يرى أن نشاط المؤتمر الإسلامى ونجاحه يتوقفان - إلى حد كبير - على ما سيقدمه الأزهر من جهود ، وما يفتحه من آفاق جديدة فى شتى الميادين . وأخطر رسالة يمكن أن يضطلع بها الأزهر هى الخروج بدعوته إلى أركان الأرض العامرة بالمسلمين ، والتى ظلت محرومة حتى الآن من التوجيه والثقافة الصحيحة لرسالة الإسلام . واقترح الوزير على الأستاذ الأكبر أن يبدأ الأزهر فورا فى سد النقص الواضح فى هذه الناحية بمضاعفة عدد المبعوثين إلى الخارج وخاصة داخل القارة الأفريقية التى تعتبر أفقر بقاع العالم فى هذه الناحية على أن يكون اختيارهم من الشباب الأزهرى المتحمس الذى ألم بقسط وافر من الثقافة والخبرة . وعلى أن يزودهؤلاء المبعوثون بكل ما يحتاجون إليه لأداء رسالتهم على الوجه الأكمل .

وتناول الوزير مسألة التعاون بين الأزهر وسكرتارية المؤتمر فقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر مشروع تنسيق العمل بينهما لدراسته واتخاذ الخطوات اللازمة لوضعه فى أقرب فرصة موضع التنفيذ العملى .

قالت « الجمهورية » التى اعتمدنا عليها فى نقل هذه التفاصيل : ويعتبر اجتماع السيد الوزير بالشيخ الأكبر بداية فترة حاسمة من النشاط ستظهر نتائجها العملية فى خلال

أسبوعين أى فى الموعد المحدد لسفر الدفعة الأولى من المبعوثين الدينيين إلى الخارج .

الأزهر فى المدن المصرية

وافق مجلس الوزراء على أربعة مراسيم بإنشاء معاهد دينية تابعة للأزهر فى كل من الفيوم ، وبنها ، وبنى سويف ، ودمنهور .

وزارة التربية والتعليم

طالما شكونا فى صفحات هذه المجلة من أن وزارة المعارف المصرية لا تزال ـ كما أراد لها دانلوب ـ وزارة تعليم لا وزارة تربية ، وأن التعليم فيها قام على أساس إعداد الموظف فى حكومة مستعمرة لا على أساس إعداد العالم فى أمة ناهضة أو العامل فى وطن ينشد التقدم ، وأنها لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية .

ولأول مرة فى تاريخ وزارة المعارف المصرية يتولاها جندى من غير المتخرجين فى مدرسة دنلوب ، ولأول مرة فى تاريخها يقرر مجلس الوزراء أن يكون اسمها « وزارة التربية والتعليم » . والجميل فى هذا القرار تقديم التربية على التعليم ، فهل لنا أن نطمع فى الوزير الجندى الذى تولى قيادة دفة وزارة التربية والتعليم أن يوجد فيها التربية الخلقية والإسلامية والعقلية والقومية ؟ على هذا يتوقف مصير مصر ، وهى فى الانتظار .

تسلو بن الجيل الصالح

جمع وزير التربية والتعليم (الصاغ كمال الدين حسين) ممثلى هيئات المعلمين ، وخطب فيهم فقال : « إن مصر فى عهدها الجديد ـ عهد البناء والتعمير ـ تحتاج إلى التعاون والتكاتف بين هيئاتها ، إذ أنها فى فترة لم تمر وقد لا تمر فى تاريخ البلاد . نحن الآن فى معركة حاسمة ، فمستقبل الثورة ومستقبل البلاد فى أيديكم أنتم رسل العلم والعرفان ، ولو أمكننا أن نخرج لهذا البلد جيلا صالحا نكون قد خدمناه أجل خدمة » .

المؤتمر الكشفى العربى

انعقد فى دمشق مؤتمر للكشافة فى الأوطان العربية . وكان مما قرره :

١ ـ توحيد المصطلحات الكشفية فى العالم العربى .

٢ ـ تأسيس لجنة تشرف على الحركة الكشفية فى مختلف الأوطان العربية .

٣ ـ ضرورة اطلاع كل كشاف عربى على تاريخ أمته وجغرافية البلاد العربية .

٤ — أن يتولى الكشافون تعليم الأميين وتوجيههم إلى ما فيه خير البلاد وأهلها

الاتحاد العلمي العربي

تقرر إقامة اتحاد علمي لتنظيم التعاون بين المشتغلين بالعلوم في الدول العربية ، وقد اجتمعت اللجنة التأسيسية لهذا الاتحاد في مدينة بيروت في الأيام الماضية لمناقشة مشروع النظام الأساسي للاتحاد . وسيكون مقر اللجنة المركزية للاتحاد في القاهرة على أن تتبعها لجان فرعية .

خطر الانفجار الذري

ألقى الدكتور ادجار أدريان رئيس الجمعية البريطانية للتقدم العلمي في أوكسفورد خطبة الافتتاح في الاجتماع السنوي العام للجمعية ، وقد أعلن في هذه الخطبة أن العلم تقدم إلى درجة أصبح معها من الممكن في المستقبل القريب أن يضغط إنسان على زر فيدمر ثلثي الكرة الأرضية ، وأن التقدم في العلوم الطبيعية يصحبه تقدم مماثل في وسائل الحرب ، وليس الخطر منحصراً في مثل القنابل الذرية والهيدروجينية ، فإن استمرار الانفجارات الذرية سيؤدي إلى تشبع الجو بإشعاعات تزداد كل يوم إلى أن تبلغ درجة لا يمكن لأي كائن حي أن يحتملها . وقد اتخذ العلماء احتياطات كافية لوقاية الإنسان أثناء استخدام الطاقة الذرية في الصناعة ، ولكن إذا نشبت حرب فلن يكون هناك وقت لتنفيذ تلك الاحتياطات .

كلية إسلامية جامعية

لأول مرة في تاريخ الحياة الجامعية في البلاد العربية تقوم الحكومة السورية بتأسيس كلية شرعية إسلامية لتكون إحدى كليات الجامعة السورية في دمشق . وقد كان ذلك بقرار من مجلس النواب السوري . وينتظر أن يكون من أساتذتها الشيخ مصطفى الزرقا والدكتور مصطفى السباعي وآخرون . والقائمون على تنظيم الكلية سيتصلون بالأزهر للاستعانة ببعض مدرسيه في هذه الكلية الإسلامية الجديدة .

معهد غزة الديني

يفتتح في الشهر القادم معهد ديني إسلامي في غزة خصص له الأزهر في ميزانيته ثلاثة آلاف جنيه ، وتبرعت له المجالس البلدية في غزة بتسعمائة جنيه سنويا . وقد أوفد الأزهر إلى غزة أحد مدرسيه ومدير ميزانيته للإشراف على إنشاء المعهد الذي يضم في بداية الأمر مائة طالب يصرف لكل منهم جنيه شهرياً .

أنباء العالم الإسلامي

الأسلحة للجيش المصرى

أعلنت وزارة الخارجية البريطانية فى يوم غرة المحرم (٣٠ أغسطس) أن الحكومة البريطانية رفعت الحظر الذى كان مفروضا من ثلاث سنوات إلى الآن على تصدير الأسلحة إلى مصر . ومعنى هذا أن مصر تستطيع ابتداء من هذا التاريخ أن تستورد من بريطانيا ما تريد من الأسلحة من مختلف الأنواع ، بما فى ذلك الطائرات النفاثة والدبابات والمدافع والبنادق .

وكانت الأنباء التى أذيعت أخيرا عن استعداد أمريكا لإمداد مصر بعون مالى وعسكرى قد أثارت شيئاً من القلق فى انجلترا إذ خشيت بعض الدوائر أن تحل أمريكا محل بريطانيا فى تصدير الأسلحة لمصر .

ومعلوم أن الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلاء عن قناة السويس يقضى بأن تضطلع مصر بمسئولية الدفاع عن هذا الممر المائى الحيوى ، وأن رفع الحظر عن شراء مصر للأسلحة البريطانية سيمكنها من تحمل هذه المسئولية الخطيرة .

ومع ذلك فإن التصريح الثلاثى من بريطانيا وأمريكا وفرنسا فى سنة ١٩٥٠ بشأن الاحتفاظ بالسلام فى الشرق الاوسط ومنع التسابق على التسلح فى هذه المنطقة لا يزال مرعيا وقد أخطرت به إسرائيل كما أخطرت به مصر عن طريق السفارة البريطانية بالقاهرة وسيكون هذا التصريح الثلاثى هو الضابط لشحنات الأسلحة .

دفاع العرب عن أنفسهم

قدم مستر جون لو مندوب مجلة « ذى يونيتد ستيتس نيوز اند ورلد ريبورت » ٦٥ سؤالا إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن المشاكل التى تواجه مصر والشرق الاوسط وفى مقدمتها موقف العرب من الدفاع عن أنفسهم ، فأبدى البكباشى جمال اعتراضه على أية معاهدة دفاعية عن الشرق الأوسط وآسيا أو عن الشرق الأوسط وحده ، تكون الدول الكبرى مشتركة فيها ، وقال : « إن العرب يعملون لتنظيم الدفاع عن كيانهم والوقوف فى وجه أى اعتداء يوجه ضدهم . وهم يخشون من الوقوع تحت سيطرة الدول الغربية ، وخوفهم هذا يجعل من الافضل أن

تترك لهم التدابير الخاصة بأى نظام للدفاع عن المنطقة التى يعيشون فيها . وفى وسع العرب - متى حصلوا على الأسلحة اللازمة - أن يؤلفوا ١٢ فرقة عسكرية فى مدة تقل كثيراً عن المدة التى لزمت لفرنسا لكى تعد الفرق المقرر أن تعدها لتشترك بها فى الجيش الأوربى » .

وقال : إنه ضد مساهمة أى دولة عربية فى أى حلف دفاعى كالحلف المعقود بين تركيا والباكستان . وأبدى رأيه فى قيام نظام للدفاع عن الشرق الأوسط تساهم فيه بريطانيا وأمريكا فقال : إنه لا يستطيع أن يقبل أى مشروع من هذه المشروعات ، لأن شعوبنا ضد أى نظام من هذا النوع ، إذ أنها تعده نوعا من الاستعمار المقنع .

وقال : إنه أوضح هذه الحقيقة للمستر دلاس ، وأكد له أن فرض أى نظام من هذا النوع على الشرق الأسط سيهيء الفرصة أمام الشيوعيين لإثارة الحقد والكراهية ضده . ووجود قواعد أمريكية فى ليبيا يهيء للشيوعيين فرصة لنشر دعايتهم السيئة فى الشرق الأوسط والعالم العربى .

بقاء اسرائيل

سأل مندوب المجلة الأمريكية « ذى يونيتد سيتس نيوزاند رلد ريبورت » الرئيس جمال عبد الناصر إذا كان يرى أنه لا بد من تسوية الأمور بين العرب وإسرائيل قبل قيام نظام الدفاع عن منطقة الدول العربية ، فأجاب قائلا : « أعتقد أن بقاء إسرائيل سيؤثر دائما فى الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط - كما هو الحال الآن - لسبب بسيط وهو أن إسرائيل تشطر العالم العربى إلى جزءين » .

وسئل إذا كان بقاء النزاع العربى الإسرائيلى سيعوق تسليح منطقة الشرق الأوسط وتقويتها فقال : « إنه ليس لهذا النزاع تأثير فى أى عمل من ناحيتنا ، ومن الطبيعى أن يلجأ الإسرائيليون إلى كل وسيلة لمنع وصول أية معونة عسكرية إلينا ، فهم بعملهم هذا سيؤثرون فى الأمور المتعلقة بالدفاع عن الشرق الأوسط » .

اسرائيل واتفاقية الجلاء

دارت فى البرلمان الإسرائيلى فى يوم أول المحرم (٣٠ أغسطس) مناقشة حول جلاء الإنجليز عن قناة السويس ورفع الإنجليز الحظر عن بيع الأسلحة لمصر ، فقال موسى شاريت رئيس وزارتهم :

« إن الاتفاق الذى تم بين مصر وبريطانيا قد وضع دون أية مراعاة لإسرائيل ، فقد تجاهلها كما لو كانت لا وجود لها ، وتجاهل التصريحات التى صدرت فى مصر وفيها تأكيد للعزم على مواصلة الحرب كما تجاهل التهديدات التى قيلت علنا عن الهجوم على إسرائيل » .

وتناول مسألة تزويد أمريكا للعراق ومصر بالأسلحة فقال : إن الجامعة العربية خلقت حول إسرائيل حلقة من الكراهية والحقد تستوجب أن نبنى قوتنا العسكرية بحيث يمكن أن نقف فى وجه قوة الدول العربية مجتمعة كلها . وإن ما يقلقنا الآن ويغضبنا هو أن الولايات المتحدة تضيف بسياستها إلى متاعبنا متاعب جديدة . فقد حدث عندما أعلنت أمريكا أنها ستقدم إلى مصر مساعدات عسكرية ، أنها اشترطت أن تسوى أولا مسألة منطقة قناة السويس ، دون أية إشارة أو شرط بشأن إسرائيل .

وأشار بعد ذلك إلى الضمانات التى قدمتها أمريكا وبريطانيا إلى إسرائيل فقال :

« إننا نقدر من كل قلبنا ما جاء بهذه الضمانات من نية حسنة ومن عطف ، ولكننا لا نستطيع قبول هذه الضمانات فى الوقت الذى تزداد فيه قوة جاراتنا بدرجة تضر بنا »

برنامج النقطة الرابعة

قال الرئيس جمال عبد الناصر لمندوب مجلة « ذى يونيتد ستيتس ازورلد ريبورت » الامريكية : حاول الشيوعيون أن يقنعوا أكثرية الشعب المصرى أن برنامج النقطة الرابعة الامريكى ليس إلا عملا استعماريا . وانتقد البكباشى جمال هذا البرنامج وقال : إنه يهيىء للبلاد معونة فنية بقدر ضئيل ، وليست له نتيجة مادية يلمسها الجمهور ، والجمهور يريد نتائج مادية يستطيع أن يلمسها حتى يدرك أن ثمة معونة حقيقية

تنمية الانتاج المصرى

تحدث الرئيس جمال عبد الناصر مع الدكتور حسنى خليفة رئيس تحرير وكالة الأنباء المصرية فقال : أدركت الثورة وحكوماتها أن تنمية الإنتاج ينبغى أن تسير وفقا لبرنامج حددت أهدافه ورسمت وسائل تحقيقه ، وكانت المشكلة التى تواجهنا هى العمل على زيادة الرقعة المنزرعة فى حدود مياه التخزين الحالية ؛ فقررنا برنامجا يهدف إلى استصلاح ٣٥٠ ألف فدان كما عملنا على تحسين الصرف فى ٢٠٧ آلاف فدان ووضع برامج تعميم التقاوى المنتقاة فزاد ذلك فى إنتاج الزراعة الرئيسية بما لا يقل عن الربع وبدأنا بالدراسات الواسعة بالتعاون مع الخبراء الاجانب لإنشاء (السد العالى) لنتمكن من استصلاح مليونى فدان من الأراضى البور ، وتحويل بقية أراضى الحياض إلى نظام الرى المستديم وضمان زراعة ٧٠٠ ألف فدان للأرز .

وتقرر إقامة صناعات الحديد والصلب والكاوتشوك والبطاريات والسماد والورق

والجوت ، وتنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان ، وسيتلوه توليد القوة من السد العالى ونقلها إلى القاهرة ورسم سياسة لكهربة القطر كله . وفتحنا أبواب الصحراء الغربية لشركات البترول ، وشجعنا شركات الإنتاج الحالية على مواصلة البحث والاستغلال فى الصحراء الشرقية ، وكدنا نفرغ من توسيع معمل التكرير الأميرى لترتفع طاقته من ٣٠٠ ألف إلى مليون و ٣٠٠ ألف طن ، وشرعنا فى مد خط للأنابيب من السويس إلى القاهرة ، وسيمد فى السنوات القادمة إلى الإسكندرية ويقام معمل للتكرير فى القاهرة أو الإسكندرية .

وبعد أن أشار إلى برنامج النهضة الاقتصادية فى عشر سنوات قال : إن الاقتصاد المصرى يسير فى طريق النمو المنتظم وقد حددت حكومة الثورة الأهداف والمعالم والوسائل ، وراحت تمهد الأرض أمام الأموال المصرية وغيرها لأننا نؤمن بالتعاون الذى يستوحى فلسفته من المصلحة المتبادلة .

مصر والحرس الاردنى

سلم سفير مصر فى عمان إلى الحكومة الأردنية مبلغ ٢٧٦ ألف جنيه مصرى (أى ٣٠٠ ألف دينار أردنى) وهو قيمة نصيب مصر فى نفقات الحرس الوطنى الأردنى .

التقدم فى سوريا ولبنان

عاد الدكتور سليمان عزمى وزير الصحة السابق من دمشق بعد أن ترأس فيها المؤتمر الطبى العربى ، وهو يقول عن التقدم فى تلك الديار الشقيقة : زرت سوريا فى خلال الثلاثين السنة الأخيرة ثلاث مرات أو أربعا ، وزرت لبنان أكثر من خمس مرات ، وفى كل مرة كنت ألاحظ من مظاهر التقدم والنشاط العمرانى والاجتماعى أكثر مما لاحظته فى المرة السابقة . ومما يسر له كل عربى أنك لا ترى حافيا ولا مستجديا فى كل من سوريا ولبنان ، فكلا الأمرين يكاد يكون معدوما فى القطرين الشقيقين ، وترى كل شخص من السكان فيهما يسعى فى طلب الرزق بكل وسيلة من الوسائل الشريفة .

وهذا التقدم الواضح فى كل من القطرين لا يرجع إلى همة الحكومة ونشاطها فقط فى كليهما ، بل إن للشعب السورى واللبنانى أثرا واضحا للعيان فى مظاهر النهضة المتجددة . وقد قال لى أحد سائقى السيارات لمناسبة من المناسبات : « سواء سارت الحكومة إلى الأمام أو إلى الخلف فإن شعبنا يسير دائما إلى الأمام » .

٣

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثالث ـ القاهرة فى غرة صفر ١٣٧٤ ـ ٢٩ سبتمبر ١٩٥٤ ـ المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الثالث ـــ المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

التأمين

لأوقاف المسلمين المرصدة على جهات البر فى مصر - ومنها أوقاف الحرمين الشريفين - عمارات سكنية للاستغلال فى القاهرة والإسكندرية وسائر أنحاء الوطن المصرى ، بعضها عظيم جسيم من ناطحات السحاب ، وبعضها متوسط ، ومنها ما هو دون ذلك .

ومن ربع قرن إلى الآن كانت وزارة الأوقاف تدفع لشركات التأمين نحو ألفين وخمسمائة جنيه فى السنة تأميناً على بعض هـذه العمارات من الحريق ، على اعتقاد أن ذلك فى مصلحة الأوقاف الإسلامية ، وأن الضرورة قد حملت عليه ، حتى إذا وقع حريق فى بعض هذه العمارات الموقوفة على جهات البر كانت شركات التأمين ملزمة بأن تعوض للأوقاف عما التهمته النيران منها . وقد بلغ مجموع ما خرج من ريع هذه العمارات المرصودة لجهات البر الإسلامية ودخل فى صناديق شركات التأمين ما يكفى لبناء عمارتين من ناطحات السحاب فى خلال نحو ربع قرن ، فما بالك بما كان يدفع قبل ذلك . ومنذ سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) لم ترزأ شركات التأمين من عشرات ألوف الجنيهات التى ابتزتها من أموال الأوقاف إلا بنحو خمسمائة جنيه فقط ، وخسرت الأوقاف ما كان يكفى لأن تقيم به ناطحتى سحاب أو أكثر .

إنها مقامرة ، وكان الرزء فيها دائماً على أوقاف المسلمين . ولعل الرزء الأدبى فى الإقدام على المقامرة وتحمل وبالها وتقديم القدوة السيئة للناس ، أفدح من الرزء المادى بعشرات كثيرة من ألوف الجنيهات صرفت فى مصرف لم يكن يسمع به الواقفون ، وما كانوا ليسمحوا به لو أنهم سمعوا به .

ومنذ نحو عشرين سنة أو أكثر كتبت مقالا فى صحيفة الفتح أشرت فيه إلى هذه المعانى ، واقترحت على أهل كل حرفة - كالناشرين وأصحاب المكتبات مثلا - أن يكوّنوا من بينهم لجنة خاصة بحرفتهم يختارون أعضاءها من أهل الأمانة والديانة والأخلاق النبيلة ، فيضعوا

تحت يدها صندوقاً يجمعون فيه ما كانوا يدفعونه عادة لشركات التأمين من رسوم سنوية ، ويتوون به أن يكون إعانة منهم لمن ينكب بالحريق من رجال مهنتهم الداخلين فى هذا الاتفاق ، وأن يتخذوا جميع أسباب الرقابة القانونية والحيطة المالية لحفظ هذا المال ، حتى إذا وقع حريق - لا قدر الله - عوضوا على من نكب به من مال هذا الصندوق ، ويكون فى ذلك مثوبة لكل من ساهم فى هذا العمل الذى تحول من مقامرة تحرمها الأديان ، إلى تعاون على البر ينال به صاحبه رضا الرحيم الرحمن .

ولكن خلق التعاون لايزال عندنا ضئيلا ، ولا نزال فى حاجة إلى بثه فى النفوس ، إلى أن تعتاده وتذوق حلاوة ثمراته . لذلك بقى هذا الاقتراح فى عالم الخيال ، إلى أن امتلأ قلبي سروراً فى الأسبوعين الماضيين بإقدام أخى الأستاذ الباقورى على تحقيقه فى وزارة الأوقاف على أكمل الوجوه وأنفعها ، فتعاون مع مجلس الدولة على صياغة مشروع تقوم به وزارة الأوقاف نفسها بمهمة التأمين - منها ولها - بالنقود التى كانت تدفع حراما لشركات التأمين على سبيل المقامرة .

ومما جاء فى مشروع وزارة الأوقاف :

« ينشأ صندوق تأمين بوزارة الأوقاف للتأمين على العمارات الاستغلالية التابعة للأوقاف التى تحت نظر الوزارة ومرصدة على جهات بر . ويعتبر الصندوق شخصاً معنوياً من أشخاص القانون العام ، ويمثله وزير الأوقاف أمام الغير ، وعلى الأخص أمام السلطات القضائية والإدارية . وتكون للصندوق ميزانية خاصة مستقلة عن ميزانية وزارة الأوقاف ولكن ملحقة بها . وتباشر أعمال الصندوق مراقبة الحسابات - كأى عمل من أعمال الوزارة - ولكن تشرف على ذلك لجنة للرقابة من وكيل الوزارة ، والمدير العام لقسم القضايا ، والمراقب العام لقسم الحسابات ، والمدير العام لقسم الهندسة ، والمدير العام لقسم الأملاك . ويتكون مال الصندوق من الرسوم التى تحصل من ريع العمارات التى يؤمن عليها لدى الصندوق ، وتحدد النسبة التى تقدر على كل عمارة بحيث لاتزيد على ٥ ٪ من قيمة العمارة ، ويحتفظ الصندوق بجزء من الحصيلة لمواجهة الحوادث الطارئة ، وما يزيد على ذلك يستغل فيما يدر ربحاً للصندوق ويضم لرأس المال . وتقتصر التزامات الصندوق على حوادث الحريق الناجمة فى الظروف العادية (أما الحوادث الناجمة عن حوادث الحرب ، أو فى مثل حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، فالتعويض يكون من الحكومة بالنسبة للسياسة العامة) .

ويقضى هذا المشروع بأن تعد استمارة لكل مبنى يطلب التأمين عليه ضد الحريق مبيناً فيها قيمة العمارة وتاريخ إنشائها والمدة المحددة لاستهلاكها .

وإذا كانت الوزارة - أو مجلس الدولة - استثنى من الاشتراك فى هذا الصندوق العمارات التابعة للأوقاف الأهلية لأنها أصبحت ملكا خاصاً لأصحابها ، ولئلا يختلط حساب الأوقاف الأهلية بحساب أوقاف البر ، فأى مانع يمنع أن يكون صندوق آخر لعمارات الأوقاف الأهلية مادامت لاتزال تحت يد وزارة الأوقاف ، ولماذا لايقتطع منها رسم التأمين كما يقتطع رسم عوائد الحكومة على المبانى إلى أن تخرج هذه العمارات عن نظارة الوزارة وإدارتها ، وحينئذ تسلم لمن تأول إليهم مع نصيبهم من الرسوم الموجودة فى الصندوق الخاص ، فذلك خير للأوقاف الأهلية من الاستمرار فى التأمين عليها لدى الشركات ، مع ملاحظة الحكم الشرعى فى الحالتين .

ولقد توسعنا فى الحديث عن هذا الضرب الجديد من التأمين الموافق لروح الإسلام ، لأننا نرى فى هذا العمل الطيب من وزارة الأوقاف قدوة صالحة لايبعد أن نسمع عن آثارها وأمثالها فى البلاد الإسلامية الأخرى كباكستان وأندونيسيا ، ويكون الفضل التاريخى فيها لمصر لأن هذه الفكرة صدرت عنها . ومن حيث المبدأ نتمنى لو فكرت فى مثل هذا المشروع كل وزارة مصرية - كوزارة التربية والتعليم - فيما تحت أيديها من مبان جرت العادة بأن يؤمن عليها لدى شركات التأمين ، وإذا لم تكن المبانى التى تحت يد كل منها متعددة بحيث تستحق أن يكون لها صندوق مستقل ، فإن فى إمكان وزارة المالية ، أو وزارة الأشغال ، أو وزارة البلديات أن تتولى هذا الأمر عن جميع الوزارات فتجعل لها كلها صندوقا واحداً ترصد فيه الأموال التى تدفع الآن لشركات التأمين ، فتبقى أموال الدولة تحت يد الدولة ، وتتضامن الوزارات كلها فى هذا التعاون الجميل .

أما التأمين لدى الشركات - بجميع أنواعه - فلا ريب أنه نوع من أنواع المقامرة ، وكل مقامرة فى الدنيا ركزت أنظمتها على أن يكون الربح المضمون للإدارة التى اتخذت ذلك مهنة لها . وفى المقامرة على النقود فى الأندية مهما خسر المتقامرون أو كسبوا فكلهم فى الجملة خاسرون إلا نادى المقامرة ، فإنه يربح دائما من جيوبهم نفقاته وأرباحه التى يسميها رسوما . والمقامرة التى زعموا أن لها وجها من المصلحة كالتأمين من الحريق ، أو على السفن من الغرق ، أو على الحياة . . . الخ فإن الذين تجمعهم المصلحة الواحدة من دافعى رسوم

التأمين إذا عرفوا كيف يتعاونون على إنشاء صندوق تأمين بإشرافهم ولمصلحتهم كما فعلت وزارة الأوقاف ، وكما سبق لى اقتراحه قبل نحو عشرين سنة ، فإن معنى المقامرة يتحول فيه إلى معنى آخر نبيل من معانى الإحسان والتعاون بل والاقتصاد .

الحلال بين ، والحرام بين . ولكل منهما أنصار تهش نفوسهم وتبتهج قلوبهم لاتساع دائرة ما يقع منها موقع الرضا . وقد قرأت ـ وأنا أكتب هذه الكلمة ـ فقرة فى يوميات إحدى صحف القاهرة يدعو كاتبها إلى عمل تأمين جماعى لدى إحدى (شركات) التأمين لأصحاب جزائر النيل الزراعية التى تغرق فى مواسم الفيضان ، وإلى أن تفرض الدولة تأمينا إجبارياً ضد دودة القطن . ترى هل هذا إعلان تجارى لمصلحة شركات التأمين كسائر إعلانات الصحف ؟ لست أدرى ، ولكن الذى لا يشك فيه أحد أن شركات التأمين لم تؤسس وتنفق على إدارتها النفقات الطائلة لأجل أن تتصدق على المنكوبين أو لتمثل معهم دور العون الإنسانى ، بل هى تدفع فى مثل هذه الحوادث (بعض) ما كانت أخذته وتبسط يدها ببعضه لنفقاتها وموظفيها وإعلاناتها ، ثم هى تربح بعد ذلك كله . أما الذى نقترحه نحن ففيه اقتصاد النفقات والإعلانات ، والربح فيه ثواب من الله على العمل الحلال ، ونكون فى تصرفنا هذا إسلاميين .

ولمناسبة الخوض فى هذا الموضوع الاجتماعى المهم ، نلفت أنظار الوزارات والمصالح التى يعنيها الأمر ، إلى ما يقع فيه المسلمون من الحرج بتحتيم التأمين على عمال المصانع فى مختلف الصناعات ، وإلى تحتيم التأمين على ما سيقرضه بنك التسليف الزراعى والتعاونى للجمعيات التعاونية التى تألفت أخيرا لبناء المساكن ، زد على ذلك تحتيم التأمين الذى أقحم على نظام الادخار ليحل محل نظام المعاش . وما دامت وزارة الأوقاف قد وجدت لنفسها مخرجا من إثم المقامرة بما ابتكره أخى الأستاذ الباقورى للتأمين على مبانى الأوقاف الاستغلالية من الحريق ، فهل يعجز مجلس الدولة ووزارة العدل وجميع رجال القانون والاقتصاد والمال فى الدولة عن أن يبتكروا طريقة يرفعون بها الحرج عمن لا يحب أن يأثم من مسلمى مصر؟

فى اعتقادنا أن دائرة الحلال أوسع وأوثق وآمن من دائرة الحرام ، ولا يحول بيننا وبينها إلا أن نفكر تفكيرا إسلاميا سليما ، والله الموفق ؟

محب الدين الخطيب



– ١٩ –

العذراء القانتة

مريم ابنة عمران

« وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »

---

١ — أناس من الناس لهم أثرة عند الله ، ومقام محمود بين خلق الله ، فهم فى نشأتهم محوطون بالرعاية ، وفى حياتهم مشمولون بالعناية والهداية ، ولم تكن حياتهم لأنفسهم ، بل كانوا مثلا يهتدى بهديهم ، ويسار على نهجهم ، ثم غدت ذكراهم من بعد : كالمصابيح ، تضىء للإنسانية معابر الحياة ، إذا التوت عليها الطرقات ، وتبصرها مسالك الرشاد إذا خيمت على الدنيا ضلالة ، أو رانت على البصائر ظلمة الشهوات .

فهم فى الحياة وبعد الممات كالمعالم الوضاءة فى مراحل الزمن ، وأولئك هم الهداة المهتدون ، وهم السابقون السابقون . وإنما أضفى عليهم ربك من فيضه ، وآثرهم بالمزيد من حبه ، لسبق علمه بأنهم الأصفياء والأبرار ، وهم الأوفياء والأنصار ، فهم دائماً فى جنب الله : يحمدونه على النعماء فى السراء ، ويصبرون على بلائه فى الضراء .

فلا تستكثر عليهم ذلك ، ولا تقل : لم لم يكن كل الناس كذلك ؟ ؟ فربك عليم بخلقه ، وحكيم فى أمره ، يخلق ما يشاء ويختار ، وليس لك إلا أن تؤمن طائعاً بالحق ، وأن تسلك سبيل الحق ، ولعلك بهديهم واصل إلى منازلهم أو مقترب : ورحمة الله قريب من المحسنين .

٢ — وهذه مريم ابنة عمران ، دوحة كريمة فى منبت كريم . وفرع شامخ من أصل راسخ .

ذكرها نبينا محمد — صلوات الله عليه — أول نسوة أربع ، أحرزن من المجد مالم يتح لغيرهن ، فقال : « أربع نسوة سادت عالمهن : مريم بنت عمران . وآسية بنت مزاحم — زوجة فرعون المؤمنة التى شهد لها القرآن — وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » وإن القرآن ليرفع من قدرها ، ويضاعف من شأنها ، ويردد من ذكرها ، حتى ليجعلها فوق ما يتصور المتصورون . وسنعرض لذلك بعد .

مريم ابنة عمران من ولد سليمان ، ومن ذرية إبراهيم عليهما السلام ، وأبوها عمران بن ماثان ، بعد موسى بأكثر من ألف وسبعمائة سنة ، وليس هو عمران بن يصهر أبا موسى وهارون كما يشتبه الأمر ، وقد وضع الله آل عمران هذا فى مصاف الأخيار ، وشهد لهم فيمن شهد من الأبرار ، فقال : (إن الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين) .

وحسبك أن يكون آدم أبو البشر ، ونوح وهو أبو الناس بعد الطوفان ، وإبراهيم أبو الأنبياء ، وآل عمران بما فيهم مريم وعيسى ، كلهم فى سياق الثناء سواسية ، وأن الله فضلهم على من عداهم ، وإن كانت المنازل بينهم متفاوتة فهم راجحون على من سواهم ، وليس يبلغ مبلغ أحدهم أحد ، وهم أصول باسقة بفروعها ، وفروع قائمة على أصولها (ذرية بعضها من بعض) وقديما قالوا : لا ينبت الخطى إلا وشيجه ، وقالوا : لا تنبت إلا فى مغارسها النخل .

٣ — إيه يا امرأة عمران !! تقدمت بك السن ، وكاد يتخلف عنك الحظ فى الذرية ، ولكنك ذات صلة بربك ، فاسأليه أن يمنحك ذرية تطيب نفسك لها ، وتقرين عينا بها ، ولكن امرأة عمران تبتغى الذرية لتتخذ منها زلفى إلى ربها ، فتسأله ما يشوقها ، ثم يكون من أمارات القرب إلى الله أن يتقبل دعاءها ، وإنما يتقبل الله من المتقين .

ولما أحست بالجنين توقعته غلاما ، وتعلق أملها أن تهبه للعبادة ، وتحرره من قيود البنوة ، وتتخلى عن أنسابه ، ليتفرغ للعبادة وملازمة المعبد ، على عادة البررة من أهل زمانها ، وإذ استجاب الله لها فحملت بعد ما كادت تيأس ، فإن الأمل ليقوى أن يكون الحمل غلاما

ليتم لها تحريره ، وهى لذلك تبادر بالعهد على نفسها وتقول : (رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ، فتقبل منى ، إنك أنت السميع العليم) .

ولكن امرأة عمران تفاجأ بغير ما تمنت ، فتضع أنثى لا ذكرا ، ويخالجها أسف كثير لفوات الأمل فى المولود ، فإن الأنثى لا تبلغ من الصلاحية للتحرير ما يبلغه الذكر ، ولم يكن من عادتهم تحرير البنات للعبادة والمعابد .

ولأن عدم تحقيق الأمنية قد يثير عندها من وجل الأتقياء ما يشككها فى منزلتها عند الله ، بعد أن قوى الرجاء فى ذلك منذ حملت بعد يأس ، فهى تضرع إلى ربها فى لهجة الأوابين ، وخشوع المتذللين ، وتجأر بالمعذرة عن فوات مقصودها ، وإن لم يكن ذلك من عملها ، وتقول : « رب إنى وضعتها أنثى » ، وتقول : « وليس الذكر كالأنثى » أى ليسا سواء فى المنزلة وتعلق الرجاء بهما ، ثم تركن إلى ربها فيما بقى لها من أمل فتقول : « وإنى سميتها مريم - عابدة - وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

هذه نجوى امرأة عمران إلى ربها ، ومبلغ الأمل فى وليدتها أن يحفظها من غمزات الشيطان وهمزاته ، لتكون مؤمنة تقية ، وعابدة وفية ، وطاهرة نقية ، ويكون فيها عوض لها عن الغلام الذى كانت تأمله .

وكأن امرأة عمران حينما آسفها وضع الأنثى ، فاتها أن الله سبحانه يستجيب دعاء الأتقياء على مقتضى علمه وحكمته ، وليس حتما أن يكون على وفق رغباتهم ، ولا مساراً لألفاظهم ، فهو لا يبخل عليهم بفضله ، ولكنه يعطيهم من جوده ما فيه خير لهم ، ولو كان غير مأربهم ، وربما كان أزكى مما تعلقوا به ، وذلك الفضل من الله ، فهى تصبو إلى الولد الذكر ، والله يعطيها الأنثى .

وهى تقنع نفسها بعطائه ، وترجع إلى الرضا بقضائه ، وتستعيذ بالله لأنثاها ولذريتها من الشيطان الرجيم ، فماذا كان من أثر الدعوات لها ، وماذا كان من شأن مريم وقد استقبلتها أمها كما تستقبل كل امرأة بنتها ؟

« إلى العدد القادم »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



جزاء الصالحات

— ١ —

مسألة خطيرة ذات شطرين — خيار الناس — مكانة حكيم قبل الإسلام وبعده — صدقه ما عاهد الله عليه — عقد واسطته الإسلام .

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية ، من صدقة أو عتاقة وصلة رحم [١] ، فهل فيها من أجر ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أسلمت على ما سلف من خير » . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ابن جُدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه ، إنه لم يقل يوما ربِّ اغفرلى خطيئتى يوم الدين » رواه مسلم .

* * *

يزل كثير من الناس فى مسألة خطيرة فرغ الإسلام منها ، وبينها فى كتابه المبين ، وعلى لسان نبيه الأمين ، أوفى بيان ... تلك هى مثوبة غير المسلم على ما يتعبد به من قربة ، أو يصنعه من صنيعة ، أو يقدمه من الخير العام أو الخاص .

والمسألة ذات شطرين : لأن غير المسلم إذا مرن على فعل الخير وأحبه ، فقد يمن الله عليه بالإسلام ، ويوفقه لما كان يفعل من البر ، فيتعبد به فى إسلامه ، ويتقرب به لمن أسلم

---

[١] بيان لما كان يتحنث به ، والتحنث : التعبد ، ولا يخفى أنه كان تعبداً صوريا ، لأن روح العبادة معرفة المعبود ، ولا يعرف إلا بالاسلام

وجهه إليه ، كما منّ على حكيم بن حزام رضوان الله عليه . وقد تغلب عليه شقوته حتى يقضى نحبه وهو محروم من النعمة الكبرى ، التى لا تذكر نعمة بجانبها وإن عظمت ، نعمة الهداية إلى الإسلام والإخلاص للمنعم جلت آلاؤه . وفى طليعة هؤلاء المحرومين المكذبين بيوم الدين ، عبد الله بن جدعان القرشى التيمى ، واحد بنى تيم ورجالاتها ، وقريب أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها ، وهذا سر سؤالها عنه واستفتائها رسول الله ﷺ فى شأنه ...

* * *

وإذا جمعنا بين هذين العظيمين فى الحديث — كما جمع الله بين السعادة والشقاوة ، والنعيم والجحيم فى الذكر — فإن من حق قرائنا أن نبين لهم — فى صدر هذا البحث — حكم الله ورسوله فى مثوبتهما ومثوبة من سار على نهجهما ، عسى أن يبينوا للناس ، فيتعلم جاهل ، أو يهتدى حائر ، أو يثوب إلى رشده غاو ، ممن يتبعون الهوى فيضلون عن سبيل الله ، ويحكمون بغير ما أنزل الله ، وكأن بأيديهم مفاتيح الجنة ، يفتحونها لمن حكموا له بالقبول والفوز ، وإن كان فى كتاب الله شقياً ؛ ويغلقونها فى وجه من حكموا عليه بالحرمان والطرد ، وإن كان فى حكم الله سعيداً « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

* * *

كان حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، فى الطليعة من أشراف قريش ووجوهها ، فى الجاهلية والإسلام « والناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » كما فى حديث الصحيحين .

أدرك فى الجاهلية ستين عاما وفى الإسلام مثلها ... وحسبه شرفا أنه كان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، وأنه صلوات الله عليه كان يحبه ويوده ، ويود لو كان من السابقين الأولين ، وأنه فرح بإسلامه يوم الفتح فرحا عظيما ، وقال — كما ثبت فى السيرة والصحيح — : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » .

وكان من المؤلفة قلوبهم الذين شهدوا غزوة حنين فأعطاهم الرسول الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، عطاء من لا يخشى الفاقة !! حدث عن نفسه قال : سألت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى؛ ثم قال: يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، إلى أن قال: «واليد العليا خير من اليد السفلى» وفى هذا الحديث أنه رضوان الله عليه لم يسأل أحداً من الناس شيئاً حتى توفى، وأن أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما كانا يعرضان عليه العطاء مما يفىء الله على المسلمين فيأبى أن يقبله، وفاء بما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يرزأ أحداً بعده شيئاً حتى يفارق الدنيا ... [1]

تبرر حكيم فى جاهليته بكثير من جلائل الخيرات، وعظائم المكرمات، حتى انتظم فى سلك السادة النجب، الذين يصلون الرحم، ويحملون الكل، ويكسبون المعدوم، ويقرون الضعيف، ويعينون على نوائب الحق، وسيدهم غير مدافع هو سيد ولد آدم ﷺ، - ولنا الفخر بالعمل لا بالقول! - ثم سيد الصديقين أبو بكر رضى الله عنه ...

* * *

وكان من آثاره قبل أن يسلم أنه أعتق مائة رقبة من ربقة الأسر وذل العبودية، وحمل على مائة بعير، أى تصدق بها كلها. ثم من الله عليه بنعمة الإسلام فأحسن إسلامه، وزاده الله حسنا، فأتى صديقه الحميم الكريم صلوات الله عليه وسلامه، مستفتياً فيما أسلف من هذا البر، فبشره الصادق المصدوق ﷺ بحسن جزائها، وكرم قبولها، وأنه أسلم على ما قدم لنفسه من الخير. قال حكيم رضى الله عنه: قلت: فوالله لا أدع شيئاً صنعته فى الجاهلية إلا فعلت فى الإسلام مثله.

* * *

ولقد صدق حكيم ما عاهد الله عليه، فصنع بعد الإسلام كما صنع قبله، بل زاد عليه:

جاء فى الصحيحين أنه لما أسلم حمل على مائة بعير وأعتق مائة رقبة، قال ابن عبد البر: حج فى الإسلام ومعه مائة بدنة قد جللها بالحبرة، وكفها عن أعجازها [1] وأهداها،

---

[١] بسطنا شرح هذا الحديث فى الجزء الثانى من المجلد الثامن عشر.

(١) جللها: غطاها. والحبرة كعنبة البرد الموشى، وضمير «كفها المنصوب» فيما يظهر يعود على الحبرة، محافظة على جلالها ونظافتها، وذلك من تعظيم الشعائر. وفى إبدائه الصدقات وإعلانه الشعائر دعوة إلى الخير وتحدث بنعمة الله.

ووقف بمائة وصيف بعرفة ، فى أعناقهم أطواق الفضة ، منقوش عليها : « عتقاء الله عن حكيم بن حزام » ، وأهدى ألف شاة .

وكانت بيده دار الندوة فباعها من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه عبد الله بن الزبير وقال له : بعت مكرمة قريش ! فقال له : يابن أخى ، ذهبت المكارم إلا التقوى ، اشتريت بها داراً فى الجنة . وتصدق بالدراهم كلها !!

* * *

بخ بخ يا حكيم !!

لقد نظمت عقدا من الخيرات الجسام ، وبارك الله عليه إذ جعل واسطته الإسلام ، فهل تظن أن الله ينقصه بعد ، وهو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، وهو الذى يرزق من يشاء بغير حساب ؟ !

* * *

أما بعد ، فهذا هو الشطر الأول من المسألة ، وأما شطرها الثانى فموعده غرة الشهر التالى إن شاء الله ؟

طه محمد الساكت

أم مدوى

كان فى العرب عجوز عاقلة نصيحة لها ابن أحمق ، وقد أرادت يوما أن تزوجه فخطبت له فتاة من العرب ، فجاءت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر اليه ، وفيما هى عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه : — هل أدّوى ؟ .

أى هل آكل الدّواية (وهى قشطة اللبن) . ولما كان ذلك يدل على الشراهة ، أرادت أمه أن تستر حماقته ، فقلبت سؤاله الى معنى آخر وقالت له :

— اللجام معلق بعمود الخيمة ، والسرج فى جانبه .

وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب ، فكتمت زلة ابنها عن ضيفتها . ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مدوى لمن يورّى بالشىء عن غيره . وفى ذلك يقول يزيد بن عبد الحكم بن أبى العاص الثقفى :

بدا منك غش طالما قد كتمته كما كتمت داء ابنها أم مدوّى



التعريف بالاسلام

بتأليف رسائل باللغات الأجنبية

بدلا من محاولة ترجمة معانى القرآن

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قالت جريدة الأهرام :

اجتمع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر ببعض كبار الأساتذة فى الكليات الأزهرية ، وبحث معهم مسألة « ترجمة » معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الحية ، وعلى أثر ارفضاض هذا الاجتماع ، أفضى فضيلته لمندوب الأهرام بتصريحات هامة حول موضوع ترجمة معانى القرآن الكريم وموضوع التعريف بالإسلام ، قال فيها :

فكرة أزمنت فى العهود الماضية :

إن ترجمة معانى القرآن الكريم ، قد أزمنت فكرتها فى الرءوس فى العهود الماضية ، وقد مضى عليها نحو ربع قرن ، وهى تطفو أحياناً وترسب أحياناً أخرى بين لجنة ولجنة ، ومن عهد إلى عهد ، حتى طال عليها الأمد ولا نتيجة ، فكأنما كانت على النقيض مما علق عليها من آمال ، فإن كل ما أنتجته للعالم الإسلامى هو تعليم « الانتظار » الذى لا ينتج إلا مثله من « الانتظار » . وهذا أعدى أعداء الإسلام ، لأن الإسلام دين حياة وعمل وقوة ، وعزة وسعادة وخير ، لا دين انتظار لا يجدى .

الإيجاب العملى :

لهذا أخذت الأمر من وجهه ورأيت الإيجاب العملى ، فوجدت أن ترجمة معانى القرآن الكريم إنما هى وسيلة لغاية إنسانية هى التعريف بالإسلام ، وما يحمله للإنسانية من نظم الحياة العادلة السليمة ، وما فيه من خير مطلق يهدى إلى الحق المطلق ، ورأيت أن أبدأ

العمل من هنا : من تلك الغايات القويمة القوية التى تسعد الجماعة الإنسانية ، فأعرفها للناس ، وأعرف الناس بها ، عن طريق الثقات المختصين من العلماء ، ممن درسوا فى جامعات أوربا ، وتيسر لهم الجمع بين الثقافتين ، إلى ما يتحلون به من « شخصية » إنسانية ، فإن العلم وحده ، والثقافة وحدها لا يكفيان ما لم تكن هناك « الشخصية » الصادقة فى نقل الإسلام عنها نقلا أقرب إلى الصحة عملا وعلماً .

رسالات عن التشريع الإسلامى :

واستطرد فضيلة الأستاذ الأكبر فقال : ومن فضل الله أن وجدت فى رجال الأزهر من يستطيعون أداء هذه الرسالة العظمى ، ممن هضموا وفهموا ، وعرفوا أن عليهم دينا واجب الأداء ، للجماعة الإنسانية كلها بصفة عامة ، وللجماعة المتحضرة التى لم تتعرف إلى الإسلام ، ولم يعرفها أحد بالإسلام بصفة خاصة ، ثم هم يحملون دينا آخر إلى أوربا التى عاشوا فى ربوعها وبين بنيها ردحا من حياتهم ، وتركوا فيها أطيب العلاقات وأزكاها .

وقد عهدت إلى كل واحد ممن اخترتهم من هؤلاء أن يؤلف رسالة عن التشريع الإسلامى فى موضوع اجتماعى : كالبيوع ، والقروض الحسنة ، والرهون ، وتكوين الأسرة ، والحكمة من تعدد الزوجات ، وشرور الأطماع السياسية ، وبيان مضار الحروب بين بنى آدم . وما إلى ذلك مما يوثق روابط الأمم ويجعل منها « إنساناً » موحداً بقدر الإمكان .

طبع الرسالات بعدة لغات .

وسيقوم الأزهر بطبع كل رسالة من تلك الرسالات بعدة لغات ، ونشرها فى أرجاء العالم المتحضر ، بكل الوسائل المستطاعة تعريفاً له بالإسلام ، وتبيانا لما له فى هذا الدين من تكوين لشخصيته ولمجتمعه ولإنسانيته ، فالفرد والأسرة والمجتمع عناصر إسلامية مثل ما هى عناصر إنسانية ، والمسلم الحق لا يكمل إسلامه وهو ساكت عن حق أخيه الآدمى فى الحياة العادلة السعيدة ، ورسول الله ـ وهو الإنسان ـ يقول لنا : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وكان لا يبالى بما يناله من الأذى فى سبيل هذا الحب الإنسانى العظيم .

إنقاذ العالم من الانحدار المادى .

ومضى فضيلة الأستاذ الأكبر ، يقول : إن أحداث البشرية اليوم توجب على الدعاة والهداة أن يهبوا لاستنقاذها من الانحدار المادى ، والمطامع الحيوانية ، فإن المادة تتسابق إلى انهيار العقل وإلى دمار شامل عام للعالم بأسره .

تعريف الإنسان بالإسلام أصبح واجباً .

فتعريف الإنسان ـ وخاصة المتحضر ـ بالإسلام أصبح واجباً من طرفيه ، طرف الدين الذى لايرضى بهذا التسابق إلى الفناء بسبب المطامع والأهواء والنزوات ، وطرف الإنسان الذى يرى الهوة تتسع كل يوم ولا يستطيع أن يسدها ولا أن يبتعد عنها ، ويرى التيار جارفا .

ولو أن الأديان وجهت جهودها إلى تحرير العقل الإنسانى من أغلال المطامع لسادت السعادة ، ولكن المتدينين ينظرون وهم ساكتون .

رجال الدين والسياسيون .

ثم قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن القول بأن التخلص مما يهدد البشرية من دمار ، بيد السياسيين وحدهم ، قول ينقصه الوعى النفسى ، فالسياسى ليس إلا أداة قومية ، تقوده الأحداث وتسوقه الأطماع ، فهو مسير بالتيار السريع الذى يجتاح العالم ، وقد مضى الوقت الذى ينسب فيه هلاك البشرية إلى السياسيين دون رجال الدين . . !

الإسلام وأهل الكتاب :

وقد كان للإسلام فى أول أمره ـــ ولا يزال ـــ النظر الرحيم فى العلاقات بين آدم ، وخاصة أهل الكتاب ، فخالطهم بالأسرة الإسلامية ، وقربهم من بعضهم ، ليعرف الناس أنهم أولى ببعض مما يداهمهم به الطامع الشيطانى .

ثم قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننى أرى فى التعريف بالإسلام واجباً إسلاميا إنسانيا ، لما بينت وذكرت ، وقد قررت لهذا أن يكافأ كل باحث على قدر ما فى بحثه من نفع واستيحاء وقوة وصلة ، ونفاذ شخصية ومحبة إنسانيه .

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه تحقيق الخير المطلق للإنسانيه جمعاء ؟

انصاف الرجال للرجال

(يوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر)

كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أميراً على البصرة من قبل أمير المؤمنين عمر ، وكان إذا خطب للجمعة أثنى على عمر رضى الله عنه دون أبي بكر ، فأغضب ذلك ضبة ابن محصن الفزارى . وكان ضبة أحد زهاد البصرة وأتقيائها ، فتعرض لأبى موسى فى خطبته ، فكتب أبو موسى إلى عمر يشكوه ، فطلب عمر إشخاصه إليه فأشخصه إليه .

فلما قدم إليه قال له ضبة : بماذا استحللت يا عمر إشخاصى من البصرة بلا ذنب أذنبته ، ولا شيء أتيته ؟

فقال : ما الذى شجر بينك وبين عاملى ؟

قال : الآن أخبرك به . كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم أنشأ يدعو لك ، فغاظنى ذلك منه ، فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعاً ، ثم كتب إليك ليشكونى .

فاندفع عمر باكياً وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى ، يغفر الله لك ؟

قال ضبة : غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

ثم اندفع عمر باكيا وهو يقول : والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر . فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟ قلت نعم . قال : أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره قال: يارسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر

الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك، لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حفيت. فلما وصل إلى الغار قال أبو بكر: والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك. قال: فدخل فلم ير فيه شيئاً، فأدخل رسول الله، وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شىء إلى رسول الله فيؤذيه، وأدرك رسول الله ما يساور أبا بكر من القلق عليه، فأخذ يخفف من قلقه ويقول: يا أبا بكر، لا تحزن، إن الله معنا. فهذه ليلته. وأما يومه، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلى ولا نزكى. فأتيته لا آلوه نصحا فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ، تألف الناس وارفق بهم، فقال لى: أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام؟ فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحى، فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا عليه. فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه.

* * *

هذه قصة ضبة مع أبى موسى أمير البصرة، وإنها لصفحة فخار فى تاريخ ولاة المسلمين صدر الإسلام، بل صفحة فخار فى تاريخ الإنسانية، وإنها لجديرة أن تتدارسها الأجيال من جميع الأجناس والأديان، لأنها تمثل طبيعة بشرية طاهرة لم تدنسها الأحقاد ولم تلوثها الأهواء والشهوات، تمثل الطبيعة التى اختارها الله ليجعل منها مثلا عليا يحتذيها الحكام والقادة من جميع الأمم فى سائر الأزمان، ويستهدون بهديها فيما يلون من أحكام، ويباشرون من أعمال، وهى قصة التواضع الفطرى الذى يسمو بصاحبه إلى أرفع مقام، والإنصاف الذى لا يعرف الفروق بين الطبقات، والحرية التى يستوى فى تقديرها الرعايا والرعاة. وهى بعد ذلك صورة كريمة للمجتمع الإسلامى الذى طبعه الإسلام بطابعه فى كل ناحية من نواحى الكمال، فجعله مجتمعاً مثالياً لما يزل فى خيال الفلاسفة والمفكرين، وهيهات أن يحققوه، لما اشترعوا من مبادىء واستنوا من قوانين. ولله هذه الأمثال التى تضربها النفوس الطيبة الطاهرة التى صنعها الإسلام على عينه، وأعدها لحمل رسالته، وإرساء قواعده، فكانوا البناة وكانوا الهداة، وكانوا العبر.

إننا فى عصر يقال إنه من أزهى عصور الديموقراطية، ففى أى شعب من أعرق الشعوب فيها يحاكم الفرد من غمار الشعب حاكم الدولة العام إلى نفسه وينتصف منه فينصفه، ويعترف بخطئه، دون أن تأخذه العزة، فيجحد الحق، ويجافى الصواب.

ونحن فى عصر يقال إنه عصر المساواة ، فى أى شعب ممن يزعم أنه أرقى الشعوب ممارسة لهذا الحق ، واستمتاعاً به ، يعترض فرد من عامة الشعب حاكم الإقليم فى رأى يمس شخص رئيس الدولة ، ويدافعه عنه ، ويناظره فيه . ونحن فى عصر التهذيب والتثقيف وكلاهما يدعو إلى الإنصاف وتقدير العاملين ، والاعتراف بجهودهم فى خدمة الدولة ، فى أى شعب من الشعوب ملكت فضيلة الإنصاف نفوس زعمائها وقادتها ، فأقر كل منهم لصاحبه بفضله على وطنه وأمته بباعث التقدير ، لا بباعث الرياء والمجاملة والنفاق .

هذا ضبة يعترض أبا موسى الأشعرى فى سواء المسجد ، وفى جمع حافل من الناس ، فى رأى متصل بشخص أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه - وعمر كما نعرفه صرامة وضرامة - فلا يملك أبو موسى إلا أن ينهى ذلك إلى عمر ، وفى يد أبى موسى ما شاء من وسائل الإقناع : بيده الوعيد والإرهاب ، وبيده السجن والقتل لو أراد .

ألا إن الإسلام ملأ بالإيمان والتقوى قلوب الحاكمين ، وبغض إليهم الاعتساف وحبب إليهم الإنصاف ، فسلكوا سبيل المعدلة ومهيع الرشاد . وهذا ضبة يقدم على عمر ويجادله فى جرأة وصراحة ، بل فى عنف وقسوة ، ويرشده إلى موضع الخطأ فى استقدامه من البصرة إليه ، لأنه لم يقترف ذنباً أو يعمل سوءاً يستوجب ذلك ، وهو واثق بعدل عمر ، آمن من بطشه وانتقامه ، ويصدق عمر ظنه ، ويفسح له صدره ، ويترك له فرصة الدفاع عن نفسه ، حتى يتضح الحق فى قضيته ، ثم يحكم على نفسه بأسمى ما عرفت البشرية من أحكام ، يحكم على نفسه بأنه أخطأ فى استقدام ضبة بل أذنب فى ذلك ، ويستقيله من ذنبه فى إخبات وانكسار ، ولا يسع ضبة بعد هذه الخصومة الكريمة والحكومة العادلة إلا أن يستجيب لرغبة عمر ويدعو له بالغفران .

ويقف عمر من أبى بكر وقفة التقدير والتكريم ، فيعدد مآثره على الإسلام والمسلمين ، ويستعرض جهاده ومواقفه الجليلة من رسول الله ﷺ التى استحق بها أن يكون خيرا من عمر وآل عمر .

ومن هو عمر ؟ إنه الخليفة الذى فتح الأقطار ، ومصر الأمصار ، وأرسى بناء الدولة الإسلامية على قواعد من السياسة الراشدة والعدالة السابغة ، ودان لدولته الأكاسرة

والقياصرة ، وكان حظه مما سال من ميازيب الذهب فى خزائن الدولة مرقعة من أخلاق ، ولقيمات من شعير ، فى إدام من خل أو زيت ، عمر الذى يقول فيه ابن عم رسول الله ﷺ حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه : إن كان إسلامك لنصرا ، وإن كانت إمامتك لفتحا . والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلا .

ما شاء الله ! ! ما هذا الإنصاف والتقدير والإيثار ؟ أهذه خلائق البشر ؟ أم هذه صفات الملائكة المقربين ؟

خلائف الله جلوا عن موازنة فلا تقيسن أملاك الورى بهم

هذه قصة ضبة مع أبى موسى الأشعرى وعمر رضى الله عنهم أجمعين ، وهى إن شئت تصور حال المجتمع الإسلامى وما ساده من حرية ومساواة ، وثقة فى الانتصاف من الحكام والرؤساء ، وإن شئت تصور بعض النواحى الأخلاقية فى نفوس الرعاة والرعية : من تواضع ، واعتراف بجهود العاملين لأممهم وأوطانهم .

هى على كل حال صفحة بيضاء من كتاب التاريخ الإسلامى جديرة أن يتدارسها الحكام والمحكومون ، لا من المسلمين فحسب ، بل من أمم العالم قاطبة ، ويجعلوها دستورهم السياسى والأخلاقى .

وما أحوجهم إلى استلهام ما فيها من عبر ، وتطبيق ما توحى به من مبادىء . وما أحوجهم إلى الإنصاف ، وتقدير العاملين ، وتقويم المخطئين .

أبو الوفا المراغى

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجاب سفرت أبهذا يأمر الغيد الشرف
أسفوراً والحيا يحظره وتقى الله وآداب السلف
ليست المرأة إلا درة أيكون الدر إلا فى الصدف

أمين ناصر الدين

عريف أهل الصفة

– ٢ –

تحدثت فى المقال السابق عن زهد هذا الصحابى الجليل . والآن أتم الكلام فى بعض ما عرف به .

٢ — العلم والرواية :

وهى الصفة التى أوفى فيها على الغاية ، حتى رجم فيه الناس الظنون ، وفى صحيح البخارى عنه أنه قال : « إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم حديثاً ثم يتلو : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى إلى قوله الرحيم) ثم يقول : « إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم . وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ، ويسمع مالا يسمعون - ثم يروى الإمام البخارى بسنده أيضاً إلى أبى هريرة قال : قلت يارسول الله : إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال : ابسط رداءك ، فبسطته فغرف بيديه ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت شيئاً بعده » .

أيها القارىء الكريم .

ذلك ونحوه من معانى النبوة الرمزية التى هى حق لايدركه إلا المؤمنون الصادقون ، وما أكثر ذلك المعنى لمحمد ﷺ وللنبيين من قبله ، فلا يستخفنك الذين لا يوقنون بما يزعمون لك أن هذه أشياء لا يفهمها العقل . نعم إن العقل المجرد من الإيمان لا يفهمها ، ولو فهمها ما كان من خصائص النبوة .

ثم يروى البخارى بسنده إلى أبى هريرة أنه قال : حفظت وعاءين من النبى ﷺ : فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم . وهذا يفيد أنه كان للنبى ﷺ علم غير التشريع لم يكن مكلفاً أن يعلمه الناس ، وكان عند بعض آل النبوة شىء من ذلك يظهر لمن تتبع الآثار والرواية الصحيحة .

ويروى أبو نعيم بسنده عنه قال : والذى نفسى بيده لو حدثتكم بكل ما سمعته لرميتمونى بالقشع ثم ما ناظرتمونى [١]. وقد أجمع الناس على أنه كان أكثر الصحابة رواية وله ٥٣٧٤ حديثاً منها فى البخارى ٤٤٦ ، وروى عنه أكثر من ٨٠٠ بين صحابى وتابعى ، يأخذون عنه متواضعين ، لعلمهم بانقطاعه للعلم والعبادة : منهم ابن عباس وجابر وأنس .

وقال الشافعى : إنه أحفظ من روى الحديث فى دهره . وأخرج البخارى فى التاريخ أن أبا هريرة قعد فى مجلس فيه من مشيخة الصحابة بضعة عشر رجلا ، فجعل أبو هريرة يحدثهم بالحديث عن رسول الله ﷺ فلا يعرفه بعضهم فيتراجعون فيه حتى يعرفوه ، ثم يحدثهم كذلك حتى فعل ذلك مراراً .

يقول الراوى ـ وهو محمد بن عمارة بن حزم ـ فعرفت أنه أحفظ الناس منذ ذاك .

ورووا عن ابن عمر ـ وهو من أكثر الصحابة رواية وفقها ـ أنه قال لأبى هريرة : كنت ألزمنا لرسول الله ، وأعرفنا بحديثه . والعجب أيها القارىء أن هذا العلم كله كان فى مدة لا تزيد على خمس سنين ، كما يظهر لمن تتبع البحث ، فهى المدة بين خيبر ووفاة رسول الله ﷺ .

هذا وحذار أن تنقاد لما يقول به من يلحدون فى الدين فيقولون : إن أبا هريرة خرف فى آخر حياته، فنقل عن رسول الله ﷺ ما لم يقله ، لينكر حديث الذباب وغيره ، وليجارى المدنية فى كل ماتقول به ، وقد كان يستطيع أن يجد مندوحة أخرى غير الطعن فى هذا الصحابى الجليل الذى يشك الناس فى كل رواياته إذا أخذوا بهذا الخبر ، فيضيع شطر كبير من الدين ، نسأل الله العافية .

لقد منى هذا الدين بقوم ينكرون السنة ، ويقولون : لا يقبل إلا القرآن وماوافقه . وبقوم يطعنون فيما لا يوافق هواهم منه . وقد خسر الناس خسراناً مبيناً . والدين إيمان وقلب سليم .

* * *

٣ ـ كان فى هذا الإمام العارف بربه تواضع وفير يحمله على أن يستذكر دائماً ماضيه فى إقلاله وفقره واستئجاره نفسه ، وكان مع ذلك شكوراً ذكوراً لآلاء الله ، وقد مرت بك

(١) القشع : يطلق على معان كلها صالح هنا : الفرو الخلق ، كناسة الحمام ، النخامة ترمى .

قصته التى حدث بها عن نفسه من أنه كان أجيراً لبنت غزوان . وفى حلية الأولياء أنه صلى بالناس يوما فلما سلم رفع صوته فقال : « الحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما ، بعد أن كان أجيراً لابنة غزوان ، على شبع بطنه ، وحمولة رجله » وروى بسنده إلى مضارب بن حزن قال : بينما أنا أسير من الليل إذا رجل يكبر فألحقته بعيرى ، فقلت : من هذا المكبر ؟ قال : أبو هر . قلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر . قلت : على مه ؟ قال : على أن كنت أجيراً لبصرة بنت غزوان بعقبة رجلى وطعام بطنى ... إلى آخر الخبر ، وهو فى معنى ما تقدم لك .

* * *

٤ — كان أبو هريرة صواما قواما ، وكان ينصح بالصوم فى الشتاء ، فيقول للناس : ألا أدلكم على غنيمة باردة ؟ قالوا : ماذا يا أبا هريرة ؟ قال : الصوم فى الشتاء ، وقال : أبو عثمان النهدى : تضيفت أبا هريرة سبع ليال ، وقلت له : كيف صيامك يا أبا هريرة ؟ أما أنا فأصوم أول الشهر ثلاثا ، فإن حدث بى حدث كان لى أجر شهرى . وتحدث أبو عثمان النهدى عن هذه الضيافة فقال : كان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل أثلاثا . ويقول أبو عثمان فى خبر آخر طريف : إن أبا هريرة كان فى سفر ، فلما نزلوا ووضعوا السفرة بعثوا إليه وهو يصلى ، فقال : إنى صائم ، فلما كادوا يفرغون جاء فجعل يأكل الطعام ، فنظر القوم إلى رسولهم ، فقال : ما تنظرون ؟ قد والله أخبرنى أنه صائم . قال أبو هريرة : صدق ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : صوم شهر رمضان وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر ، وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر ، فأنا مفطر فى تخفيف الله ، صائم فى تضعيف الله .

* * *

وكان يستن سنة رسول الله ﷺ حين كان يطوف بالسوق ، ثم يأتى أهله ، فيقول : هل عندكم من شىء ؟ فإن قالوا : لا ، قال : فإنى صائم . وكانت له رضى الله عنه أوراد من الاستغفار والتسبيح تدخل فى عداد غير المعقول إلا أن تصح بها الرواية ، فيقولون : إنه كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به كله .

* * *

٥ — كان كثير الإشفاق من ذنبه ، شديد الخوف من ربه ، ويتحدثون أنه كان يستغفر الله كل يوم اثنى عشر ألف مرة ، ويقول : إن ذلك على قدر ذنبى .

وإننا وإن لم نخل هذا القول من المبالغة نقول : إن له دلالة على ما كان من كثرة استغفاره وإشفاقه من ذنبه . ويقولون : إنه لما كان فى مرض الموت بكى بكاء شديداً . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكننى أبكى على بعد سفرى ، وقلة زادى ، وأنى أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار ، ولا أدرى إلى أيهما يؤخذ بى .

وكان أبو هريرة إذا مر بجنازة قال : روحى فإنا غادون ، أو اغدى فإنا رائحون . موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، ويبقى الآخر ، لا عقل .

وجدير بمن كان فى غزارة علم مثل هذا الإمام ، وما اختصه به رسول الله ﷺ من تهذيب وتوجيه أن يكون من أقرب الناس إلى ربهم وأشدهم خوفا منه ، وأكثرهم عظة بالموت وذكر الآخرة .

* * *

٦ — على أن حياة هذا الإمام الجليل لم تخل من لهو يستعين به على الحق ، ومزح ودعابة ، يستروح بهما للجد والطاعة ، لحديث هرته ، ولزومه لها ، وشهرته بها ، من المعلوم بالضرورة . وقالوا : إن مروان كان ربما استخلفه على المدينة ، فركب حماراً شد عليه برذعة ، وفى رأسه خلبة من الليف فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق ، قد جاء الأمير . قال ابن قتيبة فى المعارف : إنه كان يأتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب . فلا يشعرون بشىء حتى يلقى نفسه فيهم ويضرب برجليه ، فينفر الصبيان ويتفرقون .

وبعد ـ فلعلى قد صورت لك هذا الإمام العظيم صورة تدفع بك أن تلتمس استيفاء الحديث عنه ، والاستفادة من ذكرياته ، والتعليق على أطوار حياته ، من كتب التاريخ والأدب والسنة النبوية الكريمة .

وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق ، والله ولى التوفيق والرشاد ؟

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

الأزهر والصحافة

— ٣ —

صحف النديم :

قبل أن ينشيء « عبدالله نديم » صحفه كان يبث أفكاره ، وينشر آراءه في صحيفتي «مصر» و « التجارة » ، وكلتاهما « لأديب إسحاق » ، ويجري بهما قلمه على الأسلوب الحديث المتحرر من السجع والتكلف ، ولما صرح « لسليم النقاش » بإصدار صحيفتي « المحروسة » و « العصر الجديد » عقب « التجارة » و « مصر » ونفي من مصر « أديب اسحاق » تولى التحرير فيهما « النديم » فجاء بالمعجب والمطرب [1] .

التنكيت والتبكيت : ١٢٩٨ (١٨٨١ م)

وما زال « النديم » كذلك حتى استدعى صاحب « المحروسة والعصر الجديد » من بيروت الكاتبين الفاضلين « سليم أفندي عباس » و « فضل الله الخوري » فترك لهما تحرير هاتين الصحيفتين والقيام عليهما ، وأنشأ صحيفة « التبكيت والتنكيت » في الثامن من رجب ١٢٩٨ (٦ يونيه سنة ١٨٨١ م) « وهي صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية » . وكانت كما يقول « هجوها تنكيت ، ومدحها تبكيت ، ولغتها سهلة مرسلة واضحة ، لا تلجئك إلى قاموس الفيروزبادي ، ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا . وسخريتها نفثات صدور ، وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا ، وهي في مجموعها مقالات أدبية رائعة ، وأفكار اجتماعية خصبة ، ظاهرها هزل ، وباطنها جد ، أودعها ما لم يسبقه أحد من الكتاب .

الطائف : ١٣٠٩ (١٨٩٢ م) .

ثم أنشأ النديم صحيفة « الطائف » [2] قبل الثورة العرابية ، وكانت في أول صدورها

---

[١] تراجم مشاهير الشرق لجورجي زيدان ج ٢ ص ١٠٨

[٢] سميت الطائف تيمنا باسم هذه البلدة الشهيرة بالحجاز وتفاؤلا بأنها تطوف المسكونة كما جابتها جوائب أحمد فارس [أعيان القرن الرابع عشر للمرحوم أحمد تيمور باشا ص ١٧]

تحمل على المساوىء الاجتماعية العامة كالمواخير والحانات والمراقص التى غزت القاهرة فى ظل الامتيازات وتحت حمايتها [١]. ثم انتقلت « الطائف » من الموضوعات الاجتماعية الخالصة إلى الموضوعات السياسية العميقة ، والأخبار المهمة التى تميزت بها فى عهد الثورة العرابية ، حتى نقل عنها أكثر الصحف المعاصرة لها ما كانت تنشره .

صدرت الطائف صحيفة سياسية عنيفة بلغت من الشهرة ما لم يبلغه غيرها من التأثير فى الأذهان [٢] وكانت رسالتها الدفاع عن الثورة العرابية وأبطالها ، احتفى بها رجال الثورة وأنصارها ، فاشترك لها النواب بمبالغ كبيرة ، وأصبحت لهم لسانا فيه من العنف والشدة ما اضطر الشيخ محمد عبده إلى تعطيلها شهرا .

ومكن لها عطف الهيئات عليها من أن تتخذ لونا رسميا . وقد ذكرت جريدة « مصر » فى ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ (٢٣ من مارس سنة ١٨٨٢ م) أن مجلس النواب قد اختار جريدة الطائف الغراء لنشر ما يروم إبداءه من الآراء والخواطر والتقارير والمحاضر ، فهى الآن صحيفته شبه الرسمية . ثم قالت : « وجريدة الطائف جديرة بهذا الاختيار ، فهى موصوفة بالوطنية ، معروفة بصدق النية ، منتشرة نافذة الكلام ، خطيرة مرعية المقام » وقد استعان النديم بهذه الصفة (شبه الرسمية) على أن يكون ذا خبرة بشئون الدولة ، وأن يجد من القوة ما يذلل به العقبات التى تعترضه ـ وامتازت الطائف بأسلوبها الحاد ، ولغتها العنيفة ، وأظهر ما فيها تاريخ الخديو إسماعيل بأسلوب فيه من النقمة والتشفى منه ما أبعده عن التاريخ العادل .

ومن ذلك الفصل الذى أورده عن الخديو السابق بعنوان « سلب الأملاك من الملاك » فقد استغرق صفحتين من صفحاتها الأربع . ومن عجب أن النديم حين أقعده المرض أرسل يعتذر عن تحرير جريدته (إلا ما كان من تاريخ حضرة إسماعيل باشا) فإنه يصر عليه ويأبى الاعتذار عنه فيقول : « فإنى أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج ما بى » .

ثم انتقلت الطائف من الحملة على إسماعيل إلى الإقذاع فى توفيق ، فى لهجة قاسية فيها تعريض به ، حتى إن حكومته أمرت بتعطيلها فى ١٧ من مايو سنة ١٨٨٢ م ترضية للخديو واعتذارا له عما ارتكبته صحيفة الحكومة من الإساءة إلى الحاكم الشرعى ؟

يتبع

محمد كامل الفقى
المدرس بكلية اللغة العربية

[١] تطور الصحافة المصرية ص ١٤٨ [٢] تراجم مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٠٩

بعض العبر فى هجرة الرسول

إن الأمم وكذلك الأفراد ، فى حاجة إلى من يذكرهم دائماً بنواحى العبر فى تاريخ أسلافهم ، لتحقيق غاياتهم ، حتى يتأسوا بهم فيما يريدون من الخير والسعادة لأنفسهم وذويهم . وإن أحسن ما نذكر به الأمم الإسلامية فى هـذه الأيام التى يكافحون فيها لرد حقوقهم من الغرب الذى غلبهم عليها يوم تخليهم عن عقيدتهم ، وانفضاضهم عن دينهم ، وانصرافهم عن أخلاقهم ، إن أحسن ما نذكرهم به هو بيان بعض العبر فى هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة ، تاركا وطنه « مكة » الذى ولد فيه ، ونشأ بين جدرانه ، وتربى فى أكنافه ، والذى عاش فيه ثلاثة وخمسين عاماً بين أهله وذويه وقومه وعشيرته ، كل ذلك لنصرة عقيدته التى امتزجت أصولها بروحه ، أو هى روحه التى لا يحيا بدونها ، لأن فيها مرضاة ربه ، وهى تفوق عنده كل شىء حتى الحياة نفسها التى هى أثمن ما يحرص عليه الناس . وشاركه عليه الصلاة والسلام فى هذا المسلمون الذين كانت عندهم القدرة على تلك الهجرة ، فتركوا كذلك الأهل والولد ، والمال والوطن ، فراراً بعقيدتهم التى اختلطت بدمائهم ، وسرى نورها فى أرواحهم ، حتى كأنها حياتهم ، بل إذا تعارضت الحياة مع نصرة تلك العقيدة ضحوا بالأولى فى سبيل الثانية راضية نفوسهم ، مطمئنة قلوبهم ، وهكذا إذا خالطت العقيدة شغاف القلوب ، وداخل الإيمان بها النفوس ، أصبحت فوق كل شىء ، وأعز من كل شىء : من المال والولد .

وهذا المعنى السامى فى تقديس العقيدة وتقديمها على كل ما نملك ، وعلى كل المتع الدنيوية ، هو الذى أوجبه الله على عباده المخلصين حقاً ، والمؤمنين صدقا ، فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

وأود أن يسمع القارىء وصفاً عن بعض ما وقع لمحمد وصاحبه الصديق الأعظم عند هجرتهما وما لقياه فى رحلتهما فراراً بقبس نور النبوة أن تطفئه أفواه المشركين « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ليكون أسوة للمجاهدين من أمة محمد فى سبيل نصر حقهم على باطل غيرهم .

وهذا الوصف إنما هو على لسان أبى بكر شريك محمد عليه الصلاة والسلام فى هجرته ، قال البراء بن عازب رضى الله عنهما : جاء أبو بكر رضى الله عنه إلى أبى فى منزله فاشترى منه رحلا ، فقال لعازب : ابعث معى ابنك يحمله إلى منزلى . فقال لى أبى : احمله ، فحملته وخرج أبى معه ينتقد ثمنه . فقال له أبى : يا أبا بكر ، حدثنى كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ . قال : نعم ، أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد ، فرفعت لنا صخرة طويلة ، لها ظل لم تأت عليها الشمس بعد ، فنزلنا عنده فأتيت الصخرة وسويت بيدى مكاناً ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ، ثم بسطت عليه فروة . ثم قلت : نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك ، فنام . وخرجت أنفض له ما حوله ، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أردنا . فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل المدينة أو مكة ، فقلت : أفى غنمك لبن ؟ قال : نعم ، قلت : أفتحلب ؟ قال : نعم . فأخذ شاة ، فقلت : انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى . ففعل ، وحلب فى قعب معه كثبة (شيئاً قليلا) من لبن ، ومعى إداوة حملتها للنبى ﷺ يرتوى ويشرب ويتوضأ ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو نائم فكرهت أن أوقظه ، فوقفت حتى استيقظ . فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله ، فقلت : اشرب يا رسول الله . قال : فشرب حتى رضيت ، ثم قال لى : ألم يأن للرحيل ؟ قلت : بلى ، فارتحلنا بعد ما زالت الشمس ، واتبعنا سراقة بن مالك بن جعشم ، ونحن فى جلد من الأرض (غليظة صلبة) . فقلت : يا رسول الله أتينا . فقال : لا تحزن إن الله معنا . فدعا عليه النبى ﷺ ، فارتطمت يد فرسه (غاصت) إلى بطنها . فقال : إنى قد علمت أنكما دعوتما على ، فادعوا لى ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب . فدعا له النبى ﷺ ، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال : قد كفيتم ما هنا ، فلا يلقى أحداً إلا رده . قال : ووفى لنا » . أخرجه الشيخان .

ويقول المؤرخون : إن هذه الرحلة قد استمرت سبعة أيام متتابعة ، وقد كانت أيام قيظ وحر شديد ، حيث إن بعض المؤرخين يذهب إلى أنها كانت فى شهر يوليه . ويذهب آخرون اعتماداً على حساب فلكى إلى أنها كانت فى سبتمبر . وعلى كلا الرأيين فهى فى وقت شديد الحرارة ، وخاصة فى جزيرة العرب التى هى حارة بطبيعتها . وما إن بلغ أهل المدينة مقدم رسول الله حتى خرجوا إليه يستقبلونه ، وقد كانوا ينتظرون قدومه كل يوم حتى إذا زال عنهم الظل رجعوا إلى ديارهم ، وفى آخر يوم سمعوا بعد رجوعهم رجلا من اليهود ينادى بأعلى صوته فوق أحد تلال المدينة وهو يقول : « يا معشر العرب هذا جدكم (حظكم) الذى تنتظرون » ، فخرجوا لملاقاة الرسول يحملون أسلحتهم إعزازاً لرسول الله ، وتكريماً لدين ربهم الذى أنعم عليهم به على يد محمد بن عبد الله المولود بمكة ، والمهاجر إلى المدينة ، التى أصبحت مركز الدعوة الإسلامية والهداية الإلهية إلى أن ضمت رفاته الشريف ، وفازت بشرف الرسول وبيته ، كما فازت مكة ببيت الله الحرام . ويأبى الله إلا أن تكون كلمته هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

* * *

تلك بعض العبر فى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإنها لتوضح لنا كيف جاهد الرسول وأصحابه الذين أخلصوا نفوسهم لله فى سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل . وإنه يجب أن يكون لنا من كل هذا درس نتخذه مثلا أعلى للوصول إلى غاياتنا ، وتحقيق أهدافنا . والذى يلاحظه القارئ أن كل ما عمله الرسول حين أراد أن يهاجر من موطن دعوته القديم إلى الموطن الجديد ، كان مماثلا لما يقوم به أصحاب كل دعوة من البشر ، إلا ما ورد فى حديث أبى بكر المتقدم من أمر سراقه الذى غاصت أقدام فرسه فى الصخر حين هم بإيذاء النبى وصاحبه ، وإلا ماورد فى حديث آخر رواه أبو بكر أيضاً قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار ، وهم على رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ، ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ أخرجه الشيخان والترمذى .

* * *

وفى عامة أحواله صلى الله عليه وسلم كان يلجأ لما يلجأ إليه البشر فى تحقيق أغراضهم ، فهو يلبس على كفار قريش بمبيت على رضى الله عنه فى فراشه ، ثم يخرج من بينهم آخر الليل ، ثم يختبئ فى غار ، ثم يسلك طريقاً غير مألوف حتى لا يدركوه ويمنعوه

من الخروج من بينهم ، ويركب راحلة وينتقل فى الحر الشديد بين الجبال والوديان ، ويتحمل فى هذا ألم الجوع والعطش ، وتعب السفر ومشاقه ، فوق خوفه من لحاق قريش به ومنعه من بلوغ غايته .

كل تلك الأمور مسائل بشرية صرفة يعملها كل من يريد أمرا تحول دونه حوائل . ولقد كان الإله سبحانه الذى أسرى به إلى بيت المقدس وعرج به إلى ما وراء السموات السبع - مما لا يصل إليه أحد من خلقه ولو كان من ملائكته المقربين - فى ليلة واحدة ، بل فى أقل منها ثم رجع إلى مكانه . لقد كان الإله سبحانه الذى عمل معه هذا قادرا على أن يعمل مع محمد عليه الصلاة والسلام ذلك فى هجرته ، فإذا بكفار قريش يبيتون وقد أصبحوا لا يرونه بينهم ، وبأهل المدينة وقد أمسوا وليس بينهم محمد فإذا بهم وقد أصبح بينهم ، ولا يكلفون أنفسهم عناء الانتظار ومشقته سبعة أيام فى حمارة القيظ وشدة الحر . ولكنه سبحانه لم يعمل هذا مع رسوله عليه الصلاة و السلام حتى يتعلم كل مجاهد فى سبيل هذه العقيدة الحقة ضروب الصبر وتحمل الآلام ، وحتى لا يكون فى الإيمان بها إلجاء الخوارق ، بل اقتناع العقول ، واطمئنان القلوب « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

يزاد على ما تقدم أمر آخر ، وهو أن تلك العقيدة لن تقوم ولن تبقى إلا بالجهاد وتحمل المتاعب واستعذاب الآلام ، وأن الهجرة وترك الوطن والاغتراب فى سبيلها أول حلقة من تلك السلسلة الطويلة من ضروب المجاهدات والحروب والقتال .

* * *

ألا فليكن للمسلمين عبرة من تاريخ رسولهم ، وعظة من دروسه فى تحمل المشاق فى سبيل عقيدتهم ، وليعلموا أن رسالتهم التى فرطوا فيها ليست رخيصة القيمة ، وإنما قد بذل فى سبيلها دماء زكية ، ونفوس أبية ، وقلوب طاهرة ، فعليهم أن يحرصوا عليها ويستمسكوا بها ، ويدفعوا عنها من يريدها بسوء أو يكيد لها بشر ، وليوقنوا أن أى شىء فى هذه الحياة لن ينال بسهولة . وبقدر الجهد وتحمل التعب يكون الجزاء والثمن ، وليس للكسالى إلا الخسار والدمار ، والذل والعار ؟

على مصطفى الغرابى

السيدة أم سلمة

رضى الله عنها

نسبها :

هى السيدة هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية القرشية . واسم أبيها حذيفة وقيل : سهيل ، وكان أبوها أحد أجواد العرب وكرمائهم حتى لقب بزاد الراكب ، لأنه كان إذا سافر لايترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكفى رفقته من الزاد ، وكان جدها من الشرف بمكان حتى كان الرجل من بنى مخزوم يؤثر أن ينتسب إليه فيقال له « المغيرى » .

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية من بنى فراس . تزوجت أولا بابن عمها أبى سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات سنة أربع خلف عليها رسول الله ﷺ فصارت من أمهات المؤمنين .

* * *

إسلامها وحياتها :

كانت أم سلمة رضى الله عنها من النساء اللاتى سبقن إلى الإسلام ، والظاهر أنها أسلمت بعد زوجها أبى سلمة بقليل . وكما كان السيد أبو سلمة مثلا عالياً للرجال فى الهجرة إلى الحبشة والمدينة ، كذلك كانت السيدة أم سلمة ، فقد صاحبته فى هجرته إلى الحبشة ، وكانت إحدى أربع نسوة سارعن بالهجرة إليها : منهن السيدة رقية بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وزوج السيد الحيى عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولما أذن النبى ﷺ للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة سارعت معه إلى الهجرة إليها ، وقيل : إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة . وقصة هجرتها إلى المدينة قصة رائعة كما سبق فى مقالى السابق . وقد ولدت لأبى سلمة ابنهما سلمة وبه كنيا ، وعمر ودرة وزينب ،

ولم تعقب من النبي ﷺ . وقد حظى أولادها من زوجها الأول بعد وفاته برعاية النبي ﷺ ونالهم من عطفه وبره الكثير ، وأنزلهم منزلة أبنائه ، فياله من شرف عظيم .

وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع ، والعقل البالغ ، والرأى الراجح . ونساء بني مخزوم مشهورات بالجمال وحسن التبعل ، حتى كان يقال : « المخزوميات رياحين العرب » ويظهر أن كبر السن وما صادفها فى حياتها من مشاق وبلاء قد أذهب الكثير مما كانت عليه من جمال ونضرة ، وإن بدت بادئ النظر ذات جمال . أخرج ابن سعد من طريق عروة عن عائشة بسند فيه الواقدى قالت : لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً ، لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت والله أضعاف ما وصف فذكرت ذلك لحفصة . فقالت : ما هى كما يقال . قالت : فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ، ولكنى كنت غيرى [1] . ويدل على عقلها وأصالة رأيها إشارتها على النبي صلوات الله وسلامه عليه عام الحديبية ، ذلك أن النبي لما فرغ من عهد الحديبية قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد . حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت السيدة العاقلة : يا رسول الله ، اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . ففعل رسول الله كما أشارت عليه ، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق رأس بعض .

* * *

أم سلمة أم المؤمنين :

كانت أم سلمة عروبا لزوجها أبى سلمة ، ولما توفى سنة أربع حزنت عليه حزناً شديداً وبقيت وفية له بعد مماته كما وفت له فى حياته . وقد بلغ من وفائها له أن كان يجول بخاطرها أن ليس هناك خير من أبى سلمة ، وكانت قد سمعت من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حديثاً فى الصبر عند المصيبة والاسترجاع والدعاء بالأجر والإخلاف ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت ودعت بهذا الدعاء فنفعها الله به ، ومن عليها بمن لم يكن يخطر لها على بال أن يتزوج بها وهو رسول الله ﷺ .

---

[١] الاصابة جزء ٤ ص ٤٥٨ .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها » فلما توفى أبو سلمة قلت : من خير من أبى سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ . ثم عزم لى فقلتها . فأخلف لى خيراً منه : رسول الله ﷺ .

* * *

أما قصة زواج رسول الله بها فإنها لما انتهت عدتها فى شوال أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه يخطبها عليه فلم تقبل ، فبعث إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاعتذرت ، فلم يجد رسول صلوات الله وسلامه عليه بدا من أن يذهب إليها بنفسه . روى الإمام أحمد عنها قالت : لما انقضت عدتى استأذن علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهابا لى ، فغسلت يدى من القرظ ، وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبنى إلى نفسه ، فلما فرغ من مقالته قلت : يارسول الله ، ما بى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى امرأة غيرى فأخاف أن ترى شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت فى السن ، وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسأدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك . وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى قالت : فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتولى تزويجها ابنها سلمة أكبر أبنائها ، وبذلك تشرفت بزوجيتها لرسول الله ﷺ وصارت أما من عداد أمهات المؤمنين .

ومن ثم نرى أن زواج رسول الله بها لم يكن إلا جبراً لخاطرها وكسرها ، وحفظاً لها ولأولادها من الضيعة ، ووفاء بحق زوج من خيار المسلمين ، آثر رضاء الله ورسوله على الدنيا وزخرفها ومتعها ، وخاطر بنفسه حتى استحق الشهادة فى سبيل الله ، وبذلك ضرب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثال فى باب المواساة بالنفس والمال ، ووضع الأساس الصالح لأولى الأمر لرعاية حقوق المواطن الصالح والجندى الباسل المضحى بنفسه فى سبيل الله والحق والوطن . فهذه الاعتبارات السامية هى التى حدت برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بها .

* * *

روايتها الحديث وعلمها :

كانت أم سلمة رضى الله عنها كبقية أمهات المؤمنين : عاقلة عالمة راوية لحديث رسول

الله ﷺ ، إما بالذات وإما بالواسطة . وقد مكن لها طول بقائها بعد الرسول رواية الكثيرين عنها ؛ روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها أبى سلمة ، وعن السيدة فاطمة الزهراء . وروى عنها ابناها عمر وزينب ، وأخوها عامر ، وابن أخيها مصعب بن عبد الله ، ومكاتبها نبهان ، ومواليها عبد الله بن رافع ونافع وسفينة ، ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدى وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وغيرهم . ولها من المرويات فى كتب الحديث ثلثمائة وثمانية وسبعون حديثا ، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة عشر منها ، وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بمثلها .

* * *

ومن فضائلها أن بعض آيات الوحى نزلت ببيتها ، روى عنها أنها قالت : فى بيتى نزل قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهل بيتى . قالت فقلت : يا رسول الله أما أنا من أهل البيت ؟ فقال : بلى إن شاء الله . وسياق الآيات يدخل أزواج النبى ﷺ فى أهل البيت إذ الخطاب إليهن ، والكلام السابق واللاحق فى شأنهن ،

وإذا كان حسن السؤال نصف العلم كما يقولون ، فقد كان لحسن سؤالها للنبى صلى الله عليه وسلم أن أنزل الله بسبب ذلك قرآنا يتلى إلى يوم الدين ناطقاً بأن الرجال والنساء سواء فى الأجر وعظم الثواب ، روى الإمام أحمد عن أم سلمة أنها قالت : « يا نبى الله مالى أسمع الرجال يذكرون فى القرآن والنساء لا يذكرون ؟ فأنزل الله قوله : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » إلى قوله « أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » الآية ٣٥ من الأحزاب .

وروى الحاكم فى مستدركه عنها أنها قالت : يا رسول الله ، لا نسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء ، فأنزل الله سبحانه : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار الآية » .

وفاتها :

وبعد هذه الحياة الطويلة التى ذاقت فيها المر والحلو ، والتى حفلت بجلائل الأعمال وعظائم الأمور ، وافاها الأجل المحتوم ، وقد اختلف فى سنة وفاتها فقال الواقدى : ماتت سنة تسع وخمسين للهجرة ، وقيل آخر سنة إحدى وستين ، وقيل سنة اثنتين وستين إبان خلافة يزيد بن معاوية وبعد مقتل الحسين . روى محمد بن سعد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهيت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين ، قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم أو بيوتهم عليهم ناراً ، ووقعت مغشياً عليها وقتا .

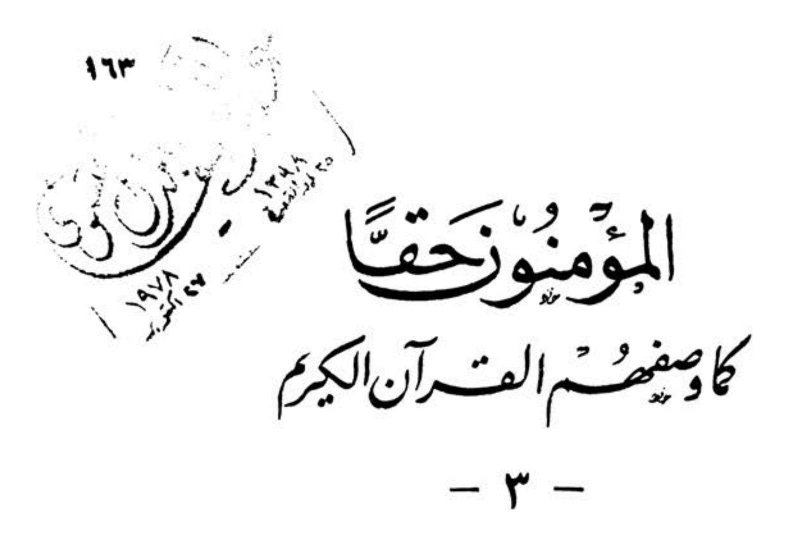
وهذه القصة إن صحت تدفع قول الواقدى . وهى آخر أمهات المؤمنين موتا كما قال الحافظان : الذهبى وابن حجر ، وبموتها انطفأ آخر مصباح من مصابيح أزواج النبى صلى الله عليه وسلم طالما شعت النور والهدى والعلم ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

أمة الحرية والفروسية

لما مثل الدكتور ادوار ماشنسكى (مندوب الجمهورية البولونية لدى الحكومة السعودية) قبل نحو ربع قرن بين يدى الملك عبد العزيز آل سعود ليقدم له أوراق اعتماده ، خطب خطبة قال فيها :

إن مملكة بولونيا تعرف جيدا الأمة العربية الجسورة وفروسيتها ، وتقدرها حق قدرها . وقد اشتهرت أمة العرب بحبها للحرية حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا فتغنى شعراؤها — منذ العصور السالفة — بفروسية هذه الأمة الكريمة . إن الأمة البولونية تقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية لأنها هى أيضا قاتلت متفانية لنيل استقلالها ، وتحملت آلاما ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة .



المؤمنون حقاً كما وصفهم القرآن الكريم

— ٣ —

أجملت فى الحديثين السابقين [1] بعض صفات المؤمنين . وبقى من هذه الصفات كثير سنجمله فى هذا الحديث ، فقد امتد بنا نفس القول ، وهذا موضوع يحتاج إلى كتاب على حدة .

ولعل من أجمل الصفات للرجل المؤمن العفة ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وهذه الصفات هى الواردة فى آيات (المؤمنون) فى قوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقد جاء فى سورة الفرقان فى وصف عباد الرحمن : « ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » وطبيعى أن تكون العفة من أجمل الصفات وأنبلها ، فإن الأضرار التى تلحق بالمجتمع من وراء الفجور ، أضرار بليغة قاسية . والمؤمنون أبعد الخلق عن الإضرار بالمجتمعات ، وليس ضرر الزنا قاصراً على الشخص نفسه ، وإنما يتعداه إلى الآخرين ، ولذلك كان من الكبائر التى نهى عنها الإسلام ، وشدد فى النهى عنها ، والنكير على مرتكبيها .

وفى سورة الرعد : « إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » . وصفة الأمانة ، وصفة الوفاء بالعهد ، من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الأفراد

---

(١) ص ٦٨١ و٩٠٦ من هذه المجلة لسنتها الماضية .

والأمم ، حتى يقوم التعاون بين الناس ، وحتى ينهض السلام بين الأمم على دعائم وطيدة ، والمراد بالأمانة كل ما ائتمن عليه الإنسان ، والمراد بالعهد ما ترابط به الناس فيما بينهم ، ولو أن كل أمة حرصت على أن تؤدى لغيرها ما ائتمنت عليه ، ولو أن كل أمة وفت بالتزاماتها ، وراعت عهودها وعقودها لساد السلام بين الأمم ، ولنجت البشرية من أخطار جسيمة ، هددتها وستهددها إلى أن يرجع الناس إلى فضائل الدين . ولا غرابة فى ذلك ، ونحن نرى الخيانة والغدر من أكثر الصفات شيوعاً بين الأفراد والجماعات ، وقد حذر ديننا الإسلامى من الخيانة أشد التحذير حتى قال الرسول الكريم : « لا إيمان لمن لا أمانة له » ، كما حذر من الغدر ، فجعله من صفات المنافقين ، وفى الحديث الشريف : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها » .

ومن الصفات الحميدة التى وصف بها المؤمنون ، ماجاء فى أول أوصافهم فى آيات الفرقان ، من قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » ، ومعنى ذلك أنهم متواضعون ، لاتشمخ أنوفهم على خلق الله ، ولا يملأ التيه أعطافهم ، مهما بلغوا فى المال أو فى الجاه أو فى العبادة ، والمراد بالهون السكينة والوقار ، وليس المراد أنهم يسيرون فى تخاذل وضعف ، فذلك ليس من وصف المؤمنين ، ولم يكن الرسول ، ولا أصحابه على هذه المشية التى يتصنعها المتنطعون فى الدين ، من التزمت الشديد ، وإظهار الضعف ، وإنما كان يمشى رسول الله ﷺ ، وكأنما يتحدر من صبب ، وفى وصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وقد رأى شابا يمشى رويدا ، فقال له : مابالك ؟ أأنت مريض ؟ قال : لا . يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالدرة وقال : لاتفسد علينا ديننا . ولا يفهم من وصف مشية عمر بالإسراع أنه كان يهرول ، وإنما المراد أنه كان يجدّ فى مشيته ، ولا يظهر فيها أثر الضعف ، وليس من المحمود فى الدين الإسراع فى المشى كما جاء فى الحديث : « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » .

وإنما كان المشى على الأرض هونا من صفات المؤمنين ، لأنه لايوجد فى هذه الحياة ـ مهما كان فيها من نفائس ـ مايغرى الرجل العاقل بأن يركن إليه ، ويتطاول على عباد الله به ، فمهما وصل المرء ، ومهما بلغ من عظائم الأمور فإنه إلى التراب يصير ،

وقد أوفى على الغاية بعض الصالحين ، حين يقول فى موعظته : « يابن آدم ، طأ الأرض بقدميك فإنها عن قريب قبرك » .

ولعل مما يجعل هذا التواضع موضع فخر المؤمنين ، أن الله وصفهم بالشدة على أعداء الله فليس التواضع عن ضعف فى نفوسهم ، وإنما عن قوة ، فهم ـ مع تواضعهم هذا ـ أسد غضاب ، لا يبالون أين سقطوا فى المعركة ، كأن كل واحد منهم يتمثل :

أكر على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

وكما قال واحد منهم :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

* * *

وقد عز المسلمون ، واتسعت دولتهم ، وهابهم أعداؤهم ، يوم كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فلما تركوا أخلاق نبيهم ، وأهملوا فضائل دينهم ، وعكسوا الآية فى بعض الأحايين ، فكانوا رحماء على الأعداء ، أشداء على الأولياء ، ضاعت هيبتهم ، واستعبدهم أعداؤهم ، وجعل الله بأسهم بينهم .

* * *

ومن الآيات الجامعة فى القرآن الكريم لصفات المؤمنين ، قوله تعالى فى سورة التوبة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .... » إلى قوله « وبشر المؤمنين »

فى ابتداء هاتين الآيتين رغب الله عباده المؤمنين فى الجهاد ترغيباً بليغا ، ووعدهم وعداً حسنا ، جعل الجنة التى عرضها السموات والأرض ، عوضا عن نفوسهم وأموالهم حين يجاهدون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وهو عوض عظيم حقا ، ولذلك فرح الصحابة بهذه الآية فرحا بالغا ، وأكبروا أمرها كل الإكبار . حتى أنها لما نزلت توافد الناس على المسجد ، وأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفى ردائه على عاتقه ، فقال يا رسول الله : أأنزلت هذه الآية ؟ قال : نعم . فقال الأنصارى : بيع ربيح ، لا نقيل ولا نستقيل .

ثم عددت الآية الثانية أوصاف المؤمنين ، فذكر فيها تسعة أوصاف :

(التائبون) ومعنى هذا أن المؤمن الحق إذا ألم بذنب من الذنوب لم يصر عليه ، بل يؤنبه ضميره ، فيسارع إلى ربه ويندم على فعله ، ويستغفر الله ، ويطلب منه محو ذنبه ، وإقالته من عثرته ، وقد جاء هذا الوصف للمؤمنين فى آيات أخر ، جاء فى سورة آل عمران « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا ، وهم يعلمون » ووعد الله — ووعده الحق — أن من اكتسب خطيئة أو إثما ثم أناب إلى ربه ، وندم على فعلته ، غفر الله له « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما » .

(العابدون) وهذا وصف جامع ، والمراد أنهم يداومون على عبادة الله ، وأنهم يؤدونها على أحسن وجوهها ، لا يشغلهم عنها شاغل « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » .

(الحامدون) أى الذين يحمدون الله على كل حال ، فهم يقابلون كل أمر منه بالتسليم والرضا ، ولهم فى رسول الله أسوة حسنة ، فقد روت عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الأمر يسره قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال » وإذا بلغ المؤمن هذا الحد من الحمد على السراء والضراء فقد خلص قلبه لربه ، وطهرت نفسه من شهوات الدنيا ، وأصبح — حقاً — من عباد الله المقربين .

وقد كان كثير من سلفنا الصالح كذلك ، فكانوا يفرحون بالضراء كما يفرحون بالسراء ، لما يكون فى الضراء من جزاء الصبر ، وما يكون فى السراء من جزاء الشكر ، ولذلك قيل : التهنئة على آجل الثواب خير من التعزية على عاجل المصيبة . فهم يرون أن المصيبة وسيلة إلى إظهار رضاهم عن ربهم وصبرهم على بلائه ، فهذه التى حلت بهم ليست مصيبة يعزى فيها ، وإنما هى نعمة يهنأ عليها ، وقد قالوا فى الصبر الجميل : إنه لا يتحقق حتى يقوم الرجل يوم تصيبه المصيبة ، مثله قبل أن تصيبه . وهذا مقام عظيم ، لا يصل إليه إلا المصطفون ، وقليل ما هم .

(السائحون) جاء عن عائشة : سياحة هذه الأمة الصيام ، وقيل : المراد بهم المهاجرون ، وقيل : المجاهدون ، فقد ورد عن النبى ﷺ : أن سياحة أمتى الجهاد ، وقيل : طلبة العلم ،

وأياً ما كان فليس المراد به السياحة المعروفة ، لأن هذه رهبانية ، ولا رهبانية فى الإسلام.

(الراكعون الساجدون) المراد بهما ، إقام الصلاة ، والخشوع فيها ، وقد سبق الحديث عن ذلك .

(الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) وهاتان الصفتان ، من أدل الصفات على قوة الإيمان ، والاستهانة بكل ما يعترض طريق المؤمن من متاعب وآلام ، فى سبيل تطهير المجتمعات من الرذائل ، وتحليتها بكريم الخصال . والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، هما الجهاد العملى ، فى سبيل إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ومحاربة الظلم والبغى والفساد ، وإذا كان الثواب على قدر المشقة ، فإن من أشق ما يقوم به المؤمن أن يأمر بالمعروف ، وأن ينهى عن المنكر ، ولا سيا فى الأزمنة التى يعم فيها الفساد ، ويطغى فيها الحكام ، وقد وصف الله الامة المحمدية بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وكان من أسرار ذلك أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) كما نعى على اليهود ، وأخبر أنهم لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم (بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقد وازن القرآن بين المنافقين والمؤمنين ، فقال فى شأن المنافقين : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) ، وقال فى شأن المؤمنين : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

(والحافظون لحدود الله) هذا تعميم بعد تخصيص ، أعنى أنه بعد أن وصفهم بهذه الصفات مفصلة أجمل الأمر كله فى هـذه الصفة ، فذكر أنهم حافظون لأوامر الله فلا يخالفون ، وحافظون لنواهيه فلا يقترفون شيئاً منها .

(وبعد) فهذه أصول الفضائل التى تميز المؤمنين الصادقين عن الآخرين ، وقد وعدهم الله على قيامهم بما تتطلبه هذه الصفات ، النعيم المقيم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ؟

علی العماری

فارس غرناطة

مسرحية فى فصل واحد

المكان : قاعة العرش فى قصر الحمراء من غرناطة
الزمان : المحرم سنة ٨٩٧ هـ (نوفمبر ١٤٩١م)

أشخاص المسرحية وأدوارهم

الأشخاص (التاريخيون) :	الأدوار :
أبو عبد الله	صاحب غرناطة آخر ملوك العرب فى الأندلس
أبو القاسم	حاكم « العسكرى وعضو المجلس الأعلى
موسى بن أبى الغسان (الغزان)	قائد غرناطة وفارسها
نعيم بن رضوان محمد بن زائدة	من القواد

الأشخاص المضافون :	
سعيد حماد (أبو شهيد)	فراشان فى قصر الحمراء
أبو محمد	حاجب
القاضى شيخان	من أعضاء المجلس الأعلى
رسول فرديناند وإيزابيلا	
فاطمة	عروس موسى

المشهد الأول

(سعيد وحماد - فراشان - يرتبان الارائك ، ويصلحان وضع القاعة استعداداً لاجتماع المجلس الأعلى) .

سعيد : (ممسكاً عن العمل يتأمل القاعة ويرسل زفرة حرى) وا أسفاه ! .. إنها المرة الأخيرة التى تظلنا فيها أيها السقف الذهبي ! ..

حماد : سعيد ! .. إنك لتفزعنى بهذه الكلمات ...

سعيد : لم يعد هناك مجال للتضليل ... إن غرناطة على وشك السقوط .
(أصوات الأبواق والطبول ترتفع من بعيد) .

حماد : ولكن الحامية لاتزال قوية ... ألا تسمع ؟ !

سعيد : ليهنك أملك .. إنه الشعاع الأخير فى ظلمات اليأس . أما أنا ... فلا أحس فى هذه الأبواق إلا نذير الفناء .. لقد استحالت فى مسمعى ألعاباً ينفخها الأطفال ...

حماد : أوه ! .. إنك مخلوق طبعت على التشاؤم ...

سعيد : ولم لا ؟ ! .. وكل ما حولنا ينعق بالشؤم .. حتى ملكك ... !

حماد : وأنت أيضاً ! .. ألا يكفى أبا عبد الله أن يسمع هذا السباب أينما ذهب من غرناطة ... هذا عقوق يا ...

سعيد : كفى .. كفى .. من حق الناس أن يتلقوه بأكثر من هذا .. وما أشد عقوقهم لربهم فى صبرهم على هذا الأبله ! ..

حماد : ويحك .. أنسيت بلاءه المجيد ؟ .. ألم يدفع هؤلاء المغيرين عن غرناطة قبل شهر ! ؟

سعيد : (يرسل ضحكة جافة) وأى فضل له فى ذلك ! .. إنها حماسة ابن أبى الغزان الذى جره مكرهاً إلى المعركة .

حماد : هب ما تقوله صحيحاً ، فما ذنبه ؟ . . وقد تسلم البلاد وهى فى دور الاحتضار . . كما قال لك خالد أمس .

سعيد : أنت دائماً تردد أقوال خالد . ولكن الناس لايحاسبون صاحبكم على ذنوب غيره .

حماد : فعلام إذن يلومونه ؟ . .

سعيد : لأنه أجهز على بقية أملهم فى الحياة . . ويلك . . أنسيت أيام أثار العامة على أبيه إرضاء للقشتاليين ؟ . . ألم يحاربه بسيوفكم حتى قضى عليه غماً وكمدا . . !

حماد : ولكن . . .

سعيد : دع لكن . . أنسيت أيام كان يقطع بكم طريق عمه « الزغل » ، وهو بقية المجاهدين ، ليصرفه عن نجدة العرب فى المواطن المهددة . . حتى اضطره للتسليم إلى فرديناند ! . . .

حماد : أشهد أنك أقدر منى على الحجاج . . ومع ذلك لا أزال واثقاً برجولة أبى عبد الله ، وإنى لأترقب له وثبة جديدة ترد فرديناند إلى أقصى الحدود . .

سعيد : أف ! . . ذلك هو مرض العرب ... إنهم أبداً ينتظرون ولادة المعجزات على أيدى حكامهم ...

(وقع أقدام من الخارج)

حماد : (هامساً) أمسك لسانك ، واحتفظ برأسك . . إن للجدران آذانا ...

سعيد : هيهات ... لم يعد هناك ما يخيف ...

المشهد الثانى

(يدخل الحاجب كئيباً)

سعيد : ما وراءك يا أبا محمد ؟ ...

الحاجب : أسوأ الأخبار . إن العدو على أهبة النفاذ إلى قلب غرناطة ، وقد بدأ يحشو أسوارها بألغام البارود ...
(يرتفع دوى انفجار) . . هو ذا أحدها . .
(سعيد وحماد يطلان من النافذة)

حماد : انظر سحب الغبار ... يا للهول ! . .

سعيد : إن العدو كالبحر الزاخر ... اللهم رحمتك ! ...
(حركة أقدام من الخارج)

الحاجب : الملك ... الملك ومعه قاضى غرناطة وحاكمها ، وبعض الشيوخ ...

المشهد الثالث

(يدخل الملك ومعه قاضى غرناطة وشيخان ، ثم حاكم المدينة . يحتلون أمكنتهم فى جمود واضطراب)

الملك : (بعد لحظة صمت) لقد دعوتكم للنظر فى تبدلات الموقف (يجيل نظره فى أرجاء القاعة ويرسل تنهدة عميقة) وما أدرى فقد لا تجمعنا (الحمراء) مرة أخرى ... لقد جاءنى رسول الطاغية يحمل شروطه ، وما أحب أن أقطع أمراً لا ترضونه . ليتفضل القاضى بالكلام ...

القاضى : يجب أن نعرف أولا قوة الحامية ، فما ينبغى التفكير فى التسليم مادام هناك سبيل للمقاومة .

أحدالشيخين : ولعل إخواننا فى إفريقية لا ينسوننا من مددهم ، وهم يعلمون أننا ندافع عن آخر أثر لوجود العرب فى هذه الأرض .

الملك : (للحاكم العسكرى) تكلم يا أبا القاسم ... فأنت الحاكم العسكرى ...

أبو القاسم : أما المدد فقد انقطع كل أمل فيه . إن إفريقية مشغولة عنا بحروبها العشائرية . وأسطول الطاغية يسد ثغور الأندلس ، وجبال « البشرات » قد ألقت سلاحها بعد أن فنى معظم رجالها ، ولم يبق لكم إلا ما تحت أقدامكم .

الجميع : حسبنا الله . .

القاضي : والمؤن ... !

أبو القاسم : يكفي أن تعلموا أن الأطفال يهلكون جوعاً فى أحضان أمهاتهم ، وأن الحامية تقاتل على الطوى منذ الأمس .

الجميع : الله أكبر ... ! لا حول ولا قوة إلا بالله ! !

(يدخل الحاجب)

الحاجب : مولاى ... إن رسول الطاغية يستعجل النظر فى أمره ...

الملك : نعم . . نعم ... (للحاكم) يحسن أن تعتذر إليه وتصحبه إلى هنا يا أبا القاسم .

(يخرج الحاكم والحاجب)

الملك : (متهدج الصوت مجيلا عينيه فى القاعة) أسفاً على ماضيك أيها القصر . . لقد كان رسل الفرنجة ينتظرون أياماً حتى يؤذن لهم بتقبيل الأرض وتقديم الهدايا ...

القاضي : كان ذلك فى عهد الإيمان والبطولة ...

الملك : أشاءت حكمة الله أن ينتهي كل هذا المجد على يدىّ المشئومتين ؟ !

الشيخ : ذلك قضاء الله ...

الملك : يا لهوانى على الله ! ...

المشهد الرابع

(وقع أقدام من الخارج . . وصوت سلاح . .)

الحاجب : الحاكم العسكرى ومعه رسول الطاغية ...

(يدخل الرسول بسلاحه ، ومعه الحاكم أبو القاسم)

الرسول : السلام عليكم .

الجميع : (وقوفاً) وعليكم السلام .

الملك : (يأخذ بيد الرسول إلى مقعد على يمينه) عذراً أيها السيد لتأخير مواجهتك ، فقد أحببت أن تقف بنفسك على جواب المجلس الأعلى .

(الحضور يتهامسون فى شأن الرسول)

(الملك يتابع كلامه للرسول) : لقد بعثت فينا فصاحتك نشوة . فلعلنا تلقاء أخ عربى ! .

الرسول : (مبتسما) لم يخطئ حدسكم . إن والدى عربى . وقد اختارنى سيدى لهذه الوفادة أملا فى أن أوفق لإقناعكم بالكف عن المقاومة اليائسة ، رحمة ببقية الدماء ...

الملك : نعم الاختيار . وإنها لفرصة كريمة أن نشركك فى أمرنا كأخ لاينسى حقوق الرحم

الرسول : يؤسفنى أن أقول : إننى لا أستطيع خدمتكم بشىء سوى أن أنصح لكم بالتسليم . كان عليكم أن تفكروا فى هذا المصير يوم تعهدتم لمولاى بتسليم غرناطة إذا فرغ من القضاء على عمكم ...

الجميع : (فى دهشة) يا لله ! . . نعوذ بالله ! !

الرسول : أما وقد انتهى أمر عمكم فعليكم أن تفوا لمولاى ، وأن تعملوا للإفادة من عطفه .

الملك : (مطرقاً) أعترف بأننى أنا الذى سعيت إلى نهايتى بعقوقى وجهالتى ، ولكن ... أرجو أن أجد فى قلب فرديناند متسعاً للأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء .

الرسول : ما أحسب سيدى ضنيناً بهذه الرحمة .

الملك : ليكن أمر الله . فاذكر لنا مطالبكم إذا شئت .

الرسول : (يخرج من ثيابه أوراقا) مطالبنا أن يقسم الملك وكبار القادة يمين الطاعة لملكى قشتالة وأراغون ، على أن يغدو مسلمو غرناطة رعايا لهما ، محتفظين بأملاكهم وأسلحتهم ، أحراراً فى دينهم ومحاكمهم ، وضماناً لذلك تقدمون أربعمائة من أعيان غرناطة وشبابها رهائن لتنفيذ هذه الشروط ... تلك مطالبنا ولا سبيل

إلى تعـديلها . (ويقدم الوثيقة إلى الملك) وها هى ذى صورة الاتفاق لا ينقصها سوى توقيعكم .

الملك : شروط كريمة .

القاضي : إذا شفعها التنفيذ .

الرسول : مهما يكن من شيء ، فليس المغلوب أن يناقش الغالب فى وعوده . إن عليه أن يحسن به الظن ، ويسلم إليه القياد .

المـلك : رأيكم يا سادة غرناطة .

القاضى : لا خيرة فى الشر . وعسى الله أن يلهم الغالبين فيفوا لنـا ببعض ما أسلفنا إليهم من الـبر .

الرسول : إذن فلتتفضلوا بالتوقيع فإن فى التأخير مهالك لا حد لها .

المـلك : ليـكن أمر الله . (لحـاد) القلم والدواة يا أبا شهيد .

(يخرج حـاد)

القاضى : يحسن بنا انتظار القادة فإن لرأيهم شأناً لا يسعنا إغفاله .

المـلك : حقاً . . . وقد أرسلت فى طلبهم (هامساً) غير أننى أخشى مخالفتهم .

(حركة من الخارج . يدخل الحاجب) .

الحاجب : موسى بن أبى الغزان ، ونعيم بن رضوان ، ومحمد بن زائده .

المـلك : ليتفضلوا ... (للشيوخ) لعلـكم تقنعونهم . إنى لأخاف أن تقطع ثورة الشباب آخر خيط من الأمل .

سـعيد : (هامسا) قبح الأمل .

« يتبع »

محمد المجذوب

الفنون الجديدة والدروس المستفادة

من غزوة أحد

مر بأبى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة فطلب إليهم إبلاغ الرسول ﷺ أن أبا سفيان ورجاله قد أجمعوا السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلوا بقيتهم .

وكان الرسول فى حمراء الأسد حين أخبره الركب بهذه الرسالة ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد لجأ أبو سفيان إلى هذه الحيلة حتى لا يقال : إنه فر من لقاء المسلمين .

وكذلك خشى إذا هو رجع لقتالهم أن ينتصروا عليه ، وفى ذلك قضاء عليه وعلى نصره بأحد وعلى قريش جمعاء .

وقد بقى الرسول والمسلمون بحمراء الأسد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ينتظرون قريشاً ليثبتوا لها أنهم عازمون على قتالهم أشد العزم .

وكانو يوقدون فى تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل ناحية ، فكان ذلك داعياً إلى إرهاب قريش ، وإلى القضاء على أقل تفكير فى العودة لضرب المسلمين .

ولما لم تأت قريش ، وتأكد النبى ﷺ أنها لن تعود ، رجع بأصحابه إلى المدينة فوصلها يوم الجمعة وقد استعاد كثيراً من الهيبة والقوة بعد أن كان ما كان .

الجديد فى أحد :

ظهرت فى هذه الغزوة بعض الفنون الجديدة نذكر منها :

أولا : حفر المصايد :

استحدث المشركون طريقة الحفر المغطاة بالخفيف من سيقان الشجر والعشب والرمال ليسقط فيها المسلمون ، فيكون التنكيل بهم أقسى وأشد .

وقد قدمنا أن أبا عامر الراهب هو الذى تولى إعداد تلك الحفر ، وأنه سقط فى إحداها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فأغمى عليه .

ثانياً : اشتراك النساء فى المعركة :

اشتركت النساء فى المعركة مع كلا الفريقين ، أما نساء قريش فكان وجودهن لاستثارة الهمم ، وإذكاء روح الانتقام ، وطلب الثأر فى نفوس قريش ، وكانت وسيلتهن لذلك هى البكاء والعويل ، وذكر قتلى بدر من أشرافهم .

وأما نساء المسلمين فكان وجودهن لأمرين :

١ — حمل المياه فى القرب لسقيا المسلمين .

٢ — القتال فعلا فى ساعات الحرج ، فقد ثبت أن أم عمارة الأنصارية قاتلت فعلا لتدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف تارة ، ثم بالرمح تارة ، حتى أصابتها الجراح فأقعدتها

الدروس المستفادة من أحد :

أولا : مخالفة أوامر القائد :

قدمنا أن الرسول ﷺ قائد جيش الإسلام عندما كان يرتب جيشه للقاء العدو كلف خمسين من الرماة بأن يقوموا على حراسة شعب فى جبل أحد مقابل لظهر المسلمين ويخشى نفاذ المشركين منه .

ولقد كان رسولنا الكريم من الحكمة وبعد النظر ، بحيث أمر هؤلاء الحراس ألا يبارحوا مكانهم بأى حال ، وألا يتركوه لنصرة إخوانهم إذا كانوا مهزومين ، ولا لاستغلال نجاحهم إذا كانوا غالبين .

ولكن هؤلاء الرماة رأوا زملاءهم منتصرين ، ويأخذون الغنائم فسال لعابهم ، وخالفوا أمر النبي ﷺ ، فكانت تلك العاقبة الوخيمة التي جاءت بالهزيمة على المسلمين ، وتبدل الحال غير الحال .

جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون ونادى مناد : « إن محمداً قد قتل » فانحطت روحهم المعنوية وأصبح القتال للنجاة ، لا جهاداً في سبيل الله ، ولو اتبع الرماة تعليمات النبي القائد لما كانت الهزيمة .

ثانياً : القيادة الحكيمة :

لقد خالف الرماة أوامر النبي ﷺ فكان ما كان .

ترى ماذا هو فاعل بهم عند لقائهم ؟ هل كان حساب ومؤاخذة ؟ لا ، بل كان عفو وصفح ! ولقد ضرب لنا الرسول بذلك أعظم الأمثال على القيادة الحكيمة الرشيدة ، وعلمنا كيف يكون الرفق أبلغ من الشدة وأعمق أثرا .

لقد دلنا هذا الحادث على أن محمدا ﷺ عالم نفسي ، كما هو قائد حربي . كان عليما بنفوس رجاله ، خبيرا بالأسلوب الأمثل لمعاملتهم ، وكان يعلم حق العلم أن العربي حسبه أن يرى عاقبة غلطته ليتعظ فلا يعود إليها ، ويكون من نفسه لنفسه تلك المحاسبة القاسية ، وذلك العتاب المر ، ولذلك اختار أن يتركهم للضمير العربي الحي ، وفي ذلك الأثر الشديد المنشود . ثم إنه كذلك يعرف في المسلمين ضعفهم وقلة صبرهم على الشدة لو كانت منه عليهم في كل ما خالفوه فيه مما افترض عليهم من طاعته . وأحسن ما يكون الرفق إذا جاء من القائد الكبير ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « لا حلم أحب إلى الله تعالى من حلم إمام ورفقه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه [1] » .

ولقد أثنى الله على نبيه لعفوه عن مخالفيه فقال وهو أصدق القائلين : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفرلهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » .

---

[١] الخرق : ضد الرفق .

وكذلك يتحقق قوله جل وعلا : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ختـــام :

وقبل أن ندع الكلام عن أحد ، علينا أن نلقى نظرة على شهدائها الذين ماتوا فى سبيل الله مخلصين ، وذهبوا صادقين فى إخلاصهم ، والذين تجلت لنا منهم روح الشجاعة الفائقة والإقدام الذى لا حد له ، دفاعا عن أشرف عقيدة ، وعن أشرف المسلمين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

هنيئا لهم الجنة التى كانوا وعدوها ، وهنيئاً لهم وقد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : « يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ » فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا : الجنة نأكل منها حيث شئنا ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : « يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ، إلا أن نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل مرة أخرى !! ؟ » ؟

محمد جمال الدين محفوظ

الغنى والفقر

* الغنى أن تملك من الدنيا ، ولكن أحسن الغنى أن تهنأ فى الدنيا .

* ينبغى أن تقدر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته ، بل بعدد الأشياء التى يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها .

* الفقر خلوّ من المال ، ولكن أقبح الفقر خلو من العافية .

مصطفى صادق الرافعى

رفقا بالشباب

الشباب عصب الحياة ، وعدة الأمم . به تعيش ، وفى سبيله تحيا .

فالأمة القوية هى التى تتمتع بقوة شبابها . والأمة السعيدة هى التى يعمل فيها الشباب بفكر وثاب ، وعزيمة لا تعرف الخور ، وأمل لا يرقى إليه الملل ، ولذلك تحرص الشعوب الناهضة على تثقيف أبنائها ، وتزويدهم بما يدفعهم إلى المعالى ، حتى إذا كملت قوتهم ، وسلمت بنيتهم ، وعزت شكيمتهم ، جنيت من غراسهم أطيب الثمرات ، وأحسن الخيرات .

ومن عجب أننا فى مصر نجد الشباب الذى نعلق عليه كبار الآمال ، ونرجو منه الخير وعلو الشأن — نجده محوطاً بظروف تصرفه عن غايته ، وضروب تثبط همته ، وتدفعه إلى ما يفسد أخلاقه ، ويقوض معنوياته . يفتح الشباب عيونه فيجد ألواناً من الفتنة التى تسير معه فى الطرقات ، وتجلس بجانبه فى المنتديات والأماكن العامة ، ثم يقرأ الشباب فيجد بعض الكتاب يزين له الفساد ، ويحببه فى الرذيلة ، ويشجعه على التصرف فى الغرائز بطرق ملتوية ، ويلقى بناظريه على الصحف والمجلات ، فيجد صوراً خليعة فى أوضاع ماجنة ، لا تحترم الدين ، ولا تخضع للذوق ، ولا تهاب الضمير ، فماذا يفعل الشباب حين يرى هذه الأساليب وتلك الصور والمقالات الخليعة السافرة ؟ إنه من غير شك ستحدثه نفسه . ويستولى عليه شيطانه ، ويوجه سلوكه العقل الباطن إلى مهاوى الرذيلة ، وبؤر الفساد . فهل بمثل ذلك يوجه الشباب ؟ وهل بهذه الأساليب تعالج مشكلاته ؟ وهل بهذا النوع من المجون والاستهتار تنهض الأمم وتتقدم الشعوب ؟ أغلب الظن أن هؤلاء الكتاب الذين يتحدثون عن « الكبت الجنسى » والميل العاطفى ، ودفع الشباب إلى قضاء مآربه دون خشية أو وقار ، يضرون المجتمع ويعبثون بالفضائل ، ويقوضون دعائم الأسر والبيوت .

* * *

نقول هذا وتحت أيدينا من « القصص الجديدة » قصة تدور لحمتها وسداها على أن الكبت الجنسى الذى يعانيه الشباب اليوم ترجع أسبابه إلى إلغاء البغاء الذى كان يقوم بعملية التنفيس أو التصريف لجسم المريض ، فيقول الكاتب : « قبل إلغاء البغاء لم تكن هنالك حالة كبت .

إذ فى استطاعة الشخص أن يقضى حاجة جسده بقروش قليلة ، ثم يزعم أن الاستعمار هو الذى قضى على تلك البيوت ليصرف الشعب عن ميدان الجهاد فى سبيل حريته إلى ميدان آخر يصارع فيه نفسه ، فإما انتصر وتحطمت نفسه أو تحطم وانتصرت نفسه ، وكلا الأمرين تمزيق لوحدته الفكرية » . وفى موطن آخر يقول الكاتب : « لكى نصل من وراء إلغاء البغاء إلى النتائج المرجوة يجب أن يعقبه إطلاق للحريات مع الدعوة إلى الحب وتيسير التقاء الجنسين فى جو من الطمأنينة ، ودون خوف من بطش القوانين الرجعية . وبغير ذلك يصبح إلغاء البغاء كارثة اجتماعية تهدد كيان الأمة بالخطر » .

* * *

وتتحدث صحيفة المصرى قبيل احتجابها عن الكبت الجنسى ، وتدعو علماء النفس والاجتماع إلى معالجة تلك المشكلة ، ثم يصدر كتاب « هذا أو الطوفان » وفيه دعوة صريحة إلى الإباحية ، وخروج على التقاليد ، حتى لا يوجد فارق بين الفتى والفتاة : تحب من تشاء ، ويمشى الفتى مع الغادة التى يختارها ، رضى المجتمع أو كره ، حتى يتمتع الشباب ولا ينزلق فى مهاوى الرذيلة كما يقولون - ولست أدرى ما الذى جمع بين هذه الألوان الثلاثة فى وقت واحد ؟ أهو توافق الخواطر ، أم العبث الظاهر ؟

* * *

يعيبون إلغاء البغاء . فهل فى العودة إلى البغاء ما يزيل الداء ؟ ويبشر بالشفاء ؟ ويزعمون أن الاستعمار هو الذى دفعنا إلى صنعه ، ونسوا أنه هو الذى جلبه وأفسدنا بنسائه الخبيثات . فهل يصدق مسلم أو عاقل أن فى إعادة البغاء ما يصلح الشباب ، ويقوم أخلاقه ، ويصحح معنوياته ؟ إن عودة البغاء تعنى أن المجتمع تداعى دعائمه ، وتنهار أخلاقه ، وتزداد آلامه .

أى خلق سليم يرضى أن تعرض الأعراض فى الأسواق ، وأن تنتهك الحرمات فى أماكن خاصة ؟ وأى نفس كريمة تسمح لأولادها وبناتها أن تسير إلى تلك الهاوية ، احتراما للمدنية المحتضرة ، وتقديرا للحرية الكاذبة الفاجرة ؟ إنها الإباحية السافرة ، والمجون الذى يدفعنا إلى الخراب ، وتحطيم قوى الشباب .

وما تلك الحريات التى يريدونها فى التقاء الجنسين ، غير الإباحية والعبث بالكرامات . والخروج على الأخلاق والدين الذى قامت رسالته عليها ، وكيف ندرس الناحية الجنسية

لأبنائنا وبناتنا فى المرحلة الإعدادية كما يدعو إلى ذلك أحد الأقلام الهدامة فندفع الطلاب والطالبات إلى المجون والاستهتار باسم العلم والدراسات .

وهل يرضى هؤلاء الكتاب لأبنائهم أن يجلسوا مع الفتيات ، أو لبناتهم وشقيقاتهم أن يجلسن مع الشبان فى خلوات باسم الحرية والمدنية ؟ وهل يبيحون لبناتهم أن يذهبن إلى الفتيان باسم الصداقة العاطفية ، والمودة الشخصية ؟ إن كانوا يرضون بذلك فإنهم سيحملون ذل الأبد وعار الدهر ، وإن كانوا لا يبيحون ذلك لأولادهم وبناتهم ، فليتقوا الله فى المجتمع ، حتى لا تنهار دعائمه وتتقوض أركانه . إن هؤلاء الكتاب وأمثالهم يدعون إلى الحرية وقد فقدوها ، إذ اتبعوا غيرهم وتمادوا فى تقليده ، ونسوا شخصياتهم وأوغلوا فى إهمالها فهم غربيون فى صور شرقية مزيفة ، لا إلى الغرب تنسب ، ولا على الشرق تحسب .

* * *

الشباب اليوم فى حاجة إلى من يهديه السبيل ، ويجنبه الزلل ، فلا تزيدوا همومه ، ولا تثقلوا آلامه . وكفى ما تحمل هذه الدعوات من فجور ، وما تنادى به من مجون واستهتار . فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى شباب فتى يقدر القيم الروحية ، ويحتذى المثل العبقرية ، ويقتدى بالأبطال فى ميادين المجد والاستقلال ، والعمل والنضال .

فواجبنا نحو الشباب يدفعنا إلى الأخذ بيده فى طريق القوة والمعرفة ، وتبصيره بمواطن الزلل والأخطاء .

للشباب رسالة ، وله هدف وغاية . وعلينا نحن الآباء والمصلحين أن نزيل عنه الحجب ، وأن نعوده الثقة بالنفس ورباطة الجأش ، والعمل بقدم راسخة ، وعقيدة مطمئنة إلى العلا والسعادة .

وفى استطاعتنا أن نستفيد من نشاط الشباب ، لا بصرفه فى الغرائز الجنسية والاستجابة لها ، ولكن بتحويل تلك القوى الكامنة فيه إلى عمل مفيد ، ونهج جديد ، وهدى وإصلاح .

وفى اعتقادنا أن فساد الشباب إنما ينشأ من تلك المناظر المثيرة فى الطرقات ، والصور الماجنة فى الصحف والمجلات ودور اللهو ، والأغانى المثيرة للجنس ، وهذه المقالات التى تحض الشباب على ترك القيود ، لتنفذ الغريزة ما تريد .

علينا أن ندرس للشباب تاريخ عظماء الرجال ، لنخلق منهم الأبطال ، وأن نوجهه إلى أثر الأخلاق فى بناء الأمم وحضارة الشعوب ، ليحرص على الأخلاق القويمة ، والمثل المستقيمة ، وأن نبصره بآثار الطيش والانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، حتى يعتبر بالضحايا والأخطاء ، وأن نحثه على تنظيم أوقات الفراغ فى الرياضات المحبوبة ، التى تغذى الجسم ، وتنمى الفكر ، وتهذب الوجدان . ونعيد إليه ثقته بنبله وعزائمه ، وأن نوجهه إلى اختيار الأصحاب فى ندوات علمية وأخرى أدبية ، وأن نحترم رأيه لنعوده تحمل المسئولية ، حتى يصبح عضواً نافعاً فى المجتمع بآرائه السديدة ، وقوته العارمة ، وشجاعته الحازمة ، ونفسه الأبية ، وروحه القوية ، وعلينا أن ندربه على التعاون الصالح ، لينشأ محباً لوطنه ، عاملا لخير جماعته ، مضحياً فى سبيل أمته بنفسه ونفيسه .

* * *

إن الشباب نار ونور . فاجعلوا ناره تبيد الأعداء ، وتمحق العقبات ، وتمحو الضعفاء . واجعلوا نوره يحقق الرجاء ، ويذهب الظلماء ، ويوصل إلى العلياء . لا تجعلوا ناره تحرقه ، ونوره يفقده ، وبأسه يتركه .

* * *

أيها الكتاب : لم يخلق الشباب ، ليضم الفتيات بين ذراعيه بالحرام ، وليعبث فى الأزهار بالحماقة والإثم ، ولكن خلق ليصنع المجد بساعديه ، وليحمل النبل بين جنبيه ، وليحمى العقيدة من الذل والضيم ، وليقيم مجد الوطن على أسس قويمة ، لا تعبث بها الرياح ، ولا تحطمها أعاصير الأخلاق ، ثم ليكون منه للوطن جيل من أبنائه يقيم الصرح ويعيد المجد ويجدد السيادة .

* * *

أيها الكتاب . الله الله فى الشباب . الله الله فى وطنكم وضمائركم ، الله الله فى دينكم وأخلاقكم ، فإن لم تفعلوا يوشك الله أن يسلط عليكم يداً مؤدبة تأخذ على أيديكم ، وتنقذ المستقبل من الهوة التى تدفعون الجيل إلى قرارتها .

ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ؟

محمد صابر مرسى عاشور
مدرس بمعهد سمنود



عنوان النجابة

فى معرفة من مات بالمدينة من الصحابة

للأستاذ مصطفى العلوى الرافعى – ١٦٨ ص – نشره السيد حسن الشربتلى وزير الدولة بالحجاز

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين حفظوا لنا كتاب الله والوحى غض والزمن قريب ، وهم الذين نشروا شريعة الإسلام وسننه منقولة بنصوصها الصحيحة السليمة عن الهادى الأعظم صلى الله عليه وسلم فتلقاها عنهم التابعون فى كل بلد نزلوا فيه ، إلى أن صارت إلى الأئمة الذين استنبطوا منها الفقه والتشريع .

فالصحابة هم الذين اختارهم الله لحفظ كتابه الباقى الخالد إلى يوم الدين ، وهم الذين عرفنا منهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ما لم تعرف مثله أمة من أمم الأرض عن أنبيائها الغابرين . وكان ينبغى لأهل كل قطر إسلامى نزل فيه طائفة من الصحابة مجاهدين وفاتحين ودعاة وهداة ثم تسلسل علمهم فى ذلك القطر أن يجعلوا ذلك من أعظم دراساتهم ، فيترجم الحجازيون للصحابة الذين نزلوا الحرمين ولا سيما المدينة ، والمصريون للصحابة الذين نزلوا مصر ، والشاميون للصحابة الذين نزلوا الشام ، والبصريون والكوفيون للصحابة الذين نزلوا فى هذين المصرين ، وأن يبحثوا عن تلاميذهم وما أفادوه منهم ، وعن تلاميذ تلاميذهم وماذا نقلوه لطبقة الأئمة من أمثال مالك والليث بن سعد والأوزاعى والشافعى وأضرابهم ، وبذلك نتعرف على أصول المذاهب الإسلامية وينابيعها وأنسابها .

ولعلى أشرت إلى هذا المعنى أو أردته بمقالة « مع الرعيل الأول » التى نشرت فى جزء رمضان للعام الماضى من هذه المجلة . ولأجل هذه المعانى التى تخالج أمنيتى فرحت كثيراً لما حمل إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق عند عودته أخيراً من حج بيت الله الحرام هدية من السيد حسن الشربتلى وزير الدولة فى المملكة السعودية وهى كتاب (عنوان النجابة فى معرفة من مات بالمدينة من الصحابة)

الذى ألفه السيد مصطفى بن محمد العلوى الرافعى نزيل المدينة المنورة الآن ، فقد ترجم فيه لنحو مائتى صحابى وصحابية ثبت لديه موتهم ودفنهم بالمدينة ، واستمد تراجمهم من الإصابة والاستيعاب والمستدرك للحاكم وتهذيب النووى وسيرة ابن هشام وكامل ابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير . وإذا كان قد اقتصر على التراجم فإنه مهد لأدباء المدينة أن يتابعوا الدرس الذى ضربت المثل عليه فى مقالة « مع الرعيل الأول » وقد كان شاه ولى الله الدهلوى فى « حجة الله البالغة » قد تعرض لذلك فيما يتعلق بأمير المؤمنين عمر وابنه عبد الله ابن عمر وتلميذه نافع إلى أن وصل علمهم إلى الإمام مالك فدونه فى الموطأ واستنبط منه فى المدونة ، ولما نشر صديقى الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتاب (الموطأ) سألنى أن أختمه بشىء فختمته بكلمة فى الموضوع الذى تصدى له شاه ولى الله الدهلوى لأنبه أنظار الناشئين إلى مثل ما أردت تنبيها إليه فى مقالة « مع الرعيل الأول » . فعسى أن أدباء المدينة يتتبعون أصول علم الإمام مالك وأصول بقية أئمة المدينة حتى يوصلوها إلى الصحابة ثم يبينون كيفية انتشارها فى الأرض ، ليقوم بمثل عملهم المصريون فيما يتعلق بالصحابة الذين نزلوا مصر ، والشاميون فى الصحابة الذين نزلوا الشام ، والعراقيون فى الصحابة الذين نزلوا العراق ، وهذا هو الطريق الحقيقى لدراسة تاريخ التشريع الإسلامى .

تأويل مشكل القرآن — لابن قتيبة

بتحقيق الأستاذ السيد صقر — ٦٠٠ ص — مكتبة عيسى الحلبى

عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) من أئمة العلم والأدب فى الإسلام ، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية قول العلماء فيه « إنه لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة » ، وعلى كثرة ما طبعت المطابع من تركة السلف لا يزال كثير من مؤلفات ابن قتيبة منسياً أو مفقوداً . وكتابه (تأويل مشكل القرآن) ألفه لما اعترض كتابَ الله بالطعن الملحدون ، ولغوا فيه وهجروا ؛ واتبعوا « ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » بأفهام كليلة ، وأبصار عليلة ونظر مدخول ، فحرفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ... وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر ، والحدث الغر ، فألف هذا الكتاب لينضح به عن كتاب الله ويرمى من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة ويكشف للناس ما يلبسون ، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح ، وحاملا مالم يعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات

العرب ليرى المعاند موضع المجاز وطريق الإمكان من غير أن يحكم فيه برأى ويقضى عليه بتأويل .

وكان قد طبع فيما مضى كتاب القرطين لمحمد بن أحمد بن مطارف الكنانى (٣٨٧ - ٤٥٤) الذى جمع فيه بين كتابى ابن قتيبة « مشكل القرآن » و « تفسير غريب القرآن » ، غير أنه نقص من الكتابين لجمعهما معاً أقل من نصف كتاب مشكل القرآن الذى عنى ابن الأزهر الأستاذ سيد أحمد صقر بنشره الآن عن ثلاث مخطوطات اثنتان فى دار الكتب المصرية والثالثة بمكتبة مراد ملا ، وقد تحدث عن هذه النسخ فى المقدمة ونشر صوراً شمسية لبعض صفحاتهن ، كما أنه ترجم لابن قتيبة ترجمة مطولة ، وألحق به فهارس مفيدة ، جزاه الله خيراً .

نحو الدستور الاسلامى

لأبى الأعلى المودودى — ١٣٦ ص — لجنة الشباب المسلم — بالمطبعة السلفية

الأستاذ أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان من أعلام الفكر فى المجتمع الإسلامى الآن ، ورسائله فى بيان صلة رسالة الإسلام بالمجتمع وحاجة الإنسانية إلى العمل بها قد ملأت الأقطار الإسلامية لأنها نشرت بالعربية والأوردية والإنجليزية وطبعت كل رسالة منها أكثر من مرة فى باكستان ومصر والشام .

ورسالته هذه (نحو الدستور الإسلامى) قد تناولت مصادر هذا الدستور وهى القرآن وسنة الرسول وعمل الخلفاء الراشدين ومذاهب المجتهدين ، وتعرض فيها للمشاكل التى تعترض الباحث فى الكتب الإسلامية القديمة مثل غرابة المصطلحات ، وترتيب الكتب الفقهية القديمة ، وفساد النظام التعليمى الآن ، وادعاء بعض الناس الاجتهاد مع الجهل .

ولما تكلم المؤلف عن الدستور الإسلامى تكلم فى تحديد معنى كلمة « الحاكمية » ولمن هى فى الواقع ، ومن ينبغى أن تكون له ، وعن حاكمية الله القانونية ومنزلة الرسول . وعن الخلافة والجمهورية ، والحدود العملية للدولة ، والحدود العملية لأركان الدولة ، ومنها المجالس التشريعية والهيئة التنفيذية والسلطة القضائية ، والغاية التى من أجلها تقوم الدولة ، وكيف تتشكل الحكومة ، وعن المدنية وأسسها والحقوق المدنية للأهالى على الدولة وللدولة على الأهالى . وألحق به فصل للمودودى عن المرأة فى الإسلام ومناصب الدولة فنلفت إلى هذا الكتيب القيم أنظار الباحثين .

مبادىء الاسلام

لأبى الأعلى المودودى - ١٣٩ ص - لجنة الشباب المسلم - المطبعة الهاشمية بدمشق

وهذا كتاب آخر لأمير الجماعة الإسلامية فى باكستان تكلم فيه عن الإسلام ومعنى هذه الكلمة وحقيقتها وحقيقة الكفر ، وعن الإيمان والطاعة ومعنى الإيمان والوسيلة إليه والإيمان بالغيب ، وعن النبوة وحقيقتها والحاجة إلى الإيمان بالنبى وعن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والدلائل على أنه خاتم النبيين ، وعن الإيمان بالله وتأثير عقيدة التوحيد فى حياة الإنسان ، والإيمان بالملائكة وكتب الله وأنبيائه واليوم الآخر ، وعن العبادات ومعنى العبادة وعن الصلاة والصوم والزكاة والحج وحماية الإسلام ، ثم تكلم عن الدين والشريعة والفرق بينهما والوسائل إلى معرفة أحكام الشريعة ، وتكلم على الفقه والتصوف . ثم تكلم على أحكام الشريعة ومبادئها وعن الحقوق وأقسامها الأربعة وهى حقوق الله وحقوق النفس وحقوق الناس وحقوق سائر المخلوقات ، وانتهى إلى أن الإسلام هو الشريعة العالمية الدائمة .

وهذا الكتاب كسائر كتب الأستاذ أبى الأعلى المودودى قد عرف شباب الإسلام أنها الغذاء الذى لا مندوحة عنه للنفوس المتعطشة إلى معرفة هذا الدين العالمى الخالد معرفة مركزة صحيحة نافعة .

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازى - ٣ أجزاء جديدة - مطابع دار الكتاب العربى

عرف القراء فوائد هذا التفسير الجليل مما كتبناه عنه غير مرة فى السنة الماضية من هذه المجلة والتى قبلها . وقد صدر منه بعد ذلك ثلاثة أجزاء أخرى (الحادى والعشرون والثانى والعشرون والثالث والعشرون) إلى سورة (ص) وقد التزم المؤلف فى هذه الأجزاء كل ما التزمه فى الأجزاء السابقه مما جعله موضع ثقة جماهير الشباب المقبلين على تفهم كتاب الله والعمل به . وقد أوشك المؤلف على الانتهاء من عمله الطيب فنرجو له من الله العون والتوفيق .

أنباء العالم الإسلامي

سياسة العرب الخارجية

زار السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق الديار المصرية بعد صدور العدد الماضى من هـذه المجلة ، وأكمل مع ولاة الأمور فى مصر المباحثات التى بدأت بينه وبين السيد صلاح سالم فى سرسنك فى شمال العراق ، وعقد السيد نورى مؤتمراً صحفياً فى القاهرة قال فيه : « فى سنة ١٩٤٩ اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وجرى البحث فى السياسة الخارجية للدول الأعضاء ، وألقيت حينئذ ثلاثة أسئلة : الأول منها هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟ فكان الجواب بالإجماع : أن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العـــربية شيوعية بمعنى الكلمة ، وإلا فلا مجال للتعاون مع الكتلة الشرقية . وكان السؤال الثانى : هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب : أن الدول العربية ضعيفة لا تستطيع أن تحقق سياسة كهذه تحتاج إلى قوة كبيرة تجعل كل من يفكر فى الاعتداء عليها يخشى قوتها . وكان السؤال الثالث : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟ وجاء الجواب بالإجماع : أن هذا التعاون مقبول على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وهكذا تقررت سياسة البلاد العربية ، وبدأت بتنفيذها . وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ، ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب . وأعيد بحث السياسة الخارجية فى الجامعة العربية فى عام ١٩٥٠ فوجدت اللجنة السياسية أن تلك القرارات سليمة فأيدتها » .

رد عبد الرحمن عزام

وقد رد الأستاذ عبد الرحمن عزام على هذا البيان فى اليوم التالى لنشره فقال : « إذا جاز تسمية هذا القرار قرارا فهو قائم على فرض وهو (أن تتحقق أمانى الشعوب العربية جميعاً ، وأن تتخلى بريطانيا عن سياستها الاستعمارية) . وإن ما سماه السيد نورى

السعيد (قرارات إجماعية) فى سنة ١٩٤٩ قد نقضت من أساسها فى سنة ١٩٥٠ عندما أصدر مجلس الجامعة (قراراً إجماعياً ملزما) بعدم التعاون مع الغرب ما لم تتحقق المطالب العربية والأمانى القومية للأمة العربية . وهذا القرار أكده مجلس الجامعة العربية عدة مرات بعد ذلك أثناء النزاع بين بريطانيا وكل من مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وغيرها من البلاد العربية » .

سوريا ومصر

زار رئيس الوزارة السورية ورئيس أركان حرب الجيش السورى مدينة القاهرة يوما واحداً ، وعلق مصدر رسمى فى دمشق على هذه الزيارة فقال : إنها ترمى إلى الاطلاع على نتائج المحادثات التى عقدها الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومى فى مصر مع رجال الحكومة العراقية خلال زيارته للعراق ، والمحادثات التى دارت أخيراً فى القاهرة بين السيد نورى السعيد رئيس الوزارة العراقية ورجال الحكومة المصرية ، ولاسيما ما يتعلق منها بموضوع الاتحادات الثنائية بين الدول العربية ، والعون العسكرى الذى تقترح أمريكا تقديمه إلى البلاد العربية بعد أن تحسنت العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وقال المصدر الرسمى السورى : إن السيد سعيد الغزى رئيس الوزارة السورية اصطحب معه الزعيم شوكة شقير رئيس أركان حرب الجيش السورى لأخذ رأيه فى الموضوعات العسكرية ثم أكد هذا المصدر أن الحكومة السورية الحاضرة لن تبت فى أى موضوع يتعلق بالسياسة العربية ، لأنها ستترك الأمر للوزارة الجديدة التى تتمخض عنها الانتخابات القادمة .

مديرية الشباب

أدى النجاح الباهر فى إنشاء (مديرية التحرير) وتحويل مسافات شاسعة من الصحراء إلى حقول وحدائق وعمران ، إلى التفكير فى إنشاء مديرية أخرى على الأرض الصحراوية بين ترعة الاسماعيلية وقناة السويس سوف يطلق عليها اسم (مديرية الشباب) لأنها ستقوم على سواعد الشباب طبقاً لنظام معسكرات العمل .

وينتظر أن يبدأ هذا المشروع على مساحة محددة بإصلاح خمسة آلاف فدان ، ثم يتوسع فيها بحسب الحاجة وعلى قدر ما يلقاه المشروع من نجاح .

حاكم قطر

وتبرعاته لطلبة الأزهر وغيرهم

مر بالقاهرة فى طريقه إلى لندن سمو الشيخ على بن عبد الله الثانى حاكم مقاطعة قطر فى الجزيرة العربية . وقد زار الجامع الأزهر وتبرع للمحتاجين من طلبته بألف جنيه ، وبألف جنيه أخرى لجمعية مشوهى الحرب ، وبثلاثة آلاف جنيه للمشروعات الاجتماعية الخاصة بهيئة التحرير . وسموه يعنى بمعارف بلاده ، وقد استقدم من مصر من يقوم على حركة التعليم من أهل الكفاية والأخلاق الإسلامية .

ويطبع على نفقة سموه كتاب (المقنع) فى فقه الإمام أحمد لموفق الدين بن قدامة المقدسى وعليه حاشية امتازت ببيان فقه الصحابة والتابعين فى كل مسألة من مسائل الفقه بقسميه من العبادات والمعاملات وهو فى ثلاثة مجلدات انتهى اثنان منها والثالث تحت الطبع . وفى نية سموه طبع كتاب (الكافى) لابن قدامة أيضا وهو أكبر من المقنع وأصغر من المغنى . ومقاطعة قطر أهلها حنابلة سلفيون كأكثر مقاطعات ساحل الخليج الفارسى .

زلزال الجزائر

فى يوم ١١ المحرم (٩ سبتمبر) أصيبت مدينة أورليان والبلاد المجاورة لها فى شمال الجزائر بزلزال عنيف جداً قوض دعائم المدينة وحطم بلاداً أخرى فى تلك الجهات فقتل قريب من ألفى نسمة ونكب الألوف فى أنفسهم وأموالهم وأملاكهم . ومكان مدينة أورليان كان معسكراً للماريشال توجو الفرنسى وجيوشه فى السنين الأولى من غزوهم لهذا القطر الإسلامى العربى . وفى ١٩ شعبان سنة ١٢٦١ (٥ أغسطس سنة ١٨٤٥) بدأوا بتحويل مكان المعسكر إلى مدينة أطلقوا عليها اسم مدينة أورليان (أورليانزفيل) وهى تقع فى وسط الطريق بين مدينة الجزائر ووهران على الخط الحديدى وتبعد ٣٠٨ كيلو مترات عن الجزائر . ومناخها جبلى لطيف وأكثر سكانها فرنسيون وأجانب أما البلاد المجاورة لها فعربية إسلامية .

اعانات اسبوع البر

حولت وزارة الشئون الاجتماعية ممتلكات جمعية أسبوع البر إلى المجلس الأعلى لرعاية الأحداث وتبلغ أكثر من ١٨٠ ألف جنيه كانت معطلة عن الاستعمال فيما جمعت لأجله .

الأدب والعلوم

معهد أزهرى

للدراسات الاجتماعية

زار فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وزارة الشئون الاجتماعية واجتمع بوزيرها السيد البكباشى حسين الشافعى وتحدثا فى موضوع إنشاء معهد أزهرى للدراسات الاجتماعية يكون تابعاً لوزارة الشئون ويكون الالتحاق به مقصوراً على طلبة الأقسام العالية بالكليات الأزهرية ممن تثقفوا بأنواع الثقافات الإسلامية ويمتازون - إلى جانب معلوماتهم ومعارفهم - بالأخلاق القويمة والسيرة الحسنة. ومدة الدراسة فى هذا المعهد ثلاث سنوات متمشية مع الدراسة بالكليات ويخصص للمعهد ثلاثة أيام من كل أسبوع، يدرسون فيها ما يجب أن يتوفر لكل اجتماعى دينى مهمته الأولى تطبيق أحكام الدين على حاجيات الحياة اليومية للفرد والجماعة، وتبصير الناس بمسالك الرأى السديد فى نواحى الفقه الإسلامى.

وسيلحق المتخرجون فى هذا المعهد بالمراكز الاجتماعية حيث يعينون فى وظائف تنشأ لهم فيكون خريج هذا المعهد، مستشاراً دينياً فنياً، فى المركز الاجتماعى الذى يعين فيه.

وسيفتح معهد الدراسات الاجتماعية أبوابه ابتداء من أول هذا العام الدراسى، ويقوم بالتدريس فيه طائفة من الإخصائيين فى الجامعات ممن حصلوا على مؤهلات من الجامعات الأوربية.

ومما يدرس فى هذا المعهد: علم النفس الاجتماعى، وعلم الاجتماع، وخواص البيئة المصرية، وفن الأداء والإلقاء والخطابة، والتاريخ الحديث، والصحافة، ومن الجغرافيا استراتيجية البلاد العربية، وحوض البحر الأبيض، وأعالى النيل. والإذاعة، والمكتبة الحديثة، وكل ماله علاقة بالدراسات الاجتماعية.

ويقول فضيلة الأستاذ الأكبر: إن هذا المعهد الاجتماعى سيضيف إلى الأزهر - فضلا عن جانب العلم والتدريس والوعظ - التطبيق العملى فى حل مشكلات الحياة الاجتماعية، وتوجيه الناس إلى ما فيه خيرهم وإسعادهم. قال فضيلته: وأهم ما يشغلنى الآن «انتقاء» النواة الصالحة لهذا الحقل الطيب، فعلى الأساس يقوم البناء، ويقاوم أعاصير الحياة.

ضعف الوازع الدينى

وواجب وعاظ الأزهر

قال البكباشى حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية : إننى أعلق أهمية كبيرة على الدور الذى يجب أن يقوم به الأزهر الشريف فى الدعوة إلى حل مشكلاتنا الاجتماعية بتعاون الشعب والحكومة . فالذى لا شك فيه هو أن ضعف الوازع الدينى قد ساهم بأكبر نصيب فى تفكك الأسرة ، وقلة التراحم ، وميل بعض الناس إلى هدم البعض الآخر .

ونحن إذا استطعنا تجريد حملة من الوعاظ والمرشدين — بعد توفر علمائها على دراسة مشكلاتنا الاجتماعية البارزة — لدعوة الشعب إلى خدمة نفسه بنفسه والانتفاع بالخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية التى تؤديها له الدولة ، فستقصر المسافة بيننا وبين الإصلاح الاجتماعى المنشود . فإن الأديان جميعها عواطف مشتركة متحدة فى دعوتها إلى الخير والبر . والدين الإسلامى فى هذا المضمار قد جمع فأوعى .

طالب الولاية لا يولى

روت الأهرام أن أحد كبار الشخصيات زار فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وتحدث إليه فى تعيين أحد الأساتذة العلماء شيخا لمعهد من المعاهد . فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر زائره الكبير بقوله :

لقد كنت أحب أن يكون مفهوما بين الناس أن تولية الوظائف العامة يجب أن تكون بعيدة عن مستوى الوساطة والوساطات ، وربما كان من المقرر أن يدرس موضوع تعيين هذا الشيخ بين شيوخ المعاهد لما كنت أحسبه فيه من الكفاية ، ولكن بعد ما شفع له الرجاء وعززته الوساطة ، هبط عن المستوى الخاص بتلك الوظيفة ، لأن شيمة أهل الفضل أن تطلبهم الوظائف لا أن يطلبوا ويوسطوا للوظائف ، وقد جاء فى الأثر الاسلامى أن « طالب الولاية لا يولى »

ثم عزز فضيلة الأستاذ الأكبر هذه القاعدة فقال : إن الماضى الذى اندثر كان من عوامل إفساده أن المسئولين كان همهم ايجاد الوظيفة للموظف غير عابئين بالكفاية أو بالإنتاج ، أما الآن فشعار هذا العهد إيجاد الموظف الصالح للوظيفة فلا وجاهات ولا وساطات . . .

الطاقة الذرية فى مصر

للأغراض الطبية

وافقت البحرية الأمريكية على إنشاء وحدة من المعدات والآلات الخاصة بإنتاج الإشعاع الذرى فى مصر لاستخدامها فى أغراض طبية ، كما وافقت على تدريب عدد

من المصريين على صيانة هذه الوحدة وتشغيلها وستكون هذه الوحدة أول وحدة من نوعها فى الشرق الأوسط ، والمنتظر أن تفيد منها الدول العربية الأخرى فى المستقبل .

وستوجه الدعوة إلى أربعة من المصريين يسافرون إلى واشنطن للتدرب على استخدام الإشعاع الذرى فى العلاج ، وسيكون أحدهم من علماء الطبيعة ، والثانى من الإخصائيين فى الكيمياء الحيوية ، والثالث من الحاصلين على بكالوريوس العلوم أو الرياضيات ، والرابع من المختصين فى الكهرباء . وإن البحرية الأمريكية ستنتدب الدكتور لونى أحد علماء معمل الراديو إيزونوب فى واشنطن ليسافر إلى مصر فيختار المصريين الأربعة الذين سيدربون على استخدام هذه الوحدة فى أمريكا تحت إشرافه شخصيا فى العام القادم .

الكشف الطبى بالرادار

ابتكر الدكتور دوجلاس هورى الأستاذ بكلية الطب فى جامعة كلورادو جهازاً يعتمد على الرادار فى الكشف الطبى عن جسم الإنسان وأى جزء داخلى فيه . وهذا الجهاز يشبه جهاز الرادار المستخدم فى الكشف عن الغواصات فى أعماق البحار . وطريقة استخدام الجهاز الطبى هى إحضار حوضين مائيين يوضع الإنسان فى أحدهما والجهاز فى الحوض الآخر ، ويصدر الجهاز موجات ترى على ستار كستار التلفزيون ، وبها يمكن معرفة حالة العضو المراد الكشف عليه من الأعضاء الداخلية فى جسم الإنسان .

اتجاه الطاقة الذرية
إلى تغيير مجرى الحضارة

خطب مستر ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الأمريكية فى حفلة أقامها الاتحاد القومى للكتاب المخصصين فى المسائل العلمية بنيويورك ، ومما قاله : إن التقدم الهائل الذى أحرزه العلم الذرى فى الخمسة عشر عاماً الأخيرة قد تحولت به العناصر إلى عناصر أخرى ، وتهيأت القدرة على اختبار وظائف الخلايا الحية عن طريق الذرات المتتابعة ، وقارب أن يكتشف سر التركيب الضوئى . هذا فى زماننا نحن وفى الخمسة عشر عاما الأخيرة . أما الزمن الذى يستقبله أولادنا فإننا نتوقع لهم أن يستمتعوا بطاقة كهربية أرخص مما يظن ، وأن تزول المجاعات الإقليمية الدورية الهائلة فتصبح حديثا من أحاديث التاريخ ، وأن يسافروا بلا جهد فى البحار وتحتها وعلى متن الهواء بسرعات هائلة وبأقل احتمال للخطر ، وأن يستمتعوا بحياة أطول من حياتنا إذ يقضون على كثير من الأمراض ويفهمون أسباب الشيخوخة فيتمكنون من تأخيرها .

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما


مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الرابع ـ القاهرة فى ١٦ صفر ١٣٧٤ ـ ١٤ أكتوبر ١٩٥٤ ـ المجلد السادس والعشرون

فهرس

الجزء الرابع — المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

مع المؤتمر الاسلامى :

الأمة اليتيمـــــة

وهل آن لها أن تعلن رشدها ؟

المسلمون اليوم — فى آسيا وجزائرها فما وراء السد الحديدى منها حتى سيبريا شمالا وشبه جزيرة القريم غربا ؛

وفى أوربا من المجر ويوغوسلافيا وألبانيا إلى سلانيك وسائر خاليكدكيا حتى كوملجنة وتراقيا وما ارتفع عنها من سيف البحر الأسود ؛

وفى إفريقية من معالمها إلى مجاهلها وما بين ذلك أو وراءه من سواحل ومكامن وأدغال وأودية وآفاق ؛

هذه الأمم والشعوب الإسلامية — فى آسيا وأوربا وإفريقية — التى يزيد تعدادها الآن على خمسمائة مليون نسمة ، قد تتفاوت كثيراً فى مستواها الاجتماعى ، وفى مبلغها من الانطلاق أو التقيد ، وفى وسائلها من الثروة والمعرفة والتقدم الصناعى والاقتصادى ، وفى ثقتها باستعدادها للحيوية والنهوض ، ومعرفتها بالطريق المؤدى إلى ذلك . إنها قد تتفاوت فى كل ما ذكرنا ، غير أنها تشترك جميعاً فى كثير من السجايا والمبادىء والروابط ، وفى طليعتها الإيمان بالدستور الإسلامى الخالد (إنما المؤمنون إخوة) كما فى أوائل سورة الحجرات ، وبالأمر الإلهى الصريح الذى لا هوادة فيه (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) كما فى أواسط سورة آل عمران . ومهما نسى المسلمون من أخلاق دينهم ، أو تهاونوا بشىء من مبادىء تشريعهم ، ومهما تخلفوا عن مزايا ملتهم ، فإنهم لن ينسوا أن المؤمنين إخوة ، ولن يشكوا فى أن الاعتصام بحبل الله هو آلة النجاة ، يوم تتهيأ لهم القيادة الحكيمة الحازمة التى تمضى بهم فى طريق النجاة .

إن لهذه الأخوة الإسلامية المشتركة فيما بين المسلمين حقوقا متشعبة النواحى ، وواجبات متعددة المظاهر والمقاصد ، ولو أن هذه الحقوق والواجبات أحصيت ودرست ونظمت ، واتخذ العقلاء الرحماء من قادة المسلمين وسائل لبعث الحيوية فيها وفى أهلها ، إلى أن يتم توجيههم فى طريق العمل الإنسانى والبعث الإسلامى ولو بالتدريج ، لكان من ذلك أعظم حادث فى تاريخ الإنسانية بعد حادث القيام الأول للإسلام .

أنا أعتقد من عشرات السنين أن الإنسانية فى حاجة إلى البعث الإسلامى ، وأنها تتخبط فى أنظمتها الحاضرة ولا تجد لها مخرجا من هذا التخبط إلا بأنظمة الفطرة القائمة على أسس الأخلاق . وإن أنظمة الفطرة القائمة على أسس الأخلاق لا تحتاج إلى من يخترعها من جديد ، بل هى موجودة بالفعل فى نظام الإسلام الذى أهمله المسلمون فصاروا حجاباً بين الإنسانية وبين معرفة هذا النظام ، فاضطر الغرب إلى أن ينزلق فى أنظمة أملى عليه اليهود بعضها ، وأغروه ببعضها ، أو جعلوه منها أمام أمر ولقع ، أو كانت لهم يد فى تعديل البعض الآخر ، أو توصل غير اليهود إلى بعض المبادئ فوجدها اليهود داخلة فى برنامجهم فأيدوها وروجوها وفسروها ونشروها حتى صارت من صلب ذلك النظام المعمول به فى الغرب ، والذى أخذنا نقتبسه عنه منذ نحو مائة سنة ، فغشى دواوين حكمنا ، وأسواق تجارتنا ، وساد فى مجامعنا ، وسابق نساؤنا رجالنا إليه فى الأزياء والآداب والمعاشرة ، حتى آمنا به وكفرنا بما سواه ، فأصبح الرجل المستقيم منا هو الذى يمدحه الناس بأنه ملتزم لذلك النظام الأجنبى عنا ، وغير مخل بشىء من أصوله أو فروعه أو آدابه [١] .

ولو أن المسلمين انتفضوا انتفاضة حكيمة يرجعون بها إلى أنفسهم ، ويعيدون تنظيم مواريثهم ، ويتعاونون على إقامة نظامهم الفطرى الذى يتعاملون فيه بمقاييس الإيثار لا بمقاييس الأثرة ، فإنهم لا يلبثون أن يوجد فيهم من أبنائهم جيل ترى فيه الإنسانية جمال الإسلام ، ويتبين لها أنه هو ضالة الإنسانية التى كانت تنشدها ، فيتجدد بذلك تاريخ الإنسانية جميعا .

ترى متى يكون ذلك ، ومن الذى يبدأ به ؟

---

(١) انظر مقالة « الانسانية بين النظام المحمدى والنظام الاسرائيلى » فى جزء ربيع الاول سنة ١٣٧٢ لهذه المجلة

لما اجتمعنا قبل عشرة أيام [١] بمقر المؤتمر الإسلامى فى الزمالك بدعوة من كاتم سره العام القائمقام السيد أنور السادات ، كان مما قلته له ولإخوانى ممثلى أكثر شعوب الإسلام المجتمعين فى تلك الجلسة - وفيهم رجال من الصين والملايو والتركستان فى شرق آسيا ، ورجال من تونس والجزائر ومراكش فى الغرب من شمال إفريقية ، وآخرون من أوطان إسلامية متعددة - إن الطوائف المواطنة لنا فى أوطاننا ، والملل الكثيرة المعاصرة لنا ، تنعم كلها بمؤسسات طائفية وملية تسهر على مصالحها الحيوية من حيث هى طوائف وملل ، وترعاها فى شئونها الملية والتشريعية والاجتماعية والثقافية ، إلا المسلمين فإنهم وحدهم أبناء الملة (اليتيمة) فى هذا المجتمع البشرى منذ نحو ألف سنة ، أو على تعبير الشيخ محمد عبده : منذ استعجم الإسلام بمن اصطنعهم بعض الخلفاء العباسيين من المماليك ، فما لبث المماليك أن صاروا ملوكاً سارت الأمة الإسلامية تحت ألويتهم فى طريق الضعف والانحلال ، إلى أن قامت النهضة فى أوربا قبل ثلاثمائة سنة فكان موقف ولاة أمور المسلمين منها موقف المتفرج ، فالغرب يسير قدماً نحو القوة وعلومها وأسبابها ، والشرق الإسلامى يرجع القهقرى بأخلاقه وعلومه وأنظمته ، حتى كانت النتيجة الطبيعية وقوع أكثر المسلمين فى قبضة الاستعمار ، وهم كالأيتام الذين ليس لهم من يرعاهم ، بينما الطوائف المجاورة لهم يقوم على شئونها الملية والطائفية والثقافية والتشريعية والاجتماعية منظمات تسهر عليهم ليل نهار ، فتنظم مصادر قوتهم ، وتتعاون معهم على التقدم بهم فى مضمار الحياة ، وتعد للمستقبل الأجيال الصالحة من أبنائهم ليكون كل جيل أقوى من الذى قبله .

والآن وقد بدأنا نستيقظ من نوم طال علينا ليله ، فلو أن هذا المؤتمر الإسلامى كون نفسه واتخذ أهبته لتكون منه المنظمة الإسلامية التى تدرس شئون المسلمين ومواريثهم الطيبة ، ومواطن ضعفهم وأسباب علاجها ، وتحاول أن تكون لها بهم الصلة الأدبية الحكيمة التى تدعو إليها أخوة الإسلام ، فإن هذا المؤتمر سيملأ حينئذ (الفراغ) الذى يشعر به المسلمون منذ ألف سنة ، فيزول به يتمهم ، بل يرون أنهم بلغوا به سن الرشد ، وأنه قد آن لهم أن تصدر عنهم — فى حلبة التسابق بين الأمم — الأعمال التى يبرهنون بها على أنهم فى طليعة الأمم الرشيدة .

---

(١) فى مساء الاثنين ٦ صفر (٤ أكتوبر)

لما كان يقال فيما مضى « المسلمون إلى خير ، ولكن الضعف فى القيادة » كان يراد من هذه الكلمة أن المسلمين من مواريث الحق والخير ما يكفل لهم استئناف البعث والنهوض والتقدم ، غير أنهم لم يكونوا يجدون من قادتهم الرجال الذين يأخذون بأيديهم إلى ميادين العمل التى ينتفعون فيها بتلك المواريث . فهل يأخذ المؤتمر الإسلامى الآن على عاتقه أن يملأ هذا الفراغ ، وأن يتولى هذه القيادة لأهل الملة الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى ؟

قد يخطر على البال من مدلول كلمة « المؤتمر » أنه خاص بمهمة ثم ينتهى بانتهائها ، وهذا خطأ ، وقد يتبدد هذا الخاطر بإعلان أن المؤتمر الإسلامى دائم ، وسيكون هو نفسه من مواريثنا للأجيال الآتية ، وأنه عام يهتم لكل ما يهم المسلمين فى تربيتهم الخلقية ، وتكوينهم الاجتماعى ، وتثقيفهم القومى والملى والعالمى ، وسيعمل لبعث تشريعهم الذى كان لهم مدة ثلاثة عشر قرنا إلى أن قضى عليه فى أيام الخديو إسماعيل .

وأحب أن أقرر الحقيقة الآتية :

كما أن محبة ابن طنطا أو ابن أسيوط لطنطا أو أسيوط لا تنافى محبته لمصريته لأنها جزء منها وحلقة فى داخلها كالحلقات التى تنعقد فى بحيرة الماء حول الحصاة عند إلقائها فى البحيرة ، كذلك الوطنية المصرية أو العراقية لا تنافى العروبة لأنها جزء منها وحلقة فى داخلها كحلقات الماء حول تلك الحصاة . والعروبة ، والقومية الأندنوسية ، وأمثالهما ، لا تنافى أخوة الإسلام وجامعته الجامعة ، لأن جامعة الإسلام هى الحلقة التى تلى حلقة الإنسانية وتجمع بنى الإنسان ، فالجامعة الإسلامية جزء منها تجمع الأمم الإسلامية وأوطانها ، والوطنية المصرية جزء من العروبة تجمع أبناء النيل ، وابن طنطا أو ابن أسيوط يستطيع أن يجمع بين محبته لبلدته ثم وطنه ثم عروبته ثم جامعته الإسلامية كما يجتمع مع سائر البشر بكل من يرعى قواعد الإنسانية من أبنائها .

وإذا كان من الخير أن يكون المؤتمر دائما ، وسيكون من مواريثنا لأبنائنا الذين يخلفوننا عليه وعلى سائر مواريث الحق والخير المنتقلة إليهم عن الماضى ، فإن فى طليعة واجباتنا نحوهم أن نعد لهم المدارس الصالحة ليتربوا فيها التربية الإسلامية ، وليتثقفوا فيها الثقافة الإسلامية ، وأن ننظف لهم كتب التاريخ الإسلامى من الأكاذيب التى أقحمها عليها

المغرضون وشوهوا بها سيرة المثاليين من شموس صدر الإسلام الذين أشرقت بهم الدنيا وسعدت ، وإن مصر التى صارت إسلامية بعد أن لم تكن إسلامية ، والتى تتولى اليوم دفة سفينة العروبة بعد أن لم تكن عربية ، إنما صارت إسلامية وعربية لأن الذين عرفت بهم الإسلام والعروبة قبل ثلاثة عشر قرنا كانوا مثلا أعلى للعدل الإسلامى المثالى ، وكانوا مثلا أعلى للأخلاق العربية النبيلة ، فاستقبل المصريون هـذا الدين الإسلامى بالبشر والمحبة والرضا ، وتنازلت مصر عن لغتها لتجمل منطقها بمنطق العروبة الذى أحبت أهله واقتدت بهم وسارت فى طريقهم . ومن الخير أن يكون من أساس الثقافة الجديدة لأطفال المسلمين تعريفهم بالمسلمين الأولين الذين عرفت الشعوب هذه لهداية الإسلامية من سيرتهم ومن عدالتهم وشهامتهم ونبيل أخلاقهم ، فكانوا المؤسسين الأولين لمجتمعنا الحاضر ، ورواد الدعوة إلى أخوة الإسلام ورابطة العروبة .

إن المهمة التى سيأخذها المؤتمر الإسلامى على عاتقه — إذا سار فى هـذا الطريق إلى الجنة — أعظم مهمة اضطلع بها مصلحو الأمم فى أممهم ، وهى تضارع عمل الصدر الأول للإسلام عندما قاموا بتعريف الإسلام للأمم ، غير أن مهمتنا نحن هى تعريف الإسلام لأهله حتى يعودوا مسلمين ، ومن شأن جمال الإسلام إذا تحلى به أهله حقا أن يكون عملهم به ، وسيرتهم القائمة على أخلاقه ، وسيلة لمعرفة الآخرين به ، ومن عرف شيئا صار صديقا له ومن جهل شيئا عاداه ، وإن تسعة أعشار عداوة غير المسلمين للإسلام ناشئة فى هذه العصور عن فقدان القدوة ، وعن تقصير المسلمين فى أن تكون معاملاتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم ممثلة لإسلامهم ؛ تخيل إلى غير المسلمين أن معاملاتنا وأخلاقنا وتصرفاتنا المخالفة للإسلام هى من الإسلام فكرهوه لذلك .

وبعد فإن المؤتمر الإسلامى يوم يشرع فى رسم خططه لتحقيق هذا البعث ، يكون من واجب كل مسلم أن يجند نفسه لتنفيذ تلك الخطط ، ولو بأن يبدأ بنفسه فيكون مسلما حقاً بأخلاقه وأعماله وتصرفاته . وإن لنا حديثا مع المدرسين ورجال البعوث إلى بلاد العروبة والعالم الإسلامى عن الواجب الملقى عليهم فى النهوض بهذه الأمة إلى مستوى رشدها ، وفاء لحق مصر عليهم ، وإتماما لمهمة المؤتمر الإسلامى من الجانب الذى هم فيه ، وإلى الملتقى فى جزء آخر من هذه المجلة إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٠ -

٢ - العذراء القانتة

فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا

حسبك يا امرأة عمران أنك أخلصت لله النية فيما نذرت ، وأنك اتجهت إلى الله فيما دعوت ، فإن للمخلصين رجاء موصولا ، ودعاء متقبولا . . وقد فاض قلبك بالرجاء ، ولهج لسانك بالدعاء ، حينما أودعت مريم بيت المقدس ، واثقة أن الله سيعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم .

فكان من رعاية الله لمريم أن تتعاطف عليها قلوب الأحبار ، بدافع قوى من الحنو والإيثار ، وكل يود أن يستأثر بفضل القيام على تربيتها ، لأنها - أولا - بنت عمران ، وقد كان فيما بين شيوخهم من الخيرة المقدمين - وثانياً - لأن أمها نذرتها لله ، ففى خدمتها اليوم سابقة إلى الخير ، وزلفى إلى الله .

ولهذه الغاية شجر الخلاف بينهم ، وما حسمه إلا أن اقترعوا عليها ، فوضعوا أقلامهم التى يكتبون بها التوراة فى الماء الجارى : على أن من يجرى قلمه مع الماء فلا شأن له بها ، ومن وقف قلمه فهو صاحب الحظ بتربيتها ، ثم كانت القرعة لزوج خالتها زكريا (نبى الله فيما بعد) وإذا كان تهافت الأحبار عليها بادرة من بوادر القبول ، فإن انتهاء القرعة إلى زكريا أمارة ثانية على ذلك ، إذ أن زكريا وتحته خالة مريم يكون أقرب إليها من غيره ، وأعطف عليها ، وأرعى لها من سواه ، ثم ظلت مريم عنده فى كنف رحب ، وأمن من شظف العيش ، وسارت فى مدارج الطفولة ناعمة البال ، تترعرع فى نضارة ،

وتنمو فى كمال ، حتى اجتازت مرحلة النشوء ، وشارفت مصيرها المنتظر ، وتلك أمور ثلاثة : ١ — إشراف زكريا على تربيتها . ٢ — ونشأتها فى دعة وهناءة . ٣ — واستواء خلقها وأخلاقها على الكمال . وذلك قوله تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا) .

ولينظر إلى أن السياق ابتدأ بذكر تقبلها وإنباتها ، ثم ذكر تكفل زكريا أخيراً مع أنه حاصل فى مطالع القصة منذ طفولتها ، ولكن إيثار زكريا بالتكفل وانتهاء القرعة إليه كان مظهراً لتقبل الله سابقا ، فصح أن يذكر بعده ، سيما وأن التكفل يمتد إلى النهاية ، فصح أن يذكر بعد سابقيه ، وقد يغنى عن هذا التعليل عند العارفين أن العطف بالواو لا يدل على ترتيب الحصول .

وفى ضوء هذا السياق يبدو لنا واضحا أن تربية الأطفال فى أحضان أهل الصلاح والدين حصانة لهم من السقطات ، وحفاظ عليهم من المكاره ، وتمكين لهم أن يسلكوا مسالك الكمال ، وفى صنيع الله بمريم أسوة لمن وعى .

وحينما شبت مريم إلى مرحلة الشباب آوت إلى محرابها الذى هيأه لها زكريا ، وتفرغت لعبادة الله كما نذرت أمها .

وكان زكريا حينما يصعد إليها من حين إلى حين ليتعرف حالها ، ويقف على حوائجها ، يجد عندها أطعمة شهية من أطيب الفواكه . فيعجب لهذا وهو لم يجىء به ، وليس يصعد إليها أحد غيره ، فيكبر شأنها ، ويسألها وهى تجيبه بما يزيده إكباراً لها ، وتفاؤلا بها « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ ؟ - من أين هذا - قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . وذلك أمر عجيب ... ولكن : إلى أين يرتفع شأن مريم ، وإلى متى ترافقها العناية القدسية ؟ ؟

لم يدخل فى حسابهم أن لها مقاما فوق ما قدروا لها ، وأسمى مما رجت أمها ، وهذه المشاهد الأولى أثارت عند زكريا حب الذرية ، وجيشت فى نفسه خواطر لم تكن تشغله آنفا ، فهتف بالرجاء صاعداً من قلبه المطمئن بالله « هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لى

من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » . وهذه قصة عارضة نشأت بنشأة سببها فى الحكاية عن مريم ، وسنعود إلى تمام الحديث عنها بعد .

أما مريم فقد انبثق حولها نور جديد ، وظهر من مكنون الغيب ما سبقت به كل امرأة قبلها وبعدها ، ذلك أن الملائكة نزلت عليها بوحى من عند الله ، ولم يعهد الناس أن الملائكة تنزل على غير الأنبياء من الرجال ، « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم : اقنتى لربك ، واسجدى ، واركعى مع الراكعين » . فهذا وحى سماوى يؤكد لمريم ، وللناس فى شأنها ما رأوا بعضه رأى العين ، وعرفوه حق اليقين . فاصطفاء وتطهير ، واصطفاء آخر وتكليف بالقنوت - وهو مداومة العبادة - وبالركوع والسجود وهو المحافظة على الصلاة . تلك توجيهات يؤثر الله بها مريم وفى جملتها وتفصيلها إيذان بأن مريم وقد اصطفاها ربها للعبادة وطهرها من المآثم والنقائص ، واصطفاها لأمر آخر ستتمخض عنه الأيام : لا بد أن تكون إنسانة كاملة كمالا يربأ بها عن الدنو من الشبهات ، ويتسامى بها أن تكون حصاة لألسن السفهاء .

وما ظنك بفتاة أنجبتها بيئة آل عمران ، ومجدها ربها ، فنشأها على غرار كريم فى ضوء التبتل ، وظلال العكوف على مناجاة الله ؟ ، إنها لجديرة أن يصطفيها لأمر آخر لا يناط إلا بمن كانت كذلك ، ذلك هو الأمر الذى أثار عجب الدنيا ، وبهر التاريخ ، وجدد فى الإنسانية حديثا طريفا يعتبر من أصدق الآيات الكونية على إبداع الله ، ومن أروع الدوافع إلى التصديق بما يكون من عند الله .

ذلك الأمر : هو أنها — فيما بعد — تلد عيسى عليه السلام على نحو ما وصف إنجيل عيسى ، وحدثتنا به آيات بينات من القرآن .

فإن تكن مريم فى حساب الناس فتاة من الفتيات ، فهى فى إطار عجيب من الخصائص الربانية التى اكتنفتها منذ إشراقتها الأولى إلى أن طوت صفحاتها الكريمة فى الدنيا على شىء كثير من القصص الحق .

وهذه منزلة رضيها لها من اصطفاها على نساء العالمين .

منزلة : أين منها أمها حنة بنت فاقود الصالحة زوجة عمران الصالح ، بل أين منها حواء وسواها من النساء الفضليات مع ما لبعضهن من رفيع المقام ؟

« يتبع »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

المثالية الواقعيــــــة

فى الفـكرة الدينية

– ٢ –

ثانياً : تـكامل الفـكرة .

من خصائص الفـكرة الدينية أنها فـكرة متكاملة الجوانب ، يأخذ بعضها بحجز بعض . وهى فى هـذا التـكامل مثالية فى موضوعها ، وواقعية بالنسبة للأشخاص الذين يعتنقونها ، إذ ترضى فيهم كل مناحى الطاقة البشرية .

إن العقيدة فى الدين هى الأساس ، وقد أسلفنا الإشارة إلى مثاليتها وواقعيتها [1] ، ولـكن لابد بجوار العقيدة فى الله واليوم الآخر ، من تفصيل لما يرضاه الله ويثيب عليه يوم الحساب ، ولما يسخطه ويسوم المرء من أجله سوء العذاب !

والعقيدة بغير هذا (التفصيل التشريعى) سوف تؤدى بصاحبها إلى أن يـكون أحد رجلين : إما رجل يخشى الله فهو متردد متزمت متنطع ، لا يقدم على أمر مخافة أن يكون حراما ، وإما رجل مندفع متأول يحسب أن عقيدته فى الله تغفر له كل شىء وتبيح له كل عمل ، لأن الغاية عنده تبرر الواسطة ...

لذلك كان لابد من معالم وبينات تضبط هذا الوجدان الدينى « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الـكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » .

ولا شك أن مناط الدقة فى تنفيذ الأحكام الشرعية هو الورع النابع من العقيدة ، إذ « البر ما اطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى الصدر » ، ولـكن المسالك الشرعية تنظم هذه الحساسية العاطفية ، كما أن هذه الحساسية تظاهر الأحكام الشرعية سواء بسواء .

---

(١) فى الجزء الثانى لهذه السنة ص ١١٠ — ١١٣ .

لذلك نجد أن الأحاديث الشريفة التى تتحدث عن الجزاء وتتناول العقيدة تشفع ذلك بمفتاح من مفاتيح السلوك العملى ، حتى لا تترك الناس فى مشاعر مبهمة ، ولا يكون الدين مجرد تأوه وترنح ، وحتى لا يسبح الناس فى حظيرة القدس وفردوس الآخرة ومعية الله ، وهم لا يعرفون كيف يبيعون ويشترون ، وكيف يتحادثون ويتعاملون !

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصبحت يوما قريباً منه ونحن نسير ، فقلت يا رسول الله : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ؟ فقال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ؛ وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » . ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ... الآية ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ . قلت : بلى ، قال : كف عليك هذا ، وأشار إلى لسانه . قلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يامعاذ ! وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟؟ » أخرجه الترمذى .

فأنت تشاهد فى هذه التسبيحات العلوية وصايا عملية يجب أن ينفذها البشر فى دنياهم ، وهكذا لو تتبعت أحاديث رسول الله ﷺ لوجدت معلم البشرية يضع أيدى الناس دائما على أخلاق وأعمال تكون مصداق العقيدة وشارة الإيمان ...

أفليس هو الذى يقول فيما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة : « اتق المحارم تكن أعبد الناس » !!!

أليس هو الذى يقول : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة .

والإسلام يجعل من بين شريعته قانونا للعقوبات ، ليزاوج بين حراسة الضمير ورقابة التشريع ، وجزاء الدنيا والآخرة . وهو فى الوقت ذاته لايتصيد الجرم ولا يترصد العقاب ، بل يفتح باب التوبة لتدرأ الحد ... « إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ويدعو القاضى لتقدير الظروف والبواعث « ادرءوا الحدود بالشبهات »[١] « إن الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة »[٢] .

فالإسلام مثالى حين يبلغ الكمال بتعانق العقيدة والشريعة ، وهو واقعى فى هذه المثالية ، لأن هذا أدنى للفطرة البشرية ، وأقوم بنجاح الفكرة الدينية .

ويلحق بهذه المثالية الواقعية ذلك المزج الدقيق بين (النية والعمل) ، وبين الظاهر والباطن . فالإسلام يجعل من النية أساسا لأى عمل « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » رواه الجماعة عن عمر . ولكن الأحكام القضائية فى شرع الإسلام تجرى بمقتضى الظاهر ، لا باتهام السرائر . وفى الحديث « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها » رواه مالك وأحمد والستة .

ومن تكامل الفكرة الدينية وجهتها الإيجابية ، حتى يكون المسلم مؤثراً بالإسلام فيمن حوله ، كما تأثر به فى نفسه . ومن ضروب ذلك تكاليف الإسلام لأتباعه بالتناصح فى الخير ، والتواصى بالحق والصبر ، والتعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتبلغ هذه الإيجابية ذروتها فى الأمر بالجهاد فى سبيل الله ... وهكذا تتضافر العقيدة والشريعة والقوة على تثبيت دعائم الحق ، لا من أجل بغى أو عدوان ، وإنما من أجل مسايرة الطبيعة البشرية والواقع الإنسانى فى حدود الحق « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

---

[١] قال السيوطى : رواه ابن عدى فى الكامل فى جزء له من حديث أهل مصر والجزيرة عن ابن عباس ، ورواه أبو مسلم الكجى وابن السمعانى فى الذيل عن عمر بن عبد العزيز مرسلا ، ومسدد فى مسنده عن ابن مسعود موقوفا .

[٢] رواه ابن أبى شيبة والترمذى والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن عن عائشه وصححه السيوطى

وتجلت هـــذه المثالية الواقعية حـين يسوق الإسلام أبنـاءه لميادين الجهاد ، فهو يعدهم بالنصر كما يعـدّهم للشهادة ، لأن الإنسان ينزع بطبعه إلى الأمل القريب « قل هل تربصون بنـا إلا إحدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » ، « ... يغفر لـكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين » .

كذلك يربط الإسلام أتباعه بالدولة التى تقيم أحكام الله ، كما يبشرهم بالجنة التى ينعمون فيها برضوان الله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » ، « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

إن الناس ليسوا كلهم حكماء ، يأخذون الدين بالمتعة العقلية ، وليسوا كلهم أبطالا مكافحين يتلذذون بالصبر على البلاء ومجاهدة الأعداء ، لذلك كان الدين واقعياً فى مثاليته حين طمأن المسلمين على المستقبل القريب ، كما شوقهم إلى الأمل البعيد .

وإن الناس ليسوا كلهم الأطهار الأنقياء الذين ينفذون أحكام الله بغير إلزام السلطة . والمجتمع الذى تحدث عنه الخوارج حيث يقوم الناس فيما بينهم وبين أنفسهم بإنفاذ الشرع ، ومن ثم لا يحتاجون إلى إمام ـ هذا المجتمع المزعوم مجتمع خيالى لا وجود له ... ومن هنا كان الدين مثالياً واقعياً حين عرض للدولة فى بناء فكرته .

والدولة فى الإسلام لا تعنى أن يجن المسلمون بالتسلط والسيادة ، ويتنازعوا بالباطل على الحكم والرئاسة « تلك الدار الآخرة ، نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين » .

والإسلام يطلب من أتباعه العلم بأحكامه ليسيروا على بصيرة فى العمل بهذا الدين ، فلا تكفى النية الطيبة دون الإحاطة بالحلال والحرام كما شرعه الله ، ولا تؤمن مغبة الشروع فى الأعمال بغير العلم الصحيح ، ولا يؤمن ضلال العلم إن خلا من التطبيق ، ولقد سلك

الإسلام أول سبيل للتربية الأساسية فى مجتمع أمى حين ألزم الناس معرفة الحلال والحرام، ورسم ألوانا من الثقافة الشعبية فى فرائضه التى لا يتم إسلام المرء إلا بمزاولتها، فقراءة القرآن واستماعه، وخطب الجمعة والعيدين، ورحلة الحج — كلها وسائل عامة للتربية والتعليم. والإمام ابن حزم يبلغ الذروة فى إلزام المسلم بأن يكون على علم فيما يعمل، ولا يتبع هواه أو هوى غيره فيقول: «والناس فيما يعتقدونه لا يخلون من أحد أربعة أوجه لا خامس لها: إما أن يكون المرء طلب الصواب فأداه اجتهاده إلى الصواب حقاً فاعتقده على بصيرة ... وإما أن يكون طلب الصواب فحرم إدراكه لبعض العوارض ... وإما أن يكون قلد فوافق فى تقليده الصواب ... وإما أن يكون قلد فوافق فى تقليده الخطأ ... فأما الوجهان الأولان فقد قضى رسول الله ﷺ بأن من اجتهد فأصاب فله أجران، وأن من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، إلى أن قال عن القسم الثالث: ولا شك أن المجتهد المخطىء أعظم أجراً من المقلد المصيب وأفضل. ثم قال: وأما القسم الرابع وهو المقلد المخطىء فله إثم معصية التقليد وإثم المعصية باعتقاد الخطأ». (الإحكام ج ٦ ص ١٦٣ : ١٦٦).

والإسلام الذى يأمر بالعلم، يأمر المسلم بأن يعمل بما يعلم، وقد لا يؤاخذه بما لا يعلم إن كان فى هذا معذوراً غير مقصر. يقول تعالى «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى» فهنا شرط تبين الهدى لابد أن يتوفر لتتوفر فى المخالف دلائل سوء النية وشر الباعث. ورد أن عمر أتى له بأمة لحاطب اتهمت بالزنا فسألها عمر عن جريمتها فقالت: نعم! من مرعوش بدرهمين! وهى حينئذ تذكر ذلك لا ترى بأساً. فقال عمر لعلى وعبد الرحمن وعثمان: أشيروا على. فقال على وعبد الرحمن: نرى أن ترجمها. فقال عمر لعثمان: أشر: قال: قد أشار عليك أخواك. قال: عزمت عليك إلا أشرت علىّ برأيك. قال: فإنى لا أرى الحد إلا على من علمه، وأراها تستهل به كأنها لا ترى به بأساً. فقال عمر: صدقت والذى نفسى بيده، ما الحد إلا على من علمه. ولم يرجمها عمر، وإنما جلدها مائة وغربها (الإحكام ج ٤ ص ١٨١ — ١٨٢).

إن هذا التكامل الرائع الفريد، لهو آية الكمال الذى تتحقق به مثالية التشريع، وآية اليسر الذى تتحقق به واقعيته وقابليته للتطبيق؟

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

الرجولية فى القرآن

هناك بعض الألفاظ التى لا تقتصر فى دلالتها على معناها اللغوى الأصلى، بل تفهمنا مدلولا عرفياً خاصاً، ومن بين هذه الألفاظ كلمة «الرجل»، فإنها فى أصلها تدل على مقابل الأنثى، ولكنها تطلق ويراد منها فى أغلب الأحيان مجموعة من صفات القوة والشرف والكرم وحسن الخلق، حتى صح لأبى حفص النيسابورى أن يجيب من سأله: من هم الرجال؟ بقوله: «القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود، قال الله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) [١]».

وصرنا نقول فى مدح الشخص: «إنه رجل» ولا نريد أنه ضد الأنثى، بل نريد الثناء عليه ووصفه بأنه ذو نخوة وأريحية وكرم وشهامة، وأن عنده رجولية تدعوه إلى مكارم الفعال، وتصده عن مواطن الرذيلة. والصلة بين هذا المعنى العرفى وبين أصل المادة موجودة ملموسة ...

جاء فى (مفردات القرآن) للأصفهانى «الرجل مختص بالذكر من الناس ... ورجل بين الرجولة والرجولية ... وقوله: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون ... فالأولى به الرجولية والجلادة ...» [٢].

وجاء فى (القاموس المحيط) لمجد الدين الفيروزبادى: «الرجل معروف ... والرجل الكامل ... ورجل بين الرجولية ... وهو أرجل الرجلين أشدهما. والرجيل الرأى الصلب» [٣].

---

(١) طبقات الصوفية للسلمى، ص ١٢٢.

(٢) المفردات ص ١٨٨.

(٣) القاموس، ج ٣ ص ٣٨١.

وجاء فى (أساس البلاغة) للزمخشرى « هذا رجل أى كامل فى الرجال بين الرَّجولية والرُّجولية ، وهذا أرجل الرجلين ... وهو من رجالات قريش : من أشرافهم ...[1]» .

وفى (مجمع البيان) للطبرسى : « يقال : رجل بين الرجلة أى القوة ، وهو أرجلهما أى أقواهما ، وفرس رجيل قوى على المشى ، وسميت الرِّجل رجلا لقوتها على المشى ... وارتجل الكلام ارتجالا لأنه قوى عليه من غير ركوب فكرة ، وترجل النهار لأنه قوى ضياؤه بنزول الشمس إلى الأرض ، ورجل شعره إذا طوله ، وأصل الباب القوة »[2] .

هذه قطوف من نصوص اللغة فى كلمتى الرجل والرجولية ، وهى ترينا أصل المعنى لكلمة الرجل ، والمعانى التى طرأت على المادة ، وخاصة كلمة الرجولية من مفرداتها ...

ولقد تقصيت المواطن التى وردت فيها مادة « الرجل » فى القرآن الكريم ، فكدت أخرج بقاعدة عامة لها معناها ومغزاها ، هى أن القرآن الكريم يلحظ فى استعماله لمادة « الرجل » ذلك المعنى الجميل الطارىء على المعنى اللغوى الأصلى لها ، وذلك فى أغلب الأحيان ، وفى المواطن التى يراد فيها الحكم على الرجل بأمر من الأمور زائد على المعنى الأصلى وهو معنى الذكورة المقابل لمعنى الأنوثة . . .

نجد القرآن الكريم إذا ذكر مادة « الرجل » بأصلها اللغوى أراد منها معنى الذكر ، وإذا ما ذكرها فى مواطن تتعرض لأكثر من هذا الأصل عطَّر ذكرها بنفحات من التكريم والتعظيم ، وإذا ما ذكر مادة « الرجل » مقرونة بأوصاف مذمومة فإنه ينقل هذه الأوصاف ويوردها منسوبة إلى المبطلين فى القول ، أو الخاطئين فى التفكير ، وفى هذا القسم الأخير تكريم مستور للرجل ، وإن بدت العبارة المنقولة وفيها أوصاف تذم أو تقدح ! . . .

وكأن القرآن الكريم بإيثاره هذه الخطة الغالية التى تكاد تكون قاعدة ـ كما أسلفت ـ يريد أن يلفت أبصارنا إلى قيمة الرجل فى المجتمع ، وإلى التبعات التى يجب عليه أن ينهض

---

(١) الأساس ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ١ ص ٣٢٦ .

بهـا لأنه كفء لها . فإذا ما التفت الرجال إلى هذا الذكر الحميد ، وإلى ذلك التوجيه السديد ثارت فى صدورهم عواطف الاستجابة للخير ، ونوازع التدليل على أنهم أهل لذلك الوصف الجميل ، وخجلوا من مسبة التخلف عن هـذا المرتقى الذى قيل لهم عنه : هلموا إليه ، فإنه مقامكم ! . . .

وكأن هذا لون دقيق عميق من ألوان التربية النفسية المطوية التى يحسن القرآن المجيد بث عواملها ، وتعميق جذورها فى الإنسان . . .

* * *

ها نحن أولاء نرى الذكر المبين يذكر الرجل والرجال بالمعنى الأصلى ، وهو الذكورة ، فيقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » [١] ، ويقول : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » [٢] ، ويقول : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » [٣] .

نفهم من أمثال هذه الآيات الكريمة أن الرجل قد ذكر فيها وهو يراد منه مقابل الأنثى ، ويجرى الحديث عنه بأحكام عادية قد تتساوى معه فيها الأنثى وقد لا تتساوى ، ولكن لا يظهر فيها قصد التكريم . ولكننا ننتقل إلى آيات كريمة أخرى ، فنجد « الرجل » فيها قد تعطرت سيرته ، ونجد التعظيم لشأنه مطويا أو منشورا ، ونتبين ذلك الهدف النبيل وهو تغليب الذكر الحسن على سواه فيما يتعلق بالحديث عن الرجل فى القرآن الكريم .

يقول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم [٤] » .

---

(١) سورة النساء ، آية ٧ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٢ .

(٣) سورة الاحزاب ، آية ٤٠ .

(٤) سورة النساء آية ٣٤ .

وفى هذا ثناء على الرجال ، وتفضيل لهم ، وتنبيه على جلال تبعاتهم ، إذ المعنى — والله أعلم بمراده — أن شأن الرجال هو القيام على النساء ، بالأمر والنهى ونحو ذلك ، مع الحكمة والعدل ، وذلك لأن الله وهب جنس الرجال فضلا على الجنس الآخر ، ويجب على الرجال أن يرعوا تبعة هذا الفضل ، ولذلك اختص الرجال بالنبوة والرسالة والإمامة الكبرى والصغرى وإقامة الشعائر كالأذان والإقامة والخطبة والجمعة والطلاق وغير ذلك ، ولأن الرجال يتعبون ويكدحون ويكسبون ثم ينفقون أموالهم على نسائهم .

وقريب من هذا قول الحق تبارك وتعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » [١] . أى أن للرجال زيادة فى الحق على النساء ، لأنهم القُوام والحراس ، وهم القائمون بواجب الرعاية والإنفاق ، وذلك جمع رائع بين التشريف والتكليف . فهذه الدرجة التى للرجال ، وهذه القوامة التى شرفهم الله بها ، تستلزمان تكاليفا هو حسن الرعاية ولطف الإنفاق ، والعظائم كفؤها العظماء .

ويقول القرآن الكريم : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » [٢] .

أى أشهدوا على المكاتبات المالية بينكم رجلين يتم بهما نصاب الشهادة ، فإن لم تجدوا رجلين ، فأشهدوا رجلا وأشهدوا معه امرأتين تقومان مقام الرجل الآخر ، وتذكر إحداهما الأخرى إذا نسيت ، فجعل القرآنُ الرجل فى الشهادة باثنتين ، لأن النسيان غالب على جنس النساء ، بينما التذكر غالب على جنس الرجال ، وتقرير ذلك فى القرآن تكريم من غير شك للرجال ، وإفصاح عما خصهم الله به من خصائص يجب عليهم أن يقدروها ويشكروها .

* * *

ويقول الحق تبارك وتعالى على لسان لوط عليه السلام : « فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ؛ أليس منكم رجل رشيد » [٣] . .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٢٨ (٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٢

(٣) سورة هود ، آية ٧٨

فهذا نبى الله لوط نراه وقد زارته الملائكة من عند ربه ، وجاءه المجرمون من قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، ويأتون الذكران من العالمين ، وتلك هى الفاحشة الكبرى التى ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، وأراد المجرمون أن يعتدوا على ضيوف لوط من عباد ربه المكرمين ، فنصحهم بأن يتقوا الله بترك الفواحش ، وألا يفضحوه فى ضيفه ، لأن إهانة الضيف إهانة لمن أضافه ، ثم ذكرهم بحق الرجولية وما لها من صفات عالية فقال : « أليس منكم رجل رشيد » ؟ . أليس منكم فرد تتحقق فيه صفات الرجولية الراشدة العاقلة ، فيهتدى إلى الحق الصريح ، ويرعوى عن الباطل القبيح ؟ ! .

وكأن لوطاً عليه السلام يريد أن يقول لهؤلاء : لو كان فيكم رجل تتحقق فيه الرجولية لما سمحت له نفسه أن يقدم على ذلك الإجرام الفظيع ، ولكن أين أنتم من رشد الرجولية وكمال الرجال ؟ ...

ويقول القرآن الكريم : « قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا [1] » .

نزلت هذه الآية مع آيات أخرى فى أخوين من بنى إسرائيل كان أحدهما كافراً ويسمى فرطوس أو قطفير ، وكان الثانى مؤمنا ويسمى يهوذا أو يمليخا ، وقد أنفق المؤمن فى سبيل الله ، واشتغل الكافر بزينة الدنيا وتنمية المال وكنزه ، وكان لهذا الكافر جنتان مليئتان بالأشجار والأزهار والثمار ، ولما بغى وكفر ونسى ربه قال له أخوه المؤمن : « أكفرت بالذى خلقك من تراب » ـ لأن آدم وهو أبو البشر من تراب ، فكل فرد من أبنائه له حظ منه ـ ثم من نطفة ، وهى مادتك القريبة ، ثم سواك وعدلك ، وفى أكرم صورة ركبك ، بأن جعلك رجلا ؟ .

وكأن جعله « رجلا » هو غاية التكريم والتسوية ، وفى ذكر ذلك بلا شك تذكير بنعمة الرجوليه وإعظام لشأن الرجل ؟

(يتبع)

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) سورة الكهف ، آية ٣٧

مع علماء الغرب :

كتب وأفكار غربية
فى الميزان

الأستاذ الفريد أير "A.J.Ayer" من الأشخاص الذين استمعت لهم وقرأت كتبهم خلال الفترة الطويلة التى قضيتها فى انجلترا .

والأستاذ « أير » معدود فى نظر الإنجليز من العباقرة . كتبت عنه وعن كتابه « اللغة والحقيقة والمنطق » صحيفة جلاسجو هرالد "Glasgow herald" تقول :

« سيوجد كثيرون يتمسكون بأن كتاب اللغة والحقيقة والمنطق للسيد (أير) عمل سيكون له تأثير عظيم للغاية فى جوهر الفلسفة التى ستظهر فى بلاد الإنجليز مستقبلا . والسيد (أير) ذو مقدرة عظيمة جدا على الكتابة ، لم توهب لغيره من الفلاسفة ، فأسلوبه صاف ممتع ، يستولى على القارىء بأحكامه ودقته مع سهولته وعذوبته » .

ويمثل هذا المعنى كتبت صحيفة ما نشستر غارديان "Manchester Guardian" وصحف أخرى .

وهذا الكتاب الذى نوهت به الصحف هذا التنويه العظيم هو أول ما كتب الأستاذ « أير » ، وربما كان لهذه الضجة التى قامت حول الكتاب أثر فى ترشيح « أير » لأستاذية قسم الفلسفة فى أعظم كلية من كليات جامعة لندن "University College London" متخطيا الدكتور كيلينج "Dr. Keelieg" الذى اشتغل أستاذا مساعدا فى هذه الإدارة حقبة طويلة ، وكان يظن أنه أحق من يشغل منصب أستاذية القسم حين خلوه . ولكن « الفريد أير » الشاب والحاصل على شهادة الماجستير فقط سبقه إليه رغم شيخوخته وحصوله على مؤهلات علمية أرقى . ويبدو أن جامعة لندن قد قصدت إلى تعويض الدكتور كيلينج عن فوات منصب أستاذية القسم ، بإسناد منصب سكرتارية مجلس إدارة الجامعة له إلى جانب عمله كأستاذ فى الإدارة الفلسفية .

وبالرغم من أن الدكتور كيلينج يعتبر فى الإدارة الفلسفية مرءوسا لـ « أير » إلا أن سكرتاريته لمجلس إدارة الجامعة قد مكنته من أن يعرض على المجلس ، للمناقشة والبحث والنقد أيضاً ، كل ما يحدث فى الإدارة الفلسفية على غير هواه ، ومن هنا نشأ صراع بين « أير » و « كيلينج » ، وقد كان « أير » فيما يبدو ، أشد اعتزازاً بشخصيته العلمية التى أتاحت له أن يتخطى من هو أقدم منه ويشغل رئاسة القسم دونه ، أكثر منه بشخصيته الإدارية ؛ على العكس من كيلينج الذى يبدو كمن سئم قاعات الدراسة وملاقاة الطلاب لكثرة ماعانى من ذلك . فهو إنما يعتز - إن كان له أن يعتز بشىء - بمنصبه فى مجلس إدارة الجامعة الذى يخوله سلطة لا بأس بها . فلو أتيح لك أن ترى الدكتور كيلينج وهو يتحدث إلى طلابه فى حجرة الدراسة لرأيت بيده وريقات تدل تثنياتها وتآكل حوافها وشحوب مداد كلماتها على أنه يؤدى عمله بصورة آلية لا حياة فيها ولا تجديد ، إنه يكرر على أسماع طلبة اليوم ما ألقاه على طلبة الأمس البعيد ، دون تغيير أو تعديل ، ويبدو على طلابه أنهم لا يرتاحون إليه وإن كانوا يخشونه . لكنه لو أتيح لك أن ترى الأستاذ « أير » لأذهلك ما يبدو عليه من سعة الاطلاع ونفاذ البصيرة ، وألمعية كلفة بالمشاكل والمعميات ، والبحث عن حلول لها . سمعته ذات يوم يتحدث مع طالب فى قسم الدكتوراه حول موضوع رسالته ، فوجدته يوصيه باختيار مشكلة من المشاكل الطازجة " Frish " التى جدت فى الخمسين السنة الأخيرة والتى لم يعرف الحل طريقه إليها بعد .

لقد كان ذلك التكليف فى نظرى تكليفاً عسيراً ، ولكن لهجة الأستاذ « أير » لم تكن تنم عن أن فى هذا التكليف أى عسر أصلا ؟ كأن كلمة « مشاكل » « "Problem" » تدل عنده على معنى غير ذلك الذى تواطأ الناس عليه . لقد أدهشنى من الأستاذ « أير » استهانته بالمشاكل إلى هذا الحد ، وحركت فى نفسى الرغبة فى استطلاع ما عنده من القدرة على ذلك ، ولكنى لم أشأ أن يكون ذلك عن طريق أسئلة أتقدم بها إليه ، أو مشكلات أعرضها بين يديه ، واكتفيت بالاستماع إلى ما يلقى من محاضرات ، ولكن لسوء الحظ لم يستطع هذا الطريق أن يكشف لى عن كفاية الرجل العلمية ومقدرته الفكرية ، أو فى معنى أدق ، كشف لى فيه عما لم أكن أرتجيه . لقد وجدته يذهب ويجىء نحو السبورة بسرعة ، ويحرك كتفيه ورأسه فى عنف وقوة ، ويكرر العبارة التى هو بصدد بحثها مرات ومرات ، وهو فى خلال كل ذلك قد نسى من حوله ، فلم يتبين مدى تفهمهم لأصل المشكلة ، ولا لطريقة

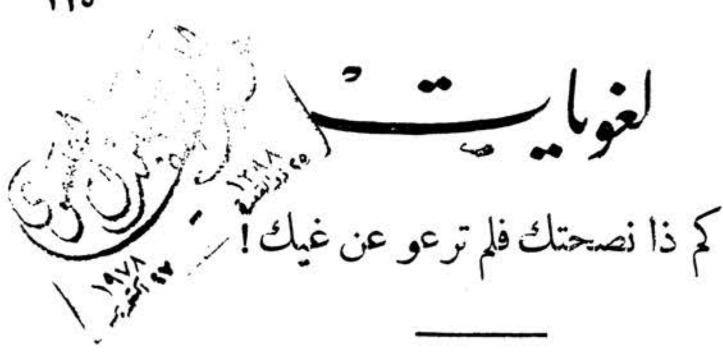
معالجته لها ، وما كان أعظم دهشتي حين أراه يختم الجولة بقوله : « أنا غير مستريح لهذا الرأى " I am not hoppy with this point "

ومن فضائل الأستاذ « أير » أنه يعقد ندوة علمية فى مساء كل يوم اثنين ، يحضرها كبار تلاميذ القسم ومدرسوه ما عدا الدكتور « كيلينج » ، وفى أحيان كثيرة يحضرها ضيف من كمبردج أو من اكسفورد ، وتشغل هذه الندوة بالاستماع إلى بحث يكون قد أعده أحد المدرسين أو الطلبة أو الضيف نفسه ، وبعد الفراغ من الاستماع إليه تدور حوله مناقشة وجدل ، وكان على الأستاذ « أير » باعتباره رئيس الندوة ، أن يفتح باب المناقشة ، ولم أكن أدرى هل كان عن قصد منه أن يسأل أسئلة تافهة يسهل على صاحب البحث أن يردها ببساطة وسهولة ؟ أم أن ذلك هو منتهى أمره ، ومبلغ جهده ؟ ولقد كان يصمت صمتاً عميقاً حينما يفجأه الرد الفاصل والجواب المفحم ، ويدور ببصره هنا وهناك كمن يطلب النجدة . ويبدو أن مدرسى القسم على علم بحاله ، فيتطوعون لنجدته والأخذ بناصره ، وكان هو يعول فى هذا الأمر على اثنين من المدرسين : يلتفت إليهما بوجهه ويشخص إليهما بنظره ، هما رايموند وينتش ، وبتر لونج " Peter Long " و " Raymond Winch " ولكن بتر لونج لم يكن دائماً على وفاق مع « أير » لهذا فقد كان كثيراً ما يترك نجدته أشد ما يكون حاجة إليه .

ومما يعرفه الإنجليز عن « أير » ولا يحبونه منه ، لهجته التى يصعب فهمها ، ففى أحد اجتماعات جماعة الأحد للشكسبيريين " Sunday Shakespeirian Society " التى كنت عضواً فيها ، قدمنى مستر ا . و . كوكس " Mr. A. W. Cox " سكرتير الجمعية ، إلى الأستاذ إيفانس " B. Ifor Evans. M. A, D. Lit " رئيس الجمعية وأستاذ الأدب الانجليزى فى جامعة لندن وعضو مجلس إدارة الجامعة مع الأستاذ « أير » فى الوقت نفسه ، وقد تناول حديثى معه جملة موضوعات ، كان من بينها معرفتى « بأير » وقد أبدى الأستاذ إيفانس دهشة عظيمة حينما ذكرت له أنى أعرف الأستاذ « أير » وأنى أستمع إلى محاضراته ، وقال : « إننا نحن الانجليز لا نستطيع أن نفهم كلامه » .

تلك عجالة قصدت بها التعريف بالأستاذ « أير » يتبعها إن شاء الله تعريف دقيق بكتبه وأفكاره ؟

سليمان دنيا
المدرس فى كلية أصول الدين



لغويات

كم ذا نصحتك فلم ترعو عن غيك !

يستعمل هذا الأسلوب كثيراً ، ولا يحس المستعملوه حرجا ، ولا يضيقون به . ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم — رحمه الله — :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى　　فى حبّ مصر كثيرة العشّاق

وإذا تأمله الباحث وعرضه على قوانين العربية أعياه أن يجد له تخريجاً يجعله فى عدادها ، ويسلكه فى نطاقها .

ذلك أن « كم ذا » لم يرد بها سماع ، ولا يسوّغها قياس . وذلك أن « ذا » زائدة لا يتغير المعنى بسقوطها . فيستوى أن تقول : كم نصحتك ، وكم ذا نصحتك ، وزيادة الأسماء ليست بالمنهج المعبد يركبه كل من يريد .

على أن مثل هذا ورد بعد « ما » فى نحو قولك : ماذا صنعت ؟ فهو يؤدى معنى ماصنعت ؟ سواء ، وللعرب فى هذا منهجان :

الأول ـ أن يقولوا : ماذا صنعت أخير أم شرّ ؟ ، يرفعون البدل . وجاء من هذا قول لبيد :

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول　　أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

ويخرج النحويون هذا على أن « ذا » اسم موصول خبر « ما » الاستفهامية ، وكأنه قيل : ما الذى صنعته ؟ فالجملة اسمية ، وقد جاء على هذا الوجه قوله تعالى فى الآية ٢١٩ من سورة البقرة : « ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو » برفع « العفو » فى قراءة أبى عمرو ،

فتقدير الكلام : ماذا ينفقونه أى ما الذى ينفقونه ؛ قل : هو العفو ، فجاء الجواب جملة اسمية كجملة السؤال .

والوجه الثانى ـ أن يقولوا : ماذا صنعت أخيراً أم شراً ؟ ويخرج بعض النحويين هذا على أن « ما » و « ذا » مُزِجتا حتى صارتا كلمة واحدة ؛ كما هو الأمر فى « إنما » و « حيثما » . ويخرجه بعضهم على أن « ذا » زائدة فى الكلام ، والأداة ذات المعنى هى « ما » فحسب . وهذا مذهب كوفى ، يشيح البصريون بأوجههم عنه ، ويرغبون عن زيادة الأسماء . وأياما كان الأمر فالعبارة المصدر بها الجملة ، والتى أدت معنى الاستفهام مفعول مقدم للفعل ، والجملة فعلية ، وجاء على هذا قوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » بنصب « العفو » فى قراءة الجمهور ، أى يسألونك أى شىء ينفقون ، قل ينفقون العفو ، فجاءت جملة الجواب فعلية ، لتوافق جملة السؤال .

ويرى بعضهم مثل هذا مع « من » ، ويستشهد بقول الشاعر :

وقصيدة تأتى الملوك غريبة قد قلتها ليقال من ذا قالها .

وأعود بعد هذا لموضوع البحث « كم ذا » فأقول : إنى لم أر من ذكر وروده ، ولا من عرض له .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يحمل « كم ذا » على « ماذا » ، ويقاس على هذا الأسلوب الوارد ، والقياس منهج متلئب فى العربية .

فالجواب أن ورود « ذا » بعد « ما » أو « من » مزيدة على خلاف القياس ، فلا يقاس عليه . والمرجع فى هذا السماع ، فحيث لا سماع لا ينبغى القول به ولا اعتماده .

ويقول الشاعر :

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

والقارىء يحس أن « قد » حشو فى الكلام أوردها الشاعر لإقامة الوزن ، وكان يغنيه أن يقول : كم ذا ، لو كان تأليفاً صحيحا ، وقولا معروفا .

والذى يخلص إليه الباحث أن هـذا التأليف خطـأ سرى إلى المولدين من التأليف « ماذا » ، وظنهم أنهما سواء ، وليسا سواء .

ومن آثار هذا الوهم أنى استنشدت كثيراً من الادباء بيت أبى الطيب :

وماذا بمصر من المضحكات ولـكنه ضحـك كالبـكى

فـكلهم ينشده :

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ...

ولا يوجد هذا فى نسخة من نسخ الديوان المتنوعة .

وأقدم ما وقفت عليه من هذا الأسلوب قوله :

يا معـــرضا بهـــواه لما رآنى ضريرا
كم ذا رأيت بصـــيرا أعمى وأعمى بصـــيرا

وهذان البيتان لإسماعيل بن منصور التميمى المصرى الضرير الفقيه الشافعى ، المتوفى سنة ٣٠٦ ه ، عزاهما له المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٧٣ . ولمنصور هـذا ترجمة مبسوطة فى طبقات الشافعية ونـكت الهميان . وكان من الشعراء المجيدين .

ويرى بعض الباحثين تصحيح « كم ذا نصحتك » بأن يكون « ذا » منادى حذف منه حرف النداء ، وهو جائز عند الـكوفيين . ويصحح قول حافظ « كم ذا يكابد عاشق » بهذا الوجه أى كم يكابد يا هذا ، ويزيد وجها آخر ، وهو أن يـكون « ذا » مفعولا مقدما ، أى كم يكابد ذا الألم . والقارئ يحس تـكلفا فى هـذا ، وبعداً عن مقصود المتكلم . وهو لا يطرد ولا يستمر لو قيل : كم ذا نصحتكم ، وهـذا مستساغ عند المولدين الذين ينطقون بهذا الأسلوب ؛ إذ كان قياسه أن يقال : كم هؤلاء نصحتكم .

* * *

الاصنج : الاصلج . الأسوخ : الاصلخ

يستعمل فى لسان العامة الاصنج فى معنى الاصم . واسم المعنى الصنج . يقولون : فلان عنده صنج ، أو هو أصنج : وهذا المعنى لا يوجد فى العربية . وظهر بالبحث أن النون محرفة

عن اللام ، فالاصنج أصله : الاصلج ، والصنج أصله الصلج ، وهذا كما قالوا : أسود حالك وأسود حانك ، وهو أشد سوادا من حلك الغراب ، وحنك الغراب ، يرى بعضهم أن النون بدل من اللام . وفى اللسان : « قال الأزهرى : وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للاصم أصلج ، وفى القاموس : « والاصلج الشديد الاملس ، والاصم . وليس تصحيف الاصلخ بالخاء » وقوله : وليس تصحيف الاصلخ هذا فى المعنى الثانى ، وهو « الاصم » يريد أن بعض اللغويين زعم أن الصحيح فى معنى الاصم هو الاصلخ ، فأما الاصلج فهو تصحيف له ، وليس بلغة ، ولا يرضى هذا المجد ، ويرى أن الاصلج وارد عن العرب كما ورد عنهم الاصلخ . وقد وقع صاحبا محيط المحيط وأقرب الموارد فى خطأ مبين حيث شوها عبارة القاموس ، فأورداها هكذا « الاصلج : الشديد الاملس . وليس تصحيف الاصلخ بالخاء » والقارىء يفهم أن الاصلج فى معنى الشديد الاملس ، يزعم بعضهم أنه محرف عن الاصلخ ، وهذا لم يقل به أحد ، وإنما هذا فى الاصلج بمعنى الاصم . وقد أتى الرجلان من قبل الاختصار وعدم التأمل فى هذا الموطن .

وقد بعثنى على الكتابة فى هذه المسألة أنى وجدت الشيخ الباجورى فى كتابته على بردة البوصيرى يقرر الصنج ، كما لو كان هو الوارد فى العربية ، ويؤيد كلامه بالنقل عن بعض أئمة اللغة ، فقد كتب عند قول البوصيرى :

محضتنى النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال فى صمم

ما يأتى : « والصمم : ضعف فى قوة السمع فوق الوقر ودون الطرش ، ودون الصنج أيضا ، كما علم بالاولى . ولذلك قال الثعالبى : يقال فى أذنه وقر ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش . فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج » وكلام الثعالبى فى كتابه « فقه اللغة » وفيه « فهو صلخ » . ويرى القارىء أن الشيخ الباجورى قرأه على حسب ما ألفه وسمعه « فهو صنج » وكانت وفاة شيخ الإسلام الباجورى سنة ١٢٧٦ هـ .

وقد عرف القارىء الاصلخ فى معنى الاصم ، وأنه أعرق من الاصلج فى هذا المعنى وأعرف ، حتى إن بعضهم زعم أن الاصلج تصحيف له . والعامة يقولون فى معنى الاصم : الاسوخ ، ويبدو لى أن هذا الاخير محرف عن الاصلخ .

نزح من القرية إلى القاهرة

يكثر هذا فى كتابة التراجم . فيقال : نزح فلان من قريته إلى القاهرة أى انتقل منها إليها أو ارتحل أو شخص . وفى تاريخ أدب اللغة العربية لجرجى زيدان ٢١٠/٣ فى ترجمة ابن خلدون : « انتقل أجداده من إشبيلية إلى تونس فى أواسط القرن السابع للهجرة عند غلبة الجلالقة : ويرجعون بأنسابهم إلى وائل من عرب اليمن . نزح جدهم الأعلى خلدون إلى الأندلس فى القرن الثالث للهجرة » .

وقد انتقد هذا التعبير من وجهين :

الأول ـ أن النزوح معناه فى اللغة البعد لا الانتقال ومن ثم لا يعدى بالحرف « إلى » يقال : نزحت الدار ، ونزح البلد أى بعد . وقال على بن الجهم :

وارحمتا للغريب فى البلد النا   زح ماذا بأهـــله صنعا !
فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده وما انتفعا

والثانى ـ أن النزوح إنما يضاف إلى الدار ونحوها ، ولا يضاف للأناسى ونحوها .

وقد بدالى تصحيح هذا التعبير وتسويغه .

فأما تخصيص إسناده إلى الدار ونحوها فلا شىء يوجبه . ويقول صاحب اللسان فى صدر المادة : « نزح الشىء ينزح نزحا ونزوحا : بعد » ولا يتوهمن متوهم أن الشىء لا يشمل الأناسى فهذا اصطلاح محدث ، وقد فسر سيبويه الشىء فقال : يقع على كل ما أخبر عنه . على أنه إذا لم يرد عنهم نسبة النزوح إلا إلى الدار أو ما فى معناها فإن ذلك لا يحظر النزوح على غيرها . ويعجبنى هنا قول الشهاب الخفاجى فى الريحانة ٤٣١ وقد عاب بعضهم أسلوبا يقره الشهاب : « وفيه نظر عندى ؛ فإنه إذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من وجوه الكلام ، ثم استعمل على وجـــه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ » .

وأما استعمال النزوح فى الانتقال فإن هذا سبيله التضمين ، فإن المرء إذا انتقل من بلد فقد بعد عنه . والتضمين باب واسع لا بأس به إذا اشتهر المعنى وذاع ؟

محمد على النجار

عبد الرحمن الغافقى

البطل الشهيد

- ٢ -

لم يعتمد شارل مارتل على القوة وحدها ، بل أعمل الحيلة والمكيدة ، فانتظر بجنوده وقتا غير يسير . وقد علم أن المسلمين مثقلون بالغنائم والأسلاب ، فلا بد من انتظارهم وقتاً ما ، ليشغلوا بنفائسها الثمينة عن القتال ، وليتجهوا إلى الحرص عليها من جهة ، كما يتسع أمامه الوقت من جهة أخرى لتنظيم صفوفه ، ووضع الخطط الدقيقة ، وتقدير الاحتمالات المتوقعة فى الهجوم والدفاع ، ولم يكن المسلمون يقدرون فى نفوسهم أنهم سيقفون أمام هذا الطوفان الحاشد من الموج المتوحش ، إلا أن وثوقهم من النصر قد خلع من قلوب القادة كل خوف . ويأخذ عبد الرحمن - وكان من فرسان المنابر والهيجاء معا - يخطب فى جنوده ويحثهم على الثبات والصبر ، ، وكان يتقد حماسة وحمية ، فأفرغ فى خطبه كثيرا مما تزخر به نفسه المتوثبة ، ثم تقـــدم بجنوده يحدوه الأمل المشرق ، ويدفعه اليقين الراسخ بمسالمة الأقدار ، مرتقبا ما تتمخض عنه الأحداث .

وفى رحاب شمبانيا الشاسعة ، بين بواتيه وتور - التقى جيشان يختلفان عددا ولغة ودينا ، وعلى مقربة من نهر اللوار هجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنجة ، وتكدست جثث القتلى من الجانبين طيلة النهار ، حتى فصل بينهما الظلام .

كان الجند الإسلامى أسدا مغاوير ، فقد اخترقوا الصفوف وراء قائدهم الباسل ، ورأوا من جلاد الأعداء ونضالهم المستميت ما لم يعهدوه من قبل ، فكلما اخترقوا صفا تلاحقت أمامهم وحولهم الصفوف المدججة ذات الصياح المرعب المتوحش ، وقضوا نهارا عابسا كريها كثرت فيه ضحايا الفريقين ، واختال ملك الموت ليسق الكماة الدارعين

من معين ثجاج لا ينضب !! وما غربت الشمس حتى خارت القوى ، وتحطمت الأعصاب ، ووقف الليل الدامس حاجزا كثيفا يمنع تشاجر الرماح إلى حين !!

وقد برقت فى حندس الليل لشارل مارتل فكرة داهية ، طار لها فرحا واستبشارا ، فالمسلمون مثقلون بغنائمهم الثمينة وأسلابهم الذهبية النادرة ، وكثير منهم من البرابرة الذين يحرصون على نفائسهم الغالية أكثر من حرصهم على النصر ، فما عليه حين يتلاحم الجيشان إلا أن يبعث بمن يصيح باكياً على الأسلاب المنهوبة ، والنفائس المباحة ، ليرتد المسلمون مدافعين عنها ، فيتمكن عدوهم من رقاب عزيزة ، وأنوف ذات شمم !! فكرة ماكرة قاصمة جالت بذهن القائد الفرنجي فبادر بتنفيذها حين التقى الجمعان !! وطار الصراخ فى كل مكان ، وارتفع البكاء على النفائس ، فصح ما توقعه شارل ، وترك الكثيرون ميدان القتال ، واندفعوا إلى الخيام مذعورين ، وهال الموقف الرهيب عبد الرحمن وأفزعه ، فطفق يعدو بجواده ذات اليمين وذات الشمال ، داعيا إلى الثبات والإقدام فى معشر زين لهم حب المال ، وجنوا هياما بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وحين خابت صرخاته اليائسة ، ترك الطامعين من المرتدين ، واندفع مع خيرة جنوده ليقف بهم أمام الطوفان المتوحش الرهيب .

* * *

واستبسلت كتيبة القائد استبسالا ينحنى له التاريخ إجلالا وإكباراً ، فأطاحت بصفوف هائلة من الجحافل المتراصة المترامية ، ولكن الطوفان اللجب قد زحف بموجه المزبد على الفدائيين المناضلين ، فسقط البطل الغافقى صريعاً شهيداً ، وساد الذعر جيوش الإسلام إذ وقع استشهاد عبد الرحمن موقعاً أليما ، دعا إلى الحيرة والذهول والارتباك ، بينما أمعن العدو فى المسلمين تقتيلا وإهلاكا ، فطارت نفوس كثيرة ، وسقطت جثث لا تخضع لحصر ، وتمادى شارل مارتل مع جيشه حصداً واستئصالا ، فلم يعبأ بجريح يئن . أو شهيد يحتضر ، حتى أتى الظلام الأسود ، فطوى الستار على يوم أشأم ، لم يسمع المسلمون بمثله فى الأندلس قبل ذلك . وعرفت هذه المعركة الحمراء فى التاريخ الإسلامى بمعركة (بلاط الشهداء) ، نظرا لكثرة من سقط فى ميدانها الرهيب من شهداء الجهاد الإسلامى .

وقد اجتمعت تحت ستار الليل فلول الجيش المنهزم ، وقرروا الانسحاب النهائى متسربلين بالظلام ، بعد أن عمت النكبة وتفاقم الخطب ، وتقهقر الجيش سريعاً فى هدوء صامت ، تاركا وراءه غنائمه وذخائره ، وعدداً من الجرحى لا سبيل إلى إنقاذه فى ساعات

معدودات !! وحين أشرقت الشمس نظر شارل مارتل ، فلم يجد اللواء الإسلامى يتقدم !! فظنها مكيدة بيتت بليل ، وتلبث قليلا لا يدرى ما يصنع ، ثم طال به الوقت فاندفع مع جيشه بحذر إلى المعسكر الإسلامى ، فلم يجد غير الجرحى المحتضرين ، وذخيرة ضخمة من الأسلاب التى سببت وقوع الكارثة !! فأجهز على البقية الباقية من الأرماق المتخاذلة ، ونهب ما وقعت عليه يده من عتاد ومال ، وما زالت شكيمة الجيش الإسلامى — رغم انكساره الحزين — ترهبه وتخيفه ، فخاف أن يتعقب الفلول المتقهقرة ، ورجع إلى قواعده مكتفياً بما أحرزه فى هذه المعركة من نصر ساحق !! وجعل يدق الطبول فى كل مكان ، مردداً أهازيج النصر ، وأناشيد النجاح .

أجل ، لقد فرحت النصرانية بهذه النتيجة فرحا عصف بالحلوم ، وما زال أكثر كتاب الغرب إلى اليوم يتكلمون عن (معركة بلاط الشهداء) مزغردين مستبشرين ، وقد ضفروا أكاليل الثناء ، ونظموا قصائد المديح لشارل مارتل ، وعدوه بطل النصرانية الذى أوقف امتداد الإسلام ، وثبت أركان المسيحية ، بعد أن زعزعتها العواصف ، وتعرضت لأحلك الأزمات ، وبالغ أكثر مؤرخيهم فى وصف هزيمة العرب ، فذكروا رقما خياليا لضحايا الإسلام لا يستند إلى برهان ، بل جعلوا معركة البلاط معركة استئصال وفناء . وهذا وهم كاذب ، وتضليل بعيد ، فلو لم تكن للمسلمين قوة مرهوبة بعد الهزيمة لتتبع شارل مارتل فلولهم المرتدة بجيشه المنتصر ذى الروح العالية ، والزهو العريض ، ولكنه جبن عن ذلك مقدراً ما يعترضه من الصعاب ، وما كان للقائد الطموح أن يحجم عن كسب جديد يزيد به مجده التاريخى وصيته البعيد . ويكفى دليلا على تماسك العرب بعد الهزيمة ، أنهم وقفوا فى وجه القائد المنتصر حينما حاصر أربونة ، فامتنعت عليه امتناعا أيأسه ، وحطم خططه ، بعد أن كان يحلم بإبادة المسلمين واستئصالهم من الأندلس جميعها ، ومن ثم فقد فر راجعاً إلى قواعده مكتفياً بسابق انتصاره ، وأحاديث الفوز والغلبة تفعمه بأريج عاطر ، وترسل فى سمعه أعذب النغمات .

* * *

لقد استشهد عبد الرحمن الغافقى ، بعد أن أبلى أحسن البلاء ، وبذل أقصى ما يبذله قائد باسل فى الذود عن حياضه ، ولكن مأساة أحد ، تكررت فى سهول فرنسا مرة ثانية ، إذ تكالب المسلمون على الغنائم ، وتركوا الجهاد فأسفوا البطل الغافقى فى الغرب ، كما سبق

أن آسفوا الرسول الهاشمى يوم أحد فى الشرق ، !! وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد ، ليبرز للمسلمين شتى العبر ، وأبلغ العظات ، ولكن أين من يعقل ويتدبر ؟ !! على أن هذا التاريخ لم يطفئ بريقاً من مجد البطل الشهيد ، فقد أجمع المؤرخون على تقديره وإكباره ، وسجلوا فدائيته العجيبة بسطور من ضياء ! فقد قاتل قتال المستميت ، وتقدم إلى الموت وهو لا يشك لحظة فى استشهاده ، وماذا يصنع بجند سحرهم بريق المال ، فدارت عليهم وعليه الدائرة ، دون أن تجديه تضحية واستبسال .

* * *

قد يقال إن البطل الشهيد لم يملك السيطرة على جنده حين تحرج به الموقف ، وهرع الطامعون إلى الأسلاب ، ولكن هذه انتفاضة فجائية تقع أمثالها بغتة ، دون أن تدخل فى حساب القادة ، ولا يمكن أن تكون محلا للمؤاخذة إذا أغفلها زعيم تعود النصر ، وقائد ألف الطاعة والامتثال ، على أن الغافقى بالذات قد فطن إلى خطر الأسلاب ، وحذر منها دون أن يشدد فى أمرها رغبة فى اجتماع الكلمة ، واتحاد الاهواء ، كما ذكر ذلك الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه (مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام) ، وهناك نقد آخر لا يخرج عما ذكره الأستاذ محمد لبيب البتنونى فى كتابه (رحلة إلى الأندلس) حيث قال ص ٦٠ :

« كان يجب على الغافقى بعد دخوله بلاد فرنسا أن يجعل حداً لسيل هجومه ، قبل أن يقف الضعف الطبيعى لهذا السيل عند الحد الذى انقلب به الفتح خذلانا ، والنصر هزيمة » .

وهذا نقد يخطه الكاتب غافلا عن الحمية الدينية التى كانت تهيمن على مشاعر العرب ، وتجعل انتشار الإسلام فريضة تستحب فيها الشهادة إن لم تجب ، وقد ألهبت الانتصارات المتوالية نفوس الغزاة ، فوثقوا من النصر وثوقا طرد من أذهانهم كل شبح للهزيمة ، على أنهم لم يؤتوا من ناحية القوة ، فيكون الضعف الطبيعى سبباً للنكبة كما ذكر الأستاذ ، بل إن كارثة الغنائم وحدها هى التى أبعدت النصر القريب ، وأخلفت ظنون القائد فى شجاعة جنوده ، وقد دعا إلى التخلى عنها دعوات صارخة حين وجد التناحر عليها يفتح باب الكارثة ، وإذ ضاق به الأمر ، جاد بنفسه رخيصة هينة فى جنب الله ، فارتفع إلى مقام البررة من الشهداء .

وقد كان فوت الموت سهلا فرده   إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

محمد رجب البيومى

نحـو قومية عربية

وجدتنى - على غير إرادة منى - أضع هذا العنوان لهذا المقـال ، وقد يكون الباعث لهذا التسجيل والوضع هو ما ينتاب أمـة العرب من شتى المحن وصنوف المـكاره ، وما يعتور تقدمها من فرقة وخلاف ، وما يعوق سبيلها من أشواك وعثرات .

والعرب فى كل مكان يبذلون جهودا متواصلة لإفهام العالم حقيقة قضاياهم ، وللحيلولة بين الدخيل وغاياته الاستعمارية العتيقة ، سواء كان ذلك عن طريق سفاراتهم فى البــلاد الأجنبية ، أو عن طريق وفودهم فى هيئة الأمم المتحدة وما يشاكلها . وقد يكتب لجهودهم النصر ، وقد تذهب صيحاتهم فى أروقة منظمة الأمم المتحدة هباء ، لأن كثيرين من القضاة إما أعداء للمتقاضين ، أو تضمهم بالأعداء أحلاف عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية . وويل لمحـكمة يميل فيها القاضى على المتقاضى ، ويحـكم العاطفة فى العاصفة .

وصيحاتنا نحن العرب على أية حال يعقبها صـدى عميق ، له وقع سيئ لدى بعض الأوساط الصديقة التى تشفق على هذه الأمة العربية الناهضة من مناورات الدول الاستعمارية

والعرب فى كل بقعة من البقاع ، وكل صقع من الأصقاع ، يفكون أطواقهم الفولاذية بأيد من إيمان ثابت ، وعزم لا ينثنى ، وقوة لا تلين ، مجاراة منهم للطبيعة الثائرة على هاتيك القيود الثقال ، التى تنوء بحملها الجبال ، واستجابة لدماء آبائهم الصيد الأماجد التى ما تفتأ تنادى بالثأر لها ، والتحرر من أعدائها .

هذه أمة العرب ، وحد بينها الدين واللغة والدم والبيئة والتقاليد وأخيرا المحنة ، وهى عوامل من القوة بمـكان . ولـكن هذه الوشائج على كثرتها لم تستطع تصفية ما بين دولهـا أو مناقشتها الحساب . وما تزال كل دولة تصدر عن رأيها دون ما تقيد برأى الشقيقات . وهذه هى الحقيقة المرة التى يجب أن تعالج على أساس سليم قويم ، يرد لأمة العرب قوتها ومنعتها ووحدتها وسيادتهـا .

إن أحداث فلسطين ونكبة فلسطين ويوم فلسطين - قلب العروبة النابض ودمها الدفاق - ما تزال عالقة بالأذهان . . ! وإذا صح ما أجاب به سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين إحدى الصحف - وما أعتقد إلا صحته - فإنا نحن العرب كنا السبب المباشر فى نكبة أبنائها وتشريدهم .

وكيف يتصور عاقل أن شرذمة من الآفاقين تطوقها الجيوش العربية من كل مكان تنتصر على تلك الجيوش ، إلا إذا كانت الأخيرة تعمل فى جهات شتى ، بعقول وأهداف شتى ، فلا غرو أن كانت عاقبة أمرها خسرا .

رحمة الله عليكم أيها العرب ما دام فيكم أمثال جلوب الاستعمارى ، وجلاوى ، وابن عرفة ممن يوالون الاستعمار .

إن هذا الفريق الخائن آفة تقضى على جسم الأمة ، وتفت فى عضدها ، وتمزق أوصالها ، وتهدم بنيانها . إنه أشد خطراً وأعظم ضرراً على بلده من عدوها ، ذلك أن الخائن يعرف عورات الأمة ومواطن الضعف فيها ، والأمة إما أن تتفرغ له وتشغل به فيذهب وقتها مسرعا وهى محتاجة إليه ، أو تتركه فيمكن للعدو أن يتغلغل فى صفوفها فينتصر ، وكلا الأمرين شر .

ألا ترى إلى الهند الصينية وقد كالت للفرنسيين ضربات قاصمة حاسمة حصدتهم بنيرانها حصداً ، فلم تبق لهم غير جثث وضحايا وأشلاء ، حتى الجرحى حيل بينهم وبين قومهم الفرنسيين . إن هذا لم يتم إلا بفضل اتحاد الهند الصينية وخلاصها من الخونة والمرتشين .

إننا أمة مترامية الأطراف ، متعددة المصالح ، لنا ماض مجيد ، وتاريخ حافل ، نحتل رقعة هى الوريد لهذا العالم المتناحر بالضلال ، المتراشق بالنبال . إننا نستطيع أن نتحكم فى (معسكرى العالم) وكتلتيه المتوثبتين للحرب ، المرتقبتين للنزال ، وأن نوقف كلتيهما فى الموضع الذى يجب أن لا تتخطاه فلا تتعداه ، وذلك بوحدة الصفوف ، وجمع الشمل ، واتحاد الكلمة والهدف ، والصمود فى وجه كل تهديد أو وعيد .

إن الحواجز والقيود والموانع والسدود يجب أن تزول بيننا فوراً نحن العرب ، يجب أن يوحد الجيش بحيث تكون جميع تشكيلاته فى البلاد العربية بمثابة فرق فى الجهاز الأكبر

تحتل رقعاً معينة ، وترابط فى أماكن شتى ، فوحدة بغداد كوحدة عمان ، كوحدة منقباد وكوحدة حلب . ويجب أن يوحد الهدف والسياسة بوضع مبادىء عامة ، وغايات مشتركة :

أولاها — أن الإنجليز والفرنسيين والأمريكان أعداء فى كل مكان وزمان مهما تغيرت الشخوص ، وتقلبت الأيام ، وتغيرت صور الاحتلال وألوان الاستغلال .

وثانيها — أن إسرائيل عدو دخيل على أرض فلسطين يجب قذفه فى اليم بعد الاستعداد لذلك بمثل استعداده .

إنه لا يكفى أن يخرج الإنجليز من بلادنا لنكون أحرارا ، بل يجب أن نكون كذلك فى عقلياتنا واقتصادياتنا وأعمالنا . وما يقال عن مصر يقال عن كل بلد عربى ، فالمشكلة واحدة ، والاحتلال كما يكون عسكريا يكون اقتصاديا وثقافيا ، والاستعمار الثقافى أخطر أسلحة الاستعمار ، وإن بدا أنه فى صورة تبادل المنافع أو المعاونة .

ومشاكل الإسلام والعرب فى مراكش والجزائر وتونس هى بعينها مشاكل ليبيا ومصر وإيران وباكستان والعراق الخ . المحنة واحدة ، والإحن متشابهة ، وبنو العروبة شيع وأحزاب . والداء إن لم يحسم قضى على جسم المصاب .

وبهذه المناسبة ألست معى فى أن تركيا قد أساءت إلى الإسلام وأهله أكبر إساءة حين انضمت إلى عمالقة الغرب فى حلف جرار . ولسوف تكون يوماً ما ميدانا لحرب طاحنة تكون طعمتها الأولى .

لقد اعترفت بإسرائيل مع ما فى إقدامها على هذا الصنيع من تحد وجفوة ، وكنا نحسبها ستقف عند هذا الحد ، ولكنها جرت وراءها أمة باكستان أكبر دولة إسلامية إلى أحلاف الغرب ، وهى الآن بصدد جر دولة أخرى .

يا قوم ، إن هذا الجزء من العالم شرق تنزلت فيه الرسالات ، وهبطت عليه النبوات ، فاتقوا الله فيه ، ولا تبيحوه إلا لأصحابه وذويه ؟

توفيق عاشور
المدرس بمعهد دسوق

التربية فى القرآن

كلمة عن القرآن :

القرآن آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة ، نابت وتنوب عن الرسول بعد وفاته ، وخلفته وتخلفه من حين مماته ، وإن يكن الناس خاضعين لسنن الله الكونية تمر عليهم أدوار ينفرط فيها عقدهم ، وتشرف عليهم أطوار تختل فيها أنظمتهم ، وتفسد فيها طبيعتهم ، ويصبحون بعد على حال يتطلبون لها رسالة من ربهم ، ويرقبون مرسلا من خالقهم ، جرياً على سنته ، واتباعاً لطريقته ، فالقرآن مبعوث إلينا ، ورسول لنا ، وحجة علينا ، بعد خاتم النبيين وتمام المرسلين ، ما أخال أحدا يشك فى أن القرآن كتاب تربية ، ورسول مبين ، وواعظ ناطق ، وبرهان قاطع ، وعقيدة ناصعة ، وآية ساطعة ، وعبادات منتظمة ، ومعاملات مستحسنة ، وتشريع روحى ، وقانون موفى ، وسياسة أخاذة ، وإصلاح اجتماعى ، ونظام دولى ، ومجمع علمى ، ودائرة معارف ، يرجع إليها أهل الفكر ، ويعتمد عليها أرباب النظر ، « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء » .

* * *

ما أصدق رسول الله ﷺ إذ يقول فى حديث رواه الترمذى : « كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد » من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

* * *

وما أبلغ ما قاله الدكتور موريس الفرنسى فى وصف القرآن . « إنه ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ،

وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة من سوره ، فى حسن المعانى ، وانسجام الألفاظ . ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب ، واقتباسا لآياته ، يزينون بها كلامهم ، ويبنون عليها آراءهم ، كلما ازدادوا رفعة فى القدر ، ونباهة فى الفكر » .

* * *

القرآن كتاب تربية :

إذا نظرنا فى كتاب الله ، وبحثنا عن التربية فيه ، استطعنا أن نقرر ونحن مطمئنون بأن القرآن كتاب شامل فى التربية ، فقد وضع دستوراً للتربية العقلية والنفسية والجسمية ، وأشار إلى أصولها فى كثير من آياته ، وجعلها نشيداً يردده المسلم فى صلواته ، ويترنم به فى غدواته وروحاته ، ثم حول هذا النشيد إلى حقائق مدهشة حين ربى عقولا حكيمة ، ونفوساً قويمة ، وأجساماً سليمة ، وهأنذا أتحدث عن أصول التربية فى القرآن .

* * *

التربية العقلية :

تقوم التربية العقلية على الأسس الآتية :

١ — تحرير العقل من القيود والأغلال .

٢ — إثارة الحواس والوجدان لأنها أبواب الفكر .

٣ — التزود من العلوم المختلفة التى تزكى العقل وترفع مستواه .

* * *

الحرية الفكرية فى القرآن :

لا يقبل القرآن أن ينضوى تحت لوائه أعمى أو مقلد ، ولا يرضى أن ينتسب إليه أحد إلا بعد تفكير سليم بعيد عن سائر المؤثرات ، ومن هنا قرر الإسلام حرية الفكر ، وكرم

العقل حيث كرم الإنسان ، وميزه به عن سائر الحيوانات الأخرى ، ومكنه - بفكره - من أن يضع يده على ما حواه الكون ، واشتملت عليه الطبيعة ، وجعله بعد ذلك مسئولا عن أفعاله أمام الله والناس .

نعم : قرر القرآن حرية الفكر ودعا إليها ، ورغب فيها وحض عليها . وفى سبيل ذلك وضع المبادىء الآتية :

١ — لايكره إنسان على الدخول فيه ، بل لا يقبل إيمان عن إكراه ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » ، « لكم دينكم ولى دين » .

* * *

٢ — دعا إلى التفكير المنطقى الهادىء ، وهنا نجد القرآن يسبق علماء النفس فى إدراك نظرية « الجماهير لا عقل لها » ومن ثم فهو يدعو كل فرد إلى أن يتعمق فى التفكير غير متأثر بعاطفة الجماهير قال الله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » - وفى القرآن كثير من التكاليف نجدها مذيلة بالدعوة إلى العقل والتفكير ، فحين يدعونا إلى إنفاق مازاد عن الحاجة يقول : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

وحين ينهى عما يقطع العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وبين الناس بعضهم مع بعض ، لا يغفل عن دعوة العقل فيقول سبحانه : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » . وهكذا نجد دعوة القرآن من مبدئها إلى نهايتها من العقائد إلى بقية التكاليف يقودها العقل ويؤمها المنطق السليم .

٣ — نعى القرآن على المقلدين وأنكر عليهم أن يغفلوا عقولهم ، ويهملوا أفكارهم ، وهو بهذا يريد أن يكون لهم شخصية كريمة ، تجعل لهم حياة مستقلة ، وتأبى عليهم أن يفنوا فى غيرهم ، وترتفع بهم عن أن يصبحوا إمعات تتلاشى عقولهم بجانب من يقلدونهم ، وفى هذا يقول : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » . « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » . ويقول أيضاً فى بيان ضرر التقليد الأعمى وكيف يستبد بالمقلدين حتى يملك عليهم عقولهم وجوارحهم ، وكيف تسرى عدواه الخبيثة من العقائد إلى الأعمال ، فيقترفون المآسى ، ويرتكبون الموبقات تحت تأثيره وتخديره ، يقول تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون » .

وهكذا هدم القرآن التقليد ، ورفض إيمان المقلد ، وشنع على المقلدين فقال : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » . وقال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » . وأعلن فى صراحة أن إهمال العقل هو مفتاح باب جهنم فقال حكاية عن أهل النار : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

وقال ينذر المقلدين بسوء المصير ، ويبين لهم حالهم مع ساداتهم يوم القيامة : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا اتبعوا فأضلونا السبيلا » . « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » .

ويظل القرآن يتعقب المقلدين فى كل مكان ، فينكر عليهم الضعف العقلى ، والخنوع والمذلة لأى إنسان مهما كبر مقامه ، أو غلب سلطانه ، فيقول سبحانه « وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد » ، ويقول « ولو ترى إذ الظالمون

موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين » .

* * *

٤ — واحتراما لحرية الفكر قام الإسلام على الدعوة الكريمة ، والخطة الحكيمة ، والطريقة القويمة ، قام على الإقناع بالبرهان ، والتفاهم بالحجة ، والمحاورة بالتى هى أحسن ، قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ولا يلتجىء الإسلام إلى القوة إلا مضطراً حين يرفض الخصم التحاكم إلى العقل ، ويلوذ بقوة السنان بدلا من قوة البرهان ، وهنا لا عيب على الإسلام حين يتجنب مظاهر الضعف فيقابل العدوان بالعدوان ، ويصد القوة بالقوة ، والشر بالشر ، والبادىء أظلم .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

نعم : لا عيب على القرآن حين يقرر مبدأ القوة فى غير عنف وشطط فيقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فالمنطق يقضى بأن يقرع البرهان بالبرهان والسنان بالسنان ، والقوة حين تقف حائلا دون حرية التفكير وحسن التفاهم يجب أن تزال ، ليعود للفكر حريته ، وللعقل احترامه وقداسته .

وبعد ـ فهذا هو مدى تقديس القرآن لحرية الفكر ، واحترامه لسلطان العقل ، وكفى القرآن فخراً أن أسلافنا الأوائل الذين فهموه حق الفهم ، وآمنوا به أصدق الإيمان ، قد بلغوا بحرية الفكر أعظم مدى حين قرروا أنه إذا تعارض العقل مع ظاهر النقل ، وجب تأويل النقل بما يتفق مع العقل ، وبهذه الحرية الفكرية البالغة كانوا أئمة الهدى ، وأعلام الفكر ، ومفخرة الزمان ، ولا عجب فالقرآن يقول لرسوله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ؟

محمود عبد الوهاب فايد
المدرس بمعهد منوف

أسرار الشريعة

فى أحكام اختلاف المطالع

تلقيت من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد شاهين شيخ معهد القويرى بمصراطة من أعمال ليبيا السؤال التالى :

اعترضتنا فى ليبيا مشكلة بشأن اختلاف الأقاليم فى مطالع هلال رمضان كما حدث فى تونس إذ سبقت مصر فى الصيام . والمرجو الإفادة عن هذه المشكلة بتوضيح واسع .

الإجابة — لا ريب فى أن هذه مشكلة إسلامية من مشاكل بلادنا ، ولكن لم يكن سببها شيئاً من (أصول الفقه الإسلامى) وإنما سببها الحقيق هو الاستعمار الذى مزق المسلمين إلى حكومات ودول لا اتصال بينها ولا ثقة لكل منها بالأخرى حتى فى العمل بالأحكام الدينية الإسلامية ...

وهذه نكبة المسلمين منذ القرن السادس الهجرى تاريخ الحروب التترية والصليبية إلى الآن . ولو كانت الثقة والاتصال موجودين بين هذه الحكومات حقيقة مع العناية بالأمور الدينية ، وعلمت مصر برؤية الهلال فى تونس مساء يوم الأحد لصامت مصر مع تونس يوم الاثنين ، بل ولصام معظم المسلمين فى معظم البقاع برؤية أهل تونس ...

ذلك لأن حكومة مصر ومعها معظم الحكومات الإسلامية متمسكة الآن بعدم اعتبار اختلاف مطالع القمر فى الصيام ، وهو رأى المحققين من السادة المالكية والحنفية والحنابلة وبعض الشافعية ، بناء على أن الخطاب لعموم المسلمين فى قوله ﷺ : « صوموا لرؤيته » ، وأن المراد (مطلق رؤية) للقمر بعد غروب الشمس فى أى بلد شرقى أو غربى ...

ولذلك نجد مصر دائما تعلن الصيام لرؤية القمر فى السودان مع القطع باختلاف مطالع القطرين ...

أما رأى باقى السادة الشافعية فى اعتبار اختلاف مطالع القمر استناداً إلى عدم اعتماد « ابن عباس » رضى الله عنهما فى المدينة المنورة لإخبار (كريب) له برؤية أهل دمشق الشام الخ فإن مصر قد عدلت عن هذا الرأى ، لما يلزم عليه من الحرج والمرج بين المسلمين ، وظهور التفرق بينهم فى أعيادهم ومواسمهم الدينية .

والحق أنه رأى غير اجتماعى ولا عملى من هذه الجهة ...

ألا ترى أن العمل بهذا الرأى وهو اعتبار اختلاف مطالع القمر فى الصوم يستلزم ألا يصوم أهل القاهرة برؤية أهل الخرطوم مثلا لاختلاف مطلعى القمر فى هذين البلدين ، فإن بين عرضيهما فرقا يساوى (١٤٫٥) درجة مما يجعل الفرق بينهما فى مكث الهلال نحو خمس دقائق زمنية ، وهو فرق يحقق الرؤية فى إحداهما دون الأخرى. هذا من جهة العرض وأما من جهة الطول فاختلاف مطلعى هذين البلدين بسببه لا يكاد يذكر ، إذ لا يزيد الفرق بين الطولين عن خمس دقائق قوسية ونصف دقيقة ، وليس لهذا القدر فرق فى قوس الرؤية .

وأما الفرق الطولى بين تونس والقاهرة فمؤثر فى (مطالع القمر وفى رؤيته) لكثرته ، إذ يبلغ فرقهما طولا نحو (٢١) درجة ، وهو يساوى بالزمن (١ ٥/١٢) ساعة زمنية وخمسة أجزاء من اثنى عشر جزءاً من الساعة .

ومعلوم أن القمر يسبق الشمس فى الساعة الواحدة بنحو دقيقة ونصف دقيقة زمنية تقريباً . وعليه فمقدار الفرق الناشىء من الطول فى المكث يساوى (١ ٥/١٢ × ١ ١/٢ = ٢ ١/٨) أعنى دقيقتين وثمن دقيقة زمنية ، هذا من جهة الطول . وأما الفرق بين تونس والقاهرة من جهة العرض فلأن الفرق بين عرضيهما نحو سبع درجات ، وبمقتضى الجدول التالى نجد أن الفرق بين مكث القمر على أفق هذين البلدين بسبب الدرجات السبع يساوى نحو ثلاث دقائق زمنية ، وعليه يصير مجموع الفرق بين مكثى القمر فى تونس والقاهرة يساوى نحو خمس دقائق زمنية : اثنتان بسبب الفرق الطولى ، وثلاث بسبب الفرق العرضى .

والذى اتفق عليه علماء الميقات ألا يقل مكث الهلال لإمكان الرؤية فى مثل أفق القاهرة وتونس عن (١٢) دقيقة زمنية ، بحيث إذا كان المكث فى القاهرة سبعاً فقط استحالت الرؤية ، وإذا أضيفت الخمس إلى السبع فى تونس أمكنت الرؤية .

هذا مع العلم بأن المراد بالمطالع المؤثر فى رؤية القمر إنما هو المطالع البلدى للقمر ، ويسمى بمطالع الأفق المائل ، وهو المدة التى تمضى بين طلوع نقطة الاعتدال الربيعى على الأفق الشرقى لأى بلد وبين طلوع القمر على هذا الأفق ، ويقدر بقوس من معدل النهار ، أوله نقطة الاعتدال الربيعى ، وآخره نقطة من المعدل تشرق مع القمر على أفق هذا البلد .

هذا وإنى أكتفى بهذا القدر الآن مع الاستعداد لتوضيح مايراد توضيحه ، والله الموفق ؟

فروق مكث القمر بالدقائق الزمنية فوق الأفق الغربى بعد غروب الشمس تؤخذ بميل القمر عرضا وبعرض البلد طولا .

ميل عرض	٦ ق	١٢ ق	١٨ ق	٢٤ ق	٣٠ ق
٦	صفر	½	١	١	٢
١٢	صفر	١	١	٢	٢ر٥
١٨	½	١ر٥	٢	٣	٣ر٥
٢٤	½	٢	٣	٤	٥ر٥
٣٠	½	٢ر٥	٤	٥ر٥	٧
٣٦	½	٣	٥	٧	٩
٤٢	½	٤	٦	٨ر٥	١٠ر٥
٤٨	١	٥	٧ر٥	١٠ر٥	١٣
٥٤	١	٦	٩ر٥	١٣	١٨
٦٠	١	٦ر٥	١١ر٥	١٨	٣٢
٦٦	١ر٥	١٠	١٦ر٥	٣٢	

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بالأزهر

زينة العلم

كان الأحنف بن قيس يقول : ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم [١] .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم ، ومن عفو إلى قدرة [٢] .

وقال أبو حاتم البستى : لو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصمت [٣] .

وقال الإمام البوصيرى يمدح النبي ﷺ :

وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء [٤]

أى واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية ، وصفاتها العلية ، فهو تشبيه بليغ ، أى كالبحر الذى هو خلاف البر [٥] .

وجاء فى التاج (مادة — رود) :

ومن أمثال العرب « الحلم مطية وطية » . ويروى عن على رضى الله عنه أنه قال لرجل : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك [٦] .

وفى حديث على فى وصف الصحابة رضى الله عنهم : « يدخلون روادا ويخرجون أدلة » أى يدخلون طالبين للعلم ، ملتمسين للحلم من عنده ، ويخرجون أدلة هداة للناس » .

---

[١] اللطائف للمقدسى .

[٢] الآداب الشرعية للحنبلى [ج ٢ ص ٢٢٩]

[٣] روضة العقلاء [ص ١٨٩] .

[٤] لم تعيه : من أعيا فلان فى مشيه أى تعب ، والأعباء جمع عبء بكسر أوله وبالموحدة والهمزة وهو الحمل والثقل من أى شيء كان .

[٥] شرح الهمزية لابن حجر .

[٦] ألف با — لأبى الحجاج البلوى [ح ١ ص ٤٦٢] .

وقال كرم الله وجهه يصف المتقين [١] :

« . . . فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصاً فى علم ، وعلماً فى حلم »

وقال كرم الله وجهه : [٢]

« ليس شىء أحسن من عقل زانه علم ، ومن علم زانه حلم ، ومن حلم زانه صدق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى » .

وقال الإمام مالك — رضى الله عنه — لفتى من قريش : يا بن أخى ، تعلم الحلم قبل العلم ، وقال لفتى آخر من قريش : يا بن أخى : تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم [٣] .

وكان الإمام الشافعى — رضى الله عنه — يقول : جمال العلماء كرم النفس ، وزينة العلم الورع والحلم [٤] .

وقال الشعبى : يا طلاب العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش [٥] اطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة [٦] .

وقال الأصفهانى فى الأطباق (المقالة التاسعة عشرة) :

« . . . والموفق من سق بجدبة السفه بسارية العلم [٧] واستدفع زلزلة الغضب براسية الحلم ، ألا إن الغضب رجفة والحلم عمادها ، والجزع مدة والصبر ضمادها » .

وقالوا : الصمت زين الحلم وعوذة العلم ، يلزمك السلامة ، ويصحبك الكرامة ، ويكفيك مؤنة الاعتذار ، ويلبسك ثوب الوقار [٨] .

---

[١] النهج [جـ ١ ص ٤٢٢] ط الرحمانية .
[٢] شرح النهج لابن أبى الحديد [جـ ٤ صـ ٥٣٦] .
[٣] المخلاة للبهاء العاملى [صـ ٦٨ ـ س ـ ٢٨] .
[٤] صفة الصفوة لابن الجوزى والطبقات للشعرانى .
[٥] السفه والسفاه والسفاهة : نقيض الحلم . والطيش : النزق وخفة العقل .
[٦] روضة العقلاء للبستى [صـ ـ ٢] .
[٧] السارية : المطرة التى تكون بالليل ـ قاله اللحيانى .
[٨] الغرر البرهان [صـ ١٧٨] .

وقال مالك رضى الله عنه : إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله [١] .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن يعلمكم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا من جبارى العلماء فلا يقوم علمكم مع جهلكم [٢] .

وقال ابن المعتز : المتواضع فى طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء [٣] .

وكان يقال : ينبغى للعالم أن لا يترفع على الجاهل ، وأن يتطامن له بمقدار ما رفعه الله عليه ، وينقله من الشك إلى اليقين ، ومن الحيرة إلى التبيين ، لأن مكالحته قسوة ، والصبر عليه وإرشاده سياسة .

ومثله قول بعض الحكماء : الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلة الطفل الذى هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ، ويعذره بنقصه فيما فرط منه ، ولا يعذر نفسه فى التأخر عن هدايته [٤] .

وفى حكمة لقمان : إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار [٥] .

ومن مقامة التماسك الزمخشرية قوله :

« إن رداء الوقار والحلم أزين ما تعطف به ذو العلم ، فتحلم وتوقر وإن لم يكونا من جدائلك ، وتعلمهما وإن عدما فى شمائلك » .

وجاء من وصية لولادة العبدية [٦] .

---

[١] الآداب الشرعية للحنبلى [ج ٢ ص ٥٥] :
[٢] الآداب [ج ٢ ص ٥١]
[٣] زهر الآداب للحصرى [ج ٢ ص ٧٧]
[٤] شرح النهج [ج ٤ ص ٢٤١]
[٥] العيون لابن قتيبة [ج ٢ ص ١٢٢]
[٦] النهاية للنويرى [ج ٨ ص ١٨٧]

« ... لا يبعد غضبك حلمك ، ولا هواك علمك ، وق دينك بدنياك ، وق عرضك بعرضك ، وتفضل تخدم ، واحلم تقدم » .

ومما جاء فى كتاب تهذيب الأخلاق لليعقوبى قوله (١) :

« ينبغى لمن رغب فى تذليل نفسه الغضبية أن يجعل مجالسته لأهل العلم وذوى الوقار والشيوخ والرؤساء والأفاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه ووقاره » .

وقال أبو حفص بن برد الأصغر — يصف أحد علماء عصره (١) :

« ... ورأيت به للحلم جبلا موطوداً ، وللديانة ظلا ممدوداً ، وللتقوى حبلا مشدوداً ، وللعلم بحراً طفوحا ، وللأدب روضاً مجوداً مروحا » .

ومن المقالة (٤٢) من الأطواق للزمخشرى :

« رضى الله عن العلماء الخاشين من الله وحسابه ، الماشين على سبيل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، جمعوا إلى الدين الحنيف العلم الحنفى ، وإلى العلم الخفى الحلم الأخفى . فنفوسهم روامى الحلم ، وقلوبهم معادن العلم » .

وقيل : أسباب السؤدد سبعة : العقل ، والحلم ، والصيانة . والصدق ، والعلم ، والسخاء ، وأداء الأمانة . وأضيف إلى ذلك الصبر ، والتواضع ، والعفاف ، تلك عشرة كاملة هى لمحاسن الشيم شاملة (٢) .

وجاء فى كتاب — ألف با — (ج ١ ص ٤٦١) ما نصه :

« وإذا اجتمع إلى الكريم الصدق والحلم ، وانضاف إليهما الصبر والعلم ، فقد تمت خصاله ، وتناهى كماله » ؟

تونس محمد المكى بن الحسين

---

[١] رسائل البلغاء [ص ٥٠٨] ط الثالثة

[٢] الذخيرة لابن بسام ـ القسم الأول ـ المجلد الثانى (ص ٢١)

[٣] الغرر للبرهان [١٦]

فارس غرناطة

— ٢ —

— المشهد الخامس —

(يدخل موسى ورفيقاه شاكى السلاح يغمرهم غبار المعركة)

موسى : السلام عليكم .

الجميع : (وقوفاً) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

(فى هذه الأثناء تسقط الورقة من يد الملك) .

الملك : تفضلوا أيها القادة .

(يجلسون وموسى إلى يسار الملك) .

موسى : (عابساً يجيل عينيه فى الحضور ، وينقل نظره بين الورقة والرسول) : لعله رسول الطاغية يحمل إلينا التهديد والوعيد . .

الرسول : مهلا يافارس غرناطة . . وحق العذراء لقد شغفت بأنبائك حتى وددت لقاءك . وأرجو أن أكون إليكم رسول خير . .

موسى : (يلتقط الورقة من الأرض) ما هذه الأوراق ! ! أشكرك أيها السيد . وبودى لو تكون رسالتك كما رجوت . .

(يطالع الورقة والحضور يلاحظونه فى وجوم) ماهذا ؟ ... (للملك) ألهذا دعوتنا ، والقتال على أشده ؟ ! !

(يخاطب القائدين) : انظر يا بن زائدة ، اقرأ يا بن رضوان (يدفع إليهما بالورقة) أيرضيكما هذا ؟ .. (للرسول) : أهذا كل ماعندك ؟ ! ...

الرسول : إنما تقاس الأمور بأشباهها أيها الفارس . ولو أمعنت فى واقعكم لوجدت الخير كله فى هذا .

موسى : لانزال فى خير مادامت لنا حريتنا . .

ابن رضوان: شروط لاتحتمل . .

ابن زائدة : السيف أرحم من الهوان (معيداً الورقة إلى موسى) .

موسى : لا . . لن يكون ذلك أبداً (يمزق الورقة ويطرحها أرضاً) .

الرسول : (مغضباً) إن لهذا ثمناً . . قد تعجز عن أدائه غرناطة كلها . .

موسى : إنها قطعة ورق لا أكثر . . أما غرناطة فهي الشيء الوحيد الذي لا يعدله ثمن . . .

الرسول : ومع ذلك فقد تنتهي إلى شر من هذا التمزق . . . إن . .

موسى : حسبك . إنك تسرف في الإهانة .. وكان عليك أن تذكر أن أبهاء الحمراء لم تألف من رسل الفرنجة سوى الانحناء .. ولولا حقوق الرسل لكان الشأن غير هذا ..

الرسول : ذلك عهد مضى . . و

موسى : وسيبقى مادام في هذه الصدور نفس يتردد . قل لسيدك : إن الأسد لا يقدم يديه للقيد ، وإن لم يستطع الانتصار فهو يعرف كيف يختار ميتته . .

الرسول : إذن فأنت تريد لغرناطة الانتحار . . إن خيراً من ذلك أن تلقى سلاحها . .

موسى : بوسعك أن تدعو سيديك ليتسلماه !

الرسول : (للملك) : إذن أرجع بأسوأ النتائج ..

الملك : (مضطرباً) مهلا أيها السيد . . لا يزال لنا أمل في حكمة موسى . .

الرسول : (متهيئاً للخروج) يسرني أن تصيروا إلى اتفاق ، وإني مستعد لتناسي الإهانة رحمة بالسكان . سأنتظر ردكم في بهو السفراء . . .

(يخرج ومعه الحاكم العسكري) .

الملك : حسناً تفعلون .

القاضي : (لموسى) : أي بني . . . ياموسى . . إن حكمة الشيوخ جديرة برضاك في هذا الموقف الحرج .

موسى : إن حكمة الشيوخ محل إجلالي . . ولكن الخضوع للعبودية لن يكون حكمة ياسيدي القاضي . .

(يرتفع صوت المؤذن من مسجد القصر) .

الجميع : (يرددون مع المؤذن) : الله أكبر . . . الله أكبر . . .

الملك : لا اعتراض على مشيئتك يا ألله . .

موسى : (فى حماسة) الله أكبر . . أكبر من فرديناند ، ومن كل طاغية . إن هذا النداء جدير بأن يوقظ فى قلوبنا روح الاستبسال والعزة .

القائدان : إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . . .

القاضى : اذكر يا موسى قول الله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . . »

موسى : ولم لا تذكرون قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . » إن الله لا يرضى للمؤمن أن يؤثر الدنية ، وفى يده سيفه .

الملك : ولكن فرديناند يعدنا بالإبقاء على ديننا ، ويهبنا المساواة برعيته . .

موسى : يا للغفلة : ومتى كان هذا العلج من الأوفياء ! . إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

ابن رضوان: ولكن قومنا أبداً يلدغون .

ابن زائدة : ثم لا يستيقظون ...

موسى : ألم يعاهد صاحب (مالقة) من قبل ، حتى إذا أسلم إليه قذفه فى الجب . . ثم ساق السكان أرقاء إلى إشبيلية ، حيث سلخوا من دينهم ، وسلبوا أبناءهم ، وذللت أعناقهم للسياط والمحارق ؟ ! . . شد ما تكذبون أبصاركم وتصدقون آذانكم ! يا معشر الغرناطيين . . حسبكم ما فرطتم من قبل . . إن دماء آبائكم وأشلاء شهدائكم تستصرخكم لإيثار الكرامة ، فلا تصغوا لوسوسة الباطل ، ولا تسموا الجبن حكمة .

الشيخ : لقد استخرنا الله ، ولن ندعو الناس للموت ، وهناك أملٌ فى الحياة .

القاضى : لو سمعت يا موسى أنين الأطفال ، وقد حطمهم الجوع على أحضان أمهاتهم لعدلت موقفك .

موسى : (يتهدج صوته من الألم) واكبدا لأحفاد الفاتحين يتجرأ عليهم الجوع ، ويفتحون أعينهم على أشأم أيام الدنيا . . !

الشيخ : ذلك حصاد الماضى من أيام ملوك الطوائف . .

الشيخ الآخر: بئس الغواة ! . . أفسدهم الترف وغرتهم بهارج الدنيا . .

ابن زائدة : واستنفدوا قواهم فى النزاع الداخلى على المجد الكاذب ، حتى أسلمونا لهذه الكوارث.

القاضى : ليتهم يبعثون اليوم ليروا ثمار ضلالهم ...

الملك : حسبهم عذاب الله . .

ابن رضوان: ولعنة الأجيال ...

الشيخ : ولكن هذا كله لن يجدى أطفال غرناطة شيئاً .

موسى : والهفى على أطفال غرناطة ! . . من حقكم أن تحاولوا إنقاذهم، ولو بحبال الوهم، أما أنا فخير لى أن أحصى بين الذين سقطوا دفاعاً عنهم ...

ابن زائدة : ذلك والله أحرى بالنفوس العزيزة . .

ابن رضوان: وأسعد للقلوب المؤمنة . .

موسى : وأليق بشهما متكا . فلنستقبل الموت معا كما استقبلنا الحياة .

ابن زائدة : إنى تلميذك البار . ومعاذ الله أن أفارقك .

ابن رضوان: لا قوة تحرمنى نعمة الشهادة فى صحبتك يا قائدى . .

سعيد : (يتقدم من أقصى القاعة) وأنا أيضاً أحسن صناعة الموت ، فاقبلنى فى رحلتك أيها البطل . .

الملك : حتى أنت يا سعيد . . تتركنى فى اللحظة الأخيرة ! .

موسى : إنها انتفاضة الإيمان تسمو بالنفوس الكريمة إلى ذروة التضحية .

سعيد : لم يبق فى الحياة ما يستحق البقاء .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : إن فارساً قادماً من السور يلتمس مقابلة القائد موسى .

موسى : من الفارس ؟

الحاجب : لم يذكر اسمه ، وهو غارق فى الحديد لم أر غير عينيه .

موسى : (يلمح الفارس خارج القاعة) أقبل أيها الفارس .

— المشهد السادس —

(يدخل الفارس)

الفارس : سيدى القائد . إن العدو المتكاثر يكاد يغلب جنودك على الباب الجنوبى .

موسى : إننا قادمون . وسنفتح هذا الباب .

الفارس : ماذا ؟ . . أتفتحون الباب للعدو ؟ !

موسى : أجل سنفتحه لنسده بأجسامنا .

القائدانوسعيد: أجل لنسده بأجسامنا .

الفارس : الله أكبر . (يتقدم من موسى ، وقد لان صوته وظهرت فى نبراته رقة الأنوثة) ألا يسرك ياسيدى القائد أن نتجرع معاً كأس الشهادة !

موسى : (مندهشاً يتلمس الفارس فى حنان) : فاطمة ! . . هذا أنت ؟ تعالى . . تعالى . . شد ما يسعدنى أن نلتقى فى ساعتنا الأخيرة ! . أجل ليكونن ما تريدين . وسيحتفل بزواجنا ملائكة السماء بعد أن عقدنا رباط الزوجية فى جنان غرناطة الحبيبة .

الجميع : الله أكبر . .

الملك : هنيئاً لكم هذا المصير الكريم . . إن مثلكم لا يصلح لغير الحياة الكريمة ، أو الموت الكريم ... أما أنا . . ويلاه ! . . (يشرق بدموعه ، ويتساقط على مقعده) .

موسى : (فى لهجة تمتزج فيها الشفقة بالاحتقار) : حق لمثلك أن يبكى أيها الملك التعس . . ولكن ...

ابن رضوان: (هامساً) ولكن . . هيهات للدمع أن يغسل الآثام ...

موسى : هلموا يا رفاق نلق على العدو درسنا الأخير . أما الشيوخ ...

فاطمة : فليفتشوا عن الترياق فى أنياب الأفعى ...

موسى : وأن لم يظفر أحدنا بقبر يضم أشلاءه . . فلن يعدم سماء تغطيه .

الجميع : (فاطمة ورفاقها الثلاثة شاهرين سيوفهم) الله أكبر . . يا رياح الجنة هبى . .

(ويخرجون وراء موسى مرددين)

الله أكبر ... الله أكبر ...

— الستار —

اللاذقية ـ سوريا

محمد مجذوب

لمناسبة الأطباق الطائرة :

سكنى الكواكب

كتبت الصحف كثيراً فى الأطباق الطائرة ، واختلف الناس فى تأويلها ، فقال بعضهم : إنها تحمل نفراً من سكان كوكب آخر قد يكون هو المريخ ، وأنكرها آخرون ووصفوها بأنها خرافة : وسواء أكان وجودها حقيقة ، أم أنها من خيال رواتها ، أو أنهم جاوزوا فيما رووه تصوير ما رأوه ، فإن ذلك لا يمس النظرية القائلة باحتمال وجود أحياء عاقلة فى بعض كواكب المجموعة الشمسية والعوالم النجمية الأخرى . ففى الوجود مجموعات كثيرة كالمجموعة الشمسية على أبعاد سحيقة لا يحيط بها الخيال ، وإذا قدر أن فى كل مجموعة عشرة كواكب سيارة بعضها مسكون فقد يبلغ عدد الكواكب المسكونة مئات .

والعلماء على أن أرضنا بين الاجرام السماوية لا تعدو جزءاً من مليون جزء من إحدى حبيبات رمال الصحراء ، وهذا يشبه القول المأثور « ما السموات والارضون فى الكرسى إلا كحبة رمل فى فلاة » ، ولذا لا يتصور أن هذه الكواكب - على سعتها وكثرتها - خالية من الاحياء ، بل والاحياء العاقلة ، كما فى أرضنا أو أرقى أو أحط ، كل نوع منها أعد إعداداً خاصاً يوائم بيئة كوكبه وما فيه من ضغوط وحرارات وأضواء وغازات .

والعلماء يقولون بوجود حياة فى المريخ لما بينه وبين الارض من شبه فى تكوين جوه وسطحه ، ومن تقارب فى حرارته التى تتراوح بين ١٠ فوق الصفر و ١٠٠ تحته ، وفيهم من يرجح أنها أرقى من الحياة الأرضية لما يرون عليه من مسطحات هندسية ومساحات شاسعة من الخضرة .

والقرآن الكريم يقرر وجود أنواع من الاحياء فى غير أرضنا ، وأن بعضها أرقى من النوع البشرى فى قوله : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ٧٠ : ١٧ . فقد قالوا : إن هذا الكثير المفضول

يدخل فيه الجن والملائكة ، واستنتج بعضهم أن الآية دليل على وجود مخلوقات أرقى من الإنسان فى كواكب أخرى .

وفى قوله تعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ٣٦ : ٣٦ ، إشارة إلى مخلوقات أخرى خارجة عما نعلمه فى أرضنا .

كما فى قوله : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة » ٢٩ : ٤٢ .

وفى قوله : « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة » ٤٩ : ١٦

كذلك لا يتصور أن كل ما نرى ونعلم من أجرام سماوية خلق من أجل الأرض أو سخر لسكان الأرض ما دامت الأرض بهذه الضآلة فى ملك الله . قال تعالى : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره » ـ ١٢ . ١٦ . فى رفع النجوم ما يفيد تسخيرها لغيرنا كما سخر الشمس والقمر لنا ، ولا يحتج بذكر الثلاثة منصوبة فى آية الأعراف ـ « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ٥٤ : ٧ لأن التسخير فيها عام لنا ولغيرنا ولم يخصص بلفظ لكم كما فى آية النحل السابقة ، وكذلك آية إبراهيم حيث أريد التخصيص لم تذكر النجوم فى قوله تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » ٣٣ : ١٤ . أما قوله : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » ٩٧ : ٦ فليس معناه أن اهتداءنا بها هو كل فائدتها فى الوجود .

وإذن فلا يستبعد أن تكون الأطباق الطائرة حقيقة ، وأن يكون أصحابها من المريخ أو من غير المريخ ، وقد يسبقونا إلى إيجاد الوسيلة للاتصال بنا والتفاهم معنا ، ومن يعش ير ، وصدق الله وعده الحق : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ؟

حسن محمد موسى
مفتش سابق بالتعليم



الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلى : —

كنت فى حالة غضب وثورة نفسية ، فوقع منى يمين الطلاق مرة واحدة على زوجتى ، وقد سمعت أن بعض المذاهب لا تعتد بالطلاق فى حالة الغضب ، فأرجو الإفادة ، مع العلم بأنه سبق هذه المرة وقوع الطلاق مرتين .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن طلاق الغضبان واقع متى كان يعى ما يقول ولم يصل إلى حالة الهذيان وغلبة الخلل فى أقواله وأفعاله . وعلى هذا يقع طلاق المستفتى إذا لم يصل به الغضب إلى هذه الحالة المذكورة ، وبذلك تصير امرأته بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تتزوج بزوج آخر زواجا صحيحا شرعا ويدخل بها دخولا حقيقيا ثم يطلقها أو يموت عنها وتنقضى عدتها منه ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

— ٢ —

رجل عاشر امرأة فى الحرام ووضعت طفلا وكبر ، فصلح بين الناس وصلى وصام فهل الحكم على والديه أم عليه ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن إثم جريمة الزنى على الزانى والزانية وحدهما ، وليس على ولد الزنى من ذلك شيء ، وهو إنما يؤاخذ بعمله . قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

— ٣ —

شاب اعتنق الدين الإسلامى اعتناقا شرعيا مسجلا وهو فى سن البلوغ وترك دين أبيه رغم ثرائه وماله ، مفضلا الإسلام عما عداه من حب المال . فهل يرث المسلم أباه رغم أن له أخوة على دين أبيهم ؟ . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن هذا الابن المسلم لا يرث أباه المسيحى لاختلاف الدين ، وهذا هو مذهب جمهور العلماء ، وعليه العمل فى المحاكم الشرعية . ومن العلماء من يقول بوراثته من أبيه المسيحى بناء على أن المسلم يرث غير المسلم ، ولكن ليس العمل على هذا القول . والله أعلم ؟

— ٤ —

توفيت والدتى فى أواخر عام ١٩٤٦ وتركت أولادا ذكورا وإناثا . وقد توفى والد والدتى فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٥٠ وترك أربعة أولاد ذكور وثلاث إناث وزوجة . فهل لأولاد ابنته المتوفاة حق فى التركة . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال، وتفيد بأن لأولاد بنت المتوفى التى توفيت فى حياته بطريق الوصية الواجبة قدر ما كانت تستحقه والدتهم ميراثاً لو كانت موجودة حين وفاة والدها، وهذا إذا لم يكن المتوفى قد أعطى أولاد بنته بطريق التبرع شيئاً مما يجب لهم، كما هو الظاهر.

والقدر الذى يجب لهم فى هذه الحالة هو سبعة أسهم من خمسة وتسعين سهما تنقسم إليها تركة المتوفى. وتقسم سبعة الأسهم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقى بعد ذلك يقسم على ورثة المتوفى، فيكون لزوجته ثمنه فرضا لوجود الفرع الوارث، وذلك أحد عشر سهماً، والباقى بعد ذلك كله يكون لأولاده تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، فللبنت سبعة أسهم، وللابن أربعة عشر سهما.

وبهذا علم الجواب عن السؤال، إذا كان الحال كما ذكر به، ولم يكن للمتوفى وارث غير من ذكر ولا مستحق آخر فى التركة. والله أعلم ؟

— ٥ —

هل تصح الصلاة لحامل علبة التمباك أو علبة السجائر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال، وتفيد بأن حمل علبة التمباك والسجاير وما إلى ذلك من كل طاهر فى الصلاة لا يبطلها ولا يحدث فيها نقصاً. وبهذا علم الجواب عن السؤال. والله أعلم ؟

— ٦ —

هل تجب الزكاة فى الفول السودانى أم لا ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد :

بأن الفول السودانى حكمه فى الزكاة حكم الحبوب الاخرى كالقمح والذرة ، فتجب فيه الزكاة ؟

رئيس لجنة الفتوى

مجلة الأزهر تنعى إلى العالم الإسلامى عالمين من خيرة العلماء المبرزين وهما :

المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، والمغفور له الشيخ محمد أبو شوشة العضو السابق لجماعة كبار العلماء .

والمجلة لا ترى نفسها بحاجة إلى التعريف بما للفقيد الأول من خدمات مشكورة للفقه الإسلامى والقضاء والفتيا والأزهر مما يعلمه كل من له صلة بالبيئة العلمية .

كما تذكر للفقيد الثانى تفانيه فى خدمة الفقه المالكى ، وتنشئته لطائفة كبيرة من علماء الأزهر الذين يعتبرون غراساً كريماً له .

ونسأل الله أن يضاعف لهما المثوبة ، جزاء ما بذلا فى سبيل العلم والدين ، وما قدما لأنفسهما من صالح العمل .



تاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر

بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ المجلدة الثانية ـ المجمع العلمى العربى بدمشق

سبق لنا التنويه فى ص ٧٥٥ - ٧٥٨ من المجلد ٢٤ لهذه المجلة بالعمل العلمى العظيم الذى يقوم به المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهو نشر تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ، وتاريخ ابن عساكر معجم ضخم قد يزيد فى الطبع على خمسين مجلدا ، تضمن تراجم أعلام الإسلام الذين ولدوا فى دمشق أو عاشوا فيها أو مروا بها من زمن الفتح الأول إلى آخر دولة بنى أمية حتى زمن المؤلف فى القرن السادس الهجرى . والمجلدة الثانية التى صدرت الآن من هذا التاريخ هى أيضاً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهى أيضا من مقدمات الكتاب ، فقد تقدم فى المجلدة الأولى ذكر فضائل دمشق وما ورد من الثناء عليها ، وفى هذه المجلدة خطط دمشق . قال الناشر : ويبدو أن ابن عساكر طاف بالمدينة مبتدئا من باب الجابية فسجل ما وجده من مساجد ، وقنى ، وحمامات ، شاطراً المدينة شطرين يحدهما الشارع المستقيم ، فباب المسجد والأنهار والقنى والحمامات من أصح ما فى قسم الخطط من تاريخ دمشق ، لأنه من مشاهدات المؤلف على الوضع الذى كان فى عصره . أما سائر أبواب الخطط فقد اعتمد فيه على شيوخه بالرواية أو بالنقل عن الكتب التى ألفت عن دمشق قبل ابن عساكر وأقدمها كتاب أحمد بن المعلى قاضى دمشق المتوفى سنة ٢٨٦ ، وكتابه من مصادر رحلة ابن جبير ، وكتاب أحمد بن أبى العجائز من القرن الرابع ، وهو من مصادر ياقوت فى معجم البلدان ، وكتاب محمد بن عبد الله بن جعفر الرازى من القرن الرابع ، وهو من مصادر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ، وكتاب تمام الرازى بن أبى الحسين من القرن الخامس ، وتلميذه عبد العزيز بن أحمد الكتانى المتوفى سنة ٤٦٦ ، وتلميذه الآخر على بن محمد الربعى المتوفى سنة ٤٤٤ ، وهو مؤلف فضائل الشام ودمشق ، ثم هبة الله الأكفانى (٤٤٤ — ٥٢٤) وغيث بن على الأرمنازى المتوفى سنة ٥٠٩ ، وغيرهم .

وقد استوفى ابن عساكر موضوع الخطط على ما شاهده أو نقله عمن ألف قبله وقام الدكتور صلاح الدين المنجد بتحقيق ذلك إلى أقصى ما وصلت إليه يده ، وكان كريماً بما ألحق به من فهارس متنوعة كما أحدث ما وصلت إليه مناهج النشر لمثل هذه الكتب النفيسة ، ووضع له مخططين لما كان من الاماكن فى داخل سور دمشق أو فى الارباض وخارج السور .

وكنا سمعنا أن المجمع العربى ناط تحقيق أجزاء تاريخ دمشق برجال متعددين من أعضائه ، فطمعنا فى أن يتوالى صدور الأجزاء بسرعة . فإن كان تحقيق الكتاب سينحصر بالدكتور المنجد فنقترح إرجاء الأجزاء الأولى التى سبق للشيخ عبد القادر بدران والمكتبة العربية نشر أجزاء المهذب منها ، وأن يعنى بإصدار ما بعد ذلك لتكون بين أيدى الناس التراجم التى لم يسبق نشرها . حتى إذا انتهى طبع الكتاب يستأنف نشر الأجزاء الاولى ، وبذلك يكون النفع به أسرع ، ولهم الشكر على هذا العمل العظيم .

القصاص فى الاسلام

للأستاذ الشرباصى - ٢١٩ ص - دار الكتاب العربى

النفس البشرية أغلى وأكرم خلق الله ، وكل ما يتعلق بحياتها من أهم ما يهتم له البشر . لذلك كان موضوع « القصاص » فى طليعة ما عنى به البشر فى أحكامهم ومحاكمهم وحكمة تشريعهم ووسائل أمنهم وكيان حضارتهم وعمرانهم .

وأنفس ما كتب عنه بالعربية - فيما أعلم - هذا الكتاب الجديد لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان الحامل له على ذلك دعوة تلقاها من الجامعة الأمريكية فى القاهرة بالاشتراك مع اتحاد الدراسات الاجتماعية لشئون الأحداث ، طلب إليه فيها أن يساهم فى سلسلة المحاضرات بمحاضرة عن رأى الشريعة الإسلامية فى الثأر وهل هو من اختصاص الدول أم الافراد ، فاستجاب لهذه الدعوة وألقى المحاضرة ، ثم توسع لمجلة الأزهر فى هذا الموضوع فنشرنا له ثلاث

مقالات فى ص ٥٥٣ و ٧٠٧ و ٨٢٧ من المجلد الماضى ، ثم مضى الأستاذ فى دراسته المتشعبة وما زال يبحث ويستقصى إلى أن صار بين يديه كتاب شامل استوفى به القول على الثأر فى الجاهلية والإسلام ، وعقوبة الإعدام بين دعاة الإلغاء ودعاة الإبقاء ، وأحكام القصاص وهو من أوسع بحوث الكتاب ، ثم قارن بين قول الله « ولكم فى القصاص حياة » وقول العرب فى أمثالها « القتل أنفى للقتل » فكان بحث آخر من أنفس بحوث الكتاب الذى أصبح مرجعا لا يستغنى عنه طلاب كلية الشريعة وكليات الحقوق والمشتغلون بالقضاء وتوابعه . بارك الله للأستاذ المؤلف فى وقته وزاده نشاطا وإنتاجا .

تحذير من كتاب

ظهر فى سوق القاهرة كتاب انجليزى مدرسى عنوانه :

A short History of Islam and Islamic Egypt.

أى التاريخ الوجيز للإسلام ومصر الإسلامية ، واسم مؤلفه (م . توفيق) ولما كانت بعض البلاد الإسلامية غير العربية فى حاجة إلى كتب مدرسية باللغات الأجنبية عن التاريخ الإسلامى ، وإذا كان مثل هذه الكتب صادرا عن مصر فإنه يقع منها موقع الثقة والرضا ، فقد أقبل فريق منهم على اقتناء هذا الكتاب لتعليمه لأطفالهم ، ثم اصطدموا بما يزلزل هذه الثقة إذ اطلعوا فى صفحة ٩ منه على ما يدل على جهل أو سوء نية فى دعوى أن « إرادة الله أن العقيدة الجديدة يجب أن تنشر بالسيف » وفى صفحة ١٣ منه على أن القرآن كان يوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى أحلامه ورؤياه . وكانوا يظنون أن المؤلف م . توفيق هو صاحب جريدة البريد الإسلامى ، وبعد البحث تبين أن المؤلف مرقص توفيق ، وكان ينبغى له أن يكتب اسمه على الكتاب كاملا ليعرف الذين يقتنون تاريخ الإسلام لأبنائهم أن المؤلف أجنبى عن الإسلام فيكونوا من أمره على بصيرة . وقد نبهنا إلى ذلك الأستاذ راشد رستم فشكرا له ، ولعل الجهات التى يعنيها هذا الأمر تتخذ الوسائل لمنع الانخداع بمثل هذا الكتاب .

الأدب والعلوم

مناهج الدراسة فى الأزهر

اتسعت دائرة التجديد فى مناهج الدراسة بالأزهر فتناولت « الأصول » من هذه المناهج وشملت الدراسات جميعاً بحيث يمكن اعتبار المناهج المعدلة مناهج جديدة.

وأهم ما روعى فى ذلك وصل الدراسات الأزهرية بالحياة، وتخليصها من الأبواب المعقدة، والأمور التى تتصل بالفروض البعيدة، كى تتناسب مع التطور الجديد للدراسات وللمجتمع فى العهد القائم.

وكانت مادة الفقه من المواد التى أدخل عليها تعديل كبير وتجديد واسع النطاق، فقد أضيفت إليها دراسة أعمال الشركات والبنوك والأسهم والسندات وكل ما يتعلق بهذه النظم الاقتصادية المتحدة السائدة الآن فى المجتمع المصرى، بحيث تدرس هذه النظم على ضوء حكم الشريعة الإسلامية فيها، بعد أن كانت بعيدة كل البعد عن دراسات الأزهر.

وأدخلت تعديلات كبيرة على مناهج التاريخ فأدمجت فيها دراسة الحركات الإسلامية، والأعلام الذين جددوا حيوية الإسلام فى نفوس المسلمين، والأبطال الذين أنشأوا النهضات والحركات الإصلاحية فى تاريخ الإسلام.

وفى مواد الأدب والنحو والصرف ألغيت الأبواب المعقدة والتى لا تمت إلى الحياة بصلة، وأضيفت الموضوعات الحية الحساسة المتصلة بالمجتمع. وستدرس فى الأزهر المذاهب الأدبية الحديثة بالمقارنة مع مذاهب الأدب القديم.

رسالة التربية

سجل السيد الصاغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم حديثاً أذاعه على أعضاء أسرة التربية والتعليم لمناسبة بدء العام الدراسى، ومما قاله فيه:

إن رسالة التربية تتناول كيان الفرد، وتصقل معدنه، وتجلو جوهره، وتخلق منه إنسانا يعيش لغيره - كما يعيش لنفسه، وهى بذلك كله: تربية وتكوين قبل أن تكون تعليما وتلقيناً، وأساسها روح فاضلة، وخلق

كريم . بناؤها شخصية متينة ، وإدراك سليم والتلميذ أو الطالب فى سنه المبكرة مرآة صافية صادقة ، تعكس فى وضوح صورة المربى سواء فى المدرسة أو البيت ، وتنفذ إلى أغوار نفسه ، فيتمثلها وينساق وراءها . وهو حين ينمو فكره وتسمو روحه ويقوى جسمه ، تكون صورة أستاذه ومربيه قد انطبعت فى كل عناصر كيانه . لقد آن لنا أن تنطلق نفوسنا لتؤدى رسالتها فى تحقيق مجد للوطن وعزته ، وليثق كل منا فى أخيه ، وليعطه الفرصة للابتكار وإظهار النبوغ . ولنتعاون جميعا ، مبرئين أنفسنا من شر الطائفية البغيضة أو الحزبية الممقوتة ، عاملين بإخلاص لوجه الله ، ولإسعاد الامة وإعلاء شأن الوطن .

علماء الغد

في معهد الإسكندرية الديني

رأت مشيخة المعهد الدينى فى ثغر الإسكندرية أن تقرر توحيد الزى لجميع طلاب المعهد ، على أن يلبس الطالب العمامة والكاكولة (الجبة) المصنوعة من الصوف المصرى . وستعمل المشيخة على مراعاة ذلك والتشديد على الطالب بارتداء هذا الزى داخل المعهد وخارجه . وستتخذ إدارة المعهد الإجراءات المشددة ضد من يلبس زيا مخالفا لهذا الزى .

انحطاط مستوى الاستشراق

دلت المهازل التى وقعت فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى أواخر شهر أغسطس الماضى بمدينة كمبردج على أن الاستشراق أخذ ينحط عن مستواه العلمى السابق بمن انبث فيه من يهود مغرضين ، وروسيين جاءوا لبث الدعايات الرخيصة . ويقول بعض الذين شهدوا المؤتمر : لقد كثر الأعضاء اليهود الذين جاءوا من مختلف البلدان يحملون فى قلوبهم التعصب الإسرائيلى المنافى لأخلاق العلماء ، وقد زعم أحدهم أن قصر الحمراء الذى شيده ملوك دولة بنى نصر فى غرناطة هو من صنع اليهود ، ولما نوقش اليهودى السخيف فى دعواه تبين أنه يملى قوله من وحى الخيال مدفوعا إلى ذلك بسفسطة التعصب . أما مهزلة المهازل التى أبيح لها أن تمثل فى مؤتمر المستشرقين الأخير فهى أكاذيب موسكو على تاريخ صدر الإسلام ، وادعاء أن مسيلمة الكذاب كان له تأثير مباشر فى آيات القرآن ، وأنه كان من قبل أستاذاً ثم حليفا لخاتم رسل الله ، إلى غير ذلك من السفاسف التى تحول بها مؤتمر المستشرقين إلى بيئة لا يليق بمن ينسب إلى العلم أن يتعاون معها .

أنباء العالم الإسلامي

جمعية دولية للشبان المسلمين

اتخذت التدابير فى كراتشى عاصمة باكستان لعقد أول جمعية دولية للشبان المسلمين بعد شهرين ، ويأمل المشرفون على تنظيم هذه الجمعية أن يبنوا (مدينة شبان) فى كراتشى تتسع لنحو ثلاثمائة مندوب يفدون من جميع ربوع العالم الإسلامى . وينتظر أن يفتتح رئيس وزراء باكستان هذه الجمعية التى تستغرق اجتماعاتها مدة أسبوع .

ويتجه التفكير إلى إقامة معرض للثقافة الإسلامية ـ بهذه المناسبة ـ تعرض فيه الأعمال التى حققها المسلمون فى الأربعة عشر قرناً الماضية ، وما ساهموا به فى تطور الحضارة الإنسانية . وستستخدم وسيلة جديدة لاستعراض التاريخ الإسلامى إلى يومنا هذا إما بكتابته على قرطاس ملفوف من الورق أو القماش أو السيلولويد .

وسيعقد اجتماع عام تبحث فيه « المبادىء الإسلامية الحية » و « دور الإسلام فى مستقبل العالم » .

والجمعية ترمى إلى تحقيق وحدة قائمة على العقيدة الإسلامية الراسخة فى خدمة الإنسانية ، وأن يكون رحمة للبشر ، وسيكون شعارها : « القرآن دليلنا والنبى محمد ﷺ زعيمنا » .

الاستعمار الاجتماعى

روى الأستاذ السيد علال الفاسى رئيس حزب الاستقلال المراكشى أن الظروف جمعته — وهو فى منفاه براسافيل عاصمة الكونغو الفرنسى أثناء الحرب العالمية الأخيرة — بشخصية دبلوماسية انجليزية وشخصية استعمارية فرنسية ، وكان الحديث يدور عن الأسلوب الاستعمارى الذى تتبعه فرنسا فى مراكش ، فالتفت الدبلوماسى الإنجليزى إلى الموظف الفرنسى الكبير وقال له :

إن سياستنا العربية نجحت كثيرا لأننا نعترف بمبدأ الاستقلال للشعوب ، ولكننا نحتفظ بنفوذنا المعنوى على ملوكها وذوى الزعامة فيها . اقتدوا بنا إذن ، فاعترفوا للمراكشيين بالاستقلال ، وضعوا يدكم على (السلطان) و (المفكرين) المغاربة .

باريس — تل أبيب

تلقت الجمهورية من باريس أن الاتفاق تم بين فرنسا وإسرائيل على تنسيق سياستهما فى البلاد العربية بحيث تقوم الهيئات الفرنسية

المختلفة فى كل بلد عربى بمراقبة الحالة لحساب إسرائيل ، وعلى تقديم معونة عسكرية فرنسية للجيش الإسرائيلى وأن تقدم إسرائيل لفرنسا خلاصة خبرة اليهود فى مكافحة عرب فلسطين لتستفيد فرنسا من تلك الخبرة فى أعمالها الإرهابية ضد شعوب شمال إفريقيا .

وقد زار رئيس أركان حرب إسرائيل باريس بدعوة رسمية من الحكومة الفرنسية وتمت اجتماعات بينه وبين كبار موظفى قسم أفريقيا والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الفرنسية .

ووصل إلى باريس الكونيل هيركابى نائب مدير المخابرات الإسرائيلية ليضع خبرته تحت تصرف المسئولين عن إدارة سياسة شمال إفريقيا والمسئولين عن إدارة سياسة فرنسا تجاه العالم العربى .

ومن المعلوم أن رئيس الوزارة الفرنسية منديس فرانس يهودى ، ومن حوله بطانة يكثر فيها العنصر اليهودى وأكثرهم من المحررين اليهود فى جريدة « اكسپرس » لسان حال منديس فرانس .

قاض أمريكى

يحكم على الاستعمار الفرنسى فى المغرب

فى برقية من نيويورك أن وليم دوجلاس قاضى المحكمة العليا الامريكية صرح بأن فرنسا إذا لم تغير سياستها فى مراكش فإن هذه البقعة من العالم ستنفجر بعنف لا يعرفه إلا الإفريقيون .

وكتب وليم دوجلاس مقالة فى مجلة (لوك) الأمريكية بعد رحلة قام بها حول العالم ، فاتهم الفرنسيين بالنزعة الاستعمارية ، وبارتكابهم جرائم القتل بالجملة فى شمال إفريقية ، وعلق على ذلك بقوله : إن رمز الحكم الفرنسى فى مراكش هو الكرباج . وحذر دوجلاس الفرنسيين من أن تنقلب مراكش إلى هند صينية أخرى إذا هى لم تحدث تغييراً سريعاً فى الوضع الراهن .

المسلمون فى هندستان

أقر مجلس الشعب بالبرلمان الهندى مشروع قانون يقضى بنزع ملكية أملاك المسلمين النازحين عن الهند للتعويض منها على النازحين الهنود من الباكستان الغربية .

وقبل أن يفرغ المجلس من مناقشة مشروع القانون أبدى مولانا حفظ الرحمن السكرتير العام لجمعية علماء الهند ملاحظة لفت بها أنظار إخوانه أعضاء المجلس إلى أن بعض الخطب التى ألقيت فى المجلس خلال هذه المناقشة كانت معادية للمسلمين . وما كاد يبدى هذه الملاحظة حتى هبت عليه عاصفة من الاحتجاجات اضطر معها إلى قطع كلامه ، محتجا على أنه لم يسمح له بالاشتراك فى هذه المناقشة ولو لمدة دقيقتين فقط .



السيد الرئيس جمال عبد الناصر وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج والسيد وزير التربية والتعليم
فى احتفال الأزهر الذى أقيم ابتهاجا باتفاقية الجلاء وتكريما للسيد الرئيس والسادة قادة الثورة

الكلمات

التى ألقيت فى احتفال الأزهر الذى أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى

ابتهاجاً باتفاقية الجلاء

الأزهر يحتفل بالجلاء

تحرير الأوطان الإسلامية ، وتقويم أخلاق المسلمين ، وإصلاح مرافق الوطن الإسلامى ، وتعميم العدالة الاجتماعية ، كل ذلك من رسالة الإسلام ، وكان الأزهر دائما فى طليعة العاملين فى هذا السبيل ، فلا غرو أن يحتفل الأزهر بهذا الحادث التاريخى العظيم ، حادث الجلاء ، لأنه من العاملين السابقين لتحقيقه ، ولأنه من ثمرات أمانيه .

وقد تجلت هذه المعانى كلها فى الحفل العظيم الذى أقامه الأزهر فى مساء الاثنين **٢٧** صفر . وقد أسهبت الصحف اليومية فى وصف جلال ذلك الحفل الذى كان مؤتمراً ، وكان مجلس بيعة ، وكان كسوق عكاظ ببلاغة ماقيل فيه ، وسمو الأهداف التى كان يرمى إليها .

كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر

وقد بدأ الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم . ثم وقف فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر فألقى الكلمة التالية :

حضرة السيد الرئيس ، حضرات السادة قادة الثورة ، إخوانى ، أبنائى

أشكر لكم جميعاً - باسم رجال الأزهر وباسمى - كريم تلبيتكم دعوتنا لشهود هذا الاحتفال ، الذى يتيح لنا أن نؤدى للبطل العظيم « **جمال عبد الناصر** » ولإخوانه الضباط الأحرار قادة الثورة ، بعض مايجب لهم من عظيم التقدير ، وخالص معانى التكريم ، على ماجاهدوا وصبروا ، وعلى ما كافحوا وناضلوا ، وعلى ماتعاقدوا وعاهدوا الله عليه ، أن يقدموا أنفسهم ضحايا فى سبيل تطهير البلاد ، من عوامل الانحلال ، وعناصر الفساد ، وتخليصها من يد المحتل الذى تسلط عليها ، بمختلف قواته المادية ، وأنواع حيله ومكايده السياسية ، مدة اثنتين وسبعين سنة كاملة .

احتفال الأزهر بالجلاء

نفوس كبيرة ، وأرواح غالية ، تلك التى يحملها الأحرار قادة الثورة . لكنهم - فى سبيل مجد الوطن وعزة أهله - قد استصغروها واسترخصوها ، فاندفعوا بقوة إيمانهم وإخلاصهم ، ليقدموها فدية زكية ، وهبة سخية ، وليدفعوها عاجل ثمن ، لخلاص الوطن ، ثمن ليس مما يعهد التعامل به فى مساومات الناس فى هذه الحياة ، وإنما يعرفه الأحرار المخلصون الذين يبيعون أنفسهم لله .

تعاقد هؤلاء الأحرار ، وعاهدوا الله على أن يقدموا أنفسهم فداء لوطنهم . لكن الله العلى الكبير ، الرءوف الرحيم ، الذى يعلم حاجة مصر إلى الأحرار المخلصين ، ولا سيما فى تلك الآونة العصيبة ، التى استحكمت فيها حلقات الشر والظلم ، واستشرت فيها ألوان الفتنة والفساد - قد حفظ لها حياة هؤلاء الأحرار من أبنائها ، ليعيدوا لها استقلالها ، ويجلوا المحتلين عن ديارها ، ويقيلوها من عثرتها ، وينهضوا بها من كبوتها .

وقد مكن الله لهم بقوة إخلاصهم ، وصدق عزائمهم ، أن يستخلصوا البلاد من أيدى المحتلين ، من غير حرب ولا ضرب ، كما استنقذوها من الشر والبلاء ، بتلك الثورة البيضاء . وكذلك نصر الله يؤتيه من يشاء ، والله عزيز حكيم .

استخلصوا البلاد كاملة موفورة ، بعد مارزحت تحت نير الاحتلال حقبة طويلة ، لم يستطع فيها ساسة مصر وحكامها ، ولا زعماؤها ورؤساء الاحزاب فيها - على اختلاف مذاهبهم فى السياسة ، وتنوع ألوانهم فى طريقة الحكم - لم يستطيعوا أن يخلصوا بشىء لوطنهم ، ولم يقدروا أن يقنعوا المستعمر بأنه أمام جبهة وطنية واحدة ، مجتمعة الكلمة ، صادقة العزيمة ، مصممة على أن تكافح الباطل بماضى حقها ، وتصارع الظلم بعدالة مطلبها ، وأنه لاشىء يثنيها عن المضى فى سبيلها ، حتى تدرك الغاية ، وتفوز بالنصر الذى كتبه الله للمخلصين .

نعم ، لم يستطع من تزعموا مصر ومن تقلدوا أمرها فى تلك الحقبة الطويلة ، أن يقنعوا المحتل الغاصب بذلك ، لأنهم - مع شديد الأسف - لم يكونوا فى أغلب الأمر على شىء من ذلك ، اللهم إلا فى فترة قصيرة مرت بها سنة ١٩١٩ ، كانت مثلا حيا يذكر للشعب فى الفداء والتضحية ، وفى قوة الكفاح والجلاد .

ونود هنا أن نتحفظ فنحفظ بين الاقواس شيئاً نرى أنه لايحسن أن نغفله ، وأن نمر من غير إشارة إليه ، ذلك أننا لاننكر تلك الجهود الفردية ، العظيمة الخالدة ، التى بذلها

الدعاة الأولون ، والمجاهدون السابقون ، ودعاة الوطنية الحقة ، الذين شرف بهم ، وتعطر بذكراهم تاريخ مصر الحديث منذ بدء الاحتلال » .

أما تلك الفترة القصيرة التى أشرنا إليها فهى التى زلزلت أركان الارض ، ورجفت لقوتها طبائع الاستبداد ، وهتفت لها فرحا وطربا قلوب المستضعفين من أهل الأقطار ، التى بليت بما بليت به مصر من مصائب الاحتلال والاستعمار .

إجماع مصر على الكفاح فى تلك الفترة ، واجتماع كلمتها على النضال والتضحية ، قد أخضع المستعمر على أن يسلم ويعترف بقوة إيمانها وحيويتها . وعلى أن يطأطىء إكباراً وإعظاماً لصلابة وحدتها ، هذه الوحدة التى إن كانت عزلاء من قوى الحديد والنيران ، فقد كانت مدرعة بقوى الاحتمال والمصابرة ، وحمية الوطنية والإيمان .

فقد أكرهته هذه الوحدة على أن يطلق سراح المنفيين فى جزيرة « مالطة » ، ويخرج المسجونين من محابس مصر وسجونها المضنية المتلفة ، ويفك عقال المعذبين فى المعتقلات العسكرية فى صحراء « سيدى بشر » المهلكة ، وأن يعيد هؤلاء وأولئك ممن قاموا بتلك الثورة من أبناء مصر المجاهدين إلى متنفس الحرية الفردية ، ولكن هذا ليس هو ما كانوا يبتغون ، وليس هو الذى من أجله كانوا يعملون ويجاهدون .

وهكذا أدرك المحتل الغاصب أنه قد فشل فى خطته وسياسته ، وأنه لا سبيل إلى إخضاع الامة بالنار والحديد ، وبألوان التنكيل والتعذيب ، وأنه لا شىء يصرفها عن جهادها ، ويلهيها عن غايتها ، ما دامت على إيمانها ووحدتها .

أدرك المحتل ذلك كله ، فراح يدبر أمره على أن يحاربها بسلاح آخر أشد فتكا ، وأعظم هولا ، ذلك هو سلاح التفريق ، وتغذية أسباب الخلاف ، وتنشيط عوامل الحقد ، وتنمية عناصر التباغض بين القادة والزعماء .

وقد نجح فى استخدام هذا السلاح ، وشق به أكثر من طريق إلى غاياته ، من التحكم فى أمور البلاد وشؤون العباد ، فإنه لم تكن فى نفوس الزعماء والقادة مناعة تفل هذا السلاح وتحطمه أو تبطل عمله ، لا بل كان الأمر على عكس ذلك . كانت قلوب هؤلاء الزعماء والقادة مستعدة للفرقة ، متهيئة أن تنمو فيها بذور الخلاف والشقاق .

وهذا هو السر فى أنى آثرت آنفاً التعبير عن عمل المحتل بأنه تنشيط وتنبيه ، وتغذية وتنمية لأسباب الحقد والكراهية ، والتباغض والعداء بين أولئك الزعماء ، فإنه قد يكون من الإسراف وعدم الإنصاف أن نقول : إن المستعمر كان دائماً يخلق الفرقة بين الزعماء خلقاً ، وأنه كان دائماً ينشىء الأحقاد فى قلوبهم إنشاء ، وأنه هو وحده الذى أوجد الاستعداد - بعد أن لم يكن هناك استعداد - للانصراف عن المصالح العليا الوطنية إلى المنازعات والخلافات التى كانت تغذيها وتهيمن عليها الأهواء الشخصية .

والخلاصة أنه فيما وراء تلك الفترة القصيرة ، فترة سنة ١٩١٩، كان أمر الناس خلافات بشعة ، ونزاعات شائنة ، استحكم بها الشر ، وتشتتت بها الجماعة ، وتمزقت فيها جهود الأمة ، وانصرف بها الزعماء والقادة عن شؤون وطنهم ، وشغلهم المستعمر عن نفسه بأنفسهم . تعددت الأحزاب بغير برامج ، وتفتت الحزب الواحد إلى عدة فرق أو أحزاب ، وكان كل حزب إذا صار إليه حكم البلاد يصرف كل جهوده للانتقام من الأحزاب الأخرى ، والقضاء على ما قد يكون فيها من وحدات صالحة ، حتى اضمحل أمرهم جميعاً ، وتضعضعت قوة الشعب بأسره ، وهبط المستوى فى جميع نواحى الحياة المادية والمعنوية ، الثقافية والخلقية والاجتماعية .

والجيش ! أين كان الجيش من تلك الرزايا والنكبات والأحداث الجسام ؟ أين كان جنوده ، وقواده ، وضباطه العظام ؟

أما القواد والضباط العظام فإنا فى الحقيقة لا ندرى أين كانوا وكيف كانوا ، ولا ماذا كانوا يصنعون ، وأما الجنود وضباطهم من أهل الرتب الدنيا والمتوسطة ، فقد كانوا مساكين ، لا حول لهم ولا طول ، كانوا مضرباً على أيديهم ، مغلوبين على أمرهم ، مجردين من معظم عدتهم ، تحتويهم مساكنهم أو محابسهم ، معتقلين أو مراقبين فى ثكناتهم ، تغلى دماؤهم بحرارة الغيرة على شرف الجندية ، وشرف السلاح ، وشرف القيادة ، وواجب الوطن ، حتى أراد الله لهم أن تنزاح عنهم تلك الغمة ، وتزول عن قلوبهم تلك الشدة ، وأن يخرجوا من الضائقة ، بفضل الثورة المباركة ، فيشاركوا فى الأخذ بأسباب النهضة ، وتكون بأيدى الجيش النظيف القوى مقاليد الأمور ، وأن يكون الجيش هو الذى يحمل راية الإصلاح والإنشاء والعمل النافع المجيد فى المدينة والميدان ، وهذا توفيق كبير ، وفضل من الله عظيم ، وهو مصداق قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الصالحـات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

أيها البطل العظيم ! أحييك وأحيي إخوانك قادة الثورة ، وأحيي فيكم هذه الخصال النبيلة النابهة ، والصفات الجميلة الفاضلة : طيب القلب ، وطهارة الضمير ، ونقاء السريرة ، والإخلاص الدائم الوفى لحركة النهضة ، ومطالب الثورة التى قمتم بهـا ، والتى جمعتكم فيها عقيدة واحـدة ، وصوبتم بها إلى غرض واحد ، ليس همكم فيه جمع مال أو التمتع بجاه ، إنمـا هو الغرض الأسمى ، أن تحيا مصر حياة العزة والمجد والـكرامة ، وأن تعيش فى ظـل الاستقلال والاستقرار .

والآن ـ والحمدلله ـ قد مكنتم لها أمرها ، وثبتم لها عزتها ، وأعدتم لها كامل استقلالها ، وحللتم بذلك مشكلاتها الخارجية التى استعصى على الزمان حلها ، فعليكم أن تعملوا على حـل مشاكلها الداخلية ، وأن تسيروا فى منهاج الإصلاح والإنشاء ، الذى بدأتموه وقطعتم فيه ذلك الشوط العظيم بنفس الحزم وبتلك القـوة ، قوة الإيمـان وصدق العزيمة ، كى تنهض مصر إلى المستوى الجدير بها والذى هى جديرة به ، والله معكم ، يؤيدكم وينصركم ، ويشكر لـكم جهودكم وجهادكم : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

أسباب الثورة

كلمة فضيلة الشيخ السبكى مدير التفتيش :

ثم وقف فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش فألقى الكلمة الآتية عن جماعة كبار العلماء :

اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه ، وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه .

سادتى :

قديما عرف الناس مصر وطن الفراعنة ، ومنار العلم ، وبلد المكارم ، فلها من تاريخها الصفحات المشرقة ، ومن ماضيها الذكريات المجيدة .

وإنما بنى مجدها ، وأصل تاريخها ، رجال عاشوا لها ، وجهدوا فى إعلاء شأنها ، فكانت مصر - بفضل الأوائل من بنيها - وطنا مرموقا بين الأوطان ، محمود الذكر فى فم الدنيا .

ومنذ أشرقت شمس الإسلام على مصر ، أخذت حياتها الاجتماعية تنهج نهجاً أقوم ، حتى أصبحت مصر - فى عصرها الإسلامى - أكثر مما كانت أولا : مطمح أنظار ، ومشرق حضارة ، وملتقى علماء ، وحتى اعترف الشرق مطمئناً بأن مصر رائده ، فى قديمها وحديثها ، وفى معارفها وفنونها .

كل ذلك بما أتيح لها من رجال آمنوا بها ، واعتزوا بمجدها ، ثم زادهم تدينهم بالإسلام معرفة بالوطنية ، وفهماً للأخوة الاجتماعية ، واعتصاما بها ، وحفاظاً عليها من العصبيات ، ومن مطاوعة الدخلاء فيما يحاولون من الإيقاع والتفريق .

ولكن عاديات الزمن لم تدع لمصر وداعتها ، ولم تترك لها هناءتها ، فساقت إليها أخيراً من أطراف تركيا شراذم دخيلة ، ومكنت لهم الأيام أن يحكموها ويتسلطوا عليها ، فعبثوا بمجدها ، وزيفوا لأنفسهم تاريخاً على حسابها ، ونشأوا منا أجيالا هزيلة ، لا تصلح لوطن ،

ولا تعترف بدين ولا خلق ، فاختلط فى مصر الجد بالهزل ، وراجت أباطيل السياسة ، والاتجار بالوطنية ، والإثراء على حساب الشعب ؛ من طريق الدجل والتغرير ، وأصبح للرذائل - فى أفحش صورها ، وأبشع أحوالها - دعاة وأنصار ، وندوات وجماعات ، وانعدمت الثقة ، وتقاذف الناس بالظنون والأراجيف ، وانطلقت ألسنة السفه ، وراجت نزعات الإلحاد ، وانطوى على نفسه من كانت له بقية من خلق ، أو كانت عنده أثارة من دين .

وكأن مصر فى عهدها هذا جهلت مقامها ، وتنكرت لماضيها ، والتفتت إلى حياة هازلة ، حتى تخنث رجال ، وترجلت نساء ، وانحرفت الأوضاع ، ويئس من دعوة الخير مصلحون كثيرون ، وظنوا أن مصر أصابتها نكسة اجتماعية ، دفعت بها إلى هاوية ليس لها من قرار .

ولكن كأن نداءً علوياً يهتف من سماء مصر : حنانيك أيها الجازع مما رأيت ، اليائس مما رجوت ، فإن فى السويداء رجالا ، وفى جيش مصر أسودا وأشبالا ، ولا يحزنك أن مصر غلبت على أمرها ، وسيقت فى غير طريقها ، فإنما هى فى صمتها تمهل العابثين فيها ، والخائنين لعهدها ، حتى إذا أخذتهم لم تفلتهم ، وإذا عبست فى وجوههم لم تعد تضاحكهم .

وعيب على مصر — وفى جيشها أبطال ورثوا نخوة العروبة ، واقتبسوا من عزة الإسلام — أن ترضى عمن يستبد بها ، أو تعفو عمن يخيس بعهدها ، وتلتوى مع من يحاول إفسادها والتغرير بها ، أو النيل من حقوقها .

هذا هاتف السماء تصغى إليه القلوب المطمئنة بالله وبالوطن ، فينجاب عنها اليأس ، وينتعش فيها الأمل ، وتنهض إلى الغايات المنشودة .

وها هى مصر تفجأ العالم بثورتها الفتية ، وتعلن فى الدنيا صرختها المدوية ، وتشهد التاريخ على أنها إذا اتسعت لوافد عليها ، فكرما منها لا مداهنة ، وإذا أمهلته فحلما وملاينة ، حتى إذا غره كرمها ، وأغراه حلمها ، وواطأ الأجنبى على المكر بها ، فله منها ثورة الأسد فى غضبته ، وزئيره فى ثورته ، ورددت فى الخافقين : أبعدوا عن وادى النيل أولئك الدخلاء النازحين ، وعلموهم أن مصر للمصريين .

احتفال الأزهر بالجلاء

سادتى :

إذا كان فى الحاضر ذكريات للماضى ، فإن الثورة المصرية لمن أصدق الذكريات للدعوة الإسلامية أول أمرها .

ذلك أن الحياة اضطربت فى مصر كثيرا منذ خيمت عليها ضلالات الأسرة العلوية !! وجرفنا تيار خطر لا يتفق مع بيئتنا ، ولا هو فى أصله من تقاليدنا ، حتى تحرجت الصدور ، وضاقت الأنفاس ، لتغلغل الفساد .

ثم كانت بارقة أمل كاذب ، حسبناها يسرا بعد عسر ، يوم تفاءلنا بعهد فاروق ، وما لبثنا أن رأيناها خدعة من خدع الزمن الماكر ، وزلة من زلات الحظ العاثر .

وهنا ناجى الأتقياء ربهم من جديد ، أن يجنب مصر ما وراء ذلك ، وأن يفرج عنها كربتها ، ويخرجها من محنتها ، فكان موقف الشعب يومئذ أشبه بموقف العرب يوم تغلغل فيهم الفساد ، حتى ضجرت منهم نفوس خيرة ، وتعلق أملهم بالسماء ، فاتجهوا إليها بالرجاء ، أن تدركهم برحمتها مما يحيق بهم .

والله أرحم بالجماعات القابلة للإصلاح أن يتركها فى حيرتها ، تتعثر فى مفاتن الشيطان ، وتتساقط وراء مجرميها فى مهابط الرذيلة .

فكان من رحمته أن هيأ لمصر - وهى وطن إسلامى - نخبة من أبطال جيشها ، تملكتهم الغيرة القومية ، وجاشت فى صدورهم الوطنية ، وقويت فيهم الحساسية بما تحسه مصر ، فكل منهم يسمع فى دخيلة نفسه أنين مصر من آلامها ، وعتبها على أبنائها ، ودعوتهم سراعا إلى إقالتها من عثراتها ، فتجاوبت قلوبهم ، واتحدت عزائمهم ، واستمدوا من هدى الرسالة المحمدية ما أوضح لهم السبيل ، وحبب إليهم التضحية ، وكان لهم من حسن الوفاء ، وصادق العهد ، وتمام الإيمان ، ما هون عليهم الصعاب ، ودفع بهم إلى الغاية النبيلة ، فصرخوها صرخة مدوية فى جوف الليل : (لبيك لبيك يامصر) وكان لهم من جانب الله تأييد وتوفيق وتسديد .

وفى هذا الحاضر الجديد ذكرى للماضى البعيد ، والله يعلمنا بها أنه ينصر الحق على أيدى المحقين ، وأنه لا يهدى كيد الخائنين .

فشكرنا لله أن نهتف من قلوبنا مخلصين : حيا الله رجال الثورة ، وأبقاهم لمصر حراسا أمناء ، ومصلحين أكفاء .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

عيد الجـــــــلاء

وتلاه فضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية ، فألقى هذه القصيدة العصماء :

سنا فجره المأمول لاحت بواكرهْ … وهزت ربوعَ المشرقين بشائرهْ
أطل على ليل الحيارى وأشرقت … على ظلمات اليأس غُراً منائره
وخف إليه الدهر يرهف سمعه … ويزحم ركب النور فيمن يسايره
وطالعت النيلَ السعيد بصبحه … مُنى طالما جاشت بهن خواطره
ترف بها بشرى الجلاء وعيده … فترقص فى شطيه نشوى أزاهره
وتعتنق الأدواح فوق ضفافه … عرائسَ واد جن بالحسن ساحره
على لهوات الطير من صبواتها … طرائف شدو أبدعتها حناجره
هو النيل والبشرى استخفت وقاره … ترنح عطفاه وجاشت هوادره
وما فاض فى شطآنه غير فرحة … تضيق بها يوم الجلاء سرائره
وما هو ماء ما يفيض وإنما … عواطفه جياشة ومشاعره
ثوى فى قيود الذل سبعين حجة … يكاتم غيظا أو تثور ثوائره
وصابر الاستعباد مستأسد المنى … يؤمل يوما أن تقال عواثره
تداركه فجر الخلاص بيمنه … فصحت أمانيه وقرت نواظره
فمن رام الاستقلال فليشهد الحمى … تغنت به أريافه وحواضره
ومن ضاق بالأغلال فالقيد حُطمت … سلاسله والغل قُدت مكاسره
ومن ضل فى ليل المظالم سعيه … فقد هتكت أستاره وستائره
ومن سره أن يشهد البعث ماثلا … فهذى معانيه وتلك مظاهره
ومن شاقه يوم الجلاء وعيده … فهذى مجاليه وتلك مناظره
كفى يومَه أن الزمان بأسره … أوائله يحسدنه وأواخره

* * *

رعى الله للوادى جمالا وصحبه … أسوا جرح وادى النيل فالنام ناغره

احتفال الأزهر بالجلاء

لقد صيروا حلم الجلاء حقيقة — وكان سراباً يخدع العين ظاهره
وكان لتجار السياسة مغنما — على سوقه السوداء قامت متاجره
وكم من ندىٍّ كان قصةَ لهوه — يرددها مخموره ومقامره
فساد وظلم وانحلال ونكسة — أصيب بها الوادى فضلت مصائره
وما كحمى الأخلاق حصن لأمة — إذا نكبت فيه فماذا تحاذره ؟
وقد ينهض الشعب الجريح بروحه — وليس يقوم الشعب ماتت ضمائره
تدارك رحمن السماء مصيره — وطاحت بعرش الظالمين مقادره
مضوا يتساقون الندامة علقما — وباءوا بشؤم طار بالنحس طائره
وأضحى كناس النيل غاباً ممنعاً — تُهاب بوازيه وتُخشى قساوره
صناديد راع الظلمَ بأس زئيرهم — فزلزل مغناه ودكت مقاصره
هى الثورة البيضاء ما شابها دم — ولا فارقت غمد الكمى بواتره
لقد بعثوا من رقدة الموت وادياً — أُعدت له أكفانه ومقابره

* * *

فخل هراء المرجفين فما ثنى — أخا العزم يوماً جاحد الفضل ناكره
وقل للذى تعشيه أضواء نهضة — مضى ليلك الداجى وولت دياجره
سرت فيه بغدادية العزم قادها — إلى النصر ماض معجز الصنع ساحره
يحث الخطا للمجد موكب نورها — ويدفعه قلب الحمى ويؤازره
سيبنى فلا يثنيه هدم معوق — ويمضى فلا يلوى على من يكابره
ومن يجعل الإخلاص رائد عزمه — إلى رفعة الأوطان فالله ناصره

* * *

بنى الشرق هذا الغرب ضل ضلاله — وأعمته أطماع تظل تساوره
ودان بشرع الغاب بغياً وشرةً — فضلت عن الحق القويم بصائره
يعـــد أساليب الفناء بعلمه — هل العلم أن يفنى من الكون عامره ؟
لقد عزه فى الشرق قوةُ روحه — فراح بأنواع السلاح يفاخره

احتفال الأزهر بالجلاء

إذا العرب الأمجاد فيه توحدت صفوفهمو عادت أمانا مخاطره
وهذا زمان ليس فيه لأعزل مكان ولا يصغى لشكواه قاهره
فما ينفع المغلوبَ منطق حقه ومنطق سفاك الحقوق بواتره
إذا الذئب لم يسمع لغير ضراعة من الحمل الوانى فما هو عاذره
هو الحق لا يعطَى لذلة طالب ولكن إذا ضجت غضاباً كواسره

* * *

أسودَ الحمى حياكم الأزهر الذى يكبر للبشرى ويهتف شاعره[1]
به مشعل النور استفاض على الحمى سناه وجاب المشرقين مسافره
ومن ساحه شب الجهاد تحوطه شريعة حق ما تزال تؤازره
تمائل للبعث الجديد وقد صحت أمانيه واهتزت رجاءً منابره
ألح عليه السقم من طول يأسه وشُقت من الحرمان مَطلا مرائره
وأوهن عهد الظلم بأسَ شيوخه وكان أعز المالكين يحاذره
أتنساه مصر وهى تفخر باسمه ويذكره بالقول لا الفعل ذاكره؟
وتُمنع دون الجامعات حقوقه وتعطى كما شاءت مناها نظائره؟
إذا ما شكا قالوا: عهدناه قانعاً تقشفه فى العيش تُروى مآثره
وإن ضاق بالحرمان قيل له اتئد وعلله بالزهد من لا يصابره
أليس لنا حق الحياة كغيرنا؟ وأين سبيل العدل إن جار جائره؟
مضى عهد تفريق الطوائف وانقضى وراح زمان الظلم لا عاد غابره
وأدركه عهد المساواة منصفاً فهل يُرتجى فى ظله اليوم كادره؟
متى تنصفوه تنصفوا خير معهد موارده محمودة ومصادره
وإن تُنهضوه تَنهضوا بحماكمو ويزهى على الماضى ويعتز حاضره

---

(١) فى هذه الابيات تصوير لحال الازهر فى عهد الفساد، من إهدار كرامته، والاستهانة بحقوقه، وامل فى العهد الجديد الذى ينهض بتحقيق العزة والكرامة لأبناء الوادى.

كلمة السيد الرئيس

ثم نهض السيد الرئيس جمال عبد الناصر وسط الهتاف المدوى فقال :

إخوانى رجال الازهر

أحييكم ، وأعبر لكم عن سعادتى فى هذه الفرصة التى جمعتنا للاحتفال بجلاء قوات الاحتلال عن أرض الوطن فى رحبات الأزهر .

وفى هذه المناسبة العظيمة لا يسعنى إلا أن أذكر لهذا الأزهر جهاده على مرّ السنين ، فقد حمل الأزهر دائما الرسالة ، ولم يتخلَّ مطلقاً عن الأمانة ، وكافح كفاحا مريراً فى سبيل الحصول على أهداف الوطن ، وقاسى رجاله ، وعذبوا ، وقتلوا ، وشردوا ، واقتحم المحتلون الأزهر ، فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن ، واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها للجيش ، وإلى عرابى الذى قام متسلحاً بروح الأزهر المعنوية إلى جانب القوات المادية يطالب بحقوق البلاد .

وعندما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر ، حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الأزهر ، كما حاول القضاء على الجيش وقوته ورسالته ، ورغم هذا استمر الأزهر على مر السنين يكافح ...

ففى ثورة سنة ١٩١٩ حمل الأزهر العلمَ ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى .

وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعاً وأحزاباً ، وعلى تحطيم الجيش وفصله وفصل الأزهر عن الوطن .

واليوم ، وبعد أن قامت الثورة ، أقول لكم :

عليكم حمل الرسالة والأمانة مرة أخرى ، فإن أمامنا عملا شاقا طويلا ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الكبرى التى كافح من أجلها السابقون ، ورجال الأزهر على طول السنين .

احتفال الأزهر بالجلاء

إن الوطن يطالبكم بأن تحملوا الرسالة ، رسالة المحبة ، رسالة الدين ، رسالة الإخاء والمعرفة . إن الوطن يطالبكم بأن تنشروا بين ربوعه أن الدين محبة ، لا تعصب ولا إرهاب .

إن الوطن يطالبكم بأن تقولوا بين أرجائه : إن الدين تعاون : لا فرقة ، ولا بغضاء . يطالبكم بأن تنشروا فى كل مكان تحلون فيه روح الصداقة والحب والتعاون ، وبهذا نستطيع أن نقول : إن الأزهر يمضى فى القيام بالرسالة التى حملها الأولون ، وبأداء الأمانة مرة أخرى لعزة الوطن وكرامته وحريته . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر
مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين في كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزءان الخامس والسادس } القاهرة في ١٦ ربيع الأول ١٣٧٤ - ١٢ نوفمبر ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

مولد رسالة

خمسمائة مليون من البشر يحتفلون الآن بمولد إنسان مضى على يوم مولده ١٤٢٧ سنة قمرية، وما كانت هذه السنين الطويلة لتنقص من تعلقهم به، ومحبتهم له، واغتباطهم بالانتماء إليه، وضراعتهم إلى الله عز وجل أن يحشرهم تحت لوائه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه.

إنه إنسان، إنه ابن امرأة من قريش كما قال هو ﷺ عن نفسه. لكنه امتاز على كل إنسان، وعلى كل ابن امرأة من نساء قريش، بأنه حمل إلى الإنسانية آخر رسالات الله وأكملها، وقد حاول كل من كان يحمل رسالة من رسالات الله أن يربي للإنسانية جيلا كالجيل الذي رباه محمد بن عبد الله ﷺ فلم يبلغوا في ذلك شأوه. وكنت قد تحدثت عن ذلك في مقال « الجيل المثالي » على صفحات هذه المجلة في جزء جمادى الآخرة من سنتها الماضية فأغنى ذلك عن الإطالة به الآن.

وإنما كان الجيل الذي رباه محمد ﷺ جيلا مثاليا لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا كلما نزلت آية من القرآن بخلق من أخلاق القرآن، أو حكم من أحكام القرآن، أو توجيه من توجيهات القرآن آمنوا بأنها نزلت ليعملوا بها. بذلك كانوا مسلمين، وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس، وبذلك كانوا قدوة للأمم التي اتصلوا بها، فعرفت قدر دينهم وفضله على الأديان، بما رأت من آثار هذا الدين في أخلاق أهله وأحكامهم واتجاهاتهم.

إن العمل بعناصر الرسالة المحمدية هو الذى أبرز جمالها ، وأبان عن مواطن الحق والخير فيها ، فعرفت الإنسانية أن ذلك هو الذى كانت تنشده ولا تجده ، ثم وجدته بعد طول شوقها إليه ، وبذلك دخلت شعوب الأرض فى الإسلام ، وبسبب ذلك قام هذا العالم الإسلامى ، وبفضل ذلك صار عددنا فى الأرض خمسمائة مليون من البشر .

إن محبتنا لصاحب هذه الرسالة صلوات الله وسلامه عليه لا تزال كمحبة أجدادنا وأسلافنا له ، ولكن عملنا برسالته طرأ عليه الضعف ، لأن التعليم الاستعمارى ، ووسائل التأثير على عقولنا ونفوسنا وقلوبنا — الطارئة علينا من الخارج — قد باعدت ما بيننا وبين أخلاق القرآن وأحكام القرآن وتوجيهات القرآن ، وبذلك اختلفنا عن أسلافنا ، بل بذلك تناقضنا فى محبتنا لسيدنا محمد ﷺ وتقصيرنا فى العمل برسالته .

الرسالة المحمدية عامة شاملة للعصر الذى بعث فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولعصرنا هذا ولما بينهما ولما بعدهما ، فهو مبعوث إلينا كما كان مبعوثاً إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر إخوانهم من أفراد « الجيل المثالى » . وفى استطاعة كل واحد منا أن يلتحق بجيل الصحابة إذا استطاع أن يتخلق بأخلاق الصحابة ، وأن يعمل بعمل الصحابة ، وأن يكون وفيا للرسالة المحمدية كوفاء الصحابة لها وجهادهم بعقولهم وأرواحهم وأموالهم وأنفسهم فى سبيل ظهورها وتعميم العمل بها .

إن خير ما نحتفل به فى ذكرى مولد صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم إحياء رسالته والعمل بها والتخلق بأخلاقها من الصدق والأمانة والتضحية والتعاون والإيثار والاعتدال والاقتصاد والرحمة ، ووضع الأشياء فى مواضعها ، واستعمال نعم الله فيما خلقت له . وقد أكون أنا وأبناء جيلى أقل اقتدارا على ذلك من فتيان الإسلام والشباب المحمدى ، فإنهم فى مقتبل الحيوية والقوة ، وفى استطاعتهم أن يمرنوا مواهبهم على مثل ما فعل أصحاب رسول الله ، ليلتحقوا بقافلة أصحاب رسول الله . فإن وطنوا النفوس على ذلك كان هذا أعظم ما يحتفلون به فى ذكرى المولد النبوى الشريف ، والله الموفق .

محب الدين الخطيب

لماذا لم نترجم القرآن ؟

المسلمون دعاة القرآن .

ولما خرجوا من أرض القرآن قبل أربعة عشر قرناً ، استطاعوا فى عشرات قليلة من السنين أن يحولوا الشام والعراق وما وراءها من الآفاق شرقا ، ومصر وليبيا والقيروان وما يليهن من الممالك غربا ، إلى أمم صديقة للقرآن ، لاتقتصر على فهمه والعمل به ، بل تنافس أهله الأولين فى الدعوة إليه ، وتوسيع رقعة الأرض التى تسودها مبادئه وأحكامه وأخلاقه . وكما نبغ فى علوم القرآن أئمة من أبناء دعاته الأولين - كالأوزاعى ومالك ومحمد بن الحسن وأبى يوسف والشافعى وأحمد - نبغ فيها كذلك أئمة من أبناء البلاد التى وصل اليها القرآن بعد أن لم يكن فيها كعبد الله بن المبارك وأبى حنيفة والليث بن سعد وابن لهيعة وابن وهب ويزيد بن أبى حبيب المصرى وعبد الرحمن بن القاسم وأسد بن الفرات وأشهب بن عبد العزيز والربيع بن سليمان والبويطى والحسن الزعفرانى وأبى زرعة الرازى وزميله أبى حاتم وابن أبى حاتم والبيهقى والقفال والجصاص وابن قتيبة ومئات بل ألوف من أمثالهم .

كيف صارت مصر والشام والعراق والرى واصبهان والقيروان والأندلس من بلاد القرآن ، ونبغ من أبنائها أئمة فى علومه وتشريعه وسنته ولغته وآدابه ، كالأئمة الذين ظهروا فى أرض القرآن الأصيلة ؟

هل ترجم لهم دعاة الإسلام الأولون من العرب هذا القرآن بلغاتهم ؟ ومن الذى ترجمه بها ، وأين هى هذه الترجمات ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم : إن المسلمين الأولين كانوا لا يستجيزون هذا العمل ويمنعونه ويرونه من الإثم . وقد فهمنا من كلامه حقيقة رائعة قلما يدرك مغزاها إلا من كان فى مثل عقل ابن تيمية ، وسعة علمه ، ودقيق نظراته ، وتألق بصيرته . فهمنا مما قرره فى هذا الموضوع أن سياسة الإسلام فى الدعوة إلى القرآن كانت قائمة

على مبدأ « نقل الأمم إلى الإسلام » ثم يكون منها الأئمة المتبوعون ، لا على مبدأ « نقل الإسلام إلى الأمم » وتبقى بعد ذلك منقادة لغيرها فى التوجيه الفقهى والاستقلال فى الفهم .

على أنه لو لم تكن للإسلام هذه السياسة الحكيمة التى التزمها أهله وثبتوا عليها فى جميع أطوار التاريخ ، ورأوا من بركة نتائجها ما لم يره أهل ملة من الملل السابقة ، فإن الجنوح إلى ترجمة القرآن كان سيصطدم بعقبات تحول بينهم وبين ذلك . وأول هذه العقبات أن القرآن أراد الله به أن يكون عاماً لكل زمان ومكان . ومن مظاهر هذه المزية القرآنية أن الآية الواحدة قد تدل على معان متعددة من معانى الحق والخير يجوز للعاملين بالقرآن أن يأخذوا بأيها شاءوا بحسب مصالحهم التى تتنوع بتنوع ظروف الزمان وظروف المكان . ولذلك ترى فى تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى توجيهات كثيرة للآية الواحدة ذهب إلى كل واحد منها فريق من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المتبوعين إلى زمن ابن جرير ، فقد يرى مجاهد أن معنى الآية من الآيات كذا ، وهو فى الواقع رأى وجيه له قسط كبير من الدلالة على الحق أو الخير . وقد يرى قتادة أن للآية نفسها معنى آخر إذا تأملته رأيته هو الآخر وجيهاً وله قسط من الدلالة على الحق أو الخير لا يقل عن القسط من ذلك فى رأى مجاهد ، وهكذا آراء غيرهما من كبار الأئمة ، والنصوص التى ينقلونها عمن تقدمهم من الصحابة والتابعين .

فإذا عمد مترجم إلى ترجمة القرآن ، أو ترجمة معانى القرآن - كما ابتدع بعض الناس هذا الاصطلاح - فإنه سيعتمد من هذه المعانى المتعددة واحداً منها ويورده على أنه هو مراد الله من الآية . ثم إذا تصدى للترجمة مترجم آخر إلى نفس اللغة التى ترجم بها المترجم الأول ، أو إلى لغة غيرها ، وتبين له رجحان معنى آخر من المعانى التى ذكرها المفسرون لتلك الآية ، خرجت الترجمتان بمعنيين مختلفين لآية واحدة . وهكذا يؤدى فتح باب الترجمة إلى ظهور ترجمات فى عشرات اللغات يخالف بعضها بعضاً .

إن هداية القرآن كالشمس تشع ألوفاً من الأشعة من جميع أطرافها ، وإعجاز القرآن قبل أن يكون إعجاز جمال فى ألفاظه وتأليفها وديباجتها فهو إعجاز دلالة على جميع معانى الحق والخير التى قد يصلح أحدها لجيل من الناس أو وطن من الأوطان ، بينما يصلح المعنى الثانى أو المعنى الثالث أو المعنى الرابع لأجيال أخرى من الناس وأوطان أخرى من أوطانهم .

وما دامت دائرة الحق ودائرة الخير تشمل المعانى كلها فكلها من هداية القرآن ، لكن الإعجاز فى دلالة نظمه الإلهى عليها جميعا ، وفساد الترجمة فى اقتصارها على أحد هذه المعانى دون المعانى الأخرى ، وأفسد الفساد فى ظهور ترجمات يأخذ كل منها بأحد المعانى دون غيرها فيكون فيها عيب القصور وعيب الاختلاف إن لم يزد عليها عيب الاختلاق . ولو أراد مترجم أن ينقل جميع المعانى التى نقلها الإمام محمد بن جرير الطبرى عن شيوخه والأئمة المتقدمين عليه إلى زمن الصحابة لكان عمل هذا المترجم ترجمة تفسير ابن جرير الطبرى لا ترجمة القرآن أو معانى القرآن كما يزعم الزاعمون .

إن الذين يدعون إلى ترجمة القرآن رأوا دعاة النصرانية يترجمون التوراة والإنجيل ، فأرادوا أن يتبعوهم حذو القذة بالقذة . والتوراة كتاب تاريخ ، والإنجيل كتاب سيرة ، وكتب التاريخ والسيرة - بعد كتب الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة وما أشبههن - من الميسور نقلها من لغة إلى لغة ، ومع ذلك فإن للعلماء نقوداً على ترجمات التوراة والإنجيل لا يتسع المجال هنا للحديث عنها . أما القرآن فإنه فى أعلى مراتب الإعجاز ، ولكل لفظة منه فى العربية جو يحيط بها - على تعبير الشاعر البرهمى تاغور - وإذا اتفق وجود لفظ فى غير العربية يلائم معناه من بعض النواحى معنى اللفظ العربى من بعض تلك النواحى فإن التعبير باللفظ الأعجمى عن اللفظ العربى القريب منه قد يستساغ إلى حد ما ، إلا أن الجو الذى يحيط باللفظ العربى يستحيل التعبير عنه ، وللفظ الأعجمى الذى اختاره المترجم جو آخر فى اللغة التى هو منها يزيده بعداً عن هداية القرآن .

وبهذا أجاب تاغور على اقتراح من اقترح عليه أن ينقل كتبه التى ألفها بالهندستانية إلى الانجليزية فاعتذر وأجاب بأن ذلك مستحيل . فإذا كان يستحيل على مؤلف من البشر أن ينقل أفكاره الشخصية ، بل قصصه ، بقلمه من لغة إلى أخرى وهو يجيد اللغتين ، فما بالك بترجمة القرآن !

وإذا كان للإسلام سياسة قديمة فى نقل الأمم إلى الإسلام لتكون من أصحابه كأصحابه ، وليس من سياسته نقل الإسلام إلى الأمم لتفهم منه ما تشاء ثم ترجع إلى أهله الأولين فى فهم

ما يتعذر عليها فهمه ، فإن لنا نحن المسلمين فى هذا العصر سياسة أخرى وهى استبقاء هذه اللغة العالمية المشتركة فيما بين المسلمين الذين لا يوجد فيهم إنسان واحد لا يفهم معنى الكلمة العربية « السلام عليكم » ، ولا من لا يفهم معنى « الله أكبر » ، و « الحمد لله رب العالمين » التى يصلى بها ركعات متعددة فى خمس صلوات كل يوم . وما من قرية من قرى العالم الإسلامى غير العربية إلا وفيها إمام مسجد يمثل الفهم المشترك بين المسلمين للعربية التى تتسع الدعوة الآن إلى اتخاذها لغة مشتركة لهم فى جميع أوطانهم ، وما أحلى أن يسافر المصرى إلى يوغوسلافيا فى أوربا الشرقية فيجد فى صميم أهلها وفى أصغر قرى البوسنة والهرسك - بعد أن يؤدى صلاته فى مسجد القرية - من يتفاهم معه بلغة القرآن . فهل يجمعنا القرآن حول هذه الوحدة الجميلة ، ونأتى نحن فندعو إلى تحطيم وحدة القرآن بعد أن حفظها الله للإسلام والمسلمين أربعة عشر قرنا ؟!

لما اجتمعنا فى دار المؤتمر الإسلامى بالجلسة التى أشرت إليها فى افتتاحية الجزء الماضى من هذه المجلة كان فينا من ولد فى أعماق بلاد تركستان المحكومة الآن بأنظمة موسكو ، ثم خرج من هناك وأقام سنين فى أفغانستان ، وقدم مصر من عهد قريب ، ومنذ قدم الى مصر كان يتكلم العربية بمثل فصاحة أهلها بفضل سياسة « نقل الأمم إلى الإسلام » ، واجتناب سياسة « نقل الإسلام إلى الأمم » . وبفضل سياسة نقل الأمم إلى الإسلام يؤلف علماء الهند وباكستان واندونيسيا إلى يومنا هذا مؤلفات ضخمة نفيسة فى مجلدات كبيرة باللغة العربية ، ويطبعونها فى بلادهم لأنفسهم وتلاميذهم وأهل بلادهم ، بل الكتب التى تطبعها مصر بالعربية تقرأ فى تلك الديار بمقياس أوسع من مقياس انتشارها فى مصر نفسها ، وذلك بفضل سياسة « نقل الأمم إلى الإسلام » ، واجتناب سياسة « نقل الإسلام إلى الأمم » . وهذه الفوائد التى ملأت الدنيا بركة وإنسانية إنما أصبناها ونعمنا بها لأننا لم نحاول المحاولة الخاسرة فى ترجمة القرآن ترجمات لا شك أنها تعطى صورة كاذبة ومشوهة للقرآن ولا تفيد الفائدة المرجوة منها كما تفيد ذلك رسائل نؤلفها فى الموضوعات التى تريد الأمم الوقوف على مذهب الإسلام والقرآن فيها ، وتكون مدعمة ببيان هداية الإسلام والقرآن بيانا مؤيداً بما يفسره من نصوص السنة وآراء الأئمة ، وهذا ما بسط فيه القول حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ولا ينبئك مثل خبير .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٢١ -

٣ - العذراء القانـــــتة

> ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

روى أن فاطمة - رضى الله عنها - قالت : قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول - المتعبدة » . وفى هذا الحديث ونحوه إشادة بمريم على لسان خاتم الأنبياء ، حتى لم يجعل لبنته فاطمة - وهى سيدة نساء أهل الجنة - فضلا على مريم ، وفى هذا منبهة للإسلام فى صراحته ، وتذكير لمن يغفلون عن مبلغه من الإنصاف ، وتوجيه أبنائه إلى الترفع عن العصبية لأشخاصهم ، ولو كانت فاطمة بنت محمد ، بل ولو كان محمد نفسه ، وهو الذى يقول فى حديثه : « لاتطرونى - لا تبالغوا فى مدحى - كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » .

وهناك أحاديث تشهد لفاطمة وخديجة أم المؤمنين ، ولآسية امرأة فرعون - رضى الله عنهن جميعا - ولكن شأنهن لايزاحم شأن مريم ، فإنها منازل فى الفضل يتميز بعضها عن البعض بمميزات تختلف فى التقدير .

وحسب مريم أن نزل عليها الوحى غير مرة ، وأخبرنا القرآن بذلك ، فى وضوح تام ، وليس يغض من شأن سواها أنها أثيرة عند الله بجانب من التكريم لم يتح لغيرها .

نزل عليها الوحى : بأن الله اصطفاها ، وطهرها ، واصطفاها على نساء العالمين . . وحينما أمرها أن تقنت لربها ، وتسجد ، وتركع مع الراكعين . . وحينما بشرها ربها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة . . وحينما تعاظمت واستبعدت أن تلد

وهى عذراء ، فقالت : « رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ » ، فطمأنها الوحى بأن هذا ليس كثيراً على الله « قال كذلك الله يخلق ما يشاء » ، ثم طمأنها بأن هذا تكريم اختصها الله به « قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا » .

هذه أمثلة من الوحى الذى نزل على مريم ، والوحى فيما يعهد العلماء لاينزل على غير الأنبياء ، لذلك رجح كثير من سلفهم أن مريم كانت نبية ، وأن النبوة لا تختص بالرجال . نعم ! ! لم تكلف بتوجيه دعوة ، ولا بتبليغ رسالة ، حتى تكون رسولا ، والرسالة هى التى لم تكن لغير رجل « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . والمعارضون فى نبوة مريم يستندون إلى آثار لا تقاوم رأى الأولين .

ومما يلفت النظر ، ويرشح رأى الأولين ، أن القرآن يذكر مريم باسمها الصريح ، وهو لم يصرح باسم واحدة سواها من النساء ، بل يذكرهن بالوصف العام أو الخاص ، سواء : أكان فى سياق الوعظ والتنبيه ، أو فى سياق الثناء أو الذم لمن يذكرها منهن ، فأنت تراه يقول : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ، « يأيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى » ، « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . وتراه يقول فى سياق المدح : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا : امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة . . » ، وفى سياق الذم : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما . . . » . « وراودته - يوسف - التى هو فى بيتها عن نفسه » ، « قالت امرأة العزيز » ، ويقول عن أبى لهب وزوجته : « سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب » .

وكذلك حينما يتعرض لنساء النبى - صلوات الله عليه ، ورضى الله عنهن - لم يفصح عن واحدة من أولئك باسمها الخاص ، مع مالهن من فضل سابغ ، وهن أمهات المؤمنين . ولكن القرآن مع هذا الذى لفتناك إليه يفصح عن مريم باسمها الخاص دائماً ، حتى بلغ ذلك ثلاثين مرة منثورة فى آيات القرآن . وإنك لتجد اسمها ينفح ويتضوع فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والمؤمنون ، وتجد باسمها سورة خاصة : سورة مريم . والقصص عنها فى هذه السورة يشغل تسع عشرة آية متوالية .

وفوق هذه التصريحات لها ذكريات أخرى بأدوات الخطاب أو الغيبة أو الكنايات

المادحة ، وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا ، فكلى واشربى ، وقرى عينا ، . ، فناداها من تحتها ألا تحزنى ، . ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ، .

ثم يجمع القرآن جملة من أوصاف الكمال ، ويضفيها على مريم فى آية واحدة ، يختم بها سورة التحريم ، ومريم ابنة عمران ، التى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ، وفى هذه الشهادة فصل الخطاب .

وهذه الإلمامة فيها غناء عن التطويل ...

أفرأيت شأناً لامرأة كما رأيت لمريم بنت عمران ؟ ليس بعد هذا القصص الحق من خبر يهدى إلى عرفان قدرها ، ويقتضى الثناء عليها ، ويرشد إلى الاقتداء بها .

فسلام الله عليها فى الأولين والآخرين ، وسلام الله على محمد وعلى عيسى وجميع النبيين .

وبعد - فقد كفر شواذ اليهود بكل ذلك ، وأوغلوا فى السفه على عيسى وأمه . وإنها للخصومة الحانقة التى تخدم الفضيلة أكثر مما تحاربها ، وتظهر العظمة أضعاف ما تخفيها ، وترفع الأقدار فوق ما تشتهى من نقصها ، فلعيسى وأمه ما شاء الله لهما من سمو .

وإذا كانت كراهية الأعشى للشمس تحجب ضوءها أو تغض من سناها ، فلليهود أن يطمعوا فى النيل من مقام وعيسى أمه مريم .

هذا - وفى بعض الطباع شىء من اللؤم لا تجدى فى تهذيبه الحقائق ، ولا تكفكف من غلوائه البراهين ، وإنما يدفع بهم دفعاً إلى الإسراف فى الاختلاق ، والدأب على التشهير ، والخوض فى الباطل ، وإن خرج بهم عن التريث كله ، وطوح بهم فى لوثة جنونية إلى حيث لا حياء ولا دين ، ولا رعاية لما وراء ذلك من سقوط فى موازين الأخلاق ، ومعرات تلتصق بتاريخهم على لسان الأجيال .

ومثل هذا واضح فى سير المبطلين من اليهود ، وهم الذين سخط الله عليهم ، وباءوا بلعنته أبد الآبدين ، والله المعيذ ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء



جزاء الصالحات

— ٢ —

ابن جدعان فى الجاهلية ـ لا وزن للصالحات من غير الإسلام ـ الإسلام دين الأنبياء كافة ـ الريبة فى أصل من أصوله كفر بواح ـ شبهة من تلبيس إبليس — ضلالة تخرج من الملة .

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية ، من صدقة أو عتاقة وصلة رحم ، فهل فيها من أجر ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أسلمت على ما سلف من خير » رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ابن جُدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه ؛ إنه لم يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين » رواه مسلم .

* * *

بينا فى جزء غرة المحرم قول الإسلام — وقوله الفصل — فى مثوبة حكيم بن حزام رضوان الله عليه ، ومثوبة كل من سار سيرته ، من الذين أنعم الله عليهم فعملوا الصالحات قبل أن يؤمنوا ، ثم أنعم الله عليهم فعملوا الصالحات بعد أن آمنوا وأحسنوا ، ثم زادهم الله حسنا لجزاهم بما قدموا وأخروا ، ولم ينقصهم من عملهم شيئا .

ونبين الآن قول الإسلام كذلك فى عبد الله بن جدعان ونظرائه ، ممن أعانوا على صنوف من الخير ، وأسهموا فى ضروب من المكارم ، ولكن غلبت عليهم شقوتهم فجعلت بينهم وبين الإسلام سدا .

كان عبد الله بن جدعان — كما أشرنا فى جزء المحرم — من وجوه بنى تيم ، ورؤساء قريش ، وكان قريبا لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وكان جواداً كريما ، مطعما للطعام ، وصولا للأرحام ، وكانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، وربما يرقى إليها الطاعم فى سلم ، ولو لم يكن من مفاخره إلا حلف الفضول لكفاه شرفا . ونرجو أن نعرض لهذا الحلف فى طائفة من حسناته ، وحسنات غير المسلمين قريبا .

أهم عائشة رضى الله عنها شأن ابن جدعان وما قدم فى الجاهلية من مكارم ، فسألت عنها من لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ، فأجابها بأن شيئا مما عمل لا ينفعه ، لأنه كان من المكذبين بيوم الدين .

ومجرد الارتياب فى يوم الدين ، فضلا عن التكذيب به ، هدم لركن من أركان الملة الحنيفية ، التى بعث الله بها أبا الأنبياء خليله إبراهيم «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنىَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

بل إن مجرد الارتياب فى يوم الدين ، فضلا عن التكذيب به ، هدم للركن الأول نفسه ، ذلك الركن الأعظم الذى قامت عليه الأركان كلها ، وبنيت عليه الأديان السماوية والشرائع الإلهية : ركن الإيمان بالله رب العالمين ، وخالق السموات السبع والأرضين ، وباعث النبيين إلى الناس مبشرين ومنذرين .

* * *

« إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

لا جرم أن هذا الدين الحق ، الذى لن يقبل الله دينا غيره ، هو دين الله الذى بعث به رسله إلى الناس أجمعين ، من لدن آدم إلى خاتم النبيين ، وهو الذى قال الله تعالى فيه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقال فيه الرسول الخاتم ﷺ ، فيما رواه

الشيخان : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ، ليس بينى وبينه نبى ؛ والأنبياء أولاد عَلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » [1]

لا جرم أن هذا الدين الحق : دين الله تعالى ، يعتمد أول ما يعتمد ، على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، إيمانا حقاً صادقا لا ريب فيه . ومن الإيمان بالله توحيده ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، واختصاصه بالكمال المطلق الذى لا ينبغى إلا له .

فمن شك فى أصل من هذه الأصول جملة أو تفصيلا ، فليس من ملة إبراهيم فى شىء ، وإن زعم أنه من أنصاره أو أنصار نبى من بنيه « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » .

* * *

إن من شك فى أصل من أصول الإيمان ، فضلا عن أن يكذب به ، من الأولين والآخرين — فمثله كمثل عبد الله بن جدعان ، لا ينفعه ما قدم من الصالحات ما لم يسلم وجهه إلى الله رب العالمين . . .

فإذا أسلم وجهه إلى الله فمثله كمثل حكيم بن حزام رضى الله عنه : أسلم على ما أسلف من الخير ، فبدل الله سيئاته حسنات ، وكتب له مثوبة ما قدم وما أخر « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

* * *

وهنا نكشف شبهة لبَّس بها الشيطان وحزبه على كثير من الناس فضلوا عن سواء السبيل ! ! قالوا — أو قيل لهم — إن فى مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر منجاةً من عقاب الله ومدعاة لثواب الله ، ولو غفل العبد عن الإيمان ببقية ما ذكرنا من الأصول ! ! !

---

(١) بسطنا القول فى هذا الحديث ، فى ج ٥ م ١٥

ضلالة أخرجتهم من الملة ، وأخرجت معهم كل من شايعهم عليها ، أخرجتهم بالأدلة الصريحة القاطعة من الكتاب والسنة والإجماع الذى لا شية فيه .

* * *

ولعل منشأ هذه الضلالة أو التلبيس بها ، أنهم يرون الكتاب العزيز ، يقتصر أحيانا على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأحياناً على ذكر الإيمان والعمل الصالح ، حينما يعرض لذكر الأبرار المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ويجهل هؤلاء الحق أو يتجاهلون أن ذلك الإجمال القليل ، الذى يتلوه فى مواطن أخرى كثير من البيان والتفصيل ، من أساليب الإعجاز فى القرآن العربى المبين .

وهم بهذه الضلالة يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؛ أو يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض ؛ « أولئك هم الكافرون حقا » ، « وللكافرين عذاب مهين » .

على أن الإيمان الحق بأحد هذه الأصول يستتبع — ولا محالة — الإيمان ببقيتها ؛ لأنها مترابطة متماسكة ، ينتظم معنى كل أصل منها على حدة معانى الأصول الأخر .

* * *

ذلك ، وقد بقى حديث ثالث لا يتم جزاء الصالحات ، إلا به ؛ فلنتمم به هذا البحث فى غرة الشهر القابل إن شاء الله ؟

طه محمد الساكت

خطبة نبوية

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فقال : نضر الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها : فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم - فإن دعوتهم تحيط من ورائه .

خيانة الله أو خيانة الصديق

لكل جيل من الشباب فلسفة خلقية خاصة. ولبعض شباب العصر فى مصر فلسفة خلقية تثير الرثاء، وتستنزف العيون من البكاء، وهى فلسفتهم فى علاقاتهم الجنسية.

ومجمل هذه الفلسفة أن من العار على الشاب أن يزاحم صديقه فى خليلته، أو يخون جاره فى حليلته. أما من وراء هاتين من النساء فميدان متسع تخب فيه مطايا الجهل، وترتع رواحل الصبا والشباب.

ولسنا ندرى مصدر هذا التشريع، ولا سر هـذه الفلسفة. وويل للشباب من شرع الهوى، وفلسفة الشيطان. ومن الذى حرم هاتين وأحل غيرهن؟ إن النساء فى شرع المروءة على نهج واحد لمن أخذ نفسه بالمروءة والوفاء، وإنهن على نهج واحد فى نظر الدين: كلهن حرام، إلا من أحله بطرقه وأحكامه. وكل علاقة على غير ما قرره فهى علاقة آثمة، وهى خيانة لله ولرسوله وللنـاس أجمعين، وجريمة فى الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، لهـا عقوبتها التى تلائم شناعتها وسوء آثارها، وليس يفسخها هـذا العرف الحديث فى نظر الشباب المستهتر الفاجر.

نعم، إن الشريعة الإسلامية تشددت فى حليلة الجار، واستفظعت العلاقة بها، وبالغت فى إنكارها، وفاء بحق الجوار، ولأن الصلة بها أيسر من غيرها، لمصاقبة المساكن، وتوافر دواعى الخلطة والاتصال، واسترخاء أعين الرقباء والمشرفين، ومن هذا كان تشددها وتحذيرها من الإسراف فى مخالطة الأقارب والأنسباء. فعن رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحم قال: «الحم الموت!»، والحم: قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه. يعنى أن خلوة الحم معها أشد من خلوة الغرباء، لأنه ربمـا حسن لها شيئاً وحملها على أمور تثقل على الزوج، من التماس ما ليس فى وسعه

أو سوء عشرة أو غير ذلك ، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخول بيته

وأى الأمرين أولى بالتقدير والرعاية فى نظر العقل الرشيد والفكر السديد ؟ أأن يجرى الشباب على سنن المروءة الزائفة والعرف الغريب ، فيراعوا حق الصديق فى خليلته ، وحق الجار فى حليلته ، ويتحرجوا من العلاقة بهما ، ويوقروا حرماتهما ، ولا يروا بأسا فيما عداهما من النساء ، وهن أخواتهم وبنات أخواتهم ، أو يجروا على سنن الدين وحدوده ، فيحرموا جميع من حرم الله من النساء ، دون تفريق بين خليلة الصديق وحليلة الجار وسواهما من النساء ، فيفوا بأمانة الله ، ويقفوا عند حدوده .

إن قانون الجزاء الطبيعى أن يدان الإنسان بما يدين به الناس ، فهل يرضى الذين يعتدون على حرمات الناس ، ويفجعونهم فى أخواتهم وبناتهم وزوجاتهم ، أن يدانوا بمثل جرائمهم ، ويفجعوا فى أخواتهم وبناتهم ؟ إن تذكر هذا الجزاء ينبغى أن يكون زاجراً عن اقتراف هذه الخطيئة وارتكاب هذه الجريمة .

إن حيوية الشباب قوة دافعة هوجاء ، ولكن بشىء من التدبر فى العواقب ، ومراقبة الله فى حرماته ، وبشىء من جهاد النفس والشيطان ، يستطيع الشاب أن يروض نفسه على المحمود من الأمور ، وينأى بها عما يغضب الله ويسخط الناس . والشاب الذى يباهى بشجاعته فى ميادين السياسة والعلم والاقتصاد ، أولى به أن يباهى بالشجاعة فى ميدان الخلق الكريم والعمل الصالح . وجهاد الشاب فى هذا الميدان جهاد مشكور ومقدور عند الله والناس ، لأنه جهاد للهوى والعاطفة والشهوة .

وممن وعدهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالمثوبة الحسنى كفاء جهادهم ونضالهم ، شاب نشأ فى عبادة الله ، وشاب راودته امرأة ذات جمال فعف من خشية الله .

وإن هؤلاء الشبان الذين يستنكرون أن يخونوا أصدقاءهم وجيرانهم فى نسائهم ، وفاء بحق الصداقة والجوار ، واستجابة لداعى الوفاء والمروءة فى زعمهم ، ويقدرون على ذلك ، هم بلا شك قادرون على ألا يخونوا الله والناس فى حرماتهم لو أرادوا .

إن الشباب فى كل أمة مناط أملها ، ومعقد رجائها ، وعلى كواهله تقوم النهضات الإصلاحية فى نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والخلقية . والناحية الخلقية أجدر تلك النواحى بتوجيه الجهود ، فهى أساس النجاح فى غيرها من النواحى . فهل لنا أن نضع بين أيدى شبابنا مهمة الإصلاح الخلقى فى أمتنا ، ونرجو أن يكونوا بأعمالهم وأقوالهم قدوة يقتدى بهم ، ومثالا ينسج على منوالهم .

وإن من المشاكل الخلقية التى ينبغى أن تكون موضع عنايتهم وعلاجهم هذه الفوضى فى العلاقات النسائية التى يرجع إليها أكثر الجرائم ، وتشغل خواطر أرباب الأسر ، وتقفهم مواقف القلق والحرج ، وتشغل خواطر رجال الأمن والقضاء والاجتماع ، بما يتولد عنها من مآس وآثام . وإن أكثر أنهار الصحف الآن تجرى بقصص هذه الجرائم والمآسى ، ويقرأها العقلاء فى ألم وحسرة ، ويتطلعون فى لهفة إلى اليوم الذى ينحسر فيه مدّها ، لتطمئن النفوس ، وتستقر القلوب .

وإذا كانت جمهرة الشعب قد حمدت لهذا العهد ما وضع من التشريع لحماية الأحداث من أخطار السينما ، فإن جمهرة الشعب أيضاً ترجو أن يكون من مفاخره وضع تشريع يعالج أسباب الفوضى فى العلاقات النسائية .

وإن من أسباب هذه الفوضى فى نظرنا إرخاء العنان للنساء فى ارتداء ما يردن من الأزياء ، ولعل من أزيائهن الآن ما يغرى بالفتنة ويدفع إلى الجريمة . وهناك الأندية الليلية التى تعد أوكاراً للفسوق ، وعلى موائدها وفى زواياها يراق دم الحياء والفضيلة . كما أن هناك بعض المحال العامة التى تمارس فى الظاهر بعض الصناعات ، ولكنها فى واقع الأمر مواطن للشك والريبة . وأسباب الفوضى النسائية كثيرة غير ما ذكرنا تعرفها مكاتب الآداب ، وفى إمكان رجال الآداب استقصاؤها وإحصاؤها ، واقتراح مايلائمها من التشريع .

فإلى رجال هذا العهد ، وإلى وزارة الشئون الاجتماعية خاصة ، نرفع هذه الرغبة ، يدفعنا الأمل ، ويحدونا الرجاء . وعلى الله قصد السبيل ، ومنه التوفيق ؟

أبو الوفا المراغى

التـأمين

وهل هو حلال فى جميع صوره ؟

السيد محب الدين الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر

تحية طيبة ـ وبعد ـ قرأت بإمعان مقالكم القيم عن التأمين فى الجزء الثالث من مجلة الأزهر الصادر فى غرة صفر ١٣٧٤ ، وأستطيع أن أوجزه فى النقط الآتية :

١ ـــ التـأمين : إذا تعاون النـاس فيما بينهم وكونوا لجنة خاصة يختارون أعضاءها لتجمع فى صندوق ما كانوا يدفعونه لشركات التأمين من رسوم سنوية ، ولتتخذ جميع أسباب الرقابة القانونية والحيطة المـالية لحفظ هذا المـال ، مثل هـذا العمل حلال ، ويعتبر تعاونا على البر ، ويثاب كل من ساهم فيه ، وينال رضا الرحيم الرحمن .

٢ ـــ وإذا لاحظ البعض من خيار النـاس أن خلق التعاون لا يزال عندنا ضئيلا وعملوا هم فيما بينهم فأسسوا جماعة أو شركة ودعوا الناس للانضمام لهم وقرروا فيما بينهم أن يتخذوا جميع أسباب الرقابة القانونية والحيطة المـالية الخ ... هؤلاء الناس ومن ينضم إليهم ويتعاون معهم يعتبر آثما مقامراً ، والرسوم التى يدفعونها حرام فى حرام ، والتعويض الذى يصرف لمن ينكب منهم يكون حراما ، لأنه نتج عن مقامرة .

٣ ـــ ما قررته وزارة الأوقاف من أن تقوم هى بعمل شركات التأمين أو جمعياته التعاونية ، فتجمع من نفسها الرسوم التى كانت تدفعها ، وتباشر أعمال الصندوق مراقبة الحسابات ولجنة أخرى للرقابة ، ثم تدفع التعويضات ويستغل ما يتبقى فيما يدر ربحاً للصندوق ـــ إذا قامت وزارة الأوقاف بذلك اعتبر ذلك خيراً ، وإذا قامت به هيئة أخرى أو جماعة اعتبر ذلك شراً مستطيراً .

٤ ـــ التأمين لدى الشركات بجميع أنواعه مقامرة ، أما لدى وزارة الأقاف فإن معنى المقامرة يتحول فيه إلى معنى آخر نبيل من معانى الإحسان والتعاون بل والاقتصاد .

* * *

لقد ارتاح فؤادى لأنى وجدت واحداً من أبناء الأزهر النابهين يعرف التأمين تعريفاً صحيحاً ويرده إلى أصله وهو التعاون بين الناس . وهو لهذا يرى أنه حلال ، وأن على أبناء

الأمة ومن له منهم مصلحة اقتصادية أن يتعاونوا فيما بينهم فيؤسسوا جمعيات تعاونية للتأمين. إن ماتنادى به - ياسيدى - نادى به من قبلك كل الرجال النابهين الصالحين فى أوربا وفى أمريكا. ولقد استمع لهؤلاء أبناء أمتهم فأسسوا الجمعيات التعاونية للتأمين، وإنى أقرر لك أن أكبر هيئة تأمين فى أمريكا هيئة تعاونية لا أثر للمساهمين فيها، وأن أكثر من ثلثى أعمال التأمين فى أمريكا وهى تقدر بألوف البلايين ؛ لا الملايين، من الدولارات - فى يد جمعيات تعاونية، وكذلك أكبر هيئة تأمين على الحياة فى سويسرا هيئة تعاونية كذلك، وفى انجلترا جمعيات تعاونية كثيرة تقوم بعمليات التأمين.

وبجانب هذه الجمعيات التعاونية قامت جماعات أخرى مساهمة تحاول أن تؤدى نفس الخدمات التى تؤديها الجمعيات التعاونية، وهى تمد نشاطها خارج بلادها لأن الجمعيات التعاونية خاصة لأعضائها فقط.

وإن من دواعى الأسف فى مصر أن خلق التعاون عندنا لايزال ضئيلا، ولو انضممت إليك وناديتا عشرين سنة أخرى لما تأسست جمعية تعاون واحدة. غير أنى أعترف معك فى أنى لا أرى أن قيام هيئة مساهمة بالتأمين بدلا من الجمعية التعاونية فيه ضرر بأبناء بلادى، أو أن اشتراكهم فى هذه الهيئة بالتأمين لديها حرام، أو أنه نوع من المقامرة، بل بالعكس أرى أن أشكر هذه الهيئة لأنها تدعو مواطنى إلى الطريق السليم : طريق التأمين، أو طريق التعاون.

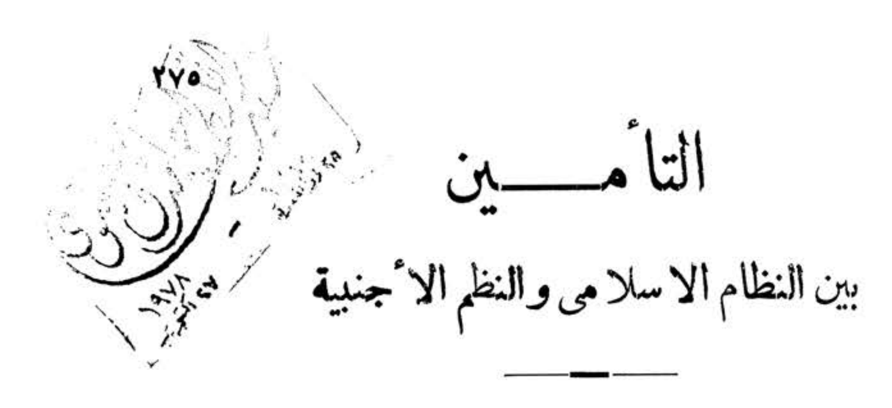
إنى أسمع اليوم وأقرأ عن نهضة كبيرة بالأزهر لتدريس بعض المواد كالتأمين والأوراق المالية والسندات وغير ذلك من فروع العلوم الاقتصادية الحديثة، وإنى أود لو تتاح لى الفرصة للاجتماع مع السادة الذين سيقررون هذه المواد وأشترك معهم بما أنعم الله به علىّ من علم فى هذا الباب — باب التأمين — لكى نتعاون على أن تدرس هذه المادة حسب أصولها العلمية الصحيحة.

وإنى واثق من أنى سأصل إلى مبتغاى، وهو أن يتقرر فى الجامعة الأزهرية أن التأمين حلال فى جميع صوره وأنواعه، لو فكرنا تفكيرا إسلاميا سليما. والله الموفق.

وتفضلوا بقبول فائق احترامى ؟

القاهرة فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٤

احمد دانش
أستاذ مادة التأمين بكلية التجارة بجامعة القاهرة
ومدير عام شركة لاجنيفواز للتأمين على الحياة



التأمـــين

بين النظام الاسلامى والنظم الأجنبية

تفضل حضرة الأستاذ أحمد دانش أستاذ مادة التأمين فى كلية التجارة بجامعة القاهرة فأولى كلمتى عن « التأمين » فى الجزء الثالث من هذه المجلة أكثر مما تستحق من عناية ، فشكراً له .

غير أنه لما أراد تلخيص مقالى فى أربع نقط تحدث فى النقطة الثانية عن شركات التأمين وتحديد مركزها من المؤمنين ، بغير الأسلوب الذى ينطبق عليها ، وبغير ما كنت أتحدث أنا عنها لو حاولت هذا التحديد .

إنه يعتبر المؤمنين لدى شركات التأمين « منضمين إليها » ، « ومتعاونين معها » . والذى نعلمه أن من يدفع لشركة التأمين رسم التأمين لا يعتبر « منضما إليها » لأنه بصفته مؤمنا لا يملك شيئاً من رأس مال الشركة ، كما أنه لا يعتبر « متعاونا معها » ، لأنها غير قائمة على نظام التعاون بل على النظام الرأسمالى . والذى يدفعه لها المؤمن ليس ثمن أسهم فى شركة تعاونية فيبقى ملكا له ، بل هو رسم تأمين يقامر به على ما أمن عليه من حريق أو غرق أو موت ، وكل ذلك مجهول وفى يد الله ، فإن وقع ما قامر عليه خسرت الشركة فى المقامرة فدفعت له عشرات أضعاف الرسم المدفوع ، وإن لم يقع خسر هو رسم التأمين وأصبح فى نهاية مدة هذا الرسم غير منضم إلى الشركة ولا متعاون معها ما لم يجدد الدفع . وأقرب مثال لذلك أن بعض العمارات السكنية الموقوفة على الحرمين الشريفين وجهات البر رزئت بعشرات الالوف من الجنيهات ابتزتها منها شركات التأمين ولم ترزأ هذه الشركات فى مقابل ذلك إلا بنحو خمسمائة جنيه . وكان يمكن أن لا ترزأ شركات التأمين هذا المبلغ المتواضع لو لم يحدث الحريق الصغير الذى دفع المبلغ لأجله . كما كان يمكن أن تدفع شركات التأمين مئات الالوف من الجنيهات لو احترقت كل المبانى المؤمن عليها . وهاتان الحالتان لا شك أنهما كانتا رهن الأقدار ، ومثل هذه الأحوال يعتبرها الفقه الإسلامى مقامرة ، كما أن أوراق اليانصيب مقامرة .

أما الذى دعوت أنا إليه قبل نحو عشرين سنة أهل كل حرفة - كالناشرين وأصحاب المكتبات مثلا - فهو أن يتبرعوا بما كانوا يدفعونه من رسوم التأمين ويعتبروه إعانة وإحسانا ، ويجمع فى صندوق يكون كل ما فيه لله لينفق منه على مساعدة من ينكب بالحريق من المشتركين فى هذا العمل الخيرى ، فهذا هو الذى سميناه عملا نبيلا وعرفنا من سنن الإسلام أن الله يثيب عليه ، لأن مافى صندوق هؤلاء الجماعة من مال ليس ملكا لأحد كالمال الذى تزخر به خزائن شركات التأمين ويكون ملكا لها وللمساهمين معها دون دافعى الرسوم لأنهم يدفعون الرسوم لها هى ، لا لله . وفرق كبير بين من يدفع المال لتمتلكه الشركة ، وبين من يدفعه إحسانا ليكون لله . ولو كان ما يدفعونه لصندوق الشركة من الهبات أو الصدقات أو غير ذلك من أنواع التمليك التى تكون فى غير مقابل ، لقلنا هبة أو صدقة وضعت فى غير موضعها ، ولكنه يدخل صندوق شركة التأمين على سبيل المقامرة عن أمر هو فى غيب الله ، فإن وقع كانت الخسارة فى المقامرة على الشركة ، وإن لم يقع كان المقامر الخاسر هو دافع رسم التأمين . وهل المقامرة إلا هذا ؟

إن كل ما حملته رسالة الإسلام إلى الإنسانية ينحصر فى كلمتين : الحق ، والخير . فالحق هو الحق الصريح كالبيوع والإجارة وأمثالها من العقود والالتزامات التى يتبادل الناس بها المنافع الشرعية البعيدة عن معانى المخاطرة ، والخير هو التعاون والإحسان الذى يراد به وجه الله وحده ، والتأمين فى هذا النظام الإسلامى لا يدخل إلا فى قسم الخير الذى فيه معنى الإحسان كالذى اقترحناه على أهل كل حرفة ، ثم ابتهجنا عندما رأينا وزارة الأوقاف عملت به ، فصار التأمين منها ولها .

وليس فى أنظمة البشر نظام فيه ناحية من نواحى المصلحة إلا وفى نظام الإسلام ما يكفل تلك المصلحة بما هو أتم وأكمل ، مع البعد عن مواطن النقص أو الإثم التى تكون فى أنظمة البشر ويكون للمسلم عنها غنى . ونظام الإسلام لا ينقصه إلا التعريف به ثم العمل به ، وحينئذ يصيب المسلمون منه سعادتهم المنشودة فى كل نواحى الحياة .

محب الدين الخطيب

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا (إمامُ الدين) في أعلامه ... والدين مُعتصم ببأس إمامه
يحمى حقيقته بقوة بطشه ... ويصون بيضته بحدِّ حسامه
(شيخ الجهاد) يود كل مجاهد ... لو كان يدعى في الوغى بغلامه
عالى اللواءِ يقيمه بحدوده ... ويبين المأثور من أحكامه
المصلحون على الزمان سيوفه ... وجنوده في حربه وسلامه
عرفوا الجهاد به ، ومنه تعلموا ... ما صح من دستوره ونظامه
غضبت (قريش) أن جفا أصنامها ... ووفى بعهد إلهه وذمامه
يغزو فوارسهم ، ويقتل جمعهم ... حتى يدينَ مرامهم لمرامه
ويرى المحجة كل غاوٍ منهم ... فيكف عن طغيانه وعرامه
ويثوب جاهلهم إلى دين الهدى ... والنور من دين العمى وظلامه
دلفوا إليه ، وظنَّ أكذبهم منىً ... أن قد سقته يداه كأس حمامه
أكذاك ينخدع الغبي ، وهكذا ... يتخبط المفتون في أوهامه ؟

* * *

مهلاً (أبيّ) [1] لقد ركبت عظيمة ... وأردت صرحاً لست من هدامه

---

(١) أبي بن خلف ، أقبل يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه ، وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة أو الزبير بن العوام) فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمد ، فقالوا : ذهب والله فؤادك ـ أو ذهب والله عقلك ، إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا ؟ والله مابك من بأس . إنما هو خدش لو كان بعين أحدنا ماضره ، فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز (سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة) أو لو كان بربيعة ومضر أو بأهل الارض لماتوا .

صرح بناه الله أول ما بنى — وأطال من عرنينه وسنامه
لا يبلغ البانى ذراه ، ولا يرى — فى الداعمين بناءهم كدعامه
مهلا (أبى) فإن جهلت مكانه — فانهض إليه إن استطعت توسامه
أقدم ، فخذها طعنة من باسل — يغتال عزم الليث فى إقدامه
تلك المنية يا (أبى) سقيتها — فانظر إلى الساقى وروعة جامه
(خدش) كوقع الظفر أو هو دونه — لم تشتكى وتضج من آلامه ؟
أ (أبى) أين (العود) والعلف الذى — أعددته ، وجعلته لطعامه ؟ (١)
اذهب ، لك الويلات من متمرد — عادى الإله ، ولج فى آثامه
لك من قتيل (الكبش) أشأم صاحب — يلقى إلى غول الردى بزمامه (٢)
أخذ (النبى) بضربة كانت له — حتفاً يمزق لحمه بعظامه (٣)
ولمن تقدم فوق صهوة عاثر — أشقى وأخيب آخذ بلجامه (٤)
هو فى الحفيرة دون (حصن محمد) — جثم الحمام عليه قبل قيامه

(١) كان أبى يقول للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة : يا محمد إن عندى العود – يعنى فرسا له – اعلفه كل يوم فرقا (مكيال يسع اثنى عشر مداً) من ذرة سأقتلك عليه – مات وهم قافلون به إلى مكة بسرف (مكان) وقيل ببطن رابغ (مكان آخر) وكان من أسارى بدر ثم أطلق ، ولم يقتل الرسول الكريم بيده الشريفة أحدا قبل أبى ولا بعده

(٢) هو ابن قمئة خرج إلى غنمه بعد الوقعة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها ، وشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه بها من شاهق الجبل فتقطع ، وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة

(٣) ضرب النبى صلى الله عليه وسلم بسيفه على رأسه فكسر خوذته وشج وجهه الشريف ، ودخلت حلقتان من مغفره فى وجنتيه وخدشت ركبتاه لوقوعه فى إحدى الحفر التى عملها للمسلمين أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضى الله عنه ، وقد أخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما ، ولما سال الدم من وجهه الشريف جعل يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فنزلت : (ليس لك من الأمر شىء – الآية)

(٤) عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، أقبل على فرسه يريد النبى وهو متوجه للشعب فعثر به فرسه فحمل عليه الحارث بن الصمة فقتله ، وأقبل عبيد الله بن جابر العامرى فضربه الحارث فجرحه ، ووثب أبو دجانة فذبحه .

ألقى القضاء عليه من أثقاله — متراميا ينصب فى أجرامه [1]
أرداه (بابن الصمة) البطل الذى — أعيا الردى المحتال فض صمامه [2]
يغشاه سيف (العامرى) فيفثنى — ودم الجريح يبل حر أوامه [3]
سلمت يداك (أبا دجانة) من فتى — وسم المنية من حلى صمصامه
أحسنت ذبح المشركين فأشبهوا — ما يذبح الجزار من أنعامه

* * *

يا ويلهم إذ يقذفون (نبيهم) — بحجارة تهوى هوىّ سهامه [4]
كسروا عوارضه وشجوا وجهه — من كل غاو جد فى إجرامه
يجرى الدم المدرار من متهلل — طلق المحيا فى الوغى بسّامه
لا يعجب الكفار من مسفوحه — فلقد جرى من قبل فى إلهامه
ما ظنهم بالله يؤثر عبده — بالبالغ الموفور من إنعامه ؟
لن يستطيع سوى الضلالة مذهباً — من ليس بالمصروف عن أصنامه
لم يخذلوه ولم تفته كرامة — هم عند نصرته وفى إكرامه
صبر المشمر للجهاد على الأذى — خلق يتم المجد عند تمامه

* * *

هذا مقام (محمد) فى قومه — هل لامرىء فى الدهر مثل مقامه ؟
القادة الهادون من أتباعه — والسادة البانون من خدامه
الله أرسله طبيباً شافياً — للعالم الوحشى من أسقامه
الأمر بان ، فأين يلتمس الهدى — من ضل بين حلاله وحرامه ؟

* * *

(ركب النبى) إلى المدينة عائد — يمشى به (جبريل) فى أعلامه [5]

---

(١) الأجسام الثقيلة — (٢) الصمام : السداد
(٣) الأوام : العطش
(٤) قذفوه بالحجارة وكان فيهم عتبة بن أبى وقاص فدعا عليه ، فلم يحل الحول حتى قتل
(٥) عاد المسلمون مع النبى وأكثرهم جرحى

يتوسط الجرحى ، تسيل دماؤهم فوق الحصى من خلفه وأمامه
ويمــد فوق المؤمنات جناحه يقضى لهن الحق من إعظامه
أدبن مسنون الجهاد وذقن فى وهج الجلاد الحق حر ضرامه
شمت (اليهود) وأرجف النفر الألى طبع النفاق قلوبهم بختامه [1]
قالوا : أصيب (محمد) فى نفسه ورجاله ، وأصيب فى أحلامه
ماتلك منزلة (النبى) فإنما يؤتى النبى النصر عند صدامه
جلت مطالبه ، فراح يريده ملكا يدوم جلاله بدوامه
لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا ما هد هالكهم ذوى أرحامه
هاجوا من (الفاروق) غضبة واثق بالله ، لا يصغى إلى لوامه [2]
فدعا : أيترك رأس كل منافق فى القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
قال (النبى) وكيف تقتل مسلماً أفما تخاف الله فى إسلامه ؟
صلى عليك الله ، من متحرج [3] جم الأناة يعف عن ظلامه
سمح الشريعـــة والخلال مسدد فى نقضه للأمر أو إبرامه

« يتبع »

ويلات الأمم

* ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع .
* ويل لأمة تكره الضيم فى منامها ، وتخنع له فى يقظتها .
* ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة .
* ويل لأمة عاقلها أبكم ، وقائدها أعمى ، ومحتالها ثرثار .
* ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ، ولا تفاخر إلا إذا وقفت فى المقبرة ، ولا تتمرّد إلا وعنقها بين السيف والنطع .

جبران خليل جبران

---

(١) أظهر اليهود والمنافقون الشماتة والسرور وقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبى قط ، أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندنا ما قتلوا

(٢) قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم : أتأذن لى فى قتل هؤلاء المنافقين ؟ فقال : أليس يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إنى نهيت عن قتل المسلمين

(٣) تحرج : جانب الحرج وهو الاثم

اشكالات فى ترجمة القرآن

بين فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى مقاله القيم لجريدة الجمهورية الصادر فى ١٣ من صفر سنة ١٣٧٤ أن ترجمة القرآن الحرفية عسيرة جدا ، بل هى ممتنعة ، لما للقرآن الكريم من خاصية الإعجاز التى لا يمكن أن توفى ترجمته إلى لغة أخرى بوجوه الإعجاز التى تحملها الآيات فى أسلوبها الحكيم .

وكذلك أوضح فضيلته أن خير عمل — لتعريف الأمم الأخرى بالإسلام — هو دعوة نفر من المسلمين الذين يحسنون فهم الإسلام ، ويفهمون أسرار الدين ، ويجيدون لغته ، ويعرفون اللغات الأجنبية حق المعرفة ، إلى وضع كتب أو رسائل تعرف بها الأمم أحكام الإسلام وقواعده ، وقوانينه وتشريعاته ، على أن يتابع هؤلاء التنبيه إلى ما فى الترجمات الموضوعة من أغلاط وأخطاء ، ليحذر الأخذ بها والتعويل عليها من يريد الحقيقة خالصة .

ولعل الذين يثيرون هذه المسألة تنفتح آذانهم لدعوة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ويسارعون إلى هذه الدعوة الجليلة ليدعوا إلى الله على بصيرة .

على أن الحجة التى يتذرع بها دعاة الترجمة أوهى من بيت العنكبوت ؛ فإن أسلافنا العرب الصالحين الذين قاموا بنشر الإسلام والقرآن خارج الجزيرة العربية بين أمم شتى ولغات مختلفة لم يخطر ببالهم يوماً أن يترجموا القرآن الكريم ، ولم يحل ذلك بين هذه الأمم وبين الفهم الحقيقى لتعاليم الإسلام . وكان من نتائج هذه السياسة الحكيمة أن انتقلت الأمم إلى الإسلام ، بدلا من أن ينتقل الإسلام إليها .

ولو أن الأمة الإسلامية اليوم حافظت على تعاليم الدين محافظة أسلافهم عليها ، لكان فى ذلك خير دعوة له بين الأمم الأخرى التى لم تسعد بعد بالدخول فى الإسلام .

على أنهم عرّفوا القرآن بأنه : « كلام الله تعالى ، المنزل على محمد ﷺ ، المعجز بأقصر سورة منه ، المتعبد بتلاوته » .

وهذا التعريف يجعل الترجمة ممنوعة لما يأتى :

(١) لا يمكن أن تسمى الترجمة قرآنا . (٢) ولا أنها كلام الله .
(٣) وليست الترجمة هى المنزلة على محمد ﷺ . (٤) وليس فيها إعجاز .
(٥) ولا يتأتى أن يتعبد بتلاوتها . (٦) ولا يكون لها حكم القرآن.

وعلى أن الترجمة المعنوية مستحيلة عملياً ، وذلك أن بعض الألفاظ يحتمل عدة معان ، وقد ذهب المفسرون فيها مذاهب شتى كلها صادقة الدلالة على شعب الحق والخير ، وما منها إلا ما يصلح للأخذ به فى مختلف ظروف الزمان والمكان ، ومن هنا كان القرآن هدى للناس فى كل زمان ومكان ، فهل يترجم فى مثلها معنى واحد ؟ وهل يكتفى فيها بقول واحد كذلك ؟

آمل من أولئك الداعين إلى ترجمة القرآن أن يفهموا خطر ما يدعون إليه ، فقد عجز أساطين العربية من المشركين عن الإتيان بمثله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » فإن كان لا يؤتى بمثله فى لغته ، فهل يؤتى بمثله فى ترجمته ؟ !

ولا يتذرع مثيرو هذه المسألة الشائكة بضرورة تعريف الأمم الأخرى بالإسلام والقرآن ، فإن لسان حاله يقول :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

عبد القادر شيبة الحمد
من خريجى الأزهر

أولادنـــا

لا أعجب لشيء في هذه الحياة ما أعجب لعاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التي تحمل الأم على أن تستهين بشتى المتاعب في سبيل راحة طفلها ، والتي تهون عليها الشدائد في حمله ورضاعه وتربيته .

وقريب من هذه العاطفة عاطفة الأبوة ، فإن الرجل يكد بياض يومه ، وربما سهر أكثر ليله ، لا يمل ، ولا يتوجع ، ويجهد الجهد البالغ في السعي على أطفاله ، وتيسير سبل الراحة لهم . وليس العجب أن يكدح الإنسان في سبيل المحافظة على حياته ، وتوفير أسباب الرزق لنفسه ، ولكن العجب أن يجمع المال جامعه ، وأن يكنز الذهب والفضة كانزهما ، وأن يبيت الليل سهران أرقا ، مفكراً مهموماً ، كل ذلك في سبيل أبنائه !

والحق أنه لولا هاتان العاطفتان لانقرض الجنس البشري ، بل لانقرض كل جنس حي على وجه الأرض ؛ فمتاعب الأولاد ثقيلة شاقة لا يصبر عليها إلا من وفقه الله . والحياة ميدان جهاد كبير ، وحياة الأسرة ميدان جهاد صغير ، ولكنه لا يقل في متاعبه ومزالقه عن ميدان الحياة الأكبر ، وكل فتى يعزف عن الزواج ، إنما هو إنسان رخو ضعيف ، هارب من الميدان ، يؤثر الراحة ، ويخلد إلى الحياة الدون ، ولا يجد في نفسه من الشجاعة ما يحمله على دخول المعترك .

نعم ، الولد مجبنة مبخلة مجهلة ، فالرجل قد يكون شجاعاً مقداماً ، ولكنه حين يذكر أطفاله وحاجتهم إليه ، يتأنى ، ويتقبل ما لم يكن يتقبل أيسره ، ويغضي على القذى ، وقد يكون مسرفاً متلافا ، فإذا فكر في أولاده أمسك يده ، بل ربما بخل وشح :

لولا بنيات كزغب القطا ... جمعن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننـــا ... أكبادنا تمشي على الأرض

وما بال هذا الذى تعود أن يخوض المعارك ، لا يبالى على أى جنبيه يصرع ، ولا من أى النواحى أتته منيته ، يتمسك بأذيال الحياة ، ويرغب فيها رغبة الجبان الرعديد . إنهن بنات ضعاف ، يخشى عليهن الذل :

لقد زاد الحياة إلىّ حبا بناتى ، أنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاف

وإذ وصل بنا الحديث عن البنات الضعاف ، فإننا نتمنى أن يفهم أولئك الذين يكرهون البنات وإنجابهن أنهم يجهلون قوانين الحياة ، ويريدون أن يسير العالم على وفق رغباتهم ، وهم بعد ذلك ضعاف الإيمان بالله ،قصار النظر ، يؤثرون العاجلة على الآجلة ، وينسون جاهلين أو متجاهلين ، أن البنات حسنات ، وأن البنين نعم ، والحسنات مثاب عليها ، والنعم مسئول عنها ، كما يغفلون عن قول النبى ﷺ : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين ، فاشترى شيئاً فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه » ، وقوله : « من كان له ابنة ، فأدبها فأحسن تأديبها ، وغذاها ، وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه ، كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » .

ومشهور ما كان من أمر العرب فى الجاهلية ، من كراهية البنات « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » . ونشأ عن ذلك أنهم كانوا يسلكون معهن ما يتنافى مع أبسط مبادىء الإنسانية والإيمان ، فكان بعضهم يدفنونهن أحياء تحت ضغط بعض الظروف القاسية ، وقد حرت - والله - فى فهم السر فى دفنهن أحياء ، ولم لا يقتلونهن ، ويعفوهن من هذا العذاب الأليم ، ألا إن الغيظ أحد العوامل القوية فى هذا العمل الذميم .

وقد أرشدهم القرآن إلى موضع الضلال فى نفوسهم ، فليسوا هم الذين يرزقون بناتهم ، وإنما الرازق الله « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم » . وقد انقضت

الجاهلية ، وحذر الله من عاداتها ، وتقدم العقل البشرى ، ولكن الناس ظلوا فى هذا الأمر عند ما يفهمه الجاهليون ، فلا يزالون - أو على الأصح - لايزال عدد كثير منهم ، يكتئبون حين تطرق المرأة بأنثى ، ويفرحون أشد الفرح حين يبشر أحدهم بمولود ذكر ، مع أن تجارب الحياة أثبتت أن البنت قد تكون أكثر بركة على أبويها من الولد ، وأن حنانها وعطفها على أبويها لايقاس بهما ولا يدانيهما عطف الولد وحنانه .

ولطالما أعجبتنى هذه الأعرابية الظريفة التى هجرها زوجها لكثرة ولادة البنات ، فالتمست إذنه يوما وجعلت ترقص طفلتها على هذا النشيد :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا والله ماذلك فى أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ماقد بذروه فينا

فحدثوا أن الرجل حين سمع النشيد ثاب إليه عقله ، ورجع إلى رشده ، ورنت فى أذنه الكلمة الصادقة القوية « والله ماذلك فى أيدينا » وأدرك أن كل شىء فى يد الله « لله ملك السموات والأرض ، يخلق مايشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير »

أعرف شبانا يتمنى آباؤهم لو أنهم كانوا فتيات ، بل يتمنون لو أنهم لم يكونوا . وأعرف فتيات يفقن الرجال عقلا وخلقا ونفعا .

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

ولكن متى يرجع الناس إلى العقل الراشد ، ويوقنون أن الخير فيما اختاره الله ؟ ؟

على العمارى

كيف طبق محمد مبدأ الوقاية

بعد غزوة أحد ؟

مبدأ الوقاية

للحرب مبادىء يعرفها العسكريون فى أنحاء العالم ، وأثبت تاريخ الحروب الطويل أن النصر دائما فى جانب القائد الذى يطبق مبادىء الحرب ، وأبان لنا أن هناك قادة أهملوا بعض هذه المبادىء فباءوا بالهزيمة والفشل الذريع . .

والعسكريون حين يدرسون تاريخ الحرب الذى يسمونه « التاريخ العسكرى » يعنون – فيما يعنون – بالنظر إلى المعركة من زاوية معينة ، هى مدى مراعاة مبادىء الحرب وتطبيقها من جانب القادة .

« ومبدأ الوقاية » من مبادىء الحرب . . تعرّفه قوانين خدمة الميدان التى تعد دستور الحروب بالآتى :-

« الوقاية معناها التدابير التى يتخذها القائد لسلامة قوته من المفاجأة ، ولإخفاء مواقعه عن العدو » .

وورد فى موضع آخر من هذه القوانين العبارة الآتية :-

« قائد كل قوة مسئول فى جميع الأوقات عن وقايتها » .

ولقد طبق محمد ﷺ قائد جيش الإسلام ، مبدأ الوقاية على خير مايكون التطبيق ، بل وضع له المبادىء والأسس ، فسبق فى ذلك قادة الحروب الذين طبقت شهرتهم الآفاق . .

فلقد كان ﷺ بعد غزوة أحد فى حاجة فعلا إلى هذه « الوقاية » .

وكان هذا من مقتضى الحال، ومما تحتمه الظروف، فقد شجعت هزيمة المسلمين فى تلك الغزوة الكثير من أهل المدينة، ومن سائر قبائل العرب، ممن كانوا يحسبون للإسلام حساباً، على أن يتنكروا للمسلمين عند عودتهم، ووهبتهم الجرأة على مناوأة الرسول، وأصبح من الطبيعى ومن المتوقع أن تنهال على المسلمين الغارات سواء من قريش التى تريد أن تستغل ما أحرزت من نجاح لتقضى على محمد ﷺ ودينه، أو من سائر القبائل التى تريد استغلال الفرص.

وهكذا لم يكن على رسول الله ﷺ أن يحافظ على نفسه أو جيشه أو مدينته فحسب، بل كان عليه ﷺ أن يحافظ على دينه، وهذا مادعانا إلى أن نبرز فى هذه الفترة التى أعقبت وقعة أحد كيف قام محمد ﷺ بأمر « الوقاية » التى كانت تحتمها الظروف.

ولقد تبين لنا من دراسة حوادث هذه الفترة أن النبى ﷺ لجأ إلى الوسائل الحكيمة الآتية تطبيقا لمبدأ الوقاية :-

أولا : إنشاء شبكة واسعة من الأعوان والعيون فى أنحاء الجزيرة يزودونه بأخبارها، ومواقف حركات القبائل المعادية. ولقد نجحت هذه الشبكة تماما، فكان النبى ﷺ يقف على أنباء غارات الأعداء، وهى بعد فى مرحلة النيـــة والإعداد، فلم يفاجأ مرة واحدة.

وكان استخدام العيون على نطاق واسع أمراً تقتضيه ضرورات الوقاية.

ثانياً : اتباع نظرية الدفاع الهجومى التى تحدثنا عنها من قبل، ومقتضاها أن تخرج لقتال عدوك وتهاجمه بدلا من أن تقعد منتظراً مهاجمته لك.

وقد اتبع النبى ﷺ هذه النظرية فى القضاء على جميع الغارات التى قام بها أعداؤه بعد غزوة أحد. فكان يسرع بالخروج أو بإرسال السرايا لغزو القبائل التى يعلم - بواسطة عيونه ومخبريه - أنها أعدت العدة للإغارة عليه، فيقاتلها فى عقر دارها.

ونذكر من هذه السرايا والغزوات سرية أبى سلمة، وسرية عبدالله بن أنيس الانصارى، وغزوة ذات الرقاع.

سرية أبى سلمة :

مرت فترة سكون مدتها شهران عقب عودة المسلمين من أحد ، ثم علم الرسول أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين يعدان العدة للإغارة على المدينة ، فأعد مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وجعل عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد وقال له : « سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم » .

خرجت هذه السرية تسرع فى السير ، وكانت تستخفى نهاراً ، وتسير ليلا ، فى طريق غير مألوف ، حتى لا يشعر بها أحد ، حتى بلغت قطن [1] ولكن المسلمين لم يلقوا أحداً ، إذ أن القوم حينما فوجئوا بالمصيبة تفرقوا رعباً وهلعاً .

إلا أن أبا سلمة لم يشأ أن يعود أدراجه دون أن يقضى عليهم ، لأنه خشى أن يجمعوا صفوفهم مرة أخرى ، ليعاودوا الكرة ، فقسم قوته إلى ثلاثة أقسام :

قسم أقام معه فى قطن . وقسمان تعقبا العدو ، وأصابا مغانم عظيمة عادا بها إليه .

فلما أيقن أبو سلمة أنه لن تقوم للأسديين قائمة ، عاد بما معه إلى المدينة منتصراً ، وقسم الرسول الغنائم عليهم ، فكان نصيب الواحد سُبع بعير وأغناماً . وكانت مدة غيبة أبى سلمة عشرة أيام ، وأعادت سريته هذه للمسلمين بعض هيبتهم .

ولا تفوتنا هذه السرية دون أن نذكر فناً من فنون الحرب ظهر فيها بوضوح ، ألا وهو « القاعدة الوطيدة » .

ولإيضاح نظريتها نقول : إنه إذا خرجت قوة فى مهمة هجومية بعيداً عن قاعدتها التى خرجت منها ، وجب عليها ألا تدخل كلها المعركة ، بل يجب أن يبقى جزء منها متأخراً فى الخلف يطلق عليه القاعدة الوطيدة " Firm Base " يقوم بستر ظهر البقية المهاجمة ، وينجدها عند الضرورة ، ويهىء لها الملجأ المأمون إذا اضطرت للانسحاب .

---

(١) قطن : جبل بنجد .

وبدون هذه القاعدة الوطيدة تتعرض القوة لخطر مؤكد . وهذه النظرية تشبه إلى حد كبير النظرية القائلة : « لا تضع البيض كله فى سلة واحدة » . وأبو سلمة قائد هـذه السرية طبق هذه النظرية ، فترك ثلث قوته متأخراً ، وهاجم عدوه بالثلثين ؛ فجاء هذا مثالا واضحاً للقاعدة الوطيدة .

سرية عبد الله بن أنيس الأنصارى :

ثم علم الرسول عليه الصلاة والسلام أن سفيان بن خالد الهذلى يجمع الجموع لقتاله ، وكان بعرنة [1]. فاختار الرسول ﷺ طريقة جديدة ، هى أن يرسل له من يقتله ، فيقضى بذلك عليه وعلى مقاصده ، فدعا إليه عبد الله بن أنيس رضى الله عنه وقال له : « ائته فاقتله » ولقد رأى عبد الله أن مهمته هذه تقتضيه بعض الخداع والدهاء ، فاستأذن الرسول فى أن يقول ما يبدو له ، فأذن له .

فأخذ عبد الله سيفه ، وخرج حتى لقى سفيان بن خالد ، فمشى معه يحدثه بكلام استحلاه ، ثم حمل عليه السيف وقتله ، وعاد إلى المدينة بعد غيبة ثمانى عشرة ليلة . ؟

محمد . جمال الدين محفوظ

علاج السفيه

لا تكافئ السفيه على سفهه بمثله ، فإنك إن فعلت قضيت له على نفسك ، وأصبحت شريكه فى الخلة التى تزعم أنك تنقمها عليه .

فإن كنت لا بدمنتقها فليكن مثلك مثل الأحنف بن قيس إذ جاءه رجل قـد جعل له بعض الناس جعلا على أن يغضبه ، فما زال يسبه ويلح فى ذلك إلحاحاً محرجاً ، والأحنف ساكت لا يقول شيئاً ، حتى ضاق بالرجل أمره ؛ فانقلب إلى قومه باكياً نادباً يأكل إصبعه أكلا ويقول :

— والله ما سكت عنى إلا لهوانى عليه ...

(١) عرنة : موضع قريب من عرفة

مشكلة اجرام الأحداث

أضحت مشـكلة إجرام الطفولة اليوم من أخطر المشكلات الاجتماعية شأنا ، وأضحى التعاون فى علاجها بين شتى العلوم والدراسات حقيقة واقعة للفاحصين والدارسين ؛ إذ رأى فيها علم التربية إحدى مشكلاته ، لأنها لا تعدو - فى الواقع - أن تـكون مشكلة من المشكلات اليومية للأطفال فى أساسها وفى الدوافع إلى ارتـكابها ، لولا أن ارتباطها بالعدوان على الغير وتهديد الأمن يجعل لها طابعاً قانونياً خاصاً ، ولذلك رأى فيها القانون الجنائى فى الدولة مشكلة قانونية تستوجب المحاكمة والعقاب ، ووجد فيها علم الاجتماع إحدى مسائله ، لأن عواملها وآثارها اجتماعية بحتة ، وتبناها علم النفس لأن مهمته بحث القوى الديناميكية الفعالة فى شخصية الطفل ، وهذه القوى هى ذاتها التى تدفعه إلى ارتـكاب الجرم واقتراف الذنب ، ولأن عمل هـذا العلم يقتضيه أن يضع العلاج من الناحية النفسية والتربوية ، ليقى المجتمع من إجرام الطفولة ، وليقف سداً منيعاً يمنع الحدث من اللجوء إلى الإجرام وتوقيع العقاب القاسى عليه .

ولقد تبين من الوجهة القانونية أن صغر السن مانع من المسئولية الجنائية فى السنوات الأولى من حياة المواطن ، ووجه لتخفيفها فيما بين فترة الإعفاء ومرحلة الرشد الـكامل ؛ وذلك لأن المسئولية الجنائية مرتبطة بالإدراك ومنوطة به ، والإدراك لا يكتسبه الشخص دفعة واحدة ، بل يأتيه تدريجاً فى خلال السنوات الأولى من حياته ، حتى تـكتمل له الملـكات الذهنية اللازمة لمساءلته جنائياً إذا ارتـكب جرما .

ولا يقتصر الأمر على حد التخفيف من مسئولية الأطفال عما يرتـكبونه من ذنوب ؛ لأنهم يختلفون فى الواقع عن البالغين العاقلين من حيث أسباب الجريمة ومن حيث القابلية للإصلاح والتقويم ، فإجرام البالغ يرجع عادة إلى عوامل شخصية وفساد خلق تشربت به نفسه ، بينما أن إجرام الطفولة يرجع إلى البيئة الفاسدة وانحطاط التربية وتقصير الأبوة والأمومة واضطراب أوضاع الأسرة ، وبالرغم من ذلك فالحدث أكثر من البالغ استجابة لدواعى الإصلاح والتقويم والتهذيب والتوجيه لأنه فى دور التـكوين .

ومن أجل هذا رأت التشريعات الحديثة فى شتى البلدان على اختلاف نظمها وأوضاعها القانونية والاجتماعية أن تعالج مشكلة إجرام الطفولة عن طريقين مجتمعين : طريق يتعلق بالناحية الاجتماعية ، وآخر يتصل بالوجهة القانونية .

فأما الطريق الذى يتعلق بالناحية الاجتماعية ، فالقول فيه يتلخص فى العمل على القضاء على العوامل التى تدفع الأطفال إلى الإجرام ؛ وذلك يتأتى بمكافحة تشرد الأحداث ، وحمايتهم من إهمال أهليهم ، وإصلاح نظام الأسرة ، ونشر التعليم ، وإنشاء الملاجىء ومعاهد التربية ، وتنظيم تشغيل الأحداث ، إلى غير ذلك من وسائل القضاء على العوامل الدافعة إلى الإجرام لدى الطفولة ، وتجنيبهم مساوىء الوسط الفاسد والبيئة السيئة والتربية المنحطة .

ولقد اتضح بجلاء أن مشكلة إجرام الطفولة مشكلة نفسية قبل كل شىء ، لذلك فعلاجها لابد أن يكون على ضوء تعاليم علم النفس وأبحاثه ، ويؤكد علم النفس فى هذا الصدد أهمية تركيز البحث فى الحدث ذاته وفى طبيعة جرمه والظروف التى ساقته إلى الوقوع فيه ، وثبت أن إجرام الأحداث يرجع إلى أسباب متعددة تتعقد وتتنوع وتتداخل فيما بينها ، ولذلك يشير علم النفس إلى اللجوء إلى طريقة البحث الفردى Case Study لكل حدث على حدة مع تحليل كل ما يتعلق بالموقف الإجمالى وعوامل البيئة والزمان .

ودل البحث على أن عامل البيئة هو أهم عوامل الإجرام لدى الأحداث ، ومن هنا رأينا الجرائم التى تقع من الأحداث نتيجة عدم فهمهم وعدم تهيئة الجو المناسب للتعبير عن دوافعهم الطبيعية ، وتلك التى يرد بها الطفل على مؤثرات البيئة ، وكذلك الجرائم التى ترجع إلى مرض نفسى لدى الحدث ، كما تبين أن العوامل الجسمية أو العضوية Organic من الدوافع الحية لارتكاب الجرائم بالنسبة للكثيرين من الأحداث ، ومثال ذلك الجرائم التى ترجع لعاهات الحس والحركة ، وتلك التى ترجع لسوء الحالة الصحية أو إلى اضطرابات الغدد ، كما نسب الباحثون أمثال جودارد Goddard وهيلى Healy مجموعة من جرائم الأطفال إلى الغباء والضعف الذهنى ، كما اتضحت العلاقة قوية بين إجرام الطفولة وبين الجهل ونقص التعليم والثقافة .

وأسفر البحث عن حب الطفل الشديد للعب ، وهذا يقتضى بيوتاً متسعة وإعداداً خاصاً مما لا يتهيأ فى الغالب للطفل فى الوقت الحاضر حتى فى الدول الراقية التى ضاقت فيها

المساكن وتغيرت طرق المعيشة ، ومن أجل هـذا نشطت الدعوة لإقامة منشآت للأطفال ليزاولوا فيها نشاطهم وحيويتهم ، وينهمكوا فيها فى لعبهم ولهوهم ، فلا تتهيأ لهم فرصة الإجرام ، بل لقد حدث بالفعل فى سويسرا بعد الحرب العالمية الثانية أن أنشئت مدن للأطفال فيها ، واهتمت الدول الأوربية جميعاً بتنظيم الحدائق العامة للأطفال وتزويدها بمعدات النشاط الصبيانى المفيد ، ومن الطريف أن نذكر أن الأستاذ Burt فى « كتابه The Young Delinquent » أثبت أن جرائم الأحداث فى لندن تزيد فى المناطق التى تقل فيها مساحات الحدائق العامة التى يسمح للأطفال باللعب فيها ، وتقل بالعكس فى المناطق التى تكثر فيها مساحات هـذه الحدائق ، هـذا فضلا عن أن البلاد الأوربية أكثرت كذلك من إنشاء الأندية الخاصة بالأطفال ودور الحضانة .

ويضاف إلى كل هـذا اتخاذ التدابير الوقائية لمنع الأحداث من ارتكاب جرائمهم عن طريق إصلاح الحياة المنزلية والتربوية ، وقد أنشأ كثير من البلاد الراقية فى هـذا المجال مدارس خاصة بالآباء والأمهات يتلقون فيها معلومات تربوية لتطبيقها فى المحيط العائلى ، وترتب لهم حلقات دورية يبحثون فيها مع الإخصائيين المشكلات التربوية والعائلية التى يثيرونها ، وتكون بالنسبة للأمهات والآباء على وجه العموم مكاتب للاستشارة التربوية .

ولا يخفى بعد ذلك ما للتربية الدينية للطفل من أثر بالغ فى منع ارتكابه الجريمة ؛ لأن احترامه للدين وملء نفسه وإحساسه به يجعله ضابطاً لنفسه من الزلل ، وحافظاً له من الخطأ والإجرام .

أما الطريق الذى يتعلق بالناحية القانونية فى مجال علاج مشكلة إجرام الطفولة ، فيتلخص فى تقرير الأجزية والعقوبات على الأطفال والأحداث المذنبين ، مع مراعاة قدر مسئولية كل منهم ، ومع مراعاة ألا يكون هدف هذه الأجزية والعقوبات الردع والعقاب قبل الإصلاح والتهذيب والتقويم والإرشاد ، فضلاً عن تجنيب الأحداث قدر المستطاع توقيع العقوبات العادية عليهم كتلك التى تقرر للمجرمين من البالغين الكبار كعقوبات السجون التى إن قررت عقاباً للحدث عرضته لمفاسد الاختلاط بالمجرمين الكبار ومفاسد السجون ووسطها ، وكانت سبيلا لتمكين الجريمة من نفسه واستحكامها فى ذهنه وشعوره ، بدل القضاء عليها عنده وتخليصه منها وتجنيبه الوقوع فيها من جديد .

ومن أجل هذا وضعت التشريعات الحديثة الوسائل التقويمية Mesures d'instruction ومن أمثلتها : توبيخ الحدث فى الجلسة ، والتسليم للوالدين أو لولى النفس أو لشخص مؤتمن أو لمعهد خيرى ، والإرسال إلى مدرسة إصلاحية ، كما أنشأت الدول الراقية الإصلاحيات الخاصة بالأحداث ، وعنيت فيها بالنواحى التعليمية والصناعية والتهذيبية .

وفى مجال هذا الطريق القانونى أيضاً يعمم نظام محاكم الأحداث الذى يضم القضاة والإخصائيين الذين تخصصوا فى دراسة الطفولة ومشكلاتها النفسية ، مع الإلمام بالخدمة الاجتماعية للأحداث ، ومن المهم هنا تثبيتهم واستقرارهم فى محاكمهم ، فلا يعرضون للنقل والتغيير ، مع ضمان ترقياتهم فى محاكمهم ، وذلك ليتمرسوا بخبرة عملية دقيقة لمشكلات البيئة التى يزاولون فيها عملهم .

وجدير بالذكر أن دراسة هؤلاء القضاة والإخصائيين لقضايا الأحداث يجب ألا تقتصر على مجرد إثبات التهمة أو نفيها عن الحدث ، بل تتعدى ذلك إلى بحث الدوافع النفسية التى تدفع الحدث إلى الانحراف ، وتسوقه إلى ارتكاب الجرم والعدوان .

ومن المهم تزويد محاكم الأحداث بالعيادات النفسية ، التى يوضع فيها الحدث تحت الدراسة والملاحظة مدة كافية لعلاجه حسب التقرير الذى يضعه المختص بالعيادة .

هذا ويدعو المصلحون هنا وهناك إلى الإكثار من إصلاحيات الأحداث ومنشآتهم مع تنظيم إدارتها وجعلها مراكز للبحث والدراسة ، فضلا عن كونها معاهد لتربية الأحداث وإصلاحهم ، ومن الخطورة جعلها شبيهة بنظام السجون العادى الذى يوضع فيه المجرمون البالغون ، لاختلاف السبب والغاية لكل من النظامين . وفى سبيل تنظيم الإصلاحيات يمكن الاستهداء بما هو موجود فى بلجيكا وهولندا وسواهما من الدول الراقية ، كأن تقوم الحياة فيها على نظام الأسر House System ، ويجب الاستفادة من وقت الحدث فى عمل مثمر يشعر أثناء القيام به براحة نفسية : كتشغيله وتعليمه الصناعات العملية على ضوء بحوث التوجيه المهنى Vocational Guidance ، وإذا ما خرج الصبى من الإصلاحية فينبغى أن يوفر له العمل المناسب بالتعاون بين الشركات الصناعية والجهات الخيرية ، وألا يترك بعد خروجه من الإصلاحية دون تتبع وإشراف من الباحث الاجتماعى حتى يستطيع الانتظام الصالح فى المجتمع .

وفيما يتعلق بمحاكمة الحدث يتبع القضاة الوسائل التي من شأنها تقويم الحدث ومنعه من العودة إلى ارتكاب الجرم . ومما يحسن ذكره هنا تلخيص إحدى قضايا إجرام الأحداث في بلد كأمريكا مثلا ، لنرى كيف يعامل هناك الطفل الذى أجرم ، ونختار هذا المثل من قضية عرضت على (محكمة منهاتن للأحداث) فى أمريكا ، ذكرها إخصائى اجتماعى زار هذه المحكمة يوم تلك القضية ، وتتلخص وقائعها فى أن طفلا فى العاشرة من عمره سرق ساعة فى إحدى المقاهى من أحد الأشخاص ، حيث لمحه أحد رجال الشرطة فقبض عليه ، ولما عقدت المحكمة مثل الطفل أمام القاضى خائفاً مرتعداً تكاد الدموع أن تقطر من عينيه ، بيد أن القاضى خفف عليه كثيراً برقته وحسن ملاطفته ، حتى اطمأن إليه وحادثه كما يحادث صديقاً له .

سأله القاضى عن اسمه برقة ، فأجابه الطفل بأنه (جون سميث) فصمت القاضى قليلا ثم أردف قائلا للطفل : إن اسمه يذكره بصديق له يحمل نفس الاسم كان زميلا له فى المدرسة وكان مجداً متخلقاً ، ولما أتما دراستهما انصرف الزميل جون سميث إلى دراسة الطب فى كلية الطب ، وتابع القاضى دراسته فى كلية الحقوق .

وذكر القاضى للطفل أن زميله جون سميث هذا صار طبيباً مشهوراً ، وأنه يعتز بصداقته وأنه يكاتبه بين حين وآخر ، وأبدى القاضى تأثره وسروره من وجود غلام أمامه يحمل اسم صديقه الذى يعزه ويحترمه ، وقعت له مشكلة يريد أن يتعاون معه على حلها . لعله يحظى بصديق جديد يحمل نفس اسم صديقه الطبيب ، وراح القاضى يشترط للطفل للحصول على هذه الصداقة أن يساعده فى حل هذه المشكلة ، وابتسم الطفل ورمقه بنظراته البريئة ، وأبدى استعداده للمساعدة ، وتقدم من القاضى وأخذ الساعة المسروقة من أمامه واستأذنه فى إعادتها لصاحبها والاعتذار إليه . فشكره هذا ، ووعد الطفل بألا يعود لمثل ذلك فى المستقبل ، وشجعه القاضى ، والتفت إلى رئيس نادى الأحداث الجالس بجانبه ، والذى يتبع له ذلك الطفل ، وطلب إليه الحضور للتعاون معه ومع عائلة الطفل ، ورجاه أن يعير الطفل جون سميث ثلاثة كتب سماها له من مكتبة النادى ، وأخبر الطفل أنه سيتحدث معه شخصياً فى موضوعات هذه الكتب الثلاثة بعد قراءته لها ، وعلى هذا الوضع انتهت قضية جون سميث فى محكمة منهاتن للأحداث . . . ! ؟

احمد طه السنوسى

ذروة السنام

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يارسول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى من النار . فقال : لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله لاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يارسول الله . قال : الصوم جُنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلا « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده ، وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يارسول الله . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

صلوات الله عليك يامنقذ الإنسانية ، بقدر ما أخرجت العالم من ظلمات الهمجية ، وأنقذتها من براثن الوحشية ، ومخالب الوثنية . سئلت فأجبت بالجواب القاطع ، ليس له من دافع ، وأنت لاتنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . جواب فيه النصر وفصل الخطاب .

يبتدر معاذ بن جبل الصحابى الجليل بسؤاله الجامع المانع ، للقائد المكافح المنافح : أخبرنى عن عمل ، وأرشدنى إلى طريق أنال به الجنة ، ويجنبنى النار ، فيجيبه الرسول عليه الصلوات ، بأن سؤاله كبير فى مظهره ، سهل هين يسير فى مخبره ، فإذا صدقت النية ،وقويت العقيدة ،وخاص القصد ، سهل الوصول إلى نيل المرغوب والمأمول ، ويرشده الرسول - أولا وقبل كل شىء - إلى أساس الدين الذى ترسو عليه أحجار الجنة ، ويرفرف عليه علم الإسعاد ، وإلى الجدار الذى يبنيه ، حتى ينعم بما يبتغيه ، إلى عبادة الله الواحد الديان ، عبادة خالصة من كل شائبة و نقصان ، والقيام بوضع اللبنات التى أمر بها بديع السموات ، من حج وصلوات ، وصوم وزكوات ،

ثم يدله الناصح الأمين ، على أن الصوم وقاية وجنة ، وأن الصدقة ماحقة للذنوب ، والتهجد ليلا سيما الصالحين ، وعلامة المؤمنين ، ثم يخلص إمام الفصحاء من ذلك كله إلى جمع أسباب السعادة والغلبة فى كلمات ، لتكون أسهل فى العمل ، وأيسر لتحقيق السبل « إن هذا الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه ، فيخبره عن الدين وأسسه ، والإيمان وعمده ، فالرأس وبه العقل المفكر هو الإسلام ، والنور الذى يستضىء به الرأس هو الصلاة ، والقمة التى تنتشر منها الأضواء هى الجهاد .

أيها المصريون الأحرار ، انقضى زمن الكلام ، وجاء وقت الأعمال ، ووجب علينا إعداد كل نفس ونفيس ، وغال ورخيص ، فى سبيل الذود عن حياض الوطن المقدس ، واستخلاصه من الذلة ، وعتقه من رق العبودية . ولنا فى السلف الصالح خير قدوة ، وأكرم أسوة . فهذا هو أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يتبرع بجميع ماله فى جهاد المشركين ، حينما دعا القائد العظيم إلى الاكتتاب . وأمام الجموع الزاخرة من الصحابة يسأله عما أبقاه من المال لأهله ونفسه ، فيجيبه : أما المال الذى قدمته فهو لإعلاء كلمة الحق ولو كره الكافرون ، وأبقيت لأهلى الذخيرة التى لا تنفد أبدا وهى الله ورسوله . وهذا عثمان بن عفان رضى الله عنه يهب لجيش العسرة جميع ماله راضية بذلك نفسه فى غزوة تبوك ، وقد رأى ابن عباس رضى الله عنه فى منامه ، أن النبي عليه الصلاة والسلام راكب برذونا أبلق يناطح السحاب فى سريانه ، والنيل فى جريانه . فيناديه حبر الأمة : على رسلك يارسول الله — كأنه يسأله عن سبب عجلته — فيجيبه بأن الله زوج عثمان بن عفان عروساً فى الجنة ، وقبل الله منه هبته فى سبيل الله ، ودعيت إلى هذا العرس وقد دنا موعده فأسرعت لذلك .

كل شىء بثمنه : فمن أعطى الكرائم ، وبذل النفائس ، حصل على المغانم ، وفاز بالطيبات . ومن بخل فإنما يبخل على نفسه .

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

هكذا قضت سنة الحياة ، لا تنقاد الآمال إلا لمجاهد صابر ، ولا تسلس المعالى قيادها إلا لمن يروضها ، ويحتمل عنت جماحها ، ويتغلب على خشونتها .

لا شك أن العجب يتملك الإنسان وهو يتصفح أمر النفر الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ونالوا من الأذى والتهديد ، ما تنوء بحمله الجبال الراسيات ، وأصابهم من الفتنة فى الدين ما يزلزل مثله أشد الناس إيماناً ، وأثبتهم يقيناً ، فما ضعفوا وما استكانوا ، وما وهنوا

لما أصابهم فى سبيل مبدئهم الحق ، ولم تنل الكوارث من نفوسهم ، ولم تؤثر هاتيك الحوادث فيهم ، وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسليما .

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

والعقيدة حينما تتغلغل فى النفوس ، ويؤمن بها المرء إيماناً صادقاً ، يدافع عنها دفاع المغاوير الميامين ، وتهون عليه نفسه وماله ، وكل عزيز لديه .

ذهب أحد الأعراب إلى الرسول عليه الصلوات يعاهده على الجهاد فى سبيل الله ، تدفعه قوة الإيمان ، ووعد القرآن بأن نصر المخلص دين على الديان ، ثم جاهد فى إحدى الغزوات ، جهاد البطل المغوار ، حيث كان الظفر والانتصار ، فعرض القائد الأعلى على هذا الجندى نصيبه من الغنائم ، فأجابه : « ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم فى حلقى فأموت شهيداً فأدخل الجنة » . ما أروع هذا القول الذى يؤجج الحماسة فى قلوب الجبناء ، ويبذر بذور الشجاعة والفداء فى نفوس الضعفاء . ثم انبرى يناضل فى غزوة أخرى ، وقلبه ثابت كالطود الشامخ ، ملؤه النصر الذى وعد به الله عباده المؤمنين ، وأسفرت نتيجة الملحمة عن نصر المسلمين ، واندحار الباغين المعتدين . عند ذلك سأل قائد المعركة ﷺ عن الأعرابى ، فبلغ سمعه الطاهر أنه خر صريعاً فى الميدان ، شهيد العقيدة والإيمان . ما أعظم هذه الروح الطيبة ، والنفس المؤمنة ، التى فاضت إلى أعلى عليين ، رفيقة الشهداء والصالحين . ثم أمر النبى صلوات الله عليه بأن يلف فى ثوبه ، ثم قدمه أمامه وقال : (اللهم إن هذا العبد خرج مجاهداً فى سبيلك فقتل شهيداً وأنا شاهد على ذلك) . فانظر يا رعاك الله إلى هذه القلوب والمهج والأرواح التى بذلوها رخيصة فى سبيل الحق ، فكانت سبب عزهم وسيادتهم وانتشار دينهم وسلطانهم .

يا رجال الثورة وقادة مصر ، ويا وزير التربية والتعليم ، نريد تربية وتعليما يربط أبناءنا وأحفادنا بآبائنا وأجدادنا ، ويخرج للأمة جيلا كالجيل المثالى الذى أخرجه الإسلام للإنسانية ، فكان المثل الأعلى فى خلقه وعزته وجهاده ، واستقامته على الحق ، وتعاونه على الخير . نريد من مدارسنا جيلا قوياً ألمعياً حصيفاً يرى فى الإسلام رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، فنعود به إلى ما كنا عليه يوم عرفنا هذا الإسلام فعرفنا به كل خير . وإنا منتظرون .

عبد المطلب صلاح
الواعظ بوزارة الأوقاف

الأزهر والصحافة

تحدثت فى المقال السابق عن صحيفتى (التنكيت والتبكيت) و (الطائف) واليوم أتحدث عن باقى الصحف :

الأستاذ ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) .

أصدرت الحكومة أمرها بالقبض على النديم مع زعماء الثورة العرابية ، ففر يلتمس النجاة لنفسه ، وكانت الحكومة قد أغرت بمكافأة مالية من يدل عليه ، فقبض عليه بعد عشرة أعوام قضاها مختفيا ، ثم منح العفو على أن يغادر مصر ، فغادرها إلى فلسطين وأقام فى يافا قرابة عام ، ثم عاد إلى مصر حينما انتهت ولاية مصر إلى عباس الثانى ، وحنت أنامله إلى صحيفة تنثر دره ، وتنشر رأيه وفكره ، فأنشأ سنة ١٨٩٢ م جريدة سماها « الأستاذ » .

وهى مجلة أدبية نقدية تشبه العروة الوثقى بعض المشابهة كما يقول السيد رشيد رضا ، ولكنها لم يكتب لها البقاء طويلا إذ « لم يكد يحول الحول حتى اضطر مرة أخرى إلى مبارحة البلاد ، لأنه اتهم بأنه كان يذكى روح التعصب الدينى ، وينشر الآراء التى تحفز الناس على الثورة » [1] فنفى إلى يافا حيث كانت خاتمة حياته .

العروة الوثقى ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) .

فى سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) صدر أمر الخديو توفيق بإخراج جمال الدين الأفغانى من مصر ، لأن نشاطه السياسى أثار فى نفوس الإنجليز ريبا ومخاوف ، ولأن « تعليمه الفلسفى هيج عليه الجامدين من الأزهريين فجاءه الكيد من هنا وهناك » [2] .

---

(١) الاسلام والتجديد ص ٢١٣

(٢) ترجمة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق لجمال الدين فى رسالة الرد على الدهريين

صدع الأفغانى بالأمر واتجه إلى (حيدر أباد) فأقام بها عاما ، ثم شبت الثورة العرابية فدعى منها إلى (كلكتة) وألزمته حكومة الهند بالإقامة فيها حتى انقشعت الفتنة العرابية التى فهم الإنجليز أن له فيها إصبعاً . ولما أتيحت له حرية التنقل لجأ إلى (لوندرا) فمكث بها أياما قلائل ، وكتب فى طريقه إلى باريس إلى صديقه الشيخ محمد عبده أن يوافيه بها ، وكان الثانى قد نفى إلى سورية سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٨٢ م) لاتهامه بالاشتراك فى هذه الثورة ، وبعد أن مكث بها عاما التقى فى باريس مع أستاذه وصديقه الأفغانى استجابة لدعوته ، وتلبية لندائه .

كان أكبر مظهر من مظاهر النشاط السياسى والأدبى للأفغانى والشيخ محمد عبده فى باريس هو إنشاء « العروة الوثقى » وهى مجلة عربية أسبوعية ، كان يتولى الإنفاق عليها جمعية اسمها جمعية العروة الوثقى (التى أسساها لإثارة الرأى العام فى جميع الأقطار الإسلامية ودعوته إلى الاتحاد والتضافر » [١] .

وكان لهذه الجمعية فروع فى الهند ومصر وغيرهما من البلاد الإسلامية ، ومن أغراضها مقاومة الاحتلال البريطانى فى الشرق ، وتقليص ظل الإنجليز فى هذه الديار ، وقد جاء فى خاتمة العدد الأول منها أنه « بلغ الإجحاف بالشرقيين غايته ، ووصل العدوان فيهم نهايته » و « إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما . وإن الخطر الذى ألم بمصر نغرت [٢] له أحشاء المسلمين ، وتكلمت به قلوبهم ، ولن تزال آلامه تستفزهم ما دام الجرح نغارا ، وما هذا بغريب على المسلمين » .

« تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل فى عدة أقطار خصوصا البلاد الهندية والمصرية ... ولما كان نيل الغاية على وجه أبعد من الخطر ، وأقرب إلى الظفر ، يستدعى أن يكون للداعى فى كل قلب سليم نفثة حق ، ودعوة صدق ، طلبوا عدة طرق

---

(١) المنار : ج ٨ ص ١٠

(٢) نغرت القدر تنغر ونغرت تنغر إذا غلت ، ومن المجاز : نغر الرجل اغتاظ ، وفلانة غيرى نغرة وجرح نغار : جياش بالدم (أساس البلاغة) .

لنشر أفكارهم ، بين من خفى عنه شأنهم من إخوانهم ، واختاروا أن يكون لهم فى هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم ... وأن تكون فى مدينة حرة كمدينة باريس ، ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم ، وتوصيل أصواتهم ، إلى الأقطار القاصية » (١) .

كان جمال الدين الأفغانى مديرا للصحيفة يرسم سياستها ، وكان الشيخ محمد عبده رئيس تحريرها ، فالآراء والأفكار فيها كانت مشتركة بين الاثنين ، والمحرر لجميع مقالاتها هو الثانى .

وكانت مقالات العروة الوثقى « جامعة بين روح جمال الدين وقلم الأستاذ الإمام ، لجاءت آيات بينات فى سمو المعانى ، وقوة الروح ، وبلاغة العبارة ، وهى أشبه ما تكون بالخطب النارية ، تستثير الشجاعة فى نفوس قارئها ، وتدانى فى روحها وقوة تأثيرها أسلوب الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى خطبه الحماسية المنشورة فى نهج البلاغة (كذا) » (٢) .

ظهر العدد الأول منها فى ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ — الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤ ، وقد أخذت من قلوب الشرقيين كل مأخذ ، وأثرت فى نفوسهم أثراً لم يبلغه وعظ واعظ ، ولا تنبيه منبه « وهى ذات أثر فى كل ما وجد بعد من حركات الوطنية والحرية فى بلاد الشرق » (٣) .

وقد روع الإنجليز من هذه المجلة ، وهاجمها الصحفيون البريطانيون قبل ظهورها حين كتبت عنها بعض الصحف الفرنسية وهى فى ضمير الغيب ، وأنذر هؤلاء المحررون الإنكليز بما ستفعله هذه الصحيفة فى سياستهم ونفوذهم فى البلاد الشرقية .

ولما ظهرت وأحدثت فى البلاد الإسلامية ضجة عنيفة ودوياً هائلا ، لم يطق الإنجليز صبراً عليها فمنعوها من دخول الهند ، وانعقد مجلس النظار المصرى فى القاهرة ثم أصدر قراره إلى نظارة الداخلية المصرية قاضيا بأن تشتد فى منع هذه الجريدة من دخول الأقطار المصرية وتراقب جولاتها فى تلك الديار » (٤) .

---

(١) تاريخ الامام ج ١ ص ٢٩٥

(٢) عصر اسماعيل للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ص١٦٣

(٣) ترجمة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق للافغانى .

(٤) تاريخ الامام ج ١ ص ٣٠١

وبعد أن نشرت الجريدة صورة الأمر أعلنت « أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنيها » [١] .

وتسخر العروة الوثقى من هذا القرار ، وتعده ضريبة فرضت على المصريين « ببركة تصرف الانجليز فى مصر » .

وقد وصف السيد رشيد أثر هذه الجريدة فىالنفوس فقال : « كان كل عدد منها كسلك من الكهرباء ، اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال ، والحرارة والاشتعال ، ما قذف بى من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال ، وإنما كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الإصلاحية الإسلامية ، ويليه تأثير المقالات فى السياسة المصرية ، والذى علمته من نفسى بالخبر ، ومن غيرى بالخبر ، ومن التاريخ ، أنه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب ، والإقناع من العقل ولا حد لهذا » .

وقال : « سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر عالم سورية الوحيد فى الجمع بين العلوم الإسلامية ومعرفة حالة العصر السياسية والمدنية يقول :

« ما كان أحد يشك فى أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلابا عظيما فىالعالم الإسلامى لو طال عليها الزمان » [٢] .

وليس عجيباً أن تحتل هذه الصحيفة تلك المكانة من النفوس ، فقد خاطبت العواطف ، وهزت مواطن الحس ، وأثارت فى النفوس أساها الكامن على مجد مغصوب ، وحرية مسلوبة ، كل ذلك بأسلوب أخاذ ، وحجج دامغة .

وكان ما نشر من هذه الصحيفة ثمانية عشر عددا ، صدر آخرها فى ذى الحجة من سنة ١٣١١ هـ ؟

محمد كامل الفقى
المدرس فى كلية اللغة العربية

« يتبع »

---

(١) العروة الوثقى فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ (٢٢ من مارس سنة ١٨٨٤ م)

(٢) تاريخ الامام ج ١ ص ٣٠٤

الرجولية فى القرآن

– ٢ –

ويقول الله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال : يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين [١] » .

وهذا الرجل هو شمعون أو حزقيل ، والمشهور أنه مؤمن آل فرعون ، جاء يسرع فى السير اهتماماً بأمر موسى وحرصاً على نجاته ، وذلك بعد أن رأى موسى رجلا إسرائيلياً يقاتل رجلا قبطيا ، فنصر موسى الرجل الذى من شيعته ، وضرب الغريب بوكزة فقضى عليه ، وندم على ذلك ، وقال : إنه من عمل الشيطان ، واستغفر ربه من ذلك الظلم ...

جاء الرجل يسعى إلى موسى ويقول له : إن الكبار من أتباع فرعون يتشاورون فى قتلك والبطش بك : فاخرج من المدينة ـ وهى منف ـ قبل أن يظفروا بك ، لأنى ناصح لك أمين ؛ فخرج موسى عملا بنصيحة هذا (الرجل) ونجا . وكان ذلك موقفاً من المواقف الحميدة التى قام بها رجل من الرجال ! ...

وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين [٢] » .

فهذا رجل آخر أقبل من أقصى موضع فى المدينة ، وأبعد مكان فى البلد ـ وهى أنطاكية ـ وهذا الرجل هو حبيب بن إسرائيل المعروف بصاحب يس ، وكان قد آمن وأقام بغار يعبد الله فيه ، ولما سمع بتكذيب قومه لرسل الله ثارت فيه رجوليته ، فأقبل يسعى ويسرع إليهم حرصاً على هدايتهم ، ونصحهم خير نصيحة : « ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ، أأتخذ من دونه آلهة

---

(١) سورة القصص ، آية ٢٠ (٢) سورة يس ، آية ٢٠

إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ؟ إنى إذاً لفى ضلال مبين ، إنى آمنت بربكم فاسمعون [١] .

فماذا كان الجزاء ؟ وماذا كان ثواب هذا الرجل المقدام الذى حرص على مصلحة قومه ، وجهر بكلمة الحق ودعا إليها ونصر أهلها ؟ ... « قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين [٢] » .

وأنعم به من جزاء للرجل الكريم الرجولية ! ...

وجاء فى القرآن الكريم : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » [٣] ؟ .

كان هذا الرجل مؤمناً عظيما فى قومه وهم آل فرعون ، وكان يطوى قلبه على الإيمان ، فجاء يدافع عن موسى حين توجه إليه الأذى ، ويقول لقومه : أتريدون القضاء على رجل يريد مصلحتكم وخيركم ، ولا ذنب له ولاجريرة ، ولكنه يقول لكم : ربى الله ولا رب سواه ، وقد جاءكم على صدقه بالدلالات والمعجزات ، فما أضلكم وما أبعدكم عن الهدى ! .

فأنت ترى أن الذى ذكر بالحق قد وصف بوصف « الرجل » وأن هذا الرجل حينما تحدث عن موسى الرسول النبى وصفه أيضاً بأنه « رجل » فكأن الرجولية هنا تلقى حظها أيضاً من التعظيم والتكريم .

ويقول القرآن الكريم : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون » [٤] .

هذان الرجلان هما يوشع بن نون وكالب بن يفنة ، أو هما رجلان كانا من الجبابرة ، ثم أسلما وأنعم الله عليهما بالإيمان والثبات والجرأة فى الحق . ولما أمر الله موسى عليه السلام أن يدخل هو وقومه الأرض المقدسة الطاهرة (فلسطين) ، وحذرهم من

---

(١) سورة يس آية ٢٠ — ٢٥
[٢] سورة يس ، آية ٢٦ و ٢٧
[٣] سورة غافر آية ٢٨ .
[٤] سورة المائدة ، آية ٢٣ .

الارتداد والانقلاب بالخسران ، خافوا وجبنوا وقالوا : « إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ؛ فجاء هذان الرجلان المقدامان ونطقا بكلمة الحق والشجاعة « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » فقدما بذلك دليلا آخر على أن الرجل الأصيل الرجولية لا يتصرف إلا تصرف السادة الشرفاء !! .

وهذا موسى عليه السلام حينما أراد أن يذهب للقاء ربه اختار من قومه سبعين « رجلا » ، وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه ، فكان هذا تشريفاً أى تشريف لهؤلاء « الرجال » . يقول القرآن الكريم « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ... » [١] .

* * *

وفى سورة الأحزاب يقول الحق تبارك وتعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما » [٢] .

هناك طائفة من المؤمنين المخلصين ، هم رجال أى رجال ، استجابوا لله وللرسول . وتمسكوا بالطاعات ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصدقوا فى عهودهم ووعودهم مع ربهم ، وفيهم نزل هذا الحديث الإلهى الكريم .

قيل نزلت فى أنس بن النضر حين غاب عن بدر فشق ذلك عليه ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ؟! لئن أرانى الله تعالى مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع . وشهد أحداً فقال له سعد ابن معاذ : يا أبا عمرو ، أين ؟ قال : واها ، لريح الجنة أجدها دون أحد ؛ فقاتل حتى قتل ، بعد أن أصابه فوق الثمانين ضربة وطعنة ؛ فنزلت الآية فيه وفى أصحابه ، لأنهم رجال لم يخونوا أماناتهم ولا مواثيقهم مع ربهم ، بل صبروا وثبتوا . فمنهم من وفى بنذره ، ومات بعد جهاد واستشهاد ، وبعضهم يتوقع ويرقب يوماً يلقى فيه أعداء الله ، ليؤدى نذره ، ويفى بوعده ، ويموت فى سبيل ربه دون تغيير أو تبديل .

---

[١] سورة الأعراف ، آية ١٥٥ . [٢] سورة الأحزاب ، آية ٢٣ و ٢٤ .

وهؤلاء يجزيهم الله خير الجزاء بسبب صدقهم ووفائهم ، ويعذب المنافقين بنفاقهم ، أو يرحمهم بتوفيقهم للتوبة .

وهذا موقف حميد مشكور من مواقف « الرجال » الذين تجلت فيهم رجوليتهم ، فوقفوا مثلا علياً يعلمون الناس كيف تكون المكارم .

ويقول الله تعالى فى سورة التوبة : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين [1] » .

أراد طائفة من الذين لم يستقم إسلامهم على عهد رسول الله ﷺ أن ينافسوا مسجد قباء ، وهو أول مسجد فى الإسلام ، فتجمعوا وبنوا مسجداً سمى « مسجد الضرار » لأنهم لم يخلصوا فى بنائه ، بل خدموا به الكفر المطوى فى صدورهم ، وأرادوا به تفريق كلمة المسلمين ، فأمر الله نبيه بأن لا يقوم فيه أبداً ، وأن يهدمه ويحرقه .

ثم وصف الله مسجد قباء بأنه بنى من أساسه على تقوى الله وطاعته منذ إنشائه ، وهو الحقيق بأن يصلى فيه ، ولذا قال الرسول ﷺ : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » ثم وصف القرآن أهل قباء بأنهم « رجال » وأتبع هذا الوصف بأنهم طاهرون متطهرون ، وأن الله يرضى عنهم ويكرمهم ويعظم ثوابهم ، وهذا هو المراد بمحبة الله لهم .

فأنت ترى أيضاً أن كلمة « رجال » قد ذكرت محفوفة بصفات من صفات الخير والتقدير .

وجاء فى سورة النور قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » [2] .

هذا وصف لمن مَنّ الله عليهم بالهداية لنوره ، فهم يرفعون بيوت الله ، وهم يذكرون اسمه فيها بالتحميد والتقديس والتكبير ، وهم « رجال » لاصارف من زخرف الدنيا

---

[1] التوبة ، آية ١٠٨

(٢) النور ، آية ٣٦و٣٧و٣٨ .

يلويهم ، ولا عاطف من مغريات الحياة يثنيهم ، وهم الجديرون بالمساجد ، ولا يشغلهم البيع ولا التجارة عن الذكر أو الصلاة أو الزكاة ، ويخافون بطش ربهم خوفا شديداً ، فماذا يكون جزاء هؤلاء « الرجال » الذين تعطر الحديث بذكر رجوليتهم والثناء على مكانتهم ؟ . . هو ماقاله العزيز الحميد : « ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

* * *

وهناك آيات كريمة ذكرت أن الكافرين عجبوا لإرسال الله رسله من الرجال ، ثم بينت خطأهم فى ذلك العجب ، وأوضحت أن الله لو استجاب لتعنتهم ، بأن أرسل لهم ملكا لجعله رجلا . يقول القرآن : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون » [1] .

لقد طلب الكافرون أن يكون الرسول إليهم ملكا ، فرد الله عليهم ذلك بأنه لو استجاب لهم وأنزل عليهم ملكا لجعله رجلا ، لأنهم لا يستطيعون معاينة الملك على هيكله الأصلى ، ولم يقل القرآن « لجعلناه بشرا » بل قال « رجلا » ، وهذا تكريم للرجال وتخصيص لهم بالرسالة ، لأن الرسول لايكون امرأة ، ومقام الرسالة أعلى مقامات البشر .

وفى سورة الأعراف : « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون » [2] .

وصف الله نبيه هنا بأنه « رجل » جاء لينذر قومه ويحذرهم ، وليشرع لهم طريق التقوى وسبيل المرحمة ، وليقودهم إلى صراط الغفور الرحيم .

وفى سورة يونس : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس » [3] .
ينكر القرآن الكريم تعجب هؤلاء الكفار من إرسال الرسول رجلا ، ويبين خطأهم ، ويقرر أنه لامحل للعجب من إرسال الرسول رجلا ، مادام هذا « الرجل » قد سبق فى إحراز

---

(١) سورة الانعام ، آية ٩ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ٦٣ .
(٣) سورة يونس ، آية ٢

الفضائل وحيازة الملكات السنية ، وقد صنعه الله عليه واختاره لرسالته ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفى سورة النحل : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » [١] .

لقد أنكرت قريش أن يكون الرسل بشراً رجالا ، فرد الله عليهم ذلك الإنكار ، وأفهمهم أن الرسالات من قبل محمد صلوات الله عليه لم يحملها إلا رجال ، فلا بدع ولا غرابة أن يكون حامل الرسالة الأخيرة رجلا ...

وفى هذه الآيات إظهار لفضل الرجال وتنويه بشأنهم .

* * *

والقسم الثالث والأخير هو القسم الذى وردت فيه كلمة « الرجل » موصوفة بأوصاف سيئة ، ولكن هذه الأوصاف صادرة عن الكافرين الجاهلين الظالمين ، فسجلها الله عليهم ، مخطئا لهم فيها ، وكأنه يريد أن يقول : إنه لا يذم الرجل ذا الرجولية إلا الكافر الجاهل الظالم ...

يقول القرآن على لسان هؤلاء : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين [٢] » .

يتطاولون على نوح عليه السلام ، فيصفونه بالجنون والخبل ، ويتآمرون بالصبر عليه لعله يضيق ، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا .

ومثل هذا قوله تبارك وتعالى على لسان الكافرين : « إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين [٣] » .

---

[١] سورة النحل ، آية ٤٣ .

[٢] سورة المؤمنون ، آية ٢٥

[٣] سورة المؤمنون ، آية ٣٨ .

وفى سورة سبأ : « ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم [١] » .

وفى سورة الإسراء : « إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا [٢] » .

وفى سورة الفرقان : « وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً » [٣] .

لكأن القرآن الكريم أراد أن يحسن الدفاع عن « الرجل » وعن « الرجولية » فأورد مواطن ذمهما ومعها ما يفهمنا بأن ذلك الذم صادر عن مغرضين أو مجرمين ، فلا يليق بنا أن نقبله أو أن نخدع به ، ومن هنا يسلم للرجال رجوليتهم ! . . .

* * *

يا معشر الرجال . . .

هذا حديث القرآن الكريم عنكم ، وهذا ذكره لكم ، وتلك هى النفحات التى عطر بها الرجولية حينما تسلم وتصدق فيكم ؛ فأين أنتم من ذلك التكريم العظيم ؟ . . .

أين أنتم من تحقيق تلك « الرجولية » لأنفسكم ؟ وأين أنتم من إيجاد صفات « الرجل » فيكم ؟ وأين أنتم من ذلك المرتقى السامى الذى رفع القرآن إليه النماذج الكريمة من جنسكم الرجال ؟ . . . أين أنتم ؟ . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

حسن الاستماع

قال ابن المقفع : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام . ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضى حديثه ، وقلة التلفت ، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم ، والوعى لما يقول . واعلم ـ فيما تكلم به صاحبك ـ أنه مما يهجن صواب ما يأتى به ، ويذهب بطعمه وبهجته ، ويزرى به فى قبوله ، عجلتك بذلك ، وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضى إليك بذات نفسه .

[١] سورة سبأ ، آية ٤٣   [٢] سورة الاسراء ، آية ٤٧   [٣] سورة الفرقان ، آية ٨

عظمة محمـــــــد

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

بمناسبة ذكرى المولد النبوى الكريم

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا » .

سجل الله عظمة محمد فى كتابه الخالد ، الذى طبع نفسه الطاهرة ، بما جاء به من أدب جم ، وفضل كريم ، قال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فما من فضيلة يدعو إليها القرآن إلا وهى ممثلة فى ذاته الشريفة أقوى تمثيل ، يقرر ذلك قول السيدة عائشة الصديقة رضوان الله عليها : « كان خلقه القرآن » فكانت شخصيته عليه الصلاة والسلام أقوى شخصية جمعت مزايا الإنسانية الرفيعة ، وتمكنت فيها جميع الفضائل التى أرشد إليها الكتاب العزيز ونبهت إليها تعاليم السماء .

وإذا كانت عظمة الرجال تقاس بما طبعوا عليه من سمو النفس ، وما قدموا لأمتهم من عمل صالح ، وما أبقوا للأجيال بعدهم من أثر مجيد . فإن نواحى عظمة محمد ﷺ ، من يوم نشأته إلى يوم لقاء ربه ، ماثلة فى القرآن ، وفى نفوس أهل القرآن ، باقية فى الدنيا بقاء هذا الزمان .

إن نشأة محمد ﷺ عجيبة أشد العجب ، غريبة غاية الغرابة . فقد كانت هذه النشأة بين أمة متنافرة القلوب ، منحلة الروابط ، يأكل بعضها بعضا ، متحللة على الجملة من قوانين الأخلاق ، وقيود الشرائع ، لا تدين بنظام ، ولا تخضع لدستور ، جامدة على تقاليد متخلفة من ضلال قديم ، وأمية لم تهتد فيها بنور تام أو معرفة ، ومن حول هذه الأمة أمم طاغية عاتية ، يسوق طغاتها الرعية سوق الأنعام ، ويفرضون عليهم تقديسهم ورفعهم إلى مرتبة الألوهية القاهرة .

نشأ محمد بين هذه الأمة التى كان هذا حالها ، وقد كان أمياً لم يقرأ كتاباً ، ولم يتثقف

فى معهد ولا مدرسة ، فإن البيئة كلها كانت تخيم عليها ظلمات الجهل والغى ، وتطبق على ربوعها وآفاقها شدائد الظلم والبغى ، لكنه شق بهديه وتعاليمه حجب الظلمات ، وأزاح برشاده وبصيرته تلك الشدائد ، وفتح بطهارة أخلاقه ، وجميل خصاله ، وسمو دعوته ، أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وامتد نور هدايته إلى شاسع الأصقاع والبقاع ، فألف بين أمم متناحرة ، وقلوب متنافرة ، وربط بينها بسبب أقوى من لحمة القربى والنسب .

نور هداية محمد صلى الله عليه وسلم قد سرى فى العقول والقلوب ، فبدل الوثنى الذى يعبد ما يصنع على عماية وضلالة ، والدهرى الذى لا يعتقد للخليقة بداية ولا نهاية ، والمنحرف المعوج عن فطرة الأخلاق الواضحة المستقيمة ، فجعل من هؤلاء جميعا ، وهم يضربون فى تيه الضلالات ، ومهامه الأباطيل ، نفوسا صافية سليمة ، عرفت الحق ، وتذوقت اليقين ، وخضعت لدعوته وهديه ، سلس له قيادها ، ولان له جمادها ، وأصبحت قوة فى يديه بعد أن كانت قوة عليه ، وصارت أمة قوية ناهضة ، شعارها الحق ، وسبيلها العدل ، وغايتها السلام .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو روحه القوى ، وتعاليمه السمحة ، ونوره الهادى ، وصراطه المستقيم .

وبعد ـ فإن الإنسانية التى كرمها محمد بن عبد الله ، فرفع شأنها ، وأعلى مقامها ، وأوضح سبيل الخير والهداية فيها ، مدينة له بتمجيد اسمه ، وإعلاء كلمته ، وترسم طريقه ، ولا سيما فى هذه الآونة ، التى طغت فيها الأهواء والشهوات ، واستبدت بأصحابها الأطماع ورذائل النزعات ، وجرفت فيها المادية الفضائل النفسية والقيم الروحية .

وحق على من يحتفى بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، أن يجعل ذلك مبصرا لقلبه ، محركا لشعوره ، حافزا لهمته ، مجددا عهده بسنة رسوله ، ليقتبس من نوره ، ويسير على ما دعا إليه من الخير والهدى والسلام « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ؟

من إلهام ذكرى المولد

رتل الشعر يا أخى ترتيلا　　واشف لى من صفات طه غليلا
وانظم الدر من بيانك عقدا　　إن مدح الرسول أقوم قيلا
وترنم بذكر آدابه لى　　تشف قلبا بحبها متبولا
فبترديدها اسقه يا أخى من　　قدح المجد والعلا سلسبيلا
هذه غادة الفضيلة تسدى　　للورى من خلاله إنجيلا
ليروا من شعاعه لربا العز　　ة والخلد والجلال سبيلا
بمديح الرسول تزهى دمى الشعـ　　ـر وتأبى إلا القلوب نزولا
كيف لا تفخر القوافى ولا تأ　　سر منا عواطفا وعقولا
حين تبدو مثل العرائس من آ　　داب خير الورى تجر الذيولا
فتنى عن شمس أزاح بها الرحـ　　ـمن للجهل والضلال سدولا
وارت الأرض قرصها وسناها　　لم يزل يغمر الربا والسهولا

* * *

بك يا سيد الوجود وأزكى السنا　　منك جنساً ومحتداً وقبيلا
هام قلبي حباً وشوقا فأمسى الـ　　ـجسم منى يحكى يراعا نحيلا
من سجاياك تيمتنى العلا طفـ　　ـلا فلم أرض بالكمال بديلا
جلت بالقول والفعال وبالرو　　ح رياض الكمال عرضاً وطولا
وأقمت الضمير يرزق فيها　　قمراً يانعـاً وظلا ظليلا
غادة المجد عانقتنى فأحييت　　بشذاها منى فؤاداً عليلا
فتعللت من جمال محيا　　ها وبادلت ثغرها التقبيلا
لذت بالشعر من هواها فغنيـ　　ـت مع الطير بكرة وأصيلا
وتعلقت بالجمال عسى فى الـ　　ـحسن أن أجلب العزاء الجميلا
وأرى الحسن والسرائر أشبا　　حاً ولوحاً من الزجاج صقيلا

تتراءى القلوب فى ذلك اللو ح ضروبا عديدة وشكولا
يتراءى قلب غزالا وقلب يتراءى بذلك اللوح فيلا

* * *

وتناجى منى الحجا لك آيا ت أرى الشمس دونها قنديلا
فى سماء الهدى لها شمس فضل رد طرف الثناء منها كليلا
يبهر العقل من سناها جلال يملأ القلب هيبة وذهولا
فأرى الكون صار بما من التفـ ـكير تجرى به النهى أسطولا
من وجومى أرى يراعى قد جـ ـف وكفى أبت به أن تسيلا
وأرى الطرس قد غدا من خشوع الـ ـقلب والعقل بالدموع غسيلا

* * *

يا جلالا أرى الحجا بمصلا ه يوالى الدعاء والتهليلا
وأرى القلب كالولى لدى محـ ـرابه خاشعاً يطيل المثولا
لا ينى فى صلاته وجل القلـ ـب يوالى الركوع والترتيلا
وعلى وجنتيه تجرى دموع الـ ـحب والخوف والخشوع سيولا
فى حياة الرسول أرواحنا تشـ ـتاق أن تستريح أو أن تجولا
سر بها عن ضفاف سيرته تسـ ـتنشق الحق من صباها عليلا
حولها للكمال تبصر زهراً بنـدى المجد والخلود بليلا
يذبل الزهر وهو غض كما فتـ ـح لم يبد للزمان ذبولا
ثم ذرها حيالها ترتشف صهـ ـباء لذاتها التى لن تحولا
فيها قف بيوم مولده وابـ ـسط عن آياته لها التفصيلا
مولد جل بالجمال وبالنو ر وبالبشر مفعما مشمولا
حل فيه الهدى يردد أنغا ما وحل الكمال منه رسيلا
فغدا الكون منهما كنبى يتلقى من ربه التنزيلا
وبها قف بيوم بعثته وانـ ـصب من النور حولها إكليلا

بعثة يجل الإله بها للـ ـحق آيات نصره تسجيلا
من سناها للـكفر جرد عضبا بيد الحق والهـدى مسلولا
وبنى للإسلام عرشاً على أر واح أزكى عباده محمولا
بحراء قف برهة ولها اشرح سر ما شاهدته شرحا طويلا
جبل إن تفاخر الشم بالطو ل فقد حاز دونها التفضيلا
إذ به أرسل الإله إلى خـ ـير البرايا أمينه جبريلا
وحبا فيه سيد الكون مالم يحب قبلا كليمه والخليلا
ثم عرج بها على معهد الإيـ ـمان تنعش إلى الجهاد ميولا
منزل طالما به نزل الرو ح إلى سيد الوجود رسولا
يمنح المصطفى بل الإنس والجن من الله نعمة لن تزولا
فيه للحق والهدى تبصر الأر واح شمساً وللكمال خميلا
وترى للثبات شما ترى من دونها الراسيات رملا مهيلا

* * *

أيها المسلمون إن رسول اللـ ـه منا يشكو الونى والخمولا
وعلى منبر الخلود ينادى أمتى حطمى عليك الغلولا
كنت لم تسع أمة فى مجال الـ ـمجد شبراً إلا تقدمت ميلا
لربا العز كنت تسعين عدوا بينما الغير كان يسعى ذميلا
كنت فى قبة المعارف شمسا بينما الغير كان نجما ضئيلا
كيف أمسى منك التقدم إحجا ما وأضحى منك الصداح هديلا ؟
وغدا فى شعوبك الدين غضبا ن وأمسى اللسان فيهم دخيلا
لم يا أمتى جنحت إلى الرا حة والحظ لا يواتى الكسولا ؟
أجد الله لا يغير ما بالـ ـقوم حتى يحاولوا التحويلا
كيف يرجو الوصول يا قوم من لم ينو سعيا ولم يحاول رحيلا
سنة الله فى البرايا ولم تلـ ـقوا لما سن ربنا تبديلا

بسكرة (الجزائر) أبو بكر مصطفى بن رحمون

مولد رسالة :

موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية

في مثل هذا الشهر من العام الماضي ، وفي هذه المجلة الغراء ، كتبت مقالا من سلسلة مقالاتي تحت هذا العنوان ، وقلت في ختامه : إنه لا تزال في هذا الباب فصول لم تتم ، ووعدت القراء الأفاضل بالكتابة عند المناسبة . وها نحن في شهر ربيع الأول - شهر الذكريات العاطرة ، والأحداث الجليلة - ففيه ولد النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وفيه بعث ، وفيه تمت هجرته ، وفيه جاور الرفيق الأعلى ، فهو أحق الشهور بالتحدث فيه عن جوانب العظمة المحمدية ، وهأنذا أفي بوعدي وأكتب فصلا آخر في باب (السياسة المحمدية الرشيدة) فأقول ، ومن الله التوفيق والسداد :

لما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام إلى المدينة ، وأذن الله لهم في القتال أراد النبي ﷺ أن يضعف قوة المشركين المادية حتى يكون ذلك أدعى لخذلانهم في ميدان الحرب ، إذ الحرب لاشك واقعة بينه وبينهم ، وقد وجد النبي ﷺ الفرصة مواتية : ذلك أن قريشاً كانت تذهب بتجارتها إلى الشام لتبيع وتشتري ، وكانوا يخرجون في قوافل تعرف باسم « العير » يحرسها أشراف القوم وسراتهم ، وكان لا بد كي يصلوا إلى الشام أن يمروا بدار الهجرة ، فرأى الرسول ﷺ أن يقطع عليهم طريق تجارتهم ويصادرها ، ليكون ذلك إضعافا لهم وتقوية للمسلمين الذين خرجوا فارين بدينهم تاركين الدار والأهل والمال ، فصار يرسل السرايا والبعوث بقيادة بعض أصحابه ، وأحيانا كان يخرج بنفسه ، فنالوا من أعدائهم وغنموا منهم بعض الغنائم .

وقد أثمرت هذه السياسة الرشيدة ثمرتها ، فأقضت مضاجع المشركين ، وألبت عليهم بعض القبائل التي كانوا يمرون بها ، واكتسب النبي ﷺ أنصارا وأعوانا ، وصار للمسلمين رهبة وسلطان بقدر ما نقص من هيبة قريش وحرمتها الموروثة من قديم الزمان .

ولم يكن ما فعله رسول الله ﷺ جورا وظلما في قانون الحرب والسياسة ، فقد

كانت الحرب الاقتصادية - ولا تزال - من الأساليب المشروعة بين المتحاربين، يلجأ إليها العدو لكي يضعف عدوه. وإذا كان الحصار الاقتصادى مشروعا فى الحروب التى يقصد من ورائها بسط النفوذ وتوسيع الرقعة واغتصاب حريات الشعوب - كما هو الحال اليوم - فأحر به أن يكون أشد مشروعية إذا كانت الحرب يقصد بها حماية العقيدة والدفاع عن الدعوة - دعوة الحق والخير والحرية - من طغيان المتجبرين المستكبرين فى الأرض، ونشر لواء الأمان، وغرس أصول الفضائل فى نفوس البشر، كما هو الشأن فى حروب الإسلام، وبحسب هذه السرايا والمناوشات عدلا وحكما أنها اقتصاص لما نال المسلمين من ظلم واغتصاب للحقوق والأموال، ولما ينال المستضعفين فى مكة من عنت وإيذاء.

وشىء آخر نلمسه بوضوح وجلاء فى سياسة النبي ﷺ فى حروبه وغزواته، ذلكم هو مبدأ «الشورى» وأخذه برأى الرجل من أصحابه متى لاح له أنه الحق والصواب، وهى سمة من سمات القائد العبقرى والسياسى المحنك. ففى غزوة بدر الكبرى لما أشار عليه الحباب بن المنذر بأن يغير منزل الجيش وأن ينزل منزلا آخر يكون أشد نكاية بالأعداء استصوب رأيه وقال له: أشرت بالرأى، وفعل ما أشار به عليه.

وفيها أيضاً أشار سعد بن معاذ أن يبنوا له عريشاً يكون فيه ومعه الركائب، فإن انتصروا فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى ركب الركائب ولحق بمن تخلفوا، ليجدد بهم قوة الإسلام، فقد تخلف أقوام لم يكونوا أقل إيمانا وحبا للنبي ﷺ ممن خرجوا. ولو علموا أن النبي ﷺ سيحارب ما تخلفوا أبدا، فأثنى عليه الرسول ودعا له بخير، وعمل بمقتضى رأى سعد بن معاذ، وأمر ببناء العريش.

وإذا علمنا أن بعض القادة الذين اكتسبوا شهرة فائقة خسروا الحروب بسبب الاستبداد بالرأى، وعدم الإصاخة لرأى الغير وإن كان صوابا — أدركنا مبلغ السمو النبوى والحكمة الفائقة فى باب الحرب والسياسة، فلا عجب أن كان النصر حليفه فى كل الغزوات التى ائتمروا فيها بأمره ولم يخالفوا مشورته.

وفى غزوة أحد يظهر بعد نظر النبي ﷺ وموهبته الحربية بأجلى معانيها، ذلك أنه لما اصطف الجيشان وتهيئا للقتال كان ظهر جيش المسلمين قبل الجبل، فوجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن الجيش قد يؤخذ من وراء ظهره، وأن هذه الثغرة لا بد من

سدها ، فاستحضر خمسين رامياً مجيداً ؛ وعلى رأسهم عبد الله بن جبير الأنصارى ، وأوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل ليحموا ظهره ، وقال لهم : « لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا » وقد ظهر أثر هذه الوصاة الحكيمة فى نتيجة المعركة ، فما أن ترك الرماة أماكنهم وخلا ظهر الجبل إلا من رئيسهم ومن ثبت معه حتى جاءت خيل المشركين فقتلت من بقى ، وأخذت المسلمين من ظهورهم وهم مشتغلون بدنياهم ، فتفرق شملهم ، وشاعت الهزيمة فى صفوفهم . ولو ثبت الرماة جميعهم كما أوصاهم السيد الحكيم لما كان ما كان من هزيمة أحد .

وقد تكشفت أحد عن قتلى وجرحى أصيبوا فى سبيل الله ، وقد كان رسول الله ﷺ على حذر من أن يميل المشركون إلى المدينة ، وعزم على لقائهم ومناجزتهم ، ولم يطمئن إلا لما علم أن المشركين جنبوا الخيل وركبوا الإبل ، ومع هذا ومع مانال النبى ﷺ والمسلمين من قروح وجراح أراد أن يرى المشركين ومن على شاكلتهم من يهود المدينة ومنافقيها أن المسلمين لاتزال بهم قوة ، فندب أصحابه للخروج خلف العدو وقال : لايخرج إلا من كان معنا بالأمس .

فاستجابوا لله ولرسوله من بعد ما أصابهم القرح ، وساروا مع الرسول ﷺ حتى بلغوا حمراء الأسد ، وقد كان ماظنه رسول الله حقا ، فإن المشركين لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم ، وتلاوموا على ترك مهاجمة المدينة حتى هموا بالرجوع ، ولكن ترامت إليهم الأنباء بأن رسول الله ﷺ فى أثرهم ، وأنه خرج فى جمع لم يُر مثله قط ، فعلموا أن المسلمين لاتزال بهم قوة ، وامتلأت قلوبهم رعبا ، وساروا مسرعين إلى مكة .

وبهذه السياسة الرشيدة فوت رسول الله ﷺ على المشركين فرصة أرادوا أن يهتبلوها ، وبين للناس قاطبة أن سلطان الله لايزال مرهوباً فى الأرض .

وفى غزوة الأحزاب تكالبت عوامل الشر على المسلمين ، وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وقرر يهود المدينة ـ بنو قريظة ـ أن ينقضوا ما بينهم وبين المسلمين من عهود ، وينحازوا لقريش وأعوانها ، وهنالك اشتد الهول بالمسلمين وبلغت القلوب الحناجر وظن البعض بالله الظنونا ، وقال المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : « ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا » . وقد بدت طلائع الفرج للمسلمين لما جاء نعيم بن مسعود الأشجعى مسلما ـ وكان صديقا لقريش واليهود ـ فقال : يارسول الله إنى قد أسلمت وقومى لايعلمون

بإسلامى ، فمرنى بأمرك حتى أساعدك . وقد تأمل السيد الحكيم فوجد أن واحدا لايغنى بقوته أمام هذه الجحافل ، ولكن قد يغنى برأيه ودهائه ، فقال له : « أنت رجل واحد ، وماذا عسى أن تفعل ؟ ولكن خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة » .

وقد كان نعيم عند حسن ظن النبي صلى الله عليه وسلم به ، فقد خرج من عنده وتوجه إلى بنى قريظة ، فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم ، فقال لهم : تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم ، وإنى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى ؛ قالوا نعم . فقال : لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع والنضير من إجلائهم عن ديارهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإلا انصرفوا لبلادهم . وأما أنتم فتساكنون الرجل — يريد رسول الله — ولا طاقة لكم بحربه ، فأرى أن لا تدخلوا الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم ، بأن تأخذوا منهم رهائن : سبعين شريفا منهم . فاستحسنوا رأيه وعزموا على أن يفعلوا ؛ ثم قام من عندهم وتوجه إلى قريش ، فاجتمع برؤسائهم فقال : أنتم تعرفون ودى لكم ومحبتى إياكم ، وإنى محدثكم حديثا فاكتموه عنى ، قالوا نفعل . فقال لهم : إن بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا مع محمد ، وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه ، فقالوا لمحمد : أيرضيك أن نأخذ جمعا من أشرافهم ونعطيهم لك وترد علينا جناحنا الذى كسرت — يريدون بنى النضير — فرضى بذلك . وها هم مرسلون إليكم ، فاحذروهم . وأوصاهم أن لا يذكروا مما قال حرفاً . ثم ذهب إلى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشا . فأرسل أبو سفيان وفداً لبنى قريظة يدعوهم للقتال ، فأجابوا : لا يمكننا أن نقاتل فى السبت ، ومع هذا فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم . فتحققت قريش وغطفان مقالة نعيم ، فوجلت القلوب ، وخاف بعضهم بعضا وأرسل الله على الأحزاب بعض جنده ريحا باردا عاصفة فى ليلة مظلمة كفأت القدور وقلعت الخيام وأطفأت النيران ، فخافوا أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم فى هذه الليلة الليلاء ، فتنادوا بالرحيل . وما أن أصبح الصباح حتى كانوا قد ارتحلوا وقد ملأ الرعب والخوف قلوبهم . ولئن كان الله سبحانه وتعالى أزال عن المسلمين الكرب والغمة بسبب ماقام به نعيم بن مسعود الأشجعى من سياسة التخذيل ، فالفضل فى هذا للرسول ﷺ الذى رسم له الخطة ، ووجه هذا التوجيه الحكيم الذى يدل على جودة الرأى وحسن التدبير والقدرة الفائقة على الخروج من المآزق الحرجة ؟

محمد محمد أبو شهبة

لغويات

فَهَمَ ، يَفْهُمُ

هذه مسألة صرفية أوردتها فى « لغويات » لأنها بسبيل قريب من اللغة . والمسألة أن كتب الصرف فى عصرنا لهجت فى الكلام على باب « فعُل يفعُل » بتقرير أنه يصح أن يحول إليه ما ليس منه إذا أريد الدلالة على الغريزة والسجية .

ويقول صاحب شذا العرف فى هذا الضرب : « ولك أن تحول كل فعل ثلاثى إلى هذا الباب للدلالة على أن معناه صار كالغريزة فى صاحبه » . ومقتضى هذا القول أنه سائغ لك أن تعمد إلى كل فعل ليس على فعُل ، فتحوله إليه عند قصد الدلالة على الغريزة . فتقول : كسُل يكسُل ، ونهم ينهم ، وكتب يكتب ، إذا صارت هذه الأحداث غرائز للفاعلين . وما عهدنا معنى يقضى بباب خاص من أبواب الفعل الثلاثى سوى معنى المغالبة ، ومعنى وقوع الفعل وقصوره فى المضعف . فأما باب المغالبة فيقضى أن يكون الفعل على فعَل يفعُل . تقول : كارمنى فكرمته أكرُمه ، أى فاخرنى بالكرم فغلبته ، والمضعف الثلاثى إذا كان واقعا وكان الماضى على فعَل كان مضارعه بضم العين ، وإذا كان قاصراً كان بكسرها ، تقول : عزه يعُزه ، أى غلبه ، وتقول : عز يعِز أى كان عزيزا .

وهناك معنى يجيز التحويل إلى فعُل غير ما ذكر ، وهو أن يراد التعجب ، والفعل فى هذه الحالة جامد يلزم صيغة المضى ، ولا يأتى منه مضارع . تقول : عقل الرجل محمد أى ما أعقله . والفعل إذا أريد منه هذا وحول إلى فعل التحق بنعم وبئس . فالتحويل هنا مطرد منقاس ، وإن ذكر بعض النحاة أن هذا لا يأتى فى سمع وجهل وسمع ، فهى تبقى على أصلها من كسر العين إذا أريد التعجب . ويقول أبو حيان فى الارتشاف : « ويلحق بنعم وبئس فى الأحكام فعُل موضوعا ؛ كلؤم وظرف ، ومحولا من فعَل وفعِل إلى فعُل ؛ نحو عقل الرجل ونجس .

ونصّ النحاة على أن العرب شذت فى ثلاثة أفعال فلم تحولها واستعملتها استعمال نعم وبئس ، وهى علم وجهل وسمع . فتقول : علم الرجل زيد ، وجهل الرجل بكر ، وسمع الرجل خالد ، إذا أرادوا المبالغة فى علمه وجهله وسمعه . كذا قال الكسائى : إنه يجوز أن يبنى على فعُل إلا فى هذه الأفعال الثلاثة ، ومن النحويين من أجاز فيها سمع وعلم وجهل بضم عين الكلمة » .

ولا يقولن قائل : إن هذا المعنى هو ما أراده صاحب شذا العرف - عليه رحمة الله - فقد أورده عقب المعنى السابق المتعلق بالغريزة فقال : « وربما استعملت أفعال هذا الباب للتعجب فتنسلخ عن الحدث » .

وقد يسأل سائل : من أين جاء الأستاذ الحملاوى بهذه المسألة ، وعلام اعتمد ؟ .

والجواب أنه لما رأى أن باب فعُل يفعل للغرائز وما جرى مجراها خال أن هذا أمر مطرد فيها ، وفاته أن صيغ الأفعال الأمر فيها إلى السماع ، إلا فى أحوال استثناها الصرفيون ، وليس هذا منها . وكأنه اغتره قول صاحب التصريح . فقد قال ابن هشام فى التوضيح : « وكل فعل ثلاثى صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على فعل بضم العين إما بالأصالة ، كظرف وشرف ، أو بالتحويل ، كضرب وفهم » . فقال الشيخ خالد : « وإنما حولت لتلتحق بالغرائز ولتصير قاصرة كنعم » . ولا يريد الشيخ خالد أن كل ما أريد منه الغريزة يصح فيه التحويل إلى فعل .

وخلاصة هذا البحث أن التحويل إلى فعل يفعل بالضم لقصد الغريزة لم يقل به أحد فيما علمت ووقفت عليه قبل الأستاذ الحملاوى - عليه رحمة الله ورضوانه - وينبغى لمن يكتب فى الصرف من المصريين ألا يتابعوه فى هذا حتى يقفوا على سند صحيح .

* * *

أعتذر عن حضورى اليوم لأمر يعوقنى

يقول القائل : أعتذر عن حضورى إليك فى هذا الوقت غير المناسب ، وأخشى أن أزعجك . وهذا تأليف سائغ واضح المحجة . ويقول الآخر : أعتذر عن حضورى اليوم لأمر يعوقنى . وقد يكتب بهذا العامل فى الديوان إلى رئيسه ، وهو إنما يريد الاعتذار من عدم الحضور ؛ كما هو بين واضح .

وقد أنكر بعض الباحثين التأليف الأخير لمجافاة ظاهر المراد منه ، وأوجب أن يقال : أعتذر عن عدم الحضور .

وقد بدالى أن التركيب له وجه ينفى عنه الخطأ ويسلكه فيما صح وساغ مذاقه . إذكل ما فيه حذف المضاف ، وهو « عدم » ، وحذف المضاف شائع سائغ فى العربية ، ويقول فيه ابن جنى فى الخصائص « باب فى أن المجاز إذا كثر لحق الحقيقة » : إنه « قد كثر حتى إن فى القرآن - وهو أفصح الكلام - منه أكثر من مائة موضع ، بل ثلاثمائة موضع ، وفى الشعر منه مالا أحصيه » . وقد جعل ابن جنى الحذف للمضاف لما ذكر مطرداً مقيسا ، وسوغ للناس أن يلجوه ، وخالف فى هذا أبا الحسن الأخفش الذى لا يرى القياس فيه . والأمر بعد يحتاج إلى قرينة على المراد تنبىء بالمحذوف . وقد أجاز ابن جنى أن تقول : ضربت زيدا إذا أردت أنك ضربت غلامه أو حميمه إذا فهم عنك هذا المعنى ، وهو فى هذا يقول فى الموضع السابق : « فإن قيل : يجىء من هذا أن تقول : ضربت زيداً وإنما ضربت غلامه أو ولده ، قيل : هذا الذى شنعت به بعينه جائز ؛ ألا تراك تقول : إنما ضربت زيداً بضربك غلامه ، وأهنته بإهانتك ولده . وهذا باب إنما يصلحه ويفسده المعرفة به . فإن فهم عنك فى قولك : ضربت زيداً أنك إنما أردت بذلك ضرب غلامه أو نحو ذلك جاز ، وإن لم يفهم عنك لم يجز » .

وأورد ابن يعيش فى شرح المفصل ٢٤/٣ من الشواهد على حذف المضاف قول الشاعر :

المال يزرى بأقوام ذوى حسب   وقد يسوّد غيرَ السيد المال

وقال : « أى فقد المال يزرى » فتراه قدر المضاف المحذوف « فقد » ، وهو كالمثال الذى هو موضوع البحث ، فإن المحذوف فيه « عدم » ، وهو كالفقد لامحالة . فإذا جاز حذف « فقد » ، للقرينة ، كذلك يجوز حذف « عدم » للقرينة وثقة بفهم المراد .

ويبدو أن البيت الذى استشهد به ابن يعيش تبع فيه رواية وقف عليها وصحت له . وقد ورد البيت فى اللسان (طبخ) فى شعر لحيّة بن خلف الطائىّ . والرواية فيه للشطر الأول :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب .

وعلى هذه الرواية لا شاهد فى البيت لحذف المضاف . ولكن ابن يعيش ثقة ، والظن به صحة الرواية التى أوردها ، وفيها الحجة لتصحيح ما نحن فيه .

وخطر لى أن أخرّج المثال على تضمين الاعتذار معنى التخلّف ؛ لأن الاعتذار ينشأ عنه ويترتب عليه . وفى هذا الغنى عن تقدير محذوف . وعرض لى أن المعروف فى التضمين أن يختلف الفعلان فى التعدية . ألا ترى إلى قوله تعالى فى الآية ١٠٠ من سورة يوسف : « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن » . فقد عدّى أحسن بالباء لما ضمنت معنى لطف ، ولولا هذا لعدى بإلى . والفعلان هنا — وهما أعتذر وأتخلف — تعديتهما واحدة . وقد يقال : إن اختلاف التعدية يحتاج إليه ليكون قرينة على التضمين ؛ فإذا كانت القرينة من غير هذا الوجه جاز التضمين . والقرينة فى المثال تسليط الاعتذار على الحضور ، وإنما يتسلط عليه التخلف . وقد جاء قوله تعالى فى الآية ٢٥٩ من سورة البقرة : « فأماته الله مائة عام » فكان ظاهرها واجب التأويل لأن الإماتة أى إزهاق الروح لا تكون فى هذه المدة ، فقال البيضاوى : « فألبثه ميتاً مائة عام ، أو أماته فلبث ميتاً مائة عام » وقال الآلوسى: « ولا بد من اعتبار هذا التضمين لأن الإماتة بمعنى إخراج الروح وسلب الحياة لا تمتد » وقد أورد الآية فى أمثلة التضمين الشيخ يس فى حاشيته على التصريح فى أوائل مبحث حروف الجر . والفعلان ألبث وأمات تعديتهما واحدة . وهذا يشهد لما رأيته .

* * *

البـــــــــدلة

تطلق البَدلة فى لسان العامة على الحلة ، وهو استعمال قديم ، ففى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ١ / ٨٠ فى ترجمة المغنية اتفاق — وكانت قد فاقت فى ضرب العود ، وبلغت فيه الغاية — أنها أحيط بها فى ولاية المظفر حاجى ، فوجد لها أربعون بدلة مكللة بالجواهر واللآلىء .

وعند اللغويين أن البدلة فى هذا المعنى مصحفة عن « البذلة » بكسر الباء وبالذال المعجمة . ففى تصحيح التصحيف للصفدى : « ويقولون : لبست بدلة من ثيابى ، والصواب : بذلة ، بالذال المعجمة وكسر الباء » . وقد غير العامة مع التصحيف معنى الكلمة وأحالوها عن وضعها ؛ فالبذلة : الثوب الخلق ، واستعملوا البدلة فى النفيس الجديد من الثياب . وفى ذلك

يقول صاحب التاج : « وقول العامة : البدلة ـ بالفتح وإهمال الدال ـ للثياب الجدد خطأ من وجوه ثلاثة . والصواب كسر الباء الموحدة وإعجام الذال ، وأنه اسم للثياب الخلق »

وقد بدالى أن البدلة من البدل ، إذ إن الثوب على أن يبدل ويلبس غيره . ويقول القائل : أريد أن أغير ثيابى إذا أراد أن يلبس غير ما هى عليه ، فالبدلة فى الأصل : المرة من البدل ، وأطلق على المبدول .

فإن قال قائل : إن الثلاثى لم يرد من هذه المادة حتى يصاغ منه اسم المرة « البدلة » ، فالجواب أن أبا عبيد قال : هذا باب المبدول من الحروف والمحول ، وهذا يدل على ورود الثلاثى ، فقد كان أبو عبيد إماما فى اللغة متوقيا الخطأ واللحن . وقال أبو حاتم : سمى البدال بدالا لأنه يبدل بيعا ببيع ، فيبيع اليوم شيئا ، وغدا شيئا آخر ، وقد قال صاحب اللسان عقب إيراد ما ذكر : « وهذا يدل على أن بدلت ـ بالتخفيف ـ جائز ، وأنه متعد » .

محمد على النجار

لماذا أسلم عبدالله براون ؟

حدثنا فقيد الدعوة الإسلامية فى أوربا السيد محمود سالم العرفاتى رحمه الله أن السيد عبد الله براون ذكر عن سبب دخوله فى الإسلام أنه كان يقوم برحلة بين قرى الهند فأدركه العطش واضطر إلى طلب جرعة ماء من أحد القرويين الهنود ، فلما رأى الفلاح الهندى أن رجلا من الإنجليز ـ أصحاب القوة والسلطان ـ يريد أن يشرب قدم له الإناء فشرب ، وبعد أن ابتعد مستر براون غير قليل سمع الرجل الهندى يلقى بالإناء على الأرض يحطمه . ثم أدركه العطش فى يوم آخر ، فسأل أحد القرويين الهنود أن يسقيه ؛ فسقاه . ولكن هذا القروى لم يكسر الإناء هذه المرة . فسأل مستر براون الدليل عن سبب هذا الاختلاف بين القروى الأول والقروى الثانى ، فأجابه : أن القروى الأول من الوثنيين ، وأما الثانى فمسلم . قال مستر براون : فحملنى ذلك على أن أدرس الإسلام إلى أن عرفت أنه دين الإنسانية الذى ينشده العقلاء ولم يعرفوه بعد .

خطاب تحية ونصيحة أبوية

من شيخ الأزهر إلى أبنائه الطلاب

أبنائى طلاب كليات الأزهر ومعاهده :

أحييكم - فى مفتتح العام الدراسى الجديد - تحية أب رءوف بكم ، عطوف عليكم ، حريص على صوالحكم ، يود أن يجمع الخير كله بين يديكم ، ويتمنى أن يملأ بالعزة والكرامة حاضركم ومستقبلكم ، وهو يرجو أن تكونوا قد وفقتم ، فى أيام إجازتكم الصيفية ، للقيام بما يجب عليكم نحو أنفسكم وأهليكم ، وأن تكونوا قد قضيتم أيام الراحة هذه ، فى استجمام نافع ، ومرح برىء ، تستعيدون بهما قوة لعامكم الجديد ، وتجددون بهما نشاطا لما تستقبلون فيه من درس وبحث ، وأن تكونوا قد وفقتم أيضا ، للقيام بما يرتجيه منكم مواطنوكم من أهل البلاد ، بتعرف أحوالهم ، والنصح لهم وإرشادهم ، بما تزودتم به من تعاليم الشريعة ، مع بذل المعونة لهم ، فى حل مشاكلهم ، وفض منازعاتهم ، والعمل على إتمام المصالحات بينهم ، باللين والمودة والحسنى ، كما يحبه الدين الإسلامى الحنيف ، وينصح به ويهدى إليه .

وإنى أنصح لكم بأحسن ما أعرف فيه نفعكم وصلاحكم واستقامة أموركم ، مما هو خير عون لكم ، على أن تتموا مرحلة التعلم والتثقف بنجاح مطرد ، وفوز متتابع ، لتخرجوا إلى ميدان الحياة العاملة ، رجالا كاملى الأهبة ، موفورى العدة ، من العلم والمعرفة ، فتتولوا توجيه الشعب فى الحياة وجهات سديدة ، وتعدوا أبناء المستقبل إعدادا رشيدا ، يبنون فيه على ماتؤسسون لهم من قواعد رصينة ، ودعائم مكينة .

أنصح لكم فى مستهل العام السعيد ، أن تجمعوا أمركم ، وتسددوا عزمكم ، على الدرس والبحث ، وتفهم قواعد العلم ومسائله والتعمق فيها ، لتدركوا فقهها وتقفوا على أسرارها . واحذروا أن يكون كل همكم حفظ صور المسائل ، واستظهار أحكامها ، من غير أن تلقوا بالا لحكمها وأسرارها ، ولا سيما ما يرجع من ذلك إلى قواعد الشريعة والدين ،

فإن حفظ صور المسائل مجردة عن اللب والروح ، ومعزولة عن التفقه وتعرف الحكمة ، من أصعب الأمور وأشقها على النفس ، وهو شيء يحتاج الطالب فيه - مع طول الكد والعناء المضنى - إلى زمن لايحتاج فى أغلب الأمر إلى أكثر منه ، إذا هو قصد إلى حفظ المعانى جيدة قويمة ، فيستطيع - متى انطبعت هذه المعانى فى نفسه ، وتشبعت بها روحه - أن يعبر عنها بعبارات متنوعة ، لا يتقيد فيها بالصيغ والألفاظ ، التى يتقيد بها من همه حفظ الصيغ والعبارات ، على وفق ما فى الكتب والمذكرات .

وإذا كان بعض الطلاب ، ممن لم يخبروا الأمور الخبرة الكاملة ، يتعللون - فى اهتمامهم بحفظ صور الأشياء من غير تفهم ولا تعمق فى البحث — بأن نظام الامتحانات هو الذى يريدهم على الحفظ والاستظهار ، بدون وعى ولا دراية معنى ، ومن غير ربط بين الأحكام ، ولا مقارنة بين المسائل ، ولا عناية بالتطبيق ، إلى غير ذلك مما شأنه تثبيت المعانى فى النفس ، وتمكين الملكات العلمية الصحيحة فيها — إذا كان بعض الطلاب يتعللون بذلك ، فإن التجارب التى لا يشك فى صحتها عاقل بصير ، تثبت أن الاستظهار غير الواعى ، لا يبقى منه لصاحبه بعد مضى زمن قصير شيء من المعارف لا قليل ولا كثير ، ولا يجدى عليه حتى فى الامتحان ما يجدى حفظ المعانى والتفقه بالحكم وأسرار الأحكام . وأخيراً يخرج إلى الحياة العاملة التى تتطلب الجهود والكفاح ، ضعيفاً يتعثر ، ليس له من الفكر الراشد ، والمعرفة الناضجة . ما يقوى به على القيام بواجب العلماء المثقفين .

أبنائى : هذه نصيحتى ، أسديها إليكم خالصة طيبة ، وأحب أن تتبصروا بها جميعاً ، وأن تتزودوا بها جميعا ، سواء منكم من فاز بالنجاح فى امتحان السنة الماضية ، ومن قدر له الرسوب فيه . أما من نجح فإنه يزداد بمراعاتها قوة ، ويضيف بها فوزاً إلى فوز . وأما من رسب فإنه يكسب منها درساً نافعا ، يحفزه إلى الجد ، واطراح أسباب الفشل ، ويدفعه على أن يأخذ نفسه من أول يوم من أيام العمل ، بالحزم والمثابرة ، والقصد إلى التقوى والتمكن من دروس الإعادة ، فإن ذلك يعوض له فى مستقبل دراسته ، ما قد يظن أنه ضاع عليه فى سنة الرسوب . يجب إذاً على من رسب فى سنة أن يبذل كل جهوده ليكسب قوة فى الإعادة ، يستطيع بها أن يسير فى الدراسات المستقبلة ، بنشاط ونهوض ، وتقدم من غير توقف . وقد يكون

خيراً له ذلك الرسوب وأعظم نفعاً ، من أن ينتقل من مرحلة إلى أخرى ضعيفاً هزيلا ، فإن هذا ليس هو الفوز المرجو ، وليس هو فى الحقيقة النجاح المطلوب .

أبنائى الطلبة : ليكن رائدكم فى الدرس ، وخارج الدرس ، مراعاة النظام ، والحرص على أداء الواجب فى وقته ، والغيرة على كرامة الأزهر ومكانته . واعملوا على أن تستعيدوا للطالب الأزهرى اعتباره ، وكريم سمعته العلمية والخلقية ، ثم إنه لا يجمل بكم أن تجعلوا من أنفسكم أتباعاً لمن قد يكون دونكم فى المعارف الإسلامية ، والتهذيب الخلقى السليم ، فإنكم تعدون الآن لتكونوا أئمة يقتدى بكم ، ويسترشد بهديكم ، واعملوا على أن تكسبوا محبة أساتذتكم ، وحدبهم وعطفهم عليكم ، بحسن تقديرهم وتكريمهم ، والحرص على الاستماع لهم ، والانتفاع بأفكارهم ومعارفهم ، ليصفوا لكم النصيحة ، ويخلصوا لكم المعونة ، ويبذلوا معكم غاية ما عندهم من جهد ، لتكونوا رجالا صالحين نافعين .

وإنى أسأل الله العلى الكبير ، أن يكلأكم برعايته ، وييسر لكم أمر هذا الجهاد العظيم ، جهادكم فى سبيل العلم والدين ، والله المستعان يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟ شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

قيمة الوقت

كان أسلافنا قبل أن تشيع فى بلادهم هذه المقاهى يعرفون للوقت من القيمة مالا نكاد نشعر الآن بمثله .

واعتبر ذلك بما قاله أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه (صيد الخاطر) حول هذا المعنى . قال :

رأيت العادات قد غلبت على الناس فى تضييع الزمان ، وكان القدماء يحذرون من ذلك .

دخلوا على رجل من السلف ، فقالوا : لعلنا شغلناك !

فقال : أصدقكم ، كنت أقرأ ، فتركت القراءة لأجلكم .

وجاء رجل من المتعبدين إلى سرى السقطى ، فرأى عنده جماعة ، فقال له :

صرت مناخ البطالين (ثم مضى فلم يجلس) .

ربيع الانســـــانية

لم يكن ميلاد محمد ﷺ فى ربيع الأول إلا إيذاناً بأن الربيع الدينى والإسلامى قد تفتح زهره ، وأرِج عطره ، وفاح نشْرُه .

وإذا كان النـاس يحتفلون بمقدم فصل الربيع من كل عام ، لأن فيه متعة الحس ، فإنما نحتفل بربيع الأول من كل عام أيضاً ، لأن فيه راحة النفس ، وسر الأمس ، وتذكيراً بالبعث فى الحياة الدنيـا وبمـا بعد الرمس .

وميلاد محمد صلوات الله وسلامه عليه قد اقترن بإشراقة على الـكون ، محت دياجير الظلم العاتى ، ومزقت حجب الليل المظلم البهيم ، وأقامت بعثته الدنيـا وأقعدتها . وكيف لا وقد أمّل اليهود أن يكون المبعوث منهم ـ وإن نطقت كتب السماء بإسما عيليته ، أى بعربيته وقرشيته ـ ضناً منهم على العرب برحمة السماء .

إنه أقام راية العدالة خفاقة فوق الأعلام ، بعد ما وأدوها ، وأحيا عهوداً ـ طال عليها الأمد ـ بعد أن دفنوها ، ووفى بذمم وأمانات التزموها ، وأعاد لشبه الجزيرة العربية حياة العزة والـكرامة لأفرادها وجماعاتها ، ذكورها وإناثها ، وحفظ على الفتاة حياتها ، وحبب إلى النفوس خدمتها ، والسهر على مصالحها ، والبر بها ، بعد أن كانت تنفض بيديها فى بعض الأحيان الغبار عن قاتلها .

وأحل الوئام محل الخصام ، وأبان أنه « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » . وحقن الدماء ، وأبطل السيف إلا فى حق « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . رواه الجماعة .

وحدد العلاقة بين المسلم وغيره على أساس التواد فى حال السلم ، فإن كان ثمة صلة قربى فلا مانع من التهادى . قالت أسماء بنت أبى بكر : أتتنى أمى راغبة فى عهد قريش وهى مشركة ، فسألت النبى ﷺ : أأصلها ؟ قال : نعم . متفق عليه ، زاد البخارى : قال ابن عيينة : فأنزل الله فيها « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين » ومعنى راغبة أى طامعة تسألنى شيئاً » .

وقد كان العرب قبل بعثته عليه الصلاة والسلام متفرقين مختلفين ، يريقون الدماء لأتفه الأسباب ، وسرعان ما تنشب بينهم المعارك ، فتنفر من هولها النفوس ، وتصرع فيها الرءوس ، وتخترم المنايا الضحايا ، ويتلاقى الأبطال فى النزال ، يجفخون بالحسب والنسب .

وحروب العرب كثيرة ، وملاحمهم وفيرة مشهورة ، وأيامهم على الدهر مذكورة ، ألفت فيها الكتب ، ومشت بذكرها الحقب منذ فجر التاريخ .

ومن أيامهم المأثورة أيام ربيعة فيما بينها وهى مع تميم ، وقيس فيما بينها وهم مع كنانة ثم هم مع تميم . وكذلك ضبة مع غيرهم . وناهيك بجديس قديما وذات الأثل وصوءر وإن كان فى زمن الإسلام .

وقد سالت فى هذه الحروب دماء ودماء ، وقتل فيها وبسببها أبرياء وأبرياء . ومنها ما استمرت مدة أربعين عاما كحرب البسوس . وبلغ من أمرهم أنهم ما كانوا يكتفون فى القصاص من القاتل بأن يكون ندا للقتيل ، ولكنهم كانوا يرون أن أى عدد لا ينهض ندا له ، ولا يصلح كفاء لدمه الذى أريق .

حكوا أن الحارث بن عباد قُتل بجير ابن أخيه ، فأرسل إلى مهلهل شقيق كليب يقول : « إن كنت قتلت بجيرا بكليب ، وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم ، فقد طابت نفسى بذلك » . فأجابه مهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب ، فغضب الحارث ودعا بفرسه النعامة ، ثم قال لاميته المعروفة التى يقول فيها :

لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـــــط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله وإنى بحـرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كى يفيقوا فأبت تغـلب علىّ اعـتزالى
وأشابوا ذؤابتى ببجير إن قتل الكريم بالشسع غال

وهذا مثل من عشرات . وما يعنينا أن نبين أنى ومتى وكيف انتهت بينهما الحرب ، ولكن مما لا شك فيه أن اللغة العربية قد أفادت كثيراً من هذه الأيام والوقائع ، وأن الإنسانية قد فقدت كثيراً جداً من وسائل الحياة الناعمة المطمئنة التى تعتمد على التفاهم

والود ، وتنهض بالأخلاق الحسنة والحب والتعارف المتبادلين ، هذا إلى تفشى الفوضى فى العقيدة بينهم ، والشرك بالله خالق الكون ومدبر الأمر .

فإذا جاء محمد ﷺ بدين الإسلام حاسماً لكل خلاف ، حازما فى كل موطن ، فيصلا فى كل أمر ، فأيقن أن رحمة الله هبطت من السماء إلى الأرض ، وأن عناية الرب لحقت بالخلق . ولا غرابة أبداً فى استجابة القلوب — للرسول صلوات الله وسلامه عليه — قبل الآذان ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، راضية به نفوسهم ، قريرة عيونهم « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » على أن الداعى نفسه كان متينا فى أخلاقه ، سخيا فى سجاياه النبيلة « وإنك لعلى خلق عظيم » ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

فما أحوجنا نحن المسلمين فى ذكرى مولده صلوات الله وسلامه عليه إلى أن نجدد التخلق بأخلاقه ، والتزين بآدابه ، ونقتفى أثره ، وننهج نهجه ، ونسير على منواله ، ونقتدى به « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وجاءه رجل فسأله عن حسن الخلق ، فتلا عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » ثم قال ﷺ : « هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . ومن البديهى أن هذه الآداب الإسلامية السامية لم تكن موجودة قبل مبعثه ﷺ ، ولكنه حملها إلى الدنيا . ووضح أغراضها وأهدافها ومراميها للإنسانية .

وقد عنيت رسالته ـ أول ما عنيت ـ بتهذيب الفرد وتربيته تربية صحيحة ، لتكوين الجماعة بهؤلاء الصفوة على نسق جديد ودعائم قوية ، أساسها التقوى لله والنظر فى الكون ، ولبناتها الأخوة فى الله والمحبة لدينه والاجتماع على كتابه « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » . « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ولم تكن مهمته - صلوات الله وسلامه عليه - سهلة ميسرة ، ولكنها كانت مهمة شاقة تتطلب صبراً وخبرة ، وقدرة واحتمالا ، وشخصية فذة فى خلقها وطبيعتها وإنسانيتها وصفاتها الكمالية . وقد توافرت جميعها فى الرسول الأمين صلوات الله عليه ، إلى جانب ما أوتيه من الحكمة وفصل الخطاب وجوامع الكلم .

وقد قام بمهمته على خير وجه ، وتلقى من ربه كتابه ، فبلغه كما أوحى إليه

نعم إنه قام بها على وجه جليل ، سجله التاريخ بالمجد ، ووعته أذن الدنيا بالإصغاء ، ونطق به الكون فى حقائقه .

فإلى أمة المسلمين وهى تذكر مولده عليه الصلاة والسلام لعلها تذكر « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

وإلى الذين يحتفلون ويحتفون بهذا الحدث الجلل نوجه هذه الكلمات :

اذكروا منهج النبى الكريم ، وسيرته العطرة ، وطريقته المثلى فى الهداية ، واقتدوا بما صنع ، واذكروا أنه ترك فينا ما إن أخذنا به لن نضل أبدا : كتاب الله وسنة رسوله ، واذكروا أن أصحابه كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

واذكروا أن صلاح آخر الأمة بما صلح به أولها ، وأن أولها كان غيرنا فى البصر والعقيدة ، فى العلم والعمل ، فى الصلة بالله والإيمان باليوم الآخر ، وبهذا انتصر الأولون — وهم الفقراء — على الأكاسرة والقياصرة وهم الأغنياء . . ومن يدرى فلعل القائد العربى لو علم بأن وراء البحر أرضا لخاضه .

فلله هذه النفوس الطاهرة ، ولله هذه القلوب المؤمنة ، ولله هذه الوجدانات الحية . إنها صهرت فى بوتقة الدين ، وصيغت على أيدى المربين من المتقين المهتدين .

إنها فى قوتها ووثبتها تستمد حياتها وجدتها من ربيع النفوس الأول ، منذ ولد النبى الأكرم فى ربيع الأول ؟

توفيق عاشور
المدرس بمعهد دسوق

نظام التوازن

هناك طائفة من النظريات التى يفسر بها التاريخ ، ويفسر بها قيام الحضارات المختلفة واندثارها . وقد يكون فى بعض هذه التفسيرات جانب من صواب النظر إذا نظرنا إلى حالات جزئية ، ولم ننظر إلى القضية العامة وهى : لماذا قامت الحضارات المختلفة واندثرت ولم تقم لها قائمة بل أصبحت فى ذمة التاريخ ؟ والقضية بهذا الشكل كبيرة فى الواقع وخطيرة ، ولكننا سنحاول هنا أن نصور فكرة تصلح أن تكون — على أقل تقدير — فرضاً يلقى قدراً من الضوء على هذه القضية .

مما يمكن ملاحظته بسهولة أن تطور الفرد منذ طفولته إلى شيخوخته يتمثل عادة لا فى جانب واحد من تكوينه ، ولكنه يسير فى كل الجوانب متوازياً على السواء ؛ فعندما ينمو جسم الطفل من الناحية الفزيائية تنمو معه قدرته البدنية ، كما تنمو قدرته العقلية بشكل مناسب . ولا يدخل فى هذا التقدير الحالات الشاذة بطبيعة الحال . كذلك الأمة ؛ مجموعة من القوى المتفاعلة المتناسقة ، تبدأ بسيطة ثم تتسع وتتضخم ، وهى كلما اتسعت وتضخمت ازدادت الحياة فيها تعقيداً ، ولكنها تظل متوازنة ما لم تقف فى وجهها العراقيل .

هذه الملاحظة البسيطة يمكن أن نستغلها فى وضع فكرتنا الجديدة . فالواقع — فيما يبدو لى — أن قيام الحضارات وتطورها ونموها أو اندثارها كان خاضعاً دائما لمبدأ أساسى هو الميزان الحساس الذى يتحدد بحسبه موقف الأمة ومستقبلها . وهذا المبدأ هو مبدأ « التوازن » ؛ فالأمة تتطور حياتها إلى أحسن عندما تنمو مكوناتها متناسقة متوازنة ، وتتطور كذلك — ولكن إلى أسوأ — عندما تفقد هذه المكونات توازنها فتنحل وتضعف وتندثر .

حسن ، فقد سبقنا إلى النتيجة قبل بسط الفكرة ، وهى أن العامل الأول فى تطور

الأمم هو توازن قواها ومكوناتها . فإذا تم هذا التوازن فالأمة بخير ، وحضارتها بخير ، وهي في سبيلها إلى الاتساع والتقدم والنمو والكمال . وإذا فقد هذا التوازن كان ذلك نذير شر ، وبداية انحلال وضعف .

ويتبع هذا أن أي نظام تقوم عليه حياة أمة من الأمم لا يجعل لمبدأ التوازن المكان الأول - يمكن أن نصفه بأنه نظام قاصر ، لأن البنية غير المتوازنة لا تستطيع أن تعيش طويلا .

ولا أعتقد أن واحداً من المؤرخين قد أدخل في اعتباره هذا المبدأ ، وهو بسبيل الحديث عن حضارات العالم وتفسير انهيارها . ولا أعتقد كذلك أن واحداً من المحدثين نظر إلى الحضارات القائمة الآن هذه النظرة ، ووزنها بهذا الميزان ، ليعرف إلى أي حد يمكن المحافظة على بقاء هذه الحضارات ، وإلى أي حد هي معرضة للانهيار . والنظر في التاريخ على أساس هذه الفكرة كفيل بأن يغير كثيراً من الاحكام .

وقد قلنا إن الأمة مجموعة من القوى . وهنا نضيف أن هذه القوى بعضها للإنتاج وبعضها الآخر للاستهلاك . وأخطر صورة لفقدان التوازن هي تلك التي تتمثل في فقدان التوازن بين القوى المنتجة والقوى المستهلكة . على أن الأمم لا تعيش في عزلة ، بل يتصل بعضها ببعض لا لشيء — في رأيي — إلا لإحداث ذلك التوازن بين قوى الإنتاج وقوى الاستهلاك . ولذلك كانت حياة كل أمة متوقفة على نوعين من التوازن : توازن داخلي فيما بين قواها ومكوناتها الخاصة ، وتوازن خارجي فيما بينها وبين الأمم الأخرى . وفقدان الأمة توازنها الخارجي لا يقل خطورة عليها من فقدانها توازنها الداخلي .

وللأمة مقوماتها المادية والمعنوية . والإنتاج والاستهلاك يتم في النوعين على السواء . وتوازن هذه المقومات المادية والمعنوية من حيث الإنتاج والاستهلاك في أمة من الأمم يضمن لها فرصة كافية للتوازن الخارجي مع الأمم الأخرى .

وزيادة ناحية ونقص أخرى يعمل على فقدان التوازن الداخلي إن آجلا أو عاجلا . فلا بد إذن من توازن الناحيتين الروحية والمادية ، بحيث لا يطغى جانب على آخر . فزيادة

النشاط الروحى تنتج من الخطورة ما تنتجه زيادة النشاط المادى . والمجتمع السليم فى حاجة دائماً إلى مقادير متناسبة من النشاطين . ولا ينفى هذا أن يحدثنا التاريخ عن حضارات مادية وأخرى روحية ، مما يدل على أن لونا بذاته قد يطغى على الأمة ويكيف حياتها وحضارتها . ولكن هل قدر لهذه الحضارات أن تعيش طويلا ؟ إن القطار المندفع لا يقع حطاما بمجرد أن يفقد توازنه ، بل يظل مندفعاً فترة من الزمن رغم انحرافه حتى تقل قوة الدفع فيهوى ، وكذلك كانت تلك الحضارات تعيش إلى أجل ، وتنتظر الدمار من وقت لآخر . وعلى ذلك لا نستطيع أن نتصور أمة من الفلاسفة فقط . وقديماً تصورها الفلاسفة ، فرسم أفلاطون خطة للمدينة الفاضلة جعل فيها الأمر للفلاسفة ، ولكنها خطة لم تبرح رأسه . وكذلك لا يمكن بالمثل أن تقوم أمة من الزراع أو الصناع أو المحاربين فقط ، بل لا بد من حدوث التوازن بين جميع طبقات الإنتاج ، حتى تسير عملية الاستهلاك اللازمة لاستمرار الحياة سيرها الطبيعى .

وإذا كان تكوين الفرد الطبيعى يلزمه للبقاء فى صورة سوية استهلاك مقادير مناسبة من المواد الروحية والمادية على السواء ، فكذلك شأن المجتمع الذى يقوم على الأفراد ، يلزمه لكى يتوازن فى مجموعه مقادير مناسبة من هذه المواد الروحية والمادية .

أما توازن الأمة مع غيرها من الأمم فهو أن تكون بحيث تستطيع الأخذ والعطاء . أما أن تعطى فقط ، أو تأخذ فقط ، فهذا معناه أنها ليست فى حالة توازن مع الأمم . وهى فى حاجة للتوازن مع هذه الأمم مادياً وروحياً كذلك ، فتصدر لها وتستورد منها ما يزيد على حاجتها وما تدعو إليه الحاجة . وهذا التوازن يتمثل فى التبادل الاقتصادى والسياسى والثقافى ، فتأخذ الأمة من هذا النشاط كما تعطى .

ويحدثنا الأطباء أن الجسم تلزمه بعض المواد الأساسية لبقائه فى حالة سليمة ، وأنه حين يقل بعض هذه المواد أو يفقد فإن الجسم يحاول أن يستخلصه بكل طريقة ، وقد تتم من أجل ذلك عملية تفاعل كيماوية فى الجسم بين بعض المواد ليس الهدف منها إلا استخلاص تلك المادة الناقصة اللازمة لحياة الجسم . وهو بذلك يعود إلى صورته الطبيعية المتوازنة . ومعنى كل هذا أننا لو حرمنا الجسم مادة من المواد فإن ذلك يؤثر فيه ، وهو يتحمل هذه الآثار ، إلى أن تتاح له فرصة استخلاص هذه المادة اللازمة لإحداث التوازن واستمرار الحياة .

كذلك الطبيعة البشرية ؛ تبحث دائماً عما يلزمها من مواد روحية ومادية ، فتمارس النشاطين بمقادير متناسبة متوازنة . وهي إذا وقفت في وجهها العراقيل في ممارسة واحد من النشاطين فإنها تنحرف وتعتل ، ولا يمضي وقت حتى تقع الخاتمة الأليمة . وقد تحاول بحكم طبيعتها أن تجتاز العراقيل ، وتحصل على المقدار اللازم لإحداث التواز ن ، ويكون هذا دليل صحوة وتنبه للطبيعة السليمة .

ونظرة إلى بعض أمم الغرب تبين لنا كيف أن توجيه النشاط كله في إحدى هذه الأمم إلى الناحية الحربية كان كفيلا بأن يسوقها هي ذاتها إلى الدمار ، وقد قرأنا منذ قريب عن حملات إلحادية واسعة النطاق تقوم بها روسيا (لعل من أثرها ما قرأناه كذلك من حملة على الإسلام والنبي ﷺ في مؤتمر المستشرقين الذى عقد بكمبردج صيف هذا العام) . وليست هذه الحملات في الواقع إلا معوقات تمنع النفوس من الوصول إلى حالة التوازن والاستقرار . ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يتصور أن تخلف روسيا حضارة خالدة ، وهي على هذا الوضع من فقدان التوازن في الداخل وفي الخارج .

وهكذا يمكننا أن نفهم أثر التوازن في حياة الأمم وتحديد مركزها الحضاري من التطور العالمي . وهنا أحب أن أصف الإسلام بأنه نظام متوازن ، لا يهتم بلون من النشاط البشري ويهمل لونا آخر . وهو كذلك نظام متوازن حين يجعل حياة الأمة الإسلامية وعلاقتها بغيرها من الأمم تقوم على تبادل الأخذ والعطاء في حرية ودون إكراه ، ويستطيع الناظر الآن أن يلاحظ أن دبيب هذا النظام الحيوي قد بدأ يدب في جسم الأمة الإسلامية ، حين تنبهت فيها كل القوى بحكم الفطرة السليمة ، وحين بدأت أجزاؤها تتكاتف لإحداث التوازن المنشود ؟

عز الدين اسماعيل

نظرية المساواة

في الشريعة الإسـلامية

جاءت الشريعة الإسلامية من يوم نزولها مقررة نظرية المساواة ؛ فالقرآن يقرر المساواة ويفرضها على الناس جميعاً في قوله تعالى في سورة الحجرات : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وذلك ما أكده رسول الله ﷺ في قوله : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، وفي قوله : « إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم ، لأن الناس من آدم ، وآدم من تراب ، وأكرمهم عند الله أتقاهم » .

ويلاحظ على هذه النصوص أنها فرضت المساواة بصفة مطلقة : فلا قيود ، ولا استثناءات ، وأنها فرضت المساواة على الناس كافة ، فلا فضل لفرد على فرد ، ولا لجماعة على جماعة ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، ولا لسيد على مسود ، ولا لحاكم على محكوم .

إذن الناس في الشريعة متساوون ، على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، متساوون في الحقوق ، متساوون في الواجبات ، متساوون في المسئوليات ، وهم في ذلك كأسنان المشط ، أوهم في ذلك كأبناء الرجل الواحد والمرأة الواحدة ، ترشحهم وحدة أصلهم للمساواة في حقوقهم وواجباتهم ومسئولياتهم ، لا فضل لرجل على رجل كما يفضل اليوم أبناء انجلترا وفرنسا على أبناء المستعمرات التابعة لهاتين الدولتين ، ولا فضل لأبيض على أسود كما يفضل اليوم الأمريكي الأبيض على الأمريكي الأسود ، ولا فضل لعربي على عجمي أي لا فضل لجنس على جنس ، كما ادعت ألمانيا وغيرها من دول أوروبا أفضليتها على بقية الأجناس .

ومن نتائج تقرير نظرية المساواة رفع مستوى الجماعة ، ودفعهم نحو الرقي والتقدم ، كما أن من نتائجه أيضاً اكتمال الشريعة بما تتطلبه الشريعة الكاملة الدائمة من مبادىء ونظريات .

والتقوى هى وحدها نصاب التفاضل بين الناس فى الشريعة الإسلامية ، ولكنه تفاضل فى حدود معينة ، تفاضل بين الناس فى استحقاق الكرامة ، فأكرمهم عند الله أتقاهم ، وكون التقى كريما على الله ثم على الناس لا يعطيه حقا عند الناس يزيد على ما لغيره من الحقوق ، فالتقوى صفة تؤثر فى صلة الإنسان بربه أكثر مما تؤثر فى صلة الإنسان بالحقوق الخاصة أو العامة ، والتفاضل الذى ينشأ عن التقوى هو تفاضل معنوى لا مادى .

ونحب ونحن بصدد الكلام على نظرية المساواة أن نعرض لنظرية مساواة المرأة بالرجل . هذه النظرية ليست إلا فرعا من النظرية العامة للمساواة . والقاعدة العامة فى الشريعة الإسلامية أن المرأة تساوى الرجل فى الحقوق والواجبات ، فلها مثل ماله وعليها مثل ما عليه ، وهى تلتزم للرجل بما يقابل التزاماته لها ، فكل حق لها على الرجل يقابله واجب عليها للرجل ، وكل حق للرجل عليها يقابله واجب على الرجل لها ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

ولكن الشريعة مع تقريرها المساواة بين الرجل والمرأة كقاعدة عامة ، ميزت الرجل على المرأة بميزة واحدة ، فجعلت له على المرأة درجة فى قوله تعالى بالآية السابقة « وللرجال عليهن درجة » .

وقد بين القرآن حدود هذه الميزة أو الدرجة التى اختص بها الرجل فى الآية الأخرى (النساء ٣٤) « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فبين بذلك أن الدرجة هى درجة الرئاسة والقوامة على شئونهما المشتركة .

ولا شك أن الرجل وهو المكلف طبقا للشريعة الغراء بالإنفاق على المرأة وتربية الأولاد ، والمسئول الأول عن الأسرة ، أحق بالرئاسة والقوامة على شئون الأسرة المشتركة ، لأن مسئوليته عن هذه الشئون تقتضى أن يكون صاحب الكلمة العليا فيها .

فالسلطة التى أعطيت للرجل إنما أعطيت له مقابل المسئولية التى حملها ، ليتمكن من القيام بمسئولياته على خير وجه ، وهذا تطبيق دقيق لقاعدة شرعية عامة هى القاعدة التى تقول : « السلطة بالمسئولية » تلك القاعدة التى جاءت بها الشريعة ، لتحكم علاقة أصحاب السلطان بغيرهم ، ولتبين مدى سلطتهم ومسئوليتهم ، والتى قررها الرسول عليه الصلاة والسلام فى قوله : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ،

والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، وهى مسئولة عن رعيتها » .

وإذا كان للرجال درجة على النساء فى شئونهما المشتركة ، فإن الرجل لا يتميز على المرأة فى شئونهما الخاصة ، وليس له عليها أى سلطان أكبر من سلطان القوامة ، فهى تستطيع مثلا أن تتملك الحقوق ، وتتصرف فيها ، دون أن يكون للرجل - ولو كان زوجا أو أبا - أن يشرف عليها ، أو يتدخل فيما لها من حقوق التملك .

وقد سوت الشريعة الإسلامية بينهما من يوم نزولها ، أى من نحو أربعة عشر قرنا ، فى وقت لم يكن فيه العالم مهيئا للتسوية بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، بل ولا للتسوية بين أجناس البشر وطبقاتهم وأفرادهم ، فلم تكن حاجة الجماعة هى التى دفعت الشريعة لتقرير هذه المساواة ، وإنما اقتضت ذلك حكمة الله فى تكميل الشريعة بالمبادىء التى يجب أن تكون فى شريعة كاملة دائمة .

ونستطيع بذلك أن ندرك مدى السمو الذى وصلت إليه الشريعة الإسلامية ، بتقريرها مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، إذا علمنا أن القوانين الوضعية لم تسمح بالتسوية بينهما إلا فى القرن التاسع عشر ، وأن بعضها يمنع النساء إلى اليوم من التصرف فى شئونهن الخاصة إلا بإذن أزواجهن .

فالشريعة الإسلامية ما برحت منذ نحو أربعة عشر قرناً تطبق مبدأ المساواة إلى أوسع مدى يتصوره العقل البشرى ؛ ولهذا لا تفرق نصوصها بين الرؤساء والمرءوسين ، ولا بين الملوك والسوقة ، ولا بين ممثلى الدول السياسيين والرعايا العاديين ، ولا بين ممثلى الشعب وأفراده ، ولا بين الأغنياء والفقراء ، ولا بين الظاهرين والخاملين .

وإن هذا الكمال العجيب فى هذه الشريعة لا يحتاج فى ظهوره إلا إلى علم أهله به ، ثم عملهم به ، فى أخلاقهم فضلا عن تشريعاتهم وأقضيتهم ، ليسعد المسلمون بذلك ، ويعرف الناس هذه الرسالة الكاملة ، فيحددوا موقفهم منها ؟

محمد محيي الدين المسيرى
ليسانس فى القانون

من الملك سعود
إلى الشعب السعودى

أرسلت إلينا السفارة السعودية بالقاهرة الخطاب الخطير الذى وجهه جلالة الملك سعود إلى شعبه لمناسبة انتقاله من الحجاز إلى نجد . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا بهدى الإسلام، ورزقنا نعمة الإيمان، وصلى الله وسلم على محمد خير الأنام .

وبعد - فإنا نبارح هـذه البقاع المقدسة بقلب مفعم بالمحبة والعطف على شعبنا العزيز الذى لم يدخر وسيلة فى إبداء شعور الولاء لعرشنا إلا أظهرها رائعة صادقة ، ولا أحجم عن تضحية فى سبيل المحافظة على كيان أمتنا ، ولا تردد فى الرغبة لرفع مستوى بلادنا وسمعتها . وذلك ما يحدو بنا إلى أن نجدد له العهد ، ونؤكد له الوعد ، بأنا عازمون على التضحية بكل غال ، فى سبيل النهوض به وببلادنا العزيزة إلى المستوى اللائق بهما فى شتى مناحى الحياة الخاصة والعامة ، الدينية منها والدنيوية ، حتى تكثر فيها الخيرات ، ويعم الرخاء جميع الطبقات ، ونراها بعون الله وتوفيقه ترفل بحلل من العز والكرامة ، وتنعم باستقرار وطمأنينة وسلام بين الأمم .

ونرى فى هذا الظرف من الواجب المحتم علينا أن نطلب إلى كل مواطن من أبناء شعبنا داخل البلاد وخارجها ، قريباً كان أو بعيداً ، كبيراً أو صغيراً ، أن يضع نصب عينيه المبدأ الأسمى والغاية المثلى التى ما قامت هذه المملكة إلا على أسسها القويمة ، ولا يرجى لها الازدهار والمنعة والعلو إلا بالاعتصام بها ، تلك هى التمسك بمبادىء الدين الحنيف الذى حرم علينا الخبائث ، وأباح لنا الطيبات ، وضمن لنا خير الدنيا ونعيم الآخرة .

وإنى بصفتى ولى أمر هذه الأمة ، المسئول عن حفظ استقلالها وكيانها ، وعدم تدخل الأجانب فى داخليتها ، والذب عن حياضها ، والمحافظة على أعراضها وأموالها ، مطالب من الله والناس - بالبيعة التى فى عنقى، وبما أدين الله فيه بنفسى - أن أحرم ما حرم الله ، وأحل ما أحله الله ، وأقاتل دون ذلك بجدى وجهدى ، وأدفعه بلسانى وسنانى ، وأن أصون بعون الله

العقيدة الإسلامية من عبث العابثين وفساد المفسدين، وأنفذ أحكام الشريعة السمحة بكل ما آتاني الله من حول وطول.

وقد نما إلى أن بعض الغلاة المتطرفة الجهال يرون فى التنكب عن هذا الصراط المستقيم خيراً، ويرون التمسك به والثبات فيه جموداً، وقد أعماهم الله عن حقائق الأمور، فلم يروا أن هذا الملك لم يقم إلا على الدين، وأن هذه الأمة لم يلم شعثها ويلتئم صدعها إلا بالدين، وأن الأمة العربية كانت فى جاهليتها تائهة فى بيداء التردى والجهالة والفرقة والضعف، حتى من الله عليها بهذا الدين الحنيف، فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فظهرت على الأمم، ونهضت فى شتى شئون الحياة، ثم عادت فهزلت وهوت واستعبدت عند ما تخلى الكثير من أبنائها عن هذا الدين الحنيف وعن العقيدة الصحيحة. وها نحن اليوم وقد جمع الله شملنا، ويسر لنا وسائل المنعة والقوة، وفتح لنا أبواب الرزق، راح أعداؤنا يستغلون جهل جهالنا، وخساسة المتنطعين منا، لإفساد عقيدتنا، فيأتوا ما حرم الله، وينتهكوا حرمة ما أحل الله، ويقدحوا فى عقيدتنا من هنا وهناك.

فإلى هؤلاء خاصة، وإلى جميع أبناء شعبى عامة، أوجه قولى وأخص إنذارى بأن فى عنقى بيعة إسلامية، وعلىّ أداء واجباتها كاملة غير منقوصة، وفى يدى أمانة مباركة علىّ حفظها، وللأمة فى ذمتى عهد مقدس علىّ أن أقوم به. وكل ذلك يقوم على مبادىء الدين الحنيف، والعقيدة الصحيحة، والشريعة السمحة. فمن والانا على ذلك والبناء وعرفنا له حقه وقربناه، ومن شذ عنا فى ذلك واتخذ السفه والجهالة والمروق مركباً فليأذن من الله ثم منا بحرب لا هوادة فيها ولا رحمة، فلا نعترف فيها بقربى قريب أو كبر كبير. فمن اختزن جهالته لنفسه فى صدره فالله حسبنا عليه وهو نعم الوكيل، ومن جهر بالمعصية وجاهر بها فأحكام الشريعة تكفينا شره، وحكم الردة معروف، والحلال بين، والحرام بين، والشرع ميزان العدل، والعدل أساس الملك. وإنى عامل - إن شاء الله - بالحكمة القائلة: من التمس رضاء الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس. وإنى أرجو وأعمل لاكتساب رضاء الناس برضاء الله، وأعوذ بالله من سخط الله.

وقد اتصل بنا أيضا أن الكثيرين من الذين نعموا فى بحبوحة من العيش، بما من الله

عليهم به من الرزق ، يكثرون التردد إلى الخارج ، فينفقون أموالا طائلة فى غير طاعة الله ، ثم يعودون وقد تزعزعت عقيدتهم ، وتهلهلت القيم الخلقية العربية فى نفوسهم ، وفى ذلك خطر على مجتمعنا وعقيدتنا ، وإسراف فى أموالنا ، فى حين أنا أحوج ما نكون إلى تقوية سياجنا الدينى والخلق ، لصد هذه التيارات المتضاربة التى تجتاح عالم اليوم ، وتكاد تقضى على قيمه الاجتماعية . ونحن أيضاً أحوج إلى إنفاق أموالنا فى إصلاح بلادنا وتأسيس الشركات بأموالنا ، للقيام بجليل الأعمال النافعة ، لإنهاضها من كبوتها ، واستعادة مكانتها من القوة والمنعة والثراء بين الأمم . فعلى هؤلاء أن يتقوا الله فى أنفسهم ، وليحذروا مغبة جهالتهم ، ومن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد .

على أنا بهذا كله لم نقصد إلى إنقاص شىء مما أحل لنا الله ، وما أباح لنا الشرع من أطايب الرزق ، فقد أنعم الله علينا بالكثير من أسبابها ، وكان حقاً لنا أن نتمتع بها باقتصاد وإحسان ، متقين الله فى أعمالنا (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وقد حثنا الله فى كتابه العزيز على ارتياد مناهل العلم ، والتوغل فى حكمته ، كما أمرنا باتخاذ وسائل القوة والمنعة ، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين . ونحن اليوم فى بدء نهضة ثقافية تقوم على الأسس الدينية والخلقية الصحيحة ، ومن واجب كل مواطن أن يبذل فيها استطاعته ويؤدى واجبه : والمجهود الأهلى فى هذا الميدان لا تقل أهميته عن المجهود الرسمى ، والمنشئات الأهلية هى العماد الثانى للثقافة العامة فى كل بلد ، فعلى الذين من الله عليهم بالسعة أن يساهموا فى هذا المجهود المبرور ، ليخلدوا ذكرهم فى أمتهم ، ويكتسبوا بذلك رضاء الله وشكر الناس ، بدلا من إنفاقهم الأموال فيما لا يكسب إلا سخط الله والناس . وبلادنا الناهضة فى حاجة ماسة إلى جهود جميع أبنائها للبناء والإنشاء لا للهدم والتخريب ، ونحن أولى بإعادة مجدنا الغابر الذى قام على ديننا الحنيف ، لا التخبط فى عمايات لا توصل إلا إلى الهاوية .

فسبيلنا هذا سوى بين ، وصراطنا قويم مستقيم . وقد عاهدنا الله سبحانه على اتباعه والثبات فيه ، وتعهدنا لأمتنا فى البيعة أن نستقيم عليه ، فمن سار معنا كان منا وكان له علينا حق الرعاية وحرمة الولاء وقرب الإخاء ، ومن شذ عنا وصد عن السبيل فلا حق له ولا رعاية ولا ولاء .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل ، إنك سميع مجيب ؟



القرآن المجيد

للأستاذ محمد عزة دروزة - ٣٠٥ ص - المطبعة العصرية فى صيدا

الأستاذ السيد محمد عزة دروزة من الأفاضل الأفذاذ الذين أنجبتهم مدينة نابلس فى فلسطين ، وتخرج قبل الحرب العالمية الأولى فى المدارس العليا بالأستانة ، وكان له جهاد معروف فى سبيل العروبة . ثم أسس مدرسة النجاح فى نابلس . وألف كتباً مدرسية فى التاريخ العربى والإسلامى انتشرت وانتفع الناس بها . وفى الحرب العالمية الثانية اضطر إلى الإقامة فى مدينة بروسة بالأناضول فتفرغ فيها للعلم ، وحملته محبته لإسلامه على أن يكون مسلماً على علم بدينه وبينة بما يعتقد . فألف كتاب (عصر النبى ﷺ وبيئته من القرآن) وكتاب (سيرة الرسول ﷺ من القرآن) فى جزءين ، وكتاب (القرآن واليهود) و (القرآن والمرأة) و (القرآن والضمان الاجتماعى) ، وأراد أن يفهم كتاب الله فاطلع على أمهات كتب التفسير وألف (التفسير الحديث) ولم ينشره بعد ، لكنه نشر الكتاب الذى بين أيدينا الآن (القرآن المجيد) وهو كالمقدمة للتفسير ، تكلم فيه عن أسلوب القرآن ووحيه وأثره ، وعن جمعه وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف ، وعن الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره ، وعقد فصلا للتعليق على كتب المفسرين ومناهجهم .

وقد قضى الأستاذ محمد عزة دروزة أربع عشرة سنة فى التأمل فى القرآن ودراسة ما كتب عنه ، ناظراً إلى ذلك نظرة شاملة يلم فيها بأثر القرآن فى الإنسانية . وكان فى خلال ذلك كلما رأى تحاملا من أعداء الإسلام فى ناحية من نواحى بحثه تولى الرد على ذلك بإنصاف وبصيرة . جزاه الله خيراً وزاده علماً وفهما .

تفسير جزء تبارك

للأستاذ أحمد مظهر العظمة - ٩٠ ص - مطبعة الترقى بدمشق

نوهنا غير مرة ببعض مؤلفات الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامى فى دمشق ، وقد أهدى إلينا نسخة من كتابه الجديد (تفسير جزء تبارك) وهو كما يقول عنه : من وحى القرآن ونوره ، قدم به إلى الشباب المثقف تفسيراً لغويا ودينيا وعلمياً وأدبياً ، يجدون فيه قبسات تكشف عن جوانب من تاريخ دعوة القرآن وجهاد نبيها الصابر الظافر ﷺ ، وومضات من برهانها القوى الباهر ، ولفتات من أدبها المعجز . ومن نظامه فى هذا التفسير الوجيز أن يأتى بالسورة ، ثم بمعانى آياتها آية آية ، وإذا كان عدد من الآيات مرتبطا بعضه ببعض تكلم على مجموعها إلى أن ينتهى من السورة . ثم يعلق على ذلك بما تفيده السورة كلها ، وما فيها من وحدة الموضوع واتصال خواتمها ببداياتها .

تحت لواء أحد

للأستاذ محمد عطية خميس - ١٢٠ ص - مطبعة شباب سيدنا محمد

غزوة (أحد) جزء مهم من أجزاء السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وقد أفردها برسالة لطيفة بهذا العنوان ، الأستاذ محمد عطية خميس ، فأحسن تفصيلها ، وتأنق فى عرضها ، وعلق بمواضع العبرة فى كثير من مواقفها ، وذيلها بقائمة تضمنت أسماء شهداء أحد والقبيلة التى ينتمى إليها كل واحد منهم ، ومواضع ذكره فى هذه الرسالة . وأتبعه بقائمة لأسماء قتلى المشركين فى أحد ، ونبه على أنه رجع فى حوادث الغزوة إلى المصادر الصحيحة من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة . جزاه الله خيراً .

الملك سعود — من أحاديثه وخطبه

للأستاذ فؤاد شاكر - ١٢٠ ص - دار الكتاب العربى بمصر

انتهز الأستاذ فؤاد شاكر — من ألمع أدباء الحجاز — فرصة الذكرى الأولى لتولى جلالة الملك سعود عرش المملكة العربية السعودية . فأصدر هذا الكتاب ، متتبعاً فيه الأحاديث والخطب والكلمات العابرة التى ارتجلها عاهل المملكة السعودية فى أوقات مختلفة ، ولا سيما فى خلال العام الأول من ولايته الأمر فى المملكة الشقيقة ، سواء فى مجالسه

الخاصة أو فى تصريحاته وبياناته وخطبه فى المنابر العامة ، وهى تتناول مختلف شئون الحياة فى السياسة والاقتصاد وحقوق الرعية وواجباتها وكل ما يتعلق بالحاكم والمحكوم ، وأن للدين وأحكامه المحل الأول من عناية جلالته ، لأنه لا قوام للحياة بغير الدين ، ولأن الدين أساس السعادة فى الحياة الدنيا والآخرة .

وقد أهدت إلينا السفارة السعودية هذا الكتاب لمناسبة الذكرى الأولى لجلوس جلالته . فنشكرها على ذلك .

التاريخ الوافى

للسنة الثالثة الثانوية

لثلاثة من المدرسين بالأزهر - ١٥٠ ص - مطبعة اللواء بمصر

ألف حضرات الأساتذة عمر طلعت زهران وعبد الرحمن مجاهد وهاشم محمد الشيخ المدرسون بالمعاهد الدينية الأزهرية هذا الكتاب للسنة الثالثة الثانوية بالمعاهد الدينية وفق المنهج الجديد الذى قررته إدارة الأزهر والمعاهد الدينية .

وهو مقسم إلى ستة أبواب : (١) الحروب الصليبية ، (٢) الدولة المصرية الإسلامية ، (٣) مصر تحت الحكم الإسلامى ، (٤) النهضة الاوربية ، (٥) الكشوف الجغرافية ، (٦) عرض موجز لأحوال بعض الدول الاوربية.

والكتاب مزين بالصور والخرائط ، وقد تولى كل واحد من المؤلفين الثلاثة كتابة قسم منه ، والتزموا الخطة التى أرشد إليها المنهج الجديد . وذكروا فى كل باب المراجع التى استمدوا مواده منها بين افرنجية وعربية ، وتوخوا فيه تيسير دراسة هذا المقرر على الطلبة . فشكراً لهم ؟

حقيقة إخوان الصفا

للأستاذ محمود الملاح - ٩٦ ص - مطبعة دار المعارف ببغداد

رسائل إخوان الصفا من الكتب التى اختلفت أنظار الناس إليها لما اكتنفها من إبهام وغموض فى تعيين مؤلفها أو مؤلفيها ، وفى غرضه أو غرضهم منها ، وفيما خفى

بين ظاهر سطورها من مآرب . غير أن مما لا يرتاب فيه أحد أنها من عمل الإسماعيليين دعاة الدعوة الباطنية ، وبعد أن تكون هذه الرسائل من عملهم يستطيع المرء أن يستنير فى ما أبهم عليه من أمرها بما هو معلوم عنده من مقاصد الإسماعيليين الدينية والسياسية .

ويقول الأستاذ الملاح فى طليعة هذا الكتيب اللطيف : إن جمعية سرية هدامة فى مطلع القرن الرابع الهجرى أفرغت على نفسها هذا اللقب الخداع (إخوان الصفا) لهدم الدين المحمدى الشريف النظيف السمح ، وإزالة دولته من الوجود ، وإقامة دولة لها دين مزيج من إسلام ووثنية بحيث لا يستطاع فصل أحدهما عن الآخر .

ورسائلهم هذه عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ومن منطق إلى سفسطة ، فهى سياحة ملغمة بأنماط من تعاليم الباطنية المترسبة من تعاليم مزدك ومانى وزردشت ، والسائح بينما هو فى صحصح مكشوف ، إذا هو فى نفق مستور ، إذا هو فى ذروة شاهق ، إذا هو ساقط على أم رأسه فى واد لا يعلم قعره إلا الله .

وقد أذكرنا هذا الوصف لإخوان الصفا من كلمة الأستاذ الملاح ، كلمة سمعناها من أحد دعاة الإسماعيلية قبل نحو قرن وهى : إن القرآن كتاب العامة ، وإخوان الصفا كتاب الأئمة . وهى وقاحة صريحة لا تصدر إلا عن شانئ للقرآن كافر بالله يريد السوء بالإسلام وأهله .
ورسالة الأستاذ الملاح مجموعة فصول كتبت فى أوقات متتابعة ، وفيها من الحقائق ما يجدر بكل مفكر مسلم طول التأمل فيه .

إلى السادة القراء

تأخر صدور هذين الجزءين عن موعدهما المقرر لأسباب قاهرة .

المجلة

الأدب والعلوم

مدارس تحفيظ القرآن
ومناهج الدين بالمدارس

وافق السيد وزير التربية والتعليم على أن تؤلف لجنة من الأزهر والوزارة للنظر فى موضوع مدارس تحفيظ القرآن الكريم التى تتبع الوزارة حالياً وجعلها تابعة للأزهر، وذلك على أثر زيارة فضيلة الأستاذ الأكبر للسيد وزير التربية والتعليم . ومما تناوله البحث فى هذه الزيارة ما ينبغى أن يكون عليه المنهج الدينى فى المدارس ومراعاة التمشى مع عقلية التلاميذ ووعيهم الاجتماعى، لأن السيد الوزير لما زار إحدى المدارس الإعدادية واستمع إلى ما يلقى فى أحد الفصول وجد المادة الدينية بعيدة عن المستوى اللازم للتلاميذ. وعلق سيادة الوزير على ذلك بضرورة رعاية الهضم العقلى والنفسى للتلميذ وإلا أحدث ذلك التصرف نتيجة عكسية، لأن التلميذ إذا لم يستسغ المادة أيا كانت تحول عنها ونفر منها وأحدثت فى تدينه ثغرة وفى نفسيته عقدة .

وقد تقرر أن تؤلف لجنة من الأزهر ورجال وزارة التربية والتعليم لإعادة النظر فى المناهج الدينية على ضوء ما لاحظه السيد الوزير .

سن القبول
بفرق تحفيظ القرآن

وافق وزير التربية والتعليم على زيادة السن بفرق تحفيظ القرآن سنة واحدة على السن المقررة لتلاميذ الفرق المماثلة فى التعليم العام، لما يتطلبه حفظ القرآن الكريم من وقت إضافى ومن زيادة فى الإدراك .

مؤسسات إسلامية بالسودان

كانت إباحة تشييد المؤسسات الخيرية والثقافية والاجتماعية فى السودان محصورة فيما مضى بالمؤسسات الأجنبية والإرساليات التبشيرية . ولما كان هذا الحصر من غير اللائق ببلاد أكثرية سكانها من المسلمين، فقد أباحت حكومة السودان الآن هذا الحق لمن يقدر عليه من الجماعات والمؤسسات الأخرى سودانية أو مصرية .

ولما كانت الجمعية الخيرية الإسلامية بمصر

تزاول إدارة مستشفى عظيم وسبق لها مزاولة التعليم بمدارس كانت ناجحة فى مهمتها ، فقد أخذت الآن تعد عدتها لمزاولة نشاطها فى السودان عقب تصريح الحكومة السودانية لها بإقامة المؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية فى ربوع السودان أسوة بالمؤسسات الأجنبية والإرساليات التبشيرية التى تزاول مثل هذا العمل .

وستبدأ الجمعية الخيرية على الفور بإرسال عدد من الخبراء والفنيين الذين يزورون المناطق التى ستقام فيها المنشآت الصحية والاجتماعية والخيرية .

والمنتظر عقب انتهاء موسم الأمطار فى جنوب السودان البدء بإقامة المستشفى الكبير فى مدينة جوبا ، وقد اتخذت الإجراءات بحيث يجهز فى أقصر وقت ممكن ليؤدى رسالته الإنسانية .

إنشاء جيل جديد

مجهز بروح التربية الاجتماعية

قال وزير التربية والتعليم الصاغ كمال الدين حسين فى حديث له عن سياسته الجديدة فى وزارته :

« سياستى الجديدة هى قبل كل شىء نشر روح التربية الفكرية والرياضية والاجتماعية لإنشاء جيل جديد قوى ، يكونون مواطنين صالحين يستطيعون أن يؤدوا رسالتهم فى الحياة ، لأن التربية الاجتماعية والرياضية هى الأساس الأول ؛ بحيث تصبح المدرسة مركزاً اجتماعيا وثقافيا ، سواء فى الجامعة والمدارس ، لأن العلم وحده لا يكفى ، فيجب أن تقف الثقافة الاجتماعية والرياضية بجانبه ، وهذا يتطلب أن ننشىء فى الطالب شخصية استقلالية ، ونعوده أن يعتمد على نفسه حتى يستطيع تأدية هذه الرسالة .

ولذلك سنقوم إن شاء الله بتنظيم الوزارة وفروعها ومدارسها ، فنخلقها خلقاً جديداً ، كما ستقوم الوزارة بإعداد الجهاز اللازم ، لتنسيق هذه السياسة ، حتى تصل إلى هدفها المنشود .

الجامعيون الجدد

فى الجامعات المصرية الثلاث

التحق بالجامعات المصرية الثلاث هذا العام ٧٦٩٣ طالبا قبل منهم فى جامعة القاهرة ٣٥٥٨ طالبا ، وفى جامعة عين شمس ٢٢١٩ طالبا ، وفى جامعة الإسكندرية ١٩١٦ .

وبلغ عدد الذين تقدموا من شعبة الرياضة ١٤١١ قبل منهم ١١٠٩ ، وعدد الذين تقدموا من شعبة العلوم ٤٥٣٤ قبل منهم ٢٧٧٦ ، وبلغ عدد الذين تقدموا من شعبة الآداب ٣٨٠٨ قبلوا جميعا بلا استثناء .

أنباء العالم الإسلامى

بعد ٧٢ عاما

تم فى مساء الثلاثاء ٢١ صفر (١٩ أكتوبر) توقيع الجانبين البريطانى والمصرى فى البهو الفرعونى من البرلمان – على اتفاق جلاء الجيش البريطانى عن منطقة القنال آخر بقعة فى مصر كان يحتلها .

ونصت المادة الأولى من الاتفاق والجزء (١) من الملحق الأول بالاتفاقية على أن يتم الجلاء إلى آخر جندى بريطانى فى ٢٠ شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق ، ويكون ذلك بالتدريج بحيث يكون ٢٢ فى المائة من القوات البريطانية قد تم جلاؤهم بعد ٤ أشهر و ٣٥ ٪ بعد ثمانية أشهر ، و ٥٤ ٪ بعد ١٢ شهراً ، و ٧٥ ٪ بعد ١٦ شهراً ، و ١٠٠ ٪ فى ختام العشرين شهراً .

وتنص المادة الثانية على انقضاء معاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وجميع ما تفرع عنها .

وتنص المواد الثالثة والرابعة والخامسة على أن أجزاء من قاعدة القنال الحالية تبقى صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً ، فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون – عند توقيع هذا الاتفاق – طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها فى ١٣ أبريل سنة ١٩٥٠ أو على تركيا ، فتقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة ، واستخدام الموانى المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض المذكورة .

وإذا عادت القوات البريطانية لمنطقة القنال للسبب السابق ذكره فإنها تجلو فوراً بمجرد وقف القتال المذكور . وفى المادتين السادسة والسابعة بعض التفصيل لما يكون فى الأحوال السالفة الذكر .

وفى المادة الثامنة إقرار الطرفين على أن قناة السويس البحرية – التى هى جزء لا يتجزأ من مصر – طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والستراتيجية وهما مصممان على احترام الاتفاقية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة الموقع عليها فى القسطنطينية فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ .

وتنص المادة ١٢ على أن مدة الاتفاق الجديد سبع سنوات من تاريخ توقيعه ، وفى خلال السنة السابعة يتشاوران فى تقرير التدابير اللازمة عند انتهاء الاتفاق . وعند انتهاء مدة الاتفاق على حكومة المملكة المتحدة أن تنقل أو تتصرف فيما قد يبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة ، ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مد هذا الاتفاق .

ومما جاء فى الملحق الأول : تعين كل من السلطات المصرية والبريطانية أثناء فترة الجلاء قيادة مختصة فى منطقة القناة يناط بها أن تنقل — تدريجياً — مسئولية تأمين المنشآت أو صيانتها من الأيدى البريطانية إلى الأيدى المصرية . وتأخذ رياسة القيادة الشرقية (المصرية) على عاتقها — تدريجاً أثناء فترة الجلاء — مسئولية السيطرة على منطقة القناة سيطرة تتزايد بتناقص التزامات رياسة القوات البريطانية .

ومن المرغوب فيه أن يتم نقل المسئوليات من السلطات البريطانية إلى السلطات المصرية على نحو يشمل كل منطقة بأكملها على أنه فى الحالات التى يتعذر فيها ذلك ، فمن المتفق عليه ضمانا لتحديد المسئولية بوضوح أن تكون سعة المنشآت والمناطق التى تسلم بالقدر الذى يحول دون اختلاط القوات المصرية بالقوات البريطانيه ، إلى غير ذلك من التفاصيل التى تضمنها الملحقان الأول والثانى بأجزائهما ، ولا يتسع لها المجال فى مثل هذه المجلة .

فتنة جاهلية

بينما كان الرئيس جمال عبد الناصر شارعاً فى إلقاء خطبته بميدان المنشية بالإسكندرية فى الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء ٢٦ من أكتوبر أطلق عليه جاهل أحمق ثمانى رصاصات أراد الله عز وجل أن تكون طائشة كصاحبها وكتب للرئيس ما قدره له فى غيب علمه من نجاة ، وقبض على الجانى وهو سباك من امبابة يدعى محمود عبداللطيف ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين . واستمر الرئيس جمال فى خطابه بشجاعة منقطعة النظير ، وعاد فى صباح اليوم التالى إلى القاهرة وسط مظاهرات الابتهاج بمقدمه والسرور بنجاته . واتجهت الجماهير نحو المركز العام للإخوان المسلمين فى ميدان الحلمية واخترقت نطاق الحراسة التى ضربها البوليس حوله وأشعلت النار فى مبنى المركز العام ومبنى جريدة الإخوان المجاور له وظلت النيران تلتهم الدارين من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر إلى الساعة الرابعة بعده إلى أن تمكنت المطافىء من مكافحتها وإخمادها .

هذا وقد أحيل مرتكب الجرم إلى محكمة الشعب التى تألفت لمحاكمته ، ونكتب هذا

بعد الشروع فى محاكمته ومحاكمة من اعترف عليهم بتهمة التحريض والتآمر . أعاذنا الله من الفتنة ووقانا شرورها .

باكستان — وأفغانستان

طال الخلاف وأزمن بين الدولتين الشقيقتين باكستان وأفغانستان على مقاطعة واقعة على تخوم الدولتين ترى كل منهما أنها من بلادها . وفى برقية إلى وكالات الأنباء من كراتشى أن الملك سعود وجه رسالة شخصية إلى كل من السيد غلام محمد الحاكم العام لباكستان وإلى الملك ظاهر شاه ملك الأفغان حث فيهما الدولتين الإسلاميتين على تسوية ما بينهما من خلاف فى أقرب وقت ممكن . وعلى أثر ذلك وصل إلى كراتشى السردار محمد نعيم خان وزير خارجية أفغانستان لمحادثة المسئولين فى باكستان فى تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين .

الخطأ فى انشاء اسرائيل بفلسطين

لما عاد الجنرال بينيكه (الرئيس السابق للجنة الهدنة الفلسطينية التابعة للأمم المتحدة) إلى بلده فى الدانيمارك أدلى بحديث إلى جريدة (كوبنهاجن) قال فيه : لا شك أنه كان أدعى إلى استتباب السلام والأمن لو وجد لليهود بقعة أخرى فى العالم غير فلسطين لإنشاء دولتهم . لقد كنت ميالا جداً لليهود عند ما وصلت إلى فلسطين . وان قراء الصحف الدانمركية ليس لديهم صورة صادقة لما يجرى ، فوجهات نظر اليهود هى الغالبة لأنه ليس للعرب ما لليهود من الأساليب الدبلوماسية والأموال التى يمولون بها دعايتهم . وقد وصفتنى صحيفة (بوست) الإسرائيلية حين وصولى بأنى « رجل طيب » ، وبعد أسبوعين أصبحت عدواً لليهود . إن اليهود قد ساهموا فى تدبير الاضطرابات فى فلسطين ، ولا أظن أن حكومة إسرائيل هى التى أوعزت بإثارة الاضطرابات إلا أن المشرفين على المزارع الجماعية الإسرائيلية الواقعة على الحدود منظمة بطرق خاصة للدفاع عن النفس كما يقول اليهود . ومن الطبيعى أن اليهود لا يرتاحون لوجود عرب مسلحين يطوفون بالقرب من الأراضى الإسرائيلية أثناء الليل ، ومن الطبيعى كذلك أن تقع معظم الحوادث من الجانب الإسرائيلى من خط الهدنة . وعلى أية حال فإن العرب هم الذين يعانون من جراء وضع خط الهدنة عبر أراضيهم .

هذه خلاصة اختبار جنرال دنمركى خوله منصبه الممتاز فى دراسة حالة اليهود فى فلسطين أن يصحح رأيه ويصدر حكمه على هذه الأمة الشريرة فيعلن خطأ الحلفاء فى تمكينهم من

النزول فى هذه البقعة من الأرض وتسليط بلائهم على القومية العربية فى قلب أوطانها والتصريح بأن كل الشرور الواقعة فى فلسطين فإن اليهود هم سببها ومصدرها .

ثورة الجزائر

نشبت ثورة عنيفة فى القطر الجزائرى فى أوائل هذا الشهر فكانت مفاجأة جديدة للاستعمار الفرنسى اندلعت نيرانها فى بلدان مختلفة فى وقت واحد ، وانفجرت فى مدينة الجزائر العاصمة ثلاثون قنبلة متوالية ، وحطمت محطة توليد الكهرباء ، وفى مدينة قسنطينة انفجرت ٤٣ قنبلة ، وهاجم الثائرون بعض المعسكرات التى فيها ضباط وجنود جزائريون فحطموا بواباتها وانضم إليهم بعض الضباط والجنود الذين كانوا فيها . ونشبت حركات أخرى فى خنصـــالة وأبى فريك وباتنه وأماكن أخرى .

وتقول وكالات الأنباء : إن كتيبة من جنود المظلات أرسلت من فرنسا إلى الجزائر على جناح السرعة ، وإن الحكومة الفرنسية عززت قوات البوليس بستمائة رجل من رجال البوليس الفرنسى الخاص ومعهم ثلاث سفن محملة بالأسلحة والعتاد ، وحظر التجول فى كثير من البلاد ، وعزلت بلدة أوريس — بين بسكرة وباتنة — عن بقية البلاد . والمعتقد أن قوات أخرى فرنسية ترسل من ألمانيا إلى المنطقة الثائرة فى الجزائر .

وقد اعترف وزير الحربية الفرنسية بعد عودته إلى باريس من رحلة عاجلة قام بها فى الجزائر بأن فرنسا محتاجة إلى مزيد من الوقت والقوات المسلحة قبل أن تتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها .

وكان من تقاليد الجزائر الاحتفال بالمولد النبوى فى حفلات تحمل فيها المشاعل ، فأصدرت السلطات الفرنسية أوامر الحظر لمنع هذه الحفلات خوفا من أن تتحول إلى معارك ضد الاستعمار .

وفى يوم ذكرى المولد النبوى قامت قوات فرنسية من عشرة آلاف — وفيها جنود المظلات والفيلق الأفريقى والفرقة الأجنبية ومعها عدد كبير من الدبابات والسيارات المصفحة وطائرات الاستكشاف — بحملة واسعة على الجبال التى يعتصم بها الثوار الفدائيون وتقدرهم السلطات بثلاثة آلاف ثائر ، والمظنون أن المعارك لن تنتهى قبل مضى ثلاثة أشهر .

سلطان مراكش

لما أيقنت فرنسا من فشلها فى إقامة ابن عرفة بدلا من سلطان مراكش الشرعى

جلالة محمد الخامس ، رسمت لنفسها خطة جديدة لتسكين ثورة الشعب المغربي وذلك بأن تعزل صنيعتها ابن عرفة في مقابل تنازل السلطان محمد الخامس لابنه . وقد أرسلت مندوباً خاصاً إلى السلطان في منفاه بمدغشقر ليفاوضه في ذلك . فكتب السلطان الرد التالي على ذلك الاقتراح :

« إنني أستمد سلطتي من الشعب المراكشي الذي عبر عن ثقته بي . وقد رفضت التنازل عن العرش تحت ضغط الحركة الانقلابية في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٣ ، فمن الأحرى أن أرفض التنازل اليوم بعد أن أصبح واضحاً للعيان أنني كنت ضحية للقذف والأكاذيب . ولكنني أعلن في الوقت نفسه أنني على استعداد لدراسة أي حل لا يتناول موضوع تنازلي عن العرش ويقصد به إلى تهدئة الحالة وإلى تحقيق تسوية مشرفة وذلك ضمن الاحترام الكامل لحقوق البلاد المشروعة »

من الأوقاف للمؤتمر الإسلامي

قرر وزير الأوقاف أن تتبرع الوزارة بخمسة آلاف جنيه للمؤتمر الإسلامي ، للإنفاق منها على أعمال المؤتمر . وقد وقع الأستاذ الباقوري حوالة بهذا المبلغ وأرسلها إلى السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر .

ولما كانت الإعانات المجموعة قبل الحرب العالمية الأولى للمؤتمر الإسلامي الذي انعقد في هليوبوليس برئاسة رياض باشا قد اشترى بها ١٤٤ فدانا ووقفت على مواصلة المقاصد التي قام المؤتمر لتحقيقها ، وحجة الوقفية باسم حسن باشا رضوان نائب رئيس ذلك المؤتمر ، فقد اتجه الرأي الآن إلى أن المؤتمر الإسلامي الحالي هو المستحق الوحيد لريع هذه الأطيان بحكم شرط الواقف .

منصب الافتاء

أصدر وزير العدل قراراً بندب الشيخ أحمد ابراهيم مغيث — رئيس التفتيش القضائي الشرعي بالوزارة — للقيام بأعمال مفتي الديار المصرية لمدة ثلاثة أشهر .

مساعدات التنمية الاقتصادية

من أمريكا لمصر

وقعت مصر والولايات المتحدة اتفاقية تقضي بأن تزود الولايات المتحدة مصر بالمساعدات للتنمية الاقتصادية وأن تكون هذه المساعدات مكملة لنشاط مصر الحالي في ميدان التنمية الاقتصادية لا بديلا عنها ، وستتمكن وكالات الحكومة المصرية - بهذه الاتفاقية - من أن تدخل في اتفاقات فرعية مع بعثة العمليات الأمريكية في مصر لتحديد المشروعات المشتركة ومقدار ما تساهم به كل من الحكومتين ، ومنها المشروعات الخاصة بالنقل فإن بناء السد العالي وإنشاء صناعات

جديدة سيؤدى إلى الضغط الشديد على طرق مصر وسككها الحديدية ، وكذلك مشروعات المياه الصالحة للشرب . وقد خصصت الولايات المتحدة حتى الآن مبلغ أربعين مليون دولار لهذه المساعدات الفنية . وقال السفير الأمريكى عقب توقيع الاتفاقية : إن الولايات المتحدة تبدى بذلك ثقتها فى مستقبل مصر الاقتصادى .

بغداد النيل على المقطم

ومدينة سياحية بالإسكندرية

وقع الوزير قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى عقد الاتفاق بينه وبين الشركة المصرية للأراضى والمبانى ، على أن تقوم الشركة بتعمير جبل المقطم وإقامة مدينة سياحية حديثة على هضاب تسمى (بغداد النيل) ،وعلى إنشاء منطقة سياحية ساحلية من قصر المنتزه فى الإسكندرية حتى نهاية ساحل المعمورة ، ومنطقة سياحية أخرى فى انشاص ، وقد ناب عن الشركة فى التوقيع على الاتفاق الأستاذ ايلى بوليتى عضو مجلس إدارة الشركة المنتدب .

وقبل توقيع العقد قدم الأستاذ بوليتى إلى السيد الوزير مشروع تخطيط هذه المناطق ، وألحق بالعقد خريطة منطقة المنتزه وخريطة منطقة المعمورة وخريطة بغداد النيل على المقطم وخريطة منطقة انشاص وبرنامج تنفيذ الأعمال التى ستقوم بها الشركة ، كما قدمت الشركة وقت توقيع العقد جميع الضمانات المالية التى نص عليها العقد ، وشيكات معتمدة بقيمة الالتزامات المالية المفروضة عليها والملزمة بسدادها عند التوقيع ، وجرت العادة فى مثل هذه المناسبة أن تقوم الشركات بتقديم أقلام الحبر الذهبية أو أدوات البناء المصنوعة من الذهب الخالص هدية تذكارية لمثل هذا التوقيع ، ولكن الأستاذ ايلى بوليتى اختار أن تكون هدية الشركة نسخة نفيسة من المصحف الشريف .

تبرع الملك سعود

للاجئين العرب

تبرع الملك سعود بعشرين ألف جنيه للاجئين الفلسطينيين فى قطاع غزة ، فتقرر أن ينفق عشرة آلاف جنيه منها لشئون التعليم ، وثمانية آلاف جنيه لكساء الفقراء فى القطاع ، وألفان للأسر الفقيرة التى تقيم فى مصر من فلسطين .

شعب أرقى من حكومته

قال الدكتور معروف الدواليبى : إن الحكم الوطنى فى سوريا لم يستطع حتى الآن أن يحقق المسئولية الملقاة على عاتقه وإن الفضل فى التقدم الذى أحرزته البلاد يعود إلى الجهـــد الفردى أكثر مما يعود إلى الحكومات التى تعاقبت على دست الحكم ، لأن عدم توافر الاستقرار حرم هذه الحكومات من إمكانية تنفيذ برامجها فى الحكم ، فلم تفد هذه الحكومات من حيث التطور وتنمية مواردها الاقتصادية .

الفهرس

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما



مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
ملّيم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

القاهرة فى غرة ربيع الثانى ١٣٧٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٥٤ - الجزء السابع - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم



رسالة المعلم

المعلمون الذين ستقع أنظارهم على هذه الكلمة يعدون بالمئات إن لم يعدوا بالألوف ، وما منهم إلا من يحفظ كلمة حافظ فيهم :

قم للمعلم وفّه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

وهم يحفظون هذه الكلمة على أنها ثناء عليهم بأنهم - مع قيامهم بمهمة التعليم - يحملون رسالة من رسالات الله ، يتوسلون بها إلى مرضاة الله . وإذا كان فيهم من أجهد نفسه فى طلب العلم من نعومة أظفاره فى مختلف مراحل التعليم إلى أن صار معلماً ، ولم يبلغ بعد أن يكون من حملة رسالة الله إلى أبناء الجيل الناشىء فى معاهد التعليم ، فإن الناس لا ينكرون عليه أنه معلم ، ولكنهم لا يعترفون له - ولا هو يعترف لنفسه - بأنه أحد الذين أثنى عليهم حافظ ابراهيم ، لاضطلاعهم برسالة التعليم .

المعلمون فريقان : معلم آلىّ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين ، ومعلم صاحب رسالة فى التعليم يؤدى عَمله من قلبه إلى قلوب المتعلمين . وكلا الفريقين يؤدى عمله ، ويبذل فى سبيله من جهد ووقت مثل الذى يبذله صاحبه ، غير أن أحدهما آلة ، والآخر مؤمن برسالة .

الأول تافه يعيش على هامش الحياة ، والآخر خالد يؤدى لله واجبه فى تكوين الجيل وإعداده للحياة .

الأول اسطوانة تتحرك وهى لا تشعر بما تتحرك له ، والآخر أب حكيم رحيم يعتبر تلاميذه أمانة الله بين يديه كأولاده الذين اختصه الله بهم وائتمنه عليهم .

إن الأمة الإسلامية كلها — ومصر فى جملتها — تجتاز الآن طوراً من أطوار تاريخها ، وهى منه على مفترق الطرق . والتطور لا يتناول الذين شبوا عن الطوق ودخلوا فى سن الرجولة أو الكهولة أو الشيخوخة ، بل يتناول رواد معاهد العلم من البراعم التى فى سن الطفولة ، إلى المراهقين الذين يملأون المدارس الثانوية ، فالشباب الذين يتلقون التعليم الجامعى ، هؤلاء هم المعرضون الآن لحادث التطور ، وهؤلاء هم الواقفون على مفترق الطرق ، وهؤلاء هم الذين سيكون منهم — فى عشرات السنين الآتية — أتفه أمة أخرجت للناس ، أو خير أمة أخرجت للناس . وفى يد المعلم ، المعلم الذى يجهل رسالته أو يتجاهلها ، والمعلم الذى يعلم رسالته ويؤمن بها ، فى يد هذا الفريق من المعلمين أو ذاك ، تكوين الجيل الآتى ، وإعداده لمستقبل الأمة والوطن جيلا نافها ، أو جيلا خيّراً نافعا .

كان اسم المصنع القائم على إعداد الأجيال الماضية « وزارة المعارف » ، لأن المطلوب من المعلم فيما مضى كان حشر ألفاظ من المعارف فى أمخاخ التلاميذ والطلبة ليجتازوا بها الامتحان السنوى ، ثم يحصلوا بعد ذلك على شهادة يتوصلون بها إلى وظيفة فى دواوين الحكومة ، فكان يكفى لذلك أن يكون المعلم آلة تحفيظ يؤدى عمله من لسانه إلى آذان المتعلمين .

هذه هى الطريقة التى اختطها دانلوب لوزارة المعارف ، وسارت عليها وزارة المعارف فى النصف الماضى من هذا القرن . أما الآن أى فى السنة الدراسية الجديدة ، فقد تحولت وزارة المعارف إلى شىء آخر ، إلى « وزارة التربية والتعليم » ، إشعاراً للمعلم بأن عمله الفردى السابق أصبح الآن عملا مزدوجاً : كان معلماً فصار معلماً ومربياً . كان موظفا مكلفا بإعداد موظفين ، فصار أباً مكلفاً بإعداد رجال عاملين خيرين نافعين . كانت مهمته تنتهى بين لسانه وآذان تلاميذه ، فازدوجت الآن هذه المهمة ، وصار مكلفاً بأن ينشىء صلة جديدة بين قلبه وقلوب أبناء كأبنائه ائتمنه الوطن عليهم ليكون منهم خير أمة أخرجت للناس ، لا ليتركهم هملا يتعرضون بأهوائهم لحبائل الشيطان فيكونوا شر أمة أخرجت للناس .

لقد تحول المعلم عندنا - للمرة الأولى - من آلة أو اسطوانة تردد مناهج وزارة المعارف ، إلى مربّ يرى فى نفسه أنه سفير وزارة التربية والتعليم ، إلى فلذات أكباد الأمة الذين

يملأون مقاعد معاهد التربية والتعليم ، ليجعل منهم لبنات قوية سليمة فى بنيان الجيل الحبيب ، فى المستقبل القريب .

لقد صار المعلم مربياً ومعلماً من قلبه وصميم روحه ومنتهى عزيمته ، بعد أن كان معلماً من لسانه وذاكرته . وهذا الفرق الجوهرى بين المعلم الدنلوبى والمعلم الاستقلالى هو الذى يجب أن يجعله المعلم نصب عينيه فى داخل مدرسته وخارجها .

لقد أصبح المعلم مسئولا عن تربية العقل فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، والعقل هو المصباح للنفس البشرية يقوم على توجيهها إلى الحق والخير فى طريق الحياة ، فكلما كانت عناية المعلم بتربية عقل التلميذ أحكم وأقوم ، كان للأمة من هذا التلميذ الرجل المستنير المهذب الذى تعتز به الأمة ويرتفع مستواها ويستقيم سيرها نحو العلى ، فيكون لها فى التاريخ دور أعز وأفضل وأعلى .

والمعلم مسئول عن تربية الخُلق فى أبناء الأمة الذين ائتمنته الأمة عليهم ، ليكون الجيل الآتى من الأمة - فى عشرات السنين التالية - من أهل الصدق والتعاون على الخير ، والصبر فى الشدائد ، ومن أهل القصد والرفق والاعتدال ، والدأب فى العمل والمثابرة عليه والتجويد له ، وإيثار الآجلة بنصيبها من السعى والجهد ، مع إعطاء العاجلة حقها من ذلك .

أيها المعلمون ، أنتم الذين تروون للناس قول شوقى : « الأمم الأخلاق » وقد مل الناس رواية هذه الكلمة بالألسن ، وباتوا فى حاجة إلى أن يروها معمولا بها فى سيرتنا وتصرفاتنا وتعاملنا فيما بيننا ، لنكون قدوة لهم ولتكون لهم أسوة بنا ، فإن لسان الحال أبلغ وأصدق وأجدى وأسرع تأثيرا من لسان المقال . وإذا كانت الأمم الأخلاق ، فما هى منزلتنا الآن من هذه الأخلاق ؟ وهل من سبيل إلى الارتفاع بمنزلتنا إلا على أيديكم ؟ وإذا كان التغنى بقول شوقى : « إنما الأمم الأخلاق » لم ننتفع به من طريق الكلام ، فهلا ترون أن الأوان قد آن لنجرب طريق القدوة والأسوة ؟ وإذا كنتم يائسين من جدوى القدوة والأسوة فى جيلى أنا وأمثالى من الذين شبوا عن الطوق ، فهلا نبدأ بتجربة القدوة والأسوة مع هـــذه البراعم المتفتحة للحياة على مقاعد مدارسكم ومعاهدكم ؟

إن الزمان استدار ، والبضاعة التى كانت ترضى وزارة المعارف فيما مضى ، لن تكتفى

بها وزارة التربية والتعليم فيما سيأتى ، وقد أصبحت الأمة فى حاجة إلى جيل منها جديد يحب الله ، ويؤثر رضاه ، ويتقى مساخطه . ويختار الحق والخير ، ويقتدى فى ذلك بالمثل العليا فى سيرة الأخيار من أهل الحق ، وما أكثرهم فى سلف هذه الأمة الغنية بالأخلاق فى جاهليتها ، فضلا عن عصور الإسلام التى قدمت للإنسانية من قادة الحق والخير من لا تضارعها فيهم أمم الأرض مجتمعة ، فاستمدوا من هذا الماضى الغنى بالفضائل لإعداد المستقبل إعداداً صالحا تتصل أخراه بأولاه ، فنستأنف سيرتنا الطيبة فى التاريخ .

عرفوا الأحفاد بفضائل الأجداد .

ابعثوا فى الحاضر مآثر الماضى .

اربطوا قافلة الغد بقافلة الأمس لتواصل طريقها إلى السعادة .

إن معلم الناس الخير ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع ، فعلموا تلاميذكم ما ينفعهم فى تنمية عقولهم ، وتربية أخلاقهم ، والنهوض بمستوى حياتهم ، حتى يكونوا أمة صالحة تحترمها الأمم ، وحتى يكونوا أمة صدق ، ودأب ، وتجويد ، وابتكار لكل ما ينفع الناس ويقضى حاجاتهم ويرفع مستواهم بين الأمم .

هذه هى رسالة المعلم ، والذى يؤمن بها لا يحتاج إلى مناهج تدله عليها ، ولا إلى دليل يأخذ بيده إليها كالدليل الذى يستعين به الكفيف إذا سلك طريقه .

هى رسالة يعرفها كل معلم ، ثم يتفاوتون فى العمل بها ، بقدر تفاوتهم فى الإيمان بها . والفارق بين الفريقين هو أن يميز المعلم طريقه فى التعليم : فهل هو موظف فى وزارة المعارف الدنلوبية ، أم هو سفير وزارة التربية والتعليم ، المتعاون معها على تكوين الجيل الجديد بتربية عقله وخلقه ونفسه ، وتزويده بالعلم النافع للنهوض بمستوى الأمة الاجتماعى إلى ما يرضى الله وتعم به فى الأوطان الإسلامية رسالة الحق والخير .

إن رسالة المعلم هى رسالة الدليل للأمة الحائرة وهى على مفترق الطرق ، فانظروا إلى أى طريق أنتم ذاهبون بها ...

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٢ -

طموح الأنبياء إلى البنين

« هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لى
من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء »

ينساق إلى بعض الأذهان أن الرغبة فى الذرية ظاهرة لحب الدنيا ، ويعيبون على إنسان أن يبتغى الولد ليكون ذكرى والديه ، وعماد أهله ، ويرون الحنين إلى الخلف محاولة للبقاء فى تلك الحياة ، فإن لم يكن بالذات فليكن بالخلف ، وكل ذلك عند هؤلاء المتزهدين مشغلة عن الآخرة ، وتشبث بأعراض الحياة ، وهذا لهو ، أو أشبه باللهو ، واللهو كله ليس شيئاً فى حساب الأتقياء : هذا ما لديهم من تعللات .

وهناك آخرون من عشاق التقاليد ، يتحاشون إنجاب الأولاد ، خشية أن تثقلهم التكاليف ، وتزدحم بهم متع الحياة الزوجية ، فهم لذلك يحجمون عن الزواج ، أو يستخدمون الوسائل المحظورة فى التخلص من إنجابهم .

ويفوت أولئك المتزهدين أن حب الولد فطرة فى الإنسان ، وفى كل نفس حية ، وأنها نزعة طبيعية امتزجت باللحم والدم ، وهى ما يسمونه (غريزة بقاء النوع) أو نحو ذلك ، مما اقتضته السنة الكونية .

وفاتهم كذلك أن الدين الحق لا ينازع الفطرة ، وأن الفطرة السليمة لا تنأى عن الدين ، ولا تشاقه - وكيف يكون بين الدين والفطرة السليمة عناد : وكلاهما من صنع الله الذى أتقن كل شىء ؟

وكذلك فات الذين يقاومون الفطرة ، ويتأثرون بالتقاليد ، أن هذا اتجاه لا يستقيم ، ولا تستقيم عليه النظم الكونية ، بل ولا تستقيم عليه الحياة الشخصية ، فإن الإقلال من إنجاب الأولاد مدعاة لانكماش الدولة ، وانتقاص الجماعة . ومن دواعي النهوض في الدولة أن تعمل على الكثرة . وبجانب ذلك اعتبار آخر هو أن المرء قد يبتلى في ولده فيصبح بعد ذلك محروماً يقاسي لوعة الحرمان أو على الأقل يعيش غير مستأنس بأبناء ، هم بحكم الفطرة أعوان في الحياة .

وإذا كان حب الولد فطرة ، فليس أطوع للفطرة من صاحب دين خالص ، فما بالك بالأنبياء ، وهم صفوة الناس طباعاً ، وأرجحهم مدارك ، وأكملهم إنسانية ؟ .

أراد ربك أن يرسم لنا في المنهج الديني طواعية المرء للفطرة في حب الولد ، واتخاذ السبيل إليه ، فساق إلينا حديث الأخيار من عباده ، لنلتمس فيهم القدوة ، ونتلقى عنهم الوسيلة ، وفي ذلك ما يدفع الشبهة الكاذبة التي تخالج المتزهدين ، أو تجرى في أفواه الأدعياء . وفيه أيضاً إيقاظ لعاطفة الأبوة الكامنة في النفس والتي يحاولون كبتها ، أو الضغط عليها بالجنوح إلى التقاليد المصطنعة .

* * *

وهذا زكريا نبي الله عليه السلام ، بلغ من العمر ما بلغ ، وفات زوجته أوان الحمل ، وأصبحت عاقراً لا تطمع في المخاض .

ولكن الأمل ، والحنين ، وتحكم الفطرة ، ودافع الغريزة : كلها لا تدع زكريا يستسلم لليأس من الولد ، أو الزهادة فيه ، كما أن دينه الحق لا يمنعه أن يدعو إلى الله ، ويطرق باب الرجاء في فضل مولاه ، بالدعوات الصالحات أن يرزقه الذرية . وهو إذ يلح في دعواته بالذرية مطاوعاً لفطرته ، ومستأنساً بتوجيه دينه ، إنما هو جانح إلى البشرية في خصائصها البارزة ، غير لائذ إلى مزاعم المتجردين ، من أن التبتل المتعمد من كمال التدين ، ومن شعار الأصفياء . نعم : ليس كذلك .

فزكريا حينما وجد مريم تعيش في كنفه ، وتكلأها رعاية الله ، فيأتيها الرزق من حيث لا يدرى هو ، ومن أصناف لا يعهدها في وقتها ، بل ولا في جودتها ونضجها : يجيش الأمل في نفسه ، وتثور عنده الرغبة في الذرية ، فيضرع إلى الله منادياً « رب : هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء ، وما له لا يدعو ؟! وقد سمع من قبل ما دعت به أم مريم ،

ثم رأى بعينيه كيف استجاب الله لها فى مريم ، وكيف يجرى كرم الله على مريم ؟ ؟ وإذاً : لا يبعد على الله أن يستجيب له ، وأن يرزقه ، وأن يكون ولده أحدوثة العجب والقدرة ؟؟ كما كانت مريم وابنها أحدوثة العجب والقدرة ؟؟

والقرآن يحكى أن زكريا دعا ربه فى صيغ عدة . فمرة يقول : « رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين » ، وأخرى يقول : « رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » ، وثالثة يقول : « رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإنى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا » .

وهل كانت تلك الدعوات أو ما هو أكثر منها وفى معناها متعاقبة فى وقت واحد ؟ ؟ فهم بعض المفسرين هذا من قوله سبحانه : « هنالك دعا زكريا ربه » ، وقوله بعد ذلك : « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب » ، فإن نداء الملائكة له بالبشرى وقع وهو فى مقامه من محراب مريم ، وجاء مقرونا بالفاء الدالة على القرب ، ثم اقترن بواو الحال فى قوله : « وهو قائم يصلى فى المحراب » .

فكأنه لم تمض مدة بين الدعاء والإجابة من الملائكة .

وآخرون من المفسرين يرون بُعد الإجابة عن الدعاء بأزمنة طويلة ، لذلك كرر دعواته ولم تكن فى وقت واحد ، وأما التعبير بالفاء فى قوله : (فنادته الملائكة) فلا يقصد منه اقتران التلبية بالدعاء ، وإنما قصد منه الدلالة على القرب فى الوقوع ، حتى كأنه اقترن بالدعاء .

وكيفما كانت التلبية ، فقد تكررت روايتها فى القرآن ، ففى سورة آل عمران « أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » ، وفى سورة مريم : « يا زكريا : إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » ، فالبشرى آذنت زكريا بأوصاف ربما كانت أكثر مما يرجو ، فإنه طلب ذرية طيبة ، وفسر الذرية بأن تكون ولياً يرثه ، ويرث من آل يعقوب ، وليس له من ميراث سوى البركة ، والدين . والخلق ، وأن يكون خلفا طيباً لسلف طيب ، يقوم بالهداية ، والإصلاح ، حتى لا يكون الأمر فوضى بين الأقربين لزكريا من أشرار بنى إسرائيل يتكالبون عليه ، ويتنازعونه بعد وفاته هو .

وبهذه البشرى قوى الأمل فى نفس زكريا ، وألحت عليه النزعة البشرية فى التعجب ؟ كيف يكون له ولد عرفه الآن باسمه يحيى ، وعرفه بصفاته : بأنه لم يسبق إلى هذا الاسم ، وبأنه مصدق بكلمة من الله ، يعنى مؤمنا بنبى آخر يكون كلمة من الله ، وهذا تبشير بعيسى — ولم يكن عيسى ولد — وعرفه بأنه سيكون سيداً فى قومه ، وحصوراً عن النساء — وكانت هذه محمودة فى زمنه لأشخاص معينين — وعرفه فوق ذلك كله بأنه سيكون نبياً من الصالحين للدين والدنيا ، وفى نفسه وفى قومه .

كيف يكون له ذلك الولد ، وهو لا يعهد فى مثل زوجته أن تلد ، وهل سيكون الولد منها ، أو من زوجة سواها ، ولم يعد فى عمره متسع للاقتران بأخرى بعد ؟ ؟

ولكن الله سبحانه يزيده طمأنينة ، ويؤكد له البشرى بما يعجب من حصوله ، فتناديه الملائكة ثانيا : « قال : كذلك : قال ربك هو علىّ هين » الأمر كما سمعت ، لا شبهة فى حصوله ولا استبعاد ، ثم ينبهه إلى سهولة ما عظم عنده بما جرى فى نفسه « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » .

ولكن هذه البشائر وهذا التدليل لم تقف بزكريا عند ما فيها من التفاؤل الأكيد ، بل زادته شغفا بقرب الحصول ، فسأل الله آية على ذلك .

وفى كثير من هذه المراحل معان إنسانية ، فيها وجوه من الشبه بين الأنبياء وبين غيرهم من الناس .

وسنعود إليها عند إتمام الحديث إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

التجاريب

الحلم بعد الجهل قد يثوب ... وفى الزمان عجب عجيب
وعبرة لو ينفع التجريب ... واللب لا يشتق به اللبيب
والمرء محصىً سعيه مرقوب ... يهرم أو تعتاقه شعوب

الأغلب العجلى



قصة أبى طالب *

— ١ —

أبو طالب وعبد المطلب فى قريش - أعلى مثل للأبوة والبنوة فى التاريخ — عام الحزن — وفاة يحضرها رسول الله وعدو الله - هدايتان - عظات وعبر .

عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال للنبى ﷺ : ما أغنيتَ عن عمك ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو فى ضحضاحٍ من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار .

وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلى منه دماغه ! .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

حاطه يحوطه حوطا وحياطة : صانه وحفظه وذبّ عنه وتوفر على مصالحه . والضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير هنا للنار . والدرك : قعر جهنم وطبقتها السفلى . وفتح الراء وإسكانها قراءتان سبعيتان .

* * *

لهذه القصة العجيبة صلة أى صلة ببحثنا السابق « جزاء الصالحات » نرجو من الله أن يجعلها عونا لإتمام هذا البحث ، كما نرجو أن ينفعنا بما فيها من عبر وعظات ! !

(*) هذا عنوان أبى عبد الله البخارى لثلاثة أحاديث فى كتاب المناقب : هذين الحديثين ، وثالث بينهما فى وفاته ، سنستعين به فى الشرح .

أدرك الإسلام من أعمام النبي ﷺ الاثنى عشر أربعة؛ استجاب له منهم سيد الشهداء، وأبو الخلفاء: حمزة والعباس. ولكل منهما في الإسلام، ونصرة النبي عليه الصلاة والسلام، بلاء عظيم، ومقام كريم. عليهما رضوان الله.

ولحكمة بالغة حقت كلمة العذاب على عميه: أبي طالب وأبي لهب، وإن كان البعد بين عذابيهما في دار القرار، كالبعد بينهما في هذه الدار؛ وأين من كان يسبه ويخذله، ويعاديه أشد العداء، ممن كان يؤيده ويعاضده، ويواليه أشد الولاء؟!

* * *

كان أبو طالب عما شقيقا للنبي ﷺ، وكان - على قلة ماله - كأبيه عبد المطلب، سيدا كريما مهيبا، مطاعا في قومه محبّبا؛ وكان إلى ذلك محبا لابن أخيه حبا فاق كل حب، ومؤثرا له إيثارا فاق كل إيثار، وإذا أعد الله من اصطفاه ليتمم مكارم الأخلاق، فإنه خليق بمنتهى الحب والإعجاب والإكبار.

عرف ذلك منه أبوه عبد المطلب، وكان كفيل النبي صلى الله عليه وسلم، وولىّ أمره. فلما حضرته الوفاة وقد أشرف الحفيد الحبيب على الثامنة من عمره، عهد بكفالته إلى ابنه أبي طالب، ووصاه به حسنا.

* * *

وأنفذ أبو طالب وصية أبيه بابن أخيه في كل مرحلة من مراحل حياته المباركة، وعامله أحسن معاملة ترجى من أب حفىّ سرىّ، لوحيده الزكي الوفي ... حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، وفضله الله بالنبوة الخاتمة، والرسالة إلى الناس عامة - لم يتخل عنه ساعة من ليل أو نهار، حين تخلى عنه الأقرباء، وناصبه قومه العداء، ووقفوا في سبيل دعوته عقبة كأداء؛ بل اشتد ولاؤه له وذياده عنه؛ وكان هو والعقيلة النبيلة، أم المؤمنين وأول المصدقين: خديجة بنت خويلد - عليها رضوان الله - وزيرى صدق لدعوته، وردأى حق لرسالته ...

* * *

ويقضى الله الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، أن يفقد النبي ﷺ هذين الوزيرين أحوج ما يكون إليهما، بعد أن قاما مخلصين بعبء عظيم في كفاح الدعوة، وأبليا

فيها بلاء حسنا إلى أجل مسمى . توفاهما الذى يتوفى الأنفس حين موتها فى نحو شهر واحد ، بعد شق الصحيفة الظالمة ، وفك الحصار الذى استمر سنتين أو ثلاثا ، وكان أثرا من آثار الصراع بين الحق والباطل ؛ وقبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات أو نحوها ! فلا عجب أن يعظم حزنه عليهما ، وأن يسمى سنة وفاتهما عام الحزن ! وأن يستقبل بعدهما أهوالا جساما ! !

* * *

وأشد أسباب حزنه - فيما نعتقد - موت عمه أبى طالب على ملة عبد المطلب ، وكان يرجو كل الرجاء أن يموت على ملة أبيه إبراهيم حنيفا ؛ ذلك بأنه صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى للإسلام فى كل ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق ، وفى مقدمتها حفظ الجميل وحسن الجزاء . وإذاً فلا مناص من أن يبذل قصارى جهده فى هداية عمه ، ليكون معه فى الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وفى ذلك قرة عينه ، ووفاء دينه ، وجزاء عمه ، وأنعم به جزاء .

* * *

وكان خاتمة ما بذل من جهد ما رواه الشيخان وغيرهما ، أن دخل عليه وقد حضرته الوفاة ، وعنده أبو جهل عدو الله وفرعون هذه الأمة ، ومعه عبد الله بن أمية الذى أسلم فى عام الفتح ؛ فقال له : ياعمّ ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال الشقى البغى أبو جهل : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرض عليه كلمة التوحيد ، ولم يزالا يعرضان عليه تلك المقالة ، حتى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يابن أخى ، لولا السبة وأن تعيرنى قريش لأقررت بها عينك ، ثم كان آخر ما كلمهم به : هو على ملة عبد المطلب ! ! فقال صلوات الله وسلامه عليه : أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك ، فأنزل فى أبى طالب « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ، وأنزل فيه وفى غيره « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » .

* * *

ولا يعزب عمن فقهه الله فى الدين ، أن الهداية التى نفاها عن نبيه هنا ، غير الهداية التى أثبتها له فى قوله تعالى : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » ، فالأولى هى الإلهام والتوفيق ، والثانية هى الدلالة والإرشاد لأقوم طريق . وشتان ما بينهما .

* * *

ألا إنه لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يزعم إيمان أبى طالب حقا بعد هـذه الأدلة، وإن كان يود إيمانه خالصا من قلبه، إقرارا لعين رسول الله ﷺ . .

ولا حجة لمن يزعم إيمانه من الرافضة وغيرهم متمسكا بما نسب إليه من مدحه وثنائه وتصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله :

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت فكنت قبـُل أمينا
ولقـد علمتُ بأن دين محمـد من خير أديان البرية دينا

فقصارى ما فى ذلك كله أنه آمن بالرسول وحده ، ولم يؤمن بربه الذى أرسله ، وإذا كان إيمانه بالله دون الإيمان برسوله لا ينفعه ، فكيف بإيمانه بالرسول وحده ، وهو إيمان دفعت إليه أواصر الرحم، ووليجة القربى ؟!!

فلا يهمنك « أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب » بل اهتم إن شئت بترجمته فى « الإصابة » لابن حجر ، وحسبك ما فيه من حجج دوامغ !

ألا وإن خيراً من المجادلة فى الحق بعد ما تبين أن تتلمس وجوه العظة والعبرة فى هذا الصنع الإلهى ، فلعلنا نجد فيـه تفسيراً عملياً لقوله جل سلطانه : « ليس لك من الأمر شىء » وقوله تعالى شأنه : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله » ثم لقوله تباركت آلاؤه : « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هـداكم للإيمـان إن كنتم صادقين »

هذا إلى ما ذكره فقهاء السيرة النبوية وحكماؤها من الحكم الإلهية البالغة، فى مبادرة الأباعد إلى الإيمـان به دون الأقارب ، وأن ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ...

ولعلنا نقول ـ بعدُ ـ مقالة الذين نزع الله ما فى صدورهم من غل : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

* * *

ذلك ، وللحديث بقية تأتى فى موعدها إن شاء الله ؟

طه محمد الساكت

من نوادر المخطوطات

« الاستدراك النضير ، على الجامع الصغير ، للأنصارى »

منح الله الجلال السيوطى بسطة فى العلم ، كما منح بعض كتبه شهرة سارت بها فى الآفاق ، وأخملت ما عداها من الكتب فى فنونها . ومن الكتب التى كتب الله لها الخلود معجمه فى الحديث : « الجامع الصغير » .

ولعل من أسباب شهرته واحتفاء الناس به ، ذلك الترتيب الذى ابتدعه السيوطى فيه ، وهو ترتيب ما جمع فيه من الأحاديث على حروف المعجم ، فالسيوطى أول من ابتدع ذلك فى علم الحديث على ما نعلم . والجامع الصغير مختصر من الجامع الكبير للسيوطى ، ويقول بعض شراحه : « إن السيوطى لم يسبق إلى مثاله ، ولم ينسج على منواله ، وإنه قد اشتهر ، وعم نفعه وانتشر ، واشتغل به أهل العلم فى مصر والشـــام والروم واليمن والهند والسودان والحجاز » .

وقد بعثت شهرة الكتاب كثيراً من العلماء إلى شرحه ، فشرحه كثيرون شروحا مطولة أو مختصرة ، وأول من انتدب لذلك تلميذ السيوطى العلامة شمس الدين العلقمى أحد العلماء المبرزين بالجامع الأزهر المتوفى سنة ٩٢٩ ، فشرحه شرحا بالقول فى مجلدين وسماه « الكوكب المنير » ثم قفاه العلامة الشيخ محمد المتبولى الأنصارى وشرحه فى كتاب سماه « الاستدراك النضير على الجامع الصغير » .

* * *

وهذا الكتاب هو موضوع كلمتنا ، وقد دعا المؤلف إلى شرحه ما رآه فى الجامع الصغير « من إيجـاز ، هو كالألغاز » ثم ما رآه فى شرح العلقمى من « أنه ترك أشياء كثيرة لم يوضحها ، وأحاديث منيرة لم يشرحها ، وأتى بمسائل يتعقب عليه فيها ، واستدل فى مواضع بدلائل لم يحكم مبانيها ، فاحتاج كتابه إلى استدراكات ، والتعقيب عليه بواضح النكات ، والإتيان بما أخل به من شرح الأحاديث المنيرات » ، وقد سأله جماعة من أهل العلم أن يعلق عليه تعليقاً شريفاً صحيحاً واضحاً ، لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، مستدركا على المؤلف والشارح ـ رحمهما الله ـ مايحتاج إلى الاستدراك والبيان ، ومن هذا يتضح عنوان الكتاب .

وقد عثرت على الجزء الأول من هذا الشرح بمكتبة العلامة العروسى شيخ الجامع الأزهر المهداة إلى المكتبة الأزهرية ، وقد جعله المؤلف مقدمة لشرحه « تشتمل على علوم الحديث التى لا يستغنى الطالب عنها » .

وقد نهج فى هذا نهج شراح كتب الحديث فى تقديم مقدمة فى علوم الحديث ، تعين الدارسين على فهم المصطلحات الحديثية التى ترد فى الشرح ، من بيان حال الأحاديث وحال الأسانيد والمسندين وما يتصل بذلك ، كما فعل الحافظ ابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى ، حيث قدم له بمقدمته المشهورة : « هدى السارى ، إلى شرح صحيح البخارى » . وأول ما نلاحظه على هذه المقدمة أنها من أجمع ما رأينا فى علوم الحديث ولا نغلو إذا قلنا : إنها موسوعة كاملة تدل على رسوخ قدمه ، ووفرة اطلاعه ، وتمكنه فى هذه العلوم . وقد جمع فيها خلاصة ما كتبه قبله أئمة هذا الفن إلى ما أضافه هو إليها . وحسبنا فى الدلالة على ما نقول أن المقدمة تقع فى ٨٢٤ صفحة تحتوى على ١٢١ بحثاً فى بيان حال الأحاديث والمحدثين وما يتعلق بكل منهما ، كما ذكر ترجمة كل صحابى ورد ذكره فى الجامع الصغير ، وكم له فى الكتاب من حديث صحيح أوحسن أو ضعيف ، ثم ترجمة كل تابعى فمن بعده كذلك على سبيل الاختصار ، وختمها بتراجم الحفاظ الذين ذكرهم السيوطى ، وكم لكل حافظ فى الكتاب من حديث .

* * *

ونلاحظ ثانياً قوة أسلوب المؤلف وروحه الأدبية فى تأليفه ، ولقد استطاع أن يجمع فى خطبته كثيراً من مصطلحات علوم الحديث كبراعة استهلال ، فقال : « الحمد لله شارح صدور أهل السنة بتصحيح ضعيف قلوبهم الحسان ، وفاتح معضلات المشكلات بمرسل أدرج ، وأوصل المقطوعين بعلو مقداره إلى حضرات الإحسان ، ومانح من انقطع إليه ، ووقف بين يديه ، وأسند أموره إليه ، وتعلق به ، وتوكل عليه . . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من جعله من أهل التقوى والصواب ، وحفظه من المنكر والتدليس والخطأ والاضطراب ، والشذوذ والتدبيج والغلط والارتياب . . وأشهد أن سيدنا محمدا صاحب المعجزات الزاكيات والقرآن ، نبى قوى الله به متن الإيمان ، ورفع الله ببعثه الإسلام ، ووضع الكفران ... نبى طعن الأعداء وجرحهم باللسان والحسام والسنان ...

والجزء الموجود من الكتاب بالمكتبة الأزهرية هو المقدمة ، وقد فرغ المؤلف من تسويدها بمكة سنة ٩٩١ ، ومن تبييضها بمصر سنة ٩٩٣ ، والنسخة الموجودة منه وهى نسخة المكتبة كتبت سنة ٩٩٣ أيضاً بعد نسخة المؤلف بنحو ستة أشهر ، ولعلها أخذت من نسخة المؤلف ، وهى بخط على بن عبد الكريم الغمرى السمنودى ، وتقع فى ٤١٢ ورقة ، وعدد سطور صفحاتها بين ٢٤ - ٢٦ سطراً ، وعدد كلمات كل سطر بين ١٥ - ٢٠ كلمة ، وورقها جيد ، وخطها واضح يقرأ فى يسر ، وبها شطب وإصلاح بالصلب والهامش ، وعلى هوامشها استدراكات وتعليقات لغوية وحديثية وتاريخية ، وبآخرها مقابلة هذا نصها بخط المؤلف :

« المقابلة مع الأخ الصالح الفاضل العلامة بقية السلف وبركة الخلف : الشيخ نور الدين على الغمرى السمنودى ، نفعنا الله ببركاته وبركات سلفه الكريم فى يوم الأربعاء قبل ظهر ثانى عشر ربيع الآخر عام أربع وتسعين وتسعمائة . كتبه أحمد المتبولى عفا الله عنه » وقد أثبت مثل هذه المقابلة أثناء الكتاب فى مواضع عدة بخط المؤلف أيضاً .

* * *

وقد عثرت على الجزء الأول من الشرح بمكتبة طلعت بدار الكتب برقم ٥٩٧ حديث ، وهى بخط الغمرى ناسخ الجزء الأول (المقدمة) وقد فرغ من كتابته سنة ٩٩٨ ، وبآخره مقابلة وإجازة إلى الناسخ المذكور فى عدة مجالس ، ويقع فى ٤٥٣ ورقة ، وعدد سطوره ٢٥ سطراً ، وبهامشه تقييدات ، وقد تصفحته فوجدت أن المؤلف استغرقه كله فى شرح البسملة والخطبة ، وقد استطرد فيه المؤلف إلى أكثر العلوم المعروفة ، ولخص أكثر مسائلها ، واستغرق فى شرح البسملة فقط ٢٠٥ ورقات منه ، واستغرق الباقى فى شرح الخطبة .

والجزء الثالث بمكتبة باريس بعنوان « المصباح البارع النضير ، والمفتاح للجامع الصغير » ولعل اختلاف العنوان من تصرف المترجمين ، وقد فرغ من نسخه سنة ١٠٠٠ ويقع فى ٤١٣ ورقة ، وسطور صفحاته ٢٥ سطراً ، وذكر فهرس مكتبة باريس أنه ابتدأه بحرف الهمزة ، ولم يذكر أكثر من ذلك ، فلا نعلم حيث انتهى إليه من الشرح .

وقد أشار بروكلمان إليه فى فهرسه إشارة موجزة يظهر أنه استمدها من كشف الظنون ، حيث لم يشر إلى مكان الكتاب ولا مكان أجزائه على غير عادته فيما يعرض له من الكتب .

ولم نطلع على الشرح فنستطيع أن نحكم عليه حكما صحيحاً بالنسبة لشروح الجامع الصغير، ولا بالنسبة لشروح الحديث عامة، وإذا صح قياس المادة العلمية للشرح على مافى المقدمة، كان الشرح مؤلفا له مكانه بين كتب الحديث الجامعة.

وإن هذه الأجزاء المتفرقة من نسخة واحدة من الكتاب وزعتها أيدى القدر، فخصت مكتبة الأزهر بالجزء الأول وهو المقدمة، ومكتبة طلعت بدار الكتب بالثانى، ومكتبة باريس بالثالث، وهو أول الشرح، ولا نعلم أين استقرت بقية الأجزاء، وعسى أن تجمع الأيام ما تشتت من شمله. على أننا نشك فى أن يكون المؤلف قد استكمله، لأنا نلاحظ أن المؤلف كان يستغرق فى تأليف كل جزء مدة تتردد بين خمس سنين وسنتين، كما يتضح من تاريخ الأجزاء الثلاثة، فإذا كان قد بلغ فى تأليف الجزء الثالث نحو ربع الكتاب، فإن شرح الكتاب جميعه كان يستغرق نحو ثمانى سنين أخرى، لكن المؤلف توفى سنة ١٠٠٣ أى بعد الفراغ من الجزء الثالث بثلاث سنين، فأغلب الظن أنه لم يتمه، وقد تشكك هو فى إمكان إتمامه لطول العمل فيه، فقال فى خطبته: «وأرجو إن تم هذا الشرح أن يستغنى عنه من يكون مثلى بضاعته مزجاة».

* * *

أما المؤلف فهو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان شهاب الدين المتبولى الأنصارى الشافعى المصرى الإمام المؤلف المحرر المتقن. قال القوصونى: هو بركة المسلمين، ومفيد الطالبين، شيخنا، كان ورعا متواضعاً، يجلس للوعظ بالمدرسة المؤيدية، وكان لايسمع أصلا، وكنا نكتب له مانسأله عنه. أخذ عن جماعة منهم الشيخ زكريا الأنصارى، وله من المؤلفات شرح على الجامع الصغير، وهو شرح مفيد جامع، ومنه كان يستمد الشيخ عبد الرءوف المناوى فى شروحه، وله مقدمة قبل الشرح المذكور تشتمل على أربعة وعشرين علماً.

قلت: وقد رأيت هذا الشرح وطالعته فرأيته استوعب فى مقدمته أشياء نفيسه. وله رسائل أخرى، توفى سنة ١٠٠٣، ودفن خارج باب النصر [١] ؟

أبو الوفا المراغى

---

(١) خلاصة الأثر.

عمـــــار بن ياسر

كان ياسر قد قدم مكة مع أخويه يفتشون عن أخ رابع طالت عنهم غيبته ، وانقطعت أخباره ، وعاد أخوا ياسر .

فأما ياسر فقد خلفه قدر كريم ، وطاب له المقام بمكة ، وإذا أراد الله سبحانه أمراً هيأ أسبابه ، فأقام حليفا لبنى مخزوم ، وتزوج أمة لمولاه أبى حذيفة تسمى سمية ، وهى أم عمار بن ياسر .

وظهر الإسلام بمكة ، فأسلم آل ياسر على يد النبي الكريم مع السابقين الاولين ، وكانت دولة الكفر قوية لما تضعف بعد ، وكان المسلمون قليلين مستضعفين فى الأرض ، وكان الإسلام غريبا يجفوا إلا من شرح الله صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه ، وقليل ما هم .

* * *

لم تكن لحرية الرأى شوكة ، ولا للاستقلال بالفكرة دولة ، ولكنه التقليد لقوم سلفوا على الضلال المبين ، فالناس هناك لهم تبع ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، .

يلى ذلك ويتبعه أن يضطهد كل من خرج على العقيدة الجائرة ، ولو كان من عشيرته فى جاه ومنعة ، لأن العقيدة فرقت بين العشائر ، والعصبية قطعت الأرحام ، فكيف إذا لم تكن منعة ولا عشيرة كما كان للغرباء آل ياسر ؟

لقد أوذوا فى سبيل الحق ودعوته ، وامتحنوا بألوان العذاب ، فكانوا يسحبون على وجوههم على الرمضاء فى الهاجرة ، وتحمى لهم الأحجار الثقيلة ، فتوضع على أجسامهم وهم عرايا مجهودون ، وما ظنك بفجرة أقوياء ، وجبابرة ظلمة أعزة ، حين يظفرون بهؤلاء وأمثال هؤلاء من البررة الضعفاء ، وقد خرجوا عن طاعتهم ، وتحدوهم فى أكرم كريم عليهم وهو العقيدة ؟!! .

لقد مات ياسر ضحية لذلك التنكيل ، وقتلت سمية زوجه فى بعض روحات أبى جهل

للنذير، حين أغاظت له فطعنها برمحه، وكانت أول من استشهد فى الإسلام، كما دلت الأخبار، ورحم الله سمية.

* * *

ولقد نال تلك الشهادة ابنها وهو يجالد مع جند الحق معتقداً أنه على بينة من ربه، وبصيرة من نبيه الذى تنبأ له بمصيره يوم يقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار.

ولقد أسهم عمار بنصيبه فى الهجرتين الكريمتين: إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، كما قام بحق الإسلام فى الجهاد، فكان من أهل بدر الذين غفر الله لهم. وقالوا: إنه لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله.

فأما طلبه للعلم وإقباله عليه فحسبك أن رسول الله ﷺ وصفه فقال: إنه كنيف [1] ملىء علما. وقال: «اهتدوا بهدى عمار».

ولا غرو فإنه السابق فى مدرسة النبوة مع بكور العلم والدين، وفى صحبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وصهيب وبلال والسابقين الاولين رضى الله عنهم أجمعين. لهذا ثبته الله بالقول الثابت، وكان كما نعته السيد الرسول ﷺ يزول مع الحق حيث يزول.

وروى ابن عساكر بسنده إلى رسول الله عليه صلاة الله وسلامه: عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال، ولا ينبغى للنار أن تأكل منه شيئاً.

وكل هذا جعل له فى نفس الرسول صلوات الله وسلامه عليه المنزلة الرفيعة، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه، وينذر من يعاديه بغضب الله، حتى قال خالد بن الوليد فى خصومة جرت لهما بين يدى السيد الرسول: خرجت فما كان شىء أحب إلىّ من رضا عمار.

* * *

وكانت عهود الخلفاء، فما قصر عما كان له فى عهد النبى ﷺ: شهد اليمامة فاستبسل، وحرض المؤمنين على القتال فى أبلغ بيان،

---

[1] كنيف كزبير: وعاء الراعى. والمعنى المقصود واضح.

وبعثه عمر إلى الكوفة والياً ومعه عبد الله بن مسعود - وهو من هو - وزيراً ، وقال لأهل الكوفة : إنهما من النجباء من أصحاب محمد فاسمعوا لهما.

وعزله عمر بناء على شكوى من أهل الكوفة ، فإن الناس يكرهون الشديد فى الحق ، المبالغ فى الحرص على تنفيذه ، ثم قال له عمر : لعله ساءك أن عزلناك ؟ فقال : أما إذ قلت ذلك فلقد ساءنى حين استعملتنى وساءنى حين عزلتنى .

ثم كان مع عثمان على خير ود وأصفاه ، حتى استماله أهل مصر وزينوا له القول فأحفظوه ، وكانت فتنة أضل الله من سعى فيها ، فأما على فقد كان يعرف لعمار فضله وسابقته ، ويعجب به أيما إعجاب ، وكان عمار يرعى حرمة على وقربه من السيد الرسول ، وما زال على عهده معه ، وعلى ما علم من سيد الأمة فى شأن الخلاف والحق فيه ، حتى قتل مع على فى صفين شهيداً كريماً مجاهداً مع الوصى على ، كما جاهد فى مستهل الإسلام مع النبى .

وتوفى لأربع وتسعين سنة بعد أن خلف ماخلف من آثاره العلمية وتوجيهاته الروحية ، فى كثير من جلة الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ؟

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

نسمات أزهار الأندلس

أرسل شوقى هذين البيتين إلى إسماعيل صبرى يسأله عن رأيه فيهما :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ، ويرمى عن مآقينا
ترقرق الماء فى دمع السماء دماً ... غاض الأسى ، فخضبنا الأرض باكينا

فأجابه إسماعيل صبرى بهذه الأبيات :

بأفق أندلس برق يحيينا ... يبيت يضحك منا وهو يبكينا
يا وامض البرق كم نبهت من شجن ... فى أضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماء من مقل ، والنار من مهج ... قد حار بينهما أمر المحبينا
لولا تذكر أيام لنا سلفت ... ما بات يبكى دماً فى الحى باكينا
فهل تبينت فى أطلال قرطبة ... فى دار ولادة مع ابن زيدونا
ألقوا خطيئاتهم فى حجر هيكلهم ... واستعبروا ، ثم عادوا غير خاطينا

اسقاط الأحكام الشرعية

بالتحايل ممنوع

شرع الله الأحكام الشرعية ، لمصالح وحكم ، وجعلها كالأدوية لمعالجة أدواء البشرية ، وجعل للتصرفات الصادرة من المكلف مقاصد تدل عليها الألفاظ . فكل عقد يصدر من المكلف تصاحبه نية ، فإن كانت تلك النية محققة لمقصود الشارع من العقد كانت معتبرة وصحيحة ، وإن كانت غير محققة لمقصود الشارع كانت لاغية . وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن المقصود فى العقود معتبرٌ ، وأن القصد يؤثر فى صحة العقد وفساده ، وفى حله وحرمته ، كما يؤثر فى الفعل الذى ليس بعقد تحليلا وتحريماً ، فيصير حلالا تارة ، وحراماً تارة ، باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحا تارة ، وفاسداً تارة باختلافها ، فذبح الحيوان يحله إذا ذبح لأجل الأكل ، ويحرمه إذا ذبح لغير الله . وعصر العنب بنية أن يكون خمراً معصية ، وعصره بنية أن يكون خلا جائز ، إلى غير ذلك من الأحكام التى تصاحبها النية ، فتجعلها حراماً . وصدق ـ عليه السلام ـ إذ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

فبين فى الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية ، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية ، ثم بين فى الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نوى . وهذا يعم العبادات ، والمعاملات ، والأيمان ، والنذور ، وسائر التصرفات والأفعال . فمن نوى بالبيع عقد الربا فهو محصل للربا ، ولا تأثير لوجود صورة البيع ، ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا تأثير لوجود صورة عقد النكاح ، فنظير هذا ما إذا نهى الطبيب المريض عما يؤذيه ، وحماه منه ، فيحتال على تناول ما نهاه الطبيب عنه . وقد نهى الله اليهود عن تناول الشحوم ، فاحتالوا على الانتفاع بها فجملوها ودكاً بإذابتها ، وباعوها وانتفعوا بأثمانها ، فحقت عليهم اللعنة .

وقد طلب الشارع من المكلف المحافظة وامتثال الأمر والنهى ، حتى يحصل مقصوده منهما ، فعمل على سد الذرائع بكل وسيلة . فإذا حرم شيئاً وله طرقٌ ووسائل تفضى

إليه ، فإنه يحرمها ، ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه ، وتثبيتاً له ، إذ لو أبيحت الوسائل والذرائع المفضية إليه لأدى ذلك إلى نقض التحريم ، وتعالى الله عن ذلك ، فقد قال تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » . فمنع النساء من الضرب بالأرجل ، وإن كان جائزاً فى نفسه ، لئلا يكون سبباً إلى سمع الرجال صوت الخلخال ، فيثير ذلك دواعى الشهوة إلى النساء . وقال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ، ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم » .

فقد أمر الله تعالى مماليك المؤمنين ، ومن لم يبلغ منهم الحلم ، أن يستأذنوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة ، لئلا يكون دخولهم بغير استئذان ذريعة إلى اطلاعهم على عوراتهم ، وقت التجرد من ثيابهم فى هذه الأوقات .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ، لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم إن محمدا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ، ومن لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

* * *

والمتتبع للأحكام الشرعية يرى الحرص من الشارع على سد الذرائع . وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، إذ هو أمر ، ونهى . والأمر إما مقصود لنفسه ، وإما وسيلة إلى المقصود . والنهى إما مقصود لنفسه لما فيه من المفسدة الذاتية ، أو وسيلة إلى المفسدة . فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين . وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع أشد مناقضة ، وذلك لأن الشارع يسد الطرق الموصلة إلى المفاسد بكل وسيلة ، فيكون عمل المحتال فاتحا لطرق المفاسد بوسائله التى يحتال بها على تغيير أحكام الله ، والبون شاسع ، والفرق عظيم بين من يمنع من فعل جائز مخافة أن يؤدى إلى الوقوع فى المحرم ، وبين من يصطنع الحيل ، ليصبغ الفعل المحرم بصبغة الفعل الجائز ، زاعما أنه بعمله هذا ينجو من عقاب الله ، وأن نيته الباطنة ، وقصده المستتر ، يخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ومن تأمل أحاديث اللعن الواردة فى سد باب الحيل يقطع بتحريمها ، كقوله ـ عليه السلام ـ : « لعن الله المحلل والمحلل له ، ولعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، وباعوها ، وأكلوا ثمنها ، ولعن الله الراشى ، والمرتشى ، ولعن الله آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهده » .

ومما يدل على بطلان الحيل ، وتحريمها ، أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات ، وحرم المحرمات ، لما تتضمن من مصالح عباده ، فى معاشهم ومعادهم .

فالشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء الذى لابد لهم منه ، والدواء الذى لا يندفع الداء إلا به ، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرضه الله ، وتعطيل ما شرع ، كان ساعياً فى دين الله بالفساد ، فقد أبطل ما قصده الشارع من الحكمة فى الأمر المحتال عليه ، وأثبت بزعمه حكمة أخرى ، ويزيد عمله قبحاً وشناعة ما يدعيه من نسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى ، والله برىء مما يعمل وما يبتدع هذا المحتال . إذ أن الله تعالى أوجب أشياء ، وحرم أشياء ، فأوجب الصلاة ، والصيام ، والحج ، وحرم الزنا ، والربا ، والقتل ، كما أوجب الزكاة ، والكفارات ، والوفاء بالنذور ، والشفعة للشريك ، وحرم المطلقة ثلاثا ، والانتفاع بالمغصوب ، والمسروق ، فإذا تسبب المكلف فى إسقاط هذه الأحكام . بأن أسقط الوجوب عن نفسه ، أو أباح ذلك المحرم بأى وجه من وجوه التسبب سمى محتالا ، ووسيلته تسمى حيلة وتحيلا ، فمن ذلك ما إذا دخل وقت الصلاة عليه فى الحضر ، فعليه أن يؤديها أربعا كالظهر ، فأراد أن يتسبب فى إسقاطها كلها بتناول ما يزيل عقله حتى يخرج وقتها ، أو أراد أن يؤديها ركعتين ، فأنشأ سفرا ليقصر الصلاة ، وكما إذا دخل شهر رمضان فأنشأ السفر هروبا من الصوم ، أو أراد بيع عشرة دراهم نقداً بعشرين إلى أجل ، فجعل العشرة ثمناً لثوب ثم باع الثوب من البائع الأول بعشرين إلى أجل . أو أرضعت الزوجة جارية زوجها أو ضرتها لتحرمها على الزوج ، فهذه وما ماثلها من الحيل ممنوعة شرعا . ودليل منعها من الكتاب ، ما وصف الله به المنافقين فى قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون » . إلى آخر هذه الآيات التى فضحت سرائر المنافقين ، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، فقد أظهروا كلمة الإسلام إحرازاً لدمائهم وأموالهم ، غير ناظرين لما قصد له الإسلام من الدخول تحت طاعة الله مع الاختيار

والتصديق القلبي . وقد قال تعالى فى وصف المرائين بأعمالهم : « كالذى ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين) .

فذم وتوعد هؤلاء المرائين لأنهم أظهروا الإنفاق غير قاصدين حكمته ، بل قصدوا بعملهم الدنيا ، والجاه ، وحسن الأحدوثة ، كما قال تعالى فى وصف أصحاب الجنة الذين منعوا حق المساكين فقصدوا قطع ثمارها فى وقت لا يتمكن المسكين من الحضور فيه : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم » .

* * *

وآيات كثيرة من القرآن الكريم تتوعد من أظهر بعمله خلاف مايبطن ، قاصداً الوصول إلى نفع لم يبح له الشارع الانتفاع به بل حرمه عليه . ومن الأحاديث الدالة على تحريم الحيل قوله عليه السلام : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود والنصارى يستحلون محارم الله بأدنى الحيل » ، أى بأسهلها وأيسرها ، وأقلها عناء ومشقة . وقال : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، وباعوها ، وأكلوا أثمانها » فقد احتال اليهود على الشحم فأذابوه ، فصار فى صورة غير صورته الأولى ، فباعوه ، وأخذوا ثمنه ، وانتفعوا به . وقال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف ، والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » ، وقال : « يأتى على الناس زمان يستحل فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء : يستحلون الخمر بأسماء يسمونها بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالرهبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وكلها دائرة على أن التحيل فى قلب الأحكام الشرعية غير جائز . والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين تعطى الإجماع على منع التحايل على الأحكام ، وفيما ذكرنا من الآيات والأحاديث غنية فى إثبات ذلك .

* * *

ومن الآثار عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : إن عمى طلق امرأته ثلاثا . أيحلها له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه » . وقال أيوب السختيانى فى أهل الحيل : « يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان ، فلو أتوا الأمر عيانا كان أهون على » ، وقال شريك بن عبد الله القاضى فى كتاب الحيل : « هو كتاب المخادعة ، فإن الحيل المحرمة

مخادعة لله ، ومخادعة الله حرام » . وقد قال ـ عليه السلام ـ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

فكل حيلة هدمت أصلا شرعيا ، وناقضت مصلحة شرعية فهى حرام . وهناك بعض تصرفات تبدو لأول الامر أنها حيلة ، وهى فى الحقيقة لا احتيال فيها ، لأنها لا تهدم أصلا شرعيا ، ولا تناقض مصلحة شهد الشرع باعتبارها ، كالنطق بكلمة الكفر إكراها عليها ، فإن هذا التحايل مأذون فيه ، لكونه مصلحة دنيوية لا تشوبها مفسدة أصلا ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . فهذا الفعل لا يحل حراما ، ولا يناقض مصلحة ، فإطلاق الحيلة عليه إنما هو بضرب من التجوز ، إذ حقيقته مأذون فيها شرعا ، فليس فى هذا التصرف تغيير لحكم الله . ونستطيع بكل وثوق أن نجزم بأن كل تحايل يقصد به صاحبه تحليل محرم ، أو تحريم حلال ، لا يقدم عليه إلا من لم يرتضع من ثدى الشريعة الإسلامية ، ولم يحط علما بمقاصدها ومراعاتها للمصلحة التى بها تتحقق السعادة للبشرية من التكاليف الشرعية .

* * *

ومن تأمل فى التصرفات الملتوية التى يسلكها أهل الحرف والصناعات والتجار ، بل يسلكها كل من ولى أمرا من الأمور العامة أو الخاصة ، يرى أن الصور التى يعطيها هؤلاء المتصرفون لأعمالهم وأفعالهم إنما هى صور براقة جذابة آخذة لمن رآها لأول وهلة بالقبول والاستحسان .

وفى حقيقتها صور خادعة كاذبة منافقة مرائية ، لا تهدف إلى تحقيق مصلحة يرتكن عليها صرح الاجتماع القوى السليم ، وإنما هى حقائق تقوض نظام المجتمع وتشتت تضامنه ، وتفرق جمعه ، وتبدد وحدته .

ونظرة فاحصة فى المجتمعات الراقية المتحضرة تجلو لنا وضوح تصرفات أفراده ، وخلوها من الزيف ، والتصنع والتحايل . فالصدق ، والأمانة ، والوضوح ، يضفى على التصرفات إشراقا وضياء ونوراً يطمئن له القلب ، وتستريح له النفس ، وحبذا لو سلك الناس الطرق الواضحة فى تصرفاتهم وأفعالهم ، وعلى الأخص المتصدون للفتيا ، فى القرى والمدن ، وعند ذلك تتحقق حكم الشريعة الإسلامية ، وتبدو مصالحها واضحة جلية ، تحبب إليها القلوب ، وتطمئن بها الأفئدة ، فلا تكون مثار تشكيك فيها ، ولا انتقاد من بعض من يبحث عن مواضع الضعف فى الشريعة الإسلامية ، ليظهرها بمظهر الجمود والعجز عن مسايرة التقدم والرقى والحضارة ؟

عبد الله المراغى

رسالة المساجد

المساجد لها رسالة من أسمى الرسالات وأقواها ، فهى لم توجد لتكون أماكن تؤدى فيها فريضة الصلاة فحسب كما يظن كثير من الناس ، ولكن الواقع ونفس الأمر أن رسالتها الحقيقية تعدو هذا النطاق المحدود ، وتهدف فوق هذا إلى النهوض بمستوى المسلمين أخلاقيا ، بما يلقى فيها من خطب ومواعظ وحكم غاليات ، وثقافيا بقصد تفقيه الناس فى دينهم وتبصيرهم بشئون دنياهم ، حتى لقد اعتبرت عند كثير من الأمم الإسلامية معاهد للعلم ، يؤمها كل راغب فى الثقافة محب لها .

يشهد بذلك الأزهر الشريف ، ذلك المسجد الكبير ، أوبعبارة أوضح تلك الجامعة الإسلامية الكبرى التى كانت حلقاتها العلمية - ومازالت - مشرق الكثرة الكاثرة من علماء المسلمين الأجلاء ، الذين كانوا بحق دعاة الخير ، وحماة الفضيلة ، ورسل الإنسانية ، وهناك غيره مساجد كثيرة اتخذت فى شتى العصور مدارس ومعاهد ، لتدريس علوم القرآن الكريم ، وآداب اللغة العربية ، والعلوم الكونية .

ومن أشهر تلك المساجد : الحرم المكى بمكة ، والحرم النبوى بالمدينة ، ومسجد عمرو ابن العاص بمصر ، ومسجد أبى العباس المرسى بالإسكندرية ، وجامع الزيتونة بتونس ، ومسجد بنى أمية بدمشق .

* * *

وللمساجد فوق ما ذكرنا رسالة اجتماعية ، فهى خير منتدى لبث الدعاية الصحية فى ربوع البلاد ، ورفع مستوى المسلمين اجتماعياً ، ومعاونة القائمين على أمن الدولة على أداء رسالتهم الشاقة ، حتى تستقر الأمور ، ويعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ولها أيضاً رسالة سياسية منزهة عن الحزبية البغيضة ، والنفاق الاجتماعى ، وغرس بذور الشقاق بين الناس . ولقد كان رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يجعل من المسجد مؤتمراً يجمع المسلمين فيه ليشاورهم فى أمر دينهم وشئون دنياهم ، ويعرض عليهم كل ما يتصل بأمورهم ، ويمت لحياتهم الاجتماعية بصلة ، وقد يكون هذا هو الباعث الأول لرسول الله على الأمر ببناء مسجد قباء ، فإنه لم يكن يقصد أن يتخذه المسلمون معبداً يؤدون فيه شعيرة الصلاة فقط ، ولكنه كان يهدف إلى معنى روحى اجتماعى ، ويشير إلى حاجة المسلمين للمجتمعات ،

وإلى أن الدين من أهم مقومات الحياة ، وأنه لا قوام لأمة من الامم ، ولا اعتراف بوجودها ، اللهم إلا إذا اعتمدت فى حياتها على قواعد ثابتة من الدين والخلق والفضيلة .

* * *

ولقد كان المسجد فى العصور الإسلامية الأولى أشبه بالبرلمان فى عصرنا الحديث ، يجتمع فيه الخليفة بالمسلمين ليعرض عليهم سياسته وطريقة حكمه وأسلوبه فى معاملة الناس ، كالذى حدث من خليفة رسول الله أبى بكر رضوان الله عليه ، فإنه حين تولى أمر المسلمين ذهب إلى المسجد واعتلى منبره ، وقال خطبته المشهورة : « أيها الناس ، إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

والمساجد ـ فوق أنها أماكن للعبادة ونشر الثقافة ـ تعتبر مؤتمرات إسلامية صغيرة ، يجتمع فيها أهل الحى أو البلد ، فتؤلف بين قلوبهم ، وتوحد بين صفوفهم ، وتوفق بينهم فى الأحاسيس والمشاعر ، والآمال والآلام ، وترفع الحواجز بين غنيهم وفقيرهم ، وشريفهم ووضيعهم ، وفيها مجال للتشاور فى كل ما يعن لهم أو يلزم قريتهم ، ولا يفوت القارىء الكريم أن الإنسان المتردد على المسجد يكون شديد الاتصال بأخيه المسلم ، متقصياً لكل أحواله ، مشاركا له فى سرائه وضرائه . وتلك لعمرى هى أهداف المؤتمر الأكبر فى صورة مصغرة ، ودائرة محدودة ضيقة .

* * *

فالمساجد إذاً رسالتها ضخمة ، متشعبة الجهات ، متنوعة الأهداف ، فيها الخير كله للدين والخلق والثقافة ، وسلامة الأبدان ، وتقويم ما اعوج من شئون المجتمع ، إن أحسن أداؤها ، ولن يتحقق ذلك إلا بأمور نجملها فيما يأتى : —

أولا : يراعى عند اختيار الأئمة والخطباء أن يكونوا من الضاربين فى الحياة الاجتماعية بسهم وافر ، وأن يكونوا ملمين بأدواء المجتمع وأخطار هذه الأدواء ومبعثها وطرق القضاء عليها واستلالها من النفوس بالدعوة والحجة والبرهان ، ولتكن مادة الاجتماع إحدى المواد التى يعنى بتدريسها فى كليات الأزهر ، وبخاصة قسم الدعوة والإرشاد ، على أن يمتحن فيها كل راغب فى حمل أعباء تلك الرسالة الجليلة القدر ، ويختار الأساتذة

المدرسون لمادة الاجتماع من بين الذين عركوا الحياة، وخبروا كل شيء فيها، وتزودوا من الثقافة الدينية بنصيب كبير.

ولا ضير فى أن يلتحق بتلك الدراسة الاجتماعية أولئك الذين فاتهم أن ينهلوا منها أو يلموا بأصولها، وسيظل المرء عالما ما طلب العلم، فإن ظن أنه أحاط بكل شيء، وحوى كل جزئية، وأحصى كل شاردة وواردة، كان جاهلا.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشير إلى خلو كثير من القرى من مساجد الأوقاف، وخلوها بالتبع من السادة الخطباء الذين يجيدون فن الوعظ، ولن نطلب شططا إذا قلنا: إن على وزارة الأوقاف فى هذا العهد أن تتيح الثقافة الدينية لكل راغب فيها، وماذا عليها لو أنها ضمت إلى إشرافها مسجداً فى كل قرية من القرى التى حرمت من مساجد الأوقاف، على أن يكون خطيبه وإمامه ممن تعينهم الوزارة، وتشرف عليهم، وتتولى شئونهم، وتلتزم بمرتباتهم، وليس ذلك بكثير على وزارة يصرف أمورها وزير مؤمن برسالة المساجد، ومعترف بأثرها الفعال فى حياة الفرد والمجتمع.

* * *

ثانيا: يجب أن تلحق بالمساجد الكبيرة مكتبات تحوى الكثير من كتب الفقه الإسلامى بمختلف مذاهبه، وتفسير القرآن الكريم، وحديث رسول الله ﷺ، وكتب التوحيد، ويراعى عند اختيار الكتب أن تكون فى متناول الثقافات المختلفة، حتى يعم النفع بها.

وأحق الوزارات بالتعاون على إبراز هذا المشروع الجليل: الأوقاف، والتربية والتعليم، والشئون الاجتماعية، لأنها هى المعنية برفع مستوى الشعب ثقافياً ودينياً واجتماعياً، وهذا أقوم سبيل وأيسره لتحقيق هذا الغرض النبيل.

* * *

ثالثاً: والكلمة هنا أهمس بها فى أذن السادة أئمة المساجد وخطبائها لأقول لهم: إن الخطبة أو الموعظة إذا لم يكن لها موضوع محدد كانت ضربا من العبث، وكان صاحبها كحاطب الليل، وكانت قليلة الجدوى، ضعيفة الأثر.

وإنه ليسوء السامعين أن يتناول خطيب فى موعظته موضوعات متعددة دون أن يستوعبها دراسة أو يستقصيها بحثاً ، وأحب شىء إلى النفوس أن تمت الخطبة للحياة العامة بصلة قوية ، حتى تحدث أثرها المرجو فى نفوس المستمعين .

ومعنى هذا بعبارة أدق وأوضح ، أن الخطيب يجب أن يراعى مقتضيات الأحوال كما يقولون ، فيتكلم فى الموضوع الذى يلائم الوقت ، ويساير تطور الزمن ، حتى لا يحكم عليه بأنه يعيش فى غير عصره ، وأنه رجعى لا يشارك الناس فى وثبتهم إلى الخير ، وتطورهم فيما يرضى الله .

* * *

وليعلم حضرات الخطباء أن الدعوة إلى الدين والخلق لا بد وأن تقوم على أساس قوى متين من الحكمة والموعظة الحسنة ، وأن الدعوة التى تلهب ظهور الناس بالسياط ، وتنزل عليهم كالصواعق ، دعوة ممقوتة مرذولة بعيدة كل البعد عن القبول والاستجابة ، وخير الكلام ما أيده العمل ، وكان موجزاً ينفذ من القلب إلى القلب ، ويتناول مشاكل الناس فى رفق ولين ، ويسترعى انتباههم دون أن يبعث فى نفوسهم الضجر والسآمة والملل . وبعد ـ فهذه كلمة حق ، آمل أن تشق طريقها إلى السمع والاستجابة ، والله ولى التوفيق ؟

زكى سويلم
المدرس بالأزهر

كلمات لأناتول فرانس

* كان البشر فى الماضى كما نعرفهم اليوم : خياراً وسطا ، وشراراً وسطا .

* المدن كتب مزينة بصور نرى فيها الأجداد .

* العلم معصوم ، لكن العلماء يخطئون .

* قد يحرم من تذوق اللذة مانحها .

* كلما تقدمت فى السن ازداد يقينى بأنه لا يوجد مجرمون ، ولا يوجد إلا بؤساء مساكين

خير وسيلة للدفاع الهجوم

مبدأ قرره محمد قائد الإسلام ﷺ وليس نابليون

مازلت أقول : إن محمداً رسول الله قائد الإسلام ، على الرغم من أنه لم يتعلم فنون الحرب فى مدرسة حربية ، ولم تكن الحرب صناعته ، قد سبق أعظم قادة الحروب قديمها وحديثها ، فوضع من المبادىء الحربية ، وأساليب قيادة الجيوش ، وإدارة المعارك ، مايدرس اليوم فى أكبر المعاهد العسكرية فى العالم ، منسوباً إلى غير محمد ﷺ من القادة الآخرين الذين ذاع صيتهم نتيجة لاعتقاد خاطىء أنهم هم أصحاب تلك المبادىء والأساليب . .

والمبدأ الذى نتحدث عنه اليوم « خير وسيلة للدفاع الهجوم » يعتقد العسكريون أنه من وضع نابليون بونابارت . .

ولو أن العسكريين درسوا المعارك الإسلامية ، لأدركوا ماهم عليه من خطأ تاريخى ، ولنسبوا الفضل لذويه .

إن نابليون قد كان هذا مبدأه فعلا ، ودلت معاركه على أنه لم يكن يقنع بالوقوف مدافعا منتظراً هجوم عدوه ، بل كان يبادر بمهاجمته ، ليحرمه من فرصة اختيار الوقت المناسب ، والموضع المناسب للهجوم عليه .

لكن محمداً ﷺ قد سبقه فى تطبيق هذا المبدأ ، وذلك فى الفترة التى أعقبت غزوة أحد .

فلقد كان على محمد ﷺ أن يواجه موقفاً عصيباً فى تلك الفترة ، لأن الهزيمة شجعت المشركين على الإغارة عليه ، رغبة فى القضاء على دينه ، فكان عليه أن يحافظ على دينه وجيشه وأمته ، فبعد أن عاد من أحد بث العيون فى أنحاء الجزيرة ، ليزودوه بأخبار غارات المشركين ، فكان على الفور يخرج أو يرسل السرايا للقضاء عليها فى مهدها .

وقد تحدثنا عن سرية أبى سلمة ، وسرية عبد الله بن أنيس الأنصارى ، ونتحدث اليوم عما بقى من غزوات .

غزوة ذات الرقاع [١]

علم النبي ﷺ أن جماعة من غطفان بنجد يعدون العدة لحربه ، فأمر فى الحال أصحابه بالتجهز ، وخرج فى أربعمائة من المسلمين إلى أن وصل إلى موضع يسمى وادى الشقرة ، فتوقف وبعث أناسا يتحسسون الأخبار ، فرجعوا إليه ليلا بأنه لا يوجد أحد ، فاستأنف السير حتى بلغ نخلا من أراضى غطفان ، فلم يجد المسلمون فى مجالسهم إلا النسوة ، فإن القوم عندما رأوا المسلمين فى عدة حربهم يهاجمونهم تفرقوا تاركين وراءهم نساءهم ومتاعهم ، فاحتمل المسلمون ما استطاعوا من هذه الغنائم . .

ولما لم يأت الأعداء لقتالهم فقد تناوبوا الحراسة ليل نهار حتى انعدم أثرهم، فعادوا إلى المدينة بعد غيابهم خمسة عشر يوما .

غزوة بدر الآخرة [٢] تعيد الهيبة للمسلمين :

أقام النبي ﷺ بالمدينة بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا ، حتى إذا جاء شعبان تذكر قول أبى سفيان فى غزوة أحد ـ وقد مضى عليها عام ـ « الموعد بيننا وبينكم بدر من العام المقبل » ، وتذكر عليه السلام أنه قال لعمر : « قل نعم هو بيننا وبينكم موعد »

وكذلك تذكر أبو سفيان ، وكان العام عام جدب ، وقذف الله فى قلبه الرعب لما علم بتجمع المسلمين للوفاء بوعدهم ، فأراد أن يدبر حيلة ليرهب المسلمين ويثنيهم عن عزمهم ، فجعل لنعيم بن مسعود الأشجعى [٣] ـ الذى أخبره بتجمع المسلمين ـ عشرين بعيرا على أن يذهب إلى المسلمين ويخذلهم .

وقال أبو سفيان لقريش : « قد بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج ، وهو جاهد فى ذلك ، لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع ، فإن لم يخرج محمد بلغه أنا خرجنا

(١) فى النصف الأول من جمادى الأولى سنة أربع ، ويقال : إنها سميت كذلك لأن المسلمين لم يكن معهم من الابل ما يكفى لركوبهم ، فكان لكل ستة بعير يعتقبونه أى يتناوبون عليه ، فنقبت الارض أقدامهم ، وسقطت أظافرهم من الحفاء ، فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق ، فسميت الغزوة بذات الرقاع لهذا السبب .

(٢) فى شعبان سنة أربع .

(٣) وكان ذلك قبل إسلامه .

فرجعنا لأنه لم يخرج ، فيكون لنا هذا عليه ، وإن خرج أظهرنا أن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام عشب ، فوافقت قريش .

أما نعيم فقد قدم المدينة ، وأخذ يرجف المسلمين بشتى أنواع الدعاية حتى قذف فى قلوبهم الرعب .

خشى الرسول ألا يخرج معه أحد حتى جاءه أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقالا : « إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه ، فيروا أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن فى ذلك لخيرا إن شاء الله » . فسر النبى بذلك وقال : « والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد » .

قضت هذه الصيحة على تخاذل المتخاذلين ، فجمع الرسول ألفا وخمسمائة من رجاله وعشرة أفراس .

أما أبو سفيان فخرج فى ألفين من رجاله ومعهم خمسون فرسا ، حتى بلغ موضعا قريبا من مر الظهران ، وهناك ترامى إليه نبأ خروج المسلمين ، فبدا له الرجوع تحقيقا لما كان قد دبر فى نفسه ، فقال لقومه : « يا معشر قريش ، لا يصلحكم إلا عام ذو خصب ، وإن عامكم هذ عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا » ، فرجع الناس ، وأقام الرسول وأصحابه ببدر ينتظرون قريشا ثمانية أيام ، اتجر المسلمون فيها ، فربحت تجارتهم ربحا عظيما ، ثم عادوا إلى المدينة .

ولقد كانت هذه الغزوة درسا قاسيا لمن تخاذل من المسلمين ، وعبرة لمن تطرق إلى نفسه الرعب من دعاية صنيع أبى سفيان .

وكانت هذه الغزوة خاتمة الغزوات التى جرت فى العام الذى أعقب أحدا ، وكان من آثارها أنها محت أثر هزيمة المسلمين فى أحد محوا تاما ، ففضلا عما أحدثته خطة النبى ﷺ فى القضاء على غارات الأعداء فى مهدها كما بينا ، فإنه كان على أبى سفيان وأصحابه — بعد ما كان من تخاذلهم ورجوعهم فى بدر الآخرة — أن ينتظروا عاما آخر أشد خصبا ، رازحين تحت عار من تقاعسهم ، لا يقل وطأة عن عار هزيمتهم فى بدر الأولى . .

وهكذا نجحت خطة النبى ﷺ التى رسمها فى هذه الفترة العصيبة التى جاءت بعد أحد ، وعادت إلى المسلمين هيبتهم ، واطمأنوا إلى أنه لا بد أن يمضى عام آخر قبل أن تقوم لقريش قائمة ؟

محمد جمال الدين محفوظ



في الحروب الصليبية

عمـــــاد الدين زنكي

البطل الشهيد

— ١ —

سمت قُـبة الإسلام فخراً وعزة
ولم يك يسمو الدين لولا عمادُه
ليهنِ بني الإيمان أنْ قد ترسخت
رواسيه عزاً واطمأن مهـادُه
فلا منبر إلا ترنح عُوده
ولا مصحف إلا أنار مداده
(ابن القيسراني)

في اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٨٨ ﻫ (٢٨ من نوفمبر سنة ١٠٩٥ م) وقف رجل مديد القامة أجش الصوت ترتمى لحيته على صدره، وقد جمع القساوسة والأمراء والفرسان، ليخطبهم خطبة طويلة يتحدث فيها عن الكفرة المسلمين وما فعلوا بقبر المسيح من إهانة وازدراء في زعمه، وانطلق يستجيش الهمم، ويستنهض العزائم، ويبسط للأمراء أملا باسما في السيطرة والمجد، ويلوح بالرحمة والغفران للجيوش الزاحفة من جموع الفرنجة، ويظهر أسفه البالغ للكرامة الذبيحة والدين الجريح، ذلكم هو البابا « أوربان » الثاني الذي اندفع يقول :

« يجب عليكم أن تتعذبوا كثيراً لأجل المسيح، وأن تتحملوا المشقة والفقر، وتكابدوا الذل والاضطهاد، وتقاسوا المرض والجوع والظمأ وجميع الشرور في الدنيا، كما قال السيد المسيح لتلاميذه : « سأريكم كيف ينبغي أن تتألموا من أجل اسمي، فإنكم ستأخذون ميراثاً عظيما » ثم اتجه البابا إلى الحاضرين وصرخ فيهم قائلا :

« عبدوا طريق الرب ، واجعلوا سبله مستقيمة » .

وهنا دوى هتاف صارخ زلزل الأرجاء : هكذا أراد الله ، هكذا أراد الله .

وقد انتشر القساوسة فى كل مكان يرددون دعوة البابا الكبير ، فيثيرون الحنق والسخط على المسلمين ، ويدفعون الكتائب الزاحفة كالموج إلى الشرق العربى ، رغبة فى استئصال عقيدته وإبادة دينه ، وأخذوا يخاطبون الناس بما يزين لهم الاندفاع والوثوب ، فهم يطمعون الأمراء فى السيطرة الواسعة ، والفتح الخالد ، والملك العظيم ، كما يلوحون بالغفران والرحمة لهذا الطوفان المائج من الفرنجة الاوربيين ، ويقدمون الجنة ضمانا أكيدا لمن يغبر قدمه فى تراب الشرق ذائداً عن قبر المسيح ، ومدافعا عن النصرانية فى بلاد يجلجل فيها الأذان ، وتخرس النواقيس ، وقد بذل بطرس الناسك جهدا جبارا فى الاستثارة والاستفزاز ، فكان يذرع البلاد عرضا وطولا ، ويلج إلى القصور الشامخة ، ليقنع الأمراء والفرسان ، كما يدرج إلى الأكواخ الصغيرة ، ليلهب حمية الكهل الراقد ، والصبى الغافل ، والأم الجاهلة ، ويتقدم الشباب إلى الخلاء الواسع مبشرا بالجنة ورضوان المسيح ، إن قدّر لهؤلاء أن يستأصلوا شأفة الإسلام ، وقد أفلح فى قيادة جيش جبار بعث به إلى الشرق ليكون طليعة الطوفان المزبد الذى سيجتاح بيت المقدس فى وقت قريب .

لقد كانت الحروب الصليبية تتخذ من العاطفة الدينية مثاراً للتحرش والاستفزاز ، وقد عمد دعاتها إلى التأثير الوجدانى دون أن يدعوا نطاقا للتعقل والتفكير ، فهم تارة يرسمون صورة لقبر المسيح وعليه فارس مسلم يدوس القبر بجواده ويسمح لهذا الجواد فيبول عليه ، وتارة أخرى يصورون المسيح - عليه السلام - وأمامه عربى يضربه بالسوط وقد سالت دماؤه الغزيرة من جرح دافق ، كما اتخذوا من الأحلام مجالا واسعاً للدعاية والتأييد ، فهذا ناسك يرى المسيح يبشره بالنصر فى منامه ، وذاك آخر يتسلم سيفا من أحد الحواريين ليمحق به الأعداء ، ثم هذه هالات قدسية من النور تتساقط من السماء فى حومة القتال وتتقدم الصفوف إلى الأعداء ، فيفر الأتراك المسلمون مذعورين ، وينتصر الصليبيون بتأييد السماء !!

* * *

زحف الجيش الزاخر إلى الشرق فى وقت حرج كريه ، فإمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعى الذى ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأمراء

الدول الصغيرة فى تنابذ يحول دون التفاهم والاتحاد ، والخلافة العباسية ببغداد ضعيفة لاتدفع عن نفسها الشر ، وقد اسْتُصرخت ولاذ بها اللائذون فقطعوا شعورهم وبكوا دون طائل ، والدولة الفاطمية بمصر لائذة بالصمت ، فلم تجهز كتائبها للدفاع رغم ما تملك من جنود وسلاح !!

موقف ضائق كريه مهد للصليبيين طريق النصر ، فسقطت فى أيديهم مدينة « الرُّها »(١) وأسسوا بها أول إمارة لاتينية ، ثم زحف الفرنج إلى انطاكية وحاصروها تسعة أشهر كاملة ، فسقطت بعد قتال مرير ، ذهب فيه من المسلمين عشرة آلاف أو يزيدون ، ثم اتجه الصليبيون إلى بيت المقدس وشنوا على أهله غارة شعواء ، وكان ما كان من الفظائع والأهوال ، حتى جرت الخيول إلى صدورها فى الدماء ، كما اعترف بذلك مؤرخو الغَرْب فى غبطة ومباهاة ، وقد قدّر عدد الشهداء بما يزيد عن سبعين ألف رجل من المسلمين ، منهم جماعات فاضلة من أئمة العلماء ، وحسبك بهذا خسارة فادحة ، ومحنة تتفطر لها الأكباد ، ثم اتجه الصليبيون إلى طرابلس الشام، فأسسوا بها إمارة لاتينية رابعة ، وفرضوا الضرائب القاسية ، وبلغوا فوق ما يبتغون من المجد والانتصار .

كان الموقف يتطلب قائداً باسلا يصمد للحوادث بسيفه ورأيه وجيشه ، وقد هيأت الأقدار عماد الدين زنكى أمير الموصل للنهوض بهذا العبء الجسيم ، وكان وافر الكياسة ، دقيق الإدارة ، واسع الحيلة ، فصمم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته ، فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة ، ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام ، وتألق نجمه فى سماء السياسة الإسلامية ، فأوجس الفرنجة خيفة من بأسه ، وتحينوا الفرص لمنازلته ، ووقف الفريقان يتربصان !! .

* * *

كان عماد الدين حاذقاً مفكراً يقدر لرجله موضعها قبل الخطو ، فرأى أن يطمئن إلى الناحية الداخلية فى بلاده قبل أن يقف وجها لوجه أمام عدوه ، فقام بنهضة عمرانية شاملة ، فأحيا الزراعة ، وشق الترع ، واستثمر المال ، وأمن الطريق والبلاد ، فرجع التجار إلى متاجرهم ، والفلاحون إلى مزارعهم ، وأخذ العمران يورق ويثمر ، كما بث المرشدين والفقهاء ، ليطمئنوا الشعب على قضية الجهاد ، فلا تطير البلاد شعاعاً من الخوف والرهبة ، وجند الشباب الباسل بعد أن أفرغ فيه الحمية والإباء ، واستصرخه لنجدة دينه ووطنه ، وكان لهذه الأعمال الحاسمة

(١) وتسمى الآن (أورفه) فى جنوب الأنضول وشمال حلب .

أثر ملموس فى ارتفاع الروح المعنوية ، والتهاب العزائم الماضية ، فتدفقت حماسة الجيوش الإسلامية ، والتهب الفرنجة حنقا على القائد الجرىء ، ولاحت نذر الحرب لدى الجيشين ، فوقف الجميع على قدم وساق ! !

ولكن من الذى يبدأ بالقتال ؟

أما الفرنجة فقد جمعوا الكتائب ، ووقفوا عند حصن الأثارب (١)، يرسلون الطلائع الفاتكة للقتل والنهب والتدمير ، فى فترات متقاربة ، وبدأت جيوشهم تتدافع وتتزاحم حتى ملأت الفضاء .

وأما العماد فقد استشار قومه فيما يصنع ، فأشاروا بالتريث والانتظار ، ولكنه صمم على القتال ، واندفع فى طليعة الصف الأول غازيا مستبسلا ، وجنوده من ورائه يعتصمون بقيادته وإدارته ، وصدم الصليبيون بكفاح لم يألفوه ، فقد ثقل عليهم القائد بخيله ورجله ، وتتبعهم فى الدروب والأزقة ، وسقطت جثثهم طريحة تحت أسلات سيوفه ، وأيقنوا أن الحظ بدأ يتخلى عنهم ، فليست عناية السماء تحوطهم فى كل مكان ، كما توهموا مذ تركوا بلادهم فاتحين ، بينما ارتفعت حماسة المسلمين ووجدوا فى الاتحاد والتماسك ظفرا سريعا ، فساروا تحت قيادة العماد إلى قلعة حارم (٢) ، واستعدوا للمعركة الثانية فى نشوة وابتهاج ، ولكن الفرنجة ألحوا فى قبول هدنة مسالمة ، فوقعها عماد الدين مرفوع الرأس ، ووقعها الصليبيون مدحورين ، وهم يحسبون للغد القاتم ألف حساب على يد القائد العظيم ؟

محمد رجب البيومى
من علماء الأزهر

التربية الوطنية

قال أبو حامد الغزالى :

ينبغى أن يؤذن للصبى — بعد الانصراف من المكتب — أن يلعب لعباً جميلا يستريح إليه ، بحيث لا يتعب فى اللعب . فإن منع الصبى من اللعب ، وإرهاقه فى التعلم دائماً ، يميت قلبه ، ويعطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش حتى يطلب منه الخلاص رأساً .

(١) قلعة بين حلب وانطاكية ، نبغ منها علماء وأدباء وأطباء .
(٢) من أعمال حلب تجاه انطاكية [رد الله غربتها] .

المؤتمر الاسلامى

المؤتمر الإسلامى — كغيره من الأدوار التى قامت بها الثورة سواء فى المحيط الدولى أو المحيط الداخلى — وليد فكرة من الأفكار التى احتواها كتاب « فلسفة الثورة » للرئيس جمال عبد الناصر .

فالدائرة الإسلامية تحتوى على مجموعة من الدول الإسلامية المتصلة المتجاورة ، يريدها الرئيس جمال عبد الناصر أن تتحد وتترابط لتحقق أهدافها ، وترعى مصالحها المشتركة ، وقد حصر سيادته مصادر التكتل داخل هذه الدائرة فى ثلاثة : العقيدة ، والإمكانيات ، واحترام المكان .

وقد طالعنا الوزير أنور السادات بالأغراض الحقيقية التى ينتظر أداؤها من المؤتمر ، ودور مصر فى المؤتمر ، وأيضاً بالخطوط التنظيمية الإجمالية له .

دور مصر فى المؤتمر :

ودور مصر فى المؤتمر الإسلامى لا يخرج عن الدور الذى حددته الثورة لنفسها للقيام بأعمالها ، وهو دور الذى يجمع الناس فى داخل مصر أو فى خارجها حول المنفعة المحققة النتائج بعد الدراسة ، ثم السير بهذه الجموع بعد تبصيرها بمصلحتها ووضوحها لها إلى الهدف الذى يحتوى على هذه المنفعة .

وقد كان الوزير أنور السادات واضحاً كل الوضوح عند ما جرد دعوة مصر إلى إقامة المؤتمر وتدعيمه من المصلحة الذاتية ، أو المغنم السياسى ، أو الجرى وراء إمبراطورية أو سيادة ، وأبان أن هذه الدعوة هى تحقيق لرغبة تجيش منذ فترة طويلة فى صدور المسلمين ، ترمى إلى حصر مستقبل الحياة والسيادة على هذه الأرض المسلمة فى شعوبها ، فى ظل معانى الإخاء والتعاون .

أغراض المؤتمر :

أما أغراض المؤتمر فعلى رأسها السعى إلى إعادة تنظيم حياة هذه المجموعة من الدول طبقا لتعاليم الإسلام الصحيحة .

فالإسلام أصلا بدأ دولة واحدة أخذت تمتد أرضها حتى شملت جزءا كبيرا من اليابسة ، واستقرت حياتها بفضل ثقافة الإسلام الصحيحة وعدالته الحقة ، ثم لم تلبث الأحداث أن ألحقت بهذا الجسد الكبير الفرقة ، حتى تمكن الاستعمار إبان حقب الضعف من رقاب الدول الإسلامية المتفرقة ، ومكن للحكم الاستبدادى تؤازره مجموعة من المتاجرين بالدين فى لبوس إسلامية ، جعلت كل همها أن تقف حجر عثرة فى سبيل تقدم العقل حتى يخلد الفساد والإقطاع والاستبداد . وكانت وسيلتها حجب الصورة الإسلامية الصحيحة ، بنشر الخرافات والبدع والأباطيل ، وران على عقول الناس الزيف نتيجة لهذا التدبير المدمر ، وباتت الأحكام الإسلامية فى نظر هذا اللفيف من الناس لا تحتوى صور الحياة الكثيرة التى تحتويها أصلا ، وأصبح من السهل التحريم ، ومن البساطة التحليل .

لذلك كان على رأس ما يهتم به المؤتمر تجلية الأحكام الإسلامية ، وما تحتويه من نظم ، لتستقر العدالة الإسلامية بصراحتها ووضوحها ، ولا يتأتى للمؤتمر تحقيق هذا الهدف إلا بإعادة تنظيم الحياة الإسلامية من جميع وجوهها ، بدراسة المجتمعات الإسلامية ، ورد ما تحتويه من نظم إلى مجالها الإسلامى ، أو تعديلها بحيث تتفق مع هذا المجال ، أو باستبعاد ما يخالفه .

ولتحقيق هذا الغرض اقترح الوزير أنور السادات فى مشروعه إنشاء هيئة ثقافية ، مهمتها نشر الثقافة الإسلامية مطهرة مما علق بها من أوهام وخرافات ، وإعداد المواطن المسلم المدرب على التمسك بتعاليم الإسلام وفضائله الخلقية فى كل مكان يمثله شعب مسلم ، ورفع مستواه الثقافى والاجتماعى إلى المستوى الإسلامى السليم .

ومن أغراض المؤتمر أيضاً تقوية أواصر الأخوة بين المسلمين ، وتحويلها إلى قوة فعالة تستطيع بحكم طبيعتها أن تساهم فى تحقيق سلام العالم وتقدمه وسعادته .

ويحتوى هذا الغرض الناحية الاقتصادية ، فالدول الإسلامية تعتبر مناطق متصلة متجاورة ، ترتبط اقتصادياتها ارتباطا عجيبا ، وتتشابه فيها نواحى الإنتاج وتتقارب ظروفه ، فكلها دول زراعية ، ولكنها بعيدة عن استعمال الوسائل الحديثة فى الزراعة ، وكلها فقيرة فى النواحى الصناعية بسبب افتقارها إلى التدريب الفنى ورؤوس الأموال ، وكلها تكاد ـ بسبب عدم إحكام هذين العنصرين الزراعى والصناعى ـ تكون متأخرة وإن كانت تتفاوت مراتب هذا التأخر .

هذا كله رغم توافر مواد الإنتاج ، وكثرة الأيدى العاملة ، وانخفاض الأجور ، وكثرة مايحتويه باطن الأرض من معادن ، الأمر الذى يحتاج إلى تنسيق الإنتاج بين هذه الدول ، وتدارس وسائله حتى يمكن أن تصبح القوة الفعالة التى يريدها المؤتمر الإسلامى .

وتحقيقاً لخلق هذه القوة الفعالة التى يريد أن يضفيها المؤتمر الإسلامى على دول هذه المجموعة ضمّن الوزير أنور السادات المشروع إنشاء هيئة اقتصادية ، يكون عملها تنسيق السياسة الاقتصادية لجميع الدول والشعوب الإسلامية ، للتعاون على استغلال الإمكانيات الاقتصادية للبلاد الإسلامية على الوجه الأكمل .

وتستعين هذه الهيئة كأختها الثقافية لتحقيق أغراضها بما سيحشده لها المؤتمر من إخصائيين يدرسون أحوال الدول الإسلامية ، ويضعون الأسس الصحيحة للإنتاج فيها غير بعيدين عما أحرزه الغرب من تقدم فى هذا المضمار .

وقد أضاف الوزير أنور السادات غرضاً آخر هاماً صرح به فى المؤتمر الصحفى الذى عقد لتوضيح النقاط الهامة فى مشروع المؤتمر ، وهو أن من مهمة المؤتمر محاربة الاستعمار فى بلاد المسلمين .

عضوية المؤتمر :

لما كان المؤتمر الإسلامى مؤتمر حكومات وشعوب ، فقد قسم تنظيمه إلى مجلسين : المجلس التنفيذى وتمثل فيه الحكومات ، فهو يشكل من رؤساء الحكومات الإسلامية ومن زعماء الشعوب الإسلامية التى ليست لها حكومات مستقلة تمثلها أو من ينوب عنهم .

والذى نراه أن هذا التشكيل يتضمن تعريفاً جديداً للدولة الإسلامية التى أصبحت فى نظر المؤتمر كل بلد يؤلف فيه المسلمون أغلبية من السكان، أوله ثقافة وميول إسلامية، أو ارتباطات ومصالح بالبلدان الإسلامية، أو مجموعة من المسلمين ليست لهم حكومة مستقلة تمثلهم .

أما مجلس الشعوب فهو المجلس الثانى المسمى بالجمعية العامة، وهذه تؤلف من أعضاء من الهيئات التمثيلية فى البلاد الإسلامية، وهؤلاء غالباً ما يكونون منتخبين من شعوبهم . كما أن المؤتمر أراد أن يربط بين الشعوب بمعناها الواسع، فأباح لكل مسلم أن يساهم باختياره بجزء من عشرة أجزاء من الزكاة المفروضة شرعاً على كل مسلم، مؤازرة منه فى تدعيم المؤتمر . والقصد هنا أدبيا أكثر منه ماديا، ويتضمن إتاحة للعضوية بمعناها الواسع .

كما تضمن مشروع المؤتمر إنشاء هيئة من المستشارين من ذوى الجهاد والكفاح الإسلامى والمكانة فى شعوبهم، ونرى أن هذه الهيئة هى « أكاديمية إسلامية » لإبداء الرأى الرصين فى شؤون المسلمين .

التسامح الدينى :

ومن السمات الواضحة للمؤتمر سمة التسامح الدينى عملا بتعاليم الإسلام السمحة، وقد عبر الوزير أنور السادات عن ذلك بتصريحه للصحفيين : بأن الدين الإسلامى لايدعو إلى التعصب أبدا، بل إنه فى ظل الإسلام عاشت الأقليات، وتمتعت جميع الأديان بالحرية، فالمؤتمر لايدعو إلى التعصب، بل يستنكره ويحاربه .

وبمقتضى هذا التصريح انتفت عن المؤتمر نقيصة التعصب، ولهذا يتضح لنا أن مزاياه ستظل الناس جميعاً فى البلاد الإسلامية من مختلف الأديان، فمن واجبنا جميعاً الدعوة له والحث على تدعيمه . ؟

السيد محمد الكتشكى
سكرتير الوحدة الطبية للجامع الأزهر

كتب وأفكار غربية
فى الميزان

وقفنا بالقارىء فى مقالنا السابق عند التعريف بالأستاذ « أير » وهو - كما فى العبارة التى يذيل بها خطاباته ، ويكتبها بجوار اسمه على مؤلفاته - يعتبر نفسه « حجة فى العقل والمنطق وما يتصل بهما من بحوث » . ولعل كتبه هى المصدر الوحيد الذى يصور لنا أفكاره ونظرياته بعد ما عجزت محاضراته عن إلقاء ضوء كاف على مبلغ ماله من جديد فى العلم والمعرفة .

وإذا رحنا نحصى ما للأستاذ « أير » من كتب لم نجد له إلا ثلاثة :

١ — اللغة والصدق [1] والمنطق

٢ — المعرفة التجريبية

٣ — الحكماء البريطانيون التجريبيون

أما كتاب « اللغة والصدق والمنطق » فقد رأينا فى المقال السابق كيف أشادت به صحيفة « جلاسجو هرالد » وتوقعت له أنه سيغير مجرى التفكير الإنجليزى ، وسيقلب رأساً على عقب كثيراً من نظريات الفلسفة المعروفة إلى وقت ظهوره ، وكذلك صنعت صحف أخرى غير جلاسجو هرالد » . والكتاب - إذا ما قرىء - وجد غير جدير بما تكهنت له به الصحف ، ولقد تكون إشادة الصحف به أثراً من آثار العصبية الإقليمية ، فالأستاذ « أير » اسكتلاندى ، والصحف التى أشادت به وبكتابه اسكتلاندية ، وربما كان من الشواهد الصادقة على أن استقبال الصحف للكتاب بمثل هذا الثناء ، كان إسرافاً لا مبرر له ، أن

---

(١) ترجمت فى المقال السابق كلمة « Truth » بـ « الحقيقة » ولكنى أفضل أن أستعمل فى هذا المقام كلمة « الصدق » بدل كلمة «الحقيقة » .

النظريات التي نقدها الكتاب والتي توقعت لها هذه الصحف أن ستصبح أثراً بعد عين على أثر ظهور الكتاب ما زالت بعد ظهور الكتاب تتمتع بنفس النفوذ ذوالقوة اللذين كانت تتمتع بهما قبل ظهوره .

ولكي لا يكون القول ملقى على عواهنه أقف بالقارىء عند نصوص من الكتاب ، لنتبين ما تحتوي عليه من جديد في العلم والمعرفة ، وما عسى أن يكون لهذا الجديد من مزاحمة للقديم

يقول الأستاذ « أير » :

(إنه ليجدر بنا أولا أن نبرر ادعاءنا أن « نظرية الصدق » يمكن فقط أن تبين كيف تكون الجمل صادقة . ولقد درج غيرنا من المفكرين على أن عمل الحكيم المهتم « بنظرية الصدق » إنما هو أن يجيب على السؤال التالي : « ما هو الصدق ؟ » ، ودرجوا كذلك على أن في الإجابة على هذا السؤال وفاء بحق النظرية . لكن إذا تأملنا هذا السؤال المشهور « ما هو الصدق ؟ » ، وجدنا أنه لا يثير مشكلة ، ولا ينطوي على معضل يتطلب حلا . وبناء عليه فلو اقتصر الأمر على البحث عن حل لهذا السؤال - كما يدعي هؤلاء المفكرون - فلن تكون هناك نظرية تسمى « نظرية الصدق [1] ») .

* * *

ف « نظرية الصدق » عند « أير » تعني أمراً غير الجواب عن السؤال القائل « ما هو الصدق؟ » . إنها تعني بيان كيف تكون الجمل صادقة ، كما أشار إليه أول النص . ويمضي « أير » فيشرح مبررات العدول بـ « نظرية الصدق » عن الوقوف عند الإجابة على السؤال القائل : « ما هو الصدق ؟ » فيقول :

(لقد لاحظنا فيما سبق أن كل الأسئلة الموضوعة في صيغة « ما طبيعة الشيء ؟ » إنما تطلب تحديد ذلك الشيء ، وطلب تحديد الشيء ليس يعني أكثر من طلب استبدال الجملة التي تشتمل على ذلك الشيء بجملة أخرى مساوية لها في المعنى ، ولكنها لا تشتمل على اسم ذلك الشيء ، ولا على اسم مرادف له . فلو رحنا نطبق هذا المبدأ على « الصدق » لوجدنا أن السؤال القائل « ما هو الصدق ؟ » ليس يعني أكثر من استبدال قولنا « جملة كذا صادقة » بجملة أخرى ليست تشتمل على كلمة « صادقة ») .

---

(١) ص ٨٧ من كتابه « اللغة والصدق والمنطق » طبع لندن سنة ١٩٥٠ .

وهذا شيء قليل الغناء في نظر « أير » لهذا يمضي في سبيله قائلا :

(بالرجوع إلى تحليل « الصدق » نجد أن الجمل التي توضع في هاتين الصيغتين « جملة كذا صادقة » و « جملة كذا كاذبة » تعتبر في نظر المنطق عبثاً لا داعي إليه . فحينما يقول الواحد منا مثلا : « جملة الملكة آن ميتة حق » فكل ما هو قائله لا يعدو أن الملكة آن ميتة . وبالمثل حينما يقول « جملة اكسفورد هي عاصمة انجلترا كاذبة » فكل ماهو قائله أن اكسفورد ليست عاصمة انجلترا . وهكذا نجد أن حكمنا على الجملة بالصدق ليس شيئاً أكثر من إثباتها ، وأن حكمنا عليها بالكذب ليس شيئاً أكثر من إثبات نقيضها ، وهذا يعني أن كلمتي « صدق وكذب » يدلان على لا شيء ، فليسا أكثر من علامات إثبات ونفي .

* * *

هذه بعض وجهات نظر الأستاذ « أير » بخصوص نظرية الصدق ، وسنكمل القول عن النظرية بعد أن نقف هنا وقفة نستوضح فيها ما جاء في أقواله السابقة .

لقد ذكر الأستاذ « أير » في مطلع نصه المقتبس هنا أن مهمة نظرية الصدق أن تبين كيف تكون الجمل صادقة ، وهذا يعني أن هناك صدقا وأن هناك كذبا ، ولكنه انتهى في آخر النص إلى أن الصدق والكذب يدلان على لا شيء ، وهذا تناقض بين . ثم إنه لو كان الصدق والكذب اللذان تتصف بهما القضية علامتين فقط على مجرد السلب والإيجاب لكانت نظرية الصدق التي تبين كيف تكون القضية صادقة ، بحثاً من بحوث اللغة لا من بحوث الفلسفة ، وأيضاً كيف يكون الحكم على القضية بأنها صادقة هو نفس الحكم بإثباتها ، والحكم بإثباتها يعني أنها لا تشتمل على أداة السلب ، والحكم بصدقها يعني شيئاً آخر وراء ذلك يتصل بالواقع ونفس الأمر ، والأمران غير متلازمين ، فقد تكون القضية مثبتة ، وهي في الواقع كاذبة .

ومن الغريب أن يعترف « أير » بأن هناك قضية صادقة ثم يتنكر للسؤال القائل « ما هو الصدق ؟ » والأمران يجب أن يكونا متلازمين ، فإذا كان هناك قضية صادقة ، كان هناك صدق حتما ، وإذا كان هناك صدق كان هناك حتما خبر صادق . كذلك لست أدري ما هي الفائدة التي تترتب على العدول بنظرية الصدق من بحث حقيقة الصدق إلى بحث كيفية صدق القضية ، مع أننا لو عرفنا حقيقة الصدق ، وأنه مطابقة الخبر للواقع مثلا ، لعرفنا كيف تكون القضية صادقة ، فإنه — بناء على التعريف السابق — القضية الصادقة

هى ما طابق مدلولها الواقع ونفس الأمر ، كما أننا لو عرفنا كيف تكون القضية صادقة لعرفنا حقيقة الصدق .

ثم ما مبررات إرجاعه السؤال عن حقيقة الصدق ، إلى السؤال عما إذا كانت جملة ما صادقة ؟ إنه لم يستطع أن يبرر ذلك بأكثر من تلك المحاولة التعسفية التى يفسر بها تحديد الشىء بأنه استبدال الجملة التى ذكر فيها ذلك الشىء بجملة أخرى مساوية لها فى المعنى ، ولكنها لا تشتمل على اسم ذلك الشىء ، ولا على اسم مرادف له . ولست أدرى ما دخل هذه المحاولة فى الغرض الذى من أجله سيقت . إنها قد تبرر القول بأن السؤال عن حقيقة الشىء يجاب عنه بجملة تشتمل على ذلك الشىء دون ذكر اسمه أو اسم مرادف له . ولكنها لا تبرر القول بأن السؤال عن حقيقة الصدق يؤول إلى السؤال عما إذا كانت جملة ما صادقة .

* * *

وعجيب أن يدعى الأستاذ « أير » أن كلمتى « صادقة » و « كاذبة » فى مثل قولنا (الجملة « الملكة آن ميتة » صادقة ، والجملة « اكسفورد عاصمة انجلترا » كاذبة) يعتبران فى نظر لمنطق عبثاً لا طائل تحته ! فماذا تكون مهمة المنطق — إذن — إذا لم تكن تحرى الأحكام او القضايا ، وتطبيق مقاييس الصدق عليها ، ليتبين الصادق من الكاذب ، وليقول عن الصادق إنه صادق ، وعن الكاذب إنه كاذب ؟ .

ولو تابعنا النظر فى كتاب « اللغة والصدق والمنطق » لوجدنا الأستاذ « أير » يعتبر حواس الإنسان نوعا من أنواع معايير الصدق التى تستخدم فى معرفة ما إذا كانت القضية صادقة أو غير صادقة ، ويحيل فى هامش ص ٩٣ من الكتاب المذكور على مقال له نشر تحت عنوان « مقياس الصدق » ، وهذا يعنى — مرة أخرى — أن هناك صدقا وكذبا حقيقيين وأن كلمتى « صادق » و « كاذب » المستعملتين فى الدلالة عليهما ، تدلان على « شىء » لا على « لا شىء » .

هذا تصوير موجز لجوانب من تفكير الأستاذ « أير » المتصلة « بنظرية الصدق » وهى — كما ترى — لا تستأهل أن يتوقع لها إنسان أنها ستغير مجرى التفكير الفلسفى ، أو أنها ستقلب نظريات الفلسفة رأساً على عقب .

وسنذكر فى مقالنا التالى — إن شاء الله — عرضاً موجزاً أيضاً لنفس « نظرية الصدق » عند الفلاسفة الذين أراد « أير » أن يهاجمهم بكتابه « اللغة والصدق والمنطق » . ؟

سليمان دنيا
المدرس فى كلية أصول الدين

قمع الشهوة

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يوصى آخر - أراد سفراً - فقال : آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك قيادك ، وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك إلى الهدى ، ويجنبك من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه فى المكارم ، فإنك تبرّ بذلك سلفك ، وتشيد به شرفك [1] .

وقال على كرم الله وجهه [2] :

« إياك والشهوات ! وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك ، مهجنة لرأيك ، شائنة لغرضك ، شاغلة لك عن معاظم الأمور ، مشتدة بها التبعة عليك فى آخرتك . إنما الشهوات لعب ، فإذا حضر اللعب غاب الجد ، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد » .

وقال الشريف الرضى - من قصيدة - عن ديوانه (ص ٨١٧) :

الجد لايقتضى إسماع ملهية   والهزل يكمن فى الأوتار والنغم

ومن خطبة لابن نباتة - رحمه الله تعالى - :

« أيها الناس : قلقلوا القلوب عن مراقد غفلاتها ، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها »

وجاء من فصل له أيضاً :

« أيها الناس : أغفلتم جلاء القلوب بمداوس الأفكار حتى جربت ، وأهملتم بنى الأعمال فى تقاعس الأعمار حتى خربت ، وأرسلتم ذالل الأهواء فى حلبة الشهوات حتى صعبت » .

ومن كلام أكثم بن صيفى :

---

(١) زهر الآداب للحصرى (ج ٢ ص ٨٥) .

(٢) شرح النهج (ج ٤ ص ٥٣٥) - س ٥ - الحكم المنثورة .

« إن الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والحزم معقول ، والنفس مهملة ، والروية مقيدة ، ومن جهة التوانى وترك الروية يتلف الحزم » .

ومن المقامة (الوصية) الهمذانية :

« ... يا بنى ، إنى وإن كنت وثقت بمتانة عقلك ، وطهارة أصلك ، فإنى شفيق ، والشفيق سيء الظن ، ولست آمن عليك النفس وسلطانها ، والشهوة وشيطانها ، فاستعن عليهما نهارك بالصوم ، وليلك بالنوم ، إنه لبوس ظهارته الجوع ، وبطانته الهجوع ، وما لبسهما أسد إلا لانت سورته » .

ومن (مقامة العفة) الزمخشرية :

« يا أبا القاسم : بسأت نفسك (اعتادت) بالشهوات ، فافطمها عن هذا البسوء . ولا تطعها ، إن النفس لأمارة بالسوء » .

وجاء فى المدهش لابن الجوزى (ص ٤٢) ما يلى :

« يا تائهاً فى بوادى الهوى ، انزل ساعةً بوادى الفكر ، يخبرك بأن اللذة قصيرة ، والعقاب طويل ، واعجباً لمن يشترى شهوة ساعة بغم الأبد ، كانت المعصية ساعة - لا كانت - فكم ذلت بعدها النفس ، وكم تصاعد لأجلها النفس ... » .

ومن مقصورة ابن دريد :

وآفة العقل الهوى فمن علا   على هواه عقله فقد نجا

قال الشارح : « آفة العقل : مضرته ومفسدته ، والهوى : الشهوة والإرادة ، فمن علا : أى فمن ارتفع على هواه أى على شهوته وإرادته ، فقد نجا أى فقد سلم » .

وقال معاوية - رحمه الله تعالى - : لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم (١) .

وقال الحكيم : الحكمة جلاء العقل وتمييزه بالأدب ، وقمع الشهوات بالعفاف ...(٢) .

ومن حكم ابن المقفع : (من جانب الشهوات لم يدنس) .

---

(١) - الاحياء [ج ٣ ص ١٥٤ س ٢٣] ط العثمانية [فضيلة الحلم] .

(٢) اللباب [ص٤٣٥] س ٦ .

وقال بعضهم : من استولت عليه النفس صار أسيراً فى حكم الشهوات ، محصوراً فى سجن الهوى والمخالفات [١] .

وتقول : فلان عبد الشهوة ، أسير القهوة [٢] (الأساس) .

وقال على كرم الله وجهه : عبد الشهوة أذل من عبد الرق [٣] .

وقال سقراط : الحرية هى الخروج عن استعباد الشهوات المذمومة فى العقل [٤]

وقيل لواليس الحكيم : أى الملوك أفضل ـ ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال : من ملك غضبه وشهوته فهو أفضل [٥] .

وقيل : إذا غلب على الرجل أربع خصالٍ فقد عطب : الرغبة والرهبة والشهوة والغضب [٦] .

وقال أبو زكرياء يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ـ رضى الله عنه : الجوع نورٌ ، والشبع نارٌ ، والشهوة الحطب يتولد منه الإحراق ، فلا تنطفىء ناره حتى يحرق صاحبه [٧] .

وفى الفلك المشحون للسيوطى (ص ٩٠) ـ « من الحكم : ثمرات الشهوات المخازى » .

ومن أمثال الثعالبى : « من أمات شهوته أحيا مروءته » .

وجاء من مقال لأخينا وأستاذنا الشيخ سيدى محمد الخضر حسين بعنوان (الحياء) [٨] .

---

(١) شرح تائية السلوك للشرنوبى (ص ١٥) .

(٢) القهوة : الخمر ، يقال : سميت بذلك لأنها تقهى شاربها عن الطعام أى تذهب بشهوته — كما فى الصحاح ، قال الزبيدى : هذا هو الاصل فى اللغة ثم أطلقت على ما يشرب الآن من البن لثمر شجر باليمن يقلى على النار قليلا ثم يدق ويغلى بالماء اهـ التاج .

(٣) شرح النهج (ج ٤ ص ٥٧٠) — الحكم المنثورة س ٢٠ .

(٤) اللباب لاسامة [ص ٤٣٤] .

(٥) الكشكول للبهاء العاملى [ص ٩٨] ط ـ الشرفية ـ س ٣١ ـ

(٦) الفلك للسيوطى [ص ٣٨ و ٣٩] .

(٧) الصفوة لابن الجوزى .

(٨) السنة الأولى لمجلة [السعادة العظمى] التونسية .

« ... إن الحياء عبارة عن انقباض النفس عما تذم عليه ، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القبائح ، فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسانية بالضرورة ، وبقي صاحبها سائماً في مراتع البغي والفسوق ، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ... » .

ومن كلمات أخينا الحكيمة قوله (١) .

« يتلذذ المستقيم بعفته كما يتلذذ الفاسق بإحراز شهوته ، ولكن أمام لذة الاستقامة عقبة لا يقتحمها إلا قوى الإرادة » .

وقال أيضا : ـ من قطعة شعرية ـ عن ديوانه (خواطر الحياة) :

شهوة تحدو على إثم فإن قضى الإثم استحالت أسفا
وإذا ما لاذ بالصبر انثنت بين جنبيه زواحاً وصفا

وقال بعض الحكماء : القوة على الامتناع عن اتباع الشهوات أحد أشفية أسقام النفس (٢) .

وقال أبو العتاهية (عن ديوانه) :

ومن يتتبع شهوة بعد شهوة ملحا تقسم عقله الشهوات

وقال أيضا :

رأيت الروح جدب العيش لما عرفت العيش مخضاً واحتلابا
ولست بغالب الشهوات حتى تعد لهن صبراً واحتسابا

وكان مالك بن دينار يقول : حاجب الشهوات غض البصر (٣) .

وكان ازدشير بن هرمز يقول : العاقل من ملك عنان شهوته (٤) .

تونس محمد المكي بن الحسين

(١) السنة الأولى لمجلة [العرب] التونسية .
(٢) اللباب لأسامة (ص ٤٣٢) س ١٥ .
(٣) الاعجاز للثعالبي (ص ١٢٩)
(٤) الاعجاز للثعالبي (٥٤)

نداء الى المسلمين

من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

أما بعد ـ فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، نتجه به إلى الشعب المصرى الكريم ، وإلى سائر المسلمين .

أيها المسلمون :

إن الدين الإسلامى دين توحيد ووحدة وسلام وأمان ، وهو لذلك رباط وثيق بين الناس وربهم ، وبين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين مواطنيهم ومن والاهم من أهل الكتاب ، فليس منه تغرير ولا تضليل ، وليس منه تفريق ولا إفساد ، ولا تآمر على الشر ولا عدوان . وقد قام الإسلام من أول أمره على هذه المبادىء ، لجمع بين عناصر متنافرة ، وقرب بين طوائف متباعدة ، وأقام حياة المجتمع الإسلامى على أسس قويمة كريمة .

وقد رسم القرآن الكريم منهاج الدعوة إلى هذه المبادىء السامية فقال : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وحذر من التنازع والتدابر والتعاون على الإثم والعدوان فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

وقد نهج الرسول ﷺ وأصحابه والراشدون من سلف المسلمين هذا المنهج القويم فى أقوالهم وأعمالهم وما أثر من سيرهم ، واستقام الأمر للمسلمين ما استقاموا على هذه المبادىء

وقر فى نفوسهم جميعاً أن هذه المبادىء هى أساس النجاح ، ومصدر الخير ، وعزة الدين والدنيا .

وقد ابتلى المسلمون فى عصورهم المختلفة بمن أخذوا تلك المبادىء على غير وجهها الصحيح ، أو لعبت بعقولهم الأهواء فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجتذبون بها ثقة الناس فيهم ، ويتسترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم .

والتاريخ الإسلامى حافل بأنباء تلك الطوائف التى شبت فى ظلاله ، وزعمت أنها جنود له ، ثم كانت حرباً عليه أشد من خصومه وأعدائه .

وقد كان فى ظهور طائفة الإخوان المسلمين - أول الأمر - ما صرف الناس عن التشكك فيهم ، والحذر منهم ، بل كانت موضع ارتياح فيما اتخذت من أساليب الدعوة ، واجتذاب جمهرة من الناس إلى ناحية الدين .

ولكنه — والأسف يملأ نفس كل عارف بدينه ومخلص لوطنه وأمته — قد شذ من هذه الجماعة نفر انحرفوا عن الجادة ، وسلكوا غير ما رسم القرآن ، فكان منهم تآمر على قتل الأبرياء ، وترويع الآمنين ، وترصد لاغتيال المجاهدين المخلصين ، وإعداد العدة لفتنة طائشة ، لا يعلم مداها فى الأمة إلا الله .

وجماعة كبار العلماء - فى الوقت الذى تستنكر فيه هذا الانحراف عن منهج القرآن فى الدعوة - تشكر الله العلى القدير أن مكن لأولى الأمر فى هذه الأمة أن وضعوا أيديهم على بذور الفتنة ووسائلها ، قبل أن يشتد أمرها ، ويستفحل شرها . وتعلن أن الخروج عن منهج الدعوة الذى رسمه القرآن ، وسلوك سبيل العنف بالإرهاب والعدوان ، والتضليل والخداع ، مشاقة لله ورسوله ، وافتيات على الإسلام بما ينكره الإسلام ويأباه ، ويعتبر صاحبه فى صفوف المتعدين حدود الله (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) .

وجماعة كبار العلماء تنصح للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتجهوا إلى الدين ، فيفهموا مبادئه وإرشاداته على وجهها الصحيح ، ويلتزموها فى حياتهم الخاصة فتسلم الأسرة ، وفى حياتهم العامة فتسلم الأمة ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وقوة واحدة ، فى حفظ كيان المجتمع والذود عن كرامته ، والاعتصام بحبل الله (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) ؟

تعليقات

إلى الطرابيش اليقظة

كم رجونا إلى من يحملون الاقلام ، وينصبون أنفسهم لتوجيه الرأى العام ، أن يكونوا أبرياء من الغرض ، أوفياء للحق ، وأن يأخذوا أنفسهم بشيء من أدب القول ، حتى يكون لكلامهم قوة الصدق ، فلا يرميهم رام بأن كتابتهم تجارة يحتطبون فيها الغث والسمين من الأساليب ، مما يجلب إليهم الكسب المادى ، ويشبع نهمهم ، بتسخير الأقلام فى الإسفاف .

وحتى لا تجرى فيهم الألسن بأنهم وراء المادة وحدها ، لا أنصاراً لفكرة ، ولا دعاة إلى مبدأ ، فلا عليهم أن يتلونوا بالألوان المرغوب فيها ، ولا عليهم أن يغالطوا الناس فيما يعرفه الناس عنهم .

رجونا ذلك ، ورجونا ألا يكون لهذه الآفات أثر عند أصحاب الصحافة والمنتمين إليها ، فإن أثر ذلك يهون من كاتب نزر الكتابة ، قليل الصلة بالصحافة ، ولكنه لا يهون من كاتب محترف يواجه الناس كل يوم بما يسوده قلمه فى صفحات الجرائد أو المجلات ، وأثر ذلك جناية على المهنة الصحفية ، وعلى كرامتها ، وهم يسمون الصحافة : صاحبة الجلالة .

* * *

ولكن الأمر تجاوز الرجاء كله ، فأصبح لدينا أفراد عرفوا بالإسراف فى هذرهم ، وعرفوا بالنشاط فى تسميم العقول الغضة ، وفى دعوة الجيل الجديد إلى الانحراف عن كل تقليد كريم ، وعن التخلق بأخلاق الطبقات الرفيعة التى يعتد بها فى كيان الأمة ، فلم يعد البلاء بلاء كتاب يتلمسون الكسب فحسب ، ولكنه بلاء الانهيار الأدبى الذى أصبح شعاراً وديدنا لأشخاص لا يخجلهم أن يتصايحوا فى الأمة ـ وهم من عرفهم الشعب ـ بأنهم حملة أقلام ، ودعاة إصلاح . وما نريد أن نخوض فى النعى على أولئك ، ولكن الذى نريده ونرضاه لأناس نقرأ لهم ونستمع إليهم ، ألا يمسهم ذلك الهوس ، وألا يغلب عليهم ذلك التبجح كما غلب على آخرين ، عرفناهم وعرفتهم الأمة فى العهود الحزبية . لا نريد أن تكون المادة الصحفية

لمن يعيشون فى ظل صاحبة الجلالة تطاولا على العلماء ، وتصيداً للكلام المرذول ، للغمز به فى العلماء ، وانتهاجا للأساليب النازلة ، لنفث سموم الإباحيـة والإلحاد فى نفوس الأغرار ، وتجديد النزعات الخبيثة عند من يتأثرون بالدعايات المموهة . وكنا نحسب تلك التجارة تتعطل بعـد أن انصرم موسمها .

* * *

قالوا : إن العلماء أفتوا يوما ما فى حكم البيبسى كولا ، ولم يفتوا فى الإخوان المسلمين ، لجريمة العلماء عند أولئك أنهم (وقـد عرفوا من تقرير المعمل الكيمائى الرسمى خلو هذا المشروب من المواد المخدرة) أفتوا بأنه حلال ، فهل فى الحل ما يغضب أولئك الكتاب المتورعين عن الشبهات ، حتى كأنهم يتحرجون من كل مشروب مريب ، بل يتحاشون ما يشتبه عليهم كالبيبسى كولا ، فهم غاصون بفتوى حلها ممن أفتوا بها .

ومن أعجب العجب أن يتأثر لهذه الفتوى فرسان إحدى دور الصحافة ، والناس يذكرون أن هؤلاء الفرسان كانوا فى جانب الفتوى يوم صدورها ، فماذا يغضبهم اليوم ! ؟

وأما الفتوى فى شأن الإخوان المسلمين فهى أمل منشود عند الطرابيش اليقظة ، فما يغضب الطرابيش اليقظة إلى كل خير فى الدين والدنيا ألا تكون للعلماء فتوى فى الإخوان .

فماذا تقول لهذه الطرابيش اليقظة ، وقد خيمت عليها الغفلة عما ردده الأزهر منذ انحرف الإخوان عن سبيلهم الأولى .

هذه مجلات الأزهر ، وإذاعات العلماء فى الراديو ، وخطباء الوعظ فى دوائرهم تباعا ، ودروس أئمة المساجد ، كلها حافلة بالإنكار على الإخوان منذ بدرت أحداثهم الممقوتة ، والإخوان أنفسهم لم يكن يعجبهم أن يحمل الأزهر عليهم تلك الحملات .

ولكن الطرابيش اليقظة كما يشهد أصحابها ـ وهم عمداء صاحبة الجلالة ـ لم يكونوا ينشرون للأزهر ما يكتبه إليهم علماؤه ، ولم يكونوا يقرأون ما ينشره الأزهر فى مجلاته ، ولا يسمعون ما جهر به الأزهر وسمعه كل حى ، وطبعا لم يسمعوا خطب المساجد يوما ما ، فما ذنب الأزهر عند من يتذرع بالنيل منه إلى إثارة الشبه حوله ؟ ؟

* * *

وإذا كانت هذه فرصة عند هؤلاء الفرسان ليتقربوا بها على حساب الأزهر كدأبهم أيام الأحزاب ، فقد غاب عن يقظة الطرابيش أن احتفال الأزهر قبل حصول الحادث الأخير بيوم واحد كان أروع مظهر للشعور الصادق نحو الثورة ، وأفسح مجال للتنديد بخصوم الثورة ، والمحايدين لها ، والعاملين على الانشعاب والتفريق ، والتشكيك فى الثورة وأهدافها .

ورجال الثورة أنفسهم قدروا ذلك حق قدره ، وكل ذلك شهدت به الصحف وأصحابها عدا أصحاب الطرابيش اليقظة .

وها قد أنكر الأزهر فى بيان جماعة كبار العلماء : فهل رضيت الطرابيش اليقظة ؟ ؟ لا ! ! كتب أحدهم يغض من موقف العلماء ، وينكر عليهم أنهم نسبوا الإجرام إلى أفراد من الإخوان دون آخرين ، وهذا لا يرضيه .

وينكر أن العلماء لم يصرحوا بأسماء هؤلاء الأفراد .

فهل رأيتم أيها القراء سخفاً كسخف أصحاب الطرابيش اليقظة ؟ ؟ فذلك الكاتب يطلب إلى العلماء أن يذكروا له أسماء الإخوان المنحرفين ! !

هذا رجل ما كان يستحق أن نرد عليه ؟ (المجلة)

السؤال عن العلم

* قال على بن أبى طالب : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان . والحكمة ضالة المؤمن .

* قال الحسن البصرى : من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله .

* قال الخليل بن أحمد : منزلة الجهل بين الحياء والأنفة .

* وكان ذوو الحجى من حكماء الأمة يقولون : إذا جلست إلى عالم فسل تفقها ، ولا تسل تعنتاً .

ركن الطلبة :

رسالة البشرية

من جزيل آلاء الحق - تبارك وتعالى - على عباده أنه أكرم آدميتهم ، فقال فى كتابه الكريم : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، وخلق ما دونهم رحمة بهم ومنفعة لهم « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » . ثم لم يدعهم إلى أنفسهم فى حيرة يعمهون ، وضلال يهيمون ، بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، ومرشدين ومحذرين ، لتكبر منته ، وتسمو آيته ، وتكمل حجته ، حتى لا يكون للبشر عذر يشفع لهم إذا ما نأوا عن منهج الخير والعرفان ، وأشاعوا فيما بينهم الشقاء والحرمان ، وكل عصر جاء على البشرية وهى تفقه رسالتها ، وتقدس واجبها ، هو عصر الحياة والنور والإنتاج والكرامة ، وكل عصر أتى عليها وهى نائمة عن حقيقتها ، وغافلة عن سر وجودها ، ومنجرفة فى سيل أهوائها ، هو عصر الفناء والعدم ، وطور الشقاء والألم ، وفصل المأساة فى سفر الحياة ، ولذلك تعتبر عصور الجاهلية فى مختلف الأمم فى الدرك الأسفل من الوجود ، لأنها قوضت عروش الخير والفضيلة ، وأتت على صروح الجماعة وشرعة الإنسانية ، وبغت الفساد فى الأرض والإشراك برب السماء . وكذلك تعد العصور التى تمرد فيها الغرب وانطلق من قوانين الحرية والعدالة ، وسعى لبسط بطشه وجبروته ، وتحكيم حيفه وشهواته ، عصور الغياهب الدامسة ، والكرامة الموءودة ، والهمجية الضالة ، ولا تغرنكم هذه الأضواء البراقة ، والاكتشافات العجيبة ، فهى بإزاء الرسالة الخالدة التى ناطها الله بالبشرية ، وأودعها أمانة فى عنقها ، شىء تافه حقير ، لا حسبان له ولا غناء فيه .

* * *

إن هذه الأرض التى وجدنا عليها ، وعشنا على خيراتها وكنوزها ، لتمد يدها إلينا فى كل وقت وحين ، طالبة العرفان بأياديها ونعمائها ، فلا يخلق بنا أن نكون أعق أبنائها وأحطهم

أخلاقا ، وأوضعهم طبيعة ونفسا ، فلا نلوث ثراها بدماء الأرامل واليتامى والشهداء والضعفاء ، ولا نسمح للأقدام التي تحمل معها جراثيم الإثم والنكران أن تسير على أديمها ، ولا للطفيليات التي تشرئب لخنق الزهور الفواحة بالحياة فوقها ، وأن نكون دائما حراسا على الخير ، وأمناء على الحق ، وحربا عوانا على كل من يبغى علوا فى الأرض وفساداً .

وإذا كان من سنة الله فى خلقه تدافع البشرية وتطاحنها ، فذلك لإسعادها وخيرها وإماتة عوامل الفساد فيها « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » فلا يكون هناك مجال لمفسد ، ولا ميدان لطاغية ، ولا سبيل لاستعباد .

أما هذه الحروب التي لا هدف لها إلا التدمير والهلاك والثروة والسيطرة ، فهى بلاء على الإنسانية ، ومعول هدم فى بناء الأسرة الآدمية ، وهى آية على ما اعترى العقول من عبث بحياة الإنسان ، وبرهان على أن الأمل فى هذه القوة المادية « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » ، وأنه قد باءت كل النظم بالفشل فى رسم طريق الحياة الواضح الذى لا يشوبه عوج ، ولا يعتريه عطب ، ولم يبق إلا طريق العقيدة ، ولن تكون هذه العقيدة سوى الإسلام ، لأنها الشريعة التى صاحت بالبشرية جمعاء أن الأرومة واحدة « فكلكم لآدم وآدم من تراب » ، وأن الأجناس والألوان والأوطان أمور شكلية ، لا يقام لها وزن ، وأن صاحب الجاه والسلطان مع المعدم المغمور يستويان ، وأن الحياة وسيلة لغاية كبرى ، ومزرعة نجنى منها فى يوم آخر ، وأن زرعنا يجب أن يكون خيرا ومحبة وتعاونا وتآلفا ، وتآزرا وتعاطفا « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

وتلك رسالة البشرية فى الحياة ، فهل يضطلع بها البشر ؟ ! ؟

محمد الدسوقى
بمعهد المنصورة الثانوى



شرح الطحاوية — لابن أبي العز

بتحقيق فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر - ٤٦٦ ص - طبع دار المعارف بمصر

الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الأزدى (٢٣٧ - ٣٢١) من فقهاء هذه الملة فى الصدر الأول لتأسيس المذاهب الفقهية المعروفة الآن والمنتشرة فى العالم الإسلامى ، وهو ابن أخت المزنى صاحب الإمام الشافعى ، وعقيدته التى اشتهرت باسم (العقيدة الطحاوية) مشهورة معروفة ، وقد كتبها على طريقة طبقته ومعاصريه ، وهى الطريقة السلفية .

وفى سنة ١٣٤٩ طبع فى مكة شرح نفيس لهذه العقيدة غير أن المخطوطة التى طبع عليها كانت غفلا من اسم مؤلفها ، وكانت سقيمة كثيرة الغلط والتحريف . وقد عثر العالم الجليل الشيخ محمد نصيف على ما يدل على اسم الشارح فى شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدى (٢ : ١٤٦) حيث نقل من شرح الطحاوية فقرة تزيد على ١٤ سطراً وقال : إن مؤلف الشرح على بن على بن محمد الغزى ، وصوابه العزى بالعين المهملة وتمام اسمه على ابن على بن محمد بن أبى العز الحنفى (٧٣١ — ٧٩٢) ويقول عنه الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة (٣ : ٨٧) إنه كان قاضى القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية ، ثم بدمشق .

وهذا الشرح لعقيدة الإمام الطحاوى من أنفس كتب العقائد لأن متن العقيدة نفسه من أقدم كتب المسلمين فى العقيدة كتبها قبل شيوع أساليب اليونان وتعدد الفرق والطوائف وقبل ازدياد البدع والجدل والتأويل والشبه فهى من العقائد السليمة التى ارتضاها الأئمة المتبوعون وكانوا عليها وأرادوا أن يلقوا الله بها .

وقاضى قضاة الشام ومصر ابن أبى العز شارح هذه العقيدة سلك مسلك الطحاوى وطبقته من الأئمة الأقدمين فى تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها والتبسط فى بيانها ، فجاء كتابه من أنفس ما ألفه العلماء المحققون . غير أن آفة هذا الكتاب ما كان يغلب على المخطوطة التى طبع عليها بمكة من تصحيف وتحريف . وإلى الآن لم تظهر نسخ أخرى مخطوطة تعين على تصحيحه . فلما مست الحاجة الآن إلى تجديد طبعه ، قام بذلك فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر بأقصى ما يستطيعه العالم الأمين ، فإذا مر به حديث أو أثر أو نص عاد إلى مراجع ذلك فى الأصول التى تحت يده فصححه منها وعلق عليه ببيان مرجعه من تلك الأصول ، وكذلك الأخطاء الواقعة فى الكتاب مما تحرف به كلام الشارح اجتهد فى تصحيحها بقدر ما يستطيعه العالم إذا لم يجد لديه نسخاً أخرى من الكتاب المحرف ، وهو يقول بعد ذلك : « ولعلى - بهذا - أكون قد أديت الأمانة فى حدود مقدورى واستطاعتى . ولكنى لا أزال أرى هذه الطبعة مؤقتة أيضاً ، حتى يوفقنا الله إلى أصل محفوظ للشرح صحيح ، يكون عمدة للتصحيح » . فجزاه الله عن العلم والإسلام خيراً

الإسلام وعنايته بالصحة والطب

لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبى — ٨٠ ص — مطبعة الرسالة

هذه ناحية من نواحى عناية الإسلام بالمجتمع الإسلامى تصدى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبى واعظ القاهرة للإفاضة فى بيانها فكان موفقاً فى ذلك بادئا من النظافة التى هى أول وسائل الوقاية الصحية وكيف أن الإسلام جعلها من وسائل عباداته ، بل هى من شعب الإيمان الإسلامى . وتكلم على الحجر الصحى فى الإسلام وعن المنهيات التى يعد الانتهاء عنها من قوام الصحة . ثم عن الطب العلاجى والتداوى ، وعن الرياضة والصحة ، وعن الصوم ومزاياه الصحية إلى غير ذلك من البحوث الممتعة التى جعلت هذه الرسالة من أنفع الكتب للجماهير .

الأدب والعلوم

مساوىء التعليم المختلط

يزور المارشال مونتجمرى - بطل معركة العلمين ، ونائب القائد العام لحلف الأطلنطى - الولايات المتحدة الآن .

وقال أثناء محاضرة له فى جامعة كولومبيا : إنى من أعدى أعداء التعليم المختلط ، وإن من الواجب علينا أن نعنى بتربية شبابنا وإعدادهم للقيادة .

وأذاع وهو فى نيويورك كلمة حذر فيها الأمريكيين من التعليم المختلط ، وقال : إنهم قد لا يرتاحون إلى مايقوله لهم أثناء جولته التى تستغرق أسبوعين ، وإنه لا يحب اختلاط الشابات بالشبان فى معاهد التعليم .

مناهج الفقه فى الأزهر

مما اشتملت عليه المناهج الجديدة لتدريس الفقه الإسلامى بالأزهر الأحكام الشرعية لعمليات البنوك التجارية والعقارية وبنوك التسليف الزراعى والصناعى ، والأحكام الشرعية للمعاملات التجارية التى تتم فى بورصات الأوراق المالية والعقود ومينا البصل ، والأحكام الشرعية للتعامل بالأوراق المالية ، وهى تشمل الأسهم والسندات وعقود الشركات المختلفة ، ومشروعية الوقف والأدوار التى مرت به إلى الآن ، ومشروعية الرهن فى الإسلام وأسبابه الحقيقية ، وآراء العلماء فى الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، والطلاق المعلق ، ومصدر التشريع للقانون الخاص بذلك ، وأحكام الوصية الواجبة ومصدر التشريع الخاص بها ، وحكم الزكاة فى الورق النقدى المتعامل به الآن .

مناهج التاريخ بالأزهر

اشتملت مناهج التاريخ الجديدة بالأزهر على دراسات وافية لثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وحالة مصر منذ سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٢ من حيث التدخل البريطانى وطغيان القصر وفساده ، وما حققته الثورة الأخيرة لمصر من تطهير أداة الحكم والإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، واتفاقية السودان الجديدة ، وإعلان الجمهورية ، وتعبئة قوى الشعب ضد الاحتلال البريطانى .

وعدلت مناهج التاريخ فيما يتعلق بالفترة

السابقة للثورة ، فأدخلت على المناهج دراسات مستفيضة عن التدخل الأجنبي فى شئون مصر ، والثورة العرابية باعتبارها ثورة على التدخل الأوربى وعلى حكم الخديو المطلق والأسباب التى أدت اليها وحوادثها ونتائجها . وكذلك الحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال منذ حركة مصطفى كامل وثورة سنة ١٩١٩ ، وحركة سعد زغلول والمفاوضات والتقدم الاجتماعى والعمرانى والثقافى .

مناهج التربية الوطنية بالأزهر

أدخلت برامج جديدة على مناهج التربية الوطنية بمصر ، فتناولت موضوعات الدولة الجمهورية الديمقراطية وميزات النظام الجمهورى وأهداف الجمهورية الحالية ، وجهاد مصر فى سبيل إعادة الأمور إلى أيدى أبنائها منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وثورة الشعب ممثلة فى الجيش للتخلص من الظلم والفساد ، وأهداف الثورة ، وواجبات الافراد ومسئولياتهم نحو تحقيق هذه الأهداف ودور مصر فى الوطن العربى العام ، واشتراك مصر فى النشاط الدولى من اجتماعى وثقافى ورياضى واشتراك مصر فى هيئة الامم المتحدة وماقامت به من جهود دولية ، وأثر ذلك فى تقوية مركز مصر بين الامم .

هذا وقد وضعت الإدارة العامة للأزهر التنظيمات الخاصة بتنفيذ المنهاج الجديد على مراحل فى خلال أربع سنوات دراسية بحيث يصبح منفذاً فى الأقسام الابتدائية والثانوية من المعاهد الأزهرية فى العام الدراسى سنة ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، وسيبدأ بتنفيذ هذه المناهج من العام الدراسى الحالى .

دراسات هندسية عليا

تبدأ هذا العام بكلية الهندسة (جامعة القاهرة) دراسات عليا فى ميكانيكية التربة وهندستها ، وفى الرى والهيدروليكا (علم المياه) وفى الهندسة الصحية ، وهندسة البلديات . ولا يقبل لتلقى هذه الدراسات إلا من يكون حاصلا على درجة بكالوريوس فى الهندسة وستكون الدراسة مسائية وتبدأ يوم ٤ ديسمبر

السودانيون فى الأزهر

ترى إدارة الأزهر أن يعقد امتحان تجريبى للطلبة السودانيين الذين قدموا إلى القاهرة للالتحاق بالمرحلة الابتدائية تمهيداً لقبولهم ، على أن يكون ذلك بصفة استثنائية هذا العام .

وللتغلب على هذه المشكلة فى الأعوام القادمة يستحسن افتتاح معهدين فى الملكال والفاشر لإعداد مثل هؤلاء الطلاب تمهيداً لقبولهم بعد ذلك بالمعاهد الأزهرية .

اليهود فى اليونسكو

كتب الأستاذ العقاد مقالا فى جريدة أخبار اليوم أشار فيه إلى احتيال اليهود للوصول إلى مراكز النفوذ فى المؤسسات الكبرى، وقال إن ذلك ظاهر من سلوك المؤسسة العالمية التعليمية الوحيدة فى العصر الحديث (اليونسكو). هذه المؤسسة التى تنفق عليها دول العالم فى هذا العصر لم تنشر حتى اليوم بحثا واحداً فى مصلحة العرب، وتتدفق منها كل عام بحوث فياضة أو موجزة لمصلحة واحدة هى مصلحة إسرائيل ومصالح اليهود فى أقطار العالم جمعاء.

ولقد وصل منها هذا الأسبوع خمس عشرة رسالة نذكرها بعنواناتها إذا شاء القراء، وكلها فى موضوع واحد هو موضوع « العنصر » والحملة على أعداء اليهود المعروفين فى الغرب باسم أعداء الساميين. خمس عشرة رسالة فى موضوع واحد للدفاع عن اليهود، وتسمى اليونسكو بعد ذلك « مؤسسة عالمية إنسانية » ينفق عليها العرب بين المنفقين.

خمسة ملايين يهودى فى بيئة واحدة (أمريكا) يصنعون كثيرا، بل كثيرا جدا، فى السيطرة على المواقف السياسية. وهل أعجب من سيطرتهم على اليونسكو الموقرة، وهى عالمية! إنسانية! بشهادة الجميع ...

عبد العليم الصديقى

١٣١٠ — ٢٢ ذى الحجة ١٣٧٣

كان مولانا الشيخ عبد العليم الصديقى من أنشط وأشهر دعاة المسلمين فى أفريقيا وسائر أقطار العالم الإسلامى، وقد نشرنا فى ص ١٢٧ من مجلد العام الماضى لهذه المجلة عن آخر مظاهر نشاطه للدعوة الإسلامية وهو رئاسته للمؤتمر الإسلامى فى نيرونى الذى دعت إلى عقده جماعة حماية الإسلام فى أفريقية الشرقية وتعاونت فى ذلك مع مبعوث الأزهر لرياسة المعهد الإسلامى فى زنجبار وهو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان الذى كان له نشاط مشكور فى خدمة الإسلام والمسلمين هناك.

وقد علمنا الآن من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الدهان أن صديقنا القديم الداعية الإسلامى الشيخ عبد العليم الصديقى رأس الدعاة فى تلك الجهات اختار الله له الوفاة يوم الأحد ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٣ فى المدينة المنورة بعد أن أدى مناسك الحج، فرأينا أن نسجل له ذكراه لما نعلمه من جهاده الطويل فى الأصقاع الافريقية والاسيوية فى سبيل الإسلام، رحمه الله وأجزل له المثوبة.

أنباء العالم الإسلامي

ميثاق الدفاع العربي

سجل الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي حديثا مع مراسل إذاعة هامبورغ للتلفزيون ، ومما جاء في هذا الحديث أن المراسل سأله :

ما هو الوضع بالنسبة لميثاق الدفاع العربي ، وما هي الصعوبات التي لا تزال قائمة في هذا الميدان ؟

فأجابه : — هناك عقبات عديدة يجب أن تذلل ، ليكون ميثاق العرب الدفاعي هذا فعلياً . وأهم هذه العقبات تسليح الدول العربية بما تحتاج إليه ، وبخاصة العتاد الثقيل ، وإيجاد اتصال بري بين مصر وبقية الدول العربية ، وتوحيد هذه الجيوش .

هذه بعض المشاكل التي تواجه هذا الميثاق ولا شك أن بعضها يمكن أن تتغلب عليه الدول العربية نفسها في وقت قصير ، والبعض الآخر يتوقف الآن على موقف الغرب من هذه المنطقة ، ومد يد المعاونة التي يمكن أن يقدمها الغرب لتقوية هذه الدول لكي تتمكن من القيام بواجب فعال في الدفاع عن نفسها إزاء أي خطر .

وسأله المراسل : — هل هناك تفكير في توسيع هذا الميثاق بحيث يصبح ميثاقا دفاعياً إسلامياً لإقامة جبهة ثالثة ؟

فقال : لا توجد فكرة من هذا القبيل الآن ، ونحن حريصون على ألا تتسع رقعة هذا الميثاق بأي حال من الأحوال في الوقت الحالي على الأقل .

الإنجليز

بين مسقط وعمان

منطقة مسقط هي المنطقة الساحلية لمقاطعة عمان ، وعلى منطقة مسقط سلطان يرث من مواريث الماضي حماية إنجليزية فرضت على مسقط كما فرضت على المقاطعات المجاورة لها في ساحل الخليج الفارسي . ومقاطعة عمان هي المقاطعة الداخلية وراء منطقة مسقط ، وكلاهما يسكنها عرب مسلمون من طائفة الإباضية ، وعلى مقاطعة عمان إمام هو الرئيس الديني للإباضية . وكان الإنجليز بعد فرضهم الحماية على مسقط عقدوا بين مسقط وعمان اتفاقية اسمها (اتفاقية السيب) حددوا فيها الحدود بين الجهتين .

ولما أخذت تظهر الآن بوادر استنباط البترول في بعض البقاع الداخلة في عمان

والخارجة عن نطاق الحماية المفروضة ، أخذ الإنجليز يحاولون التدخل فى المنطقة البعيدة عن نطاق الحماية المزعومة ، فندب إمام عمان اثنين من أفاضل طائفته وهما السيد طالب بن على والشيخ ابراهيم اطفيش للاتصال بالجامعة العربية وطلب معونتها فى منع هـذا التدخل من الإنجليز بلا حق ، والشكوى إليها من احتلال الإنجليز أخيرا لمنطقة (عبرى) التى هى من مقاطعة عمان طمعا فى بترولها . وان إمام عمان يطلب الآن من الجامعة العربية معاونته فى منع هذا العدوان .

واحة البريمى

كان الدور الذى مثله الاستعمار البريطانى فى مسألة واحـة البريمى المشهورة قائما عـلى أساس أن الانجـليز يتكـلمون باسم إمامة عمان وسلطنة مسقط بدعوى أن البريمى واقعـة فى داخل حدود عمـان ، وكانت المملكة العربية السعودية تقول إن هـذه الأرض حدوداً معلومة . وإن الانجـليز يتعرضون لقسم منهـا داخـل فى حـدود المملكة السعودية . واستقر الأمر على اختيار محكمين لحل هذه المشكلة .

والآن تقدمت إلى الأمانة العامة للجامعة العربية تقارير من حكومة إمام عمان ونائبه تنكر عـلى الإنجليز أى علاقة لهم بعمان والبريمى ، وتشكو من تضييقهم الخناق عـلى منافذ الإمامة بحشد القوات البريطانية فيها وخاصة واحة بريمى . فهم إذن فضوليون ولا يحق لهم أن يتكلموا فى هذا الموضوع .

امامة عمان

مما تضمنه تقرير نائب إمام عمان المقدم إلى أمانة الجامعة العربية بيان بما تغله هذه الإمامة من الفحم والبترول ، وكيف أنها كانت فى الماضى تتمتع باكتفاء ذاتى قبل نكبتها بتدخل الاستعمار البريطانى فى شئونها . وأشار التقرير إلى استعداد إمام الإباضية فى عمان لمنح امتيازات للتنقيب عن البترول والفحم واستغلال أراضى الإمامة ومرافقها العامة ، على أن لا تمس هذه الامتيازات سيادة الدولة

وقد وضعت أمانة الجامعة العربية خطوطاً رئيسية لإمكان النهوض بهذه الدولة العربية وهى تنحصر فى وجوب الاستعانة بالمملكة العربية السعودية واليمن وبعض رجال العروبة غير الرسميين ورجال الدين فى توثيق عرى الصداقة بين الإمامة والبلاد العربية بوضع سياسة من شأنها الارتفاع بمستوى إمامة عمان والمساهمة فى نهضتها الثقافية والاجتماعية والدينية .

فرنسا فى الوطن العربى

قال رئيس وزارة فرنسا اليهودى مسيو منديس فرانس : إنه يطلب إمهال فرنسا فترة من الوقت ريثما يتسنى لها حل مشكلة تونس .

فرد الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن فرنسا خيبت آمال العرب فى حل مشاكل شمال إفريقيا، وكان أولى لها أن تحل مشاكل مراكش وتونس والجزائر باعتبارها وحدة متكاملة، بدلا من أن تتلمس حلولا سقيمة لجزء منها.

وقال الأستاذ حسونة: إن الدول العربية منحت فرنسا من قبل فرصة كبيرة لحل هذه المشكلة، وكان ذلك عندما طالبت بمهلة مماثلة فى أغسطس الماضى. على أنه لفت الأنظار إلى أن منح تونس الحكم الذاتى مبدئيا دون مراكش أو تجاهل أمانى الجزائر لن ينتج عنه استقرار فى منطقة شمال إفريقيا، ولن تجدى معه ألف فرصة أخرى تمنح لفرنسا للوصول إلى تسوية تحقق أمانى هذه البلاد. إن فرنسا لو كانت منحت مراكش الحكم الذاتى تمهيداً لتحقيق أمانيها الوطنية فى الحرية والاستقلال لما تطورت الحالة فى مراكش إلى ما وصلت إليه الآن من تفاقم ينذر بالخطر الشديد، ويهدد السلم والأمن الدوليين فى هذه المنطقة الحساسة من العالم. وهى كذلك لو أعادت النظر فى موقفها من الجزائر وحقها فى الحكم الذاتى تمهيداً لمنحها الاستقلال الكامل لعاونها ذلك على تسوية مشكلتى تونس ومراكش.

والنصيحة التى يجب أن تأخذ بها فرنسا هى أن منطقة شمال إفريقيا تمثل (وحدة جغرافية كاملة) تتلاقى أمانيها وأهدافها، وتتحد خططها وتتفق آلامها. وكان أبرز دليل على ذلك هو (وحدة الكفاح المشترك) التى تمثل فى مناطقها جميعا.

فرنسا وثورة الجزائر

ألقت الطائرات الفرنسية خمسين ألف منشور من أوراق الإنذار على منطقة الثورة الجزائرية فى جبال أوراس مهددة بأنها ستصب نيران غضبها وانتقامها على مراكز الثورة وأنذرت المدنيين بأن ينتقلوا بعائلاتهم ومنقولاتهم إلى المناطق الآمنة التى تخرج عن نطاق نفوذ الثائرين وسلطانهم، وحددت لذلك مهلة تنتهى فى يوم ١٨ نوفمبر.

وكان فى تقدير سلطات الاستعمار أنه على أثر سقوط منشورات الإنذار فى البلاد والقرى المنتشرة فى جبال أوراس والتى يسيطر عليها الثوار أن يدب الذعر والرعب فى قلوب الشيوخ والنساء والفلاحين، فيتركوا بيوتهم ويقوموا بحركة هجرة تؤثر على نفوس الثوار وتضعف عزائمهم، غير أن رجال المراقبة من الفرنسيين وأذنابهم لم يروا أى أثر لهذا التدبير، ولم يلاحظوا تحركات من هؤلاء السكان تشير إلى تنفيذ ما جاء فى منشورات الإنذار ولذلك اضطرت السلطات الفرنسية وقيادة الجيش إلى إلقاء منشورات أخرى مدت فيها مدة الإنذار إلى ٢٦ نوفمبر

وهددوا بإنزال العقاب الشديد بمن يبقى فى مناطق الثوار . وتدعى السلطات الفرنسية أن مجموع عدد الأسر التى انتقلت من المناطق الجبلية بلغ ثمانين أسرة فأقامت القوات الفرنسية خياماً لإيوائهم .

وقد رأى الثوار أن يقفوا من قوات الاستعمار موقف الهجوم فانحدروا من جبالهم إلى أول مخفر فرنسى فوجدوا فيه ٢٠٠ ضابط وجندى تعززهم الدبابات والقوة المصفحة الاخرى ، فألقى عليهم الثوار قنابلهم اليدوية وأصلوهم نارا حامية من مدافعهم الرشاشة وأسرع الفرنسيون إلى الاحتماء وراء الدبابات ودارت معركة بين الطرفين انسحب بعدها الثوار إلى جبالهم استعدادا لما سيدور من المعارك فى المستقبل .

أفغانستان والعرب

أبلغت الحكومة الأفغانية بواسطة سفيرها فى القاهرة الأمانة العامة للجامعة العربية التصريح الذى أعلنه نائب رئيس وزارة أفغانستان ووزير خارجيتها وهو :

« إن أفغانستان تؤيد الحركة الوطنية العربية كل التأييد ، وإن سياسة أفغانستان تجاه قضية الجزائر وقضايا شمال افريقيا هى تأييد القرارات التى تتخذها الكتلة العربية فى الأمم المتحدة بهذا الشأن » .

ولايات باكستان

أعلن السيد محمد على رئيس وزراء باكستان إلغاء الحدود الإقليمية بين ولايات غرب باكستان وإدماجها جميعا فى وحدة إدارية ذات قانون واحد وتخضع جميعا للحاكم العام فى جميع شئونها الإدارية .

وقد وافق زعماء الولايات على ذلك وهى بلوجستان ، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية ، وبهاولبور ، وخيبر والقلعات ، والولايات الثلاث الأخرى التى تتاخم حدود آسيا الوسطى السوفيتية ، وبقيت مقاطعة السند وحدها التى لم يوافق زعماؤها على هذا التعديل .

اليهود فى اريتريا

كنا قد نشرنا فى الجزء الاول من أعداد هذه السنة إحصاء لعدد اليهود فى العالم منقولا عن المصادر الغربية ، ويغلب عليه أنه إحصاء نشره اليهود أنفسهم ، وجاء فيه أن عدد اليهود فى أريتريا ٢٢٠ ألفا ، وقد كتب إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ وهبه محمد أبو عزيزة عضو بعثة الأزهر فى أريتريا أنه تحرى الحقيقة فى ذلك من المصادر اليهودية هناك ومن نفس رئيس جاليتهم فى أريتريا فعلم أن مجموع عددهم هناك إلى اليوم صغاراً وكباراً رجالا ونساء لا يزيد على ٣٠٠ نسمة .

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

القاهرة فى ١٦ ربيع الآخر ١٣٧٤ - ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ - الجزء الثامن - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحلة الانتقال

الأمم فى تطورها كالمولود فى تدرجه من الطفولة إلى الصبا فالمراهقة والفتوة والكهولة والشيخوخة. وهل يشعر الطفل بانتقاله من طفولته إلى الصبا وهو لا يذكر إلا أمسه ويومه يتكرران ولا يدرك ما يعتريه فيهما من تفاوت! حتى إذا صار صبيا نسى أنه كان طفلا.

والأجيال فى الأمم كالأيام فى الأفراد: يتصل جيل الأمة بالجيل الذى كان قبله وبالجيل الذى ينشأ بعده كما يتصل يوم الطفل بأمسه وغده، فلا يدرك الجيل ما يعتريه — بين أمسه وغده — من تفاوت. أما الذين يراقبون الأمم فى مراحل تطورها كما يراقب الأبوان طفلهما فى مراحل نموه، فينظرون إلى الجيل الواحد من عمر الأمة كما ينظر الأبوان إلى اليوم الواحد من عمر طفلهما، ويرون فيه من تطور الأمة وانتقالها من مرحلة إلى مرحلة ما قلما يراقبه سائر الناس ويرونه.

نحن الآن فى مرحلة انتقال، ما فى ذلك شك. وقد يكون فى هذا الانتقال من الخير ما يسديه الله للناس، وفى استطاعة الناس أن يزدادوا منه الكثير بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الخير. وقد يكون مع هذا الخير طائف من الشر الذى تفرضه الظروف، وفى استطاعة الناس أن يلطفوا من سورته ويخففوا من وطأته بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الحكمة وحسن التصرف.

وكما أن الناس فى بيوتهم مطالبون باتخاذ أسباب الوقاية الصحية والخلقية لأنفسهم وأولادهم ليخففوا من عوادى الأمراض، وليتقوا أسباب الانحطاط الخلق، كذلك الأمم — ولا سيما فى مراحل الانتقال — مطالبة باتخاذ أسباب الوقاية الملية والخلقية والاجتماعية فى أوطانها، لتتمتع بما يسديه الله لها من خير، ولتبتعد عما يشوب هذا الخير من شر قد تقتضيه الظروف.

مرحلة الانتقال ماضية فى طريقها، وهى متأثرة بعوامل عالمية مشتركة بين بنى الجيل فى الإنسانية كلها، ولا سيما بعد أن تيسرت وسائل الاتصال وأسباب العدوى والتقليد بين المشارق والمغارب، وعاد الناس كأنهم أسرة واحدة كما كانوا فى دهرهم الأول. وفى مجموع

الأسرة الإنسانية من المحاسن ومحمود الوسائل ما ينبغى لنا الاستعانة به على ما ننشده لكياننا القومى والملى من سعادة وقوة، كما أن هذا الاتصال العالمى قد يحمل إلينا من التوافه والنزعات والمغريات والموبقات ما يعارض مصالحنا القومية ومبادئنا الملية وأهدافنا نحو الحق والخير. وهذا ما ينبغى للعقلاء من الآباء والمدرسين والوعاظ والناصحين أن يتعاونوا مع ولاة أمور هذا الشرق الإسلامى على اتخاذ أسباب الحيطة منه، وإبعاد أبناء الجيل عن الوقوع فى حبائله، وهو أعظم مظاهر الوقاية، والوقاية أخت التقوى.

من ألف سنة إلى الآن لم تكن مسئولية الآباء المسلمين نحو أبنائهم، والمدرسين المسلمين نحو تلاميذهم، والوعاظ المسلمين نحو الجماهير التى يعظونها، والناصحين المسلمين — من طريق الصحافة والتأليف والمحاضرات — نحو الذين يكتبون لهم أو يحاضرونهم، مسئولية جسيمة كجسامة مسئوليتنا هذه، فى أيامنا هذه، وفى مرحلة الانتقال بوجه خاص.

إن الجيل من أبنائنا الذين يستقبلون الآن مرحلة الانتقال محتاجون إلى كل ما تزودهم به هذه المرحلة من فنون الإدارة والتنظيم ووسائل القوة والتعليم وأساليب التربية والتقويم، وهم محتاجون مع ذلك فى وطنيتهم إلى أن يكونوا مواطنين صالحين مصلحين فى هذا الوطن، وإلى أن يكونوا فى إسلامهم مسلمين أوفياء للإسلام عارفين بمحاسنه مؤمنين بسننه وأنظمته وقواعده، وإلى أن يكونوا فى عربيتهم وعروبتهم متمكنين من أدبهما، معتزين بأمجادهما، محتفظين بمواريثهما، وأن يكونوا فى إنسانيتهم متعاونين مع جميع بنى الإنسان على الخير والحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

فأهم ما نحتاج إليه فى مرحلة الانتقال أن نعرف من يتعاون معنا على الحق والخير، فنتعاون معه كما يتعاون الأصدقاء المخلصون. وأن نعرف من ينكر علينا الحق ويمنع عنا الخير فنستعد لانتزاع الحق منه إلى أن يسلم لنا به، ولكف يده عما يمنعنا من خير إلى أن يمكننا منه. والأمة التى تعرف صديقها وتعرف كيف تتعاون معه، وتعرف عدوها وتعيش على استعداد لدفع عاديته عنها، هى الأمة التى عرفت طريق الأمان فى مرحلة الانتقال نحو أهدافها.

ولأجل أن نبلغ هذه المنزلة من الوعى القومى والملى نطمع من عقلائنا وقادة الرأى فينا أن يعرِّفوا هذه الأمة فى مرحلة انتقالها بما ينبغى لها أن تأخذ به وما ينبغى لها أن تدعه.

نحتاج فى مرحلة الانتقال هذه إلى أن نجهز أوطاننا وسكانها بكل ما نحتاج إليه ونستغنى به من الصناعات فى السلم والحرب ، ولهذه الصناعات علوم ووسائل يجب أن يتعاون كل فريق منا - فى نطاق اختصاصه - على استكمالها ، ثم على ممارسة فنون الإدارة لتثبيتها واستمرارها وتقدمها .

ونحتاج فى مرحلة الانتقال إلى أخلاق نتعامل بها ، ونتعاون فى نهضتنا بتبادل الثقة عن طريقها ، وبغير أخلاق يستحيل علينا أن ننهض باقتصادياتنا ومستوى معيشتنا واستكمال أسباب قوتنا . وخير الوسائل لاسترداد الأخلاق الرجوع إلى الله من طريق هذا الإسلام المظلوم بانتسابنا إليه ، والموجود فينا باسمه وعنوانه ، لا بسننه وآدابه وسلطانه على النفوس . وقد آن لنا أن ننتقل - مع مرحلة الانتقال - من شكليات الإسلام إلى ما ينبغى أن يصحبها ويلازمها من حقائقه ومراميه وأهدافه . وسبيل ذلك أن ندرس أحكام الأخلاق الإسلامية كما ندرس أحكام العبادات وأحكام الأحوال الشخصية فى الفقه الإسلامى . والتقوى روح الأخلاق الإسلامية ، وإنما صارت غريبة فينا منذ هجرنا أخلاق الإسلام وزهدنا فى تتبع النصوص عن أحكامها ، وتحرى القدوة فيها باستعراض سيرة رجال الأخلاق فى التاريخ الإسلامى ، وقد كانوا زينة الدنيا ومفخرة التاريخ ، بل الإسلام نفسه رسالة أخلاق ، وما منا إلا من يحفظ كلمة الهادى الأعظم صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ويوم نرجع بأخلاقنا إلى سنن الإسلام وآدابه فنتخلق بها ، سنحبب هذا الإسلام إلى شانئيه من بنيه والأجانب عنه ، وسنعظمه فى نظر شعوب الأرض ، وسيعظم الإسلام وأهله ذلك فنبعث فى مستقبلنا بعثا جديدا .

ونحتاج فى مرحلة الانتقال إلى استغلال الكنوز التى ورثناها عن الماضى فى تربة أوطاننا وما ينطوى فيها من معادن وثروات ، وفى قوى نفوسنا وما يكمن فيها من استعداد للخير ، وفى دور كتبنا ، وخزائن علومنا ، مما لو تفرغ أهل التخصص منا لدراسته وتحقيقه وتنظيمه وبعثه ، لاكتشفنا فى ذلك من المفاخر والمعارف وبواعث النهوض ما تكون منه مصابيح هداية لأجيالنا التى تستقبل مراحل انتقالها وهى على مفترق الطرق فتعرف - بأنوار هذه المصابيح - الطريق الذى يليق بها أن تسلكه إلى المستقبل السعيد .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٣ -

٢ — طموح الأنبياء إلى البنين

يا زكريا : إنا نبشرك بغـــلام اسمه يحيي ، لم نجعل له من قبل سميا

للأنبياء مقامهم عند ربهم ، ولهم ميزاتهم على غيرهم ، ومكانتهم الرفيعة بين سواهم من الناس .

ولكن ذلك كله لا ينأى بهم عن حظيرة الإنسانية ، ولا يخرجهم عن خصائص البشرية ، فبينهم وبين الخلق وجوه من الشبه فى كثير من المعانى الفطرية .

وليس ينقصهم ذلك فيما بلغوا من المنزلة ، ولا فيما أضفى عليهم ربك من المواهب ، وشرفهم به من المحامد ، وخصهم به من الفيض ، بل لعل فى هـذا الامتياز ـ وهم أناس من الناس ـ ما يؤكد فضلهم ، ويفصح عن عظيم شأنهم .

وكان النبى محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتلقى من الوحى ما يواجه الناس به فى ذكر حقيقته مشفوعة بذكر فضيلته (قل إنمـا أنا بشر مثلـكم ، يوحى إلى أنما إلهـكم إله واحد) .

١ — فلم يعد غريباً على زكريا ـ عليه السلام ـ أن يشغفه حب الولد كما يشغفنا ، ولا أن يردد الدعوات كما نرددها ، ولـكن دعاءنا مشوب ، ودعوات زكريا طيبات صافيات .

٢ — وحينما اتجه زكريا إلى مناجاة الله بالرجاء ، كان خاشعاً كدأب الأنبياء ، ومتخشعا كما يفعله منا الصلحاء .

وهذا مقام الدعوات : يقتضى على المرء أن يعترف لله بفضله ، ويذكر نفسه بضعفه وعجزه ، ويلتمس أمنيته بالرجوع إلى ربه ، وكذلك صنع زكريا « إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال : رب إنى وهن العظم منى ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا » فزكريا يتمدح إلى الله بأنه سعيد بقبول الدعوات من قبل ، فإذا جاش فى نفسه الأمل فى الولد ، وساوره اليأس لـكبر سنه ، وعقم زوجته ، فإن ما بينه وبين الله من صلة النبوة ، وإن سابق عهده بقبول دعواته ، ليصرف عنه اليأس ، ويزيده تعلقاً بالرجاء .

٣ — وهذا أمر مشهود لنا : حينما يتملكنا الأمل ، ويشتد بنا الحذر من فواته. يحس الإنسان بخلجات نفسية فيها بشاشة الثقة بالله ، والاستئناس بكرم الله ، وقد يرجع الواحد منا على نفسه باللائمة ، لما فرط منه سابقا ، ويتجه بالتوبة إلى الله من وقته ، ليكون تجديد عهده مع الله وسيلة إلى قبول دعواته « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه » .

وإذا كان حسن الصلة بالله مثار الاطمئنان إلى قبوله الدعوات ، فما ظنك بالأنبياء وهم صفوة الله من خلقه ؟ ؟ وآية ذلك أن زكريا يتلقى البشرى من عند الله على لسان الملائكة بتحقيق ما طلب .

بل تزيده طمأنينة بتسمية مولوده (يحيى) وبأنه اسم اختاره ربه لم يسبق إليه أحد ، وفى ذلك قدر من النجح غير محدود .

٤ — ولكن زكريا ـ كإنسان ـ يزيده ذلك إمعانا فى الطلب ، ويشتد تعلقه بالحصول ، ويتعجل الوقت الذى يرى فيه حديث نفسه أمراً واقعا ، ليستقبل النعمة فى بوادرها ، ويعيش فى ضوئها أهنأ من بقائه فى انتظارها ، وليشكر عليها من أول وقتها زيادة فى تقديرها ، ووفاء بحقها إلى من جامله بها .

٥ — وهذه سنة الأخيار من الناس فى الاعتراف بالجميل لأهله ، وشكر النعمة لمسديها .

وهى شرعة الله لمن عرف لصاحب الفضل فضله ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » أى بالشكر وحسن التقدير .

أراد زكريا أن يتعجل مابشر به ، فقال : « رب اجعل لى آية » : علامة أعرف بها قرب استهلال الولد الموعود ، فقال سبحانه : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيراً ، وسبح بالعشى والإبكار » وقد حصل ، فلم يعد زكريا يستطيع الحديث مع الناس ، إلا رمزاً بالإشارات ، مع سلامته من الآفات كلها ، كما يشهد بذلك قوله تعالى : فى آية أخرى : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا » أى لن تستطيع المحادثة فى ثلاث ليالٍ بأيامها ، مع كونك سوى الخلقة ، غير مؤوف بآفة ما « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار » .

وهكذا خرج زكريا من محرابه ـ ساعة أن تلقى البشرى ، وعرف العلامة ـ غير قادر على الكلام ، فأشار إلى أهله وخواصه إشارة أوحت إليهم أن يفعلوا مثل مايفعل ، فيكثروا

من التسبيح والذكر لله « بكرة وعشيا » : أول النهار وآخره ، وبذلك يكون زكريا قدوة لأولئك ، فى مداومة العبادة ساعة القدرة عليها والتفرغ لها ، ويكون مُعانا منهم باشتغالهم معه بهذا النوع من الشكر المرسوم لهم .

وكذلك حقت كلمة ربك المنشودة المشكورة ، وصدق الله وعده ، فكان لزكريا ولده يحي ، وكان يحي موضع الرعاية من ربه ، وابتدرته العناية بالنبوة ، ليكون خلفاً طيباً لسلف طيب ، وهكذا قال ربك فيهم : « ذرية بعضها من بعض » فما لبث (يحي) أن أوحى إليه ، وأعطى الحكمة والعقل الراجح ، وهو فى صبوة من السن ، إذ لم يكن تجاوز السابعة على أكثر الأقوال « يا يحي خذ الكتاب - التوراة - بقوة وآتيناه الحكم صبيا ، وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا ، وبراً بوالديه ، ولم يكن جباراً عصيا » فهذه صفات الكمال تفضل الله بها على يحي : نبوة مبكرة ، وحكمة بالغة ، وحنان وعطف عليه من الله ، وعطف منه على الناس ، وزكاة وتقوى ، ففيه طهارة فطرية ، وفيه تقوى عملية ، وكان باراً بوالديه أقوى ما يكون البر من ولد مهدى ، لأبوين كريمين من خيار الأخيار ، ولم يكن فيه أثر من تجبر ، ولا شائبة من كبرياء ، ولا نقيصة فى طاعته لربه وأبويه ...

فكان قرة والديه فى حياتهما ، وذكرى طيبة لهما بعد وفاتهما ، وقد زاده الله تكريما ، فألقى عليه سلامه وحياه به تحية دائمة حتى يلقى ربه يوم يبعث من فى القبور « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » .

عود على بدء :

فى هذه الذكريات توجيه لنا إلى ابتغاء الذرية ، والعمل على أن تكون ذرية مرضية ، ولنأخذها بالتربية ، ولنكن قدوة حسنة لها فيما نقول ونعمل ، وفى الدين والدنيا ، حتى تكون الذرية متعة الحياة ، وعونا على شئونها ، وذخراً بعد الممات ، ننتفع بدعواتها ، وصالح أعمالها .

والمرزوق بالذرية مأجور عليها ، إذا رعاها وراقب ربه فيها ، والمحروم من الذرية مأجور على الرضا بما قدر له ، إذا صبر على الحرمان ، واطمأن إلى قسمة الله فى خلقه ، والله حكيم فى صنعه « يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير » .

وسلامٌ على زكريا ويحي ، وعلى جميع النبيين والمقتدين بهم أجمعين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

لغويات

أمّا وقد أقبل الشتاء فالبس ثياب الصوف

يكثر استعمال « أما » فى الأسلوب الذى أوردت . ورأيت كثيراً من الفضلاء يقرأ « أما » بتخفيف الميم . ولجّ الخلاف بينى وبين أحدهم دهراً وهو لا يزداد إلا إصراراً على رأيه . « وأما » مخففة الميم فى مثل هذا المقام تكون لتنبيه السامع لما يلقى عليه ، وتعرف بأما الاستفتاحية . وأذكر لأستاذنا الشيخ سيد المرصفى ـ عليه الرحمة والرضوان ـ كلمة فيها وفى ألا الاستفتاحية . فقد قال : هى جرس يقرع أذن السامع ويحفزه إلى الانتباه . ومن مواردها قول أبى صخر الهذلىّ :

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذعر

وهذه يكثر بعدها القسم كما فى الشعر الذى ذكرت .

وكان يصرفنى عن هذا الرأى أن أما الاستفتاحية لا يأتى بعدها الفاء ، ولا يليها جملة الحال ، وإنما يليها فى أكثر الأمر القسم . وعندى أن « أما » فى هذا الأسلوب مشددة الميم ، وهى أمّا الشرطية ، مثلها فى نحو أما الصدق فمنج ، وقوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر » وقد وقعت جملة الحال فاصلة بين أما والفاء كما هو الواجب فيها لإصلاح اللفظ ؛ فإنه لم يعهد أن تلى الفاء الواقعة فى الجواب أداة الشرط . وأذكر هنا أن ابن هشام فى المغنى حصر الأشياء التى تفصل بين أمّا والفاء فى ستة ليس منها الحال ، وتبعه الأشمونى فى شرح الألفية . وكان هذا لا يثنينى عن رأيى لأن ابن هشام ذكر من الأشياء الستة الظرف ، نحو أمّا اليوم فأنا ذاهب ، والحال يجرى مجرى الظرف ، وكنت أعجب من سكوت النحاة عن الحال حتى وجدت الرضى فى شرح الكافية صرح من الفواصل بالحال فثلج صدرى لذلك . وهاك كلام

الرضى (ص ٣٩٦ ج ٢) : « وكذا يتقدم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به أو الظرف ، نحو أما اليتيم فلا تقهر ، وأما يوم الجمعة فأنا ذاهب . . . وكذا غير ذلك من معمولات الجزاء كالحال ؛ نحو أما مجرداً فأنا ضاربك ، والمفعول المطلق ، نحو أما ضرب الأمير فأنا ضاربك ، والمفعول له ، نحو أما تأديباً فأنا ضاربك » .

وعزز من رأيي في تشديد « أما » أني وجدت ما ورد من هـذا الأسلوب مشكولا بتشديد الميم فيما يوثق بضبطه . فقد جاء في اللسان (صرر) : « وكل شيء جمعته فقد صررته . ومنه قيل للأسير مصرور ؛ لأن يديه جمعتا إلى عنقه . ولمـا بعث عبد الله بن عامر إلى ابن عمر بأسير قد جمعت يداه إلى عنقه ليقتله قال : أمّا وهو مصرور فلا » وضبط فيه « أما » بالتشديد كما ترى . وجاء هـذا الخبر في الأموال لأبي عبيد ١٣٣ ، وضبط فيه « أما » بتخفيف الميم ، والضبط فيه لا يوثق به ، فلم تراع الدقة فيه .

وأذكر في هـذا المقام حديث عبيد بن الأبرص مع المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة . فقد كان للمنذر يومان في السنة : يوم نعيم ، يعطى أول من يقبل عليه مائة من الإبل ويحسن حباءه ، ويوم بؤس يقتل أول من يطلع عليه فيه ويشتد في عـذابه . وكان عبيد أوقعه القدر في يوم بؤسه ، فنبيء الملك بمـكانه في الشعر وسيرورته وأن من الخير أن يعفو عنه ليحسن فيه المدح . وأنقل من ديوانه المطبوع في أوربة المحاورة الآتية : « فقال (الملك) : قل فيّ مديحا يسير في العرب . قال : أمّا والصبّار فيما بجـل فلا . قال : نطلقك ونحسن إليك . قال : أمّا وأنا أسير في يديك فـلا . قال : نردك إلى أهلك ونلتزم رفدك . قال : أمّا على شرط المدح فـلا » وضبط فيه « أما » بالتشديد . والصبار وصف من صبره : أوثقه .

وممـا يؤيد ما نحن فيه أن الجملة الحالية في هـذا الأسلوب قد يـكون مكانها الظرف . ومن ذلك أن أعرابيا ألف الحضر سئل : أما تريد البادية ؟ فقال : أمّا مادام السعدان مستلقيا فلا . والسعدان نبت ترعاه الإبل وتسمن عليه . وجاء هذا الخبر في اللسان (سعد) وأوائل كامل المبرد ، وضبط فيه أمّا بالتشديد . وفي الكامل بعد الخبر : « يريد أنه لا يرجع

إلى البادية أبدا ، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا » . والقارىء يرى أنه لو قال: أما والسعدان مستلق فلا لأدى المعنى الذى أراده ولم يخرم منه شيئا .

وجاء فى ديوان ابن نباتة ٤٨ قوله يعزى بامرأة :

تفدى كرام الحمى منكم كرائمه يا آل بيت العلا والفضل والحسب
أما وقد بقيت عليا سمائكم فما يضر زوال السبعة الشهب

وليس فى الديوان ضبط لهذا الموضع ، و « أما » على ما ذكرت مشددة الميم فليس فى جزئها من العروض زحاف ، وهو من البسيط .

وجاء فيه فى ص ٢٥٥ :

لقد كنت فى لذّات ثغرك هائما ليالى لم يُمنع على عاشق ثغر
فأمّا وسرٌّ دونها من شوارب فلا خير فى اللذات من دونها سر

وترى أن « أما » فيه مشددة البتة ، وهذا وفق ما رأيت فى هذا الاسلوب . وقوله : « سر » كذا فى الديوان ، وكأنه محرف عن « ستر » ، ويشهد لهذا أن أصل هذا الشعر قول أبى نواس :

فبح باسم من تهوى وذرنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها سِتر

وجاء فيه فى ص ٥٥٨ :

ما أحسن العيش فى عينى وأنت به أما وأنت بأكناف التراب فلا

وهذا كالبيت الأول .

أما تعلم أن مكة أم القرى . ما تزورنى فإنى مشتاق إليك

سألنى بعض الباحثين عن مثال تدخل فيه همزة الاستفهام على ما النافية ، فذكرت له : أما تزورنى غداً ، فرد على أن « أما » فيه للعرض ، وهى فى رأى بعضهم بسيطة غير مركبة من الهمزة وما ، فذكرت له المثال الأول المصدر به البحث ، وهو : « أما تعلم أن مكة أم القرى » فلا يبين هنا العرض ؛ فإن العرض هو الطلب برفق ، ولا مكان له هنا ،

ولا يبين أن تكون للتنبيه فتكون استفتاحية ، إذ ليس المراد الإخبار بأنه يعلم ، وإنما المراد بعثه على أن يعلم أو تقريره بأنه يعلم . فأما فى المثال مؤلفة من همزة الاستفهام التقريرى وما النافية ، والمراد التقرير بما بعد النفى ، مثلها فى قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » .

ومما هو واضح فى هذا المعنى قول حُيي بن وائل :

أما أقاتل عن دينى على فرس ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

لقد لقيت إذاً شرا وأدركنى ماكنت أزعم فى خصمى من العاب

وقد ورد هذا الشعر فى نوادر أبى زيده ، وفيه : « قوله : رجلا معناه : راجلا كما يقول العرب : أتانا فلان حافيا رجلا أى راجلا . كأنه قال : أما أقاتل فارسا ، ولا - كما أنا - راجلا إلا ومعى أصحابى ! فلقد لقيت إذاً شراً ، أى إنى أقاتل وحدى » وترى أن « أما » هنا لاتصلح للعرض ولا للاستفتاح ، وإنما هى الهمزة وما النافية ، وانظر كيف عطف « ولا كذا » عليها ، ولا يكون ذلك إلا مع النفى ، وانظر قوله فى البيت الثانى : لقد لقيت إذا ، فإن المراد : إذا لم أقاتل إلا كما وصفت ، وهذا مع قوله : إلا بأصحاب قاطع فى أن « ما » فى « أما » نافية ؛ فإن هذا استثناء مفرغ وهو لايكون إلا بعد النفى . ومما يقطع بهذا قول ابن محلمّ :

أفى كل عام غربة وتروح أما للنوى من ونية فتريح

وأذكر هنا أن ورود أما للعرض يهمله أكثر النحويين . ويذكر صاحب الجنى الدانى أن الذى عرض لهذا هو المالقى صاحب رصف المبانى ومن قوله : « قلت : وكون أما حرف عرض لم أره فى كلام غيره . والظاهر أن (أما) فى هذه المثل التى مثل بها مركبة من الهمزة وما النافية ، فهما كلمتان ، وقد ذكر هو وغيره أن أما تكون همزة استفهام داخلة على حرف النفى فيكون المعنى على التقرير كما فى ألم » . وترى نحو هذا فى المغنى فى مبحث « أما » .

وقد ذكرنى البحث فى « أما » بما هو جار فى لسان العامة من إدخال « ما » على الفعل

يراد إثباته لا نفيه. يقولون: ماقلت لك إن الحالة حسنة، أى قلت لك ذلك، ويقولون: ما تذاكر دروسك فالمذاكرة سبيل النجاح، وإنى أرى أن « ما » هذه محذوفة من « أما ». فقوله: ماقلت لك أصلها: أما قلت لك، والاستفهام هنا للتقرير، وقوله: ما تذاكر أصلها: أما تذاكر، وهنا « أما » للعرض. وحذف الهمزة فى أما ذكره ابن السيد البطليوسى فى شرح شواهد الجمل للزجاجى، واستشهد عليه بقول الشاعر:

ما ترى الدهر قد أباد معدّا وأباد السراة من قوم عاد

فقوله: ما ترى أصله: أما ترى. ويتكلف [1] الدمامينى فى البيت جعل ما نافية دون تقدير الهمزة ويحمل الكلام على الإخبار لا على التقرير. وذلك أن المخاطب لما كان فى غفلة عما يعلمه من حوادث الدهر كان كالجاهل بذلك فنزل منزلته، وتحدث عنه الشاعر أنه لا يعلم أن الدهر أباد معدا، وهو تكلف أسهل منه تقدير الهمزة، وقد عهد حذفها كثيراً فى فصيح الكلام.

وورد فى البخارى فى كتاب الزكاة: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجىء هذا بتمره، وهذا بتمره، حتى يصير عنده كوماً من تمر. فجعل الحسن والحسين رضى الله عنهما يلعبان بذلك التمر. فأخذ أحدهما تمرة فجعلها فى فيه. فنظر إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأخرجها من فيه، فقال: أما علمت أن محمداً لا يأكل الصدقة، وفى رواية: ما علمت. وعرض لهذه الرواية الأخيرة ابن مالك فى كتابه شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح - وقد طبع فى الهند - فحمله على حذف الهمزة من « أما »، وذكر كلام البطليوسى واستشهاده، ومن كلام ابن مالك: « ومن روى: ما علمت فأصله: أما علمت، فحذف همزة الاستفهام؛ لأن المعنى لا يستقيم إلا بتقديرها » ؟

محمد على النجار

---

(١) انظر شواهد المغنى للبغدادى ١ / ٢٧٤ .

عـــــبرة وذكرى

نحن مع طلاب الإنصاف فيما ينبغى أن نأخذ به أنفسنا نحو تلك الأحداث التى شغلتنا فى هذه الأيام عن كل شىء سواها، وفى الرجوع إلى الضمير لنعرف إلى أى حد أدينا واجبنا، أو تخلفنا عنه فى التمكين لهذه الأحداث، أو فى مقاومتها قبل أن يستفحل شرها .

ولكن الذى نود أن نأخذ به أنفسنا كذلك ألا نحيف بالحقيقة فيما نذكر، حتى يتلقاها الناس غير مشوبة بالغرض، وحتى يأخذها التاريخ عنا غير مدخولة .

فإننا شهداء تلك الأحداث، والشاهد أمين صادق عدل فيما يجب عليه حين الرواية .

وما يليق به أن يحتمى بالضمير، ويتمسح بالإنصاف، ثم يقص ما ليس فى شىء من ذلك، فإن هذا جناية على التاريخ، وعلى الأجيال التى تأخذ عنا بعد .

هؤلاء : هم الإخوان المسلمون — فيما كانوا — قاموا حول فكرة لم تكن من قبل مريبة، ولم يكن من حق أحد أن يمنعهم منها، فالدعوة إلى الدين : إن تكن أول واجب للعلماء، فهى واجب كل مسلم أوتى حظا من علم دينى، واستطاع به أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . .

وليس يعفى المسلم المثقف من واجبه نحو دينه أن له عملا يشغله، أو أن له ثقافة أخرى تستأثر به

وحسب القادر على الدعوة براءة لنفسه أن يصلح بها فيما يتصل به، وفيما يستطيع أن يجهر بدعوته حتى تبلغ .

يستوى فى ذلك رجل الأزهر وغيره ممن فرضناه مسلما عارفا، فضلا عن أن يكون على علم دينى غزير .

فى ظل هذا المبدأ قامت طائفة الإخوان، وما عرف أحد أن لها مأربا آخر تسعى إليه، وأن لها وسائل خفية تعتمد عليها، وقطعت أشواطها غير مفهوم سرها، حتى آل أمرها

إلى ما آلت إليه ، وتبين أنها كانت تغرى الشباب المتعلم بالمراكز فى وظائف الحكم ، وتغرى العمال بالثراء ، وتتحبب إلى ذوى العقلية المستنيرة ، بأنهم أجدر من سواهم بالسيادة والجاه ، حتى تغلغلت الفكرة ، وطفت المطامع ، ولم يعد الدين إلا لونا يبتهج به من انخرط فى الجماعة من البسطاء ، وهو يتعجل الأمل المنشود له ، فإن لم يظفر به فهو إلى الجنة لاشك .. فلم تكن حاجة الناس إلى الدين هى وحدها السبب الأول والأخير فى ركون الشباب وغير الشباب إليهم ، ولذلك اندمج فيهم من يعمل للشيوعية ، ومن يرتكب المآثم ، ولم يعرف بين خواصه بوازع الدين .

والقائل بأن الرغبة الدينية هى كل السبب لايجهل السوابق التاريخية فى الآفاق ، وفى طول الحياة الدينية وعرضها ، ولم تكن جماعة الإخوان إلا مثلا جديداً لتلك السوابق .

فإيهام الناس أن الحاجة إلى الدين هى التى ألفت بين تلك الجماعة كلها ، وأن قعود الأزهر عن واجبه ، هو الذى مكن لهذه الجماعة أن تتألف ، وأن تكون خطراً فى الدولة ، كلام له خبء ، وهو زعم غير منصف ولا صادر عن الرجوع إلى الضمير ، وأقرب ما يفهم منه أنها محاولة للصق التهم بالأزهر من أبعد الطرق .

وأحسبهم لو احتكموا إلى الضمير وتوخوا الإنصاف - كما رغبوا إلينا - يشهدون أن الأزهر يبلى بلاءه الحسن فى القيام برسالته ، وأنه دائما يستخدم وسائله الممكنة المشروعة فى بث الدعوة الإسلامية ، وبيان الحلال البين ، والحرام البين ، وفى تعليم الناس ما بين الحلال والحرام من أمور مشتبهات .

هم لا ينسون ولا ينسى الناس معهم أن الأزهر كثيراً ما خوصم وخاصم ، وكثيراً ما تعرض لغمزات الأقلام المتكسبة فى سبيل دفاعه عن الحلال ، ودفعه للحرام ، ولم يكن سوى هذا بين الأزهر وبين المناوئين له ممن لايزالون يقفون فى وجهه ، كلما طاب لهم أن يناوئوا .

فإذا تحدث الأزهر فى شىء من رسالته قالوا له : لست وصياً على المسلمين ، وإذا أهاب بالدعوة إلى أدب القرآن قالوا : نحن نفهم القرآن أكثر من أهل الأزهر ، وإذا بين مخالفة الناس لسنة الرسول فيما بينهم من شئون ، قالوا : وما قيمة السنة التى تأتوننا بها أمام عقولنا وأفهامنا الخ .

بهذا ونحوه يقفون فى وجه الأزهر .

وما رأينا يوما من ينهض إلى تحكيم الضمير فيقول لهؤلاء العباقرة : تجاوزتم ما يصح أن يقال .

وإنما نرى اليوم من يحتكم إلى الضمير ليلقى على الأزهر جناية غيره حاسبا أنه منصف .

قيل فيما قيل : لو تعرف الأزهر واجبه ، واتخذ لهذا الواجب وسائله ، لما قامت جماعة الإخوان ، ولا راجت دعوتهم .

والأزهر لا يرضى - من قبل ولا من بعد - أن يسلك فى دعوته طريق الإغراء بالوظائف والثراء والسيادة والجاه ، والتهوين على الأغرار من جريمة الدماء ، وزحزحة الحكام عن مراكزهم ، فتلك هى الجاذبية التى جعلتهم يتكتلون . وفيما عدا ذلك فالأزهر سابق إلى غايته من كل سبيل مشروعة ، وما نحب أن نطيل فى شأن يلمسه المصغون إلى الدعوة الدينية من منافذها المفتوحة ، وهم كثيرون وكثيرون جداً ، والحمد لله .

وقيل فيما قيل : لو فعل الأزهر ما يفعله القساوسة فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا لكان قائماً بواجبه .

ونحن لا ندرى مقدار هذا التفضيل من الصحة ، فكل شىء مما هنالك يعجب بعضنا ولو لم يعجب أهله .

ولسنا نرى من وراء الحجب ما لا سبيل إلى رؤيته من تلك الوسائل التى يطلبونها إلينا ، وإنما نعرف وسائل كريمة يقرها الدين ، ولا يرهقنا بأكثر منها ، ولا تعلق بها الشبه ، وهى التى يتذرع بها الأزهر فى دعوته ، ويضاعف بها من نشاطه فى الرسالة التى يغض منها آخرون .

تعودنا من أناس بيننا أن يناهضوا الأزهر غير متئدين ، وليس بين الأزهر وبينهم إلا مثل ما بين الرشد والغى والحق الباطل .

ولعلها بضاعة يرونها جديدة ترضى أهواء من لا يمعنون فى الحقائق .

ومهما صاحوا فى وجه الأزهر ، واتهموه يوما بأنه لم يبد حكم الله فى شأن المفسدين من الإخوان ، أو اتهموه - حينما أبدى الحكم الدينى بعد أن تكشفت غوامضه - بأنه جبان فى فتواه ، إذ لم يذكر فيها أسماء المنحرفين من الإخوان على وجه التعيين : مهما كلفوا أنفسهم بتلك الصيحات ، فأمرهم هين .

ولكن الذى لا يهون الرضا عنه ، أن يكتب عالم كاتب ، له مكانته الأدبية ، ثم هو يجارى أولئك فى التحامل على الأزهر بغير حق ، والعهد به أن يتسامى عن هذه المهاترات - وهو أولى بذلك - وأن يجنح بنفسه إلى حكم الضمير .

وما رأى العالم الجليل والكاتب الكبير فى أن الأزهر دعاه صريحا إلى التعاون معه فى القيام بالدعوة الدينية الإسلامية ، ورحب الأزهر به كمسلم له ثقافة أزهرية واسعة ، وثقافة غربية واسعة ، وعليه واجب دينى فى الدعوة ، ولا يعفيه من واجبه هذا أن يقف عند النقد ، دون أن يدلى برأيه مع الأزهر فى الناحية التى تتهيأ له . . والأزهر الصريح لم يكن مرائيا فى هذه الدعوة .

وإنما هى روح طيبة تكره الخصومات ، وتنسى الحزازات ، وتحتقر الأنانية ، وتجنح إلى المسالمة التى يرتضيها الدين ويأمر بها القرآن .

وعند تلبية الدعوة عملياً تتاح الفرصة للكاتب الجليل أن يفصل لنا ما أجمله عن القساوسة ، وأن يبصرنا بما غاب عنا من الوسائل المجدية فى اعتباره ، ويكون تعاونه - على أى نحو - مبرئا لذمته من واجبه أمام الله ، ويكون أجدى نفعا من إثارة الريبة ، وتكلف الاعتذار ، واصطناع التلطف . أما التخلف من عالمنا الجليل عن واجبه الأول نحو دينه ، ثم صيحته بالنقد والتشفى ، فأمر لا أراه جدا ولا مستساغا .

وأخيراً لم تخير الكاتب الجليل لنفسه أن ينفرد بالكتابة فى الغمز فى الأزهر بهذه المناسبة البعيدة عن الأزهر ؟ . ولم تخير أن تكون كتابته هذه عقب البيان الذى نشرته جماعة كبار العلماء ، ووقع موقع الحق والصدق فى شأن الإخوان ، وموقع الاستحسان لدى العام والخاص فى مصر وغيرها ؟!

لا زلت على شىء من حسن الظن ، وأستبعد ما يقال : من أنه شق على وزير سابق ألا يسبق إلى مؤازرة الأزهر بضم جمعيات تحفيظ القرآن إليه ، وكانت الفرصة متاحة له يوم كان وزيراً للمعارف ، فلما تولت الفرصة ، وكان أجدر بانتهازها قبل الثورة ، أراد أن يتخذ من الطعن على الأزهر معذرة عن نفسه فى أنه لم يفعل .

وما هكذا يا سعد تورد الإبل ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

القلة والكثرة فى القرآن

تعارف العامة من الناس على أن القلة تفيد الضعف والضآلة ، وأن الكثرة توحى بالقوة والغلبة ، وقد يعتمدون فى هذا الفهم على مثل قول الأول : « وإنما العزة للكاثر » ، كما أنهم قد يعتمدون على أصل المعنى اللغوى لكلمتى قليل وكثير ، فإنهما يستعملان فى الأعداد ، والعدد القليل أضأل بطبيعة الحال من العدد الكثير .

جاء فى (مفردات القرآن) للراغب الأصفهانى : « القلة والكثرة يستعملان فى الأعداد ، كما أن العظم والصغر يستعملان فى الأجسام ، ثم يستعار كل واحد من الكثرة والعظم ، ومن القلة والصغر ، للآخر [1] » .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « فى ماله قلة وقل ، (والربا وإن كثر فهو إلى قل) ، والحمد لله على القل والكثر ، وأخذ قله وترك كثره ، أى أقله وأكثره [2] » .

هذا هو أصل المعنى اللغوى لكلمتى القلة والكثرة ، وذاك هو متعارف الناس فى استعمالها وفهم معناهما ، ولكننى تأملت فى استعمال القرآن الكريم لهاتين الكلمتين ، فإذا طريقة أخرى لافتة للأبصار والبصائر ، وإذا هذه الطريقة تتلخص فى أن القرآن الكريم إذا ذكر « القلة » فهو يذكرها غالبا فى مقام المدح والتقدير ، والإشارة إلى أن القلة الطيبة خير من الكثرة السيئة ، وإذا ذكر « الكثرة » فهو يذكرها غالبا فى مقام الاستخفاف وقلة المبالاة ، والإشارة إلى أنها لا تغنى ولا تدوم ، اللهم إلا إذا نسبت الكثرة إلى الله ، فإنها حينئذ تكون جامعة للحسنيين ، لكثرة العدد وجلال القيمة ...

ولا يعكر على ذلك أن نرى بعض الآيات الكريمة يذكر فيها الخير والشر موصوفين بالكثرة ، كقوله تعالى : « يضل به كثيرا ، ويهدى به كثيرا » ، فلهذا وجهه وتأويله :

---

(١) المفردات للاصفهانى ص ٤٢٠ (٢) الأساس ج ٢ ص ٢٧٣ .

يقول النيسابورى : « وأهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحيث يوصفون بالقلة (وقليل من عبادى الشكور - وقليل ماهم) إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضا فإن المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة .

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا (١) »

ويقول جار الله الزمخشرى عند تفسير الآية السابقة :

« فإن قلت : لم وصف المهديون بالكثرة والقلةُ صفتهم : (وقليل من عبادى الشكور — وقليل ما هم — الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة) ... ؟ قلت : أهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة ، فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيراً :

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا (٢)

وقد علق على هذه العبارة الزمخشرية ابن المنير الإسكندرى بقوله :

« جوابه صحيح ، وتنظيره بالبيت وهم ، لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلا منهم فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا ؛ وعدد اللئام وإن كثروا فالأكثرون منهم يعد بواحد من غيرهم ، لغل أيديهم وانقباضها عن الجود ، وعدم تعدى نفعٍ منهم إلى غيرهم ؛ كقول ابن زيد :

الناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عرا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير فى نفسه ، ومضمون الآيات الأخر أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين ، فعبر عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته ، وتارة بالقلة نظراً إلى غيره ، فليس معنى البيت من الآية فى شىء » (٣) .

---

(١) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ج ١ ص ٢٠٤ .

[٢] تفسير الكشاف جـ ١ ص ٥٧ ، ٥٨ . [٣] المصدر السابق .

ونعود بعد ذلك إلى استعمال القرآن الكريم لكلمتى « القلة والكثرة » حتى نرى مدى انطباق القاعدة التى استخلصناها من قبل .

يقول القرآن المجيد عن أهل النعيم الفائزين بالرضا والرضوان : « أولئك المقربون ، فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين [١] » ؟ فتراه قد وصفهم بأنهم ثلة أى جماعة من الأولين ، أى الأمم السالفة قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقليل من الآخرين أى ما جاء بعد الرسول ، فوصف أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام الذين ينالون رضوان ربهم السابغ بالقلة ، والقلة هنا بالنسبة لسائر الأمم ، لا لأمة واحدة ، وإلا فسابقو أمة محمد أكثر من سابقى أية أمة منفردة .

ويصف القرآن الكريم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لا يبغون على أحـــد ، ولا يظلمون غيرهم فى شىء ، بأنهم قليل ، فيقول : « وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم [٢] » أى : وهم قليل ، و « ما » هـذه مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم كما يقول البيضاوى فى تفسيره .

والذين استجابوا لنوح عليه السلام ، وآمنوا به ، ليسوا كثيرا ، بل هم قلة . « وما آمن معه إلا قليل [٣] » . قيل كانوا تسعة وسبعين : زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا من غيرهم .

والذين يشكرون نعمة ربهم على وجه الشكر ليسوا عددا ضخما . « وقليل من عبادى الشكور » . والشكور القليل فى العباد هو الذى يتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى أكثر أوقاته ، ومع ذلك لا يوفى حقه ، لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر ، لا إلى نهاية ، ولذلك قيل : « الشكور من يرى عجزه عن الشكر [٤] » .

والذين يعلمون أمر أهل الكهف على وجهه قليل ، ولا شك أن هذه المعرفة تنبىء عن

---

[١] سورة الواقعة الآيات ١٢ ـ ١٥ .
(٢) سورة ص آية ٢٤ . (٣) سورة هود ، آية ٤٠ .
(٤) تفسير البيضاوى .

عظم المكانة وجلال الرتبة ، ومن هنا قال الأصفهانى عن القلة : « ويكنى بها تارة عن العزة اعتبارا بقوله : (وقليل من عبادى الشكور — وقليل ما هم) وذلك أن كل ما يعز يقل وجوده [1] » يقول القرآن عن أهل الكهف : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل »

والقلة المستضعفة لا يضيرها ضعفها ولا قلتها إذا آمنت وأيقنت ، بل قد تكون هذه القلة المؤمنة مفتاحاً لنصر الله المبين المفضى إلى الغلبة والسيادة والسعادة . « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون [2] » .

والناقضون للعهد كثيرون ، والثابتون على العهد المقبلون على الله قليلون « ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون [3] » . والخطاب لليهود الذين نكثوا عهد الله ونقضوا ميثاقه ، وخالفوا أمره وتولوا عنه معرضين ، إلا من عصمه الله لحفظ العهد والميثاق ، وهؤلاء قليل جدا بالنسبة إلى الناكثين الناقضين المعرضين .

ويقول القرآن : « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين [4] » ، والحديث أيضا عن بنى إسرائيل بعد موسى ، والجماعة القليلة فى ميدان القتال لا تضيرها قلتها ، كما لا تنفع الجماعة الكثيرة كثرتها . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

ولا نريد التوسع فى عرض الآيات والتعليق عليها فيما يتصل بلفظ القلة ، وحسبنا أن نتدبر فى هذه الآية التى وردت بها كلمة « القلة » وهى تفيد التقدير وعظم الشأن :

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » ، « لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا » ، « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم » ، « وإذا لا يلبثون خلافك إلا

---

[١] المفردات ، ص ٤٢٠ .

[٢] سورة الأنفال ، آية ٢٦

[٣] سورة البقرة ، آية ٨٣

[٤] سورة البقرة ، آية ٢٤٦

قليلا » ، « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا » ... الخ .

* * *

وننتقل إلى استعمال القرآن الكريم لكلمة « الكثرة » فنجد أنها تأتى غالبا فى مواطن الذم والسوء والاستخفاف والاستهزاء .

يقول القرآن : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » . والكثرة التى تعجب بنفسها لا تغنى شيئاً ، ولا تقوم مقام القلة الصابرة المتواضعة : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وحديث الناس المكثار أغلبه معثار : « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

والكافرون والمجرمون والطاغون والضالون والمفسدون والجاحدون والفاسقون كثيرون ، ولكنها كثرة الهباء المنثور الذى لا تقوم له قائمة أمام سلطان الحق القيوم ؛ وحسبنا أن نتدبر - لندرك ذلك المعنى - الآيات التالية :

« الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » ، « وكثير حق عليه العذاب » ، « وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » « ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين » ، « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » « إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » ، « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ، « فأبى أكثر الناس إلا كفورا » ، « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا » ، « وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، الخ .

* * *

فإذا نسبت الكثرة إلى الله فإنها الكثرة الطيبة العامرة الغامرة بكثرة عددها وعظم مكانتها وجلال قدرها ، فالله يحدث عباده عن الأماكن التى نصرهم فيها - وما أكثرها

وما أجلها — فيقول : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » ، وهو سبحانه يتحدث عن نعمه وآلائه ومغانمه فإذا هى كثيرة حسا ومعنى ، وعددا وقيمة ، فيقول : « فعند الله مغانم كثيرة » ، ويقول : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » .

ويتحدث عن نعيم الجنة وخيراتها ، فإذا هى كثيرة حقا وصدقا : « لكم فيها فواكه كثيرة » . « وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » ، « متكئين فيها ، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب » ... الخ .

ماذا نستفيد من ذاك ؟ ... نستفيد أن القرآن الكريم وهو كتاب حكمة وتوجيه وتهذيب يعمد إلى إلباس بعض الكلمات معانى خاصة ، ليثير بها الهمم ويصحح بها الموازين . ونستفيد أن القلة الراشدة تسير إلى خير ، ولا تضيرها هذه القلة ، وأن الكثرة الضالة تصير إلى الانخذال والبوار . ونستفيد عدم المبالاة بطغيان المستكثرين ، فمما قليل يعز الحق المستضعف القليل . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . ونستفيد أن « عزة الكاثر » إنما تكون حقا وصدقا من الله وبالله ، سبحانه هو رب العزة والجبروت ، ومصدر الهداية والتوفيق ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

من حكم السيد أحمد الرفاعى

(٥١٢ — ٥٧٨)

* لفظتان ثلمتان فى الدين : القول بالوحدة ، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة .
* دفتر حال الرجل أصحابه .
* الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .
* الدنيا والآخرة بين كلمتين : عقل ودين .
* الطريقة الشريعة .

هذه هى الحياة

نجح الفلاسفة المتشائمون ، والشعراء الباكون ، والوعاظ المتزمتون ، فى خلق صورة قاتمة مظلمة للحياة ، واستطاعوا أن يقروا فى أذهان الناس أن الحياة وحش كاسر لا عمل له إلا النهش والافتراس ، وأنه فاتك رهيب يتربص بالناس الدوائر ، حتى سرى هذا الداء إلى الذين عاشوا طوال أيامهم يرفلون فى مطارف النعيم ، ويعيشون فى أجواء كلها بهجة وسرور ، فجعلوا هم الآخرون ينشئون نغمات حزينة أخرى فى قيثارة الحياة ، فاصبحت لا تكاد تسمع إلا لحنا باكيا ، ولا تأمل أن تظفر بأنشودة فرحة ، تشرح الصدر ، وتريح المتعب المكدود : شعر حزين ، وموسيقى باكية ، وفلسفة غامضة ، مبهمة ، متشائمة ، ووعظ قابض رهيب . . وهكذا ... وهكذا .

ولكن ، أحقا ، هذه هى الحياة ؟ أحقا أن الحياة كما يقول شوقى :

أخا الدنيا ، أرى دنياك أفعى   تبدل كل آونة إهابا

أحقا أن الحياة كما يقول أبو العلاء :

تعب كلها الحياة فما أعـ   ـجب إلا من راغب فى ازدياد

قد يكون هذا بعض الحق ، أما بعضه الآخر فإن فى الحياة طيبات كثيرة ، ومسرات ومتعا ، وإذا كان أحد وجهيها مظلما قاتما ، فإن وجهها الآخر مشرق مضىء .

وليس لزاما علينا — كما يريد لنا هؤلاء — أن ننظر دائما إلى الحياة من جانبها المظلم ، وأن نصحبها على أنها عدو لا نرى من صداقته بدا ، بل من حقنا — كما أراد لنا الله — أن نتمتع بالطيبات من الرزق ، وأن نحل لأنفسنا زينة الله التى أخرج لعباده ، وأن نكون عند ما يحبه الله . وإن الله ليحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

وما من شك فى أن هذا المنهج فى فهم الحياة يعيننا على أن نؤدى واجباتنا على أكمل الوجوه ، وعلى أن نشارك — مخلصين — فى العمل لإسعاد الإنسانية ، فليست الحياة

غولا مخيفا ، يخوف به الأطفال ، كما أنها ليست جنة وارفة الظلال ، جارية الأنهار ، دانية الثمار ؛ وإنما هى مزيج من الخير والشر ، وخليط من الحلو والمر ؛ فعلينا أن نعيش فى كل جانب من جوانبها ، وأن نأخذها — دائماً — كما هى ، فلا تذهب الهموم بأحلامنا ، ولا تحطم الأحزان أعصابنا ، ولا شك أنا إذا فهمنا الحياة فهما حقيقيا استطعنا أن نتغلب على كل مخاوفها .

* * *

نحن فى ميدان كفاح ، والبطل فى المعركة معرض للنصر وللهزيمة ، وهو غرض لأن يصاب ، وربما نجا ، فمن الحزم أن ندخل المعترك على هذه النية ، وحينئذ لا تفت الهزيمة فى أعضادنا ، وكما قالت الخنساء :

جززنا نواصى فرسانهم وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحرو ب ، بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وإذا كان الأمر كذلك ، فالظفر لمن تقوى إرادته ، وتسمو نفسه فوق الضرورات ، ويتسع صدره لكل ما ساء وضر .

لا أرى الأيام إلا معركا وأرى الصنديد فيه من صبر
فلك جارٍ ، ودنيا لم يدم عندها النحس ، ولا السعد استمر

أما العاجز الجبان فمنيته رهن بأول الجولة ، يهاب حتى تكاد تقتله الهيبة ، فإذا قاتل ، قاتل قتال الموقن بالهزيمة . فلا تقوى رجلاه على حمله ، وشر ما فى الحياة اليأس من الظفر ، وأول أسباب اليأس فهم الحياة فهما غير صحيح . ألم تر إلى الشاب الناضر العود ، المستقبل لمباهج الحياة ، يرسب فى الامتحان ، أو يخفق فى حب طائش ، أو يجد مضايقة من والديه ، فيلقى الحياة وراء ظهره ، ويسرع إلى كأس السم يتجرعها ، أو إلى شرارة النار يسلطها على جسده ، أو يلقى بنفسه فى أعماق البحر ، ولو أنه كان يفهم أن الحياة كفاح ، وأن المرء عليه أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح ، وأن الإخفاق لا يدوم ، بل ربما كان الإخفاق حافزا على العمل النافع المفيد ، ومؤديا إلى نجاح باهر ، ولو كان يفهم أن الحياة أغلى من أن يضحى

بها فى توافه الأمور ؛ لو أنه فهم كل ذلك لأراح قلبه من هم مقيم مقعد ، ولأبقى على نفسه الغضة ، فأعفى أجفانا أن تقرح ، ورحم قلوبا أن تحطم .

الحياة جميلة ، حتى حينما يغبر وجهها . وهى لا تأتى من خارج النفس ، وإنما تنبثق من داخلها : فالصبح المنير البهيج هو ليل مظلم عند صاحب المزاج المختل ، والليل المظلم القاتم هو صبح مشرق عند صاحب النفس المستبشرة المؤمنة ، وكثيرون هم أولئك الذين يبكون من غير داء ، ويشكون من غير علة ، فما أحراهم أن يسمعوا إلى هذا الشاعر الناصح الأمين :

أيها المشتكى وما بك داء ... كن جميلا تر الوجود جميلا
إن شر الحياة فى الأرض نفس ... تتوقى — قبل الرحيل — الرحيلا
هـو عبء على الحيـاة ثقيل ... من يظن الحياة عبئاً ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال ... لا يرى فى الوجود شيئا جميلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزولا
قـل لقوم يفرّحون المـآقى ... هل شفيتم من البكاء غليلا ؟ !
ما أتينا إلى الحيـاة لنشقى ... فأريحوا ـ أهلَ العقول ـ العقولا

ولـكن لا ينبغى أن يفهم من نصيحتنا هـذه أنا ندعو الناس إلى أن يقضوا أعمـارهم فى ارتياد أماكن اللهو ، وأن يشغلوا أوقاتهم بالفـكاهات والبطالات ، فما إلى ذلك أردت ، وفرق بعيد بين أن ندعوك ـ أيها القارىء ـ إلى أن تتقبل كل ما تأتى به الحياة ، بصـدر رحب ، وبنفس مؤمنة واثقة بالخير ، وأن تتمتع بما أباح لك الله من نعم ، وبين أن ندعوك إلى أن تلهو مع اللاهين ، وتعبث مع العابثين .

جاهـد فى الحياة ، وخذ نصيبك منها ، ولـكن إياك أن تـكون فريسة للوهم ، مستسلما للآلام ، منهار الأعصاب ، تؤلمك اللمسة الخفيفة ، وتعـكر عليك صفوك الـكلمة العـابرة ، فإذا أبيت إلا أن تلبس منظاراً أسود قاتما ، وتنظر إلى كل شىء من خلفه ، فأنت وما أردت لنفسك ، ولـكن ثق أن التى وصفت لك هى الحياة ! ؟

على العمارى

مظاهر الهـــــدم

فى الأفلام المصرية

— ١ —

أضحت صناعة السينما فى مصر من الاهمية بمكان ، وفى الوقت نفسه فى أمس الحاجة إلى إصلاح شامل يجعلها قادرة على تحمل المسئولية الملقاة على عاتقها فى خدمة التوجيه والتثقيف والإرشاد العام ، ويحتاج هذا إلى تلمس مواطن الضعف فيها ، وتأصيل وظائفها وتدعيم الأساس الذى تقوم عليه .

وبحث مشكلة السينما فى مصر متشعب النواحى ، فقد تبحث باعتبارها فناً من الفنون ، أو صناعة من الصناعات ، أو أداة ووسيلة حيوية لتوجيه الشعب وتثقيفه وإرشاده ، وهى الناحية التى سنعرض لها هنا ، لنتبين إلى أى مدى استطاعت السينما أن تحقق هذه الوظائف القومية فى المجتمع المصرى .

وإن من يتتبع الأفلام المصرية ، ويشاهد منها الكثير والكثير ـ وهى وفيرة العدد ـ ليخرج بحقيقة واحدة لايستطيع عنها حولا ، وإن أكثر من المشاهدة والتدقيق ، وتعب فى الفحص والاختبار ، هذه الحقيقة الوحيدة هى أن هذه الأفلام قد فشلت فشلا ذريعاً فى تحقيق الأهداف المذكورة ، وعجزت عجزاً تاماً عن أداء الوظائف الحيوية فى خدمة الإرشاد العام فى المجتمع المصرى ، مؤثرة عنصر التجارة على عنصر التوجيه ، ومطوحة بعنصر الفن ، وضاربة الصفح إلا عن الربح وابتزاز الأموال ... وسنستعرض هنا بعض المظاهر التى ينطوى عليها العرض السينمائى فى الأفلام المصرية ، والتى لا يكاد يخلو منها فيلم من الأفلام ، وهذه المظاهر كثيراً ما تندمج فى الفيلم الواحد ، ولكننا نستعرضها متفرقة ؛ لتتضح معالمها ، ويسهل فهمها .

ونبدأ بعرض برامج (الكباريهات) ، فقلّ من الأفلام ما لاتجد فيها من هـذه البرامج الكثير ، حتى لقد أحسست ـ كما يحس الكثيرون ـ أن (الكباريهات) تكون عنصراً

هاماً من عناصر الحياة فى المجتمع المصرى ؛ لأن المفروض فى الفيلم المصرى أنه يعالج قصة مصرية ، تدور حوادثها فى هذا المجتمع ، فليس يفهم من هـذا الاهتمام البالغ بعرض براج (الكباريهات) فى أغلبية الأفلام المصرية إلا أنها عنصر أصيل من عناصر حياة المصريين ، ونحن وإن كنا نسلم أن السينما المصرية قد أضحت تكوّن مثل هـذا العنصر ، فلا نسلم أن (الكباريهات) لها مثل هذا الدور فى مجتمعنا . ولعاقل أن يتساءل كم من المصريين ذهبوا إلى (كباريه) ؟ وكم ممن ذهبوا إليه اعتادوا ارتياده ؟ ! . . هذا فضلا عن أن براج (الكباريهات) لاتعدو أن تكون معرضاً للرقص العارى ، ولإبراز مفاتن المحترفات له ، ويجلس أمامه أو حوله بعض من الرجال ممن لايجدون لأموالهم تصريفاً ، أو ممن يتمثلون بالحياة الغربية ، أو ممن يدمنون شهوة النظر ، أو ممن يرون فى هذا المعرض سوقاً للجسد ، أو ممن يعاقرون الخمر ولا يحسون لذتها إلا فى حلبات الرقص ومصاحبة النساء . ولمنصف أن يتساءل عن الرجل العادى إذا شاهد فى الأفلام المصرية مثل هذا المعرض ، ألا يأخذه الشوق إلى الذهاب إليه ؟ ألا يستحيي من عدم مشاركته فى هذا العنصر الحيوى من عناصر الحياة فى مجتمعه ، خاصة إذا كان ممن يجرفهم التيار ، أو ممن له صفـة من صفات هؤلاء الرجال ؟ !

نزيد على ذلك من الناحية الفنية أن عرض هذه البراج فى أفلامنا المصرية هو من قبيل الحشو الذى يفقد القصة أساسها ، ويطوح بالغرض منها ، ويقطع وصل المناظر ، ويضجر المتفرج الذى من حقه أن يندمج فى القصة ، ويتتبع فصولها ، خاصة وأنه يعلم أنه يشاهد فيلما فى دار للسينما ، وليس يشهد استعراضاً فى صالة (كباريه) !

يقول أهل الأفلام : إننا ننتج الأفلام المصرية لمصر وللشرق العربى ، وأبناء هذا الشرق يهمهم أن يعرفوا الشيء الكثير عن الحياة فى مجتمعنا المصرى ، بل ويشتاقون إلى ذلك ، فحشو الفيلم المصرى إذاً بهذه البراج وإن كان خطأ فنياً إلا أن له هدف الدعاية ، كما أنه يشبع حاجة أهل ذلك الشرق إلى رؤية مصر فى حياة الناس والفن فى مجتمعها ، ونحن نقول : لقـد أدى هذا الحشو أهدافه ، وعلم أبنـاء الشرق العربى أن الحياة فى المجتمع المصرى هى الكباريهات والمراقص والاستعراضات ، واشتقاق اللذة ، واحتساء الشراب فى علن !

وننتقل إلى مظهر آخر ، هو مظهر الرقص فى الأفلام المصرية ، والرقص قد تواضع

الناس على أنه فن من الفنون له أصوله وأوضاعه ، وله تذوقه وتأثيره ، ولكل فن موضوع ، ولقد أرهقت نفسى كثيراً فى أن أجد للرقص موضوعاً غير استثارة الغرائز الجنسية ، وأعتقد أن أى منصف يرى ويحس ويكيف ويعقل لا يصل إلى غير هذا الموضوع فى ذلك (الفن) . أليس الرقص هو تفنن الراقصة فى إبراز محاسن أجزاء جسدها ، وهز جوانب هذه الأجزاء ، ومن الإبراز والاهتزاز تنشأ عملية يطلق عليها الراسخون فى علم الأجساد « فن الرقص » ؟ !

ولو تحرينا الدقة فى القول لتعين علينا أن نقول : إن الرقص فى الأفلام المصرية أنواع وضروب ، فنرى فيها منه التوقيعى الذى وصفناه ، ونرى الاستعراضى الذى إن دل على شىء من الناحية الفنية ، فلا يدل على أكثر من أن المخرج يريد أن يقطع وقت المتفرجين ظناً منه أن مهمة الفيلم قطع الوقت فى استعراض الراقصين والراقصات ، دون اهتمام بإبراز فكرة من الأفكار التى تجعل الإرشاد القومى دخلا فى صناعة الأفلام ، وتوجيه الجماهير بوساطتها . إن الإكثار فى الفيلم من الاستعراضات بوجه عام دليل على تفاهة الفكرة فيه ، وحسبك أن تشاهد فيلماً مصرياً تكثر فيه هذه الاستعراضات لترى أنه لا فارق بين السينما والبلاج أو سوق النخاسة أو معارض الفاترينات ؟ !

إن فن الفيلم – كما نراه – يقتضى أن يكون لكل فيلم فكرة أساسية تنطوى على ناحية من نواحى الإرشاد والتوجيه للجمهور فى قالب مشوق مؤثر ، ومن الطبيعى أن تتطلب فكرة الفيلم استعراض بعض المناظر ، وعرض بعض نواحى الحياة . ولكن هذا الاستعراض أو ذلك العرض يجب أن يخدم كل منهما الفكرة الأساسية فى الفيلم ، ولا يصح أن يمتد فيه حتى يصبح هو الفكرة الأساسية : إذ الفيلم ليس وسيلة لقتل الوقت فحسب ، بل هو كذلك وسيلة للتوجيه والتهذيب والتثقيف والإرشاد . وهذه حقيقة لن يجادل فيها مصلح فنى فضلا عن أى عامل منصف . وقد يكون الرقص الاستعراضى المحتشم مفيداً وجميلا إذا كان يخدم فكرة سامية ، وفى حدود هذه الخدمة ، بحيث لا يزيد عن الغرض المرسوم له ، وفى نطاق الرغبة فى ترقيق المشاعر ، وتهذيب الأحاسيس .

والحقيقة المرة هى أن صانعى الأفلام لا يدققون فى فن الفيلم بقدر ما يرغبون فى إنجاز مجموعة كبيرة منها ، تباع رؤيتها فى سوق النظارة بمبالغ محترمة ، مهمتهم الأولى السعى إلى

تحصيلها والحصول عليها ، وهم فى سبيل ذلك يترجمون من الأفلام الاجنبية استعراضاتها ، ويضعون بدل الممثلين الأجانب ممثلين من المصريين والمصريات ، حتى ليجبرهم ذلك على صبغ حياة المصريين بصبغة أجنبية فى حفلاتهم الراقصة ، فتراهم يصورون لك فى حياة المصريين المترفين الرقص الجمعى المشترك بين الذكور والإناث من خلق الله ، وكأنما هو صورة حيوية عادية لحياة المجتمعات فى مصر ، دون تفكير فيما يثيره التعود على رؤية هذا الرقص ، والإيمان بضرورته فى الحفلات والمجتمعات، من مشكلات نفسية واجتماعية ، وإيقاع الإرشاد القومى فى محنة نرجو له منها الخلاص . ويكفى هنا أن نسجل فى مقام هذا الرقص الافرنجى المشترك - وأنواعه معروفة للمتفرجين من خلق الله - ما كتبه السيد مصطفى المنفلوطى على لسان بطل إحدى رواياته ؛ إذ قال :

« ويل لهؤلاء القوم المرائين الكاذبين ، يفسقون ويزعمون أنهم يرقصون ، ويقترفون صنوف السيئات والآثام ، ويقولون : إنهم يغنون أو يطربون ، والله ما اجتمعوا إلا ليختطف العاشق معشوقته من يد زوجها أو أخيها أو أبيها حين أعيته الوسائل إليها ، أو لتفتش الزوجة التى ملت زوجها وسئمته عن عشير جديد غير مملول ، أو ليلقى الأب بابنته العانس الشوهاء بين ذراعى فتى من الفتيان الأغرار ، يرجو أن يعميه الشغف الحاضر بها عن النظر إلى عيوبها فيقع فى حبالتها ، ويصبح على الرغم منه زوجاً لها . إن كانوا يريدون الغناء ، فلم لا يغنون إلا راقصين ، أو الرقص فلم لا يرقص الرجل إلا مع امرأة ، ولا ترقص المرأة إلا مع رجل ، ثم لا يرقصون إلا متلاصقين متماسكين ، كأنهم بين جدران مخادعهم أو وراء أستار نوافذهم وأبوابهم . من لهذا الزوج الغبى الذى يلقى بزوجته عارية الصدر والظهر والذراعين والكتفين بين ذراعى فتى جميل ساحر يلاصقها ويخاصرها ويقبلها بين يدى شهواته ما شاء ، أن تعود إليه ساعة تعود بالعقل الذى ذهبت به وبالقلب الذى كانت تحمله بين أضالعها ، ومن لهذا الأب الابله المأفون الذى يتبرم بابنته ويستثقل مكانها منه ، فيقذف بها بين مخالب هذه الوحوش المفترسة ، ألا تعود إليه بعد قليل حاملة مع همها الأول هميين آخرين : عاراً على رأسها ، وجنيناً فى أحشائها . إنهم يقودون على أنفسهم من حيث لا يشعرون ، ويمزقون أعراضهم بأيديهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

أحمد طه السنوسى

فى الأخلاق :

الصـــــبر

الصبر عزيمة من أقوى العزائم ، التى تمهد للإنسان طريق حياته الشائك ، وتساعده على السير فى طريق الحياة ، بقدم ثابتة ، وقلب وثاب ، يخترق معاقل الشدة ، وفى النهاية الحظوة بالغرض المنشود .

الصبر ، وما أدراك ما الصبر ؟ هو نفحة ربانية يهبها الله قلوباً قد استعدت لتحملها ، واستعدت أن تحتفظ بها كهدية نادرة ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها ، إذ بدون الصبر يفنى الإنسان أدبياً ، وتطغى عليه مشاكل الحياة ، وتهزه أعاصيرها ، ويلين عوده الصلب أمامها ، وحينذاك تكون الهزيمة ، والموت الذى لا حياة بعده .

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيباً   كاسفا باله قليل الرجاء

الصبر ما أحسنه وما أجمله ! ! ، هو جميل ، وأجمل منه أن تكون صبورا .

الصبر غال ثمنه ، عظيم أثره ، هو خلق الأنبياء والمرسلين ، وسلاح المتقين والمصلحين ، ما نجح رسول ولا زعيم ولا مصلح إلا بالصبر ، فهو العدة المنتجة ، التى توصل إلى الغايات من أقصر طريق ، كل سلاح فى الحياة يستطيع أن يفله الزمن ، إلا سلاح الصبر ، فإنه الذى استطاع أن يهزم الزمن ، وصاحبه منصور مهما تلونت عليه الأيام ، ولعبت به السنون .

ولقد أعجبنى بيت قاله أحد الشعراء المحدثين ، فيه من الاستعارة ما يلفت نظر أهل البلاغة والأدب ، ويجلى للناس قيمة الصبر فى نفوس الصابرين . قال :

يا بائع الصبر لا تشفق على الشارى   فدرهم الصبر يسوى ألف دينار

* * *

أيها الأخ ، أدعوك للتحلى بفضيلة الصبر ، وأنا أعلم أنه شاق على النفس ، لأنى وأنت إذا لم نتخذ الصبر عدتنا فى الحياة ، فما الذى نصنع ؟ والشر أمر لابد منه ، والدهر عنيد ، إذا ترك فترة من الزمن ، فثق أنه غير ساه ولا لاه ، إنما يستعد لك ليهاجمك فى الصميم ، حتى تتكشف له حقيقة أمرك ، وإذاً ما الذى نصنع إن لم نصبر ؟ رويدك قليلا . . . ها هى ذى السماء أمامنا ، وها هى ذى الأرض أمامنا ، وها هو ذا الكون جميعه بنظامه

أمامنا ، تعال بنا نبدل أوضاعه ونظمه وفق مانريد . . تعال بنا نقلب النظام الإلهى رأساً على عقب ، إن استطعنا إلى ذلك سبيلا . . والله لا أنا ولا أنت ولا أحد ، يستطيع شيئاً من ذلك ، إذاً ليس أمامنا إلا أن نصبر ، فلنصبر ، ولنصبر كثيراً ، ولنعتقد جميعاً أن الله مع الصابرين .

يقولون : الصبر مر ، وحقيقة أن الصبر مر ، لكن ألا ترى أنه جميل العاقبة ، وما أحسن الشيء إذا كان جميل العاقبة !! .

* * *

الصبر فضيلة دعا الله إليها فى كتابه ، ودعا الرسول إليها فى سنته ، ودعا إليها الحكماء فى حكمهم ، والشعراء فى أشعارهم .

قال الله سبحانه وتعالى : « والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . وقال : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين » وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين » ، وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر نصف الإيمان » ، وقال : « ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » .

وقال الإمام على : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لا رأس له ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

وقال بعض الحكماء : الصبر مطية لا تكبو . وقال آخر : بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور .

وقال الشاعر :

إنى رأيت وفى الأيام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جد فى أمر يحاوله   واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

اللهم وفقنا للتحلى بفضيلة الصبر ، حتى نحظى بما وعدت به الصابرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟

محمد مرسى محمد
المدرس بمعهد الزقازيق

نظرية المساواة

فى الشريعة الاسلامية

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق [١] عن نظرية المساواة فى الشريعة الإسلامية . ونتكلم الآن فى تطبيق هذه النظرية فى سريان النصوص الجنائية على الأشخاص .

أولا : المساواة بين رؤساء الدول والرعايا :

تسوى الشريعة بين رؤساء الدول والرعايا فى سريان القانون ومسئولية جميع المواطنين عن جرائمهم . ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول فى الشريعة أشخاصاً لا قداسة لهم .

وكان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول دائماً وهو نبى ورئيس دولة : « إنما أنا بشر يوحى إلى ، وهل كنت إلا بشراً رسولا » . ودخل عليه أعرابى مرة فأخذته هيبة الرسول فقال ﷺ : « هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » . وتقاضاه غريم له ديناً فأغلظ عليه فهمّ به عمر بن الخطاب ، فقال الرسول : « مه يا عمر ، كنت أحوج إلى أن تأمرنى بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر »[٢]. وخرج أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن عباس وعلى حتى جلس على المنبر ثم قال : « أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقدمنه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقدمنه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشحناء من قبلى فإنها ليست من شأنى . ألا وإن أحبكم إلىّ من أخذ منى حقاً إن كان له ، أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس » . ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى [٣] .

---

[١] ص ٣٣٤ من الجزءين الخامس والسادس .

[٢] زاد المعاد ج ١ ص ٥٩

[٣] التاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ١٥٤

وجاء خلفاء الرسول ﷺ من بعده فساروا على نهجه واهتدوا بهديه ، فهذا خليفته الأول أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يصعد إلى المنبر بعد أن بويع بالخلافة فتكون أول كلمة يقولها توكيداً لمعنى المساواة هى قوله : « أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى » . ثم يعلن فى آخر كلمته أن من حق الشعب الذى اختاره أن يعزله ، فيقول : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » [1] .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يولى الخلافة فيكون أكثر تمسكا بهذه المعانى ، التى تدل على ما كانوا عليه فى صدر الإسلام . خطب يوماً فقال : « لوددت أنى وإياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم ، فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه » . فقال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن تعوج عزلوه[2] .

وأعطى أبو بكر القود من نفسه ، وأقاد للرعية من الولاة . وفعل عمر بن الخطاب مثل ذلك ، وتشدد فيه فأعطى القود من نفسه أكثر من مرة [3] . ولما قيل له فى ذلك قال : « رأيت رسول الله ﷺ يعطى القود من نفسه . وأبا بكر يعطى القود من نفسه ، وأنا أعطى القود من نفسى » [4] . ومن تشدد عمر فى هذا الباب أنه ضرب رجلا فقال له الرجل : إنما كنت أحد رجلين : رجل جهل فعلم ، أو أخطأ فعفى عنه . فقال له عمر : « صدقت ، دونك فامتثل » أى اقتص .

محاكمة الخلفاء والملوك والولاة :

وقد جرى العمل فى الشريعة على محاكمة الخلفاء والملوك والولاة أمام القضاء العادى وبالطريق العادى . فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى خلافته يفقد درعا له ويجدها

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١١٣ - ١١٥ .

(٤) الأم للامام الشافعى ج ٦ ص ٤٤ .

مع يهودى يدعى ملكيتها ، فيرفع أمره إلى القاضى فيحكم لصالح اليهودى ضد على . ويقص علينا التاريخ أن المأمون وهو خليفة المسلمين اختصم مع رجل بين يدى يحيى بن أكثم قاضى بغداد فدخل المأمون إلى مجلس يحيى وخلفه خادم يحمل طنفسة لجلوس الخليفة ، فرفض يحيى أن يميز الخليفة على أحد أفراد رعيته . وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تأخذ على صاحبك شرف المجلس دونه ، فاستحيا المأمون ، ودعا للرجل بطنفسة أخرى .

وبعض الخصومات التى كانت تقع بين الخليفة والولاة وبين الأفراد كانت تفض بطريق شرعى بحت ، هو التحكيم ، كما فعل عمر بن الخطاب ، فقد أخذ فرساً من رجل على سوم لحمل عليه فعطب ، فخاصم الرجل عمر ، فقال عمر : اجعل بينى وبينك رجلا ، فقال الرجل : إنى أرضى بشريح العراقى . فقال شريح لعمر : أخذته صحيحاً سليما فأنت له ضامن حتى ترده صحيحاً سليما . وكان هذا الحكم الذى صدر ضد عمر هو الذى حفز عمر لتعيين شريح قاضياً .

وفقهاء الشريعة الإسلامية وإن كانوا يشترطون فى الإمام شروطاً قد لا تتوفر فى كل شخص ، إلا أنهم يسوونه بجمهور الناس أمام الشريعة ولا يميزونه عنهم فى شىء . وهذا متفق عليه فيما يختص بالولاة والحكام والسلاطين والملـــوك الذين يخضعون للخليفة أو يستمدون سلطانهم منه ، ولهم فى سريان نصوص الشريعة عليه نظريتان :

النظرية الأولى : وهى نظرية أبى حنيفة ، ويرى أن كل شىء فعله الإمام الذى ليس فوقه إمام مما يجب به الحد كالزنا والشرب والقذف لا يؤاخذ به إلا القصاص والمال ، فإنه إذا قتل إنسانا أو أتلف مال إنسان يؤاخذ به ، لأن الحد حق الله تعالى وهو المكلف بإقامته ، ومن المتعذر أن يقيم الحد على نفسه ، لأن إقامته بطريق الخزى والنكال ، ولا يفعل ذلك أحد بنفسه ، ولا ولاية لأحد عليه ليستوفيه ، ولأن فائدة الإيجاب الاستيفاء ، فإذا تعذر لم يجب ، بخلاف حقوق العباد كالقصاص وضمان المتلفات ، لأن حق استيفائها لمن له الحق فيكون الإمام فيه كغيره ، وإن احتاج إلى المنعة فالمسلمون منعته ، فيقدر بهم على الاستيفاء ، فكان الوجوب مفيدا (١) .

---

(١) شرح فتح القدير حـ ٤ ص١٦٠، ١٦١ ، البحر الرائق حـ ٥ ص ٢٠ ، الزيلعى حـ ٣ ص١٨٧

فالفعل المحرم فى رأى أبى حنيفة يظل محرما ويعتبر جريمة ولكن لا يعاقب عليه لعدم إمكان العقاب ، ويترتب على هذا أن الإمام لو زنا وهو محصن فقتله أى فرد من الأفراد ، فإن القاتل لا يعاقب على القتل ، لأنه قتل شخصاً مباح الدم ، إذ الزنا من محصن عقوبته الموت ، ولما كانت عقوبة الزنا من الحدود ، والحدود لا يجوز تأخيرها ولا العفو عنها ، فإن قتل الزانى المحصن يعتبر واجبا لا بد منه إزالة للمنكر ، وتنفيذا لحدود الله ، فمن يقتل الزانى المحصن فإنه يؤدى واجباً عليه ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره قاتلا .

أما الجرائم التى تمس حقوق الأفراد كالقتل والجرح فيرى أبو حنيفة أن الإمام الذى ليس فوقه إمام يؤخذ بها ويعاقب عليها ، لأن حق استيفائها ليس له أصلا وإنما هو للمجنى عليهم وأوليائهم ، وإذا قام الإمام باستيفاء العقوبة فى هذه الجرائم فإنما يقوم به نيابة عن الأفراد ، ولمنع الحيف والإضرار بالغير ، فإذا ارتكب الإمام جريمة من هذا النوع كان للأفراد أصحاب الحق الأصلى فى استيفاء العقوبة أن يستوفوا العقوبة من الإمام مستعينين فى ذلك بالقضاء وبالجماعة ، وإذا استوفى الأفراد العقوبة الواجبة عن غير طريق القضاء فلا حرج عليهم ، لأنهم فعلوا ما هو حقهم [1] .

ويؤخذ على نظرية أبى حنيفة أنها تقوم على أساس ضعيف ، لأن الإمام ليس إلا نائباً عن الجماعة ، ولأن الخطاب فى التشريع الإسلامى موجه للجماعة وليس للإمام ، وإنما أقامت الجماعة الإمام ليقيم أحكام الشريعة ويرعى صالح الجماعة ، فإذا ارتكب أحد الأفراد جريمة كان للإمام أن يعاقبه بما له من حق القيام على تنفيذ نصوص الشريعة نيابة عن الجماعة . وإذا ارتكب الإمام نفسه جريمة عاد للجماعة حقها ، وعاقبت الإمام حيث لا يصلح للنيابة عنها فى هذه الحالة .

النظرية الثانية : وهى نظرية مالك والشافعى وأحمد ، وهؤلاء لا يفرقون بين جريمة وجريمة ، ويرون الإمام مسئولا عن كل جريمة ارتكبها سواء تعلقت بحق لله أو بحق للفرد ، لأن النصوص عامة ، والجرائم محرمة على الكافة بما فيهم الإمام ، يعاقب عليها من ارتكبها

[١] شرح فتح القدير جـ ٤ صـ ١٦١

ولو كان الإمام ، ولا ينظر هؤلاء الأئمة إلى إمكان تنفيذ العقوبة كما ينظر الحنفية ، لأن تنفيذ العقوبات ليس للإمام وحده ، وإنما له ولنوابه ، فإذا ارتكب جريمة وحكم عليه بعقوبتها نفذ العقوبة على الإمام أحد من ينوبون عنه ممن لهم تنفيذ هذه العقوبة [١] .

ولم يكتف الفقهاء بتقرير عقوبة رئيس الدولة الأعلى على ما يرتكبه من جرائم ، بل بحثوا فيما إذا كان ينعزل بارتكابه الجرائم ، فرأى البعض أن الإمام ينعزل بارتكابه المحظورات ، وإقدامه على المنكرات ، تحكيما للشهوة وانقياداً للهوى ، لأن عمله هذا فسق ، كما يمنع من انعقاد الإمامة يمنع من استدامتها [٢] .

وفق الله ولاة الأمر إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لنسعد ونستعيد مكانتنا الأولى . والله ولى التوفيق ؟

محمد محيي الدين المسيرى
ليسانس فى القانون

مكارم الأخلاق

جيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسفانة بنت حاتم الطائى أسيرة ، فقالت :

يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد . فإن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب . فإن أبى سيد قومه : كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده . أنا ابنة حاتم طىّ !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

---

[١] فقه القرآن والسنة ص ٩٧ ، الام للشافعى ح ٦ ص ٣٦
[٢] الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٤ ، أسنى المطالب ح ٤ ص ١١١

عماد الدين زنكى

- ٢ -

تجمع أمراء الدول اللاتينية فيما بينهم ، وتشاوروا فيما يصنعون ببطل فارس ، نجم فجأة أمامهم كأسد هصور يدوى غابه بالصياح والزئير ، ورأوا أن الهزيمة السالفة لابد أن يمحى عارها قبل أن يدب الخور إلى النفوس ، فخفوا إلى « حلب » بغتة حيث انتظرتهم الهزيمة الثانية حاملة ما تحمله الهزائم من الرعب والدهشة والالتياث ، وقد اهتبل العماد حيرتهم اليائسة فانقض بجنوده على « اللاذقية » [١] والتقى الفرنجة منه شراً مستطيرا فتناثرت أشلاؤهم فوق السهول والتلال ، ووقع فى الأسر أكثر من سبعة آلاف ، وفر الهاربون من المعمعة تاركين المدد الكثير من الذخائر والغنائم والأسلاب ، فأضيفت إلى الجيش الإسلامى وازداد بها العماد قوة وعتادا ، فمضى يحطم القلاع ويدك الحصون ووقع اسمه موقعاً مرعباً من أعدائه ، فأقلق المضاجع وأطار النوم عن الجفون .

لم يجد الفرنجة بدا من الاستنجاد بملك القسطنطينية ، فقد علموا مطامعه الواسعة وثأره القديم ، ورأوا أن وقوع الدول اللاتينية تحت يده قد يتيح لهم فرصة التنازل عنها دون جهد كبير ، وجاء الملك سريعاً وعسكر أمام « حلب » فامتنعت عليه ولم يجد منفذا يوصله إلى النصر فتوجه إلى « شيزر » [٢] ونصب المجانيق وشهر الأسنة والرماح ، وأراد أن يكسب نصراً عاجلا يحقق ظن الفرنجة فى بأسه ، ولكن عماد الدين يدلف إليه سريعاً ويعرض جنوده وأسلحته بحيث يراه ، ثم يبعث إليه يستعجل اللقاء فى الصحراء ، لتدور الدائرة على من تدور عليه ، فيستريح الجيش وينفض القتال ، وقد

[١] ثغر سوريا الذى تتنفس منه الآن نسيم البحر الأبيض

[٢] قرب « المعرة » التى منها حكيم شعراء العرب أبو العلاء التنوخى

ضاق ملك الروم ذرعا بهذا الاستعجال الجرىء ، وظن فى خصمه من القوة والشكيمة ما يرهب ويزلزل ، فتباطأ وتثاقل ومضى وقت أعمل فيه العماد حيلته الحصيفة ، فأرسل إلى ملك الروم من خوّفه من الفرنجة ، وذكر له أنهم سيتركونه وحيداً إذا ادلهم الخطب ، كما أرسل إلى الفرنجة من ندد بملك الروم ونعى عليه تثاقله وانتظاره ، فوقع الشقاق بين الحليفين ، وفر ملك الروم إلى موطنه تاركا وراءه آلاف الذخائر والأسلاب ، فتبعه عماد الدين واستولى على الغنيمة الرائعة ، وأثخن فيمن أدركه ، ورجع منصوراً تتقبله التحيات العاطرة ، وتنهال عليه التهنئات ، ويفد إليه الأدباء والخطباء ، فيسجلون إعجاب المسلمين بقائدهم الباسل .

* * *

وقد حظى عصر العماد بطائفة من نوابغ الشعراء كابن القيسرانى ، وابن المنير ، وأبى المجد الحموى ، فتغنوا بمآثره وخلدوا فتوحه وأمجاده ، ومازال السيف فى حاجة ماسة إلى القلم يلهب العواطف ويهيج المشاعر ، حتى إذا أزفت الساعة ، وتلاحمت الصفوف ، دفع بالنفوس الظامئة إلى التضحية والاستشهاد ، وقد كان الشعراء قبل العماد يتلمسون البطل المنقذ ، ليضفروا له أكاليل الثناء ، فلا عجب إذا أرسلوا قصائدهم الشادية ، وقد تحقق الأمل ، وزأر الليث فى العرين .

لقد أعمل القائد حيلته الرشيدة ، فظفر بما لا تتيحه السيوف دون مشقة هائلة وكفاح مرير ، وها هو ذا يعمل حيلته الثانية ، ليضم إلى أمجاده الخالدة مجداً جديداً ، فقد صمم على أن ينقذ (الرها) من أعدائها المغيرين ، فهل يوجه إليها قوته وقد أحاط بها الفرنجة من كل مكان ؟ هذا ما لا يشير به الفكر السديد ؛ فالاولى به أن يتغاضى عنها ظاهرا ويوجه حشوده إلى مدن أخرى « كآمد » [1] « وحمص » و « ديار بكر » ليطمئن الأعداء إلى تحول الخطر فى منطقة نائية ، وهذا ما كان ، فقد نزح صاحب الرها عن ولايته مطمئناً لحاميته وانشغال عماد الدين بفتوحه ، ولكن البطل الإسلامى يسرع إليها فيخلف ظنه ويفتح

---

[١] كانت عاصمة ديار بكر بن وائل ، وهى الآن ترطن التركية فى الأناضول

مدينته ، فتسقط فى يده وترجع إليها عروبتها الأصيلة ، ويرتفع له صيت مجلجل ، ويتحدث عنه الركبان ! !

سقطت الرها كسيرة ذليلة ، وقد توقع المقيمون بها من الصليبيين شروراً كثيرة من العماد ، ولكن سماحة الإسلام تتغلغل فى أعماقه ، فلا يقتل أحداً غير المحاربين ، ولا يأسر امرأة أو طفلا أو شيخاً ، بل نشر ألوية الأمان على المدينة ، وقد حبب إليه كثير من أنصاره أن ينتقم لموقعة بيت المقدس ، فقد سالت بها دماء المسلمين ، وذبح الأطفال والنساء والشيوخ كالأنعام ، وتناثرت الأشلاء فوق الرمال ! ؟ ولكن البطل المسلم يظهر أريحية الإسلام وعدالته ، فيعتصم بالمروءة ويضرب المثل الصالح للخلق الكريم ، ويرسم الطريقة المثلى ليحتذيها من بعده ولده نور الدين(١) ، ثم تبلغ - بعدُ - أوجها الرفيع فى سيرة صلاح الدين ، فأين الذين يرمون الإسلام بالتعصب ويتهمون أبطاله بالعدوان ، ليتابعوا الحروب الصليبية فى حلقاتها المتلاحقة ثم ليقولوا كلمتهم ونقول ! !

على أن هذا البطل المتسامح لم يجد لدى أعدائه من يقدر مروءته ورجولته ، فتآمرت عليه العصابة الباغية وخبأت له نذلا من الأنذال يغتاله فى هجوعه الهادىء بعد أن عجزت عن لقائه فى حومة الكفاح ، وهكذا طارت روح الشهيد إلى بارئها العظيم هنيئة بالفردوس ، ناعمة بالخلود ، وقد خلف وراءه نجله الباسل نور الدين ليستأنف النصر عظيما عن عظيم .

* * *

وقد يلاحظ من يقرأ تاريخ الحروب الصليبية أن انتصارات العماد لا تجد من المؤرخين نصيباً كبيراً من الدراسة والتحليل إذا قرنت بما كتب عن نور الدين وصلاح الدين ، وذلك لأن بعض الكاتبين ينظرون إلى النتائج دون المقدمات ، فهم يسجلون المواقف الحاسمة دون أن يمهدوا لأسبابها ويرجعوا إلى عناصرها ومقوماتها ، وقد بزغ عماد الدين فى وقت تفرقت فيه الوحدة الإسلامية ، وحالت الأهواء الذاتية دون التماسك والاتحاد ، فبذل جهداً جبارا فى إقامة دولة متماسكة تكافح العدو المهاجم ، وتحارب الإقطاع محاربة حاسمة ، وقد استغرق ذلك من نشاطه وكفاحه جهدا ليس باليسير ، وحين اطمأن إلى قوته

---

(١) أستاذ صلاح الدين الأيوبى فى الحرب والسياسة والعدل الاسلامى الرحيم .

بدأ فتوحه ومواقفه، فدافع وهاجم وانتصر، ثم جاء ولده نور الدين فوجد دولة منتصرة متماسكة، فاستأنف السير وواصل الكفاح، وسار في الطريق المعبد أشواطا رائعة بارعة، حتى أخذ مكانه صلاح الدين فتم على يديه النصر، ورجحت الكفة العربية بتأييد الله. ومثل عماد الدين مع البطلين الكبيرين كمثل أسرة أرادت أن تنشىء حديقة فيحاء في أرض ذات صخور وأشواك وآكام، فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك وتسوية الطريق وشق الجداول وتهيئة البذور، ثم وافاه أجله فاستأنف قومه الغرس والبذر، وتعهدوا الزرع بالري والتسميد، حتى ترعرعت الأفنان، وامتد الظل، وتهدلت الثمار، ولولا ما بذله العميد من جهاد عنيف في طريق شاق ما أينع الثمر ولا امتدت الظلال!!

ونحن حين نذكر العماد إنما نأخذ من تاريخه عبرة بالغة لحاضرنا الأليم، فقد احتلت الصهيونية الغادرة «فلسطين»، وظن الغرب بالإسلام والعرب أسوأ الظنون.

ولولا الصليبية المتأصلة في الغرب ما قام لليهود دولة في بلاد الإسلام، فمسيحيو أوربا وأمريكا هم الذين أوجدوا إسرائيل من العدم، وكافحوا في تحقيق حلمهم الصليبي بتمزيق الإسلام، وتدمير مدنه وأبطاله، متسترين وراء اليهود تارة، ومجاهرين بالضغينة السافرة تارة أخرى، بل إن الدعاية المغرضة التي تنتشر في أمريكا اليوم عن الإسلام والمسلمين، لتعيد لنا بطرس الناسك في مفترياته وتباكيه، فهم اليوم يرسمون الصليب ومن فوقه حذاء عربي مسلم، ليستصرخوا الأوربيين على الإسلام في كل مكان!!!

والأمم العربية الآن في جامعتها المتماسكة، وإيمانها القوي، خير مما كانت عليه أثناء الغزو الصليبي منذ بضعة قرون، ولئن رزقت بطلا باسلا كعماد الدين لسوف تسجل انتصارها الباهر وكفاحها المجيد في جبين التاريخ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم؟

محمد رجب البيومي

المدرس بأبي تيج الثانوية الأميرية
ومن علماء الأزهر الشريف

الى طلاب الأزهر الشريف

يا طلاب الأزهر . يا طلاب أقدم جامعة إسلامية ، بل أقدم جامعة علمية عرفتها الدنيا ، وعاصرت الزمان ألف سنة أو تزيد ، وهى قائمة على حمل رسالة الإسلام وفهمها حق الفهم ، ونشرها فى أقطار الأرض ، وقائمة على العناية الفائقة بعلوم الشريعة وحفظها من الذهاب ، وعلى حياطة لغة القرآن وعلومها المتشعبة بسياج منيع ضد الرطانة والاستعجام ، فلولا جامعتكم لما اتصل حاضرنا بماضينا ، ولانقطعت صلة الخلف بالسلف ، ولما حفظت هذه الذخيرة الباقية من المعارف الإسلامية ، وهذه الثروة الطائلة من الكتب التى لا يحصيها العد ، ولا يأتى عليها السرد .

يا طلاب اليوم ، ويا علماء المستقبل ، لا تظنوا أن مهمة معهدكم العتيق تخريج علماء يوكل إليهم تدريس علوم الشريعة واللغة العربية ، ويتولون وظائف القضاء والفتيا والوعظ والإرشاد فحسب ، لئن ظننتم ذلك لقد تجنيتم على معهدكم ، وفررتم من المهمة الملقاة على أعناقكم فى يومكم وفى غدكم ، ووضعتم أنفسكم دون ما يريده الله ورسوله منكم . إن مهمتكم أجل من ذلك وأسمى ، وهى حمل رسالة الإسلام وفهمها كما وردت فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ ، وكما فهمها السلف الصالح وأئمة الإسلام ، وتخليصها مما عسى أن يكون قد علق بها من البدع والشوائب ، والدخيل والغرائب ، وإظهارها فى صورتها الحقيقية سافرة مجلوة لا تعقيد فيها ولا غموض ، ثم تبليغها إلى الناس كافة ، وبذلك تأخذ طريقها إلى القلوب والعقول ، وتقع من النفوس المتعطشة إلى الهداية موقع الماء من ذى الغلة الصادى .

إنكم يا أبناء الأزهر ـ بما استودعتم من كتاب الله وسنة رسوله ، وبما لكم من ثقافة واسعة تتعلق بالإسلام وبلغة القرآن ـ أحق الناس بفهم رسالة الإسلام على وجهها الصحيح ، وأحق الناس بتبليغها ، وإلا فما قمتم بالرسالة ، ولا أديتم الأمانة .

يا طلاب اليوم، ويا علماء المستقبل، لقد رفع الإسلام من شأنكم، ووضعكم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - موضعا كريما تغبطون عليه حيث قال: «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر [1]»، ووراثة الأنبياء شرف دونه أى شرف، ومنزلة لا تنال بالأمانى، وإنما تنال بالمهر الغالى، وهو أن تملأوا الكون هدى وعرفانا، وحقا ويقينا، وأمنا وإيمانا، وسلاما وإسلاما، وفضائل وآدابا، وأن تكونوا مثلا صالحة صادقة للإسلام وعقائد الإسلام وآداب الإسلام، فى خاصة أنفسكم وفى أهليكم، وبين جيرانكم ومع مواطنيكم، وبذلك تكونون دعاة إلى الإسلام بقولكم وفعلكم وسمتكم، وتستحقون من الله المثوبة، ومن المواطنين التجلة والتقدير والإكبار.

إن الداعى إلى الإسلام لا بد أن يأخذ نفسه بهدى الإسلام وبأدب الإسلام، وإلا لم يسمع له قول، ولم تثمر له دعوة، وكان من الذين قال الله سبحانه فيهم: «يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون».

لقد كان رسول الله ﷺ إذا أرسل رسولا يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلمهم القرآن والحكمة، يوصيه بأن يكون على خلق حسن وسمت حسن، فلا عجب أن كانوا يجذبون الناس إلى الدخول فى الإسلام بأفعالهم قبل أقوالهم. روى مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل قال: «آخر ما أوصانى به رسول الله ﷺ حيث وضعت رجلى فى الغرز [2] أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل، وذلك حين أرسله إلى اليمن.

* * *

يا أبناء الأزهر، إن أزهركم الشريف له مكانة مرموقة فى العالم العربى والإسلامى، بل لا أكون مبالغا إذا قلت فى العالم كله. والعالم الإسلامى يعلق عليكم آمالا كبارا، وأمانى عظيمة، ولعلكم لمستم ذلك فى تصريحات كبار المسؤولين هنا وهناك، وكبار الزائرين الوافدين من الأقطار الإسلامية، وفى الرغبات المتتالية التى تصل إلى أولى الأمر فى الأزهر، بشأن إيفاد البعوث من شبابه ورجاله، للتثقيف والتعريف بالإسلام، أو طلب الفتيا وحكم الشرع الشريف فيما يحدث لهم من مشاكل ويجد من معاملات. أما أنا فقد أحسست ذلك أيام أن كنت مبعوث الأزهر بالحجاز، وحضرت المؤتمر الأكبر — مؤتمر الحج —

---

[١] من حديث رواه أبو داود والترمذى [٢] الغرز: موضع الركاب من رحل البعير

وقابلت الكثيرين من المسلمين من كل جنس ولون : فكونوا يا أبناء الأزهر عند حسن ظن المسلمين بكم ، وحققوا الآمال التى يعلقونها عليكم ، وحافظوا على هذه المكانة السامية التى هى وليدة القرون ، وعلى هذا المجد التليد الذى هو من صنع أسلافكم الأولين المكافحين .

* * *

يا أبناء الأزهر ، إن هذه المكانة التى حظى بها الأزهر فى العالم الإسلامى كله تقتضى منكم التفانى والإخلاص فى العمل للإسلام والمسلمين ، والإخلاص للعلم الذى وقفتم حياتكم عليه ، والحرص على أن تحظوا بثقافة واسعة شاملة لعلوم الشريعة والعربية وغيرها من العلوم النافعة المفيدة ، و « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » [١] و « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » [٢] .

إن طالب العلم الأزهرى فى حاجة إلى أن يلم من العلوم العصرية بما استطاع ، ولا سيما ما يعينه على أن يدافع عن دينه ، وأن يظهر محاسنه ، وأن يكون على علم بالمعارف الإنسانية والتيارات الفكرية واتجاهاتها ، وأن يتناول ما جد فى العالم وما سيجد من مذاهب ومشاكل ، بعقل واع مستنير متثبت ، فيدقق ويحقق ويحلل ويوازن ، حتى يصل إلى الحق والصواب ، وبذلك يمكن للأزهر أن يشارك فى معترك المعارف الإنسانية العامة .

إنكم - يا شباب الأزهر - محاسبون أمام الله على شبابكم : أضيعتموه ، أم حفظتموه ؟ وبحسبكم أن تعلموا أن علماء الإسلام وأئمته الأعلام ضربوا فى المعرفة والحرص على العلم والإنتاج مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الدنيا بالإكبار والإعظام . ومما يذكر عن أبى الوليد بن رشد الفقيه الحكيم أنه لم يترك القراءة طيلة حياته إلا ليلة بنى بامرأته ، وليلة ماتت والدته . والإمام السيوطى ترك من المؤلفات المتكاثرة مايبلغ نحوا من ستمائة كتاب ، منها الموسوعات التى تقع فى مجلدات كبار . وغير هذين جم كثير حفل بهم تاريخ الإسلام ، فما أشد احتياجكم - يا أبناء الأزهر - إلى السهر والجد والتعب والتفرغ للعلم ، وقديما قيل : « العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر » فما بالك - أيها الطالب - إذا لم تعطه كلك ولا بعضك ؟

---

(١) رواه الترمذى مرفوعا وقال : غريب .

(٢) رواه الديلمى بلا سند عن ابن عمر مرفوعا ، ويروى نحوه من قول على رضى الله عنهم .

يا طلاب اليوم، ويا علماء المستقبل، إن فى الثروة الطائلة من الكتب الإسلامية التى خلفها لكم أسلافكم الأماثل كنوزاً وذخائر، ولكنها فى حاجة إلى طول صبر وأناة وتبصر وترو، حتى تنتفعوا بما فيها من الكنوز والذخائر، لتتمكنوا من تنظيمها، وتحسنوا عرضها، فأفسحوا لها صدوركم، وأطيلوا لها أنفاسكم، وستخرجون منها بما يرضى عقولكم، وينير قلوبكم، ويشبع نهمكم. ولكم بعد أن تستخرجوا هذه الكنوز أن تضفوا عليها من صنعكم ما شئتم من تهذيب وتحسين، حتى تظهر فى ثوب قشيب يأخذ بالأبصار والقلوب.

* * *

ولا يفوتنى - يا أبنائى الطلاب - وأنا فى مقام الناصح الشفيق، أن أحذركم من نغمة مستهجنة، وهى الحط من شأن الكتب القديمة، والإزراء بها ووصمها « بالكتب الصفراء » ولا أحب أن أقول لكم: إن هذا النبز دسيسة استعمارية، ولوثة سرت إلينا من أعداء الإسلام، يراد من ورائها التعفية على الآثار القيمة لعلمائنا الأوائل، ومحو هذه الصحائف المشرقة من مجد الإسلام الغابر. وأقل ما يقال فى هذه النغمة أنها تدل على الضحالة والعناية بالقشور والمظاهر، وهذا ما لا أرضاه لطالب مسلم فضلا عن أزهرى، وليس كل أصفر بغث، ولا كل أبيض بسمين، وفى الكتب الصفراء سمين كثير، كما أن فى الكتب البيضاء غثا كثيرا، وفى الكتب القديمة ما لو كتب بماء الذهب لكان قليلا عليه، فلنتخير من الكتب القديمة أصلها وأقربها إلى روح الإسلام، وأعذبها وأسلسها وأبعدها من التعقيد. وباب العلم والإنتاج لم يغلق، فلنضف إلى هذه الثروة التى ورثناها ثروة أخرى من إنتاجنا وبحثنا، ونصبغها بالصبغة التى توائم روح العصر وثقافته، وبذلك نكون قد جمعنا بين الحسنيين، واستفدنا بخيرى القديم والحديث.

يا بنى الأزهر، إن وطنكم: مصر والوطن الإسلامى الأكبر، ينشدان منكم التوجيه الدينى والروحى والعلمى والخلقى، ويريان فيكم الأطباء المهرة لعلاج القلوب وطب النفوس، فكونوا محط الآمال والرجاء، وابذلوا الكثير من جهدكم وعلمكم، حتى تزول الأحقاد والشرور، ويسود الوطن الخير والمحبة والأمن والسلام ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

أعلام الاسلام :

كعب بن زهـــــير

كعب بن زهير ، هو الصحابي الوقور ، أحد شعراء سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وهو من قبيلة مزينة ، إحدى القبائل المضرية .

ولد كعب وتربى بين أحضان أسرة لها أوثق العرى ، وأمتن الصلات بالشعر ، فنشأ شاعرا نابها ، تسمع شعره فتأخذك النشوة ، وتلهبك الحماسة ، وتتعظ منه الألباب ، وتظفر بالحكمة .

فمن أبي سلمى والد زهير ، إلى بشامة بن الغدير خال زهير ، إلى أوس بن حجر زوج أم زهير ، إلى زهير نفسه ، إلى أختيه سلمى والخنساء ، إلى ابنيه كعب وبجير . حلقة شعرية مفرغة ، لم تنقطع هذه الحلقة بكعب الشاعر ، بل تجاوزته إلى ابنه عقبة المعروف بالمضرب ، فإلى حفيده العوام ، فإلى ابن حفيده بشير .

فى تلك الدوحة الفارعة ، وفى تلك الزهرة الباسقة اليانعة ، شب كعب ونما ساقه ، واخضر عوده ، وترعرع غصنه ، وزكا فرعه . فسمع الشعر طفلا ، وأنشده ناشئا ، وأجاده يافعا ، وكان عمر رضى الله عنه لا يقدم على أبيه زهير أحدا . ويقول :

أشعر الناس الذى يقول (ومن) ، يشير إلى قوله فى معلقته المشهورة :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قـومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يـكرم نفسه لا يـكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

كان زهير ينهر ابنـه كعبا لاشتغاله بالشعر فى حداثته ، بل منـذ نعومة أظفاره . كان

يترنم إذا سمع الشعر خشية أن يقول ما لا خير فيه فيروى عنه ، فتوصم القبيلة بالعار والشنار ، وسيما الدناءة أبد الدهر ، فلم يستجب لنــداء أبيه ، بل صم وفر واستكبر استكبارا ، فأوقع به الإيذاء فلم يرتدع ، ونصب له الشباك والشراك ، وأحكم له الحيل ليثنيه عن عزيمته فلم يفلح ، فلم يجد أمام هذا التصميم إلا أن يختبره اختبارا يشف له عن بديهته ، ويظهر له مكنون أريحيته ، فجاز الامتحان بتفوق وامتياز ، وكان فى مقدمة الشعراء المجيدين ، والنابهين البارزين ، وقال من الشعر على البديهة ما يثلج صدر والده ، وتقر به عينه ، ويطمئن به فؤاده ، فأجازه له ، وأذن له فيه ، وسمح له بنشره وإذاعته ، فسار على الدرب حتى وصل المكانة المرموقة ، وما زال يصعد على معارج النبوغ حتى أصبح زهرة الشعراء ، وفى الطبقة الأولى من السادة الحكماء ، وأضحى من فحول هذا العصر المزدهر ، وأصبحت قبيلته محط الأنظار ، مرموقة فى كل مكان ، مشارا إليها بالبنان ، فقد أعلى قدرها على عكس ما كان يتخوفه والده ، ولكنها القريحة والموهبة التى وهبها الله تعالى كعبا ، فتربع بها على أريكة العز الخالد ، والمجد الباذخ التالد ، والقول الذى لا يقبل الجدل ، ولا يعرف الشك ، ولا يتطرق إليه الارتياب .

* * *

وسمع كعب وقومه بالرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل السنة السابعة من الهجرة ، حتى إذا ماحلق فى الفضاء ، وذاع صيته ، وارتفع شأنه ، وانتشر لواؤه ، رغب كعب فى أن يعرف شيئا أبلج عن ذلك ، وفى هذا المقام روايات : فبعضهم يقول : إن زهيرا رأى فى منامه آتيا أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قص رؤياه على ولده ، وقال : لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى شىء ، فإن كان فتمسكوا به ، وسارعوا إليه .

وبعض الرواة المؤرخين اكتفى بذكر حادث إسلام كعب وبجير أخيه فى قصة طويلة ، كابن هشام فى شرحه للامية كعب المشهورة .

وإليك القصة كما وردت ورويت :

كان من خبر قول كعب رضى الله عنه هذه القصيدة (بانت سعاد) فيما روى محمد ابن اسحاق ، وعبد الملك بن هشام ، وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى ، وأبو البركات

عبد الرحمن بن محمد الأنبارى ، أن كعبا وبجيرا ابنى زهير خرجا إلى (أبرق الغراف) — وأبرق الغراف هذا هو ماء لبنى أسد فى طريق القاصد إلى المدينة من جهة البصرة — فى غنمهما ، وكان الحديث قد جرهما دون شك إلى ذكر النبى الجديد ، وما قام به من دعوة إلى الله . ولا غرابة ، فقد كانت تلك الدعوة حديث الأعراب إذ ذاك فى مكة والمدينة وما بينهما ، فمن موافق ، ومن مخالف ، ومن منتظر لاينبس ببنت شفة . فقال بجير لكعب : اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل - يعنى الرسول صلوات الله وسلامه عليه - فأسمع كلامه . ثم آمن به ، وكان ذلك قبيل السنة السابعة للهجرة على القول الراجح ، لأنه حضر وقعة خيبر ، وقد كان المسير إليها فى شهر المحرم من السنة السابعة ، وقد شهد بجير بن زهير فتح مكة ، ويوم حنين ، وغزوة الطائف فى السنة الثامنة ، وله فى تلك المعارك أبيات وأبيات أوردها ابن هشام صاحب السيرة المشهور .

* * *

أما كعب فلما بلغه إسلام أخيه بجير غضب عليه وحنق ، وثارت ثائرته على الدين الجديد ، وأخذ يهجو أخاه بجيرا ويذمه ويشنع به أفظع تشنيع ، بل هجا الرسول عليه الصلاة والسلام فتوعده النبى صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذره بجير أخوه العاقبة ، إلا أن يجىء إلى النبى تائبا مسلما ، بعد أن عرض عليه محاسن الإسلام ، الدين الحق الخالص ، الذى يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويأمر بالصدق وحسن الخلق ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ، ويحث على المكارم والفضائل ، ويحارب الرذائل ، ويجبّ ما قبله . فدين مثل هذا يجب اعتناقه ، وفداء رسوله بالمهج والأرواح ، وأخبره بجير بأن الرسول يقبل من أتاه تائبا ، (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .

وعند ما سمع كعب قول أخيه بجير أخذ يفد على القبائل يناشدهم أن يجيروه فلم يجره أحد ، وأعاد الكرة مرات ومرات يناشدهم الرحم والحسب والنسب والجوار فلم يجبه أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة ، وأخذ يتبرأ منه كل صديق ورفيق ، وكثر الوشاة المتوعدون .

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم   إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله   لا ألهينك إنى عنك مشغول

حتى إذا ضاقت به الأرض ، عاد إلى نفسه وفكر فى هذا الأمر ، فهداه الله إلى الحق واطمأنت إليه نفسه ، فأعد قصيدته المشهورة فى مدح الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ؛ وأتى المدينة وهو يعلم أنه مهدر الدم .

فقلت خلوا سبيلى لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

فلما قدم المدينة نزل مستخفيا على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة ، فأتى به إلى المسجد ، ثم أشار إلى رسول الله ﷺ فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه ، وعرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التى وصفه بها الناس .

وكان مجلس رسول الله من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم ، يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة ، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ، ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم ، فقام له كعب حتى جلس بين يديه ، فوضع يده فى يده ثم قال : يا رسول الله . إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال : نعم . قال : أنا ـ يارسول الله ـ كعب بن زهير ، فتجهم الأنصار إذ عرفوا كعبا ، وتواثبوا يريدون قتله صائحين : « يا رسول الله ائذن لنا فيه » . فنعهم النبى عنه وقال : « وكيف وقد أتانى مسلما » .

ثم أخذ كعب ينشد الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قصيدته فى المسجد ، وكان ذلك فى السنة التاسعة للهجرة ، فرضى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وخلع عليه بردته .

* * *

وقصيدة (بانت سعاد) التى مدح الرسول فيها لامية ، وعدد أبياتها ٥٨ ، وسلك فيها كعب مسلكا عجيبا على الطريقة الجاهلية القديمة ، فجعل مطلعها الغزل ، فذكر سعادا ووصفها وإخلافها الوعد فى اعتذاره للنبى عليه الصلاة والسلام ، ثم أجاد فى مدحه ، ثم ختم قصيدته العصماء بمدح المهاجرين من قريش . ومن أبياتها قوله فى مدح الرسول ﷺ :

نبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ومن قوله فى غير قصيدة (بانت سعاد) مادحا الأنصار ذاكرا بلاءهم مع الرسول :

من سره كرم الحياة فلا يزل فى معتب من صالحى الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار

ومن شعره أيضا :

فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

أما الحديث عن البردة التى خلعها عليه الرسول عليه الصلاة والسلام إعجابا به ، فأصدق بيان عنها ما قاله العلامة أحمد تيمور بعد بحثه العميق : « إن الرأى السديد الراجح أن هذه البردة هى البردة الكعبية التى اشتراها معاوية رضى الله عنه ، ثم حفظت عند بنى أمية حتى ورثها منهم العباسيون » ؟

عبد المطلب صلاح
الواعظ بوزارة الأوقاف

الظاهر والباطن

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل : فإذا جن الموج فلن يضيره ما بقى الساحل ركينا هادئاً مشدوداً بأعضاده فى طبقات الأرض .

أما إذا ماج الساحل ... فذلك أسلوب آخر غير أساليب البحار والأعاصير . ولا جرم أن لا يكون إلا خسفاً بالأرض والماء وما يتصل بهما .

مصطفى صادق الرافعى



الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

اشتريت منزلا ويشغل أحد المحلات فيه رجل شامى يشغله حانة لتقديم الخمر للناس ، وتحدثت مع أحد المحامين بخصوص إنذاره بإخلاء العين ، فعرفنى بأنه لا يمكن مادام يقوم بدفع الإيجار ، ولديه رخصة بذلك ، ولم أستلم منه إيجار المحل حيث أننى حصلت على المنزل منذ مدة قريبة وكان يملكه قبل ذلك أشخاص أجانب ، لذلك تجدنى فى حيرة حيث أنى أعلم بأننى إذا تسلمت منه أى إيجار فهو بلا شك ثمن خمر قدم للناس .

فنرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه إذا لم يتيسر للسائل إخراج المستأجر الذى جعل المكان حانة لبيع الخمر ، جاز لهذا السائل قبض أجرة المكان منه عن المدة التى انتفع فيها أو ينتفع فيها بالمكان . ثم إن كان هذا المستأجر غير مسلم جاز للمؤجر أخذ الأجرة ، ولو علم أنها من ثمن الخمر . أما إذا كان المستأجر مسلماً كره للمؤجر استيفاء الأجرة من ثمن الخمر . وإذا لم يعلم أن ما يقبضه أجرة هو من ثمن الخمر لم يكره له ذلك ، كما يعلم هذا التفصيل بالرجوع إلى كتاب المحيط البرهانى فى مذهب الحنفية فى الفصل الثانى والثلاثين من كتاب الكراهية ، فقد جاء فيه ما نصه . « قال محمد فى الجامع الصغير : مسلم باع خمراً وأخذ ثمنه وعلى بائع الخمر دين لرجل كره لصاحب الدين أن يقتضى دينه من ذلك . وإن كان البائع نصرانياً فلا بأس » .

والوجه فى ذلك أن الخمر ليس بمتقوم فى حق المسلم ، فلم يجز بيعه ، ولم يملك ثمنها ، لا بالعقد ولا بالقبض . بل بقى الثمن على ملك مشترى الخمر ، فإذا أخذ صاحب الدين ذلك فقد أخذ ملك المشترى بغير إذن فلا يجوز ، والخمر متقوم فى حق الذمى ، فجاز بيعه ، وملك ثمنها ، فلو أخذ صاحب الدين ذلك ، فقد أخذ ملك البائع بإذنه فيجوز ، اهـ .

وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر به . والله أعلم .

— ٢ —

جرت عادة بلاد بالسودان — دنقلا — أن يقيموا على رأس الخامس عشر من يوم الوفاة أو العشرين وليمة يدعى إليها حفظة القرآن وأهل البلد جميعاً ، ويسمونه بالصدقة ، ويكون غالب مظهره التبذير من مال الميت ، ولو كان بأبنائه الصغار اليتامى إجحاف . فهل لهذا أصل فى الدين ، أوله من سنة الرسول ما يؤيده ؟ . نرجو الإفادة .

الجـواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن هذا العمل بدعة مستحدثة لا سند لها من كتاب أو سنة ، فيجب ردها والابتعاد عنها . وأخذ شيء من أموال القصر لإقامتها حرام ، وفيه إثم زيادة عن إثم إقامة هذه البدعة . نعم إذا أراد من ليس محجورا عليه من ورثة المتوفى لصغر أو غيره أن يتصدق عنه من نصيبه الخاص ، فله ذلك من غير تقيد بيوم معين أو مكان معين . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

— ٣ —

أبرأته من مؤخر صداقها وهو معلوم ومن نفقة عدتها والنفقة مقدارها مجهول ، فطلقها طلقة واحدة فى نظير ذلك . ثم قال لها بعد ذلك : طلقتك بالثلاثة بالمجلس بسبب مطالبة والد الزوجة بذلك . فهل تقع الطلقة الأولى فى نظير العوض مع كون بعضه وهو النفقة مجهولا ، وإذا وقعت فهل تبين منه . وإذا بانت فهل يلحقها الطلاق الثلاث ؟ .

الجـواب

الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه قد أجاز الحنفية والمالكية والحنابلة البراءة من مؤخر الصداق ونفقة العدة وإن كان مقدار النفقة مجهولا ، لأن البراءة لا تقتضي أن يكون المبرأ منه معلوما ، لأنها من قبيل الإسقاط الذى لا يقتضى تسليما ولا تسلما . هذا وعند الحنفية أن الطلاق الثلاث المذكور يلحق الطلاق البائن الاول . وعلى ما جرى عليه القانون من أن الطلاق المقترن بعدد الثلاث لا يقع إلا واحدة ، يقع على هذا الحالف بالصيغة الأخيرة طلقة واحدة أخرى ، فإذا لم تكن هذه الطلقة الأخيرة مكملة للثلاث ، كان له أن يعقد عليها .

وفى مذهب الإمام مالك والإمام احمد لا يقع بالصيغة الأخيرة طلاق ، لأن الزوجة قد صارت بالطلاق على البراءة بائنة من زوجها ، والطلاق البائن يخرج المرأة عن أن تكون محلا للطلاق ، وعلى هذا لا يقع بقوله أخيرا : « طلقتك بالثلاثة » طلاق .

وهذا المذهب الأخير أرفق وأيسر ، وبه تفتى اللجنة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

كيف كان ينظم شوقى قصائده ؟

سئل شوقى : كيف تنظم الشعر ، وكيف تشرع فى تأليف القصيدة ، فأجاب :

أول ما يخطر لى - حينما أفكر فى قرض الشعر - أن أجمع النقط المهمة التى أرمى إليها من القصيدة . فإذا انتظم لى هيكلها من هذه الناحية ، اخترت لكل قصيدة رويها وبحرها اللذين توحى إلىّ أذنى ونفسى أنهما ينهضان بالموضوع .

وأعظم ما أكون ارتياحا إلى قول الشعر بعد منتصف الليل ، إذ يجد الخيال مسرحا متسعا فى هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمنعنى أن أقول الشعر إذا جاش به صدرى فى كل وقت وكل مكان ، لا يشغلنى عنه شاغل حتى فى المجالس والمحافل .

ركن الطلبة :

سيادة العالم للعاملين

العمل هو الطريق الوحيد المؤدى إلى النجاح الذى يطمح إليه كل إنسان فى الوجود ، وهو أساس المجد ودستور الحياة وباب الزعامة . العمل هو الحياة ، ولا معنى للحياة بدون عمل . . .

ونظرة واحدة إلى الدول الكبرى التى تتصرف اليوم فى رقاب العالم ولا ندرى أتسوقه إلى حرب أم تجعله يعيش فى سلام ؟ نظرة واحدة إلى أمريكا وانجلترا وروسيا تلك الدول التى تحكم العالم وتسيره حيث تشاء ، نظرة إلى هذا العالم الغربى ومجده ، نجد أنه ما نال العظمة والمجد والسيادة ، وما وصل إلى الرفعة والنهضة إلا بالعمل ، فمن تلك البلاد نشأ المفكرون ووجد العاملون وحكم الحاكمون ، وأصبحت أمما ذات سيادة ، وما لنا نذهب بعيدا وديننا الإسلام دين عمل وجهاد ، يأمرنا بالكدح والعمل ، وينهانا عن الخمول والكسل . إن العمل فى الإسلام شىء عظيم ، وقد حث عليه الله سبحانه وتعالى ، ومدح العاملين على عملهم ، فقال جل وعلا : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال سبحانه : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وفى آيات كثيرة نجد الله جلت قدرته يبين لنا قيمة العمل وجزاء العاملين . وفى سورة العصر حكم سبحانه على الإنسانية كلها بالخسران ، واستثنى منها الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر !!

* * *

والرسول صلوات الله وسلامه عليه جاهد فى سبيل الله وكافح للحق والخير ، حتى وصل إلى أرقى ما يصل إليه إنسان ، فأدى رسالته الإلهية على أكمل الوجوه وأتمها . وكان دائما

يقول لأهله : « يا فاطم بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً . يا عباس عم محمد لا أغنى عنك من الله شيئا . لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأحسابكم ، ومن هنا نرى أن ميزان الحياة عنده عليه الصلاة والسلام كان العمل لا الجاه أو الحسب . وأبو بكر رضى الله عنه كان تاجرا ، وعندما ولى الخلافة وبعد أن انتهى من تنظيم الدولة ، خرج ليتجر فاعترضه الناس قائلين له : كيف تخرج لتجارتك وأنت خليفة المسلمين . فقال لهم رضى الله عنه : « وكيف أعيش وهذه صناعتي ؟ » ففرضوا له أقل ما يكفى مثله من الزاهدين .

وعمر بطل الإسلام كان يعمل دائما ، ويتفقد رعيته ليلا ونهارا ، ويكافح فى سبيل إعلاء شأن الإسلام ورفعة المسلمين ، وكان يقول لأصحابه : « أرى الرجل فيعجبني ، فإذا قيل : لا صناعة له سقط من عيني » وكان يردد كلمته المأثورة : « إذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ومنعهم العمل » !!

* * *

هذا هو الإسلام الصحيح : عمل وكفاح وجهاد وتضحية ، والعالم العربي الذى يتطلع إلى العالم الغربى فى ألم وحسرة ، وينظر إليه خائفا قلقا ، ما أجدره أن يتمسك بالعمل ، حتى ينال السيادة وقيادة الأمم ، وحتى يرجع لأبنائه مالهم من ماض زاخر بكل معانى القوة والشجاعة ، فالعمل وحده هو الذى جعل المسلمين القدماء تخلد أسماؤهم ويذكرون بالإعجاب والتقدير ، وهو أيضا الذى رفع بلاد الغرب من الحضيض إلى القمة ، ودفعها إلى المجد ، وجعلها تحتل الشرق ، وتسخر أبناءه فى سبيل مصالحها الخاصة .

أيها العرب ، اعملوا وأنتجوا ، فبذلك تحققون الغاية من وجودكم ، ولتعلموا أن الإنسان العامل المنتصب على ساقه يكافح ويجاهد أكثر ارتفاعاً ورفعة من السيد الراكع على قدميه !!.
أيها الشباب : كن دائماً مشغولا بأى نوع من العمل ، فنشاط الشيطان لا يبلغ قمته إلا فى لحظات الكسل والفراغ وأوقات الضيق والملل ، وثق « أن المآرب اليسيرة لا تسمى طموحاً ، ولكن الطموح هو الغايات الشاقة البعيدة ، فناضل وأنت فى الظلمة ، وحارب وأنت ملقى على الأرض ، فإنك لن تموت أبداً ، والله مع العاملين » .

موسى صالح شرف
بكلية اللغة العربية

البارودى: الشاعر البطل

فى ١٢ ديسمبر [١] ، ينصرم نصف قرن على رحيل هذا الفارس البليغ الذى نهض بالقريض من كبوته ، ونفخ فيه روح التجديد ، وهو الفارس الذى أبلى فى معارك السياسة والحروب ، فكان له صوت مرفوع ، وحسام مسلول .

وقد رأيت أن أشارك فى تحيته والإشادة بذكراه ، بهذه الكلمة على صفحات «مجلة الأزهر».

البارودى ونشأته : انحدر البارودى من أسرة كريمة المنبت والنسب ، وقد خرج إلى نور الوجود فى سنة ١٢٥٥ (١٨٣٨) وكان أبوه إذ ذاك مديراً لبربر ودنقلة ، وسارت الأيام بالطفل الوليد ، وهو يحبو بين أزاهير الرفاهية والخفض ، ولكنه فقد أباه ولما يبلغ الثامنة من عمره ، ففقد بموته حياة الدعة والحنان ، وقد كفله أقاربه حتى شارف الثالثة عشرة من عمره ، فأدخلوه المدرسة الحربية ، وقد تخرج منها ضابطاً وهو فى السادسة عشرة ، ثم أخذ نجمه يسطع ومركزه يتطور إذ خاض المعارك فى حرب الروس مع الترك ، وأبدى من البسالة ما بهر القواد ، ثم تقلب فى المناصب الإدارية فالسياسية حتى بدت طلائع الثورة العرابية ، فاندفع مع الثائرين بحزم وعزم ، وفى نفسه آمال ضخمة لا تحملها إلا الأنفس الكبيرة والأفئدة الوثابة ، فولى رئاسة الوزارة فى أحرج الأوقات ، ثم اندلعت النار فأتت على الثورة فى مهدها ، لأن الخونة قد طعنوها من الخلف ، فقبضت القوة الدخيلة على زعماء الثورة ، وكان البارودى من بينهم ، ونفتهم إلى جزيرة «سرنديب» ، فلبث فى منفاه سبعة عشر عاماً ، ذاق فيها مرارة الأسى والألم والحرمان حتى كف بصره ، فسمح له المستعمر الغاشم بالعودة إلى وطنه الحبيب فنزله فى عام ١٩٠٠ ، ولم يمض على عودته أربعة أعوام حتى لفظ آخر أنفاسه ، فقضى رحمه الله سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) .

* * *

هذا مجمل يسير لحياة هذا البطل الفارس الشاعر المجدد الذى حمل راية الشعر ، وألويته منكسرة وأعلامه مخفوضة ، فكساه حلة قشيبة ، وبعثه من رموس التقليد والغثاثة ، وطهره

---

(١) توفى البارودى فى ٤ شوال سنة ١٣٢٢ هـ (١٢ ديسمبر ١٩٠٤) .

من أرجاس التزلف والمدح ، ونفى عنه روح الجمود بعد الإقفار المديد فى دنيا الأدب والقريض ، ذلك أن الشعر العربى بعد انهيار الدولة العباسية وغارة المغول على الشرق وقضائهم على لغة القرآن وأدب للعرب ، أصابه اضمحلال وخمول ، وكساد وانحطاط ، فاهتم الشعراء بعد ذلك بالقوالب اللفظية ، يوشونها بالزخارف البيانية ، وصار الخيال معدوما فى جملته ، وما جاء منه فسطحى لا يؤثر فى النفس ، ولا يحلق فى أجواء الفكر ، واتخذه الشعراء وسيلة إلى الحكام ، وزلفى رجاء أن ينالوا بها منهم عطفا وعطاء ، فماتت فيه روح العزة ، وتخلى عن ميدان الشعب فى ذوده عن حريته وكرامته ، رغم ما ساد هذه الآماد من فساد الولاة واستبدادهم ، وازدادت بليته عند ما اختلط الشرق بالغرب ، وسرت لوثة العجمة حتى إلى ألسنة الشعراء .

وهكذا تدهور الشعر وانحدر من مكانته ، حتى لقد ذهب الدكتور هيكل فى مقدمته لديوان البارودى « جزء أول سنة ١٩٤٢ » إلى أن الشعر مكث حوالى عشرة قرون وهو مهلهل الأسلوب ، مفكك العبارة ، سطحى المعنى ، محدود الأغراض ، إلى أن ظهر البارودى . وقد اتفقت كلمة النقاد المحدثين على أنه الصوت المدوى فى عالم الشعر الحديث ، وأنه هو الذى خرج به إلى الحياة . ولكن كيف تسنم البارودى منزلة الزعامة فى نهضة الشعر العربى الحديث ، مع أنه لم يزاول دراسة العربية ، ولم يتمكن من فن العروض وقواعد النحو ؟ نفعه أنه أكب فى يفاعته على تراث الأقدمين من الشعراء ، يستظهر ما يحوز إعجابه ، وينفذ إلى نفسه ، ويتغلغل فى وجدانه ، وما زال كذلك حتى تكونت ملكته واتسع خياله ، وعندئذ تحركت فيه رغبة النظم ، فأطلق لها العنان ، فصالت فى كل ميدان ، وأخذ يجارى الفحول السابقين ، ويتشبه بهم ويعارضهم ، ويحاول أن يبزهم ، وكان لغزارة محفوظه أثر باد فى قريضه ، وكانت حافظته المختزنة تمده بلا قصد منه ، وقد يلتبس عليه محفوظه بمنظومه .

* * *

وأصدق وصف لشعر البارودى أنه - كما قال الدكتور هيكل - صورة صادقة لنفسيته ، وما يجيش فيها من الآمال والأمانى العذاب ، وهو فى غزله أو رثائه لا ينفك مفاخراً مظهراً عراقة نسبه ، وسموق فرعه ، وغور جذوره ، وهذه الصفة كانت له مدداً زاخراً تمده بالفيض الهاطل ، من الإقدام والمخاطرة وحب المجد وطلب الرفعة والدأب لبلوغ الآمال .

وكما يعتبر شعر البارودى صورة صادقة لنفسيته، يعتبر صورة صادقة لبيئته، وما شاهده فيها من تبدل فى أحوالها، واضطراب فى أمورها، فكان ما قاله إخبارا عن هذا التاريخ المتميز بطابع الحيرة والتدخل السافر من الأجنبى، وأخذ ينادى بالإصلاح العاجل والإنقاذ السريع وتدعيم بنيان الأمة على أسس قويمة، ومن الأخذ بالشورى وإقامة الحياة النيابية السليمة، وهو يقول عن الشورى:

فمن استعان بها تأيد ملكه ومن استهان بأمرها لم يرشد

وكان ما كان من انتكاس الثورة، ونفى الشاعر هذه السنوات فى الغربة والألم والشقاء والمحن، فسجل يراعه النفثات الصادقة والآلام المبرحة والآيات الباهرة على عبقريته الفتية وملكته الشعرية الفنية، فترك لنا ديوانه الضخم دليلا على مكانته البارزة فى عالم البطولة والشعر، وأضاف إلى ذلك مختاراته الناطقة بسلامة ذوقه وحسن اختياره، وقوة فطنته، وآية حبه لشعراء هذه العصور ومكانتهم فى نفسه.

إن شعر البارودى كان طفرة فى الشعر الحديث، ومنهجاً حياً ترسمه المحدثون أمثال شوقى وصبرى وحافظ وغيرهم، فأحرى به أن يكون رب السيف والقلم، ورمز البطولة والتضحية، وما أجدر أن نذكر ذلك لمناسبة مرور نصف قرن على وفاته. رحمه الله.

محمد الدسوقى

بالشهادة الثانوية — معهد المنصورة

****

(المجلة) كما أراد البارودى لشعره أن يرتفع عن مستوى عصره، ويلتحق بعصور البلاغة فى صدر الإسلام، فقد كان ينبغى لنا أن نربط ذكراه بذكريات فحول البلاغة من الشعراء الإسلاميين الذين خلد ابن خلكان وأمثاله تاريخ وفياتهم بالسنة الهجرية، ليتصل حاضرنا بماضينا، وتكتمل منه وحدة متسلسلة. وجميل من كاتب هذه الكلمة أن ينتبه لذكرى مرور نصف قرن على البارودى الذى توفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤، وكان أجمل من ذلك لو انتبه هو أو انتبهنا نحن إلى أنه توفى فى ٤ شوال سنة ١٣٢٢ فيكون إحياؤنا لذكراه قبل سنتين أى فى شهر شوال سنة ١٣٧٢، ولعلنا نلاحظ ذلك فيما سنحاوله بعد الآن من إحياء الذكريات العربية الإسلامية العزيزة علينا، فنحيى مع ذكرياتها ذكرى هجرة الرسول الأعظم ونتخذها أساساً فى تاريخنا القومى والملى كما كانت الحال إلى ما بعد الجبرتى، بل إلى زمن البارودى ومعاصريه ؟

الأدب والعلوم

اشراف الازهر
على مدارس تحفيظ القرآن

تكرر حديث هذه المجلة عن تحفيظ القرآن وضرورة إشراف الأزهر عليه لأنه الأساس فى مناهج التعليم الأزهرية ثم قلنا فى ص ٣٤٤ من هذه السنة : إن السيد وزير التربية والتعليم وافق على تأليف لجنة للنظر فى موضوع مدارس تحفيظ القرآن التى تتبع الوزارة حالياً وجعلها تابعة الأزهر . وقد عقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات تدارست فيها الأمر ونظرت فيما يطلبه الأزهر من الموافقة على أن يوكل إليه الإشراف على هذه المدارس فى أنحاء الجمهورية المصرية .

وقد حدد المفهوم من هذه المدارس بأنه يشمل مدارس المرحلة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم التى أنشأتها الجمعيات أو الأفراد أو وزارتا الأوقاف والشئون الاجتماعية . وتبين للجنة من كتاب مشيخة الأزهر ومما عرضه ممثلو الأزهر أن الباعث على ضم هذه المدارس إليه إنما هو الرغبة فى إعداد من يريد الالتحاق بالأزهر إعدداً خاصا ، ومن أهم مقومات هذا الإعداد حفظ القرآن الكريم وإجادته تلاوة ، وخاصة بعد ما ظهر من أن كثيراً من هذه الجمعيات - فى وضعها القائم - لم تستطع أن تنهض برسالتها على ما ينبغى ، مما حدا بالأزهر إلى أن يتقدم إلى وزارة التربية والتعليم بطلب إشرافه على تلك الجمعيات .

وبعد أن بحثت اللجنة الموضوع من جميع أطرافه انتهت إلى رأيين : أن تظل هذه المدارس فى نطاق المدارس الحرة الخاضعة لوزارة التربية والتعليم على أن تتلقى رغبات الأزهر فى إعداد من يريدون الالتحاق به إعداداً خاصاً من أهم مقوماته حفظ القرآن الكريم وإجادة تلاوته ، كما تستأنس برأى الأزهر فى الخطط والمناهج لكى يتوفر له العدد اللازم من الطلاب المستجدين . والرأى الثانى هو أن تتبع هذه المدارس الأزهر الشريف على أساس أن يتخذ الأزهر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الإشراف ، وأن تكون المناهج فى تلك المدارس مساوية - فى سائر المواد الأخرى - لمناهج المدارس الابتدائية . وأن تشترك وزاة التربية والتعليم فى عمل المناهج

وإعداد المعلمين ، وأن يكون لها من السلطة على تلك المدارس ما يفرضه القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الابتدائى

واقترحت اللجنة - فى حالة الموافقة على أحد الرأيين - تشكيل لجنة بقرار وزارى تمثل وزارة التربية والتعليم ومشيخة الأزهر تكون مهمتها وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ القرار الذى يتفق عليه .

ولما رفع تقرير اللجنة إلى السيد وزير التربية والتعليم بادر فأعلن أنه يتنازل عن حقه فى الاختيار بين الرأيين المذكورين ، وأنه يترك لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حرية اختيار ما يراه أقرب إلى تحقيق النفع العام . وأمر المختصين فى الوزارة أن يتصلوا بفضيلة الأستاذ الأكبر ليقفوا منه على ما يستقر عليه رأيه حتى تشرع الوزارة فى تنفيذه .

وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يأخذ بالرأى القائل بتبعية هذه المدارس إلى مشيخة الأزهر على أن تتولى وزارة التربية والتعليم مراقبة الدراسة فيما يتعلق بالمواد المدرسية فيما عدا القرآن الكريم وما يتصل به ، على أن تبلغ ملاحظاتها إلى مشيخة الأزهر لتعمل على استكمال وجوه الخير والنفع .

ولما أبلغ هذا الرأى إلى وزير التربية والتعليم بادر سيادته بالموافقة عليه ، وأمر بإعداد قرار وزارى يقضى بإلحاق جميع المراكز الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم فى مختلف بلاد الجمهورية وعواصمها إلى مشيخة الأزهر منذ العام الدراسى الحاضر .

صحافتنا

كتب القائمقام السيد أنور السادات يصف مرحلة الاستعداد لإصدار جريدة الجمهورية فى العام الماضى ، ومما قاله :

« وجاءت عملية ترشيح المحررين ، وكانت مأساة !

وعرفت حقيقة مخزية ، عرفت أن كل إنسان منهم يكره الآخر ، وإن لم يكن يعرفه !

المسألة كانت محنة أخلاقية تمر بها صاحبة الجلالة !..

ولم أكن أدرى فى تلك الايام ، هل المسألة هى أننا نكره الخير لبعضنا ، أم المسألة أعمق من هذا .

على أى حال لقد استمعت إلى آراء كثيرة فى أناس كثيرين ، ولم تكن كلها صحيحة أو لوجه الله .

مدينة الأزهر

لطلبة البعوث الإسلامية

عقد اتفاق بين الأزهر وشركة التأمين والمساكن الشعبية لإنشاء مدينة سكنية لطلبة البعوث الإسلامية ، على أن تقام هذه المدينة على ٤١ وحدة سكنية تتألف كل منها من ٣ طوابق عدا الدور الأرضى.

ويحتوى الدور الأرضى على قاعة كبيرة للمطالعة ، وقاعة للاجتماعات ، وأخرى للألعاب الرياضية ، وقاعة للاستقبال ، ومطبخ كبير وخزانة لحفظ الطعام .

أما الطوابق الأخرى فيحتوى كل منها على عنبرين كبيرين يسع كل منهما عشرين سريراً ، وغرفة الاستذكار .

وقد أعدت كل وحدة سكنية لسكنى ١٢٠ طالباً ، وبذلك ستتسع مدينة الأزهر لسكنى ٤٩٢٠ طالبا من طلبة البعوث الإسلامية القادمين من السودان والصومال والبلاد العربية وسائر الأقطار الإسلامية لتلقى العلم بالجامعة الأزهرية .

وتضم المدينة مبنى للإدارة ، وآخر للنشاط الاجتماعى ، ومجموعة من المحال التجارية ، وستنشأ للمدينة شبكة للمجارى ورصف الطرق الداخلية بالمدينة وتنسيق المتنزهات والحدائق العامة .

وقد حدد لتنسيق هذا المشروع ٢٤ شهرا على أن تسلم المدينة قبل آخر نوفمبر سنة ١٩٥٦ وقدرت التكاليف الابتدائية بستمائة ألف جنيه

الأزهر فى جنوب السودان

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مع السيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان فى موضوع إنشاء معاهد تعليمية ثقافية فى جنوب السودان كالفاشر وجوبا والملكال ، وسيتولى التدريس فى هذه المعاهد والإشراف عليها علماء من الأزهر على أن يبدأ بذلك فورا .

مؤتمر التعليم الالزامى

للدول العربية

يعقد فى الأيام القريبة الآتية مؤتمر فى القاهرة للتعليم الإلزامى المجانى للدول العربية يستمر أسبوعين . وستشترك فيه اليونسكو وبعض المراقبين الأجانب . وسنشير إلى ما يتقرر فى هذا المؤتمر مما يهم القراء .

هل هم يهود ؟

هددت الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من (اليونسكو) إذا لم تتخذ هذه الهيئة الإجراءات اللازمة ضد الأمريكيين الرسميين الذين يعملون فى هيئة اليونسكو والمتهمين بعدم الولاء للحكومة الأمريكية ...

أنباء العالم الإسلامي

الجامعة العربية

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى اجتماعه بوزراء خارجية الدول العربية : إن المصالح العربية العاجلة تتطلب إعادة النظر فى ميثاق الجامعة وتحويله من مجرد (حبر على ورق) إلى (ميثاق عملى) . وتستدعى دراسة ميثاق الضمان الجماعى العربى دراسة عملية حتى يكون ميثاقا مهما يكتسب الثقة بين الدول العربية ، ويكتسب احترام دول العالم أجمع .

وقال : إن جميع الدول العربية تشكو مر الشكوى من الجامعة العربية ، مع العلم بأن الجامعة ليست إلا انعكاساً لحالة أعضائها ، وعيبها عيب الدول العربية .

وقال لوزراء خارجية العرب : إن مصر ترى أن اجتماعهم فى النصف الأول من يناير القادم سيكون الفرصة الأخيرة لتبت كل دولة عربية فى اتجاهات سياساتها الخارجية المختلفة ، وإن نتائج ذلك الاجتماع — من اتفاق أو خلاف — ستعلن للشعوب العربية حتى تعرف تلك الشعوب موقف حكوماتها من مختلف المسائل الحيوية .

وقال لهم : إن من المعروف أن السياسة الخارجية للدول العربية فيها نوع من التنافر الظاهرى ، ومن الضرورى - فى ظل الأوضاع العالمية الحاضرة - أن يجرى توحيد تلك السياسة على الأساس الوحيد الذى يمكن أن تجتمع عليه الآراء ، وهو أن تقوم الجامعة العربية بدورها كاملا كمنظمة إقليمية مستقلة .

وأكد لهم أن مصر تقيم سياستها الخارجية - حتى الآن - على أساس أنها إحدى دول الجامعة العربية ، وأنها لم تخرج عن هذه السياسة ، فمن الضرورى إعادة النظر فى ميثاق الجامعة العربية لدعمه وتحويله من (حبر على ورق) إلى (ميثاق ينال الإيمان الكامل للشعوب العربية وحكوماتها) كما أنه من الضرورى تعزيز معاهدة الدفاع المشترك ، والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية .

وشرح للوزراء العرب موقف مصر بوضوح فأكد لهم أن مصر لاتفكر فى الدخول فى أى أحلاف عسكرية ، أو دفاع مشترك . وأنها تعتمد كل الاعتماد على ميثاق الضمان الجماعى العربى ؛ وتريد أن يصبح هذا الميثاق حقيقة فعالة مستقلة تكسب الدول العربية

احترام دول العالم أجمع ، لأن ذلك الميثاق - بوضعه الحاضر - لا يدعو إلا إلى السخرية وعدم تبادل الثقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبينها وبين دول العالم كلها .

عضوية الجامعة العربية

قال السيد عبد الخالق حسونة لرؤساء وفود الدول العربية : إننى لا أعترض على أية دولة ترى من مصلحتها الانسحاب من الجامعة العربية ، ولكن الوقت قد أثبت بصورة واضحة أن الخير كل الخير لكل الدول العربية فى التمسك بعضوية الجامعة ، وبذل كل مجهود فى سبيل التعاون الفعلى لتقويتها .

مشكلة فلسطين

يتقرر مصيرها بالسلاح

قال فارس الخورى رئيس وزراء سوريا فى حديث له مع مراسل التيمس بدمشق : « إن تسوية مشكلة فلسطين أمر مستحيل ما لم تعمل الأمم المتحدة ، أو الدول الغربية ، أو العرب أنفسهم على رد اليهود إلى حالة من التعقل بالقوة . وأخشى أن يتقرر مصير هذه المشكلة بالسلاح فوق تلال فلسطين .

« إن العرب لن يلجأوا إلى الاعتداء أو استعمال القوة لاسترداد حقوقهم ، ولكنهم سيعدون أنفسهم للدفاع حسب ما يقتضيه ميثاق الأمم المتحدة .

« بيد أن إسرائيل ما فتئت تقبل المهاجرين اليهود . والمفهوم أنها ستعتدى على أراض عربية جديدة ، وفى هذه الحالة ستصبح الجولة الثالثة أمراً لا معدى عنه . وأشك أن العرب يعولون على الدول الغربية الثلاث ، لأنهم يرتابون فى محافظتها على العهود التى قطعتها على نفسها بمقتضى التصريح الثلاثى . مثال ذلك ما عمد إليه سفيرا بريطانيا وأمريكا من تقديم أوراق اعتمادهما إلى حكومة إسرائيل فى القدس ، فنقضت الدول الثلاث عهودها الخاصة بالمحافظة على الوضع السياسى للمدينة المقدسة . وأمامنا الوسائل التى ينتزع بها الصهيونيون مياه الأردن دون اعتبار لحقوق العرب . وإن المباحثات والمجاملات الدبلوماسية لا تجدى مع إسرائيل » .

وأكد فارس الخورى أن سوريا تتبع سياسة الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وتسعى إلى كسب صداقة كل منهما .

وقد عقب متحدث بلسان وزارة الخارجية على تصريحات فارس الخورى فقال : إن هذا الحديث لن يخفف من حدة التوتر القائم الآن بين العرب واليهود .

إلغاء المراسيم

قرر مجلس الوزراء إلغاء إصدار المراسيم فيما كانت تستصدر له ، والاستعاضة عنها بقرارات من مجلس الوزراء .

اصلاح قبة الصخرة

تقدمت إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مذكرة من سوريا عن قبة الصخرة فى بيت المقدس وحاجتها إلى الإصلاح . فقال وزير خارجية الأردن : إن هـذا الموضوع سبق أن اتخذ فيه قرار وعهد إلى الاردن بجمع تبرعات للقيام بهذا الإصلاح ، وقـد قامت الأردن بجمع هذه التبرعات ، وإن كان لا يعرف مقدارها بعد ، واقترح أن يترك أمر الإصلاح إلى الأردن على ضوء الإعانات التى جمعتها ، فإذا وجد أنها غير كافية فإنها تطلب من الدول العربية مساعدتها .

قناة السويس

عزم مجلس إدارة شركة قناة السويس على حفر قناتين صغيرتين تبدأ أولاهما من السويس وتبدأ الأخرى من بور سعيد ، على أن يتم حفرهما ويبدأ العمل فيهما من شهر مايو المقبل وكانت شركة قناة السويس قد حفرت من قبل قناة أخرى صغيرة منذ خمس سنوات وهى واقعة عند المنطقة الوسطى للقناة الرئيسية ، وستساعد هذه القنوات الصغيرة على تيسير حركة الملاحة من الشرق والغرب .

وقـد بلغ عدد السفن التى اجتازت قناة السويس حتى الآن نحو ٢٥٠ ألف سفينة ، والمنتظر أن تزداد حركة الملاحة فى قناة السويس لأن البيانات التى طلبتها الشركة أخيراً من مختلف شركات المـــلاحة ونقل البترول دلت على أنه سيبلغ عدد السفن التى تمر يوميا بالقناة ستين باخرة على الأقل .

حسين جاهد يالشين

هو الصحفى التركى الذى حكم عليه أخيراً ـ وقد بلغ الثمانين من عمره ـ بالسجن ٢٦ شهراً و ٢٠ يوماً لنشره مقالا أهان فيه رئيس الوزارة التركية ووزير الخارجية .

وأول ما عرف به حسين جاهد إصداره فى سنة ١٩٠٨ جريدة (طنين) التى كانت لسان الاتحاد والترقى فى كل ما كانت ترمى إليه من العصبية التركية ضد العناصر العثمانية الأخرى وفى مقدمتها العرب ، وفى تعاونها مع اليهود ولا سيما عنصر الدونمة فى سلانيك الذى كان يتظاهر بردته عن اليهودية ومنهم وزير المالية جاويد بك المحرف اسمه عن (دافيد) . كما كانت جريدة طنين لسان حال الدعوة إلى التفرنج والإلحاد تحت ستار الدعوة إلى التجدد والحضارة . ولما شنق كمال أتاتورك جميع رجال الاتحاد الترقى استطاع حسين جاهد أن ينجو من هذا المصير بإعلانه ميوله الموافقة لدعوة كمال أتاتورك من الناحية التركية والإسلامية ، ومضى

متحمساً للكماليين كتحمسه السابق للاتحاد والترقى . وهكذا استطاع أن يعيش فى ظل النظام المرسوم فى أنقرة قريباً من معيشته فيما مضى فى ظل النظام الذى كان مرسوما فى سلانيك . إلا أنه اندفع أخيراً فى تيار المعارضة للحزب الحاكم الآن فى تركيا تأييداً للحزب الآخر الأشد نزوعا إلى المبادىء الكمالية فحكم عليه بالسجن بعد بلوغه الثمانين من عمره .

نزعة استعمار إيرانى
نحو جزيرة البحرين

جزيرة البحرين من أعرق الأوطان العربية فى عروبتها ، وكانت تسمى فى العصور القديمة (جزيرة أوال) على اسم صنم لبنى بكر بن وائل وإخوتهم بنى تغلب ابن وائل قبل أن تعرف تغلب الديانة النصرانية ، وبنو وائل كانوا منتشرين على ساحل الخليج العربى ، وتسمية جزيرة البحرين باسم صنمهم (أوال) يشعر بهذه العلاقة العريقة بالقدم ، وقد قال السمهرى العكلى يصف ناقته - وضرب المثل بنخيل جزيرة البحرين وباسق أشجارها - فقال :

طروح مروح فوق دوح كأنما
ينـاط بجذع من (أوال) زمامها

بل إن الفينيقيين قبل أن ينزحوا عن وطنهم الأول نجد والأحساء (البحرين) ، أى قبل ستة وعشرين قرنا ، كانت جزيرة البحرين قلعة من قلاعهم البحرية بين جزيرة العرب والهند وسائر المشرق ، وكانت لهم ثغور اسم أحدها (صور) والآخر (أرواد) والثالث (جبيل) ذكرها الرحالة اليونانى (سترابون) فى كتابه عن الجغرافيا القديمة الذى ألفه قبل ميلاد المسيح وقال : إن فى هذه الثغور هياكل تشبه هياكل الفينيقيين ، وبعد أن نزح الفينيقيون عن بلاد المملكة العربية السعودية إلى ساحل الشام سموا بعض الثغور الشامية بأسماء بلادهم التى كانت لهم فى ساحل البحرين ، وفى القرن الماضى اكتشف الكابتن دوران ثم تيودور بنت نحو ستة آلاف مدفن للفينيقيين فى نفس جزيرة البحرين وسط سهل (المراقيب) بين (المنامة) و (الرفاع) . فهذه الجزيرة العريقة فى عروبتها كانت إيران أيام الصفويين قبل مائتى سنة تعتدى عليها بالغزو الاستعمارى كما تعتدى على العراق نفسه ، ثم رفع الله تلك المحنة عن البحرين وغيرها ، والآن تتجاهل إيران مشاكلها ومحنها وتراسل لبنان والأردن مدعية أن لها حقوقا استعمارية على البحرين ، وقد أحالت لبنان والأردن هذه الدعاوى إلى جامعة الدول العربية فاستنكرت الجامعة العربية هذه الدعاوى ، والناس يقولون : إن الشرق العربى لم يعد يقبل الاستعمار من الدول العريقة به فكيف يقبله من مثل إيران ومن يعش ير .

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين في كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٤ - ٢٦ ديسمبر ١٩٥٤ - الجزء التاسع - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

أمـــة وسط



« وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسولُ عليكم شهيدا »

سورة البقرة – الآية ١٤٣

أعلن وزير ماليتنا فى الشهر الماضى أن مجموع الدخل المصرى إذا وزع على سكان بلاد الجمهورية جميعا أصاب الفرد الواحد منهم ٣٩ جنيها فى السنة . بينما متوسط دخل الفرد الواحد فى الولايات المتحدة الأمريكية ٧٩٩ جنيها ، وفى بريطانيا ٢٨٤ جنيها ، وفى فرنسا ٢٤٠ جنيها . وقبل أن يعلن وزير المالية المصرية هذه الحقيقة المؤلمة كانت الإحصائيات المتوالية تقرع آذان الناس وتلفت أنظارهم إلى هذه الحقيقة فى كل عام .

وإذا كان متوسط الدخل السنوى للفرد من سكان مصر ٣٩ جنيها ، فإن المشاهد أن فى هؤلاء السكان من يبلغ دخله ألوف الجنيهات ، ومعنى هذا أن الحد الأدنى لدخل العدد الأعظم من الذين يعيشون على ضفتى النيل المبارك قد يهبط إلى خمس هذا المتوسط الذى ذكره وزير المالية . وفى كتاب (مبادىء علم الاجتماع) للدكتور صلاح العبد أن متوسط أجر العامل الزراعى فى أيام العمل خلال عام ١٩٥٠ كان عشرة قروش فى اليوم ، وإذا علمنا أن متوسط عدد أيام العمل الزراعى يبلغ ١٨٠ يوما فى السنة تبين لنا من ذلك أن متوسط الدخل اليومى للعامل الزراعى لا يزيد على خمسة قروش ، والقدرة الشرائية لخمسة القروش فى سنة ١٩٥٠ تساوى القرش الواحد أو بضعة عشر مليما من نقود سنة ١٩٣٩ وما قبلها ، وقد يكون العامل ممن يعولون أطفالا لا يعملون ، فتكون معيشتهم ونفقتهم محملة على هذا الدخل الهزيل لعدد عظيم من المواطنين .

وسبب هذا التفاوت فى الدخل بين الحد الأدنى والحد الأعلى فى مصر يرجع إلى سوء توزيع الأراضى الزراعية عندنا ، فان ٧٢ فى المائة من الملاك الزراعيين هم الذين كان يملك الواحد منهم إلى سنة ١٩٤٩ أقل من نصف فدان . و٢ فى المائة منهم هم الذين يملكون من ١٠ أفدنة إلى مائة فدان فئات ، وبين الذين يملكون أقل من نصف فدان وهم ثلاثة أرباع الملاك ، والذين يملكون عشرة أفدنة إلى مئات وهم ٢ فى المائة توجد طبقة وسطى نسبتها ٢٣ فى المائة ، والواحد منهم يملك بين فدان وعشرة أفدنة ، وهذه (الطبقة الوسطى) فى مصر الضائعة بين أهل الشظف والفاقة ، وبين أهل البطر والتبذير هى التى أردت أن أتحدث عنها اليوم .

إن الطبقة الوسطى هى معدن الخير فى كل أمة ، وأفرادها هم أهل العافية والرضا والاستقرار ، لأنهم ارتفعوا عن منزلة الفقر المدقع الذى كاد أن يكون كفراً ، وعافاهم الله من بلاء الغنى الفاحش الذى هو عنوان الطغيان فى كتاب الله « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » .

وهذه النعوت الخلقية للطبقات الدنيا والمتوسطة والطاغية قد تزول سريعاً بزوال أسبابها إذا لم تكن عريقة فى الوراثة ، فينحط ابن الطبقة المتوسطة عن مرتبته الخلقية إذا افتقر ما لم يعصمه من ذلك ميراث أصيل من الفضائل ، ويتحلى ابن الطبقة الدنيا بخير من أخلاق طبقته إذا عنى المجتمع بتربيته وتخفيف وطأة الفقر عنه ما لم تكن الأمراض الخلقية مستعصية فى بيئته منذ دهر طويل ، وتتجه مواهب أبناء الأغنياء نحو الخير إذا حسن تهذيبهم وتوجيههم ما لم يكن الطغيان عريقا فيهم إلى حد الغرور والصلف .

يقول الله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » . وقد أجمع المفسرون على أن « الوسط » هم خيار الأمة ، وإنما كانت الأمة التى اختارها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أمة وسطا لأنهم لا يعرفون نظام الطبقات ، فالغنى فيهم لم يكن من ذوى الغنى الفاحش الذى تتأصل به خليقة الطغيان فى نفس صاحبه ، والفقير منهم متوسط الفقر وقد جبر الله فقره بما طبعه عليه من طبيعة الاستغناء والتحرر من معظم الكماليات ، فهم فى بيئتهم لم يكونوا يعرفون هذه الكماليات ، ولذلك لم يكونوا يحتاجون إليها . فالأمة كلها كادت تكون أمة وسطا فى معايشها ، فكان لذلك أثره الخلقى من العفة والرضا والاستعداد للخير . وكانت هذه الأمة الوسط فى حاجة

إلى معرفة طرق الهدى وأسباب السعادة لترتفع إلى مرتبة الشهادة على الأمم والحكم على منازلها من الحق والخير ، فبعث الله إليها رسوله بهذا العلم ، ووضع بين أيديها سنن الفطرة ، وقواعد العدل ، وأحكام التشريع الإنسانى ، فكان لها من ذلك ميزان تزن به أخلاق الأمم وأحداث التاريخ ، فتشهد على الأفراد والجماعات بما تدل عليه موازين هـــذه السنن والقواعد والأحكام ، وتتوجه عليها ـ هى نفسها ـ شهادة الرسول عليها مدة حياته ، وبما تركه لها من هذه السنن والقواعد والأحكام بعد انتقاله من بين ظهرانيها إلى الرفيق الأعلى .

إن مدار هذه الشهادة على الناس بموازين الإسلام قائم على الاعتدال الذى أراد الإسلام لأمته أن تكون أمة وسطا ، وأن تكون الطبقة الوسطى من هذه الأمة هى صاحبة النسبة الكبرى فى تعدادها ، لأن الطبقة الوسطى هى معدن الخير ، وأهلها هم أهل العافية والرضا والاستقرار . والوسط خير الأمور فى ميزان الإسلام ، بل هو لسان الميزان ، وهو العدل . وذلك أن الزيادة على المطلوب فى كل أمر إفراط ، والنقص عنه تقصير وتفريط ، وبالإفراط والتفريط يخرج الناس عن الصراط المستقيم . والاعتدال مطلوب بنظر الإسلام فى كل شىء حتى فى الدين ، وقد ورد النهى عن الغلو فى الدين كما ورد النهى عن التفريط والتقصير فيه .

لقد كتب الله النجاح لرسالة الإسلام على أيدى أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم كانوا أمة وسطاً ، ولعل من حكمة الله فى اختيارهم لصحبة خاتم رسله ، واختصاصهم بمؤازرته على حمل أعباء رسالته ، كونهم أمة وسطاً فطرت على الاعتدال ، والبعد عن الإفراط والتفريط ، ولذلك استجابوا لرسالة الإسلام فيما دعتهم إليه من القيام بالحق فى كل شىء ، فأعطوا أجسادهم حقها من الوقاية والرعاية ، وأنفسهم حقها من التطهير والتهذيب ، وجيرانهم حقهم من حسن الجوار وجميل التعاون ، وفقراءهم حقهم من التعهد بالبر والإحسان ، ودينهم حقه من العمل به والدعوة إليه وكف عادية الأعداء عليه ، وهذا من ثمرة العلم الذى تعلموه من حامل أكمل رسالات الله ، فأعطوا كل ذى حق حقه ، ثم كانوا شهداء على الناس بما أدوا وما أهملوا من هذه الحقوق ، ورضوا برسول الله ﷺ وبرسالته شهيدا عليهم .

وحتى الذين كانوا أغنياء من أصحاب رسول الله ﷺ ـ كأمير المؤمنين عثمان ذى النورين وعبد الرحمن بن عوف ـ كانوا فى أنفسهم يعيشون عيشة وسطاً ، وكان لهم من فضل أموالهم ما آزروا به الإسلام وأهله فى سلمه وحربه وفى كل ما يعلى مراتبهم عند الله .

الإسلام لم يحظر على أهله الثروة والغنى ، ولكن كان من طبع أهله الذين تشبعوا بسننه وأخلاقه أن يجعلوا فضل غنائم فى سبيل الله وإسعاد الأمة ، وبذلك نزه الله سيرتهم عن الطغيان الذى وصف به من يستغنى من دهماء الناس وخشارتهم .

والإسلام إذا امتلأ بالإيمان به قلب الفقير أعانه ذلك على احتمال شظفه ، وزاده عوناً على ذلك ما يربى به الإسلام أهله من العفة عن التبذير ، والتحرر من كل ما يزيد على ضرورة العيش .

ثم إن من مقاصد الإسلام مكافحة الفقر والنهوض بمستوى أهله ليكثر أهل الطبقة الوسطى فى المجتمع الإسلامى فتكون منهم الأمة الوسط التى تحاول أن تتشبه بأخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلمهم وحربهم وفى رخائهم وأزماتهم وفى جميع أحوالهم .

والملاحظ الآن فى مصر وسائر الأوطان الإسلامية عناية ولاة أمورها بمكافحة الفقر والنهوض بمستوى أهله ، وأكثر ما تتوجه إليه هذه العناية فى الماديات من أسباب العيش ، وفى نشر التعليم بين أبناء الجيل الذى سيحل محل آبائه فى المستقبل القريب . وإن من سعادة مصر والأوطان الإسلامية كلها أن تزدوج مهمة ولاة الأمور فى إسعاد الطبقة الفقيرة ، فيكون مع العناية بتحسين معايشها العناية بتعريف الإسلام إليها وتحبيبه إلى قلوبها وتوجيهها فى طريقه ، ولا سيما فى (تحريرها) من التبذير والانفاق فيما لا يسمن ولا يغنى من جوع كالدخان والشاى والملاهى ومدارج الإثم .

فالعناية بنفوس هذه الطبقة وأخلاقها لا تقل أهمية عن العناية بزيادة مواردها وتحسين حالها فى معايشها ومساكنها ، والإسلام إذا عرفنا السبيل إلى إدخاله فى نفوس أهله هو الوسيلة الأولى والأخيرة للإكثار من عدد الطبقة الوسطى ، فإنه رسالة الأخلاق ، ودين الكفاح والعمل ، ومدرسة التعاون وحسن التعامل . وإذا كان من الصعب النجاح الكامل فى هذا الميدان بين الذين شبوا عن الطوق ، فلا أقل من أن تكون المدرسة فى البلد الإسلامى مصنعا لتخريج الجيل الإسلامى المؤمن بالاعتدال والتعاون على البر والتقوى ليكثر به سواد (الطبقة الوسطى) ، وهذا هو الطريق إلى المستقبل .

محب الدين الخطيب

- ٢٤ -

من مناقب المسيح عليه السلام

ويكلم الناس فى المهد ، وكهلا ، ومن الصالحين

١ — إثبات هذه المكرمة لعيسى لا يقبل الجدل ، ولا تعلق به الريبة بعد خبر القرآن ، وحديثنا عن تكلم عيسى فى المهد يقتضينا أن نمهد له بالعود إلى ذكر مريم ، فإن هذا الشأن من ذاك على تمام الاتصال .

٢ — وقد كان قصص مريم عجباً غاية العجب لأنها - كما قلنا - كانت فتاة من الفتيات ، ثم أما من الأمهات ، ولكن شأنها كله لم يكن كشأن سواها من نساء العالمين ، ومع بلوغها ما بلغت من العجب فهناك سند من الحق لا يجعل أمرها غريباً غرابة الشىء الذى تنكره الأفهام ، أو تتريث العقول فى تصديقه ، بل يجعل أمرها فى منزلة الشىء الذى يتقبله الذهن ، ويعيه القلب ، فى استجابة لا تعتريها الشبهة ، ولا يعوزها التمحيص ، ذلك السند هو أن نبأ مريم كله مستمد من الكتب السماوية ، وليس من روايات القصاص ، وأنه جاء فى آيات بينات من القرآن ، والقرآن لا يتهم بالتعصب لمريم ، فلماذا لم يكن أمرها مستساغا عند آخرين ممن عرفوا ذلك ؟ .

٣ — والجواب : أن الأمر يبلغ مبلغه من العجب فيجتذب أناساً إلى قبوله ، والاقتناع به إلى درجة الدفاع عنه ، والموت فى سبيله ، لأنهم يدركون من قرائنه أنه غير مصطنع ، ويتجهون بتوفيق من الله إلى أن غرابته آية صدقه ، وأنه الحق لا ريب فيه ، إذ أن مرد ذلك إلى قدرة الله ، وكل شىء بالقياس إلى قدرة الله سهل مستساغ .

وهذا مبعث الإيمان لمن تهيأ للإيمان بفطرته ، دون أن ينازعه شك أو يمعن فى جدل .

٤ — ومثل ذلك فيمن سبق إلى الإيمان بموسى - عليه السلام - حينما تبين لهم أن معجزته

فوق سحر فرعون ، وكذلك من سبق إلى الإيمان بعيسى - عليه السلام - حينما رأوه يبرىء الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ومن آمن بمحمد - صلوات الله وسلامه عليه - حينما رأوه يتلقى الوحي من عند الله ، ويطالعهم بآيات من القرآن الذي عرفوا مبلغه من البلاغة الساحرة ، وقدروه قدره ، وحينما رأوه مؤيداً بالمعجزات التي لم يكن لهم بمثلها عهد ، وكذلك القول في سائر النبيين مع من آمن بهم من أقوامهم ، لاقتناعهم بأن دعواهم النبوّة صادقة ، لاقترانها بالمعجزة الخارقة للعادة .

٥ — هذا وقد يكون مبلغ العجب من الشيء نفسه أن تنكره أفهـــام ، وتقف دونه عقول .

ومرد ذلك عندهم إلى ما ألفوا ، وأن الأمر في حسابهم مقيس بقدرتهم ، فيدفعهم الجمود على هذا إلى المكابرة العنيفة ، والمقاومة الصاخبة ، حتى تكون حروبا طاحنة .

ومثار ذلك أنانية متحكمة ، وغرور متأصل ، وانحراف في الفطرة ، ومنتهى ذلك كله كفر بالحق ، وصدود عن الهدى ، وأحقاد موروثة من بعد .

ومثل ذلك فيمن كفر بالأنبياء من قبل ، ومن كفر بموسى ، وعيسى ، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - من بعد .

وهؤلاء الذين كفروا ، وأولئك الذين آمنوا ، يقفون أمام شيء واحد هو هو ، ولكن العجب من ذلك الشيء يقع موقع الرضا عند فريق ، وموقع السخط عند فريق .

وفي مثاني القرآن أمثلة كثر ، وما نحب أن نطيل فيها ، وحسبك أن تقرأ أي موضوع فيه مناسبة للمنافقين أو الكفار ، فإنك واجد فيه تفصيلا لما أجملنا ، وتأكيداً لما أسلفنا ، وهو يزيدك معرفة بأن المحاجة والنقاش فيما يزيد عن التفاهم لا يكونان وسيلة إلى الاقتناع والاستسلام للحق ، وإنما هما تبرير للمخالفة ، ووقود للخصومة .

٦ — وقصدي - وقد أطلت عليك في التمهيد - أن نصل الحديث بمريم وعيسى عليهما السلام .

فإن مريم أتت بعيسى دون أن تضاجع زوجاً ، أو تعرف عنها صلة بالرجال .

وذلك أمر يثير العجب عند الناس، وعند آل مريم، لأنهم لا يعهدون مثله، فلهم العذر إذا دهشوا له، ولهم العذر إذا وقفوا ـ أولا ـ من مريم موقف الندم والتساؤل (يا أخت هرون !! ما كان أبوك امرأ سوء. وما كانت أمك بغيا ؟؟) فهم يشهدون لها بكرم الأصول، وكرم البيئة : من أخ ، وأب ، وأم . وهم ـ فى مريم ـ بين ماض طيب موثوق منه ، وبين حاضر مريب ، يخافون منه على سمعتها وعلى مناقبها أن تذهب بها الغواية ، ويتخوفون منه على مجدهم وشهرتهم أن يذهبا فى غبار الشبهة التى تثار حول مريم الآن .

وهم يواجهونها بتأسيف ممزوج بتلطف (يا أخت هرون) فهرون مثل مشهود بينهم فى الفضل ، ومن تكن أختاً له تكن مثله (ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغيا) فإذا كان الولد من أبوين صالحين ، فالشأن فيه أن يكون كذلك ، إذ لا خبث فيهما حتى يكون الخبث نزعة منحدرة إليه من أصوله .

وفى ضوء هـذا الموقف نستفيد أن الوراثة عاملة عملها فى الذرية، وأن الفرع ينجم من أصله — كما حفلت بذلك آداب الإسلام وحكم العرب — ونستفيد أن استهجان الفاحشة أمر قديم، وأن مجرد الظن بحصولها يثير النفوس الأبية، ويغضب القلوب الطيبة، وهذا هو وحى الفطرة التى آزرتها الأديان السماوية من قبل مريم ومن بعدها .

فلا عجب أن يستشيط أهلها لأمر كهذا، وأن يتطلعوا منها إلى جواب يكشف غامضه .

وهذا موقف يغص فيه المرء بريقه، ويقف عن الكلام لسانه، وماذا يملك الحر البرىء من وسائل الدفاع عن نفسه، حينما تقوم الشبهة وتعجزه الحيلة ؟ ؟ هذا مقام النجوى إلى الله، والركون إلى جانب الله .

٧ — وسنة الله فى عباده قـديما : أن من يتق الله يجعل له مخرجا . . وأن من يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

وهذا ما صنعته مريم . . فقد آثرت ألا تحاجج عن نفسها، واتجهت إلى الله بعقلها وخواطرها، وفوضت إليه أن يتولى براءتها مما زعموا، وأن يحفظ عليها سمعتها، ويكفهم عن التشكك فيها ، وهو الله الذى بشرها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ، وهو الله الذى اصطفاها، وطهرها، واصطفاها على نساء العالمين .

٨ — ولقد صدق الله وعده بما وضعت ، فلم يبق إلا أن يعلم القوم بما خفى عليهم ، فكان من إعزاز الله لها أن ألهمها الإشارة إلى طفلها ففعلت .

ولكن الأمر عند القوم يزداد عجمة وغرابة ، وهم لذلك يبادرونها بقولهم (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ؟ ؟ وهنا تشرق الحقيقة المنشودة ، وينجلى الأمر الغامض ، إذ أنطق الله الصبى فى مهده بخير ما ينطق إنسان ، وأصدق ما يلهج به لسان (قال : إنى عبد الله ، آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبراً بوالدتى ، ولم يجعلنى جباراً شقيا ، والسلام علىّ يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا) .

نعم : كان عيسى فى مهده ، وقد خاض الناس فى شأنه ، ومريم كانت تحسب لهذا اليوم حسابه ، وتتوقع ما يثار حولها يوم يكون الوعد بكلمة الله أمراً مقضيا . وهذا ما حدا بها إلى الخروج من معتكفها بالمسجد ، وإيوائها إلى جذع النخلة بالمكان القصى عن محلة القوم .

وسواء أكان ذلك المكان فى مصر أم كان عند بيت لحم هناك كما يختلف الرواة ، فقد عادت بطفلها مع من يرعاها من أهلها إلى حيث يقيمون .

وقد كان منطق عيسى بينهم فصل الخطاب ، ومقطع النزاع .

كان فى هذه العجيبة الكريمة من عجائب الله فى عيسى ما يجلو الشبهة ، ويرفع من شأن مريم أكثر مما رفعتها مناقبها المعهودة لهم ، فإن الوضع من غير زوج أصبح مكرمة ربانية للعذراء القانتة ، بعد أن نطق صبيها فى مهده بما نطق على مسمع ومرأى من جمهرة لا تكذب .

٩ — وكانت هذه العجيبة الربانية آية جديدة على ما يكون لهذا الوليد من الشأن ، فقد جهر فيهم بأنه عبد الله ، وأنبأهم بأنه سيؤتى بكتاب من عند الله ، وكأنه قد أوتى به فعلا فأخبر بصيغة الماضى ، وأنبأهم بالنبوة ، وأنه مبارك من عند الله فى كل آونته وأعماله ، وأنه سيكون متعبداً بما يفرض الله من صلاة وزكاة ، وسيكون باراً بوالدته

لأنها كريمة على ربها ، وسوف لا يكون جباراً على الناس ، ولا شقيا فى نفسه ولا بين معاصريه . وهذه المكارم الخلقية إلى جانب صفاته الدينية ، وإلى ما سبق من محامد مريم ، وما لحق من مفاخر عيسى ، كلها مآثر ناطقة أفصح النطق بمنزلة مريم وعيسى عند ربهما ، وكلها قاضية أحكم القضاء بأن نؤمن بعيسى وأمه على نحو ما بين الله فى شأنهما : لا نزيد ، ولا ننقص .

١٠ — ولكن هذه المكارم الحقة العجيبة كانت مفترق الطرق ، فأناس تقبلوا ذلك كله فى أوضاعه الصحيحة ، وعاشوا أو يعيشون على الإيمان به حتى يفارقوا دنياهم ، ويلقوا ربهم غير شاكين فى هذا ولا منحرفين عما رسم الله .

وأناس استكثروا ذلك الفضل على عيسى وأمه ، وغاظهم أن يخرج عليهم نبى بعد نبيهم ، فلغطوا كثيرا ، وأمعنوا فى اللغط ، وشمخوا شموخا كاذباً عن دعوة الحق ، والحق أبلج عند من ينظر إلى الأمور بعقله ، وقلبه ، وإنصافه ، وينظر فى مراسم الدين والتدين من المنافذ المشرقة المضيئة حتى يتبين له الرشد من الغى .

والقضية ليست قضية شخصية ؛ يحاول كل طرف من أطرافها أن يتغلب على صاحبه : محقاً أو مبطلا ! !

وإنما هى دين سماوى يقتضينا البعد عن المجازفات الطائفية ، والتنزه عن الغض من رسول رفع الله من قدره ، وخصه بحظ وفير من فضله .

ومن سنة الله أن يكون لكل نبي عدو من المجرمين ، ومن سنة الله كذلك أن يبين للناس معالم الهدى ، ومواطن الزلل ، ليتعرفوا موقفهم من ربهم ، ولئلا تكون لهم حجة عنده ، بعد أن دعاهم على ألسنة أنبيائهم ، ولو أنهم أصاخوا إلى الدعوة المسموعة على لسان كل رسول لتخلصوا من كثير من الشر ، وظفروا بأكثر مما يطمعون فيه من الخير ، ولكن ...

وإلى العدد القادم

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



قصة أبي طالب

- ٢ -

يأس الرسول صلى الله عليه وسلم من هداية عمه - يأسه من الاستغفار له - شفاعته فيه - عمه أهون أهل النار عذابا - جزاء من جنس العمل - مكرمة لأبي لهب - أداء الله عن نبيه .

عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلى منه دماغه !

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

لو لم يكن من شأن أبي طالب إلا أنه عم النبي ﷺ وكفيله ، لكان بتلك العمومة الحميدة ، والكفالة الرشيدة ، جديراً باهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وعنايته الكريمة . . . فكيف إذا كان أبو طالب أول الذين عزّروه ونصروه وشدوا أزره ، ودافعوا عنه وعن دعوته ما استطاعوا إلى الدفاع سبيلا . . .

ولو أن أبا طالب وهو يعزر النبي ﷺ وينصره ، اتبع النور الذى أنزل معه ـ لكان فى طليعة السابقين الأولين ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، ولكن أضله الله الذى يضل من يشاء ، ولو تربى فى بيت النبوة والرسالة ! ويهدى من يشاء ، ولو نشأ فى حجر الكفر والضلالة « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » .

* * *

استيئس الرسول صلوات الله وسلامه عليه من هداية أبى طالب بعد أمرين :

بعد أن عرض عليه كلمة التوحيد فردها أحوج ما يكون إليها ، وكان آخر كلامه : هو على دين عبد المطلب ؛ وبعد أن أنزل الله فيه قرآناً يتلى : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

ثم استيئس صلوات الله وسلامه عليه من الاستغفار له ، بعد أن أنزل الله فيه وفى غيره « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

* * *

هذا بعض شأن النبى الكريم ، ذى الخلق العظيم مع عمه أبى طالب !!

أمنية ملؤها الحنان والرحمة ، أن يهديه الله للإسلام ، جزاء ما قدم له من أيادٍ جسام ...

ثم عاطفة يحدوها الألم والأمل ، أن يغفر الله له ، ويهبه لنبيه أكرم الخلق عليه ، وأقربهم إليه ...

ثم رجاء كريم ، فى رب رحيم ، أن يشفعه فيه ، فيخفف عنه عذاب الخلود فى جهنم !! لا بتقصير مداه الذى لا ينتهى أبداً ... ولكن بأن يكون أهون أهل النار عذابا يوم القيامة ، وإن كان هو يرى أنه أشدهم عذاباً !!

* * *

وقد حدثنا النبي ﷺ من طريق عمه العباس رضى الله عنه ، لما سأله عن أخيه أبى طالب ، وعما يرجو من الله له - أن الله تعالى شفّعه فيه بجعله فى هذا المقدار القليل من النار ، ولولا هذه الشفاعة لكان فى أسفلها دركا ، وأقصاها مدًى .

وتفسير ذلك - فى الصحاح - أنه يوضع فى أخمَص قدميه جمرتان أو نعلان من نار يغلى منهما أم دماغه كما يغلى المرجل والقمقم ، وفى رواية : كما يغلى المرجل بالقمقم [1] .

* * *

وكأن أبا طالب لما زحزح قدميه عن الدين القيم ملة إبراهيم حنيفا ، وثبتهما على ملة عبد المطلب - ثبت الله قدميه فى هذا الضحضاح جزاء وفاقا . . .

ولولا كلمة سبقت من ربك : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » لغفر لأبى طالب شركه ، تحقيقا لأمنية طالما تمناها النبى صلى الله عليه وسلم ، وتمناها أصحابه معه ، إقراراً لعينه ، ومكافأة لصنيع عمه . . .

* * *

على أن استجابة الله تعالى لهـذه الشفاعة النبوية الرحيمة - فوق أنها تكريم للنبى صلوات الله وسلامه عليه ، وفضيلة له ولعمه خاصة - هونت عليه كثيرا مما قاسى فى هداية عمه ! ! ثم كانت أجل وأعظم مما قدم أبو طالب لدين الله ونبيه من صنيعة . . .

* * *

ومما يتصل بهذا إكرام الله لنبيه بتخفيف عذاب القبر كل ليلة اثنين عن عمه أبى لهب ، وكان من أعدى أعدائه ، وأشدهم فى مناوأته وإيذائه ! ! وذلك بأنه أعتق جاريته ثويبة حين

---

(١) أخمص القدم : باطنها ، والمرجل : إناء يغلى فيه الماء وغيره ، والقمقم : إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء ، وقيل هو البسر ، كانوا يغلونه استعجالا لنضجه . والتفسير الأخير ملائم للرواية الأخيرة . ذلك ، ومن عجائب الاتفاق ما أشار إليه صاحب الفتح من أن الذين لم يسلما من أعمامه صلى الله عليه وسلم أبو طالب واسمه عبد مناف ، وبينه وبين أسماء المسلمين جفوة وتناف ، وأشد منه جفوة وتنافيا أبو لهب واسمه عبد العزى ! ولا جفوة فى حمزة والعباس رضوان الله عليهما .

بشرته بولادته ، قالت له : أشعرت أن آمنة ولدت لأخيك عبد الله غلاما ؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرة . . .

وقد صح أن أخاه العباس رآه فى النوم بعد سنة من وفاته ، وكانت بعد وقعة بدر ، فقال له : ما حالك ؟ قال : فى النار بشر حال أو بشرحيبة[1] إلا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين أمص من بين إصبعى هاتين ماء ، وأشار إلى النقرة التى تحت إبهامه . . .

* * *

وكذلك يريد الله ألا يجعل لأحد ديناً فى عنق نبيه من منة أو صنيعة إلا كافأه بها ، ولو بدرت منه عفوا غير مقصودة . . .

* * *

أليس الذى يجزى أعداء نبيه أحسن مما قدموا له من صنيعة — بقادر على أن يجزى أحبّاءه أضعافا مضاعفة ، وهم الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ؟ بلى ، إنهم جدراء بأن يضاعف جزاءهم ويؤتيهم من لدنه أجرا عظيما ؟

طه محمد الساكت

العمل الصالح

قال الفضيل بن عياض فى تفسير قول الله عز وجل (فى سورة هود وسورة الملك) : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ، قال : أخلصه وأصوبه . قال : فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يتقبل . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

(١) بالحاء المكسورة أو الخاء المفتوحة .



محنة الأدباء

بعـــــد محنة الأدب

تحدثت فى كلمة سابقة عن محنة الأدب ، وعرضت لشىء من أسبابها وعللها .

وفى النفس أن أتحـدث اليوم عن محنة الأدباء ، وقد بعثنى إلى ذلك ما قرأته عن حفلة لذكرى أديب من أدباء مصر المشهورين ، وأحـد علمائها الدينيين ، وهو المرحوم الأستاذ أحمد أمين ، فقد ذكرت بعض الصحف أن جملة المحتفلين بهـذه الذكرى كانوا أربعين رجلا ، هم زملاؤه فى المجمع فقط ، وواحد من عامة الشعب ذوى الجلاليب البيضاء

ولعمر الحق لقد غشيتنى الحسرة وأرمضنى الألم ، وقلت لنفسى : يا لله !! أهـذا هو تقدير الأدباء فى مصر وتقدير الشعب لذكراهم . أفليست هذه محنة ، بل داهية دهياء ، وبلية طخياء ؟ وإذا كان ذلك تقدير أحمـد أمين فماذا يكون تقدير غيره من الأدباء ممن هم دونه علماً وأدباً ، ومقاماً ومنصباً . أتقابل ذكرى أحمـد أمين بهذا الجحود والنكران ، وهو الذى خدم النهضة الأدبية والتاريخية والثقافية عامة : مدرساً ومؤلفاً وكاتباً وخطيباً وناشراً ، خدمة لا نغلو إذا قلنا : إنها من أعظم ما قدم للأدب والتاريخ فى الربع الثانى من القرن العشرين كما يحس بذلك كل من له صلة بالتاريخ والأدب والصحافة .

وماذا يبقى للأدباء من العزاء ، وما الذى يبعثهم على الدأب والإنتاج ، وأن يذيبوا نفوسهم ، ويصهروا عقولهم ، ويطفئوا نور عيونهم ، ليقضوا حق الأدب ، إذا كانوا لا يقدرون أحياء ولا أمواتا ؟ !!

لقد كان عزاء الأدباء إذ نبا بهم المقام ، وتنكر لهم الزمان أحياء ، أن يقدرهم التاريخ ، وتنصفهم الأجيال ، وأن يقدروا جهودهم وذكراهم أمواتا ، ولكن إذا عز هذا وذاك فما يكون العزاء ؟

لو كان أحمـد أمين عضوا فى نقابة الممثلين أو المطربين أو الطباخين لاحتشد لتكريم ذكراه جموعهم ، وتبارى فى الإشادة بمناقبه ومآثره خطباؤهم ، وامتلأت أنهار الصحف بتقدير جهاده وجهوده . إن الصحف التى فاضت أنهارها أياما بحادث تافه لسيدة مغامرة ،

ضنت على أحمد أمين يوم وفاته ويوم تأبينه بنهر من أنهارها تودى به حقاً لأديب وعالم وصحفى من أشهر أدباء مصر وعلمائها .

* * *

وإنا إذا كنا نلقى بعض العتب واللوم على جمهرة الشعب لتقصيرها فى تكريم العلماء والأدباء، فإنا نوجه العتب كله واللوم كله إلى الأدباء أنفسهم ، وإذا كان للأسباب الشخصية بين الأدباء أثرها فى التهاون بتكريم الأحياء من الأدباء ، فقد كان حريا أن ينسيهم جلائل الموت هذه الأسباب فى تكريم الراحلين منهم . وتكريم ذكرى الأديب ليس تكريما لشخصه ، بل هو تكريم للأدب والعلم ، وإشادة بالأدباء والعلماء ، وإذا هانت على الأدباء أشخاصهم ، فلا ينبغى أن تهون عليهم آثارهم وأفكارهم .

لقد كنا نغضى على القذى حين نحس بما يعانى بعض الأدباء من قسوة فى العيش ، وضيق بالحياة ، وما كانوا يلقون من إهمال ، وشهدنا من الأدباء من ضاقت به وسائل العيش ، فركب مضطرا خشن المراكب ، وسلك مسالك لا يحمدها الأدب والأدباء ، والمضطر يركب الصعب من الأمور ، وطالب القوت ما تعدى :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

ومن العجب أن تروج كل الصناعات ، وتجرى رياح الحياة رخاء على أهلها ، ويخلع الزمن عليهم ثياب العز ، ويضفى عليهم حلل النعيم ، فيشعروا بتبدل الحال وتطور الزمن ، إلا صنعة الأدب ، فقد تشابهت أزمانها ، واطرد البؤس فى أهلها على اختلاف العصور ، حتى ان ما قيل فى كساد حرفة الأدب وسوء أحوال الأدباء من قديم الازمان ما زال جديدا صادقا يترجم عنها وعنهم فى هذا العصر ، ونرجو ألا يترجم عنهم فى مستقبل الأيام .

لقــد شكا الأدباء قديما زمانهم وأهل زمانهم ، وسجلت كتب الأدب صدى أنينهم وشكواهم : أدبا رائعا ، وفنا رفيعا ، يتغنى بجماله شداة الأدب على اختلاف الأجيال .

وقديما قال المعرى :

رب متى أرحــل عن هـ ـذه الدنيا فإنى قد أطلت المقام
لما أدر ما نجمى ولكنه فى النحس مذ كان جرى واستقام

وقال :

ورضت صعاب آمالى فكانت خيولا فى مراتعها شمسنه

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عنى خنسنه
ولم أر فى جلاس الناس خيرا فمن لى بالنوافر إن كنسنه

ومن بعده قال الشاعر الشنتريني فى حرفة الوراقة ، وهى شديدة الصلة بالادب :

أما الوراقة فهى أنكر حرفة أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

* * *

وقد ذكرت بعض الصحف منذ مدة أن مائة أديب من أدباء روسيا كتبوا إلى حكوماتهم يشكون الشقاء الذى هم فيه ، وأبلغوها أنهم اعتزموا الانتحار ، إن لم تر الحكومة فى أمرهم رأيا جميلا ، فنظم الأستاذ الأسمر قصيدة منها :

لقد كان ظنى أنكم فى سعادة وما لأديب العرب ثم شقاء
ولم أدر أن الغرب والشرق واحد وأنا بأنحاء الورى تعساء
فلما شكوتم هاج ذلك خاطرى بشعر عزاء القول فيه بكاء

ولقد ألف العلامة الدلجى كتاباً خاصاً فى بؤس العلماء والأدباء وسماه « الفلاكة والمفلوكون » وترجم لكثير منهم ممن أدركته حرفة الأدب ، ونعق بهم طائر الشؤم ، وقدم له بمقدمة رائعة فى الفلاكة ، وهى الفقر والبؤس ، وبحث فى أثرها النفسى والجسمى فى نفوس الأدباء بحثاً علمياً دقيقا ، وعبر عن ذلك تعبيراً صادقاً ، كله أنين وتوجع ، وحسرة وتفجع ، وبكاء على الآمال الضائعة ، والاحلام الذاهبة ، وإنه لكتاب من عيون كتب الأدب ، خليق بأن يتأسى به البائسون من الأدباء والمحدودون من العلماء ، ومن طريف ما جاء به ما قاله الشاعر المشهور عثمان بن محمد الكلبي الغزى :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أن تراه كاسداً ويخان فيه مع الكساد ويسرق

* * *

ومما رواه عن الشاعر المشهور ابن الخياط :

لم يبق عندى ما يباع بحبة وكفاك منى منظرى عن مخبرى
إلا بقية ماء وجه صنتها من أن تباع وأين أين المشترى

وبؤس الأدباء قضية جرت بها الأقدار من قديم، وسارت بها الأمثال فى الآفاق، ولأمر ما امتحن الله الأدباء بالبؤس، وقد قيل فى تعليل ذلك: إن الله أراد أن تكون ينابيع الأدب ثرة فوارة، وما هذه الينابيع إلا نفوس الأدباء إذا امتحنت فتأثرت فانفعلت فجرت بالسلسال العذب من الأدب العالى، كما يهطل الغيث من المزن، تثيره الرياح، ويضطرب بالرعود والبروق، وأى تأثر أشد مما تثيره المحنة بالبؤس فى نفوس الأدباء، وهم ذوو الشعور المرهف، والحس الرقيق، والأوتار التى تعبر بألحانها عن خفقات القلوب ولوعات النفوس، ولو استقامت للأدباء أحوالهم، وطابت حياتهم، واستقرت نفوسهم، لصرفتهم النعمة عن رسالتهم، وخرست بلابل الأدب على أدواح رياضه، وكذلك حكم الأدباء على أنفسهم، وقديماً قال أحدهم:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

وقد يكون هذا التعليل صحيحاً إلا أنه لا يطرد، فكائن من أديب قد أطلق الترف لسانه، وأرهف حسه ووجدانه، وشرح صدره وجنانه، فعزز محصوله وكثر إنتاجه، وجادت بالسحر الحلال قريحته وخياله، وكان أدبه تصويرا دقيقا لحياة الدعة والترف التى عاش فيها ومنازل النعمة التى تقلب بين أحضانها، وما أفسد الترف ابن المعتز ولا نقص منه أو نزل به حتى غدا تاريخه بين الأدباء أخلد وأشهر من تاريخه بين الخلفاء، وما حجب الترف عبقرية شوقى حتى دان بها كل أديب وشدا بها كل متأدب، ومن قبل ذلك حمل امرؤ القيس وهو من ملوك كندة لواء الشعر فى الجاهلية. وكم من أديب شوش البؤس عليه فكره، ونغص عيشه، فأكدت قريحته، وتعطل خياله، ونضب معين أدبه، وحرم الناس من ثمرات فكره.

هذا ويرى بعض الأدباء أن محنة الأدباء أظهر ما تكون فى الشرق، وأنها نتيجة الجهل والركود الفكرى، وقد تزول إذا انتشر التعليم. واستنارت بنور العلم عقول أبنائه، وتفبه الوعى الأدبى فى شعوبه حتى يدركوا منزلة الأدب بين فروع المعرفة، وإذ ذاك يقبلون على الأدب، ويجد الأدباء من الإقبال والتشجيع الأدبى والمادى ما يبعثهم إلى العمل والإتقان، إلا أنه لا يفوتنا أن ننبه إلى أن الكفاح للعيش والنضال دونه قد صرف الناس عن شئون أهم من الأدب، والأدب كما قال بعض الأدباء: ترف ذهنى تلوذ به النفوس فى ظلال الفراغ والخفض والاستقرار؟

أبو الوفا المراغى

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هـذه الغزوة يوم الأحـد سادس عشر شوال فى السنة الثالثة من الهجـرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحـد ، دعا إليها النبي ﷺ بعد صـلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد ، وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه فى هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم . وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزنى جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقى من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ، وكان أن مضى معبد الخزاعى من عند النبي ﷺ إلى أبي سفيان بالروحاء ، ووصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفا إلى مكة :

* * *

أقبلوا ، أو فاتقوا سوء المردّ ... ربض الموت بحمراء الأسد
غاظكم أن لم تنالوا مأربا ... فتمادى الغيظ ، واشتد الحسد
كيف ينجو من رمى من قومكم ... كل جبار ، فأمسى قد همد ؟
لم لا تزجى السبايا ، فترى ... مردفات ، تشتكى مما تجد ؟
لا تدعها يا (ابن حرب) جذوة ... تتلظى من قريش فى الكبد
يا بن حرب أطفىء النار التى ... شبها أبطال (بدر) و (أحد)
كل حرب خمدت نيرانها ... منذ حين ، وهى حرى تتقد

لا تطع (صفوان[١]) وانبذ رأيه لا تطعه (مرشداً) يأبى الرشد
ارجعوا فاستأصلوا أعداءكم تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد
حاربوا الله ، وزيدوا شططاً إنها فتنته فى من جحد
حاربوه ، وانصروا أصنامكم لا تبالوا من قواه ما حشد
يا (ابن عمرو[٢]) هات من أنبائهم ما رأت عيناك من هزل وجد
لك أذن من (رسول الله) فى حد عضب يتقيه كل حد
شاور (الصديق[٣]) فيهم ودعا يسأل (الفاروق) ما الرأى الأسد ؟
إنها الهيجاء ياخير الورى مالنا منها ، ولا للقوم بد

* * *

ارفع الصوت ، وأذن بالوغى يا (بلال الخير[٤]) أذن واقتصد
ادع من خاض المنايا ، واصطلى جذوة الأمس ، وأمسك لا تزد

* * *

نفر القوم خفافا ، ما ونى منهم الجرحى ، ولا استعفى أحد[٥]

---

[١] شرحها الناظم ولم يثبتها ، والمراد صفوان بن أمية ، نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب وقال : ياقوم لا تفعلوا . فانى أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم ، إنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم . فلما بلغ ذلك رسول الله قال : أرشدهم صفوان وما كان برشيد [نعيم] .

[٢] قال عبد الله بن عمرو المزنى للنبى صلى الله عليه وسلم : إنه سمع المشركين يقولون لأبى سفيان : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم . بئس ما صنعتم ، ارجعوا .

[٣] دعا النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ، فقالا : يارسول الله ، اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .

[٤] أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن فى المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقعد المتخلفون عن أحد .

[٥] كان منهم الذى به تسع جراحات ، وهو أسيد بن حضير ومثله عقبة بن عامر ، والذى به عشر ، وهو خراش بن الصمة والذى به بضع عشرة جراحة ، وهو كعب بن مالك ، وعشرون وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو طلحة بن عبيد الله الذى قطعت إصبعه فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، رضى الله عنهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » .

دعوة الحق ، استفزت (جابراً)(١) فاستفزت هبرزيا (٢) ذا لبد (٣)
جاء يشكو : كيف ينفى دمه وهو لله يربى ويعد ؟
لم أغب عن (أحد) لولا أبى يا (رسول الله) والجد النكد
فاز بالرضوان إذ خلفنى فى قوارير كثيرات العدد
ومضى قبلى شهيداً ، فأنا أبتغى الزلفى لدى الفرد الصمد
أنعم الله عليه ، فشفى ما يعانى من تباريح الكمد
سار فى الجيش ، وخلى همه يصطليه من تولى وقعد
فزت يا (جابر) فانعم وابتهج أفلح الوالد ، واستعلى الولد

* * *

ذهب (السكب(٤)) حثيثاً ، فانجرد يحمل البأس ، ترامى فاطرد
يحمل الويل لقوم غرهم من ذويهم كل شيطان مرد (٥)
زعموا الحق حديثاً يفترى ورضوا بالشرك ديناً يعتقد
وتماروا (٦) فى النطاسى (٧) الذى يصلح الأمر ، إذا الأمر فسد

شرحه الناظم ولم يثبته ، وهو جابر بن عبد الله ، جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم متهيئاً للخروج ، ولم يكن قد شهد أحدا ، فقال : يارسول الله ، إنما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع — وقيل تسع — أخوات لى ، وقال : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله ، لعل الله يرزقنى الشهادة ، فتخلف على أخواتك . فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة ، فائذن لى يا رسول الله فأذن له ، ولم يأذن لغيره من المتخلفين [نعيم]

[٢] الهبرزى : الأسد .

[٣] جمع لبدة وهى شعر زبرة الأسد .

[٤] اسم فرس من خيل الرسول خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر ، ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ، وانجرد : أسرع ومضى لا يلوى على شىء .

[٥] مرد : بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

[٦] تمارى فى الشىء : شك .

[٧] الطبيب والعالم ، والمراد به النبى صلوات الله وسلامه عليه .

(ساحر) آناً ، وآناً (شاعر) [١] ما رأوا من سحره ، ماذا قصد ؟ [٢]
سطع النور لمن يأبى العمى فعلى عينيه يجنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى فإذا القوة والعزم الأشد ؟
حمل الجرح على الجرح فتى موجع الكاهل ، مهدود الكتد [٣]
إيه (عبد الله) أشهد (رافعاً) غزوة الحمراء فى القوم الشهد
ألقه عن منكب لو ماد من هضب (رضوى) كل عال لم يمد
ما لحق الله إلا مؤمن لا يبالى غيره فيما اعتمد
إيه (عبد الله) ما أصدقها همة صماء ، تأبى أن تهد
يا (أبا سفيان) أنصت واستمع ثم أنصت واتئد ، ثم اتئد
إن ترد خيرا ، فهذا (معبد) [٤] أو لم ينبئك أن الأمر إد ؟ [٥]
جمع (الغازى) لكم من صحبه وذويه كل صنديد نجد [٦]
انظروا النيران [٧] : هل تحصونها ؟ إنها شتى تراءى من بعد

---

[١] هكذا كانوا يقولون .

[٢] قصد الشاعر : واصل عمل القصائد .

[٣] الكتد مجتمع الكتفين أو الكاهل ، أو هو ما بين الكاهل والظهر ، والبيت وما بعده فى عبد الله ورافع ابنى سهيل بن رافع ـ قال عبد الله : شهدت أحدا أنا وأخى فرجعنا جريحين ، فلما أذن بالخروج إلى حمراء الاسد قال أخى : أتفوتنا هذه الغزوة ؟ وما كان لنا من دابة نركبها . فخرجنا وكنت أخف جراحا منه ، فكنت أحمله مرة وأرسله أخرى ـ دعا لهما النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهيا اليه وقال : ان طال بكما العمر كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل .

[٤] كانت خزاعة موالية لرسول الكريم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم فى غزوة أحد جاءه معبد الخزاعى ، وقال : يا محمد ، والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك ، وما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك ، وان المصيبة كانت لغيرك ، ثم مضى الى أبى سفيان . فقال : تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، وأطال فى ذلك تخويفا له ولمن معه ، ثم نهاهم عن القتال فانتهوا .

[٥] الاد : الامر الفظيع والداهية .

[٦] النجد : الشجاع الماضى .

[٧] كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو أنهم كثيرو العدد ، وكانوا دون السبعمائة

واسألوها ، إنها ألسنة يا (ابن حرب) للمنايا الجرلد[1]
لا تريدوا من بريد غيرها انها من قومكم خير البرد[2]
لا تظنوا أنكم أكفاؤهم إنها منكم لأحلام شرد
اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا حاصد الموت ، كفاكم ما حصد

* * *

أرأيت الرعب يغتال القوى مستبداً بالعتىّ المستبد ؟
رجع القوم سراعاً ، وارعوى عاصف الشر ، فأمسى قد ركد
وتولوا فتولت أنفس تنزى ، وقلوب ترتعد
يقذف الوادى بهم قذف الحصى تبلغ الريح به أقصى الأمد
غارة الله على أعدائه تتوالى مدداً بعد مدد
سوم الأحجار ، لو صبت على ذلك الجمع المولى لم يعد[3]

* * *

يا (أبا عزة[4]) ماذا تتقى ؟ يا (أبا عزة) أقبل ، لا تحد
أين تمضى ؟ كل شيء مصرع كل فج من فجاج الأرض سد
هل رعى السيف دما من عابث ناكث من كل عهد ما عقد ؟
تطلب العفو ، وتهذى ضارعاً ببنيات ضعيفات الجلد

---

[١] من اللدد وهو شدة الخصومة .

[٢] جمع بريد .

[٣] أرسل أبو سفيان إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول إنهم أجمعوا على الرجعة . فقال صلى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ، وسوم الشيء : جعل له علامة .

[٤] أبو عزة الشاعر الذى من عليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير ببدر فأطلقه بغير فداء رحمة ببناته ، وقد كان عاهده أن لا يقاتله ، ولا يظاهر عليه أحداً ، فنقض العهد ، وخرج مع المشركين فى غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم - وقع أسيرا فى هذه الغزوة فقال للنبى : امنن على ودعنى لبناتى ، وعهدى لك ألا أعود لمثل ما فعلت . فقال صلى الله عليه وسلم : « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وأمر بقتله .

أو لم يمنن عليك المرتجى لذوى الضعف فأكثرت الفند [١]
تنظم الشعر ملحاً حرداً ويك خذها ضربة تشفى الحرد [٢]

* * *

وثب العدل ، يوالى صيده وهو ظلم فاتك إن لم يصد
أخذ الذئبين [٣] فى أنيابه ما يبالى منهما ما يزدرد
لا تعودا من صريعى شقوة وليعد من كل حى من سعد
موغل فى الشر يسعى دائبا وحقود لو تزكى ما حقد
جاهلى زل فى إسلامه فهوى من بعد ما كان صعد
أخطأته خطوة كانت له خطوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبى ، فما يدرى الفتى أى ورد إن دعا الداعى يرد

* * *

ابتدر يا (سعد) [٤] فالزاد نفد واصطناع الخير أشهى ما تود
ابعث التمر على العير لها من سجاياك العلى حاد غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة فى سوى ليس فيه من أود [٥]
موقرات أقبلت فى جزر [٦] تطرد العسر بيسر ورغد
ردت الجوع ، وصانت أنفسا هى لله سيوف ما ترد
لك يا (سعد) لديه ولها من جزاء غير نزر ما وعد

---

[١] الفند : الكذب والكفر بالنعمة .

[٢] الحرد : الغضب .

[٣] معاوية بن المغيرة بن أبى العاص ، جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان بن عفان ، والحارث بن سويد ـ أمر النبى بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتتبع أخباره ويلقى بها الى المشركين ، وكان عثمان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلما) اقتله المجذر بن زياد غدرا فى غزوة أحد ، وكان المجذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بأبيه .

[٤] سعد بن عبادة ، ساق الى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بعيرا تحمل تمرا من عنده ، وبعث معها جزرا فنحروها وأكلوا منها .

[٥] الأود : الاعوجاج .

[٦] جمع جزور وهو ما يذبح من الانعام .

دراسات قرآنيـة :

حديث القرآن عن التطير

نحن نعلم أن الإسلام الحنيف جاء ناهياً عن التطير ، داعياً إلى التفاؤل ، مريداً بذلك قطع أوهام الجاهلية ، والقضاء على خرافات البشر ، مرتفعاً بالإنسانية إلى حيث يريد لهـا من العزم والحزم ، والإيمـان بمقدر الأشياء وحده .

وقد جاء ذكر التطير فى القرآن الكريم فى المواضع ، وتأملتُ فى حديث التنزيل المجيد عن التطير فإذا هناك أمران عامان : الأول منهما أن القرآن لا يذكر التطير إلا منسوباً إلى الـكافرين المكذبين للرسل الخارجين عن أمر الله ، والأمر الآخر أن حديث التطير فى القرآن الكريم يصحبه إخبار بإهلاك هؤلاء المكذبين الـكافرين المتطيرين وتعذيبهم ، وإخبار بأن المؤمنين الموقنين — وهم لا يتطيرون — هم الوارثون لهؤلاء الهـالكين المعذبين ، وأن العاقبة للمتقين .

ولنستأنس بجو البحث يحسن أن نعرف المعنى اللغوى للتطير وماله من مرادف ، فقد جاء فى (القاموس المحيط) : « والطَيرة والطيرة والـطُورة ما يتشاءم به من الفأل الردىء ، وتطير به ومنه » .

وجاء فى (مفردات القرآن) للأصفهانى : « وتطير فلان أو طير : أصله التفاؤل بالطير ، ثم يستعمل فى كل ما يتفاءل به ويتشاءم [1] » .

ومرادفه التشاؤم ، جاء فى القـاموس : « ... والشؤم ضد اليمن ... والأشائم ضد الأيامن ... وقد تشاءموا به ، وطائر أشأم : جارٍ بالشؤم » .

---

[1] المفردات ، ص ٣١٢ .

وضد التطير التفاؤل والتيمن ، جاء فى القاموس : « الفأل ضد الطيرة ، كأن يسمع مريض : ياسالم ، أو طالب : ياواجـــد ، أو يستعمل فى الخير والشر [١] ، وجمعه فؤول وأفؤل » .

وجاء فى (أساس البلاغة) : « تفأّل به وتفاءل ، وفى الحديث : أحسن الطيرة الفأل ؛ وهو أن يسمع الـكلمة الطيبة فيتيمن بها ، وتقول العرب : لا فأل عليك ، وتقول : دون الغيب أقفال ، لا يفتحها الزجر والفال » [٢] .

وفى (النهاية) لابن الأثير أنه قيل لرسول الله صلى الله عليـه وسلم : ما الفأل ؟ فقال : الكلمة الطيبة [٣] .

كما جاء فيها أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يتفاءل ولا يتطير ، « وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعـالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى ، فهم على خير ، ولو غلطوا فى جهة الرجاء ، فإن الرجاء لهم خير ، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر . وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء » [٤] .

ويذكر ابن الأثير الحديث : «الطيرة شرك ، وما منا إلاّ ، ولـكن الله يذهبه بالتوكل » ويذكر أن الحديث جاء مقطوعا ، أى : «إلا وقد يعتريه التطير ، وتسبق إلى قلبه الـكراهة » فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع ، ويقال : إن « وما منا إلا » من قول ابن مسعود أدرجه فى الحديث [٥] .

وإنمـا جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً ، أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوه مع الله فى ذلك ، وقوله « ولـكن يذهبه

---

[١] غلب استعمال التفاؤل فيما يسر ، والعبرة هنا بالغالب ، وإلا فالتطير أيضا قد يستعمل فيما يسر نادرا . جاء فى النهاية : « والطيرة لا تـكون إلا فيما يسوء ، وربما استعملت فيما يسر » .

[٢] أساس البلاغة ، ج ٢ ص ١٨١ .

[٣] النهاية ، ج ٣ ص ١٨١

[٤] ج ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ .

[٥] فى بعض الروايات جاء : « وما منا إلا من تطير » انظر تفسير القرطبى ، ج ٧ ص ٢٦٦ .

التوكل ، معناه أنه إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله وسلم إليه ، ولم يعمل بذلك الخاطر ، غفره الله له ولم يؤاخذه به [1] .

وليس وراء ذلك خبرة بالنفس البشرية ، ولا براعة فى علاج وساوسها وأوهامها .

ولقد روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها سمعت من يقول : إن الشؤم فى الدار والمرأة ؛ فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض ، أى كأنها تفرقت وتقطعت قطعاً من شدة الغضب .

نعم روى الحديث : « ثلاث لا يسلم أحد منهن : الطيرة والحسد والظن ؛ قيل : فما نصنع ؟. قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق » [2] ، ولكن هذا من باب : « وما منا إلا . . . » فهو يصور ما يعرض للنفس من أوهام ووساوس وبلابل ، وإلا لحديث الصحيحين صريح : « لا عدوى ولا طيرة » .

* * *

ننتقل بعد ذلك إلى استعراض الآيات التى جاء فيها ذكر التطير ، لنتبين معانيها بإجمال ، ثم نتبين فى كل منها الأمرين العامين اللذين سبق ذكرهما فى صدر البحث .

يقول الله تبارك وتعالى فى شأن قوم موسى الذين كذبوه وكفروا برسالته : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه ، ألا إنما طائرهم عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » [3] .

أى إذا جاءهم الخصب والرخاء والسعة قالوا : هذا لنا وهو مختص بنا ونحن أهلوه ، وإن يصبهم قحط أو مرض يتشاءموا بموسى ومن تبعه ، وذلك نظير قوله تعالى فى موقف الكفار من محمد صلوات الله وسلامه عليه : « وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » [4] ؟ .

والعرب من أوهامها كانت تتطير بالطائر الآتى من جهة الشمال وتتشاءم منه وتسميه

---

(١) النهاية ، ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٣٠ و ١٣١ .

(٤) سورة النساء ، آية ٧٨ .

البارح ، وكانت تتيمن بالطائر الآتى من جهة اليمين وتسميه السانح ، ومن أمثلتهم : « من لى بالسانح بعد البارح » ، والأعاجم كانت تتطير بأشياء ، فجاء الإسلام ناهيا عن التطير والتشاؤم. وقال عكرمة : كنت عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير . فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر . وقال الرسول ﷺ فى ذلك : « ليس منا من تحلم (أى ادعى الرؤيا) أو تكهن ، أو رده عن سفره تطير » .

وقال الرسول ﷺ : « من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا : وما كفارة ذلك يا رسول الله ؟ قال : أن يقول : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ثم يمضى لحاجته .

ومعنى « إنما طائرهم عند الله » أى ما قدر لهم أو عليهم عند ربهم ، لأن الطائر من معانيه فى اللغة الحظ وعمل الإنسان ، « ولكن أكثرهم لا يعلمون » أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو من عند الله بذنوبهم ، لا من عند موسى وقومه .

فأنت ترى هنا أن التطير قد ذكر منسوبا إلى كفرة مكذبين ، وكانت عاقبتهم خسارا ووبالا وإهلاكا وعذابا ، وكانت كذلك ميراثا كريما للمؤمنين الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، إذ ورثوا مشارق الأرض ومغاربها ، فيقول القرآن عقب ذلك : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون »(١) .

ويقول القرآن الكريم : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون »(٢) .

هذا قول ثمود لنبيهم صالح عليه السلام حين كفروا برسالته وكذبوه فى دعوته ؛ أى تشاءمنا بك وبمن آمن معك ، (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشركم عند الله ، وهو قدره وقسمته ، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ؛ ويجوز أن يريد : عملكم مكتوب عند الله ، فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة(٣) .

---

(١) الأعراف ، آية ١٣٦ و ١٣٧ .
(٢) النمل ، آية ٤٧ .
(٣) تفسير الكشاف ، ج ٣ ص ١٤٦ .

وقد وردت كلمة « طائر » بهذا المعنى فى قوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » [١] .

وجاء أن المراد بالطائر عمله ، من قولك : طار له سهم إذا خرج ، يعنى ألزمناه ما طار من عمله ، فعمله لازم له لزوم القلادة للعنق لا تفك عنه كما قال الزمخشرى [٢] .

وقال البيضاوى : « عمله وما قدر له ، كأنه طير إليه من عش الغيب ، ووكر القدر ، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه ، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد » [٣] .

والنتيجة فى آية النمل هى النتيجة أيضا ، إهلاك وتعذيب للمتطيرين ، ونجاة وتكريم وميراث خير للمؤمنين المتقين الواثقين . يقول الله تعالى بعد آية النمل التى جاء فيها ذكر التطير : « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون ، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » [٤] .

ويقول الله تعالى : « قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ، قالوا طائركم معكم ، أئن ذكرتم ، بل أنتم قوم مسرفون » [٥] .

نزلت هذه الآية فى شأن أهل القرية (أنطاكية) الذين كذبوا الرسل مرة بعد أخرى وكفروا بدعوتهم ، فقالوا لأولئك الرسل : إنا تطيرنا بكم وتشاءمنا منكم ، وكانوا فى ضلالهم وغيهم مسرفين .

فماذا كانت العاقبة ؟ . كانت هلاكا وتعذيبا للكافرين المتطيرين ، ونجاة وفوزاً للمؤمنين . يقول الله تعالى بعد ذلك عن الرجل المؤمن الذى جاء يسعى داعيا قومه أهل القرية إلى الإيمان وهو حبيب النجار : « قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » [٦] . ولا شك أن دخول الجنة أعظم ميراث .

---

[١] الاسراء ، آية ١٣ .
[٢] تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ٣٥٤ .
[٣] تفسير البيضاوى ، ص ٣٧٢
[٤] النمل ، آية ٥٣ و ٥٤
[٥] يس ، آية ١٨ و ١٩
[٦] يس ، آية ٢٦ و ٢٧

ثم يقول أيضاً عن المكذبين الكافرين المتطيرين : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ، إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » (١) . أفرأيت العاقبة الوخيمة ؟ .

* * *

ومن مظاهر تنفير القرآن الكريم من التطير والتشاؤم أنه اختار للمفلحين الناجين وصفا من مادة التيمن وهو التفاؤل ، واختار للمجرمين الخاسرين وصفا من مادة التشاؤم وهو التطير ، فقال سبحانه : « فأصحاب الميمنة ، ما أصحاب الميمنة ؛ وأصحاب المشأمة ، ما أصحاب المشأمة » (٢) .

أى « فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية ، من تيمنهم بالميامن ، وتشأمهم بالشمائل ، وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم ، أو أصحاب اليمن والشؤم ، فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم ، والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم » (٣) . فأنت ترى أيضا أن القرآن قد جعل التشاؤم من صفات الضالين الفاسقين المعذبين ، وجعل اليمن من صفات المؤمنين المتقين ، وقد عاد القرآن فذكر ذلك صريحا فى قوله : « والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة » (٤) .

* * *

أليس ذلك الحديث القرآنى الدقيق عن بلوى التطير كافياً لصرف الناس عن الاستسلام إلى أوهام التشاؤم ، ومحرضا لهم على التوجه إلى الله والاهتداء بهداه والحرص على رضاه ؟.

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) سورة يس ، آية ٢٨ و ٢٩
[٢] الواقعة ، آية ٨ و ٩
[٣] تفسير البيضاوى ، ص ٧١٠
[٤] سورة البلد ، آية ١٩

كلمـــــة الأزهر

في افتتاح معهد بنهـا الديني

ألقاها فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع النبيين .

أيها السادة :

من المباهج السارة أن يجتمع قادة الأمة وأولو الأمر وأصحاب الرأى فيها ، لمثل ما اجتمعنا له اليوم من المناسبات المباركة التى أضفت على هـذه الجموع الزاخرة لون الإخاء الصادق فى الوطنية وفى الميول والأهداف ، وألفت منهم صورة حية تتمثل فيهـا الأمة متجاوبة فى غبطتها بحاضرها ، واطمئنانها إلى مستقبلها ، وطموحها إلى المثل العليا ، والتفافها حول قادتها الناهضين بأعبائها ، والسالكين بها مسالك النجح إلى أكرم الغايات .

أيها السادة :

يغمرنا جميعاً شعور قـوى بأن الأمة آخـذة سبيلها فى جـد ومثابرة إلى الـكمال ، فى كل شأن من شئونها المـادية والأدبية ، وفى كل جانب من جوانب حضارتها الاجتماعية ، وليس ذلك لمجرد وعد نطرب لسماعه ، ولا لمجرد أمل يداعبنا ، وإنما هى أمور واقعية ، لا نكاد نسمع البشرى بها ، حتى نراها شاخصة فى حيز الوجود ، ويصدق الخُبر الخَبر ، وما نحن بحاجة إلى الإسهاب فى ذلك ، فـكلـكم راء بعينه ، وما راء كمن سمعا .

أيها السادة :

إن تـكن أعمـال الإنشاء فى الدولة ، ومظاهـر النهضة فى مرافقها المختلفة ، مدعاة السرور الذى نتبادله ، ومثار البهجة التى شملتنا ، فأولاها بذلك ما يتصل بالعلم والتعليم ؛ فإن العلم ـ كما شاءت حـكمة الله ـ روح الحياة للأفراد والجماعة ، وهو الركن الأول فى تـكوين الأمة ، والعماد الأقوى فى شموخ بنيانها ، وتخليد مجدها .

وقديمـا كانت رسالات الأنبياء علماً يوحى به من عند الله ، ليبلغوه إلى النـاس حتى تصح به عقائدهم ، وتستنير به عقولهم ، وتنتظم جماعتهم ، وتستقيم حياتهم .

وقد قام التوجيه الإسلامى بنوع أخص من أول أمره على الإشادة بالعلم ، وكانت الدعامة الأولى فى قيام الرسالة المحمدية هى قول الله سبحانه : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

ثم تأتى إلى جانب العلم الذى حمله إلى الناس رسلهم ، علوم أخرى من نتاج العقول ، وأمور أخرى لشئون الحياة الدنيا ، ليست شيئاً غير ما أتى به الدين .

وإنما هى جزء أصيل تحتويه إجمالا رسالة الإسلام ، ودعوته إلى المعرفة والتجديد ، بكل ما يستطاع من وسائل ، فإنها من منهج الدين ، ولا تخالفه ، إلا أن تكون أهواء باطلة ، أو نزعات جامحة ، أو شهوات جارفة .

فالدين ينكر كل ذلك ، كما تنكره قوانين العلم الصحيح ، ويُبقى على كل أمر صالح لحياة الناس التى فيها معاشهم ومتاعهم وأعمالهم لآخرتهم . لذلك ترون الدين والإسلام خاصة لا ينكر على الناس أن يعملوا لحياتهم ، بل يحضهم على ألا ينسوا نصيبهم من الدنيا ، ويدفعهم إلى الكسب بكل وسيلة مشروعة ، حتى ولو كان احتطابا بالحبل فى رأس الجبل ، ويحضهم على الاعتزاز بالقوة المادية ، لحماية العقيدة الإسلامية ، من خصومها المناوئين لها ، ولحماية الأوطان من الباغين عليها ، ويعلمهم إجمالا أن المسلم القوى خير من المسلم الضعيف ، وهو مع حرصه على ذلك أشد الحرص ، لا يأذن بالعدوان ، ولا يتسامح فى مجاوزة حدود الله مع أهله أو غير أهله ، وهو يأمر بالمعروف دائماً ، وينهى عن المنكر فى أى لون من ألوانه .

أيها السادة :

هذه ثمرات العلم ، وهى وجهة الإسلام فى إشادته بالقراءة والتعلم والتعليم ، وفى تفضيله لأهل العلم على الجهلاء فى قول الله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟؟

فمن الكفيل بالقيام على هذه الدعوة الناصحة ؟ وتنشئة الجيل الجديد على منهجها الصحيح ، حتى يشب على دين يهذبه ويصقله ، ويطبعه بطابع صاف من اللوثة ، خالص من الشوائب ؟؟ ويعلمه ماله وما عليه ؟؟

الكفيل بذلك هو دور العلم كافة ، إذا تهيألها جميعاً أن تدلى بدلوها فى الثقافة الدينية ،

وهو المعاهد الدينية خاصة ؛ لأنها أقيمت لهذه الغاية قبل كل شيء ، وهي موئل التربية الإسلامية ، وهي مطمح الأنظار لمن يقصدها ليتعلم دينه وآداب هذا الدين ، ويلمّ بمعارف القرآن الكريم .

أيها السادة :

تنشئة الجيل الجديد وصوغه على النمط المجدى أمانة فى ذمة المشرفين على توجيه الأمة من رجال الحكم ، وأهل العلم ، وحملة الأقلام .

وإذا بدا فى تكوين الشباب وهن أو عوج ، فإن الأنظار — كما تتجه باللائمة إلى هيمنة الآباء والأمهات — تتجه إلى هذه الهيئات الثلاث ، لأنها أو بعضها لم تحسن التوجيه ، أو لم تخلص فى الرعاية ، أو لم تتعاون على صيانة الجيل الناشىء من تسرب الفساد إليه ، ووقايته من مغريات الشباب ، وجهالة الصبا .

فالأمر بحاجة قصوى إلى تضافر هذه الهيئات على تطعيم النشء بتعاليم الإسلام ، وتربيته على غرار الدين فى حدوده الرحيبة التى نفهمها .

وفى ضوء ذلك أرى غير مسرف أن المنشىء لمعهد دينى كمن يشق نهراً فى أرض مجدبة ، يستقى الناس من مائه العذب ما يرطب أكبادهم الظامئة ، أو كمن يزرع حقلا مثمراً مزهراً ، ليقتات الجياع من ثماره ، ويقطفوا من أزهاره ، أو كمن يبنى حصناً منيعاً يحتمى به القوم من خطر داهم ، ويدفع من شرفاته عدواً غاشماً .

وخطر الظمأ والجوع والخوف من المهلكات لا شك ، وأخطر منها الجهل ، والجهل بالدين بصفة خاصة ، فأى جزاء نملكه لأولئك الذين نشطوا بدافع من غيرتهم ومروءتهم ، واستجابوا لضميرهم الدينى ، فأنشأوا معهداً يقوم فى هذا الإقليم مقام النهر العذب فى سقايته ، ومقام الحقل المثمر المزهر فى تغذيته ومتعته ، ومقام الحصن المنيع فى حمايته لقومه وذوده عن أمته ؟ ؟

جزاء ذلك لا نملكه ، وإنما جزاؤهم عند من وفقهم لذلك ، فمعذرة إليكم يا أهل بنها .

سادتى :

كانت مصر فى القديم زاخرة بالفلسفة والعلوم ، ومنذ الفتح الإسلامى ابتدأت صفحة جديدة فى تاريخها الثقافى ، ثم آل الأمر إلى الأزهر ، ومع غض النظر عن المذهب الفاطمى الذى قام الأزهر فى ظله ولأجله أول الأمر ، فسرعان ما انتهج منهجاً إسلامياً معتدلا ، وصار وحده المصدر المعروف والمعترف به ، وعاشت فى ضوئه مصر جانحة إلى دينها الجديد ، مبقية على تقاليدها الشرقية والعربية ، حتى بعد أن اتصلت بالثقافة المدنية ، وأنشئت فيها المدارس الحديثة .

ولكن عين الاستعمار لم تغمض عن الأزهر ، وسياسة الاحتلال لم يرضها أن تترك للأزهر أفقه الواسع ، فوقفت فى سبيله ، وحاصرته فى نطاق ضيق ، وقاومت التعليم الدينى الإسلامى ، بكل وسيلة ، وصرفت عنه الأنظار بمختلف المغريات ، ونفثت فى البرامج المدرسية زهادة فى الدين وفى المنتمين إليه ، حتى وُجد بين الجانبين شىء من الجفوة ، ولكن الأزهر صمد لهذه الألاعيب ، وصبر وصابر فى بلائه ، وعاش يبين للناس فى مصر ، وللوافدين عليه من أبناء الشرق ، ما أحله الله وما حرمه ، وظل برجا رفيعا لصيانة القرآن ولغته ، وحصنا منيعا لتعاليم الإسلام ، حتى تخطى تلك العهود المظلمة ، واجتاز الشباك التى نصبت للإيقاع به ، واستقبل فى جانب الثورة عهدا أغر حافلا بالبشائر فى النهضة الدينية ، ولولا روحية الإسلام فى قوتها ، ورعاية الله للقرآن الذى نزّله ووعد بحفظه ، وصمود الأزهر للمناوءات الاستعمارية والغمزات الإلحادية ، لما بقيت مصر زعيمة الشرق ورائده الروحى ، بفضل الأزهر ، وجهاد الأزهر .

وها هو الأزهر ينهض فى قوة وجلادة ، ليؤازر الثورة التى آزرته ، ويعالج معها بالإصلاح ما أفسدت العهود الغابرة ، ويتناول من يد الثورة فى عام واحد خمسة معاهد جديدة ، ويحتضنها جميعا بتشجيع من الثورة فى رحابة وغبطة .

ومن بينها معهد بنها الذى نحتفل اليوم بافتتاحه ، ومعهد بنى سويف ، ومعهد الفيوم ، ومعهد دمنهور ، ومعهد غزة ، ولم تكن غزة تطمع فى هذه الحظوة من قبل ، فأصبح فيها بفضل الثورة منار دينى يعشى ضوؤه أعين الصهيونية .

سادتى :

إن يكن إنشاء المعاهد الجديدة تفسيرا لمنطق الثورة ، أو يكن احتفالنا اليوم بمعهد بنها تجاوباً مع الثورة فى مراميها وآمالها ، وجدّها فى الإصلاح والتعمير ، فهناك أمر آخر جدير بالإعجاب والثناء ، ذلك أن وزارة التربية والتعليم بادرت إلى مؤازرة الأزهر مؤازرة جدية ، إذ تخلت له عن الهيمنة على تحفيظ القرآن ، وسارعت راضية مطمئنة بضم جمعيات تحفيظ القرآن إلى الأزهر .

نعم كانت تستطيع وزارة المعارف أن تصنع ذلك فى أى عهد من عهودها ، ولكنها لم تفطن إلى جلال هذه الفكرة ، على الرغم مما أحدثوا وغيروا وبدلوا .

وقد فطن إلى ذلك الوزير الشاب المربى تربية عسكرية ، فطن إلى ذلك البطل الثائر مع الثائرين على الفساد والعصبية كمال الدين حسين .

أيمكن أن نقدر له تلك المأثرة فى تاريخ الثقافة المصرية ، أو نجزيه جزاء يرضاه الوفاء، ويقتضيه عرفان الجميل ؟

لا ، وإنما جزاؤه على ذلك عند من وفقه لذلك .

وأبهج ما نبتهج به أن يقترن معروف الوزير كمال الدين حسين ، بصنيع أسرته ، وتعضيد أهل بنها لها ، فى إنشاء معهد تشرق منه على هذا الإقليم هداية القرآن .

فشكرا لكم آل بنها جميعا إن كان فى الشكر غناء عن الواجب .

سادتى :

هذه نزعة إلى الخير تمثلت فى عمل الوزير كمال وعشيرته ، وفى الحق أنها صدى لصوت سابق كان يدوى فى جنبات هذا الإقليم ، ثم امتد حتى ملأ الخافقين ، هو صوت العلماء الأجلاء الذين أنجبتهم القليوبية ، فكانوا فى حياتهم أعلام هداية ، وقادة رأى ، وأصحاب فضل ، ثم لم تمت أسماؤهم بموتهم ، بل أصبحت ذكرياتهم بعد الممات حديث مجد لهذا الإقليم وأهله ، وأنشودة فخار للأزهر ولمصر عامة .

ومن هؤلاء الأسلاف : الإمام الليث بن سعد صاحب المذهب المعروف ، والعالم الجليل أحمد بن على القلقشندى صاحب المؤلفات القيمة ومنها صبح الأعشى ، والشيخ أحمد ابن أحمد القليوبى صاحب المؤلفات فى مذهب الإمام الشافعى ، فلا عجب أن رأينا فى كمال وأسرته ، أو فى سواهم ممن ينهج نهجهم من أبناء القليوبية ، تجديدا لذكرى أوائلهم من العلماء الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وشهدت بفضلهم الدنيا .

ولا عجب أن يكون الشبل وليد الأسد ، ولندع التاريخ يكتب ونحن شهداؤه ، وما شهدنا إلا بما علمنا .

سادتى :

نحن - عن الشيخ الأكبر - نعلن باسم الأزهر غبطتنا بضم معهد بنها إلى الأزهر ، ونحمد لمنشئيه والمتصلين به صنيعهم ، ونشكر للحكومة الرشيدة هذا الفتح الجديد فى ميدان التعليم الدينى ، ونرجو لها دوام التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

كلمة فضيلة الشيخ حسن يوسف شيخ معهد بنها

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين .

وبعد - فإن من فتح الله علينا هذا الافتتاح العظيم فى هذا اليوم الكريم لمعهد بنها الدينى ، الذى كان حلماً داعب جفون القليوبية أمداً طويلا ، وأمنية طالما كانت تتمناها هذه المديرية التى كانت دون غيرها من مديريات الجمهورية محرومة من المعاهد الدينية ، إلى أن حقق الله هذه الأمنية فى عهد هذه الثورة الكريمة .

واليوم تسعد القليوبية بتشريف أقرب الناس إلى درجة النبوة ، لافتتاح هـــذا المعهد الدينى الإسلامى ، وأعنى بهم أهل العلم وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر ، وأهل الجهاد قادة الثورة وعلى رأسهم السيد نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب الناس إلى درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد » .

فاليوم - أيها السادة - يطيب للقليوبية أن تسجد لله شكراً ، وتحمد له آلاءه ونعماءه ، إذ هيأ لها هذا المعهد الدينى الذى فتح أبوابه لطلبة العلم من أبنائها ، وهو الفريضة على كل مسلم ومسلمة ، الأمر الذى قام بسببه نفر قليل تبنوا هـذا المشروع فمضوا فى سبيل تحقيقه غير عابئين بما نالهم من نصب ، ولا ملتفتين إلى ما يدبر لهم من كيد الكائدين وحقد الحاسدين وبخل الأغنياء والموسرين ، إلى أن هيأ الله لنا من شد عضدنا من قادة الثورة المغاوير ، الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، والذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من نصرة دينه ونشر تعاليمه ، فأدنوا منا هذا الجنى الذى نريده ، وحققوا لنا هذا الحصاد الذى زرعنا من أجله ، وأنالونا الرغبة التى تقبلها الأزهر بقبول حسن ، فاستجاب لها مشكورا فضم هذا المعهد إليه ، فأصبح غصنا فى دوحة بسطت ظلها على العالمين ، والتى أضاءت بنورها سبيل الهدى والرشاد لجميع المسلمين .

واليوم - بعد هذا الفتح المبين ، وبعـد السجود لله رب العالمين - يسجل لـكم التـاريخ فى صفحاته الخـالدة - يا من ساهمتم فى هذا المعهد بأنفسكم وأموالـكم ويأهـل العلم فى سمائه ويأهل الجهاد فى عليائه - أسمى آيات الشكر ، وما نحسب لـكم هذا الشكر بموف ، ولـكنه جهد المقـل ، وحسبنا الله أن نخصكم بقلوبنا التى وعت آثاركم ، فوجـدت فيكم قادة سادة هداة ، يقتدى بهم فى الخير ، ويقتفى آثارهم ، والله الـكفيل أن يتولاكم ، ويحسن جزاءكم ، ويسدد خطاكم ، ويرد عنـكم كيد الـكائدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .؟

مظاهر الهدم

فى الأفلام المصرية

- ٢ -

يندر أن يجد المدمن على مشاهدة الأفلام المصرية فيلما يخلو من قبلات ، حتى لقد أصبحت من لوازم هذه الأفلام . إذا جلست فى دار للخيالة لتشاهد واحداً منها فلا بد أن تكون موطداً نفسك على أن تشهد منها الكثير والكثير بمناسبة وبغير مناسبة ، بل إن الكثيرين من المراهقين والشبان والفتيات ليدخلون دور الخيالة ليشهدوا هذه الطبعات التى يحلمون بها و يشتاقون إلى ذوق أمثالها ، وهنا بيت الداء ومبعث انتشاره .

يثور المتحررون الذين أخذوا طرفاً من الثقافات الأجنبية إذا ما اشمأز مصلح من حصول القبلة بين بطلة الفيلم المصرى وبطله ، ويرمونه بالرجعية والتزمت ، ويقولون : إن الفيلم المصرى قصة مصرية من صميم حياة الناس ، والقبلة عنصر حيوى فى هذه الحياة ، فهى حادث طبيعى يقع بين الأزواج والمحبين ، وهى طبيعة غريزية خلقها الله فى البشر من ذكور وإناث ، فلماذا لا نظهر فى الفيلم هذه الأمور الطبيعية ؟ ! أنكبت غرائز الفرد وقد فطره الله عليها ؟ ! إن أقل ما يقال عن ذلك هو أنه من قبيل التدين الممقوت ، والتأخر الرجعى الذى آن لبلد كمصر ضربت بنصيب كبير من المدنية ألا تلتفت إليه أو تأبه له !

والواقع أن القبلة فى منطق العقلاء هى كما زعموا فى حياة الناس ، ولكن من من العقلاء ينكر أن الاتصال الجنسى هو نفسه حادث طبيعى فى حياة الناس وخاصة المتزوجين والمتزوجات ؟ ! أليس هذا الحادث من الأهمية فى حياة الناس بحيث يعتبر سبب الحياة ومحورها وعنصر البقاء فيها ؟ ! وإذا ما سلم العقلاء ذلك ، أضحى لا مناص بعد ذلك من أن نسائل هؤلاء المتحررين : لماذا لا يدعون إلى ظهور هذا الاتصال فى الفيلم برغم هذه الأهمية التى له وبرغم أنه اتصال طبيعى تدور عليه الحياة ؟ بل هل يستطيعون أن يدعوا إلى ذلك ؟ وإذا ما حدث أن ظهر ذلك فى الأفلام هل سيكون طبيعيا كما خلقه الله ، وهل سيؤدى الرسالة التى قرره من أجلها ، وهل سيكون له أثره الطيب فى التحرر والمعرفة بين الناس وفى حياة الناس ؟ !

إن إظهار الأمور الطبيعية والهامة فى حياة الناس فى الأفلام التى يشاهدونها ليس من السهولة بحيث نقرره دون اعتبار بما يحيط هذه المسائل من ظروف، وبحث ما يترتب عليها من نتائج، فقد تكون مسألة ما أمراً عادياً فى حياة الناس الداخلية تنظمه أوضاع خاصة، ويدور فى مجال معين، وتحيط به اعتبارات وظروف هامة، ولكنها إذا ظهرت على مرأى ومسمع من الناس، ومنهم من لا تتوافر بالنسبة له هذه الظروف والاعتبارات ـ بل إذا ظهرت مكشوفة وتشريعها يستوجب الستر والخفاء ـ فإنها لا تكون ذلك الأمر الطبيعى المعتاد، بل ستكون وبالا على المجتمع، وعنصر هدم فى نهضته وأخلاقه وحياة مواطنيه.

ماذنب المراهقين إذا شاهدوا قبلات الفيلم، ثم جابوا بعدها الطرقات والمنازل، ليمثلوا على مسارحها ما شهدوه على مسرح الشاشة، وما ذنبهم إذا ما نشأت فى زهرات حياتهم مشكلات نفسية تعصف بصحتهم وشبابهم ومستقبلهم ووطنهم، سواء منهم المنطوون وغير المنطوين، وما ذنبهم إذا جئ عليهم بمجتمعهم فى أفلامه، فتركهم بعد رؤيتها يسرحون فى أحلام اليقظة، ويبحثون عن الإثم وبؤراته، والغرام ومشكلاته، تاركين دروسهم، ناسين أوطانهم، مطوحين بعملهم وصحتهم وآمالهم وآمال وطنهم فيهم؟!

وما ذنب تلك الفتاة التى لا عهد لها بالحياة مع الرجال. إذا رأت تلك الطبعات فى أفلام المجتمع الذى تعيش فيه، فتحاول بعدها بدافع الغريزة أن تبحث عن لذتها هنا وهناك فى مكان الدراسة أو مكان العمل أو مكان اللهو أو جو الأقارب والجيران، إن كانت متصلة بالحياة العملية والعصرية، لا يحول بينها وبين تلك الحياة حجاب، أو تنشأ لديها ـ إن لم تكن كذلك ـ مشكلة التشبع الجزئى، فتكفيها القبلة التى تشهدها فى الفيلم، ولا تستطيع بعد ذلك أن تكون الزوجة التى تتمتع بحياة الزوجية، أو الأم التى تنعم بحياة الأمومة؟!

بل ما ذنب الأخلاق إذا ما شاهد الناس هذه الأمور على الشاشة، وكلهم من العلم والدراية بحيث يعلمون أن الشاشة إنما تصور لهم ما يحصل حقيقة بين بطل وبطلة هما ذكر وأنثى، تضفى عليهما الصحف والمجلات من الصور والمعلومات ما يضحيان بها فى حياة الناس معرّفين، وفى كلامهم معروفين!

ثم لو تركنا هذا وذاك كان لابد لنا من أن نتساءل عن الإرشاد القومى فى الأفلام . وأين هو إذا لم تخل من قبلات ، لا يأبه صانعوها بما يترتب عليها من آثار وخيمة على فئات الشعب ، وفيهم الطفل المقلد ، والمراهق المتهور ، والشاب المحروم ، والبنت اليافعة ، والفتاة الناهدة التى يعميها البحث عن لذة القبلة التى يوجه عرض الفيلم كل همها إليه ، عن التفرقة بين اشتقاق هذه اللذة من زوج تدخل به فى قران ، أو حبيب تهيم به فى نزوة ، أو طالب لذة تقابله فى طريق ؟ !

لقد كتبت ممثلة مصرية معروفة فى إحدى الصحف المصرية الكبيرة مقالا طويلا عريضاً جاء فيه : « إن الممثلة عند ما تقوم بدورها فى الفيلم تندمج فى هذا الدور ، وتمنحه كل عواطفها وإحساساتها وأعصابها ، وتركز حواسها فى الحوار والحركات المطلوب منها أداؤها ، فإذا حدث أن تطلب دورها أن تقبل أحد الممثلين فى الرواية قامت بدورها بنفس الإحساس الذى تشعر به لو كان مطلوباً منها أن تضربه قلماً ، فالقبلة السينمائية لاطعم لها ، إنها قبلة باردة ، يفقدها التمثيل والتصوير والإخراج حرارتها على الطبيعة ! إنها تبدو شائقة حارة على الشاشة ، ولكنها كقطعة الثلج فى البلاتوه ! إن هذه القبلة التى تجعلها الاضواء وكأنها تلسع الشفاه يحيطها إطار المنظر وأضواؤه بأشمة من الأحلام والخيال ، تبدو فى أثناء العمل شيئاً عادياً لا يوحى بالحب ، ولا يؤدى إلى غيرة الزوج ولا إلى الإلقاء به فى مستشفى المجاذيب » .

ونحن لو سلمنا جدلا أن القول بأن القبلة السينمائية لا أثر لها فيما بين الممثل والممثلة يدخل فى مخاخنا ، فهل نسلم أنها لا أثر لها فى النظارة والمشاهدين ، خاصة وأن الممثلة المذكورة تقول بأنها تبدو شائقة حارة على الشاشة ، وتجعلها الاضواء وكأنها تلسع الشفاه؟!

إن كان صانعو الأفلام المصرية يريدون بالقبلة السينمائية أن يعبروا عن الحب أو الانسجام العاطفى بين بطلة القصة وبطلها ، أو عن الرغبة فى الزواج بينهما ، أو عن المألوف بينهما فى القصة حال كونهما زوجين فيها ، فهلا يوجد غير القبلة وسيلة للتعبير عن هذه المعانى ؟ ألا يكفى عرض القصة أو سرد الوقائع أو الحوار أو مجرد النظرة أو غير ذلك من وسائل لا تكون نتائجها وخيمة العاقبة على المجتمع وأبنائه ، أم أن هذا القول فيه الرجعية والتزمت ؟ !

إن القبلة تعبير جميل عن إحساس خالد إذا كانت بين والد وولده ، أو بين أم وابنتها ، أو أخت وأختها ؛ لأنها تصور علاقة شريفة وإحساساً جميلا ، ولكنها تضحى تعبيراً سيئاً إذا حصلت علانية بين ممثلى الشاشة وممثلاتها تمثيلا للإغواء الجنسى والعشق الجسدى ، والعقلاء من أهل علوم النفس يدعون إلى إعلاء الغريزة ، وكان قميناً أن تكون هذه مهمة الإرشاد القومى فى صناعة الأفلام فيما يتعلق بالقبلات . . ولكن هيهات !

وإذا كان صانعو الأفلام يريدون بالقبلة السينمائية جذب النظارة وكثرة المتفرجين بإغرائهم بلذة المشاهدة ، مستغلين فيهم الكبت والحرمان والغرائز البشرية ، فهل يرضى الإرشاد القومى بهذا الجذب وسيلة للكسب وإصلاح المجتمع ؟ !

ثم إن الجذب له وسائله الصالحة ، فرب فيلم يعالج فكرة هامة من أفكار الحياة ، يشهده النظارة فينسون أنفسهم فيه ويتتبعونه لا يحولون أبصارهم عنه ؛ لأهمية الفكرة وحسن تمثيلها وبراعة خدمتها وتأديتها ، وينتهى الفيلم دون قبلات ، فترى الناس يخرجون من مشاهدته وهم سعداء مبسوطون لبداعة الفكرة وحسن العرض وتأثرهم بالمغزى ، ويروج الفيلم ويشتهر فى سوق المشاهدين دون أن يكون للقبلات السينمائية أثر فى الجذب أو الرواج ، ودون أن يلحظ أحد نقصاً فيه بسببها ، بل ودون أن يتطلبها منهم أحد فيه ، لأن الفكرة بسموها ، والعرض بحسنه ، والقصة بحبكها ، والصورة بجمالها ، كل هذه عناصر قد اجتمعت فى الفيلم فجعلته كلا كاملا لا يحتاج إلى شغل فراغ فكرته ، أو عرضه بطبعات آثمة الغرض منها الجذب والخلب ، والنتيجة منها الإساءة إلى الخلق ، والتطويح بالتقاليد ، والإضرار بحسن السيرة ، وتصديع ما تبقى من مثل الحياة فى مجتمع بلد يدين بدين ، ويتمسك بخلق ، ويرنو إلى آمال .

وليس كذباً القول بأن الغرض من القبلات السينمائية فى كثير من الأفلام هو جذب المتفرجين وإغواؤهم ، فمن ذلك أن الإعلانات التى نشاهدها كل يوم هنا وهناك فى الصحف والمجلات وعلى واجهات الدور السينمائية، وفى لوحات الإعلانات ، تنطوى فى الغالب على تصوير قبلة حارة بين بطل الفيلم المعلن عنه وبطلته فى وضع مثير للغرائز البشرية جاذب لأصحابها ، خاصة إذا كانوا من الشبان والفتيات أو الهائمين والهائمات أو الباحثين والباحثات عن الهيام فى الأرض .

والناس سرعان ما ينجذبون نحو الأفلام التى تصور إعلاناتها لهم هـذه القبلات ، ويعرفون أنها أفلام مليئة بالغرام زاخرة بالقبل ، ولا يجد الفاحص صعوبة فى ملاحظة انجذابهم لرؤية مواقف الغرام الملتهبة باللثمات والقبلات بوازع من الحرمان فى أجسادهم ، والـكبت فى أنفسهم ، والشوق فى شهواتهم ، فما عليه إلا أن يحضر برنامجا تعرض فيه أمثال هذه الأفلام حتى يرى أن المناظر التى تصور تلك المواقف وتبرز هاتيك القبلات هى التى يموج لها الحاضرون ويهيجون ويصفرون ويطربون مهما كان وسط الدار رفيعاً ووسط المتفرجين فيها راقياً .

ونحـن نقول لو أن الرؤية تشبع أو تـكفى أو تهدىء لـكانت عـلاجاً لـكبت هؤلاء وشوقهم وحرمانهم ... ولـكنها تزيد النار أواراً ، والجذوة اشتعالا ، ولا تهدىء الغريزة ، ولا تشبع الحاجة ، وإذا ما كان لها مثل هـذا الأثر فإن الأفلام تضحى ـ والحالة هذه ـ عنصر فوضى فى الشعور والأخلاق ، وعنصر إثارة للغرائز ودفع للشهوات ، وعنصر هدم فى المجتمع ؟

أحمد طه السنوسى

لشوقى لا لحافظ

جاء فى افتتاحية (رسالة المعلم) بيت شوقى :

قم للمعـلم وفـه التبجيلا كاد المعلم أن يـكون رسولا

منسوباً إلى حافظ ، وهو خطأ أدى إليه الاعتماد على الذاكرة وقد تخون صاحبها ، والصواب أنه لشوقى ، وقد نبهنا إلى ذلك الصديق الـكريم فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت فشـكراً له .

نظرية المساواة

فى الشريعة الاسـلامية

— ٣ —

تحدثنا فى المقال السابق عن مبدأ المساواة بين رؤساء الدول والرعايا ، وتكملة لهذا الحديث يجب علينا أن نعرض للكلام عن رؤساء الدول الأجنبية .

رؤساء الدول الأجنبية :

عرفنا مما سبق أن الشريعة الغراء لا تميز رئيس الدولة الإسلامية الأعلى ، فهى من باب أولى لا تميز رئيس دولة أجنبية .

يتضح من ذلك أن الشريعة تسرى إذاً على رؤساء الدول الأجنبية وعلى رجال حاشيتهم أثناء وجودهم فى دار الإسلام ، فإذا ارتكبوا جريمة ما عوقبوا عليها ، ورأينا أن أبا حنيفة يقول بعدم إمكان عقاب الإمام على الجرائم التى تمس حقوق الجماعة ، وهذا القول لا يفيد رؤساء الدول الأجنبية . ولكن ما الحل إذا كان رؤساء الدول الأجنبية وحاشيتهم فى دار الحرب ؟؟

رؤساء الدول الأجنبية فى دار الحرب وحاشيتهم ليسوا إلا مستأمنين ، ولهذا فإنه يمكن لهؤلاء أن يستفيدوا من نظرية أبى حنيفة فى تطبيق الشريعة على المستأمن ، وعلى هذا لا يعاقب المستأمن إلا على الجرائم التى تمس حق الأفراد ، أما الجرائم التى تمس حق الجماعة فلا يعاقب عليها [1] .

---

(١) خلاصة نظرية المستأمن : يرى أبو حنيفة أن من يقيم إقامة مؤقتة فى دار الإسلام فلا تطبق عليه أحكام الشريعة إذا ارتكب جريمة تمس حقا لله ، أى تمس حقا للجماعة ، وإنما يعاقب بمقتضى الشريعة إذا ارتكب جريمة تمس حقا للأفراد ، والمستأمن هو من يقيم إقامة مؤقتة فى دار الإسلام . وكان لهذا الرأى أثر سيء على البلاد الإسلامية لأن رأيه اتخذ سندا فى منح الامتيازات الأجنبية للمستأمنين أى من نسميهم اليوم بالأجانب =

على أن أبا يوسف يخالف أبا حنيفة فى هذا ، ويرى كما يرى باقى الأئمة عقاب المستأمن على كل الجرائم التى يرتكبها فى دار الإسلام .

بعد هذا نتابع الحديث بالكلام عن نظرية المساواة بين رجال السلك السياسى والرعايا العاديين ، ثم بين الأغنياء والفقراء ، وأخيراً بين الظاهرين والخاملين .

رجال السلك السياسى :

تسرى الشريعة على رجال السلك السياسى ، فيما يرتكبون من جرائم فى دار الإسلام سواء تعلقت الجرائم بحقوق الجماعة أم بحقوق الأفراد ، وليس فى قواعد الشريعة ما يسمح بإعفائهم من تطبيق الشريعة عليهم إلا إذا أخذ بنظرية أبى حنيفة فى المستأمن (١) .

المساواة بين الأغنياء والفقراء :

الأغنياء والفقراء لدى الشريعة سواء ، وقواعد الشريعة لا تسمح بأن يستفيد الغنى من غناه أو أن يضار الفقير بفقره ، ولهذا لا تعترف الشريعة بنظام الضمان المالى أو الكفالة المالية إذا كانت العقوبة الحبس لا لشىء إلا لأنه نظام يقوم على غير المساواة .

والمعروف فى الشريعة هو نظام الكفالة الشخصية ، ويطبق فى حالة الحبس للدين ، فمن كان محبوسا لدين جاز أن يفرج عنه إذا كان له كفيل ، ولا شك أن كل محبوس لدين يستطيع أن يجد شخصا يكفله ، لأن الحبس للدين لا يكون إلا عند الامتناع عن الدفع مع القدرة عليه ، ولكن كل محبوس لا يستطيع أن يدفع فورا قدرا من المال .

= وكلنا نعلم مدى ما قاسته البلاد الإسلامية وما تزال تقاسيه من آثار هذه الامتيازات التى منحت للأجانب وقت ضعفهم وقوة المسلمين لتشجيع الأجانب على دخول دار الإسلام ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم ، فأصبحت بعد ضعف المسلمين سببا لاستغلال المسلمين ، وتضييع حقوقهم ، واستعلاء الأجانب عليهم .

(١) رجال السلك السياسى الذين يمكن اعتبارهم مستأمنين هم الذين ينتمون لدولة محاربة ويمثلونها وليسوا مسلمين ، أما المسلمون الذين يمثلون دولة محاربة أو دولة إسلامية ، فهؤلاء لا يعتبرون مستأمنين بحال ، وحكمهم حكم أى مسلم يقيم فى دار الإسلام .

أما الحبس فى الجرائم على ذمة التحقيق والمحاكمة فيراه بعض الفقهاء نوعا من التعزير أى عقوبة اقتضتها حالة الاتهام التى نزلت بالمتهم، ويترتب على اعتبار هذا النوع من الحبس عقوبة أنه لا يمكن إخلاء سبيل المتهم بكفالة شخصية، لأن الكفالة لا تقبل فى العقوبة.

ويرى البعض أن الحبس فى هذه الحالة حبس للاحتياط وليس عقوبة، وعلى هذا الأساس تجوز فيه الكفالة الشخصية.

ونرى أن هذا هو الرأى الراجح، ويتمشى قانون الإجراءات الجنائية مع هذا الرأى، ولا شك أن كل محبوس حبسا احتياطيا يستطيع أن يجد له كفيلا، ولكن كل محبوس لا يستطيع أن يدفع ضمانا ماليا.

وفى هذا تفوق الشريعة القانون الوضعى حيث أن قانون الإجراءات الجنائية يشترط أن تكون الكفالة مبلغا من النقود يقدره القاضى، وفى ذلك تنعدم المساواة بين الفقراء والأغنياء.

الظاهرون فى الجماعة :

لا تميز الشريعة بين الأفراد، فهم لديها سواء، فالحاكم كالمحكوم، والشريف كالوضيع، والقوى كالضعيف. وقد عاتب الله رسوله عتابا شديدا، لأنه اهتم بأمر قادة قريش وسراتها أكثر مما اهتم بأمر فقير أعمى هو ابن أم مكتوم عمرو بن قيس، جاء يسأل الرسول ﷺ أن يعلمه مما علمه الله، وكان النبى ﷺ مجتمعا فى هذا الوقت بقادة قريش وسراتها، يكلمهم فى شأن الدعوة، فكره أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، وظهرت هذه الكراهية فى وجهه وأعرض عنه وهو يطمع فى استمالة القوم، فأنزل الله جل شأنه فى ذلك الحادث قوله: «عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى»

وقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام أشد الحرص على تطبيق مبدأ المساواة وعدم التمييز بين الأفراد.

من ذلك أنه طبق هذا المبدأ يوم أن سرقت امرأة من أشراف قريش، فتحدث الناس أن رسول الله ﷺ عزم على قطع يدها، وأعظموا ذلك وكلموا فيها الرسول عن طريق

أسامة بن زيد ، فقام ﷺ خطيبا فقال : ما إكثاركم علىّ فى حد من حدود الله ، وقع على أمة من إماء الله ؟ والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد نزلت بمثل الذى نزلت به لقطع محمد يدها . انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٥٠ .

وخاصم عبد من عامة الناس عبد الرحمن بن عوف ـ وهو من كبار الصحابة ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب عبد الرحمن بن عوف ، وسب العبد قائلا : يا بن السوداء ، فغضب النبى ﷺ أشد الغضب ورفع يده قائلا : « ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق » ، فاستخذى عبد الرحمن وخجل ورأى أن يعتذر للعبد أوضح اعتذار وآلمه للنفس ، فوضع خده على التراب ، وقال للعبد : طأ عليه حتى ترضى .

ولعلنا نذكر قصة جبلة بن الأيهم ، فقد داس أعرابى على إزاره وهما يطوفان بالكعبة ، فلطمه جبلة ، فشكا الأعرابى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر بالقصاص ، وعز على جبلة وهو شريف أن يقتص منه الأعرابى فهرب ، ولحق بأرض الروم وتنصر ، ثم أدركه الندم فقال مقالته المشهورة .

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

وكان عمر بن الخطاب حريصا على التسوية بين الأشراف والعامة ، وله فى ذلك وقائع مشهورة . والقاعدة فى الشريعة أن التعويضات لا ينظر فيها إلى شخصية المجنى عليه ولا مركزه ولا ثروته ، وإنما يقدر التعويض على أساس نتيجة الفعل الذى وقع عليه ، فإذا قتل شريف ووضيع فديتهما واحدة .

المسلمون والذميون :

وتسوى الشريعة بين المسلمين والذميين فى تطبيق نصوص الشريعة فى كل ما كانوا فيه متساوين ، أما ما يختلفون فيه فلا تسوية بينهم فيه ، لأن المساواة فى هذه الحالة تؤدى إلى ظلم الذميين . ولا يختلف الذميون عن المسلمين إلا فيما يتعلق بالعقيدة ، ولذلك كان كل ما يتصل بالعقيدة لا مساواة فيه ، ولا يعتبر هذا استثناء من قاعدة المساواة بل هو تأكيد للمساواة ، إذ المساواة لم يقصد بها إلا تحقيق العدالة .

والجرائم التى تفرق فيها الشريعة بين المسلمين والذميين هى الجرائم القائمة على أساس دينى محض كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، فالشريعة الإسلامية تحرم شرب الخمر وأكل

لحم الخنزير ، ومن العدل أن يطبق هذا التحريم على المسلم الذى يعتقد طبقا لدينه بحرمة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ولكن من الظلم أن يطبق هذا التحريم على غير المسلم الذى يعتقد أن شرب الخمر غير محرم ، وأن أكل لحم الخنزير لا حرمة فيه ، ولكن يعاقب الذميون على الجرائم القائمة على أساس دينى إذا كان إتيانها محرما فى عقيدتهم ، أو يعتبر عندهم رذيلة ، أو إذا كان إتيان الفعل مفسداً للأخلاق العامة ، أو ماساً بشعور الآخرين ، فمثلا شرب الخمر ليس محرما فى عقيدة الذميين ، ولكن السكر محرم عندهم أو هو رذيلة فضلا عن أنه مفسد للأخلاق العامة ، ومن ثم كان الذميون معاقبين على السكر دون الشرب ، فمن شرب حتى سكر عوقب ، ومن شرب ولم يسكر فلا عقوبة عليه . ويترتب على التفرقة فى تطبيق نصوص الشريعة بين المسلمين والذميين أن تكون الجرائم فى الشريعة قسمين :

قسم عام : يعاقب القانون على إتيانه كل المقيمين فى دار الإسلام .

وقسم خاص : يعاقب على إتيانه المسلمون دون غيرهم ، ولا يمكن أن يقع إلا منهم ، وأساس هذا القسم هو الدين .

وليس فى القوانين الوضعية قانون واحد لم يسلك مسلك الشريعة من حيث جعل بعض الجرائم عاما يقع من كل الرعايا ، وبعضها خاصاً يقع من بعض الرعايا فقط ، ولكن القوانين لا تجعل أساس التفرقة الدين .

وقد اضطرت الشريعة الإسلامية لسلوك هذا الطريق لتحقيق العدالة وتوفير حرية الاعتقاد ، والمحافظة على النظام ، وأساس النظام فى الشريعة هو الإسلام . أما القوانين الوضعية فليس فيها ما يحمل واضعها على سلوك هذا الطريق ، لأن القوانين تجرد عادة من كل ما له مساس بالعقائد والأخلاق والدين على العموم ، ويكتفى فيها بتحريم ما يمس علاقات الأفراد المادية أو يمس الأمن أو نظام الحكم . وقد أدت طريقة القوانين إلى فساد الأخلاق وشيوع الفوضى والتحلل من كل القيود ، ولقد أوقع المشرعين الوضعيين فى هذا الخطأ الفاحش أنهم أرادوا أن يحققوا المساواة ، ويطبقوا مبدأ حرية الاعتقاد فلم يروا وسيلة لتطبيق هذين المبدأين معا إلا أن يجردوا القانون من كل ما يمس العقائد

والاخلاق والأديان ، فأدى بهم هذا التطبيق السيء إلى هذه النتائج المحزنة ، ولو أنهم أخذوا بطريقة الشريعة الإسلامية لضمنوا تحقيق ما شاءوا من مبادىء ولمنعوا من وقوع هذه المساوىء .

ونختم البحث بأن كل منصف يستطيع بعد هذه المقارنة التى عقدناها أن يقول : إن نظرية المساواة فى الشريعة الإسلامية بلغت درجة الكمال المطلق ، ولكنها فى القانون لا تزال كالطفل الذى يحسن أن يحبو ولا يستطيع أن يقف على قدميه .

وفق الله ولاة الأمر إلى إصلاح الاحوال ، والعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، فيسعد الراعى والرعية ، ويسود السلام ويعم الرخاء ، والله الموفق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ؟

محمد محيي الدين المسيرى
ليسانس فى القانون

رسالة الأزهر

قال فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون شيخ علماء الإسكندرية فى خطبة افتتح بها العام الدراسى فى المعهد الإسكندرى :

« إن الأزهر بمعاهده وكلياته هو جامعة الإسلام الكبرى التى أقامها التاريخ قيما على تراث الإسلام ولغته العربية ، فهو الحفيظ على تبليغ رسالته وتبيين حكمه وأحكامه إلى الناس عامة ، وجعل هذه الاحكام عملا من أعمال الحياة فى الواقع الوجودى تسيطر على سلوك الافراد والجماعات ، وتدخل مع الناس فى بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم ومعاهدهم ومتاجرهم ومصانعهم ، وتسرح معهم فى أحراجهم ومزارعهم ، وتصاحبهم فى سلمهم وحربهم .

« أنا أعلم أننا محسنون فى كثير من أمر رسالة أزهرنا ، وأعلم أننا معوّقون فى كثير من أمرها ، وأعلم أننا مقصرون فى كثير من شأنها تقصيراً ساعد المعوقين على ستر إحساننا فلم يعد مشهوداً للناس بعين الرضا والإكبار .

كلمـــــة

فضيلة شيخ معهـد دمنهور

فى طـــلابه يوم بدء العمل فى المعهد

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ، ونطلب منه الحول والقوة ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

أما بعد — فإنى أحب أن يدرك أبناؤنا الطلاب ، ونحن فى أول عهدنا بمدارسة العلم فى معهد جـديد ، وفى مستهل عام مبارك من حياة هـذا المعهد الطويلة بإذن الله — أحب أن يدرك أبناؤنا أن رسالتهم تقوم عليها الحياة الصحيحة ، ويؤسس عليها المجتمع الصالح ، وهى رسالة الأنبياء والمرسلين .

وإذا كان لى أن أوصيهم ، فإن وصاتى أن يكون لهم عناية بالعلم والخلق ، فالحياة الآن قد اطرحت جانب الهزل ، وسارت سيراً حثيثاً فى طريق الاستقامة والجد ، وتغيرت القيم التى يوزن بها الناس ، وأصبح العلم هو أساس الترجيح ، وألقى الجهل عصاه ، وأصبح الجهلاء يعيشون على هامش الحياة ، وإن ظاهرهم الحسب والنسب والمـال .

ونحن الآن فى مطلع فجر جـديد ، نأمل أن يكون يومه خـيراً من أمسه ، ونسعى جاهدين بكل ما نملك من المواهب و « الإمكانيات » إلى بناء الوطن بعـد أن تداعى ، وازدهاره بعد أن تهاوى ، فما أحوجنا ـ والحالة هذه ـ إلى الاعتصام بالخلق الكريم ، فإنه لن تبنى الأمم بالعلم ولا بالمـال ولا بغير ذلك من الوسائل بمقدار ما تبنى بالأخلاق .

فإنمـا الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولعلكم تدركون أن الله العليم الحكيم لم يمـدح نبيه الكريم ورسوله العظيم بمثل ما مدحه بالخلق . قال جل شأنه مثنياً عليه : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

وإذا كان الاعتصام بالخلق ، والتمسك بأهداب الفضيلة ، مطلوبا من الناس جميعاً ،

فهو أشد طلباً ممن يعدون أنفسهم للدعوة ، ويهيئونها للأسوة ، وقد عاب القرآن الكريم على من يدعو الناس إلى الخير ، وهو لا يعمل به فى خاصة نفسه ، قال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » .

وتسألنى عن الاخلاق ما هى ؟ فأقول : سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : (كان خلقه القرآن) يأتمر بأمره ، وينتهى بنهيه ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه .

هذه وصاتى إلى أبنائى الطلاب : أبناء اليوم ، ورجال الغد . ولعلهم إذا وعوها وعملوا بها — وهم لا شك عاملون — سعدوا فى دنياهم وأخراهم ، وهى وصاة جامعة لكل ما يوصى به من العكوف على الدرس ، واطراح اللعب ، والابتعاد عن الهزل ، وشغل الوقت بالطاعة ، وكل عمل نافع ، وحسن معاملة المعلمين والزملاء والناس جميعاً ، ومراقبة الله فى السر والعلن ، وحب رسول الله ، والعمل بسنته ، وجلب الخير للناس ، ودفع الشر عنهم ، إلى غير ذلك من كل ما يصلح به الفرد ، وتسعد به الجماعة .

إنكم إذا فعلتم ذلك — يا أبنائى — كنتم أحقاء برضا الله وثقة الحكومة وعطفها وتقديرها ، وجديرين بأن يعلق الشيخ الأكبر آماله عليكم فى أن تؤثروا فى الحياة الخاصة والعامة تأثيراً يصلح الفاسد ، ويقوم المعوج ، ويبنى الوطن ، ومستأهلين لما عمل من أجلكم فى هذا الإقليم ، ومستحقين المزيد من كل تكريم وتبجيل .

هداكم الله ووفقكم ونفع بكم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

عبد العزيز سمك

شيخ معهد دمنهور

الدخيل وكتب التفسير

— ٦ —

كتبت فى هذا الموضوع بضع مقالات فى هذه المجلة الغراء من العام الماضى ، وقد وقفت عند ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة . وقد رغب إلىّ بعض أهل العلم أن أتمم ما بدأت ، فالموضوع جد خطير ، ويحتاج إلى جهد كبير من الدرس والبحث ، ولو لم يكن فى هذا البحث إلا أنه يرد هجمات الطاعنين فى الإسلام ، وبيان أنهم طعنوا فى غير مطعن لكفى ، فما بالك وفيه ـ عدا ذلك ـ للمسلمين وأهل العلم غناء كبير .

وسترى معى ـ أيها القارىء الكريم ـ أن الدخيل فى قصص الأنبياء شىء كثير ، وأكثره مما يذهب بعصمة الأنبياء ، ويضعهم دون منازلهم التى ارتضاها الحق تبارك وتعالى لهم بدركات ، وبعضه مما لا يعدو أن يكون خرافات وترهات ننزه كتاب الله عنها .

فمن ذلك ما ذكره بعض المفسرين فى قصة ابنى آدم لما قتل أحدهما الآخر : من أن آدم عليه السلام رثاهما بشعر ، فقد روى عن على كرم الله وجهه : لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

الخ ... ما ذكروا من شعر .

وروى مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقد طعن الإمام الذهبى فيما روى وبين أن الآفة من المخرمى أو شيخه [1] .

وصدق الزمخشرى حيث يقول فى تفسيره : « روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة

---

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٣ .

لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون ، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر » .

وذكر الإمام الألوسي فى تفسيره عن الحبر رضى الله عنه أنه قال : من قال إن آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب ، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء . ولكن لما قتل قابيل هابيل بكاه آدم بالسريانية فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب ابن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية [1] فقدم فيه وأخر وجعله شعراً عربيا ، وذكر بعض علماء العربية أن فى ذلك الشعر لحنا أو إقواء أو ارتكاب ضرورة ، والأولى عدم نسبته إلى يعرب ، لما فيه من الركاكة الظاهرة [2] وقد ولع بذكر شعر آدم بعض المؤلفين فى كتب الأدب ، وحقيقة الأمر فيه ما ذكرنا .

* * *

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « ويصنع الفلك الآية » ، من وصف السفينة وما كان فيها من عجائب ، قال الإمام السيوطى فى الدر المنثور : أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « كانت سفينة نوح لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان ، وذكر أحاديث فى طولها وعرضها . قال : وأخرج ابن أبى حاتم من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « لما حمل نوح فى السفينة من كل زوجين اثنين قال له أصحابه : وكيف نطمئن ومعنا الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى ، ثم شكوا الفأرة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعطس

---

(١) « المجلة » : الاقرب إلى الصواب أن يكون سكان بلاد العرب الجنوبية يتكلمون باللغة السامية الاولى ، قبل أن يتكلموا بالعربية ، فالعربية والسريانية من فروع اللغة السامية الاولى التى كان الساميون يتكلمون بها من العهد الاول ، ثم نشأت لهجات لها بكثرة الساميين وهجراتهم وتباعدهم ، ومن هذه اللهجات : العربية والاشورية والكلدانية والفينيقية والآرامية والسريانية ، ثم العبرية ، فاذا كان قحطان والقحطانيون آخر من كان يتكلم ببقايا اللغة السامية الاولى فيعرب يحتمل أنه أدرك تطور اللهجة العربية فى أول عهدها فكان يتكلم بها مع معرفته السامية الاولى . والسريانية لم تعرف باليمن جنوبا بل فى البلاد الشمالية .

(٢) روح المعانى ج ٦ ص ١١٥ ط منير .

فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها . وذكر نحواً من ذلك ابن جرير فى تفسيره ، كما ذكر أن نوحا مسح ذنب الفيل فخرج منه خنزيران إلى غير ذلك مما ذكر فى تعليل خلقة بعض الحيوانات ، وكل ذلك مما لا نصدق وروده عن المعصوم ، وهى أحاديث خرافة كانت شائعة ثم ألصقها الزنادقة وأعداء الإسلام به زوراً وبهتانا ليظهروه بمظهر التخريف ، والله سبحانه خلق الأشياء على ما هى عليه لحكم قد تدق عن الإدراك ، والعجيب أن مثل هـذا الهذيان لا يزال يجرى على ألسنة العجائز يسمرن به فى الأمسيات .

* * *

وأعجب من ذلك ما ذكره بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » سورة يوسف الآية ٢٤ ، فقد روى عن ابن عباس وغيره أنه حل تكة سراويله ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، وأنه لم ينفك عن فعلته حتى رأى صورة أبيه يعقوب تحذره .

وقيل : إنه ضرب فى صدره فخرجت شهوته من أنامل قدميه ، إلى غير ذلك مما ذكر ، وهو مناف لعصمة الأنبياء .

وأى معنى يبقى للعصمة بعد الذى زعمـــوه ، وما امتناعه عن الزنا على رواياتهم المفتراة إلا وهو مقهور مغلوب على أمره ، ولو أن عربيدا رأى صورة أبيه وقد مات تحذره من الإقـدام على معصية لكف عنها ورجع عن غوايتـه ، فأى فضل ليوسف — عليه السلام — إذاً وهو نبى من سلالة أنبياء ؟ بل أى فضل له فى امتناعه بعـد أن خرجت شهوته من أنامل قدميه ؟ وما امتناعه فى هذه الحالة إلا قسرى جبرى . وكيف يتفق ما حيك من روايات باطلة وقول الله جـل شأنه : « كذلك لنصرف عنـه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » . وكيف يستحق هـذا الثناء من حل السروال وجلس بين الشعب ؟ بل كيف يتفق ما حاكوه وما حكاه الحق تبارك وتعالى عن زليخا حيث قالت . « أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » ، وهو اعتراف صريح من صاحبة المراودة التى أعيتها الحيل فى استمالته عن طريق الترغيب والتزين حينا والإرهاب حينا آخر فلم تفلح « لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين » فانظر ماذا كان جواب السيد العفيف يوسف « قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم »

وقد شهدت النسوة اللاتى قطعن أيديهن ببراءة يوسف « قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء » وشهد ببراءته أيضا شاهد من أهلها « إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم » .

وإبليس نفسه شهد ببراءته فى ضمن قوله كما حكاه الله عنه « فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » ويوسف بشهادة الله سبحانه من المخلصين ، فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة المبرئة ، وهذه الروايات الباطلة المزورة .

وقد ذكر الكثير من هذه الروايات الثعلبى والبغوى (١) فى تفسيريهما وسماها بمذهب السلف ، ومن العجيب حقاً أن يضعفا مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان ، ويفسرون الآيات على حسب ماتقتضيه اللغة ويحتمه الشرع ، وحجتهما فى التضعيف مخالفتهم لأقوال السلف ، وهى هذه الروايات الغثة التى يأباها نظم القرآن الكريم ، وتأباها طبيعة الأنبياء ، وهى غفلة لا يرضاها الله ورسوله ولا العلماء الراسخون ، وقد وقع فى مثل ما وقع فيه الثعلبى والبغوى الواحدى فى كتابه البسيط .

وهذه الأقوال التى لا مجال للرأى فيها ننزه الرسول عن أن تكون متلقاه عنه ، وهى إسرائيليات من أباطيل أهل الكتاب دست على الرواة ، دسها الزنادقة وأعداء الدين ، ونقلها بعض المفسرين فى كتبهم اغتراراً بأنها من أقوال السلف وهم منها برآء ، ولم يكتف الوضاعون بأن ألصقوا أمثال هذه الروايات بالصحابة والتابعين ، بل رووا فى المرفوع ما يؤيد هذه الفرية ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ثم قال : لما قالها يوسف قال له جبريل : « يايوسف ، اذكر همك ، قال : وما أبرىء نفسى الآية » ، ورووا فى الموقوف أيضا نحو ذلك . وقد فات من دس هذه الرواية الباطلة أن قوله : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ليس من مقالة يوسف وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية والواقع ، ذلك أن للعزيز لما أحضر النسوة وسألهن وشهدن ببراءة ساحة يوسف لم تجد امرأته بدا من الاعتراف « قالت

---

(١) أنظر تفسير البغوى ص ٤٣٠ جزء ٤ ط المنار وتفسير الثعلبى (مخطوط) .

امرأة العزيز الآن حصحص الحق ، إلى ، وما أبرىء نفسى الآية ، فكل ذلك من قولها ولم يكن يوسف حاضراً ثم بل كان ما زال فى السجن ، فكيف يعقل أن يصدر منه هذا القول فى مجلس التحقيق الذى عقده العزيز ؟ .

ولا تلتفت لما ذكره بعض المفسرين من خلاف فى قائل هذا القول فالحق ما سمعته ، وقد انتصر لهذا الرأى الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ، وذكر العلامة ابن كثير أنه أفرده بتصنيف على حدة . وهكذا نرى أن ما حيك من روايات فى قصة يوسف مختلق ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يخرجها أحد من أهل الصحة ولا أصحاب الكتب المعتمدة عند المحدثين الذين يرجع إليهم فى ذلك ، وإنما ذكرها الأخباريون وبعض المفسرين وديدنهم التساهل فى مثل ذلك .

وإذا خلصنا إلى ما رأيت ، فالحق الصحيح فى تفسيرهم يوسف أنه لم يقع من يوسف هم بالفاحشة ، وأن الكلام من قبيل التقديم والتأخير .

أى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فالهم ممتنع لوجود البرهان ، والمقدم إما الجواب أو دليله على الخلاف ، والبرهان هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا ، وهو شىء مركوز فى فطر الانبياء ، ورحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما حيث قال : « البرهان النبوة التى أودعها الله فى صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله » .

وهذا هو القول الجزل الذى يوافق ما دل عليه العقل ويدعو إليه السابق واللاحق . وذهب بعض المحققين إلى أن هم يوسف عليه السلام كان خطرة وحديث نفس من غير اختيار ولا عزم ، وسرعان ما ذهبت الخطرة وبقى الحق واليقين ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

من أدب الاسلام

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى النبى ﷺ أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له الخاطب قبله » رواه البخارى وغيره .

حرص الإسلام على أن يسود الوئام ويعم الصفاء بين المسلمين ، فدعا إلى ما يجلبهما ، وحذر مما يسبب البغضاء ، ويؤدى إلى التدابر والشحناء ، حتى تكون الأمة الإسلامية يداً واحدة على قلب رجل واحد ، وجسداً واحداً يتألم كل جزء فيه لألم سواه ، فأوجب التراحم والتعاطف والتساند والتعاون بين المسلمين ، وذم الأنانية وحذر منها ووصم المتصف بها بانعدام إيمانه أو بنقص إيمانه ، فقال الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وقال أيضاً : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . والحديث الذى معنا ينهى عن مظهرين من أشد مظاهر الأنانية كراهية للنفوس ، وسببين كبيرين من أسباب التباغض والشحناء بين المسلمين .

أما أولا : فهو أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا شك أن مسألة البيع والشراء من أسباب تحصيل الرزق والسعى إلى إدراك لقمة العيش التى لا يستطيع الإنسان الحياة بدونها ، فالبيع على البيع ، والشراء على الشراء ، محاربة فى الرزق ووقوف فى سبيل العيش ، وهذا أشد ما يؤثر فى النفوس ويغيظها ويكدرها ويحملها على ارتكاب الجرائم ، لأن الإنسان يبذل حياته رخيصة فى سبيل رزقه ، فانقطاع الرزق يؤدى إلى الموت جوعا ، والموت فى سبيل المحافظة على الرزق أكرم من الموت جوعا . وللبيع الرجل على بيع أخيه صورتان :

الأولى : أن يشترى رجل من أخيه شيئاً على أن له الخيار فى رده إذا لم يعجبه أو إذا

ظهر فيه عيب ، فيأتى رجل آخر يعرض على المشترى مثل هـذا الشىء بثمن أقل ، فيرد المبيع لبائعه ، ويأخذ ممن عرض عليه بالسعر الأقل .

الثانيـة : وهى أبشع من الاولى ، أن يشترى رجل من أخيه شيئا وهما فى المجلس لم يتفرقا ، فيأتى رجل آخر فيعرض على المشترى مثل المبيع بثمن أقل فيرد المشترى المبيع ويأخذ ممن عرض عليه بالثمن الأقل ، أو يضطر البائع الاول إلى إنقاص الثمن بقدر ما عرض الرجل الثالث فيضار بذلك ، وقد يؤدى هذا إلى العناد بين البائعين فيظل كل منهما ينقص من ثمن مبيعه حتى يبيع أحدهما بثمن فيه خسارة محققة . ومن أمثلة ذلك ما نراه فى الأسواق من البائعين المتجاورين ، ينادى أحد الباعة على سلعة بثمن فينادى جاره على هـذه السلعة نفسها بثمن أقل ، فيغتاظ الاول فينقص من ثمن سلعته ، ويتبعه الآخر فى النقص وهكذا إلى أن يرحل أحـــدهما أو يتشاجرا شجارا قد يؤدى فى بعض الاحيان إلى القتل أو الإصابة بالعاهات .

ومثـل البيع على البيع الشراء على الشراء . . . والصورتان اللتان فى البيع على البيع تأتيان أيضا فى الشراء على الشراء ، بأن يذهب رجل إلى البائع فى مدة الخيار ويقول له : إن الثمن الذى بعت به رخيص وأنا أشترى منك بأكثر أو عندى مشتر بأكثر ، أو يقف رجل يرقب بيع رجلين وشراءهما فيعرض على البائع ثمنا أكثر مما يعرضه المشترى أو يقول له عندى مشتر بأكثر فيمتنع البائع عن البيع ، وقد يؤدى هـذا إلى العناد أيضا بين المشتريين ، فيظل كل منهما يزيد فى ثمن المبيع حتى يبلغ ثمنه الذى يدفعه أحدهما أضعاف ثمنه الأصلى ، إلى أن يكف أحدهما عن الزيادة أو يتشاجرا شجارا تكون آخرته جريمة . وقد عرف الشرع الحكيم ما يترتب على بيع الرجل على بيع أخيه وشرائه على شرائه فنهى عنه ، وحث المسلمين على حب بعضهم لبعض ، وبعدهم عما يسبب الشحناء والبغضاء .

وحكم البيع مع ذلك أنه صحيح ، ولكن يحرم على من باع على البيع أو اشترى على الشراء ، ويكفيه أنه باع رضى الله بثمن بخس . .

أما الثانى : فهو أن يخطب الرجل على خطبة أخيه قبل أن يكف الخاطب الاول نظره عن المخطوبة ، أو يسمح لأخيه ويتنازل له عنها ، ومسألة الخطبة والزواج تأتى

فى الدرجة الثانية بعد تحصيل الرزق ، لأن متعة الرجل وسعادته فى زوجته ، فإذا اختارها كما يحب وتجمعت فيها الصفات التى تحبها نفسه ويهيئها له خياله ، كان سعيدا فى حياته مسرورا فى صباحه ومسائه ، مطمئنا فى غدوه ورواحه ، ولما كانت مسألة الخطبه والزواج فوق أنها سبب السعادة والاطمئنان ، تمس ناحية حساسة من الإنسان ، إذ يعتقد إذا رفض طلبه فى خطبة أو زواج أنه طعن فى رجولته ، وأنه ليس له من القيمة ما يسمح لولى الزوجة بإجابة رغبته ، ولا سيما إذا أجيبت رغبة غيره ، فإن ذلك يحز فى نفسه . وقد يرى أنه ليس أهلا للحياة فيقدم على الانتحار ، أو يقتل من اعتدى عليه فى رجولته ، وكدر عليه صفو عيشه أو يتلف زرعه أو ماشيته ، أو يسلط اللصوص على ماله ، إلى غير ذلك من الجرائم التى فشت فى هذ الأيام .

وصور الخطبة على الخطبة كثيرة : فمن ذلك أن يذهب رجل لطلب يد فتاة ، فيأتى آخر أغنى منه أو أرفع منه منزلة فى المجتمع بسبب علم أو نسب أو قرابة لحاكم فيطلب يدها قبل أن يكف الأول ، فيميل أهل الفتاة إلى الثانى ويرفضون الأول .

ومنها أن يتقدم رجل إلى أسرة فتاة وترضى به زوجا لفتاتها ، وربما يدفع شيئاً من المال « شبكة » ويقدر المهر ، فيأتى رجل مثل الخاطب أو أقل منه مالا ونسبا وعلما وغير ذلك ، فيعرض « شبكة » أغلى ومهرا أكثر ، وقد تكون أسرة الفتاة تؤثر المادة أو واقعة فى أزمة مالية ، فتفضل الخاطب الأخير ، وليس ذلك كل ما يحدث بل قد يكتب العقد ويختلط الرجل بالفتاة وبأسرتها فيأتى بعد ذلك خاطب جديد أفضل من الأول ، فتحتال الفتاة وأسرتها فى مضايقة الزوج حتى يطلقها ويظفر بها الخاطب الافضل ، وهذا مما يغرس العداوة فى النفوس .

والحكم الشرعى أن النكاح ينعقد للثانى ، ولكن يحرم عليه ويعاقب بفعله فى الآخرة ، متى كان عالما بخطبة الأول ورضا الاسرة به ، أما إذا لم يعلم أو علم أنه خطب ولكنه رد ولم تقبله الأسرة فلا إثم عليه حينئذ . هذا هو رأى جماعة الفقهاء وهو المعول عليه ، ولكن الظاهرية قالوا يفسخ نكاح الثانى ولا يبرم أخذا بظاهر الحديث .

بقيت مسألة تتعلق بهذا البحث هى : هل النهى فى الحديث عام أو خاص ؟ بمعنى هل

تحرم خطبة كل رجل على خطبة كل رجل ، فتحرم خطبة المؤمن على خطبة البر والفاجر ، أو لا تحرم إلا خطبة الرجل على خطبة أخيه المؤمن الصالح ؟

اختلف العلماء فى ذلك فقال بعضهم : النهى عام ، وقال آخرون : النهى خاص ، وحجة المخصصين أن الحديث يقول : « على خطبة أخيه » والأخوة بين المؤمن الصالح والفاسق منحلة عراها أو تكاد ، فلا إثم فى خطبة المؤمن على خطبة الكافر والفاسق .

وحجة المعممين أن الإخوة موجودة بين الجميع ، فهما أخوان فى الإنسانية .

والذى تقتضيه سماحة الإسلام ويتمشى مع الغرض من تحذير الرسول ﷺ عموم النهى ، لأن الخطبة على الخطبة ـ مهما كانت ـ مسببة للبغضاء والنفوس بين الناس ، وفيها من قلة الذوق وعدم الكرامة ما يأباه الإسلام ويحث على البعد عنه ، نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ؟

طه الزينى
من علماء الأزهر

أفلام الجرائم والفجور

حمل سيراسيموف مخرج الأفلام الروسية على هوليوود مدينة السينما فى أمريكا ، فى خلال خطاب ألقاه فى مؤتمر الكتاب السوفيت ، ووصف الأفلام التى تنتجها هوليوود وتذيعها فى العالم بأنها أفلام الجرائم والفجور .

الأدب والعلوم

يسألون شيخ الأزهر
عن سبب تأخر المسلمين

زار وفد الصحافة التركية فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ودامت الزيارة فترة من الوقت، وجهوا فى خلالها سؤالا إلى فضيلته عن الأسباب التى أدت إلى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة، فأجابهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا: ليس التأخر من الإسلام، وإنما هو عند بعض المسلمين نتيجة لعدم تمسكهم تمسكا صحيحا بالمبادىء الإسلامية

وقال فضيلته: إن الإسلام آخر الأديان، وأحكامه لا تتبدل بتبدل الأزمنة والأمكنة، فلا يمكن أن نحكم - فى وقت من الأوقات - على محرم بأنه حلال، لأن المحرمات أمور قبيحة.

غير أن هناك أحكاماً أخرى تابعة لمصالح الناس، وهى الفروع التى تختلف باختلاف الآراء والأحوال، مثل مبدأ الشورى، فإن هذا المبدأ أصل مقرر ثابت، أما كيف يكون ومتى؟ فهذه تفصيلات تختلف باختلاف العصور والأحوال. فالأصول ثابتة، والفروع تكون تابعة لأحوال الناس.

وسأله بعض الصحفيين الأتراك عما إذا كان باب الاجتهاد فى الإسلام قد أغلق، فأجاب الأستاذ الأكبر بقوله: باب الاجتهاد لم يغلق على أناس يفهمون لغة القرآن الصحيحة ولغة السنة الصحيحة، ويستطيعون أن يحكموا على ما يجد من أمور مستحدثة فى ضروب التعامل والعلاقات الدولية. ويجب على أولى الأمر من المسلمين وعلى علماء الدين أن يعلنوا حكم الإسلام فيها على الأسس والأصول الإسلامية المتينة.

التعليم الالزامى فى مصر
فى السنوات العشر الآتية

خطب وزير التربية والتعليم الصاغ كمال الدين حسين فى افتتاح الموسم الثقافى بكلية المعلمين فقال عن التعليم الإلزامى فى مصر فى السنوات العشر الآتية:

إن عدد الأطفال الذين بين السادسة والثانية عشرة يبلغ عددهم الآن ثلاثة ملايين

ونصف مليون تلميذ . وسيزداد هذا العدد بطبيعة الحال ـ فى السنوات العشر المقبلة فيصل إلى ما يقرب من أربعة ملايين ونصف مليون.

ولتعميم تعليم هؤلاء جميعاً نحتاج إلى ٤٨٠٠ مدرسة ، وإن تجهيزها يحتاج إلى ٧٦ مليونا و٨٠٠ ألف جنيه ، ونحتاج إلى ٧٣٢٠٠ معلم ومعلمة ، وتبلغ نفقات إعدادهم ١١ مليون جنيه . والمصاريف الثانوية لهذه المشروعات تبلغ ٢٩٠ مليون جنيه . وجملة ما ينفق على هذه المشروعات فى السنوات العشر ٤٧٥ مليون جنيه .

مفاتيح التربية والتعليم

قال وزير التربية والتعليم فى افتتاح الموسم الثقافى بكلية المعلمين : إن (المعلم) هو المفتاح الاول للتربية والتعليم . ولهذا سنعمل على رفع روحه ، وتمكينه من أن يقدر التقدير اللائق برسالته ، ورفع الغبن المعنوى والمادى الواقع على كل واحد منهم . ومن هنا كان اتجاهنا الأول هو العناية بمدارس المعلمين والمعلمات والإكثار منها .

والمفتاح الثانى هو (الأم) ، ولهذا سنعنى عناية كبرى بتعليم البنت لتكون أما مثلى . وسيكون هدفنا الأول فى التعليم هو القومية المصرية ، والروح الوطنية ، واستقر رأينا على إنشاء مدارس ثانوية داخلية مجانية للمتفوقين ، لنهيء لهم فرصاً متساوية ، وسنعمل على تشجيع المدارس الخاصة حتى لا يضطر أبناء الشعب إلى الإقبال على المدارس الأجنبية .

مدرس شيوعى فى مصر

يلقن الطلبة دروساً فى الإلحاد

نشرت مجلة (المصور) فى عددها الصادر يوم ٨ ربيع الآخر (٢٤ ديسمبر) مقالا تحت هذا العنوان ، عن مدرس بإحدى المدارس الابتدائية المصرية اعتقل بسبب نشاطه فى الدعوة إلى الشيوعية ، وقد وجدوا بين أوراقه كراسة لأحد الطلبة الذين كان يلقى دروسه عليهم ، وفى الكراسة درس عنوانه « لماذا أنا ملحد » فى أربع صفحات بخط التلميذ ، نشر المصور صورتها الشمسية وفيها إنكار لوجود الله وارتداد عن دين الإسلام وسائر الأديان .

ولم تذكر مجلة المصور اسم هذا المدرس ، ولا اسم المدرسة التى كان يدعو فيها أبناء الأمة إلى الكفر بالله والردة عن الدين ، والظاهر مما ذكرته عنه أنه وقع فى قبضة الحكومة بسبب قيامه بالنشاط الشيوعى بوجه عام . ودعوته إلى الإلحاد فى المدرسة

لم تفتضح إلا بوجود كراسة التلميذ عنده أثناء تفتيشه. وهذا مما يحملنا على الرجاء من وزير التربية والتعليم أن يوجه عنايته إلى هذه الناحية بتشديد الأوامر على نظار المدارس والمفتشين لمراقبة أمثال هـــذا المدرس، ولعل عددهم غير قليل حتى فى غير الشيوعيين، وإن أبناء الأمة فى المدارس أمانة الله فى أيدى رجال التربية والتعليم فليتقوا الله فى رعايتهم.

درس من تركيا

لمناسبة زيارة الصحفيين الترك لمصر نشر التابعى ما سجله عن تركيا عند زيارته لهـا قبل ثمـانى سنوات فقال:

« لا تزال تركيا — وبعد ربع قرن تقريباً من حكمها الحديث — تعانى آلام المخاض لأنها لم تلد بعد مولودها الذى مناها به أو منى به نفسه باعث نهضتها أتاتورك

لقد ألغى أتاتورك بجرة قلم السلطنة، ومن بعدها الخلافة، وتوالت بعدها قوانين وأوامر الغازى. ألغت الحكومة الأوقاف الخيرية وصادرت أموالها وأملاكها وأموال صناديق النذور، ثم جعلت الزواج عقداً مدنيا صرفا لا دخل فيه للدين، وجاز بعدها للتركية المسلمة أن تتزوج من رجل من أى دين أو بلا دين.

وذات يوم أصدر أتاتورك أمراً إلى نساء تركيا أن يخلعن الجلباب وأن يسفرن لكى يرى العالم وجوههن. وأنا شخصياً لم أقابل حتى اليوم تركيات فى وجوههن ما يغرى بالسفور

واتجهت تركيا إلى أوربا، وولت ظهرها للصحراء، فاستبدلت الحروف العربية الأصل بالحروف اللاتينية.

والآن، وبعد نحو ربع قرن، يتساءل الباحث: هل المرأة التركية سافرة أم محجبة؟ إنها فى المدن سافرة، أما فى الأناضول، فى القرى وسفوح الجبال، حيث يقيم التركى الصميم الأصيل، لا تزال كما كانت فى عهد الخلافة والسلاطين.

وهل تركية اليوم محافظة أو متحررة؟ لا هـذا ولا ذاك، ونستطيع أن نقول إن بعض شباب الأتراك اليوم لا دين له، أما شيوخه وفلاحوه فما زالوا مسلمين متدينين.

سأل طالب عراقى يدرس الطب فى تركيا زميلة له فى الكلية عن دينها، فبهتت لسؤاله ثم قالت: دينى؟ أظن أنه الإسلام. فقال لها ولكنك تقولين إنك مخطوبة لسويسرى كاثوليكى. فقالت الفتاة: ولم لا؟.

أما فلاحو الأناضول فرأيتهم بعينى يحرصون على تأدية الصلاة فى مواعيدها. والكتب والصحف تطبع بالحروف اللاتينية

أما رسائل الأشخاص فما زال معظمها يكتب بالحروف العربية .

وقال لى أب تركى : إن أبنائى الذين فى المدارس يشكون لى من كثرة التغيير والتبديل فى اللغة ، والذى يحفظونه اليوم يلغى غدا ، والذى حفظوه فى العام الماضى على أنه «صح» أصبح اليوم «خطأ» . وبعض المتعلمين يقولون إن الصحف تطالعهم بكلمات جديدة لا يفهمون معناها ، وتكون هذه الصحف قد تلقت قائمة بهذه الكلمات الجديدة من الجهات الحكومية صاحبة الشأن . والواقع أن الأجنبى يرى فى تركيا اليوم شيئاً من عدم الانسجام بين الماضى المتغلغل بين الجذور والأعماق ، وبين الحاضر الذى فرض على تركيا طفرة واحدة » .

الطلبة والسياسة

أقر مجلس الوزراء السورى مشروع قانون يحظر على الأساتذة والطلبة بمعاهد العلم وكليات الجامعة الاشتغال بالسياسة أو الانتساب إلى إحدى الهيئات أو الأحزاب السياسية .

معهد للعلوم الادارية

كتبت وزارة الخارجية إلى وزارة العدل تسألها عن رأيها فى مشروع إنشاء معهد للعلوم الإدارية فى مصر فأجابت وزارة العدل بأن القوانين المصرية تسمح بإنشاء هذا المعهد .

مؤتمر الشباب الاسلامى فى كراتشى

ينتظر أن ينعقد فى الأسبوعين الآتيين المؤتمر الدولى الأول للشباب الإسلامى فى كراتشى ، فيقام فى اليوم الأول لانعقاده استعراض لفرق الشباب ، وفى اليوم التالى ينعقد الاجتماع الافتتاحى الشامل ، ثم يواصل المؤتمر اجتماعاته مدة أسبوع . وسيقام معرض ثقافى إسلامى ، وتعقد مناقشة عامة عن المثل الإسلامية وترتجل مناظرة ، وينظم عرض يمثل المواقف الشهيرة فى التاريخ الإسلامى . وقد سبق لنا التنويه بهذا المؤتمر ، وسنلخص ما يهم من أخباره بعد انعقاده .

الأزهر فى جنوب السودان

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مع حضرة الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان فى موضوع إنشاء معاهد تعليمية ثقافية فى جنوب السودان كالفاشر وجوبا والملكال . وسيتولى التدريس فى هذه المعاهد والإشراف عليها علماء من الأزهر على أن يبدأ بذلك فوراً .

أنباء العالم الإسلامي

السيول فى قنا

يقول مفتش رى قنا وأسوان فى وصف السيول التى اجتاحت قنا : إن السماء أمطرت مطرا مصحوبا ببرق ورعد . وقرب منتصف الليل بدأت مياه السيل تنحدر بشدة من الجهة الشمالية فى مجرى ترعة العرمانية التى تنتهى بترعة السنهورية الملاصقة لمساكن مدينة قنا والمحاذية لها من الشرق والشمال ، وعند وصول المياه إلى برنخ السكة الحديد على ترعة العرمانية لم يتسع لتصريف جميع المياه المنحدرة ، فارتفعت المياه فى العرمانيـــة والسنهوريه إلى مستوى الجسور ، ثم طغت على ميدان مسجد عبد الرحيم القنائى فأغرقت بعض الشوارع ، وبلغ عنف السيول فى العرمانية أن رفعت قنطرة طريق الغابة وجرفتها لمسافة ٢٠٠ متر ، وتقدر كمية المياه التى مرت بالخور إلى النيـل بعشرة ملايين متر مكعب فى اليوم الاول فزاد منسوب النيل عند قناطر نجع حمادى بمقدار ٢٠ سنتيمترا

وقد اجتاحت السيول مقاطعة قنا فأتت أولا على ثلاثه نجوع بالمدينة هى المعنى والنحال والسعيد ، وغمرت ٨ منـاطق ، وامتدت خمسة كيلومترات خارج قنا ووصلت إلى منطقة دشنا ، وجرفت أربعـة آلاف مسكن، وشردت ٢٠ ألف نسمة من السكان .

وقد خف وزير الشئون الاجتماعيـة إلى مناطق النكبة ، ثم توجه إلى قنا رئيس مجلس الوزراء وعدد من زملائه الوزراء ، ومنهم وزير الأوقاف ، ووصلت إلى قنـا أطنان المساعـدات من وزارة الشئون الاجتماعية ، وجمعية الهلال الأحمر ، ووزارة الأوقاف ، ومن القوات المسلحة ، والمعونات الأمريكية . واشتركت فى عمليات الإنقاذ قوات الجيش والحرس الوطنى وشبـاب التحرير وسبع وزارات . وافتتحت قـــوائم الاكتتاب فاكتتب أهل السعة بالألوف والمئات . وانتهز بعض الجشعين الفرصة لرفع أثمـان الأغذية فأصدر وزير الشئون الاجتماعية أمراً بمعاقبة الجشعين بالجلد ، وبالفعل نفذت عقوبة الجلد فى صاحب مخبز وفى بعض الجزارين . هذا وقد تقرر إنشاء مدينة جديدة فى قنا بدلا من الأحياء التى هدمتها السيول لطف الله بعباده .

بعثة الأزهر إلى قنا

أوفد فضيلة الأستاذ الأكبر بعثة من علماء الوعظ والإرشاد إلى قنا للقيام برسالة الوعظ الديني والاجتماعي بين الأهلين والحث على التواسي والتعاون وأن يعين أهل السعة إخوانهم من المنكوبين ، وقد أعدت للبعثة سيارات بمكبرات الصوت أخذت تطوف وسط المعسكرات . ومن برنامج البعثة الأزهرية عقد ندوات دينية اجتماعية في جميع مراكز الإقليم لحث القادرين على إعانة المنكوبين .

الجيش المصري
والمصنع الحربي في مصر

سجل الجنرال التركي على فؤاد عند زيارته أحد المصانع الحربية المصرية الكلمة الآتية في دفتر الزيارات :

« إن المصنع الحربي الذي نشاهده في مصر الشقيقة مشيد بطريقة حديثة وتنظيم دقيق . وهذا يظهر لنا قوة الجيش المصري في المستقبل ونحن متأكدون بأن الجيش المصري الذي هو تحت قيادة رشيدة سيكون أقوى جيش في الشرق الأوسط » .

أمريكا والعالم العربي

قال مستر ادلاي ستيفنسون : إن على أمريكا أن تقرر ما إذا كانت مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط مشكلة سلاح أو مشكلة طعام .

ونصح ستيفنسون بأن تأخذ أمريكا بالفرض القائل بأن صداقة العالم العربي للغرب أجدى على إسرائيل نفسها من صداقة العالم العربي لأية كتلة أخرى .

وزارة التربية والتعليم

يبلغ عدد الموظفين التابعين لوزارة التربية والتعليم ثلاثة أرباع مجموع موظفي الجمهورية المصرية .

البنك العربي للإنشاء والتعمير

وافق وزراء المال والاقتصاد العرب - بصفة مبدئية - على مشروع تأسيس بنك عربي للإنشاء والتعمير برأس مال سيبلغ مائتي مليون جنيه ، وسيتولى هذا البنك تمويل المشروعات الإنتاجية في البلاد العربية ، وانتقال رءوس الأموال بين الدول العربية وحمايتها من التسرب للخارج . ويقول وزير المالية المصرية في تصريح أفضى به إلى وكالة مصر للأنباء : وأرجو أن يكون هذا المشروع من المشروعات التي ستنفذ في العام المقبل .

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

القاهرة فى ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٤ - ١٠ يناير ١٩٥٥ - الجزء العاشر - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بين العلم والثقافة

العلم شىء ، والثقافة شىء آخر .

العلم عالمى ، لا تختص به أمة دون أمة ، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه . إنه مشاع كالهواء الذى نتنفسه ، والبحار التى تحيط باليابسة ، وتمخر فيها ألوف السفن حاملة مئات الأعلام .

ثم إن العلم تراث إنسانى ، ما من أمة إلا لها فيه جهاد وجهود ، وكل درجة ارتقاها العلم فى أى عصر من عصوره على يد أمة من الأمم فى بلد من بلاد الناس ، إنما كان ذلك بفضل درجة أخرى قبلها كان العلم قد وصل إليها فى عصر آخر قبل ذلك العصر وعلى يد أمة أخرى من الأمم فى بلد غير ذلك البلد الذى وصل العلم فيه إلى الدرجة التى تلى تلك الدرجة .

ولكن ما هو العلم ، وما هى الثقافة ، ولماذا كانت غيره وكان هو غيرها ؟

العـــلم هو مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل البشرى فى مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، والمحررة بالامتحانات المتكررة ، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ، ولا تتغير بتطور المصالح . إن جدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة فى القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب فى كل وطن وفى كل زمن . ولولا ما كان معروفا قبل العرب والمسلمين من علم الحساب لما توصل العرب والمسلمون إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة . ولولا علم الجبر والمقابلة الذى توصل علماؤنا إليه قبل مئات السنين لما تقدمت فى العصور الأخيرة العلوم الرياضية الأخرى التى وصلت بها الأعمال الهندسية إلى ماوصلت إليه الآن من التقدم . فالعلوم الرياضية والحقائق الهندسية من العلم العالمى المشاع بين البشر، والذى اشتركت عقول البشر فى تقدمه وارتقائه منذ العصور العريقة فى القدم ، ولا غضاضة على أمة فى أن تطلب العلم به حيث تجده . وكذلك الطب وعلوم الطبيعة وكل ما تمس إليه حاجة الأمم فى قوتها وأسباب عزتها وتوفير حاجات أوطانها . والمسلمون على الخصوص يوجب عليهم دينهم أن يتعلموا ما تدعو حاجتهم فى مرافقهم إلى تعلمه من العلوم التى إن لم يحذقوها تولاها عنهم الأغيار ، وكان جهلهم بها من أسباب ضعفهم القومى والملى .

هذا النوع من المعارف الإنسانية هو العلم ، وهو واحد فى كل أمة ، وهو اليوم سبيل القوة فى الحرب والسلم ، وهو الذى ينبغى للمسلمين أن يكون فيهم ـ دائما ـ العدد الكافى من العالمين به ليتولوا مرافق بلادهم بأنفسهم ، ويحققوا أسباب قوتهم الصناعية والحربية والاقتصادية بأيديهم ، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بإرسال البعثات إلى البلاد التى تفوقت به فعليهم أن يوالوا إرسالها إلى أن يتوافر عندهم من أبنائهم رجال الكفاية لسد هذه الحاجة على قدرها .

ولكن هذا العلم شىء ، والثقافة شىء آخر .

الثقافة فى كل أمة لها لون قومى خاص تستمده من مألوفها ، ومن ذوقها ، ومن مواريثها الأدبية ، ومن ظروفها الجغرافية ، ومن ضروراتها الإقليمية ، وحاجاتها الاجتماعية . ولذلك نرى الثقافة الفرنسية تختلف عن الثقافة الألمانية ، بل نرى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية ، مع اتحاد الأمتين فى اللغة والآداب . والصينيون يتفقون مع اليابانيين فى الكثير من المقومات ، وكانوا بين الحربين العالميتين فى حاجة إلى عضد قوى يستعينون به لمقاومة

الاستعمار المحيط بهم من كل جانب ، ومع ذلك فإن اختلاف الثقافتين أنشب الحرب بين الصين واليابان سنين طويلة قبل الحرب العالمية الثانية وفى خلالها . ولو لم تكن الثقافة من الفوارق الجوهرية بين الأمم لكان من المعقول أن تتعاون الصين واليابان وتتحد وجهتهما وكانت تكون منهما حينئذ قوة رهيبة لعلها تكتسح الأمم ، وذلك ما كان ينذر به إمبراطور ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ويسميه « الخطر الأصفر » .

تاريخ الأمة من عناصر ثقافتها ، آداب الأمة من صميم ثقافتها ، أخلاق الأمة فى كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق القومية التى هى من ميراث الماضى ، وقد يكون فى ميراث الأمة من أخلاق ماضيها الكثير من الخير والكثير مما ينافيه ، فعليها أن تصلح بخيرها المتوارث ما ينافيه من الأخلاق التى تحتاج إلى إصلاح . فإذا حاولت الأمة أن تتنكر للطيب من تراثها الأخلاقى بتطعيمه بأخلاق أجنبية عنها أضاعت نفسها وفقدت أصالتها وصارت إلى هجنة تنافى الأصالة ويحتقرها الأصلاء من أصحاب تلك الأخلاق الأجنبية . وأذكر كلمة حكيمة لبسمارك كان قالها لغليوم الثانى لما كان لا يزال ولى عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسلوه إلى روسيا ليمثل ألمانيا فى مناسبة من المناسبات ، فقد قال له بسمارك : إنك ذاهب إلى بلاد شرقية ، فإذا رأيت الشرقى المتمسك بزيه الأصيل فاعلم أنه لا يزال على ميراث من فطرة الشرق وأصالته ، وإذا رأيت الشرقى الذى لبس البنطلون تقليدا للغرب فاعلم أنه فقد مواريثه فى الفضائل ، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله .

إن القول الفصل فيما بين العلم والثقافة ، هو أن العلم عالمى ، والثقافة قومية وملية . والعلم لا لون له ، والثقافة ذات لون . وكذب أن فى الدنيا ثقافة عالمية ، ولا يمكن أن تكون فيها ثقافة عالمية . فعلى كل أمة أن تتمسك بثقافتها ، وأن تبعث فيها أسباب الحيوية بوصل ما بين ماضيها وآتيها . خصوصاً نحن المسلمين الذين لا نكون مسلمين بارتياد الجامع فقط ، ولا بتصحيح العقيدة فقط ، بل إن إسلامنا يتناول البيت كما يتناول الجامع ، ويفرض سننه وأحكامه على المجتمع كما يفرضها على الفرد . وسنن الإسلام وأحكامه مصدر كريم من مصادر ثقافتنا ، فلا يكفى أن نعرف كيف نصلى ، بل يجب أن نعرف كيف نكون أفراداً مسلمين فى مجتمع إسلامى ، وأن نعرف كيف نكون رعايا مسلمين لدولة إسلامية . ولو عرفنا هذه الناحية الأخيرة من ثقافة الإسلام لما قامت محاكم الثورة ، ولا ذر قرن الفتنة فى هذا البلد الإسلامى .

وبعد فإن للإسلام - وهو الدين الاجتماعى - ثقافة واسعة شاملة فى هذه الأمور وفى كل الأمور ، ولولا أن دانلوب حرم المتعلمين فى مصر من أن يتعرفوا إلى ثقافتهم الإسلامية ، بجرد مدارس الدولة منها ، لكان الجيل القائم الآن خيراً منه الآن ، ولقطعنا شوطاً طويلا فى طريقنا إلى القوة وإلى العزة وإلى السعادة والسلامة والعافية .

الأمل عظيم فى وزارة التربية والتعليم - بعد أن جعلت التربية العنصر الأول من عناصر رسالتها - أن تلتمس كل الأسباب للتعرف إلى التربية الإسلامية وتعريف الجيل بها ، لأن التربية من أهم عناصر الثقافة ، وما دمنا فى بلد إسلامى عربى فيجب أن تكون ثقافتنا إسلامية عربية ، وتربية أبنائنا تربية إسلامية عربية ، وهذا لا ينافى إرسال البعثات إلى أوربا وإلى أمريكا لتخريج مهندسين فى الطبقة الأولى ، وكيماويين وأطباء فى الذروة العليا ، وعلماء معادن وجيولوجيا من الطراز الأول ، لأن هذه المعارف من العلم العالمى الذى لا لون له ، ونحن فى حاجة إليها فى مرافقنا ، وتعدين معادننا ، واستنباط البترول من تربتنا ، وإصلاح زراعتنا وتوسيعها ، وتجهيزها بوسائل الرى والصرف ، وإقامة المصانع لكل ما نحتاجه فى حربنا وسلمنا . هذا العلم يجب أن نأخذه حيث وجدناه . أما المعارف التى لها لون قومى لأقوام غير أقوامنا ، ولها لون وطنى لأوطان غير أوطاننا ، ولها لون ملى لملل غير ملتنا ، فذلك مايسمى ثقافة ، ونحن فى غنى عنه بثقافتنا التى يجب أن نستمدها من مألوفنا ، ومن ذوقنا ، ومن مواريثنا الأدبية ، وظروفنا الجغرافية ، وضروراتنا الإقليمية ، وحاجاتنا الاجتماعية . ولهذه الثقافة مثل فى تاريخنا وتراجم أسلافنا ، فيجب أن نعرفها بمعرفتهم ، وأن ندرسها بدراسة تراجمهم ، وأن نحييها بالتخلق بأخلاق أهلها واتخاذهم قدوة لنا وأسوة .

نحن فى مرحلة انتقال ، ومن النصح للأمة أن نتعاون على معرفة الطريق الذى نسلكه إلى مرحلتنا الجديدة . وعندى أنه الطريق الذى يجمع بين تعلم كل ما عند غيرنا من العلوم العالمية التى لا لون لها ، والاحتفاظ بكل ما يحفظ علينا إسلامنا وعروبتنا ومصريتنا من الثقافة التى نحن أغنى أمم الأرض بها ، وما علينا إلا أن نستأنف دراستها وإحياءها والعمل بها ، ويومئذ تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٢٥ —

المتكلمون فى المهد

١ — بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين .
٢ — ومن يتق الله يجعل له مخرجا .

١ — كان الانقطاع عن الدنيا ، والتفرغ للعابد ، من خير ما يجنح إليه الأتقياء ، إذ كانت الرهبانية أمراً مشروعاً فى غير الإسلام .

أما ديننا فدين ودنيا ، وليس من تعاليمه الحتمية أن يهجر المسلم دنياه ، بل من تمام الدين أن يستجيب لله ، وألا ينسى نصيبه من الدنيا ، فإذا قام بما عليه من تكاليف العبادة ، وأدرك من دنياه مايصلح به شأنه وشأن من يعوله ، وأدلى بدلوه فيما يقتضيه صالح المجتمع ، فهو المؤمن المحسن ، والله يقول : (للذين أحسنوا : الحسنى وزيادة ـ العاقبة الحسنى ـ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ـ سواد ولا هوان ـ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) .

٢ — وطوعاً لمبدأ الرهبانية فيما سلف آثر جريج لنفسه أن يعتزل قومه من بنى إسرائيل ، ليعيش على التبتل ، ويعكف على الرهبنة كما كان مشروعاً من قبل ، فاتخذ صومعة نائية عن محلة قومه . وكانت أمه تعاوده بالزيارة كل يوم ، وعند ما تناديه يشرف عليها ، ويتناجيان حتى تطيب نفسها ونفسه ثم تنصرف .

٣ — وذات يوم جاءته وهو مشغول بصلاته . فنادته فلم يجبها ، وآثر أن يفرغ أولا مما شرع فيه . . فلما لم يجبها للمرة الثالثة لم يرقها منه ذلك ، وكأنها ظنته زاهداً فى لقائها ، فلم يستجب لندائها ، ولم يسارع إلى نجواها ، فقالت غاضبة : (اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) . ويبدو أنها مع غضبها لم ترد له الهلاك ، ولم ترض له شراً فاحشاً ، فاكتفت له من المكروه برؤية وجوه لا يسره أن يراها ، جزاء تريثه فى رؤية أمه ، بينما هى مشوقة

إلى رؤيته أسرع ما يمكن ، وأكثر ما يستطاع . وإذ كانت دعوة الأم فى رضاها ، ودعاؤها فى غضبتها ، مما لا يحجبه عن القبول حجاب ، فقد استجاب الله لأم جريج ، وابتلاه بفتاة كانت ترعى الغنم قريباً من صومعته ، فراودته عن نفسه ، فأبى ذلك خشية وكراهية ، فانصرفت عنه إلى أحد الرعاة ، وقد علقت من هذا الراعى وأتت بغلام . . فاهتاج قومها للحادث ، وسألوها عمن اقترفه ، فأقرت على جريج . . وكأنها تحرجت أن تذكر الراعى لما فى ذلك من حطة ، فضلا عن حطة الجريمة فى ذاتها ، أو كأنها تثأر من جريج لتعففه عنها بعد أن تعرضت له ، وكان إقرارها دافعاً للقوم إلى إيذائه ، وهدم صومعته ، ولم يستمعوا إلى براءته .

٤ — ولما بدا له أنهم سيسرفون فى النكال به ، توضأ وأتى بصلاة دعا فيها بما دعا ، ثم اتجه إلى الغلام الوليد وقال له : من أبوك ؟ فنزع الغلام فاه من ثدى أمه وأجاب قائلا : الراعى ، فبهر القوم منطق الرضيع ، وعرفوها مكرمة من الله لجريج التقى البرىء ، وألحوا فى الاعتذار إليه ، حتى عرضوا عليه أن يقيموا له صومعته من الذهب ، ولكنه اكتفى أن تعاد له من الطين .

٥ — وهذه قصة من القصص التى نطق فيها صبى فى مهده ، وإن كانت هذه فى التاريخ قبل قصة عيسى عليه السلام ، وهى تتفق فى غرضها العام مع قصة المسيح ، من تزكية الأطهار المكرمين ، وتبرئتهم من مفتريات الكاذبين ، وتكشف عن نواح من العبرة .

٦ — منها أن جريمة الفحشاء مأساة خلقية جارحة حتى فى العصور البدائية ، بل لعلها فى تلك العصور كانت أسوأ وقعا ، وأبغض إلى النفوس منها اليوم ، حتى كأن مجرد النظر إلى وجه المومس بلاء كريه ، يدعى به على المسىء ، كما فعلت أم جريج حينما ظنت ولدها عاقالها ، وأظن أمرنا اليوم دون ذلك الإحساس المرهف ، ونحن فى عصر المعرفة والحضارة ، وأعرف ممن سلفوا بما نردده من كرامة ، وشخصية ... و ... و ...

٧ — أن أم جريج لم تتثاقل عن رؤية ولدها وإن شق عليها مكانه فى صومعته ، وترى مما يبهجها أن تدلف إليه كل يوم ، ثم يسوءها منه أنه لم يقدر عطف الأمومة يوما ، ولم ينشط إلى ترويتها وإثلاجها بكلمات ، ولئن كان فى نفسه مشغولا بطاعة ، فالطاعة لله فى

الأم وفى الأب أحب من كل نافلة فى العبادة ، ولم تكن أمه تعرف ما منعه ، ولكنها تعرف أن شيئا ما لا يعدل أن يزهد الولد فى أمه ، فهى تغضب منه بحق ، وغضب الأم شؤم لا يطاق ، وهى أول منزلة من منازل الرحم الكريمة على ربها فى السراء والضراء .

٨ — ثم انظر إلى هذه الأم التى لم تسرف على ولدها فيما دعت عليه ساعة الغضب ، بل اكتفت برؤيته لوجه المومس ، وهى تعلم أن ذلك يسوءه ، وحسبها من عقوبته ذلك الأمر ، جزاء على تزهده فى رؤية وجه يشوقه ويسره أن يراه .

أهذه الأم وحدها هى التى وصفنا ؟ إنها للأمومة مطلقا ، ونزعة الأمومة من الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وإنما تضرب هذه الأمثال على لسان الأنبياء وفى الواقع ليهتدى من شاء الله له الهداية .

٩ — ثم انظر كذلك إلى أن دعاء الأم يقف عند حدود غضبها المحدود ، وأن الله لم ينكل به أكثر مما يرضيها ، وفى هذا الصنيع تكريم آخر للأم العطوف ، ولعلها لو زادت فى الغضب والدعاء لزاد الله فى الأخذ والنكال .

ولكن جريجا لم يسرف ، بل لم يقصد إلى إساءة أمه ، فكان من تكريم الله له أن يلطف به فيما تسرب إلى خاطر أمه ، وفيما جرى على لسانها ، وأن يفضح كيد المرأة الباغية عليه باتهامها له ، وهى تعلم أنه براء .

وحاشا لله أن يضيع عبداً ركن إلى جانب الله فى إخلاص ، وهو سبحانه يقول فى كتابه : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

١٠ — وكانت امرأة من بنى إسرائيل ترضع طفلها على مقربة من الطريق ، فرأت رجلا ذا مظهر كريم ، والأم دائماً تطمح بابنها إلى كل خير تراه ، فاندفعت هذه بدافع الحب والأمومة ، وقالت : (اللهم اجعل ابنى مثل هذا) وفى علم الله أن الخير لابنها فى غير ذلك الرجاء ، وكان من كرمه بها وبابنها ألا يدع لذلك المظهر مكانا من نفسها ، فأنطق الله صبيها قائلا : (اللهم لا تجعلنى مثله) ثم عاد صبيها إلى رضاعه .

وما هى إلا فترة قصيرة ، ثم رأت الأم جماعة من الناس بينهم فتاة مهانة منهم ، ومظهرها

فيهم يثير الأسى ، فانعطفت المرأة على طفلها وهى تقول : (اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه الفتاة) فترك الصبي ثدى أمه ثانية وقال : (اللهم اجعلنى مثلها) ثم عاد إلى رضاعه ، فكان أمره عند أمه عجباً فوق العجب ، إذ تراه ينطق فى مهده ، ثم تراه يخالف دعاءها له بالخير ، فاتجهت إليه وقالت : لم ذاك ؟ فأنطق الله طفلها بالعبرة النافعة لها وله .

قال الرضيع لأمه : أما الراكب فجبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون لها : سرقت ، زنيت ، ولم تفعل شيئا من ذلك !!

ووجه العبرة هنا ألا تأخذنا المظاهر ، وأن نرجع الأمر لله فيما يرجو الإنسان لنفسه أو غيره ، وفيما يرى من الأحداث.

وإذا طلب فليطمع فى الفضل من عند الله ، دون أن يستمد مطمعه من نعمة يراها على أحد ، فربما كان فى طيها بلاء لا يرضاه ، وربما شغلته كثرة الأمانى عن العمل ، أو حملته على الحسد ، ومنطق الصبي لأمه ليس أمراً تافها ، وإنما هو نموذج من التوجيه فى صورة عجيبة يسيرة ، لتتركز فى الذهن ، وتستقر فى الوعى والخاطر ، وتلك الأمثال نضربها للناس .

وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العالم النصوح

ورد فى القول المأثور :

لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس :

من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة .

نصرة الله لأوليائه
وتوفيقه لهم

عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ؛ وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأنا أكره مساءته .

رواه البخارى — وفى بعض الروايات : وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به .

* * *

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : إن الولى سمى وليا من موالاته للطاعات أى متابعته لها . والأول أصح . والولى القريب : فيقال : هذا يلى هذا أى يقرب منه .

والولى كما يكون وصفاً للعبد يكون وصفاً للمولى جل وعلا « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » وذلك أن الله يحب أولياءه كما يحبونه ، وينصرهم كما ينصرونه ، ويتقرب إليهم بالجود والإحسان كما يتقربون إليه بالعمل والإيمان — ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم — ؛ ومثل الولى فى أصله الاشتقاق وفى المعنى وصف المولى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم » .

وحقيقة الولاية قد بينها الله سبحانه وتعالى فى قوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » وهى حقيقة جامعة لكافة المؤمنين الصادقين ، ومراتبهم فيها هى مراتبهم فى الإيمان والتقوى . وفى هذا يقول ابن تيمية : وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم ، وأفضلهم

محمد عليه الصلاة والسلام . فقد تبين بهذا أنه إمام الأولياء ، كما أنه إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد بين هذا الحديث أيضاً حقيقة الولاية التى هى المحبة وما يناسبها ، إذ جعلها ثمرة للعمل بالفرائض ومضاعفتها والزيادة فيها ، وهو ما عبر عنه بالنوافل ، وبهذا يعلم أن لا تنافى بين ما فى الحديث من كون أحب شىء إلى الله من عبده تقربه إليه بالفرائض وبين ما بعده مما هو خاص بالنوافل من حبه لعبده حتى يكون سمعه وبصره الخ ، فإن أحب شىء إلى الله هو هذا الجنس من العبادات المفروضة : كالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلة وغير ذلك من أعمال الإسلام دون غيره من القربات المبتدعة المبنية على الحرمان من الرخص والمباحات ، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى أمر فتنزه عن فعله قوم فخطب فقال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » رواه البخارى .

وأعلى ذلك الجنس ما أدى على جهة الزيادة ومضاعفة العمل والاجتهاد فيه ، مما يرجع إلى معنى النفل ، وهو (ما تفعله مما لم يجب) . فالنظر — على حد تعبير المناطقة — أولا إلى الكيف ، وثانيا إلى الكم — إن قبل هذا التعبير — . وإيذان الله أعداء أوليائه بالحرب معناه بطشه بهم وإهلاكه لهم ، وذلك لازم لحقيقة الإيذان ، التى هى الإعلام والإخبار . وهو سنة من سنن الله فى هذه الحياة ، التى استقام بها ما استقام من أمر الأمم والجماعات منذ بعث الله للناس مبشرين ومنذرين « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ؛ وفى بعض الأحاديث القدسية تصوير ذلك بهذه الصورة التى تنخلع لها قلوب أعداء الأولياء ، وتتزيل أعضاؤهم ، لو كانوا يسمعون : « وإنى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب [1] » .

* * *

وتأويل هذه العبارات القدسية العالية : « كنت سمعه وبصره ويده الخ » أنى أكون له — والله أعلم — فى إعلامه ما لم يعلم ، وتبشيره بما يحب ، كسمعه الذى يوصل إليه الأنباء

(١) بكسر الراء أى الغضبان .

والمعلومات . فإذا ما استمع لم يلتبس عليه الحق بالباطل ، ولا الكذب بالصدق ، ولا الوسوسة بالإلهام .

وكنت له فى تبصيره ماخفى من الآيات ، وانبهم من الدلالات ، ولطف من اللمحات ، كبصره الذى ينقل إليه صور المرئيات . فإذا ما أبصر وجد لله فى كل شىء شاهداً وآية ، وفى كل حركة وسكنة دليلا وهداية ، وفى كل وجود وعدم أثراً وإرادة .

وكنت له فى عمل مايحب ، وإنفاذ مايريد ، وتسخير ما يشاء ، وتذليل من يشاء ، كيده التى يبطش بها . فإذا ما امتدت يده إلى شىء انقاد لها عصيّه ، وأسلس أبيّه ، وإذا بطش بها لم يعجزه جبار عنيد ، ولا ذو بأس شديد ، لأنه إنما يبطش بيد الله وقدرته ، ويصول بحوله وقوته ، ويمضى مؤيداً بروح من عنده ، ويمدد من جنده ، وينازل ببأسه ، ويقضى بقضائه ، ويرمى بسهامه .

وكنت له فى الإيصال إلى المقاصد والمرامى ، وإدناء الغايات والأمانى ، كرجله التى يمشى بها ، فإذا ما سعى إلى غاية سمت إليه الغايات ، وانطوت لخطواته المهامه والمفازات ، وتواضعت لقدمه الجبال الشامخات ، والتأمت لها البحار الزاخرات ، وأيدته فيما يريد جميع الكائنات ، فانقادت لمشيئته الأسباب والمسببات ، وأمكنت لعزائمه الأمور المستحيلات . ذلك بأنه إنما يمشى بقدم الله ويمضى بتأييده ، وبأنه يخطو بنور الله ويسعى بتسديده ، ولأنه حين ذلل نفسه لله وعبدها لوجهه ذلل الله له كل شىء تذليلا ، وبعد أن أخضع قلبه لمولاه أخضع لمشيئته كل شىء وإن كان ممتنعاً مستحيلا . وفى الحديث القدسى : « عبدى أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشىء : كن فيكون » .

وكنت له فى إلهامه الحكمة ، وإتيانه البصيرة والفطنة بما أنزل فى قلبه من نورى ، وما أبديه له من أسرارى ، كفؤاده الذى يعقل به المعقولات ، ويدرك به المدركات ، فإذا ما عرض له شأن كان لقلبه فيه فراسة وحكم ، وقضاء ورأى ، فعرفه معرفة الحاذق اللبيب ، والفطن الأريب . لأن الله قد جعل له نورا يمشى به فى الناس ، وفرقانا يفرق به مواضع الالتباس ، وهدى يهديه إلى سبل الله ، ويدله على طريق النجاة . كما يقول جل شأنه : « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » ، وكما يقول : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » ، وكما يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

وإن الله لمع المحسنين ، وفى الحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ثم كان قلبه منبعاً للإلهام والحكمة ، ومنزلا للهدى والسكينة . وفى الحديث الذى رواه ابن ماجه : « إذا رأيتم الرجل أعطى زهداً فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة » .

وكنت له فى إنطاقه بالحجج والبينات ، والقضايا المحكمات ، كلسانه الذى هو آلة المقال ، وأداة البيان ، فإذا ما نطق نطق بالحق والصواب ، وقضى بالحكمة وفصل الخطاب ، فكان لقوله فى كل قلب أثر من آثار رحمة الله التى تحيي الموات ، وتبرىء السقام ، وتنقذ من الضلالة ، وتشفى من العمى . فهذا كله - كما ترى - تمثيل لفضل الله على أوليائه ، وعظيم عونه وإمداده لأصفيائه وأودائه .

* * *

أما الغرض منه فهو - كما يقول البيانيون - تقرير الحال لا بيان المقدار . وذلك لأن معونة الله للولى من أوليائه أجل وأعلى من معونة جوارحه وأعضائه ، فهو مما يراد به تصوير الغائب بصورة الشاهد ، وتعبير الأمور المعنوية بالأمور الحسية ، إيناساً للنفوس ، وتبصيراً للقلوب ، وتجلية عن خفيات الأمور ، كمثل قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

والاقتصار على هذه الجوارح نوع من الاكتفاء ، لأن المراد - والله أعلم - توفيق هذا العبد وإمداده ظاهراً وباطناً توفيقاً وإمداداً يشملان جميع المدارك والجوارح والحواس .

وإنما اكتفى بهذه المذكورات لأن معظم مساعى العبد إنما هى بها . وكون المراد على الشمول ليس بمشكل ، فها هو ذا رسول الله ﷺ يدعو فيقول : (اللهم أعطنى نوراً ، وزدنى نوراً ، واجعل لى فى قلبى نوراً ، وفى قبرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، إلى أن يقول : وفى شعرى ، وفى بشرى ، وفى لحمى ودمى وعظامى) .

* * *

وقد اشتمل هذا الحديث أيضاً على إجابة الله لهذا العبد إذا سأله ، وعياذه إياه إذا استعاذ به ، وتردده عن قبض روحه تردداً لا يتردده عن شىء غيره ، لأنه يكره مساءته . والقول فى ذلك مما لا يحتمله المقام الآن . فإلى عدد آخر إن شاء الله ؟

محمود فرج العقدة
مدرس بكلية اللغة العربية

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

... ومن الدخيل ماذكره بعض المفسرين فى قصة سيدنا داود عليه السلام عند قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب » الآيات ، فقد ذكر ابن جرير والسيوطى من الروايات ما تقشعر منه الأبدان ولا يوافق عقلا ولا نقلا — عن ابن عباس والسدى ووهب بن منبه ، ومحصلها أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم فقيل له : إنك ستبتلى فخذ حذرك ، ثم أنبىء بيوم الابتلاء ، فأخذ فيه الزبور ودخل المحراب وأغلق الباب وأقعد خادمه عليه وقال له : لا تأذن لأحد اليوم . فبينا هو يقرأ إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه ، فأراد أن يأخذه ، فطار فوقع على كوة المحراب ، فذهب ليتناوله فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل ، فلما رأته نفضت شعرها فغطت به جسدها ، وكان زوجها غازياً فى سبيل الله ، فكتب داود إلى رأس الغزاة : أن اجعله فى حملة التابوت ، وكانوا إما أن يفتح عليهم وإما أن يقتلوا ، ففعل القائد ما أمر به فقتل زوجها .

وفى بعض الروايات أنه فعل ذلك مراراً حتى قتل ، فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام فتسور عليه الملكان وهما متنكران ، حتى أفتاهما فى قصتهما ، فأفهماه أنه المقصود بها . ولم يقف الأمر عند حد الروايات الموقوفة بل جاء بعضها مرفوعاً : روى البغوى بإسناده عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن داود النبى لما نظر إلى المرأة فأهم فقطع » كذا ، على بنى إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدى التابوت ، فقتل ، ونزل عليه الملكان يقصان عليه قصته ، ففطن داود ومكث أربعين ليلة حتى نبت الزرع على رأسه وأكلت الأرض من جبهته ، وفى سنده ابن لهيعة وهو مضعف فى الحديث ، ويزيد الرقاشى وهو ضعيف أيضا ، وقال النسائى والحاكم أبو أحمد : إنه متروك ، وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب (١) .

ومن هنا يتبين لنا الغلط فى رفع هذه الرواية المنكرة ، ولا نكاد نصدق هذا عن

---

(١) تهذيب التهذيب جزء ١١ ص ٣٠٩

المعصوم ، وإنما هى اختلاقات من إسرائيليات أهل الكتاب . وهل يشك عاقل يقر بعصمة الأنبياء فى استحاله صدور هذا عن داود ؟ ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود ونفرت منه الناس فلا يحصل القصد الذى من أجله أرسل . وكيف يكون على هذا الحال من قال الله فيه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » ولكى يستقيم هذا الباطل قالوا : إن المراد بالنعجة المرأة وإن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة ، وإنه لما أفتاهما بجزاء من يفعل ذلك قال له الملكان : أنت أحق بذلك ، وصعدا .

والحق أن الآيات ليس فيها شئ مما ذكروا ، وليس من هذا شىء فى كتب الحديث المعتمدة ، وما أصدق ما قال القاضى عياض : « لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ، وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت » وقد روى عن سيدنا على أنه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة ، وذلك حد الفرية على الأنبياء .

والذى ينبغى أن تفهم عليه الآية أن داود عليه السلام كان وزع أعماله على الأيام وخص كل يوم بعمل ، فجعل يوما للعبادة ويوما للقضاء وفصل الخصومات ويوما للاشتغال بشؤون نفسه ويوما لوعظ بنى إسرائيل ، ففى يوم العبادة دخل عليه خصمان تسورا المحراب ودخلا من غير المدخل المعتاد ، فارتاع منهما وظن بهما سوءاً وأنهما جاءا ليقتلاه ، ثم تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنهما جاءا يحتكمان إليه ، فلما قضى بينهما بالحكمة وتيقن أنهما بريئان مما ظن بهما استغفر ربه من هذا الظن ، ومثل الأنبياء فى علو شأنهم وقوة ثقتهم بالله ألا يعلق بنفوسهم مثل هذا الظن . وقد قبل الله استغفاره « فغفرنا له ذلك » . ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً فى العادة إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، ويرون الاستغفار من مثله ، فهذا سيد البشر غير مدافع كان يقول : « إنى ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » رواه مسلم وغيره . وهذا التأويل يوافق نظم القرآن ويليق بعصمة الأنبياء ، فالواجب الأخذ به ونبذ الأوهام والخرافات التى هى من شأن القصاص .

* * *

ومن هذا القبيل ما يذكره بعض المفسرين فى قصة سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ، ففى تفسير ابن جرير والثعلبى والدر المنثور الكثير من الروايات ، وخلاصته ما روى أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء فأعطى لجرادة خاتمه ، وكانت جرادة أحب نسائه إليه ،

فجاء الشيطان فى صورة سليمان وطلب منها الخاتم فأعطته إياه ، فلما لبسه دانت له الإنس والجن ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال : هات خاتمى ، قالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت ، فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، وقام الشيطان يحكم بين الناس . فلما أراد الله سبحانه أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلى نسائه يستفهمون منهن عن أحواله ، فقلن : إنه يأتينا ونحن حيض .

فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له كتب كتبا ودفنها تحت كرسى سليمان ثم أثارها ورواها على الناس وقال : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، وأكفروه وبعث الشيطان بالخاتم فطرح فى البحر فابتلعته سمكة ، وكان سليمان يعمل على شط البحر حمالا ، فحمل لرجل سمكا فأعطاه سمكة ، فشقها فوجد بها الخاتم فدانت له الإنس والجن كما كان ، وهرب الشيطان فلحق بجزيرة فى البحر . ويجعلون مثل هذه الأباطيل تفسيراً لقوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » . وقد نبه السيوطى فى تخريج أحاديث الشفاء أنها إسرائيليات تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب ، وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك القاضى عياض فى الشفاء ، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١) : « إن ما ورد فى فتنة سليمان إسرائيليات ، وأشد الروايات نكارة ما رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوى ، ولكن الظاهر أنه تلقاه إن صح عنه عن أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعترفون بنبوته فالظاهر أنهم يكذبون عليه » . والذى أرجحه أن مثل هذه الروايات مدسوسة على ابن عباس وهو أجل من أن يروى مثل هذا الكذب الصراح أو يصدقه ، وقد كان الذى دسه ماكراً خبيثا فركب له هذا الإسناد الذى يزعمون أنه قوى ، ولأجل أن الله تكفل بحفظ كتابه قيض للوضاعين جهابذة الحديث ونقاده فكشفوا عوارهم وتنبهوا إلى مكرهم وردوا كيدهم فى نحرهم ، ومن يطلع على جهاد المحدثين فى هذا الباب ير العجب العجاب .

هذا وإن نسج القصة مهلهل ، عليه أثر الصنعة والاختلاق . وإذا كان الشيطان يتمثل برسل الله فأى ثقة بالشرع تبقى بعد ذلك ؟ وكيف يعقل أن يسلط الله الشيطان على نساء رسول من رسله ؟ وأى ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

بزواله ؟ وإذا كان خاتم سليمان بهذه المنزلة فكيف يغفل الله شأنه ولم يذكره بكلمة ؟ وهل غير الله خلقة سليمان فى لحظة حتى أنكرته جرادة ؟ الحق أن أثر الكذب باد على كل كلمة من كلمات هذه القصة .

ومما يذكر فى فتنة سليمان وهو موضوع مختلق ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولد لسليمان ولد ، فقال للشياطين : واروه من الموت ، فقالوا : نذهب به إلى المشرق ، قال : يصل إليه الموت ، قالوا : فإلى المغرب ، قال : يصل إليه الموت . وأخيراً قالوا : نضعه بين السماء والأرض ، قال : نعم . فجاء ملك الموت فقبض روحه وجاء بجسده فألقاه على كرسى سليمان ، ويفسرون الآية بمثل ذلك الباطل . وقد نبه على وضعه الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى موضوعاته ووافقه السيوطى فى اللآلى [1] وهل يشك فى وضع هذا إلا من يشك فى عصمة الأنبياء عن مثله ؟ والظاهر أن عداوة اليهود ـ أذلهم الله ـ لنبى الله سليمان حتى رموه بالكفر والسحر قد حدتهم إلى أن يرموه بالأكاذيب ويفتروا عليه هذه الافتراءات . وبقيت هذه الافتراءات حتى جاء الإسلام فدست على المعصوم ﷺ والصحابة وهم منها برآء ، وليت المفسرين والأخباريين لم ينقلوا هذا الهراء وتركوه ذهب فى تيه الفناء .

والصحيح المتعين فى تفسير الفتنة هو ما جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل واحدة منهن شيئاً إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه ، فقال النبى ﷺ : لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله أجمعين » وفى رواية أخرى له أيضا « فلم يقل ونسى » فبينت أن الترك كان نسيانا لا تعمدا . وفى بعض الروايات : أن هذا الولد أتى به فوضع على كرسى سليمان ، فذلك المراد من قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » . وهذا التفسير للفتنة هو المتعين ، وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن رسول الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ج ٢ ص ٢٢١ .

في الفتوح الاسلامية :

قتيبـــــــة بن مسلم

البطل الشهيد

— ١ —

ندمتم على قتـل الأغر ابن مسلم
وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
وقد كنتمو من غزوه فى غنيمة
وأنتم لمن لاقاكم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حور جنـــة
وتطبق بالبلوى عليـكم جهنم
(جرير)

كان العهد الأموى مسرحا للحروب الدامية داخلية وخارجية ، ومجالا رائعاً للبطولة الباهرة ، والفروسية النادرة ، فاتجه شباب العرب إلى النهوض بأعباء القتال ، وأظهروا من فنون الشجاعة أعاجيب خارقة .

ونستطيع أن نطالع فى تاريخ هـذه الحقبة الدقيقة أسماء مختلفة لأبطال ممتازين من كماة العرب وفرسانهم ، غنموا لأمتهم ذخراً كبيراً ، وكسبوا لدينهم مجداً تالداً ، ووثبوا إلى القمة العالية منتصرين ظافرين .

وفى طليعة هؤلاء المغاوير قتيبة بن مسلم الباهلى ، ذلك العملاق الفذ الذى ضم للإسلام دولا شاسعة فيما وراء النهر ، فأخرج ـ بكفاحه الباسل ـ القطيع الوثنى فى هذه الأصقاع الدامسة ، من ظلمات الشرك إلى نور الإيمـان ، ومشرق التوحيد .

ولقد نشأ قتيبة بن مسلم فى بيت يهيم بالفروسية والبطولة ، فأبوه مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، كان مضرب المثل فى الفتوة والبسالة ، وكان له فرس من عتاق الخيل يسمى بالحرون ، لا يمتطيه غير ذوى البأس والثبات من فرسان البادية المغاوير ، فشب قتيبة ولده طامحاً للمجد والرئاسة عن طريق الفتوة والبطولة .

وإذا كان الإسلام الخالد قد جاء بالمساواة العادلة بين القبائل والشعوب فإن فريقاً ممن سرت فى عروقهم دماء الجاهلية كانوا ينظرون إلى قبيلة باهلة نظرة شزراء ، ويرونها دون القبائل العربية مجادة وبطولة ، فنظموا فى هجائها الأبيات الفاحشة ، وعدوا - بوحى من عصبيتهم - الانتساب إليها ضعة مهينة .

ولكن قتيبة - ووالده من قبله - قد رفع هذه القبيلة المتواضعة - بما كسبه من مجد باذخ - إلى مصاف القبائل العريقة . ولولا المساواة العادلة التى سنها الإسلام فى الشعوب والقبائل ما اختارت الدولة الإسلامية من باهلة قائداً يفخر بأمجاده كل عربى يعتز بلغته ودينه ، ثم هو فى الوقت نفسه برهان عملى يقدمه الإسلام على صدق دعوته الرفيعة إلى تكافؤ الفرص والمساواة .

* * *

وكانت معارك الخوارج الرهيبة مجالا رائعاً لبطولة قتيبة فى شبابه الغض ، فقد خاض لججها الدامية بجنان ثابت وعزم صبور ، وأظهر من فنون الصيال وعجائب الإقدام ما جعل الحجاج بن يوسف الثقفى يقدر بطولته الخارقة ، وينوط به العظائم الفادحة ، فينهض بأعبائها أكمل نهوض .

وكان - إلى قوة بأسه وشدة مراسه - عالى الهمة ، جرىء اللسان ، ينتقد رؤساءه فى صراحة تامة وثقة بالغة ، فحين فاجأ شبيب بن يزيد بطل الخوارج الكوفة ، عقد الحجاج مجلساً حربياً من قواد الجيش وأخذوا يتشاورون فيما يجب أن يقوموا به إزاء شبيب ، فقام قتيبة وكلم الحجاج كلاماً قاسياً ينبهه عن تقصيره فى الأهبة ، وينعى عليه حيرته وتردده . فقال الحجاج : وما الرأى ياقتيبة ؟ فقال : الرأى أن تخرج أنت وتقود الجيش ونحن وراءك .

وكان ما أراد البطل الباهلي ، فخرج الحجاج فى طليعة الجيش ، وأبلى قتيبة بلاء رائعاً ، وقد ظهر فى لباس حربى أخاذ ، وانهزم الخوارج هزيمة ساحقة ، فتردد صيت الفارس الشاب فى كل مكان . ولم تكن هزيمة شبيب وأصحابه بالأمر اليسير ، فهم على قلة عددهم يقتحمون الحتوف ، دون مبالاة بلهبها المبيد ، ثم هم يلجأون إلى المكايد الواسعة والحيل الرهيبة ، فيسعفهم الرأى البصير ، بما تتقاصر عنه القوة الحافلة ، والعدة الصارخة ، حتى اقتحموا الكوفة ، ودخلوا على الحجاج عرينه المنيع ، فطلب المدد من الشام ، وغشيه القلق الساهد . ولولا كفاح قتيبة الرهيب ، وتقدمه الصفوف فى طريق من الأشلاء ، ماتم النصر للحجاج فى معركة كانت - بالنسبة إليه خاصة - معركة فناء واستئصال .

* * *

أخذ الحجاج بعد مقتل شبيب يضع قتيبة فى الصف الأول بين جنوده وأعوانه ، ويراه كفئا لكل كريهة دامية تتطلب الكمى الباسل ، وكان يكن لآل المهلب عداوة شنيعة ، ويرى فى استئثارهم بخراسان نكبة فادحة ، فهم أهل عزيمة جبارة ، وأبطال كفاح قاهر ، ومن الجائز أن يقتطعوا خراسان من الأمويين ، وينادوا بأنفسهم خلفاء كالزبيريين ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يزين إليه عزل يزيد بن المهلب ، وأمير المؤمنين يعلم مابين الرجلين من تطاحن مريب ، فيزيد ينظر إلى الحجاج نظرة جاهلية تنطوى على الاستهانة بأصله المتواضع ، ونشأته فى ثقيف ، ويرى - وهو السيد العريق - أن مكانه من قبائل الأزد القوية ذات الحشد الهائل ، والأرومة المتغلغلة ، يجعله فوق الحجاج مرتبة وكفاية . والحجاج يرى طموح يزيد وصولته ، فيتأكد من عصيانه ومروقه ، ويصارح بضرورة عزله وإقصائه ، حتى تم له ما أراد ، ووافق عبد الملك على خلعه وتأمير قتيبة بن مسلم مكانه . ذلك القائد الذى رشحه الحجاج فنهض بالعبء وملك الزمام .

* * *

سار قتيبة إلى خراسان لوقته ، فاستعرض الجند ورتب شئون الإمارة والحكم ، وتأهب لفتح ممالك ما وراء النهر ، ليشغل الخراسانيين بالغزو والجهاد ، ثم بدا له أن يعدل من

سياسة يزيد فى اختيار القادة والأعوان حيث كان يعتمد فى استشاراته ومهامه الحربية على العرب وحدهم ، دون أن يشرك الفرس فى إحكام خطة ، أو قيادة كتيبة ، مما فسح المجال للتفرقة ، وغرس بذور الخلاف فى الجيش الواحد .

وقد شاء القائد الجديد أن يرأب هذا الصدع ، فوثق فى كفاية الفارسيين ، وقدمهم فى المناصب والقيادة ، وأصبح الجيش الإسلامى إلى حد ما كتلة واحدة ، تقف أمام العدو متراصة متساندة ، واستطاع قتيبة أن يرضى نفوساً كثيرة ، لم تكن لتجاهد بإخلاص وعزيمة وهى مهدرة الحق ضائعة المكانة بين الناس .

سار الجيش الإسلامى بقيادة قتيبة ، فعبر النهر إلى أرمينية وبخارى والتركستان ، وكانت هذه الممالك فيما بينها متنافرة متدابرة يغمرها الجور والفساد ، وقد وقع الرعب فى نفوس ملوكها الضعاف ، وحاروا فيما يصنعون إزاء الخطر الداهم ، فمنهم من أذعن وصالح ، ومنهم من قاوم ودافع ، وقد سارع ملك الصغانيان فقدم التحف والهدايا ، وأعلن خضوعه واستسلامه ، فتقدم الجيش إلى مملكتى أخرون وسومان ، فصالحهما على الجزية ، وسار قتيبة مثقلا بما حمل من مال وعتاد .

ولكن الحجاج لم يعجب بخطة المصالحة والهدنة ، فليس المراد من الغزو الإسلامى تكديس الثروات وجمع الأموال ، بل إن نشر الإسلام وحده هو الهدف الأول فى بلاد تغمرها الوثنية بظلامها الكثيف ، وإذ ذاك بعث إلى قتيبة يلفته إلى المهمة الأساسية للغزو والجهاد ، ولم يكن قتيبة غافلا عن رسالته فى الغزو ، ولكنه كان لأول عهده يختبر الدروب ، ويستطلع المسالك فى مطارح نازحة تستدعى المصانعة والتريث ، حتى إذا ملك أمره ، وتبين طريقه ، عمد إلى تحقيق هدفه فى ثبات واطمئنان ، وهذا ما كان منه بعد الجولة الأولى ، فقد أعد العدة الكافية لمهاجمة الحصون المنيعة فى بخارى والصغد ، ودقت طبول الحرب فى أصقاع التركستان .

كان الخطر مزعجاً داهما ، فتجمعت كلمة الملوك ، ووقفوا صفاً واحداً أمام العدو المشترك ، وزحفت جموع الوثنية إلى قتيبة ، فحاصروه حصاراً أليما ، ولقى ضروباً قاسية من الأهوال فى مطارح نائية لا عهد له بوهادها المضطربة وآكامها الممتدة ، ولكنه لم يغفل لحظة واحدة عن خصومه ، بل هجم هجوم المستميت ، وركز نضاله فى جبهة واحدة ، ففرق

حماتها أباديد ، ووقع الرعب فى الجيش الوثنى ، فتبعه قتيبة مثخناً مجهزاً ، وتحقق له ظفر مبدئى كان فألا طيباً للقائد العظيم .

أجل ، لم يكن النصر حاسماً قاطعاً رغم ما استولى عليه المسلمون من الغنائم والأسلاب ، وما جمعوه من الأوانى الذهبية والتحف النادرة . بل إن فلول الجيش المنهزم قد استغاثت بأشياعها وأحلافها ، وتكدست الوثنية مرة ثانية أمام قتيبة ، فأجمع ملوك الصغد والترك وأهل فرغانة وكش ونسف على مقاتلة المسلمين ، فلم يكترث بهم قتيبة وتقدم إلى فتح بخارى ملقياً بجنوده أمام الطوفان الهائل من القطيع المتلاحم ، ودارت معركة رهيبة هزم فيها المسلمون بادىء ذى بدء . وكان الوثنيون يتحصنون بنهر كبير ، فحشد القائد العربى قوته وعبر النهر إلى أعدائه من حيث يأمنون ، فساد الفزع والاضطراب ، وتلقفتهم أمواج النهر ورماح الغزاة ، وسقطت بخارى المنيعة بعد أن حصدت أمامها الرءوس ، وسالت بها جداول الدماء ؟ « يتبع »

محمد رجب البيومى
المدرس بأبى تيج الثانوية

المؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان

فى جزء شعبان من السنة الماضية نوهنا بالتبرع الكريم الذى وصل إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر من السرى الوجيه الحاج يوسف زينل على رضا بأربعين جنيهاً ومن العالم الجليل الشيخ محمد نصيف بعشرة جنيهات للمؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان ، وفى شهر شوال الماضى نوهنا بوصول حوالة أخرى من حضرة الشيخ محمد نصيف بقيمة خمسين جنيهاً تبرع بها السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها وحوالة بعشرين جنيها تبرع بها الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، ونصف جنيه من فاعل خير بالسودان .

وقد ورد أخيراً لفضيلة الأستاذ الأكبر إعانة أخرى بقيمة ٧٩ جنيهاً و ٨٣٠ مليما بعث بها السيد وزير الأوقاف فيكون مجموع ذلك كله مائتى جنيه و٣٣٠ مليما . وقد أرسلها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى مبعوث الأزهر ورئيس جمعية المؤلفة قلوبهم بملكال وذلك بإذن رقم ٣٠٧٣٧٢ مجموعة رقم ٢ لتصرف فى مصرفها .

الشجاعة فى نظر الاسلام

الشجاعة من صفات الرجال ، وسمات الأبطال ، وهى الحد الوسط بين خلتين : هما التهور والجبن ، كما تشير إلى ذلك نظرية الأوساط ، وهى غريزة من الغرائز يعليها ما يراه الإنسان منذ حداثته فى بيئته التى عاش فيها من ألوان البطولة والإقدام ، وما يلقنه عن أبيه وأمه وسائر المحيطين به من مواقف التضحية والتفانى وعدم الخوف والفزع ، ويمحو أثر هذه الغريزة أن يعيش المرء فى وسط يرزح تحت أعباء من التقاليد البالية والتربية الفاسدة التى تجسم له الأشباح والخيالات ، وتخيفه من الظلام والوحدة ، وأعباء من العادات التى تضرب حول الناشئة سياجا منيعاً ليس من حقهم أن يظهروه أو يحطموه ، وتولد عندهم كبتاً وحقدا على مجتمعهم الذى يعيشون فيه ، وتحملهم على أن يتهيبوا جميع المواقف المشرفة .

والشجاعة من الخلال التى تغنى الناس بفضلها ، وتناولوها بالإفاضة فى أقوالهم ، وهى صفة لازمة لأولئك الأبطال الذين يخوضون المعارك ، ويقودون الجيوش ، وللدعاة المصلحين الذين أخذوا على أنفسهم أن يحموا دعوتهم ، ويرسوا قواعدها ، ويتغلبوا على كل مايصادفهم أو يعترض طريقهم غير مبالين بما ينالهم من إيذاء وضر . وما تجرد قائد أو داعية من هذا اللون إلا كان وبالا على نفسه وأمته ودعوته ، فاشلا فى كل ما أسند إليه أو قام به .

وللشجاعة ضروب مختلفة ، ولكل منها عشاق ، ويندر أن تتجمع ضروبها فى فرد من أفراد المجتمع البشرى ؛ لأن من يهوى الشجاعة المادية قد تعجزه الشجاعة النفسية والأدبية ، وأكثر تلك الضروب تبادرا إلى الذهن اللون المشهور المعروف الذى يفهم عند الإطلاق وهو الشجاعة الجسمية ، وأصحابها هم ذوو العضلات المفتولة ، والسواعد القوية ، والبنية السليمة ، والطول الفارع ، الذين ينازلون الأبطال ، ويصرعون الآساد والرجال ، ويتسلقون الأطواد ، ويغيرون على الأعداء ، ويكرون ولا يفرون ، ويقدمون ولا يدبرون ، ولسان حالهم يقول :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ولقد أقام العرب لهذا اللون دولة ، ونصبوا لأصحابه المهرجانات ، وتغنوا بمآثرهم ، وأفاضوا فى الحديث عنهم ، وفى الذروة من أبطال العرب عنترة ، وعبد يغوث بن الحارث ، وعمرو بن معد يكرب ، والسليك بن السلكة ، وبشر بن عوانة العبدى وغيرهم ، ولما كانت الشجاعة من الصفات التى يرنو إليها الكثير فقد ادعاها بعض الأدباء والشعراء : كحسان ابن ثابت ، وأبى العلاء المعرى ، وغيرهما من أولئك الذين لم يمارسوا حرباً ، أو ينازلوا أحدا .

ومن يطلع على الشعر قديمه وحديثه ، ويتنقل بين رياضه ، يرى أن الشجاعة قد احتلت فيه المكان الأول ، وفازت منه بالنصيب الأوفر ، وإلى القارىء الكريم طرفا من تلك الأشعار .

قال عبد يغوث بن الحارث :

وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث معدواً علىّ وعاديا
وكنت إذا ما الخيل شمصها [1] القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية [2] سوم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا إلىّ العواليا

وقال النابغة الجعدى :

فلما قرعنا النبع بالنبع [3] بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهمُ كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا
ملكنا فلم نكشف قناعاً لحرة ولم نستلب إلا الحديد المسمرا
وإنا لقـــوم ما نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

وقال المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

(١) نخسها لتتحرك . (٢) القوم يعدون أو الخيل تعدو . (٣) النبع شجر يتخذ منه القسى .

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت فى الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب منى القور[1] والأكم

وقال المعرى :

وأغدو ولو أن الصباح صوارمٌ وأسرى ولو أن الظلام جحافل
وإنى جواد لم يحل لجامه ونضو يمان أغفلته الصياقل

* * *

والإسلام ينظر إلى هذا الضرب من الشجاعة على أنه أدنى الأنواع كلها ، ويقدم عليه فى الأولوية والتفضيل الشجاعة النفسية ، وهى التى تعينك على أن تقهر نفسك ، وتخضعها لرغباتك ، وتحد من نزواتها الجامحة ، وتحول بينها وبين طيشها وغرورها حتى لا تتمرد على التقاليد والأخلاق والمجتمع . وأقوى الناس وأولاهم بوصف الشجاعة رجل تحكم فى أعصابه ، واستحوذ على زمام نفسه وقت سورة الغضب ، فلم يخرجها عن وقارها ، ولم يتجاوز بها حدود الإساءة إلى الغير ، اللهم إلا إذا استغضب بأن اعتدى على كرامته أو دينه أو انتقص حق من حقوقه بقصد إذلاله .

* * *

وهناك لون ثالث يعرف بالشجاعة الأدبية ، ويعتمد على القوة فى الإيمان والجرأة فى الإفصاح والبيان ، وأنصار هذا اللون وعشاقه أولئك الأحرار الذين عرفوا كنه الحرية وماهيتها ، فقدسوها وتفانوا فى سبيل الحفاظ عليها ، وبذلوا كل مرتخص وغالٍ فى سبيلها ، عرفوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فاعتزوا بأنفسهم ، ودافعوا عن حياضهم وحموا بيضتهم ، وعرفوا أن الناس سواسية ، فنبذوا النفاق ، وتمردوا على الملق ، وشمخوا بأنوفهم ، ولم تنحن رءوسهم لغير الله ، قالوا الحق وإن كان مرّاً ، وتمسكوا بالصدق ولو كان فيه الهلاك ، كانت لهم رسالات أدوها على أحسن ما يكون الأداء ، ما صرفهم عنها تهديد ، وما حال دون إبلاغها وعيد ، تناصحوا وما عرفوا فى سبيل ذلك مجاملة ولا التواء ولا ضعفاً ولا خنوعا ، لقد كانت كلمات النصح تخرج من فم الناصح الأمين كالسهام المارقة لا تلوى على شىء ،

---

(١) الأرض ذات الحجارة السوداء .

وما سمعنا عن نصيحة هى أبين فى المحجة ، وأقوى فى الإصابة ، من قول عمر الفاروق رضى الله عنه لسعد بن أبى وقاص حينما عقد له ووجهه لقيادة جيش الفرس : « يا سعد سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ومن تتبع سيرة السلف الصالح ، وعلى رأسهم سيد العزم من الرسل ، فإنه يجد فيها نوعا من الشجاعة الأدبية غير معروف ولا معهود . لقد كانت كلمة الحق تدوى فى كل مكان ، يستوى فى مقالتها السيد والمسود ، ويتلاقى عند الإذعان لها الرئيس والمرءوس والحاكم والمحكوم .

وبعد ـ فما من أمة رفرف عليها علم الشجاعة إلا بلغت ذروة المجد ، وحطمت قيود الحرية ، وكتب الله لها العزة والكرامة ؟

زكى سويلم
المدرس بالأزهر

العشراء

من شعر مسكين الدارمى :

اصحب الأخيار وارغب فيهم ‏ ‏ ‏ رب من صحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم ‏ ‏ ‏ ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه ‏ ‏ ‏ وسمين الجسم مهزول الحسب

مشكلة التشرد
والأوضاع الاجتماعية

لكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته، والتشرد داء من أدواء المجتمع، ومشكلة من مشكلاته، ولا يحدث هذا الداء فى مجتمع ما اعتباطاً دون سبب، إنما يأتى نتيجة لمجموعة من الدواعى والعلل، كلها ترجع لاعتبار واحد، ليس يعدو اضمحلال الأحوال الاقتصادية؛ إذ المجتمع كتلة متجانسة متساندة، فإن اختل وضع من أوضاعه أثر ذلك فى سائر أوضاعه.

والسبب الأول لوجود التشرد، هو انتشار الفقر، بما يلحقه من انخفاض المستوى المعيشى؛ لأن قلة الدخول تضطر بعض الناس إلى سلوك طريق التشرد، ويتعلق بذلك ضعف الإنتاج، وتفاوت الثروات، إذ من مقتضى ذلك أن تقل وسائل التعيش، ولا تتلاءم مع الزيادة فى السكان، وتقتصر أماكن العمل على فئات قليلة من الأفراد، فتحل البطالة بين الفئات الأخرى، والنتيجة الطبيعية للبطالة تشرد العاطلين؛ إذ العاطل لا يجد أمامه إلا أحد سبيلين: إما أن يتبع سبيل الجريمة ليحصل على قوته وقوت من يعوله، وإما أن يشرد فى دروب المجتمع هو ومن يتبعه من الأطفال.

وكذلك انتشار الجهل يؤدى - كنتيجة منطقية - للتشرد، وذلك أن الجهل وانتشاره يشجع بعض الأفراد على استغلاله فى الآخرين من الجهال؛ وذلك باحتراف الشعوذة بطرقها المختلفة، وباتباع التسول فى أنحاء البلاد.

ولا تقتصر أسباب التشرد على الفقر والبطالة والجهل، بل الواقع أن انخفاض المستوى الخلقى له أكبر الدخل فى خلق نوع يعتبر أهم أنواع التشرد، ونقصد به تشرد الأحداث؛ وذلك أن من شأن الانحطاط الخلقى نشوء مرض آخر من أمراض المجتمع، هو مرض (الدعارة)، وهذا المرض أهم ممول للتشرد، ويتبين هذا من الإشارة إلى ما يترتب على الدعارة من الاتصال الجنسى بين الغاوين والفساق، وينشأ من ذلك مجموعة من الثمرات البشرية غير الشرعية التى يكتب عليها القدر أن تكوّن تلك المشكلة الحالة التى تهدم كيان الأوضاع الاجتماعية، ونقصد بها مشكلة تشرد الأحداث.

ولا شك أن العقيدة والدين يتعلقان تعلقاً مباشراً بالحالة الخلقيـة ، إذ الوازع الدينى هو « المنظم » الطبيعى والأساسى لنشاط الأفراد الاجتماعى ، ومن مقتضى وجوده وتأصله فى نفوسهم رفع المستوى الخلقى الذى يؤدى بدوره إلى القضاء على التشرد باعتباره مرضاً اجتماعياً خطيراً . . .

* * *

والمجتمع عادة لايخلو من عجزة لايستطيعون العيش ولا الكسب ، لنقص فى أعضائهم الجسمية ، أو لانهدام فى قواهم البدنيـة أو العقلية ، وهؤلاء إذا لم توجد لهم سبل العيش والتنظيم ، يصيرون عنصراً حيوياً من عناصر التشرد ، ومن هـذا يتبين أن مشكلة التشرد تتشعب إلى شعبتين : أولاهما مشكلة تشرد الأحداث ، وثانيتهما مشكلة تشرد البالغين ، ونعنى بذلك من يتعدون الخامسة عشرة من أعمارهم ، ويدخل فيهم صحاح الأجسام وناقصوها كما يدخل ضمنهم العجزة والضعفاء .

أما عن تشرد الأحداث ، فله مظاهر وحالات متعددة ، منها أن يوجد الحدث متسولا سواء فى الطرق أم المحال العامة ، ومن التسول أن يعرض سلعاً تافهة يتظاهر بالاتجار فيها ، ومنه كذلك أن يقوم بألعاب بهلوانية يحاول بها استدرار عطف الناس فى الطرقات والمقاهى ، ومن مظاهر تشرد الحدث أن يمارس جمع أعقاب لفائف التبغ والأوراق والخشارة المهملة فى الطرقات ، أو أن يقوم بالأعمال المتصلة بالفسق والدعارة أو القمار أو القيام بخدمة القائمين بهذه الأعمال ، وكذلك يعد من الأحـداث المشردين الصغير الذى يعرف بسوء السلوك ويكون مارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه ، ويدخل كذلك ضمنهم من لا يكون له محل مستقر من الصغار ، أو من يعتاد منهم على المبيت فى الطرقات ، أو من لايكون له وسيلة مشروعة يتعيش منها ، أما المتشردون البالغون ، فهم أولئك الذين ليست لهم وسائل مشروعة يتعيشون منها ، فلا ينطبق وصف التشرد على من كان من ذوى الحرف والصناعات المعروفة ولا يجد فى يوم من الأيام له عملا .

* * *

والوسائل غير المشروعة للتعيش كثيرة ومتنوعة : منها أعمال وألعاب القمار التافهة ، ومنها الشعوذة ، ومنها العرافة ، ومنها التسول والشحاذة ، ولا يخفى انطباق كل هذه الوسائل

على ما يلقاه الفرد فى الطرقات والمحلات العامة من تسول المتسولين متظاهرين بأداء الخدمات للغير، أو بعرض الألعاب المختلفة، أو بيع الأشياء التافهة، وما يلقاه من اكتناه الغيب بضرب الرمال، وقراءة الأكف، واستطلاع النجم، وفتح الكتب، وقلب أوراق اللعب، وكشف الأثر (الأطر) !

* * *

ويتبين خطر التشرد وضرره فى وجهتين . إحداهما معنوية، والأخرى مادية، أما الوجهة المعنوية فتتلخص فى أن المجتمع يحكم على أحواله من رقى أو انحطاط بما يكون فى أنحائه من متشردين أو خلوه منهم، وأن المجتمع الذى يهمل أمر هؤلاء المتشردين إنما هو مجتمع مضطرب، وأن وجود أمثال هؤلاء فيه يعطى صورة سليمة عن حالته المالية والاقتصادية، إذ لو كان فى بحبوحة من العيش لندر فيه هؤلاء، كما أن وجودهم يعنى انخفاض المستوى العلمى والثقافى، كما تتلخص فى أن هؤلاء المشردين من البشر، وهم كذلك مواطنون فى المجتمع، لهم حقوقهم التى يجدر أن ينالوها كما ينالها سواهم من أفراده، كما يلاحظ أن وجود تلك الطائفة من الأفراد المشردين أضحى من الأمور التى يشمئز منها المواطنون، لأنهم قذى فى عين الدولة، ووصمة فى جبين الميادين والطرقات والمحلات العامة، تلك الوصمة التى لا ترتضيها دولة ناهضة ترغب أن تعطى للأجانب إذا نزحوا أو وفدوا إليها صورة طيبة عن نهضتها وكرامة أبنائها ورفعة مجتمعها وعدالة التنظيم الاجتماعى الذى تسير عليه باعتبارها أمة متحضرة، إلى غير ذلك من الاعتبارات المعنوية .

أما الوجهة المادية، فيلاحظ بشأنها أن المجتمع بمجموعة معينة من الأفراد، يعيشون سوياً فى إقليمه، على أساس من تقسيم العمل والتعاون فيما بينهم، وأن دخلهم وعيشهم منوط بما يقومون به من أعمال وخدمات، فإذا تخلف واحد منهم عن العمل وظل باقياً بين ظهرانيهم، فإنما يعنى ذلك أن يعيش عالة على تلك المجموعة التى تحيا وإياه، ومن شأن ذلك أن ثمرات الإنتاج والعمل تعود أو توزع على المشتغلين وغير المشتغلين، ومعنى ذلك انخفاض المستوى المعيشى، نظراً لقلة طاقة العمل وكثرة الأفراد الذين يوزع عليهم الدخل الناتج من هذه الطاقة، كما أن تسليم تهيئة العيش لهؤلاء المشردين العالة ـ وهم قادرون

على العمل - يدعو إلى التكاسل من جانب القائمين بالعمل والإنتاج، لأنه يستوى فى نظرهم أن يعملوا وألا يعملوا ، وهـذا الكلام لا ينطبق إلا بالنسبة لتلك الفئة من المشردين التى تستطيع القيام بالعمل والمساهمة فيه مع سواها من الفئات ، ولا ينطبق إذا وضعنا فى الاعتبار طبقة العجزة مثـلا ، أو طبقة النساء الضعيفات أو ذوى العاهات التى تعوق عن الكد والعمل ، ويظهر كل ذلك فى صورة واضحة ، إذا ذكرنا أن القضاء على مشكلة التشرد بتجنيد المشردين القادرين فى المساهمة فى الأعمال والخدمات فى المجتمع من شأنه أن يزيد الإنتاج ، ويؤدى ذلك إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للأفراد لو رفع مستوى معيشتهم ، ومن شأن هذا - فضلا عن سعادة كل أفراد المجتمع وتحقيق العـدالة الاجتماعية بينهم - أن يرفع الدولة إلى الذروة التى تليق بالكرامة ، والنهضة التى يرضاها التطور والمدنية الحديثة .

كما أنه يلاحظ أن انتشار المشردين فى أرجاء البلاد ، يشجع على انتشار الأوبئة والأمراض العامة ، لأن المشردين سواء أكانوا صغاراً أم كباراً نساءاً أم رجالا هم مرتع خصب لتفشى الأمراض ، لما يحوط حالتهم من انحطاط ووهن فى القوى الجسمية والذهنية ، بما يترتب على ذلك من إهمال القواعد الصحية ، أو مراعاة الصحة البدنية . ولا شك أن الإنتاج القومى يتوقف على صحة أبدان القائمين بالعمل ، ومن شأن القضاء على التشرد المحافظة على هذه الصحة لمنع عدوى الأمراض - التى ينشرها المتشردون - من الانتشار .

* * *

ولقد حاول المصلحون هنا وهناك علاج مشكلة التشرد بوسائل شتى : منها فرض النظام الخاص بالإجراءات التقويمية بالنسبة للمشردين الأحداث ، ومنها إنشاء الملاجىء فى أنحاء البلاد لضم المشردين والمعوزين . على أننا نرى أن هذه الإجراءات التقويمية لم تكف ولن تكفى لحل مشكلة تشرد الأحداث ، كما أن إنشاء الملاجىء لا يعدو فى نظرنا إلا أن يكون علاجاً لصنف خاص من فئات المشردين ، ونقصد به العجزة وذوى العاهات ، بل إن ناقصى الأعضاء اهتمت بمشكلتهم البلاد الراقية ، وأوجدت لهم من الأعمال ومن صنوف الراحة ما يهيىء لهم حياة سعيدة ، وما يجعلهم مصدر خير وفائدة لا مصدر شقاء وضرر للمجتمع . مثال تهيئة الأعمال : ما نسمعه ونقرأه من قيام كفيفى البصر بأعمال يدوية منتجة يأتونها

فى حذق ومهارة بعد تمرين وتوجيه . ومثال تهيئة الراحة : ما نسمعه ونقرأه من نضوج المبتكرات والمخترعات إلى الحد الذى تستطيع أن تقدم لنا فيه طرقا وآلات لتفهيم فاقدى السمع والنطق المعلومات والتعبيرات ، وأخرى لتعليم العميان القراءة والكتابة ومعرفة الأوقات بوساطة ساعات ابتكرت خصيصاً لهم ، إلى غير ذلك من الآلات والمبتكرات !

ويتلخص علاج مشكلة التشرد والقضاء عليها ـ فى نظرنا ـ فى القضاء على الأسباب التى أوجدتها وساعدت على نشرها ، وعلى هـذا يكون العلاج عن طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدى إلى رفع مستوى العيش ، ومن شأن هذا الأخير رفع المستوى الخلقى والتربوى ، ولا بد للوصول إلى كل ذلك من الاهتمام بالدين والعقيدة ، وغرسها فى نفوس النشء والاهتمام بها فى المدارس والمعاهد والمصانع ، فضلا عن مكافحة الدعارة والفسق ، وإيجاد الوسائل الكفيلة بالتطويح بالبطالة ، والعمل على زيادة الإنتاج ، وهذا الأخير يؤدى إلى القضاء على الفقر والجهل ، وهما من الأسباب الرئيسية لتفاقم مشكلة التشرد فى مختلف المجتمعات !. ؟

أحمد طه السنوسى



الخطأ الظاهر والخطأ المتوارى

قال رجل من اليونان لديوجانس ـ وكان الرجل اليونانى يشتغل فى صناعة التصوير ، ثم زهد فيها وزاول صناعة الطب ـ :

إنك ياديوجانس لم تتقن فى حياتك إلا الفلسفة ، أما أنا فأمتاز عليك بأنى ما رست فن التصوير وانتقلت منه الى غيره فزاولت صناعة الطب .

فأجابه ديوجانس :

أحسنت ياهذا ، فإنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهرا للناس وخطأ الطب تستره المقابر تركت ذاك وانتقلت إلى هذا .

كيف عالج الاسلام الجريمة

لم يحارب الإسلام الجريمة كما يحاربها قانون الارض ، ونظام الناس ، بل عالجها مراعيا طباع البشر ، وما ركب فينا من ميول وغرائز ، كما أدخل فى حسابه ضرورات الحياة ، ودوافع الجريمة ، ونظر إلى الجرائم على أنها أمراض ذات جراثيم فتاكة يجب أن يصح المجتمع منها ويسلم ، فبدأ العلاج بأمصال الوقاية ، واعتزال المصابين حتى لا تسرى العدوى فلا يجدى علاج ولا ينجح دواء ، ولعل مرض الأخلاق أنكى فى العـــدوى وأسرع فى الانتقال من مرض الاجسام .

بدأ الإسلام العلاج بالتربية والتهذيب ، وبيان ما أحل من الامور وأبيح ، وما حرم منها وحظر ، وأعقب ذلك ببيان ما يترتب على كل من حسن الجزاء أو سوء المنقلب ، وأنه لا بد لمرحلة التهذيب من مجانبة الأشرار ، وانتقاء من يصحب من الأخيار ، فالمرء على دين خليله ، وبذا يصون الإسـلام البيئة من أدران الشر ، وجرائم الاشرار ، منعا للأسباب ، وقضاء على الدواعى ، حتى تموت الجريمة قبل أن تولد .

ثم ينتقل الإسلام بعد هذا ليبين عن الدوافع إلى الجريمة والمغريات بها ، فيقيم الحواجز ، ويسد الذرائع ، ويمنع الحمى ، حتى لا يحوم حوله أحد ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، فجريمة الاعتداء على العرض مثلا يدفع إليها ويغرى بها الحرمان من إرضاء تلك الغريزة ، وقد حارب الإسلام هذا بتشريع الزواج والترغيب فيه ، ويجعله نصف الإيمان ، ويعد عليه سعة الرزق وبسط العيش ، فيقول : التمسوا الرزق بالزواج ، فالزواج وما ملكت الأيمان محل المتعة ومجال إرضاء الغريزة الجنسية ، ومن ابتغى بعد ذلك فأولئك هم العادون .

وبذا يفصح عما يحل وما يحرم من هذا القبيل . كما قد يدفع إلى هذا الاعتداء ، إبراز الجمال ، وإظهار المفاتن ، والتفريط فى الأعراض ، ويقضى الإسلام على هذا كله بغض البصر تارة من الرجل والمرأة ، كما حرم الاختلاط ، وأكبر الخلوة بالأجنبية ، وأوجب الحجاب ، وحظر لين القول المطمع ، وتعرض المرأة مزينة أو متبرجة ، حتى لا تكون فتنة ثم لا تكون جريمة ، نقرأ هذا فى قول الله تبارك وتعالى من سـورة النور الآيتين ٢٩ ، ٣٠ من قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ـ إلى ـ وتوبوا إلى الله

جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، كما نرى ذلك فى مسلك الرسول عليه الصلاة والسلام مع أهله ، فقد روى أنه دخل على النبى عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أم مكتوم وهو (أعمى) ومع النبى بعض زوجاته . فقال لهن النبى : احتجبن . فقلن : إنه أعمى يا رسول الله ، فغضب النبى وقال : أفعمياوان أنتما ؟

ولقد صان الإسلام الأعراض حتى عن التناول بالسب والشتم ، وجعل لذلك حداً مفروضاً يعرف فى الفقه بحد القذف ، ونص القرآن على أنه ثمانون جلدة ، نقرأ هذا فى قوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » . فقد أنزل بالمفترى بذلك عقوبة مادية جسدية بجلده ثمانين جلدة ، وعقوبة أخرى أدبية برد شهادته ، وإسقاطه من عداد الرجال الكاملين العدالة ، وهذه عقوبة الدنيا . أما جزاء الآخرة فيوضحه قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » ...

ثم إن وقعت جريمة الاعتداء على العرض بعد كل هذا ـ ولو عن رضا وطواعية من كليهما ـ فإن الله يغار على محارمه ، وقد أمرنا بالغيرة على تلك المحارم . فالعروض ليست ملكا لأصحابها (كما يظنون) فليست لهم فيها حرية التصرف على ما يريدون ، وكما يحبون ، ومع من يشتهون . فقد أحل الله منه الطيب الطاهر ، وحظر الخبيث الذى تختلط به الأنساب ، وتفسد الأخلاق . وتتدهور الأمم وتنحل ، أقول : إن وقعت الجريمة بعد كل هذه التحذيرات عن غير اكتراث بوعد ، ولا خوف من وعيد ، فثمة حدود تقمع هؤلاء وأمثالهم عن غيهم ، وتقدع أنوفهم عن رجسهم ، من الرجم إلى الموت ، أو الجلد وتغريب عام على ما تفصله كتب الفقه ومذاهب الفقهاء حسب ملابسات الجريمة ، وحالة الآثمين ، من إحصان وعدم إحصان ، تطهيراً وتزكية للبيئة .

* * *

وكما عالج الإسلام جريمة العرض وحاربها ، حارب جريمة الاعتداء على المال ، فلا تلصص ، ولا اختلاس ، ولا سرقة ، ولا غش . لكنه يهذبنا ابتداء بألا نطمع فيما ليس لنا فيه ، ونزهد فيما لا نملك . ويحرم الشح والحرص والتكالب على جمع المال ، فإن لذلك شهوة قد تعمى عن التفرقة بين الطيب والخبيث . ثم يوجب التعاون بين الحاكم والمحكوم قضاء على الفقر ، لأنه كثيراً ما يدفع إلى مختلف الجرائم ، وأكثر جرائم الفقر ارتكاباً

جريمة السرقة على مختلف سبلها . . فمن ابتغى بعد هذا ثراء عريضا ، وسعة فى المال ، فلديه من الطرق المشروعة الشريفة للكسب الطيب ما يشبع رغبته ، وينيله أمنيته . فالتجارة ، والإجارة ، والزراعة ، كلها سبل مشروعة .

وليصون الإسلام المال من التلف والضياع شرع له قوانين تصونه حتى من أصحابه ومالكيه ، فيحرم الربا ، ويمنع القمار ، ويحظر الرشوة ، ويبغض فى الإسراف ، ويعدها كلها كبائر تورث فقر الدنيا ، وخزى الآخرة ، ويذم السرقة ، ويصف آكلها بأنه إنما يطعم ناراً ، فإنها مصيره . .

فمن أبى بعد هذا التحذير إلا الاعتداء على أموال الناس ، وأكلها بغير حق ، ألزم الدين الحكام أن يقيموا حدود الله وينفذوا شرعته ، فينزل الحاكم بالسارق عقوبته التى حدها الله بقوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

فإذا مرد السارق على جريمته ، وجمع إليه أنداده وأشباهه ، وقاموا على الطريق يخيفون المارة ، ويعتدون على الأموال والأنفس ، فإن أولئك بعد أن فظع الله جرمهم وسماهم محاربين لله ولرسوله فوّض الإمام فى أن ينزل بهم من العقوبات التى وضحها ما يراه على قدر خطرهم . نقرأ هذا فى قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

* * *

وبالوسيلة عينها رأينا الدين يعالج ويحارب جريمة الاعتداء على النفس ، فإنه بعد أن يتلاطف للناس فى الطلب بتحبيب احترام النفس ، وتبغيض الاعتداء عليها ، فسمى الحياة « بناء الله » ، ودعا قاتل النفس « هادما لبناء الله » ، وبعد أن أبان أن من قتل نفسا أو كان سببا فى قتلها بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن كان سببا فى إنقاذ حياة من ضياعها ونفس من تلفها فكأنما أحيا الناس جميعا « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ثم أوضح بعد هذا — مخوفا — مدى العذاب الذى يلقاه من اعتدى بالقتل فيقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

ويعمد بعد إذ ينتهى من هذه الأساليب الوعظية الخطابية ذات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ـ يعمد إلى الإبانة عما يجب من الحدود ، وما يلزم الحاكم من إقامته صيانة للحياة ، وتثبيتا للأمن ، وردعا للمستهتر « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » يبين الإسلام عن القصاص فيما يتعلق بالنفس كلا أو جزءا بصراحة لا تقبل التأويل ، ذلك حيث يقول الله تبارك وتعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

* * *

وهكذا نرى الإسلام قد عالج الجرائم علاجا راعى فيه النزوات النفسية ، والغرائز البشرية ، فأخذها بالتعليم والتهذيب ، ثم بالترغيب والترهيب ، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها وهى الحدود ، فكان معنا على ما قال القائل :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم تغن أغنت كتائبه

ولن نغفل — كما لم يغفل الإسلام — النظرة الأدبية إلى النفس ، فإنها إن لم تحى عزيزة كريمة أبية مكفولا لها جميع حقوقها ، فليست حياتها حينئذ بالحياة التى يرضاها ويرضى عنها الإسلام ، فالاضطهاد ، والضيم ، والإذلال ، والتضييق على العقول فى آرائها ، وحبس الأرزاق والاستبداد بها ، كلها جرائم ورذائل ، يأباها الإسلام ويحذر منها ، وينزل العقوبة بمن ارتكبها لظلمه ، وبمن نزلت به لرضاه بالظلم ، وإنا لنقرأ هذا فى كتاب الله ، ذلك حيث يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

ولا تزال حكمة عمر بن الخطاب التى صرح بها فى وجه عمرو بن العاص فى قصة المصرى مع ولده (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) لا تزال تلك الصرخة ترن فى أذن الدهر ...

وبعد — فكم بين حكم الله وحكم الناس . وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض ، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء ؟

محمد حافظ

المدرس بالمعهد الدينى بالإسكندرية

دور اللهو والسينما

يتساءل كثير من الناس عن دور اللهو والسينما ، هل يعتبر وجودها مما يتعارض مع الدين الإسلامى ؟

إن الإسلام دين الفطرة ، وهو يعترف بحق النفس فى أن تحيا حياة سعيدة لا سأم فيها ولا ملل ، ولا نصب معها ولا كلل ، ومن أجل ذلك سمح لنا بالتسلية البريئة واللهو المباح ، والمزاح المقبول ، والنكتة الطريفة ، وغير ذلك من الوسائل التى ترفه عن النفس وتطلقها من رباطها ، وتعيد إليها قوة نشاطها ، إذا انقبضت بعد انبساطها .

(١) روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً . قالوا : إنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : إنى لا أقول إلا حقا . أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

ومن هنا أجاب سفيان الثورى حين سئل : هل المزاح هجنة ؟ فقال : بل سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام « إنى لأمزح ولا أقول إلا الحق » . ذكره ابن عساكر .

(٢) أخرج أحمد والترمذى فى الشمائل عن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يهدى إلى النبى ﷺ هدية من البادية فيجهزه النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه . وكان النبى ﷺ يحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال : من هذا ؟ أرسلنى . فالتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من يشترى هذا العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، إذاً والله تجدنى كاسداً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غال .

٣ — وأخرج الزبير بن بكار أن رجلا يقال له نعيمان كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فيقول : ها أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطالب نعيمان بثمنها أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أعط هذا ثمن متاعه . فيقول : أو لم تهده . فيقول : إنه والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ، فيضحك .

٤ — وأخرج أبو داود عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله احملني . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولد ناقة . قال : وما أصنع بولد الناقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق .

وأخرج أيضاً عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فسلمت فرد وقال : ادخل ، فقلت : أكلي يا رسول الله . قال : كلك . فدخلت . قال عثمان بن أبي العاتكة : إنما قال كلي من صغر القبة .

٥ — أخرج البخاري عن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه ، أنظر إلى لعبهم . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه ، خدي على خده ، وهو يقول : دونكم يابني أرفدة ، حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبي .

وأخرج عنها أيضاً أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ : يا عائشة ، أما كان معكم لهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو .

٦ — وأخرج أبو داود في المراسيل عن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ صارع ركانة ، وكان رجلا شديداً معروفاً بالمصارعة والقوة ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مراراً ، فقال : يا محمد ما وضع جنبي أحد إلى الأرض ، وما أنت بالذي تصرعني ، ثم أعلن إسلامه .

٧ — وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني ، فقال : هذه بتلك . رواه أحمد وأبو داود .

٨ — وعن أنس رضي الله عنه قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى

العضباء وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضباء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » رواه أحمد والبخارى .

٩ — وعن سلمة بن الأكوع قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق . فقال : ارمو بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بنى فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ،فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم . رواه البخارى وأحمد .

* * *

هذه الأحاديث التى أسلفناها تفيد أن الإسلام دين سمح ، يساير ميول الناس ، ويتمشى مع طبيعتهم ، فلا يحول بينهم وبين ما يجلب السرور لهم ، ولا يمنعهم من وسائل الترفيه التى ترفه عنهم ، وتستخرج الهموم منهم ، كل هذا فى حرص بالغ على الفضيلة ، ونفور تام من الرذيلة .

وتأمل جيداً قول السيدة عائشة فى الحديث السابق : « ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه ، أنظر إلى لعبهم » ، وقولها فى الحديث نفسه : « فأقامنى وراءه ، خدى على خده »

* * *

وإذا كانت دور السينما ونحوها تحول دون الاختلاط ، وتفصل بين الجنسين ، وتتحرى أن تعرض على روادها ما يذهب عن النفس السآمة ، ويعين على نشر الثقافة ، ويساعد على فهم الدين ، ويؤدى إلى محو الرذيلة ، ويدعو إلى إشاعة الفضيلة ، ويبث فى الشباب روح القوة ، ويقضى على أساليب الإجرام . إذا كانت دور السينما على هذا النهج ، فإنها تكون خير مدرسة تعمل على تكوين جيل مثالى يتحلى بالعلم ، ويتدرع بالخلق والدين ، ويحيا حياة سعيدة لا كدر فيها ولا عناء ، وحينئذ تكون حاجتنا إلى إصلاح برامجها ومناهجها ، لتكون وسيلة إصلاح ونهوض ، بعد أن انحدرت بالأمة فى مزالق الرذيلة والشهوات ؟

محمود عبد الوهاب فايد
المدرس بمعهد منوف

من الفلسفة الحديثة :

من نظريات ثورة ٢٣ يوليو

لكل ثورة فلسفة أو مبدأ سام تسير عليه ، يحدد غاياتها ، ويوجه جهودها ، ويرسم طريقها .

وقد صاغ الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه : « فلسفة الثورة » نظرية جديدة تتضمن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو ، راعى فيها أن تسير جزئياتها فى وقت واحد ، وطريق واحد ، نحو الهدف الكبير ، حتى يمكننا أن نختزل من عمر الشعب الضائع وقتاً طويلا .

وهذه النظرية تحتم أن تكون ثورتنا ثورتين : الأولى سياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله ، ونتيجتها هدم الطغيان والاستعمار .

والثانية اجتماعية ، ومن أول مظاهرها تزلزل القيم ، وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفراداً وجماعات وطبقات ، وتحكم الفساد والشك والكراهية والأنانية حتى تستقر العدالة للجميع .

وقد شبه الرئيس جمال اختلاف ظروف الثورتين وتنافرهما وتصادمهما تصادماً مروعا بشقى الرحى ، وأمدنا بسر المنفذ إلى النجاة من شقى الرحى هذين : وهو أن نحتفظ بسرعة الحركة والمبادأة ، وبالقدرة على السير فى الطريقين فى وقت واحد ، وإن كان لم يخف أننا إذا نجونا من شقى الرحى يصح أن نقع فى التناقض فى بعض تصرفاتنا .

ولكن هذا التناقض إذا وجد فإنما يوجد كنتيجة لازمة لإسراع إحدى الثورتين عن الأخرى قليلا فى الطريق الواحد ، وهو ليس بمؤثر ، بل إنه يدعونا إلى الموازنة فى سرعة الحركة حتى تنسجم نتائج الثورة .

ويريدنا صاحب النظرية ألا تشغلنا الثورة الثانية الاجتماعية عن الأولى السياسية ، كما حدث فى ثورة ١٩١٩ ، وكان ذلك من أسباب فشلها ، فيجب أن نجمل فى استطاعتنا أن أن نتصرف بقدر الإمكان حتى ننجو من أن يطحننا شقا الرحى .

* * *

والسبب الكبير فى نجاح ثورتنا هو التزامنا لأصول هذه النظرية ، والسير فى ثورتين فى طريق واحد ، ودليلنا على ذلك التطبيقات الكثيرة الناجحة والتى حصلنا على نتائجها الباهرة سياسياً واجتماعياً .

وأمثلة الأولى السياسية : خلع فاروق ، وإعلان الجمهورية ، وإلغاء الأحزاب ، وإبعاد الساسة المفسدين ، واتفاق الجلاء ، ومحاربة الإرهاب .

وأمثلة الثانية الاجتماعية : تحديد الملكية ، وخفض إيجارات الأراضى الزراعية ، وإلغاء الألقاب ، ومصادرة أموال أسرة محمد على ، وأموال الغادرين والمفسدين ، ورصدها للخدمات العامة ، وإقرار تشريعات العمل ، وخلق التساوى بين العمال والفلاحين ، وتنظيم نقابات العمال ، وإنشاء النقابات الزراعية لأول مرة ، والسير فى المشروعات الإنتاجية ، وجنوح الأداة الحكومية إلى الأخذ بنظام اللامركزية وغير ذلك .

وفى هذا كله ما يدل على أن مصلحتنا أن نشد على أعصابنا ، ونمسك على أهوائنا ، ونسكت إلحاح النظريات الأجنبية على أفئدتنا ، حتى تحقق الثورة أهدافها .

ومما يدل على واقعية هذه النظرية ، وصدق اتجاهاتها ، وعلى أن ما صادف ثورتنا حتى الآن من نجاح ، راجع إلى ربطنا بين الثورتين السياسية والاجتماعية ، وسيرنا خلالهما معاً فى طريق واحد .

يدل على ذلك سوقنا لمثل لم يراع فيه الجمع بين الثورتين السياسية والاجتماعية فى وقت واحد . ذلك المثل هو النظرية التى صاغها المرشال شيانج كاى شيك رئيس الصين الوطنية فى فلسفته التى سماها « حركة الحياة الجديدة فى الصين » وهى التى التزم فيها أن يجدد حياة الصين سياسياً واجتماعياً .

* * *

وتتلخص هذه النظرية فى أن على الصين حتى تنجح أن تمتثل لفضائلها العريقة . هذه الفضائل المعروفة بـ « لن . اى . لينغ . تسن » والتى تترجم إلى « الآداب العامة . العدالة . الاستقامة . الضمير » . وهو يرى أن التزام هـذه الفضائل يجعل الغاية من حركة الحياة الجديدة هى ترك الحياة المعقولة ، واستبدالها بحياة معقولة ، فهو يقول فى كتابه : « حركة الحياة الجديدة فى الصين » : « إننا نرجو أن تمسكنا بهذه الفضائل يقضى فى حياتنا اليومية على الدناءة والعنف ، فتستحيل حياة جمهوريتنا مهذبة ، وتستجيب لمبادىء الثقافة والتهذيب والذوق السليم والفن . ومن المؤمل أن العناية بهذه الفضائل تقضى على التسول واللصوصية ، فيتصف الموظفون بالأمانة والصدق وحب الوطن ، ويبطل الفساد والرشوة ، ويوجه الجمهور عنايته للمشاريع المنتجة . ومن المؤمل أيضاً أن الاهتمام بهذه الفضائل يؤدى إلى إصلاح سوء نظام المجتمع ، وفساد الحكم ، وبث العسكرية فى أبناء هذه الأمة » .

وهو يرى أيضاً أى شيانج كاى شيك ، أن كل أمة فى مرحلة الانتقال عليها أن تتنبه إلى تغيير التقاليد والعادات أكثر من التنبه إلى السياسات الجديدة نفسها ، ونجاح هذه الحركات الاجتماعية معناه نجاح السياسات الجديدة للحكومة » .

كما يقول : « وإذا أمكن للرجل أن يتحلى بهذه العادات الجديدة مبتدئاً بنفسه ، فمن الممكن أن يقتدى به أفراد أسرته ، ويمكن للأسرة بدورها أن تؤثر فى جالية بأسرها ، ويلاحظ أن الحركة الاجتماعية تتمشى مع السياسة والتعليم ، وإن كانت لا تعتمد عليهما » .

وبالنظر فى هذه النظرية نجد أن شيانج كاى شيك قد جعل الصراع فى داخل الثورة الاجتماعية قائماً فى داخل الفرد أولا ، ثم ينتقل إذا ما وضحت نتائجه إلى أسرته ومن ثم إلى المجتمع ، بعكس نظرية الرئيس جمال التى تجعل الصراع فى محيط الثورة الاجتماعية يقوم بين طبقات ، فهو واضح بذلك من بدايته ، تحكمه الثورة الاجتماعية بتعادل ميزان القوى بين هذه الطبقات ، حتى تستقر العدالة فيما بعد شامخة متجلية لا تلين ولا تهتز نتائجها ، فهى نتائج جماعية لا فردية ، ظاهرة لا خافية ، تنفث خلالها النفوس ما فيها من شك وأنانية وفردية ، فتبخرها الثورة بحرارتها أولا بأول ، حتى ينجلى غبار هذا الصراع عن العدالة الاجتماعية المنشودة .

ومن ناحية أخرى نجد أن شيانج كاى شيك قد جعل حركته الاجتماعية تتمشى فقط مع حركته السياسية ولا تعتمد عليها، فى حين أن نظرية الرئيس جمال تحتم الجمع بين الحركة الاجتماعية والحركة السياسية والسير بهما فى طريق واحد كأمر لازم لنجاح ثورتنا.

* * *

فنظرية الرئيس جمال تبغى إصلاح الوضع أولا بوسائل إيجابية فعالة، فإذا ما صلح الوضع تجلت العدالة كاملة بين المواطنين، على غير ما أرادته نظرية شيانج كاى شيك التى تريد أن تغرس العدالة فى وضع لم يصلح بعد، ولذلك تسير ثورتنا سريعاً فى طريق النجاح باتباع أصول نظريتها، فى حين أن نظرية شيانج كاى شيك لم تأت بما قدره هو لها من نجاح لما أسلفت، وكانت سبباً فى أن تنكمش الصين التى كانت مساحتها ١٫٨٩٦٫٥٠٠ ميل مربع إلى حيز جزيرة فرموزا، وتعمل الصين الشيوعية جاهدة لاحتلال اعتبارها من الدول الخمس الكبرى بعد أن تمكنت منها الشيوعية، وهذا ما لا نرجوه لبلادنا، وهو أيضاً يجعلنا نتمسك بأصول نظرية الرئيس جمال بعد أن تمتعنا بنتائج تطبيقاتها الباهرة، كما أن فيها الضمان القوى ضد تسرب الشيوعية إلى بلادنا ؟

السيد محمد الكشكى

متى ؟

متى أرى الشرق أدناه وأبعده عن مطمع الغرب فيه غير وسنان
تجرى المودة فى أعراقه طلقا كجرية الماء فى أفناء أفنان
ما بال دنياه لما فاء وارفها عليه قد أدبرت من غير إيذان
عهد الرشيد ببغداد عفا ومضى وفى دمشق انطوى عهد ابن مروان
ولا تسل بعده عن عهد قرطبة كيف انمحى بين أسياف ونيران
فعلموا كل حى عند مولده : عليك لله والأوطان دينان
حتم قضاؤهما ، حتم جزاؤهما فاربأ بنفسك أن تمنى بخسران

حافظ إبراهيم

دراسات قرآنية :

النضرة فى القرآن

نريد أن نتعرف إلى روح الاستعمال العام لكلمة « نضرة النعيم » فى القرآن الكريم ، ويحسن — توطئة لذلك — أن نلم بالمعنى اللغوى لكلمة « النضرة » :

جاء فى (مفردات القرآن) للأصفهانى :

« النضرة الحسن كالنضارة . قال : (نضرة النعيم) أى رونقه ؛ قال : (ولقاهم نضرة وسرورا) ونضَر وجهه ينضُر فهو ناضر ، وقيل نَضِر ينضَر . قال : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) ، ونضّر الله وجهه ، وأخضر ناضر : غض حسن ، والنضر والنضير : الذهب لنضارته ، وقدحٌ نضار : خالص كالتبر ؛ وقدح نضار — بالإضافه — متخذ من الشجر [1] » .

وجاء فى (النهاية فى غريب الحديث) لابن الأثير :

« نضره ونضّره وأنضره أى نعّمه ، ويروى بالتخفيف والتشديد ، من النضارة ، وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق [2] » .

وفى (أساس البلاغة) للزمخشرى :

« ومن المجاز : نضر وجهه : حسن وغض ، وجارية غضة : ناضرة ، وغلام غض : ناضر . ونضر الله وجهه وأنضره : حسنه ... وفى الحديث : (نضر الله من سمع مقالتى فوعاها [3]) ونجار نضار : خالص [4] » .

---

(١) مفردات القرآن ص ٥١٥ . (٢) النهاية ، ج ٤ ص ١٥٢ .

(٣) إنما أراد : حسن الله خلقه وقدره عن النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ١٥٢ .

(٤) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥١ .

وعند تتبع الاستعمال لكلمة « نضرة النعيم » فى القرآن الكريم نرى أنه لا يراد بها غضاضة العضو الغالب استعمالها فيه — وهو الوجه — بل يراد بها حسن الجملة [(١)] ، وهى لا تفيد الحسن الحسى فحسب ، بل تشمل كذلك سرور القلب ومتعة النفس . والمشاهد أن نضرة الحس يصحبها غالباً مسرة النفس ، لأن هذا الرونق فى جسم الإنسان يكون فى العادة نتيجة لمسرة داخلية وراحة نفسية . بل قد يحوز الإنسان المال والجاه وسلامة الأعضاء ، ولا توجد عنده نضرة النعيم ، لأن نضرة الوجه بهذا الرونق وذاك البهاء نتيجة معروفة لصفاء النفس وسرورها ، ولذلك كانت « نضرة النعيم » غاية النعيم ، وإن ظن قوم أنها جمال حسى فحسب .

ولعل هذا هو السر فى أن القرآن الكريم لم يذكر نضرة النعيم إلا ثوابا كريماً لعباده الطيبين الأطهار الذين يتلقاهم بالنعمة الكثيرة والحالة الحسنة فى روضات الجنات . ولعل هذا هو السر أيضاً فى أن يذكر القرآن مع نضرة النعيم ـ على طريق المقابلة ـ ألوانا من العذاب والعقاب لها شدتها وقسوتها ، فالملاحظ أن ذكر النضرة يأتى فى مقام المقابلة بين الثواب والعقاب ، وبين ذكر النعيم والجحيم ، فالنضرة وهى غاية فى النعيم تذكر فى مقابلة ضدها وهو غاية فى العقاب ، نصاً أو إشارة ، ويتقدم ذكر الثواب تارة ، ويتأخر عن ذكر الثواب تارة ، ولكنهما يجتمعان .

* * *

جاء ذكر النضرة فى قول الله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » [(٢)] .

---

(١) يقول الزمخشرى فى كشافه عند تفسير « وجوه يومئذ ناضرة » ما نصه : « الوجه عبارة عن الجملة ، والناضرة من نضرة النعيم » ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) سورة الانسان ، آية ٥ ـ ١٢ .

ويجمل المعنى أن الذين بروا بطاعة الله وأداء الواجبات واجتناب المنهيات يشربون فى إناء مزاج ما فيه من الشراب كالكافور فى طيب الرائحة ، وهم يأخذون شرابهم من عين يفجرونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا ، أى يسيلونها ويجرونها كما أرادوا . وحق لهم هذا النعيم ، لأنهم يؤدون النذور التى كانوا ينذرونها فى طاعة الله ، ولأنهم يخافون عقاب الله فى يوم كان شره ممتداً طويلا قاسيا ، ولأنهم يطعمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم له وشهوتهم فيه ، يطعمونه ذا الحاجة والذى مات أبوه والمأسور فى الحرب ؛ وإنما يفعلون ذلك تقرباً إلى الله وطلباً لرضاه ورحمته ، لا طلبا للشكر والثناء ، ولا انتظاراً لجزاء منهم ، بل يطعمون بذلك أن يأمنوا عقاب ربهم وينالوا مثوبته ، فى ذلك اليوم الشديد الهول العظيم الأمر ، العصيب الشديد ، الذى تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، وتنقبض فيه الوجوه ، ويطول بلاء أهله .

فحفظهم الله من شر ذلك اليوم ، ودفع عنهم ما كانوا يحذرون ، وأثابهم نضرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم ، وأثابهم على صبرهم وإحسانهم جنة يتقلبون فى رياضها ، وحريرا يرفلون فيه وهم ناعمون مغتبطون . ويقول الزمخشرى هنا : « وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدى إليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى ، وحريرا فيه ملبس بهى »[1].

وجاء ذكر النضرة فى قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة ، وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة »[2] .

أى ليس الأمر كما زعمتم من عدم البعث ، وإنما دعاكم إلى هذا محبتكم للدنيا ، وهى الدار الفانية الزائلة العاجلة ، وفضلتم أهواءها وشهواتها ولذاتها السريعة الانتهاء على الآخرة ونعيمها ، مع أن الآخرة هى دار البقاء والخلود : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » . فأنتم لذلك تقبلون على العاجلة ، وتعرضون عن الآجلة ، إلا من رحم الله وعصم ، والناس يومئذ فريقان : منهم أصحاب الوجوه الناضرة الحسنة الناعمة ، الجميلة من الغبطة والسرور والنعيم . وأى نعيم أعظم من رؤية المبدع المصور البارىء الخلاق سبحانه ؟

---

(١) الكشاف للزمخشرى ، ج ٤ ص ١٦٩ .
(٢) سورة القيامة ، آية ٢٢ ـ ٢٥ .

وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى خالقها ، وإن كانت أبصارهم لا تحيط به من عظمته . أو هى تنظر إلى ربها ، أى تنتظر منه ثوابها وهو رب الوفاء والصدق .

ومن الناس أصحاب الوجوه الباسرة أى المتغيرة الكالحة المسودة الكاشرة ، التى تظن أى تعلم أن يفعل بها فاقرة ، أى يصيبها داهية وينالها شر ، لأن مصيرها إلى النار ، وليس وراء النار بلاء .

ويقول الله تعالى : « إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »[1].

أى إن الأبرار الذين بروا بتقوى الله والاستجابة له وأداء ما فرضه ، فى نعيم مقيم دائم ، فهم يجلسون على الأرائك - وهى السرر - فى الحجال من لؤلؤ وياقوت ، يتطلعون فرحين إلى ما وهبهم الله وأثابهم به على تقواهم ، ولو تطلعت لرأيت فى وجوه هؤلاء نضرة النعيم وحسنه وبريقه ، ويسقى هؤلاء من رحيق مختوم أى خمر صرف ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وهذا الرحيق مختوم بالمسك ، فهى طيبة الريح جميلة الطعم . وفى هذا النعيم الذى وصفناه فليتنافس المتنافسون ، أى فليتسابق المتسابقون إليه ، وليجتهد كل امرىء أن يصله ويبلغه ، فإنه المقصد العظيم الجليل .

* * *

ولتوضيح مجيء المقابلة بين نضرة النعيم والعذاب البئيس فى هذه المواضع الثلاثة التى تحدثنا عنها نقول : إن المقابل فى قوله : « إن الأبرار يشربون من كأس ... » الخ قد ذكر ثلاث مرات : ذكر قبل الآيات فى قوله تعالى : « إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا[2] » . وذكر أثناء الآيات فى قوله : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريرا[3] » . وبعد ذكر أهل النعيم وذكر الآلاء المفاضة عليهم يعود القرآن فيقول عن مقابليهم الكافرين : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا[4] » .

وفى الموضع الثانى وهو قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ... » الخ جاءت المقابلة

(١) سورة المطففين ، آية ٢٢ - ٢٦ . (٢) سورة الانسان ، آية ٤ .
(٣) سورة الانسان ، آية ١٠ . (٤) سورة الانسان ، آية ٢٧ .

بين الثواب والعقاب ، وبين أصحاب النعيم وأصحاب البؤس ، فحينما قال القرآن : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، قال عقيب ذلك : « ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة » . والفاقرة هي الداهية التي تكسر الفقار ، وهي كناية عن شدة العذاب .

وفي الموضع الثالث والأخير وهو قوله تعالى : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم » جاءت المقابلة قبل ذلك وبعده ، فقبل هذا يقول الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين ، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالو الجحيم ، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون » .[1]

وجاءت المقابلة بعد ذلك في قوله : « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » .[2]

وكأنما اتبع القرآن الكريم هذه المقابلة بين أهل النضرة وأهل العذاب ليظهر الفرق الواسع بين هؤلاء وهؤلاء ، وليبشر الأبرار بما أعد لهم من خير وأبعد عنهم من شر ، ولينذر المجرمين بما ينتظرهم من شر وما يفوتهم من خير ، وذلك أسلوب حكيم فذ في الترغيب والترهيب وتهذيب النفوس .

اللهم هبنا نضرة النعيم يوم لقاء وجهك الكريم ...

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) سورة المطففين ، آية ١٠ ـ ١٧

(٢) سورة المطففين ، آية ٢٩ ـ ٣٤

لغويات

يتفيأ المصريون ظلال النعمة

يكثر هذا الاستعمال فى هذا العصر، وفى المنار ٦ / ٢٧١ فى الحديث عن الإنسان وأوليته ونشأته مع الحيوان : « وأنه قد أتى عليه حقبة من الدهر وهو على مقربة منها، ينشأ نشأتها، ويسير فى عيشه سيرتها : يتفيّأ ظلال الأشجار، ويستكنّ فى الجحرة والأوكار »

وإذا رجعنا إلى اللغة نرى نص اللسان : « وتفيّأت الظلالُ أى تقلبت . وفى التنزيل العزيز : تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ... وتفيّأت الشجرة وفيّأت وفاءت تفيئة : كثر فيؤها . وتفيأت أنافى فيئها » . فترى أن التفيؤ يسند إلى الظلال فيكون معناه : تقلبها ، وهو محمل التفيؤ فى الآية الكريمة ٤٨ من سورة النحل، وقد جاء فى عبارة اللسان ؛ تتفيأ بتاء التأنيث، وهى قراءة أبى عمرو ويعقوب، وقراءة عاصم وآخرين يتفيأ بالياء، وقد يضاف التفيؤ إلى الشجرة وغيرها مما له ظل فيكون معناه : كثرة الفىء والظل، وقديسند إلى المستظل، فيقال : تفيأت فى فىء الشجرة، أى استظللت بها . وهذا الأخير هو مورد الاستعمال الذى هو موضوع الحديث، فيجب أن يكون وفق ما جاء فى اللغة، فيقال إذاً : يتفيأ المصريون فى ظلال النعمة . وقد بان لك أن المثال المصدر به معيب من قبل حذف الجار، وحذف الجار - كما تعلم - يقتصر فيه على موارد السماع .

وهذا الخطأ قديم ؛ فقد قال أبو تمام فى قصيدته فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى :

طلبتْ ربيع ربيعة المُمْهى لها ‏ ‏ ‏ ‏ فتفيأت ظلاّ له ممدودا

وقوله : طلبت أى ناقته التى حملته إلى الممدوح . وربيع ربيعة مجاز عن خالد الشيبانى، وشيبان من ربيعة . والممهى صفة للربيع، وهو من أمهى النصل إذا أحده ورققه، كأنه يريد : الذى حثها بالأمل والرجاء فيه على الإسراع إليه، أو من أمهيت الفرس إذا أرخيت له من عنانه . وترى فى الشطر الأخير تعدى « تفيأت » إلى الظل بنفسه، وذلك غير ما جاء فى اللسان . وإيراد الشطر هكذا هو رواية الصولى، ورواية الخارزنجى :

فوردن ظل ربيعة الممهودا

وهى سالمة من الخطأ . وقد نبه على خطأ أبى تمام الشهاب الخفاجى فى حاشيته على تفسير البيضاوى ؛ فقد قال فى ص ٣٣٦ ج ٥ : « والتفيؤ تفعل من فاء يفيء إذا رجع . وفاء لازم ، فإذا أريد تعديته عدى بالهمزة أو التضعيف ، كأفاءه الله ، وفيّأه فتفيّأ ، وتفيأ مطاوع له لازم . وقد وقع فى قول أبى تمام :

وتفيأت ظله ممدودا .

متعديا . وقوله : ظله سبق قلم إنشاده : ظـلا له ، وكأنه قرأ تفيأت بإسناده إلى تاء الفاعل ليستقيم الوزن ، وهـذا إن لم يكن من خطأ النسخ أو الطبع . ومن الطريف أن يقع الشهاب فى هذا الخطأ ؛ فقد قال فى الريحانة ٤ : « وتفيأ العشاق فى هجير الأشواق ضافى ظلالها » . ويذكرّنا هذا ـ والأمر يذكر للأمر ـ بما وقع من ابن هشام ؛ فقد قال فى خطبة المغنى : « وها أنا بائح بما أسررته ، مقيد لمـا قررّته وحررته » . فقال الدسوقى فى كتابته عليه : « أدخل ها التنبيه على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة ، مع أنه يمنع ذلك ؛ كما يأتى يبينه فى حرف الهاء ، وقد وقع له ذلك فى ثلاثة مواضع » .

جِـوال، جـوالق

يكثر فى كتابات حملة القلم فى هذه الأيام استعمال الجوال فى معنى الغرارة ، ويجمعونها على أجـولة . وهم يظنون بعدولهم عن اللفظة العامية « شوال » أنهم نجوا من الهجنة ، وأصابوا شاكلة الصواب . والـكلمة فارسية ، وقد أدخلها العرب فى لسانهم بلفظ « جوالق » بضم الجيم وكسر اللام وروى فتحها ، ويجمعونها على جَوالق وجواليق بفتح الجيم فيهما . قال الراجز :

يا حبذا ما فى الجـواليق السود   من خشكنان وسـويق مقنود

والخشكنان يفسره داود الإنطاكى فى تذكرته بأنه « دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد وجمع وخبز . وأهل الشام تسميه المكفّن » . والسويق : الناعم من دقيق الحنطة أو الشعير المقلوّ . ومقنود : خلط به القنْد وهو عسل قصب السكر .

واللفظ الفارسى هو جواله بالجيم الفارسية ، وهى التى تقرب من الكاف ، كما ينطق سكان القاهرة اليوم . والهاء لبيان حركة الآخر وعدم سكونه ، وتسمى الهاء الرسمية ، أى أنها تكتب فى الرسم ولا ينطق بها ، كما ذكره الشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه : « التقريب فى أصول التعريب » ص ١٢ . وقد أبدلت العرب من الجيم الفارسية الجيم ، ومن الهاء الرسمية القاف ، وهذا على حد ما قالوا فى دانه : دانق . وقد يبدلون من الهاء الرسمية جيما ؛ كما قالوا فى ساده : ساذج . وفى « الالفاظ الفارسيه المعربة » لادّى شير : « الجوالق : عدل كبير منسوج من صوف أو شعر ، معرب كواله (بثلاث نقط على الكاف . وذلك رمز الكاف الفارسية) والشوال لغة فيه » .

وقد صارت القاف فى « الجوالق » باجتماعها مع الجيم آية تعريب الكلمة ، وعدم أصالتها فى العربية ، فإن هذين الحرفين لا يجتمعان فى كلمة عربية .

وأعود إلى الجمع « جواليق » فأذكر أن زيادة الياء فيه شاذة عند البصريين ، وقياسه عندهم جوالق ، أما الكوفيون فيرون زيادة الياء فى مثله قياساً ، وقد جاء مراضيع فى مراضع ، ومطافيل فى جمع مطفل ، قال أمية بن أبى عائذ الهذلى :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعث مراضيع مثل السعالى

ومن كبار اللغويين أبو منصور موهوب الجواليقى ، ترجم له ابن خلكان ، وقال : « والجواليقى نسبة إلى عمل الجوالق وبيعها . وهى نسبة شاذة ؛ لأن الجموع لا ينسب إليها ، بل ينسب إلى آحادها ، إلا ما جاء شاذاً مسموعا فى كلمات محفوظة ؛ مثل قولهم : رجل أنصارى فى النسبة إلى الانصار . والجواليق فى جمع الجوالق شاذ أيضاً ؛ لأن الياء لم تكن موجودة فى مفرده ، والمسموع فيه جوالق بضم الجيم ، وجمعه جوالق بفتحها . وهو باب مطرد ؛ قالوا : رجل حُلاحل إذا كان وقوراً ، والجمع حَلاحل ، وشجر عُدامل إذا كان قديماً . وجمعه عَدامل ، ورجل عراعر وهو السيد ، وجمعه عراعر ، ورجل علاكد إذا كان شديداً ، وجمعه علاكد ، وله نظائر كثيرة » . وقد علمت أن زيادة الياء فى الجواليق مقيسة عند الكوفيين . وكذا النسب إلى الجمع على لفظه مقيس عندهم .

وهنا قد يسأل سائل : إذا كانت اللفظة فارسية الأصل ، وحظ العرب تعريبها فالجوال

أقرب إلى الأصل الفارسيّ وأدنى إلى المزاج العربي من الجوالق ، فكان نولك أن تقر الجوال أو الشوال ولا تعيبه على العامة ولا على حملة القلم .

والجواب أن « الجوالق » تعارفها الناس فى القديم وألفوها ودونت فى المعاجم ، فينبغى المحافظة عليها ، وعدم الجرى وراء كلمة لم يكتب لها الدخول فى لسان العرب وفى معاجمهم .

لا بد وأن ... كما وأن ...

كتب السيد الأستاذ أحمد نصيب المحاميد من فضلاء دمشق إلى المجلة فى هذه العبارة : « لا بد وأن ... » وذكر أنها تكثر فى الصحف اليومية والمجلات ، وأنه لا يرى للواو مكاناً هنا ، وأنه يجب أن يقال : لا بد أن ... والسيد المحاميد على حق فى نقده ، والوجه طرح الواو والإتيان بالحرف « من » أو حذفه ، كما هو معروف . غير أنه يمكن تخريج الأسلوب المنقود بجعل الواو مزيدة ، وزيادتها مقيسة عند الكوفيين وبعض البصريين . وفى المغنى لابن هشام فى أقسام الواو : « والثامن واو دخولها كخروجها ، وهى الزائدة ؛ أثبتها الكوفيون والأخفش وجماعة . وحمل على ذلك حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها بدليل الآية الأخرى ، وقيل : هى عاطفة ... والزيادة ظاهرة فى قوله :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

وقوله :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها فإذا وأنت تعين من يبغينى

ا هـ . وقال فى الإنصاف (المسألة ٦٤) : « ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد ، وأبو القاسم ابن برهان من البصريين . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الواو يجوز أن تقع زائدة أنه قد جاء كثيراً فى كلام الله تعالى وكلام العرب » .

وبهذا التخريج يمكن أن يصحح قولهم : « كما وأن ... » فالواو مزيدة ، أى كما أن ... ومع هذا ينبغى الرجوع إلى الأسلوب اللاحب وترك بنيات الطريق ؟

محمد على النجار

اجلاء يهود بنى النضير

تطبيق بارع لمبدأ الوقاية

سمينا الفترة التى أعقبت غزوة أحد بفترة تطبيق مبدأ الوقاية ، وهو مبدأ من مبادىء الحرب ، فقد حتمت ظروف هذه الفترة على النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يحرص الحرص كله على وقاية دينه وأمته وجيشه من كل عدوان .

وقد بينا أن الخطة التى رسمها النبى فى ذلك نجحت كل النجاح ، فقد رأينا كيف قضى صلى الله عليه وسلم على غارات أعدائه جميعاً ، وهى بعد فى مرحلة الإعداد ، فأمن بذلك مفاجأتهم له ، وبقى أن نعرف كيف كان موقفه مع اليهود ، وهو ما رأينا أن نتحدث عنه على حدة .

ولقد حدثت فى هذه الفترة حادثتان أشفق النبى صلى الله عليه وسلم بواسع فطنته من أن يشجع ما أصاب المسلمين فيهما أعداءهم اليهود والمنافقين على الاستخفاف بشأن المسلمين ، الأمر الذى كان النبى ﷺ يخشاه ، فليس أشد خطراً على المسلمين يومئذ من أن تضعف فى نفوس مساكنيهم فى المدينة هيبتهم .

ولذلك اقتضاه حرصه على مبدأ « الوقاية » أن يعالج الموقف بكل حزم ، بعد أن كشف الله له عن مقاصد اليهود وما يبيتون له من القضاء عليه ، فوجد أن الحل الأمثل هو التخلص منهم بإجلائهم كما سنبين بعد .

يوم الرجيع : [١]

كان مقتل سفيان الهذلى على يد عبد الله بن أنيس الأنصارى - رضى الله عنه - بأمر النبى ضربة قاسية لبنى لحيان ، ففكروا فى الثأر ، واتفقوا على أن يكون الثأر بمكيدة ، كما قتل زعيمهم بمكيدة .

فاتفقوا مع عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون ، وجعلوا لهم إبلا ، على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج لهم نفراً من أصحابه

[١] فى صفر من السنة الرابعة للهجرة .

فقدم سبعة من القبيلتين مظهرين الإسلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ... فبعث معهم الرسول ستة من الصحابة (١) فلما بلغوا الرجيع (٢) غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم ، فلم يدر الصحابة إلا والرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل .

فلم تثبط هذه المفاجأة المرعبه من عزم المسلمين الستة بل استلوا سيوفهم ليقاتلوا ، لكن المشركين قالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . قالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ليفوزوا بالمكافأة .

لم يقبل ثلاثة من المسلمين هذا القول وقاتلوا حتى قتلوا ، أما الثلاثة الباقون فقد نزلوا على العهد ، غير أن المشركين غدروا بهم وربطوهم بأوتار أقواسهم ، ثم قتلوا واحداً وباعوا الاثنين بمكة ، وكان منهما خبيب بن عدى ، اشتراه بنو الحارث لأنه هو الذى قتل عامر بن نوفل فى بدر . .

ولقد كانت قصة مصرع خبيب من أروع قصص البطولة والشجاعة والإيمان ، فإنه لما خرجوا به لقتله سألهم أن يدعوه يصلى ركعتين فصلاهما ، ثم توجه إليهم وقال : لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . .

وقتلوه أشنع قتلة ، فقد جمعوا أربعين بأيديهم الحراب والرماح ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر ، وقالوا لهم : هذا الرجل قتل آباءكم ! فانهالوا عليه طعنا وضربا حتى مات . ويروى عنه أنه قال قبل موته قولته المشهورة .

ولست أبالى حين أقتل مسلماً   على أى جنب كان فى الله مصرعى

سرية بئر معونة (٣)

والحادثة الثانية حدثت بينما المسلمون فى حزنهم على أصحابهم الستة الذين ذهبوا ضحية الغدر ، إذ قدم أبو براء عامر بن مالك على النبى - صلى الله عليه وسلم - فعرض عليه الإسلام

(١) ويقال عشرة من الانصار والمهاجرين .
(٢) اسم ماء لهذيل بين مكة والطائف .
(٣) اسم لموضع بين مكة وعسفان .

ولكنه لم يسلم ولم يظهر للإسلام عداوة وقال : « لو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك » . فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من أمر الصحابة الستة ، وخشى على أصحابه من أهل نجد ، وذكر ذلك لأبى براء ، فتعهد هذا بأن يحميهم ويجيرهم وقال : « أنا لهم جار » .

فبعث الرسول المنذر بن عمرو ومعه أربعون من خيار المسلمين ، فلما وصلوا إلى بئر معونة قام عامر بن الطفيل وهو ابن أبى براء فاستصرخ بعض القبائل من بنى سليم ، فأحاطوا بالمسمين فى رحالهم وقتلوهم جميعاً إلا واحداً تركوه وبه رمق فعاش ولحق بالمدينة ، وواحداً أسر ثم أطلق .

غزوة بنى النضير (١)

أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما أصاب المسلمين فى هاتين الحادثتين ، سيشجع اليهود على الاستخفاف بأمر المسلمين ، وكشف الله سبحانه وتعالى أمامه نيات اليهود ، فقد ذهب إلى يهود بنى النضير فى عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، وطلب إليهم أن يعينوه فى دية قتيلين من بنى عامر قتلهما عمرو بن أمية خطأ . . وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر تحالف وجوار ، فأظهروا للرسول قبولا ورغبة فى الإجابة ، ثم خلا بعضهم ببعض وذكروا مقتل كعب بن الأشرف ، وسرت فيهم روح الانتقام والغدر وقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان الرسول قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم فقالوا : من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ، فتطوع لذلك عمرو بن جحاش بن كعب اليهودى وصعد ليلقى عليه الصخرة .

دبر اليهود هذه المكيدة فيما بينهم ، ولكنهم نسوا أن الله حافظ لرسوله ، إذ كشف له ما أراد القوم به ، فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضى حاجة ، وترك أصحابه فى مجالسهم وطفق عائداً للمدينة مسرعاً . .

أما اليهود فقد أرتج عليهم ، وحاروا فيما يقولون لأصحاب محمد أو فيما يصنعون بهم . ولما طالت غيبة الرسول عن أصحابه قاموا فى طلبه حتى بلغوا المدينة فوجدوه ، فقالوا :

(١) فى شهر ربيع الاول من السنة الرابعة الهجرية .

« قمت ولم نشعر ؟ » فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به وأمرهم بالتهيؤ للقتال . وهكذا اتضحت لرسول الله نيات اليهود نحوه، فعد ذلك نقضاً لما بينه وبينهم من عهد، وبعث إليهم محمد بن مسلمة وقال لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى، فلا تساكنونى بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً : فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه » .

حارت بنو النضير فيما تصنع وقد انكشف أمرها لمحمد ﷺ، فأرسل إليها هذا الإنذار الشديد، وفى هذا الوقت أرسل عبد الله بن أبى (ابن سلول) إليهم يحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم، ويدعوهم إلى البقاء فى ديارهم، وزعم لهم أن لديه ألفين من رجاله على استعداد لنصرتهم، فشجع ذلك حيى بن أخطب كبير اليهود على أن يبعث إلى الرسول يقول : « إنا لن نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك » وأمر بالحصون فرممت، وبالحجارة فأحضرت وجمعت فى الأزقة . وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم .

كان بين اليهود وبين المدينة نحو ميلين، فسار النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه فحاصر اليهود فى ديارهم عشرين ليلة، وعمد إلى خطة بارعة تعد ضربة قاصمة لليهود، وهى حرق نخيلهم، فقضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم، لتزول حماستهم للقتال .

نجحت الخطة، وأدرك اليهود اليأس، وخاصة بعد أن أخلف عبد الله بن أبى وعده بنصرتهم، وكذلك لم يعنهم أحد من العرب، فأرسلوا إلى النبى ﷺ أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم، فقال لهم :

« اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة » . (وهى الدروع والسلاح) فرضوا بذلك، وطفقوا يجمعون ما شاءوا من مال أو طعام، وقصد بعضهم خيبر، وسار الآخرون إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام .

وخلفوا وراءهم أسلحتهم والأرض التى كانوا يملكون .

الإجلاء تطبيق بارع لمبدأ الوقاية :

من هذا نرى أن خطة النبى ﷺ بإجلاء اليهود كانت خطة بارعة اقتضاها الحال الذى كان عليه المسلمون .

وغير خاف ما كان فى بقاء اليهود من خلق الفتن وإثارة الشكوك ، وكانوا سيصبحون عدواً ثانياً بالإضافة إلى العدو الأول قريش ، الأمر الذى كان سيرغم الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال عدوين .

ثم إن المنافقين كانوا يعتمدون على نصرة اليهود لهم فى مناوأة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جلا اليهود هبطت حميتهم ، وفترت عزيمتهم ، ولم يعد لهم ذلك المركز الذى كانوا فيه من قبل .

لقد كانت هذه الخطة إذن ضربة صائبة ، وحجراً أصاب عصفورين : قضى على اليهود ، وعلى المنافقين فى وقت معا .

ولا شك أن الرسول ﷺ اطمأن بعد ذلك واستراح مما كا يشغله من أمرهما ؟

محمد جمال الدين محفوظ

نشيد اسلامى

إيه يا أمة خير المرسلين	آن أن تنهض بين الناهضين
آن أن ترجع عهد الراشدين	مثلما قد كان فى دنيا ودين
من له العرب الميامين جدود	لهو أحرى للبرايا أن يسود
وخليق عن حمى الدين يذود	كذياد الأسد من حول العرين
كيف يعرونا خمول ووهن	والورى يصلى لظى نار الفتن
من سوانا يدفع الراية من	يرجع العالم للحق المبين
بين أيدينا تعاليم الكتاب	خير منهاج لمن ضل الصواب
أدركت مغزى معانيها الصحاب	فاستووا فوق عروش العالمين
نحن إن لم نتقدم للأمام	ونعد سيرتنا بين الأنام
فعلى الدنيا . على الدنيا السلام	أى معنى لحياة الخاملين !

عبد الرحمن نجا
سكرتير محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

تعليقات

كنت كتبت فصولا موجزة عن العذراء القانتة السيدة مريم ، ونشرتها هذه المجلة .

وذات يوم حضر إلى مكتبي في إدارة الأزهر السيد الفاضل ر . فوكا من علماء الدين المسيحيين ، وأبدى ارتياحه لتلك الفصول التى نشرناها ، واعتبرها إنصافاً فى إيضاح الحقائق العلمية .

وقدم إلينا تعليقاً مكتوباً بالفرنسية بمجلة « ريون ديجبت » ـ شعاع مصر ـ يسجل فيه رأيه ، ثم صارحنا بشكره وشكر آخرين ممن قرأوا أو سمعوا بما كتبنا .

والرأى عندى أنى لا أستحق شكراً على ذلك ، وإنما هى أمانات علمية يقتضينا الإسلام أن نبلغها لمن لم تبلغه ، وأن نوضحها لمن ينتفع بإيضاحها .

وفيها من التوجيهات الأدبية والدينية معاً أن أدب الإسلام لا يرتضى العصبية التى تباعد بيننا وبين الإنصاف ، وأن تمجيد مريم وعيسى ـ عليهما السلام ـ مما عنى القرآن بذكره كثيراً ، وأن العقيدة الإسلامية لا تتم إلا بالإيمان بجميع الرسل دون تفريق بين أحد من رسله ، إلى آخر ما جاء فى كلماتى .

وتقديراً لما أبداه العالم الدينى المسيحى ر . فوكا نحو ما كتبناه ننشر كلمته التالية ، ونحن على ما ندين به من الحق الذى لا ترقى إليه الشبهات .

عبد اللطيف السبكى

العذراء القانتة (١)

لقد كانت مفاجأة سارة أن نقرأ فى مجلة الأزهر ، ذلك المعهد الدينى الكبير ، والمركز الروحى والثقافى للعالم الإسلامى ـ أن نقرأ ـ سلسلة مقالات ، أو بالأحرى سلسلة دراسات قيمة عن القديسة مريم العذراء ، وأن تكون هذه المقالات فى نهاية هـــذا العام المـارى (الميلادى) [فى ٢٤ سبتمبر و ٢٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤] .

---

(١) ترجم هذا المقال الدكتور خليل مدكور .

لقد أخذت هذه المجلة على نفسها أن تعالج بعض المسائل القرآنية ، وبدأت منذ وقت قريب أن تدرس بصفة خاصة الشخصيات البارزة التى وردت أسماؤها فى القرآن ، وكان من الطبيعى أن يكون من بين تلك الأسماء اسم السيدة مريم العذراء ، إذ أنها تحتل مكاناً عظيماً فى نفسية المسلمين .

ولقد كان من حسن المصادفة أن تكون دراسة شخصيتها فى مجلة الأزهر فى نهاية هذا العام المارى (الميلادى) .

ومما تجب ملاحظته أن كاتب ذلك البحث هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى هو عضو بالمجمع العلمى الأزهر ، أو بعبارة أصح عضو بجماعة كبار العلماء الذين يمثلون أكبر سلطة دينية فيه .

هذا وليس من الطبيعى أن ننتظر من أحد فقهاء المسلمين أن يسلم على طول الخط بما ندين به ـ نحن معشر المسيحيين ـ من العقائد المسيحية البحتة ، فيما يختص بالمسيح ، وبأمه مريم العذراء ، إذ أن الإسلام يرى أن مريم هى أم المسيح الذى ليس « ابنا لله » .

هذا ولقد عالج الأستاذ هذا الموضوع بكل دقة من الوجهة الدينية ، مع كثير من رقة الذوق ، وحسن المراعاة ، مما يدعو القارىء إلى أن يتأمل ويتدبر مثله فى شخصية تلك العذراء القانتة التى ملكت عليه مشاعره بفضلها وحسن خلقها .

ولقد أحيطت هذه القصة ببعض الروايات الطريفة ، والتقاليد المعروفة لدى المسلمين ، والتى لاتقرها الكنيسة الكاثوليكية ، وإن كانت فعلا رائجة عند المسيحية إبان القرون التى سبقت ظهور الإسلام ، ولا زالت مذكورة فى بعض الأناجيل المشكوك فيها .

هذا ـ فإذا ما تقرر هذا ، وتبين لنا أن شخصية السيدة مريم العذراء قد احتلت هذا المكان الممتاز فى القرآن وفى السنة ، فإنه يخيل إلينا أن هذا المقال قد جاء بشىء جديد ـ أو على الأقل ـ قد جاء بحقائق كانت معروفة من قبل إلا أنها لم تكن بهذا الوضوح ، وبهذا البيان والتعمق ... ...

وقد جاء بالمقال أمران جديران بالذكر، ويسترعيان التأمل بصفة خاصة، وهما :

أولا : التأكيد بأن مريم العذراء لم تكن قمينة بالإكبار والتعظيم فحسب، بل كانت مثلا كريماً يهتدى به ويسار على نهجه .

ثانياً : هو تساؤل صاحب المقال لمَ لم يكن كل الناس قد اختصوا بكل فضائلها الفريدة فى ذاتها ؟

هذا - ومن الجلى أن نجد من السهل الجواب على هذا التساؤل فى الإرادة الإلهية التى لا نستطيع سبر غورها، ولكن هذا يدعونا إلى الكثير من البحث والتعمق، لأننا لا زلنا نسير فى طريق كله غموض .

ولقد قرر الكاتب الكبير بحق أن فضل السيدة العذراء يرجع إلى أمومتها المجيدة لوليدها المسيح ....

« فلندع مريم أن تعرفنا بشخصيتها أكثر فأكثر هى وابنها ! »

ليس حديثا نبويا

قيل إن قسيس كنيسة بطرس غالى ألقى فيها عظة دينية تناول فيها الكلمة المشهورة « اتق شر من أحسنت إليه » بالشرح والتفسير باعتبار أنها حديث نبوى، وقد أثنى كاتب فى إحدى الصحف اليومية الصباحية على ذلك وأبدى سروره من أن أحد رجال الدين المسيحى يعظ بحديث نبوى إسلامى من فوق منبر الكنيسة .

ولكن الحقيقة التى يعرفها علماء السنة من المسلمين أن كلمة « اتق شر من أحسنت إليه » ليست حديثا نبويا، وكان بعض أعلام المسلمين يرون أنها تصد عن عمل الخير، فمن الخير أن يعلم الناس أنها لا تعرف فى كتاب من كتب السنة المعتبرة .



المصلحة فى التشريع الاسلامى
ونجم الدين الطوفى

للأستاذ مصطفى زيد - ٢٧٥ ص - دار الفكر العربى بمطبعة لجنة البيان العربى

الإسلام دين الفطرة ، وقد قام فى رسالته على دعامتين من دعائم الفطرة : « الحق » و « الخير » ، فكل ما وافق الحق صرفاً والخير خالصا فالإسلام يقره . و « المصلحة » إذا التقت بالحق والخير كانت من أهداف الإسلام ، ولأنها من أهدافه لا نجد فى نصوصه ما يخالفها ، فإذا اختلفا وجب على أهل الفقه والحجى أن يطيلوا الدراسة والتفكير فيما يظنونه « مصلحة » وسيجدون أنفسهم فى النهاية مخطئين فيما ظنوا ، فالنص الإسلامى إن أجحف بمصلحة هزيلة فذلك لا يكون إلا لحماية مصلحة عامة شاملة . ومن هنا زلت قدم الذكى المتوثب الجرىء نجم الدين الطوفى الذى يقول عن نفسه :

حنبلى رافضى ظاهرى   أشعرى ، إنها إحدى الكبر

فذهب فى شرحه حديث « لا ضرر ولاضرار » ، وهو الحديث الثانى والثلاثون من الأربعين النووية إلى أن النص والإجماع إذا خالفا المصلحة وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما . وهنا موقف دقيق فى التوفيق بين المخالفة والتخصيص ، فالتخصيص ينبغى أن يعتمد على نص آخر ، وحينئذ يكون تقديم المصلحة على النص بنص آخر لا بترجيح المصلحة على النص ولا سيما إذا انضم إليه الإجماع . وقد تقدم لنا الكلام على (الطوفى) والمصلحة فى هذه المجلة (م ٢٤ ص ٦٩٥ - ٦٩٧) .

وقد تفرغ لدراسة هذا الموضوع الأستاذ المحقق الفاضل مصطفى زيد الذى سبق لنا التنويه بتفسيره سورة « الأنفال » (م ٢٥ ص ٣٧٥) فألف أخيراً كتاب (المصلحة فى التشريع الإسلامى - ونجم الدين الطوفى) ونال بهذا الكتاب درجة الأستاذية فى الشريعة الإسلامية بمرتبة الشرف الممتازة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ولم يقصر فى نقد رأى (الطوفى) وخطأه فى ترجيح ما يظنه المصلحة على النص ، غير أنه حاول أن يلطف من نصوص التاريخ فيما يتعلق بذبذبة الطوفى بين المذاهب ، وحمل ذلك على أنه

من حرية الفكر . غير أن العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق في جامعة القاهرة وأستاذ الشريعة الإسلامية فيها - وهو أحد الذين ناقشوا هذه الرسالة عندما تقدم بها المؤلف إلى كلية دار العلوم - قال في مقدمتها بعد أن أثنى على المؤلف بما هو أهله : « إننا في المناقشة أخذنا عليها مآخذ نشأت من السير السريع ، وأبرز هذه المآخذ وأوضحها هي في محاولة تبرئة الطوفي من التشيع ، فإن النصوص التي نقلها مستشهداً بها لنفي التشيع تطوي في ثناياها دليل إثباته ، وكل نص ساقه دليلا للنفي هو في مغزاه ومرماه وباعثه دليل الإثبات » . وبهذا التقينا مع الأستاذ أبي زهرة فيما سبق لنا تسجيله عن مذهب الطوفي قبل سنتين ، كما التقينا مع الأستاذ مصطفى زيد فيما نقده من زلل الطوفي فيما رجح به ما يظنه مصلحة على النص حتى لو كان مقرونا بالإجماع . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الإمامية لا يقولون بالإجماع كما يعرفه المسلمون ، ولذلك لم يقم له الطوفي وزناً حتى مع النص إذا خالفتهما المصلحة المزعومة .

ومما زاد في قيمة كتاب الأستاذ مصطفى بدر أنه ألحق به نص شرح الطوفي على حديث « لا ضرر ولا ضرار » ، منقولا من شرحه للأربعين النووية ومزيناً بصور شمسية لبعض صفحات الأصل الذي نقل عنه .

بحث في مشكلة التسول والمتسولين

لفضيلة الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبي - ٦٤ ص - مطبعة الإمام بالقاهرة

هو بحث في مشكلة التسول ، وأن منشأه الفقر وما كان من ضغط الاستعمار وظلمه وأساليبه وتحكمه في أقوات الشعب ، وأن من مساوىء التسول الفردية ذهاب الحياء وفقدان الكرامة وعزة النفس ، ومن الناحية الاجتماعية وجود طائفة تعيش عالة على المجتمع ، وتعطيل قواها عن العمل ، وأنها عنوان للتأخر والانحطاط . وأن الحكم الشرعي في التسول أنه حرام على من استطاع أن يستغني عنه بالعمل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المسألة لا تحل لغني ، ولا لذي مرة (أي قوة) سوي » ، وقال : « من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم » قالوا : يارسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : ما يغديه ويعشيه . وأنه يحرم على المرء أن يسأل وهو يستطيع العمل . وقال المؤلف في علاج التسول أن يبين للناس هدى الإسلام فيه ، وأن ييسر للمعدم طريق العمل . والإسلام دين يحث على العمل ، وعلى الجهاد في كسب الرزق ، وتراث الإسلام حافل بالحث على ذلك وتوجيه الأمة إليه . وقد ختم المؤلف رسالته بكلمة بليغة للحافظ ابن رجب في شرح وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وهي التي يقول له فيها : « وإذا سألت فاسأل الله » وهو أمر بإفراد السؤال لله ، ونهي عن سؤال غيره من الخلق .

الأدب والعلوم

مدارس لأبناء العرب
في الدول الأجنبية

تولد لأصحاب المصالح النازحين إلى البلاد الأجنبية مواليد فينشأون في وسط غريب عنهم بلغته ودينه ، حتى إذا بلغوا أشدهم وجرفهم تيار الغربة لا يبقى لهم من مقوماتهم الجنسية والإسلامية إلا أنهم أبناء أسر عربية إسلامية ، وقد رأينا أثناء الحرب العالمية الثانية ضباطاً في الجيش الأمريكي والجيش الأوسترالي يبحثون عمن يعرف ذويهم في البلاد العربية الإسلامية التي نزح آباؤهم عنها إلى أمريكا أو أوستراليا . وهم في حزن شديد لأنهم يجهلون العربية والإسلام .

وقد لاحظت جامعة الدول العربية هذا الأمر فأعدت الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية مشروعا لإنشاء مدارس عربية في بلاد الدول الأجنبية التي يكثر فيها المهاجرون إليها من بعض البلاد العربية لتعليم أبناء هؤلاء المهاجرين ما يحفظ لهم عروبتهم وإسلامهم ، كما تفعل الدول الأجنبية في بلاد الشرق من إقامة المدارس لأبناء جالياتها لهذا الغرض . وسيبدأ بتنفيذ هذا المشروع في ألمانيا وبريطانيا والشمال الشرقي من بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ثم الدول الآسيوية وأمريكا الجنوبية .

دائرة معارف اسلامية

أعلن شودري على أكبر وزير معارف البنجاب في الجمعية التشريعية نبأ اعتزام جامعة البنجاب إصدار دائرة معارف عن الإسلام باللغة الاوردية ، وأن حكومة الإقليم ستقدم لهذه الجامعة إعانة مالية لإتمام هذه الدائرة الحافلة بالمراجع عن الإسلام . ومما يستحق الإعجاب أن حكومة إقليم البنجاب تتقدم خطوات في طريق التوسع في الدراسات الإسلامية .

فلسطين
في مؤتمر التعليم الإلزامي

وافق مؤتمر التعليم الإلزامي للبلاد العربية على التوصية بالمزيد من العناية والاهتمام بتعليم المعلومات التاريخية والجغرافية عن فلسطين في جميع الدول العربية ، والاتصال بالدول العربية غير الممثلة في الجامعة العربية لتطبيق ذلك .

وأوصى بأمور أخرى تعليمية تتعلق بأبناء اللاجئين الفلسطينيين ، ومنها العناية بتعليمهم التعليم المهني .

أنباء العالم الإسلامي

نقول ولا نعمل

قال حاكم باكستان العام لمناسبة افتتاح مؤتمر الشباب المسلم الذى انعقد فى كراتشى :

« إن مصدر ضعف الأغلبيـة العظمى من المسلمين هو أنهم يتحدثون عن الإسلام أكثر مما يطبقونه فى حياتهم العمليـة . وأن معرفتهم بتعاليمه وارتباطهم بهـا لم تتعد ماينطقونه بألسنتهم ، ولم يكونوا جادين فى أى وقت فى عباداتهم . فالإسلام الصحيح كان الرباط الوثيق الذى يجمع شملهم ويجعل منهم أسرة واحدة كبيرة قوية . أما الآن فقد تركوا الدين إلى الدنيا ، فانحل هذا الرباط الذى كان بينهم ، وتمزق شمل أسرتهم وتفرق أهلها شيعا وأحزابا ، فتبدلت قوتهم ضعفا ووحدتهم تفككا ، وأسدل الزمن على مجدهم وقوتهم الماضية ستاراً كثيفا . ولذلك كان لزاما علينا أن ننظر لماضينا كى نستلهم منـه القوة والحيوية التى تمكننا من الحياة فى هذا العالم المضطرب ، ولنتحقق من أن اتباع تعاليم الدين الإسـلامى كان مصدر قوتنـا الماضية ، وأن تخلى المسلمين عنه هو مبعث ضعفهم الحاضر . أما إذا عدنا إلى تطبيق تعاليم الإسلام بحذافيرها وبروحها الصحيح ، فإن ذلك سيقودنا بلا شك إلى حياة كريمة عمادها الإيمـان والعدل والإخلاص .

لطخة عار فى جبين الانسانية

أذاع السيد فارس الخورى رئيس الوزارة السورية بيـانا عما دار فى الأمم المتحدة من مؤامرات ودسائس قبيل صدور قرار تقسيم فلسطين ، وقد جاء فى البيان :

« إن هـذا القرار جريمة اقترفتها الأمم المتحدة ، وستبقى لطخة عار على جبين الإنسانية . وقد بذل ترومان من الجهد ما لا يوصف ، هو والعصابة الصهيونية الدولية ، حتى أكرهوا الدول الصغيرة على الوقوف إلى جانبهم » .

دخول سوريا بلا تأشيرة

وافق مجلس الوزراء السورى على مشروع قانون بإلغاء تأشيرة الدخول إلى سوريا بالنسبة لجميع رعايا الدول العربية . وأعلن وزير العدل بدمشق أن سوريا تريد أن يشعر المواطنون العرب إذا انتقل الواحـد منهم من بلاده إلى سوريا بأنه لا يزال فى وطنه .

البترول فى سيناء

وفقت الجمعية التعاونيـة للبترول إلى اكتشاف بئر بترولية جديدة فى (بلاعيم) من الصحراء الشرقيـة ، وهى بئر غنية بالبترول ، يبلغ الإنتاج اليومى من بترولها الخام نحو ٢١٧٠ برميلا ، أى ما يوازى نحو ٣٠٠ طن فى اليوم ، وهذه البئر خامسة آبار البترول التى ظهرت فى شبه جزيرة سيناء ، وقد عثر على خام البترول فى هـذه المنطقة عند عمق ٧٣٢٤ قدما حيث تفجرت ينابيع البترول المتدفق ذاتيا فى الأقـدام الأربع والعشرين الأخيرة ، ويقدر الإنتاج السنوى لهذه البئر بثلاثة أرباع مليون طن يبلغ ثمنها ـ على أساس سعر البترول المستورد ـ نحو ١٤ مليون جنيه بالعملة الصعبة .

ومنطقة بلاعيم التى ظهر فيها البترول الآن تبعد نحو ٢٠ كيلو مـترا عن حقل بترول وادى فيران ، وبالقرب من ساحل خليج السويس الذى تفجرت ينابيع البترول على ساحليه فى السنوات الأخيرة ، إذ اكتشف على ساحل شبه جزيرة سيناء حقل بترول وادى فيران ، وقبله اكتشف حقل بترول رأس مطارمة وعسل وسدر ، واكتشف منذ سنوات بعيدة حقل بترول رأس غارب ، وقبلها حقل بترول الغردقة ، وحقل جمسة .

والمنتظر من الآن أن تسد بلاد الجمهورية المصرية حاجتها للبترول بما تنتجه محليا .

تحريم القمار

انتهت وزارة العدل من وضع مشروع بقـانون يقضى بتحريم لعب القمار على المصريين ، وإنقاذ مصر من أنديتـه ، والاقتصار على أندية محدودة العدد فى مناطق السياح الأجانب بحيث يكون دخولهـا مقصوراً عليهم بإبراز جوازاتهم لمن يراقب الداخلين إلى هـذه الأندية . وقد أحسنت الحكومة كل الإحسان إلى هذا الوطن الذى كان منكوبا بكثير من بؤر الفساد منذ كان ضحية لنظـام الامتيازات الأجنبية ، ومنها هذه الأندية التى طالما هدمت بيوتاً ودفعت رجالا إلى الانتحار بمـا دخل على نفوسهم من اليأس بضياع تراثهم على تلك المـوائد الغادرة الفاجرة .

الى مؤتمر الشباب الاسلامى
فى كراتشى

سافر بطريق الجو إلى كراتشى ٥٢ شابا من شباب الأزهر والجامعـات المصرية قاصدين عاصمة باكستان لتمثيل شباب مصر فى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى عقد فى العشرة الأيام الأولى من السنة الشمسية الجديدة ، ومن هؤلاء الممثلين لمصر فى المؤتمر مدير متحف الفن الإسلامى واثنان من مساعديه .

وقد ودعهم فى مطار القاهرة الدولى القائمقام أنور السادات وزير الدولة والسكرتير العام للمؤتمر الإسلامى .

فهرس

الجزء العاشر — المجلد السادس والعشرون

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

القاهرة فى غرة رجب ١٣٧٤ - ٢٤ فبراير ١٩٥٥ - الجزءان ١١ و ١٢ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الصحافة والسينما

فى توجيه المجتمع

يلقبون الصحافة بذات الجلالة منذ رأوا أثرها الظاهر فى تكوين المجتمع وتوجيهه، فهى تغشى المنازل فتتداولها أيدى الرجال والنساء والبنين والبنات. ويقرأها الناس وهم فى عربات الترام والسيارات الخاصة والعامة وفى قطارات السكة الحديدية التى تجرى بين الشمال والجنوب. وتراها فى أيديهم وهم فى الأندية والمداوس والمقاهى والمتنزهات وفى كل مكان.

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب العالمية الأولى تطبع الواحدة منها عشرة آلاف نسخة فى المتوسط، فوثبت بعد الحرب العالمية الثانية إلى عشرة أضعاف هذا العدد بل أكثر.

كنت فى زيارة الأستاذ أميل زيدان بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت دار الهلال يومئذ مجاورة لدار جمعية الشبان المسيحية فى شارع إبراهيم باشا، فحدثنى عن الخطوة الصحفية التى يود أن يخطوها، وقال: إن إصدار صحيفة يومية فى بيروت أو دمشق ميسور

لمن شاء لأنه سينافس صحفا ذات رأس مال متواضع ، أما الذى يريد إصدارها فى مصر إلى جانب صحيفة الأهرام وأمثالها فإنه يحتاج إلى رأس مال ضخم وإلى استعداد أضخم . ثم رأينا صاحبي دار الهلال يزوران بلاد الغرب وينقلان منها إلى مصر هذا النوع الجديد المصور من الطباعة ويصدران مجلاتهما الواحدة بعد الأخرى ، وتخطو الصحف اليومية — الأهرام ثم زميلاتها — هذه الخطوات السريعة فى الطباعة والتصوير واستيراد أخبار العالم من مصادرها . وتقوم فى القاهرة دور أخرى للنشر تنافس مجلات دار الهلال فى الأناقة والتصوير ، وتلقى الناس ذلك على أنه تقدم فى مهنة الصحافة . والواقع أنه تقدم فى الشكل والمظهر ، لكن التنافس المادى دفع أهل هذه المهنة إلى التسابق فى كسب العدد الأكبر من القراء ومجاراتهم فى أهوائهم ، فتحولت الصحافة عن وظيفة الإرشاد والتوجيه نحو الأصلح ، إلى الاهتمام بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق وإن كانت هزيلة النفع ، ومن صور لنجوم وكواكب السينما وللمصطافين والمصطافات على كورنيش الإسكندرية ، إلى غير ذلك مما يجرئ الشبان والشابات على الاستخفاف بالقيم الخلقية ، والاندفاع نحو الرغبة فى الملذات ، أضف إلى ذلك ما ينشر من القصص الغرامى الذى تمليه على الأقلام الفاجرة نفوس لا تخاف الله ولا ترعى فى الشباب حقوق الإنسانية والوطن ، فيتلقى عنها الشباب من الجنسين دروسا يستقر منها فى النفوس أن العفاف والصون خرافة من الخرافات ، وأن طلب الملذات هو أمنية الجميع المسلم بها حتى من حملة الأقلام الذين يوجهون الناس ويعلمونهم ما يحسن بهم فى طريق الحياة .

وإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تمثله شاشة السينما فى الليل والنهار وتمليه على طبقات الأمة من سوء القدوة والأسوة ، تبين لنا سبب هذه الحوادث المخجلة التى تكشفها المصادفة بين الحين والحين ، فنعرف منها أى داء دوى وأى مرض وبيل أصاب المجتمع من طريق الصحافة والسينما بين الحربين العالميتين وبعدهما .

هذه آنسة من كلية التجارة فى جامعة الإسكندرية ترسل على الناس صيحة من الأهرام تصفها الأهرام بأنها قد اختلطت فيها الحسرة والألم بالنظرة الفاحصة الواعية ، والكلمة المصلحة الصادقة ، فهى تتحسر لما ترى وتسمع كل يوم من إجرام نصف المجتمع فى حق نصفه الآخر ، بل فى حق نفسه أيضاً ، فهى تقول :

« إن سيدات كثيرات أكثر مما يمكن تصوره يخن أسرهن بهذه الطريقة المجرمة ،

فنرى الخيانة من زوجة ثرية تزوجت بمن تريد وأنجبت منه أطفالا ، ثم تعشق غير زوجها ، وتغيب عن بيتها ، وتبوء بجرمها ... أو زوجة مدرس تخونه مع تلميذه ... وهن يقدمن على هذه الخيانة الدنيئة بكل سهولة » .

وتتساءل الآنسة : « إلى متى تلعب أولئك الزوجات بالنار التى تحرق مجتمعنا ؟ إلى متى يستمر شبابنا فى الإضراب عن الزواج ؟ إلى متى يظل أولئك الأزواج نائمين فى هدوء ؟

« أكتب إليكم جميعاً ... أكتب إلى الأزواج ليفتحوا عيونهم ويرعوا أسرهم ، ويتجنبوا هدم مجتمعهم . لتكن حملة شديدة لعلاج هذه الحالة الوبيلة ... لينبه كل شخص الزوج النائم الذى تخونه امرأته حتى تخاف . . ليتكلم الراديو إلى الزوجات فى توجيهات وتمثيليات عن مصير الزوجات الخائنات . . وليكن فى القانون عقاب صارم لكل زوجة مجرمة . . »

« إن مجتمعنا مريض ، وسيودى به مرضه إلى الهاوية إن لم نتداركه بالعلاج ، ونمحو منه هذا الجرم الفظيع » .

أجل يا آنسة ، إن مجتمعنا مريض ، ولكن ليس المهم تدارك الموبوئين من أفراده بالعلاج وحسب ، فإن هؤلاء الموبوئين ضحية لغيرهم ، ولم يكن مجتمعنا مريضا بسببهم ، بل لأن وراءهم أقلاماً نقلت إليهم جراثيم المرض ، بما أيقظت فى النساء والشباب من غرائز ، وبما هونت عليهم من أمر العفة والصون ، ففى كل دقيقة تقع الأنظار على صور للقبلات الفاضحة ، والعورات التى أمرت الشرائع بسترها . إن كل أنواع اللحوم ارتفعت أثمانها بعد الحرب ، إلا لحوم النساء فإنها ابتذلت بعد ارتقاء الطباعة ، وبعد أن صارت صور السيقان ومفاتن النسوان مادة أصلية من مواد النشر والكسب بالعرض على الأنظار . وهذا فى الصحافة فما بالك بالسينما !

إنهم أقنعوا النساء ، وأشباه النساء من الرجال ، أن استنكارنا لهذا الفاحش الفاجر رجعية وتأخر وغباء ، فمضت الجماهير فى الإقبال على هذه الصحافة المهيجة للشهوات والغرائز واندفعت وداد وأشجان وعشرات الألوف من مثيلاتهما فى السبيل التى دفعهن إليها تجار لا يخافون الله ، ولا يرعون هذا الوطن فى بنيه وبناته وفى رجاله ونسائه ، فكان ما تسمينه - يا آنسة - لعباً بالنار التى تحرق المجتمع ...

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب كاتب متوثب مقالاً فى إحدى مجلات « دار الهلال » - وكان يعمل فيها قبل أن يعينه أهل المقدرة على إنشاء دار للنشر تنافس

دار الهلال - كتب هذا الكاتب فى تلك المجلة من صحف دار الهلال يحرض المجتمع على استقبال عهد السلم بعد انتهاء الحرب بالتحلل من الأفكار الرجعية وأخذ الحضارة الغربية بحذافيرها ، ودفع المرأة إلى خوض لجج التحرر من قيود الرجعية ... الخ . فرد عليه الدكتور يحي أحمد الدرديرى المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين ، ونصح له بأن يتقى الله فى هذه الأمة ، فقابله بشواظ من نار السلاطة والسخرية والاستهزاء ، مما لا يمكن أن يجاريه فيه رجل يحترم نفسه ، ثم رأينا تحقيق تلك الدعوة على صفحات صحف ملأوا بها الأسواق والبيوت والجامع ، وتطوع فيها عدد من حملة الأقلام الذين لا يعرفون الحياة الزوجية ، فكانت نفثات أقلامهم سموما تعمل عملها فى نفوس عشرات الألوف من أمثال وداد وأشجان ، وكان أثر ذلك يفتك فى هذا المجتمع المريض فيخفى عن الناس حينا وتفضحه المصادفات حينا .

وإذا افتضح - بطريق المصادفة - شيء من هذه الجرائم بادر دعاة الفاحشة والتحلل إلى تهوين ذلك على المجتمع والتخفيف من وقعه فى النفوس الجريحة ، كما رأينا فى يوميات إحدى صحف الصباح التى يقول كاتبها : لا يجوز أن نعتبر حادثاً واحداً دليلا على انهيار جيل كامل ، فهذه الجرائم البشعة لا تصور الجيل ، وإنما تصور شخصيات منحلة فى مجتمع صحيح . بل يقول لمن يشكون من انحطاط الأخلاق كلما وقعت حادثة مثل حادثة مقتل زوجة مأمور الضرائب : إن هذا الاشمئزاز الذى تشعر به وأنت تقرأ أخبار هذه الجرائم دليل على أن المجتمع غير ملوث . ويضيف إلى ذلك أن الذى يقرأ صحف العالم بانتظام يجد أضعاف هذه الجرائم فى بلاد أخرى يقولون إنها متمدينة ، ثم يصرف أذهان الناس عن الموقف الحقيقى للصحف من هذه الجرائم ، خشية أن ينتبهوا إلى دور التحريض الذى تمثله بعناية وانتظام ، فيتكلم عن الدور الآخر للصحف وهو نشر أخبار هذه الجرائم بعد وقوعها فيسوق الأدلة على أن الصحف معذورة فى ذلك .

إن الذى نؤاخذ به الصحف ليس نشر أخبار الجرائم الجنسية بعد وقوعها ، وإنما نؤاخذها بما كانت تبثه قبل وقوع الجريمة من أفكار تهون على الناس أمر الأعراض ، ومن صور وفقرات تهيج الغرائز فى الأحداث والشباب وفى العامة الذين ليس لهم من عقولهم ودينهم وازع يعصمهم من التأثر بهذه الدعايات الخبيثة المتواصلة بحذق وبراعة وتصميم ، حتى صار أمر الأعراض هيناً على الجماهير ، وحتى صارت الغرائز فى حالة انتباه مستمر ،

ومن هنا كان ما تسميه الآنسة التي كتبت في الأهرام « لعباً بالنار سيحرق المجتمع » ، و « مرضاً وبيلاً سيودي بالمجتمع إلى الهاوية ، إن لم يتداركه العقلاء بالعلاج » .

ولا يكاد القراء ينتهون من مقال « اليوميات » حتى تطلع عليهم تلك الصحيفة في اليوم التالي بمقال « من فكرة إلى فكرة » زاعماً كاتبه بأن النشر لا ذنب له فيما يقع من هذه الجرائم ، لأن هذه الجرائم ليست في مصر وحدها . ومنشأها في السنوات الأخيرة انهيار الأعصاب ، والمسئول عن انهيار الأعصاب هو الحرب ، فإنها حطمت أعصاب الناس وهزت اتزانهم وزعزعت إيمانهم فدفعتهم إلى هذه الجرائم . ومن العجيب أن ترى إلى جانب هذا المقال صورة رمزية لدرية شفيق بعنوان « العقوبة الهائلة » ودرية شفيق ممسكة بيد نهرو من جانب وبيد محمد على الزعيم الباكستاني من الجانب الآخر وتقول لهما : « ياتبوسوا بعض ، يا أبوسكم أنتم الاثنين » .

هذه قطرة من القطرات في سبيل تهوين أمر الحياء والعفة والدين على صغار العقول من النساء وأشباه النساء من الرجال ، ومجموع هذه القطرات بين الحربين وبعد الحربين طغى بهذا السيل الجارف من الفاحشة التي أدت إلى ما نرى من إجرام ، وإلى ما يشكو الناس من عواقبه .

كتب لهم الأستاذ السيد صبري كلمة في الأهرام عنوانها « اتقوا الله . . وكفى ! » وتابعه الأستاذ جمال العطيفي المحامي في اليوم التالي بكلمة أخرى بنفس العنوان يقول فيها عن الأستاذ سيد صبري : « لا شك أن سيادته يعبر بهذه الكلمة عما يجول بخاطر معظم المواطنين الذين لا يقل استنكارهم للحادث ودوافعه وأسبابه ، عن أسفهم للآثار التي تترتب على هذا (النشر) من الناحية الاجتماعية والخلقية » .

وقد اعترف الأستاذ محمد زكي عبد القادر في إحدى فقرات « نحو النور » بأن من المؤكد أنه لولا وقوع جريمة فندق شارع عماد الدين لاستمر الوضع الذي كان قائماً على ما هو عليه . ومن يدري لعل هناك حالات كثيرة مشابهة — وربما أسوأ وأشد فحشاً — غير معروفة . فالمسألة لا ينبغي أن تؤخذ فقط للتسلية أو التعجب أو إبداء الأسف والاشمئزاز ، ولكن لا بد من أن يتدخل لبحثها رجال التربية وعلماء النفس والإجرام .

فلعل الأمر يرتد فى أساسه إلى أشياء كثيرة تتعلق بالوسط والمجتمع ، ولعل بحثها يؤدى إلى إصلاح عميق ، أو دعوة إلى تعديل فى أساليب التربية وطريقة التناول والتعريف للعلاقات الجنسية بالنسبة للأولاد والبنات فى سن المراهقة .

ومن العجيب أن تذهب الأفكار فى تعليل هذه الجرائم إلى كثير من الأسباب ، وأن يبقى السبب الحقيقى الأول مسكوتاً عنه ، وهو الدور الذى يمثله القائمون على دور النشر بما ينشرونه من صور تهيج الغرائز ومقالات وفقرات وقصص تهون أمر الأعراض ، وتدفع الأحداث وصغار العقول نحو الشهوات الجنسية دفعا . يضاف إلى ذلك سوء استعمال شاشة السينما فى هذا الوطن المظلوم ، وما تقدمه لأبناء الجيل القائم والجيل الآتى من قدوة سيئة ليس عجيباً أن يكون لها فى مجتمعنا هذا الأثر المحزن الذى أقام البلاد وأقعدها .

إن شاشة السينما كان يمكن أن تقود الأمة إلى ميادين الرجولة ، وأن تنهض بالبنين والبنات إلى مستوى رفيع من ميادين العمل لإنهاض الوطن ، ولكن انهيار الصحافة إلى المستوى الذى يشكو منه الناس جعل القائمين على السينما يسابقون صاحبة الجلالة فى غزو السوق ، واستمالة الجماهير بمجاراة أهوائها ، حتى بلغنا هذه الدركة من الاستهتار والتحلل ، ونحن نحسب أننا نحسن صنعا .

قبل إعلان الدستور العثمانى فى سنة (١٣٢٦ — ١٩٠٨) كان الأستاذ محمد كرد على مقيما فى مصر يشارك فى تحرير جريدة المؤيد ، فبادر عند إعلان الدستور بالسفر إلى دمشق وأصدر فيها جريدة يومية اسمها (المقتبس) ، فكتب إليه شيخنا طاهر الجزائرى رحمه الله ينصح له بتصغير حجم الجريدة ودعوة زملائه إلى تصغير أحجام جرائدهم ليضطروا إلى الإيجاز فى لغو الكلام ، وإلى أن لا ينشروا إلا الصحيح النافع من الأخبار والأفكار ، وقال لهم : إن ذلك هو عنوان الترقى والتقدم فى الصحافة . فهل ما عليه صحافتنا الآن يعد ارتقاء أم انحطاطا ؟ هذا سؤال جدير بأن تمتحن به أنظار الناس وأفهامهم ...

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٣٦ -

٢ – المتكلمون فى المهد

١ – بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين .
٢ – ومن يتق الله يجعل له مخرجا .

قتل أصحاب الأخدود :

١ – كانت قصة الأخدود إحدى القصص الرهيبة المروعة التى تكشف عن جمود العاطفة حينما تتغلب على المرء نزعة الاستبداد، وتتحكم فيه الضلالة، حتى لايكون للرحمة الإنسانية صلة بنفسه، ولا للوازع الدينى سبيل إلى قلبه، وهو ينسى أن وراء سلطانه سلطاناً أقوى، وفوق جبروته جبروتاً لايحد، فيتخذ الله من شأن هذا الإنسان مثلا يضربه، وعبرة يزجر بها .

٢ – وأصحاب الأخدود هم أولئك الذين حفروا حفيرتهم - الأخدود - وأوقدوا فيها ناراً تستعر، وأعدوها ليقذفوا بها من لا يمالئهم على الكفر، ولا يرتد عن دينه الحق، وقد بلغ من قسوة هؤلاء المتجبرين أن يجلسوا فى كبريائهم، حول تلك الحفيرة وعلى مشهد من أولئك المستضعفين حينما يؤتى بهم، ويطلب إليهم أن يطيعوا كبراءهم فى الكفر بربهم، والسير فى طغيانهم، فإذا يئسوا من مطاوعتهم طوحوا بهم فى الحفيرة - الأخدود - فهؤلاء يصلون نارها، وأولئك يتسلون بهم فى لظاها، ويطربون لتوقدها بأجسامهم، وكل ذلك فى غفلة الضمير الإنسانى، وفى نشاط الفتنة الشيطانية .

٣ — وحينما جيء بامرأة مؤمنة تحمل صبيها الرضيع ، ارتاعت من هول ما رأته ، وأخذتها شفقة الأمومة على رضيعها ، ووقفت بين إيمان راسخ أخذ عليها مشاعرها ، وبين عاطفة تساورها على طفلها الذى سيطرح به معها ، أو سيعيش وحيداً بعدها . وحينئذ هيأ الله لها المخرج ، وأفسح لها من هذه الكربة ، فأنطق صبيها بما هون عليها الخطب ، وحبب إليها التضحية ، إذ قال الصبى : (اصبرى يا أمى فإنك على الحق) فكانت التضحية أهون على الأم وأحب إليها فى سبيل الاعتصام بدينها ، والوفاء لله بعهدها .

٤ — والإيمان الصادق من شأنه أن يخفف عن المرء فى دنياه ما يلقى من البلاء ، ويهون عليه ما يحدق به من نصب ووصب .

فلا عجب : أن يكون النكال على شدته أحب إلى المعذبين فى الأخدود ، وإن توقدت فيه النار بأجسامهم ، أو كان هذا مع من يضنون به من أهليهم وأبنائهم .

وكل ذلك وأضعافه أيسر من عذاب آخر أعد للكافرين ، وهو فى الآخرة لا يخفف عنهم ولا يرجأ فيهم .

٥ — والله ـ سبحانه ـ يقص على الناس هذا النبأ ، ويوضح شأناً من شئون خلقه ، على نحو ما جرى به القضاء فيهم ، بعد أن بين لهم سبيل الرشد فلم يتخذوه سبيلا ، وبين لهم سبيل الغى فاتخذوه سبيلا .

فانظر كيف كان قصصه عن الفريقين ؟ ؟

أما أصحاب الأخدود الذين أسرفوا على الناس فى التنكيل فقد سجل الله عليهم اللعنة ، وجعلهم مثلا للآخرين : (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ثم يذكر السبب الذى حفزهم على الكيد والإجرام مع المؤمنين فيقول : (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق) وهذا وعيد فيه تشنيع وتقبيح لأصحاب الأخدود ، وفيه تزكية مطوية للمهتدين ، ثم صرح الله بتلك التزكية فى تلو هذه الآيات بقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . ذلك الفوز الكبير » .

٦ — تلك هى القصة ، وهذا مجمل سببها ، وجانب العبرة منها واضح ، ففيها حكاية الكفر والطغيان ، وحكاية الطاعة والإيمان ، وفيها تحذير من العدوان والغدر ، وتوجيه إلى الرضا والصبر ، وفيها تصوير للون من ألوان الحياة الدينية فى القرون الأولى ، ليتبين للناس أن الخصومة بين الحق والباطل ، وبين جند الله وجند الشيطان ، أو بين الكارهين للدين وبين أهله ، قديمة قدم الزمن ، وسنة من سنن الله فى المجتمع .

ومن لنا ببث العبرة فى قلوب جاحدة ، وبعث الحياة الروحية فى نفوس جامدة ، بعد أن مضت سنة الله ، وقضت حكمته أن يكون لله خصوم من عباده ، وللفتنة أنصار من الغواة ؟ ؟

سيظل للحق أجناد ، وللباطل أجناد ، ومهما أرخت الفتنة حبالها ، وشكت الفضيلة من خصومها ، فإن الغلبة دائما للحق على الباطل ، ولن يخلف الله وعده فيما قال : « وإن جندنا لهم الغالبون – إن الباطل كان زهوقا » .

وبعد – فإن للقصة زماناً ، ومكاناً . ولها أشخاص تولوها طاعة لمن أمروا بها ، ولكن هذه الأمور ليست ذات شأن فى الغرض المقصود ، وهو الإرشاد إلى ناحية الخير ، والترغيب فيه ، وإلى ناحية الشر ، والترهيب منه ، وتشخيص هذه العظة فى سياق قصصى لما وقع من أناس لأناس ، وخصومة أولئك لهؤلاء ، ونشاط المسيئين فى جانب الشيطان ، واحتمال المستضعفين ما نزل بهم فى جانب الله .

وهذه التوجيهات حاصلة بما يجتزىء القرآن فى ذكره .

أما تعيين الزمن ، أو البقعة التى جرت فيها ، أو الأشخاص الذين دبروا أحداثها ، فشىء لا يتعلق به القصد ، لأنه لا تتوقف عليه الغاية .

وقد نشط العلماء قديماً فى الإلمام بهذه المعالم ، وساقوها مع القصة إتماما للفائدة ، ولكن مجال البحث لم يجمعهم حول فكرة واحدة ، بل تشعب بهم الاجتهاد فى التنقيب والتحرى ،

ولهم العذر فى تعـدد الرأى ، إذ لا نص أمامهم ، ولا معالم مقطوعا بها لديهم ، والقصة فى جوهرها سليمة وأكيدة ، وإن اشتبهت على العلماء لواحقها تلك .

ففريق يراها وقعت فى بلاد الحبشة ، وآخرون يفرضونها فى اليمن ، وفيما يقـال : إن صبياً كان يتردد على كاهن ليعلمه الكهانة ، فاهتدى فى طريقه إلى راهب متعبد فى صومعته ، فركن إليه الصبى مرة بعد أخرى حتى تعلم دينه وعرف ربه ، وكان يدعو فيستجاب له ، وقد دعى لرجل أعمى فأبصر ، فآمن الأعمى كما آمن الصبى ، ولمـا طار خبر الصبى والأعمى والراهب إلى الملك نكل بهم فقتلهم جميعاً ، وكان فى التنكيل بهم مظاهر قدسية حملت جمهرة من القوم على الإيمان برب الصبى والراهب والأعمى ، فلم يسع الملك إلا أن يستعين ببطانته فى شق الأخدود ، والتوسع فى تعذيب المؤمنين ، على نحو ما سلف بيانه .

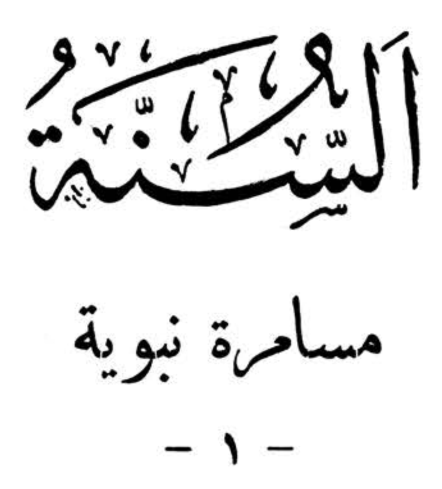
وكذا مما يقال : إن ملكا استباح محارمه من النساء ، وكان ذلك أمراً منكراً فى شريعة قومه ، فلما أحس بانتقاصهم له ونفورهم منه ، أراد أن يحملهم جميعاً على القول بما يراه ، فلما عارضوه وخرجوا عليه ، استعان بمن يستبطنهم على الآخرين ، فحفروا الأخدود ، وصنعوا بالمخالفين ما صنعوا .

وأياً ما كان تقديرهم فهى احتمالات متشابهة من الناحية العامة ، وهى أنها تصوير لعقلية ملوك غاشمين ، تطاوعهم بطانات ضـالة ، فيكون منهم المنكر والفساد ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

وفى مثل هذه القصة لم يكن كثيراً على الله أن ينطق فيها الصبى ، بل يجب ألا يستبعدها العقل ، وأن نفطن إلى أن غرابتها علينا هى أيسر فى اجتذابنا إلى الإيمان بالله من طريق العجب بآياته ، وفى كل آية من آياته عجب ، وإلا فكيف يكون التدليل على قدرته ؟ ؟ .

تباركت ربنا وتعاليت ! ! ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



مسامرة نبوية

– ١ –

تمهيد : خطة هذه المجلة — لسان الحق والخير .
قضية جامعة — معجزة لم تدون — دعابة نبوية .
بيت كريم — صبر عجب ، وجزاء أعجب .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً . وكان لى أخ يقال له أبو عمير . قال — أحسبه — فطيم [١] وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النغَير ؟ ! نُغَر كان يلعب به . فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا ، فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

(١) مفطوم عن الرضاعة ، روى مرفوعا صفة لأخ بعد وصفه بالجملة ، وجملة أحسبه معترضة بين الصفة والموصوف ، وروى منصوبا مفعولا ثانيا لأحسب ، والنغر - كصرد - طائر يشبه العصفور أحمر المنقار . وقد يسمى صعوة — واحدة الصعو — أصغر من العصفور ، ويأتى ذكرها فى الشرح . والبساط : ما يبسط ويفرش ، وكان بساطهم من جريد النخل كما فى صحيح مسلم ، والنضح بالماء : الرش به .

تمهيـــد :

بدأنا السنة فى عامنا هذا ببحث فى « جزاء الصالحات » وكنا أكثر شىء حرصاً على أن نختمه فى هذا الجزء ، غير أن شعابا منه اعترتنا فى بلوغ الدعوة وموقف المسلمين منها ، وفى أهل الفترة وتحديد العلماء لهـا ، وفى تخصيص فريق منهم بالعذاب دون سائرهم ... كل هذه وما إليها من بحوث مجهدة حدت بنا إلى الترويح بهذه الدعابة النبوية الكريمة ، حتى يمهدالله لنـا هذه الشعاب ويهدينا صراطاً سوياً .

وإن ندع هذا التمهيد السريع دون أن نعرف من لم يعرف أننا فيما نكتب فى « قصة أبى طالب » وغيره لا نتحامل على أحد — معاذ الله — ولا نطعن فى جهة معينة، ولا نبغى فيما نكتب — ونشهد الله — إلا وجه الله والحق وحده[1] ثم نذكر من لم يتذكر أن خطة هذه المجلة من أول يوم إلى أن يشاء الله ، هى خطتها لن تحيد عنها قيد شعرة « تحمل سريرة طيبة . . وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس . . . تناقش . . مقتدية فى مناقشتها بأدب قوله تعالى :« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

« وكتاب هذه المجلة وقراؤها تتجاوب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به والدعوة إلى الخير والأنس به ؛ لأن الأزهر قبة الإسلام ، والإسلام جماع الحق والخير ، ومجلة الأزهر لسانهما الناطق بدعوتهما »[2] .

* * *

كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً .

---

(١) على أن « قصة أبى طالب » ذكرت استطراداً لمناسبة جزائه بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، لما أبلى من بلاء حسن .

(٢) راجع فاتحة أول مجلداتها عام ١٣٤٩ وآخر مجلداتها فى عامنا هذا . وأسأل الله أن يهدينا ومن يخالفنا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

قضية جامعة قاطعة : تجمع الخير كله ، وتصدق الصدق كله ، وتنطق بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغ من المكارم غاية لم يدركها أحد قبله ، ولن يطمع فيها أحد بعده ؛ لأنها غاية الغايات ، والذروة العليا من أرفع الدرجات ؛ وليست هذه شهادة يشهدها أنس بن مالك وحده ، خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يشهدها كذلك أزواجه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن . والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا : زوج تحب زوجها وتثنى عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعاً وقلنا : اتفقن كلهن مُجْمِع على هذا الحب والثناء !! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وفي عصمته الطاهرة تسع كان بينهن من المنافسة والغيرة مالا يحتمله بشر ، إلا أن يكون نبياً أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ؟! اللهم إن في هذا الاحتمال وحده لمعجزة من معجزات نبيك ولو لم تدون في الأسفار ، وإن في هذا الجمع الذي أبحته لنبيك دون أمته لشاهد صدق على أنه صفوة الأخيار .. ومالنا نستشهد بغيرك وأنت خير الشاهدين ؟ أدبته فأحسنت تأديبه ، وهذبته فأكملت تهذيبه ، ثم بعثته ليتمم مكارم الأخلاق ، وقلت فيه وقولك الحق : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

* * *

ولسنا الآن في مقام التفصيل لهذه القضية الجامعة ، فذلك ما لا سبيل إليه في مقال أو مقالات ؛ وإنما نحن بصدد فكاهة من هذه الفكاهات النبوية التي سقناها للاستجمام والاسترواح ، وربما أحب القراء أن نسوق شيئاً منها كلما عرض للقلوب ملال أو كلال ، فإنها تمل كما تمل الأبدان .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يمزح ولا يقول إلا حقا ، وكان مزاحه القدوة المثلى ، والأسوة الحسنى في الصدق والرفق واللطف ، لا يتأمل أحد أدنى تأمل فيما حفظ عنه من السمر والمفاكهات إلا وجد كلا منها منطويا على أدب وعلم وحكمة ، فضلا عن الترويح للنفس ، والإمتاع للسمع ، والبشاشة للفؤاد .

* * *

كان - صلوات الله عليه - يزور أصحابه فى بيوتهم ، يكرمهم ، ويعلمهم ، ويطمئن عليهم ، ويبعث فيهم من جلال النبوة سناء ، ومن جمالها نوراً وضياء .

وكان يختص بيت خادمه أنس بمزيد من الزيارة رحمة منه وحنانا ، وقد أشار أنس إلى هذا الاختصاص فى إحدى روايات الحديث إذ قال : إن كان النبى ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟!

* * *

كان أبو عمير أخا لأنس من أمه : أم سليم ، وأبوه هو أبو طلحة : زيد بن سهل الأنصارى ، وهو الذى قال لرسول الله ﷺ لما نزلت « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » : إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة أرجو برها وذخرها فقال ﷺ : بخ بخ يا أبا طلحة ، ذلك مال رابح ... ثم أمره أن يجعلها فى الأقربين .. وبيرحاء هذه حديقة كانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ... ولأم سليم وزوجها أبى طلحة فى الإسلام ونصرة النبى عليه الصلاة والسلام شأن عجيب ، خليق بأن يدرس فى مناهج التربية الإسلامية !!

* * *

زار هذا البيت الكريم ذات يوم صلوات الله عليه وسلامه ، فألفى أبا عمير حزينا ، فقال لأمه : مالى أرى ابنك خاثر النفس ؟! فقالت : ماتت صعوته التى كان يلعب بها ؛ فسرى عنه النبى ﷺ بهذه المداعبة : يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟!

* * *

ويقضى الله الذى لا راد لقضائه أن يشتكى أبو عمير ثم يموت كما مات طائره !!

وهنا تتجمل أمه أم سليم بصبر عجب ! وكل شأن من شئونها فى الإسلام عجب !

يرجع أبو طلحة إلى بيته فيسأل : ما فعل ابنى ؟ فتجيبه صادقة حاذقة : هو أسكن مما كان .. ثم تقدم إلى زوجها عشاءه فيأكل ويشرب ، ثم تصنع له أحسن ما كانت تصنع .. حتى إذا نام وتغشاها قالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت

فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك ! فغضب وقال تركتنى حتى تلطخت ، ثم أخبرتنى بابنى ! فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان . . فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما فى ليلتكما . . فحملت أم سليم . . فولدت غلاما فقالت : يا أنس ، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أنس فوضعه فى حجره ، فدعا صلوات الله عليه بتمرات من تمر المدينة ، أو عجوة من عجوتها — ليحنك الصبي — فلاكها حتى ذابت ، ثم قذفها فى فى الصبى ، فجعل يتلمظها ، وجعل صلوات الله عليه يقول : انظروا إلى حب الأنصار التمر ! فمسح وجهه وسماه عبد الله .

* * *

وعاش عبد الله هذا إلى أن جاء من أولاده عشرة بررة كملة ، ما منهم إلا من درس القرآن والعلم وحمله ... إنه لجزاء الصبر والرضا فى هذه الدنيا ، ولجزاء الآخرة أوفى وأعجب .

* * *

أليس هذا البيت - بيت خادم النبى ﷺ ، بله بيت المخدوم - عجبا من العجب ، علما وهـــدى وتربية ؟!!

أوليس عجيباً أن ندعه درن أن نعود إليه مرة أخرى ، فنقتبس من نور النبوة مشرقا على هذه التربية الرشيدة الهادية ؟! بلى ، إنا عائدون إن شاء الله ، وموعدنا غرة الشهر القادم ؟

طه محمد الساكت

نذير من الغـــــرب

كتبنا كثيراً فى مجلة الأزهر وغيرها فى قضية المرأة ، والدعوة إلى مساواتها بالرجل ، والنزول بها إلى ميادين الحياة تزاحمه فى أعماله وتشركه فى وظائفه ، وأبنا ما فى هذه الدعوة من أخطار على المرأة وحدها ، أو على الرجل وحده ، أو على المجتمع عامة ، وقلنا : إن هذه الدعوة مناهضة للطبيعة التى أعدت كلا منهما لرسالة خاصة ، إذا تخلى عنها للآخر أو زاحمه فيها كانت الفوضى التى لا يعلم مداها إلا الله .

كتبنا فى ذلك تبليغاً لرسالتنا الدينية والخلقية والاجتماعية ، وحرصاً على مصلحة المرأة ومصلحة المجتمع ، وبالرغم مما تكشف عنه الزمن من أحوال تظاهرنا فى دعوتنا ، وتأخذ بيدنا إلى غايتنا ، ما زال أنصار المرأة ومشايعوها فى دعوتها يجادلوننا فى الحق بعد ما تبين ، وبعد أن لمس الناس كيف أن المرأة التى خدعت بهذه الدعوة ، ونزلت إلى ميدان العمل لتزاحم الرجل ، كانت خسارتها فادحة ، واحتملت من الأعباء ما لا طاقة لها به ، وودت بجدع الأنف لو عادت إلى مكانها فى المنزل تديره وترعى شئون أولادها ، وتترك للرجل ما له قدرة عليه من السعى فى توفير القوت وتحصيل الرزق .

وإن الألم ليبلغ منا مبلغه إذ نرى المرأة العاملة غادية رائحة ، يكاد الجهد والقلق يقتلها ، ويدفعها الرجال فى زحام المراكب بالأيدى والمناكب ، وتنطق قسماتها بالأسى والألم على هذا الحظ النكد والمصير التعس ، وويح للمرأة وويح لقلبها إذ تترك أطفالها يوما أو ليلتها بين أيدى الجيران أو الخدم ، لا يرحمون طفولتهم ، ولا يؤنسون وحشتهم ، بل يروعونهم ويؤدبونهم بما لا يليق من الأدب ولا يجمل من التربية .

وإنا لنقطع عن خبرة بالسماع والمشاهدة أن أكثر من قدر لهن أن يعملن من النساء فى مختلف المهن لا يحمدن حظوظهن ، ولا يرضين عن حياتهن ، ويغبطن بل يحسدن أترابهن

ممن قدر لهن أن يكن فى المنازل زوجات وأمهات فقط ، يقمن بواجب الزوجية والأمومة فى اطمئنان قلب ، وسكون خاطر ، ويتمتعن بجوار الأطفال ومناغاتهم وبسماتهم ، ويتركن للرجال ما وراء ذلك من شئون الأسرة يكفلونها ، وويح للسافرات من بناتنا إذ يرين طالبي الزواج من الشبان يتسابقون إلى أترابهن المخدرات فى البيوت ، اطمئناناً إليهن ، وثقة بهن وبقدرتهن على حمل رسالة الزوجية والأمومة ، وينفرون ممن تقع عيونهم عليهن سافرات مختلطات بالرجال فى الشوارع والأعمال والملاهى والمجتمعات .

إن دعوة المرأة إلى المساواة بالرجل فتنة وفدت إلينا من الغرب فيما وفد ، وقد اعتنقها بعض المصريات والمصريين ممن تخدعهم المظاهر البراقة ، ثم أخذوا يدعون إليها فى حماسة بل تعصب ، دون أن يمحصوها ويتعمقوها ويتنبهوا إلى ما فيها من مجافاة لديننا وتقاليدنا ، وأخطار على مستقبل بناتنا وأسرنا .

لقد ظنت المرأة وظن أنصارها أن المرأة الغربية سعيدة ، وأن سبب سعادتها هو سفورها ومشاركتها الرجل فى عمله ، وأن مساواتها بالرجل تجربة قد نجحت فى الغرب ، وأن من الظلم أن تحرم المرأة المصرية والشرقية عامة هذه السعادة ، وأن تقصر فى البيت أو تسجن فيه كما يقولون ذلك خداعاً ومداهنة .

وقد كان غريباً أن يقول قائل بعد هذا الزمن الطويل من سفور المرأة الغربية وبعد ما نالته من حقوق : رويدكم أيها الناس ، فإن التجربة لم تبلغ غايتها ، وإن الرواية لم تتم فصولا ، وسيبدو لكم فشل هذه التجربة ، وأن لا بد أن تعود المرأة إلى المنزل كما أعدتها الطبيعة ، لتتولى شئونه وشئون أبنائها ، وتترك للرجل شئون العمل والكدح فى سبيل العيش ، لأن ممارسة أحدهما عمل الآخر فوضى فى الاختصاص ، لاخير فيها للرجل ولا للمرأة ولا للمجتمع . وقد حققت الأيام ظننا ، وأدركت شعوب الغرب ـ بعد أن قطعت نهاية الشوط فى التجربة ـ أن التجربة قد فشلت وانجلت عن أسوأ النتائج ، وأخذ أولو الرأى فيهم يدعون المرأة إلى أن تعود إلى المنزل ، وتتفرغ لشئون الأسرة ، لأن مشاركتها فى الأعمال أساء إليها وإلى الرجل ، وإلى الأطفال وإلى الأسرة ، وأن نظام المنزل قد انهار

ولم يعد مأوى يستريح فيه الرجل، ويسكن إلى زوج تزيل بيد الحنان ما يعانيه من أعباء العمل، ويتقلب الطفل فى رياض العطف بين أبويه ، بل أصبح كالفندق يقضى فيه كل من الرجل والمرأة سواد ليله ثم يغادرانه إلى العمل ، وقد لا يرى أحدهما الآخر ، وفقد الرجل السيادة على الأسرة ، وامتحن الأطفال بسوء التربية لضعف إشراف الآباء، واضطر الرجل إلى أن يعمل بالمنزل بعض ما كانت تقوم به المرأة من أعمال ، ولم يعد الإحساس بخطر نتائج هذه الدعوة مقصوراً على بعض الشعوب المحافظة فى أوربا وأمريكا ، بل إن هذا الإحساس سرى فى أكثر شعوب هاتين القارتين تطرفاً ، ولم تعد الدعوة إلى تدارك الخطر همساً بين الأفراد ، بل أصبحت حديث الجماعات والصحف ، وقد نشرت بعض المجلات الأمريكية الذائعة مقالا فى هذا الموضوع لكاتب كبير ، لخصته بعض الصحف العربية فيما يلى :

« إن الرجل الأمريكى المتزوج قد فقد سلطانه وهيبته وكرامته ، وهى صفات طالما تمتع بها بوصفه رباً للأسرة ، وأهم الأسباب فى ذلك هو سماح الرجل للمرأة اقتحام الحياة العامة فى دنيا الأعمال ، فقد قضى الرجل بهذا على أهم الفوارق التى تميز بين الدور الذى يقوم به كل من الرجل والمرأة . ولقد ظهر من نتائج الإحصاء أن ٦٢ فى المائة من الأزواج الأمريكيين يغسلون الأطباق ، وأن ٤٠ فى المائة يعاونون زوجاتهم فى طهى الطعام ، وعند ما تتزوج المرأة فى أمريكا اليوم تطمئن إلى شىء واحد ، هو أنها سوف تحصل عن طريق هذا الزواج على رجل يقوم بمهمة الزوجة خلال نصف النهار » .

وذكرت صحيفة أخرى أن ابنة ترومان وهى مغنية مشهورة قالت : إنها تفضل أن تكون زوجة على أن تكون صاحبة أى مهنة أو وظيفة .

هذا ما نشرته مجلات أمريكا وصحفها ، وهو خلاصة لنتائج تجربة مساواة الرجل بالمرأة فى الشعوب التى غامرت أو قامرت بهذه التجربة ، نسوقه إلى المرأة المصرية وأنصارها ، عسى أن يكون زاجراً لنا عن المضى فى التجربة ، وأن يكون لنا فيه عظة .

« ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » !

أبو الوفا المراغى

حياتنا بين الشرق والغرب

وقوة الاسلام التى لا يعرفها أصحابها

أتيح لنا أن نحضر ندوة علمية اجتماعية اشترك فيها نخبة من كبار المثقفين فى مصر ليلة الأحد ٢ / ١ / ١٩٥٥ بنادى الصحفيين ، وقد كان لكل من حضرات المتحدثين نصيبه من التوفيق فيما أبدى من صواب الرأى وتوجيهه .

ولكن الذى لفت الأنظار ، وأثار العجب بنوع أخص ، هو موقف الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى بمصر ، فقد كان الحق شاخصاً فى موقفه ، والصواب يتألق فى منطقه ، وكان التاريخ الصحيح يتكشف واضحاً من ثنايا ألفاظه ، وهو بهذا التوفيق ساعة ذاك ، طيب نفوساً آلمها موقف شاذ لأحد المشتركين فى الندوة ، فقد كان سيئاً أن نسمع - على لسان رجل كان مديراً للجامعة - أن مصر عالة على الغرب فى كل شىء ، فى ماضيها وحاضرها ، وكان أغرب من ذلك أن المدير هذا يخوض بنا وراء فكرة غامضة ، وفى أسلوب مفكك ، ولا يعنيه من كلامه إلا أن يبث فينا الاستكانة إلى الغرب ، والإيمان بالغرب ، وكأنه يستخف بالسامعين فيقول ما يرضى نزعته وإن كانت منحرفة ، حتى كانت فى نفوس المستمعين ثورة مكبوتة إلى نهاية الندوة ، وكان فى نفوسهم أسف لأن تكون هذه فكرة رجل هيمن على تعليم الشباب دهراً طويلا ، ولكن الدكتور الحفناوى - أحسن الله جزاءه - دافع بالحق عن الحق ، وللحق صولة تعصف بالباطل ، كما عصفت كلمة الحفناوى بكلمة مدير الجامعة .

ورغبة فى الإفادة وتعميم النفع ، حاولت مجلة الأزهر أن تحصل على مقتبس مما ارتجله الأستاذ الكبير ، فتهيأ لها ذلك .

وإلى القراء ما اقتبسنا من حديث السيد الحفناوى .

عبد اللطيف السبكى

كلمة الدكتور الحفناوى

حياة الأمم كحياة الأفراد ، يجب أن ترتكز على مقومات من تاريخها وعقيدتها وتراثها الذى يميزها عن غيرها ، وإلا فقدت كيانها ، وضاعت شخصيتها ، وفرض عليها أن تكون تابعة لغيرها .

على ضوء هذه الحقيقة ، أود أن أعالج موضوع هذه الندوة ، وأناقش السادة الذين سبقونى .

والموضوع المطروح على بساط البحث فى هذه الليلة ، متشعب الحلقات ، ويمكن أن يعالج من زوايا مختلفة ، وجوانب متعددة . وقد طاب لى أن أتحدث فيه من زاوية السياسة الخارجية ، ولكنى رأيت أن أقدم لذلك بملاحظات على ما سمعت من زملائى الذين سبقونى بالتحدث إليكم .

•••

سمعت الأستاذ الدكتور أحمد زكى يشيد بالغرب إلى حد القول بأننا غربيون !! وهذه قضية خطيرة ، أريد أن أتصدى لها كمحام ، بين يديه ملف فيه مستندات ووثائق ، أريد أن أبين هل نعيش عالة على الغرب حقاً أم أن الغرب هو الذى يعيش عالة علينا ؟ .

وقد تحدث الدكتور أحمد زكى عن مدنية الإغريق ، ونسب إليهم حضارة العرب والمسلمين ، وجرد هؤلاء من كل فضل ! وكنت أرجو أن يدلنا سيادته على كتب الإغريق التى قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والتى ساعدته فى إقامة دولة عظمى ، كانت ذات نظم رائعة فى السياسة وفى الإدارة وفى غير ذلك ، وكنت أرجو أن يدلنا أيضاً على السند التاريخى لحقوق الفرد الأساسية التى قررها الإسلام ، منذ أن نزل الوحى على رسول الله .

ولكنى سأقدم لزميلى السند العكسى فأقول له : إن الناس فى عصور الإغريق والرومان كانوا يباعون بيع السلع ، وتجرى عليهم جميع التصرفات ، وكان الآدميون ملحقين بالأشياء والدواب ، فلم تعرف حقوق الفرد ، ولم تظهر حقوق الإنسان .

* * *

فى تاريخ العالم نقطة تحول كبرى، تعد ميلادا للإنسانية واكل حضارة ، هذه النقطة هى (الرسالة العظمى) التى نزلت على محمد بن عبد الله. فقبل هذا التاريخ لم تقم فوق أرض الله دولة كاملة الأركان . ومن هذا التاريخ ظهرت الدولة بمعناها القانونى الذى صاغه الله تعالى إذ قال فى كتابه العزيز : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

آتونى بعالم فى القانون الدولى أو القانون الدستورى يحدد الأمة أو العلاقات الدولية تحديداً قانونياً أروع مما جاءت به الآية الكريمة ، حتى يقال إننا فقراء فى الثقافة ، ويجب أن نعيش عالة على الغرب .

* * *

قبل أن يسطع نور (الرسالة العظمى) كان العالم يعيش تحت وطأة ظلمات بعضها فوق بعض ، وكانت الباباوية التى أرادت أن تشيد لنفسها ملكا على أنقاض قيصر ، قد قسمت المجتمع الإنسانى إلى طبقات : الطبقة السفلى ، وتتألف من عامة الناس الذين أهدرت آدميتهم ، وراحت تبيع وتشترى وتتصرف فى حظوظهم فى الدنيا والآخرة ، فتدخل الجنة من تشاء ، وتحرمها على من تبغض ، ووضعت فوق هذه الطبقة طبقة الإقطاعيين ملاك الأرض والنبلاء وذوى التيجان ، ثم فرضت نفسها طبقة عليا فوق كل هؤلاء ، وزعمت أنها واسطة بين الله والناس ، ولذلك اضطربت أحوال العالم ، واختلت الموازين ، وأوشك الفلك أن يتوقف عن الدوران .

ولكن رحمة الله قد وسعت عباده ، فطفق الإسلام يقاوم الشرك ، ليحرر الإنسان من ظلم الإنسان ، وجعل الناس سواسية أمام الله ، فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولا تفريق ولا تمييز بين لون ولون ، وجنس وآخر ، وعندئذ اضطربت الباباوية وفزعت الكنيسة أيما فزع ، إذ خرج المسلمون الأوائل من صحراء جزيرة العرب ، يحملون رءوسهم على أيديهم ، ولا يستهدفون شيئا غير نشر كلمة التوحيد التى تقضى على الضلالة ، وتحرر الناس من الوثنية والفوضى والشرك جميعه ، وأحست الكنيسة أن تجارة صكوك الغفران لا بد أن تبور ، فدفاعا عن شهواتها ومآربها الرخيصة بيتت للإسلام والمسلمين ، وكانت دولة « لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » قد امتدت بأمر ربها من جبال البرانس إلى حدود الصين ، فاستمرت الكنيسة قروناً تستعد للنيل من دولة المسلمين ، وتستعدى عليها الأمراء وذوى

التيجان ، إلى أن أوقدتها حروباً صليبية منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ، وتحطمت الحملات الصليبية واحدة بعد أخرى ، وتفتتت قوى الشر فوق صخرة العقيدة الإسلامية .

* * *

وأخيراً فطن قس صليبي فى سنة ١٢٤٩ إلى الجغرافيا وحكمها ، فكتب وثيقة مضمونها أنه لا سبيل للقضاء على دولة المسلمين إلا إذا قامت دولة أوروبية باحتلال مصر ، وشقت فى أرضها قناة تصل بين البحرين ، وتكتلت أوربا المسيحية وراء الدولة المحتلة حتى تكون القناة ملكا مشتركا للعالم المسيحى ، فيتشتت شمل المسلمين .

وقد تلقف ملوك أوربا وفلاسفتها هذه الوثيقة واستعدوا لتنفيذها ، إلا أن الخلافة الإسلامية كانت قد هاجرت إلى القسطنطينية منذ سنة ١٥١٧ حينما فتح السلطان سليم الأول مصر ، وحصل على البيعة من آخر خليفة عباسى ، ولذلك كافحت دولة الخلافة ونافحت ورفضت مشروع القناة الصليبي ووقفت له بالمرصاد ، وحرمت الملاحة على الأوربيين فى البحر جاعلة إياه بحيرة إسلامية مغلقة ، فاستهدفت من جراء ذلك لنيران حروب هوجاء ، شنتها عليها أوربا المغتصبة طيلة قرون عدة ، ووضعت فى جنبها شوكة إذ ظهرت روسيا التى كانت دويلة صغيرة فى كييف جاعلة ضالتها انتزاع بيزنطة من أيدى المسلمين .

* * *

وقبل التاريخ الذى أشرت إليه كان الرجل الأبيض قد اهتدى إلى حقيقة سرمدية ، ذلك أن الله تبارك وتعالى قد خلق الأرض كبيت كبير له بوابات ومداخل ، وما هذه البوابات والمداخل إلا الممرات المائية ، وكان قد سلم المسلمين مفاتيح الكرة الأرضية ، إذ سيطروا من الأندلس على جبل طارق وهو أولى هذه البوابات . وامتلكوا البحر الأحمر بمدخليه فى السويس وباب المندب ، ثم وضعوا أيديهم على المضايق التركية ، فدانت لهم الكرة الأرضية ، وعاشت أوروبا كلها على فتات موائد المسلمين وما يفيض من خيرهم مما يباع لتجار يفدون من أوروبا إلى مصر والشام مرتين كل عام .

* * *

وفى سنة ١٤٩٨ اهتدى مغامر برتغالى يقال له فاسكودى جاما إلى طريق الهند طوافا نحو رأس الرجاء الصالح ، ولم يصل بمفرده وبمحض اجتهاده بل أوصله الملاحون العرب

الذين تعرف عليهم فى موزبيق ، ولما عاد إلى بلاده باركه البابا ، وراح هذا الأخير يوزع أرض الله على المغامرين من ملوك أوروبا ، فعلى يد البابوية ولد استعمار الغرب للشرق ، واستطاع الرجل الابيض أن يصل إلى آسيا ليسفك الدماء وينهب طيبات الأرض ، وقد جمعوا القراصنة وحطموا الأسطول الإسلامى المصرى فى مياه الهند فى سنة ١٥٠٢ ، وبعد هذا التاريخ ظهرت دول وممالك فى أوربا بدءا بالبرتغال ، فاسبانيا ، فهولندا الصغيرة التى استعمرت أندونيسيا أكثر من ثلاثمائة سنة ، وزحفت على الشرق انجلترا ، ومن بعدها فرنسا .

ولكن الاستعمار الغربى ظل قروناً طوالا طفلا فى المهد ، يعبث ويعاند ويكيد لدولة الإسلام من غير جدوى ، لأن طريق الشرق قد بقى فى أيدى المسلمين .

وجاءت نقطة تحول أخرى فى تاريخ أوربا أخرجتها من الضلالة حينما اتقدت نيران الثورة ، فظهرت الدساتير فى أوروبا ، وقامت الدولة بمعناها الصحيح ، ولكن الثورة التى انطلقت فى سنة ١٧٨٩ تدين بالفضل فيما أعلنته من (حرية وإخاء ومساواة) للإسلام والمسلمين ، فقد سبقتها ثورة فكرية على ألسنة وأقلام فلاسفة من أمثال روسو وفولتير ، فمن أين جاء هؤلاء بأفكارهم ، ومتى عرفوا حقوق الإنسان ؟

مفخرة روسو وركن الثورة الركين هو (العقد الاجتماعى) وما هذا العقد إلا فكرة (البيعة) فى الإسلام ، سرقها روسو وصاغها وأخرجها بأسلوبه ، وأما فولتير فلم يأت بجديد ، ولا أدل على ذلك من كتابه « الأخلاق » الذى اعترف فيه بفضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [1] .

---

(١) المجلة - بل إن كتاب فولتير [معجم الفلسفة] دافع فيه عن صاحب [الرسالة العظمى] صلوات الله عليه حيث قال : « إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الانكشارية يجدون من السهل أن يحملوا نساءنا من حزبهم بإقناعهن أن محمدا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء ، وأنهن فى نظر الشريعة الاسلامية بمثابة الرقيق . وبديهى أن هذا الكلام باطل ، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه . نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المطلقة المعطاة له من الطبيعة ، ولكن القرآن يختلف عن التوراة فى أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابا إلهيا لها كما ورد فى سفر التكوين [٣ : ١٦] . ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء ، والحقيقة هى أن القرآن يقول : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ويقول : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون»

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أعلنت خروجها على الدين فذلك الدين فيما تصورته هو دين الكنيسة الذى استباح نظام الطبقات، وهو إهدار لآدمية بنى الإنسان، ومن أجل ذلك لم يكن عجبا أن نأت ثورة فرنسا عن المثل العليا حينما انعقدت جمعيتها الوطنية لدراسة تقرير وصلها عن طريق غرفة التجارة بمرسيليا، وهو التقرير الذى وضعه عدد من التجار الفرنسيين كانوا يقيمون بالقاهرة، واستنهضوا حكومة الثورة لترسل جيشاً لغزو مصر كى تشق فى أرضها قناة تكون ملكا مشتركا للعالم المسيحى!

وقد استمع للمناقشة فى تلك الجلسة الصاخبة الجنرال بونابرت والقس تاليران، وخرج من الجلسة فوضع خطة جيش الشرق الذى جرد على مصر فى سنة ١٧٩٨.

* * *

قاومت مصر ذلك الطاغية بما لم تقاومه به أوربا بأسرها، حينما كان ينهار ملوك من فوق عروشهم، انفردت مصر بقوة مراس وبسالة منقطعة النظير، لسبب واحد، وهو نفس السبب الذى أدى لفشل الحملات الصليبية قبل ذلك التاريخ بستة قرون، ذلك السبب هو أن العقيدة الإسلامية كانت كالصخرة التى تتحطم عليها كل الغزوات، تلك العقيدة التى دفعت المصريين للقتال والنضال قتالا إسلامياً مقدساً وجهاداً فى سبيل الله.

نجحت مقاومة مصر بفضل الزعامة السياسية الدينية التى تمثلت فى شخص السيد عمر مكرم، وكان عمر مكرم ـ طيب الله ثراه ـ هو البقية الباقية لجماعة الوعاظ الذين قادوا الفكر فى مصر طوال القرن الثامن عشر.

ولما استطاعت مصر أن تجلى الفرنسيين فى سنة ١٨٠٢ وتفوت عليهم غرضهم الأهم، وهو شق القناة التى من أجلها استقدم بونابرت بعثة سميت بالبعثة العلمية، ولم تكن بعثة علمية إلا لكل ما هو لازم لعملية القناة ـ لما استطاعت مصر أن تطرد هؤلاء فطن الغرب لأمرين على جانب من الأهمية: الأمر الأول هو (العقيدة الإسلامية) التى قرر أن يزعزعها ويدمرها كى يفتح له باب الشرق على مصراعيه، والأمر الثانى دولة (الخلافة الإسلامية) التى سماها بالرجل المريض، ووطد عزمه على الإجهاز بالرجل المريض.

وكانت فرنسا فى فجر القرن التاسع عشر أكبر دولة فى أوربا ، وهى التى تزعمت ذلك التفكير الصليبى ، ولكى تصل إلى مأربها دست على مصر محمد على ، ونجحت مساعيها الدبلوماسية فى حمل السلطان العثمانى على قبول تولية محمد على أريكة مصر ، وفرضت فرنسا على هذه البلاد وصاية مقنعة : ظاهرها نهضة حربية وعمرانية ، وباطنها فكرة خبيثة هى تجريد مصر نفسها على دولة الخلافة الإسلامية ، حتى إذا وصل الجيش المصرى إلى أبواب القسطنطينية حطموا الأسطول ، وقالوا لمصر : قفى مكانك . وفى الوقت نفسه قضى محمد على (لحساب الفرنسيين) على الزعامة السياسية الدينية ، فسجن السيد عمر مكرم ، وقرب إليه المنافقين ، وانتهت قيادة رجال الدين للسياسة المصرية والتفكير المصرى منذ أيام محمد على ، فانفسح المجال لغزو صليبى وفد على هذه البلاد (بالتدريج) .

* * *

وفى القرن التاسع عشر اهتدى الأوروبيون إلى البخار ، فظهرت الرأسمالية الصناعية ووقفت على قدميها ، وسارت معها الرأسمالية المصرفية رأسمالية المرابين ، ورأى هؤلاء أنهم أشد ما يكونون حاجة لطيبات الشرق وثرواته لتغذية المصانع ، كما أنهم بحاجة إلى أسواق الشرق الإسلامى ، ليبيعوا فيها ما يفيض عن الاستهلاك المحلى ، فشددوا النكير على الدولة العثمانية وألبوا عليها روسيا بين حين وآخر ، وفى منتصف القرن الماضى قرروا غزو العالم الإسلامى بحملات المرابين الذين يستهوون الملوك والسلاطين والأمراء والحكام وذوى الجاه لما سموه (مدنية غربية) فيحتاجون للمال ، ويعقدون القروض بفوائد ربوية جنونية ، ثم يأتى النفوذ الغربى بدعوى حماية مصالح المرابين ، ولا يلبث هذا النفوذ أن يشفع بفرق مسلحة تحتل بلاد المسلمين طولا وعرضاً .

بهذه الكيفية ضاعت مصر وضاعت غيرها من البلاد بسبب ما سموه (مدنية غربية) وحضارة الرجل الابيض .

* * *

وقبل أن نتورط فيما يردده البعض من ضرورة الأخذ بتلك الحضارة الغربية نريد أن نقف على رأى العرب نفسه فى حضارته ، وهل هو مغتبط بحاله وراض ، أم أنه قد ذهب ضحية هذه المدنية المادية ، وأنه إلى زوال إن شاء الله .

قلت : إنى سأعالج الموضوع كمحام يتكلم من واقع الملفات ، وعلى أساس ما لديه من المستندات ، فاسمعوا ما يقول الغرب نفسه :

وضع السياسى الألمانى الكبير « فون بابن » الذى كان مستشارا للرايخ الألمانى قبل « هتلر » مذكرات عن حياته السياسية ، وفى نهاية هذه المذكرات لخص آراءه فى بضعة أسطر لا تتجاوز نصف صحيفة من مؤلفه ، وقال فيها ما ملخصه : « نحن الآن على حافة الهاوية ، ذلك لأننا تقدمنا فى العلم حتى صرنا (عبيد العلم) وتفننا فى الاختراع فأضحينا (عبيد الاختراع) وتماديـنا فى استخدام الآلة إلى أن (حكمتنا الآلة) ولم يبق إلا بارقة أمل ضعيفة لا أظن أننا سنهتدى إليها ، هذا الأمل الوحيد فى النجاة هو أن (نؤمن) بأن هذا الكون له خالق ، وأن هذا الخالق قد وضع له قوانين ، وما على الإنسان إلا أن يسير طبقا لهذه القوانين ، فإن فعلنا ذلك تحررنا من (العبودية) واستطعنا نحن أن (نحكم) العلم والاختراع والآلة جميعاً ، وبذلك تنجو الإنسانية كلها من الهوة التى تقف على حافتها » .

* * *

ووضع أستاذ كبير من علماءالسوربون مؤلفا حديثا سماه «المدنية الإسلامية» وخلاصة هذا المؤلف القيم قوله : إن العالم فى هذه الآونة من تاريخه تتجاذبه قوتان ماديتان جبارتان : قوة روسيا السفيتية ومعها بلاد ما وراء الستار الحديدى ، وقوة أمريكا ومعها جماعة حلف الأطلنطى ودول الرأسمالية الغربية ، وهاتان القوتان الماديتان فى طريقهما إلى الفنا وستبقى فوق (أرض الله) قوة واحدة (لا يعرفها أصحابها) ، وهذا من حسن حظنا حتى الآن ، ولكن قد يأتى يوم يعرف أصحاب هذه القوة قوتهم ، فيدين لهم العالم بأسره .

هذه القوة التى حاربناها بضعة قرون ولم نستطع أن نستأصلها هى (الإسلام) فالإسلام يصنع (الرجل المثالى) الذى لا يقهر ولا يغلب ، وسر قوة هذا الرجل هو أنه (يؤمن) بأن الله واحد لاشريك له ، وأن الأمر كله بيده ، ومن شأن هذا (الإيمان) أن هذا الرجل إذا نودى للقتال لا يهاب الموت ، لأنه يعتقد فى قرارة نفسه أنه يقاتل فى سبيل الله وبأمر من الله ، وفى حياته اليومية يقف فى الصفوف مصليا ، وما صلاة الجماعة عند المسلمين

إلا (التعبئة العسكرية) الدائمة المتجددة ، التعبئة التى تقوم على (النظام) وعلى (قوة روحية) عديمة المثال ، وتلك المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها تنادى فى الجوزاء مئات الملايين بكلمة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، تلك هى القوة التى لا يمكن أن تقهر ، وهى التى تستطيع بعد هزيمة الرأسمالية والشيوعية معا أن (ترث الأرض ومن عليها) .

* * *

هذا ما يقوله الغرب عن الإسلام والمسلمين ، وهنا فى هذه البلاد ، وفى هذه الليلة ، وفى هذا المكان بالذات ، نسمع أناسا يقولون عكس ذلك ، ويعشقون الغرب ومدنيته ، ويريدون أن (يربطوا) مصيرنا بمصيره ، وإنى أؤكد لكم أن هذا الغرب قد انهار ، بعد أن طرد من آسيا وضرب فيها على أم رأسه ، ولم تبق إلا إفريقيا التى سيطرد منها يوما من الأيام ، ويومئذ لا تبقى طيبات يسرقها ، فتبيد حضارته الزائفة ، ويرجع إلى الغابة كما بدأ إن شاء الله .

ولكن ما حيلتنا ، ونحن معرضون لغزو يقوم به الآن الإنسان الآلى الزاحف من نصف الكرة الغربى ، ذلك الإنسان المجرد من الضمير والمقومات المعنوية ، ذلك الأمريكى الذى يبكى بدموع التماسيح ، ويخرج لنا كل يوم بدعة ، فيوما يقذفنا بما يسميه نقطة رابعة ، وأخرى بما يسميه معونة للشعوب المتخلفة ، وتحت ستار تلك الدموع ينبش أرضنا وأرض غيرنا ليسرق البترول وطيبات الأرض .

لا نريد أن نتكتل مع أولئك اللصوص فليس أقسى على أمة مجنى عليها من أن يطلب منها أن تتكتل مع الجانى ، ولكن يجب أن يتكتل المجنى عليهم ضد ذلك الجانى الآثم الذى كتل نفسه أحلافا ومنظمات مختلفة الأشكال والألوان .

* * *

وبقيت ملحوظة أنبه لها قبل أن أترك هذا المكان : لقد تعلمت أمريكا من صناعة السينما الشيء الكثير ، وفطنت للدعاية وأهميتها . والدعاية الغربية تسير مع الجاسوسية لحساب الغرب جنباً إلى جنب ، هذه الدعاية التى تباشرها مؤسسة فرانكلين بمطبوعاتها ،

والجامعة الأمريكية بقاعة محاضراتها ، والمدارس التبشيرية الأجنبية ، والصحف والمجلات التى تعمل بوحى من الأمريكيين ومن معهم من دول العصابة الاستعمارية ، هذه الدعاية لا تستهدف إلا غاية واحدة هى أن تجردنا من (قوميتنا) و (عقيدتنا الإسلامية) (ومقوماتنا الذاتية) وتقول لنا فى الصباح والمساء : كونوا غربيين ، أو كونوا أمريكيين ، وفكروا كما نفكر ، وعيشوا كما نعيش ، وتحالفوا معنا لتموتوا من أجلنا ، هذه الدعاية هى الخطر الداهم على هذه الرقعة من العالم التى نعيش فيها ، فيجب أن نقاوم ، وأن نأخذ منها حذرنا ، وعبثا يحاولون أن يسلطوها علينا فى ندوات نبحث فيها مثلا حياتنا بين الشرق والغرب .

* * *

وثمة مسألة أخرى أود أن أشير إليها إشارة عابرة ، وهى مسألة (نظام الحكم) .

لقد تفنن الرجل الأبيض فى مواهبه ونظراته ، فتكلم عن (ديمقراطية) و (ديكتاتورية) و (شيوعية) و (اشتراكية) وغير ذلك ، وكلها نظريات منهارة ، وصور للحكم تتداعى يوما بعد يوم ، وما نحن بحاجة لشىء من هذا قط ، فعندنا (إسلام) خالد على الزمن ، وحجر الزاوية فى (نظام الحكم الإسلامى) هو أن الحاكم والمحكوم على السواء ، يخشون الله فى السر والعلن ، وحسبنا أن يؤمن الحاكم بأن الله سبحانه رقيب على تصرفاته ، وبعدئذ لا نكون بحاجة لأن نرهق أنفسنا بنصوص دستورية ، وصيغ تقتبس من هنا أو من هناك ، فليكن الإسلام فى هذه الديار صمام الأمن ، وطريق السلام .

وأما الغرب ونظرياته ، وما يسمى (حضارة) فأضغاث أحلام ، وبضاعة لا تصلح لكل وقت ، والإسلام لا يمنعنا من أن نسعى فى الأرض ، ونأخذ بأسباب العلم الصحيح إلى أبعد الحدود .

وفقنا الله إلى ما فيه الخير والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

صاحب التنقيح

صدر الشريعة الأصغر

لعل من الخير أن نقدم لقراء مجلة الازهر شخصية فذة من الشخصيات العلمية التي اعترف بها علماء الازهر ، وقدروها حق تقديرها ، وآثروا تخليد ذكراها ، إذ قررت مشيخة الأزهر تدريس مؤلَّف في الأصول لهذه الشخصية .

وما ذاك المؤلف إلا تنقيح الاصول ، الذي عنى صاحبه بجمع ما تفرق من علم الأصول ، في كتاب فخر الإسلام البزدوي ، وكتاب الاصول لجمال العرب ابن الحاجب .

وضم إليهما ما في كتاب المحصول لابن الخطيب الرازي ، وصح له بذلك العمل الجليل ، أن يسمى كتابه « تنقيح الاصول » ونرى من الصواب في هذا المقام ، أن نشيد هنا بتأثير البيئة ، وما لها من فضل في خلق الشخصيات الممتازة ، وإيقاظ الهمم في تحصيل العلوم ، والمعارف ، والتبريز في ميدان السباق العلمي .

فنحن إذ نترجم لصدر الشريعة الاصغر عبيد الله بن مسعود صاحب التنقيح ، الذي أخذ العلم عن جده ، تاج الشريعة « محمود » نرى أن تاج الشريعة أخذ العلم عن أبيه ، صدر الشريعة الأكبر أحمد بن جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم .

وهذا النسب العلمي المتسلسل من الأجداد إلى الاحفاد ، لم يختص به علماء المذهب الحنفي ، بل قد وجد في علماء المذهب الشافعي ، في عائلة السبكي .

فأنت ترى تقي الدين السبكي يشرح البيضاوي في كتابه « الإبهاج » ثم يسير في شرحه قليلا دون أن يتمه ، ثم يأتي من بعد ذلك ابنه تاج الدين السبكي فيتمم شرحه . ومثل هذا موجود في مذهب الحنابلة في عائلة ابن تيمية .

فالمشهور من هـذه العائلة تقى الدين أبو العباس بن شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن أبي محمد عبد الله . وكل من الحفيد وأبيه وجده إمام الأئمة فى زمانه ، ومفتى الأمة ، وفريد عصره ، وحبر أمته ، مشهود له بالعلم والفضل ، وله الرأى الصائب ، والحجة البالغة .

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المغرب ، وجدنا فى قرطبة عائلة ابن رشد .

وإذا سمع ابن رشد انتقل الذهن فوراً إلى الطب والحـكمة ، والتبحر فى علوم المنقول والمعقول . وصاحب الشهرة فى هذه العائلة هو القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، المشهور بالحفيد ، الملقب بقاضى الجماعة .

ومؤلفات ابن رشد لا ينـكر فضلها علماء أوربا الذين انتفعوا بها ، وكرسوا مجهوداتهم وعكفوا على ترجمتها فى القرون الوسطى ، وجعلوها سراجا ينير لهم ما أظلم عليهم من جوانب الحياة العلمية والنواحى الفلسفية والقانونية .

* * *

ونعود بعد ذلك لنبين بشىء من التفصيل تاريخ صاحب التنقيح ونشأته .

فقد عرف منذ نشأته العلمية بصدر الشريعة الأصغر ، وكان حريصاً على تحصيل العلم عن جده ، يقيد كل ما يسمعه عنه من المسائل فى جميع العلوم .

وهو الشارح كتاب « الوقاية » الذى ألفه جـده وأستاذه . ثم قام باختصار كتاب الوقاية فى كتاب « النقاية » .

وهذا المختصر خطى بالمـكتبة الأزهرية ، كما أن كتاب الوقاية لا يزال مخطوطاً بهذه المـكتبة أيضاً .

ولعل الأيام ترينا هذين الـكتابين مطبوعين حتى يسهل تداولهما والانتفاع بهما .

وقد أقبل العلماء على شرح كتاب التنقيح وكتابة الحواشى عليه ، نذكر منها :

شرح التلويح لسعـد الدين التفتـازانى على شرح التوضيح لمؤلف التنقيح . ويصف التفتازانى التوضيح والتنقيح فيقول :

« إن كتاب التنقيح مع شرحه المسمى بالتوضيح للإمام المحقق ، والنحرير المدقق ، علم

الهداية، وعالم الدراية، معدل ميزان المعقول والمنقول، ومنقح أغصان الفروع والأصول، صدر الشريعة والإسلام - كتاب شامل لخلاصة كل مبسوط واف، وبحر محيط بستصفى كل مديد وبسيط، وكنز مغن عما سواه من كل وجيز ووسيط. فيه كفاية لتقويم ميزان الأصول، وتهذيب أغصانها. وهو نهاية فى تحصيل مبانى الفروع وتعديل أركانها.

نعم قد سلك منهاجا بديعاً فى كشف أسرار التحقيق، واستولى على الأمد الأقصى من رفع منار التدقيق، وقد أطنب فى الثناء، وأبدع فى وصف كتاب التنقيح وشرحه إلى أن قال:

«ثم جمعت هذا الشرح المرسوم بالتلويح إلى كشف حقائق التنقيح، مشتملا على تقرير قواعد الفن وتحرير معاقده، وتفسير مقاصد الكتاب وتكثير فوائده».

ويصف صاحب كشف الظنون التلويح مع التوضيح والتنقيح فيقول: «هذا الشرح المسمى بالتلويح فى كشف حقائق التنقيح تصنيف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٢هـ، هو شرح بالقول شرح فيه تنقيح الأصول للقاضى صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى المتوفى سنة ٧٤٧هـ، وهو متن مشهور ذكر فيه أنه لما كان فحول العلماء منكبين على مباحث كتاب فخر الإسلام البزدوى ووجد بعضهم طاعنين على ظواهر ألفاظه أراد تنقيحه وحاول تبيين مراده وتقسيمه على قواعد المعقول، مورداً فيه زبدة مباحث كتاب المحصول ومباحث ابن الحاجب، مع تحقيقات بديعة، وتدقيقات غامضة منيعة، قلما توجد فى الكتب، سالكا فيه مسلك الضبط والإيجاز، فصنف هذا الشرح ممزوجاً، وسماه التوضيح فى حل غوامض التنقيح.

وناهيك فخراً ومجداً علياً لصاحب التنقيح هـذا الثناء المتكرر من علماء مشهود لهم بالقدرة على التمييز بين غث القول وثمينه، والتفرقة بين لباب القول وقشوره، وبين جوهره ومظهره.

وكما شرح التوضيح التفتازانى كتب عليه الفنرى حاشية. كما كتب عليه ملا خسرو حاشية أخرى.

وللبرجانى حاشية على التوضيح سماها «حزامة الحواشى لإزاحة الغواشى».

وللعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتى حاشية أخرى ، إلى غير ذلك من الشروح والحواشى المخطوطة والمطبوعة التى تدل على مقدار العناية التى لقيها متن التنقيح . ويكفى فى العصامية العلمية لصاحب الترجمة أنه كان من علماء القرن الثامن الهجرى الذى ركدت فيه الحياة العلمية عن ذى قبل ، فأصبح نجمه متألقا فى سماء قد اربدت بالغيوم بعض الشيء . فهو وغيره من علماء هذا القرن قد تضاعف مجهودهم ، وقويت عزائمهم حتى تغلبوا على عوامل الضعف ، واضطراب السياسة فى أزمانهم ، وعدم عناية أولى الأمر بعلماء الشريعة ، بل عدم عنايتهم بالعلماء جميعا لانشغالهم بأنفسهم عن كل هذه الامور .

فليس عجيباً ولا غريبا أن نرى الازهر الشريف يؤدى ضريبة الوفاء نحو العالم الجليل ، ويعمل على تخليد ذكراه بدراسة بعض مؤلفاته .

وليس أجدر بالتخليد من رجل خدم علم الاصول على النحو الذى شرحناه ؟

عبد الله المراغى

الافرنجى أمس واليوم

إن الافرنجى هو الافرنجى . . . ما تغير شيء من طبعه ، فهو اليوم كما كان عند ما زحف إلينا من ثمانمائة سنة بما فيه من الظمأ إلى الدماء ، والقرم إلى اللحم . وإن هذه المدنية التى يتذرع بدعواها إن هى إلا غطاء سطحى لما هو كامن فى طبعه ، متهيء للظهور لادنى حادث . فالمدنية العصرية لم تزد الافرنجى إلا تفننا فى آلات القتل ، وفصاحة فى التمويه وتسمية الاشياء بغير أسمائها . وبالجملة فالذى ازددناه منه هو الرياء لا غير .

شكيب أرسلان

منع القراءة

بجمع الحروف والوقف فى المحافل

شاع بين القراء فى هذه الأيام التنافس والتباهى بجمع القراءات فى المحافل العامة، تارة بتكرير الكلمة الواحدة بطرق مختلفة، وتارة بتكرير الآية كذلك، وقد يبلغ التباهى ببعضهم إلى الإتيان بذلك فى نفس واحد - وقد تساءل الكثيرون عن حكم القراءة بالجمع، وهو موضوع قديم استفتى فيه العلماء فأفتوا فيه بالمنع، ذلك أنه فى اليوم السادس من رجب سنة ١٣٤٠ هـ أرسل جمع من علماء سوهاج ومعهم القاضى الشرعى الشيخ محمد خالد داود إلى شيخ المقارئ المصرية الشيخ محمد خلف الحسينى يستفتونه فى قارئ يقرأ بجمع القراءات فى المحافل العامة، فأجاب رحمه الله بما نصه:

« إنا لم نر لأحد من علماء الفن ولا غيرهم نصاً على جواز القراءة بالجمع على أى طريقة من طرقه فى المحافل، نعم أجازها بعض المتأخرين من أهل الفن فى حال التلقى من الأشياخ لضرورة الإسراع بشروط مدونة فى الكتب. إذا علم هذا فجمع قراءة أو رواية مع أخرى فى غير حال التلقى ممنوع، بل لا تجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة إلا إذا وجد فى المجلس عالم بها غير القارئ، فإذا قرأ القارئ على هذا الشرط لا ينتقل من الرواية التى يقرأ بها إلى غيرها حتى ينتهى مجلسه على مذهب الإمام النووى. وأجاز ابن الصلاح انتقاله إلى غيرها إذا انتهت القصة ».

وما كادت تصل فتوى شيخ المقارئ المصرية إلى المستفتين، ويشتهر أمرها، حتى ثار بعض جهلة القراء. ولما خشى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حينئذ على الناس من فتنتهم دعا إلى الحضور بدار إدارة المعاهد الدينية فى الرابع من ذى القعدة سنة ١٣٤٠ بعض كبار العلماء والقراء فى ذلك الوقت، وهم شيخ المقارئ المصرية الشيخ خلف الحسينى، والشيخ أحمد مكى، والشيخ على منى، والشيخ محمد دياب، والشيخ همام قطب؛ والشيخ على سبيع، والشيخ حسن الجريسى، والشيخ سابق السبكى، ولخصوا نصوص علماء فن القراءات كنص

الإمام ابن الجزرى فى النشر والمنجد ، والعلامة السيوطى فى الإتقان ، والصفاقسى فى غيث النفع ، والأشمونى فى منار الهدى ، فازداد لهم جلاء أن جمع القراءات السبع أو الأكثر أو الأقل فى ختمة واحدة لم يقع فى الصدر الأول أصلا ، بل كانوا يقرءون لكل راو ختمة ، دون أن يجمعوا رواية إلى أخرى ، واستمر العمل على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة عصر الدانى وغيره ، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى ختمة واحدة لضرورة سرعة التحصيل ، ومنعه بعض الأئمة لمخالفته لعمل الصدر الأول . وحيث لم ينص أحد على جواز الجمع فى غير حالة التلقى فيكون بدعة ، لا يساعدها نص ولا قياس ولا عمل الماضين من السلف الصالح ، وقد تؤدى إلى التخليط والتلبيس .

لهذا قرر ذلك الجمع من أساطين علماء الأزهر وأهل الفن - باتفاق الآراء - منع جمع قراءة أو رواية مع أخرى بأى طريقة من طرقه فى أى مجلس كان ، كما قرروا كذلك منع القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ما لم يوجد بالمجلس عالم بها ، وأنه إذا قرأ قارئ بإحدى الروايات لا ينتقل منها إلى غيرها إلا إذا انتهت القصة وشرع فى غيرها ، فله أن يقرأ ما شرع فيه برواية أخرى ، وإن كان الأولى أن يسير على الرواية التى بدأ بها حتى ينتهى المجلس ؟

محمد محمد جابر
المفتش بالأزهر

الاختلاط

زعم السفورَ والاختلاط وسيلة للمجد قـــومٌ فى المجانة أغرقوا
كذبوا ، متى كان التعرض للخنا شيئا تعز به الشعوب وتسبق

محمد حسن النجمى

عزة النفس . . .

إذا قيل : هذا مورد ، قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

هذه كرامة نفس ، واستعلاء خلق ، وقوة يقين ، وطهارة منزع . وإذا كان هذا الشاعر يتخير المنعمين ، وتستفزه بعض البروق ، فإن الشاعر الآخر يأبى أن يكون لأحد عليه فضل ، حتى لا يستخزى أمامه حين يغضب لكرامته .

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة علىّ يدا ، أغضى لها حين أغضب

بل هذا الشاعر نفسه ، العالم العظيم ، القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، يتأبى على ناصحيه بأن يتخذ الخضوع وسيلة للغنى ، فإنه يرى الخضوع ذاته فقرا .

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال شيئان حرما علىّ الغنى : نفسى الأبية والدهر
إذا قيل : هذا اليسر ، أبصرت دونه مواقف ، خير من وقوفى بها العسر

* * *

والحياة كلها تهون عند الحر ، حين تريد منه أن يمتهن كرامته ، أو يهوّن فى نفسه رغبة فى العيش . فالحر يظمأ وينال منه الظمأ ، وتوفى نفسه على الهلاك ، ويتراءى له الماء ، ويبرز أمامه المنهل العذب ، ولكنه يحتمل الظمأ صابرا ، ويصبر على حر العطش راضيا ، احتفاظا بكرامته ، وتعاليا بنفسه ، لأن الطريق غير نظيف ، وقد يحتاج سالكه إلى أن يطأطىء من رأسه ، ويحنى قامته . ومن أمثال العرب : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، يريدون أن الحرة لا تكون ظئرا ، ولو نال منها الجوع ، وبلغ من نفسها الحرمان .

وما قيمة المال ، وما قيمة الجاه ، وما قيمة الشهرة ، وبعد الصيت ؟ ما قيمة كل ذلك ، إذا كان الراغب فى الحياة ، قد وصل إليها ، أو إلى شىء منها ، بعد أن عفر جبهته على أعتاب الكرام أو اللئام ، ولخير للمرء أن يعيش نكرة مجهولا لا يعرفه أحد ، ولا يسمع به إنسان ، ولخير له أن يعيش فقيراً محروما ، ولخير له أن يلقى أصنافا من المتاعب والمشاق فى حياته ، خير له كل أولئك ، من أن يذله حب العيش ، ويخضعه سلطان الحياة .

وقد بلغت عزة النفس بكثير من رجالاتنا مبلغا أصبحوا بها مُثلا تحتذى ، فهذا العز بن عبد السلام سلطان العلماء ، له فى هذا الباب مواقف مشهورة ، وقصص عالية مأثورة ، ولعل من أبلغها وأشهرها موقفه من الصالح اسماعيل ، قالوا : إن الصالح اسماعيل حين غضب على الشيخ ، وطرده من الشام ، وصار الشيخ إلى منتصف الطريق ، بعث إليه من يرجعه ، فأخذ الرسول يستلينه ويترضاه ويقول له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ، وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لاغير ، وهنا تعلن نفس الشيخ عن كريم معدنها ، وتجرى على لسانه تلك الكلمات الحرة الحاسمة : والله يامسكين ، ما أرضاه يقبل يدى ، فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم ، أنتم فى واد ، ونحن فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به .

ولعل من عزة النفس أن يتحمل الإنسان ماينزل به صابرا جلدا ، وأن يلاقى الخطوب مبتسما ، وأن يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب ، فلا يكثر من الشكوى ، فإن الشكوى ذل ، وليس إشفاق المترحم بأقل إيلاما للحر من شماتة الشامت :

لا تشكون لعاذل أو عاذر ... حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة ... فى النفس مثل شماتة الأعداء

وإذا كان فى الشكوى إلى ذى مروءة ما يواسى أو يسلى ، فإن الراحة التى يجدها الشاكى دون ذل الشكوى :

وراحة النفس فى الشكوى ولذتها ... ـ لو أمكنت ـ لاتساوى ذلة الشاكى

* * *

ويقترن بعزة النفس علو الهمة ، ولعلو الهمة مظاهر كثيرة : منها أن يعتمد الإنسان على نفسه ، وأن يسود بفعاله وكريم خصاله ، وألا يكون كل فخره فيما ورثه عن آبائه ، فإن أصغر ما فى النفس أن يعيش المرء على جاه الآباء والأجداد ، قال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله ـ وكان عبيد الله من أعلى الناس همة ، حتى لقد بلغت به همته الشطط ـ : يا بنى ، ألا أوصى بك الأمير زيادا ؟ قال عبيد الله : يا أبت ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت .

ومن مظاهر علو الهمة أن تحسن إلى عدوك ، رغبة فى الإحسان ، لاخوفا منه ، قال صاحب العقد الفريد : « ومن أعز الناس نفساً ، وأشرفهم هما : الأنصار ، وهم الأوس

والخزرج ابنا قيلة ، لم يؤدوا أتاوة قط فى الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكتب إليهم تبع يدعوهم إلى طاعته ، ويتوعدهم إن لم يفعلوا ، فكتبوا إليه :

العبد تبعكم يروم قتالنا ومكانه بالمنزل المتـــذلل
إنا أناس لا تنام بأرضنا عض الرسول ببظر أم المرسل

فغزاهم تبع أبو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهارا ، ويخرجون إليه القرى ليلا ، فتذمم من قتالهم ، ورحل عنهم » .

وبدهى أن علو الهمة ، وعزة النفس ، والاحتفاظ بالكرامة ، كل هذه شىء ، ومعاملة الناس بالغلظة والجفاء ، والتعالى عليهم ، وشموخ الأنف ، وتصعير الخد ، شىء آخر ، فشتان بين رجل عالى النفس ، ورجل متكبر : ذاك كريم الطبع ، طيب العشرة ، حسن المخالطة ، يألف الناس ويألفونه ، ويوطىء لهم كنفه ، ويعاملهم بالرفق واللين ، ولكنه حين يبدو له ما عسى أن يخدش كرامته ، ويحط من قدره ، يغضب غضبة الأسد ، وفى مثله يقول المتنبى :

غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ، ولا يلاقى الهوانا

أما الرجل المتكبر ، فهو وضيع يريد أن يرفع نفسه ، وخسيس يحاول أن يظهر أنه شريف ، ولولا أنه يشعر فى باطنه بحقارته ما تعاظم على الناس ، فتراه يمشى وكأنه يقول للناس : اعرفونى ؛ من أنا ؟ نعم . قد عرفك الناس ، فمن أنت ؟ أنت صغير يوهم أنه كبير ، وسوقة يتشبه بالسادة .

إليكم هذه القصة ، فإنها تمثل تواضع العظماء ، وتلطف الكبراء : كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير مع بعض أصحابه فلقيته امرأة من قريش ، وكان واضعا يده على كتف صاحبه ، فقالت له : ياعمر ، فوقف لها ، قالت : كنا نعرفك مدة عميرا ، ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يابن الخطاب ، وانظر فى أمور الناس ، فإن من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال صاحبه : يا أمة الله ، أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : اسكت . أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه [1] ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ، ويقتدى به ! ؟

على العمارى

(١) هى صاحبة القصة المذكورة فى قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما » .

قتيبـــــــة بن مسلم

— ٢ —

اشتدت شوكة الجيش الإسلامى بالنصر المؤزر ، وأحس قتيبة أن قوة من السماء تسانده وتعاضده ، فخطب فى جنوده وحثهم على مواصلة الجهاد ، وأكد لهم أن العدو المنهزم لا يلبث أن يتكتل مرة ثالثة ، وأن الجيش الإسـلامى يقف وحده أمام ممالك كثيرة متكتلة ، ولن يفوز بغير الصبر والإيمـان . وكان ما توقع القائد العربى أن يكون ، فقد كان الملك نيزك صاحب باذغيس يضمر حقدا عنيفاً للفاتحين ، فأظهر الخضوع والاستسلام خدعة ودهاء ، ووصل إلى المعسكر الإسلامى ليستطلع أموره ويقف على دقائقه وخوافيه ، ثم مالبث أن ارتد محنقا إلى ملوك بلخ ومرو والطالقان والجوزجان ، فأشعل فى كل مملكة ثورة ، وأضرم فى كل صدر ناراً . ووجد قتيبة عدوه يتجمع ويحتشد ، فاستقدم جنوداً إسلامية من نيسابور وغيرها ، ولم يدع الأيام توسع لأعدائه سبيل الأهبة والاستعداد ، فتوجه مسرعا إلى نيزك صاحب الفتنة فوجده يعتصم بآكام ومضايق وعرة لاسبيل إلى النفاذ إليها . فلبث المسلمون أياما لا يهتدون إلى ثغرة تلوح ، حتى سهل الله كل صعب ، فسلكوا طريقا واضحاً إلى معسكر العدو ، ودار الموت الأحمر فى حومة القتال ، فسقطت نفوس كثيرة ، وتمـكن قتيبة من النصر بعد معارك طاحنة يشيب لها الولدان .

تابع البطل الفاتح زحفه إلى شومان والصغد وسجستان وخوارزم ، فكان موفق الخطوات ميمون العاقبة . ولكن الوثنية الحائرة تكتلت للمرة الرابعة أمامه ، وهبت تقاتل فى يأس مرير ، يتقدمها أبنـاء الملوك والمرازبة والأساورة ويقودها ابن خاقان ، فرأى قتيبة أن يتفرغ لرسم الخطة وإدارة الموقعة ، وندب أخاه صالح بن مسلم لقيادة الحومة ومواجهة الصفوف ، ثم أمر لفوره أن تنصب المجانيق على أسوار سمرقند ، وما زال يضربها حتى تصدعت أركانها وتساقطت أحجارها ، واشتد الضيق بالوثنيين ، فطلبوا الصلح ، وانتصر الإسلام انتصاراً حاسماً ، ودخل قتيبة المدينة ، وبنى مسجداً وصلى به ، وانتخب لهـا والياً قوياً من جنوده ، فاستضاءت بنور محمد ، وترددت فى جوانبها أنغام الأذان .

كسب قتيبة هـذا المجد الباهر فى ثمـانية أعوام لم تمر بهـا ليلة واحدة فى راحة جسم

أو هدوء بال ، بل كان الجيش الإسلامى يواجه أهوالا رائعة ، ويقع فى مآزق حرجة : فتارة تنفد ذخائره ، وطورا يفقد زهرات من شبابه ، وقائده من وراء ذلك يبث فيه من روحه وينفخ من عزيمته ، ويضرب المثل بنفسه فيتقدم الكتيبة الحمراء ، ويفتح صدره للرماح المشتجرة ، وكان حافزه الملح إلى الجهاد ، هيامه بانتشار الإسلام ، وذيوع تعاليمه ، فكلما نظر إلى الوثنية تتغلغل فى بقاع لاتعرف الضياء ، عزم على استئصالها بكل ما أوتى من شجاعة وإيمان ، وكان يثلج صدره أن يدخل المدينة الجديدة فيشرح للناس هداية الإسلام ويقرئهم آيات القرآن وأحاديث الرسول ، ويدع بها من العلماء من يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . لذلك نرى المساجد تبنى فى كل مكان ، ونرقب أئمة المسلمين وعلماءهم يسيرون مع الجيوش الباسلة ، فيأمرون بالعدل والإحسان ، وينهون عن الفحشاء والمنكر ، ويقيمون الدعائم الرفيعة للأخلاق الإسلامية ، فيحيون المساواة العادلة فى أمم تنازعها الإقطاع ، وتعددت بها الطغاة ، وتأله فيها الحجر ، وعبد الصنم والكوكب والنار من دون الله ، وقد حارب قتيبة الخرافات الدينية بنفسه ، فأحرق أصناماً مقدسة ، وأطفأ بيوتاً للنيران كانت تتقد وتلتهب .

يقول ابن الأثير : (وأتى بالأصنام فكانت كالقصر العظيم) ، فأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت ، فقال غوذك (ولعله أحد مؤيديه) : إن شكرك علىّ واجب ، فلا تتعرض لهذه الأصنام ، فإن بها أصناما من أحرقها هلك . فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدى . ودعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت .

ونحن مع إعجابنا البالغ بقتيبة لا ننكر أثر الحجاج فى التوجيه والمشورة ، فقد كانت عينه متيقظة لمطالب جنده النازح ، وكان البريد يصله بأخبار الفتوح ، وهو لايفتأ يعد الذخائر ويبعث المؤن ويشير بالخطط ، وإذا كانت الخطة غير التنفيذ ، فإن مما يشرف قتيبة أن يصل إلى النصر الحاسم فى طريقه المرسوم ، ظافرا مؤيدا ، وأن يخضع الجيش الإسلامى لرغباته ، دون أن يرتفع صوت واحد بمعارضته ، وأن يزن أعوانه وجنوده فيضع كلا فى موضعه اللائق ، دون اعتبار لغير الكفاءة الشخصية ، والمقدرة الحربية ، حتى تكلل جهاده بالتوفيق ، وقدرت له دمشق بطولته فبعث إليه الوليد بن عبد الملك بكتاب يفيض بالمدح والثناء .

وواضح أن الإسلام لم ينتشر لجأة فى بلاد ما وراء النهر بمجرد انتصار قتيبة ، فإن دين البشر متغلغل فى الأعماق ، ولا يمكن انتزاعه بانتصار فى موقعة ، أو بناء مسجد فى مكان ، لذلك لاقى المسلمون بادىء الأمر رهقاً عسيراً فى التبشير بدينهم ، كما لقى الذين أسلموا من الوثنيين مقاومة عنيفة من ذويهم ، حتى هدى الله النفوس للحق فأشرق عليها نور الإسلام طواعية واختياراً ، ورأى هؤلاء من سماحة المسلمين ما حببهم فى الإسلام وأدناهم منه . ولم تمض سنون حتى أصبحوا من أنبغ أهله علما وعملا ، وذخرت المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم العلمية والدينية ، فأصبحت ترى فى أساتذه الإسلام وأئمته من سمى بالبخارى ، والسمرقندى ، والبيهق ، والفسقى ، والخوارزمى ، والترمذى ، والنيسابورى ، والزمخشرى ، والبيضاوى ، والشيرازى ، إلى آلاف من الأفذاذ يتحدث عنهم تاريخنا العلمى حديثاً مضمخا بالثناء .

* * *

وقد مات الحجاج وهو الساعد الأيمن لقتيبة ، وتوفى بعده الوليد بن عبد الملك ، وكان لايقل عنه تعضيدا للبطل الفاتح ، فخسر بوفاتهما دعامته القوية التى كان يستند إليها فى قيادته ، وأصبح أمام سليمان بن عبد الملك وجها لوجه .

وكان الخليفة الجديد يؤاخذ قتيبة وآخرين من أقطاب المجاهدين والولاة بأنهم كانوا يتعصبون عليه لأخيه الوليد ، فكان فى نفسه شىء من الضغن عليهم ، وكان ينبغى له وقد ارتقى إلى منصب الخلافة أن يتناسى ذلك لهؤلاء القادة البواسل الذين رفعوا راية الإسلام وأعلوا مكانة الدولة إلى السماء . ولو أصاخ قليلا إلى منطق العقل النزيه لسعى إلى استرضائهم وجهد فى تقريبهم ، ليكونوا معه كما كانوا مع سابقه . وقد ضاعف النكبة على قتيبة أنه كان قد قد تأهب لغزو الصين ودخل مدينة كشغر وأصبح قريبا من الحدود ، وأتت الرسل تسعى بالسفارة بينه وبين الدولة المهددة بالغزو الإسلامى ، أفيتراجع لجأة عن الغزو منتظراً ما يأتيه من دمشق ؟ أم يستمر فى مراسلة ملك الصين واستطلاع داخله مع حرج مركزه ، ودقة موقفه المتأرجح ؟ ! مهما يكن من شىء فقد استمع قتيبة إلى نداء البطولة ، وعصفت برأسه النخوة العربية حين جاءه رسوله هبيرة الكلابى يحمل تهديد الإمبراطور الصينى ، فبعث يعلمه أنه لن ينصرف عن بلاد الصين حتى يطأ الارض ويختم الملوك ويعطى الجزية ، وكان لهذا الرد الحاسم زلزال عنيف فى صفوف الجيش الصينى ، فخارت قوى الإمبراطور وبعث

بالجزية صاغرا مع بعض أبنائه ، فكف عنه قتيبة ، ولولا دقة موقفه السياسى لاقتحم أرضه وضم إلى الإسلام أصقاعاً جديدة ، ولكن ماذا يصنع ؟ والريح عاصفة ، والجو ملبد بالغيوم ، مجلجل بالرعود .

ولم يلبث سليمان أن أصدر قراره بعزل قتيبة ، كما أمر بإحضاره إلى بلاط الخلافة فى دمشق ، ولو استجاب البطل الفاتح لهذا العزل الظالم للقى مصرعه ، كما لقيه فاتح الهند الأعظم محمد بن القاسم الثقفى بعد جهاد ميمون ونصر مبين . لقد فضل قتيبة أن يموت فى حومة القتال دون أن يلقى منيته فى غياهب السجن ، وثقيل الأغلال ، فأعلن مخالفته الصريحة ، وقاد كتائبه الجريئة ليقف أمام جنود الخليفة . ولكن سهماً طائشاً أودى بحياته فسقط شهيداً ، وطارت روحه الباسلة إلى ربها راضية بمآثرها البيضاء ، وجهادها الخالد . ومن المؤسف أن أكثر أعوانه من العرب تألبوا عليه فى محنته لا لشىء إلا أنه وثق فى كفاية بعض الخراسانيين فقدمهم فى الألوية والقيادة مع نظرائهم من العرب ، مؤثرا المساواة العادلة التى شرعها الإسلام ، وكأنه بذلك قد جانب حقا واضحا ، واعتصم بضلال أكيد .

وكان لمصرع قتيبة دوى هائل فى العرب والفرس معا ، أما المخلصون من العرب فقد رثوه بقصائدهم النائحة ، وأقض مضاجعهم أن تكون نهاية البطل الفاتح قريبة عاجلة بعد أن عقدت عليه الآمال ، ومكن للإسلام فى بلاد يعوزها الإشراق والإيمان ، وأما العقلاء من الفرس فقد صعّدوا الزفرات الحارة حزنا على استشهاده الأليم .

* * *

مر خراسانى على جثة قتيبة وهو مضرج بدمائه ، فبكى واستعبر وقال : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة وهو الفارس المغوار ، ولو كان منا معشر الفرس فمات لجعلناه فى تابوت ، فكنا نستفتح به كلما دقت طبول الجهاد .

وقال آخر : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب وهما سيدا العرب بخراسان ، فقال له بعض السامعين : أيهما كان عندكم أعظم وأهيب ؟ قال لو كان قتيبة بالمغرب الأقصى مكبلا بالحديد ، ويزيد معنا فى بلادنا ، لكان قتيبة أهيب فى عيوننا وأعظم .

مات قتيبة رحمه الله وبقيت صحيفة أعماله خالدة ناصعة ، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة ، وفى ذلك عزاء أى عزاء . وسلام على البطل العظيم ؟

محمد رجب البيومى
من علماء الأزهر الشريف

كنوز النقب وموقعه

النقب - ومعناه فى العبرانية الجنوب (نجب) - هو القسم الجنوبى من فلسطين ، يحده البحر الأبيض من الغرب ، ووادى العرابة من الشرق ، وصحراء سينا من الجنوب ، ومقاطعات يافا والرملة والخليل من الشمال .

فالنقب بهذه الحدود يشمل مساحة كبيرة تساوى نحو نصف مساحة فلسطين ، أى أحد عشر مليوناً من الدونمات من ستة وعشرين مليون دونم هى مساحة فلسطين جميعها ، ويتألف منه موقع استراتيجى خطير له شأنه بالنسبة للعالم العربى ، لأنه يقع بين مصر وبلاد الاردن ، ويتصل بميناء العقبة وفلسطين ، والذى يَملكه يهدد مواقع كثيرة . وهو حيوى خطير بالنسبة لمصر بالدرجة الاولى ، واستيلاؤها عليه يؤمن اتصالها بالبلاد العربية ، ويقطع صلة اليهود وخطرهم عن الحجاز وعن القسم الجنوبى من المملكة الاردنية وما يليها أى العراق والمملكة السعودية .

وأراضى النقب خصبة إلا فى شماله فهو صحراوى ، وهو مرتفع من الشرق ، ويسير بانحدار إلى الغرب حتى ساحل البحر الابيض ، وإلى الجنوب حيث يتصل بصحراء سينا .

* * *

وقد عنيت بريطانيا واليهود بكشف أراضيه ، فتبين أن فيها كنوزاً عظيمة من المعادن . وقد نشر أخيراً كتاب لشركة مناجم إسرائيل بقلم كبير خبرائهم أ . دافيد ، فأعلن أن فيه معادن الحديد والنحاس والمنغانيز .

وقدر اليهود موقع النقب وقيمته ، فقتلوا الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة لفلسطين ، حينما قرر أنه ضرورى للعرب ، ولم يبال اليهود بقرار هيئة الأمم بل خرقوا الهدنة وفاجأوا الجيش المصرى كما هو معلوم لمن كان يتابع سير القتال فى فلسطين ، وكانت لهم فيه جيوب من ورائه إلى الشمال ، هى المستعمرات التى تقرب من الثلاثين ، وبمجرد استيلائهم عليه أنشأوا أربعا وعشرين مستعمرة فى وقت واحد ، إلا أن سكان هذه المستعمرات أخذوا فى التذمر ، وأخذوا يهددون بالرحيل عنها ، فهبت إسرائيل تعلن عزمها على سحب

المياه إليه بتحويل نهر الأردن أو غيره ، ولما أعلن بن غوريون اعتزاله قرر النزول فى النقب تشجيعاً لهؤلاء السكان المتذمرين ، ومع ذلك فإن فيه آبارا ارتوازية كثيرة تنعش من فيه . ورجال السياسة والجيش منهم يعلقون على النقب آمالا كبيرة ، إذ يعتقدون بأنه يتسع لسكنى مليون مهاجر يهودى .

* * *

والنقب يتصل فى الجنوب الشرقى بخليج العقبة حيث « ايلات » التى مسخ بعض أهلها من قدماء اليهود قردة وخنازير ، وقد شرحت لقراء مجلة الأزهر فى العام الماضى أهمية هذا الموقع ومستقبله ، فى مقال عنوانه « ميناء العقبة » نشر فى جزء جمادى الآخرة ١٣٧٣ ، وفى الجهة الشرقية يقع وادى العرابة ، وهو ممر خطير يصل البحرين الميت والأحمر ، وقد عرضت النقطة الرابعة مد سكة حديد فى هذا الموقع فرفضت ذلك حكومة الأردن ولاسيما الجيش ، ما دام النقب بيد الأعداء .

هذا هو النقب واتصالاته وكنوزه ، وإن موقعه الخطير هو الذى يغرى به اليهود ومن يوالونهم ، وذلك مما يوجب على العرب - ولا سيما مصر - بذل كل جهد لمنع العدو من التمكن فيه وبلوغ آماله منه ؟

نابلس　　　　　　　　　　احسان النمر

الايمان

* الإيمان قوة الحياة .

* كما أنه لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير قلب ، كذلك لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير دين .

* دلتنى خبرة عشرين سنة على أن السبب الأساسى لتفشى المجون والفساد سوء طريقة تلقين التعاليم الدينية . (تولستوى)

الى أين ؟

المـادة ـ الروح ـ العلم ـ الدين

« وتلك الأمثال نضربهـا للناس
وما يعقلها إلا العالمون » .
قرآن كريم

« العلم والدين توأمان متلاصقان .
فصلهما يؤدى إلى موتهما » .
هكسلى

يخيل للناظر فى هذا العنوان للوهلة الأولى عظم الشقة بين هـذه الحقائق ، وبعد ما بين مدلولات هذه الألفاظ . ويسبق إلى ذهنه ذلك الصراع المخيف بين الفكر والوجـدان، وقوانين المـادة والروح ، ونظم البحث فى العلم والدين ، وتدوى فى آذانه من أعماق التاريخ تلك الصرخات المرعبة التى أطلقها العلماء بسبب ما خالط بعض الأديان من أهواء وأغراض . .

لـكنى مع هذا واثق بأنه ستكون بجانب هذه الصور الرهيبة صورة أخرى هادئة واعية ، تلك التى ستدفع هذه الأوهام والأهواء ، وتوفق بين العلم والدين ، كما وفق الخالق العظيم بين المـادة والروح ، وبذلك تتوارى تلك الصور القاتمة المؤلمة متخاذلة هاربة ، ويسود الوئام والوفاق بين العلم والدين .

لو شئنا أن نأتى بتعريف معيارى جامع مانع لهـذه المعانى الـكلية التى نتعرض للـكلام عنها فإننا لن نستطيع أن نظفر بتعريف من هذا النوع ، فقد أعى ذلك العلماء والفلاسفة حتى الآن ، لهذا فإن كلامنا سيكون عن كل بالقدر النسبى للمعرفة البشرية ، والبشرية محدودة ، وفوق كل ذى علم عليم ، فالعلم المطلق لهذه الـكليات قد اختص به خالق المـادة والروح ، وواهب العلم والعقل ، والموحى بالأديان إلى من اصطفاهم من البشر .

لاشك أننا نلمس أشياء بأيدينا ، ونسمع أصواتا بآذاننا ، ونرى أشياء بأعيننا الخ . كل تلك الأمور أمور مادية ندركها ، وهى قريبة معلومة مدركة بالحواس المجردة ، وبعدها أمور مادية أيضا تحتاج فى إدراكها إلى آلات ، وأخرى أشد احتياجا فى إدراكها إلى آلات أدق ، لإمعانها فى البعد ، أو فى ضآلة الحجم .

ولا شك أننا كذلك فيما يدركه العقل من معنويات ، فمنها أمور قريبة ندركها بمجرد تفكيرنا : كالصدق ، والشجاعة ، والكرم ، والجمال ، والمساواة ، هذه معنويات قريبة مفهومة يدركها العقل العادى مجردا دون استعانة بشيء . ويليها أمور أعمق منها تحتاج إلى صفاء الآلة المدركة سواء كانت العقل أو الروح . . ووراء هذه معنويات أشد عمقاً وخفاء لا يستطيع العقل إدراكها ، تلك هى المغيبات ، وقد جاء الوحى مبينا لكثير من هذه المعقولات .

وقد دفع البحث فى المادة والروح إلى أن يضع الإنسان لكل من الناحيتين طرقا للبحث ونظما يسير عليها . فطرق البحث فى المادة غيرها فى المعنويات والمعقولات . والغاية عند الباحثين فى المادة غيرها عند الباحثين فى المعنويات والمعقولات ، والدارسين للنفس والروح والدين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو الطريق الذى يسلكه النوع البشرى ليحقق لنفسه حياة تجتمع فيها أسباب الهناءة المادية والسعادة والاطمئنان الروحى .

هل ينبغى للعالم البشرى إذا أراد تحقيق معانى الإنسانية العالية فى المجتمع البشرى أن يعيش فى عالم المادة ، خاضعا لنظمها ، لا يصدر فى تصرفاته إلا عن المادة ، وما توحى إليه به من أسباب ومسببات ، مهملا شأن الروح ، منكرا لها ، مجانبا كل ما تهدف إليه الروح ، وما توحى به الأديان من المعانى السامية ، والقوانين والنظم الراقية .

أم أنه يجب أن يستظل براية العقل ، مستهديا بنور الروح ، مستوحيا هدى رب العالمين .

الجواب على ذلك هو ما سطر على صفحات التاريخ البشرى فى جميع الحقب والعصور من صراع بين علماء المادة والروح ، وأتباع كل ، وما نسمعه ونقرؤه فى مجتمعنا اليوم فى الصحف والمجلات ، وقاعات المحاضرات والمناظرات ، صراع سجلته البشرية فى بطون التاريخ ، وسيظل هذا الصراع قائما ما بقى الإنسان ، وما بقيت المادة والروح ، وما بقى للإنسان فكر ووجدان ، بل وما بقى الإنسان إنسانا .

ويجمل بى أن أطوف بالقارىء الكريم فى رحلة قصيرة موجزة ، لأضع أمام عينيه بعض ما سجلته البشرية من صراع بين المادة والروح ، أو بين العلم والدين ، حتى إذا ما قلنا للقارىء بعد ذلك : إن الإنسان يستطيع أن يحقق المعانى الإنسانية الرفيعة ،

والتعاليم الدينية القويمة مع حياة مادية رغيدة تحت ظل راية الدين ، لا نكون قد طلبنا منه شططا أو ركبنا خطأ ، فقد سجل التاريخ حقبة من الزمان عاشت فيها البشرية على أكمل ما تكون من روحانية سامية مع عيشه مادية هادئة .

* *

لا أذكر الصراع العنيف فى القديم بين المادة والروح عند الوثنيين من مصريين وكلدانيين وهنود ويونانيين ، ولكنى أترك هذا كله لأقف بك قليلا عند الموسوية كما تصفها التوراة التى بأيدينا ، فقد شددت الحصار على البحث الفكرى (العلم) إذ كل المعارف بالوحى الإلهى ، وكلها مسطور فى الكتب المقدسة وقالت : « إن الحكمه ليست من نصيب البشر ، وليست فى الأرض ، ولن يستطع الإنسان - مهما بذل - الوصول إليها » .

وفى المسيحية التى عقّدها ما أدخل عليها من آراء فلسفية ، يرى القائمون عليها - لحفظ سلطانهم - تضييق الخناق على البحث الفكرى (العلم) ، ليبقى منزويا ضعيفا لا يتطاول إلى هدم السلطان الروحى الذى يعقبه — ولا شك — انهيار سلطانهم المادى .

قطعت الإنسانية وقتا طويلا فى الصراع بين المادة والروح : طورا يطلق فيها للعقل سراح البحث الفكرى ، وآونة يحجر عليه فيحرم نسيم الحرية .

* * *

وقبيل مجىء الإسلام كانت الإنسانية قد تضاربت فى كل معارفها المادية والروحية ، وتشككت فى كل ما لديها من مقدسات ، وأشبهت سفينة فى مهب الريح ، تتقاذفها الأمواج فى بحر لجى تبغى مرفأ ترسو إليه .

كانت الإنسانية تتطلب دينا يشبع تفكيرها ، وينظم حياتها ، فقد عذبها ما حولها من علم ودين ، فوافاها ذلك الدواء الإلهى على لسان خير الرسل سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، فشفى داءها ، وأذهب شقاءها ، وبدل حياتها سعادة وهناء وسموا وارتقاء . ذلك التنزيل الذى مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنا ولم تخلق جدته ، ولم تبل محاسنه ، ولم يأت العلم بما يتنافى مع مبادئه ، ذلك الدستور الذى جمع بين المعانى الروحية ، والقوانين العلمية ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بما لم يستطع الفكر الإنسانى حتى اليوم — وقد كلت

جميع وسائل البحث — أن يأتي بمثله ، فضلا عن أن يأتي بخير منه . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ذلك أنه جاء وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فوافاها بكل ما تحتاجه في حياتها المادية والروحية ، العلمية والدينية .

وفي ظل هذه الحقيقة دعا هذا الدين الناس جميعاً إلى مبادئه وتعاليمه : « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » .

والناس صنفان : صنف يسهل إقناعه بالمناظرة والحجة ، فيعرف الحق ويقتنع به ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . يلحق به من قصر فهمه عن المناقشة وفهم الدليل فوافاه الإسلام بالمعجزة التي ظهرت على يد خاتم رسل الله ، فهي عند هذا في مكان الدليل ، وقول الإله الحكيم : « صدق عبدي فيما يبلغ عني » ، وصنف مكابر معاند يلحق به غبي جاهل ، وهذا الصنف كالفرس الجموح لا يمكن ترويضه إلا باستعمال ما يناسبه من الشدة ، وما هي بشدة ، وإنما هي وسيلة الإصلاح والتقويم ، وقد ندب اليها الإسلام كوسيلة للإصلاح فقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

وقد أمكن لحرارة هذا الدين أن تصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المبعثرة ، وتكون من شتاتها جميعاً قوة واحدة ، وأمة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار في زمن قصير ، مما يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعي إلى هذا الدين ؟

محمد أبو المكارم
الواعظ العام

الاسراء والمعـــــراج

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا
إنه هو السميع البصير »

خرج بنو هاشم من الشعب بعد حصار دام ثلاث سنين ، لقى المسلمون فيها أقسى ضروب المقاطعة ، وكانت قريش تظن أنها بهذه الأعمال توقف سير الدعوة المحمدية ، ولكن الرسول ﷺ لم يضعف أمام هذا العنت .

وبعد الحصار بقليل توفى عمه ، وكان عضده فى الملمات ، وسنده عند الأزمات ، وبعده توفيت خديجة الزوجة الوفية ، والتى كانت مصدر التسرية فى لحظات الحزن والأسى ، فأحس المصطفى لفقدهما حزناً عميقاً ، حتى سمى عام وفاتهما بعام الحزن ، وبينا هو فى هذه الحالة ، وقريش تمعن فى الإيذاء ، وتشتط فى الخصومة ، ظناً منها أن فقد هذين النصيرين سيكون من العوامل التى تجعله ﷺ يقعد قليلا عن النشاط فى دعوته ، ولكن الدعوة تسير قدما فى الذيوع والانتشار .

* * *

وفى صبيحة يوم مشرق النور جلس ﷺ فى حجر اسماعيل يقص قصصاً كان فى سمع قريش الجاحدة المنكرة خيالا بل حديث خرافة ، حتى أنهم لفرط دهشتهم ظنوا به الظنون ، وحسبوا أن خياله قد شط به ، فبقى أمامه جماعة يستعيدون حديثه خيفة أن يعدل عنه ، وجرى الباقون يتنادون فى الطرقات : تعالوا فاسمعوا لما يقول محمد ، اعتقادا أن هذا هو الخبل بعينه ، وما دروا أن الله جلت قدرته أحب عبده ورسوله ، فأكرمه وشرفه وفضله على سائر خلقه ، فجمع له الرسل المكرمين ، والملائكة المقربين ، فى بيت المقدس ليصلى بهم إماماً ، ويأخذ عليهم عهداً وميثاقاً بسموه وفضله وتقدمه وسبقه ، وقد أراه ربه وهو فى طريقه

إلى المسجد الأقصى عجائب مخلوقاته الارضية ، وما أعده للمخالفين عن أمره ، والخارجين عن طاعته ، بارتكابهم للمنكرات ، وصور له عقوباتهم على ما اقترفوه .

وبعد الانتهاء من الصلاة أخذه جبريل وصعد به إلى السموات العلى ليريه آيات الله الكبرى فى الملكوت الاعلى ، ولا عجب فى ذلك ولا جناح فهو الرسول الأمين ، وهو الحبيب الأول : من خلق الكائنات من نوره ، وألهم الأنبياء الصلاة عليه والتسبيح باسمه .

حتى إذا اكتمل جمعهم بهرهم صدقه ، وأفحمهم حسن حديثه ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن عنادهم وإصرارهم على تكذيبه دعاهم إلى أن يستوصفوه بيت المقدس ، وهم موقنون أنه لم يره قبلا ، وأن الإسراء كان ليلا ، والليل يغطى المعالم ، إلا أن الرعاية الصمدانية تدركه فى شخص جبريل الأمين يحمل على كفه بيت المقدس ، ليكون الوصف هو الحقيقة الصارخة على صدقه ﷺ ، وأن أحد عيرهم صادفه فى الطريق فشرب من وكائه ، وأنه قادم يوم كذا فى غروب شمس يوم كذا ، فيقع ما حدث . وأن عيرهم الثانى سيقدم يوم كذا فى ساعة كذا ، وأن مقدمهم يحمل وسقين ، فيصدق ما أخبر به .

ولكن عتو المعاندين وفساد رأى المكابرين جعل قريشاً تتخذ من قصة الإسراء والمعراج باباً من أبواب شدة الإيذاء ، وقسوة الاضطهاد ، ومحاولة منع الرسول من نشر الدعوة المحمدية ، ولم يكن ذلك الإنكار لعقيدة يؤمنون بها من أن ما حدث به محمد ﷺ كذب ، بل هم موقنون كل اليقين أن الرسول صادق فى كل ما جاء به ، إلا أنه الحقد الدفين الذى ملك زمام قريش . كيف يؤتى محمد ذلك الخير العميم والشرف العظيم وحده ، وتذهب بنو هاشم وحدها بهذا العز الإلهى ، والسؤدد الربانى ، وتقف بقية قريش عطلا من كل شرف وعز .

* * *

هذه هى الحقيقة المدوية فى أعماق التاريخ ، فمحمد ﷺ أسرى به فى الليلة السابعة والعشرين من رجب إلى المسجد الأقصى بصريح القرآن ، بروحه وجسده ، وصلى بالرسل والأنبياء والملائكة حيث جمعهم مولاه للاحتفاء بحبيبه ، وأخذ البيعة له منهم بأنه خاتمهم وإمامهم فى الدين والدنيا .

ثم نصب له المعراج ورقى به إلى ملكوت ربه يتلقاه رسول ويودعه رسول، حتى سدرة المنتهى، فانغمر فى أنوار ربه الصمدانيـة، وتجلت له الحضرة الربانية بالعناية، وسبح فى الأنوار القدسية، وخاطبه مولاه فارضا عليه الصلاة.

وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا من عميت بصيرته، فران على قلبه جهل بمدى قدرة الخالق جل جلاله بعد تلك المخترعات الحديثة التى قربت البعيد، بل وصلت فى السير إلى أبعد من حدود الصوت، ومخترعات الذرة. هـذه القدرة لا يعجزها الخرق والالتئام، ولا أن يرجع إلى فراشه وهو لم يبرد بعد، ولا طول المسافة ولا قصرها.

« ما كذب الفؤاد ما رأى »، « ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ».

* * *

ولقد كانت الإسراء والمعراج سبباً فى التعجيل باحتدام الخصومة بين الحق والباطل، وأن الله لن يخذل عبده، وأنه كتب للإسلام الخلود والانتصار فى كل ملحمة يكون فيها القرآن أحد طرفى الخصوم. والله متم نوره ولو كره الكافرون ؟

محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

الصبر

أحسن بالواجد من وَجده   صبر يعيد النار فى زنده
ومن أبى فى الرزء غير الأسى   كان بكاه منتهى جهده

أبو العلاء المعرى

البهائيـة

الأساس الذى قامت عليه :

هى نحلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التى وصف بها نفسه فى كتب أنبيائه — ولا سيما خاتمهم محمد ﷺ — بل إن وجوده تعالى مفتقر إلى مظاهر أمره الذين جاءوا — بزعمهم — ليبشروا بمظهره الأبهى الذى لقبوه ببهاء الله ، فبهاء الله هو الرب الذى بشرت به الديانات كلها ، وهو المشرع الأعلى الذى تنبأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام ، وكل هذه الديانات وغيرها كانت - بزعمه وزعمهم - مقدمات لظهوره ، والبهاء هو مظهر صفات الله فهو المتصف بها من دون الله ، وهو مصدر أفعال الله ، فهو فاعلها من دون الله . وهو المعنىّ بالقيامة ، وبالساعة الكبرى ، وهو وجه الله ، وهو جمال الله البهىّ الأبهى ، وهو الموعود فى البشارات التى سبقت فى كل الأديان ، ولا إله إلا هو ، ولا قيامة إلا قيامه ، ولا آخرة إلا بدايته ، ولا دين إلا دينه . وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة ، فالبهائية نسخت الإسلام ، وكل الأديان كانت ناقصة وبدائية ، وإنما جاءت لتكمل بدين البهاء الكامل . ومع ذلك فإن البهاء يتظاهر باحترام الأديان الأخرى ليقول لأتباعها إن دياناتكم جاءت لتبشر بقيامى !

الإرهاصات التى تقدمت البهائية :

والدين البهائى الجديد منبثق عن العقيدة الشيعية ، وقد تمخضت عنه بيئتها فى إيران ، وصنعه نفر من أذكياء أهلها .

وقد سبقته إرهاصات :

أولها دعوة رجل من شيعة العراق يدعى أحمد زين الدين الاحسائى (١١٥٧ — ١٢٤٢ هـ) ، وله أتباع إلى الآن يسمون (الشيخية) .

و ه داعية آخر من شيعة إيران يدعى كاظم الرشتى (١٢٠٩ - ١٢٥٩) وله تاريخ .

ثم تأثر بهما وبتلاميذهما شاب عامى من تجار إيران اسمه على محمد الشيرازى (١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ) .

إن هؤلاء الثلاثة وكثيرين غيرهم معهم كانوا طلائع البهائية والتجارب الأولى لظهورها ، وكانوا يرمون إلى غرض واحد هو إكمال الخطوة التالية التى كان يطمع فيها غلاة المنحرفين من ألف سنة ، وهى إعلان تغيير دين الإسلام فى عقائده وتشريعه وأنظمته وجميع أهدافه .

كان هذا الشخص الثالث (على محمد الشيرازى) فتى غراً يتدين تدين العوام ، ويغلو فى ذلك على طريقة الأعاجم ، ويستعيض فى تدينه عن العلم بدعوى الفهم . وكان يتردد على مجالس كاظم الرشتى فى أخريات أيامه ، فتعرف به — فى مجالس الرشتى — شيطان من شياطين الشيعة يدعى ملا حسين البشروئى . فلما هلك كاظم الرشتى سنة ١٢٥٩ هـ خطر ببال البشروئى أن يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره وغلوه فى الدين ، فواصل الاجتماع به ، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن ، وأن هذا أوان « المنتظر » ، وقد يكون فى مقام « الباب » الذى يقوم بتبليغ الشيعة الإمامية عن المهدى . فإن تم ذلك له فإنه - أى البشروئى - يرجو أن يكون له « باب الباب » فيمده بكل ما يحتاج إليه من وسائل الجدل إذا قاومه المجتهدون والعلماء .

الباب والبابية :

وفى يوم ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ أعلن على محمد الشيرازى أنه « الباب » للمهدى المنتظر ، وكان على محمد الشيرازى يومئذ فى الخامسة والعشرين من عمره على ما ورد تفصيله فى كتابهم (الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية) المطبوع فى القاهرة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٤) . ومعنى الباب فى الاصطلاح الشيعى : الشخص الذى يكون واسطة بين الشيعة الإمامية وإمامهم الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى يقولون إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ والذى غاب (الغيبة الصغرى) فى سرداب سامرا سنة ٢٦٠ وهو ابن ست سنين وتقوم عقيدتهم على أنه (المهدى) ، وهو الذى يسمونه (المنتظر) من مدة تزيد على أحد عشر قرنا ، وهم إذا ذكروه يدعون الله بأن يعجل فرجه ، وبذلك تكون (الرجعة) . ولهذا الموضوع تفصيل ليس هذا موضعه .

ولما كان من تقاليد الشيعة أن الشخص الممتاز الذى يكون واسطة بين المهدى الغائب وبين شيعته يسمى (الباب) فقد رأى هذا الشاب العامى المشتغل بالتجارة - وهو على محمد

الشيرازى - أن يزعم لنفسه أنه هو (الباب) ، ثم ادعى بتسويل ملا حسين البشروئى وإيحائه أنه هو (المهدى) . وكان مجتهدو الشيعة وعلماؤهم يمتحنونه ويقترحون عليه كتابة تفسير لبعض السور - كسورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة يوسف - فيكتب لهم فى ذلك خواطر سريعة يسبح بها فى عالم الخيال ، ويضمنها ما كان يسمعه من كاظم الرشتى وما يلقنه إياه ملا حسين البشروئى ، غير أنه يكتب ذلك بلغة سخيفة ملحونة ، فيزدادون نفوراً منه واستخفافا به وتحريضاً للحكومة عليه بما يرونه من جهله .

قال داعية البهائيين الأول فى مصر أبو الفضائل الجرفادقانى فى كتابه (الحجج البهية) الذى طبعه المحفل البهائى الروحانى المركزى بمصر سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) ص ١٢٧ وهو يتحدث عن (الباب) ويسمونه « النقطة الأولى » :

« وأما النقطة الأولى والمثال الأعلى المبشر بجمال (ربنا الأبهى) جل ذكره وعز اسمه ، فقام بالأمر وهو ابن خمس وعشرين سنة ... وكان قبل قيامه مشتغلا بالتجارة مع خاله ... فلما قام حضرته بإذن ربه الأبهى [1] ، وصدع بالأمر فى مكة المكرمة [2] ... رجع إلى مدينة بوشهر [3] ... ونزل على خاله ... وسافر إلى شيراز فوقع فى يد أعدائه ، وانقضت أيام دعوته التى تعد سبع سنوات تقريباً كلها فى الحجز والحبس والنفى ، إما فى بيته أو بيت الحكومة ، إلى أن نفى إلى أذربيجان [4] » .

وعقب اقتناع الباب بدعوته سنة ١٢٦٠ بتسويل شيطانه ملا حسين البشروئى الذى قام له بوظيفة « باب الباب » استطاع باب الباب أن يجمع له ١٨ مرتداً من الذين استجابوا

---

(١) أستبعد جدا أن يكون لربهم الابهى دخل فى شئون الباب أو توجيهه فى ذلك الوقت ، وإنما كان الموجه له هو باب الباب ملا حسين البشروئى . ولكن مؤلف (الحجج البهية) الذى ننقل عنه هذه الفقرات يريد أن يوهم البهائيين بأن ربهم كان - من وراء ستار - يوجه باب الباب فى رسم الخطط للباب ، وأنا أستبعد ذلك ، وليس هناك أى قرينة تدل عليه .

(٢) كان سفر الباب إلى الحج فى شوال سنة ١٢٦٠ مع خاله وملا محمد على البارفروشى الذى يسمونه (القدوس)

(٣) ثغر على ساحل الخليج الفارسى يقابل الكويت فى الشاطىء الغربى

(٤) وإنما نفته الحكومة الايرانية الى اذربيجان لان أهلها حنفية ، وفيهم المناعة الدينية عن الانخداع بالباب ، لانهم لا يؤمنون بالمهدوية فضلا عن البابية .

قبل ذلك لأحمد زين الدين الأحسائى وكاظم الرشتى ، وأبلغوا الباب أنهم آمنوا به وصاروا أتباعاً له ، وصار يرمز لهم بكلمة (حى) لأن الحاء بحروف الجمل تدل على العدد ٨ والياء تدل على العدد ١٠ ، ووزعوهم فى أنحاء البلاد ليدعوا له [١] .

مؤتمر بدشت :

وفى سنة ١٢٦٤ - وكان الباب معتقلا فى (قلعة ماكو) قرر الشياطين الذين يسيرون الباب ويتخذونه ذريعة لإكمال مهمة أحمد الأحسائى وكاظم الرشتى أن يجمعوا الدعاة الثمانية عشر الذين يرمزون لهم بكلمة « حى » ، وأن يحضروا معهم كل الذين استمالوهم وأدخلوهم فى هذه الدعوة ، وأن يعقدوا منهم مؤتمراً فى صحراء (بدشت) الواقعة على نهر (شاهرود) بين خراسان ومازندران ، وكان على رأس القائمين بهذا التدبير (باب الباب) وهو ملا حسين البشروئى ، وملا محمد على البارفروشى الذى يسمونه (القدوس) ، وأم سلمى خانم [٢] زرين تاج بنت ملا صالح القزوينى البرقانى التى يسمونها (قرة العين) ويلقبونها (الطاهرة) [٣] ، وميرزا حسين على المازندرانى الذى تلقب فيما بعد بلقب (بهاء الله) وصار (ربهم الأبهى) .

فهؤلاء الشياطين دعوا إلى عقد هذا المؤتمر ليقرروا فيه إعلان نسخ دين الإسلام ، وجعلوا الدعوة الظاهرة له التفكير فى مسألة اعتقال الباب والوسائل الممكنة لإخراجه ،

---

(١) يتساءل بعض الناس عن تمويل هذه الدعوة والانفاق على هؤلاء الدعاة الثمانية عشر فى تنقلاتهم ومعيشتهم ، ويرى بعضهم أن من وراء ذلك يدا أجنبية - انجليزية أو روسية - وأن تلك اليد الاجنبية هى التى أوجدت البابية والبهائية . وأنا أرى فى ذلك مبالغة ، فالاجنبى أعجز من أن يوجد مثل هذه التيارات الدينية ، ولكنه يستغلها بعد وجودها ، ويشجعها إذا رأى فى ذلك مصلحة له .

(٢) خانم تأنيث «خان» كما أن « بيكم » تأنيث « بك » . وخانم اصطلاح ايرانى انتقل الى الترك ومنهم الى مصر بلفظ « هانم » ، وبيكم اصطلاح هندى . فالميم فى الكلمتين للتأنيث .

(٣) فى خلال فتنة الباب فى ايران نفت الحكومة الايرانية بعض القائمين بهذه الفتنة وكان نصيب قرة العين هذه النفى الى بغداد ، ورأت الدولة العثمانية أن يكون اعتقالها فى منزل الشهاب الالوسى صاحب التفسير وتحت نظره ، وقد تحدث عنها الشهاب الالوسى فى كتابه (نهج السلامة فى مباحث الامامة) وهو آخر ما ألفه وكتب منه وهو مريض عشرين كراسة ثم عاجلته المنية قبل أن يتمه . وبعض ماقاله فى هذا الكتاب عن قرة العين والباب والبابية أثبته حفيده السيد محمود شكرى الآلوسى فى أوائل مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢ - ٢٥

قال مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين آواره فى ص ٢١٨ — ٢٢٣ من كتابه (الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية) :

« لما تم عقد اجتماع الأحباء فى (بدشت) شرعوا فى البحث ، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين : الطبقة الأولى المجالس الخاصة ، وهى التى تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم ، والطبقة الثانية المجالس العامة ، وهى التى تعقد بمن سواهم . أما المجالس الخاصة فكانت المذاكرات التى تجرى بين خواص الأحباء وأكابرهم فيها تدور حول (تغيير الفروع ، وتجديد الشريعة) وبعد أن أقر الرأى العام على وجوب السعى فى تخليص حضرة الباب وإنقاذه ، قرر أيضاً إرسال المبلغين (أى الدعاة المبشرين) إلى النواحى والأكناف ليحثوا الأحباء على زيارة الحضرة (أى الباب) فى ماكو (القلعة المعتقل فيها) مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوى قرباهم وودهم ، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماكو ، حتى إذا تم منهم العدد الكافى طلبوا من محمد شاه الإفراج عن حضرة الباب ، فإذا لبى الشاه طلبهم فبها ونعمت ، وإلا أنقذوا الحضرة (أى الباب) بصارم القوة وحد الاقتدار .

« وبعد أن تم تقرير هذه الأمور ، وتقبلها وعرفها الجمهور ... دار البحث حول الأحكام الفرعية (أى الصلاة والصوم والحج) من حيث التبديل وعدمه . وتبين بعد المذاكرات الطويلة التى دارت فى المجالس الخاصة بين أكابر الأحباء أن أكثرهم يعتقد بوجوب (النسخ) و (التجديد) ، ويرى أن من قوانين الحكمة الإلهية فى التشريع الدينى أن يكون (الظهور) اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه ، فعلى هذا القياس يكون حضرة (الباب) أعظم مقاما وآثارا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، ويثبت أن له (الخيار المطلق) فى تغيير الأحكام وتبديلها ، وذهب قلائل إلى عدم جواز (التصرف) فى الشريعة الإسلامية ، مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجاً لها ومصلحاً لأحكامها مما دخل عليها من البدعة والفساد [١] .

وكانت قرة العين من القسم الأول وهم المعظم ، لذا أصرت على وجوب إفهام جميع الأحباء وإشعارهم بأن للقائم مقام المشرع حق التشريع ، وعلى وجوب الشروع فعلا فى

---

(١) كأن الذى هم فيه واجتمعوا له فى هذا المؤتمر ليس أخبث البدع وأفسد الفساد !

إجراء بعض التغييرات كإفطار رمضان ونحوه . وأما القدوس فإنه وإن كان على هذا الرأى إلا أنه كان متمسكا [١] بالعادات الإسلامية [٢] ، فصعب عليه تركها [٣] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى خشى إحجام (الجماعة) عن الموافقة ، ووقوع الخلاف والشقاق بينهم . ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها [٤] وكثيرا ما كانت تقول : « إن هذا العمل سيبرز إلى ساحة الوجود لا محالة ، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص ، وإذن فكلما أسرعنا فى الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذى سنقوم به ، حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ، ولا يبقى معنا إلا كل قوى مخلص يفدى بنفسه هذا السبيل القويم البديع » . وجاءت قرة العين ذات يوم فطرحت هذا الاقتراح الآتى على بساط البحث بين جماعة الأصحاب وقالت : إن ارتداد النساء فى الشريعة الإسلامية لا يستوجب حد القتل ، بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لهن واستتابتهن وتفهيمهن ما يرجع بهن إلى ورد التوبة والإيمان . فلا يتعسر علىّ إذن أن أميط اللثام وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوس عن باحة المجلس ، حتى إذا وقعت تصريحاتى موقع القبول وصادفت محل الاستحسان من الأحباب تم المرام وبلغنا الغاية ، وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحى لأعود عن هذا الجنون ، وأنفض اليد من الكفر ، وأتوب وأرجع إلى أحضان الإسلام [٥] ، فاستحسن الأصحاب هذا المقترح [٦] ، ولبثوا يتحينون سانح الفرص إلى أن ألم بحضرة بهاء الله زكام ، وتمارض القدوس ، فعند ذلك شرعت الطاهرة فى تفهيم الأحباء حقيقة المقصود ، وكشفت السر المكنون من تبديل الفروع وتغيير الأحكام . فلما رنت فى آذان الجميع هذه التصريحات دار التهامس والتناجى بينهم ، ففريق أعجب بأفكارها ، وآخر أخذ بأطراف انتقادها ،

---

(١) أى كذبا وتقية (٢) والعجيب أن يسموا الصلاة والصوم عادات .

(٣) لأنه لايزال محتاجا إليها فى إنجاح تمثيل دوره الشيطانى .

(٤) الذى كانت تستوحيه من رفقائها المتظاهرين بالتعقل والتأنى .

(٥) نفاقا واستهزاء وفجورا .

(٦) لأنهم هم أصحابه ومرتبوه وملقنوه لهذه المثلة ، ليخادعوا بها وبدورها التمثيلى هؤلاء العوام الذين ضموهم إلى صفوفهم بالخديعة والأساليب التبشيرية .

وذهبوا إلى القدوس يرفعون شكواهم منها إليه [1] . فهدأ القدوس هياجهم ولطف من ثورتهم بلسان اللين والملاطفة ، وأرجأ الحكم الفاصل فى القضية إلى حين ملاقاتها واستطلاع الحقيقة منها ، ولما أن وقعت الملاقاة والمقابلة بينهما تباحثا مليا وقررا أخيرا أن يعودا إلى الاجتماع والبحث مرة أخرى . وقالت الطاهرة إنها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع ، وفى الميعاد المضروب اجتمعا وتحقق ما وعدت به الطاهرة من الإقناع والإلزام ، ولكن بالرغم من ذلك لم تهمد الضوضاء ، وما سكنت دمدمة الصاخبين الناقدين لرأى الطاهرة ، حتى كان من بعضهم أن جمع أمتعته وتناءى عنهم ولم يرجع إليهم .

« وفى أخريات الأمر تدخل حضرة بهاء الله فى المسألة وأبرز من أساليب الحكم ولطائف الحزم ما هدأ به روع الجميع ، وذلك أنه طلب إحضار المصحف الشريف ، فأحضر إليه أمام الجمع كله ، ففتحه وتلا سورة (الواقعة) وأخذ فى تفسيرها وتأويلها وأفاض فى شرحها وبيانها (أى بما يوافق اقتراح تغيير دين الإسلام) وأن القرآن نفسه أشار إلى ذلك وأنبأ بوقوعه حتى اطمأنت قلوب الجميع [2] وعلموا بأنه لا بد من « وقوع هذه الواقعات ، وحدوث هذه الحادثات كلها .

« وفى خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها إلى حضرة الباب فى ماكو والتماس إصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها ، وهذا ما قد كان . ومما علم فيما بعد وتبين أن خواصّ الأحباء كانوا على حق ، وأن رأى حضرة بهاء الله كان متفقا مع حكم حضرة الباب على (وجوب تغيير الشريعة) وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضا قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين فى إدراكهم وفهمهم (أسرار الأمر) .

« أما الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجديد العظيم فإنهم قاموا بتشويش الأفكار وإفساد الناس على زمرة الأحباء ، ونجم عن ذلك ما نجم من إغارة عصابة من المسلمين عليهم واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة . فتفرق عند ذلك جمع الأحباء

---

(١) والقدوس أخبث منها وأسبق اقتناعا بما هم مقدمون عليه ، بل هو أحد الذين لقنوها الاقتراح ، ورسموا هذا التدبير الخبيث لكيد للاسلام وإعلان الردة عنه وكلهم يمثلون أدوارا تواطأوا عليها من قبل .

(٢) لان الذين كانت لا تزال فى قلوبهم بقية من الاسلام انسحبوا ، وبقى الابالسة والمنقادون لهم

إلى ثلاث فرق : ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة إلى طهران ، وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة إلى مازندران ، وثالثة تحت لواء باب الباب وانتحت أولا سمت مازندران ثم ولجت آخراً ناحية خراسان ، ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ما تقرر فى (مؤتمر بدشت) هذا من التجمع ولم الشعث فى ماكو ، والعمل على إنقاذ حضرة الباب » . انتهى بالحرف من كتابهم (الكواكب الدرية) المطبوع فى القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) من ص ٢١٨ إلى ٢٢٣ .

المناظرات بين (الباب) وعلماء الشيعة :

وفى خلال اعتقال الباب أو تحديد محال إقامته كانت الحكومة الإيرانية تجمعه بعلماء الشيعة ومجتهديها فيناقشونه ويناظرونه على غير طائل ، وكان يكتب لهم كتابات حول الموضوعات التى يدور عليها الجـــدل . قال أكبر دعاة البهائية أبو الفضائل الجرفادقانى فى (الحجج البهية) صفحة ١٢٨ :

« ولعمرى لم يجدوا مغمزا فى آياته ، وشبهة فى كلماته ، إلا أنهم قالوا : فيها ما يخالف قواعد النحو والصرف ، ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة . وهو — جل ذكره — أفحمهم بما جاء مثله فى القرآن والسفر القديم [١] ، وقد أكملنا البحث فى هذا المقام فى كتاب (الفرائد [٢]) مبسوطا مفصلا » .

وفى كتابهم (مقالة سائح فى البابية والبهائية) الذى طبعه محفلهم الروحانى بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤١ (١٩٢٢) صفحة ١٥ : « وبعد وروده (أى ورود الباب) على

---

(١) يريد الباب أن يقول : إذا كان فى آياتى ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة ، فان فى آيات القرآن كذلك ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن ذلك ! وقد جهل الذين علموه هذا الجواب أن قواعد النحو والصرف استخرجت فيما بعد من لغة القرآن ومن لغة جرير والفرزدق وأمثالهما ممن يتعبد بالقرآن ، فالقرآن حجة على اللغة وشاهد عليها . كما أن جهل هذا الغر الأجوف حجة عليه وعلى الذين نفخوا فى أوداجه وشاهد على سخفهم وكفرهم .

[٢] كتاب [الفرائد] للجرفادقانى المذكور ألفه سنة ١٣١٥ باللغة الفارسية دفاعا عن البهائية وهو فى ٧٣١ صفحة وطبعوه بمطبعة أمين هندية بالقاهرة .

تبريز بأيام عقدوا مجلسا ، وجاءوا بالباب إلى ذلك المجلس ، وحضره من العلماء الأعلام نظام العلماء ، وملا محمد مامقانى ، وإمام الجمعة ، وشيخ الإسلام على أصغر وبعض آخر من المجتهدين . وأخذ أعضاء المجلس يسألونه عن دعوته ، فأجابهم بأنه (المهدى) . فعند ذلك عم الهياج ... وطالبوه بالبرهان ، فتلا الآيات دون تأمل وقال : إن هذا برهان عظيم لبقائه إلى الأبد . فما كان جوابهم إلا الاعتراض على الكلام بأنه غير منطبق على القواعد النحوية . فاحتج عليهم بالقرآن وأتى منه بعدة شواهد لا تنطبق على تلك القواعد . وفى أثر ذلك تفرق المجلس ، ورجع الباب إلى مستقره . وكان حاكم أذربيجان فى ذلك العهد ولى العهد ، فلم يصدر منه أمر بشأن الباب » .

ثم قال فى صفحة ١٨ : « عندما وصلت دعوى المهدوية إلى مسامع فحول المجتهدين والعلماء المتبحرين قاموا على المنابر صارخين صائحين : إن من ضروريات الدين المبين [١] بل من أقوى دعائم المذهب الجعفرى (غيبوبة) الإمام المعصوم الثانى عشر عليه السلام (ثم ذكروا علامات ظهوره بحسب النصوص التى يتوارثونها وقالوا) : ما الذى جرى بجابلقا ، وأين ذهبت جابلصا [٢] ، وما معنى الغيبوبة الصغرى ، وماذا حدث للغيبوبة الكبرى ؟ وما معنى أقوال حسين بن روح [٣] ؟ وأين ذهبت مرويات ابن مهزيار ، وكيف نعمل بطيران النقباء والنجباء ، وإلى أين نذهب بفتوح الشرق والغرب ، وأين حمار الدجال ومتى ظهر السفيانى ؟ وأين العلائم المذكورة فى أحاديثنا ؟ فلا يخلو الحال : إما أن ننكر أحاديثنا وننبذ المذهب الجعفرى ونحسب النصوص الصريحة للإمام أضغاث أحلام ، وإما أن نقضى بتكفير هذا الشخص بل نعد محوه أعظم فريضة » .

---

[١] أى على مذهب الشيعة الامامية .

[٢] جابلقا وجابلصا [بضم الباء فيهما] مدينتان اخترعتهما عقول أهل الخيال فزعموا أن أولاهما فى طرف المشرق والاخرى فى طرف المغرب وأن لكل منهما ألف باب وعلى كل باب ألف حارس ، ولهما شأن فى علامات ظهور المهدى لانه وأولادا له ثلاثة يظهرون منهما !!! .

[٣] هو الحسين بن روح النوبختى المتوفى سنة ٣٢٦ ، وهو الباب الثالث للغائب . أما الباب الأول فقد كان محمد بن نصير (مؤسس النصيرية) يطمع فى أن يكون هو ، وأبى ذلك عليه زملاؤه وولوها عثمان بن سعيد ، وبعده ابنه محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٥ ، ثم النوبختى . والنوبختى أوصى بالبابية إلى الباب الرابع على بن محمد السمرى فكانت له السفارة إلى أن مات سنة ٣٢٩ وبموته وقعت الغيبة الكبرى فى اصطلاحهم .

الحكم على (الباب) بالإعدام :

وحكم على (الباب) بالإعدام ، ونفذ الحكم فى تبريز يوم ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ فأخرجوا جثته إلى خارج المدينة ووضعوها على حافة الخندق [١] ثم تفقدوها فى اليوم التالى فلم يجدوها ، وقيل إن الوحوش أكلتها ، فاحتج مجتهدو الشيعة بذلك على فساد دعوى الباب بأنه هو المهدى لأن المقرر عندهم أن أجساد الأئمة الاثنى عشر محفوظة ومصونة عن السباع والحشرات ولا يعتريها البلى ، وأنهم أحياء بعد موتهم فأجسادهم لا تبلى . فإذا كانت جثة الباب قد أكلتها الوحوش فهذا دليل على كذبه فى دعوى المهدية . وقابلهم أتباع الباب بادعاء أنهم اختطفوا الجثة بالليل وأنهم وضعوها داخل صندوق فى مصنع رجل ميلانى ونقلوها من أذربيجان إلى جهة مجهولة [٢] .

استغلال البهاء تركة الباب وخلافته :

وزعم البهائية أيضاً فى كل كتبهم (ومنها مقالة سائح صفحة ٣٠) أن الباب لما علم بأنه سيعدم جمع مكتوباته وخاتمه ومقلمته فى جعبة ، وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه ملا باقر ليسلمها إلى ملا عبد الكريم القزوينى فى مدينة قم ، فلما وصلت الجعبة إلى ملا عبد الكريم أعلن أنه مأمور بإيصالها إلى ميرزا حسين على المازندرانى (١٢٣٣ - ١٣٠٩) وبسبب ذلك انتحل حسين على المازندرانى اسم (بهاء الله) ونازع كبار البابيين مقام الرآسة عليهم ، وأكثرهم - بل كل المتخلفين منهم فى إيران - لم يسلموا له بذلك ، وظلوا على بابيتهم فلم يدخلوا فى البهائية . وحتى أخوه يحيى المازندرانى خالفه وادعى أنه أحق بالرآسة منه ، وانفصل عنه لما كانا منفيين فى (أدرنة) فلم ينتقل معه إلى عكا واختار أن يكون منفاه الجديد فى بلدة ماغوسة فى جزيرة قبرس . فلم يبال حسين على المازندرانى بكل ذلك وأصر على دعوى أن الباب كان (نقطة) وأنه (أى الباب) كمحمد وعيسى وموسى إنما جاء ليبشر بمجيء البهاء ، وهذه هى مهمة جميع الأنبياء ، فقد جاءوا ليبشروا بظهور الله فيه ، وأن الباب اشتق من كلمة (بهاء الله) ثلاثمائة وستين اشتقاقاً ، إلى غير ذلك من السخافات التى بنى عليها أساطيره .

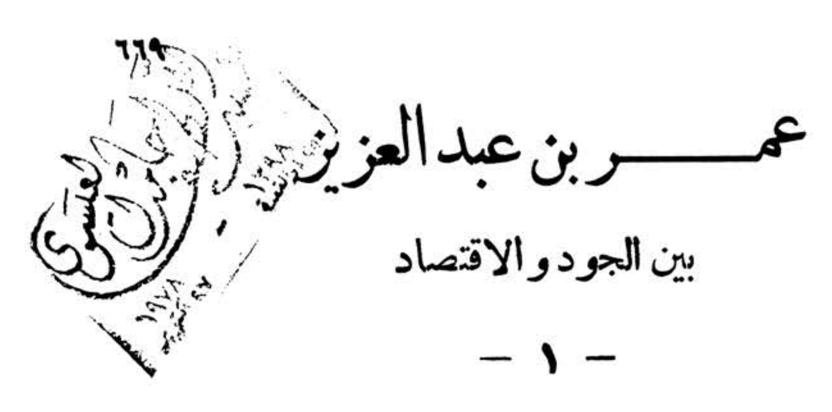
وسنأتى على تفصيل ذلك فى المقال التالى إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

---

[١] هكذا تزعم البهائية توطئة لادعاءات أخرى كما سيجيء .

[٢] ولما ادعى البهاء وراثة الباب وانتقل إلى عكا سنة ١٢٨٥ جاء بجثة زعم أنها جثة الباب ودفنها على جبل الكرمل فى فلسطين بين حيفا وعكا .



عمـــــــر بن عبد العزيز

بين الجود والاقتصاد

— ١ —

قد يعجب المطالع فى سيرة الخليفة الخامس والإمام العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، حينما يرى أخباراً كثاراً تدل على جوده وكرمه وسخائه ، وأخباراً كثاراً تدل على اقتصاده وتقتيره وتشدده ؛ وربما عز على المطالع أن يهضم هـذه الأخبار التى تبدو كالمتناقضة ، أو ربما عز عليه أن يعللها ويوفق بينها .

وربما تعجل فوصف الخليفة العادل بأنه من أصحاب الشخصية المزدوجة على النحو المعروف فى القصة المشهورة : « دكتور جيكل ومستر هايد » ، حيث نرى صاحبها رحيما غاية الرحمة حينا ، وقاسيا غاية القسوة حينا آخر .

ولكن المتتبع لسيرته المتمعن فى أخباره يستطيع أن يجمع بين هـذه الأنباء فى نظام ، دون أن يجد خلالها تنافرا أو تناقضا ، ودون أن يجد فى شخصية عمر ازدواجا أو تعقدا ؛ فهو قبل الخلافة كان مترفا متلافا ، سمحا جوادا ، يذيل ثيابه ، ويسرف فى عطره ، ويدخل فى طيبه القرنفل والعنبر بكثرة ، وتأتيه جبة الخز الغالية الثمن الرقيقة الحاشية الناعمة الملمس فيعدها خشنة ، ويتسع طعام داره حتى يقول : « لقد رأيتنى وكنا لو ضافنى أهل قرية لوجدت ما يعمهم » .

وكان أثناء ذلك ـ كما يحدث التاريخ ـ من أعطر الناس وألبسهم وأخيلهم فى مشيته ، يعرفه الناس برائحته الطيبة من بعيد ، ويتنافسون على غسل ثيابهم فى الماء الذى غسلت فيه ثيابه ، ويحاول الجوارى تقليده فى مشيته ذات الخيلاء ، ويجلب له التجار بدائع الثياب من هنا وهناك ...

وهو يفعل ذلك لأنه شاب ، ولأنه يملك ذات نفسه ولا يُسأل عن غيره ، ولأنه فى وسط ثرى غنى قادر ، فجده خليفة ، وعمه خليفة ، وزوجته بنت خليفة ، والمال من حوله كثير وفير ... وحسبك فى تبيان جوده وسخائه قـوله : « ما أعطيت أحداً مالا

إلا وأنا أستقله ، وإنى لأستحى من الله عز وجل أن أسأله الجنة لأخ من إخوانى وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لى : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل » !.

ثم نرى عمر بن عبد العزيز فى الخلافة ، فإذا هو يشدد على نفسه ، ويضيق فى أمر ذاته ، وإذا نحن نراه وقد طبق نظام الاقتصاد والتقتير على نفسه بعنف لا مثيل له ؛ لبس الصوف بعد الحرير ، واستلان الخشن من الصوف ، وقد كان قبل الخلافة يستخشن الناعم من الحرير ، وأكثر من أكل العدس حتى قال خادمه يوما متضايقا : « كل يوم عدس ؟ » . وأكل الثوم المسلوق بالزيت والملح ، ولبس المرقع البالى ، وصار عنده — وهو الخليفة — قميص واحد ، يتسخ فينزعه ليغسل وينتظره حتى يجف ؛ ويوقد الشمعة من بيت المال لينظر على ضوئها فى شئون المسلمين ، فإذا انتهى من ذلك وانتقل إلى شأنه أبى أن يستضئ بها وأطفأها ، وهزل هزالا شديدا حتى استبانت أضلاعه ، وقد كان من قبل سمينا تغيب حجزة إزاره فى طيات بطنه .

ويقول له بعض الناس : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ؟! . فيخفض رأسه مليا ثم يقول : « إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة » .

وإنما يفعل عمر ذلك ؛ لأنه قد صار خليفة على المسلمين ، وأصبح راعياً لهم مسئولا عنهم ، فانقضى ذلك الفراغ ، وذهبت تلك الحرية أو السعة فى الوقت والرغبة ، وولىّ عهد الانطلاق فى رحاب الترف والدعة ، وأقبل عهد التبعة والواجب والاهتمام لأمر الأمة والسهر من أجل الرعية ... ولقد خبّ عمر رضى الله عنه وعب ، ولكل شىء نهاية ، وتطلعت عينه إلى الكثير من أمور الحياة فما استعصت عليه أمنية ، فلم يبق إلا التطلع إلى الخلود الدائم والمجد الصحيح ، إلى أداء الواجب وابتغاء رضوان الله .

ويترجم عمر عن ذلك التغيير فيقول : « كانت لى نفس تواقة ، فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية تاقت إلى الآخرة » ! ... والرجل المشتاق إلى الآخرة لا يهتم للدنيا ولا يحرص عليها ، بل يفر منها ويتباعد عنها ، ولو كان بالأمس مقبلا عليها آخذاً منها .

ولكن تشدد عمر على نفسه لم يتجاوزه إلى غيره ، فبينما نراه آخذاً نفسه وأسرته بكل شدة وقسوة ، فارضاً على بيته التقشف المثالى والزهد البالغ ، نراه يرفق بالرعية ويوسع لها

ويحمل إليها حقوقها فى أمانة وإحسان ؛ وإذا كنا نراه فى بعض الأحيان يراجع أو يحاسب ، أو يعاقب على إسراف ، أو يلوم على إفراط ، أو يدعو إلى اعتدال ، فلم يكن ذلك بخلا ولا شحاً ، ولم يكن إعناتاً أو إرهاقا ، ولكنها شرعة القصد التى دعا إليها الإسلام فى الغنى والفقر ، وأسلوب العدل الذى حبب فيه عند الرضى والغضب ، وطريقة الاقتصاد التى يكثر بها القليل ويدوم الكثير .

ومن الخير أن نفرق هنا بين الاقتصاد والبخل ، فالاقتصاد حكمة وتدبير وتوفير ، والبخل كزازة وشح وتقتير ؛ والاقتصاد عدل وإنصاف ، والبخل ظلم واعتساف ؛ والاقتصاد توسط وإعداد ، والبخل كنز وسوء اعتقاد ؛ ويظهر الاقتصاد بصورة أوضح إذا لم يكن فى مالك ، بل فى مال غيرك ؛ لأن مال الغير لا يثير رغبة فى حفظه ، فإذا حافظت عليه مع ذلك ظهر الدليل على الحكمة والإخلاص ؛ ويظهر معنى الاقتصاد أكثر وضوحا من ذى قبل ، ويختفى معنى الشح حينئذ ، إذا كان المرء فى ماله كريماً جواداً ، وفى مال الناس مقتصداً مدبراً ، وكذلك كان عمر رضى الله عنه . وثمة شىء آخر . . . لو كان هذا الاقتصاد ظاهراً فى شأن عمر وحياته منذ نشأته لكان لظن الظانين به السوء مجال ، ولأمكن أن يقال إن هذا بخل أو ازدواج شخصية ، ولكن عمر كان كريماً معطاء قبل الخلافة ، وكان كريماً معطاء بعد الخلافة ، بل كان كريماً معطاء طيلة حياته ، وإذا كان قد تشدد فإنما تشدد على نفسه وأهله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، وإذا كان قد حاسب على إسراف فذلك هو التأديب الواجب والحرص على مال الله ومال المسلمين ، وإذا كان قد دعا إلى تدبير أو اقتصاد فإنما هو حسن الرعاية ودقة الولاية ، وليس المسئول عن نفسه كالمسئول عن الأمة بأسرها ، وقديماً صور جده الفاروق عظم هذه التبعة حين قال : لو عثرت دابة على شط الفرات لخشيت أن أسأل عنها ، لم لم أمهد لها الطريق ؟ . . وحين اعتبر نفسه مسئولا عن الحبل يضيع فى الفلاة ! ! .

إذن لم يكن ابن عبد العزيز باخلا ولا شاحاً ، بل كان عادلا قاصدا ، والقصد هو استقامة الطريق — كما تقول العربية — ومنه الاقتصاد ، والاقتصاد المحمود ما كان بين طرفى الإفراط والتفريط : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

والاقتدار المعجب فى الشخص العظيم هو أن يجمع بين صفتين يراهما عامة الناس

كالضدين ، ولكنه يحسن الجمع بينهما ، فيكون فى الأولى حميداً ، وفى الأخرى مجيداً ، وكذلك كان ابن عبد العزيز فى كرمه واقتصاده .

* * *

لقد كان عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قبل توليه الخلافة مترفا معطاء ، لباسا معطارا ذا خيلاء ، ولكنه لما تولى أمر الناس التفت إلى الأمانة ونهض بالتبعة ، وانصرف عن الكثير من رغابه وطلابه ، وأمسك عن الكثير من إنفاقه وبذله ، وما كادت مقاليد الخلافة تلقى فى يديه حتى أمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها بيت المال .

وقال لزوجته بنت عبد الملك بن مروان — وكان عندها جواهر لم ير الناس مثلها ، أخذتها من أبويها — : اختارى ، إما أن تردى حليك إلى بيت المال ، وإما أن تأذنى لى فى فراقك ، فإنى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد . فقالت : بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى . وردت كل ذلك إلى بيت المال .

ورد عمر جميع الهدايا التى قدمها الناس إلى الخليفة من قبل ، ومزق الكتب التى سجلت فيها أشياء من هذا القبيل ، وبدأ فى ذلك بنفسه وأهله . قال ابن أبى سبرة : « لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغى أن لا أبدأ بأول من نفسى ، فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه ، حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب ؛ فخرج منه » .

ولما ذكروه بأولاده وما يحتاجون إليه قال : « أكلهم إلى الله » ، ورد جميع القطائع ، كما رد الطيب والدواب والحرس الذين كانوا مخصصين له ، وعمد إلى ما كان يجرى على أهل بيوت الخلفاء من أرزاق خاصة وعطايا جسيمة فقطعها كلها بلا استثناء . ولما جاءت عمته ترجوه أن يرد إليهم ما جاءهم عن طريق من سبقه أبى ، فقالت له : إنى رأيتهم يتكلمون ، وإنى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيباً - كأنها تهدده بثورتهم عليه - فقال واثقاً : « كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره » .

ووسطوا بعد ذلك ابنه عبد الملك قائلين له : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرمنا ما فى يده ؛ فأخبر عبد الملك أباه بذلك فقال : « قل لهم : إن أبى يقول لكم : إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » .

ولقد أقبل عمر خليفةً فوجد الإسراف ضارباً أطنابه ، ووجد المظاهر تستبد بالأمراء والسلاطين ، فيرهقون فيها أنفسهم ويرهقون الناس معهم ، ووجد العطايا للطالبين ، والهدايا للشعراء والمادحين ؛ ولا بد من يد ضابطة ؛ تعدل وتقتصد ، فكانت تلك اليد يد عمر بن عبد العزيز ...

* * *

إذن هذا رجل قد قسا على نفسه أشد القسوة ، وأخذ أسرته وأقاربه بالعزم والحزم ، ولم يخش فى نهجه لومة لائم ، ولم يبال أن يتعب نفسه ومن معه ومن بعده غاية التعب ، ما دام ذلك فى مرضاة الله .

فهل يكون ذلك الإصلاح والتشدد والصرامة مدعاة لكى يشتط أو يعنف أو يجحف ؟ هل يكون ذلك مدعاة لدخوله فى باب الكزازة والشح والبخل المضر بالناس المفضى إلى القبيح من الأمور ؟ أو هل يكون ذلك مدعاة إلى القول بأن عمر قد تغير فى سماحة نفسه وكرم عنصره ؟ ... أو هل يكون ذلك - على الأقل - مدعاة للقول بأنه صاحب « شخصية مزدوجة » ؟ ! ...

لا شىء من ذلك على الإطلاق فيما نرى ويرى كل منصف للحقيقة والتاريخ ؛ فعمر ابن عبد العزيز لا يزال الكريم الجواد ، ولا يزال الرفيق اللين ، ولا يزال سائراً على صراط العدالة والإنصاف . وإذا كان قد اشتد فى أمر نفسه وأمر أهله وذوى قرباه ، فذلك ليعطى القدوة للناس ، وليبعد الشبهة عن حماه ، وليحقق ما يريد من رضا الله وإيثار الآخرة ، وضرب المثل الصالح للحاكم الشفوق والإمام العادل .

لم يكن تدقيقه إبان الخلافة ناشئاً عن حرص طارىء بعد سماح وانبساط يد ، وكيف وهو الذى يعيب الحرص وينعاه على سواه ولو من ذوى قرباه ، فيروى مالك بن أنس أن

عمر بن عبد العزيز قال لسليمان بن عبد الملك : « صحبت آباءك فما رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوها أقدر ما كانوا عليها » .

وإذا كان عمر قد قسا على نفسه وصدها عما كان معتاداً لها قبل خلافته ، فقد استبان كرمه ورأفته بجماعة المسلمين ، إذ يحدث ضمرة عن الوليد بن راشد فيقول : « زاد عمر الناس فى أعطياتهم عشرة عشرة ، العربى والمولى سواء » .

فهذه الزيادة السمحة هنا على المسلمين عربهم ومواليهم ، مع ذلك التشديد البين هناك على نفسه وأهله ، مما ينادى بأن عمر لم يتغير فى سماحته وكرمه ، بل بقى على أريحيته وجوده ، وانضم إلى ذلك شعور عميق عنده بالتبعة التى ألقيت على عاتقه ، وإحساس قوى بتلك العقبة الكؤود التى لا يتخطاها المسلم إلى جنة ربه إلا بالصدق والإخلاص وحسن الجهاد : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

وها هو ذا عمر رضى الله عنه يمضى فى سنته الخيرة البارة ، فيواصل إعطاءه لمستحق الإعطاء من العاملين والفقهاء ، ونراه يكتب إلى واليه على حمص قائلا : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هذا ، وإن خير البر عاجله ، والسلام عليك » .

رضوان الله على ابن عبد العزيز ؛ لقد صدق ، فخير الخير عاجله ، ولا يقول هذا إلا أريحى نبيل ، ولا يهدى إلى مثل ذلك الصنيع إلا كريم مطبوع ...

ويكتب إلى والى حمص أيضاً يحرضه على مساعدة العلماء ومعاونة القارئين والمحدثين حتى يتفرغوا لقراءتهم وعلمهم ، وحتى لا تشغلهم مطالب حياتهم عن رسالتهم ، فيقول له : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث » .

ولعل ذلك الصنيع من أقدم السنن المشكورة فى التاريخ ، التى تعمل على تهيئة الجو الصالح لطلاب العلم والمعرفة ...

ولقد بعث عمر يزيد بن أبى مالك الدمشقى والحارث بن يمجد الأشعرى يفقهان الناس فى البدو ، وأجرى عليهما رزقا ، فقبل يزيد العطاء ورفضه الحارث ، فكتب عمر يقول : « إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد الأشعرى » !.

ومعنى هذا أن المال يعطى لمستحقه وعند الحاجة إليه ، فإذا أراد المرء أن يجعل عمله تطوعا لاقتداره على شئون حياته من جهة أخرى فبها ونعمت ، وكفى الله بيت مال المسلمين مئونة تذهب بلا غرض وطلب !؟

« يتبع »

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر

إمبراطور ألمانيا

لما زار بيت المقدس

كتب غليوم الثانى إمبراطور ألمانيا كتابا تاريخه ٩ نوفبر سنة ١٨٩٨ إلى قريبه نقولا الثانى قيصر روسيا ، يصف له فيه شعوره عند زيارته مدينة القدس فقال :

« لما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين ، وكنت أقول فى نفسى : لو لم يكن لى دين عند وصولى إلى القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الإسلامى » .

نصرة الله لأوليائه

وتوفيقه لهم

— ٢ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ؛ وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » رواه البخارى

* * *

علمت فيما تقدم من شرح هذا الحديث من هم أولياء الله ، وما هو أحب شىء يتقرب به العبد إلى مولاه ، حتى يكون سمعه وبصره ويده الخ . هذه العبارات القدسية العالية التى عرفت ما فيها من التأويل القائم على التمثيل .

والآن نفى لك بموعدتنا إياك أن نشرح لك سائر ما تضمنه هذا الحديث الكريم من فضل الله على عبده ، وعظيم إحسانه إلى وليه . فمن ذلك قوله تعالى فيه : « وإن سألنى لأعطينه » وأنت خبير بأن التعبير على هذه الطريقة التى لا ينص فيها على مسئول بعينه ، ولا على عطاء (معطى) بذاته إنما يأتى فى كلام العرب على أحد وجهين :

أما أولهما : فهو إرادة العموم على ما يقتضيه المقام فى المسئول والعطاء . وتأويله على ذلك : وإن سألنى شيئاً لأعطينه سؤله أو خيراً منه . وفى ذلك يقول العلماء : إن الإجابة تتنوع ، فتارة يقع المطلوب ناجزاً بعينه ، وتارة يتأخر لحكمة ، وتارة تقع الإجابة لكن بغير المطلوب ، حيث لا تكون فى المطلوب مصلحة ناجزة ، وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها . ولا عجب فى هذا التنويع الذى ذكروه ، فإنما هو من خيرة الله لعبده ، وحسن تدبيره لأمره ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى

أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » وقد صرح بتنويع الإجابة فيما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . فقال رجل من القوم : إذن نكثر ؟ قال : الله أكثر - أى إجابة - رواه الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم من رواية أبى سعيد وزاد فيه « أو يدخر له من الأجر مثلها » .

وأما الوجه الثانى : فهو أن يكون المراد على إثبات أصل الفعل بقطع النظر عما يتعدى إليه . ونظيره قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » أى من يحدث لهم العلم ومن لا يحدث لهم . وعليه يكون التأويل : وإن كان من عبدى سؤال ليكون منى إعطاء ، إشارة إلى أن مطلق سؤال العبد لمولاه عند الله بمكان ، وأن كون الإجابة من الوهاب الكريم لا تكون إلا على مقتضى هذا الإسناد العظيم . ولا عجب فى أن تنصرف العناية والاهتمام على هذا الوجه إلى السؤال فى ذاته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » ، وفى الحديث « الدعاء هو العبادة » . ولا عجب كذلك أن تنصرف العناية إلى الإعطاء فى ذاته اكتفاء بإسناده إلى المعطى ، فالعرب تقول : « خير من الخير معطيه » .

* * *

أما قوله تعالى فى هذا الحديث : « ولئن استعاذنى لأعيذنه » ومعناه : ولئن طلب منى عياذى ، ومنعى إياه مما يخاف ، فالوجه فيه هو الأول : وهو إرادة التعميم ، لكن على ما يقتضيه مقام الاستعاذة من التعيين لا التنويع ، إذ ليس سواء مقام الرغبة والاختيار ، ومقام الرهبة والاضطرار .

هذا - ولا قيد للإجابة فى السؤال والاستعاذة إلا من حال العبد نفسه . وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . ولهذا روى عن عمر رضى الله عنه أن الهمة إنما هى فى السؤال ، أما الإجابة فقد تكفل الله بها . فما ذهب إليه بعض العلماء من تقييد كل ما ورد من آيات الإجابة على الإطلاق بقيد المشيئة حملا للمطلق على المقيد الذى هو قوله تعالى : « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون

إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ، لا يصح ، لأن ذلك إنما يكون عند اتحاد جهة الخطاب ، والآية إنما هي خطاب للمشركين لا للمؤمنين فضلا عن أولياء الله المتقين ، وإن كان للإجابة والإعاذة مراتب بمقدار ما بين الفريقين من المراتب .

ويصف ذلك ابن القيم رحمه الله حين يتعرض لمراتب تجريد التوحيد فى تفسيره « للمعوذتين » قال : فإن كمل إيمانه أى العبد كان دفع الله عنه أتم دفع ، وإن مزج مزج له ، وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة كما قال بعض السلف : من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة ، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة . وحسبنا فى الرد على ما ذهب إليه بعض العلماء من إطلاق التقييد ما ورد فى الحديث من أن الله يستحى أن يرد يد عبده صفراً - أى خالية .

وكون التعميم فى الإعاذة على التعيين لا التنويع هو أشرف مقامات الامتنان بقوله تعالى : « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ويشير إليه ما ورد فى دعاء العباس رضى الله عنه الذى سقى به أهل الرمادة حتى طفق الناس يمسحون أركانه [نواحيه وجوانبه] ويقولون : هنيئاً لك ساقى الحرمين . اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة ، اللهم إليك جوع كل جائع ، وعرى كل عار ، وخوف كل خائف ، وضعف كل ضعيف .

* * *

وأما قوله تعالى فى هذا الحديث : « وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته » ومعناه : وما ترددت عن فعل شىء كترددى عن قبض نفس المؤمن — أى روحه — والمساءة كناية عن الموت أو الفتن والمحن التى لو مد فى أجله لأدركته . فهو من قبيل التمثيل أو المجاز فى الإسناد . وإليك أظهر ما قاله العلماء فيه :

قال الخطابى : التردد فى حق الله غير جائز ، والبداء عليه فى الأمور غير سائغ . لكن له تأويلان :

أحدهما : أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه ، أو فاقة تنزل به ، فيدعو الله فيشفيه منها ، ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد

من يريد أمراً ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه . ويشهد لتأويله هذا إذا تأملته قوله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب » ، وحديث : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه » ، على أن الأثر هو العمر . ويروى - فى عمره - بدل فى أثره .

والثانى : أن يكون معناه : ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترديدى إياهم فى نفس المؤمن أى قبضها . كما روى فى قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت ، وتردده إليه مرة بعد أخرى . وعلى تأويله هـذا يكون إسناد التردد الذى هو فعل الملائكة إلى الله تعالى إسناداً مجازياً لأنهم بأمره يترددون . . ولهذين التأويلين الشريفين عندى وجهان آخران :

أحدهما : تصوير تأخير قبض روح المؤمن كلما أدركته أسباب الفناء والاضمحلال إلى أن يصل فى عمل الصالحات إلى المنزلة التى يرضاها الله له بتردد المتردد بين الأمرين ، أو تصوير نظر الله تعالى إلى ما هو الأفضل لعبده من حيث حسن الختام من تعجيل الموت أو تأخيره ، وإنفاذه ما هو الأرجح له منهما ، بتردد المتردد بين الأمرين ليأخذ بأفضلهما .

وثانيهما : أن يكون المعنى على ترديد الرسل حتى يقع الموت من نفس الولى موقع الرضا حين يكشف عن بصره فيرى منزله من الجنة كما هو شأن المحتضر من المؤمنين . وبذلك قيل فى تفسير بشرى الأولياء فى الحياة الدنيا فى قوله تعالى : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، أو حين تبشره ملائكة الرحمة ببشائر منها دخول الجنة . وقد جاء فى تفسير قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » أن معناها « لا تخافوا » من الموت أو مما تقدمون عليه من أمر الآخرة أو من ذنوبكم « ولا تحزنوا » فالله يغفرها لكم أو « ولا تحزنوا » على ما خلفتم من أهل وولد ، فالله يخلفكم فى ذلك كله ؛ وحسبهم قول الملائكة لهم بعد ذلك فى مقام التعليل والتبيين : « نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

وهذا الوجه أولى من الاستشهاد بقصة موسى عليه السلام ، لأنها خاصة لا عامة لجميع المؤمنين ؟

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قال النبى ﷺ : « منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها[١] ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، عدتم من حيث بدأتم » ، والحديث من باب الإخبار بالغيب ، يعنى أن هؤلاء سيمنعون إخراج الزكاة والصدقات بدليل باقى الحديث « وعدتم من حيث بدأتم » ، أى تعودون ، فهو بمعنى الحديث « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ » .

إلا أن لذلك الحديث دلالة أخرى على ما ننشده ، فقد ذكر لكل بلد مقادير عرفها وما اصطلحت عليه لنفسها ، فهو إقرار منه ﷺ لكل بلد على « نقودها وأوزانها وأكيالها » إذ أن وزن دينار الشام لم يكن مساوياً لوزن دينار مصر وهكذا وإن اتفقت الأسماء .

وهنا التساؤل : — هل يكون هذا إقرارا من الشرع لعرف كل بلد فى تقدير أوزانهم وأكيالهم ونقودهم مطلقاً حتى فى حقوق الله المعينة ، كتقدير أنصبة الزكاة والنفقات والديات وزكاة الفطر ... ؟

الجواب : — ليس هذا إقراراً للعرف فى كل ما يتعلق به هذا التقدير ...

فإن النبى ﷺ قال فى معرض تقدير حقوق الله المعينة : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والميزان ميزان أهل مكة » ، يعنى ﷺ أن « مكيال أهل المدينة » هو المعتبر فى تقدير الحبوب والثمار فى نصاب الزكاة ومقادير النفقات الخ ، وأن « ميزان أهل مكة » هو المعتبر فى تقدير الذهب والفضة لهذه الصفقات الشرعية ...

ولذلك أجمع أهل العصر الأول فى الإسلام على أن الشريعة الإسلامية وإن أقرت عرف كل قوم استناداً إلى الحديث الأول « منعت العراق الخ » فى تقدير نقودهم وأوزانهم

---

(١) المدى بالياء مكيال شامى أكبر من الصاع الشرعى وهو الفرق غير المد الشرعى وسيأتى بيان الاثنين

وأكيالهم ، إلا أن هذا الإقرار مخصوص بما يتعلق بحقوق الناس فقط من مبايعات ومبادلات دون حقوق الله المعينة ...

بمعنى أنه إذا اصطلح جماعة فيما بينهم على ميزان أو مكيال مخصوص ، وصار معروفا لكل بائع ومشتر من غير غبن لأحدهما صح التعامل به شرعا فيما يتعلق بحقوق الناس كاصطلاح أهل مصر الآن على مقادير (إردبها وقدحها وقنطارها ورطلها ودرهمها ، والجرام والكيلو جرام والليتر) .

إذ تكفل ببيان هذه المقادير ، كتبها المدرسية للحساب والطبيعة والكيمياء ، كما تكفل ببيان مقاييسها الطولية والحجمية ، كتب الرياضة والهندسة ، فهى معلومة لهم مشهورة فيما بينهم ، ولذا كان التعامل بها شرعيا صحيحاً فى كل ما يتعلق بحقوق الناس من مبايعات ومبادلات .

أما حقوق الله المعينة (كأنصبة الزكاة ومقادير النفقات والديات وزكاة الفطر) فلا يكفى فى تقديرها عرف كل قوم من أكيال وأوزان ونقود إذ أنه قد ورد فى تقديرها مقدرات وزنية وكيلية ونقدية على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم (كالدرهم والدينار والمثقال والأوقية والرطل والمن والمد والصاع والفَرق ، بالفاء ، والعَرق ، بالعين ، والوسق والقفيز إلى غير ذلك) وقد ثبت أن هذه كانت أسماء أنواع بل أجناس تحتها أنواع مختلفة المقادير والقيم عند العرب فلا يرفع الغبن فيها على إطلاقها عرف كل بلد . . .

ولذا أجمع العلماء على أنه لا بد من الرجوع فى تقدير ، نقود وأوزان أنصبة الزكاة ، إلى عرف أهل مكة حين فتحها الإسلام ، وفى تقدير أكيال هذه الأنصبة إلى عرف أهل المدينة أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . والحكمة فى ذلك أن أهل مكة كانوا أهل تجارة فهم أدرى بالنقود والأوزان ، وأن أهل المدينة كانوا أهل زراعة فهم أدرى بالأكيال .

وإذ مضى على هذه الأوزان والنقود والأكيال عهود طوال مختلفة الحكومات والحضارة تغيرت فيها وحداتها حتى لحق بها الإبهام والشك لجملة أسباب :

« منها » عدم العناية بحفظ نماذج لهذه الأوزان والنقود والأكيال حتى يرجع إليها في الأجيال المقبلة كما تفعل الآن مصر وسائر الأمم المتحضرة .

و « منها » انزواء العلوم الآلية لإتقان صنع هذه المقدرات وفهم مدارك الأولين في كيفية إنشائها وتقاسيمها كالرياضة والطبيعة والكيمياء في بعض تلك العهود خصوصاً عند المسلمين لما داهمهم من حروب ودماء مع انتقال آثار هذه المقدرات من كنوز الشرق إلى متاحف الغرب .

و « منها » ورود أسماء هذه المقدرات على لسان الشرع مطلقة غير مقيدة بما يميزها إذ كانت العرب تطلق الألفاظ (درهم - مثقال - دينار - أوقية - مد - صاع - الخ) على أوزان ونقود وأكيال مختلفة المقدار والقيمة والاتساع اتكالا على ذكاء السامع أو المطلع كما كانت سجايا العرب حينئذ ، وأين سجايا المتأخرين من سجايا المتقدمين . . .

و « منها » استعمال بعض المؤلفين من المتأخرين كلمات (دانق — قيراط — حبة) في تقدير هذه الصفقات الشرعية على إطلاقها ظنا منهم أن مقدار كل منها موحد معين ، والحقيقة أنه مشترك بين مقادير مختلفة إذ أن مقدار الدانق المصري القديم أكبر من الدانق العبري الأكبر من دانق عبد الملك الأكبر من الدانق الروماني هكذا ، والكل كان مستعملا في التقدير عند العرب الأولين .

و «منها» استمرار الفقهاء والمؤلفين في تقديرها بوحدة الحب من مادة القمح أو الشعير أو العدس وهي لا تحفظ وزنا ولا حجما دون الرجوع إلى «وحدة الماء الصافي» فكثرت أقوالهم وتشعبت آراؤهم في مقاديرها .

ولذلك رأيت أن أرجع إلى أوزان ونقود وأكيال الأمم المجاورة للعرب كفارس ومصر والشام في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، وأن أتتبع ما حدثته كل خلافة أو حكومة بالذات أو بالاستنتاج بعد خلافة أبي بكر إلى آخر عهد الأمويين وأوائل العباسيين ، خصوصاً ما اتفق عليه الأئمة الأربعة واستقر العمل عليه إلى الآن ، مستعينا في جميع المراحل بروايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء وعلماء الآثار ومحفوظات المتاحف

مع العلم بأنه لم يثبت أن للعرب أى صنع أو إنشاء أو تغيير فى هذه الأوزان والنقود والأكيال إلا فى عهد المأمون .

وهذه جملة الأوزان والأكيال والنقود التى كانت مستعملة فى بلاد العرب زمن النبوة محولة إلى الجرام والليتر والرطل البغدادى المساوى (٤٠٨ جرام) .

أوزان ونقود استعملها أهل مكة وسائر العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين

الوزن بالجرام	أنواع وصفات إجمالية
٨٤ر٣٢٩	رطل رومانى (ليبرا) يساوى (١٢) أوقية أو (٧٢) مثقالا أو (١٠٠) درهم
٣٢ر٢٨	أوقية رومانية للوزن والنقد تساوى (٤٠ درهما يمنيا خراسانيا) .
١٦ر١٤	أقدم مثقال وأصله مصرى ونقد فضة واستعمله العرب باسم (نش)
٥ر٨	نقد ذهبي فارسى استعمله العرب باسم (دينار) ثم انزوى بعد فتح مكة .
٦٦٤ر٥	درهم نقد ووزن رومانى وفارسى استعمله العرب باسم درهم بغلى كبير .
٧٢ر٤	مثقال وزن نيرونى ثم صكه قسطنطين ذهبا فسماه العرب (دينارا) .
٥٣ر٤	صنجة وزن قسطنطينى استعمله العرب باسم مثقال ولم يصك نقدا أبدا .
٢٥ر٤	درهم وزن ونقد ثم صكه نيرون ذهبا فسمى (بالدينار العربى) .
٧٧٦ر٣	درهم فضة فارسى ورومانى استعمله العرب باسم درهم بغلى صغير .
٥٤ر٣	أقدم وحدة وزنا ونقدا وأصله مصرى قديم وكان العرب تسميه (نواة) .
١٨٦ر٣	درهم خوارزمى وزنا ونقدا وهو جزء من ١٢٨ من الرطل البغدادى .
١٧١ر٣	درهم وزن وهو واحد من (١٢٨ ٤/٧) من الرطل البغدادى ولم يصك نقدا .
١٤ر٣	درهم وزن نيرونى يسمى بالدرهم العربى (١/١٣٠ من الرطل البغدادى) .
٨٣٢ر٢	درهم نقد نيرونى باسم (ساليك) ٦/١٠ المثقال العربى اشتهر باسم (درهم عمر) .
٣٦ر٢	درهم وزن ونقد رومانى صكه هرقل ذهبا فسماه العرب هرقلا .
٨٨٨ر١	درهم نقد فضة رومانى وفارسى استعمله العرب باسم (الدرهم الطبرى) .
٧٠٨ر٠	أصله دانق وزن فرعونى وعبرى ورومانى ودرهم نقد يمنى خراسانى .

أكيال رومانية للحبوب استعملها العرب جاهلية وإسلاما ونسبة وزنها إلى حجمها ٧٩٪						
أسماء الأكيال		وزن الحب			حجم الحب	
بالعربي	بالروماني	بالرطل البغدادي	بالرطل المصري	بالكيلوجرام	بالليتر (بالديسيمتر المكعب)	بالقدح المصري
دن أوجريب	١٦ ويبة	٥١٢	٤٦٤،٦١	٢٠٨،٨٩٦	٢٦٤	١٢٨
وسق	إردب	٢٢٠	٢٩٠،٤	١٣٠،٤٦	١٦٥	٨٠
إردب (قفيز)	أربع ويبات	١٢٨	١١٦،٦	٥٢،٢٢٤	٦٦	٣٢
عَرَق	ربع إردب	٨٠	٧٢،٦	٣٢،٦٤	٤١ ١/٤	٢٠
قفيز	ضعف ويبة	٦٤	٥٨،٠٨	٢٦،١١٢	٣٣	١٦
صاع هاشمي	ويبة	٣٢	٢٩،٠٤	١٣،٠٥٦	١٦ ١/٢	٨
فَرَق (مد شامي)	هيكت (مد)	١٦	١٤،٥٢	٦،٥٢٨	٨،٢٥	٤
مكوك (صاع أموي)	مكوك	٨	٧،٢٦	٣،٢٦٤	٤،١٢٥	٢
قسط أموي	حاريس	٤	٣،٦٣	١،٦٣٢	٢،٠٦٢٥	١
مد أموي	قدح (مد)	٢	١،٨١٥	،٨١٥	١،٠٣١٢٥	١/٢

أكيال عبرية استعملها العرب خصوصا بالمدينة المنورة ونسبة وزنها إلى حجمها ٧٩٪						
أسماء الأكيال		وزن الحب بنسبة ٧٩٪			الحجم بالكيل المصري	
بالعربي	بالعبري	بالرطل البغدادي	بالرطل المصري	بالكيلوجرام	بالليتر (بالديسيمتر المكعب)	بالقدح المصري
صاع مدني	ضعف كيلة	٥ ١/٣	٤،٨٤	٢،١٧٥	٢،٧٥	١ ١/٣
قسط مدني	كيلجة (كيلة)	٢ ٢/٣	٢،٤٢	١،٠٨٨	١،٣٧٥	٢/٣
مد مدني	نصف كيلة (مد عبري)	١ ١/٣	١،٢١	،٥٤٤	،٦٨٧٥	١/٣

وسنبين ما اختير منها لتقدير الصفقات الشرعية فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم زمن خلفائه الراشدين وما طرأ عليه تصغير أو تكبير فى عهود أمير المؤمنين عمر والخليفتين معاوية وعبد الملك وما استقر عليه رأى الأئمة الأربعة واستمر إلى الآن . كل ذلك سنشرحه فى فرصة أخرى ، والله الموفق ؟

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بالأزهر

غـــــــزوة الخندق

مفاجأة الخندق ـ الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

فى هذه الغزوة [١] ظهر سلاحان جديدان من أسلحة الحرب ، كان لهما أثرهما فى هزيمة قريش وحلفائها ...

قابل الرسول ﷺ المهاجمين من قريش بسلاح لم يكونوا يعرفونه ولم يكونوا ينتظرونه ، ذلك هو الخندق الذى حفره حول المدينة ، فأسقط فى أيدى قريش من هول المفاجأة ، وخاب ظن عشرة آلاف رجل اجتمعوا من كل مكان يحدوهم أمل كبير فى القضاء على محمد ﷺ وعلى دينه .

وثمـــة سلاح آخر أصاب به الرسول مقتلا من قريش وحلفائها من اليهود ، لأنه استخدمه فى الوقت المناسب ، فكان هذا دليلا على البراعة الفائقة من قائد جيش الإسلام فى اختيار السلاح المناسب لمقتضى الحال . ذلك هو سلاح الدعاية .

فبهذا السلاح أنقذ الرسول المسلمين من خطر كان محققاً ، فمنع أمرا خطيراً لو تم لترتب عليه أسوأ النتائج للمسلمين ، فقد استطاع الرسول أن يوقع الفتنة بين قريش التى تواجهه ، والخندق يفصل بينها وبينه ، وبين اليهود الذين كانوا خلفه ، وكان بينه وبينهم عهد فنقضوه نصرة لقريش ، وكادوا يتأهبون لطعنه من الخلف .

سلاحان جديدان حقق كل منهما أثره القوى فى أعداء المسلمين ، وكان كل منهما آية من آيات حسن القيادة .

---

(١) فى أواخر شوال سنة خمس من الهجرة .

حــذر ويقظة :

آن للمسلمين بعد هذه الانتصارات المتتابعة التى أعقبت أحداً أن يركنوا إلى حياة الهدوء والطمأنينة ، إلا أن هناك أموراً لم تكن لتفوت على النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم تكن لتخفى عليه ، فقد قدر الموقف كما يفعل القادة العسكريون ، فانتهى إلى أن الأمر يقتضى كل الحذر واليقظة .

فهذه قريش وعلى رأسها أبو سفيان قد أصابها ما أصابها من ذل وهوان بعد انسحابها أمام المسلمين يوم الموعد (بدر الآخرة) ولم يكن تخاذلها عن القتال بسبب هزيمة عسكرية بل كان تفادياً للقتال فى عام جدب لا زرع فيه ولا ثمر ، فلابد إذن أن يكون اعتكافها إلى حين ، ولا بد أن يكون لغيابها حد ، ولا شك فى أنها تتربص وتتحفز بما ركز فى غريزتها العربية من حرص على الثأر !

وهذه اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير قد أجليت عن موطنها ، وشتت شملها وذهب عنها استقرارها وخيرها ، هل يكون ذهابها إلى غير رجعة ؟

ثم إن اليهود يعلمون مبلغ عداوة قريش للمسلمين ، ومقدار مناهضتها للدعوة المحمدية ، فإذا هم عرضوا على قريش مساعدتهم لنضال محمد فلابد أن هذا العرض واجــــد منها قبولا وترحيباً .

وهذه عرب غطفان وعرب هذيل وسائر قبائل الجزيرة العربية بعد أن أصابها ما أصابها لا بد متحينة الفرصة للقضاء على محمد .

فكر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فى تقديره للموقف ـ فى هذا كله ، فاتخذ حياله ما تقتضيه القيادة الحكيمة من حذر دائم ، وحيطة لا يلين لها عود ، فبث العيون والأرصاد فى أنحاء الجزيرة العربية يوافونه بأخبار العرب فى الوقت المناسب الذى يمكنه من الاستعداد لرد العدوان .

اليهود يؤلبون العرب :

ولقد كان الرسول الكريم فى اتخاذه سياسة الحذر على حق ، فقد كان يهود بنى النضير أول من أخرج فكرة تأليب العرب على النبى ﷺ إلى حيز التنفيذ ، فسار نفر من أكابرهم : من بينهم سلام بن مشكم ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وحيي بن أخطب ، وغيرهم ، حتى قدموا مكة على قريش ، فسأل أهلها حييا عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم فتسيروا معهم إلى محمد وأصحابه ، وسألوه عن بنى قريظة فقال : أقاموا بالمدينة مكراً بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم .

فقالت قريش لليهود : إنكم أهل الكتاب الاول وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ! وأنتم أولى بالحق منه ، فشجع هذا القول قريشا ، ونشطت لما دعتهم اليهود إليه ، وبذلك جمع أبو سفيان أربعة آلاف رجل وثلاثمائة فرس ، وألفا وخمسمائة بعير لهذا الغرض .

وطفقت اليهود تحرض قبائل العرب على محمد ، فأتت غطفان من قيس بن عيلان ، وجعلت لهم تمر خيبر سنة كاملة إن هم نصروها ، فجمعوا رجالا كثيرين وألف بعير على رأسهم عيينة بن حصن الفزارى ، وجمع بنو سليم سبعمائة مقاتل على رأسهم سفيان ابن عبد شمس .

وخرج كل من أشجع وبنى مرة فى أربعمائة رجل ، يقود أشجع مسعر بن رخيلة ، ويقود بنى مرة الحارث بن عوف ، وكذلك خرج بنو سعد وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد ، وانضم إليهم كثير من قبائل العرب . وعلى الجملة فقد بلغت هذه القوات فى مجموعها نحو عشرة آلاف مقاتل ، يتزعمهم أبو سفيان ، وبدأت زحفها نحو المدينة .

خطة المسلمين:

كانت أنباء الأعداء تتوالى على النبى ﷺ من أعوانه الذين بثهم فى أنحاء الجزيرة ، فلما

أيقن أنهم قد حشدوا له هذا الحشد الهائل، نظر فيمن حوله من المسلمين، فإذا هم ثلاثة آلاف، وتساءل: كيف يتسنى لهذا العدد الضئيل أن يقف أمام هذا الجيش العرمرم من المشركين؟ وكأنه تذكر غزوة أحد حيث كان المشركون ثلاثة آلاف وكان المسلمون ألفا وهزموا، والآن والمشركون عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف فالأمر واضح جلي.

وهكذا لم يكن بد من التحصن للدفاع عن المدينة، وكأنه تذكر قول عبد الله بن أبي (ابن سلول) في شأنها: —

« ... إن مدينتنا يا رسول الله عذراء، ما فضت علينا قط، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا ... »

وقد كان التحصن بالمدينة للدفاع حلا تقتضيه الظروف، وترضى به قوانين الحرب، وتحتمه القيادة الرشيدة.

فالقائد الذي يدخل المعركة مجازفا برجاله مؤمناً بقوة عدوه وتفوقه في العدد والعدة، لاشك مود برجاله إلى الهلاك المحقق، وعليه وحده تبعة ما فعل.

مفاجأة الخندق:

ولم يكن التحصن المعتاد بالمدينة كافياً للتغلب على هذه القوة الهائلة، لولا أن وفق الله سلمان الفارسي إلى رأي عظيم:

كان سلمان يعرف من أساليب الحرب في بلاده ما لا تعرفه العرب في بلادها، فأشار على النبي ﷺ بحفر خندق حول المدينة.

فقبل الرسول المشورة فورا، وأمر المسلمين بالشروع في الحفر، وأرسل إلى بني قريظة، وهم يهود بينهم وبينه عهد وميثاق، فاستعار منهم أدوات الحفر من مساحٍ (كواريك) وفؤوس ومكاتل (مقاطف).

الأخذ بالمشورة الصالحة:

وإن في قبول الرسول ﷺ مشورة سلمان لدليلا رائعا واضحا على حسن القيادة، يضاف إلى ما سبق أن أوردناه في هذه الناحية.

فالأخذ بالمشورة الصالحة واقتباس ما عند الأمم الأخرى من وسائل الدفاع والحرب من آيات حسن القيادة ، وقد عمل الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه فى حفر الخندق ، وحمل التراب على ظهره الشريف .

وهكذا دان نفسه بما يدين به أصغر رجاله . وفى هذا العظمة فى أعلى درجاتها . ولقد كان لهذه المشاركة الفعلية أثرها فى نفوس المسلمين ، فرفعت روحهم المعنوية ، وضاعفت من إنتاجهم ، حتى لقد تم حفر الخندق فى ستة أيام ؟

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

كلمة لنابليون

عن قيادة الشرق الإسلامى

كان كرسى القيادة فى الشرق الإسلامى شاغراً منذ عهد أطول مما يظن الكثيرون منا . وقد انتبه إلى هذه الحقيقة نابليون بونابرت ، وأراد أن يملأ بنفسه هذا الفراغ ، فعاقه عنه دينه وقوميته . ويؤثر عنه فى ذلك قوله :

« الشرق الإسلامى كله فى انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لى أن أحالف المماليك ، لكنت الآن سلطان المشرق » .

تشخيص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

فى المسرح ، وعلى شاشة السينما

موضوعات البحث :

تمهيد — مقام الأنبياء — توقير الأنبياء — التفريق بين الرسل كفر — تنقيص الأنبياء جرم خطير ! — عتب الله لأنبيائه — شذرات من قصص الأنبياء — ما هو التمثيل ؟ — هل يمكن تمثيل الأنبياء ؟ — تشخيص الأنبياء تنقيص لهم — سد الذرائع . مفاسد تمثيل الأنبياء : أمثلة — خلاصة البحث — للفن ميدان فسيح — فى قصص الأنبياء كفاية — النتيجة ؟

حضرة صاحب الفضيلة ، الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد - فهذا حكم الإسلام فى « تشخيص الأنبياء فى المسرح ، وعلى شاشة السينما » نرفعه إلى فضيلتكم ، مؤيداً بما فتح الله به من الدليل التفصيلى ، أو المبدأ الشرعى العام ، الذى يستند إليه الحكم . والله نسأل أن يهدينا سبيل الرشاد ، إنه سميع مجيب .

تمهيد :

لابد لمن يبحث حكم الإسلام فى تشخيص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أن يتبين - أول ما يتبين - مقام الأنبياء فى الإسلام ، وحقوقهم على بنى الإنسان ، وأن يتعرف ما هو « التشخيص » ؟ وهل يمكن أن يتفق مع ما للأنبياء من مكانة ومنزلة ؟ وهل من الخير للإنسانية أو من الشر عليها ، أن يمثل فى مسارحها أنبياء الله وقصصهم ؟ وما نوع هذا القصص ؟ وما مبلغ هذا الخير أو الشر ، وما آثاره ونتائجه ؟

لابد للباحث أن يبين هذا كله بياناً شافيا ، إذا أراد أن يكون حكم الإسلام فى هـذا « التشخيص » واضحاً جلياً ... وذلك هو الذى نعرضه هنا فى ثوب الحقيقة مجردة خالصة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مقام الأنبياء

اصطفى الله من بين عباده أناساً صنعهم على عينه ، وأدبهم بأدبه ، فطهرهم من كل رذيلة ، وكملهم بكل فضيلة ؛ ثم جعلهم سفراءه إلى خلقه ، وأمناءه على وحيه ، يؤدون أمانته ، ويبلغون رسالته ، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذنه « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

هؤلاء هم أنبياء الله ورسله ، مكانهم من الناس مكان الروح من الجسد ، والإنسان من العين ، وحاجة الناس إليهم أشد من حاجتهم إلى الماء ، والشمس والهواء ؛ لأن حياتهم بتلك الثلاثة عاجلة فانية ، وحياتهم بأنبياء الله ورسله دائمة باقية ، وشتان ما بين الحياتين .

تلك حقائق ثابتة ، أجمعت عليها الأديان الإلهية ، واتفقت عليها الشرائع السماوية ، واطمأنت إليها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، لا يرتاب فيها إلا مخبول فى عقله ، أو مرتد عن دينه ، أو ملحد جاحد ، لا يؤمن بإله ، ولا يكترث بدين ، ولا يعترف برسالة .

توقير الأنبياء

على أساس تلك الحقائق الناصعة ، كان توقير الأنبياء ركنا من أركان الإيمان ، ودعامة من دعائم الأديان ، ليس واجباً مفروضاً من قبيل توقير الآباء والمعلمين فحسب ؛ من تركه كان عاقا آثما ، ولكنه أصل من أصول العقيدة ، من تركه أو تهاون به فهو بنص الكتاب العزيز وإجماع العلماء سلفا وخلفا ـ خارج من الملة ، كافر بالله ورسالاته ، فإن الله سبحانه كما بعثهم إلى الخلق ليدعوهم إلى الإيمان والهدى ، أمر الخلق بأن يوقروهم ويعظموهم وينزهوهم عن كل نقيصة أو ما يؤدى إلى نقيصة ، وحذرهم الحذر كله أن يغضوا من قدرهم ، أو أن يتكلموا فيهم إلا بالإجلال والتعظيم ، والصلاة والتسليم ...

وهل يتصور أن يأمرنا الله باتباعهم ، دون أن نعتقد ما أوجب لهم من عصمة ومهابة ومكانة ؟!

وإذا كانت حرمة الرسول مستمدة من حرمة مرسله ، فلا ريب أن من عظّم أنبياء الله ورسله فقد عظّم الله عز وجل ، وأن من انتهك حرماتهم أو غض من قدرهم ، فقد انتهك حرمة الله عز وجل ، وطعن فى اختياره ، واستحق غضبه ومقته ولعنته فى الدنيا والآخرة !

التفريق بين الرسل كفر

والمؤمنون لا يفرقون بين الله ورسله ، ولا يفرقون بين رسول ورسول ، بل يؤمنون بهم جميعا ، من قص الله علينا نبأهم ومن لم يقص ، ويوقرونهم جميعا ، ويعتقدون اعتقاداً لا تشوبه شائبة شك أن انتقاص واحد منهم إيذاء لهم أجمعين ، وأن إعظام أحدهم إعظام لهم أجمعين .

بهذا أدبهم الله ، وبهذا نزلت عليهم آيات الله « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا » ، « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما » ، « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما » .

دلت هذه الآيات البينات على أن أنبياء الله كلهم إخوة ، بعثهم الله للناس مبشرين ومنذرين ، وشرع لهم من أصول الدين وقواعده ما وصاهم به جميعاً ... ثم أمر خاتم النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أن يهتدى بهديهم ، ويقتدى بهم ، فقال جل شأنه : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك » .

ولا يضر اختلاف مناهج العبادات وأشكالها ، ما دامت أصول دينهم واحدة ... وفى اختلاف هذه الفروع والمناهج يقول الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، ويقول النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه البخارى ومسلم : « أنا أولى الناس بعيسى

ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». والإخوة لعلات هم أولاد الاب الواحد من أمهات متفرقة. يريد صلوات الله عليه بهذا الحديث الموجز الجامع أن أصلهم الذى بعثوا به إلى الخلق واحد، لا يختلف باختلاف العصور والأزمان، وإن اختلفت فيه الوصلة المؤدية، والأوعية الواعية، وهى المناهج.

وإنما كان نبينا أولى الناس بالمسيح عليهما صلوات الله وسلامه؛ لأنه أتبع الناس لشريعته، وأوفق لما جاء به، ولأن عيسى أقرب رسول بشر بمحمد، ومهد لقواعد ملته، ليس بينهما نبى.

لا عجب بعد هذا البيان أن يكون الغض من قدر واحد منهم غضاً لقدرهم جميعاً، وأن يكون إيذاء واحد منهم إيذاء لهم جميعاً، وكفى بذلك سبباً لسلب الإيمان، وإحباط الأعمال، وللعنة والعذاب. «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»، «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون»، «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا».

تنقيص الأنبياء جرم خطير

على هذا التوقير الذى بينا، وعلى اعتقاد تنزيه الأنبياء من كل نقص خِلق أو خُلق، وعلى وصفهم بكل كمال إنسانى ـ جرى سلف الأمة وخلفها، وأجمع العلماء إجماعا لا خلاف فيه أن من عاب نبياً، أو ألحق به نقصاً، أو عرض به تعريضاً يحط من قدره، فهو كافر مرتد مستوجب لغضب الله ومقته ولعنته فى الدنيا والآخرة.

ومن هذا التعريض الذى يستوجب الكفر واللعنة نسبة نبى من الأنبياء إلى رعى الغنم على سبيل «النكتة»، أو فى معرض المزاح والسخرية، مع أن الأنبياء جميعاً رعوا الغنم، تمريناً إلهياً وتمهيداً لسياسة الأمم، وقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».

عتب الله لأنبيائه

ولا يغض من قدر الأنبياء عتب الله عليهم فى بعض تصرفات صدرت منهم، لم يروا

بها بأساً ، ولكن الله يؤاخذهم بها لحكم إلهية بالغة ، منها : إشعارهم بأن هذه التصرفات لا تجمل بمراتبهم العلية ، وإن لم يؤاخذ بها غيرهم ولو كان من خواص الناس ، ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . . ومنها : إعلامنا بأنهم بشر وإن بلغوا أعلى مراتب الإنسانية ، لا يعلمون الغيب ، وإلا لم يقعوا فى موجب هذا العتب .

ومن كان يظن أن إعراضه صلى الله عليه وسلم عن الأعمى الذى قطع حديثه وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام ، من كان يظن أن الإعراض أو العبوس فى هذه القصة يستوجب اللوم ، لولا أن الله أنزل فى ذلك قرآناً يتلى ؟ !

ومنها إشعارنا بأن هؤلاء المصطفين الأخيار لن يتعدوا مقام العبودية إلى مقام الألوهية « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » .

وهناك حكم وأسرار أخرى ليس هنا مكان تفصيلها .

شذرات من قصص الأنبياء

لا يتسع المقام هنا لعرض قصة واحدة من قصص الأنبياء كاملة ، فضلا عن قصص عدة . . وحسبنا هذه اللمحات السريعة مما ذكر الله فى كتابه ، لنتبين منها بعد أن نتعرف التشخيص ما هو ؟

هل يمكن تمثيل الأنبياء فى قصصهم الحق ؟

وإن أمكن فهل يتفق مع عظمة الأنبياء وجلالهم وما ينبغى لهم من قداسة ؟ !

ثم ماذا تكسب البشرية أو تخسر من هذا التمثيل على فرض إمكانه ؟

لقد قص الله تعالى من أنباء آدم أبى البشر عليه السلام : أكله هو وزوجه من الشجرة لما غرهما الشيطان « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ... » .

وقص علينا من أنباء نوح أبى البشر الثانى عليه السلام : صنع السفينة ، وسخرية قومه منه ،

ونداءه ربه « رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق ... » . ورد الله عليه « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ... » .

وقص علينا من أنباء يوسف الصديق عليه السلام : إلقاء إخوته إياه فى غيابة الجب ، ومراودة المرأة التى هو فى بيتها عن نفسه « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ... » . وأسف أبيه عليه ، وحزنه حتى ابيضت عيناه من الحزن ! !

وقص علينا من أنباء موسى الكليم عليه السلام : مناجاة الله له وهو فوق الجبل ، وإلقاءه ألواح التوراة ، وأخذه برأس هارون أخيه يجره إليه « قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى . إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى » ، وقص علينا إغاثته الإسرائيلى ووكزه المصرى وقضاءه عليه ، كما قص علينا خروجه من المدينة خائفا يترقب ، ومصاهرته للشيخ الكبير على أن يكون أجيرا [يرعى غنمه] ثمانى سنين أو عشرا ؛ كما قص علينا كثيراً من إيذاء فرعون وملئه له واستهزائهم به ...

وقص علينا من أنباء داود عليه السلام نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب « إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ... » ، وقد امتحن الله داود عليه السلام فى هذه القصة وعاتبه فيها لتركه الأفضل الذى يعاتب عليه مثله ؛ فإنه عليه السلام تعجل الحكم للمدعى قبل سؤال المدعى عليه ، ثم ندم على ذلك وإن لم يتجاوز الحق « فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » ، وقال بعض المفسرين : إنه عليه السلام ود أن يكون له من المال والخير ما لم يكن عنده ، فعاتبه الله لذلك ، لأن مثله — وقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب — لا ينبغى أن يتطلع إلى ما ليس عنده .

وللقصاصين فى هذه القصة مفتريات وأكاذيب لا تليق بعامة الناس فضلا عن خاصتهم ، فضلا عن عباد الله المصطفين الأخيار ... كما فى التفاسير لقصة يوسف تأويلات فاسدة بشأن مراودة المرأة له وامتناعه عنها .

هذه شذرات عاجلة من قصص الأنبياء سقناها لننظر كيف يكون تمثيلها بعد أن نعرف ما هو ...

التمثيل

التمثيل فى المسرح : تشخيص الأفراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التى يراد عرضها على النظارة تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل ، أو هو بعبارة موجزة ترجمة حية للقصة وأصحابها .

وقد تلتقط صورة للممثلين فى المسرح على شريط خاص يسمونه « الفلم » ليعرض على النظارة فى شاشة السينما .

هل يمكن تمثيل الأنبياء

لندع القصص المكذوب على أنبياء الله جانباً ، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذى قدمنا شذرات منه عاجلة ، ثم نتساءل :ـ

١ ـ كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة ؟ وما هى هذه الشجرة ؟ أهى شجرة الحنطة ؟ أم هى شجرة التين ؟ أم هى النخلة ؟ ... وعلى أى حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ؟ وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » ؟ أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن فى الرواية ركين ؟ ! سبحانك سبحانك ! نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن هذا الكفر المبين !!!

٢ ـ وكيف يمثل موسى وهو يناجى ربه ؟ وكيف يمثل وقد وكز المصرى فقتله ؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة ، ورماه فرعون بأنه مهين ، ولا يكاد يبين ؟ وكيف تمثل العقدة التى طلب من الله أن يحلها من لسانه ؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت ـ ولا بد أن تفلت ـ منهم فلتة مضحكة أو هازئة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجرّه إليه ؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطرى ؛ ليطابق هذا الخلق الصناعى وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها ؟ ! !

٣ ـ وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ؟ ! وما تفسير الهم فى لغة الفن ؟ !

٤ ـ وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة ، وبالكهانة والجنون

تارة أخرى ؟! بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم « وما من نبي إلا رعاها » ؟! بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يستح بعضهم أن يرمى القذر والنجس على خاتم النبيين وهو فى الصلاة والكفار يتضاحكون ؟!

سيقول السفهاء من النظارة ـ وما أكثرهم ـ مقالة المستهزئين الكافرين من قبل : « أهذا الذى بعث الله رسولا » ؟ وسيغضب فريق لأنبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء وينتقمون منهم وتقوم المعارك الدينية لا محالة « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

تشخيص الأنبياء تنقيص لهم

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه ، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم ، وزراية بهم ، وحط من مقامهم ، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذى اختارهم لرسالته ، واصطفاهم لدعوته ... لا ريب فى ذلك كله ولا جدال . .

وهذا كله فى القصص الحق الذى قصه الله علينا ورسوله ، وأما القصص الباطل وما أكثره ـ فهو زور على زور ، وكفر على كفر ، وهو البلاء والطامة !!!

وما نظن أن أحداً يستطيع أن يجادل فى هذه الحقائق الناصعة ... وأكبر علمنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم ؛ فإنهم أرهف حساً وأشد إدراكا لمقتضيات التمثيل وملابساته .

على أنا لو افترضنا محالا ، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة ـ فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم ، وتعريضهم للسخرية والمهانة . . فالنتيجة التى لا مناص منها ولا مفر : أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة !!

سد الذرائع

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة .

فقد أجمع العلماء أخذاً من كتاب الله وبيان رسوله على أن من أعمال الناس وأقوالهم

ما حرمه الله تعالى ؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة : كالغصب والقذف والقتل بغير حق ؛ وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه لأنه ذريعة إلى المفسدة ووسيلة إليها ، وإن لم يكن هو فى نفسه مشتملا على المفسدة ... ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بها دماً معصوماً ، فالمناولة فى نفسها عارية عن المفسدة ، ولكنها وسيلة إليها ؛ ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون ، فهو فى نفسه جائز ، ولكنه منع لجرّه إلى مفسدة ، وهى إطلاق ألسنة المشركين بسب الله تعالى . ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » .

ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، هو نفسه جائز ، فقد فضل الله بعضهم على بعض « ورفع بعضهم درجات » ، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية .. وقد تخاصم مسلم ويهودى فى العهد النبوى ، ولطم المسلم وجه اليهودى ؛ لأنه أقسم بالذى اصطفى موسى على العالمين ، وأقسم المسلم بالذى اصطفى محمداً على العالمين . فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين غضب حتى عرف الغضب فى وجهه ، وقال : لا تخيّرونى على موسى . . ثم أثنى عليه بما هو أهله ، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى سداً لذريعة الفتن ، وحرصاً على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم ...

وإذا كانت الدول تشدد فى سد الذرائع وترى ذلك ركناً من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية ؛ فإنه فى العقائد أخلق ، وفى مقام النبوة أوجب وأحق .

مفاسد تمثيل الأنبياء

ومفاسد تمثيل الأنبياء كثيرة ، نكتفى منها بهذه الأمثلة : —

١ — تشكيك المؤمنين فى عقائدهم وتبديد ما وقر فى نفوسهم من تمجيد هذه المثل العليا ؛ إذ أنهم قبل رؤية هذه المشاهد يؤمنون حقاً بعظمة الأنبياء ورسالتهم ، ويتمثلونهم حقاً فى أكمل مراتب الإنسانية وأرفع ذراها - إذا هم بعد العرض قد هانت فى نفوسهم تلك الشخصيات الكريمة ، وهبطت من أعلى درجاتها إلى منازل العامة والأخلاط ، قد تقمصهم الممثلون فى صور وأشكال مصطنعة ، مما يتقلص معه ظل الدين والأخلاق !! .

٢ — إثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وممثليها من أهل الفن والمسرح تارة ، ومن النظارة تارة أخرى ؛ وها نحن أولاء نرى صفحات للفن والمسرح ومجادلات فى التعليق والنقد ، وأنبياء الله ورسله مثل كلام الله عز وجل ، فوق النقد والتعليق .

٣ — التهاب المشاعر ، وتحزب الطوائف ، ونشوب الخصام والقتال بين أهل الأديان ، كما وقع بين المسلم واليهودى فى العصر النبوى ، وما أحوجنا إلى الأمن والاستقرار وإطفاء الفتن وتسكينها ، لا إثارتها وإشعالها !.

٤ — الكذب على الله ورسله ؛ لأن التمثيل أو التخييل ليسا إلا ترجمة للأحوال والأقوال والحركات والسكنات ، ومهما يكن فيهما من دقة وإتقان فلا مناص من زيادة أو نقصان ، وذلك يجر طوعاً أو كرهاً إلى الكذب والضلال . والكذب على الأنبياء كذب على الله تعالى ، وهو كفر وبهتان مبين ! والعياذ بالله !

هذه أمثلة يسيرة من مفاسد تمثيل الأنبياء . . فماذا تفيد الإنسانية من هذا التمثيل إلا الضلال والنكال ؟ !!

وإذا كان الله جلت قدرته قد أعجز الشياطين عن أن يتشبهوا بالأنبياء توقيراً وإعظاما لهم عليهم الصلاة والسلام ، كما يدل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ؛ فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى » وسبق أن قلنا : إن الأنبياء إخوة يمس كل واحد منهم ما يمس أخاه ـ نقول : إذا كان الله سبحانه قد حال بين الشياطين وبين التمثل بالأنبياء ، مع أنه أعطاهم القدرة على التشكل كما يهوون ، فكيف يستبيح الإنسان لنفسه أن يكون أخبث من الشيطان بتمثيل الأنبياء .

ثم ماذا يكون الشأن إذا اجترأ إنسان على التمثل بالنبى محمد أو غيره واهتاج الناس وأثار ذلك شعورهم استياء من الجرأة على قداسة النبوة وخاصة فى نفوس النظارة المتدينين ؟ .

إن حقاً محتوماً علينا أن نجل الأنبياء ، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص ، احتراما وإجلالا للأنبياء أنفسهم ؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء ، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل ، وهذا بعض حقهم على الإنسانية ، جزاء ما صنعوا لها من جميل وأدوا إليها من إحسان .

خلاصة البحث

وجملة القول أن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخِلقية والخُلقية ، وأن تمثيلهم تنقيص لهم أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة ، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التى من شعبها إثارة العصبيات والفتن التى لا يعلم مداها إلا الله تعالى .

للفن ميدان فسيح

وإن فى الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق ، لميداناً فسيحاً للفن والتمثيل ، فليتجه إليها الفن ماشاء له الاتجاه ، وليبتكر ماشاء له الابتكار ، وليدع أنبياء الله ورسله محفوفين ـ كما حفهم الله تعالى ـ بالجلال والوقار ، وليعمل على أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، فطوبى لمن كان كذلك ، والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته لأنبيائه !!

فى قصص الأنبياء كفاية

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » وإن العبرة لا تزال ماثلة فى مواطنها واضحة فى معالمها ، ينتفع بها فى القرآن الكريم ، وصادق الأخبار ، ولو شئنا لأطلنا ، ولكنّ فى هذا بلاغاً .

النتيجة

من أجل ما قدمنا نقرر فى ثبات واطمئنان أنه لا ينبغى ولا يحل بحال أن يشخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى المسرح ولا على شاشة السينما . . . والله نسأل أن يجمع قلوبنا على محبته وتوقير أنبيائه ورسله ، وأن يهدينا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

١٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ الموافق ٣ من فبراير سنة ١٩٥٥

عبد اللطيف السبكى
مدير التفتيش
وعضو جماعة كبار العلماء

طه محمد الساكت — حافظ محمد الليثى — عبد الكريم جاويش
من مفتشى العلوم الدينية والعربية

تعليقات

- ١ -

المسرح الاسلامى

وأخيراً أتيح لنخبة من ذوى النفوس الآبية أن يجهروا بالدعوة إلى إنشاء مسرح إسلامى فى مصر ، يتخذون منه وسيلة جدية لإحياء القومية المصرية التى تلاطمت حولها الموجات التقليدية ، ورانت عليها ألوان زائفة من مساخر الغربيين، وصنائع السياسة الاستعمارية .

ولا شك أن هذا الشعور كان حبيسا فى نفوس الجمهرة من المثقفين ، وأنهم ظلوا - بين التيارات المتناقضة - مغلوبين على أمرهم فى مقاومة المؤثرات الجارحة للكرامة المصرية ، حتى تغلغل الفساد ، وأفرخت الرذيلة ، وكان من تأوهات المصلحين أن دعوة الإصلاح بطيئة الإنتاج ، بينما نجد الغواية تشق طريقها إلى كل فرد ، ونرى الناس يتهافتون على التحلل من كل ما قد يعوقهم عن الغايات الدنيئة ، ولا يمكنك أن تحصر هذا الفساد فى ناحية دون ناحية ، فهو وباء اجتماعى يشعر به الصالح والطالح ، ويراه الأشرار ولا يحاولون التنصل منه ، ويراه الخيرون وقليل ما هم .

ولكنهم كانوا مهما أبلوا فى علاجه ، ونشطوا فى التحذير منه ، مغلوبين على أى حال إزاء المغريات المتنوعة التى تتكاثر ولا تنقص ، والتى لم يكن يقف فى وجهها سلطان الحكم ، ولا تكفها غيرة من القادرين على صدها . وذلك أمر لا يحتاج إلى إسهاب .

وبعد أن تحرق الناس دهراً طويلا فى التألم لما وصلنا إليه شيبا وشبانا ، ورسميين وغير رسميين ، أذن الله بفجر الثورة أن ينبثق ضوؤه ، وللشعور المكبوت أن ينجلى فيما نراه الآن من تعاقب الإصلاحات ، ومن التكاتف فى دعم الأخلاق ، والانتقال بالأمة من حضيضها إلى مستواها الجدير بها كأمة شرقية ومصرية ، وكأمة مسلمة لها دين تعتز به ، وتاريخ تفاخر به ، وقومية يجب أن تصونها .

نقول هذا ، ونحن مستبشرون بفكرة المسرح الإسلامى ، الذى سيطرح التقليد فى تمثيل الروايات الهازلة ، ويدع الاشتغال بما يضر أكثر مما ينفع ، وسيعتاض عن أفلام كانت كالسم فى العسل ، بأفلام إسلامية يستمدها من تاريخنا الصحيح ، ويستق مفاخرها من أمجاد الإسلام وشريعة الإسلام .

ومن البداهة أن هذا الاتجاه ، من أجدى الوسائل فى إصلاح الخلق ، وبناء الشخصية ، وتحصين الشباب الجديد مما انتاب الشباب فى السنين الأخيرة .

وليس من الفهم أن يرانا الناس مبالغين فى هذا التفاؤل ، فإن القرائن عليه قوية الصدق ، وليس من الفهم كذلك أن يكون الأمل فى نتائجه هينا ، فإن تشريع الله وأدب الإسلام وتوجيهات القرآن إلى أساليب الإصلاح الاجتماعى ، وإقامة نظم الدنيا على أسس مأمونة من الذبذبة ، خير ما يأخذ به الناس فى إعداد أنفسهم لحياة خالدة ، ومدنية سابغة .

وما ظنك بنظام وضعه للدنيا خالق الدنيا ، ووجه الناس إليه رب الناس ؟ .

بل إن الأمل ليخالجنا منذ اليوم فى اتجاه الفكرة الأدبية الجماعية فى كل ناحية من نواحى الثقافة إلى مثل ما اتجهت إليه فى إنشاء المسرح الإسلامى بمعناه الصحيح ، فلا يغلو فى منهاجه إلى تناول المحظورات التى لا يسمح الدين بإبرازها على المسرح ، والتى يكون فى إبرازها تهوين واستهانة بحدود وضعها الإسلام بين الحرام والحلال ، والتى يكون فى تمثيلها مساس بقداسة أحكام دينية ، أو شخصية من الشخصيات الكريمة على الله .

وأعتقد أن أولئك الغيورين الذين نشطوا إلى هذا العمل الكريم سيكونون أشد غيرة وأكثر رعاية لما يليق وما لا يليق ، حتى لا نظل فى شكاية من الأفلام قديمها وحديثها ؟

— ٢ —

الجرأة فى تفسير القرآن

تلقت مجلة الأزهر كتابا من أحد قراء جريدة الجمهورية (عدد ٤ / ١ / ١٩٥٥) ذكر فيه أن بعض الشخصيات المثقفة ثقافة مدنية كتب فى العدد المذكور عن قصة آدم

فى القرآن تحت عنوان : (خواطر عابر سبيل) وأن ذلك المثقف شطح فى خواطره العابرة شطحة ليست موفقة ، إذ تكلف فى تفسير الشجرة التى أمر الله آدم وحواء ألا يأكلا منها ، واعتبرها رمزاً للعلاقة الجنسية ، وأن وسوسة الشيطان امتحنتهما عند ما بلغا سن المراهقة ، وخرجا من سن الطفولة الساذجة ، ومعنى ذلك فيما فهمه عابر السبيل أن آدم وقع بحواء فى الجنة ولم تكن حلالا له ، فكانت جريمتهما سبباً فى عقوبتهما ، وهذا التصور وحده شاهد على صاحبه بأنه عبر سبيله على غير هدى ، فجاءت خواطره نابية كل النبو عن صواب الفهم ، وجاءت دليلا ماديا على أن أناسا منا يقحمون أنفسهم فى تفسير القرآن ، كما يتناولون رواية غرامية ، أو قصة خيالية ، فيقولون فيها ما يطيب لهم دون تحرج ولا مبالاة ولا خشية من الله ، مع أن أحداً منا لو فسر مادة من مواد القانون الوضعى — وهو ليس من أهله — لرموه بالحمق والتطاول ، ولو كان فهمه صحيحاً . فما بالهم يستبيحون القرآن ، ويدخلون عليه بعقليات لم تتأهب فى ثقافتها لفهمه على أى وجه من وجوه الفهم الصحيح ؟ ؟

وما الذى حبب إلى عابر السبيل أن يتكلف فى تأويل الشجرة بالعلاقة الجنسية ، وأى اتصال بين الشجرة والأكل منها وبين المعنى الجنسى ، سواء أكان ذلك من طريق الحقيقة أم المجاز ؟ ؟ ! !

ولم تدافعت الخواطر فى مخيلة عابر السبيل حول مسألة آدم وحواء من طريق الخيال الروائى ، واستباح لنفسه أن يخرج بآيات الله عن كل فهم تحدث به أهل الذكر قديما وحديثا ؟ ! ! ولم يعرف إلا عن بعض المستشرقين ! !

إن كان ذلك الكلام جداً فهو عين الخطأ الفاحش ، وإن كان هزلا وفكاهة فليس فى مثل هذا الشأن يكون الهزل والفكاهة .

وإذا كانت جريدة الجمهورية ترضى أن تفسح صدرها لكل نغمة مسمومة ، ولكل نزعة متطرفة ، فلا ينبغى أن يتهافت الكتاب فى هذه الورطات .

وعلى حضرة عابر السبيل أن يصحح فكرته ، لئلا تنثلم عقيدته وهو لا يدرى .

وليفهم الناس جميعاً أن تفسير القرآن لم يكن مستباحا عند كبار الصحابة ، وهم أعرف

بلغته وأدرى بأساليبها ، وإنما كانوا يرجع بعضهم إلى بعض ممن عرف بالإلمام ، وقوة الإدراك ، وسلامة الذوق . ومع هذه المميزات فقد كانوا يتحفظون فيما يقولون ، وهـذا أبو بكر رضى الله عنه يقول : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله برأى ؟ أفبعد هذا من قدوة لنا فى توقير القرآن عن تفسيره بالخواطر لعابر السبيل أوغيره ؟ ولسنا بذلك نقول : إن فهم القرآن كله يستعصى على جميع العقول !! لالا ، وإنما هو ميسور فى مواضع لمن يدركون المعانى الأولية ، وليس ميسوراً فى مواضع إلا لمن مارس الثقافة الدينية ، وليس منهم عابر السبيل ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم .

— ٣ —

الاباحيون من كتاب اليوم

عهدنا فى أهل الحياء أنهم لا يتعرضون لما ليسوا من أهله ، وما رأينا ذا كرامة يقحم نفسه فى حديث يخشى أن يخطىء فيه ، ولكن الإباحيين من كتاب اليوم ، كلما ضاقت بهم سبيل الكتابة ، وفرغت جعبتهم من محصول يكتبون فيه ، تناولوا الكلام عن الدين ، وفرضوا علينا أنهم يفهمون فيه ، ودعونا إلى تصديق مايهرفون به ، وإذا واجهتهم بنقد ، أو وجهتهم إلى صواب ، تطاولوا واستأثروا بالدعوة ، وزعموا أنهم أسبق من سواهم إلى إدراك ماوردت به الكتب السماوية ، ولهجت به الرسالات . ثم هم بعد ذلك لا يأخذون من الدين بطرف ، ولا يعملون شيئاً إلا أن يكون مجونا أو زندقة أو إفساداً للعقائد ، أو تهوينا من قداسة الشريعة . فهم داعون إلى ذلك فى جد ومثابرة ، وهم زاعمون فى تبجح أن هذا هو مفهوم الدين . ولو أن سلطان الحكم يلدغهم مرة ، ويصدهم عن هذه النزعات واللهجات ، لصرفوا أنفسهم إلى ناحية أخرى ، يكتبون فيها ليتكسبوا ما يرضيهم من التكسب ، ولكن التسامح الذى تعودوه قديما من أولى الأمر أغراهم بالدأب على هذا الباطل الماحق للحياء وللخلق ، والناقض لأهداف الثورة فيما ترمى إليه من إصلاح ما أفسدت الأيام الخالية .

نقول هذا وبين يدينا كلمات لكتاب لا يربأون بأنفسهم عن مساقط الغواية ، ولن يربأوا عن الدعوة إليها إلا أن تشعرهم سياسة العهد الحاضر بأنهم يهدمون ماتبنى هى ، وأنها

لا ترضى عن سياسة الهدم ، وإن قام بها أناس متقربون أو متظاهرون بالتقرب ، ليعيشوا فى ظلها ، وهم عابثون بمقاصدها ، فهذا كاتب ينشر فى مجلة الرسالة الجديدة (أوائل يناير سنة ١٩٥٥) « ... إن الدين ليس مراسيم ولا طقوسا ، ولا تعاليم ، وإنما هو نسمة تطوف بالقلب فتملأه نورا ... ثم يقول : افعل كل منكر مادام لايضرك ولايضر غيرك ، فاسرق إذا كانت السرقه تسعدك ولا تضر غيرك ، واشرب الخمر إذا كنت لا تتأذى بها ولا تؤذى غيرك ، افعل كل شىء تستسيغه نفسك ولا يضر غيرك ... الخ .

هكذا يقول كاتب منهم يفهم أن هناك منكرا لايضر صاحبه أولا يضر غيره ، ويدعو إلى استباحة السرقه الخ .

فهل بعد هذا الإفساد من إفساد ، وهل هذه نغمة نسمعها فى عهد القضاء على الفساد ؟؟

— ٤ —

عنوان عريض !!

(هيئة كبار العلماء تشترك فى إخراج مسرحية)

هـذا عنوان عريض فى مجـلة أسبوعية تقوم عليها امرأة ويساعدها رجال ، وتحت هـذا العنوان الوقح من عدد المجلة الصادر فى ١٠ يناير سـنة ١٩٥٥ كتب كاتب الموضوع أو كاتبته بالنص (... وبدأ فريق التمثيل الأزهرى فى الاستعداد لتقديم إحدى الروايات الفـكاهية ، وسوف يشترك فى إخراجها بعض مشايخ الأزهر من هيئة كبار العلماء ... الخ)

وهذا خبر لا يعدو أن يكون سخفا بلغ من السماجة مبلغ كاتبه أو كاتبته ، ومبلغ الذين يعجبهم أن ينشر هذا التهريج ، ويقحم فيه الأزهر بطلابه وكبار علمائه ، ومن المفروغ منه أن كلاما كهذا لا يدخل على النـاس ، ولا يقع موقع الصدق عند أحد من ذوى العقول . وليس يؤلمنا من جديد أن تسف تلك المجلة أو شبهها هـذا الإسفاف ، وإنمـا الذى نلفت النظر إليه أن الناس يتخذون من جرأة المجلة أمارة على هوان الأزهر عند مجلة تتجر بالأخبار

المخزية ، ويتخذون من سكوت أولى الأمر عن صد هذه المجلة وما إليها أمارة أخرى على إباحة الغمز فى الأزهر ، ولو أن الأمر كان ذا بال عندنا لدفعنا بالمجلة وصاحبتها وأصحابها إلى القضاء ، ولكن المجلة والعاملين بها دون ذلك الاهتمام . وكأنهم يستفزون أحداً من الأزهريين إلى مقاضاتهم ليجدوا لأنفسهم موقفاً على حساب الأزهر .

فلتذهب المجلة ودعاتها مذهب الفحش فيما تقول ، ولعل ولاة الأمر بما لهم من رقابة على النشر يرجعون إلى رقيبهم لينبهوه إلى أن هذا يعتبر عورة من عورات الرقابة .

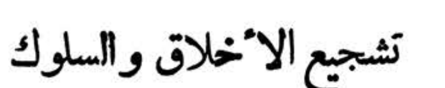
ولعل ولاة الأمر يعجبون معنا إذا وجدوا أن هذه التعليقات كلها صدرت فى صحف ومجلات النصف الأول من شهر يناير سنة ١٩٥٥ .

فهل وراء ذلك هجوم صحفى يراد به مقاومة الدين فى معقله ، وفى نفوس المتدينين ، وصد الأمة عن أدبها الدينى ؟

وماذا بعد هدم الدين ، أو زعزعة الشعور الدينى غير الشيوعية ؟!! .

ياتجار الصحف الهزيلة ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



تشجيع الأخلاق والسلوك

أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كأساً تمنح لأحسن الجامعات فى ناحية الخلق والسلوك خلال الأسبوع الرياضى للجامعات .

وهى لفتة إسلامية تفتح مجال التبارى فى حسن السلوك بين الفرق الجامعية فى ميادين الرياضة .

الكتب

المسند ـ للامام أحمد بن حنبل

الجزء ١٣ (بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد شاكر) ـ ٣٥٨ ص ـ دار المعارف بمصر

كان من حق هذه الطبعة من مسند الإمام أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١) أن ننوه بها ونشيد بمكانتها منذ أخذنا قبل أكثر من سنتين نعنى فى هذا الباب بالكتب الإسلامية والعربية ، ولكن فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر كان قد أصدر أجزاء كثيرة من الكتاب . ثم بدا لنا الآن وقد صدر الجزء الثالث عشر منه أن السكوت عنه تقصير ، لأن مسند الإمام أحمد أقدم دواوين السنة الكبرى بعد الموطأ ، وهو مورد الشريعة لأئمة الإسلام منذ أكثر من ألف سنة ، لاستقصائه مسانيد الصحابة واحداً واحداً ، فهو مجموعة كتب كثيرة ، كل كتاب منها جمع ما وصل إلى الإمام أحمد بالرواية عن شيوخه من أحاديث أى صحابى أدى إلى هذه الأمة أمانة الإسلام بتبليغ ما حفظ عن الهادى الأعظم ﷺ من أحاديث رسالته العظمى فى العقيدة والتشريع ، وآداب الفرد والأسرة والمجتمع ، وفى سائر أهداف أكمل رسالات الله وأعظمها ، مرقما الأحاديث لتسهيل المراجعة والإحالة وتنظيم الفهارس .

وليس المهم فى هذه الطبعة أنها ملأت الفراغ فى المكتبة الإسلامية بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولى من المسند وأصبحت عزيزة على طلابها ، بل أهم من ذلك هذا المجهود الضخم الفخم الذى بذله الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق سند كل حديث فى المسند وبيان مكان رواته ، والتنبيه على ما قد يكون فيه من ضعف لأنه موقوف على تابعى ، والدلالة على مرويات الحديث فى الكتب الأخرى وتعيين مواضعه فيها ، فضلا عن الإشارة إلى تكرره فى المسند نفسه . وإذا كان فى الحديث غريب أو ما يحتاج إلى تفسير علق عليه بما يغنى القارىء عن مراجعة كتاب آخر.

وهذا الجزء الثالث عشر من المسند تضمن بعض أحاديث حافظ السنة من الصحابة أبى هريرة رضى الله عنه ، وفى آخره ـ كسائر الأجزاء السابقة ـ فهرس لأحاديث الجزء مرتبة على الأبواب : من أبواب الإيمان ، والعلم ، والدعاء ، إلى أبواب الفقه ، فأبواب الأدب والخلق والاجتماع ، والجهاد والغزوات ، والخلافة والإمارة والقضاء ، والسيرة ، والمناقب

والفتن والأشراط ، والقيامة وغير ذلك . وقبل هذا الفهرس استدراك وتعقيب ينبه فيه على ما كان ينبغي ذكره في الأجزاء السابقة وفاته ذلك فاستدركه . وفي الآخر فهرس لما في التعليقات على الجزء من تحقيق وتعليل . وبالإجمال فإن العلامة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر استوفى في هذه الطبعة من المسند جميع أسباب الكمال المقدور عليها لعالم وقف حياته على خدمة السنة المشرفة ، فكان ذلك مفخرة لهذا العصر الذي نسي فيه المسلمون أسباب مفاخرهم ، ومقومات كيانهم ، ولو أنهم استيقظوا لهما لكانوا ملح الأرض وزينة الدنيا .

حقائق عن قضية فلسطين

لسماحة السيد محمد أمين الحسيني — ٢٠٦ ص — المطبعة السلفية

قضية فلسطين هي وصمة الحضارة في القرن العشرين ، ومعرة السياسة العالمية التي ينبغي لقادة الأمم في أوربا وأمريكا أن يواروا وجوههم خجلا من وقوعها على أيديهم ، ثم هي فضيحة الفضائح للدور الفاجر الذي تمثله اليهودية الدولية من وراء ستار في توجيه الدول العظمى توجيها غير إنساني لتحقيق غايات ما كان ليرضى بتحقيقها أي رجل مهذب مسئول لو أنه رجع إلى عقله وإلى ضميره وإلى موازين الحق التي علمها لأجل أن يعمل بها .

هذه القضية الخطيرة - التي هي أبرز قضايا التاريخ في هذا العصر - صدرت عنها كتب كثيرة بلغات لا تحصى ، ولعل أجدر الناس ببيانها والتحدث عنها السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، فإنه شاهد عيان لأدوار هذه القضية منذ كانت محجبة في ضمير الغيب قبيل الحرب العالمية الأولى إلى أن صدر وعد بلفور لليهود وفرض اليهود على ساسة الدنيا أن يوقعوا على صك الانتداب البريطاني على فلسطين وما تلا ذلك من أدوار متتالية حتى قيام دولة اللصوص في تل أبيب وشطر من بيت المقدس وما بينهما . هذا الرجل هو العربي الوحيد الذي يستطيع أن يقول أصدق مما يقول غيره عن هذه القضية ، وتحت يده من مراجعها ومستنداتها ما لم يجتمع لعربي غيره ، وهو نفسه مكتبة متحركة حافلة بكل ما يتعلق بفلسطين من وجهة النظر العربية والإسلامية .

وكتاب (حقائق عن قضية فلسطين) هذا أجوبة من السيد محمد أمين الحسيني على أحد عشر سؤالا وجهت إليه حول هذه القضية : الأول هل فرط الفلسطينيون في الدفاع عن وطنهم ؟ الثاني عن كارثة فلسطين وهل هي وليدة خلافات عائلية ، أم نتيجة مؤامرة

يهودية استعمارية ؟ والثالث هل تفاقمت قضية فلسطين بسبب موقف سلبي للفلسطينيين ، أم تفاقمت بسبب إيجابية سمحة اعتنقها بعضهم فزادت اليهود عتواً وصلفاً ؟ والرابع عن سبب خروج اللاجئين من أراضيهم وكيف تحولت فلسطين العربية إلى دولة يهودية ؟ والخامس هل الخلاف مع الملك عبد الله كان خلافاً شخصياً أم خلافاً على المبادىء والوسائل ؟ والسادس على من تقع مسئولية ابتعاد الزعامة الفلسطينية عن فلسطين ووجود الهيئة العربية في الخارج . والسابع عن حقيقة موقف أمريكا من قضية فلسطين وتأثير اليهود عليها . والثامن عن هدف الصهيونية وحقيقتها وأحلامها . والتاسع عن موقف انجلترا من فلسطين وإغرائها يهود العالم بالهجرة إليها ونقضها ما عقدته للعرب من عهود متكررة ، وما ارتكبته من وسائل التعذيب الوحشية في عرب فلسطين مدة انتدابها . العاشر في سياسة بريطانيا الاستعمارية وانتصارها لليهود على العرب وإلحاحها في عقد الصلح بين العرب واليهود . والسؤال الأخير عن تعصب اليهود الديني واستخفاف العرب به والأسباب الرئيسية لكارثة فلسطين وكيف يمكن استردادها .

هذه المواضيع هي التي دار عليها الكتاب ، وكانت الإجابة على هذه الأسئلة من أعلم الناس بها ، وأغناهم بأدلتها وأسانيدها . والكتاب مزين بالصور الكثيرة ، وفيه ثلاث خرائط أولاها لفلسطين بحدودها الأصلية ، والثانية للمناطق التي سلمتها السلطات الأردنية لليهود بعد معاهدة رودس ، والثالثة تبين مطامع اليهود في البلاد العربية .

وما تقدم من تلخيص مواضيع الكتاب كاف في وصف أهميته ، ووجوب الإحاطة بها على كل عربي وكل مسلم يعتبر أن اختلاس الوطن الفلسطيني إنما كان بغياً على الإنسانية ، وعلى حق من أقدس حقوق الوطن الإسلامي الأكبر .

نسمات الأصيل في المذياع

للأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٣٢ ص — دار رسائل الجيب الإسلامية

هذا عنوان أحاديث إسلامية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان مبعوث الأزهر لرياسة المعهد الإسلامي بزنجبار أذاعها من محطة صوت زنجبار اللاسلكية ، وتدور على موضوع أثر الدين الإسلامي في حياة الفرد والمجتمع ، والذكريات الإسلامية في شهر ربيع الأول ، وذكرى المولد النبوي ، وشمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد ألحق بها ترجمتها باللغة السواحلية من قلم الشيخين الفاضلين عبد الله صالح الفارسي وأحمد زهران الريامي .

ونحن نتمنى لهذه المناسبة لو أن مبعوثى الأزهر فى مختلف الأقطار الإفريقية والآسيوية وغيرها عرفوا عظمة الرسالة التى هم مضطلعون بها ، وحرصوا على الدعوة إليها فى مناطق عملهم بالقول والعمل والتوجيه ، ولا سيما من محطات الإذاعة التى يعم بها النفع ويعظم الأثر ، ولعلهم فاعلون .

نحو حياة مثلى

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٦٥ ص — مطبعة دمشق

وهذه أحاديث أذيعت من محطة الإذاعة السورية بدمشق ، وتدور على حاجة العالم إلى حياة مثلى ، وعلى نظام الإسلام الداخلى ، ونظام الإسلام الخارجى . وعلى موضوع الإسلام ومقاصد الحضارة ، ومستقبل الإسلام .

وقد تولت جمعية التمدن الإسلامى فى دمشق جمع هذه المحاضرات فى كتيب لطيف ونشرته على الناس ليطلع عليه من فاته الاستماع إلى هذه المحاضرات عند إذاعتها .

ومع أنها مطبوعة على ورق صقيل ، فقد فات الناشرين العناية بالتصحيح المطبعى لتفادى الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الكتاب على صغره وكان ذلك فى إمكانهم لو شاءوا .

الشئون الأندونيسية

وصلت إلينا مع البريد فى هذا الشهر أجزاء السنتين الثالثة والرابعة من مجلة عربية بهذا العنوان تصدرها وزارة الاستعلامات فى جاكرتا (جاوا) بأندونيسيا مرة فى كل شهرين . وقد اختارت لتحريرها السيد حامد هاشم الكاف من أفاضل الكتاب الحضارمة المتوطنين فى أندونيسيا ، والفاضل الأندونيسى المعروف ببحوثه وكتاباته العربية من سنين طويلة السيد عبد الله بن نوح ، والسيد محمد ضياء شهاب . والمجلة حافلة بالبحوث والصور التى تعطى للعالم العربى والإسلامى فكرة صادقة عن نهضة اندونيسيا وعلاقتها بالأقطار والأمم الإسلامية الشقيقة ، تشيد بجمال هذه الجزر العزيزة على المسلمين ومشاهدها الطبيعية ومرافقها العمرانية والصناعية

لقد كنا من زمن طويل نتمنى لو أن لأندونيسيا مجلة عربية كهذه المجلة توثق روابط الأندونيسيين بالعالم الإسلامى ، وتقوم بوظيفة التعارف الذى هو سبيل التعاون ، فلما وصلت إلينا مجلة (الشئون الأندونيسية) علمنا أن الجمهورية الأندونيسية كانت منتبهة لهذه الناحية المهمة ، فشكراً لهم .

الأدب والعلوم

مرحلة التأهيل

للالتحاق بالمعاهد الأزهرية

قامت مشيخة الأزهر بوضع إحصاء لجمعيات المحافظة على القرآن بعد أن التحقت بها . ويؤخذ من هذا الإحصاء أن عدد الجمعيات ١٥٥ جمعية ، وأن عدد التلاميذ فى المدارس التابعة لها بلغ ٢٣ ألفا و ٩٤ تلميذاً . وهنالك مكاتب أهلية لتعليم القرآن تحتوى ١٦٣ ألف تلميذ .

إن هذه المدارس هى المصدر الأول لطلاب الأزهر ، بل هى مرحلة التأهيل للالتحاق بمعاهده فى القاهرة والإسكندرية وعواصم المديريات والمحافظات . وبوضع المنهاج الدراسى لهذه الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين يكون الأزهر قد نظم المرحلة الأولى التى تؤهل حاملى شهادتها لدخول القسم الابتدائى فى الأزهر ومعاهده بلا امتحان .

وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على اعتماد أربعة عشر ألف جنيه من ميزانية الأزهر لتنظيم هذه المدارس ، وهذا بالإضافة إلى الميزانية الخاصة بجمعيات حفظ القرآن .

وكلفت المشيخة فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق العمراوى بأن يمثل الأزهر فى لجنة وضع المنهاج الدراسى لمدارس حفظ القرآن الأزهرية فى عهدها الجديد ، وسيكون من عمل لجنة المناهج هذه وضع منهاج لإعداد المدرسين لمعهد القراءات التابع للأزهر . فنرجو الله أن يكون ذلك توطئة لعهد جديد يستقبله الأزهر بعد أن أتيح له الإشراف على تكوين أبنائه وهم فى سلامة الفطرة وطهارتها .

وعاظ اجتماعيون

للوحدات المجمعة

وضع المجلس الدائم للخدمات العامة فى وزارة الشئون الاجتماعية مشروعا لإعداد وعاظ اجتماعيين من علماء الأزهر يقومون برسالتهم فى الوحدات المجمعة ويختارون من بين خريجى كليات الجامعة الأزهرية ، بشرط أن يدرسوا مناهج وافية فى الخدمة الاجتماعية تشمل دراسات إسلامية وتاريخية تتضمن اندماج الأمم الإسلامية على اختلاف عناصرها وحضاراتها فى المجتمع الإسلامى ، كتاريخ الإسلام الاجتماعى ، ونقل المسلمين لمختلف الثقافات والحضارات ومزج الحياة

الاجتماعية فى عهد الرسول ﷺ بالحياة الاجتماعية بين عهد أبى بكر وعهد عمر بن عبد العزيز . كما يشمل دراسة علاقة الفرد بالمجتمع ، وتكوين المجتمع ووظيفته ، وتأثير البيئة ، ووسائل النهوض بالمجتمع ، والمؤسسات الاجتماعية ، ووسائل وأساليب العمل فيه .

ويقرر المشروع أن الارتكاز فى نهوض البلاد إنما يكون أولا على إنعاش القرية ، وما للمساجد والمؤسسات الاجتماعية والمعاهد التعليمية من أدوار هامة فى خدماتها ، ورفع مستواها الآدمى ، وأن ضريبة الدم والمال والجهد حق للأمة على أبنائها .

وقد وضعت وزارة الشئون الاجتماعية برنامجاً لهذه الدراسات تستغرق مدته أربع سنوات : فيدرس الطالب فى السنة الأولى منها مادتى الدراسات الإسلامية والتاريخية والخدمات الاجتماعية الإسلامية ، وفى السنة الثانية مادتى المشكلات والتشريعات الاجتماعية والدراسات التربوية والفنية ، وفى السنة الثالثة موضوع مصر ومشكلات الشرق الأوسط والعالم والسياسة ، ويتعمق فى السنة الرابعة فى الدراسات الاجتماعية والخدمات الاجتماعية وما تضطلع به الوزارة من برامج الإصلاح .

وكان يوم السبت الماضى (٢٦ جمادى الآخرة) موعداً لافتتاح هذه الدراسات خطب فيه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والبكباشى ا . ح حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية ولنا عودة إلى هذا الموضوع

اعادة كتابة التاريخ الاسلامى

من الاقتراحات التى سجلتها اللجنة الاجتماعية الإسلامية فى مؤتمر الشباب الإسلامى بكراتشى مشروع قرار يطالب وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى بأن تدخل الدراسات الإسلامية فى مناهج الجامعات بالأقطار الإسلامية ، وتكوين هيئة من كبار العلماء المحققين فى مواد التاريخ الإسلامى تكون مهمتها إعادة دراسة التاريخ الإسلامى من جديد واستئناف كتابته بأساليب تبرز عظمة الإسلام وماقدمه للإنسانية من خدمات صادقة ، ليكون ذلك أساساً فى دراسة الثقافة الإسلامية وشرحها شرحاً جديداً يعم تدريسه فى جميع مراحل التربية والتعليم فى الأوطان الإسلامية

واقترح الوفد اللبنانى فى اللجنة الثقافية التعليمية الشروع فورا بإنشاء محطة إذاعة إسلامية تعمل على نشر المثل الإسلامية العليا ، وإلى أن يتم ذلك يبدأ من الآن بوضع برامج ملائمة لهذا الغرض فى كل محطة للإذاعة فى كل وطن من أوطان العالم الإسلامى .

تشييد مبان للتعليم

اعتمدت الحكومة مبلغ مليون وخمسمائة ألف جنيه لتشييد مبان جديدة للتعليم ، منها

١٩٧ ألف جنيه لإنشاء كلية للبنات في مصر الجديدة تتبع جامعة عين شمس و ١٦٠ ألف جنيه لمبنى كلية المعلمين في منشية البكرى ، و ١٠٠ ألف جنيه لمبنى كلية الفنون التطبيقية بمنطقة الأورمان ، و ١٩٥ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات الخاصة ، و ٣٤٠ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات العامة ، و ٧١ ألف جنيه لمدرستين للصناعات إحداهما بالحلمية والأخرى بالمطرية ، و ١٦٠ ألف جنيه لإنشاء مدرسة ثانوية تجريبية بالإسكندرية ، و ١٢٥ ألف جنيه لإنشاء مدرستين إعداديتين تجريبيتين إحداهما في جزيرة الروضة والأخرى بمصر الجديدة ، و ٦٥ ألف جنيه لمدرسة ثانوية للبنين بحلوان و ٧٦ ألف جنيه لمدرستين إعداديتين إحداهما بحلوان والأخرى بالدقى .

وستنشأ مدرسة تجريبية للبنات بالعجوزة ، وستتسلم وزارة التربية والتعليم في أول العام الدراسي المقبل ٢٥٠ مبنى جديدا للمدارس الابتدائية .

وكل بلد يتبرع أهله بقطعة أرض تكفى لبناء مدرسة وبمبلغ لا يقل عن ألف جنيه يكون له حق التقدم على غيره في إنشاء المدارس فيه بدلا من الانتظار حتى يأتى دوره في البرنامج الموضوع للبلاد المحتاجة إلى مدارس .

مكتبة دير طور سينا

في دير طور سينا مكتبة تحتوى عدة ألوف من المخطوطات والوثائق التاريخية ، ولا سيما المواضيع التي تهم رجال الدير من دينية وفلسفية وسياسية وعلمية ، وبينها مخطوطة للإنجيل بلغة عربية فصحى ترجع إلى عصر صدر الإسلام ومجموعة من الفرامانات العثمانية والمصرية والتعليمات الإكليركية ، وكثير من ذلك يتصل بتاريخ مصر ومنطقة الشرق العربي .

وكانت مكتبة الكونجرس الأمريكي اتفقت مع جامعة الإسكندرية على إيفاد بعثة مشتركة إلى هذه المكتبة لتصوير مخطوطاتها على الفيلم الدقيق (ميكرو فيلم) استعداداً لدراستها من جهة ، وحفظا لصور منها احتياطا للطوارئ التي يمكن أن تطرأ على كل مؤسسة إذا أصابتها الأقدار . ولذلك أعدت البعثة المختلطة ثلاث نسخ ميكرو فيلم من جميع مخطوطات دير طور سينا ثم بوبت ورتبت على أحدث أنظمة المكتبات وعملت لها الفهارس التي تيسر الإفادة منها . ثم حفظت إحدى النسخ الثلاث في مكتبة دير طور سينا ، والثانية بمكتبة جامعة الإسكندرية ، والثالثة بمكتبة الكونجرس الأمريكي . أما نسخة جامعة الإسكندرية فكانت في ستة صناديق فتحت يوم ١٣ جمادى الآخرة (٦ فبراير) بحضور لجنة من إخصائيين

أنباء العالم الإسلامى

العراق

ينحاز إلى محالفة تركيا

صدر فى ليلة ١٢ يناير بلاغ مشترك عن المحادثات التركية العراقية التى دارت بين عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية ونورى السعيد رئيس الوزارة العراقية .

وقد جاء فى هذا البلاغ أن الحكومتين التركية والعراقية قررتا عقد اتفاق عسكرى يرمى إلى تحقيق التعاون وزيادته لكفالة الاستقرار فى الشرق الأوسط والمحافظة على سلامة المنطقة ، وذلك فى أقرب وقت ممكن . وأشار البلاغ إلى أن هذا الاتفاق المرتقب سيتضمن التعهد بالتعاون بين البلدين بصدد أى عدوان قد يقع على تركيا أو العراق من داخل المنطقة أو من خارجها من أى جهة ، وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعى الذى نصت عليه المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة

وقدفوجئت الحكومات الموقعة على ميثاق جامعة الدول العربية بهذا البلاغ ، واعتبرهذا العمل من العراق متعارضاً مع ميثاق الضمان الجماعى العربى . ودعت مصر رؤساء وزارات الحكومات العربية إلى عقد مؤتمر عاجل فى القاهرة،وكانت الحكومة السعودية أشد الدول العربية تحمساً لوجهة نظر مصر فى استنكار عمل العراق . وأرسل جلالة الملك سعود رسالة خاصة إلى السيد نورى السعيد حذره فيها من تفكيك صفوف العرب وإخضاعهم للسيطرة الأجنبية . وفى آخر يناير أوفد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وفداً إلى بغداد لمعالجة الموقف ، فتبين للوفد إصرار العراق على المضى فى طريقه إلى التحالف مع تركيا .

وفى ٣ فبراير قرر مجلس الوزراء العراقى بالإجماع ضرورة عقد الميثاق المقترح مع تركيا فوراً واعتباره محققاً مصلحة كل الشعوب المحبة للسلام . وفى ٦ فبراير انعقد مجلس النواب العراقى وحضره ٩٦ نائباً من مجموع الأعضاء وعددهم ١٣٥ ، وبعد مناقشة استغرقت أكثر من خمس ساعات تناولت موضوع الحلف التركى العراقى اقترع الحاضرون على تأييد سياسة الحكومة بعد أن استمع المجلس إلى بياناتها فيما يتصل بسياستها التى قالت إنها تهدف إلى أمن العراق والدفاع عن حدودها طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، فأيد النواب الذين حضروا الجلسة بالإجماع سياسة نورى السعيد فى هذه المسألة .

وفى ١١ فبراير وجه الملك سعود نداء إلى الشعوب العربية دعاها فيه إلى الكفاح فى سبيل وحدة العرب ، ورفض الدخول فى أى حلف يضر بالأمة العربية . وقال : إن الجامعة العربية هى أملنا المشترك ووسيلتنا لغايتنا القصوى وهى الوحدة العربية الكبرى التى نسعى جميعاً لتحقيقها . لكن جامعة العرب هذه تحتضر اليوم ، وأركانها الراسخة على عزائم العرب الصلبة مؤذنة بالانهيار ، فقد خرج بعضنا عن إجماع الأمة وإرادة شعوبها ، وقد عجزنا عن إقناعه بمغبة سياسته وخطر الخطوة المفزعة التى يقدم عليها . فيأيها العرب هل ترضون بأن تلتقوا أنتم والصهيونيون فى حلف مشترك وزمالة سلاح بإرغامكم على التوقيع على صلح مع تلك الطغمة الظالمة المعتدية على بلادكم . لقد عجز الأعداء عن حملكم على تحقيق هذا الصلح المشين فسلطوا عليكم بعضاً منكم يرغمونكم على ذلك ولو كره المخلصون . لهذا أكرر ندائى إلى كل عربى أن يقول كلمته ، وأن ينضم إلى الجماعة ، فإن يد الله مع الجماعة .

واحة البريمى

تبلغ مساحة واحة البريمى ٧٠ ألف ميل مربع، ويرجع النزاع بشأنها بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية إلى ربع قرن مضى ، واشتد هذا النزاع على أثر اكتشاف منابع للبترول وفى سنة ١٩٥٣ قتل ضابطان بريطانيان فى معركة نشبت بين القوات البريطانية ورجال القبائل بسبب النزاع على ملكية خط الحدود . والإنجليز لا يستطيعون أن يدعوا ملكية لشبر أرض من ذلك الوطن العربى ، وإنما يدعون مصالح لهم وللمشتركين فى شركات البترول من رعاياهم . وأخيراً تم الاتفاق على عرض النزاع على هيئة تحكيم رسمية من ثلاثة قضاة أحدهم بلجيكى يتولى الرآسة والثانى من كوبا والثالث باكستانى . وندبت المملكة السعودية الأستاذ عبد الرحمن عزام ليكون فى الفريق الذى يدافع عن وجهة نظرها . ولا ينتظر أن تصدر هيئة التحكيم حكمها قبل منتصف العام القادم .

حول السد العالى

يقدرون المدة اللازمة لبناء السد العالى فى جنوب أسوان بعشر سنوات متواصلة ، وأن القوى العاملة التى يتطلبها بناء هذا السد - الأول من نوعه فى العالم - لا تقل عن عشرين ألفا من المهندسين والفنيين والإداريين والعمال ، وقد تقرر أن تبنى لهم مدينة سكنية كاملة المرافق الحديثة .

مؤتمر شباب العالم الإسلامى
(مشعل)

انعقد مؤتمر شباب العالم الإسلامى فى كراتشى يوم الأحد ٨ جمادى الأولى وانتهى

فى يوم الجمعة ١٣ منه ، وكان الغرض منه بعث الإيمان فى الشباب الإسلامى الذى أهمل فيما مضى فسلك مسالك ما كان ينبغى له أن يسلكها حتى قال القائمقام أنور السادات : إنى أعتبر انعقاد هذا المؤتمر حدثا فى تاريخ الإسلام ، لأن من الشباب الإسلامى من انخدع بدعوة أنصار السلام ، ومنهم من يسيطر عليه النفوذ الأمريكى ، بينما كان ينبغى أن يتجه الشباب المسلم إلى الرسالة الإسلامية الخاصة به. لقد تكالبت على الدول الإسلامية وعلى الإسلام عوامل كثيرة جداً لتشوهه وتشوه رسالته الخالدة ، وإن الكفيل بإصلاح هذه الأخطاء جميعها هو الشباب

هذا وقد كانت العربية لغة رسمية للمؤتمر، واتخذ كلمة (مشغل) رمزاً له وهى مؤلفة من حروف مقتطعة من كلمات (مؤتمر شباب العالم الإسلامى) . وقد اشترك فى المؤتمر ١٧٤ شابا يمثلون ٢٩ دولة ، وكان الرئيس من اندونسيا وكاتب المؤتمر من مصر وأمين الصندوق من سيلان والمراقب العام من باكستان، وسيجتمع المؤتمر مرة كل عامين، واجتماعه القادم سيكون فى القاهرة . أما المكتب المركزى فيجتمع أربع مرات فى السنة ، وسيكون اجتماعه الآتى فى (جاكرتا) باندونسيا فى شهر رمضان القادم .

البترول العربى

زاد إنتاج البترول فى الشرق الأوسط فى العام المنصرم ١٢ فى المائة عما كان فى سنة ١٩٥٣ ، فبلغ ١٧٣ مليون طن فى مقابل ١٢٢ مليونا فى العام الذى قبله . وكانت الكويت أكبر البلاد العربية إنتاجا فبلغ ما استخرج منها ٤٨ مليون طن ثم المملكة العربية السعودية فبلغ إنتاجها ٤٧ مليونا ، والعراق ٣٠ مليونا

البترول المصرى

أعلنت شركة كاليفورنيا الجنوبية للبترول أنها أتمت إنشاء أول بئر بترولية بجهة (البلاعيم) فى سيناء لحساب شركة مصرية ، وهذه البئر تنتج ٤٨ برميلا فى الساعة من فتحة عرضها $\frac{3}{4}$ البوصة وعمق البئر ٧٣٥٠ قدما .

ويستعدون لافتتاح بئرين أيضا بالقرب من البئر الأولى ، ولإنشاء خط للأنابيب يمتد من البلاعيم إلى منطقة فيران لتيسير نقل البترول .

مسجد الرفاعى

فى مقال للأستاذ حسن عبد الوهاب عن مسجد الرفاعى أن هذا المسجد بنى على رباط

مدفون فيه السيد على أبو شباك أحمد ذرية السيد أحمد الرفاعى الكبير ، وأن السيد على أبو شباك مولود فى مصر وتوفى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وأن الرباط الذى دفن فيه دخل فى المسجد عندما شرعت خشيار هانم أم الخديو إسماعيل فى بنائه سنة ١٢٨٦هـ فاشترت المساكن التى حول الرباط وعهدت إلى المهندس حسين باشا المعمار بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها ولأسرتها ، وقبتان إحداهما ليحيى الأنصارى والثانية لأبى شباك الرفاعى ومن دفن معه وبعده من الرفاعيين . وبعد أن سارت العمارة شوطاً كبيرا أوقفت ، ثم استؤنفت ثانيا سنة ١٣٢٣ بإشراف أحمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية الذى عهد إلى هرتس باشا كبير مهندسى الآثار العربية وقتئذ بإعداد مشروع لتكملة المسجد قام بتنفيذه وأتم عمارته واحتفل بافتتاحه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) .

الهمجية الفرنسية

نشرت جريدتا (اكسپرس) و(ابزرفاتور) الفرنسيتان مقالين للكاتبين فرانسوا مورياك وكلود بورديه عن الفظائع الهمجية التى يرتكبها البوليس الفرنسى فى المسلمين الجزائريين ، ومن ذلك قول مورياك إنه سمع من شاهد عيان أن أحد الوطنيين المسلمين فى الجزائر ظل يضرب أكثر من ساعتين بسوط مملح . ثم عذب بعد ذلك بوضعه فى برميل ملأوه بماء بارد قذر ، مع إبقاء رأس الرجل داخل الماء القذر إلى حد الاختناق ، ثم أجروا عليه تياراً كهربائياً تحت إبطيه وحول ساقيه وأدخلوا فى فمه أنبوبة من الماء القذر إلى أن خر مغشياً عليه .

وكان يتخلل ألوان التعذيب هذه استجوابات كانت تمتد إلى ساعات طوال دون أن يقدم فى خلالها أى غذاء إلى المعذب .

إن المنافقين الذين يسارعون إلى عضوية مؤتمرات حقوق الإنسان فيهم من يقرأ الصحف الفرنسية التى نشرت هذه التفاصيل ويرى مع ذلك أنها لا تمس حقوق الإنسان التى يتبجح بها !

منطقة اسلامية قومية

قال الصاغ مجدى حسنين فى افتتاح مسجد أم صابر بمديرية التحرير :

« إن الغرض من إنشاء مديرية التحرير هو إقامة منطقة إسلامية قومية ، وستطبق فى هذه المنطقة تعاليم الدين : فلا خمر ، ولا ربا ، ولا ميسر . وسيكون لكل من الجنسين ناد خاص مستقل به » .

ترجمة القرآن بالانجليزية

من محطة الإذاعة بطهران

اطلعت مشيخة الازهر على خبر فحواه

أن محطة الإذاعة فى طهران قررت أن تدخل فى برامجها الأجنبية إذاعة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية نقلا عن ترجمة قامت بها السيدة كوك الأمريكية، فكتبت المشيخة إلى وزارة الخارجية طالبة الاتصال بالسفارة المصرية فى طهران للحصول على نسخة من هذه الترجمة لعرضها على اللجنة التى أمر بتشكيلها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لفحصها ووضع تقرير عنها، والاتصال بالسفارة الإيرانية بالقاهرة فى هـــذا الشأن أيضا مع طلب التريث فى إذاعة هذه الترجمة.

وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بأن تبدأ تلك اللجنة عملها من الآن بمتابعة راديو طهران فى إذاعاته وتسجيل ما يذيعه من القرآن بالإنجليزية وإبداء الملاحظات الفنية والعلمية التى تبدو على تلك الإذاعة. وقد أجاب فضيلته مندوب الأهرام على سؤال له فى هذا الموضوع قائلا:

« إن الترجمة مستحيلة لأن القرآن عربى بنص كلام الله (قرآنا عربياً غير ذى عوج) ولأن المتأمل فى أية كلمة منه لا يجد غيرها مناسبا لمكانها مما قبلها ومما بعدها.

والمعانى القرآنية، أو المقاصد الإلهية، لم تكتمل إلا فى تلك الألفاظ التى اختارها الله لها ».

قرارات

مؤتمر الشباب الإسلامى فى كراتشى

انتهى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى أشرنا فى الجزءين الماضيين إلى انعقاده فى كراتشى، وكان من أهم قراراته بعد الموافقة على دستور المؤتمر والهيئة المشرفة عليه والمجلس التنفيذى:

١ - ألا يتدخل المؤتمر فى السياسة الداخلية لأى قطر إسلامى.

٢ - التنديد بالاستعمار، والرأسمالية، والشيوعية.

٣ - التنديد بمطامع إسرائيل التوسعية.

٤ - توصية الحكومات الإسلامية بتطبيق العقوبات الاقتصادية على إسرائيل، أسوة بما تقوم به الحكومات العربية فى هذا السبيل. لأن بغى إسرائيل على فلسطين لا يتناول القومية العربية وحدها بل يشمل الملة الإسلامية جمعاء.

٥ - التوصية بتشكيل لجنة للبحث عن الموارد الطبيعية بالدول الإسلامية.

٦ - سن نظام إسلامى دولى للتأمين يحل محل النظام الأجنبى السائد الآن.

٧ - تأسيس شركة إسلامية للملاحة، وتأسيس بنك إسلامى.

٨ - التمييز بين الثقافة والعلم، وتوصية شباب الإسلام بالابتعاد عن الثقافات الأجنبية، وتكوين ثقافتهم من ينابيع إسلامية تماشى سنن الإسلام ومبادئه.

الى حضرات القراء

كنا تخيرنا للمجلة أن تصدر فى نصف حجمها مرتين فى كل شهر عربى . ومع أن هذا التعديل صادف ارتياحا لدى كثير من حضرات القراء ، فقد رغبت إلينا الكثرة الكاثرة من حضراتهم أن نعود بها إلى نظامها الاول ، وذلك - أولا - لأن إصدارها أول الشهر لا يغيب عن خواطرهم ، فلا تفوتهم المجلة كما يفوتهم موعدها فى نصف الشهر أحيانا - وثانيا - لأن المجلة إذا اتسع أمامها الوقت تظل فى الأسواق مدة أطول ، فيكون إدراكها مستطاعا لهم أكثر مما هو الآن ، وفى هذا تمكين لحضراتهم من المحافظة على أعدادها متوالية .

وقد استجابت إدارة المجلة لهذه الرغبة الكريمة ، على أن تزيد فى حجم المجلة ، حتى تتسع لأكثر ما لديها من المواد ، وعلى أن يكون ثمن العدد الشهرى أربعة قروش بدلا من خمسة فيما سبق . أما الاشتراكات فكما هو مدون بصدرها .

وقد اقتضى هذا التعديل فى نظام المجلة ألا تصدر فى شهر جمادى الآخرة ، وستصدر بمشيئة الله تعالى فى شهر ذى القعدة المقبل بدلا منه .

هذا - والمجلة تشكر لكتابها ولقرائها جميعاً ما أبدوا من إقبال وتأييد ، وهى - بفضل مؤازرتهم - سائرة إلى الكمال فى جد ومثابرة . والله ولى التوفيق ؟

(المجلة)

الفهرس

التعليقـــــات

* * *

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٤ - ٢٥ مارس ١٩٥٥ - الجزءان ١٣ و ١٤ - المجلد السادس والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

اعداد شباب الأزهر

لقيادة المجتمع و توجيهه

كان الإسلام — منذ يومه الأول — ثورة الحق على الباطل ، فكل ما هو في ذاته حق فهو من الإسلام والإسلام يؤيده ، وكل ما هو باطل في الواقع فالإسلام يمقته وهو حرب عليه . والإسلام دعوة الخير لمكافحة الشر ومطاردته ، فكل ما هو خير في نفس الأمر فالإسلام يدعو إليه ، وكل ما هو شر محض - أو يغلب شره على ما قد يكون فيه من خير - فالإسلام يستنكره ويقاومه ويبرأ منه . والإسلام بذاته نظام ، وكل نظام يؤدي إلى فائدة عامة ومصلحة راجحة ويماشي مبادىء الحق والخير التي جاء بها الإسلام فالإسلام يقره ويرحب به ويدرأ عنه شوائب الفوضى . والإسلام تعاون : تعاون على الخير، تعاون على إقامة الحق ، تعاون بين الجماعة على ما تنوء به طاقة الأفراد ، تعاون على كل ما هو حسن وجميل ومفيد . ثم إن الإسلام - قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك - رحمة وتراحم وإيثار ، وقد جاء مبشرا في هدايته الخالدة بأن الراحمين يرحمهم الرحمن .

هذا هو الإسلام الذى بعث الله به نبى الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ ليتمم به مكارم الأخلاق فى المجتمع الإنسانى . ولأول مرة فى تاريخ رسالات الله رأت الإنسانية جيلا مثالياً يكونه هذا الرسول الكريم فلا يبلغ جيل آخر مبلغه فى الاستقامة على الحق والتعاون على الخير والتزام طريق الله ومحاربة الظلم والبغى والطغيان .

إن هذا الدين ـ دين الأخلاق والتعاون ـ أداة فى يد أهله ، وفى استطاعتهم أن يجعلوه وسيلتهم الناجحة لتكوين الجيل المثالى الصالح فى أى عصر شاءوا ، وقد نجحت تجربته فى الأجيال الثلاثة الاولى من صدر الإسلام ، وهى الأجيال التى غيرت معالم الأرض ، وأحدثت أعظم انقلاب فى تاريخ الإنسانية ، فعقدت أواصر الأخوة والمحبة ووحدة الأخلاق والثقافة والتفكير بين شعوب كثيرة ، مختلفة الألوان والأوطان والأجناس والألسنة . غير أن أعداء هذه الرسالة كادوا لها من مختلف النواحى ، فبثوا فى سننها بدعا ، وفى عقائد عامتها أساطير وخرافات ، وفى أخلاق أفرادها وجماعاتها أنانيات وعادات تنكرها عليهم هداية دينهم ، وفى نفوس أعيانها وأغنيائها شهوات كانت من حبائل الشيطان التى ساعدت سلطان الاستعمار على بسط نفوذه بين شعوب الإسلام : فبعد أن كانت هذه الشعوب تلبس مما تنسجه أيدى أبنائها زهدها الاستعمار فى ملابسها ومنسوجاتها ومصنوعاتها حتى صار هذا الشرق الإسلامى سوقا لمصنوعاته ومستعبدا لسلطانه الاقتصادى ، وبعد أن كنا نتثقف بثقافتنا ونتأدب بآدابنا ونفكر بعقولنا ونستمد حيويتنا من أمجادنا وتاريخنا . أقنعنا الاستعمار بأننا أمة مفلسة ليس لها تراث ، وليس لها مبادىء وسنن ، وليس لها ينابيع فضائل تغترف من مواردها ، وتستمد قوتها المعنوية من خزائنها وكنوزها . وبعد أن صدقنا هذه الأكذوبة فرض الاستعمار علينا ثقافته وآدابه ، وجعلنا نفكر بعقليته ، ونحكم على الأشياء بذوقه ومقتضى مصالحه . وبعد أن كانت لنا جيوش يؤمن جنودها بالجهاد والكفاح أضعف الاستعمار هذه الجيوش وجعل زمام الكثير منها بأيدى رجاله ، وسلب قادتها نعمة الإيمان بقومياتهم وملتهم ، فأصبح الجندى الجزائرى المسلم يستميت فى الدفاع عن الاستعمار الفرنسى ، والجندى الهندى المسلم يستميت فى هذا الدفاع عن الاستعمار البريطانى ، وما العهد بالأمثال التاريخية على هذه الكوارث القاصمة ببعيد . وهكذا خسرنا استقلالنا الحربى ، بعد الذى خسرناه من استقلالنا

الاقتصادى واستقلالنا الثقافى والخلق ، وصرنا عالة على الاستعمار وشعوبه فى جميع مصادر قوتنا ومقومات حياتنا .

ولكن عمراً — الذى كان فى المائة السنة الماضية سادرا فى غمرة الطفولة — قد كبر الآن وشب عن الطوق الذى جعله الاستعمار فى عنقه . لقد شب عمرو عن الطوق ، وأخذ الوعى يستيقظ فى نفوس أبناء هذا الشرق الإسلامى وعقولهم .

ومن آثار الوعى فى هذا الشرق الإسلامى التفات أوطانه وأقطاره إلى ناحية التصنيع والاستغناء الذاتى وتعديل الميزان التجارى بين الاستيراد والتصدير . ثم من آثار هذا الوعى الأخذ بأيدى الطبقة الضعيفة من طبقات المجتمع - ولا سيما طبقة عمال الزراعة - ومساعدتها على الالتحاق بالطبقة الوسطى فى إفادة المجتمع والاستفادة منه ، لأن الأمة التى تعظم فيها نسبة الطبقة الوسطى يكون ذلك عنواناً على تقدمها فى طريق الخير والسعادة . لكن قادة الإصلاح اصطدموا - وهم يعالجون هذه الناحية من الإصلاح - بحقيقة مؤلمة ، وهى أن المساعدة الاقتصادية لهذه الطبقة إن لم تقترن بمعالجة النفس والإصلاح الخلقى فإن مجرد المساعدة بتحسين موارد الذين كانت مواردهم سيئة لا يكفى فى إصلاح حالهم ، بل قد يسيئون استعمال هذه الزيادة فينفقونها على الشهوات والمكيفات ولا ينتفعون بها فى رفع مستوى المعيشة والتقدم فى سبيل الحياة .

لذلك كان من لوازم نجاح الإصلاح الاقتصادى العناية بالإصلاح الاجتماعى ، والمجتمع المسلم أولى به أن يعالج إصلاحه الاجتماعى بالإسلام الذى وصفنا رسالته فى صدر هذا المقال ، والذى جُرب فى إنهاض أهله فكان منهم خير أمة أخرجت للناس . لذلك رأى رجال الثورة وهم يعالجون المجتمع المصرى ويحاولون النهوض بطبقته الدنيا لتكون منهم طبقة وسطى سعيدة ، أن يكون ذلك عن طريق التوجيه الإسلامى بإعداد شباب الأزهر للقيام به ، وبذلك يخرج الأزهر من عزلته التى اعتقله فيها الاستعمار وأعوانه ، إلى المجتمع الذى هم أبناؤه وهو منهم . بل بخروجهم إلى المجتمع يكون المجتمع قد دخل الأزهر والتحق به وعول على أن ينهل من ينابيعه .

هذه المهمة التى ستلقى على عواتق شباب الأزهر نوه بها فضيلة الأستاذ الأكبر فى خطبته التى ألقاها فى حفلة افتتاح دراسات هذا المشروع وسماها (أمانة) وأعلن أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، لأن الأمانة شعبة من شعب الإيمان الإسلامى .

إن مائة شاب من شباب الأزهر قد جندهم الوطن ليخوضوا معركة اجتماعية لها مابعدها . فإذا برهنوا على النجاح فيها فإن الوطن سيحتاج إلى هذا العنصر الذى هم منه ليعالج به أمراضه الاجتماعية المزمنة ، وليجدد بالأزهريين شبابه ، ويسترد بهم قوته وعافيته . أما إذا فشلوا ـ لاقدر الله ـ فالخسارة التى تترتب على ذلك سيتحملها الأزهر ورسالة الإسلام العظمى ، ولا يكون الذنب حينئذ على الأزهر ولا على الإسلام ، بل على هؤلاء الجنود الذين يؤتى الأزهر والإسلام من ناحية تقصيرهم . وهذا هو معنى (الأمانة) التى رددها الأستاذ الأكبر على مسامعهم وذكرهم بأنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

إن المزية التى اختير هؤلاء الشباب الأزهريون لهذه المهمة من أجلها هى مزية (الإيمان) والوطن اليوم فى حاجة إلى هذا الإيمان ؛ والإيمان الإسلامى قائم على شطرى الحق والخير ، فما من شعبة من شعب الإيمان الإسلامى إلا وهى داخلة فى أحد هذين الشطرين . وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى يحتاج إلى الإيمان بها كل فرد من أفراد هذا الوطن المصرى ، ولن يؤمنوا بها عن طريق التلقين والتعليم كما يؤمنون بها عن طريق القدوة والأسوة : فالصدق شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والناس مستعدون لأن يكونوا أمة صدق إذا قادهم إليه قادة من أهل الصدق . والتعاون على الخير شعبة من شعب الإيمان الإسلامى ، والناس مستعدون لأن يتعاونوا على الخير إذا قادهم إليه قادة من أهل التعاون على الخير . ولذلك قال الأستاذ الأكبر فى خطبته « لا بد للعالم الذى يتصدى للتوجيه والإرشاد من أن يأخذ نفسه بالأمانة فى الحيطة لدينه فى وعظه وفتواه ، ولابد أن تتوافر له الخبرة التامة لأحوال الناس وعاداتهم » . وهذه الخبرة هى التى سيعالجونها ويتمرنون عليها فى سنوات الدراسة الأربع ، وسيزدادون خبرة بها وتمرنا عليها إذا أتموا هذه الدراسة ونزلوا إلى المعركة ليقودوا هذا المجتمع إلى السعادة بالحق والخير .

وبعد فإن وطنكم قد أحسن الظن بكم بصفتكم أزهريين ، ولأنكم تؤمنون بالإيمان الإسلامى ، ولأنكم تحملون سنن الإسلام وقواعده وهدايته . فعليكم أن تزدادوا مع الزمن إيمانا بهذا الإيمان ، وأن تصبروا على حمل سنن الإسلام ومشاعل هدايته . واذكروا دائما قول الوزير الاجتماعى لكم فى حفلة افتتاح دراساتكم :

« أنتم طبقة واعية ؛ وعندكم من العلم ما يساعدكم على تفهم مشكلات مجتمعكم . فإذا عملنا يداً واحدة فسيكون لنا مجتمع متكافل متراحم كما أراده الله لنا » .

أتعلمون أيها المجندون المائة من شباب الأزهر لم كان التاريخ الإسلامي فى أول قائمة الدراسات التى ستتلقونها ؟

إن العالم الإسلامي - وفى طليعته مصر - يريد أن يجدد شبابه بالأخلاق : بالأخلاق الفردية النظيفة ، وبالأخلاق الاجتماعية القوية . وهذه الأخلاق الفردية والاجتماعية هى التى نهضت بالإسلام ، بل بالإنسانية ، فى الأجيال الثلاثة الأولى من صدر الإسلام . ولأول مرة فى التاريخ تكوّن بها كيان واحد مؤلف من مصركم هذه ، ومن ديار الشام التى تهتف الآن للتعاون معكم ، ومن بلاد العرب المترامية الآفاق فى الجانب الشرقى من مصر ، ومن ليبيا وما وراءها من شمال إفريقيا ، فضلا عن السودان وما يلى السودان . إن الأخلاق الفردية والاجتماعية التى تخلق بها قادة التوجيه فى الأجيال الثلاثة الأولى من صدر الإسلام هى التى كونت كياننا المجيد - للمرة الأولى - قبل بضعة عشر قرنا ، وإن البدع والخرافات والأنانيات هى التى أفسدت ذلك الكيان ونخرت فى عظامه . ونحن الآن فى حاجة إلى تجديد شباب كياننا الأول . والإمام مالك بن أنس الأصبحى يقول : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » . فأنتم ستجددون دراسة التاريخ الإسلامي لتتعلموا منه (صناعة تكوين الأمة) تكوينا سليما قائما على الأخلاق الفردية والاجتماعية التى بعث بها محمد بن عبد الله ﷺ .

أيها الجنود الأزهريون ، لقد أراد لكم وطنكم أن تكونوا على ثغرة من ثغر الإسلام لتعيدوا هذا المجتمع الإسلامي إلى أخلاقه الإسلامية ، ولتردوا هذه الأخلاق إلى أهلها . والجندى المسلم إذا كان على ثغرة من ثغر الإسلام فإن الموت أهون عليه من أن يؤتى الإسلام من قبله .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٢٧ -

٣ - المتكلمون فى المهد

> بلى من أوفى بعهده واتقى
> فإن الله يحب المتقين .

(ا) شاهد يوسف — عليه السلام .

(ب) غلام ماشطة امرأة فرعون .

١ — لم يكن حديث الصبيان فى المهد من هينات الأمور ، ولا من الأحداث المألوفة ، وإنما هو - كما تشهد البديهة - شأن له خطره . وكان من خطره أنه لم يحدث إلا عند مناسبة تلائمه ، وتقتضيه أمارة على إحقاق حق ، وإبطال باطل .

ولم يكن كل حق بالغا من الأهمية أن يتأيد بشهادة ينطق بها صبى فى مهده ، ولا كل باطل بالغا من الهول أن يدحض بمنطق الصبى قبل أوانه ، ولكنها أمور معدودة ، بلغت فى مقياس الحكمة الأزلية أن يفصل فيها صبى لم يبلغ عهد الكلام .

٢ — وقد عودتنا الشرائع السماوية ألا نعتمد شهادة الصبيان قبل بلوغهم الحلم ، فكيف تأخذنا بشهادتهم ، وهم دون الوعى لم يبرحوا مهدهم ؟

جواب ذلك فيما سبق لنا : أن الأمر يبلغ من العجب مبلغه حتى تكون غرابته أدعى إلى الإيمان به عند من لا يجنحون إلى المكابرة ، ولا يتخذون من غرابته عليهم وسيلة إلى تكذيبه ، كما أن غرابته هذه تدفع المكابرين إلى التشكيك والتكذيب ، لأنهم لا يؤمنون إلا بما تستسيغه أذهانهم الكليلة مما ألفوه فى عاداتهم .

ومن ذلك اختلف الناس قديما حول معجزات الأنبياء : إيمانا بها ، أو تكذيبا لها ، وهى سنة أزلية من سنن الله فى عباده .

وفى شهادة الصبى مقطع للجدل ، وبها يبدو الحق أبلج ما يكون ، ويندحر الباطل أخزى ما يكون ، ثم لا يجد المفترون منفذا إلى اتهام الصبى فيما أجرى الله على لسانه ، ويظل الحق أوضح وأرقى من أن تعلق به شبهات المبطلين ، وأنضر وأزكى من أن تكدره لوثة الملتاثين .

٣ — وقد كان من تلك الامور التى أفصح فيها الصبى فنصر حقاً مغلوبا ، وكشف عن باطل محبوك ، مسئلة يوسف ـ عليه السلام ـ مع زليخا امرأة العزيز (ملك مصر) .

فيوسف نزيل فى بيت العزيز ، وهو شاب أضفى عليه الجمال ما أضفى من روعة وبهاء ، وصنعته يد العناية على جانب من الحسن والرواء ، ثم هو عند زليخا يعيش فى ظل الحضارة ، ومطارف النعمة ، وعلى وفرة من أسباب الهناءة ، وهو لحسنه يصبح هدفاً للفتنة ، ومثاراً للرغبة ، وبغية لامرأة صابية مترفة ، وحديثا لنفسها الامارة بالسوء . وما عسى أن يمنعها من محاولة المتعة به ، فى حين أنه لا يحجزها عنه باب ، ولا يحول دونه حجاب ، وهى لا تدرك من أمره أكثر من أنه شاب ، والشباب إذا لم يندفع فهو يستجيب للإغراء ، ويفتن أكثر وأكثر ربات الخدور ، وساكنات القصور .

٤ — ولما شغفها حباً ، وخدعتها نفسها فيه ، تجملت يوما بكل ما أوتيت من أسباب ، وغلقت من حولها الابواب ، وما دار بخلدها أن يتخلف عن مطاوعتها ، ولا زعمته يتعفف عن المتعة بها ، وهى من هى شأوا ، وترفا ، ودلالا ، فتقدمت إليه فى أحسن ما ترى لنفسها من زينة ، وأفضت إليه بما تكنه من صبابتها : فى أعذب لفظ ، وأرق أسلوب ، وأصرح نجوى ، قائلة له : (هيت لك) أى أنا بين يديك ، وطوع رغبتك ، والاسباب مواتية لكل ما تدفع إليه الغريزة ، ويرنو إليه الشباب ، ويوحى به سحر الجمال ! !

ولكن الذى تجهله امرأة العزيز من شأن فتاها يوسف أنه متحدر من أصلاب النبوة ، وأن عناية الله به سبقت إلى اختياره للرسالة ، فهو دوحة من تلك الارومة المباركة ، وغصن من الشجرة الزاكية الطيبة التى امتدحها الله بقوله : « إنا أخلصناهم بخالصة : ذكرى الدار ،

وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ويوسف وهذا شأنه : شب فى طهر موروث ، وعفة مطبوعة ، ثم هو فوق ذلك فى عصمة مكفولة . . وكان طبيعياً ألا ترى منه يوما صبوة إليها ، ولا تهافتا عليها . . ثم كان طبيعيا يوم تعرضت له ألا ترى منه ملاينة ، وألا تحس منه خضوعا ، أو تأنس فيه استجابة ، بل استعصم من كيدها بالله ، وفزع فى وجهها إلى الله ، وانخلع من فتنتها أسرع ما يكون ، وقال فى جهرة : « معاذ الله ، إنه ربى أحسن مثواى ، إنه لا يفلح الظالمون » .

هنا : فطنت زليخا إلى أن نفسه لن تنازعه إلى الضلالة ، ولن تسول له أن يتجاوز حدود الله ، ولن يخون الله ، ولا زوجها الذى أكرم مثواه .

٥ — فكانت هذه صدمة بددت أملها ، وكبتت عواطفها ، وتركت لواعج الحب تتقد بين الجوانح ، ونوازع الوجد مشبوبة بين الضلوع .

والحب الماجن - كما يصفه الأدباء - ثورة عاطفية يطفئها قضاء اللبانة فى غفلة الضمير ، فإن لم يجد متنفسا ، ولا زاجرا من الخشية ، فكثيرا ما ينعكس إلى إجرام وانتقام ، وعداء واعتداء .

فما عسى أن يحيق بيوسف من كيد زليخا : وقد كان منها معه ، وكان منه لها ما كان ؟

ما عسى أن يحيق بيوسف ، وقد فر منها وهى تلاحقه ، وهرع إلى الباب وهى تجذبه من الخلف ، حتى مزقت قميصه من شدة ما انتزعته ؟ .

ما عسى أن يحيق بيوسف من زليخا ، والمرأة لا تعرف القصد فى كيدها ، ويزيدها إمعانا فيه أن تأخذها العين ، وهى على نقيصة محرجة ، فحينذاك تخلق من الحيلة ما يضيق به ذهن الرجل ، وتسعفها البديهة فى التماس البراءة بما يعقل وما لا يعقل من الأسباب ؟ ؟

هذه لحظة رهيبة يقف فيها يوسف أحرج موقف ، فهو يقاوم الفتنة التى تصارعه وهو يأباها ، وهو يلتمس منها الخلاص ولا يدركه ، وهو حين يقترب من الباب يجد العزيز مبصراً له فى مفره من زليخا ، وما كاد يأخذ موقفه حتى تجهمت زليخا ، وتحولت من محبتها له إلى شاكية منه ، وابتدرت زوجها بالشكوى متباكية ، ونعت على يوسف أنه أراد

بها السوء ، وضرعت إلى زوجها أن يقذف به فى السجن ، أو ينزل به العذاب الأليم « قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءا : إلا أن يسجن ، أو عذاب أليم » .

ومهما يكن من ثقة العزيز فى يوسف ، واطمئنانه إلى مساكنته مع أهله ، فشبهة التصابى تعلق عادة بالرجل أكثر مما تعلق بالمرأة ، وزليخا أقرب إلى نفس زوجها من يوسف ، وحيلة المرأة أكثر نجاحا ، وقد تضعف الحقيقة وينشط أمامها الباطل حينا ، فيوسف الآن فى موقف الظنة ، ومعرض الشبهة ، ووسيلته إلى البراءة أن يقول الحق ، والحق يزهق الباطل كما تكفل الله ، فماذا قال : « قال هى راودتنى عن نفسى » ولكن : أين هذا مما صنعت زليخا فى تباكيها ، وتحررها من الشبهة ؟ ؟

٦ — وليس ليوسف إلا أن تسعفه العناية بنفحة من نفحات الحق ، ترد عنه كيد المرأة ، وتدفع عنه شبهة الظانين .

وقد كان ذلك على لسان صبى من أهل زليخا ، كان فى مهده لا يتجه إليه النظر ، ولا يلتمس منه القول ، ولكن الله أنطقه فقال : « إن كان قميصه قُدَّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت : وهو من الصادقين » .

وحينما وقعت شهادة الصبى موقع الصدق الذى لا مراء فيه ، وتركزت الجريمة فى زليخا ، تراجع الملك عن غضبه ، واحتال فى ستر المخزاة على زوجته ، وتظاهر بالتسامح ، وقال : « يوسف أعرض عن هذا » أى لا تتحدث به ، ولا تكشف عنه ، وقال لزليخا : « واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين » ومع ذلك التلطف الذى بدا من العزيز فقد بالغ فى التستر على زوجه ، وأمر بيوسف فزجوه فى السجن ليتسامع الناس بأنه المسىء ، وأن زليخا بريئة ، وكانوا من قبل يتسامعون بما هنالك . وللقصة بقية لا يتعلق بها قصدنا اليوم .

وإنما قصدت إلى حديث الصبى فى مهده تكملة لسلسلة بدأناها فى هذا الشأن بالحديث عن عيسى عليه السلام ، وهذه قصة تناولها الحديث فى لهجات شتى ، وتفسيرات متنوعة ، وقد زعم زاعمون أن المتكلم شاهداً على زليخا لم يكن طفلا فى المهد ، وإنما كان مستشاراً حكيما يرجع الملك إلى رأيه ، وزعم آخرون غير ذلك .

والقصة جديرة بأن ينطق فيها صبى كما نطق فى أحداث مشابهة ، فليس فيها استحالة،

ولا استبعاد ، وخاصة أنها حلقة من الحلقات الناضرة فى تاريخ النبوات ، وليعلم الناس أن الأنبياء يبتلون بما يبتلى به غيرهم أو أشد مما يبتلى به الناس ، فتكون العبرة ماثلة للأذهان والعقول على اختلاف العصور .

وإذا روعى أن يوسف مهيأ فى علم الله ليكون صاحب رسالة ، وليكون ذا شأن فى ملك مصر ، بعد أن طوح به إخوته فى الجب حسداً له وتخلصاً منه ، فليس كثيراً عليه أن تتكفل به العناية الربانية بكل ما شاء القدر من وسائل التزكية .

* * *

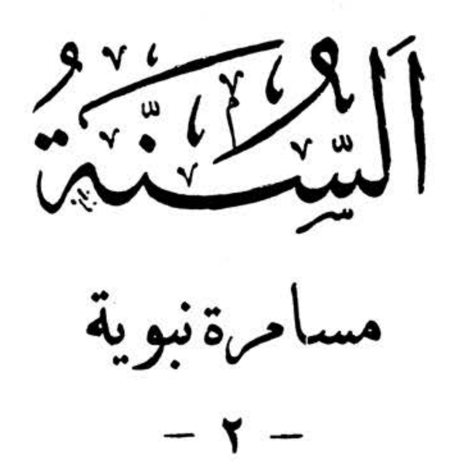
(ب) وسادس المتكلمين فى المهد : رضيع كانت أمه تعاود ابنة فرعون لتمشطها من وقت إلى وقت ، والقصة على ما روى ابن عباس بلفظه ، قال : (قال النبى ﷺ « لما أسرى بى : مررت فى رائحة طيبة ، فقلت ما هذه الرائحة ؟ ؟ قالوا : ماشطة ابنة فرعون ، وأولادها .. سقط مشطها من يديها فقالت : باسم الله ، فقالت ابنة فرعون : أبى ؟ ؟ قالت : ربى وربك ورب أبيك ، قالت : أو لك رب غير أبى ؟ ؟ قالت : نعم : ربى ، وربك ، ورب أبيك : الله - قال - فدعاها فرعون ، فقال : ألك رب غيرى ؟ ؟ قالت : نعم - ربى وربك الله - قال - فأمر بنقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها ، قالت : إن لى إليك حاجة ، قال : ما هى ؟ ؟ قالت : تجمع عظامى وعظام ولدى - تريد أولادها جميعاً - فى موضع واحد ، قال : ذاك لك ، لما لك علينا من الحق ، فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم ، فقال : قعى يا أمه ، ولا تقاعسى فإنا على الحق) .

وفى هذا من وجوه العبرة ما أسلفنا فى قصة جريج وأصحاب الأخدود وسواهما .

وفى هذه القصص كلها جانب ذو شأن من روعة التهذيب الدينى ، وبلوغه مبلغه من الإقناع والزجر والإذعان لقدرة الله ، مما لا يحتاج إلى مزيد فى الإسهاب .

وإن تكن لنا ملاحظة ننبه إليها ، فهى أن القرآن صرح بأن عيسى تكلم فى المهد . وفى بقية القصص أجمل القرآن حديثه فى بعضها : كحديث أصحاب الأخدود ، وشاهد يوسف . ولكن السنة أفصحت وفصلت ما أجمله القرآن ، وكفى بذلك بيانا وطمأنينة ، وهناك آثار تثبت الحديث فى المهد لأفراد غير من ذكرنا ، ولكنها ليست من الدقة بحيث تكفى للإقناع ، وكفى ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



مسامرة نبوية

- ٢ -

أعمدة بيت - خطبة أم سليم - نعم المهر الإسلام - خادم يفخر بخدمته - مزحة نبوية - أنس يحتسب مائة وعشرين ونيفا من صلبه - كياسة صبي وأمانته .

* * *

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا . وكان لى أخ يُقال له أبو عُمير . قال - أحسبه - فطيم . وكان إذا جاء قال : يا أبا عُمير ، ما فعل النُّغَير ؟! نغَر كان يلعب به - فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا ، فيأمر بالبساط الذى تحته فيُكنس ويُنضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى

* * *

قلنا فى الجزء الماضى : « كان صلوات الله عليه يزور أصحابه فى بيوتهم ، يكرمهم ويعلمهم ويطمئن عليهم ، ويبعث فيهم من جلال النبوة سناء ، ومن جمالها نورا وضياء . وكان يختص بيت خادمه أنس بمزيد من الزيارة رحمة منه وحنانا ... » فما سر هذا الاختصاص ؟

* * *

لقد اجتمع فى بيت خادمه من الفضل والنبل والمزايا ما لم يجتمع فى بيت غيره .

قام هذا البيت الكريم على أعمدة ثلاثة ، كل منهم - رضوان الله عليهم - أمة وحده ، وكل

منهم أنصارى خزرجى نجّارى ، ينتهى نسبه إلى بنى النجار ، أخوال النبى صلى الله عليه وسلم ، أو أخوال جده عبد المطلب ، فى عبارة أدق : أبو طلحة زيد بن سهل ؛ وزوجه أم سُليم أم أنس ؛ وابنها أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر .

* * *

فأما أبو طلحة فهو من نقباء الأنصار وأعلامهم ، شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، واستمر بين يديه يوم أحد يحوز عنه بجحفته ، وكان شديد الرمى ، فنثر له ﷺ كنانته بين يديه ، وكلما همّ ﷺ أن ينظر إلى القوم ليرى مواضع النبل قال له : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ! لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك ، ويتطاول - رضى الله عنه - بصدره يقى رسول الله ﷺ . . وقتل وحده يوم حنين عشرين مشركا . . وكان لا يكاد يصوم نفلا على عهده ﷺ من أجل الغزو ، ثم صام بعده أربعين سنة لا يفطر إلا يوم أضحى أو فطر ، وقد قدمنا فى الجزء الماضى بعض شأنه فى الخير والإنفاق مما يحب .

* * *

وأما أم سليم فهى من فضليات السابقات إلى الإسلام ، والغازيات فى سبيل الله ، أسلمت ورسول الله ﷺ بمكة ، وبايعته حين مقدمه إلى المدينة ، فأغضب إسلامها زوجها مالك بن النضر ، وزاده غضبا أنها كانت تلقن أنسا كلمة التوحيد ، وهو طفل رضيع ، فجعل ينطق بها أول ما ينطق ، وزوجها يقول لها : لا تفسدى علىّ ولدى ! ثم خرج عنها يائساً إلى الشام فكان فيها مصرعه . . فخطبها أبو طلحة وهو مشرك . فقالت : أما إنى فيك لراغبة ولكنك كافر وأنا مسلمة ، فان أسلمت فإنى لا أريد منك صداقا غيره ، فأسلم وجاءها ، فقالت حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس فيقول جزى الله عنى أمى خيرا ، لقد أحسنت ولايتى ، فلما كبِر أنس قال لها أبو طلحة : لقد جلس أنس وتكلم ، فقالت : يا أنس ، زوج أبا طلحة .

كانت أم أنس تصحب رسول الله ﷺ فى غزواته فتداوى الجرحى وتسقى العطاش ، وربما جاوزت ذلك فانغمرت فى الجيش غازية ، ولها فى الحرب حديث عجب ! شهدت حنينا مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها ، وإنها يومئذ حامل بعبد الله

ابن أبي طلحة — الذى ألممنا بطرف من أمره فى الجزء الماضى — فقال أبو طلحة : يارسول الله ، إن أم سليم معها خنجر ! فقالت : يارسول الله ، أتخذه إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه . فتبسم صلوات الله عليه وقال : يا أم سليم ، إن الله قد كفى وأحسن .

* * *

وأما أنس فقد سبقت له السعادة بخدمة النبي ﷺ ، وكان يفخر بهذه الخدمة ، وحق له . كناه صلوات الله عليه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ، ومازحه بقوله له : يا ذا الأذنين ، وهى مزحة جمعت بين الحق والحكمة والطرافة ، وفيها إشارة لطيفة إلى ما ينبغى أن يتحلى به الإنسان عامة ، والخادم المهذب خاصة ، وهو أن يكون ما يسمع وقد خلق الله له أذنين ، ضعف ما يتكلم وقد خلق له لساناً واحداً .

* * *

تنبهت أمه إلى شرف هذه الخدمة ، فما إن قدم صلى الله عليه وسلم المدينة حتى قدمته له وهو غلام لم يتجاوز العاشرة ، وقالت : هذا خويدمك أنس ، فقبله وسر به . ودخل على أمه ذات يوم فأتته بتمر وسمن ، فقال أعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم فى وعائه ، ثم قام فى ناحية البيت فصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ؛ فقالت : يا رسول الله إن لى حويجة ، قال ما هى ؟ قالت خادمك أنس ، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به : اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له . قال أنس فإنى لمن أكثر الأنصار مالا ، وحدثتنى ابنتى أمينة أنه دفن لصلبي إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة - وكانت أرضه تثمر فى السنة مرتين ، واتفق العلماء على أنه تجاوز المائة ...

ومن مفاخر كياسته وأمانته وهو صبي لم يبلغ الحلم ، ما رواه مسلم عن ثابت عنه قال : أتى علىّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت ما حبسك ؟ فقلت بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر ، قالت لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا . قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت . وحسبك أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين فما قال له أف قط ولا لشىء صنعه لم صنعته ؟ ولا لشىء تركه لم تركته ؟

هذه ترجمة مجملة لبيت خادم النبي ﷺ ، فهل رأيت أو سمعت أعجب من هذا البيت ؟ وهل أيقنت أنه خليق بأن يكرمه النبي صلى الله عليه وسلم بمزيد من زيارته ومخالطته والاستراحة إليه ، والسؤال عن خادمه وأهل خادمه ، والصلاة فى بيتهم والدعاء لهم ، كما يصلى فى بيته ويدعو لأهله على سواء ؟!

* * *

وثمت سببان آخران لاختصاص هذا البيت الكريم ، بمزيد من الزيارة والتكريم :

أحدهما ما قاله جمع من الأئمة - وفى طليعتهم الإمام النووى - رحمهم الله ، قالوا : إن أم سليم وأختها أم حرام - وكانتا فى دار واحدة - كانتا خالتين من الرضاع للنبى ﷺ ، والخالة بمنزلة الأم ، فكان يرى فى كل منهما أما حنونا ذات شرف وسن ، يتحدث إليها ويستروح بالجلوس عندها ، وثبت فى الصحيحين أنه كان يدخل على أم حرام فيطعم عندها ، ويقيل فى بيتها . وما ذاك إلا لأنها وأختها كلتيهما محرم منه . نعم هو معصوم منزه صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن الأمر ليس أمر عصمة فحسب ، بل هو - إلى العصمة - أمر تربية وتهذيب ، وقد بعثه الله معلما متمما لمكارم الأخلاق ، وبلغ من حيطته مع عصمة الله له أن يده لم تمس يد امرأة قط إلا أن تكون زوجا أو محرما .

الثانى ما رواه البخارى عن أنس فى كتاب الجهاد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة - غير بيت أم سليم - إلا على أزواجه ، فقيل له ، فقال إنى أرحمها ! قتل أخوها معى ! [أى مع عسكرى أو على أمرى وطاعتى ؛ لأنه لم يصاحبه فى هذه السرية وإنما أمره بصحبتها] ولعله خص أم سليم ، لأن وُجدها على أخيها حرام بن ملحان كان أشد وأعمق ، وإلا فكلتاهما أخت له ، وكذلك أختهما الثالثة : أم عبد الله .

* * *

وقد استشهد حرام فى سرية القراء السبعين الذين أرسلهم النبى ﷺ فى إمارة المنذر ابن عمرو إلى أهل نجد فى السنة الرابعة . . . فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة — بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم — بعثوا حراما إلى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر ، بكتاب رسول الله ﷺ ، فلم ينظر فيه ، بل وثب على حرام فقتله ! ثم استصرخ عليهم قبائل من بنى سليم : رعلا وذكوان وعصية فغدروا بهم جميعا إلا واحدا وقع بين القتلى ، وآخر كان فى سرح القوم . ولما بلغه ﷺ نبؤهم خطب فى أصحابه فقال : إن إخوانكم قد لقوا المشركين

وقتلوهم ! وإنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا ! وحزن عليهم صلوات الله عليه حزنا شديدا ! وأقام يدعو على الغادرين بهم شهرا فى الصلاة !

* * *

فكان صلوات الله عليه يجبر كسر هذا البيت الذى فقد ركننا من أعز أركانه ، بزيارته والصلاة فيه ، تخفيفاً وترويحاً وتسرية ، وتعليما لأمته وتربية وتزكية ، فقد أرسله ربه رحمة للعالمين ، وهداية للمعلمين ، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

* * *

أما بعد ـ فلنا عظيم الرجاء فى الله تعالى أن يذلل لنا الصعاب التى اعترتنا فى بلوغ الدعوة وموقف المسلمين منها ، وفى الفترة وتحديد العلماء لها ، كى نعود إلى بحثنا فى «جزاء الصالحات» الذى بدأنا به عامنا هذا ، فنختتمه فى الجزء الآتى بمشيئة الله وعونه ؛ فإنه المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

طه محمد الساكت

سادات العرب

قال الجاحظ فى كتاب (شرائع المروءة) :

كانت العرب تسوّد على أشياء : أما مضر فتسود ذا رأيها . وأما ربيعة فمن أطعم الطعام وأما اليمن فعلى النسب .

وكان أهل الجاهلية لا يسوّدون إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان . وصار فى الإسلام سبعا .

وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ قال ببذل الندى ، وكف الأذى ، ونصر المولى ، وتعجيل القرى .

وقالوا : السؤدد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة .

من نوادر المخطوطات

المساعد لابن عقيل

إلى تسهيل القواعد لابن مالك

إن ابن مالك علم من أعلام العربية ولا شك ، ليس فى النحو فحسب كما يظن كثير من الناس ، وإنما هو علمها فى فنون القراءات والأدب ، له فى ذلك آثار خالدة ، ستبقى على مر الأزمان دلائل ناطقة بعلمه وفضله . ومؤلفه الأشهر ألفية النحو والصرف حسبه أن يضعه على رأس القائمة من العلماء .

ولابن مالك مؤلفات كثيرة ، تناولها العلماء بالبحث والدراسة ، وظلت العمدة فى فنونها ، وما تناولته من موضوعات لم تقو مؤلفات بعدها ـ على كثرتها وتطاول الزمن عليها ـ أن تنسخها أو تزاحمها . وقد حظيت بعض مؤلفات ابن مالك بالقبول والشهرة ، وأقبل العلماء والمتعلمون عليها من سائر الأقطار الإسلامية : يدرسونها وينهلون منها ويلتقطون من دررها .

ومما تميزت به كتب ابن مالك غلبة الروح الأدبية عليها ، يبدو ذلك فيما يختاره من الأمثلة والشواهد لتأصيل الأصول وتقرير القواعد ، وإن هذه الروح تخفف كثيراً من ثقل القواعد وجفافها ، يعرف ذلك من درس ألفيته واطلع على تسهيله .

وممن عرف من العلماء بالعناية بكتب ابن مالك العلامة عبد الرحمن بن عقيل ، فقد عنى بكتابه (الألفية) فشرحه الشرح المشهور (شرح ابن عقيل) . وشرح ابن عقيل فى نظرنا خير كتاب فى النحو والصرف سيبقى ـ ما بقيت اللغة العربية ـ العمدة فى قواعدها ، ولقد كان من حظ اللغة العربية أن يتولى شرح الألفية العلامة ابن عقيل حيث تظاهرت فى خدمتها عبقرية ابن مالك وعبقرية ابن عقيل ، وكان من ثمار هذا التظاهر شرح ابن عقيل على ألفية

ابن مالك ، ذلك الشرح الذى يغمطه من يحاول أن يصفه ، فالعذب السلسبيل دون عذوبته ، والأدب الرفيع دون أسلوبه ، والسحر الحلال دون إعجازه فى بابه .

تناول ابن عقيل (ألفية ابن مالك) فشرحها الشرح المعروف المتداول ، وتناول كتابه (تسهيل القواعد وتكميل المقاصد) فعلق عليه تعليقا موجزا رأى من الإنصاف والدقة العلمية أن يسميه « المساعد » فلم يزعم أنه شرحه أو أنه حل مشكلاته أو جلا عويصاته ، وما إلى ذلك من العبارات التى اعتاد الشارحون أن يتنفجوا بها ، لكن ابن عقيل يرى أن عمله فى شرح التسهيل هو الإعانة فحسب ، والإعانة تكون بما قل وكثر وما جل وعظم ، فيقول فى خطبة الكتاب :

« هذا تعليق مختصر جمعته على (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للعلامة جمال الدين ابن مالك رحمه الله ، يسهل اقتناص شرائده ، ويعين على استخراج فوائده ، ويتكفل بتكميل عوائده وتوضيح مقاصده ، ومزجته بأصله حتى صار ككتاب واحد » .

* * *

ولتمام التعريف بالمساعد على التسهيل يحسن أن نذكر كلمة عن التسهيل مستمدة من المراجع التاريخية التى ترجمت لابن مالك وتعرضت لكتابه التسهيل ، وموجز ما قيل فيه : انه من كتب ابن مالك التى عرفها العلماء قديما واعتمدوا عليه فى مؤلفاتهم . وهو منثور لأرجوزة له فى النحو تسمى « مجموع الفوائد » ويغلب على الظن أن هذا المجموع كان فى حاجة إلى التسهيل والتوضيح فوضع له ذلك ، وإنه ليدل باسمه على الغرض منه ، كما يغلب على الظن أن كتاب التسهيل لم يف بالغرض فلم يوضح المجموع تمام التوضيح فشرحه ابن مالك شرحا وصل به إلى باب المصادر ، ويقال : إن ابنه بدر الدين قد أكمله ، ثم شرحه العلامة أبو حيان الأندلسى ، والعلامة جمال الدين بن هشام الحنبلى ، والعلامة بدر الدين الدماميني وغيرهم ، ثم علق عليه العلامة ابن عقيل بكتابه (المساعد) . وقال بعض العلماء : نظم ابن مالك رجزا فى النحو عظيم الفائدة يستعمله المشارقة ، ثم نثره فى كتاب يسمى (الفوائد النحوية والمقاصد المحوية) ثم صنف كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تسهيلا لذلك الكتاب وتكميلا له ، وإنه لاسم طابق مسماه ، وعلم وافق معناه ، غير أنه فى بعض الأبواب يقصر عن معناه ويترك ما ارتهن فى إيراده ، فسبحان من تفرد بالكمال .

وقال شارحه الدماميني : « إن الكتاب المسمى (بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) للإمام ابن مالك كتاب جمع الفوائد جمع كثرة ، وأفصحت كلماته التي غلت قيمتها ، فكان كل كلمة منه درة ، لا ينازع في فضله من دخل باب الاشتغال إليه ، وإذا كان غيره من الفضلات فلا شك أن العمدة عليه . طال ما جاء بالنفع المتعدى فكان شكره لازما ، وعد حازما من كان بإسكانه في منازل التقديم جازما ، جمع من براعة العبارة والتنقيح ، واعتنى بالإيجاز فاغتنى بالتلويح عن التوضيح ، وحشا أصداف المسامع دررا لا عهد لها بمثله ، فظن بعض الطاعنين أنه سار في صعب الطريق ، وفي الواقع لم يسر إلا في سهلها ، وإنما أتى الطاعن من قبل غموض العبارة عن نظره القاصر ، ومنى بضعف الإدراك وفقد الإسناد ، فأصبح لا قوة له ولا ناصر » .

أما (المساعد) الذي هو موضوع كلمتنا فهو من أقدم شروح التسهيل ، فقد فرغ المصنف من تصنيفه سنة ٧٥٨ وتوفي ابن مالك سنة ٦٧٢ . وهو شرح موجز أو تعليق مختصر وضعه مؤلفه ليساعد على فهم (التسهيل) ، لذلك يقتصر فيه على بيان ما يراه غامضا ، ويتحاشى التطويل والاستطراد إلى العلوم الأخرى ، فيجعل كتب النحو للنحو ، ولا يخلط علما بآخر ككثير من الشراح ، ولا يحاول تعليل مسائله كما يحاول غيره ، وتبدو في الكتاب روح ابن عقيل العربية والأدبية ، فيستعين القرآن والحديث والشعر في الأمثال والشواهد ، ويرصع تعليقه بكريم الآيات وعيون الشعر ما واتته الفرصة .

* * *

ونذكر هنا أنموذجا من هذا الشرح لتستبين طريقته فيه ، واضعين الأصل من التسهيل بين قوسين .

فصل (يتعين انفصال الضمير إن حصر بإنما) كقول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما　　　يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

(أو رفع بمصدر مضاف إلى المنصوب) نحو عجبت من ضربك هو ، ومنه قوله :

بنصركم نحن كنتم ظافرين وقد　　　أغرى العدى بكم استسلامكم فشلا

(أو بصفة جرت على غير صاحبها) نحو زيد هند ضاربها هو ، ومنه :

غيلان مية مشغوف بها هو مذ　　　بدت له فحجاه بان أو كربا

(أو أضمر العامل) كقوله :

فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

أى فإن ضللت لم ينفعك علمك ، فأضمر الفعل لفهم المعنى فانفصل الضمير (أو أخر) كقوله : إياك نعبد (أو كان حرف نفى) كقوله :

إن هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين

(أو فصله متبوع) نحو جاء عبد الله وأنت . ومنه قوله تعالى : « لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين » وقوله تعالى : « يخرجون الرسول وإياكم » الخ .

ويستعين ابن عقيل فى شرحه بآراء ابن مالك فى النحو ، ويتعرض لكثير من مذاهب النحويين ، كما يفعل ذلك فى شرحه على الألفية ، إلا أنه يتوخى الإيجاز عامة فى شرحه على التسهيل .

وتختلف عبارة (المساعد) تبعا للتسهيل عما ألفناه فى كتب النحو ، فيقول فى تعريف الاسم والفعل والحرف : والاسم كلمة يسند ما لمعناها إلى نفسها ، والفعل كلمة تسند أبدا ، والحرف كلمة لا تقبل إسنادا وضعيا .

* * *

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من (المساعد) لعلها أقدم النسخ عامة ، فقد فرغ ناسخها منها سنة ٧٦٩ ، وفرغ مصنفها من تصنيفها سنة ٧٥٨ أى أنها كتبت بعد تصنيفها بإحدى عشرة سنة ، وهى بخط عيسى على السنباطى المعروف بابن الغزولى ، نقلها من نسخة العلامة أبى عبد الله محمد محمد الغمارى ، وهى بخط واضح قليل الهنات النسخية ، وبهامشها تصحيحات وتعليقات كثيرة ، وبخاصة أولها ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور كل صفحة ٢٩ سطرا ، ويميز الأصل من الشرح دوائر حمراء صغيرة .

هذا ولعل تعريفنا بكتاب (المساعد) يحفز المشتغلين بعلم النحو إلى العناية به وبالتسهيل ، فقد حرم التسهيل — كما حرمت شروحه — من الدراسة والنشر ، مع أنها من الكتب الأصول فى النحو بعد الكتاب لسيبويه ، ولا تزال حبيسة الخزائن ، ومجهولة حتى لبعض الخاصة ؟

أبو الوفا المراغى

الدَّخيلُ وَكُتُبُ التّفْسيرُ

- ٨ -

... ومما جاء فى قصص الأنبياء وليس له سند صحيح فى الإسلام ما روى فى قصة أيوب عليه السلام ، فقد تزيد فيها المتزيدون ، وأتوا فيها بما عصم الله أنبياءه عنه ، وصوروه بصورة منفرة لا يرضاها الله سبحانه لرسول من رسله ، فقد روى عن قتادة : أنه ابتلى سبع سنين وأشهرا ، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده .

وروى عن ابن عباس أنه صار قرحة ما بين قدميه إلى قرنه ، وأنه ألقى على الرماد حتى بدا حجاب قلبه ، إلى غير ذلك مما ذكر فى تفسير الدر المنثور وغيره .

والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون عن كل ما ينفر الناس منهم : كالجذام والجدرى وسائر الأمراض المنفرة ، وإلا لم تحصل الفائدة المرجوة من بعثهم .

وأصحاب كتب الحديث المعتمدة لم يذكروا شيئاً مما أشرنا إليه . قال ابن حجر فى الفتح : « وأصح ما ورد فى قصته ما أخرجه ابن أبى حاتم وابن جرير وصححه ابن حبان والحاكم بسند عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلى فلبث فى بلائه ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ، فكانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما للآخر : لقد أذنب أيوب ذنباً عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء ، فذكره الآخر لأيوب ، فحزن ودعا الله حينئذ ، فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده ، فلما فرغ أبطأت عليه ، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك ، فضرب برجله الأرض ، فنبعت عين ، فاغتسل منها فرجع صحيحاً [1] الخ » ، وقد رويت القصة مطولة جداً عن وهب بن منبه مما يدل على أصل هذه القصة وأنها مما حمله أهل الكتاب ، ثم جاء القصاص والمولعون بالغرائب فزادوا فيها وأذاعوها .

---

[١] فتح البارى جزء ٦ ص ٣٢٦ .

وقد ذكر بعض الباحثين فى قصص الأنبياء (١) أن المبالغين فى ضر أيوب إنما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب فى السفر المسمى سفر أيوب ، وإذا ثبت أن هذا السفر حقيق ، فعبارته مؤولة ، ففى هذا السفر ما نصه : « فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته ، فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد ص ٢ أيوب ، وبعد أن ذكر بعض النقول قال : فرأوا ذلك فحسبوا هـذا القول على وجه الوصف الحقيق ، ولوتدبروا لعلموا أن سفر أيوب يشبه قصائد شعرية قيلت فى وصف ضره وصبره ، والشعر فى كل لغة ميدان المبالغة . انظروا إلى قول عمر بن الفارض :

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى وإيقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

وهذا المتنبي يقول :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

إلى آخر ماذكر من شعر .

وهذا التأويل إنمـا هو على فرض ثبوت ما جاء فى سفر أيوب ، فأما إذا كان ممـا تزيدوه فالواجب رده ولا كرامة .

وقد دل القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على أن أيوب ابتلى فى نفسه ، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال . قال تعالى : « إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » . فالبلاء ممـا لاشك فيه ، والذى ينبغى أن نعتقده أن بلاءه لم يصل إلى هـذا الحد من أن جسمه أصبح قرحة ، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل ، وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على كناسة تختلف فى جسمه الدواب ، وأن يصير قرحة ينفر الناس منه ، والأنبياء إنمـا يبعثون من أوساط أقوامهم ، فأين كانت عشيرته قتواريه وتعمل على رعايته وحفظه ؟ بل أين كان أتباعه والمخلصون له ؟ اللهم إن هذا لا يقره عقل ولا نقل يعتمد عليه .

---

(١) قصص الأنبياء المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤١٧ .

ويعجبنى ما قاله القاضى أبو بكر بن العربى رضى الله عنه قال [١] « ولم يصح عن أيوب فى أمره إلا ما أخبرنا الله عنه فى كتابه فى آيتين الأولى فى قوله تعالى : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر » ، والثانية فى سورة (ص) « أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله : « بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رِجْل من جراد من ذهب » الحديث [٢] ، وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ، فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أى لسان سمعه ؟

والإسرائيليات مرفوضة عنـد العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالا ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا . وفى الصحيح ـ واللفظ للبخارى ـ أن ابن عباس قال : « يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا : « هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا » ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذى أنزل عليكم ، وقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة » .

والظاهر أن مرض أيوب كان من النوع الذى يشتد ألمه ولا يظهر أثره على ظاهر الجلد : كأمراض العظام والمفاصل ونحوها من الأمراض الباطنية ، ولا يزال الناس يستشفون بمياه العيون الكبريتية من أمثال هذه الأمراض إلى يومنا هذا .

* * *

ومن المختلق المصنوع ما ذكره بعض المفسرين فى يأجوج ومأجوج ، قال فى الدر المنثور [جزء ٤ صفحة ٢٥٠] : أخرج ابن جرير وابن عدى وابن عساكر وابن النجار عن حذيفة قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج ، فقال : (يأجوج ومأجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف أمة ، لايموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه حمل السلاح) . قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، فقال : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم مثل الأرز ، قلنا :

---

(١) تفسير القرطبى : جـ ١٥ صـ ٢١٠ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه [كتاب أحاديث الانبياء] .

وما الأرز، قال: شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع، وصنف طوله وعرضه سواء، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى إلى آخره. وقد ذكر هذا أيضا القرطبي فى تفسيره. وهو موضوع كما قال الحافظ ابن الجوزى وغيره [١].

* * *

وفى كتب التفسير من هذا الزيف شىء غير قليل: مثل ما يذكرونه عن ذى القرنين من روايات تنادى باختلاقها، وما يذكرونه عن الأقوام التى وجدها عند مطلع الشمس ومغربها، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما الآيات»، فقد ذكروا أن هناك قبائل تاوس وهاويل ومنسك وناسك إلى غير ذلك مما ذكروه، وأن النبى صلى الله عليه وسلم مر بهم ليلة الإسراء والمعراج فدعا بعضهم فأجابوه، ودعا البعض الآخر فلم يجيبوه. وقد ذكر القرطبي كثيراً من ذلك مختصراً مما ذكره ابن جرير وغيره عن مقاتل يرفعه إلى رسول الله.

والحق أن ذلك كله من الإسرائيليات الباطلة التى ننزه عنها المعصوم. ولعل مما يؤكد ذلك أن كثيراً من الروايات الواردة فى هذا الباب من رواية وهب بن منبه، وقد جاءت موقوفة عليه. ورفع ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الخطأ البين والإثم الشديد. ونحن لا نشك فى ذى القرنين ويأجوج ومأجوج، ولكن الذى ننكره هذه الأساطير والروايات التى دست على أنها روايات إسلامية.

* * *

ومن المختلق أيضاً ما ذكره ابن جرير فى تفسيره عند قوله تعالى: «وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين، الآيات»، فقد ذكر حديثا عن حذيفة مرفوعا مطولا، وهو موضوع لا يشك فى ذلك من له أدنى معرفة بالحديث، فلا تلتفت إليه مع تنزيه الرسول عن أن يقوله. والعجب كل العجب ـ كما قال ابن كثير ـ أنه كيف راج عليه مثل هذه الإسرائيليات مع جلالة قدره وإمامته، والعصمة إنما هى لله ومن شاءها له من أنبيائه ورسله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) اللآلى المصنوعة جـ ١ صـ ٩٠



رد على استفسار

جاءنى كتاب من أحد قراء هذه المجلة الأفاضل ، وهو السيد عبد المنعم طه نافع بهندسة جامعة عين شمس ، يثنى فيه على ما أكتبه تحت عنوان [الدخيل وكتب التفسير] ويبدى سروره بمتابعة الكتابة فى هذا الموضوع ، وأشهد الله أن سرورى بأن فى شبابنا المتعلم تعليما مدنيا من يتابع قراءة هذه البحوث العلمية الدينية كان أعظم من سرورى بالثناء على ما أكتب ، ورجوت أن يكون شبابنا المتعلم على درجة عالية من الوعى الدينى العلمى ، وأن يعنوا بالثقافة الإسلامية عنايتهم بالثقافات الأخرى .

وقد أبدى السيد الفاضل بعض ملاحظات على الوجه الذى اخترته فى تبرئة ساحة سيدنا يوسف عليه السلام من الهم بما يخل بالعصمة ، وعرض علىّ وجهاً آخر ، ورغب إلىّ إبداء رأيى فيه ، كما تمنى لو أنى عرضت لبقية الشبهات التى ترد على قصة يوسف عليه السلام . وإنى أجمل الجواب فيما يأتى :

١ — ما رجحته فى القصة من أن الكلام من قبيل التقديم والتأخير ، وأن التقدير « لولا أن رأى برهان ربه لهم بها » هو الرأى الذى اختاره كثير من محققى المفسرين ، وهو يبرىء سيدنا يوسف من أى هم بالفاحشة أو مقدماتها ، وهو ما يوافق شهادة الحق سبحانه لعبده يوسف بالبراءة والطهر . وأنا لم يخف علىّ الخلاف فى تقدم جواب لولا وقد أشرت إليه فى المقال ، وقد جوز التقديم الكوفيون وبعض أعلام البصريين ، وسواء قلنا المقدم هو الجواب أو دليله فالهم منتف على أى وجه كان .

٢ — ما ذكرته من كلام بعض المحققين من أن الهم خطرة خطرت بمقتضى الطبيعة البشرية سرعان ما زالت لم يكن اختيارا لى ، وإنما ذكرته لبيان أنه مقبول أيضا ولا بأس به ، واستعظام السائل حدوث هذا الخاطر ليس فى محله ، فيوسف بشر ، وبحسبه فى هذا الموقف الجارف الذى بدت فيه الفتنة مجسدة مع المبالغة فى الإغراء وتوفير كل أسباب الأمن والطمأنينة له ، أقول بحسبه فضلا ونبلا أن يخطر ذلك بنفسه خطورا سريعا لم يكن له أثر ما ، وإنما يتم هذا الاستعظام لو أن الصديق يوسف عليه السلام لم يكن بشراً وإنما كان ملكا لا شهوة فيه .

٣ — ما مال إليه السائل من أن متعلق الهم هو دفعه إياها عن نفسه بالضرب ، رأى

قاله بعض المفسرين ، وهو رأى بعيد ، لعدم مواءمته لقوله تعالى : «لولا أن رأى برهان ربه» لأنه لا ارتباط بين رؤية برهان ربه وامتناعه عن ضربها بعد أن هم به ، على ما هو الظاهر فى تفسير البرهان ، وهو ما ركز فى نفس الأنبياء من قبح القبيح والبعد عن المحرم ، وتأويل البرهان بإعلام الله له أنه لو نالها بالضرب لوقع فيما يكره بعيد جداً ، وهل يخفى على يوسف عليه السلام أن ضربه لامرأة العزيز مما يجره إلى ما يكره ، حتى يكون فى حاجة إلى إعلام الله له بذلك ؟ ؟ ولعل فيما ذكره السائل من أن هناك رأيا نفسانيا يقول إن الضرب ليس دليلا كافياً للبغض أو عدم الرغبة فى القيام بأمر ما ما يضعف هذا الرأى ، فلو أنه ضربها بالفعل لما كفى فى تبرئته .

٤ — ما أورده القارىء الفاضل من أن هناك شبهات أخرى لم أرد عليها فى المقال ، كان يرد لو أنى أردت بالبحث التكلم عن قصص الأنبياء ، ولكنى مسست قصصهم بالقدر الذى يتصل بموضوعى وهو ما دخل القصص من إسرائيليات وأكاذيب . ورغبة فى بيان الحق ونشر العلم أجيبه على ما ود أن أبينه .

إن طلب يوسف عليه السلام الولاية والسلطة من الملك لم يكن لحظ نفسه ، وإنما كان ليتوصل به إلى التمكن من تبليغ أحكام الله سبحانه وإقامة الحق وبسط العدل ، ولا سيما وقد علم أن أحداً لا يقوم مقامه فى ذلك ، فمن ثم طلبها ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا . وقد استدل به العلماء على جواز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر إذا كان ذلك سببا لإقامة الحق والعدل وإصلاح الفساد فى الأرض .

وأما احتياله فى أخذ أخيه فهو من التدبير الحسن والاحتيال المحمود الذى يتوصل به إلى مصالح دينية ودنيوية ، وقد ترتب على أخذه لأخيه وضمه إليه أن رجع إخوته إليه ، وتعرفه عليهم وتعرفهم عليه ، وزوال الكرب والغمة عن أبيه يعقوب ، وقدومه وقدوم زوجه وبنيه إلى أرض مصر . ونعموا جميعا باللقاء بعد الجفاء والصحبة بعد الفرقة ، وأتم الله عليهم النعمة . ومن هنا أخذ العلماء جواز التوصل إلى الاغراض الشريفة بالوسائل التى لا تخالف شريعة ولا تخذل حقاً ولا تنصر باطلا . وما من آية فى قصة يوسف عليه السلام إلا وفى طيها عبر وعظات ، وسبحان العليم الحكيم .

وبعد ـ فلعلك أيها المستفسر الكريم قد طبت نفساً واطمأننت قلباً واقتنعت بما ذكرته لك .

وسلام الله ورحمته عليك ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

سيد الخزرج

كان الأوس والخزرج قبيلتين عظيمتين فى العرب من أهل يثرب المجاورين لليهود بها ، وكان اليهود أهل كتاب سماوى ، وفيهم الاحبار والرهبان ، والعلماء بالأديان ، يعرفون الرسول المبعوث آخر الزمان ، ويستفتحون به على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

ولكن رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل علم لا يحمله ، وربما سعد متعلم زكى من معلم شقى ، كما جرى ذلك بين بنى قيلة (الأوس والخزرج) وبين اليهود . فقد استيقظت فى نفوس القبيلتين معانى الدين والنبوة ، وتفتقت أذهانهم عن صفات محمد ﷺ وما يجب له من الإيمان به وتعزيره فيما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وعلمائهم، وهم أعداؤهم المناوئون ، فحرصوا على ألا يسبقوهم إليه ، ولا يغلبوهم على الحف به وحمل راية النصر الخفاقة على رأسه الشريف ، على حين طبع الله على قلوب الأحبار والرهبان ، ومن أخذت عنهم تلك الأخبار ، فأنكروا ما عرفوا . والحسد - حفظك الله - طماس للحقائق ، جرار إلى البوائق ، وعند الله السلامة والعصمة والتوفيق .

* * *

كتب الله السعادة لبنى قيلة [١] فانتظروا هذه الفرصة الذهبية التى تصلح بين الأخوين المتخاصمين (من الأوس والخزرج) لتعود إليهم قوتهم ، وتخصب لهم أقواتهم ، ويخفض عيشهم ، ويأمنوا فى أوطانهم ، ويسلموا من حملات أعدائهم الآخرين . . . والتقى جماعة من الخزرج بالنبى ﷺ فى موسم الحج وتلا عليهم القرآن فعرفوه ، وظفروا منه بضالة منشودة ، وبغية مرقوبة ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) . (يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) . هو والله النبى المبعوث الذى استفتح به اليهود علينا . فهلم إلى عز الأبد ، والشرف والمجد . اتخذوا عنده يداً . وكونوا أنتم أسبق شىء إلى إقالة

---

[١] هم الأوس والخزرج كما قدمت فى صلب الصحيفة ، وقيلة أم الأوس والخزرج .

عثرته ، وحمايته من قومه ، لتحلوا أسمى منزلة فى قلبه ، وليجمع الله شملكم فى نوره وهديه.
وتكرر الاتصال والبيعة بما ترى فى التاريخ والسير ، واتخذ محمد ﷺ داره فى المدينة بعد أن زهدت فيه بلدته التى أخرجته ، واتخذ أهله فى الأنصار بعد أن جفته عشيرته وناصبته العداء :

وجفوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء

وكان من بنى ساعدة الخزرجيين عظيم مسود لا يبرم أمر إلا به ، ولا يصدر صادر إلا عن حكمه ، لا يسأله سائل منهم إذا ندبه لعظيم أو يسير برهانا على ما ندب إليه ، لأنهم ألقوا إليه مقاليدهم ، وقد عرفوا حدبه وحكمته وعدله وتفانيه ، وشملهم سخاؤه وعطاؤه ، وتعهدهم إحسانه وولايته : ذلك هو سعد بن عبادة سيد الخزرج غير مدافع .

سعد بن عبادة الذى سوده الإسلام كما سودته الجاهلية ، وعرف له فضله وصحة دينه فى سلامة عنصره وجوهره . والدين إذا اتصل بهذا العنصر الكريم آتى بركاته ، وتجلى فى إشراقاته ، وسما فى نفوس منتحليه ، كما تسمو نفوسهم فيه ! بادر السيد سعد بن عبادة إلى الحق ، ولبى دعوة الإسلام تلبية الصدق ، وقد كان أنف المستقبلين للسيد الرسول ، وقائد المهللين والمكبرين ، ثم أعد له نزله فى داره ، وود بكل ما ود لو حظى بهذا الشرف ونال هذه الرفعة الجديدة . ولكن الإسلام يأبى أن يستمد شرفه من شريف ، لأنه فوق الجميع ، ويأبى إلا أن يعلن عنه جوهره غير مضيف . وكان درسا عظيما أن تنزل الناقة المأمورة فى دار رجل إنما رفعه الإسلام وجعل له فى العالمين لسان صدق فى الآخرين ، هو أبو أيوب الأنصارى . وظل السيد الخزرجى فى خدمة السيد الربانى رسول الله ، فهو ذكره وهجيراه ، ومراحه ومغداه ، يتابع عليه كرامة الضيف الكريم العظيم ، ويتوخى كل مراضيه ، ويقدم له أطايب الهدية والقرى بيثرب . ظل السيد الخزرجى العزيز الكريم خير نصير لدعوة الإسلام ، ومعه صنوه العزيز الكريم سعد بن معاذ سيد الأوس ، فهو فى منعة من الله ، فى رحابهما ورحاب من يلوذون بهما حتى يقول الشاعر :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

وهو قول لا يقول به صاحبه حتى يتوثق له ، ويبصر حقيته ، وإلا كان الويل له !

* * *

ووضع السيدان أنفسهما تحت تصرف صاحب الرسالة ينهى فيقلعان، ويشير فيمضيان.
ومن ذلك أن السيد الرسول - صلوات الله عليه - أرسلهما إلى بنى قريظة، وقد قيل إنهم نقضوا عهدهم مع المسلمين، وأرسل معهم عبد الله بن رواحة وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ وإن كانوا على الوفاء لنا فاجهروا به للناس. فذهبوا إلى بنى قريظة، وإذا هم قد نقضوا العهد وخاسوا بالعقد، فكبر رسول الله ﷺ وقال: أبشروا يا معاشر المسلمين.

* * *

وكان السيد الهاشمى الربانى يستشير السيد الخزرجى الأنصارى فى مهام الأمر، ويثنى على مذهبه، ويأخذ فى الكثير من الأمر بقوله. كان السيد الأنصارى فى موضع التقدير بما سجل الله فى كتابه لقوم يتمثل شطرهم فيه، ويصدرون عن أمره فيما يعاملون به السيد الرسول وأصحابه المهاجرين فى سبيل الله وسبيله، والمفارقين ديارهم وأهليهم وأموالهم من أجله. فقد وصف من يمثل سعد هذا شطرهم فقال: (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال فيهم السيد الرسول صلوات الله عليه: « والله لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار واديا لكنت فى شعب الأنصار » أو كما قال. وكان السيد الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يشعره بهذه المنزلة، ويتردد عليه فى داره، ويعلن له الكثير من حبه وإيثاره: يزوره فى بيته كما يزور حبيبه أبا بكر، ويزوده بالعلوم والمعارف، ويرويه بعض كلمه الطيب: مثل قوله فيما يرويه عنه: « ما من أمير إلا أتى يوم القيامة مغلولا حتى يطلقه العدل. وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقى ربه وهو أجذم، وقالوا إنه يروى عنه كثير من جلة الصحابة مثل ابن عباس وأمامة ابن سهل. ويروى عنه أولاده وأحفاده.

* * *

وشهد سعد مشاهد الجهاد مع السيد الرسول صلوات الله عليه فى بدر والأحزاب والفتح، وكان يحمل راية الأنصار، وقد حمل راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح

ومر بها على أبى سفيان وقد أسلم . فقال له سعد : « اليوم يوم الملحمة . اليوم يستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا » ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن أبا سفيان وسكن من روعه وقال له : يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله قريشا . . .

وانتقل النبى صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى ، فأبت على سعد عزته أن يخضع لرئيس بعده ، وطلب أن يكون خليفة ، وهى منزلة لا يطمح إليها إلا مثل هذا الذى كان الأنصار يلقبونه بالكامل ، وقد التفوا به ، وتجمعوا من حوله ، وكادت تكون فتنة لولا أن ذكرهم أبو بكر رضى الله عنه بقول النبى صلى الله عليه وسلم (الأئمة من قريش) ثم قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فنزلوا على حكم الله ورسوله .

ثم كانت وفاته فى السنة الرابعة عشرة من الهجرة المحمدية فى عهد عمر بن الخطاب .

* * *

رحمك الله ياسعد ، لقد أوى الدين منك إلى ركن من الله شديد ، ولقد لقى الإسلام منك ومن أتباعك أعظم التأييد ، ولقد تعهدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويتم ونصرتم حتى جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ؟

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

الداء والطبيب

قال سيد الحفاظ أبو عبد الله الثورى (المتوفى سنة ١٦١) :
العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا اجتر الطبيب الداء إليه ، متى يداوى غيره ؟

مشكلة الدعارة

والاتجاهات الاجتماعية فى العالم

الدعارة مشكلة اجتماعية لها أهميتها وخطورتها، وهى حرفة من أقدم الحرف الإنسانية، عرفتها المجتمعات الوثنية القديمة، وما فتئت إلى اليوم منتشرة فى الكثير من المجتمعات الوثنية وغير الوثنية، وقد كانت الدعارة ولا تزال مثاراً للكثير من الأبحاث ووجهات النظر، وموضعاً للكثير من الحلول والنظم، الأمر الذى يدعو إلى بيان موضوعها، والتعرف على أسبابها ومظاهرها وأضرارها وخطورتها والوسائل التى تكافح بها.

ويرجع انتشار الدعارة فى المجتمع إلى مجموعة من الأسباب: منها أن الفقر - أو بالأحرى اضمحلال الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع - يحدو بالكثيرات من النسوة والفتيات الفقيرات اللاتى قست عليهن الايام وحرمن من العائل أو الأسرة الصالحة أن ينحدرن إلى هاوية الغواية والفساد، قاصدات باحتراف الدعارة الحصول على مورد رزق يعشن منه، ومنها أن شبان المدن فى الوقت الحاضر ضعف إقبالهم على الزواج وتأخرت بالنسبة له أسنانهم؛ وذلك لقلة الدخول التى يحصلون عليها، وقسوة الحياة التى يلاقونها فى الحصول على عيشهم، الأمر الذى يدفع الكثير منهم فى الغالب إلى الإقبال على تشجيع سوق الغواية والعلاقات غير المشروعة، فضلا عن السفور والتبرج وأثرهما، وتهرب الشبان من تحمل التبعات الزوجية، وسوء فهمهم لمزايا الحياة الزوجية وإقامة الأسر الصالحة، ومنها كذلك أن التعطل والبطالة من شأنهما تشجيع المتعطلين فى مناكب المدن على الفسق والفساد، يضاف إلى ذلك أن حرفة الدعارة تدر أرباحاً طائلة لطائفة تجار النخاسة البشرية الذين يقيمون الشركات والمكاتب والجماعات لإغراء النسوة التعيسات فى متباين البلاد وترحيلهن إلى البلدان التى يعدون فيها مواخيرهم ومحلاتهم للاتجار فى الرذيلة، وهذه الأرباح الطائلة تشجع هذه الطائفة على تجارتها ومتابعتها والاستزادة منها، يساعدها فى ذلك سهولة إغراء

الكثيرات من النسوة بسبب الحالة المعيشية السيئة التي يكن عليها في كثير من البلدان ، لا فرق بين المتمدين منها والمتأخر ، ويمكن القول أيضاً بأن السماح للأجانب بدخول البلاد والرغبة في تشجيع السائحين والغرباء على المكث بها ، قد حدا في الكثير من الأحيان في بعض الدول إلى تشجيع حرفة الدعارة بل وإلى تخصيص أحياء خاصة لممارستها ، يضاف إلى كل ذلك أثر الأوضاع الخلقية والتعليمية في البلد ؛ ذلك بأن من شأن سوء هذه الأوضاع وانخفاض مستواها ، وضعف التعليم ، والاستهتار بالقيم الروحية والمعنوية ، واضمحلال الوازع الديني ، ونشر الصور الفاضحة ، وذيوع قصص استثارة الغريزة الجنسية ، والأفلام المفضوحة ، من شأن كل ذلك أن تجد حرفة الدعارة لها مكانها في أوساط الشعب ، وتعمل عملها في هدم حياة الأفراد وقوامهم ، وخفض مستوى البلاد التي تنتشر فيها .

وخطر الدعارة واضح ، يتبين من الوجهات الاجتماعية والصحية والاقتصادية ، فالدعارة مرتبطة بمشكلة التشرد ؛ ذلك لأن من نتائجها وضحاياها وجود الأطفال غير الشرعيين الذين لا يعرفون لهم أباً ولا أهلا ، فيكونون نهباً للشوارع والطرقات والتسول والتشرد ، ومرتعاً خصباً للنشل والسرقة ، وبؤرة للضعف والانحلال والقذارة والمرض ، وصورة فاضحة أمام الغرباء والأجانب ، وقذى في عين الدولة التي يرتعون فيها ، وهنا نجد مشكلة التشرد تتخلف عن الدعارة ، فتعظم مسئولية الدولة وتحرج في علاج كلتيهما .

وترتبط الدعارة بالحالة الصحية في المجتمع ؛ إذ أثبت المختصون أنها دائماً مقترنة بالأمراض التناسلية كالزهري والسيلان وغيرهما ، وخطر هذه الأمراض بيّن واضح بالنسبة إلى انحلال قوى الشبان الجسمية ، وضعف النسل ، وعجز الطاقة الحيوية لدى الأفراد ، وهدم الأسر ، مما يستتبع من الناحية الاقتصادية نقص الإنتاج وقصوره ، وقلة دخول الأفراد ، وخفض المستوى المعيشي ، كما أنها مقترنة بالحالة النفسية والسياسية في المجتمع ؛ وذلك بأن المجتمع الذي تنتشر فيه الدعارة انتشاراً كبيراً تفقد فيه الروح المعنوية قوتها ، وتجتاح الأفراد موجة من الاستهتار والفوضى ، فلا يستطيع أن يواجه حركة الإصلاح العسكري أو الدفاع عن حياضه إذا حف به الخطر الخارجي ، واحتاج إلى ضريبة الدم أو روح الفداء من أبنائه وشبانه العاملين .

وفوق كل هذا وذاك فإن حرفة الدعارة من الحرف التى يشمئز منها الضمير الإنسانى، وتنفر منها الكرامة القومية فى المجتمع، وهذا هو الذى حدا بالأمم المتمدينة إلى مكافحتها والقضاء عليها، ولقد كان للجمعيات فى أنحاء العالم باع طويل فى استنكارها ومحاربتها ومطالبة الحكومات بإلغائها، ولم تقتصر الدعارة على كونها مشكلة داخلية فى كل دولة، بل تعدت ذلك إلى النطاق الدولى، وقد عنيت بها (عصبة الأمم) فى سنة ١٩٣٨ وأرسلت إلى الدول المنضمة إليها تسألها عن حالة البغاء فيها وما تفعله فى سبيل مكافحتها، وقد أصدرت العصبة فى سنة ١٩٣٩ تقريراً شاملا عن ذلك بعنوان عجيب، هو (وسائل رد الاعتبار للبغايا) !

ولو تتبعنا مشكلة الدعارة فى غالبية الدول من حيث الحالة التى يكون عليها البغاء فيها والوسيلة التى تتخذ لمكافحته لوجدنا أن الأمر فى هذه الدول يتفرع إلى اتجاهين : أحدهما يذهب إلى الاعتراف بالدعارة وتشجيعها وتنظيمها، وثانيهما يهدف إلى مكافحتها والقضاء عليها - فأما الاتجاه الأول فيذهب إلى الإبقاء على الدعارة ومحاولة حصرها فى نطاق خاص، وذلك بإصدار لائحة خاصة بها وبالبيوت التى ترخص الحكومة العمل فيها فى الأماكن التى تخصصها السلطة العامة لذلك، فضلا عن وجوب حصول كل مومس على رخصة تسلمها لها إدارة البوليس وعليها صورتها للعمل بها، وخضوعها دورياً للكشف الطبى بمعرفة طبيب قسم الآداب، وترسل السلطة العامة من يتبين من فحص هذا الطبيب أن بها مرضا تناسليا إلى المستشفى الخصوصى إن كانت وطنية أو تبلغ أمرها إلى قنصليتها إن كانت أجنبية، مع فرض عقوبة مالية كالغرامة، وتقويمية كغلق المحل عند مخالفة ما تقضى به مثل هذه اللائحة التى تبيح الدعارة على هذا الشكل الواضح المكشوف .

ويدعى أنصار هذا الاتجاه من المفكرين والمسئولين أن له ميزات تتلخص فى عزل المومس وحصر الدعارة فى أماكن محدودة، ومساعدة البوليس على حفظ الأمن العام، وتجنب التهتك فى الطرقات، وتمكين البوليس من المحافظة على الآداب، والإشراف على فئات الغاوين المفسدين، فضلا عن أن من شأن هذا النظام من الوجهة الصحية اجتناب الأمراض الزهرية . بيد أنه قد ثبت من الإحصائيات أن كل هذه الميزات ضعيفة واهية،

وأن الأهداف التى قصد إليها هذا النظام لم تتحقق بالكيفية التى توقع أنصاره تحققها به، فضلا عن قيام اعتراضات جوهرية عليه (١).

وأما الاتجاه الثانى الذى يهدف إلى مكافحة الدعارة فهو يقضى بإلغائها وإصدار القوانين الخاصة بمكافحتها لتلافى النتائج والاعتراضات التى تنجم عن اعتراف الحكومة بها وتنظيمها باللوائح الخاصة بها، وهذا الاتجاه الثانى يعتبر الدعارة جريمة من الجرائم المعاقب عليها (٢).

وفى رأينا أن فرض العقوبة وحده لا يكفى للقضاء على البغاء والدعارة؛ لأن حل أمثال هذه المشكلات المتصلة بالأخلاق والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لا يكون عن طريق الشدة والعنف فحسب، وإنما عن طريق وسائل للوقاية وأساليب لمنع الداء بالعمل على إزالة أسبابه ودواعيه فى شتى نواحى الحياة، لذلك فضلا عن وسيلة العقاب الرادع بتوقيع الحبس والغرامات نرى الاستعانة فى مكافحة الدعارة بكل الأساليب الممكنة، وفى هذا الصدد يجب أن نضع فى الاعتبار ما ورد فى التقرير الذى أخرجته عصبة الأمم سنة ١٩٣٩

(١) منها ثبوت أن العاهر تبقى دائما عاهرا بسبب الاتجار المعنوى بالنساء أو الرقيق الابيض، ومنها عدم امكان تشخيص المرض التناسلى بالوسائط الطبية التى اتبعتها البلدان التى أخذت بهذا النظام، ومنها أن هذا النظام إنما يعنى فى الواقع موافقة واضحة من الحكومة على البغاء كاعلان صريح منها عنه، ومنها التشجيع على الاتجار بالرقيق الابيض، ومنها أن فتح بيت الدعارة معناه إقامة مدرسة للغواية والافساد العام، ومن الجدير بالذكر أن الابحاث الخاصة بهذا الموضوع دلت على أن البغى أو العاهر بعد ممارستها مهنة الدعارة بعض السنين تعتادها ويكون من الصعب عليها تغييرها، فإذا قضى على البغاء وأخذت النسوة إلى الملاجىء للعمل فيها فى أعمال الخدمة كغسل الملابس سرعان ما تسأم المعيشة الجديدة وتفضل عليها عيشة المواخير التى اعتادتها وعركتها فى سنواتها الماضية فتهرب من الملاجىء الى المواخير، لأن سهر الليالى والانغماس فى الشراب والاصابة بالامراض الزهرية كل ذلك يؤثر فى صحتها ومزاجها تأثيراً من شأنه عوقها عن العمل فى نطاق غير نطاق البغاء، ومن أجل ذلك اتجه البحث بشأن مكافحة الدعارة الى الوقاية أكثر مما اتجه إلى العلاج، وقد فشل تقرير العصبة المذكور فى محاولة تذليل الصعوبة التى تعترض المسئولين حول توجيه المومسات الى العمل الشريف إذا قرروا القضاء على البغاء ومكافحة الدعارة.

(٢) قد أصدر المشرع المصرى فى سنة ١٩٥١ القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٥١ بشأن مكافحة الدعارة، وفيه ألغى لائحة بيوت العاهرات التى صدرت فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٥، وبذلك أضحت الدعارة جريمة معاقبا عليها فى مصر — راجع نصوص القانون المذكور.

من أن الدعارة هي والإجرام سواء : لأن مصدرهما واحد ، هو البيئة الاجتماعية السيئة واضمحلال الأوضاع الاقتصادية ، ومن أجل هذا يجب أن تتخذ مكافحة الدعارة شكل الوقاية ، أي عن طريق الإجراءات والتدابير المانعة الوقائية كما هو الشأن فى الكثير من الجرائم ، أى أن الدعارة يمكن مكافحتها بالعمل على تحسين الأوضاع الاقتصادية ، ورفع المستوى المعيشى وزيادة الإنتاج ، وإيجاد البيئة الاجتماعية الصالحة لأبناء مختلف طبقات الشعب فى أدوار الطفولة والشباب ، ونضيف إلى ذلك تحسين الأحوال الاجتماعية ، بالاستزادة من نشر التعليم القوى الصالح المقرون بالتربية على الفضيلة ، وتلقين الأطفال القيم الروحية والمعنوية القومية .

ولا بد لنا هنا أن نقرر الأهمية القصوى فى سبيل مكافحة الدعارة ، التى تعول على تشجيع الشبان على الزواج وبناء الأسر الصالحة ، وكل ذلك يتأتى عن طريق الاهتمام بتعاليم الشرائع السماوية فى الحض على الارتباط الشرعى المنظم ، وتحقيق الأهداف السامية التى تسعى هذه الشرائع لتحقيقها فى هذا المجال ، ويتضح هذا بكل وضوح إذا نظرنا فى التشريع الإسلامى فيما يتعلق بتنظيم العلاقات والأحوال الشخصية على وضع لا يجادل منصف هنا أو هناك فى سلامة أساسه وبنيانه وسلامة الدعائم التى يقوم عليها ! ؟

أحمد طه السنوسى

وكاء العفة

كنا وكانت العفة فى سقاء من الحجاب موكوء ، فما زلتم تثقبون فى جوانبه كل يوم ثقباً — والعفة تتسلل منه قطرة قطرة — حتى تقبض وتضاءل ، ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جئتم اليوم تريدون أن تحلوا وكاءه حتى لا يبقى فيه قطرة واحدة .

يا قوم إنا نضرع إليكم باسم الشرف الوطنى ... أن تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الأمة آمنات مطمئنات فى بيوتهن ، ولا تزعجوهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن ، فكل جرح من جروح الأمة له دواء ، إلا جرح الشرف فلا دواء له .

مصطفى لطفى المنفلوطى

عمر بن عبـــــــد العزيز

— ٢ —

... وعمر بن عبد العزيز الذى يشدد على نفسه التشديد الذى عرفناه، هو الذى يحرص الحرص كله على أن يصل إلى المسلمين جميع حقوقهم، لا يتأخر منها حق عن موعده، ولا ينقص منها حق قليلا أو كثيراً؛ وهـذا الحرص الكريم إن دل على شىء فإنما يدل على أن عمر لا يعرف الإمساك عن شح أو بخل أو كنز أو تضييق، ولكنه حسن التصرف مع حكمة التدبير مع عدم التقصير.

كتب إليه بعض ولاته يقول: «إن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا إلى أداء الزكاة، فقد اجتمع من ذلك شىء كثير، ولم أحب أن أحدث فيها شيئاً حتى تكتب إلىّ برأيك». فكتب إليه عمر: «لعمرى ما وجدونى وإياك على ما ظنوا، وما حبسك إياها إلى اليوم؟ فأخرجها حين تنظر فى كتابى».

ويظهر أنها كانت زكاة الفطر، والمقصود بها التوسعة على الفقراء فى مناسبة العيد بعد الإفطار، فالخير أن تصل إلى أيدى مستحقيها بلا تأخير، وهذا ما حرص عليه عمر.

ويزيد عمر هذا المعنى تأكيداً حين نراه يكتب إلى عدى بن أرطاة خطابا يبين له فيه الأعمال التى كرهها من الحجاج بن يوسف، ويحذره أن يأتى مثلها، ومن الخطاب قوله: «ونهيتك عن فعله فى الزكاة، فإنه كان يأخذها فى غير حقها، ثم يسىء مواضعها، فاجتنب ذلك منه، واحذر العمل به». وأقل ما يفهم من هـذا أن عمر لا يحب أن يؤخذ شىء بغير حق، وألاّ يوضع شىء فى غير موضعه، وألا يضار مسلم فى أمر...

ويكتب إلى ميمون بن مهران يقول: «يا بن مهران، إنى لم أكلفك بغيا فى حكمك، ولا فى جبايتك، فاجب ماجبيت من الحلال، ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب».

ويبلغ ابن عبد العزيز قمة الإحسان فى باب النفقة والإعطاء وهو خليفة حين يكتب إليه بعض عماله ـ كما يحدث إسماعيل بن عياش ـ قائلا: إنك قد أضررت ببيت المال؛ أى لكثرة ما ينفقه فى مصالح المسلمين، فيكتب إليه عمر: «أعط ما فيه، فإذا لم يبق فيه شىء فاملأه زبلا».

وهذه الكلمة الصريحة الوافية لا تترك وراءها شكا لشاك فى أن عمر رضى الله عنه لم يعرف فى سبيل المصلحة العامة ومنفعة المسلمين تقتيراً أو تقديراً ، فإنه لعلى استعداد لأن يأتى على ما فى بيت المال عن آخره ، ما دام فى ذلك الاستئصال فائدة للأمة ومنفعة للجماعة .

وقريب من هذا ما حدث به جابر بن حنظلة الضبي قال : كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، فإن الناس قد كثروا فى الإسلام ، وخفت أن يقل الخراج » ، فكتب إليه عمر يقول : « فهمت كتابك ، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

* * *

لكن أيكون معنى هذه السعة فى الإنفاق والإعطاء أن يصير الأمر فوضى ، فلا ضابط ولا نظام ؟ ... أيكون معناها أن يتطفل على بيت المال من يستحق ومن لا يستحق ؟ ... أيكون معناها أن تغفل عين الراعى عن ملاحظة الرعية حتى يستوى هاضم ومهضوم ؟ ... ذلك ما لا يكون ...

فعلى الرغم من كرم عمر وإحسانه ، وأريحيته وحبه للإنفاق والإعطاء ، لا يقبل الإهمال والتفريط ، ولا يرضى عن بذل القليل فى غير موضعه فضلا عن الكثير ، ولا يسكت عن تضييع اليسير بله الكبير ...

كان وهب بن منبه على بيت مال اليمن ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « إنى قد فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » . فرد عليه عمر يعيب عليه إهماله وتضييعه ، ويعرض لوهب بالإنذار والتحذير ، ويقول :

« إنى لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك ، وأنا حجيج المسلمين فى أموالهم (المدافع عن حقوقهم) ولأخسهم عليك أن تحلف ، والسلام » ! ...

نرى هنا احتياطا فى عدم اتهام الدين أو الأمانة ، فقد يكون وهب بريئا لا شبهة فيه ، ولكننا نرى بعد هذا أو معه دقة فى الرقابة ، وفى دينار واحد فقط ، فلابد من الحلف عليه ! ...

وكتب إليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - وكان عامله على المدينة - ثلاثة كتب ، يطلب فى أولها زيادة فى العطاء لأناس كبروا ، وفى ثانيها يطلب شمعا يوقد بين يديه وهو فى طريقه ليلا إلى المسجد ، ويطلب فى ثالثها أن يبنى مسجدا انهدم لبنى النجار أخوال رسول الله ﷺ ، فأجابه عمر عنها بكتاب واحد قال فيه :

« سلام عليك ، أما بعد - فقد جاء فى كتابك تذكر أن أشياخا من الأنصار قد بلغوا أسنانا ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرفن ما كتبت به إلىّ فى نحو هذا .

وجاءنى كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمع ، ولعمرى يا بن أم حزم لطالما مشيت إلى مسجد رسول الله ﷺ فى الظلمة ، لا يمشى بين يديك بالشمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار ، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاءنى كتابك تذكر أن بنى عدى بن النجار أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجرا على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاك كتابى هذا فابنه لهم بلبن بناء قاصدا ، والسلام عليك » .

هذه أمور ثلاثة يعرضها ابن حزم على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وهى كلها أمور مالية تستدعى نفقة ، ولكن الخليفة يأبى أمرين ، ويرتضى الثالث رغم مخالفته لما كان انتواه . . .

يأبى الزيادة لقوم فى العطاء رغم اكتفائهم بما فرض لهم ، ولا يرى التقدم فى السن وحده مسوغا للزيادة فى العطاء عن سائر المسلمين ؛ ويأبى أن ينفق على شمع يضاء بين يدى الوالى ، لأن هذا مظنة الإسراف ، ولأن الناس يلحظون على الوالى ما لا يلحظونه على سواه ، ولأن الوالى نفسه قد ألف السير إلى المسجد من قبل دون شمع يضاء ، ولذلك رفض الأمرين ، مع تسويغ الرفض بدليل وبرهان ، ومع التلميح الخفيف بالتعريض المذكر المؤنِّب . . .

ولكن الأمر الثالث ليس من هذا القبيل ... إنه بناء مسجد تهدم ، والمسجد لأخوال الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهل لعمر أن يرفض ؟ . . . ولكن عمر كان قد انتوى أن لا يضع لبنة على لبنة ... فماذا يفعل؟ ... أيجعل الحكَم هنا نيته ورغبته أم الحق والخير ؟...

تغلب الحق والخير فأمر عمر ببناء المسجد؛ وهكذا تتجلى الحكمة البالغة من عمر فى أمور الرعية وشئون المال . . .

ويضرب ابن عبد العزيز رضوان الله عليه فنونا شتى من الأمثلة فى التحذير من الإسراف فى الباطل ، أو الإنفاق بلا موجب ، وتتناول تلك الأمثلة أشياء قد يظنها عامة الناس من توافه الأمور ، ولكن المعلم المربى يتذكر دائما أن معظم النار من مستصغر الشرر ، وأن القليل إلى القليل كثير ، وأن البدر قد كان بالأمس هلالا وليداً ، فما زال يتزايد حتى استدار وتكامل بدراً ساطعاً ، وأن النهر الكبير الواسع الهدار الموار كان بالأمس جدولا صغيراً هادئاً ؛ وإذن فلابد من ملاحظة الأمور فى مبادئها وفواتحها ، حتى لا تفضى إلى عواقب يصعب معها القيادة والتوجيه ...

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة ينهاه عن الإسراف فى ماء الوضوء فيقول : « أما بعد - فإنه بلغنى أن قوما إذا توضئوا رفعت طساس[1] من بين أيديهم قبل أن تمتلىء ، وذلك من زى الأعاجم أخذوه ، فإذا أتاك كتابى هذا فلا ترفعوا طستا حتى يمتلىء ، أو يفرغ من آخر القوم » ...

ويكتب إليه عامل من عماله يشكو قلة القراطيس ، فيجيبه عمر : « أدق قلمك ، وأقل كلامك ، تكتف بما قبلك من القراطيس !! » ...

ويظهر أن الورق كان نادراً ، ولذلك دعا عمر إلى الاقتصاد فيه ، كما أنه أحسن فى التوجيه إلى تدقيق القلم ، فإنه يؤدى إلى حسن الخط وحسن موقعه فى نفس قارئه ؛ وأحسن فى التوجيه إلى تقليل الكلام ، فإنه بلاغة وحكمة ؛ ولو اتسع الخط وغلظ القلم وكثر الورق لا نفتح باب الثرثرة والإسهاب ، والخليفة محدود الوقت ، فليس الأمر إذن أمر اقتصاد فقط ، بل هو اقتصاد وحكمة وإصلاح ...

وحدث عمرو بن ميمون قال : حدثنى أبى قال : كتب عمر إلى العمال ألا تكتُبُنّ فى طومار بقلم جليل ، ولا تمُدُنّ فيه ...

وفى رواية عن ميمون : « ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر فى أمور الناس ، حتى قلت يا أمير المؤمنين ، ما بال هذه الطوامير التى يكتب فيها بالقلم الجليل ، ويمد فيها وهى من بيت مال المسلمين ؟ فكتب إلى العمال ألا يكتب فى طومار ولا يمد فيه ، فكانت شبراً أو نحو ذلك » .

---

(١) الطساس : مفردها طس ، وهو الطست .

وعمر بن عبد العزيز الذى عرف أن الاقتصاد خير وأفضل ، وأن التخفف من متاع الحياة أسلم وأقوم ، والذى طبق هذا على نفسه بعد الخلافة والتزمه ، يحرص على أن ينصح بذلك الناس ليأخذوا به عن طواعية واختيار ، دون أن يرتكب فى ذلك هضما لحق ، أو ظلما لإنسان ؛ وهذا من رغبته فى شيوع الخير وانتشار البر .

حدث إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأنصارى أن عمر كتب إلى بعض الأجناد وصية طويلة ، ومنها قوله : « فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد فى غناك ، وضع لله نفسك ، وأدّ لله عز وجل فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربى غنى كريم) وإياك أن تفخر بطولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامتك على ربك عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ، ممن لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطغاه الغنى وتعجل طيباته فى الدنيا ، فإنى أعظك بهذا ، وإنى لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير من أمرى »

وأتى عمر بعض أهله ، فقرب إليه طعاما كثيراً ، فقال عمر : ويحك يا فلان ، دون هذا مايسد الجوعة ، ويذهب سورة النفس ، وتقدم فضل ذلك ليوم فقرك وفاقتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أوسع وأحسن ؛ فقال عمر : فعند ذلك وجب الشكر ؛ ثم نهض !

* * *

وهكذا رأينا عمر بن عبد العزيز مترفا مختالا منفقا موسعا قبل الخلافة ، يحيا حياة الدعة والنعيم والرفاهية ، إذ كان غير مسئول عن رعية أو جماعة ، فلما ولى الخلافة زهد وتخفف وتورع وأعرض عن مفاتن الحياة وانقبض عن شهواتها وملذاتها ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يحسن إلى رعيته الإحسان كله ، فلا يدخر وسعا فى إيصال كل حق إلى صاحبه ، فى غير منّ أو أذى ، وإن كان ذلك الإتقان فى الإعطاء لم يمنعه من دقة المراجعة وعمق الحساب ، ولم يمنعه أن يوصى غيره من معارفه أو أصدقائه أو أقربائه بما أخذ به نفسه من زهد وورع . رضوان الله عليه . ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

لغويات

الزَغَل

تستعمل هذه الكلمة فى معنى الغش . وكنت لا يخالجنى شك فى عربيتها حتى ذكر لى بعض الأصدقاء بيت ابن الوردى فى لاميته :

قد يسود المرء من غير أب   وبحسن السبك قد ينفى الزغل

فأنشده : ينفى الدخل فى مكان ينفى الزغل ، وذكر أنه يحفظه هكذا فرجعت إلى اللامية ، فتثبت أنها الزغل ، وبعثنى هذا على البحث فى الكلمة « الزغل » . وهاك ما وقفت عليه .

ليس الزغل بهذا المعنى فى المعاجم اللغوية فهو دخيل فى العربية . وقد رأيته فى شعر ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وقد عرف الباحثون هذا من قبل ، فقال الشهاب الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ فى شفاء الغليل : « زغل بمعنى زيف وقع فى كلام الفقهاء والمولدين » وأورد بيت ابن الوردى السابق .

ومن العجيب أن شارح لامية ابن الوردى الشيخ مسعود بن حسن القناوى الذى فرغ من تأليف شرحه فى سنة ١٢٨٥ هـ يقول فى شرحه ص ١١٥ : « قال فى المصباح : سبكت الذهب سبكا ـ من باب قتل ـ : أذبته وخلصته من زغله » . ونص المصباح : « خلصته من خبثه » . فترى شارح اللامية جعل مكان « خبثه » عبارة « زغله » . وهذا إن فعله عن عمد كان مجافيا للأمانة . وخبث الفضة والحديد : ما نفاه الكير إذا أذيبا ، وفى الحديث : إن الحمىّ تنفى الذنوب كما ينفى الكير الخبث . وقد سبق هذا الشارح إلى شرح اللامية الشيخ عبد الوهاب الغمرى الذى فرغ من تأليفه فى سنة ١٠٣٠ هـ ولم يعرج على شرح السبك والزغل واكتفى ببسط ما يريد ابن الوردى من المعنى فقال : « فإنا نشاهد فى الواقع أناساً كثيرين خصهم الله تعالى بالسيادة والعلم والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك من الأوصاف

الحميدة ما لم يخص به أحدا من آبائهم ولا أجدادهم . فمن الأمثلة التى ذكرها الناظم أن الفضة المـزيفة إذا صليت بالنار صفت من الزيف وخلصت من الزغـل وصارت خالصة صافية . وحينئذ فقد سادت على أصلها » . وقد نقل بعض هذا الشيخ مسعود فى شرحه .

ويقول صاحب التاج فى مستدرك مادة (زغل) : « والزغل - محركة - : الغش . وهو زغلى - بضم ففتح - هكذا تقول به العامة والخاصة » .

وقـد بدا لى أن الزغل أصله فى العربية الدخل أو الدغل ، ويقرب منهما الدَّجْل . وفى اللسان : « الدغل - بالتحريك - الفساد مثل الدخل » . والغش فساد أى فساد . وقد تصرف العرب فى الدغل . فالداغلة : الحقد المـكتتم ، ويقال : دغل فى الشىء : دخل فيه دخول المريب ، والداغل : الذى يبغى أصحابه الشر . وكأن أصل هذا الدغل للشجر الملتف المتداخل ، وقد يستتر فيه ما يؤذى ويسوء .

وقـد جعل صاحب الألفاظ الفارسية المعربة الدغل مما أصله فارسى ، فهو يقول : « دغل فيه دغلا : دخل دخول المريب ، وأدغل به : خانه . وأدغل : غاب فى الدغل . والدغل : دخل فى الأمر مفسد ، واشتباك النبت . فارسيته دغل ، أخذته العرب وتصرفت به . ومعناه بالفارسية : المـكر والحيلة والفساد والمكتار والزائف من الدراهم . ومنه الـكردى: دغل » . ولـكن علام استند هذا المؤلف فى أصالة الكلمة فى الفارسية ، وغير هـذا جائز ، وهو أصالتها فى العربية ودخولها الفارسية . وقد سألت من يعلم الفارسية عن تصرف الدغل فيها فنفى هذا . وإذ علمت تصرفها فى العربية كانت العربية أولى بها .

زَرِّيعة ، مقاث ، مقاثة

تجرى الزريعة فى لسان العامة للبذرة فى أول نباتها فى المزرعة ونجومها ، وينطقونها بفتح الزاى وتشديد الراء . ولا ريب فى خروج هذه الصيغة عن الأوزان العربية ، فليس فيها فعيلة ولا فـعِّيل ، ويقول سيبويه فى الـكتاب ٢/٣٢٦ : « ولا يكون فى الكلام فعيل » ولا يلتفت إلى ما حكاه الأخفش عن بعضهم : كوكب درىء بفتح الدال والهمز فى آخره ، فهذا من الشاذ الذى لا ينقض القياس .

ومما يذكر هنا أن هذه الصيغة قديمة فى لسان الناطقين بالعربية ، فقد وردت فى كتاب تقويم قرطبة لعريب بن سعد الكاتب المنشور فى أوربة ص ١٨ ، إذ يقول فى الكلام على شهر يناير : « يختار فيه وفيما بعده إلى آخر الشهر زريعة البصل ، وغرس البصل المتخذ للزريعة . وعريب بن سعد هو صاحب الصلة لتاريخ الطبرى ، وقد طبعت الصلة مع التاريخ فى المطبعة الحسينية المصرية ، وفى الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك ، كان فى سنة ١١٣٦ هـ . كما ذكره فى ص ٣١٨ — ص ١٤٠ فى الكلام على عجب الذنب : « وهو لبنى آدم بمنزلة الزريعة » .

وقد نبه على هذا الزبيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ فى كتابه « ما يلحن فيه عوام الأندلس » . وينقل عنه الصفدى فى تصحيح التصحيف . وهاك ما نقله عنه الصفدى : « ويقولون : زريعة فيشددون ويجمعون على زرارع . والصواب زريعة بالتخفيف ، والجمع زرائع ، وهى فعيلة فى معنى مفعولة من زرعت . فإن كان للتشديد فى ذلك أصل فهى زريعة بكسر الأول على مثال فِعِّيلة » . وجاء فى القاموس الزريعة ـ كسفينة ـ للشىء المزروع . وفى اللسان : « قال ابن برى : والزريعة ـ بتخفيف الراء ـ : الحب الذى يزرع . ولا تقل : زريعة بالتشديد ، فإنه خطأ » . ويدل هذا على أن الخطأ فى الزريعة حدث فى مصر كما حدث فى المغرب من قديم . فقد أدرك ابن برى عهد الفاطميين ، وكانت وفاته سنة ٥٨٢ فى عهد الأيوبيين ، وكان يلى فى عهد الفاطميين تصفح ديوان الإنشاء وتصحيح ما قد يقع فيه من الأخطاء فى العربية .

ومن الخطأ الواقع فى لسان العامة المقات والمقائة ، وينطقون بالتاء بدل الثاء التى فقدت من لسانهم . وقد وردت كلمة « المقات » فى كتاب تقويم قرطبة المذكور آنفا . ففى ص٤١ « يغرس المقات » ، والذى فى اللغة المقائة والمقثؤة للمكان الذى يزرع فيه القثاء ، ولم أقف على المقثأ . ويبدو فى تخريج المقات والمقائة أنهما جاءا على القلب المكانى . فالأصل : المقثأ فقدمت الهمزة على الثاء فصار المقأث ، وخففت الهمزة بنقل حركتها إلى ما قبلها وإسكانها فانقلبت ألفاً . وهذا على حد قولهم فى المرأة والكمأة : المراة والكماة . وهو تخفيف غير قياسى والقياس حذف الهمزة فيقال : المرة والكمة والمقَث والمقثة . ويقول سيبويه فى الكتاب ٢/١٦٥ « ومثله قولك فى المرأة : المرة ، والكمأة : الكمة . وقد قالوا : المراة والكماة . ومثله قليل» .

اشربُه ، منّه ، عنّه

يطيب لى كثيراً أن أبحث فى تخريج الأساليب العامية ، وردها — ما استطعت — إلى الأصول العربية . وقد بدا لى تخريج الأساليب المسطورة هنا ، والتى تجرى فى لسان العامة ، ورأيت تخريجها على الوقف الذى ركبه العامة ونهجوا طريقه ، فهم يسكنون أواخر الكلمات ويعطونها حكم الموقوف عليه . وجرى الناس فى هذا على إحدى طرق الوقف . وهو نقل حركة هاء الضمير إلى الحرف الساكن قبلها . فيقال فى هند ضَرَبْتُهُ : هند ضربتُهْ ويقال : هذا الماء اشربُهْ ، وهذا الجواد اركبُهْ . وقد بسط هذه الطريقة سيبويه فى الكتاب ٢ / ٢٨٧ حيث يقول : « هذا باب الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذى هو علامة الإضمار فيكون أبين لها ؛ كما أردت ذلك فى الهمزة . وذلك قولك : ضربتُهْ واضرِبْهْ وقَدُهْ ، ومِنُهْ ، وعَنُهْ . سمعنا ذلك من العرب . ألقوا عليه حركة الهاء حيث حركوا لتبيانها . قال الشاعر — وهو زياد الأعجم :

عجبت — والدهر كثير عجبُه ... من عنزىّ سبّنى لم أضربُهْ

وقال أبو النجم :

فقرّبن هـذا وهـذا أزحِلُهْ

وفى الهمع ٢ / ٢٠٨ أن هذا لغة لخم ، وذكر من شواهدها قول الراجز :

من يأتمر للخير فيما قصدُهْ ... تحمد مساعيه ويعلم رشده

ويرى القارىء من هذا صحة قول الناس : اركبُهْ واعلمُه . فأما منّه وعنّه فقد رأيت فى كلام سيبويه ضم النون فيهما من غير تشديد ، فالتشديد هو موطن الخطأ عندهم . وهم يفعلون هذا لتقوية الحرف حتى يقوى صوته والنطق به ، كما يقولون : الدمّ فى الدم والأبّ فى الأب ؟

محمد على النجار



ملك الأردن
فى صلاة الجمعة بالأزهر

أدى الملك حسين — ملك الاردن — والرئيس جمال عبد الناصر فريضة الجمعة يوم ٢ رجب بالجامع الازهر ، واستمعا مع جماهير المصلين إلى كلمة الأزهر فى الوحدة العربية والأحلاف الأجنبية . وكانت جموع الشعب قد بكرت بالوقوف منذ الصباح على جانبى طريق الموكب تخفق فى أيديها وعلى رءوسها الأعلام المصرية والأردنية ورايات التحرير . فلما وصل الركب الملكى ، وفيه الضيف الكريم ملك المملكة الأردنية ، وقائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر ، والبكباشى أركان الحرب حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية ، والصاغ أركان الحرب كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم ، والأستاذ فتحى رضوان وزير المواصلات ، استقبلتهم الجماهير أجمل استقبال ، وكانت الهتافات المتصاعدة من ميدان الأزهر وما حواليه تدل على مقدار ما يكنه الشعب المصرى للملك العربى من حب أكيد ، حتى وصل الموكب إلى الأزهر الشريف ، فصافح جلالته فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار رجال الأزهر ، وشق طريقه إلى محراب المسجد وسط التهليل والتكبير من نحو ثلاثين ألفاً من علماء الأزهر وطلابه وأبناء البعوث العربية والجاليات الإسلامية .

ولما فرغ الشيخ مصطفى إسماعيل من تلاوة السورة وأذان الجمعة وانتهى الناس من أداء ركعتى السنة صعد المنبر فضيلة الأستاذ الشيخ الحسينى المسلمى المفتش العام للوعظ والإرشاد بالأزهر ، وألقى هذه الخطبة الإسلامية الحكيمة الجامعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا . أستغفره وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يهدى من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . صلوات الله وسلامه على محمد صاحب دعوة الوحدة والتوحيد ، وعدو

الوثنية والتفريق ، وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فجاهدوا صابرين مخلصين ، فدانت لهم الشعوب راضية مختارة وأعد الله لهم أجرا عظيما . يوم لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون .

أما بعد :

فإن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فى دعوته إلى الحق عنى بأمر البيعة فيما بينه وبين المسلمين ، توطيدا للمحبة ، وتمكينا للثقة ، فبايع فى العقبة جماعة الأنصار مرتين فى حولين متتابعين مبايعة التناصر والمنعة ، ثم بايعه المسلمون جميعا من المهاجرين والأنصار تحت الشجرة ساعة الشدة وإبان المحنة بيعة الرضوان وبارك الله هذه البيعة ورضى عنها وأنزل فى شأنها : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ، وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » .

وقد روع المشركون ببيعة الرضوان ، وانخلعت منها قلوبهم ، وقال لهم سفيرهم : « صالحوا محمدا فإن معه رجالا يكادون يقتتلون على ماء وضوئه ، وإنكم لن تصلوا إليه أبدا وفيهم عرق ينبض » .

فدبروا وقدروا ، ثم دبروا وقدروا ، فلم يجدوا إلا أن ينزلوا من علياء غرورهم ويصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان صلح الحديبية ، ووضعت المعاهدة الأولى فى الإسلام بين المسلمين والمشركين فى الحديبية . وللشرك عصابات من اليهود والمنافقين بخيبر والمدينة كانت متربصة متحفزة ، تتمنى نصر الشرك وهزيمة الإسلام وتعمل جاهدة لتوقد نار الفتنة وتسعرها وتقضى بدورها على مؤخرة المسلمين بالمدينة . وذلك شأن اليهود والمنافقين فى الغدر والخيانة فى القديم والحديث . ولكن الله أراد أن تكون الدائرة عليهم ، فكشف أمرهم لنبيه ، وأورثه أرضهم وديارهم ومغانم كثيرة للمؤمنين الصادقين فكانت آية للمؤمنين على نصر الله للمخلصين ، وكان فتحا قريبا أمام الفتح الأكبر بمكة ، وما يتبعه من نصر يتلوه نصر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

أيها المسلمون : هذه صفحة من صفحات الإسلام الغراء ، وسياسة للرسول خالدة ، وعمل الرسول تشريع وتوجيه . وما أشبه الليلة بالبارحة .

وعى إسلامى وعربى بين شعوب العرب ، ونهضة هنا وهناك . شباب عربى مؤمن وثائر . جيوش عربية متوثبة تدفعها الغيرة الحارة الملتهبة . قادة حكماء أبرار أخلصوا النية وأقسموا أن يقودوا السفينة إلى بر النجاة والسلامة . ثورة صادقة حازمة على الباطل والمبطلين وعلى الغدر والغادرين والفساد والمفسدين ، يقودها شباب عربى مصرى ناهض ، وهناك الرصد من بقايا يهود خيبر وبقايا المنافقين الأولين الغادرين ، ومن ورائهم قوى الطغيان الظمأى إلى الاستعمار والاستعباد ، الحاقدة المتربصة بالعروبة والإسلام . فالمسلمون اليوم أحوج ما يكونون لجمع الكلمة وربط القلوب فى صدق ووفاء وإخلاص وإيمان . وإن دم العروبة الثائر الفائر ينادى شعوب العرب ويناشدهم البر بتاريخ آبائهم الأمجاد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، وما غدروا وما خانوا ، بل خاضوا المعامع صادقين ، ووفوا بالعهد مخلصين .

أيها العرب . أيها المسلمون : إن أرواح الآباء والأجداد فى مدى أربعة عشر قرنا تطل عليكم وتناديكم : أين أبنائى ؟ أين أشبالى ؟ أين المجاهدون ؟ أين الصادقون ؟ ! أين التآلف ؟ ! أين التآزر ؟ أين الصدق فى العهد والبر بالوعد ! ؟ .

يابنى العروبة : ليس لأمة من الأمم تاريخكم ، وليس لأمة أبطال كأبطالكم وأمجاد كأمجادكم . ألستم الفاتحين للهند . ألستم المنقذين المسيحية فى مصر من طغيان الاستعمار الرومانى . ألستم الآخذين بيت المقدس صلحا وسلاما . أليس أجدادكم ملوك الشرق والغرب . أليست مدنيات العالم من نبع مدنية الإسلام والقرآن ، فهيا يا ملوك العرب ، وهيا يا زعماء العروبة ، وهيا يارجال الثورة وأشبال مصر ، سيروا فى طريقكم إلى جمع الكلمة ونبذ الشقاق ، واحتضنوا وحدة العرب ، واجمعوا الصفوف العربية ، وحققوا آمال العرب والإسلام . وها هم أولاء شيوخ الأزهر وأبناؤه يرحبون بالملك العربى المؤمن بوحدة العرب ، ويباركون أعمالكم ، ويسألون الله لكم النصر والتأييد فى إخلاص وولاء ، ومن ورائهم شعبكم المتدين المؤمن ، وكله ثقة بكم ، وإيمان بحركتكم ، ينتظر النداء ، ليقدم نفسه الفداء . والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

وفي الحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

الخطبة الثانية

الحمد لله القوى الغالب . العزيز الناصر . ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور . سبحانه وعد المجاهدين المخلصين بالنصر والتأييد . أستغفره استغفار الخاشعين ، وأتوب إليه توبة الصديقين ، وأصلى وأسلم على نبيه محمد صلاة المحبين الصادقين .

أما بعد :

فإن الإسلام دين المحبة والقوة ، ودين العدل والرحمة . يقول الله سبحانه وتعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ويقول سبحانه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

والمؤمن صاحب رسالة مبعثها حب الله ورسوله ، وحب الحق ، ولا تتحق رسالة الإيمان إلا بقوة يقين وجهاد ، وعزيمة صادقة وإخلاص وولاء .

وهكذا كانت حياة النبيين ، وكانت حياة أتباعهم من بعدهم ، كانت حبا لله وحبا للحق تحميه قوة ، وتبرزه عقيدة ، وتمكن له ثورة . نعم تمكن له ثورة ، فهذا سيد النبيين ثائر على الباطل والمبطلين ، يسفه أحلام الجاهلية لعبادتهم الأحجار التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا ، ثورة على العقيدة الباطلة . ولا يستطيع ولن يستطيع فرد قليل الأنصار أن يهاجم عقيدة ويتحدى أصحابها إلا إذا كان قويا ثائراً ومحبا صادقا ؛ له هدف وله غاية .

أما العدل فهذه الموازين الدقيقة في التشريع والتي سوت بين الناس : قويهم وضعيفهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وشريفهم ووضيعهم ، فلا سيادة إلا للحق ، ولا سلطان إلا للعدل ، وهنا

تتجلى الرحمة بين الناس حينما يشعرون بالمساواة، ويتذوقون الأخوة البريئة بين الإنسانية المتكافئة . فقل بربك أى سمو فوق هذا السمو ، وأى دين يضارع هذا الدين ؟!.

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » « إن الدين عند الله الإسلام » .

أيها المسلمون : هذا دينكم وهذه وصاياه ، فتقدموا إلى صفوف الثورة وعضدوها ، وسيروا خلفها وعاونوها ، واعلموا أن الله مع الصادقين .

اللهم إنا نضرع إليك ونسألك أن تغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، وأن تؤلف بين قلوب المسلمين ، وتجمع كلمة العرب ، وتوفق القادة من ملوكهم وزعمائهم إلى جمع الشمل ، وتحقيق المحبة ، ونبذ الفرقة ، وإصلاح ذات البين ، اللهم انصر جيوش العرب والإسلام ، ومكن لحكومة الثورة ورجالها ، وأنزل السكينة عليهم وانصرهم نصرا مبينا ، اللهم إنك تعلم أنهم من أجلك قاموا ، ومن أجل الحق جاهدوا وثاروا ، فارفع بفضلك أعلامهم، وحقق رجاءهم ، وأصلح بهم شأن الإسلام والعرب ، واجعل الغلبة لهم ، والنصر على أيديهم ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... ؟

الوطن الأكبر

إنا بنو وطن تقرب بينه سيناء فى قدسية وجلال
الشمس تجمع فى المطالع بيننا والأرض فى حرم الجوار الغالى
ولسان صدق فى اللغات تألفت فيه القلوب تآلف الأقوال
ومعالم التاريخ فى كتب، وفى عقب ، وفى نصب ، وفى أطلال
نحذوا التأسى من مؤسى نفسه بغد يطالعكم بالاستقلال

العقاد

كتب السنة النبوية ومصنفاتها

ودرجاتها فى الصحة

نشرت مجلة لواء الإســـلام فى عدد شهر رجب سنة ١٣٧٤ لفضيلة الأستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف مقالا قيما عن تدوين السنة النبوية الشريفة ، استوعب فيه خلاصة تاريخ تدوين السنة بعد أن كانت محفوظة فى الصـدور يتناقلها المسلمون مشافهة حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى أمر كبار علماء السنة بتدوينها خشية ضياعها ، وقد حوى المقـال معلومات نفيسة نافعة فى هذا الموضوع الدينى المهم .

غير أن لى تعليقا على هذا الموضوع لما توهمه عبارة الأستاذ خلاف من أن الـكتب الستة اقتصر كل واحد منها على رواية ما صح ، مع أن لعلماء السنة نظرا فى هذه المسألة :

١ — قال الأستاذ خلاف : « وقد كان القرن الثالث الهجرى هو العصر الذهبى لجمع السنة وتدوينها ، ففيه دونت صحاح السنة الستة : صحيح البخارى المتوفى سنة ٢٥١ ، وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ ، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ ، وسنن أبى داود المتوفى سنة ٢٧٥ ، وسنن النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ . وهذه الـكتب الستة اقتصر كل واحد منها على رواية ما صح ،

ومن أجل هذا يقول الأستاذ خلاف : « ولهـــذا تلقاها المسلمون بالقبول فى مختلف العصـور » .

أما أن المسلمين قد تلقوا الـكتب الستة بالقبول فى مختلف العصور فهو قول حق وصدق وليس موضع خلاف أو جدل ، ولـكن ليس معنى ذلك أنهم تلقوها على أن كل أحاديثها صحيحة محضة ، وخاصة كتب السنن الأربعة ، فإن المعروف لدى علماء السنة والمقرر فى كتبهم ومصنفاتهم أن البخارى ومسلما اقتصرا فى كتابيهما على رواية الصحيح ، ولهذا سميا بالصحيحين . أما كتب السنن الأربعة فلم يقتصر مؤلفوها على رواية الصحيح وحده ، بل

رووا فى كتبهم الصحيح والحسن والضعيف ، على أن الصحيحين لم يسلما من نقد العلماء وادعاء بعضهم أنهما قد أوردا فيهما نحو مائتى حديث فيها نظر لنقاد الحديث .

قال السيوطى فى (تدريب الراوى) : « إن الأحاديث التى انتقدت عليهما — على البخارى ومسلم — نحو مائتى حديث وعشرة أحاديث ، اختص البخارى منها بأقل من ثمانين ، ولا شك فى أن ما قل الانتقاد فيه أصح مما كثر » .

وقال النووى فى مقدمة شرحه على صحيح مسلم ج ١ ص ١٦ ما نصه « وأما قول مسلم رحمه الله فى صحيحه فى باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس كل شىء صحيح عندى وضعته ههنا ، وإنما وضعت ما أجمعوا عليه » فمشكل . فقد وضع فيه أحاديث كثيرة مختلفا فى صحتها لكونها من حديث من ذكرناه ومن لم نذكره ممن اختلفوا فى صحة حديثه » وهذا الانتقاد لا ينقص من قيمة الصحيحين العلمية بل فيه إبراز لتحريهما فيما يرويان ، وإن خالفهما بعض علماء الجرح والتعديل وغيرهم من النقاد ، فضعفوا بعض الرواة ممن ثبت لدى البخارى ومسلم توثيقهم وصحة روايتهم ، فكان الانتقاد على أساس اختلاف فى وجهة النظر . واختلاف آراء العلماء جرحا وتعديلا مقرر ثابت فى كتب الجرح والتعديل ، نص عليه البخارى فى تاريخه ، والذهبى فى ميزان الاعتدال ، وابن حجر العسقلانى فى التقريب وفى تهذيب التهذيب ، والخزرجى فى الخلاصة ، وسواهم من علماء نقد الحديث ورواته .

٢ — أما ورود بعض الأحاديث الحسنة أو الضعيفة فى كتب السنن فهو ثابت قطعا ولا يقبل جدلا ، وبخاصة سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه ، فإن مؤلفيها لم يدّعوا أنهم اقتصروا فيها على رواية الأحاديث الصحيحة كما يقول الأستاذ خلاف ، بل الثابت عنهم أنهم يروون فيها الصحيح والحسن والضعيف ، وهذا جلى واضح فى كلام أبى داود والترمذى ، لأنهما قد يذكران درجة الحديث ، بل إن أبا داود قد نص فى كتابه السنن على ضعف بعض الأحاديث التى رواها فيه مع بيان سبب ضعفها ، ونورد هنا بعض أمثلة لذلك :

روى أبو داود فى كتاب الطهارة من السنن بسنده « عن ثور بن يزيد عن رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة قال : وضأت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فمسح أعلى الخفين وأسفله ،

قال أبو داود « بلغنى أنه لم يسمع ثور هذا الحديث من رجاء » . ومعنى هذا أن الحديث ضعيف لعدم سماع راويه .

وروى أبو داود فى سننه حديث هشام بن قرط أمير حمص عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض قال : « ما فوق الإزار ، والتعفف عن ذلك أفضل » قال أبو داود : وليس هو - يعنى الحديث - بالقوى . اهـ بحروفه . ومعنى قوله « ليس بالقوى » أنه ضعيف .

وقال الشوكانى فى (نيل الأوطار) نقلا عن ابن الصلاح ما ملخصه : إن أبا داود قال : « ذكرت فى كتابى الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ، وما كان فى كتابى هذا من حديث فيه وهن شديد بينته ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضها أصح من بعض » .

وقال الشوكانى أيضا ما نصه « وقد اعتنى المنذرى رحمه الله فى نقد الأحاديث المذكورة فى سنن أبى داود ، وبين ضعف كثير مما سكت عنه ، فيكون خارجاً عما يجوز العمل به . وما سكتا عليه جميعا فلا شك أنه صالح للاحتجاج » .

وقال الحافظ المنذرى فى مقدمة كتابه (الترغيب والترهيب) ج ١ ص ٨ ما نصه :

وأنبه على كثير مما حضر فى حال الإملاء مما تساهل أبو داود رحمه الله فى السكوت على تضعيفه أو الترمذى فى تحسينه » الخ .

وقال النووى فى (التقريب) ما نصه : « وأما تقسيم البغوى أحاديث (المصابيح) إلى حسان وصحاح مريداً بالصحاح ما فى الصحيحين وبالحسان ما فى السنن فليس بصواب ، لأن فى السنن الصحيح والحسن والضعيف والمنكر » . وقد نص السيوطى على تساهل بعض العلماء بإطلاقهم اسم الصحيح على السنن فقال فى (تدريب الراوى شرح تقريب النواوى) ص ٥٤ : « ومن أطلق عليها « أى السنن » الصحيح ، كقول السلفى فى الكتب الخمسة اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب ، وكإطلاق الحاكم على الترمذى الجامع الصحيح ، وإطلاق الخطيب عليه وعلى النسائى اسم الصحيح فقد تساهل » .

٣ — ومما ذكره الأستاذ خلاف فى مقاله بعض الكتب التى جمعت الصحيحين والسنن فقال : « وبعض المؤلفين جمع فى مؤلف واحد الكتب الستة جميعها بحيث تقرأ فيه

كل ما رواه الستة فى باب صلاة الجماعة وفى باب الطواف بالكعبة أو فى أى باب ، منها كتاب (جامع الأصول لأحاديث الرسول) ، ومنها كتاب (التاج) الجامع لأصول أحاديث الرسول ، وهذا يوهم أن الكتب الستة هى التى سبق وتكلم الأستاذ خلاف عنها وذكر تاريخ وفاة مؤلفيها بما فيهم ابن ماجه . غير أن الواقع أن ابن ماجه لم يكن ضمن الستة الذين جمعت كتبهم فى كتاب (جامع الأصول) لأن مؤلفه ابن الأثير جعل (موطأ الإمام مالك) هو السادس بدلا من ابن ماجه . أما كتاب (التاج الجامع لأصول الاحاديث) فقد اقتصر مؤلفه على الخمسة فقط : البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .

قال الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الزبيدى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ فى مقدمة كتابه (تيسير الوصول مختصر جامع الأصول) ج ١ ص ٢ ما نصه : « العلامة الكبير مجـــد الدين أبو السعادات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ جمع فيه - فى كتابه جامع الأصول - الأصول الستة المشهورة : صحيحى البخارى ومسلم وموطأ الإمام مالك وسنن أبى داود السجستانى وجامع أبى عيسى الترمذى وسنن أبى عبد الرحمن النسائى رحمهم الله » ا . هـ

وقال الشيخ منصور على ناصف مؤلف كتاب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ١ ص ٤ و ٥ ما نصه « وشرعت فى تأليفه على بركة الله تعالى ، فاستحضرت أصح كتب الحديث وأعلاها سنداً وهى صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود وجامع الترمذى والمجتبى للنسائى رضى الله عنهم ، وهذه هى الأصول الخمسة التى اشتهرت فى الأمة وارتضتها لما لها من المكانة العليا فى الحديث » ا هـ .

وإيضاحا لهذه النقطة نشير هنا إلى أن المشهور بين علماء الحديث جعل أصول كتب السنة ستة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وبعضهم كابن الأثير فى جامع الأصول جعل موطأ الإمام مالك سادسها بدل سنن ابن ماجـه . ومنهم من اقتصر على جعل الأصول خمسة فقط وهو ما جرى عليـه النووى فى التقريب ، وتبعه على ذلك مؤلف التاج الجامـع للأصول كما أسلفنا . قال السيوطى فى (تدريب الراوى) ص ٣٠ : « لم يدخل المصنف النووى - سنن ابن ماجه فى الأصول ، وقد اشتهر فى عصر المصنف وبعده جعل الأصول ستة بإدخاله فيها » .

هذا هو الاصطلاح المشهور فى عـــد أصول كتب السنة وفى أصحها ، ولابن حزم اصطلاح آخر فى ذلك نقله عنه السيوطى فى (التدريب) ص ٣٢ فقال : وأما ابن حـزم فإنه قال : « أولى الكتب الصحيحان ـ البخارى ومسلم ـ ثم صحيح سعيد بن السكن ، والمنتقى لابن الجارود ، و المنتقى لقاسم بن أصبغ ، ثم بعد هذه الكتب كتاب أبى داود ، وكتاب النسائى ، ومصنف قاسم بن أصبغ ، ومصنف الطحاوى ، ومسانيد أحمد والبزار وابنى أبى شيبة ـ أبى بكر وعثمان ـ وابن راهويه والطيالسى والحسن بن سفيان والمستدرك وابن سنجر ويعقوب ابن شيبة وعلى بن المدينى وابن أبى عروة وما جرى مجراها التى أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفا . ثم بعدها الكتب التى فيها كلامه وكلام غيره ، ثم ما كان فيه الصحيح فهو أجل : مثل مصنف عبد الرزاق ، ومصنف بقىّ بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزى ، وكتاب ابن المنذر ، ثم مصنف حماد بن سلمة ، ومصنف سعيد بن منصور ، ومصنف وكيع ، ومصنف الزريابى ، وموطأ مالك ، وموطأ ابن أبى ذئب ، وموطأ ابن وهب ، ومسائل ابن حنبل ، وفقه أبى عبيد ، وفقه أبى ثور ، وما كان من هذا النمط مشهورا كحديث شعبة والليث والاوزاعى والحميدى وابن مهدى ومسدد وما جرى مجراها ، فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه . ولقد أحصيت ما فى حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث ونيفا مسندة ، ومرسلا يزيد على المائتين ، وأحصيت ما فى موطأ مالك وما فى حديث سفيان بن عيينة فوجدت فى كل واحد منهما من المسند خمسمائة ونيفا مسندا ، وثلاثمائة مرسلا ونيفا ، وفيه نيف وسبعون حديثا قد ترك مالك نفسه العمل بها ، وفيها أحاديث ضعيفة وهّاها جمهور العلماء » . ا هـ

ويتضح من كلام ابن حزم أن الأحاديث الصحيحة والمقبولة لدى المسلمين ليست قاصرة على ما جاء فى الكتب الستة بل توجد أحاديث صحيحة وحسنة فى غير الستة من المسانيد والمصنفات الموثوقة التى ألفها أئمة المسلمين من المحدثين والفقهاء المجتهدين . وقد ذكر ابن حزم فى كلمته السابقة الكثير منها ، كما توجد فى الكثير مما لم يذكره ابن حزم مثل كتاب الام والسنن والمسند للإمام الشافعى وكتاب الآثار للإمام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة وموطأ الإمام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة والسنن الكبرى للبيهقى ومسند الدارمى والسنن للدارقطنى وغير ذلك من الكتب والتصانيف فى السنة .

وإذا قال علماء الحديث هذا حديث صحيح فليس معنى ذلك أنه مقطوع بصحته فى نفس الأمر ، قال الحافظ ابن الصلاح : « ومتى قالوا هذا حديث صحيح فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة ، وليس شرطه أن يكون مقطوعاً به فى نفس الأمر ، إذ منه ما ينفرد بروايته عدل واحد وليس من الأخبار التى أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول . [كذا إذا قالوا فى حديث إنه غير صحيح فليس ذلك قطعاً بأنه كذب فى نفس الأمر ، وذ قديكون صدقاً فى نفس الأمر ، وإنما المراد أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور » اهـ من مقدمة شرح صحيح مسلم للشيخ شبير أحمد العثمانى الهندى ج ١ ص ١٧ .

وقال السيوطى فى (تدريب الراوى) ص ٢٤ : « يناسب هذه المسألة أصح الأحاديث المقيدة كقولهم أصح شىء فى الباب كذا ، وهذا يوجد فى جامع الترمذى كثيراً وفى تاريخ البخارى وغيرهما . وقال المصنف « النووى » فى (الأذكار) : لا يلزم من هذه العبارة صحة الحديث فإنهم يقولون هذا أصح ما جاء فى الباب وإن كان ضعيفاً ، ومرادهم أرجحه أو أقله ضعفاً » ؟

محمد صبرى عابدين
من علماء الأزهر الشريف

اليتيم

أيها المثرى ، ألا تكفل من　　بات محروما يتيما معسرا
أنت ما يدريك إن أنبته　　ربما أطلعت منه نيرا
ربما أطلعت منه (عبده)　　من حمى الدين وزان الأزهرا
ربما أطلعت منه شاعرا　　مثل شوقى نابها بين الورى
كم طوى البؤس نفوسا لو رعت　　منبتا خصبا لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة　　فتوارت تحت أطباق الثرى
كل من أحيا يتيما ضائعا　　حسبه من ربه أن يؤجرا

حافظ ابراهيم

البهائيـــة

— ٢ —

عقيدة البهائيين :

استقرت عقيدة البهائيين — كما قررها لهم البهاء حسين على المازندرانى (١٢٣٣ — ١٣٠٩) فى ألواحه ووحيه ، وكما فسرها دعاته فى كتبهم ونشراتهم — على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هى رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديما وحديثا هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه فى زعمهم . وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة فى مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندرانى الذى لقب نفسه (بهاء الله) ، فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل ، وهو الموعود ، ومجيئه الساعة الكبرى ، وقيامه القيامة ، ورسالته البعث ، والانتماء إليه الجنة ، ومخالفته هى النار ، وعندهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بسخافاته ، وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الابهى . وإن أتباعه — حتى الذين يمتازون عليه بالعلم والذكاء والخبث مثل أبى الفضائل الجرفادقانى — كلهم يدعونه « ربنا » ، وليس ذلك تعظيما له ، ولا اعتقاداً بتفوقه عليهم ، ولكن بغضا فى الإسلام ، وحقدا عليه ، وتآمرا مع ربهم على الكيد للرسالة المحمدية ...

كتاب (الايقان) :

ولقد نسبت إلى ربهم كتب يؤمنون بأنها هى وحى الله ، ومنها — ولعله أولها — كتاب (ايقان) الذى طبعه محفلهم المركزى فى مصر سنة ١٣٥٢ وهو فى ٢٠٠ صفحة ، ويقول عنه أعظم دعاتهم الجرفادقانى فى رسالته الثانية من مجموعة رسائله المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠) صفحة ٣٦ عند كلامه على « المعاد والرجعة » :

« إن إرادة حضرة المحبوب — لازالت أقطار الأرض منورة بأنوار وجهه ، ورياض العالم مزينة بأزهار أمره — قد تعلقت باتحاد كلمة أوليائه ، وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبائه ، فعليك بالاغتراف من معين (الايقان) الذى جرى من قلم الرحمن،

هذه الأزمان ، فإنه — مع وجازته — تبيان الزبر والألواح ، ومترجم كتب الله فالق الإصباح ، به فك ختم النبيين [١] ، وحل عقد إشارات السابقين . فابذل غاية الجهد والتدبر فى هذا الكتاب المستطاب ، ليلهمك الصواب فى كل باب ، واحفظ قلوب الأحباب ، عن نطاق الشك والارتياب ، إن (ربنا) لبالمرصاد ، وهو ولينا فى المبدأ والمعاد » .

تنازع الأخوين على كتاب (الايقان) :

ومن العجيب أن كتاب (إيقان) هذا يتنازعه عدو الله البهاء المازندرانى وأخوه المخالف له يحيى المازندرانى ، فكل منهما يدعيه لنفسه . ومعلوم أنهما كانا معا فى إيران ، وانتقلا معا إلى العراق ، ثم إلى القسطنطينية وأدرنة ، فلما تقرر نفيهم إلى عكا سنة ١٢٨٥ أبى أخوه يحيى أن يبقى فى عشرته ، وتمرد على ربوبيته ، وطلب الانفصال عنه ، فأرسل إلى قلعة ماغوسة فى جزيرة قبرص ، ومن هناك ادّعى يحيى أن كتاب (الإيقان) من إنشائه باللغة الفارسية ، وقال أخوه حسين (البهاء) : بل هو من وحيى وتنزيلى ، حتى قال فى (الإشراق التاسع) ص ١٠٤ من ترجمة الإشراقات المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٤٣ مع (نبذة من تعاليم حضرة بهاء الله) :

« ولما وردنا العراق ألفينا أمر الله خامدا [٢] ، ونفحات الوحى مقطوعة ، وشاهدنا

---

(١) أى بطل به كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وتبين أن مهمته ومهمة سائر الأنبياء إنما كانت التبشير بالبهاء ، وأن البهاء هو الرب الموعود (موعود ممن؟!)

(٢) لأن العراق كان - بعد إيران - المجال الثانى للدعوة البابية قبل ظهور الدعوة البهائية ، وفيه أنصار الشيخ أحمد الاحسائى وأتباعه ، وكانت فيه فتانتهم (قرة العين) وقد أنزلتها الحكومة العثمانية ضيفة فى منزل الشهاب الألوسى صاحب التفسير ، وكانت متحفظة معه جدا فى جميع أحاديثها ، لأنها لا تطمع من دينه فى قليل ولا كثير ، فكانت لا تبوح له إلا بما يحتمل التأويل . وإن كانت تقول لغيره ممن تطمع فى ردتهم وخيانتهم للإسلام : « قد نزل الرب الودود ، وظهر الموعود » . وكان فى العراق قبل ذلك من سنة ١٢٦٠ ملا على البسطامى رسول البابية ، بل حضر إلى مشهد النجف محمد على البارفروشى (القدوس) ، واستمالوا من العراقيين أمثال الشيخ بشير النجفى ، والشيخ سلطان الكربلائى ، ومحمد شبل الكاظمى . وفى بيت محمد شبل الكاظمى نزلت (قرة العين) سنة ١٢٦٣ فأمر نجيب باشا =

الأكثرين [١] جامدين ، بل أمواتا غير أحياء . لذا نفخ فى الصور مرة أخرى ، وجرت هذه الكلمة المباركة من لسان العظمة (نفخنا فى الصور مرة أخرى ، وأحيينا الآفاق من نفحات الوحى والإلهام) . والآن قد خرجت نفوس من خلف كل حجاب مسرعة تقصد ضر هذا المظلوم [٢] ، ومنعوا هذه النعمة الكبرى وأنكروها . فيا أهل الإنصاف لو ينكر هذا الأمر فأى أمر فى الأرض قابل للإثبات ، أو لائق للإقرار ؟

« ولقد اهتم المعرضون بجمع آيات هذا الظهور [٣] وأخذوها بالتملق ممن وجدوها عنده . وكانوا يتظاهرون عند أهل كل مذهب من المذاهب أنهم منهم . قل موتوا بغيظكم ، إنه أتى بأمر لا ينكره ذو بصر وذو سمع وذو دراية وذو عدل وذو إنصاف . يشهد بذلك قلم القدم فى هذا الحق المبين » .

وقد علق ابنه (ع . ع = عبد البهاء عباس) على جملة « وأخذوها بالتملق ممن وجدوها عنده » بقوله : حتى يسرقوا منها ويسندوها إلى أنفسهم كما أسندوا « سورة الملوك » و « رسالة الإيقان » إلى يحي فى مكتبة باريس ومكتبة لندن . فالذى غاظ ربهم البهاء وعبده عبد البهاء وسائر عبيد البهاء أن يكون « إيقان » فى مكتبة باريس وفى المتحف البريطانى على اسم يحي أخى البهاء .

= والى بغداد بنقلها إلى منزل الشهاب الألوسى . وعدو الله البهاء يشكو فى (الإشراق التاسع) من أنه جاء إلى بغداد بعد ذلك فرأى هذه الدعوة الخبيثة خامدة ، وكان يأمل أن تكون نمت وترعرعت بما غرسه فيها البسطامى والقدوس والفنانة قرة العين ، ولأنه يعتقد أن البيئة الشيعية من طبيعتها قبول هذا الزرع ، فخاب ظنه فى العراق ، وحزن لخمود الدعوة إلى الردة ، فحاول النفخ فى الصور ليبعثها ، وما أشد حزنه إذ رأى أخاه وهو أقرب الناس إليه ينقلب عليه .

(١) أى شيعة العراق .

(٢) وما أذل أهل نحلة يشكو ربها وقوع الظلم عليه من المخلوقين .

(٣) آيات الظهور هى كتاب (الايقان) . ويشكو البهاء من أن أخاه استعمل التملق فاحتال على اغتصاب هذا الكتاب ممن كان عنده ، وأنه كان يتظاهر عند أهل كل مذهب بأنه على مذهبهم .

مجموعة الألواح :

ومما يسميه البهائيون وحيا من ربهم البهاء كتاب يسمونه (مجموعة الألواح المباركة) وهو مطبوع بأمر عبد البهاء فى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) وقد جاء فى ص ١٦١ منه فى لوح من ألواحه عنوانه (هو الناظر من أفقه الأعلى) مخاطبا شخصا اسمه عبد الوهاب :

« يا وهاب ، إذا اجتذبك ندائى الأحلى ، وصرير قلمى الأعلى ، قل : إلهى إلهى ، لك الحمد بما فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان ... أى ربّ ، أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفداء شوقا للقائك ، وما منعتهم سطوة الأمراء عن التوجه إليك بما أنزلته فى كتابك ، ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك ، وقاموا لدى باب عظمتك ، وسمعوا نداءك ، وشاهدوا أفق ظهورك ، وطافوا حول إرادتك ، أن تقدّر لأوليائك ما يؤيدهم على ذكرك وثنائك وتبليغ أمرك . إنك أنت المقتدر على ما تشاء ، لا إله إلا أنت الغفور الرحيم . يا قلمى الأعلى ، بدّل اللغة الفصحى باللغة النوراء » .

وهذا الخطاب ـ وكثير غيره من أمثاله ـ مبنى على أن البهاء حسين على المازندرانى هو الله ، وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء . وإن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره فى مظهر البهاء . وكان يظهر قبلا بمظاهر تافهة فى الديانات السالفة ، لكنه بظهوره فى البهاء الأبهى ، بلغ الكمال الأعلى . وإنه ليس لله ـ عندهم ـ أسماء ولا صفات ولا أفعال ، إلا ما يتصف به من صفات مظهره وهو البهاء ، وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية !

محاربتهم اللغة المشتركة فى العالم الإسلامى :

وقبل أن ننتقل إلى آفاق أخرى من آفاق النحلة البهائية ، أحب أن أوضح الكلمة الأخيرة من لوح (هو الناظر من أفقه الأعلى) ، فإنه يقول فى خاتمته : يا قلمى الأعلى ، بدّل اللغة الفصحى ، باللغة النوراء » . وهذا شىء له تفصيل : إن الباب والبهاء نشأ فى بيئة عمل فيها العاملون منذ ألف سنة ـ ولا سيما الدولة الصفوية فى أوائل القرن العاشر الهجرى ـ على تغيير رسالة الإسلام باسم الإسلام ، وإيجاد دين آخر غير الدين المحمدى الأصيل كما

تلقاه الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان ، غير أن أولئك اللاعبين كانوا يحرصون - مع ما يسعون إليه من التغيير - على أن يبقى للإسلام اسمه . فلما أعلن البابيون فى مؤتمر بدشت سنة ١٢٦٤ انسلاخهم عن الإسلام اشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ، ومنها لغة الإسلام العالمية وهى لغة القرآن (العربية) ، فكان من عناصر دعوتهم استنكار عالمية اللغة العربية وكونها اللغة المشتركة - لغة الصلاة والعلوم الإسلامية - فى العالم الإسلامى فتآمروا على قطع الصلة بين المسلمين وتراثهم العلمى الذى تعاون أعلام المسلمين على تكوينه ذخيرة ثمينة للإنسانية فى بضعة عشر قرنا ، ولذلك قام عدو الله البهاء بالدعوة إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم بزعمه ، وهو يعلم أن لغته الفارسية لا تصلح لذلك ، لأنها - كما قال عنها علامة الدنيا أبو الريحان البيرونى - « لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية » وكان أحب إليه أن يهجى بالعربية على أن يمدح بالفارسية [1] ، ثم إن الفارسية تحوى ولو قليلا من التراث الإسلامى ، وهذا ما تريد البهائية أن يزول من الدنيا ، لذلك أخذ البهاء يدعو إلى اختراع لغة صناعية جديدة ، والبهائيون يفتخرون على دعاة لغة الاسپرانتو بأن ربهم قد سبق إلى هذه الفكرة ودعا إليها قبل أن تظهر الدعوة إلى لغة الاسپرانتو . ولهذا الموضوع تفصيل آخر ليس هنا موضعه .

عقيدتهم فى الله وأنبيائه :

يقول عبده وداعيته الأكبر أبو الفضائل الجرفادقانى فى ص ٥٤ - ٥٦ من كتابه (الدرر البهية) المطبوع بمطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣١٨ (١٩٠٠) :

« نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ، ومطالع شموس آياته وبيناته . لا تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الأولية إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية إلا بهم . و « لا يعقل » إرجاع الضمائر والإشارات فى نسبة « الأفعال » إلى الذات إلا « إليهم » . لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها ، متعال عن الأوصاف بحقيقتها ، منزه

---

(١) انظر مقالة (القرآن معجزة بين معجزتين) بمجلة الفتح العدد ٨١١ ص ٨ .

عن النعوت بكينونتها ، لا تدركها العقول ولا تبلغ إليها الأفهام ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك ، فلا توصف بوصف ، ولا تسمى باسم [١] ولا تشار بإشارة ، ولا تتعين بإرجاع ضمير ، لكن منزع كل هذه هو المدارك الحسية وهى فوق الإدراك ، لأن كل مدرك محاط ، وكل محاط محدود ذو وضع ، وهذا من صفات الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجردات ، فكيف الذات الإلهية والحقيقية النورانية . فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلى الله — من العزة ، والعظمة ، والقدرة ، والقوة ، والعلم ، والحكمة ، والإرادة ، والمشيئة وغيرها من الأوصاف والنعوت — يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره [٢] ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره . وقد رقمت هذه المسألة من القلم الأعلى ، مبينة مفصلة فى ألواح ربنا الأبهى [٣] ، فأظهر الله تعالى جواهر أسرارها فى الصحف المطهرة ببيانه الأحلى » .

---

(١) ولكن الله هو الذى سمى نفسه بأسمائه الحسنى ووصف نفسه بأوصافه العليا . فكيف تبلغ القحة بالبهائية أن يكذبوا الله فيما أخبر به عن نفسه ، وهل هم أعلم به منه ؟ الحقيقة هى أنهم يريدون أن يقولوا إن الله معدوم ، وإن علم الله وعزة الله وقدرته ومشيئته هى صفات مظهر أمره وهو سخيفهم المحتال الخبيث الذى زعم لهم أنه ربهم . فليقولوها بلا مواربة ، وبلا تعرض لأسماء الله وصفاته . بل حتى أفعال الله ليست أفعاله بزعمهم ، وإنما هى أفعال مظهر أمره الذى يعنون به بهاءهم الأبهى ، فأين كان بهاؤهم الأبهى عندما سرق منه أخوه كتاب وحيه وانتحله لنفسه ؟ فهلا منع ذلك ودفع هذه الحرقة التى بقيت تحز فى صدره إلى أن هلك ؟ إن إنكار صفات الله قد سبقهم إليه الإسماعيلية فى أيام الحاكم العبيدى فأعلن ذلك دعاته وسموا هذه العقيدة فى كتبهم (عقيدة التوحيد) ، لأنه لما يكون الله بغير صفات يكون حينئذ وهما فيكون الحاكم ربا ، وهو سلف للبهاء فى هذا الهراء .

(٢) مظاهر أمره عند البهائيين هم برهما وبوذا وكونفوشيوس وابراهيم وموسى والمسيح ومحمد والباب ، وكانت مهمتهم فى رسالاتهم التبشير بعدو الله الملحد السخيف حسين على المازندرانى الذى هو عندهم مظهر صفات الله كلها من دون الله (سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون) .

(٣) ألواح ربهم الأبهى هى (الإيقان) الذى نازعه فيه أخوه يحيى . و (مجموعة الألواح المباركة) التى تقدم نقل نموذج منها . وله أيضاً (كتاب الشيخ) يخاطب به شيخا =

تفضيلهم ضلالتهم على جميع الأديان :

ويقول هـذا الداعية البهائى الأكبر أبو الفضائل الجرفادقانى فى ص ٩٨ من كتابه الآخر (الحجج البهية) الذى طبعه المحفل البهائى الروحانى فى القاهرة بمطبعة السعادة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) :

« اعلموا أضاء الله وجوهكم البهية بنوره الوضاح ، وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هذه الأدلة والبراهين تثبت حقية مظهر أمر الله فى زماننا هذا أكثر وأوضح وأجلى مما كانت عليه حقية مظاهر أمر الله (أى الأنبياء) فى الأزمنة السابقة .

« إن هذه البراهين قائمة ومتوفرة فى هذا الظهور الأعظم الأسنى ، والطلوع الأفخم الأبهى ، ونعنى به ظهور سيدنا (البهاء) جل اسمه وعز ذكره ، أكثر مما توفر فى ظهور من سبقه من الأنبياء ، بحيث لو أنكر أحد هذا الظهور الأعظم وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجلية لا يمكنه إثبات حقية دين من الأديان الماضية » .

إنكارهم إعجاز القرآن إلا فى البشارة بالبهاء :

وبعد أن استعرض الأنبياء السابقين قبل موسى ، ثم أنبياء التوراة وديانة المسيح - مدعيا أن إثبات مقامهم فى الظهور الإلهى أضعف من إثبات مقام البهاء فى الظهور الإلهى - قال فى آخر ص ١١٨ وما بعدها إلى ص ١٢٢ :

« ثم انظروا أيها الأحباء فى أمر الإسلام والأدلة التى يريد المسلمون أن يستدلوا بها على حقية سيدنا الرسول عليه السلام .

= لعله هو الذى يزعم البهاء أن كتاب الإيقان كان مودعا عنده وسرقه منه أخوه يحيى . و (كتاب الشيخ) مطبوع فى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) عن نسخة بخط عظيم من عظمائهم يسمونه « الزين » ولعله البهاء نفسه ، فيكون « الزين » هو حرف الزاى مقتطعا من كلمة « مازندران » . ونسخة الأصل كتبت سنة ١٣٠٩ وهى سنة موته . وللبهاء أيضاً (الإشراقات) و (البشارات) و (الطرازات) نشرت نماذج منها فى كتاب (نبذة من تعاليم حضر البهاء) المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) .

« أما الكتاب السماوى والوحى الإلهى — باعتقادهم فيه — فهو القرآن الشريف والمصحف المجيد ، وهو قــد كتبت آياته وحفظت سوره فى زمان الرسول عليه السلام ، ودونت ورتبت فى زمان خلفائه فى مجمع من أكابر أصحابه وأوليائه ، واتفقت الملل الإسلامية على اختلافهم وتفرقهم شيعا ومذاهب على مصحف واحد من دون اختلاف كلمة وتغير حرف . إلا أنه لا يزيد على مجلد واحد أى ثلاثين جزءا نزلت على النبى عليه السلام نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة . وسيدنا النبى - كما هو معلوم عند الجميع - كان من قريش ، أى أشهر قبائل العرب فصاحة وبلاغة ، حتى عدَّ أكثر علماء الإسلام فصاحة بيانه فى القرآن [١] حجة بالغة ، وبلاغة كلامه معجزة دامغة . ولكننا فندنا هذا الرأى [٢] فى كتب عديدة ، وأظهرنا سبب إعجاز الوحى السماوى ووجوه تمييزه عن كلام البشر [٣] ، بما لم يبق شك فيه لأرباب البصائر والنظر .

« وأما نفوذ كلمته وغلبة ديانته فلم تظهر ظهوراً تاما فيما عدا العرب من الفرس والخزر والترك والهنود إلا فى القرن الثانى من الهجرة . . . الخ

إنكارهم المعجزات المحمدية إلا فى أحاديث (عكا) :

« وأما معجزاته وعجائبه - مما اقترح عليه أعداؤه منها ويحاول علماء الإسلام أن يثبتوها له عليه السلام — فينفيه صريح آيات القرآن . . . (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . . .) . . . وأمثال هــذه الآية كثير فى الكتاب ،

---

(١) أى أن بيان القرآن إنما هو من فصاحة بيان محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه من قريش أفصح قبائل العرب وأبلغها ، وليس البيان القرآنى - بزعمهم - من عند الله لأن الله عندهم ليس بمتكلم ولا فاعل ، بل الأنبياء هم مظاهر صفاته وأفعاله .

(٢) أى كون القرآن معجزا بلغته وبيانه ، فهم ينكرون ذلك ، بل هم الذين لقنوا الباب أن فى القرآن لحنا يخالف قواعد العربية .

(٣) من جهة البشارات (كما سيجىء) .

وقـــد استوفينا الـكلام فيها فى (الفـرائد) وفى (الدرر البهية) وفى (فصـل الخطاب).

« وأما ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات — من غير اقتراح — فليس لها مصادر إلا روايات وأحاديث قلما يمكن الاعتماد عليها إلا من باب حسن الظن!.

« ولـكنه يوجد فى القرآن الشريف والأحاديث الصحيحة المروية عنه عليه السلام إخبار عن الأمور الآتية [١] مما لا يستهان به ولا ينكره إلا المجادل المتعنت. فقد أخبر عليه السلام بجميع حالات أمته وما دارت عليه من الأطوار من الصعود والنزول والنشاط والخمول ... وكذلك أخبر عن الأمور الحادثة فى انقضاء الدهور من ظهور المهدى ونزول روح الله [٢] وقيام الأنبياء الـكذبة وظهور الدعاة الـكاذبين والقيامة الصغرى والقيامة الـكبرى وأشراطها وعلاماتها، كل هذه الأمور أيضا بجزئياتها وكلياتها ومواقعها [٣] وميقاتها بما لا يمكن أن يدركه الإنسان بالمدارك البشرية ويخبر عنه بالأنظار السياسية، بل لم يشاهد مثله فى آثار من سبقه من المظاهر القدسية.

« ... وليس مرادنا من الأحاديث الصحيحة ما اصطلح عليه علماء الإسلام من الشيعية والسنية، فإن أهل السنة والجماعة يعتبرون أن الحديث الصحيح ما يوافق مذهبهم [٤]

---

[١] أى البشارات [وهنا مربط الفرس].

[٢] وهذا هو الفرض الأول للبهائية من ادعاء الاحترام للديانات السابقة ومنها الاسلام، ليزعموا أنها كلها جاءت للتبشير بهذا السخيف المستخف بعقول البشر إلى حد الطمع فى أن يؤمنوا بربوبيته. هذا مع ادعاء أن الانبياء السابقين كانوا كلهم أقل شأنا من البهاء وأن رسالاتهم مقدمة له وإرهاصات بين يديه. وأن البهاء حكم بنسخها كلها مع احترامه لها. فبقيام ديانته لم يبق مجال لبقاء أى ديانة أخرى.

[٣] البهائيون يكذبون كل ما لا مصلحة لهم به من أحاديث صحيحى البخارى ومسلم وسائر الـكتب الستة، ويلتقطون من قمامة الموضوعات أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكر (عكا) ومناقبها ويتفننون فى نشرها وإعلانها ويعتبرونها المعجزة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) الواقع عكس ذلك، فهم اعتبروا مذهبهم ما وافق الحديث الصحيح، وما منهم إلا من كان يقول: « إذا صح الحديث فهو مذهبى »، والأحاديث محصت قبل المذاهب الفقهية، فـكانت المذاهب تبعا لها وهى أدلة لأحكامها.

والراوى على مذهبهم [1] ويضعفون كل حـــديث دونه مهما كان راوى الحديث ثقة وأميناً [2] وهكذا علماء الشيعة لا يعتبرون أخبار من لم يكن على طريقتهم ومذهبهم » .

ثم قال فى آخر ص ١٢٣ وما بعدها : « فإذا عرفتم أيها الأبرار كيفية انتشار الديانات السابقة ومقدار ما عند أصحابها من الأدلة ، فاعلموا — أفاض الله عليكم نوراً من ملكوته الأبهى — أن تلك الأدلة المذكورة تدل على (هذا الظهور) الأعلى دلالة أظهر وأجلى وأتم وأقوى مما كانت تدل على الديانات الأخرى (أى البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام) بحيث لو أنكرها أحد أصحاب تلك الديانات يستحيل عليه إثبات حقية دينه . فلنتكلم فى نسبة كل دليل من الأدلة المذكورة إلى (هذا الظهور) الأعظم . . ليظهر الفرق جلياً لأهل الإيمان :

تبجحهم بالوحى البهائى :

« أما الكتاب الإلهى — أى الوحى السماوى — فمع ما كانت تصادف ربنا الأبهى

---

(١) بل إن العدل الضابط الأمين من الرواة يأخذون بروايته ولو كان من الطوائف الأخرى ، كروايتهم عن الحسن بن صالح بن حى الهمدانى وهو زيدى ، وعن عدى بن ثابت الظفرى الكوفى وهو شيعى ، وعن منصور بن أبى الأسود الخياط الشيعى ومن لا يحصى من أمثالهم . انظر لذلك مقالتنا (تسامح أهل السنة فى الرواية عمن يخالفونهم فى العقيدة) فى جزء ربيع الأول سنة ١٣٧٢ من هذه المجلة .

(٢) الذين لا غرض لهم من الإخصائيين فى التاريخ - وآخرهم الأستاذ أسد رستم من أساتذة جامعة بيروت الأمريكية - يرون أن علماء الحديث من أهل السنة هم المثل الأعلى فى تمحيص الأخبار وتحقيقها . ويرى الأستاذ أسد رستم فى مقدمة كتابه (مصطلح التاريخ) أن أرقى مثل استطاعت طائفة من العلماء أن تضربه فى القديم للمنهج التاريخى الصحيح هو المثل الذى ضربه علماء الحديث من المسلمين فى عصر التدوين والعصور التى تليه . وقد بلغ إعجاب بعض الباحثين المعاصرين من الأجانب بواحد منهم وهو القاضى عياض ، فقال متحدثا عن رسالة له فى مصطلح الحديث : والواقع أنه ليس فى إمكان أكابر رجال تاريخ أوربا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها ، وذلك بالرغم من مرور سبعة قرون عليها .

طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة [١] والدواهى العظيمة مما ليس هنا محل ذكره . ومع أنه لم يكن من أهل العلم ، ولم يدخل المدارس العلمية ، فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية ، مما لا نبالغ إذا قلنا إنها تزيد على ما عند ملل الأرض جميعا من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية [٢] .

« وخلاصة القول أنه جرت فى مدة أيامه المباركة من قلمه الأعلى وبيانه الأحلى أربعة أنهار من تلك المعارف الإلهية والحكم السامية السماوية ، ما حييت به القلوب ، وابتهجت به النفوس ، وقامت به الأموات ، وانشرحت به الصدور . وهذه هى الأنهار الأربعة الجارية من عرش الله فى الجنة العليا ، والينابيع الفائضة بماء الحياة فى الملأ الأعلى ، كما بشرت به حفظة الوحى ، وأخبر الله عنه بلسان موسى « يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى ، وكالطل على الكلأ ، وكالوابل على الأعشاب » .

هلاك البهاء وقيام عبده بعده :

« وأما الفرع الكريم ، المنشعب من الأصل القديم (يعنى ابنه وعبده عبد البهاء عباس) والنور الساطع من سماء إرادة ربنا الرحمن الرحيم ، فكاد أن يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواحه المقدسة وبياناته ، وتشخيص ماهية أخلاقه المعجزة وحالاته ، وما هى ألواحه الكريمة التى تربو على الآلاف منثورة فى الأقطار ، انتثار أوراق الزهور فى الربيع من الأشجار ، ونفحات قلمه السيال فائحة فى الأمصار ، فوحان نسيم الصبح فى الأسحار . وإنى فى سنة ١٨٩٤ من الميلاد (١٣١٢ هـ) لما سافرت إلى الأرض

---

(١) ويا ويح ربوبية ربكم هذا من البلايا والمصائب التى كان أذل من أن يدفعها عن نفسه !

(٢) ولكتب ربكم الأبهى امتياز آخر على جميع الكتب السماوية وهو أنها تنفى عن الله العلم والمشيئة والقدرة وسائر الصفات والأفعال ، وتنقلها إلى معتوهكم بدعوى أنه المظهر لها ، مع أنه كان ـ باعترافه ـ أعجز من أن يدفع الذل عن نفسه .

المقدسة [1] وساعدتنى العناية الإلهية بالتشرف بالحضرة القدسية ، قد دهشت وتحيرت فيما شاهدت من عظيم أطواره وآثاره ... حتى ملئت من ألواحه المقدسة جميع الآفاق ، وبلغ نداء ربه الأبهى إلى السبع الطباق » .

هذه صورة جامعة وجيزة للبهائية ، وما تقدمها قبلها من مساعى الكيد للدين الإسلامى ابتغاء تغييره وتحويل أهله عنه ، ومقتطفات من نصوص القوم مأخوذة من كتبهم ، مدلولا عليها بصفحاتها . ومن شاء المزيد على ما تقدم فليتخذ ما أوردناه أساسا وليتوسع بعد ذلك بما شاء من المصادر التى سمينا أمثالها . وأظن أن فيما أوردته ما يكفى للحكم على هذه الضلالة بما تستحقه هى والذين سعوا لها ، والله حسيبهم فى الدنيا والآخرة .

محب الدين الخطيب

ما رواه البخارى ومسلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٤ : ٥٨) :

يظن الجهال أن الأحاديث التى فى البخارى ومسلم إنما أخذت عن البخارى ومسلم ، ولا يعلمون أن فى قولنا « رواه البخارى ومسلم » علامة لنا على صحته ، لا أنه كان صحيحا بمجرد رواية البخارى ومسلم . بل أحاديث البخارى ومسلم رواها غيرهما من العلماء والمحدثين من لا يحصى عدده إلا الله ، ولم ينفرد واحد منهما بحديث ، بل ما من حديث إلا وقد رواه قبل زمانه وفى زمانه وبعد زمانه طوائف . ولو لم يخلق البخارى ومسلم لم ينقص من الدين شىء ، وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود وفوق المقصود ، وإنما قولنا « رواه البخارى ومسلم » كقولنا — أى عن القرآن — « رواه القراء السبعة » ، والقرآن منقول بالتواتر ، لم يختص هؤلاء السبعة بنقل شىء منه ، وكذلك التصحيح لم يقلد أئمة الحديث فيه البخارى ومسلما ، بل جمهور ما صححاه كان قبلهما عند أئمة الحديث صحيحا متلقى بالقبول ، وكذلك فى عصرهما .

---

(١) عكا القريبة من حيفا . وكان ذلك بعد هلاك البهاء بثلاث سنوات .



في المباحث اللغوية والنحوية :

جديد ... ولكن ...

لا أذيع سراً إذا قلت إنى من أشد الناس رغبة فى تجديد علوم العربية : نحوها وصرفها وبلاغتها ، ولهذا أقبلت بشغف زائد على قراءة هذا الكتاب الصغير الذى ألفه الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمى العراقى ، وعنوان الكتاب (المباحث اللغوية فى العراق) .

ولا أنكر القارىء أنى أسفت لأن باحثينا المحدثين عجزوا عن أن يجيئونا بشىء نافع حقاً فى المباحث اللغوية والنحوية ، وليشركنى القارىء فى هذا الأسف أعرض لمسائل عابها المؤلف على النحاة القدامى ، واعتبرها من مورثات العربية وهناً واضطراباً ، ثم نتبين إلى أى مدى حالف المؤلف التوفيق .

ولنبدأ بمسألة خطيرة ، جعلها المؤلف أساساً من أسسه ، تلك هى اعتماده على كتب التاريخ والتراجم فى إثبات الكلمات اللغوية ، أو القواعد الصرفية ولو فتحنا هذا الباب لدخل على اللغة ضيم كثير ، ولما كانت لغة العرب بقدر ما هى لغة الأعاجم والمتعربين . وأسوق مثلين من اعتماده على غير ما يعتمد عليه :

١ ـ ينكر الأب انستاس مارى الكرملى كلمة تعاصر (لأنه لا وجود للتفاعل فى مادة ع ص ر) فيرد عليه الدكتور جواد (بأن « المفاعلة » للمشاركة تؤدى فى الغالب إلى « التفاعل » ولا تفاعل بغير مفاعلة ، فإن وجد عاصروا وجد تعاصروا) . وهذا كلام لا سند له من قواعد الصرف . ثم يزيد أن كلمة « التعاصر » وردت فى كلام ياقوت الحموى فى ترجمة أبى عثمان سعد بن هاشم الخالدى ، وفى كلام ابن خلكان عن المبرد وثعلب ، وفى كلام ابن ظافر ، والقفطى ، والسخاوى . ثم يقول : « فهؤلاء أدباء ومؤرخون مشهورون استعملوا (التعاصر) منذ العصور الإسلامية القديمة ، وفى استعمالهم دليل على القياس الذى أشرنا إليه ، فكيف يصح قول الأب أنستاس ؟) وأنا أسأل ـ متعجباً ـ : كيف يصح قول الدكتور مصطفى جواد ؟

٢ — ينكر على البصريين رأيهم فى وجوب رد الجمع إلى مفرده عند النسبة إليه ، فيما عدا ما استثنى . وهذا بحث سنعرض له قريباً . ولكن الذى يعنينا هنا ، أنه جعل من أدلته الاعتماد على استعمالات المتأخرين ، فقد نظر فى فهرست تاريخ بغداد للخطيب البغدادى فوجد فيه علماء كثيرين كانت نسبتهم إلى الجموع مثل المحاملى ، والأصباغى ، والأخبارى . وبعد أن ذكر عدداً من هؤلاء قال : « أفتكون نسب هؤلاء الأعيان من سلف الأمة غلطاً من أجل دعوى صرفية باطلة » ؟

ولا أجد أبلغ فى الرد على هذا الكلام مما قاله الشيخ أحمد الإسكندرى - رحمه الله - فى إحدى جلسات المجمع اللغوى : « لا يصح أن يكون الخطأ الذى حصل فى عصور الجهل قاعدة ، وفى كتاب السمعانى كثير من النسب إلى الجمع ، ولكنه غير صحيح ، ونحن نعمل لمعجمنا لا للغة العوام . فيجب أن يكون ما نعمله على قواعد صحيحة » .

ومن غريب الأمر أن الدكتور جواد الذى يستند إلى مثل هذه العبارات ينكر على النحويين قولهم بأن « عامة » تجىء للتوكيد قال : « لم يثبت استعمالها فى كلام العرب ، وإنما قالت العرب : جاء عامة القوم ، وأخذ عامة المال ، وبقى معنا عامة النهار » مع أن سيبويه ذكر أن العرب يقولونها ، ومع أنه ينقل فى صفحة ٨٤ من كتابه هذه الفقرات للشاعر العراقى المشهور معروف الرصافى « الاشتقاق فى أسماء الأحداث ضرورى ، لا بد منه ، ولا يجوز أن يكون عدم السماع حجة فى منع قياسه واطراده من وجوه : أحدها أن عدم السماع لا يستلزم عدم الوقوع إذ يجوز أن يكون قد وقع أن العرب قد نطقت به ولكنه فات الرواة فلم تروه ولم تنقله ، لأن نقلة اللغة أكثر ما يعتمدون فى نقلها على الشعر ، ومن الجائز فى الكلمة المحكوم فيها بعدم السماع أنها لم تقع فى الشعر ، بل وقعت فى النثر الذى لم تضبطه الرواة ، ولم تنقل منه ولا عشر معشار ، فعلى القائل بالمنع أن يثبت لنا عدم الوقوع ، وإلا فدليله مدفوع ، وكلامه غير مسموع » . وكلام الرصافى فى هذا يتفق مع قول أبى عمرو ابن العلاء : ما وصل إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم خير كثير . وقد قال سيبويه وكفى به حجة .

على أن صاحب اللسان ذكر الحديث الشريف : سألت ربى أن لا يهلك أمتى بسنة بعامة . ثم قال : والباء فى (بعامة) زائدة ...

وكذلك هو ينكر المطاوعة ، ويعتبرها « خرافة عجيبة ... مضى على ابتداعها أكثر من ألف سنة » ثم يقول بعد أن ساق كلام الصرفيين عن المطاوعة « والصحيح أنه ليس فى اللغة العربية أوزان للمطاوعة ، ولا أثر للمطاوعة فى هذه الأوزان التى ذكروها ، وقد قام الخيال الصرفى فى هذه المسألة بدور كبير ، ونحن لم نجد عربيا فصيحا استعمل فى كلامه جملة « كسرت العود فانكسر » ولا أمثالها ، ولا حطمته فتحطم » . « وعلى هذا ترى من المنسوخ علميا قرار المجمع اللغوى المصرى الخاص بالمطاوعة ونصه : كل فعل ثلاثى متعد دال على معالجة حسية فمطاوعه القياسى « انفعل » ما لم تكن فاء الفعل واواً ، أو لاماً ، أو نوناً ، أو ميما ، أو راء ، ويجمعها قولك ولنمر ، فالقياس فيه افتعل » .

قلت : والصحيح أنه ورد على لسان أعراب فصحاء مثل هـذا التركيب ، فمن الرجز المشهور : قد جبر الدين الإله فجبر ، وفعل المكسور العين يأتى مطاوعا لفعل مفتوحها ، وكما ورد فى شعر الأعشى « إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا »[1] .

على أن الذى نفهمه من المطاوعة أن يظهر أثر الفعل الأول فى فاعل الفعل الثانى بصرف النظر عن هذا التركيب الذى يذكره الصرفيون بطريقة صوغ فعل المطاوعة ، فإذا قلت انكسر الغصن ، فهمت من الفعل (انكسر) أنه أثر لكسر ، والمجمع اللغوى وضع قراره الآنف ، لأن الحاجة ماسة عند وضع مصطلحات للعلوم إلى التوسع .

وقد قالت العرب كسرت العود ، وأطفأت السراج ، فكان طبيعياً أن يجيئوا بفعل يدل على هذا الأثر الذى حدث من الفعل المتعدى فقالوا : كسر أو انكسر العود ، وانطفأ المصباح ، فدلوا على كل ظاهرة بفعل ، ولا مانع أن يقال هنا كسر بالمبنى للمجهول ، وهو توسع ، أن يكون للدلالة على حدث ما صيغتان أو أكثر ، فلا يقال حينئذ كما قال الدكتور جواد « فلو كانت الأفعال الإرادية التى سميت غلطاً أفعال المطاوعة تؤدى معنى الفعل المبنى للمجهول أو كان الفعل المجهول يؤدى معنى هذه الأفعال ، ما احتاج الواضع إلا إلى إحدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً » .

وأى ضير على الواضع أن يأتى بطريقتين للتعبير عن معنى واحد ؟ وقد يمكن الفرق بين كسر العود للدلالة على المطاوعة ، وبين كسر مبنياً للمجهول .

---

(١) الخصائص لابن جنى جـ ١ صـ ١٤٠ : ط الهلال

والدكتور يجعل الفرق أن « انفعل وما جرى مجراه من الأفعال المزعوم أنها للمطاوعة . . . هى فى الحقيقة لرغبة الفاعل فى الفعل أو ميله الطبيعى أو شبه ميله إليه » ونحن نرى التكلف ظاهراً هنا ، فإنه إذا قيل : إن انطلق ، وانصرف ، إنما بنيا على هذا الوجه ، لأن الفاعل له رغبة فى الانطلاق والانصراف اعترضتنا آلاف الأفعال من هذا النوع ، وليست فيها رغبة بادية للفاعل . ولكن الدكتور لا يعوزه التخريج ، فيجيئنا « بميله الطبيعى أو شبه ميله إليه » . وهو ـ على كل حال ـ التواء فى التقعيد ، وقول الصرفيين فى المطاوعة أقرب من هذا . ثم إنه من المعلوم لدى المؤلف وغيره أن أحداً من الصرفيين لم يقل بأن كل (انفعل) جاء للمطاوعة ، ولا أن كل وزن جاء للمطاوعة لم يجىء إلا لها ، فاعتراضه بأفعال من هذه الصيغ ـ ولا دلالة فيها على المطاوعة ـ غير مقبول .

وبعد أن ذكر الدكتور قاعدته فى أن أفعال المطاوعة إنما هى للدلالة على رغبة الفاعل فى الفعل ... قال : « هذا هو السر الذى بقى مجهولا عشرة قرون أو أكثر منها ، ودعا خفاؤه إلى عبث كثير فى اللغة ومعجماتها وكتب صرفها ، وبقى أن نعرف ما وزن هـذا الكلام عند المشتغلين بصرف العربية ومعجماتها ؟ .

ويصرف المؤلف القلم إلى « بيان خسران صرفى آخر هو جهل الصرفيين ـ رحمهم الله ـ أن أكثر أسماء الآلة والأداة استعمالا هو « فعال » ، وأنه أحرى بالقياس من « مفعل ومفعال ومفعلة » لخفته وسهولته وقدمه ، باعتبار أن المشتقات تتفاضل فى القدم بنسبة قلة الزيادة فيها » . ونرجع هنا إلى أصل المسألة : الصرفيون أجمعون : قداماهم ومحدثوهم ، ومنهم أعضاء المجمع اللغوى بمصر ، مجمعون على أن « مفعل ومفعال ومفعلة » هى الكثيرة والغالبة فى أسماء الآلة ، والأخيرون وضعوا قراراً بقياسيتها ، والدكتور جواد يقول : إن هذا خسران مبين ، وإن « فعالا » أكثر استعمالا ، فهو لذلك أحرى بالقياس . ونحن لا نستطيع أن نتجاهل كل العلماء ونؤمن على قول الدكتور حتى يأتينا بالبينة والدليل ، فمن المؤسف أنه لم يسق فى مؤلفه دليلا واحداً على أن « فعالا » أكثر ...

قد يقال إنه أخف ، وقد نسلم أنه أقدم ، أما أن يقال إنه أكثر شيوعا فى لغة العرب فتلك دعوى ... تحتاج إلى برهان .

أما رد الجمع إلى المفرد عند النسبة إليه فهو ـ وما أشبهه ـ تقصير في حق العربية ارتكبه قوم حين أرادوا أن يجعلوا قواعدها غايات لا وسائل ، وقد فعلوا ذلك مع جهل للقواعد أنفسها ، وهو يؤدي إلى ضياع الفائدة المرادة بالنسبة . هذا بعض كلامه ، ولسنا نحتاج إلى سفر طويل لندله على موضع الخطأ والخطر في هذا الكلام . فأولا ـ وكما قلت قبل ذلك ـ نحن متبعون للغة العرب ، والعرب هكذا كانوا يفعلون حين يريدون النسبة إلى الجمع ، قال سيبويه بعد أن ذكر بعض الكلمات التي يرد فيها المفرد إلى الجمع : « وهذا قول الخليل ، وهو القياس على كلام العرب [1] » ، والعجب العاجب أن المؤلف لا يتعرض لصنيع العرب الأولين بنفي ولا إثبات ، وإنما يستشهد على ما يقول بأن الجاحظ قال « ملوكي » وكذلك ابن جني له كتاب « التصريف الملوكي » ثم ما شئت من أسماء نقلا عن تاريخ بغداد كما أسلفت ، مع أن في كلام الصرفيين القدماء ما يجيز كثيراً من هذه النسب ، وفي قرار المجمع اللغوي المصري ما يوسع الدائرة مع الاحتفاظ بالقاعدة الأولى المستندة إلى كلام العرب . وهذا هو القرار : « المذهب البصري في النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحده ، ثم ينسب إلى هذا الواحد ، ويرى المجمع أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك » . ويعتمد المؤلف اعتماداً كلياً على ما سماه مذهب الكوفيين ، مع أن النسب إلى الجمع مطلقاً ليس مذهباً لهم وإنما هو تجويز ، وهذا التجويز لم ينص عليه في كتاب من كتب الصرف المعتبرة ، كما جاء ذلك على لسان العلامة الشيخ السكندري . وثانياً ـ ننظر إلى المسألة من الناحية العملية ، فهل صحيح أن النسبة للمفرد تضيع المقصود من النسبة ؟

لنفرض أننا نريد النسبة إلى المساجد لندل على أن رجلا يعتاد الذهاب إليها ، فقلنا مسجدي ، فأي معنى ضاع من هذه النسبة ؟ أما حين تؤدي النسبة إلى المفرد إلى ضياع المعنى المقصود فالأقدمون أنفسهم يجعلون النسبة إلى الجمع ، وقد ذكر المؤلف نفسه مواضع ينسب فيها إلى الجمع فلا داعي للنص عليها هنا .

ثم نعود (للنحو الباطل) الذي ابتلي « بالجمود وعدم الإبداع ، واتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص ٨٩ .

أقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ، ولا يجوز التعليق عليه ، ولا إضافة قاعدة إليه » . وكم كان بودى أن يروى المؤلف ظمأنا ، وأن يطيل فى التفنيد والتقعيد والإبداع ، فإن من الحق أن النحو فى حاجة شديدة إلى الإبداع ، ولكن المؤلف لم يسق لنا إلا مسائل ، ليس الحق معه فى كثير منها .

ذكر استعمال « عامة » فى التوكيد ، وقد أسلفنا الرد عليه فيها ، وذكر أن النحاة لم يهتدوا إلى أن الأسماء الموصولة مأخوذة من أسماء الإشارة بإضافة « أل » إليها ، وهو أمر - لو صح - ليس بذى خطر . وذكر أن المسوغ للابتداء بالنكرة فى نحو قولهم « سرينا ونجم قد أضاء » ليس هو وقوع النكرة فى جملة حالية ، وإنما هو كون الخبر جملة فعلية قال : وهذا لم يفطن له أحد ، وعلى ذلك يجوز أن تقول : كوكب قد طلع ، وحجر قد سقط ، ويستدل على صحة هذا الكلام بكلام لصاحب الأغانى !

ومما أخذه على النحويين أنهم لم يفطنوا إلى معانى بعض الحروف ، فمثلا (على) تستعمل للشر ، وأكثر استعمال « لام الجر » للخير والمنفعة ، وهذا يرشدنا إلى مسوغ الابتداء بالنكرة فى قولهم : سلام عليكم ، مع « أنه ليس لها مسوغ من مسوغاتهم » ، وكذلك فى قولهم « ويل لفلان » مع أنهم « يرون أن الصحة أن يقال له ويل » ... وكل هذا كلام فى غاية الغرابة ، فالنحويون قالوا إن الدعاء سوغ الابتداء بالنكرة فى هذين المثالين ونحوهما ، والنحويون لم يروا أبدا أن الصحة فى أن يقال « له ويل » وكيف ... ؟ وفى القرآن الكريم : « ويل للمطففين ، ويل لكل همزة ، فويل للمصلين ...

(وبعد) ففى الكتاب فوائد جمة ، وفيه مباحث أخرى تحتاج إلى الدرس والتمحيص ، وقد ألممت ببعض مسائله ، وتركت الكثير ، لأنه يحتاج إلى وقت وفراغ بال . وإنى أهيب بعلمائنا المشتغلين بالدراسات اللغوية والنحوية أن يعطوا مثل هذه المباحث حقها من النظر ، فقد يكون فى ذلك خير كثير للغة ، والنحو . ولست أعنى بعلمائنا أولئك الذين يحفظون الكتب ويدرّسونها ، وإنما أعنى أولئك الذين يفتحون أعينهم على ما يكتبه الآخرون ، ويقرأون ويهضمون ، ويدركون أن عليهم مسئوليات فوق الحفظ والتلقين .

ولا أنسى أن أبعث بتحياتى إلى الدكتور مصطفى جواد ، فقد فتح لنا بكتابه آفاقا لعلها تسلمنا إلى خير كثير . ؟

على العمارى

المدرس بالأزهر

تعدد الزوجات فى الاسلام

تعتبر مسألة تعدد الزوجات من أهم المسائل التى يتكلم فيها الطاعنون على الإسلام؛ لأن التعدد يؤدى - فى نظرهم - إلى مشاكل كثيرة، وبسبب التباغض بين أفراد الأسرة الواحدة مما يجعل الأمة متفرقة الكلمة غير متعاون أفرادها، ثم هو يؤدى إلى انتشار الفقر بسبب عدم قدرة الرجل ذى النسل الكثير على الإنفاق عليه وتثقيفه حتى يخرج نسلا نافعا لأمته قادراً على كسب نفقاته.

والواقع أن تعدد الزوجات تشريع ضرورى لبنى الإنسان لا غنى لهم عنه، والإسلام الحنيف حينما قرر هذا التشريع انما نظر إلى حكم عالية قد تخفى على الناظر لأول وهلة.

* * *

ترجع حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام إلى ثلاثة أسباب أصليه، تندرج تحتها أسباب فرعية. أما الأسباب الأصلية فهى:

١ — ضمان العفة للمسلم: وفر الإسلام المسلم جميع الأسباب وهيأ له الوسائل التى تضمن أن يكون عفيفاً بعيداً عن إتيان الفاحشة، ليضمن أن يكون إنسانا محترما متفرغا لأداء واجبه فى بناء الأمة الإسلامية، فإن الشخص الذى يكبت شهوته ولا يجد لها مصرفا حلالا يكون موزع الفكر مكتئبا، وكثيرا ماينذفع إلى سلوك الطرق المعوجة للتنفيس عن نفسه فيترتب على ذلك انحلال الأخلاق وهتك الأعراض واختلاط الأنساب، والأمة التى تنحل أخلاق أبنائها وتهتك أعراض نسائها ولا يدرى الفرد فيها أباه، يكون مصيرها الفناء، وقد يجول فى بعض الأذهان أن العفة يمكن ضمانها للمسلم بزوجة واحدة، ولكن هذا بعيد عن الصواب، فالرجل فى بعض أحواله بل فى كثير منها لا تكفيه زوجة واحدة، لأن الزوجة تعتريها حالات تكون فيها غير مهيأة لتمتع زوجها: كالحيض والنفاس، وقد تطول مدة الحيض إلى خمسة عشر يوما، كما قد تطول مدة النفاس إلى ستين يوما، ثم قد تمرض الزوجة مرضا طويلا، أو تكون عاجزة عجزا تاما بطبيعتها عن الحمل، أو يكون الرجل لم يوفق فى اختيار زوجته الأولى لبعض الأسباب، فلا بد له فى هذه الحالة من البحث عن غيرها، فاذا لم يجده فى الحلال طلبه فى الحرام، ولا شك أن إمساك الزوجة والولزاج عليها أفضل لها من طلاقها وزواج غيرها إذا راعينا الشروط التى وضعها الشارع الحكيم لضمان العدل بين الزوجتين على قدر الإمكان الإنسانى.

٢ ــ المحافظة على الأعراض لحفظ الأنساب : لا شك أن امتناع الرجل والمرأة عن المتعة الجنسية إلا فى الحدود التى حدها الشارع فضيلة إنسانية لا يسع كل عاقل إلا الاعتراف بها ، وقد أجمع الناس من أول الخليقة على أنها فضيلة وأن ضدها رذيلة ، والإنسان الذى لا يحفظ عرضه سواءأ كان رجلا أم امرأة إنسان منحل الأخلاق ، ضرره لأمته أكثر من نفعه ، ويكفى من ضرره أنه يخرج للأمة أبناء وبنات نسبهم غير معروف . والأمة المختلة الأنساب كالجيش المكون من فرق من أجناس مختلفة تنعدم فيه روح التعاون ويكون مصيره الهزيمة فى أكثر الأحيان .

٣ ــ كثرة النسل : إن الأمة قليلة العدد تكون ضعيفة النتاج فى الزراعة والصناعة والعلم والحضارة تبعا لقلة العقول المفكرة واليد العاملة ، ويترتب على ذلك ألا تستطيع الدفاع عن نفسها إذا هاجمتها دولة كثيرة العدد قوية العُدد ، لذلك حث الإسلام على كثرة النسل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الامم يوم القيامة » فالمرأة التى لا تحمل مطلقا أو ينقطع حملها بعد مدة قصيرة أو تكون ضعيفة النسل بطبيعتها ، لا بد لزوجها من البحث عن غيرها رغبة فى النسل ، وقد رغب الإسلام فى المرأة الولود ولو كانت غير جميلة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » .

ولما كان النسل من زوجة واحدة لا يكفى لكثرة الأفراد المطلوبة لدولة قوية ، أباح الشرع التعدد فقال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ولما كان تعدد الزوجات يتبعه مشاكل قد تؤدى إلى الضرر بالزوجات أو بالأولاد نظرا لتأثير الزوجات على الآباء وميلهم فى بعض الأحيان إلى بعض الزوجات دون بعضهن الآخر ، فيؤثرون من يميلون إليهن بالنفقة الكثيرة ويخصون أولادهن ببعض أموالهم فى حال حياتهم أو بعد موتهم : كتخصيصهم ببعض التركة أو الوصية لهم أو نحو ذلك ، أوجب الشرع العدل بين الزوجات فى التمتع والنفقة وغيرها ، فجعل القسم بين الزوجات فى المبيت ، والمساواة بينهن فى كل ما يلزم بيت الزوجية ، ما عدا الميل القلبى الذى لا يملكه الإنسان ولا يستطيعه ، ومنع من لا يستطيع العدل أو الإنفاق على زوجتين فأكثر من زواج غير الواحدة فقال تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » بل منع الإسلام من لا يستطيع الإنفاق على واحدة من الزواج مطلقا حتى يستطيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ، من استطاع الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » ، ومعنى « وجاء » ، أى قاطع لشهوته ومصبر له عن النساء .

فترى أن الإسلام شرع تعدد الزوجات وحاطه بجميع الضمانات التى تمنع الضرر عن الزوجات والأولاد، فأوجب العدل، وشرع الميراث، ومنع غير العادل وغير المستطيع من الزواج ومن تعدده. فهذه المشاكل التى نراها الآن من تشرد الأبناء ومن التباغض بين أفراد الأسرة الواحدة، إنما نشأت من عدم اتباع الناس لقواعد الدين سواء كانوا رجالا أو نساء، فالرجل الذى لا يعدل بين زوجاته وأولاده آثم غير متبع لكتاب الله ولا لسنة رسوله، والمرأة التى تحقد على ضرتها وعلى أولادها وتحاول إيقاع الضرر بهم لمجرد أنها زوجة أخرى لزوجها ولأن أبناء ضرتها أبناء آخرون لزوجها آثمة وغير متبعة لكتاب الله وسنة رسوله، ولو عرف كل من الرجل والمرأة حدوده ولزمها لم تحدث هذه المشاكل، ولم تحدث هذه الضجة الكبيرة حول تعدد الزوجات.

بقيت مسألة متممة لهذا البحث لا بد من شرحها، تلك هى قول بعض الناس، لماذا يبيح الشرع تعدد الزوجات للرجل ولا يبيح تعدد الأزواج للمرأة؟ والجواب عن ذلك أن السبب الأكبر فى عدم إباحة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة، كونها بيت النسل، فإذا تعدد أزواجها لم تعرف أنساب أولادها، ولأى أزواجها يرجعون، وهذا من أخطر العوامل التى يتحاماها الشرع، لما تجلبه من الأضرار التى سبق بيانها أول هذا البحث.

ثم إن المرأة يكفيها رجل واحد، لأنها تعتريها أسباب كثيرة تضعف صحتها، ويتبع ذلك ضعف طلبها للرجل، كالحيض والنفاس والحمل والوضع، وتعرض لها مشاغلها بتربية الأولاد، وهى مهمة شاقة تستنفد كل وقتها فيضعف لذلك تفكيرها فى الرجل. وقد دلت التجارب وأثبت الطب أن المرأة تفقد شهوتها قبل الرجل بمدة كبيرة فهى فى سن الخمسين تكاد تنعدم شهوتها لما تعانيه من آلام الحمل والوضع وتربية الأولاد وغير ذلك. أما الرجل فيظل محتفظا بقوته الجنسية إلى آخر حياته تقريبا، وإلى ذلك فإن المرأة لشدة عاطفتها نحو أبنائها تتسلى بوجودهم عن الرجل، ولذلك نجد كثيرا من الزوجات اللاتى يتوفى أزواجهن ولهن منهم أولاد لا يتزوجن بعد وفاتهم، لأنهن استعضن بأبنائهن عن الزواج وصرفن عاطفتهن إليهم.

فلكل ما تقدم من الأسباب أباح الشرع تعدد الزوجات للرجل، وهو تشريع حكيم لا بد من التسليم به والرضا عنه، ولا سيما بعد الوقوف على حكمته واستيقاننا واعتقاد أن الله لا يشرع لنا إلا ما ينفعنا فى دنيانا وأخرانا وإن خفيت عنا حكمته؟

طه الزينى

أستاذ فى النحو والصرف

الأزهر وتعليم المرأة

في مساء يوم الاثنين ١٢ من رجب سنة ١٣٧٤ الموافق ٧ مارس ١٩٥٤ أقيمت بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ندوة خاصة بالبحث في « رسالة الأزهر اليوم » وقد كان على رأس الباحثين فيها السيد صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير المجلة ، الذي أناب عنه الأستاذ الشيخ زكريا البري سكرتير تحرير المجلة ، في إلقاء كلمته عن « الأزهر وتعليم المرأة » .

وفيما يلي ننشر هذه الكلمة القيمة :

أيها السادة :

حديثنا عن رسالة الأزهر في تعليم المرأة ، يعود بنا قليلا إلى الماضي .

ذلك أن دعوة الإسلام : لم تكن للرجل وحده ، ولا معنية به أكثر من المرأة ، بل نظر الإسلام إلى الجنسين سواء ، وجعل حقهما في الثقافة ، ونصيبهما في الدعوة سواء ، وخاطبهما بنداء واحد مشترك ، فقال : (يأيها الناس . يا بني آدم . يا عبادي . يأيها الرسول بلغ) ولم يقل بلغ الرجال فقط ، ولا بلغ النساء فحسب ، بل وجه رسالته ، بكل ما فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الجميع .

وإذا وجد ما يشعر بالتخصيص : فذلك في الأحكام التفصيلية الخاصة بكل منهما ، عما يليق بطبيعته ، ويلائم جنسه .

وسياق الآيات في هذا ونحوه ، وقرائن الخطاب وسنة الرسول ، كفيلة بتحديد الأوضاع .

وقد فهم المسلمون الأولون هذه المساواة العامة في الدعوة وفي تبليغها ، وفي الأخذ بثقافة الإسلام .

وكلكم تعلمون أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن ، سبقن إلى المؤازرة في الدعوة الإسلامية تحملا وأداء ، وكن يحدثن بعد الرسول بما لا يعلمه غيرهن من أفعال وأقوال

كانت حجة فى التشريع الإسلامى . وسار المسلمون على هـذا ردحا طويلا من زمنهم ، ثم وقف بهم النشاط عن مسايرة المرأة للرجل فى هذا المضمار .

وإذ كانت الدعوة الإسلامية تركزت بيننا فى الأزهر من منتصف القرن الرابع الهجرى ، وأصبح الأزهر مصدر ثقافتها فى مصر وفى الشرق عامة ، فلمَ لمْ يكن للأزهر اتجاه نحو الفتاة ، لتمكينها من حظها فى الثقافة الإسلامية ، كما اتجه إلى الرجل من ذلك التاريخ ؟ ؟

الحق أنه سؤال وارد ، وربما كان الجواب عنه متكلفا ، ولكن رويدكم قبل الحكم عليه بالتقصير ، فلعل له عذرا وأنت تلوم .

سادتى :

عرف الناس من تعاليم الإسلام حجاب المرأة عن مخالطة الرجال ، ولكن الزمن غلبهم على صواب الرأى ، فبالغوا فى الحجاب ، وأسرفوا فى الغيرة على الفتاة ، وحسبوا أنها ليست بحاجة إلى العلم الذى قد يخرج بها عن حد الاحتشام ، بل ساد فى البيوتات أن تعليم الفتاة مجرد القراءة والكتابة قد يخرج بها إلى ما هنالك .

وأصبح هـذا التحرج من تعليم الفتاة عرفا شائعا ، وللعـرف حكمه وسيطرته فى حياة المجتمع .

ويبدو أن الأزهر تأثر بهذا العرف ، إذ الأزهر كان يستقبل من يتقدم إليه طالبا للعلم ، ولم يكن يتجول وراء الناس ليفرض عليهم ثقافته .

وإذ لم تتصل الفتاة بالأزهر ، فقـــد اكتفى هو بأن يبلغها الثقافة الإسلامية من وراء حجاب .

وعاشت المرأة فى مصر طويلا على قبس ضئيل من نور الإسلام ، كان يتسرب إليها من طريق الآباء والأزواج ونحوهم من الأقارب ، أو من تقليد الناس بعضهم لبعض . فهذا العرف السقيم وقف بالفتاة عن الثقافة الدينية ، ولم يكن أمامها سوى هذه الثقافة التى حرمته منها كذلك .

تقع تبعة هذا العرف على الشعب وعلى الأزهر .

أما الشعب : فلأنه تحكم فى الفتاة ولم يتجه بها نحو التعليم الدينى ، كما اتجه بالفتيان ، ولم يطلب إلى الأزهر أن يتلقاها كما كان يطلب إليه أن يتلقى الأبناء .

وأما الأزهر : فلأنه لم يحاول تخفيف الضغط على المرأة ، بحسن الدعاية إلى تنظيم الحجاب الذى تكاثف أمامها ، حتى لم تبرز منه إلا المرأة العائزة التى تخرج سعيا وراء القوت ، أو التى تخرج لمعاونة الزوج فى حقله .

ولو أن الشعب طالب بذلك وأحجم الأزهر ، أو لو أن الأزهر حاول ذلك وتلكأ الشعب فى إجابته ، لانحصرت التهمة فى أحدهما ، وبرىء الآخر .

سادتى :

كان هذا التوقف من الجانبين مجلبة لسوء القالة على الإسلام نفسه ، إذ فهم من فهم أن الإسلام يهضم المرأة ، ويقتل حريتها ، ويضعها فى قبضة حديدية من يد الرجل ، والإسلام يقول لهؤلاء :

غيرى جنى وأنا المعذب فيكمو فكأننى سبابة المتندم

هذه مرحلة زمنية من مراحل الأزهر فى رسالته إلى المرأة .

٢ — ثم أصبحنا على باب مرحلة أخرى ، فقد انحدرت إلينا سياسة استعمارية ، وزعمت أنها تأخذ بنا إلى مشارف الحضارة ، وهيمنت على التعليم الحكومى ، وتركت الأزهر وحده بحجة أنه للدين . والسياسة تخدم الديانات ولا تتعرض لها ، ولكن ماذا فعلت هذه السياسة ؟!!

حملت إلينا بعض التقاليد الفسوية ، وجعلت من بينها تعليم الفتاة ، ولكنه تعليم لم يتجاوز التعليم الأولى والثانوى المحصور فى مدرسة أو مدرستين فقط ، كالمدرسة السنية ، وخدعتنا السياسة بهذا ، ووقفت بالفتاة كذلك عند هذه الغاية ردحاً طويلا .

فماذا فعل الأزهر فى مقابلة هذا القسط من التعليم المدنى للفتاة ؟

كان الأزهر نفسه يحس بالضغط عليه فى رسالته ، وإن زعمت السياسة أنها أطلقته

فى أفقه الواسع ، فقد كانت تحاربه حرباً باردة فى غير مهاودة ، إذ ضيقت على بنيه مسالك الحياة ، وقصرتهم على أعمال محدودة متواضعة ، ومكنت لسواهم أن يتنفسوا فى ظل التعليم المدنى ، فكان ذلك توجيهاً عملياً للشعب ، أن ينصرف بأبنائه عن التعليم الدينى .

وفى الوقت نفسه جردت التعليم المدنى من كل توجيه دينى ، فأصبح بين الأزهريين وإخوانهم من المتخرجين فى المدارس فجوة روحية ، وجفوة عاطفية ، وتنكر كل منهما للآخر ، فأحدهما يعتبر الثانى لا دينياً ، والآخر يعتبر الأول جامداً رجعياً ، وبين هذين الاعتبارين انصرفت رغبة الكثيرين عن الأزهر ، وتعلق الناس بالوظائف ، ولم يجدوا فى الأزهر - حينذاك - وسيلة إليها ، فأصبح الأزهر يحس أكثر من قبل بأنه مقاوم ، وكأنه اعتقد ، أو اعتقد بحق ، أنه لو أفسح للمرأة طريقها إليه ، لما وجد فتاة تسلكه ، وكيف كان يطمع فى التغلب على سياسة الاستعمار ، وهو أعزل من المغريات الجذابة ؟؟

سادتى :

بعد ذلك اتسع التعليم للفتاة حتى أصبح جامعيا فى أكثر فروعه ، واتجه أولياء الفتيات إلى هذه الناحية ، والباعث الأول هو الباعث : رغبة فى تمكين الفتاة من التوظف ، حتى لا تضيق بها حياة الأسرة إذا لم تخرج إلى بيت الزوجية ، وهذه غاية لا تتاح لها من طريق الأزهر .

وعامل آخر لا يغيب عن حضراتكم ، له أثر فى مقاومة الأزهر والصد عنه ، هو عامل الصحافة المتجرة ، والأقلام الجامحة ، فقد نشطت النزعة العدائية للتعليم الدينى من طريق بعض المجلات وبعض الكتاب الصحفيين ، وأصبح لهؤلاء الخاصمين من الكتاب المسلمين مع الأسف !! نشاط فى الغض من الأزهر ، وانتهاز الفرص للتشنيع على أهله ، وتسميم العقول الغضة ، بما تنشره تلك المجلات من إسفاف وتجريح بالباطل ، ومن ترويج الأباطيل والأخبار الضارة ، فهى تنتزع من الشباب ميولهم إلى التدين ، وتبث فيهم الغواية والزهادة فى الدين ، وتصور لهم جانب الخير فى أقبح ما يعجب الشيطان .

ولم يجد الأزهر من سلطات ذلك العهد عونا على مقاومة هذه التيارات الخبيثة ، فالأزهر يومئذ لا يطمع فى استجابة الفتيات إلى دعوته ، فى الوقت الذى يروج بينهن ما يروجه المنحرفون ، من تهافت على ما يسمونه حرية ، وتحللا من الجمود الدينى كما زعموا وأكثروا !!

وشر من هذا كله أن ينشط القائمون على التعليم المدنى يوم ذاك ، فى كبت الروح الدينى الإسلامى ، مجاملة للاستعمار ، فهم يلغون مكاتب تحفيظ القرآن فى المدن والأرياف ، بحجة أن النظام الصحى فيها غير لائق ، وبحجة أن الوزارة ستشرف على تحفيظ القرآن فى المدارس الإلزامية .

والحق أن تحفيظ القرآن بالمدارس كان خدعة ماكرة ، أو فكرة هزيلة ، فإن التجربة كشفت عن فشل الرأى فى هذا ، بل كشفت عن أنها مؤامرة يراد منها قفل أبواب الأزهر إذا لم يجد حفاظا للقرآن يتقدمون إليه . ولو كان الأمر أمر نظام صحى لسهل عليهم جداً أن يوفروا هذا النظام ، أكثر من سهولة إفسادهم لنظام تحفيظ القرآن بالمكاتب .

ولكن الله لم يخضع كتابه لتدبير المفسدين ، فهيأ له من نشاط الأمة وغيرتها على دينها أن تحتضن هى تحفيظ القرآن على أكرم الوجوه ، وأنشأت له الجمعيات التى قام عليها الخيرون من أبنائها ، وصدق وعد الله فى قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

فكان الأزهر فى تلك الحقبة يقاوم خصومات عدة : خصومة الاستعمار القوى ، وخصومة الكتاب المفتونين الذين نصبوا أنفسهم - ولا يزالون !! - للتشويش من حوله ، وخصومة التخاذل الذى كان يلمسه من رجال الحكم المصريين .

وإزاء هذه المقاومات لم يتطلع الأزهر إلى مناداة الفتاة للإقبال عليه ، وغلب الأزهر على أمره فى هذا الجانب ، وعكف على الجانب الميسور له فى ثقافة البنين ، وخطا خطوات فسيحة فى هذه الناحية ، رغم ما يلقى فى سبيله من خصومات .

ثم لا تنسوا أن الأزهر مع تراكم الحواجز فى طريقه ، لم يغفل عن رسالته إلى المرأة تماما ، بل هو جاد فى توجيه ثقافته للمرأة ، من طريق المحاضرات المتوالية ، والاجتماعات المتعاقبة فى الأماكن المحددة لذلك ، والتى يقوم عليها علماء الوعظ فى أنحاء الدولة ، ولذلك أثره الحميد .

وإنه ليسركم أن تعلموا منذ الآن أن مدرسة للفتيات قائمة بجانب الأزهر ، ونظام الدراسة فيها على النحو المنشود ، وفيها من الفتيات أكثر من ثلثمائة فتاة فى الفرق المختلفة .

ولعلها النواة الأولى لتعميم هذه الثقافة فى أنحاء الدولة .

والبنت مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

غير أن الذى لم تتمكن منه هو التوسع فى إعداد دراسة رسمية للفتاة ، على نحو الدراسة المتبعة للفتيان ، ومواصلة الثقافة الدينية بين الناشئات من بناتنا ، ليكون لنا جيل جديد من المرأة الصالحة للأمومة المثالية ، الكفيلة بتنشئة جيل قوى فى مصر ، لا للأمومة الساذجة التى كانت ، ولا للأمومة المنحلة أو الخليطة من عادات وتقاليد ، لا تمت إلى إسلامنا ولا إلى شرقيتنا ولا إلى مصريتنا بصلة .

سادتى :

أخيراً أذن الله لمصر أن تستقبل عهداً ميموناً ، انتعش فيه الأمل الضائع فى تثقيف الفتيات بثقافة الإسلام ، وهو العهد الذى لمس الأزهر من أبطاله جنوحهم إلى هدى الدين ، وحرصهم على مؤازرته فى التوجيه الصالح ، ونشاطهم إلى كل ناحية تتوسم فيها الأمة نفعا وتقدما .

والأزهر اليوم مؤمن أصدق الإيمان بأن سلطة الحكم الحاضر ستكون فى عونه ، إذا توسع فى إعداد دراسة دينية ملائمة للفتاة ، وسيجد من الحكومة سبقا إلى هذه الغاية ، ونشاطا يعوضه عن تخاذل السلطات الغابره ، وهو فاعل إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

يدخلون فى دين الله ما ليس منه

قال الزاهد الصالح أحمد بن على الرفاعى المتوفى بقرية أم عبيد بالعراق سنة ٥٧٨ :

تعلق الناس اليوم بأهل الحرف والكيمياء والوحدة والشطح والدعوى العريضة . إياك ومقاربة مثل هؤلاء الناس ، فإنهم يقودون من اتبعهم إلى النار وغضب الجبار ، ويدخلون فى دين الله ما ليس منه ، وهم من جلدتنا : إذا رأيتهم حسبتهم سادات الدعاة إلى الله تعالى . حسبك الله ! إذا رأيت أحداً منهم قل : « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » .

لحن القراء بالاذاعة

وأسبابه وحكمه

لاشك أن الأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن وإقامة أحكامه وأخلاقه وحدوده ، متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المتصلة قراءتهم بالحضرة النبوية ، فلا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها .

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن على الشيرازى فى كتابه (الموضح) فى فصل التجويد منه : حسن الأداء فرض فى القراءة ، ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن من أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا اه . واللحن حرام خصوصا إذا كان اللحن مما يلتبس به المعنى ، فإنه يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع . ففى (الطريقة المحمدية) : من المحرم استماع القرآن ممن يقرأ بلحن وخطأ بلا تجويد ، فعلى السامع أن ينهى القارىء إن ظن التأثير ، وإلا فعليه القيام والذهاب إن قدر بلا ضرر ، « فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

وعن على القارى فى شرح الجزرية : ينبغى أن يراعى جميع قواعد التجويد وجوبا فيما يغير المبنى ويفسد المعنى ، واستحبابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الأداء . وإنما قلنا بالاستحباب فى هذا النوع ، لأن اللحن الخفى لا يعرفه إلا مهرة القراء ، من تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات فى غير محلها وترقيق الراءات فى غير موضعها ، والتحرز من هذا النوع ليس فرضا عينيا لما فيه من الحرج .

وسبب اللحن أمران : التغنى بالقراءة ، والمجازفة بقراءة الصعب من الرويات كقراءة حمزة وورش وغيرهما من الروايات . أما التغنى ـ ومثله القراءة بقواعد النغم الموسيقى ـ فإما أن يكونا مع مراعاة التجويد وقواعده ، وإما أن لا يكونا كذلك .

فأما التغنى بمعنى تحسين الصوت مع مراعاة أحكام التجويد فلا بأس به ، بل هو مندوب إليه ، لما أخرجه عبد الرزاق عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » وفى رواية الحاكم « فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » وإن أدى التغنى إلى الخروج على قواعد علم التجويد حرم إجماعاً ، قال فى التتارخانية : « التغنى بالقرآن والألحان إن لم يغير الكلمة عن موضعها بل يحسنها فذلك مستحب عندنا فى الصلاة وخارجها ، وإن كان يغير الكلمة عن موضعها فإنه يوجب فساد الصلاة ، لأن ذلك منهى عنه » وقال التوربشتى : القراءة على الوجه الذى يهيج الوجد فى قلوب السامعين ويورث الحزن ويجاب الدمع مستحبة ، ما لم يخرجه التغنى عن التجويد ، ولم يصرفه عن مراعاة النظم فى الكلمات والحروف ، فإذا انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب فيه كراهة .

وأما القراءة بالألحان والنغم فالظاهر من كلام مشايخنا أنه يأتى فيها هذا الترديد ، يستأنس لذلك بما أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن حذيفة مرفوعاً « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتابين ، فإنه سيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم » .

ويرى بعض العلماء أنه يجب منع هذا النوع من القراءة سدا للذرائع ، لأن القراءة بالألحان وأصول علم النغم يتعذر معها المحافظة على قوانين علم التجويد ، وإلى هذا ذهب صاحب (الطريقة المحمدية) قال : « وأما الذى أحدثه المتكلفون ، وأبدعه المرتهنون بمعرفة الأوزان ، وعلم الموسيقى ، فيأخذون فى كلام الله مأخذهم فى النشيد والغزل والمثنويات ، فإنه من أشنع البدع وأسوأ الأحداث فى الإسلام اهـ . وهذا محل قول الزيلعى « لا يحل الترجيع فى قراءة القرآن ، ولا التطريب فيه ، ولا يحل الاستماع إليه ، لأن فيه تشبها بفعل الفسقة فى حال فسقهم وهو التغنى » اهـ .

* * *

وأما اللحن بسبب قراءة الغريب من الروايات فهو جرأة غريبة على كتاب الله ، ففى الفتوى التى نشرناها فى جزء سابق من مجلة الأزهر ما يمنع ذلك حيث جاء فى كتاب

(الآيات البينات) : لا تجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ، إلا إذا وجد فى المجلس عالم بها غير القارىء ا هـ . وفى (الفتاوى التتارخانية) : « قراءة القرآن بالقراءات السبع والروايات كلها جائزة ، ولكن أرى أن الصواب أن لا يقرأ بالقراءات العجيبة والروايات الغريبة بين العوام والجهال وأهل القرى والجبال ، فلعلهم يستخفون أو يضحكون فيكفرون » . وسئل الشيخ النجدى مفتى الشافعية فى عصره عن حكم القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ، وليس بالمجلس عالم بها يرد القارىء إذا أخطأ ، فقال : الذى تلقيته عن شيخى السقا نقلا عن مشايخه أنه لا يجوز تدريس علوم الفقه والحديث والتفسير إلا بحضرة من إذا غلط الشيخ برده ، فالقرآن أولى . ويستأنس لرأى الشيخ النجدى ـ رحمه الله ـ بما قاله الإمام الشاطبى فى (الاعتصام) : « من البدع التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه ، فإنه من باب وضع الحكمة فى غير موضعها ، وقد جاء النهى عن ذلك ، فقد أخرج أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الغلوطات ، قالوا : وهى صعاب المسائل أو شرارها . وفى سنن الترمذى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتيتك لتعلمنى من غرائب العلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما صنعت فى رأس العلم ؟ قال : وما رأس العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ قال : نعم ، قال : فما صنعت فى حقه ؟ قال ما شاء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فأحكم ما هنالك ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم .

* * *

فإذا علمنا أن اللحن الجلى أى الخطأ الفاحش حرام بالإجماع يأثم به القارىء والسامع إذا لم يزجره ، وأن سبب اللحن هو التغنى ـ الذى يتسبب عنه تمطيط الحروف ونقص الغنات ـ كما أن سببه أيضا المجازفة بقراءة القراءات التى لا يعلمها إلا الخاصة . فالواجب على محطة الإذاعة ملاحظة ذلك ، بتنبيه القراء بعدم التغنى الممنوع شرعا ، وعدم القراءة برواية غير رواية حفص ، فإن أراد قارىء أن يقرأ بغيرها فلترسله محطة الإذاعة بكتاب رسمى إلى مكتب البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر ، ليعرض ما يريد أن يقرأه على الفنيين فى هذا المكتب حتى لا ينشر القرآن على بلاد الإسلام محرفا ؟

محمد محمد جابر
المفتش بالأزهر

الآفة العظمى لهذه الأمة

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » . رواه أحمد .

* * *

يجمل بنا - قبل أن نجلى للقارىء الكريم بعض مجالى النور فى هذا الحديث الشريف - أن نتعرض لبيان حقيقة النفاق ، والمراد منه ؛ وأن نبين وجه الفرق بينه وبين ما لعله يلتبس به مما هو من أحمد الخصال وأكرم الخلال ، وهو مداراة الناس . فلفظ « النفاق » وما يتصرف منه مأخوذ من « نافقاء » الضب ، أو اليربوع . وهو جحر يدخل منه ، فإذا طلب خرج من جحر آخر ، اسمه القاصعاء . ويلاحظ أن الأول ظاهر ، والآخر خفى . فشبه به المنافق فى الدين لدخوله فى الإسلام من وجه ، وخروجه منه من آخر ؛ وهو - بهذا المعنى الذى صار يراد منه - إسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى الخاص به ، وهو مخالفة الظاهر للباطن. فإن كان فى اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك ، وتتفاوت مراتبه . ولما كانت مخالفة الظاهر للباطن أعم من مداراة الناس التى هى - كما يقول على كرم الله وجهه « رأس العقل بعد الدين » وجب أن نفرق بينهما . وهذا الفرق نستطيع أن نأخذه من التقسيم السابق للنفاق ، ونستطيع أن نقول فيه قولا أصرح : هو أن النفاق من باب مخالفة النية والاعتقاد ، وأما المداراة فهى من باب مخالفة الوجدان والشعور . وفى الحديث « إنا لنهش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » ، وذلك ضرب من ضبط النفس ، كالحلم وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيئين ، والصفح والإعراض عن الجاهلين .

وقوله ﷺ فى الحديث « عليم اللسان » من باب المجاز : بتشبيه تفنن هذا اللسان فى القول المعجب ، وتشقيقه للكلام ، بالعلم الذى هو من خصائص الأفهام والعقول .

وإنما كان ذلك النوع من النفاق هو أخوف ما يخافه النبى صلى الله عليه وسلم على أمته ،

لأنه أوتى من بلاغة القول ، وسحر البيان ، وسطوع الحجة ، وقوة البرهان ، ما يخلب اللب ، ويسحر العقل ، ويدع الحليم حيران . وذلك من أعون الأمور على ما يريده المنافقون من ستر ما هم عليه من سوء النية ، وخبث الطوية ، وقبح المراد . ولأنه الداء الدوىّ الذى لا بوادر له ولا ظواهر ، والشر الخفى الذى لا تتقدمه الآيات ولا النذائر ، والجائحة الموبقة التى لا تدرك إلا حين تقع الواقعة ، وتنزل النازلة ، وتذهب الحيلة ، وتنبتّ الوسيلة ، وتتقطع الأسباب . ولأن هذا النوع من النفاق يبلغ - فى براعته البارعة وعبارته الساحرة - مبلغاً يلبِّس على الأمة الخير بالشر ، والإثم بالبر ، والكذب بالصدق ، والباطل بالحق ، والإيمان بالكفر ، والأمانة بالخيانة ، والغدر بالوفاء - إلى أن تجد الأمة نفسها على حال من الاشتباه والالتباس ، والاختلاط والاضطراب ، لا تعرف معها معروفا ، ولا تنكر منكراً ، ولا تؤيد فيها حقاً ، ولا تخذل باطلا ، ثم تنتهى إلى حال من الوهن فى الرأى ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى العزيمة ، والتردد فى العمل ، لا يستقيم معها أمر ، ولا تدرك عاقبة ، ولا تصلح حياة .

وكيف لا يبلغ هذا النوع من النفاق الخدّاع هذا المبلغ من التلبيس والتمويه ، والتضليل والتخذيل ، وأنت لا تكاد ترى شيئا مما يعرف به مثل هذا المنافق فى صفحات وجهه وفى فلتات لسانه ؛ فإن بدر منه شيء - على فرط حرصه - استطاع ببيانه أن يجعل له وجها ، وأن يلتمس منه مخرجا ، فكان كما قال الأول على تفاوت الحالين :

ومقام ضيِّق فرَّجته ببيانى ولسانى وجدل

بل لا تكاد ترى منه إلا مظاهر الورع والخشية ، وعلائم الوقار والإنابة ، ولا تكاد تجده إلا متحرجا من البوادر والهفوات ، متحرزا من الصغائر والزلات ؛ بل متنزها فيما ترى عن كثير من الطيبات والمباحات ؛ ولا تكاد تعرف خصال الإيمان إلا رواية عنه ، ولا خلال الخير إلا استمدادا منه ، ولا وجوه البر إلا تأسيا به ؛ ولا تعقل لإخلاص الدين معنى إلا إذا تمثلته ، ولا لثبوت اليقين حقيقة إلا إذا تخيلته ؛ وإنه ليوحى إلى النفوس كل هذه المعانى بتعمده إظهارها ، وتكلفه إطراءها ، وحلفه بكل محرجة على لزومها واعتقادها « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا

قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، وصدق الله العظيم ، فإن منافقا واحدا أوتى اللسن وسحر البيان ، والقوة على الإدلاء بالحجة والبرهان ، لكفيل بأن يهلك أمة أو يغير مصير دولة .

فإن كان من أئمة الدين استدرجها بضروب من التأويل الباطل تمحو صراحة الحق ونصاعته من القلوب ، وغرها بزخارف من القول تغطى بشاشة الإيمان ، وتكدر صفاء اليقين .

وإن كان زعيما سياسيا غض من كل كسب سياسى لسواه ، ولو كان فيه النجاة ، حسدا وبغيا ، وحرم أمته ما أمّلته فيه من خير كفرانا وغدرا ، وفتح لها أبواب المطامع المهلكة فى كل ما لا يكون ، وصرفها عن كل خطة ناجحة ، أو فرصة سانحة . ولو لمستها الأيدى ، وأبصرتها العيون .

وإن كان رأسا فى الأدب جعل همه فى صرف القلوب عن فطرها القويمة إلى سبله المعوجة ، واختلجها عن مواردها العذبة إلى مشاربه الآسنة ، جاعلا الشأن كله للثرثرة والتشدق ، والاستقصاء والتعمق ، معرضا عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام » . وقوله : « ألا هلك المتنطعون » يقولها ثلاث مرات . والتنطع من نطع الفم وهو أعلاه . ويراد به التعمق والاستقصاء . والمتنطعون فى هذا العصر هم أولئك الذين يجعلون الكلام وسيلة وغاية معا ، ويقولون : إن الفن للفن ، وأن ليس للمعانى الشريفة شأن فى دولة الأدب ، ولا هى مما يمت إلى تقديره بصلة ولا سبب . فيفتحون بذلك للناس أبوابا من التجديد فى الأغراض والمعانى لا تدع معروفا إلا أنكرته ، ولا حسنا إلا هجنته وقبحته ، ما دام ذلك يساعد على حسن التصوير والافتنان فى التعبير ؛ وما كان التزيد فى القول ولو لم يتضمن سوءاً إلا فضولا مكروها عند السالفين . فعن عطاء بن أبى رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام : ما عدا كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها . أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

وإن كان مربياً نهج للناشئة مناهج الاستهانة بالفضائل ، والاستخفاف بالمـآثر ، ونشأها على الأخذ بالقشور ، وعبادة الظواهر ، وغرس فى نفوسها التحلل من القيود ، والتنصل من الحقوق ، والتنكر للواجبات .

وإن كان من ذوى السلطان والجاه شوه بزخرف قوله وغروره وجه الحياة ، وقعد بكل صراط يوعد ويصد عن سبيل الله ، زاعماً أنه لا يهدى إلا إلى سبيل الرشاد ، ولا ينهى إلا عن الشر والفساد ، متخذاً من نعمة الله عليه حجة للباطل على الحق ، وبرهانا للشك على اليقين ، ثم قدم أرباب الألسنة على أهل القلوب ، والذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا على من يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، فشغلوا الناس بالعاجل عن الآجل ، وفتنوهم بكل ما لا ثمرة له ولا طائل . وأولئك وأشياعهم من ذوى الجـدل والمقالات هم الأسباب القوية فى هدم مجد المسلمين ، وهم المحنة العاتية التى زلزلت أركانهم فى العالمين ، وهم الذين جعلوهم كمن قبلهم سلفا ومثلا للآخرين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

من حكم أبى مدين

* للفقر نور ما دمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره .
* أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفى جاهل .
* لا تعم عن نقصان نفسك فتطغى .
* من لم يستعن بالله على نفسه صرعته .
* من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه .
* الدعوى من رعونة النفس .
* من تزين بزائل فهو مغرور .

الأزهر والصحافة

نتحدث فى هذا المقال عن أحد أعلام الأزهر وأثره فى الصحافة فى هذا العصر، مفصحين عما كان لصحفه من جهد كريم فى نهوض الأدب، وشبوب الوطنية.

فقد كان «الشيخ على يوسف» رحمه الله أديبا يختلف إلى مجالس الأدباء والعلماء منذ نشأته، ثم طفق يرسل مقالاته إلى الصحف فى ذلك الحين، ولما نما هواه إلى الصحافة ساعد المرحوم «أحمد فارس الشدياق» فى تحرير صحيفة القاهرة. وكان يكتب أول الأمر على غرار الكاتبين فى عصره: مقدمات طويلة تمهد بين يدى كل موضوع ولو لم تدع إليها حاجة الكلام، واحتفال بالمحسنات البديعية تستكره استكراها ولو استهلكت الغرض المطلوب [١].

ثم مضى مع نهضة جمال الدين وتوجيه المرصفى يدرب قلمه ويروض بيانه ويسلس أسلوبه ويرسله جزلا سهلا حتى استقام له أسلوب رصين منطلق عرف به.

مجلة الآداب ١٣٠١ (١٨٨٤)

وبعد أن تهيأ للشيخ على يوسف هذا القدر من الادب، وعبدت له طريقه، ويسرت مسالكه، لبى هوى الصحافة فى نفسه، فأنشأ صحيفة علمية أدبية سماها (الآداب)، وقد كانت هذه المجلة شيئا مذكورا فى ذلك الحين، ولا سيما بعد أن دالت دولة «روضة المدارس» التى كان يقوم على تحريرها صدور العلماء وأفذاذ الكتاب والشعراء. وفى السنة التالية لجريدته كثر إقبال الناس عليها. وعرف منشئها بمكانة مهدت له وضع جريدة (المؤيد) الغراء [٢].

---

(١) الشيخ عبد العزيز البشرى بمجلة الرسالة المجلد الثانى من السنة الثانية ص ١٧٦٨
(٢) مرآة العصر لالياس زخورا ص ٥٣٨

المؤيد ١٣٠٧ (١٨٨٩ م)

كانت جريدة المقطم صحيفة الاحتلال فى ذلك الحين تظاهر الانكليز وتعاونهم ، وتؤيد سياسة الاحتلال وتروجها ، وتنشر فكرها ورأيها ، فتلك أقلام المصريين حبيسة لا تجد مجالا تصور فيه آمال الأمة وآلامها ، ولا تجد متنفسا لها عما يخالجها من كرب وحسرة على المجد المغصوب ، والوطن المنكوب ، لم يكن للوطنيين بدٌّ من أن يتجهوا بتفكيرهم إلى إنشاء صحيفة وطنية تعبر عن إحساسهم وآمالهم ، ويتخذونها منبراً يذودون منه عن وطنهم ودينهم وحقوقهم .

فاجتمع (لطيف باشا سليم الحجازى) و (حسن باشا عاصم) و (إبراهيم بك الهلباوى) وغيرهم من الوطنيين النابهين واستقر رأيهم على أن يعرض الأول فكرة إنشاء صحيفة على (رياض باشا) « على أن تجاهد الاحتلال وتنشىء الأحداث على رغم منه ، وأعانها على ذلك وطنية هذه الحكومة وشعورها الغيور على مجد البلاد فلم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء المؤيد » .

تقدم (الشيخ على يوسف) ومعه صديقه (الشيخ أحمد ماضى) أحد رفاقه فى الأزهر فأنشآ صحيفة (المؤيد) وكان (الشيخ أحمد ماضى) معروفا بالذكاء والنباهة ، وفيه هوى شديد إلى الكتابة والإنشاء ، وكثيراً ما كتب بصحيفة الآداب التى كان يصدرها صديقه (الشيخ على يوسف) فلا عجب أن يشرك زميله فى عمله الصحفى الجديد .

ولكن عقبة أثيرت فى طريق المؤيد وهى فى مستهل الطريق ، إذ لم يلبث الشريكان أن اختلفا ، ولا ينزل أحدهما عن الشركة إلا على مال ، والشيخ على يوسف لا يجد من المال ما يسعفه ، وهنا اهتزت أريحية المغفور له سعد زغلول ، فأعانه فى حلكة اليأس ، وأمده بما خلص المؤيد له ، ولما أتى صاحب المؤيد بمطبعة جديدة من طراز فاخر ، وعقد لذلك حفلا رائعاً فى دار المؤيد ، خطب فى الجمع فأثنى على سيرة هذه الحادثة « ونوه بفضل سعد زغلول (المستشار بمحكمة الاستئناف) الذى أبى أن يسمع الخطبة إلا واقفا » [1] .

---

(١) الشيخ عبد العزيز البشرى مجلة الرسالة س ٢ مجلد ٢ ص ١٧٦٩

أغراض المؤيد :

صدرت «المؤيد» فى ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) ، ومن أهم أغراضها كما تقول «بث الأفكار المفيدة ؛ والأخبار الصادقة ، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير ، أو الترويج والتبشير ... غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية ... ومن واجباتها نشر كل ما يهم الوطنى معرفته من الحوادث ، معتمدين فى كل ذلك على البرهان القوى والسند الثبت .... والخدمة الحقيقية والبحث الدقيق ، وإرسال النظر خلف كل سانحة »[1] .

وقد كانت «المؤيد» مؤيدة لحكومة «رياض باشا» موالية له ، ولا بدع فى ذلك فهو الذى ارتاح لإنشائها ، وصرح بها ، وقد عملت على نشر الأغراض التى أنشئت من أجلها فى روية وهوادة ، وبذلك ظفرت برضى المسلمين الوطنيين وبثقتهم .

أصبحت «المؤيد» ميدانا للأقلام المشبوبة التى يجريها على صفحاتها زعماء السياسة والأدب والاجتماع ، وجرى المؤيد إلى غاياته طلقا يرفده بالمقالات الرائعة أبطال الرأى والأدب والعلم من أمثال (الشيخ محمد عبده) و (سعد زغلول بك) و (مصطفى كامل) و (قاسم أمين) و (مصطفى لطفى المنفلوطى) و (فتحى بك زغلول) و (حفنى بك ناصف) و (ابراهيم اللقانى) و (الشيخ عبد الكريم سلمان) و (السيد توفيق البكرى) و (ابراهيم المويلحى) و (محمد المويلحى) و (إسماعيل أباظة) ، وعالجت هذه الأقلام ، وعالج معها صاحب المؤيد الموضوعات المصرية الإسلامية فى مقالات مسهبة ، قد تبلغ الصفحة الأولى جميعاً »[2] .

وقد كانت المؤيد ممتازة من بين الصحف المصرية بالدفاع عن الوطن والذود عن حقوقه ومهاجمة الاستعمار فى شتى أساليبه ، فكانت قلب الوطن الخافق ولسانه النابض ، دأبت على مهاجمة الأجانب كلما واتتها الفرص والأسباب ، وصورت ظلم الاحتلال للمصريين وعسفه بهذا الوطن المنكود ، ولعل مما يحسن ذكره إيراد أبيات من القصيدة الرائعة التى نظمها المرحوم حافظ بك إبراهيم فى رثاء صاحب المؤيد ، فمما قاله فى ذلك :

---

[١] المؤيد الصادر فى ٧ ربيع الآخر ١٣٠٧ أول ديسمبر سنة ١٨٨٩

[٢] المؤيد فى ٢٠ من شعبان سنة ١٣١٠ [٨ مارس سنة ١٨٩٤]

كم أرجفوا بعد موت الشيخ وارتقبوا — موت المؤيد فينا شر مرتقب
وإن يمت تمت الآمال فى بلد — لولا المؤيد لم ينشط إلى طلب
صبابة من رجاء بين أضلعنا — قد بات يرشف منها كل مغتصب
ألم يكن لبنى مصر وقد دهموا — من ساحة الغرب مثل المعقل الأشب
كم انبرت فيه أقلام وكم رفعت — فيه منائر من نظم ومن خطب
وكان ميدان سبق للألى غضبوا — للدين والحق من راع ومحتسب
فكم يراع حكيم فى مشارعه — قد التقى بيراع الكاتب الأرب

تراءى لدار الوكالة البريطانية أنّ ساعد المؤيد قد اشتد وأن خطرها قد تفاقم ، فلم تطق صبرا على أمرها ، ولم تدعها تنفث فى الناس سمومها وأفكارها ، « فأمرت بمنعها من دخول السودان ، وحوربت بشتى الأساليب ، فكانت تصادر هناك دون علمها فلا تصل إلى مشتركيها » (١) .

هبت على المؤيد رياح وأنواء كان من شأنها أن تعصف بها ، ولكنها كانت تستمد من الأحداث قوة ، ولم يهن عزم صاحبها بما دبر له من كيد وعنت ، وما ارتصد له من ضيق وعسف ، بل كان يمضى قدما فى طريقه .

هذا هو الاستعمار يضيق على المؤيد ويخلق لها المتاعب والعقبات ، فيحرم إصدارها فى مصر والشرق ، ثم يحرض صحفه لمهاجمتها والنيل منها ، ويثيرها على المؤيد فتكتب ملبية داعى الضلال ونداءه .

وتلك هى المقطم بوق الاحتلال وداعيته ، تعتبر صاحب المؤيد جاهلا بآداب المناظرة ، « وتحمل على مصطفى كامل لأنه دعا إلى تكريم المؤيد لأنها أقدر الصحف على الإساءة إلى المقطم وأصحابه » (٢) .

ثم هى توجه نظر الصحف الأوروبية إلى ما تنشره المؤيد ، وتحتكم إلى الرأى العام « ليحافظ على التقاليد الخديوية المشهورة بمنع التقسيم بين الرعية ، وتشرح للصحف العربية

---

(١) المنبر فى ربيع الأول ١٣٣٤ (٢٢ من يناير ١٩١٦ م) .
(٢) تطور الصحافة المصرية ص ١٧٩ .

خطر الدعوة التى يبثها المؤيد وأذنابه من الصحف ، وتلفت نظر صحيفة (الحقوق) إلى ذلك « إذ لا تجد جريدة أخرى بين الجرائد العربية التى انتصرت للمؤيد تستحق أن تذكر على مسمع من أهل الفضل والأدب » [1] .

كتبت المقطم ذلك واحتفلت الصحف الأجنبية بما كتبته ، وبذلت كبريات الصحف الموالية لذلك اهتماما بليغا . ومن هذه الصحف (لوبروجريه أجبسيان) التى ردت على الشيخ على يوسف حماسته وهاجمت سياسة التعصب ، وأغرت الحكومة بهذه الصحيفة لأنها تدعو إلى التعصب الذى من شأنه أن يعرض الأمن للاضطراب وحياة الأوربيين للخطر ، « لأن الشيخ على يوسف يدعو إلى أن يقوم قسم من الشعب بذبح القسم الآخر » [2] .

ولم تقتصر صحف الاحتلال على مهاجمة المؤيد فحسب ، بل كانت تناهض الصحف الموالية لها مناهضة جاهدة . ومن هؤلاء صحيفة المقياس التى كانت تطبع فى دار المؤيد وتكتب مقالاتها بوحى من الشيخ على يوسف وأنصاره .

والحق أن المقياس كانت قاسية صريحة فى عصبيتها للدين والوطن . وأنها سدّدت أقلامها للنيل من المقطم وأصحابه ، وحملت عليه حملة شعواء ، وأساءت إلى المسيحيين إساءات واضحة ، لا لبس فيها ولا إبهام [3] إذ نشرت مقالا بعنوان (يضرمون نار التعصب وينكرون) .

ثم إن صحف الاحتلال تذكر ما تنشره المقياس من نثر وشعر تدعو فيه إلى أن يسل المسلمون سيوفهم ويقتلوا الكافرين لأنهم زلزلوا صروح دين المسلمين .

وقد حكى صاحب « مرآة العصر » (أن قناصل الدول قرروا مرة مخاطبة رئيس مجلس النظار « دولتلو » رياض باشا فى هذا الشأن فأجابهم بما ينفى الريب) ، ثم حدث أن الحكومة أعادت إنشاء (قلم المطبوعات) فى نظارة الداخلية مرة ثانية تحت رئاسة أحد

---

(١) المقطم فى ٨ ربيع الآخر ١٣١٣ (٢٨ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ م) .

(٢) تطور الصحافة المصرية ص ١٨٠ عن (لوبروجريه الصادرة فى آخر ربيع الأول ١٣١٣ (٢٠ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ م) .

(٣) المقياس العدد العاشر من سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) .

الأجانب ، فكان يتعقب المؤيد فى كل عدد يصدر منه ، ويناقش صاحبه الحساب على كل سطر يكتبه فيه .

وهناك عامل آخر غير الاستجابة لرغبات الاحتلال حمل المقطم ونظائرها على مناهضة المؤيد والكيد له ، وذلك هو حسدها على مابلغته من مكانة ، وما تواتى لها من مجد وشهرة ، ولعل مما يؤيد ذلك موقف المقطم من صاحب المؤيد فى قضية الزوجية المشهورة التى شغلت المجتمع المصرى ردحاً من الزمن ، وكانت مادة خصبة للصحف والمجامع ، وذلك أن « الشيخ على يوسف » أراد أن يتزوج ابنة (السيد عبد الخالق) شيخ السادات الوفائية ، ورأت هى هذا الرأى معه ، وانعقد عزمهما على إتمام الزواج دون علم شيخ السادات ، الذى عارض الفكرة أشد المعارضة ، ورأى الصحفى غير كفء لابنته لأنه دونها حسباً ونسباً ، وتم العقد كما يقضى بذلك الشرع ، ولكن والد العروس أصر على إبائه ، وثار على الواقع ، فأقام الدعوى فى المحكمة الشرعية ، ليحال بين ابنته وبين زوجها ، ولأنه « يمتهن مهنة لا يكرم بها صاحبها » .

كان لهذه القضية ضجة فى الصحف شغلت الأذهان ، وكان للدفاع فيها حظ من البيان الرائع والحجة الناهضة ، (وحاولت الحكومة أن تحول دون فصل الزوجين وتنفيذ قرار القاضى ، وكاد قاضى القضاة أن يثير أزمة حادة فى دوائر القضاء ، ويقف القضايا الشرعية جميعاً ، ويغلق أبواب المحكمة ، لولا أن الحكومة نزلت عند أمره ، وحالت بين الزوج وزوجته إلى أن يفصل فى القضية) [1] .

ثم إنه كتب له الفوز فى هذه القضية ، وتولى مشيخة السادة الوفائية خلفاً لصهره المرحوم (السيد عبد الخالق السادات) .

ونظرة إلى موقف الصحف من هذه القضية وموقفها من صاحب المؤيد تريك كيف كان الشيخ على يوسف محسوداً على مجد صحيفته .

أما صحف الأقباط فقد حرص كثير منها على عدم الخوض فى هذا الموضوع خلا « مصر » و « المقطم » . فأما مصر فقد ساءها قرار محامى السادات فى الصحافة فهى ترى أن (ما قاله

---

(١) صحيفة الشباب العدد الثالث من سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

الشيخ الفندى وكيل السادات تعريضاً بالصحافة وحسبانها من المهن الدنيئة المضرة فقول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون) .

وأما « المقطم » فقد حرصت على نشر تفاصيل القضية نشراً يظهر فيه الغرض والتشفى دون أن يعلق الكاتب على اتهام المحامى والمحكمة الصحافة بأسوأ ما تتهم به حرفة من الحرف [1] .

وأما « المنار » فقد كانت صحيفة موالية لصاحب المؤيد فى قضيته ، وكان من الممكن أن يغار صاحب المقطم على كرامة الصحافة التى امتهنها الدفاع ، وأن يقول كلمة إنصاف لمهنة هى مهنته ، ولكن حقده على صاحب المؤيد أعماه عن الدفاع عن مهنته ، ولم تكن اللواء فى مستهل ظهورها لتنال من مكانة المؤيد الراسخة المؤثلة ، ولكن صاحب المؤيد التوى طريقه وجنح إلى السلم قلبه [2] واستطاع الاحتلال أن يعطفه إلى جانبه ، واحتفل الانجليز بمقدمه يوم أن زار بلادهم .

منذ ذلك الحين تقلص ظل المؤيد ، وخفت صوتها ، وانكمش مجدها ، وبدأت تفسح الطريق « للواء » يخفق فى ربوع البلاد ، فتخفق معه قلوب ، وتهتز به مشاعر وإحساسات .

ومما مهد لهذه الخاتمة ما كان لاغتيال « بطرس غالى » رئيس الحكومة (فى ٩ صفر سنة ١٣٢٨ — ٢٠ من فبراير سنة ١٩١٠) من أثر فى التضييق على الصحف وحرية القول ، فقد صدر بمقتل هذا الرجل ثلاثة قوانين كانت حربا على الصحف وحريتها ، وشرعت الصحف المسيحية تقحم المسألة الدينية فى سياستها ، وتفيض بالعصبية والملاحاة ، نعم إن هذه المساجلات هيأت ثروة أدبية خصبة ، (وأنتج الأدباء والشعراء روائع الادب وبدائع الشعر فى تأييد وجهات النظر المتباينة ، كما ترك هذا الخلاف كتبا عربية وإفرنجية قيمة) .[3]

---

(١) تطور الصحافة المصرية ص ١٩٥ .

(٢) المجلة ـ ماحدث فى سنة ١٩٠٤ من تحول فى السياسة الخارجية بسبب الاتفاق الانجليزى الفرنسى حمل الكثيرين فى مصر على تعديل خططهم . ومنهم صاحب المؤيد الذى كان يرى أن اللواء سد الفراغ فى المعارضة العنيفة ، فآثر أن يكون المؤيد لسان المعارضة المنطقية المعتدلة .

(٣) جريدة الوطن فى ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٨ ـ ٨ من إبريل سنة ١٩١٠ .

ولكن قانون المطبوعات كان هزة عنيفة أصابت الصحف عامة و « جرائد مصر مهما تباينت مبادئها واختلفت مذاهبها تتفق على انتقاد هذا القانون وتقييد حرية الصحافة به »(١) .

أطلقت الحكومة بوحى من الإنجليز يدها للتنكيل بالصحفيين وتعذيبهم ، واتخذت فى اضطهادهم ألواناً شتى بين إنذار وسجن وتعطيل ، وقد أصدرت أمراً بتعطيل (اللواء) صحيفة الحزب الوطنى لأنها عينت محرراً مسئولا دون حصولها على إذن بذلك ، وعطلت صحيفة العلم مرة بعد مرة ثم أمرت بتعطيلها نهائيا .

لم تقو الصحف على احتمال هذه الصدمات ، وكان من أثر ذلك أن تنكبت طريقها وتعثرت فى سبيلها ، وقد قررت جريدة الشعب أن إرهاب قانون المطبوعات ضيق على الصحف ، فأخذت تصور الرأى العام صورة مشوهة خوفا من بطشه ، كما جعل الصحف الإسلامية فى تناقص ، والقبطية فى تزايد ، إذ أغلق ست من الأولى ، لم ينشأ على أنقاضها إلا صحيفتان قبطيتان هى الرقيب والإقدام . (٢)

ذلك هو الجو الخانق الذى تنفست فيه الصحف ، وتلك هى الكوارث التى كرثت بها الأقلام التى طالما شرعت رماحا ردينية ، لم يطب للمؤيد فى هذا الجو جهاد ، ولم يسغ لصاحبها فيه حياة ، فأصبحت شركة بينه وبين غيره ، واتجهت اتجاها جديداً لا قوة ولا حياة فيه ، وتخلى عنها « الشيخ على يوسف » فى سنة ١٣٣١ هـ — سنة ١٩١٣ م بعد أن أصبح شيخا للسادة الوفائية وبيعت أدواتها فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٤هـ - ١٧ إبريل سنة ١٩١٦م فاختتمت بذلك تاريخها الحافل ومجدها العظيم . ؟

محمد كامل الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

---

(١) جريدة الأهالى فى ١٥ المحرم سنة ١٣٢٩ - ١٧ يناير سنة ١٩١١ .

(٢) جريدة الشعب فى ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ - ٨ مايو سنة ١٩١٢

غزوة الخندق

الخندق مفاجأة كبرى لقريش والأحزاب

— ٢ —

خبرة فائقة فى هندسة الميدان :

أحب أن أقف هنا قليلا ، فإن غزوات النبى ﷺ كانت - فى الحق - تحوى كثيراً جداً من الفنون الحربية التى تستوقف النظر ، وفى هذا الموضع نقف أمام دليل واضح على أن النبى خبير فنى مبدع فى هندسة الميدان التى تتعلق بنظام حفر الخنادق وإقامة الموانع وغيرها من دفاعات الميدان ، فقد خط عليه الصلاة والسلام لكل عشرة من الرجال عشرة أذرع يعملون فيها ، وتقسيم العمل وتوزيع الأنصبة على هذا الوجه هو ما تقضى به أحدث قوانين هندسة الميدان ، فهو يضمن نظاماً عادلا فى توزيع العمل ويذكى روح التنافس بين الرجال ، وذلك لظهور مجهود الفرد وإنتاجه ، وإمكان مقارنته بمجهود زملائه ، وهو يضمن لكل رجل فسحة كافية ليعمل فيها ولا خوف عليه من حركات زميله ، ولا يضطر إلى انتظاره إذا تداخل العمل فيكون فى هذا ضياع الوقت .

وهكذا نرى أن محمداً ﷺ قد وضع من الأصول الفنية فى هندسة الميدان ما هو مسطور اليوم فى الكتب الرسمية الخاصة بهذا الفن ...

الخندق فى أنسب مكان :

كان أحد جوانب المدينة مكشوفا ، وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل ولا يتمكن العـــدو منـه ، فاختار الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الجانب للخندق بين الحرة الشرقية والحرة الغربية [1] .

---

(١) الحرة : أرض جبلية سوداء كالفحم .

وهكذا نرى أن الرسول قد اتخذ من طبيعة الوضع الجغرافى وما فيه من بنيان ونخيل موانع تقف دون عدوه المهاجم ، واختار الجانب المكشوف لحفر فيه الخندق وهو مانع صناعى . فإذا نحن رجعنا إلى قوانين الحرب الحديثة ، وجدناها تتحدث فى هذه الناحية ، موجبة الانتفاع بالموانع الطبيعية (كالجبال والأنهار وغيرها) القائمة فى ميدان القتال ، إلى الحد الأقصى ، وإقامة الموانع الصناعية كالخنادق والألغام والأسلاك الشائكة وغيرها فى الأماكن المكشوفة ، لأن فى ذلك توفيراً للوقت والرجال والأدوات .

وكانت هناك منازل تبعد عن الخندق فرسخين تواجه مآتى العدو ، فأمر الرسول بتحصين جدرانها وإخلاء المساكن الأخرى ، ثم جىء بالنساء والذرارى إلى هذه المنازل التى حصنت .

وكذلك وضعت الأحجار إلى جانب الخندق من ناحية المدينة لتكون سلاحا يرمى به عند الحاجة إليه . وعلى الجملة فقد كانت خطة دفاع الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا رائعاً للفن العسكرى على أكمل وجوهه ، وكانت عملا ترضى به أحدث النظم العسكرية .

الخندق سلاح جديد :

كلنا يعلم ما أحدثه ظهور الدبابة (١) لأول مرة فى الحرب العظمى الأولى من انقلاب خطير فى فنون الحرب ، وما أصاب الألمان حينذاك من فزع ودهشة وارتباك فى خطوط الدفاع بسبب المفاجأة .

وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه ، فالسلاح الجديد الذى يطلع به فريق على خصمه فجأة ، يحدث بلا شك أثره المنشود إلى أن يتيسر لذلك الخصم كشف سره أو إعداد وسائل مقاومته . ولم يكن العرب يعرفون فى حروبهم الخندق ، وفى هذه الغزوة يفاجىء الرسول عليه الصلاة والسلام أعداءه بهذا السلاح الجديد ، وسنرى الآن ما أحدثه من أثر .

سار أبو سفيان ورجاله حتى بلغوا جبل أحد فلم يجدوا عنده أحداً ، فجاوزوه إلى المدينة فإذا بالخندق يطالعهم ، فأسقط فى أيديهم وأخذهم العجب والذعر والغيظ . وعسكرت قريش

(١) ظهرت الدبابة لأول مرة فى معارك السوم بفرنسا فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٦

ومن تبعها بمجتمع الأسيال من رومة ، وعسكرت غطفان ومن معهم إلى جنب أحد عند ذنب نقم ، ومضت عدة أيام لم يزد القتال فيها على الترامى بالنبال كتراشق المدفعيات فى الحروب الحديثة ، وكان أبو سفيان والعرب معه أثناء ذلك يفكرون ـ دون جدوى ـ فى طريقة لاجتياز هذا المانع العجيب ، حتى لقد أصبحت الرغبة فى الانسحاب أمراً تخفق له قلوب الناس .

وكان بين هؤلاء العشرة الآلاف فى هذا الحين رجل واحد ليس فيهم من هو أشد منه ارتياعا وفزعاً ، وهو حيي بن أخطب اليهودى الذى دبر هذه الحرب وألب هذا الجمع على محمد ﷺ ، فقد عز عليه ـ بعد أن حزب كل هذه الأحزاب ـ أن يتطرق إليهم الوهن والخنوع ، ورأى أن هذه الفرصة إن أفلتت فهيهات أن تعود ، فإذا انسحبت جيوش الأحزاب كان النصر للمسلمين ، ثم الويل بعد ذلك لليهود ، أما الأسباب التى جعلته يخشى من انسحاب الأحزاب فيمكن تلخيصها فيما يلى :

(١) هبوط عزيمتهم وانحطاط روحهم المعنوية لمفاجأة الخندق ، فأيقنوا أن مقامهم أمامه سوف يطول ، وهم جاءوا ليحاربوا يوما أو يومين كما حدث فى أحد .

(٢) شدة البرد وكثرة العواصف فى ذلك الحين .

(٣) كان اشتراك غطفان فى القتال لأنها وعدت ثمار سنة كاملة من مزارع اليهود فى خيبر إذا تم النصر ، أما وقد أصبح هذا النصر بعين الاحتمال ، وسيذهب دونه ما هو أثمن من تلك الثمار ، فلا يبعد أن تفكر غطفان فى الانسحاب .

(٤) أما قريش فالأيام بينها وبين محمد ، ورغبتها فى الانتقام لنفسها من بدر وما بعدها أمر يمكن إدراكه فيما بعد .

(٥) كان يهود بنى قريظة على عهد مع المسلمين ، وكانوا يمدونهم بما يلزمهم من مؤونة ، الأمر الذى يطيل أمد مقاومتهم ، ويقطع أمل قريش فى إمكان التغلب عليهم بالحصار .

يهود بنى قريظة ينقضون العهد :

فكر حيي فى هذا كله ، ووجد ألا سبيل للخلاص من هذا المأزق إلا باستمالة يهود بنى قريظة إلى جانبه ، وجعلهم ينقضون ما بينهم وبين الرسول من عهد ، وبذلك تنقطع مساعدتهم له ، فلا يقوى على الوقوف أمام الأحزاب ، فذهب إلى بنى قريظة يريد مقابلة كعب بن أسد صاحب العقد ، فأغلق كعب باب حصنه عليه لما علم بمقدمه ، ولكن حييا

ما زال به يستميله ويستعطفه ويستحلفه بيهوديته حتى لان له ومزق صحائف الميثاق ، وعاهده حيى إن رجعت الأحزاب ولم يصيبوا محمدا أن يدخل معه فى حصنه ليصيبه ما يصيبه ، وطلب كعب أن تمهله الأحزاب عشرة أيام يعد فيها عدته على أن يقاتل الأحزاب المسلمين فى هذه الأيام العشرة أشد قتـال .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحياز يهود بنى قريظة إلى الأحزاب ، فعظم البلاء ، وعم الفزع بين المسلمين ؛ فليس أقسى على النفس من أن يخون الحليف فى وقت المحنة . ثم إن المدينة فيها نساؤهم وعيالهم وقد أصبحوا تحت رحمة هؤلاء الخونة الناقضين للعهد ، وبذلك أصبح الخوف عليهم أكثر من الخوف على أهل الخندق .

وأرسل الرسول عليه الصلاة والسـلام عظيمى المـدينة : سعد بن معـاذ ، وسعد ابن عبادة ، ومعهما عبد الرحمن بن رواحة ، وخوات بن جبير ، ليقفوا على جلية الأمر من بنى قريظة ، فجـاءوا بتأييد ما بلغه عنهم .

الرسول يتصرف بسرعة :

فأرسل الرسول فى الحال سلمة بن أسلم فى مائتى رجل ، وزيد بن حارثة فى ثلاثمـائة رجل (أى سدس القوة) يحرسون المـدينة ويظهرون التـكبير ليرهبوا بنى قريظة ويحموا النساء والذرارى من غـدرهم . وفى هذه الأثناء رتبت الأحزاب أوضاعها فجعلوا كتيبة ابن الأعور السلمى من فوق الوادى شرقا ، وغطفان فى أسفل الوادى غربا ، وعلى رأسهم عيينه بن حصن ، وأقاموا أبا سفيان أمام الخندق ، وكان خبر نجاح حيى بن أخطب فى دعوته حافزاً الأحزاب إلى العمل ، مشجعاً لهم على القتال ، فاندفع بعض فرسان قريش : منهم عمرو ابن ود ، وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن أبى وهب ، وضرار بن الخطاب ، يريدون اقتحام الخندق ، فتلمسوا منه مكانا ضيقاً وأكرهوا خيلهم فاجتازته ، ونادى عمرو بن ود فى المسلمين فى عظمة ، هل من مبارز . . . هل من مبارز ... ؟ فقام على كرم الله وجهه وقال : أنا له يا نبى الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : اجلس ، إنه عمرو بن ود . ثم كرر عمرو النداء مرتين ، وفى كل مرة يعيد الرسول قوله ، حتى أنشد عمرو يقول :

ولقـد بححت من النـدا ء بجمعكم هـــل من مبارز
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خـــير الغرائز

فلما رأى الرسول ثورة على ورغبته الملحة فى لقائه أذن له فنازله فقتله ، وهنا فرت خيل الأحزاب مولية الأدبار . ولما أقبل الليل جعلت أطواف من الأحزاب تطيف بالخندق ، ولكن المسلمين كانوا عيوناً ساهرة لا تنام ، وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة يريد عبور الخندق ، فهوى هو والفرس فيه فصرعا .

وكان فى الخندق ثغرة ضعيفة يخشى من اختراق قريش لها ، فذهب إليها رسول الله ، ووقف عليها بنفسه ، وكاف سعد بن أبى وقاص بحراستها طول الليل ، وأخذ بعض يهود بنى قريظة يعيثون فى المدينة يريدون إرهاب النساء . ويروى أن صفية بنت عبد المطلب كانت فى دار حسان بن ثابت ومعها بعض الصبية ، فمر بهم يهودى وأخذ يطيف بالدار ، فقالت صفية لحسان : إن هذا اليهودى يطيف ياحسان بالحصن كما ترى ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا ، فانزل إليه فاقتله ، فتخاذل حسان واعتذر ، فأخذت صفية عموداً ونزلت فضربت اليهودى حتى قتلته ؟

محمد جمال الدين محفوظ

أسوان والخزان

فى الحفل الذى أقامته الرحلة الأزهرية فى ثكنات الجيش بأسوان مساء الخميس (٢٤ جمادى الثانية ١٣٧٤) ١٧ فبراير سنة ١٩٥٥ وحضره كبار الضباط والموظفين بأسوان . ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ السباعى الشناوى المراقب بكلية الشريعة قصيدة عصماء نقتطف منها ما يلى :

إن كان للآثار رمز حضارة ... نقشت على الأحجار والبنيان
لحضارة العهد الجديد حضارة ... بنيت على الإصلاح والعرفان
شاد الفراعين الملوك هياكلا ... ليقال خوفو أو تحتمس بان
والشعب ساموه العذاب ليخلدوا ... ما كان للإسعاد والعمران
شتان من يبنى ليرفع نفسه ... وتقال فيه مدائح الإحسان
ومن ابتنى للشعب يسعده ولا ... يبغى ثناء الحمد والشكران
تبنى الشعوب إرادة نفاذة ... وعزيمة وثابة وتفان
يا مصر عهد بالتقدم زاخر ... فلتهنئى بليوثك الشجعان



مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

بتحقيق الأستاذ عبد الصمد شرف الدين — ٥٢٠ صفحة
المطبعة القيمة فى بمباى « الهند »

شيخ الإسلام ابن تيمية من أعلام هذه الملة ، ومؤلفاته - على قلة ما نشر منها حتى الآن - ملأت خزائن الكتب فى الشرق والغرب ، وشغلت المطابع الإسلامية فى مصر والشام والهند وغيرها . ولابن عروة الصالحى الدمشقى كتاب اسمه « الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى » توسع فيه بالشرح والتعليق حتى زاد على مائة وأربعين مجلدا ضخما ضاع كثير منها ، ويوجد منها فى دار الكتب الظاهرية بدمشق بضعة وأربعون مجلداً ، كما أن منها فى دار الكتب المصرية ثلاثة مجلدات « برقم ٦٤٥ تفسير » ومن عادة ابن عروة أنه إذا بلغ فى كتابه إلى بحث سبق لبعض الأعلام تأليف كتاب قيم أو رسالة نفيسة فى موضوعه يثبت هذا الكتاب أو الرسالة بالنص فى ذلك الموضع من كتابه . وقد نشرت إلى الآن كتب متعددة من كتب ابن تيمية وابن القيم مستخرجة من « الكواكب الدرارى » هذا ، ولو أن ابن عروة لم يثبت تلك الكتب فى الكواكب الدرارى لكانت الآن فى عداد تراثنا المفقود ، وما أكثره .

ومجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية التى قام بتحقيقها ونشرها الأستاذ عبد الصمد شرف الدين من أفاضل علماء المسلمين فى الهند تتناول تفسير ست سور من القرآن هى سور الأعلى والشمس والليل والعلق والبينة والكافرون ، وهى من آخر مؤلفات ابن تيمية ، وكانت فيما يظنه الناس مفقودة ، فعثر عليها الأستاذ عبد الصمد شرف الدين فى أحد المجلدات الثلاثة الموجودة فى مصر من « الكواكب الدرارى » ، وجاء إلى مصر

خصيصا لنقلها ودراستها والعناية بنشرها ، وقد نقلها بالتصوير الشمسي وعكف عليها زمنا طويلا يدرس ويحقق ويقارن ويعلق عليها الحواشي ، ثم أخرجها للناس أخيراً مطبوعة بأجمل الحروف على ورق جيد فجاءت بأكثر من خمسمائة صفحة كبيرة ألحق بها فهرساً للأسماء والفرق والأماكن والكتب ، وكتب لها مقدمة بالعربية وأخرى باللغة الإنجليزية ، فاستحق على جهوده هذه آيات الثناء والشكر ، لأن زكاة العلم خدمته ونشره ، والأستاذ عبد الصمد شرف الدين أدى لأبناء ملته زكاة علمه ؟

ابن حزم — صورة أندلسية

للدكتور طه الحاجرى - ٢٣١ ص - دار الفكر العربي

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ — ٤٥٧) علم من أعلام الإسلام الذين كان ينبغى لنا أن نضع بين أيدى المثقفين من أبنائنا وشبابنا مراجع وافية للتعريف بهم ، وتيسير الإفادة من علومهم وسيرتهم . وقد سد هذا النقص الآن فى المكتبة العربية العالم المحقق الدكتور طه الحاجرى بإصداره هذا الكتاب عن ابن حزم ، فعقد لذلك اثنين وعشرين فصلا فى كتابه هذا ابتدأها بتمهيد تحدث فيه إلى القارئ عن بداية معرفته لابن حزم قبل نيف وعشرين عاما حين أخذ يظهر فى عالم الطباعة كتابه (المحلى) ، فوجده رجلا قوى الشخصية إلى أبعد مدى ، عظيم الاعتداد بنفسه إلى أقصى غاية ، ولكنه اعتداد قوامه الفهم العميق ، والعقل المحكم الوثيق ، والعلم الواسع الدقيق . وما ظنك برجل يستطيع أن يتناول الأمور التشريعية كلها : عباداتها ومعاملاتها ، ويقضى فيها دون أن يرجع فى شىء منها إلا إلى الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع التام . فلما أراد الدكتور الحاجرى أن يعرف قراءه بهذه الشخصية العظيمة انتقل بمعارفه التاريخية وبحوثه العلمية إلى ربوع الأندلس والبيئات التى تنقل بينها هذا الرجل العظيم ، فعاش معه ، ودرس دقائق مداركه ومختلف ميوله وكنوز الفضائل من أخلاقه ومواهبه ، فلا يقف من حياته على حادث إلا تحرى تفاصيله وبعث الحيوية فى ظروفه ، ثم يتأنق بعرضه على قرائه كما لو كانوا معاصرين لابن حزم ، وكما لو كانوا شهودا لنشاطه العلمى والخلقى والسياسى فى شبابه وكهولته إلى أن لقى ربه تاركا وراءه من تراثه العلمى أربعمائة مجلد تشتمل على ثمانين ألف ورقة فى كل سطر

من سطورها علم صحيح جيد وفهم ثاقب عميق الغور أحاط بمعارف عصره والعصور التى سلفت قبله ، فاستطاع بالمقارنة بين نزعاته المختلفة وتيارات عصره المتضاربة أن يقف على قدر الإسلام فى هدايته وتشريعه وأنظمته ، وعلى قدر عظمائه من صدر الإسلام الأول إلى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والنصف الأول من القرن الخامس ، فكان بذلك من مفاخر الإسلام وأهله والثقافة الإسلامية ورجالها والتاريخ الإسلامى وأعلامه. فشكرا للدكتور الحاجرى على هذه الدراسة القيمة ، ولعل الله يلهمه الإكثار من أمثالها .

دقائق وحقائق — فى مقدمة ابن خلدون

للأستاذ محمود الملاح — ٩٨ ص — مطبعة أسعد ببغداد

سبق لنا التعريف ببعض مؤلفات الأستاذ الملاح ، فعرفنا القراء برسالته عن حقيقة إخوان الصفا فى ص ٣٤٢ — ٣٤٣ من هذه السنة ، وبرسالة له عن ابن سينا وأخرى عن عبد الباقى العمرى فى مجلد السنة الماضية - وبين أيدينا الآن رسالة جديدة له عن مقدمة ابن خلدون وهو يقول عنها إنها دراسة تشبه أن تكون خاطفة لمواضع شغلتنى ، ولوجثوت لها لجثت بضعفها . ويقول عن ابن خلدون : هو أستاذى الخاص الذى تهذب فكرى وقلبى على يديه ، فأنا خريج مدرسته التى وجهتنى توجيها حسنا على بعد الشقة فى الزمان وفى المكان ، وما مدرسته إلا مقدمته التى لم أزل مقبلا عليها فى الأدوار الثلاثة من حياتى. وكانت تعرض لى سوانح مختلفة باختلاف الفصول والأبواب فأعلقها على هوامش مقدمة ابن خلدون . وبتوالى الزمن لا بتطاوله أشرفت تلك التعليقات على التلف ، فرأيت من أحسن ما يخدم به تراث السلف إنقاذ تلك التعليقات بنسخها والتوسع فيها وتقديمها إلى المكتبة العربية . وعندى أن (المقدمة) لم تستغن عن الصقل فى عهد صاحبها نفسه فكيف فى عهدنا .

والأستاذ الملاح معروف عند قرائه بإخلاصه وشجاعته وألمعيته فى كل ما كتب ، ولا سيما فى مقاومته الشعوبيين والعابثين بالتاريخ الإسلامى ، فرسالته الجديدة عن مقدمة ابن خلدون جديرة بالدراسة وطول التأمل .

الأدب والعلوم

أحكام الاسلام ومبادئه باللغات الحية

أوعز فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتأليف لجنة من بعض أعضاء جماعة كبار العلماء وبعض المشتغلين بالشئون الإسلامية من أساتذة الجامعات تكون مهمتها ترجمة الأحكام الشرعية والمبادىء الإسلامية التى تشتمل عليها آيات القرآن الحكيم إلى اللغات الحية . مع بيان الأسباب التى نزلت فيها كل آية وما استهدفته من الصالح الإنسانى .

والغرض من هذا المشروع تصحيح الآراء التى نشأت عن أخطاء بعض التراجم نظراً لخطورتها على صحة العقيدة الإسلامية ، وبيان للناس كافة عن حقيقة الإسلام الاجتماعية الإنسانية .

كادر كليات الأزهر

فرغ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر من إعداد كادر هيئات التدريس فى الكليات الثلاث (أصول الدين ، والشريعة واللغة العربية) ، وأصبح مقرراً أن يدمج هذا الكادر فى ميزانية الأزهر لعام ٥٥ — ١٩٥٦ ، وقد أعد لمواجهة ذلك فى ميزانية الأزهر مبلغ اثنى عشر ألف جنيه .

وسيخصص لكل عضو من جماعة كبار العلماء درجة مدير عام حرف (ا) لأنهم — بحكم القانون — سيزاولون مهنة « الاستاذية » فيشغل كل منهم الكرسى الذى يناسبه .

وأوشك فضيلة الأستاذ الأكبر أن ينتهى من بحث شغل الأماكن الخالية من عضوية جماعة كبار العلماء ، وتبلغ أربعة عشر مكانا ، كما أوشك فضيلته أن ينتهى من توزيع كراسى الأستاذية لكل كلية من كليات الأزهر الثلاث حسبما تقتضيه الحاجة .

الجريمة والشباب

أقامت وزارة الشئون الاجتماعية ندوة فى دار جمعية الاقتصاد السياسى والتشريع والإحصاء لبحث موضوع الجريمة والشباب بين الأسباب والعلاج ، وقد ترأس الندوة الأستاذ محمد فؤاد جلال السكرتير العام للمجلس الدائم للخدمات العامة .

وتحدث اللواء عبد العزيز صفوت فتناول الموضوع من نواحيه الواقعية ، ذاكرا العوامل التى تدفع إلى الجريمة ومن بينها الولادة والغريزة والعادة والعاطفة ، وكذلك تأثير المناخ ثم هجرة أهل الريف إلى المدن ، والجهل وأثر تحاسد الضرائر فى بنيهن ، والفقر والكسل ... وحلل كلا من هذه العوامل تحليلا قرنه باستشهادات واستدلالات .

وتكلم بعده الأستاذ ابراهيم خليل الوكيل السابق لمحكمة النقض فعالج الموضوع من نواحى التربية وعلل الجريمة بأنها فشل الفرد فى الاندماج فى المجتمع ، وأن من أهم أسبابها سوء استعمال أوقات الفراغ ، والكتب المتطرفة ، والأفلام المنحرفة ، ونادى بوجوب التعاون مع البيئة لتهيئة الجو الصالح للمواطن الصالح .

وتلاه الأستاذ محمد فتحى المستشار وأستاذ علم النفس الجنائى بكلية الحقوق فعرض طائفة من دراساته الشخصية ، ونوه بأثر الدراسات النفسية فى الوقوف على العوامل الحقيقية للجريمة التى تدل على أن الذى يقدم على عمل يعد فى نظر القانون جريمة إنما تلازمه حالة مرضية . وعرج على أثر الطب النفسى والعلاجى وهو مجال مدرسة اللاشعور

وتحدث الدكتور أحمد وجدى مدير مستشفى الأمراض العقلية عن وجوب العناية بالناحية الطبية النفسية وقال : إن الجريمة عمل عدوانى ضد المجتمع ، وأعرب عن ارتياحه للمشروعات التى يعدها المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، وما ينتظر أن يكون لها من أثر طيب فى المحاولات التنفيسية للنشء ، وهو يرى أن هنالك واجبا كبيرا ملقى على بعض العناصر للعمل على الوقاية من الجريمة وهم رجال الدين وبعدهم المدرسون فالقضاة والباحثون الاجتماعيون والنفسانيون ورجال البوليس وأطباء الأمراض العقلية .

واختتمت الندوة بحديث الأستاذ محمد سعيد قدرى مدير الشئون العامة بوزارة الشئون الاجتماعية فركز بحثه فى السلوك الشخصى وقال: إن الجريمة نوع من السلوك ، فليس هنالك جريمة ، وإنما هو سلوك معوج كان يجب تدريب صاحبه منذ البداية على أن يكون سلوكه مستقيما ، ويجدر بنا قبل أن نعنى بمعاقبة المسىء أن نضع أيدينا على العلة التى أفضت إلى العقل المنحرف . واختتم الأستاذ قدرى كلمته التحليلية بقوله : إن أهم عامل يساعد الشباب على الانحراف هو ازدياد وسائل (التعليم) بسرعة ، مع بطء خطوات (التربية الوجدانية والاجتماعية) .

غلطة المنبر بلقاء

فى حفلة افتتاح الدورة التاسعة للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التى انعقدت فى قصر الكندرة بمدينة « جدة » ثغر الحجاز وقف رئيس وفدنا المصرى فخطب خطبة تأنق بها كعادته . لكنه - وهو المؤلف لبضعة أجزاء عن إمام دار الهجرة مالك ابن أنس - جاء فى خطبته قوله « وصدق صاحب الدعوة صلوات الله عليه إذ قال : إنما تصلح هذه الأمة بما صلح به أولها » فنسب هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنها للإمام مالك الذى ألف هذا الخطيب فى سيرته وعلمه كتابا فى أجزاء متعددة . ولما كان إسناد كلام الإمام مالك إلى النبى صلى الله عليه وسلم يتضاعف فيه الخطأ والزلل ، فقد علقت على ذلك بالتصحيح والتنبيه مجلة «اليمامة» التى تصدر فى «الرياض» عاصمة نجد بصفحة ١٣٨ من جزء جمادى الاولى سنة ١٣٧٤ ...

خطر التعليم المختلط

وجه مندوب الاهرام سؤالا إلى الأستاذ حامد نبيه المدير العام للتعليم الثانوى عن فوائد وأضرار التعليم المختلط ولا سيما فى المرحلة الإعدادية ، فأجابه : إن هناك سنا معينة فى حياة البنين والبنات هى التى يبدأ عندها دور المراهقة ، ومن الخطورة بمكان أن نجمع بين الولد والبنت فى هذه المرحلة من العمر، فى أى مرحلة من مراحل التعليم . ولما كانت المرحلة الابتدائية تنتهى فى حدود سن المراهقة - وهى حوالى الثالثة عشرة - فليس من الممكن أن يكون التعليم مختلطا فى المرحلة الإعدادية .

ووجه مثل هذا السؤال إلى سيدة من كبريات سيدات التعليم فاعترفت له بأن المجتمع المصرى لا يقبل فكرة الاختلاط ، وأنه يوجد الآن - فى أمريكا مثلا - من ينادى بالعودة إلى فصل البنت عن الولد فى مراحل الدراسة المتوسطة ، كما وجدت كليات جامعية خاصة بالبنات . قالت : ونحن فى مصر متجهون إلى إنشاء كلية جامعية للبنات .



أنباء العالم الإسلامي

الضمان العربي الجديد

فى الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الأحد ١٢ رجب ١٣٧٤ (٦ مارس ١٩٥٥) أذيع فى القاهرة والرياض ودمشق فى وقت واحد نص البيانين المشتركين التاليين بشأن مشروع الضمان العربى الجديد :

عقد فى الرياض اجتماع يوم السبت ١١ رجب ١٣٧٤هـ (٥ مارس ١٩٥٥) برئاسة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضره صاحب السمو الملكى الأمير فيصل رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية السعودية ، والسيد خالد العظم وزير الخارجية ووزير الدفاع الوطنى السورى بالوكالة ، والسيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى المصرى .

وقد عرض فى الاجتماع ما تم الاتفاق عليه بين الحكومتين السورية والمصرية فى البيان المشترك الذى وقعته سوريا ومصر يوم ٧ رجب ١٣٧٤ (٢ مارس ١٩٥٥) وقد وافق حضرة صاحب الجلالة الملك سعود باسم المملكة العربية السعودية موافقة كاملة على جميع ما جاء فى هذا البيان المشترك بغير تحفظ . وأبدى جلالته رغبته الشديدة بضرورة الإسراع لعقد المؤتمر الذى دعا إليه البيان لتحقيق أمانى الأمة العربية وأهدافها والله ولى التوفيق .

عن المملكة العربيه السعودية :

الأمير فيصل

عن الجمهورية السورية :

خالد العظم

عن الجمهورية المصرية :

صلاح سالم

البيان السورى المصرى

اجتمع السادة صبرى العسلى رئيس مجلس وزراء سوريا ، وخالد العظم وزير الخارجية ووزير الدفاع بالوكالة (عن الجانب السورى) . والصاغ أركان حرب صلاح سالم وزير الإرشاد القومى (عن الجانب المصرى) فى دمشق ما بين ٢٦ فبراير و ١ مارس سنة ١٩٥٥ .

ولما كان الاتفاق تاما بين الحكومتين المصرية والسورية فى السياسة الخارجية ، فقد

تشاور الفريقان فى الموقف العربى فى الظروف الراهنة ، وتبادلا الرأى فى الوسائل المؤدية إلى تعزيز الكيان العربى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، فوجدا أن الأسس التالية هى الضامنة لتحقيق هذه الأهداف :

(١) عدم الانضمام إلى الحلف التركى - العراقى أو أية أحلاف .

(٢) إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك ترتكز على الأمور التالية :

(ا) الالتزام بالاشتراك فى صد أى عدوان يقع على إحدى دول المنظمة .

(ب) إنشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسى تشرف على تدريب القوات العسكرية التى تضعها كل دولة تحت تصرف تلك القيادة ، وعلى تسليمها وتنظيمها وتوزيعها وفقا للخطة الدفاعية المشتركة ، كما تتولى هذه القيادة تنسيق الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية .

(ج) عدم قيام أى دولة مشتركة فى المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية أو سياسية بدون موافقة بقية أعضاء المنظمة .

(د) دعم الاقتصاد بين دول المنظمة تمهيدا لتحقيق الوحدة الاقتصادية الجامعة . ويتبنى الفريقان الأمور الآتية :

١ — إحداث (مصرف عربى) يصدر (نقداً عربياً) . وتؤلف لجنة فنية لوضع قواعد هذا المشروع تهيئة لإقراره .

٢ — إعادة النظر فى نظام (التبادل التجارى) المعمول به حاليا ، رغبة فى تعزيزه وتوطيده ، بإعفاء المنتجات والمصنوعات المحلية من (الرسوم الجمركية) أو تخفيف هذه الرسوم لأدنى حد ممكن .

٣ — تشجيع تأليف شركات مساهمة (برءوس أموال عربية مشتركة) للقيام بمشاريع زراعية وصناعية واسعة ، وبأعمال الملاحة الجوية والبحرية والتأمين وغيره .

٤ — تأليف (مجلس اقتصادى عربى) لتوجيه هذه السياسة الاقتصادية والإشراف عليها .

(٣) الاتصال بالحكومات العربية لعرض الأسس والمبادىء المذكوره فى هذا البيان ، ودعوة الدول العربية الموافقة عليها إلى مؤتمر توضع فيه النصوص مع تفاصيلها لإقرارها وإنفاذها فور إبرامها .

على أن يعقد هذا المؤتمر خلال شهر آذار (مارس) سنة ١٩٥٥ ، وأن يضم رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية والدفاع الوطنى والمالية والاقتصاد ورؤساء الأركان العامة .

بغى اسرائيل فى غزة

واستعداد مصر لمواجهة العدوان بالعدوان

فى الساعة الثانية والنصف من مساء الاثنين ٥ رجب (آخر فبراير) قامت إسرائيل باعتداء إجرامى منكر على منطقة غزة خرقت به ميثاق الأمم المتحدة ونصوص الهدنة مرة أخرى، فعبرت وحدة نظامية من الجيش الإسرائيلى تقدر بفصيلتين خط الحدود وتوغلت أكثر من ٤ كيلومترات و ٨٠٠ متر داخل منطقة غزة وهاجمت معسكراً مصريا بالبنادق والمدافع الرشاشة ومدافع الهاون ومدافع البازوكا والقنابل اليدوية و ١٢٠ كيلو جراما من المتفجرات، ودمرت أحد المبانى، وأحرقت الخيام وسيارتين عسكريتين ونسفت محطة المياه، وأسفرت المعركة عن استشهاد الصاغ محمود أحمد صادق و ٣٥ من ضباط الصف والجنود ومدنيين مصريين. وأصيب ضابط و ٢٨ جنديا ومدنيا بجراح. وكلفت هيئة الأمم الجنرال بيرنز كبير مراقبى الهدنة بتقديم تقرير عن الحادث، فزار المنطقة التى وقع فيها هـذا الغدر الوحشى الدنىء، وشاهد الأسلحة والذخائر التى خلفها اليهود بعد انسحابهم من المعركة.

وفى يوم الخميس ٨ رجب ألقى الرئيس جمال عبد الناصر ـ فى حفلة افتتاح المبنى الجديد للكلية الحربية ـ أخطر خطاب سمعه منه العسكريون، فأعلن أن القائد العام للقوات المصرية المسلحة قد كلف العمل على رد العدوان بالعدوان، كما كلف العمل على حماية حدود هـذا الوطن، وأن جميع إمكانيات مصر ستعبأ فى هذا السبيل. قال: وإذا دافعنا عن الوطن فسندافع ونحن نعتمد على أنفسنا وعلى قوتنا، ولن نعتمد على مجلس الأمن ولا على قرارات مجلس الأمن، إذ أن هذا المجلس وقراراته هى التى هزمتنا عام ١٩٤٨، وهو الذى انتصر مع حلفاء إسرائيل الذين عملوا على تثبيت اليهود هنـاك، وعملوا على إزالة القومية العربية من تلك البقعة. إن الصاغ محمود أحمد صادق وإخوانه من جنود مصر الذين استشهدوا بالأمس لم يكونوا سوى طليعة لجيش مصر فى هـذا الطريق، فكلنا نبغى الاستشهاد فى سبيل الوطن. لقد سمعت أمس تهديداً من إسرائيل، وإنى أقولها لهم: نحن شعب لا ينسى الإساءة (وكررها ثلاثا ثم قال): ولـكن الإساءة تزيدنا عزماً وصلابة وتصميما. إن الجيش لم يهزم فى عام ١٩٤٨ فى فلسطين، ولـكن كان ضحية الغدر والخيانة والهدنة وحلفاء إسرائيل، وإننا اليوم فى عام ١٩٥٥ نختلف تماما عن عام ١٩٤٨، والأساليب التى ساعدت على هزيمتنا فى الماضى قد اختفت تماما، ولن تعود ...

وقد أصدرت لجنة الهدنة برئاسة اللفتانت كولونيل فرانسوا جيوكوماجى حكمها بأن الهجوم كان مدبراً وأعـد مقدما بواسطة السلطات الإسرائيلية.

مجمع إسلامى

تقلد فضيلة الشيخ حسن مأمون منصب مفتى الديار المصرية ، وقد وجه إليه مندوب الجمهورية سؤالا قال فيه : هل ترون أن يتطور دور الإفتاء إلى دور مشابه لدور مجلس الدولة ، وأقصد قسم التشريع وقسم الرأى به ، فتعرض على دار الإفتاء جميع مشروعات القوانين التى تصدر متعلقة بالولاية على النفس وكافة مسائل الأحوال الشخصية كما تراجع ما هو موجود فعلا من هذه القوانين وهذه النظم ، وتبدى رأيها بالنسبة لمسائل المسلمين فى كافة صورها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى متى طلب منها ذلك ؟

فأجاب فضيلته : لقد فكرت فى هذا الموضوع وأنا بعيد عن الإفتاء ، وسألت نفسى هذا السؤال . والآن وأنا على وشك تولى أعمال المنصب لا أستطيع أن أجيب عليه إجابة مفصلة إلا بعد دراسة هــذا الموضوع الخطير . وإلى أن تتم هذه الدراسة أعلن أنى أضع نفسى فى خدمة مصر والعالم الإسلامى ، وإذا قصر وقتى وجهدى عن بلوغ الغاية تقدمت إلى أولى الأمر بما يعن لى من مقترحات مدروسة تيسر لى أداء هذه المهمة الخطيرة . ولعل من بين هذه المقترحات إنشاء (مجمع إسلامى) يقوم بمهمة تخليص العقائد الإسلامية مما شابها ، وكشف حقيقة الدين الإسلامى التى ضل عنها كثير من المسلمين وغير المسلمين ، ويكون شأن هذا المجمع شأن المجمع اللغوى ، يخدم كل منهما الغرض الذى أنشىء من أجله .

أسمى الرسالات ستنطلق

خطب السيد أنور السادات فى رأس التنورة عقب انتهائه من زيارة قطر والكويت ودخوله منطقة الظهران ، فقال فى حفلة الشاى التى أقامها له اتحاد أبناء النيل وحضرها أكثر من ألف مدعو على رأسهم الأمير السعودى محمد بن فهد الجلوى وقائد القوات السعودية :

« إن أسمى الرسالات انبعثت من قلب الجزيرة العربية للعالم أجمع ، تستهدف خير الإنسانية ، والنعمة لبنى الإنسان . واليوم يدور الزمن ، ويتم الاتفاق على أن تخرج من الجزيرة العربية دعوة جديدة إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لكى يعودوا إلى سالف مجدهم وقوتهم ، وقد آن لهذه الدعوة أن تنطلق » .

ثم عاهد سيادته الحاضرين ــ باسم الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر ــ على أن يعمل بكل قواه من أجل تحقيق فكرة (الإسلام) الخالدة .

الفهرس

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى



القاهرة فى غرة رمضان ١٣٧٤ - ٢٣ إبريل ١٩٥٥ - الجزءان ١٥ و١٦ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الطريق الى فهم الاسلام

تلقت المجلة فى هذا الشهر رسالة من « شاب مسلم مثقف » يذكر فيها أنه يريد أن يفهم دينه فهما صحيحاً ، غير أنه فى حيرة من أمره فى اختيار الكتب التى تعينه على هذا الفهم . ويقترح علينا أن نفتح باباً فى مجلة الأزهر بعنوان « مكتبة المسلم » نذكر فيه الكتب القيمة التى يجب أن يقتنيها المسلم ، مع توجيهات فى هذا الموضوع .

والمسألة - أيها الشاب المسلم المثقف - ليست مسألة الكتب التى تقتنى ، فالكتب أكثر من أن تحصى فى مجلة ، والذين يقتنون الكتب يتفاوتون فيما يحتاجون إليه منها . ولقد شرح الله صدرى للتحدث معك فى هذا الموضوع ، لأن هذا الدور مرّ على كثيرين من شباب الإسلام ، ولعلى كنت واحداً منهم ، وقد تبين لى أن فهم الإسلام كما يتوقف على جودة الكتب التى يرجع إليها المسلم فى فهم دينه ، يتوقف كذلك - بل قبل ذلك - على التجاوب القلبي والعقلى بين الإسلام والمسلم . فأول ما أنصح لك به أن تعد نفسك — أولا — لهذا

التجاوب، وأن تكون لك نظرة إجمالية صائبة إلى الإسلام فى جملته تدمجك فى بيئته الأولى، وبدلا من أن تنقل (العلم) بالإسلام من الكتب إلى عقلك وقلبك ونفسك، تنتقل أنت بعقلك وقلبك ونفسك إلى بيئة الإسلام الأولى : فتحبه وتحبها، وتعيش فى جوه وجوها، وتتحرى (العمل) بما تدفعك هذه المحبة إلى (العلم) به من رسالة الإسلام وسيرة أهله الأولين، فالعلم بذلك ـ مهما قل ـ فهو كثير إذا كان الغرض منه العمل به، والتخلق بما يهدى إليه من أخلاق، والتطبع بما يرشد إليه من سجايا، والاستنارة بما يدل عليه من سنن، حتى تكون منه فى طريق أهله الأولين كأنك واحد منهم. ولم لا ؟ وهذا أمر ميسور لك، ولا يتوقف إلا على أن تريد وتعزم وأن تجد المتعة والارتياح فى هذه الإرادة وهذا العزم.

إن القرآن ـ كتاب الله ـ هو المرجع الأول للمسلم فى فهم الإسلام، وكانت طريقة الصحابة فى تعليمه لتلاميذهم من التابعين أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات أو نحوها لم يجاوزوها إلى غيرها حتى ينتهوا من حفظها، ويقيموا ألسنتهم بعربيتها، ويحسنوا تلاوتها، ويعرفوا ما فيها من أحكام، وأخلاق، وتوجيه اجتماعى. ثم أن (يعملوا) بذلك فى أنفسهم، وفيما لهم عليه سلطان من بيئتهم. وقد فهمنا ذلك مما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ابن ربيعة السلمى تلميذ أميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبى بن كعب. فالعلم بالقرآن كان للعمل به، ولولا ذلك لكان القرآن حجة على من يتلوه، ورب تال يلعنه القرآن.

وإذا اخترت لنفسك عشر آيات من القرآن وأردت أن تدرسها على طريقة الصحابة والتابعين فاذهب إلى تفسيرها فى (جامع البيان) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، فإنه سيستعرض لك مذاهب الصحابة والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى فيما فهموه من هذه الآيات، وقد تظن فى مذاهبهم الكثيرة معنى الاختلاف، وما هو من الاختلاف فى شىء، لأنه اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد. وإن مثل القرآن فى هدايته كمثل الشمس فى إنارتها، فهى تنير بما لا يحصى من أشعتها المرسلة إلى دنيانا من جميع أطرافها : فكلها نور، كما أن مفهوم القرآن كله هداية، ولذلك كان رسالة الله العامة إلى الإنسانية فى كل زمان ومكان. وإذا أردت المزيد فاذهب إلى تفسير هذه الآيات العشر نفسها فى (الجامع لأحكام القرآن)

لأبي عبد الله القرطبي الأنصاري . واقرأ مع ذلك تفسيرهن في تفسير الحافظ ابن كثير ، واختم دراستك إن شئت بما ورد عن تفسير تلك الآيات في تفسير المنار ، فهو تفسير عصري جيد جامع لكثير من المزايا . وستخرج بعد ذلك بعلم نافع إن شاء الله . ولن يكون نافعاً إلا إذا عملت بما علمت منه كما كان يصنع الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان . ولا تستكثر على هذه الآيات العشر أن تقرأ لها كل هذه الكتب ، وأن تمضي في تدبرها كل هذا الوقت ، فإن القرآن أنزله الله لذلك (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته) ، (أفلا يتدبرون القرآن) ، (أفلم يدبروا القول) . قال أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي : عرضت المصحف على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وروى مالك بن أنس أن عبد الله بن عمر بن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين ، قيل ثمان سنين . فالرعيل الأول من المسلمين كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه .

وألذ طريقة لفهم الإسلام في بيئته الأولى تتبع تراجم الصحابة من كتبها : كالإصابة للحافظ ابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . وقد نفعني الله كثيراً بدراسة حياة الصحابي الواحد من أمثال هذه الكتب ، فأرتب أخباره بحسب تسلسلها التاريخي من بدء حياته إلى نهايتها . وإذا عرض لي في هذه الأخبار اسم بلد ذهبت إلى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري فتصورت منهما موقع ذلك البلد وحالته كأني ساكن فيه ، وإذا وقفت في حياة ذلك الصحابي على ذكر وقعة من وقائع التاريخ رجعت في تفاصيلها إلى تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأمثاله ، وإذا وقعت للصحابي أحداث أو أحاديث مع شخصيات أخرى معاصرة له أبادر إلى معرفتها من مظانها حتى أكون كأني معها في أوطانها وميادين نشاطها . وهكذا كنت كأني أرى ما يفعل هؤلاء البررة الأخيار ، وأسمع ما يقولون ، وأراقب نشاطهم ، وأصغي إلى أمانيهم ، وأتألم لآلامهم ، وأتعلم ما تعلموه من معلم الناس الخير ﷺ . وقد أتوسع في ذلك فأذهب إلى مسند الإمام أحمد فأتدبر ما رواه التابعون عن هذا الصحابي من سنة رسول الله ﷺ ، وبذلك أعيش مع الإسلام في بيئته الأولى كما كان يعيش فيها رجاله الأولون ، وما أسهل ذلك

وألذه وأنفعه . ولولا التجاوب العقلى والقلبى بين المسلم والإسلام فى بيئته الأولى لكنا محرومين لذة العيش مع أهل الصدر الأول ، وكنا نكون تائهين فى بنيات الطريق ، منحرفين عن الطريق الأعظم الذى بعث الله به خاتم رسله بأكمل رسالاته .

كما أن الإنسان عدو ما جهل فإنه صديق ما يعلم ، وحرصنا على معرفة الصحابة كأننا معاصرون لهم وسائرون فى قافلتهم ، يغرس محبتهم فى قلوبنا ، ويجعلنا على طريقتهم فى الدين والمعرفة والأخلاق والأهداف ، ومتى تم لك ذلك أيها الشاب المسلم المثقف فإنك لن تحتاج إلىّ ولا إلى مجلة الأزهر فى أن تدلك على الكتب التى يجب أن تقتنيها ، بل ستعرف ذلك من نفسك ، وستعرف أئمة الإسلام الذين يدلونك على الإسلام ، وستعرف قيمة مؤلفاتهم وعلومهم وتوجيهاتهم . واعلم أن كل ما تستطيع أن تأخذه عن إمام قديم من الموثوق بعلمهم ودينهم فذلك خير لك من أن تأخذه عمن بعده ، لأن الماء كلما قرب من ينابيعه الأولى كان أصفى وأطهر وأروى . ومع ذلك فإن من الأمثال التى تتداولها ألسنة العلماء قولهم « لا يغنى كتاب عن كتاب » . فطالب العلم بعد أن يعرف معالم الطريق الذى هداه الله إليه ، وبعد أن تملأ محبة الإسلام وأهله الأولين شغاف قلبه ، فإنه لن يضره أن يقرأ كل شىء ، وأن يطلع على كل كتاب ، وأن يعرف مذهب كل صاحب مذهب . ولولا أنى كنت أقتنى كتب البهائية - وهى أحدث ما وقع للبشر من كفر وضلال - ما استطعت أن أعرّف قرائى بهذا الكفر والضلال ليتقوا شره ويجتنبوا مخادعة دعاته . غير أن ذلك لا يجوز إلا بعد أن يعرف الشاب المسلم المثقف معالم إسلامه ليستطيع الرجوع إليها ويلجأ فى دينه إلى قلاعها . ولذلك كان أول ما يجب أن يبدأ به الشاب المسلم المثقف أن يحب الإسلام وبيئته الأولى والصدر الأول من دعاته وهداته ومجاهديه حتى كأنه يعيش معهم ، وبذلك يتم له الأنس بما أكرمهم الله به من إقامة الحق وتعميم الخير والتعاون عليه ، فيكون ذلك خلقا من أخلاقه كما كان خلقا من أخلاقهم ، ويعرف به دين الله الذى اختاره لخير أمة أخرجت للناس ، ويوشك أن يكرمه الله بأن يجعله منهم ، وأن يكثر فى هذا الجيل من أمثاله فيكون ذلك بداية للبعث الإسلامى المرتجى ، وما ذلك على الله بعزيز .

محب الدين الخطيب



نفحات القرآن

– ٢٨ –

المراء ... والمباهلة

« الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين »

١ ــ ليس عجيبا أن يكون فى الدنيا حق وباطل ، وليس عجيبا أن يكون للحق دعاة وأتباع ، وللباطل غواة وأشياع . . فحكمة الله جرت بيننا على أن تكون حياتنا العقلية معرضا للخلاف والاتفاق ، وأن تكون الحياة الدينية كذلك مجالا بين الحق والباطل ، وأن يسلك الناس فى تفكيرهم واختيارهم سبلا متعددة ، وأن يتنازعوا الأمر فيما بينهم ، حتى ينهض فيهم حكم العقل ، أو يفصل بينهم حكم الدين .

ولكن العجيب من شأن الناس أن يأخذ ببعضهم اللجاج حتى لا يهتدوا بعقل ، ولا يستجيبوا لدين .

وتلك هى الضلالة التى ينفخ فيها الشيطان من نفثاته ، ويدفع بهم إلى أغوارها حتى يثأر الشيطان لنفسه من آدم بما يصنعه فى بنيه من تنازع وشقاق ، وصرف عن الهدى ، واقتياد إلى الهلاك « إن الشيطان للإنسان عدو مبين » .

٢ ــ وفى معرض الخلف بين الدعاة والمدعوين نذكر حديث المراء والمباهلة بين النبي محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ونصارى نجران من عرب الجزيرة ، فقد استعصوا على دعوة الإسلام ، ونصبوا أنفسهم للجدل ، واسترسلوا فيه ، حتى فى الوقت الذى أصبحت للإسلام فيه قوة عليهم . . وأصبح يسيرا أن يغلظ عليهم المسلمون لو كانت دعوة الإسلام تؤثر القوة ، وتجنح إلى العنف ، ولا تأخذ بالحسنى .

ولكنها دعوة الحكمة ، والموعظة الحسنة التى أمر الله بها نبيه .

طال الجدل بين هؤلاء ومحمد فى شأن عيسى عليهما الصلاة السلام ، ولم يرض أهل نجران ، أو لم تهدهم عقولهم إلى تصديق محمد فيما أوحى به الله إليه ، ولم يعفوا أنفسهم من اللجاج والشطط ، فكان من رفق الإسلام فى دعوته ، ومن تأييد الله لنبيه ، أن يدعوهم إلى المباهلة معه ...

والمباهلة : هى ضراعة العبد إلى ربه بالدعوات : خيرا كانت أو شرا ، ولكنها فى هذا المقام دعوات إلى الله أن ينزل لعنته وغضبه على الكاذب من الفريقين .

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

٣ — وإذ كانت المباهلة دعاء إلى الله : لا حربا تجهدهم ، ولا شيئاً آخر يخشون مشقته عليهم ، فليس يضير أهل نجران أن يباهلوا محمداً كما طلب .

بل إذا كانت الدعوات مناجاة لله من عباده الأبرار ، وكان أهل نجران لهم صلة خاصة بالسماء ليست لمحمد ولا لغيره ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه كما يقولون ، فأيسر الأمور عليهم ، وأحبها إلى نفوسهم ، أن يسارعوا إلى المباهلة ، يتجهون بها إلى من فى السماء لينصرهم على محمد فيما اختلفوا فيه ، وليرفع من شأنهم بإهلاك خصمهم هذا ، حتى لا ينكر عليهم أحد بعد . وتكون هذه المباهلة أقرب السبل إلى الغلبة على محمد وسواء إن كانوا هم الصادقين .

٤ — ولكن وفد نجران الذين كانوا يترددون على محمد ، ويحملون إلى قومهم ماسمعوا ، ويبلغونهم ما قالوا ، لم يأنسوا من أنفسهم طمأنينة إلى صدقهم فى مزاعمهم ، ولم يجدوا لديهم الشجاعة فى قبول المباهلة ، ولا نهضت بهم عقولهم أن يتخلوا عن المكابرة ، ويستجيبوا للدعوة الحقة الرحيمة التى رددها عليهم محمد ، فراوغوا فى موقفهم ، وطلبوا إلى محمد أن يمهلهم أياما قلائل ، ريثما يتشاورون ، أو يحضرون إليه فى موعدهم مع من يرافقهم من أبناء ونساء للمباهلة .

وصاحب الحق لا يضيق صدره لمثل هذه المحاولة ، بل يرى من المطاولة فى الرفق ، ومن المزيد فى الإقناع بصدق دعوته ، أن ينفس عن خصومه ، وأن يشعرهم بأن المسألة مسألة هدى وإرشاد : لا مسألة تحكم وعناد .

ومن شأن ذلك فى نهايته أن يكون أوضح للحجة ، وأقطع للمعذرة .

لذلك أجابهم فى طلب المهلة ، وانصرفوا إلى وجهتهم .

ولما خلا بعضهم إلى بعض كان مما رأوه أن يستشيروا أولياءهم من اليهود ، فأشاروا عليهم أن يصالحوا محمداً على الجزية ، وحذروهم الملاعنة لما يعرفونه فى التوراة من علامات الصدق التى تتوفر كلها فى محمد وفيما يقول به ، ويدعو إليه .

وإذ حان موعدهم ، ورجعوا إليه ، وجدوه قادما ، وفى صحبته أقرب أهله إليه ، وأعزهم عليه ، وهم : على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين — رضى الله عنهم — وكان النبى — صلوات الله عليه — علّم أهله هؤلاء مايفعلون معه حينما يجتمع بوفد نجران بقوله : « إذا أنا دعوت فأمنوا أنتم »

ولكن الوفد النجرانى لم يكد يشارف الموقف ، ويرى عن كثب محمداً فى أهله مطمئنين إلى ما جاءوا بسبيله ، فرحين بما أقبلوا عليه حتى وجلت قلوب النجرانيين ، واهتزت فرائصهم ، وقال لهم أسقف - كان معهم - : يامعشر النصارى ، إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله . فلا تباهلوا وتهلكوا .

فى ضوء هذا تخير أهل نجران لأنفسهم أيسر الأمور عليهم . وانتهى بهم التردد - أولا - ومشورة اليهود عليهم - ثانياً - ونصيحة الأسقف - ثالثاً - إلى مصالحة محمد على الجزية ، يجمعونها من أموال متنوعة ويدفعونها كل عام .

وكان من مراحم الإسلام التى يعترف بها المنصفون من خصومه أن يقبل الجزية ممن لم يكن يسارع إلى الدخول فيه . ليظل على عقيدته الأولى غير مكره على هذا الدين الجديد ، ولتكون لديه الفرصة فسيحة حتى يراود نفسه فى القبول للدعوة الحقة ، أو فى التضحية بمال يستطيعه ، ليصلح به أهل الدعوة الجديدة من شؤونهم ، ومن مرافقهم التى ينتفع بها معهم أهل الجزية ، وليعيشوا فى ظل ظليل من عدالة هذا الدين وحمايته لهم كما يحمى أهله وأولياءه مما يحيق بهم ، أو يخشون مساسه من عدوان المعتدين عليهم فى وطن ، أو نفس ، أو مال .

هذا : ولم تكن دعوة محمد لأهل نجران أو سواهم مجافية لدعوة الأنبياء من قبله ، بل هو يأخذ الناس بما يأخذ به نفسه ، ويجدد فيهم عقيدة التوحيد ، ويسمو بهم عن الأباطيل التى رانت على القلوب ، وصدئت بها العقول ، ويذكرهم بأن شأنه فيهم كشأن الرسل فيما دعوا إليه قديماً ، ويكرر فيهم « قل ما كنت بدعاً من الرسل ... إن أتبع إلا ما يوحى إلى ... » « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه » .

وهكذا من آيات القرآن التى تتجاوب مع الفطرة ، وتؤكد - فى غير هوادة ولا شبهة - أن الأنبياء جميعا على أصل واحد ، ليس فيهم من ترك ثغرة فى دعوته ، أو نزع إلى طريقة غير طريقة أسلافه ، أو أذن لمن يتابعه أن يدخل فى دعوته ما ينحرف بها عن جادة الأنبياء جميعا ، أو يناوىء بها أصلا من أصول الدين فى تحليل أو تحريم .

والأنبياء جميعا أناس بعثوا إلى الناس يبلغونهم دعوة إله واحد لا شريك له ، وليس فى الأنبياء من تأله على الناس ، أو انتحل نسباً إلى الله ، وإنما فعل ذلك أناس طغاة جبارون كفرعون ونحوه . وهؤلاء ليسوا من الله ولا من الأدب مع الله فى شىء .

وحاشا للأنبياء أن يغيروا أو يبدلوا .

غير أن النـاس كما عهدناهم ، وكما قصت علينا كتب السماء ، وكما أسلفنا فى صدر حديثنا هذا ، كثيراً ما يشذون عن حكم العقل ، ولا ينصاعون لحـكم الدين .

وقد كان الشذوذ من أهل نجران وأضرابهم مسبوقا بشذوذ من آخرين .

وكان من وسائل الدعوة المنصفة التى انتهجها معهم دائمـا محمد عليه الصلاة والسلام - غير المباهلة - أن يصارحهم بأن يكونوا معه وأن يكون معهم على عقيدة واحدة ، وأنه لا يفرض عليهم غير الحق الذى يزعمون أنهم عليه ، وأن يناشدهم بدعوة الـكتب السماوية التى ينتمون إليها ، ويركز فى عقولهم أنه غير جاحد لمـا فيها ، بل هو مجدد لهـا غير مشوبة بمـا انحدر إليها من أوضاع موضوعة ، وأمور مصنوعة ، فكان يقول : (يأهل الـكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينـكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) . فهذه مساواة كاملة فى الوقوف من الله موقف العبودية ، دون أثرة ولا إيثار ، ولا سيد ولا مسود ، ولا استسلام تابع لمتبوع .

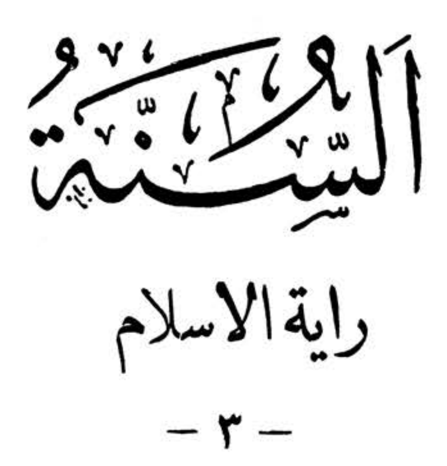
والله يعـلّم نبيه - إذا لم يستجيبوا لهذه الدعوة التى فيها تنزيه لعقولهم وأفهامهم ، وفيها تـكريم لإنسانيتهم ، وإكبار لألوهية خالقهم ، وفيها تبرئة للأنبياء ممـا نسب إليهم ، وفيها أخذ بجانب الحق الذى يستوى الجميع أمامه ، ولا يختص به فريق منهم - إذا لم يستجيبوا لذلك وتولوا عنه فى جدلهم المعهود ، وصدودهم المألوف ، فليقطع الحديث معهم ، ولتـكن كلمته إليهم (اشهدوا بأنا مسلمون) .

وأنت ترى من هذه الأمثلة فى أدب الدعـوة إلى الله ، وفى إفساح الصدر للمعارضين ، حتى تقف حجتهم ، وينكـشف عجزهم ، كيف كان المراء وسيلة إلى الباطل من أهل نجران أو سواهم ، وكيف كانت الحـكمة فى الدعوة والموعظة الحسنة وسيلة الداعى إلى الحق ، وكيف ينتهى به الجـدل معهم إلى الاعتصام بدينه ، والوقوف عن مجاراتهم ، وتركهم إلى ما وراء ذلك مما قدر الله فى شأنهم .

ومن أجـل ذلك كان من تعاليم الإسلام ترك المراء ، فإنه استدراج من الشيطان الى ما يبعد بالمرء عن الصواب ، ويمعن فى الباطل عنادا وصلفا .

ومن أجـل ذلك قال النبى ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن ترك المـراء وإن كان حقا » . ولعل لنـا من هذه عبرة وأسوة ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



راية الاسلام

— ٣ —

ذكريات — آلام وآمال — خيبر ويهودها — بشارة نبوية — خربت خيبر — أسرار وحكم — من أعلام النبوة — ساعة قبل قيام الساعة — ألا رجل يحب الله ورسوله ... يفتح الله على يديه !

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يعطاها . فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجو أن يعطاها ؛ فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكى عينيه ! قال : فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية . فقال علىّ : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انفُذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

يدوكون : يخوضون ويموجون ، ومنه وقع الناس فى دوكة ، بفتح الدال وتضم .

انفذ على رسلك : امض على هينتك متئداً غير عجل ، ففى الأناة سلام وحكمة .

حمر النعم : هى الإبل الحمراء ، أعز أموال العرب وأكرمها عليهم ، ومن هنا ضربوا المثل بها فى نفاسة الشىء وعزته .

* * *

فى ذكرى الإسراء والمعراج رفع العلم الإسلامى المصرى على أعز ثغر من ثغور مصر ، وقبل هذه الذكرى وبعدها تكرر عدوان أشد الناس عداوة للذين آمنوا على ثغر آخر من ثغورها ! لحدت بنا ذكريات الآلام والآمال ، إلى إرجاء ما وعدنا به فى الجزء السابق والكتابة فى حديث هذه الراية التى رفعها الله ، ونصر فى ظلها عباد الرحمن على عبيد الشيطان « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

* * *

قدم رسول الله ﷺ المدينة على أثر صلح الحديبية ، ومكث بها عشرين ليلة أو قريباً منها ، ثم خرج إلى خيبر ، وكان الله عز وجل وعده إياها فى سورة الفتح ، وقد نزلت مرجعه من الحديبية .

وخيبر واحة كبيرة خصبة ، ذات حصون منيعة ، ومزارع وفيرة ، ونخل كثير ؛ ولا يجتمع سكانها فى صعيد واحد ، بل يتفرقون فى وديان متقاربة ، ويقيمون فى بيوت محصنة ، تحيط بها النخيل وحقول القمح ! وتقع خيبر على نحو مائة ميل من المدينة إلى جهة الشام ... ...

وكانت خيبر ـ كسائر بلاد اليهود قديما وحديثا ـ وكرا للدسائس والفتن التى يطيرونها فى الناس كافة ، والعرب منهم خاصة !

وكان يهود خيبر أعرق اليهود فى الخداع والمكر ، حتى ضرب بهم المثل فى ذلك ، وكانوا إلى هذا الخبث رجالا أشداء محاربين ذوى بأس . .

* * *

كان هؤلاء الخونة الفجرة أشد من هيج الأحزاب وألبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى غزوة الخندق ، فلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من القضاء على هذه الأفاعى السامة ، والشياطين المـاردة ، وهكذا أعد صلوات الله وسلامه عليه العدة لقتالهم ، وأبلى هو وأصحابه بلاء مبينا .

وهكذا صدقهم الله وعده إذ قال : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » ، واستجاب دعاء رسوله لما دعاه وقد أشرف على خيبر بعد مسيرة ثلاثة أيام : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

* * *

فلما كان يوم خيبر وعزم الأمر ، أخذت النبى صلى الله عليه وسلم الشقيقة ـ وهى ضرب من الصداع شديد ـ فلم يخرج يومئذ ، فأخذ الراية الصديق وقاتل قتالا شديداً ، ثم رجع ولم يفتح له ! فلما كان الغداة أخذها الفاروق وقاتل قتالا أشد ثم رجع ولم يفتح له ، واستشهد محمود بن مسلمة ! فقال صلوات الله عليه : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله له ، وقال لمحمد بن مسلمة : يفتح الله على يديه فيمكنه من قاتل أخيك !

* * *

بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتهم يموجون ويختلفون ويتمنون ، فما من رجل منهم عامة ، والمقربين من رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، إلا تمنى أن يكون ذلك الرجل ، حتى قال عمر رضى الله عنه : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، ولم لا وهذه شهادة المعصوم صلوات الله عليه ؟ ! إنها لشرف ليس وراءه شرف ، ومنزلة لا تضارعها منزلة .

* * *

ولما كان الغد بعث صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان أرمد شديد الرمد لا يبصر ، فجىء به وقد عصب عينيه ، فتفل فيهما أو فى راحته صلوات الله عليه ، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به شىء [1] وكان من دعائه له : اللهم اكفه الحر والبرد ، فلم يرمد رضى الله عنه قط حتى مضى لسبيله ، وكان يلبس فى الحر الشديد الثوب المحشو الثخين ، فلا يبالى ، ويلبس فى البرد الشديد الثوب الخفيف ولا يبالى !

* * *

وبعد أن عقد لعلى لواءه صلوات الله عليه ، وأوصاه بما يوصى به أمراء الجيش من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والأناة فى القتال إلا إذا لم يكن من الجد فى القتال بدّ ؛ بعد هذا مضى سيف الله على بركة الله وهدى رسول الله ، ولم يزل الجيش بقيادة أميره ينتقل بإذن الله من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح ، حتى خربت خيبر ، وساء صباح المنذرين ...

* * *

وانجلت هـــذه الموقعة الكبرى عن قتل بضعة وتسعين من عدو الله وعدو الناس أجمعين ، واستشهاد بضعة عشر من سادة المجاهدين . أما الغنائم فسل عنها التاريخ . . . « ولا ينبئك مثل خبير » .

* * *

وإذا حُبّب إلينا أن نلتمس حكمة الله فى الفتح على يدى علىّ دون صاحبيه ، وهما مقدمان فى الإسلام عليه ، أصبنا من هذه الحكمة عجباً !

إن علياً من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى كما أخبره بذلك لما استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك ... وإنه علم من أعلام أهل البيت . . وقد خرج من المدينة وهو أرمد ، وكان له العذر الحق أن يتخلف ، ولم يكن ليدور بخلده أن يطمع فى الإمارة أو يتطاول إليها ، ولم تكن إمارته لتخطر على بال أحد ؛ وأشد ما يغيظ اليهود أن يجعل الله مذلتهم على أيدى المسلمين كافة ، وعلى يد النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته خاصة ؛ فأراد الله

---

[1] من غريب المصادفات أن اكتب هذا الحديث وأنا أرمد ، وأسلمه للمجلة وقد من الله بالشفاء .

العلى القدير أن يجمع إلى معجزة من معجزات كتابه ، آيات مبينات على صدق نبيه وإكرام أهل بيته ، ولن ينقص ذلك كله من قدر الشيخين ومكانهما شيئا .

* * *

أما بعد ، فإن العالم كله شرقيه وغربيه يموج فى هذه الأيام ويضطرب ، ولليهود - قاتلهم الله - فى هذا الموج والاضطراب ، مواقد فتن ، ومراجل إحن ، ومكايد عداوة ، ولن يهدأ العالم يوما حتى يقضى عليهم فيموتوا ، وإن ساعتهم - قبل أن تقوم الساعة - لآتية لا ريب فيها ، وسيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين آخرا ، كما كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين أولا ، هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله . وإن لنا إن شاء الله كرّة عليهم ثم كرّة .

* * *

وإذا قضت حكمة الحكيم العليم أن يجعل بعض الناس لبعض فتنة ، فقد قضت حكمته جل وعلا أن يجعل شر هذه الفتنة أكابر مجرميها من هؤلاء الكفرة الفجرة ، الذين قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، فلعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ، ثم تأذن ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب .

ولا نقصد الآن إلى تفصيل أخبارهم ؛ فإنها طويلة الذيل ، وكلها شر لا خير فيه ، وغدر لا وفاء معه ، ومكر سيء يحيق بهم كل حين ، دون أن يتعظوا أو يرعووا ، وأنى لهم ذلك وقد قست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ؟!

وإنما الذى نقصد الآن إليه ، ونستعين الله عليه ، أن يمن على هذا العالم الإسلامى المستضعف ويريد به خيرا ! فيمنعه الجدل ، ويمنحه العمل ، ويجعل له من عدوه الألد واعظا ومعتبرا ، ثم يعطى الراية المحمدية رجلا أو رجالا منهم يحبون الله ورسوله ، ويحبهم الله ورسوله ، يفتح الله على أيديهم ، وينصرهم نصرا عزيزا مؤزرا .

والذى بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، إنه لفاعل ذلك وخيرا من ذلك ، إذا غيرنا ما بأنفسنا ، ونصحنا لله ورسوله ، واعتصمنا بحبل الله جميعا ؟

طه محمد الساكت

مقارنة

بين العدالة التشريعية فى القوانين الوضعية

والرأى فى التشريع الإسلامى

كلما نشط علماء الفقه الحديث فى بحث القوانين الوضعية ظنوا أنهم ظفروا من أبحاثهم بآراء وأفكار تستحق الإعجاب وتثير الدهشة لطرافتها وجدتها ، وهم لبعدهم عن الشريعة الإسلامية ولعدم اهتمامهم بالتعمق فيها يظنون أن الشريعة الإسلامية خالية من تلك الآراء والأفكار . وقليل منهم يقصد إلى الغوص فى التراث الفقهى الإسلامى باحثاً ومنقبا عما وصل إليه التفكير الإسلامى فى الميدان التشريعى . وممن اهتديت إليه من هؤلاء القليل الدكتور على بدوى فى مؤلفه « أبحاث التاريخ العام للقانون » فى الجزء الأول فى بحث مبادىء العدالة . فقد تعرض فى مؤلفه لمبادىء العدالة وتعريفها ومدى تأثيرها فى القانون الرومانى ، والقانون الانجلوسكسونى .

ويعنينا من هذا البحث معرفة العدالة التى اصطلح عليها الباحثون فى القانون ومقابلتها بالرأى عند علماء الفقه الإسلامى ، فتراه يعرف العدالة بأنها « القواعد القائمة إلى جانب قواعد القانون الأصلى مؤسسة على وحى العقل ، والنظر السليم ، وروح العدل الطبيعى بين النـاس . والتى ترمى إلى تعديل قواعد القانون أو أن تحل مكانها بفضل ما فيها من القوة المعنوية المستمدة من سمو مبادئها .

وقـد عمت هذه الوسيلة الشعوب التى تطورت شرائعها فى العصور القديمة واستقت مبادئها من مصدر واحد وهو العقل ، وشعور العدل فى النفس ، ولـكن هذا المصدر اتخذ باختلاف الشعوب صوراً مختلفة : فقد كان مصدر العدالة عند الرومان « قانون الشعوب » ، وكان مصدرها عند اليونان « قانون الطبيعة » ، ثم أصبح هذا القانون الطبيعى صورة لمصدر العدالة عند الرومان منذ بدء العصر العلمى ، وكان مصدرها عند الإنجليز ضمير الملك » .

أما مصدر العدالة فى الشريعة الإسلامية بعد الكتاب والسنة والإجماع فهو العقل وحكمة التشريع فى الإسلام . ولما ظهرت فى الإسلام حالات جديدة لم يرد عنها نصوص خاصة فى الكتاب والسنة ، اعتمد الفقهاء على قياس غير المنصوص على ما ينطبق عليه مما ورد فيه النص ، وقد وصل المجتهدون والفقهاء فى خلال عصور الشريعة الإسلامية إلى أسمى وأعظم وأحكم مما وصل إليه فقهاء الرومان من مواجهة الحالات الجديدة ، بنشاط فقهى أفضى إلى تعديل بعض القواعد الفقهية : إما بتوسيع نطاقها أو بتخصيص حكمها أو بإضافة مبادىء جديدة إليها تبعا لتطور المجتمع والشعور بالعدالة النفسية ، وتلك العدالة قد أرشد إلى مبادئها العقل وحكمة التشريع المستمدة من روح النصوص ومعانيها ومن تطور الحياة الاجتماعية ونمو العرف والعادة التى أطبق فقهاء الإسلام على اعتبارها والنظر إليها عند استنباط حكم الحادثة التى جدت فى الحياة الاجتماعية الإسلامية . وقد أطلق على هذا الأسلوب وتلك الطريقة فى الشريعة الإسلامية اسم « الرأى » . وبدأ العمل به من عهد الخلفاء الراشدين بل من عهد النبى ﷺ كما يرى ذلك الإمام ابن القيم ، فأصبح مصدراً من مصادر الأحكام الشرعية ، وبمرور الزمن وتجدد الحوادث والوقائع اتسعت دائرته فى العصور المتتالية تبعاً لتجدد أحوال الناس التى تبعها نمو وازدياد فى الأحكام الفقهية .

ونحن فى هذا المجال إذ وصلنا إلى الميدان الفسيح فى التشريع لا نرى حاجة إلى التدليل على الكثرة الغالبة من الأحكام الشرعية التى ثبتت بالقياس ، فبطون الكتب الفقهية من جميع المذاهب المختلفة مليئة بالأحكام التى أثبتها الفقهاء الإسلاميون بآرائهم واجتهادهم معتمدين تارة على قياس الأحكام عن طريق قياس غير المنصوص على المنصوص ، وتارة أخرى على قواعد عامة استنبطوها من روح التشريع الإسلامى وذلك مثل القواعد الإسلامية « لا ضرر ولا ضرار » ، « كلما ضاق الأمر اتسع » ، « ارتكاب أخف الضررين » ، « من تعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه » ومعتمدين أحيانا على قاعدة المصالح المرسلة واستصحاب الأصل ونحوهما . وتمتاز قواعد العدالة ومبادئها فى الشريعة الإسلامية عن غيرها من القوانين الوضعية بأنها لم تنشأ منفصلة عن أحكامها الشرعية ، وإنما بدأت من عهدها الاول مندمجة فى أصول الشريعة وأحكامها بصفتها جزءاً منها غير مستقل .

وللرأى أقسام ثلاثة : أولها وأكثرها استعمالا مستمد من روح المبادىء المنصوصة

فى القرآن والسنة ، وقياسا على الأصول والأحكام الواردة فيها ، ويطلق على هذا القسم القياس . وثانيها : الرأى الصادر عن جماعة المسلمين وأولى الحل والعقد منهم وهو الإجماع ، وثالثها : ما يكون مجرد اجتهاد غير مستند لقياس ولا إجماع .

وأبرز الصحابة وأكثرهم استعمالا للرأى بجميع أقسامه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد حدثت أيام خلافته حوادث جديدة ومشاكل اجتماعية خطيرة لم يسبق وجود نص لها ، فاقتضت غيرته على المصلحة العامة وشجاعته فى الحق أن يثبت أحكاما لهذه المسائل : فقد أعفى السارق من قطع يده فى عام المجاعة ، وأوقع القصاص على من قتلوا واحدا ولو كثر عددهم ، وأن يمنع المؤلفة قلوبهم عن نصيبهم فى الزكاة ، لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم . وقرر أن تبقى الأراضى المفتوحة عنوة بأيدى أهلها مع ضرب الخراج عليهم دون أن تقسم الأراضى على الغزاة باعتبارها غنائم .

من ذلك يرى أن العدالة الاجتماعية والرأى لفظان مترادفان يدلان على معنى واحد ، وقد وجد هذا المعنى فى الشريعة الإسلامية كما وجد فى غيرها من الشرائع الحية الراقية التى يفخر بمبادئها علماء التشريع الحديث . ونحن واثقون من أن الشريعة الإسلامية بذت كل عنصر من عناصر الحياة التشريعية للأمم الراقية المتحضرة مهما بلغت حضارتها ومهما كان تقدمها وارتقاؤها .

والشريعة الإسلامية لا يضيرها تقصير الباحثين وعدم وقوفهم على كنوزها وما فيها من عناصر القوة فى العدالة والمرونة فى التشريع ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وهى جديرة بأن تتمثل بقول الشاعر العربى :

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة   أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

عبد الله مصطفى المراغى

نظرات فى كتاب :

المصلحة فى التشريع الاسلامى

يعد موضوع : « المصلحة فى التشريع الإسلامى » من الموضوعات المجهولة لكثير من عامة المسلمين ، لأن البحوث التى وضعت فيها قليلة ونادرة ، ولا تزال هذه « المصلحة » بحاجة إلى مزيد من الحديث الواسع المفصل عنها ، حتى يستبين لجمهور القارئين فى المكتبة الإسلامية : ما هى المصلحة ؟ وما مدى مراعاتها ؟ وما هى شروطها ومواطنها ؟ وما موقفها من أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... الخ .

ولذلك كان من الخير أن يتجه أخى البحاثة الأستاذ مصطفى زيد المدرس بكلية دار العلوم إلى دراسة هذا الموضوع من جهتين : من جهة عرضه وبحثه فى نفسه ، ومن جهة التعرف إلى مذهب نجم الدين الطوفى المتوفى سنة ٧١٦ هـ فى المصلحة ؛ وقد وضع فى ذلك رسالة قدمت إلى كلية دار العلوم ، للحصول بها على درجة الأستاذية فى الشريعة الإسلامية ، وقد تولت مناقشتها علنا فى مساء السبت ٢٨ من شعبان سنة ١٣٧٣ هـ (أول مايو سنة ١٩٥٤ م) لجنة من السادة الأساتذة محمد الزفزاف ومحمد أبو زهرة وعبد العظيم معانى ، ونال بها صاحبها درجة الماجستير (الأستاذية) فى الشريعة الإسلامية ، بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى .

وقال فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة عن هذه الرسالة : « وإنى لأشهد أنى عندما ابتدأت أقرأ الرسالة بشعبتيها ـ أحسست بأنى أقرأ لكاتب قد استولى على موضوعه ، ورسم طريقه ، وحد حدوده ... يوغل أحياناً فى سيره ، ويرفق أحيانا ، وهو فى إيغاله ورفقه عليم بأعلام الطريق وصواه ، قد يتعثر عندما يوغل ، ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يقيله الله من عثرته ، فيسترد قواه ، ليسير فى الطريق الجدد إلى أقصى مداه » .

وأريد أن ألقى على هذه الرسالة التى نشرت منذ حين نظارات ألحظ فيها بعض الملاحظات ، ويشجعنى على ذلك أخوتى للباحث الفاضل ، وثقتى بتواضعه وإخلاصه للبحث ، ورغبته فى الوصول إلى الحقيقة ، وهو الذى يقول فى ختام تقديمه لكتابه : « أما أنت أيها القارىء الكريم فهذه رسالتى أقدمها إليك ... لا أدعى أنها مبرأة من العيوب ، فما هى إلا جهد قد يصحبه التوفيق وقد يخطئه ؛ لكنى حاولت ما استطعت أن تضيف إلى العلم جديدا ، وأن تضع رعاية المصلحة حيث ينبغى أن توضع بين أصول الشريعة الإسلامية . . . تلك الشريعة التى أراد الله لها أن تكون عامة دائمة ، فجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل رعاية المصلحة من أسس هذه الصلاحية فيها وإحدى دعائمها ، فإن أكن قد وفقت فيما حاولت فلله وحده الفضل » .

وتتجه ملاحظاتى إلى تعليقات الباحث على « رسالة الطوفى فى المصلحة » التى جعلها ملحقا لكتابه ، وأول ما ألاحظه هنا أن الباحث اعتبر النسخ التى اعتمد عليها فى نشر الرسالة أربع نسخ ، مع أنها فى الواقع نسختان خطيتان ، هما الموجودتان بالخزانة التيمورية ؛ وأما الثالثة فهى مطبوعة الشيخ جمال الدين القاسمى ، والرابعة صورة مطبوعة مطابقة لمطبوعة القاسمى نشرتها المنار ، وهما منقولتان فى الأصل عن نسخة مخطوطة عام ٧٥٦ هـ ، وأظن أن هناك فرقا كبيراً فى النشر بين الاعتماد على النسخة الخطية وبين المطبوعة ، ولو أن الناشر رجع إلى أصل المطبوعتين لكان ذلك أقوم وأقيم .

ويحسن قبل أن نمضى فى الملاحظات أن نتفق على أشياء : منها أن النص المخطوط يجب احترامه واعتباره ما دام له وجه يصححه ويجعله مقبولا ، وأن التخطئة لا تأتى إلا عند الجزم بها وعدم وجود وجه للتصويب ، وأن الناشر إذا تعددت أمامه النسخ يختار من بينها أدقها وأصدقها ، ويجعلها أساس النشر ، ثم يعلق عليها بما يتراءى له من مقارنة أو إصلاح . ويظهر لى أن أخى الباحث المفضال خالف هذه القواعد فى مواطن من تعليقاته على رسالة الطوفى ، وأعتقد أن ذكر هذه المواطن مما يرضيه ، وهو رجل حقيقة يبحث عنها أنى وجدها ...

جاء فى ص (١٦) من رسالة الطوفى عند ذكر أدلة الشرع هذه العبارة : « ... وعاشرها العوائد » وعلق الناشر على ذلك بقوله : « هكذا ذكر الدليل فى (ا ، ب) أما فى (ج ، ى)

فقد ذكر بلفظ : العادات ، ولست أدرى لماذا لم يفرق الناشر هنا بين العوائد والعادات ، ولماذا لم يختر كلمة العادات لأنها المناسبة هنا . فالعوائد هى الفوائد ووجوه الإحسان . والعادات هى ما يعتاده الناس .

وفى ص (١٧) يواصل الطوفى ذكر أدلة الشرع فيقول : « الثامن عشر إجماع العترة » ويعلق الناشر بقوله : « زادت فى (ج ، ى) : عند الشيعة » ، ووقف . وكان يحسن أن يزيد فيذكر أن العترة هم الشيعة ، أو يذكر ما بينهما من عموم وخصوص . جاء فى أساس البلاغة : « وعترة النبى صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ، وكل عمود تفرعت منه الشعب فهو عترة ، وأغصان الشجرة عترتها : عمود الشجرة . وفى العين : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه دِنْيا : وفى حديث أبى بكر : نحن عترة رسول الله وبيضته التى تفقأت عنه »[1] .

وفى ص (١٦) جاءت العبارة : « ورابعها إجماع أهل المدينة » ويعلق الناشر بأنه أضاف كلمة (أهل) ؛ وأنا لا أرى ضرورة لإضافتها إلى نص يجب أن تكون له حرمته ، فإن قولنا : « إجماع المدينة » واضح الدلالة على أن المراد أهل المدينة ، على حد قوله تعالى : « واسأل القرية » ؛ واللغة مبنية فى صورها البليغة على الإيجاز والاختصار .

وفى ص (١٧) كان فى أصل الرسالة هذه العبارة : « ثم إن قول النبى ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » يقتضى رعاية المصالح إثباتا ونفيا ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاها الشرع لزم إثبات النفع الذى هو المصلحة ، لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما » . كان هذا هو الأصل ، فزاد الناشر كلمة المفاسد ، وجعل العبارة هكذا : « ... يقتضى رعاية المصالح إثباتا والمفاسد نفيا » ، ولما وصل إلى كلمة (نفاها) رجح تذكير الضمير ورجعه إلى كلمة الضرر .

وعبارة الطوفى يمكن إبقاؤها كما هى دون فسادها ، ويكون الضمير راجعاً إلى المصلحة ، لأن الشارع الحكيم قد ينفى مصلحة قليلة لرعاية مصلحة عامة كبيرة ، أو يكون المعنى أن الشارع يلاحظ المصالح ويرعاها فى حالتى إثبات الخير ونفى الشر ، دون تقييد الإثبات

---

(١) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٩٨ .

والنفى بالمصالح وحدها ؛ وقد كان من الخير للناشر لو أنه ذكر رأيه فى تعليقه مع إبقاء النص على ما هو عليه .

وفى ص (١٩) يتحدث الطوفى عن المصلحة فيقول فى الأصل : « وأما حدها بحسب المعرفة » فيصلحها الناشر ويجعلها « العرف » ويعلق بقوله إن « العرفة » جاءت فى نسخة (١) وهو خطأ واضح . ولماذا يجعلها الناشر خطأ واضحا ، بينما هناك احتمال لصحة « العرفة » فهى كما تقول اللغة مصدر عرف ، فهى بمعنى المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفه ؟ ! .

وفى ص (٢١) جاءت عبارة : « وحجة النافى أن كل من فعل فعلا ... » . زاد الناشر من عنده (الواو) قبل كلمة (حجة) مع أنها غير موجودة فى المخطوطتين ، والمقام لا يستلزمها ، لإمكان اعتبار الكلام مستأنفا .

وفى ص (٢١) أيضاً هذه العبارة : « حجة الأولين أن الله عز وجل متصرف فى خلقه بالملك فلا يجب عليه شىء ، ولان الإيجاب يستدعى موجبا أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل » . فيصلحها الناشر : « ... وأن الإيجاب ... » ويعلق قائلا : « فى النسخ الاربع : ولأن ، والسياق يقتضى حذف اللام ليمكن العطف على (أن الله) قبله » . ولماذا يقتضى - أى يستوجب - السياق ذلك ؟ ولماذا لا يكون من عطف الجمل المستقلة مع التصرف فى التعبير ؟ وخصوصاً أن النص وارد فى مراجع الناشر الأربعة ...

وفى ص (٣٠) كان فى أصل الرسالة هذه العبارة : « وجه الاستدلال به أنه ورد بألفاظ كثيرة وروايات متعددة بمبلغ التواتر المعنوى » ، فأصلحها الناشر هكذا : « ... وروايات متعددة بلغت درجة التواتر المعنوى » وقال : « وقد آثرت تصحيحها هكذا » . وأقول : ولماذا هذا التصحيح والأصل صحيح ، والتقدير : وروايات متعددة هى كائنة بمبلغ التواتر ، ومثل هذا التعبير فى العربية كثير ...

وفى ص (٣١) ورد الحديث : « يد الله على الجماعة » فأصلحه المؤلف هكذا : « يد الله مع الجماعة » ونبه على ذلك الإصلاح فى الهامش ، والأصل صحيح لا يحتاج إلى إصلاح ، فرواية الترمذى للحديث هى : « يد الله على الجماعة » وإحدى روايتى الطبرانى كذلك :

« يد الله على الجماعة » . وهناك رواية ثالثة للطبرانى هى : « يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع من فارق الجماعة يركض » .

وفى ص (٣٢) كان أصل الرساله قد ذكر الحديث : « من مات تحت راية عِمِّيّة مات ميتة جاهلية » فأصلح الناشر كلمة « عمية » وجعلها « عصبية » وعلق فى الهامش بقوله : « رسمت هذه الجملة ـ لعله يعنى الكلمة ـ هكذا : عمعه » .

وأقول إن كلمة (عمعه) هذه هى (عمية) نالها قليل من تحريف الخط ، وفى النهاية لابن الأثير جاء الحديث : « من قتل تحت راية عمية فقتلته جاهلية » قيل هو فعيلة من العماء وهو الضلالة ، كالقتال فى العصبية والأهواء ، وحكى بعضهم فيها ضم العين [1] .

وفى ص (٣٨) جاء فى أصل الرسالة : « أن أحمد كان أحفظ لسنة » ، فأصلح الناشر كلمة (لسنة) وجعلها (للسنة) بلامين ، وعلق بقوله : « فى الأصل : لسنة » بدون اللام وهو تحريف » . ومن قال إنه تحريف ؟ ... ألا نقول : هو أحفظهم لقرآنٍ ، وأرعاهم لسنة ، وأصفاهم لصديق ، وأحرصهم على صلاة ... ؟ .

وفى ص (٣٩) جاءت العبارة : « ومنها قوله لعائشة : (لولا قومك حديثو عهد بإسلام لهدمت الكعبة على قواعد إبراهيم) وهو يدل على أن بناءها على قواعد إبراهيم هو الواجب فى حكمها ، فتركه لمصلحة الناس » . هكذا نشرت العبارة ، ويعلق الناشر بقوله : «فى الأصل لمصلحة التتالف » وهو قد أصلحها بقوله : « لمصلحة الناس » وظنى أن صحة العبارة هى : « لمصلحة التألف » أو لقصد تألف القلوب .

* * *

هذه ملاحظات لم أرد بها عيبا ولا شينا ، ولكنى أردت بها المشاركة فى البحث عن الحقيقة ، ولعل إيرادها مظهر من مظاهر العناية بموضوعها ، وإنى لواثق من أن الأخ البحاثة المفضال يسره أن يعرف الحق فيستمسك به ، وقد يكون من الخير تذكر هذه الملاحظات عند العودة إلى طبع هذه الرسالة التى أعتبرها مجهوداً علمياً يفخر به صاحبه ، ويفرح له محبوه ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

[١] النهاية ، ج ٣ ص ١٣٠

من ذكريات رمضان

فتح الفتوح فى الاسلام

فى مثل هذا الشهر من العام الماضى كتبت مقالا بعنوان « شهر الذكريات الخالدة » عرضت فيه لذكريين حبيبتين إلى القلوب المؤمنة : ذكرى نزول القرآن ، وذكرى غزوة بدر . وبقيت الذكرى الثالثة ، ذكرى فتح مكة بلد الله الحرام التى بها تم النصر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وقد وعدت القراء الأفاضل بالكتابة فى ثالثة الذكريات فى مناسبتها ، وها أنذا أفى بما وعدت ، ومن الله التوفيق والفتح .

فى السنة السادسة من الهجرة أراد النبى ﷺ وصحابته أن يعتمروا ، فصدهم المشركون عن البيت ، وكانت (بيعة الرضوان) التى بايع فيها المسلمون النبى ﷺ على الموت ، ثم كان ما كان من (صلح الحديبية) الذى اتفق فيه الطرفان على المهادنة وعدم الاعتداء ، وكان من شروط الصلح أن يرجع النبى ﷺ وأصحابه من عامه هـذا ثم يأتوا فى العام القابل فيدخلوا مكة معتمرين ليس معهم من السلاح إلا السيوف فى القُرب ، وأن من أراد أن يدخل فى عهد النبى فليدخل ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش فليفعل . فدخلت خزاعة فى عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش . وقد وفى النبى والمسلمون بما عاهدوا عليه قريشاً حق الوفاء ، لكن لم تلبث بنو بكر - حلفاء قريش - أن أغاروا على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وأخذوهم بغتة وهم على ماء لهم ، وأعانهم على غدرهم رجال من قريش . فما كان من خزاعة إلا أن أرسلوا رسولا إلى نبى الله يخبره خبر ما جرى ، ويستنصره على هؤلاء الذين غدروا بهم ، فلم يجد رسول الله ﷺ بدا من أن يجيبهم إلى ما طلبوا . فها هى قريش قد نقضت عهدها ، وظاهرت حلفاءها على حلفائه ، وها هم حلفاؤه جاءوا يستنصرون به . وتبين رسول الله أن مهادنة قريش كانت على دخن ؛ إذاً فلتفتح مكة أم القرى التى هى من الجزيرة العربية بمنزلة القطب من الرحى ، وفيها الكعبة المشرفة التى تهفو إليها قلوب العرب قاطبة ، ويتوجه إليها المسلمون فى صلواتهم ودعائهم .

وأحست قريش بسوء صنيعها وخافت مغبته ، فأرسلت كبيرها أبا سفيان بن حرب

إلى المدينة كى يستوثق من العهد ويمد فى الأجل ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عندها العون على ما جاء من أجله ، ولكنه وجد منها أمراً عجبا خيب ظنه ، ذلك أنه ذهب ليجلس على فراش رسول الله ، فطوته عنه . فقال : يابنية ، ما أدرى ، أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟ . فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه . فخرج وهو يقول : والله يا بنية لقد أصابك بعدى شر . ثم ذهب إلى رسول الله فكلمه ، فما رد عليه شيئا ، وحاول أن يستشفع بأبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم عند رسول الله فما وجد عند أحد منهم ما يعينه على ما يريد ، بل أغلظ له الفاروق عمر فى القول وأنذره بالشر . وما كان لى أن أمر بقصة أبى سفيان مع ابنته من غير أن أستخلص منها العبرة . وإن الإنسان ليلتمس السبب فيجده فى الإيمان القوى الذى يحب لله ويبغض لله ، ويقول الحق ولو كان مرا ؛ وفى صنع السيدة أم حبيبة وأمثالها - وما أكثرهم - معنى قول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » الآية ٢٢ من المجادلة . واستنفر رسول الله ﷺ الأعراب الذين حول المدينة وقال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فاجتمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع حشد كثير . وكان من سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموفقة إخفاء خبر الغزو عن أهل مكة حتى لا يستعدوا فتكون الملحمة شديدة ، وما للمسلمين حاجة إلى إراقة الدماء . وكانت أمنية الأمانى عند رسول الله أن تفتح مكة من غير أن يراق دم ، فتبقى للبلد قداستها وحرمتها . وليس أدل على ذلك من دعائه - عليه الصلاة والسلام - ربه ومولاه بقوله : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » .

سار الجيش اللجب الذى بلغ تعداده عشرة آلاف مجاهد فى رمضان من السنة الثامنة ميمما وجهه شطر مكة ، يحدوه إعزاز دين الله ونصرة حلفاء رسول الله ، وشهدت الصحراء هذا الجيش المؤمن الموحد الذى لم تر له مثيلا من قبل . وامتلأت جوانبها باسم الله الأكبر . وفى الطريق إلى مكة التقى الرسول ببعض أهل بيته منهم عمه العباس رضى الله عنه ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، وما زال الجيش يغذ السير : منهم الصائم ومنهم المفطر حتى بلغ مر الظهران ، وهناك أوقدت عشرة آلاف نار ، فارتاعت رسل قريش من هول ما رأوا ، وكان من الرسل أبو سفيان بن حرب ، وكان العباس عم رسول الله قد ذهب يتجسس الأخبار ، فعرف صوت

أبى سفيان وهو يتحدث مع من كانوا معه ، فحمله وراءه حتى أتى به إلى رسول الله وعمر وراءهما يستأذن رسول الله فى قتله ، ولكن رسول الله لم يأذن له وقال : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به » وفى الصباح غدا به إلى النبى ﷺ فعرض عليه الإسلام .

وبعد مجادلة شهد شهادة الحق وأسلم . وأراد رسول الله ﷺ أن يريه عزة المسلمين وقوتهم ليخبر من وراءه من قومه ، عسى أن يكون فى هذا أن ترفع قريش راية الاستسلام ، ويفتح البلد الأمين من غير أن تراق الدماء ، فقال للعباس : احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى جنود الله ، فجعلت الكتائب تمر به كتيبة كتيبة ، وكلما مرت كتيبة سأل عنها فيجيبه العباس ، حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله يحف به سادات المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فلم يلبث الرجل أن قال - وقد هاله ما رأى - : « يا عباس ، ما لأحد بهؤلاء قبل ، والله - يا أبا الفضل - لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما » فقال له العباس : إنها النبوة . قال : فنعم إذن . وكان سعد بن عبادة الأنصارى لما مر بأبى سفيان قال له : يا أبا سفيان « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة » فلما أخبر رسول الله بمقالة سعد قال صلى الله عليه وسلم : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية فأخذت من سعد وأعطيت لابنه قيس .

وكان العباس على علم بنفسية أبى سفيان ، فقال للنبى : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا ، فقال رسول الله الخبير بالنفوس : نعم « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فانطلق أبو سفيان إلى قومه يصيح فيهم بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . وقد كان لهذا أثره فى نفوس القرشيين ، وعصمت بسببه دماء كثيرة فى هذا اليوم المشهود .

ولم يفت النبى ﷺ - وقد أصبح على أبواب مكة التى حرمها الله يوم خلق السموات والأرض - أن يوصيهم بأن لا يقاتلوا أو يسفكوا دما إلا إذا أكرهوا على ذلك إكراها واضطروا إليه اضطرارا . ودخل خالد بن الوليد ببعض الجيش من أسفل مكة ، فلم يجد إلا مقاومة من قلة ضئيلة استجابت لنزوات الشباب وحمية الجاهلية ، وكانت نتيجة المناوشات أن قتل من جيش خالد اثنان ومن المشركين بضعة عشر رجلا .

ودخل النبى صلى الله عليه وسلم ببعض الجيش من أعلى مكة من غير مقاومة ولا إراقة

دم ، ونصبت له رايته على الحجون ، وضربت له هناك قبة ، وبذلك صدق الله رسوله وعده ودخل مكة منتصراً . وكان من فرط شكره لله سبحانه وتواضعه أن دخل مطأطئا رأسه حتى لتكاد جبهته تمس الرحل . وكان هذا الفتح الميمون فى صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

وإنه لما يسجل للمسلمين فى سجل الخلود بسطور من نور أن لا تزهق إلا أرواح بضعة عشر رجلا أعلنوا العصيان فى فتح بلد كمكة ، ذاق المهاجرون من أهله ألوان الظلم والاضطهاد وسيموا سوء العذاب ، ولكنها النفوس المؤمنة سرعان ما تنسى الإساءة ، وتستجيب لداعى الرحمة والعفو والصفح الجميل .

فلما استراح النبى صلى الله عليه وسلم قليلا بقبته التى ضربت له على الحجون سار بين شيوخ المهاجرين والأنصار حتى المسجد الحرام وطاف بالبيت سبعا وهو على راحلته يستلم الحجر بمحجن فى يده ، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنما فصار يشير إليها بعود فى يده وهو يقرأ : « جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » فصارت تتهاوى وتسقط . ثم طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة حاجبها فناوله لرسول الله ، ودخل الكعبة وكبر فى جوانبها وطهرها مما كان بداخلها من الصور والتماثيل ، وكان بعض بنى هاشم قد طمع فى مفتاح الكعبة لتكون لهم سدانة الكعبة مع سقاية الحاج ، ولكن السيد الأمين صلوات الله وسلامه عليه أبى وقال : أين عثمان بن طلحة ؟ فجاء فناوله إياه وقال له : « هذا يوم وفاء وبر » .

ثم جلس النبى ﷺ بالمسجد الحرام بعد ما صلى بمقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم حتى تضلع ، وعيون أهل مكة شاخصة إليه والقلوب واجفة منه ، وتجمعت فى رءوس أهل مكة الذكريات المؤلمة ، ذكريات ثلاثة عشر عاما كلها اضطهاد وتشريد وإيذاء للنبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين من صحابته ، وكانت خاتمة الاضطهاد أن أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، فلا عجب أن كانت أنفاسهم تتقطع من الخوف ، وأطل التاريخ برأسه على وادى مكة ليرى ماذا يصنع الرجل المظلوم المنتصر ؟

ولكن السيد العفو الرؤوف الرحيم ذا الخلق العظيم أخلف الظنون ، فقام على باب الكعبة خطيباً ، وكان مما قال : « يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، كلكم من آدم وآدم من تراب . « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ثم قال : يأهل مكة ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » فاستعبرت العيون فرحا ، وأقبلوا على رسول الله تائبين مسلمين لله رب العالمين .

ولم يهدر رسول الله إلا دم جماعة قليلة ممن عظمت جرائمهم ، واشتد إيذاؤهم له وللمسلمين ، ومع هذا فنهم من جاء مسلماً طالباً العفو فعفا عنه ، ومنهم من أبى الانقياد فحقت عليه كلمة العذاب .

وإن النفوس المنصفة التى لا تنشد إلا الحق لتجد لزاماً عليها أن تقف هنا لحظات ، لتسجل فيها هذا المثال العالى الفريد فى باب العفو والتسامح الذى لا تجد له مثيلا فى تاريخ الدنيا ، وها هو القرن العشرون ـ قرن النور والحرية والمثل الانسانية كما يزعمون ـ قد شهد حربين عالميتين ، وكلنا يعرف ماذا أنزل الغالب بالمغلوب من سلب وقتل وتخريب وتدمير وإذلال واغتصاب لحقوق الإنسان التى طالما طنطنوا بها وعقدوا لها المؤتمرات ولبسوا بها على السذج من بنى الإنسان ، لقد أصبح شعار المنتصر فى عصرنا هذا العبارة السائرة « ويل للمغلوب » فأين ما يفعله المنتصرون فى قرنهم العشرين من مخاز يندى لها جبين الإنسانية ، مما صنعه نبى الله محمد بن عبد الله قبل أربعة عشر قرنا ؟ !!!

وبفتح مكة استؤصلت الوثنية ورست قواعد التوحيد والإسلام فى الجزيرة العربية ، ودخل الناس أفواجاً فى دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على دين واحد وعلى قلب رجل واحد ، وأصبح أهلها أهلا لحمل رسالة الإسلام وإشاعة نوره فى كل مكان . لقد كان لفتح مكة آثار بعيدة المدى ، فقد أصبح البيت الحرام رمز التوحيد والوحدة والأمان ، وقضى على عبادة الأوثان . ومن يومها وداعى الله من بيت الله يرفع صوته مجلجلا فى الأجواء بأنه « لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » وسيستمر إلى ما شاء الله .

ولم يكد يمضى قرن من الزمان منذ الفتح حتى بسط الإسلام لواءه على المعمورة حينئذ ، ونعم العالم بدين الحق والعدل والخير والسلام ، وضرب المسلمون فى معاملة الأمم المغلوبة مثلا عليا من التسامح والعفو والرحمة استمدوها من أخلاق صاحب الرسالة العظمى ؛ ولا سيما فى يوم الفتح . ولعلك ـ أيها القارىء الكريم ـ قد آمنت معى بأن فتح بلد الله الحرام هو فتح الفتوح فى الإسلام ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

النظم التى يقوم عليها
كيان المجتمع الاسلامى
والاعتداءات الماسة بهذه النظم

تشترك الجماعات - مهما اختلفت على المبادىء أو اختلفت عليها العصور - فى أنظمة أساسية يقوم عليها كيان الجماعة . وإذا ألقينا نظرة على كل الأنظمة التى تقوم عليها الجماعات فى العالم وجدنا أن كل الجماعات تشترك فى أربعة أنظمة ، تعتبر الدعائم التى يقوم عليها كل مجتمع على سطح الأرض . وهذه الأنظمة هى : -

١ - نظام الأسرة .
٢ - نظام الملكية الفردية .
٣ - النظام الاجتماعى للجماعة .
٤ - نظام الحكم فى الجماعة .

أولا - نظام الأسرة : الجماعة ليست إلا مجموعة من الأفراد . وهذه المجموعة تتكون من عدة أسر . ولا شك أن الأسرة نتيجة لوجود الرجل والمرأة وقدرتهما على التناسل . وهذا النسل فى حاجة إلى من يعوله حتى يبلغ أشده ، ولذا اقتضى الحال أن يستأثر كل رجل بامرأة معينة ، وأن ينسب إلى نفسه من تلده من الأبناء ، وهكذا اقتضى وجود الرجل والمرأة وجود نظام الأسرة ، وصار هذا النظام أساسا تقوم عليه كل جماعة .

ثانيا - نظام الملكية الفردية : والإنسان فى حاجة دائمة إلى المطعم والمسكن والملبس والمشرب وأدوات السعى لهذه ولغيرها من الحاجات والمنافع دفعته إلى تملك هذه الأشياء والاستئثار بها دون غيره من الناس لنفسه أولا ولأسرته بعد أن اقتضى الحال وجود نظام الأسرة ، وهكذا وجد نظام الملكية الفردية .

وإذا كانت المبادىء الاشتراكية والشيوعية تنادى بالملكية الجماعية وتؤثرها على الملكية الفردية ، فإن غلاة المعتنقين لهذه المبادىء لم يتمكنوا من إلغاء الملكية الفردية إلغاء مطلقا ،

لأن هناك من الملكيات الفردية ما تقتضى الطبيعة وجوده والمحافظة عليه ؛ فكل إنسان فى هذا العالم يجب أن يملك طعامه وكساءه ومسكنه وأداة عمله ورزقه ، وإلا استحالت عليه الحياة .

ثالثاً — النظام الاجتماعى للجماعة : وقد اقتضى نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية الاعتراف بشخصية الفرد وحريته وحقه فى حماية نفسه وأسرته وملكه ، ولكن ضعف الفرد وكثرة حاجاته وقلة وسائله وحاجته إلى التعاون مع غيره كل ذلك دعا إلى تكوين الجماعة .

وتكوين الجماعة يقتضى بطبيعته أن يكون للجماعة نظام اجتماعى تقوم الجماعة على مبادئه ، ويبين حقوق الأفراد وواجباتهم ، والنظام الاجتماعى للجماعة يختلف باختلاف الجماعات . فالجماعات الإسلامية نظامها الاجتماعى يقوم على مبادىء الإسلام ، والجماعات غير الإسلامية يقوم نظامها الاجتماعى على أساس الاشتراكية أو الشيوعية أو الرأسمالية أو غير ذلك من الأنظمة الاجتماعية .

رابعاً — نظام الحكم فى الجماعة : كذلك اقتضى تكوين الجماعة أن يقوم فيها نظام للحكم يصرف شئونها ويسهر على مصالحها ونظامها الاجتماعى ويوفر الأمن لها فى الداخل والخارج ، ونظام الحكم يختلف باختلاف البلاد . ففى بعض البلاد يكون الحكم جمهورياً وفى بعضها ملكيا إلى غير ذلك ، وهكذا وجد نظام الحكم وكان وجوده نتيجة ضرورية لوجود الجماعة نفسها .

هذه هى الأنظمة الأربعة التى يقوم عليها كيان المجتمع ، وكل مساس بها يمس المجتمع فى أصل وجوده ويهدم أهم مقوماته ، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية الغراء على أن تحمى هذه النظم من كل اعتداء ، لأن فى حمايتها بقاء الجماعة وصلاحيتها للبقاء ، ولأن كل تهاون فى حمايتها يؤدى إلى انحلال الجماعة وسقوطها .

الاعتداءات الماسة بهذه النظم : وقد تقصت الشريعة الإسلامية الاعتداءات الخطيرة التى يمكن أن تمس هذه الأنظمة فوجدتها تنحصر فى جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، وهى الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقة والحرابة والبغى والردة والقتل والجرح فى حالتى العمد والخطأ .

فالزنا : اعتداء على نظام الأسرة ، ولولم يعاقب عليه لكان لكل امرىء أن يشارك الآخر فى أى امرأة شاء ، وأن يدعى من شاء أو يتنصل ممن يشاء من الأبناء ، ولانتهى الأمر بغلبة الاقوياء وهزيمة الضعفاء وتضييع الانساب وشقاء الآباء والأبناء . وأخيرا فإن إباحة الزنا معناها الاستغناء عن نظام الأسرة وهدم الدعامة الأولى من الدعائم التى تقوم عليها الجماعة .

والسرقة : اعتداء على نظام الملكية الفردية ، ولو لم يعاقب عليها لكان لكل فرد أن يشارك غيره فى طعامه وشرابه وكسائه ومسكنه وأداة عمله ، وكانت الغلبة آخر الأمر للأقوياء ، وكان الجوع والعرى والحرمان للضعفاء ، فإباحة السرقة معناها الاستغناء عن نظام الملكية الفردية وعجز الأفراد عن الحصول على ضروريات الحياة وسقوط الجماعة بعد سقوط أهم الدعامات التى قامت عليها .

والردة : اعتداء على النظام الاجتماعى للجماعة ، لأن النظام الاجتماعى لكل جماعة إسلامية هو الإسلام ، ولأن الردة معناها خيانة الإسلام والخروج على مبادئه والتشكيك فى صحته ، ولا يمكن أن يستقيم أمر الجماعة إذا وضع نظامها الاجتماعى موضع التشكيك والطعن لأن ذلك قد يؤدى فى النهاية إلى هدم النظام .

والبغى : اعتداء على نظام الحكم فى الجماعة ، لأن جريمة البغى تعنى الخروج على الحكام ومعصيتهم ، أو تعنى طلب تغييرهم أو تغيير نظام الحكم نفسه ، وإباحة مثل هذه الجريمة يؤدى إلى إشاعة الخلاف ، والاضطراب فى صفوف الجماعة ، ويقسمها شيعاً وأحزاباً تتقاتل وتتناحر فى سبيل الحكم ، كما يؤدى إلى اختلال الأمن والنظام وسقوط الجماعة وانحطاطها .

وجرائم القتل والجرح : اعتداء من ناحية على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وهى من ناحية أخرى اعتداء على النظام الاجتماعى ونظام الحكم فى الجماعة ، لأن هذه الجرائم تمس حياة الأفراد وأبدانهم ، والنظام الاجتماعى يتطلب حماية الأفراد وعصمة أنفسهم وأموالهم ، كما أن نظام الحكم وجد لإقامة النظام الاجتماعى وتوفير الأمن للجماعة ، فالتساهل فى محاربة هذه الجرائم يؤدى إلى تحكيم الأقوياء فى الضعفاء وصرف الأفراد عن العمل المنتج وانصرافهم إلى التنازع والتناحر واستنباط الوسائل لحماية أرواحهم

وأنفسهم . وهذا يؤدى إلى تفكك الجماعة وانحلالها . وقد حرصت الشريعة أشد الحرص على أن لا تصل الجماعة لهذه الحالة ، فقررت عقوبة القصاص فى حالة العمد ، والدية فى حالة الخطأ ، وهى عقوبات رادعة قصد منها حماية الأفراد المكونين للجماعة وبث الأمن بينهم وتوفير الطمأنينة فى نفوسهم .

وجريمة القذف : اعتداء على نظام الأسرة ، لأن القذف فى الشريعة قاصر على ما يمس الأعراض ، ولأن القذف الماس بالأعراض هو تشكيك فى صحة نظام الأسرة ، فمن يقذف شخصا فإنما ينسبه لغير أبيه وبالتالى لغير أسرته ، وإذا ضعف الإيمان بنظام الأسرة فقد ضعف الإيمان بالجماعة نفسها لأن الجماعة تقوم على هذا النظام .

وجريمة الشرب : تؤدى إلى فقدان الشعور ، وإذا فقد شارب الخمر شعوره فقد أصبح على استعداد لارتكاب السرقة والقذف والزنا وغير ذلك من الجرائم ، فضلا عن أن شرب الخمر يضيع المال ويفسد الصحة ويضعف النسل ويذهب العقل ، والنظام الإسلامى يحرم شرب الخمر تحريما قاطعا ، فإتيان هذه الجريمة اعتداء من كل وجه على الجماعة وهدم للنظم التى تقوم عليها الجماعة .

وجريمة الحرابة : إن اقتصرت على السرقة فهى اعتداء على نظام الملكية الفردية ، وإن صحبها القتل فهى أيضا اعتداء على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وإن اقتصرت على ترويع المجنى عليهم فهى اعتداء على أمن الجماعة ، والاعتداء على حياة الأشخاص وأمنهم هو اعتداء على النظام الاجتماعى وعلى نظام الحكم ، لأن كل جماعة ملزمة بحماية حياة الأفراد وتوفير الأمن لهم ، لأن ذلك ضرورى لبقاء الجماعة ، فإذا لم تتوفر هذه الحماية فمعنى ذلك تفكك الجماعة وانحلالها لأن الأساس الأول لبقاء الجماعة وهو حماية أفرادها منعدم ، ولا يحمى الأفراد ويمنع الاعتداء على حياتهم وأمنهم إلا تقرير العقوبة الرادعة على هذا الاعتداء .

هذه هى الجرائم التى تمس كيان المجتمع مساسا مباشرا ، عاقبت عليها الشريعة بعقوبات رادعة وأهملت فى تقدير العقوبة شخصية الجانى إبقاء على الجماعة وحماية لها ، وإذا قلنا إن هذه الجرائم تمس كيان الجماعة فليس معنى ذلك أن باقى الجرائم لا تمس الجماعة من قريب أو بعيد ، إذ الواقع أن كل جريمة أيا كانت تمس الجماعة ، ولكننا نستطيع أن نقول إنه ليس فى الجرائم كلها ما يمس الأسس التى يقوم عليها المجتمع مساسا مباشرا مثل الجرائم التى

احتفظت لها الشريعة بهذه العقوبات ، وإن بقية الجرائم إن مست صالح المجتمع فإنها لا تمس الأنظمة التى يقوم عليها المجتمع ، وإن مست هذه الأسس فإنها لا تمسها مساسا مباشرا وخطيرا .

ونجد أن الشريعة الإسلامية - فى الجرائم التى تمس كيان المجتمع وتتصل بالاسس التى يقوم عليها - قد أهملت شخصية الجانى ، والشريعة فى هذا تعتبر منطقية وواقعية حين ميزت بين هذه الجرائم من ناحية وبقية الجرائم من ناحية أخرى ، لتفاوت الخطورة والآثار فى النوعين .

يتضح مما سبق أن الجرائم الماسة بكيان المجتمع نوعان .

النوع الأول : يشمل جرائم الحدود التامة وهى سبع جرائم : (١) الزنا (٢) القذف (٣) الشرب (٤) السرقة (٥) الحرابة (٦) الردة (٧) البغى .

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم السبع عقوبات مقدرة ليس للقاضى أن ينقص منها أو يزيد فيها أو يستبدل بها غيرها ، فمن ارتكب جريمة منها أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى رأى المجنى عليه أو إلى شخصية الجانى ، وليس لولى الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة بحال من الاحوال .

وقد اتجهت الشريعة فى جرائم الحدود إلى حماية الجماعة من الجريمة ، وأهملت شأن المجرم إهمالا تاما ، فشددت العقوبة وجعلتها عقوبة مقدرة ، ولم تجعل للقاضى أو لولى الأمر سلطانا على العقوبة ، وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، وأن التساهل فيها يؤدى حتما إلى تحلل الاخلاق وفساد المجتمع واضطراب نظامه وازدياد الجرائم ، وهى نتائج ما ابتليت بها جماعة إلا تفرق شملها واختل نظامها وذهب ريحها ، فالتشدد هنا قصد به الإبقاء على الاخلاق وحفظ الامن والنظام ، أو بتعبير آخر قصد به مصلحة الجماعة ، فلا عجب أن تهمل مصلحة الفرد فى سبيل صالح الجماعة ، بل العجب أن لا تضحى مصلحة الفرد فى هذا السبيل .

النوع الثانى : والنوع الثانى من الجرائم الماسة بكيان المجتمع يشمل جرائم القصاص والدية ، وهى جرائم القتل والجرح سواء كانت عمدا أو خطأ ، أو هى على وجه التحديد : (١) القتل العمد (٢) القتل شبه العمد (٣) القتل الخطأ (٤) الجرح المتعمد (٥) الجرح الخطأ .

وقد وضعت الشريعة لهـذه الجرائم عقوبتين : هما القصاص أو الدية فى حالة العمد ، والدية فى حالة الخطأ . وحرمت على القاضى أن ينقص من هاتين العقوبتين أو يزيد فيهما أو يستبدل بهما غيرهما ، كما حرمت على ولى الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة ، وعلى هذا فمن ارتكب جريمة من هذه الجرائم أصابته العقوبة المقررة لهـا دون نظر إلى ظروف الجانى وشخصيته .

وإذا كانت الشريعة قد حرمت العفو على ولى الأمر فإنها قـد أباحته للمجنى عليه أو وليه ، فإذا عفا المجنى عليه أو وليه فى العمد سقط القصاص وحلت محله الدية إذا كان العفو على الدية ، فإذا كان العفو مجانا سقطت الدية أيضا ، وفى جرائم الخطأ يسقط العفو الدية ، ويترتب على سقوط القصاص فى العمد والدية فى الخطأ جواز معاقبة الجانى بعقوبة تعزيرية ، والعقوبات التعزيرية ينظر فيها إلى شخص المجنى عليه وظروفه .

وظاهر مما سبق أن الشريعة تتجه أصلا فى جرائم القصاص والدية إلى حماية الجماعة من الجريمة وإهمال شأن المجرم ، وأنها لا تعنى بشخصية الجانى وظروفه إلا إذا عفا المجنى عليه أو وليه . وقد منحت الشريعة حق العفو للمجنى عليه أو وليه لأن الجريمة وإن كانت ماسة بكيان المجتمع إلا أنها تمس المجنى عليه أكثر مما تمس المجتمع ، بل إنها لا تمس المجتمع إلا عن طريق مساسها بالمجنى عليه ، فإذا عفا المجنى عليه أو وليه لم يعد ما يدعو لإهمال شأن المجرم والتشدد فى حماية الجماعة ، لأن أثر الجريمة الخطر يزول بالعفو فتصبح الجريمة غير خطرة ولا تؤثر على كيان المجتمع . والواقع أن المجنى عليه أو وليه لا يعفو إلا إذا صفح عن الجانى أو رأى فى الدية فائدة مادية يهمه الاحتفاظ بها ، فعلة العفو هى إما الصفح أو الفائدة المادية التى تعود على المجنى عليه وأوليائه ، وكلاهما علة مشروعة تحلها الشريعة محل الاعتبار ، لأن الصفح معناه القضاء على الخصومات والأحقاد ، ولأن تفضيل الفائدة المادية على العقوبة البدنية معناه التسامح والصفح وإضعاف حدة الخصومات ، ولا شك فى أن من حق المجنى عليـه أو وليه أن يكون أول من تعود عليه من الجريمة الفائدة إذا أمكن ذلك بعد أن أصيب منها وتحمل من آلامها ما لم يتحمله غيره .

العقوبات المقررة لجرائم الحدود : تسمى العقوبة المقررة لـكل جريمة من هـذه الجرائم حـدا .

والحد هو العقوبة المقررة حقا لله تعالى، أو هو العقوبة المقررة لمصلحة الجماعة. وحينما يقول الفقهاء: إن العقوبة حق لله تعالى يعنون بذلك أنها لا تقبل الإسقاط من الأفراد ولا من الجماعة، وهم يعتبرون العقوبة حقاً لله كلما استوجبتها المصلحة العامة، وهى دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلام لهم.

وسنتكلم عن كل عقوبة من هذه العقوبات باختصار.

أولا — فى عقوبات الزنا: للزنا فى الشريعة الإسلامية ثلاث عقوبات هى:

(١) الجلد. (٢) التغريب. (٣) الرجم. والجلد والتغريب معا هما عقوبة الزانى غير المحصن، أما الرجم فهو عقوبة الزانى المحصن.

ثانيا — فى عقوبة القذف: للقذف فى الشريعة عقوبتان: إحداهما أصلية وهى الجلد، والثانية تبعية وهى عدم قبول شهادة القاذف. ومصدر هذه العقوبة قوله تعالى فى سورة النور: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون».

ثالثا — فى عقوبة الشرب: تعاقب الشريعة على شرب الخمر بالجلد ثمانين جلدة. ومصدر العقوبة التشريعى هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه»، أما تحريم الخمر فمصدره القرآن الكريم. والرأى الراجح أن العقوبة لم يحدد مقدارها بثمانين جلدة إلا فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث استشار أصحاب الرسول فى حد شارب الخمر فأفتى على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن يحد ثمانين جلدة، لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحد المفترى - أى القاذف - ثمانون جلدة، ووافق الصحابة على هذا الرأى. وإذن فتحريم الخمر مصدره القرآن، والعقاب مصدره السنة، ومقدار الحد مصدره الإجماع.

رابعا — فى عقوبة السرقة: تعاقب الشريعة على السرقة بالقطع. والمصدر قوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله» سورة المائدة ٣٨.

خامسا، فى عقوبة الحرابة: فرضت الشريعة لجريمة الحرابة أربع عقوبات هى:

(١) القتل . (٢) القتل مع الصلب . (٣) القطع . (٤) النفى .

ومصدر هذه العقوبات التشريعى هو القرآن حيث قال الله جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » سورة المائدة : ٣٣ .

سادسا ، فى عقوبة الردة والبغى :

(١) عقوبة الردة : للردة عقوبتان ، عقوبة أصلية وهى القتل ، وعقوبة تبعية وهى المصادرة.

القتل : تعاقب الشريعة المرتد بالقتل ، والأصل فى ذلك قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٢١٧ . وقول النبى ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

المصادرة : عقوبة الردة التبعية هى مصادرة مال المرتد . واختلفت المذاهب والفقهاء فى مدى المصادرة ، والرأى الراجح فى هذا أن المصادرة تشمل كل مال المرتد ، وهذا هو مذهب الإمام أحمد .

(٢) عقوبة البغى : تعاقب الشريعة على البغى بالقتل ، والأصل فى ذلك قوله تعالى فى سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ، وقول الرسول ﷺ : « من أعطى إماما صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » وقوله : (ستكون هنات وهنات ألا ومن خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كائنا من كان) .

العقوبات المقررة لجرائم القصاص والدية :

جرائم القصاص والدية هى كما ذكرنا آنفا ، القتل العمد ، والقتل شبه العمد ، والقتل الخطأ ، والجرح العمد ، والجرح الخطأ .

والعقوبات المقررة لها هى : القصاص — والدية — والكفارة — والحرمان من الميراث والحرمان من الوصية .

أولا — القصاص : وهـذه العقوبة مخصصة لجريمة القتل العمد . ومعنى القصاص أن يعاقب المجرم بمثل فعله ، فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح . ومصدر هذه العقوبة هو القرآن والسنة ، فالله جل شأنه يقول : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » البقرة (١٧٨ ، ١٧٩) ويقول جل شأنه فى سورة المائدة ٤٥: « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . وفى السنة جاء قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من اعتبط مؤمناً بقتل فهو قود به إلا أن يرضى ولى المقتول » ويقول : « من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين إن أحبوا فالقود وإن أحبوا فالعقل ـ أى الدية ـ » .

ثانياً — الدية : جعلت الشريعة الدية عقوبة أصلية للقتل والجرح فى شبه العمد والخطأ ، ومصدر هذه العقوبة القرآن والسنة ، يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » النساء : ٩٢ . ويقول الرسول ﷺ : « ألا إن فى قتيل عمد الخطأ قتيل السوط والعصا والحجر مائة من الإبل » .

ثالثاً ، الكفارة : الأصل فى الكفارة قوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » ، والكفارة عقوبة أصلية ، وهى عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجدها أو يجد قيمتها يتصدق بها فعليه صيام شهرين متتابعين ، فالصوم عقوبة بدلية لا تكون إلا إذا امتنع تنفيذ العقوبة الأصلية .

رابعا ــ الحرمان من الميراث : الحرمان من الميراث عقوبة تبعية تصيب القاتل تبعا للحكم عليه بعقوبة القتل ، والاصل فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (ليس للقاتل شيء من الميراث) وقوله : « ليس للقاتل ميراث بعد صاحب البقرة » .

خامسا ــ الحرمان من الوصية : الحرمان من الوصية عقوبة تبعية ، والأصل فيها قول الرسول ﷺ : (لا وصية لقاتل) وقوله : (ليس لقاتل شيء) وذكر الشيء نكرة فى محل النفى يعم الميراث والوصية جميعا .

هذه هى العقوبات المقررة لجرائم الحدود والقصاص والدية .

وأرجو من الله أن يوفقنى فى شرح كل عقوبة من هذه العقوبات بالتفصيل .

والسلام على من اتبع الهدى . وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير والسداد ؟

محمد محيي الدين المسيرى



* المؤمن لا يحيف على من يبغض .
* إعلان الشماتة كيد العدو العاجز .
* أخلق بمن غدر ألا يوفى له .
* المفروح به هو المحزون عليه .
* العاقل يترك ما يحب خوفا من العلاج بما يكره .
* من تأنى أصاب أو كاد .
* عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان : فتقبح وجهه ، وتثلم دينه ، وتعجل ندمه .
* إذا لم تشغل النفس بما يصلحها شغلتك بما يفسدك .
* نفاق المرء من ذله .
* الهوى مفتاح السيئات

أدركوا الأسرة

هـذا عنوان مقال نشرته بعض الصحف ، عرض فيه كاتبه لحال الأسرة المصرية ، وصور ما يتهددها من أخطار وما هى صائرة إليه من الانهيار .

وقارن بين حالها الحاضر وحالها المـاضى ، وأنها كانت فى ماضيها خيراً منها فى حاضرها ، كما قارن بين حال الأسرة الريفية والأسرة المثقفة الحضرية ، وأن حال الأولى خير من الثانية ، وأبان فى إيجاز أسباب اعتلال الأسرة ووجه العلاج ، ومع ذلك فقـد طلب أن يوكل بحث ذلك إلى لجنة من ذوى الخبرة فى علم النفس ، وكان من رأيه أن الحالة النفسية التى تسود بعض المثقفين هى العلة الأولى فيما وصلت إليه الأسرة .

ونحن مع الـكاتب الفاضل فيما عقده من مقارنات بين المـاضى والحاضر ، وبين حال الأسرة فى الريف والحضر ، وأن أمر الأسرة فى حاجة إلى علاج حاسم وسريع ، لأن علاج الأسرة علاج للأمة : فهى نواتها ، ومنها تتألف وحداتها . إلا أن لنا رأياً آخر فى أسباب انحلال الأسرة ، ورأياً فى علاجها ، وإذا كان من أسباب تدهور الأسرة الحـالة النفسية التى كونتها العوامل الثقافية والاقتصادية والخلقية كما أشار إلى ذلك الـكاتب الفاضل ، إلا أنا نرى أن السبب الحقيقى وراء ذلك ، وهو خروج المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعة فى كثير من شئونها ، فلقد خرجت المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعـة حين حاولت أن تلى من الشئون ما لم تخلق له ولم تهيئها طبيعتها لتوليه : حاولت أن تغتصب القيام على شئون الأسرة فى تصريف أمورها المعاشية ، وتستبد دون الرجل بطريق الإنفاق عليها ، وتزحزحه عن مكانه فيها ، فحـاول الرجل أن يحتفظ بهذه الحقوق التى خولته إياها الفطرة والشريعة . وبين هذه المحاولات تعارضت سلطة الرجل والمرأة ، وكان من نتيجة ذلك انهدام بعض الأسر .

وخرجت على سنن الفطرة وسنن الشريعة حين حاولت أن تـكون مشرفاً واعياً ورقيباً صارماً ، تحصى على الرجـل حركاته فى المنزل والعمل والمقهى والمستراض ، وفى زيارة الأهل والأقارب ، تفسر كل حركة من حركاته بعاطفتها النسائية ، وعقلها المحصور فى الشئون الزوجية . واستيقظت فى نفس الرجل عناصر الرجولة فتدافعا وتنازعا وكان عاقبة ذلك

انفراط عقد بعض الأسر واختلال نظامها ثم انهيارها . وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة إذ أسفرت وتبرجت وهجرت المنزل وشئونه وارتادت السينما والمسرح والمقهى والمشرب ، فدبت فى صدر الرجل عقارب الغيرة ، وغلت فى عروقه دماء النخوة ، فطلب إليها أن تلتزم حدود الحشمة والوقار ، وتعطى للمنزل وللأولاد حقوقهم ، فتمردت عليه واستعصت على رياضته ، وضاق بها ذرعاً ، وأفلت من يده زمام التفكر والاستبصار ، وكانت بعض الأسر هى الضحية لتصرف المرأة وسلوكها .

وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة حين حاولت أن يستجيب الرجل لمطالبها الكمالية ، وما أكثر ما تطلب المرأة صيفاً وشتاء ، وخريفا وربيعاً ، وما أكثر ما تطلب للباس والزينة ، وللياقة والمجاملة والمباهاة والمفاخرة . وقست على الرجل ظروف الحياة فعجز عن تلبية الرغائب وتحقيق المطالب ، فهاجت وماجت وهددت وهجرت ، وتقطعت أسباب الود والتعاون ، واضطر الرجل أن يفصم عرى هذه الرابطة ، فتعرضت بعض الأسر للانهيار .

وخرجت المرأة عن سنن الفطرة والشريعة حتى فى إنجاب الأطفال . ولقد كان من المضحك أو المبكى — كما يشاء القارىء — ما نشرته بعض الصحف من أن زوجة اشترطت على زوجها أن يدفع لها ألف جنيه إذا ولدت له ولداً لأنها كانت راغبة عن الخلف صيانة لجمالها أن يذهب به الحمل والإرضاع ، فلما ولدت طالبته بالوفاء فأبى عليها فرفعت أمره إلى القضاء ، وما تزال القضية معروضة للنظر .

هذه بعض مظاهر تمرد المرأة على الفطرة والشريعة ، وهى السبب الحقيقى فى انحلال الأسرة . وقد زين لها دعاة السوء من الجنسين ذلك التمرد فى صور خلابة براقة هى صور المدنية والرقى والخلاص من عبودية الرجل والفكاك من سجن الحريم ! وما إلى ذلك من الصور الزائفة .

وقد خدعت المرأة المتحضرة بهذه الصور ، وجرت فى المضمار ، ولكن سقطت دون الغاية ، وكان عاقبة أمرها خسراً ، فقد تعقدت مشاكل الأسر ومشاكل الزواج ، وانصرف الشباب لهذه الأسباب عن الزواج ، فركدت سوق الفتيات سواء المتعلمات منهن والجاهلات ، وأحس الآباء والأمهات بوطأة الأزمة فى زواج البنات .

وقد سلم الريف من هـــذا البلاء ، وما تزال الأسر على خير حال من الاستقرار والهناء ، بفضل المرأة التى عرفت مكانها ووظيفتها ، وحافظت على سمعتها وكرامتها ، والتزمت حدود الحشمة والوقار التى يفرضها مجتمعها الريفى ، ولم تحاول ما حاولته أختها المتعلمة المتحضرة من الاستبداد بالسلطة فى شئون الأسرة ، والانطلاق مع عواطفها ورغائبها دون حساب لغيرة الرجل وكرامته وطاقته المالية ، وظلت المعينة المخلصة فى المنزل والحقل ، تبدى رأيها إن أرادت فى تطامن وأدب ، لا فى كبرياء وصلف كما يفعل كثير من المثقفات الحضريات ، وساعد على ذلك الاستقرار حرص الرجل على مكانه فى الأسرة والاحتفاظ بحقوقه ، وأنه القـوام عليها وصاحب الرأى فى تصريف شئونها ، والمسئول عن حاضرها ومستقبلها ، وسار كل من الرجل والمرأة فى طريقه المرسوم له ، فلم تتعارض السلطات ، ولم تتباين الآراء ، وسلم كيان الأسرة الريفية من الهزات العنيفة التى تفضى إلى التصدع والانهيار ، وسـلم المجتمع الريفى أيضاً من أزمة الزواج التى كانت نتيجة لازمة لانحـلال الأسر فى المجتمعات المثقفة فى المدن ، وما تزال الفتاة فى الأسرة الريفية تحظى بإقبال الشبان والرغبة فيهن . وإن كثيراً منهن يتزوجن دون أن يبلغن السن التى فرضها القانون .

والعلاج الحقيقى لحال الأسرة أن تلتزم المرأة أو تلزم حدودها التى رسمتها الفطرة والشريعة ، وتـكتفى بحقوقها الطبيعية والشرعية ولا تحاول أن تسلب الرجل حقوقه . وحقوق المرأة فى الشريعة الإسلامية كفيلة بحمايتها وصيانتها وسلامتها وسلامة المجتمع من التفكك والانحلال .

وإن الأمم التى حاولت إزعاج المرأة من منزلها والزج بها فى الميادين العامة فى السياسة والصناعة ودفعها إلى ما ليس من شئونها ، أخذت تدرك خطأها فى ذلك وتحس سوء عاقبته على الأسرة والأمة . وقد ذكرنا فى كلمة سابقة أن ذوى الرأى والتقدير فى تلك الأمم أخذوا يفهون إلى الأخطار التى حلت بالأسر نتيجة لذلك ، كما أخـــذوا يدعون المرأة إلى العودة إلى مكانها فى المنزل لممارسة شئونه وشئون الأولاد ، ويقولون : إن المرأة لو أحسنت ممارسة هذه الشئون لساهمت بأكبر قسط فى علاج الأسرة ، وأعادت لها هناءها واستقرارها وأصلحت ما أساءت به إلى نفسها ؟

أبو الوفا المراغى

وفى البلاغة أيضا ...

فى العدد الماضى من مجلة الأزهر علقت على مباحث فى اللغة والنحو ، والنية هذه المرة التعقيب على بحث فى علوم البلاغة .

ولعل علوم البلاغة أشد حاجة للبحث والدرس والتجديد من علمى اللغة والنحو . ذلك أن المتقدمين عنوا بالنحو واللغة أكثر مما عنوا بعلوم البيان ، ووجد المتأخرون مجال البحث ممهدا فأكثروا من التأليف فى هذين العلمين ، وبخاصة علم النحو . أما علوم البلاغة فسبيل البحث فيها وعر شائك ، وليس فى استطاعة كل من تحدثه نفسه أن يقول فى البيان قولا ، لأن هذه الناحية من الدرس لا تحتاج إلى التحصيل وحده ، وإنما تعتمد إلى حد كبير على ذوق سليم ، وطبع مسعف .

ولقد ظهرت الشكوى من الإهمال فى علوم البيان ، فى وقت مبكر جدا ، فوجدنا عبد القاهر الجرجانى يتحدث فى أكثر من موضع عن التقصير فى تحصيل هذه العلوم ، حتى ليقول : « لا ترى فى الدنيا علما قد جرى الأمر فيه بديئا وأخيرا على ما جرى عليه فى علم الفصاحة والبيان . . . فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كله رمزا ووحيا . . . وأما الأخير فهو أنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم فى شىء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه من غير أن يعرفوا له معنى إلا علم الفصاحة »[1] . « وجملة الأمر أنه إن قيل إنه ليس فى الدنيا علم قد عرض للناس فيه من فحش الغلط ، ومن قبيل التورط ، ومن الذهاب مع الظنون الفاسدة ، ما عرض لهم فى هذا الشأن ظننت أن لا يخشى على من يقوله الكذب »[2] .

ولم تكن الحال بعد عبد القاهر بأحسن منها قبله ، فهذا الإمام أبو يعقوب السكاكى يشكو مر الشكوى من أن علم البيان مع ماله « من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٥٠ مع بعض التصرف .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٨٢ .

علما لقى من الضيم ما لقى ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، [١] وإن كانت شكوى السكاكى تختلف عن شكوى الشيخ عبد القاهر ، فالإمام الجرجانى يشكو من غموض مسائل البيان عند المتقدمين ، ومن التقليد والجمود وعدم الغوص على معانى الأوائل عند المتأخرين ، ويتألم لما يظهر فى بحوث البيان من فحش الخطأ ، والذهاب مع الظنون الفاسدة ! وأما السكاكى فشكواه من تفرق مسائل البيان ، وأن أحدا لم يمهد لها قواعد ، ولم يرتب لها شواهد ، وكل مسألة من هذه المسائل ذاهبة فى مجاهل علم من العلوم ، علم تراه أيادى سبا ، فجزء حوته الدبور وجزء حوته الصبا ، [٢] .

وشمر السكاكى لضبط متفرقاته ذيله ، واستنهض فى استخلاصها من الأيدى رجله وخيله ، ومن قبله جهد عبد القاهر فى تخليص العلم من الظنون الفاسدة ، وبالغ فى الإبانة والتوضيح ، ولكن الشكوى ما برحت تظهر كلما تقدمنا مع العصور ، فقد عكف العلماء والمتعلمون على ما كتبه السكاكى يستظهرونه ، ويجادلون حول ألفاظه ، دون أن يفيدوا العلم بجديد ، مما دعا سعد الدين التفتازانى أن يقول فى مقدمة شرحه « المختصر » عن علم البيان : « وإن هذا الفن قد نضب اليوم ماؤه فصار جدالا بلا أثر ، وذهب رواؤه فعاد خلافا بلا ثمر » .

ولسنا اليوم فى حال أحسن من أى عهد من هذه العهود الثلاثة ، فيما يتعلق بهذه العلوم ، فقد تغيرت الدنيا ، وتقدمت الدراسات ، وثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن دراسة البلاغة على الطريقة المدرسية ، وتحصيلها على أنها قوانين جافة ، وقواعد مضبوطة ، لا يفيد هذه العلوم ، ولا يفيد طلابها ، ولا يمكن - بحال - أن يساعد على تنمية الملكة ، وتربية حاسة الإدراك . بل ربما كان له أثر عكسى ، كما هو الحال فيما نشاهده من أذواق المتعمقين فى دراسة كتب البلاغة السكاكية ، ومع كل هذا لا نزال مصرين على أن يقضى الطلاب أعمارهم فى استظهار طائفة كبيرة من التعريفات ، وعدد لا حصر له من التقسيمات التى لا طائل وراءها .

---

[١] مفتاح العلوم ص ١٧٨ .

[٢] المفتاح ص ١٧٩ .

وإذا كان لا بد من دراسة البلاغة فى دائرة علمية ، فنحن فى حاجة إلى من ينظر ، ويطيل النظر فى هذه الكتب القديمة ، ويعرضها لنا بأسلوب جديد ، وبطريقة جديدة أقرب إلى روح الفن ، وأعود بالفائدة على الراغبين ، وقد كنا قرأنا وسمعنا أن بعض من يعنى بهذه العلوم عازمون على تدوين أصول جديدة لها ، ولكنا لم نظفر بغير هذه الوعود .

ذكرت كل هذا ، وأنا أطالع فصلا فى مجلة المجمع العلمى العربى التى تصدر بدمشق ، كتبه الأستاذ الكبير أنيس المقدسى ، أحد أعضاء المجمع ، بعنوان « المسوّغات العقلية للبلاغة » . وهو بحث قيم ، فيه محاولة محمودة لضبط أنواع البديع ، ومباحث البيان ، تحت ضوابط عامة ترجع إلى أمور نفسية . ولا أشك فى أن الكاتب بذل فيه مجهوداً مشكورا ، وفتح بابا لو واصلنا السير فيه ربما وصلنا إلى عمل جليل رائع فى هذه العلوم ، ومن ضوابطه ـ مثلا ـ « العقل ينجذب عادة إلى غير المعتاد » ويتخذ هذه الخاصة وسيلة إلى معرفة سر الحسن فى الالتفات ، والقصر ، والتقديم ، والاستفهام ، ثم يبوب المحسنات البيانية (كذا) تبويبا منطقيا ـ وإن كنت أكره كلمة المنطق هنا ـ وهذا شىء لم يفعله القدماء ـ كما يقول ـ فيذكر هذه الأبواب (التواطؤ اللفظى) ، (التواطؤ المعنوى) ، (المغايرة) (الخروج عن المعتاد) ، (الإيحاء إلى غرض) ويدخل فى كل باب من هذه الأبواب فصولا من علم البيان ، وأخرى من علم البديع ، فمثلا يدخل فى باب التواطؤ المعنوى : التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، ومراعاة النظير ، وتجاهل العارف ... وهكذا .

ونحن مع العالم الفاضل فى أن القدماء لم يبوبوا هذه المباحث تبويبا منطقيا . ولعله يريد كما فعل ــ تبويبا نفسيا ، ولكننا نسجل هنا أن القدماء عللوا بعض الظواهر البيانية بأمور نفسية ، وهذا أمر شائع ، وواضح فى كتب الشيخ عبد القاهر ، وقد صرّف القول ، وأطال وأفاد فى بيان السر فى أن حسن التمثيل ؛ وراع ، وجل . وذكر عللا كلها ترجع إلى عواطف النفس وغرائزها ، وإنا لنجده يسجل أمراً من هذه الأمور فى أوائل كتابه أسرار البلاغة حين يعلل الحسن فى التجنيس فيقول عن صاحب التجنيس الرائع : « فقد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها »[1]

---

[١] أسرار البلاغة ص ٥

ثم إن واجب البحث العلمى يقتضينا أن ننبه هنا إلى أمور : —

١ — كنت أفضل أن يكون عنوان البحث (المسوغات النفسية) فهذه الأمور التى ذكرها ليست مما يكون حكم العقل واضحاً فيها ، وإنما هى ألصق بعواطف النفس وانفعالاتها .

٢ — تحدث فى فاتحة البحث عن إعراض أهل زماننا عن المحسنات البيانية ، وحسبانهم إياها من الطرق الرجعية ، وذكر أن البلاغة تحولت إلى منهج الصناعة المتكلفة منذ القرن الرابع ، فأصبح البديع غاية منشودة لذاتها ، وأن التشدد فى هذا أتى بفعل انعكاسى هدفه هدم الزخارف البديعية ، وملاحظتنا هنا أنه لم يفرق بين المحسنات البديعية ، والمباحث البيانية ، فالأولى - حقيقة - هى التى أثقلت البيان العربى ، وهى التى برم بها الشعراء والكتاب فى عصرنا ، بل فى عصر الدولة العباسية نفسها ، وليس ما وجه من النقد لأبى تمام بالأمر المجهول . أما المباحث البيانية من مجاز واستعارة وكناية ، فلا تزال تحتل من أدبنا بل ومن كل الآداب أسمى مكان ، وإنا لنرى كتاب الصحف يعمدون كثيراً إلى استعارات ومجازات تحتاج إلى تأمل طويل !

٣ — ذكر تعريفات تبعد كثيراً عما نعرفه فى اصطلاح البلاغيين ، بل إن بعضها لا وجه له فيما أعتقد ، فهو يذكر المجاز المرسل ، ويمثل له بقول الشاعر : « مررت على المروءة وهى تبكى » ، وهذا مجاز عقلى ، وما أظن أحداً جعله مجازا مرسلا ، ولا يقال هنا إنه أخطأ فى التمثيل فقط ، فإنه لم يذكر غير هذا المثال ، فكأنه يعرف بالمثال ، ويعرف التجريد بأنه (أن يخاطب الإنسان نفسه) وهذا فقط نوع واحد من أنواع كثيرة للتجريد ، وقد عرفه القدماء بقولهم : « هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فيها ، مبالغة لكمالها فيه ، وهو أقسام منها نحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها ...الخ» . وعرف الالتفات بأنه «الانتقال المفاجىء من صيغة إلى صيغة » ومثل له بقول الله تعالى : « قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » .

وفى تعريف الالتفات رأيان : رأى للسكاكى ، ورأى للجمهور ، ولا ينطبق تعريفه

هذا على واحد من الرأيين ، والالتفات عند الأقدمين هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم والخطاب والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، بشرط أن يكون التعبير الثانى على خلاف مقتضى الظاهر ، ولا يشترط السكاكى أن يكون قد عبر عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة ، أو يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل إلى الآخر ، بل يكتفى بأن يعبر عن المعنى ابتداء بطريق وكان من حقه أن يعبر عنه بآخر من هذه الثلاث. ولا ينطبق واحد من التعريفين على الآية ، ومجازها وقل أقيموا . . .

(٤) لم يظهر لى دخول بعض الأنواع فى ضوابطه ، فمثلا أدخل التورية تحت ضابط (التواطؤ اللفظى) ومثل بهذا البيت :

قالت وهبت لك السواك فقلت لا ولماكِ ، مالى حاجة بسواك

والذى سوغ دخول هذا المثال ما فيه من الجناس ، ولكن ليس بلازم فى التورية أن يكون فيها جناس . وهذه بعض أمثلتها (الرحمن على العرش استوى) . (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) وقول صلاح الدين الصفدى :

يا قلب صبرا على الفراق ولو روعت من تحب بالبين
وأنت يا دمع ان أبحت بما تخفيه وجداً سقطت من عينى

وكثير من أمثلة التورية بل أكثرها لاجناس فيه ، كما أدخل فى باب التواطؤ اللفظى (الطى والنشر) و (الجمع والتفريق) ، ولا أراهما داخلين فى هذا الباب ، وقد عرفه بقوله :

(أن تكون الألفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة ؛ سواء اختلفت فى المعنى أم لم تختلف) .

وأعود فأكرر أننا فى مسيس الحاجة إلى كثير من هذه الأبحاث ، ولعلنا — معاشر الأزهريين — لا نقف متفرجين ، بل علينا أن ندخل الميدان وإلا فاتتنا القافلة ؟

على العمارى

عقبة بن نافع

البطل الشهيد

حين انتصرت الجيوش الإسلامية على الدولة الرومانية لأول مرة فى مشارف الشام، ذعر الروم ذعرا شديدا، وأيقنوا بالخطر الداهم يفاجئهم من حيث لا يتوقعون، بينما ارتفعت الروح المعنوية للجيوش الظافرة، فاتجهت إلى مصر، وتقدم الجيش العربى إلى وادى النيل فأنقذه مما يتخبط فيه من عسف الرومان وجبروتهم، وانتشر لواء العدالة بقيام النظام الإسلامى فى مصر، وفاض نور الإسلام على وادى النيل، فأصبحت هذه البقعة من شمال إفريقية إحدى معاقله الحصينة، وتشرب أبناؤها روح الدين الجديد فاعتصموا بحبله، وحفظوا قرآنه، وتحدثوا بلغته، ولم يكن بد من التطلع إلى إفريقية لتنضم برجالها وحصونها إلى الدولة الإسلامية الناشئة، فاتجهت همة القائد الفاتح الحكيم عمرو بن العاص إليها فسار غربا إلى برقة وطرابلس فافتتحهما وترك بهما حامية عربية، وفى خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه توجه عامله وأخوه فى الرضاع عبد الله بن أبى سرح إلى إفريقية على رأس جيش عربى يبلغ عشرين ألف مقاتل، وقد انضم إليه عقبة بن نافع قائد حامية برقة، وخرج البربر والروم للقائهم فى جيش كثيف يزيد عن جيش الإسلام بما يقدر بمائة ألف مقاتل، ودارت معارك رهيبة صمد لها المسلمون رغم ضآلة العدد والعدد صمودا رهيبا، فدارت الدائرة على أعدائهم وأبلى عقبة فى هذه الملاحم بلاء حميدا، فتألق نجمه، وعد من قادة الإسلام البواسل، وحماته الميامين.

كان عقبة بن نافع شجاعاً مقداماً، وهو من كرام التابعين الذين أدركوا فضلاء الصحابة وأخذوا عنهم الورع والشجاعة والإيمان. وقد امتلأت جوانحه حمية وبسالة، وسحره ما أبداه أبطال الإسلام من فتوة وتضحية، فأعجب بعلى وخالد وأبى عبيدة وسعد، وآلى على نفسه أن يقوم بمثل ما قام به هؤلاء الأبطال ليعلى كلمة الله فى بلاد تكتنفها الغياهب ويلفها الظلام.

سار عقبة إلى برقة وأبلى أحسن البلاء فى جيش ابن أبى سرح ، وأخذ يتحرق شوقاً إلى لقاء الأعداء فى معارك حاسمة ، غير أن أمير المؤمنين عثمان كان يستشهد فى داره ، وتقع الفتنة بين المسلمين ، وتقوم الحروب الداخلية فيما بينهم ، ويتوقف طوفان الفتح ريثما تنجلى الغمة وتتحد الكلمة ، وعقبة فى حاميته كالأسد السجين ، فهو ببرقة يتوق إلى الحرية فى ميدان موقعة الكفاح حيث تصل السيوف وتموج الدماء .

وفى عهد معاوية تحقق ما يبتغيه ، فقد ولاه الخليفة القيادة وبعث إليه بعشرة آلاف مقاتل ليواصل الفتح ، فاندفع القائد الباسل بجنوده ونفث فيهم من روحه ، وتقدمهم فى كل موقعة ، وكان موضع الأسوة بمهارته العجيبة ونضاله المرير .

كان عقبة يقف بجيشه أمام الرومان والبربر معا ، والروم قوم متضلعون بفنون الحرب ، يعملون الحيلة ويرسمون الخطة ، والبرابرة معشر كفاح وجلاد ، فقد صهرتهم شمس الصحراء وتسلقوا الجبال واختبروا الآكام والصخور ، ونازلوا الوحوش فى أرباض ملتوية وأدغال كثيفة ، فهم أشبه بالعرب حماسة وقوة ، لولا أن إيمان المسلمين يدفعهم إلى المهالك ويحبب لهم الاستشهاد ، أضف إلى ذلك أن البرابرة أصحاب الصحراء يعلمون مخابئها ودروبها ، ويعتصمون بقللها وآكامها ، والعرب غرباء نازحون يجهلون ما يجهل الغريب فى أماكن لم تطأها قدمه أو يأته عنها حديث .

كانت الصعاب تكتنف الجيش الإسلامى من كل ناحية ، ولكن عقبة يستهين بما يعترضه منها ، فعليه أن يتغلب عليها باذلا جهده وفكره وحيلته ، ومن ثم فقد استبسل وجالد ومضى يشق البيد ويطوى المراحل وينكل بأعدائه الأشاوس حتى خاف محاربوه ، وذاق حلاوة النصر فى مطالع كفاحه ، فوثق به جنده ، وسيطر عليهم سيطرة الحازم البصير ، وعالج بالقوة ما يحدث من شقاق ، فأخذ الخونة بالجزاء الصارم ليكونوا عبرة بالغة لمن يظهرون الإخلاص فى الوجوه ، ويبطنون البغضاء فى القلوب .

تقدم عقبة بأبطاله فأحرز النصر والنجاح ، ثم عمد إلى أجمة عظيمة تسكنها السباع والأفاعى ، ويرهب البربر وحوشها الكاسرة وهوامها المؤذية ، فأزال أحراشها وأعمل الرماح والسيوف فى حيواناتها ففرت هائمة تتلمس النجاة ، ثم ابتنى فوقها مدينة القيروان . ورأى البربر كتائب الوحوش تفر هاربة من الغزاة الظافرين ، فزادت رهبتهم وعدوا ذلك انتصاراً حاسما

للإسلام تؤيده السماء ، فأذعن الكثيرون لدين الله ، وهبوا يساعدون فى بناء القيروان ، فشيدوا داراً للإمارة ومسجداً للصلاة وبيتاً للناس . وفى مدة يسيرة أصبحت حاضرة العرب فى إفريقية تتجاوب آفاقها بالأذان وترتل فى جوانبها آيات القرآن الحكيم .

واصل القائد المغوار زحفه وفتوحه ، ولكن النبأ يأتى بعزله رغم انتصاره الساحق ومجده العظيم ، فاكتأب البطل أسفا وحسرة إذ حيل بينه وبين أمانيه ، وضاعف شجونه أن القائد الجديد أبا المهاجر لم يرع له مكانته ، فلم يطق صبراً على ما يرى ويسمع ، وسار إلى دمشق فأبلغ معاوية ما لحقه من تنقص واستخفاف . ومكث فى عاصمة الخلافة ينتظر عودته إلى القيادة وفى قلبه أمل بارق ، يود أن يتحقق عن قريب .

كان أبو المهاجر ينتهج سياسة المسالمة والأمان ، ورأى الملاينة سبيلا ناجحة إلى تجمع القلوب وتآلف النفوس ، فصانع البربر ، حتى أمنوا جانبه . واعتنق رئيسهم (كسيلة بن لمزم) الإسلام فجامله أبو المهاجر وشفّعه واجتباه ، ثم تقدم قليلا إلى الغرب دون أن يحرز فتحا مبينا ، والجيوش العربية لهيفة تتطلع إلى قائد مغامر يطير بها من نصر إلى نصر ، ويعيد إليها أمجاد عقبة وفتوحه الخالدات .

ولم ترض الأقدار للبطل الأعزل أن ينأى عن مسارح كفاحه وميادين فتوحه ، فمات معاوية وأعاده يزيد إلى مكانه من القيادة ، فاستقبله الجنود استقبالا رائعا ، ورجع البطل إلى مضماره الفسيح ، والأمل يفسح له الرغائب وينير فى عينه الحياة . ولم ينس ما فعله به أبو المهاجر فكال له صاعا بصاع وأوثقه فى الأغلال وحمله مكبلا مع جيشه الفاتح ليرى بعينه انتصاراته الباسلة ، فيتحرق فى قيده لهفة وخذلانا . وليت عقبة قد قابل السيئة بالحسنة ، فيسجل له الدهر مكرمة جديدة إلى مكارمه الرائعات !!

وقد استخلف زهير بن قيس على القيروان ، وتقدم بجنوده وأبطاله يخوض المعارك الدامية ويقتحم الحصون والآكام .

وكان حر الهجير يحرق الجلود ويرمض الأحشاء ، وعوائق الطبيعة من جبال ورياح ومضايق تجثم بأهوالها فى الطريق ، والأعداء يتجمعون وراء الكثبان والهضاب ، والوحوش المتنمرة تتربص مع البربر ، هول ورهبة فى كل مكان ! وموت يفغر فاه فى كل منعطف وواد !

ولكن البطل يستهزىء بالخطوب ويرسم للفتح خططا محكمة ، فيهجم على « باغاية » ويمزق ما بها من البربر والروم ، ثم يطير إلى بلاد « الزاب » فتسقط « إربة » منكسرة خاشعة تحت أقدامه ، ويفر جنودها إلى الهضاب والتلال بعد تلاحم رهيب ، وتأخذ عقبة النشوة فيندفع إلى (طنجة) ويستقبله قائدها مصالحا مسالما بعد أن أفزعه الرعب وتحقق الكارثة الدامية لمن هم بمكابرة وعصيان ، ويتقدم الجيش ليرى فى بلاد (السوس) برابرة كالوحوش الضارية حفاة عراة يرسلون الضفائر ويتسربلون بالجلود ويرسلون الصرخات المنكرة فى آذان لم تسمع من قبل زمجرة الوحوش من أفواه الآدميين ، وتدور المعارك فيتساقط الصرعى من الجانبين ، ويتلاحق الطوفان البربرى من كل صوب ، ولكن القائد يتقدم ويرمى بنفسه تحت الظبا والأسنة المشرعة ، والنبال المنهمرة كالسيل ، وجنوده من ورائه لا يحفلون بشهيد يسقط ، أوجواد يكبو ، ويأذن الله بالنصر لدينه ، فتنحسر الجموع المتراكمة ، وتتفرق الوحوش الواثبة ، وترفرف راية الإسلام ، ويندفع البطل إلى الأمام حتى يبلغ المحيط الزاخر تتلاطم أمواجه وتهدر أواذيه ، فيقذف بجواده إلى الماء حتى يبلغ صدره ويرفع يديه إلى السماء ليقول فى بسالة وإعذار : « اللهم إنى أشهدك ألا مجاز للخيول فى هذا الماء ، ولو وجدت مجازا لجزت إلى الغرب فى سبيل الله ! ! » ، قوة وإيمان تملآن روح هذا البطل المغامر الطموح ؟ !

لقد توغل فى المهامه الشاسعة والمطارح المجهولة إلى مدى لم يخطر بذهن من الأذهان ، وها هو ذا يرجع أدراجه ظافراً إلى القيروان وقد اعتقد أن الطريق ممهدة ذلول والأوبة هينة مسالمة ، ولكن الروم والبرابرة يتحرشون من جديد ، وكلاهما فى حزن ممض وألم دفين ؛ فالروم يلتاعون لملك فقدوه ، وعدو قوى يستهين بالصعاب ، والبرابرة قد خضعوا خضوعاً منكرا لزعيمهم « كسيلة بن لمزم » ، وقد اعتنق الإسلام وشايع أبا المهاجر ثم نكل به عقبة حين رجع إلى القيادة فاستذله فى قومه بعد عزة — وهذا خطأ كبير — وبالغ فى تحقيره فأجبره على سلخ الشياه وغسل القدور ، وثارت ثائرته وهو السيد المطاع ، فاندفع إلى محالفة الرومان ونبذ الإسلام مما يتوقع حدوثه من كل متكبر طموح ! !

أجل لقد دبر البربر والروم مكيدة أثيمة للجيش الظافر ، ووقف الروم أولا أمام عقبة ، فتوجه سريعا إليهم ببقايا جيشه ، ولم يكن يعلم أن البربر سيهاجمونه من الخلف بقيادة « كسيلة » ! !

فما لبث أن وجد نفسه بين المطرقة والسندان حين يطبقون برماحهم وخيولهم من حيث يأمن ، وكان أبو المهاجر العظيم لايزال مكبلا بالأغلال ، فثارت حمية الإسلام فى نفسه وعز عليه أن يجد أبناء دينه ولغته يتساقطون كأوراق الشجر على الرمال ، فصرخ واستنجد بعقبة ليفك وثاقه فيقف مع أصحابه فى مأزقهم الكريه . واستجاب عقبة لندائه فأطلقه من إساره ، ونسى المسلمان النبيلان مابينهما من خصام ، فتقدما الصفوف معا فى بسالة وحمية ، والعدو يرعد ويبرق ، والقلة القليلة من الجنود يتهاوون شهيداً خلف شهيد ، ويخلف النصر هذه المرة وعده للغزاة الظافرين ، فيستشهد أبو المهاجر فى معركة حمراء بعد أن ضرب المثل الأعلى للحمية العاقلة والرجولة المترفعة عن النزوات والمآرب ! ! ويتبعه عقبة فيظفر بالشهادة هو الآخر بعد أن بذل المدخر المكنون من حيلته الحربية وقوته وشجاعة أبطاله ، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ! ! فهنيئا للبررة المخلصين ! !

لقد أعاد عقبة بجهاده فى إفريقية أمجاد خالد فى اليرموك ، وسعد بالقادسية ، فهو لا يقل بسالة وتضحية عن هذا وذاك . بل إنهما - كما قال الأستاذ محمود الخفيف فى بعض أعداد الرسالة - كانا يحاربان أقواما مترفين حطمتهم الملاذ ووقع التخاذل بينهم ، وليسوا كالبربر شكيمة ووحشية وقلة مبالاة ، وكان المسلمون فى الصدر الأول متحدى الكلمة متفقى الرأى ، فقد اشترى الله أموالهم وأنفسهم بالجنة ، وروح محمد صلى الله عليه وسلم لا تزال تغمرهم بسموها الرفيع ، فتصعد بهم إلى عليين ، أما عقبة فقد مثل دوره بعد تفرق الكلمة فى مقتل عثمان وقيام التطاحن فى خلافة على ، وتمزيق الوحدة بتعدد الفرق وتنازع الأهواء ! !

وإن بطلا ينتصر بجنوده القليلين مع هذه الموانع لجدير بالمحمدة والتبجيل . ويكفى أن اسمه اللامع يأتلق إلى اليوم بأحرف من ضياء فى سجل الشهداء من الفاتحين ، وتلك عليا مراتب الكمال ؟

محمد رجب البيومى



يوم الفرقان

دار الزمان دورته ، فعاد بنا إلى مواجهة أعظم ذكرى فى تاريخ الإنسانية لوقوف الحق فى وجه الباطل ، وضربه المثل الأعلى لما يجب للحق على أهل الحق ، وبذلك كان (يوم بدر) يوم الفرقان ، لأن الله قد فرق فيه — بأيدى المسلمين الاولين — بين الباطل الذى كانت عليه الدنيا كلها ، وبين الحق الذى كانت عليه تلك القلة من أوليائه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فغدا هذا الرعيل الأول من طليعة الإسلام قدوة لكل جيل من الأجيال الإسلامية فيما يجب أن يكون عليه موقفهم من الحق ، كلما تمرد الباطل عليه ، وأنكر أن تكون الغلبة له ، والسيادة لأهله .

كان الرعيل الأول قدوة لنا بإقامتهم الحق على أنفسهم ، فكانوا أهل حق فى كل ما يختلف فيه الحق والباطل من منافعهم الشخصية ، وأهوائهم الإنسانية . وكانوا يكونون مع الحق ولو كان على أنفسهم ، أو على من هم أعز عليهم من أنفسهم من آباء وبنين .

وكان الرعيل الأول قدوة لنا فى إقامة الحق فى بيئتهم ، فكانوا يضنون بها أن يظهر فيها الباطل على الحق فيما يتعامل به الناس ، أو يتعاونون عليه ، أو يحتكمون فيه إلى حكامهم وقضاتهم .

وكان ذلك الرعيل قدوة لنا فى إقامة الحق فى الأرض ، فيبذلون كرائم أموالهم ، وفلذات أكبادهم ، وقطرات دمائهم ، ليمنعوا المبطلين من أن يرسخ باطلهم فى بقعة استطاع ذلك الرعيل الأول أن يطهرها منهم ومن باطلهم .

الحقيقة العظمى التى قررها (يوم الفرقان) فى بدر ، هى أن الباطل « فتنة » ، وأن الحق لا يكفى فيه أن يقوم به أهله فى أنفسهم ، بل يجب أن يضربوا أيضا على يد الباطل « حتى لا تكون فتنة » ، وأى فتنة أفدح من أن تكون للباطل سيادة تظهره حيث كان يجب أن ينفرد الحق بالظهور ؟

فهذه الحقيقة لم يكتف الرعيل الأول من أئمتنا وقدوتنا الذين ضربوا لنا المثل الأعلى

فى بدر أن يقيموها بأنفسهم ، بل مثلوها بدمائهم على مسرح النضال بين حقهم وباطل من يليهم من المبطلين ، فأقرهم الله سبحانه على عملهم ، وأنزل فى مثل هذه الأيام من رمضان وحيا جعل ذلك دينا لنا لا يتم ديننا إلا بالعمل به ، ثم وعدنا — ولا يكذب وعد الله — بأننا إذا عملنا به كان (جل جلاله) مولى لنا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

سأل عوف بن الحارث سيد الهداة وأعظم المرسلين فقال له : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟

وكان هذا السؤال فى يوم هذه الذكرى ، أى يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان . فأجابه معلم الناس الخير :

« يضحك الرب من عبده غمسه يده فى العدو حاسرا » .

وكانت على جسم عوف بن الحارث درع سابغة أعدها ليوم الفرقان ، فاقتنع بأنها تثقل جولته على الباطل فى سبيل الحق ، وأنها لا ترد عنه قضاء الله إذا نزل . فنزع درعه ، وألقاها وراءه ، وأخذ سيفه المبارك فقاتل حتى لقى ربه شهيدا سعيدا مذكوراً على ألسنة الأجيال فى أربعة عشر قرنا وأمثالها بعدها إلى يوم البعث الأكبر . ولو أن أغنى أغنياء الأرض أنفقوا كل ما فى الأرض من ذهب وفضة لتذكرهم الإنسانية بالخير ذكرى خالدة عشرات القرون كما تذكر أهل بدر لباءوا بالفشل والخزى .

ولما التقى الجمعان ، فى يوم الفرقان ، لم يكن الصراع بينهما صراعاً بين قريش ومجاهدى المدينة من المهاجرين والأنصار . ولكنه كان صراعا مع الباطل فى كل مكان : فى فارس ، فى مصر ، فى روما ، فى القسطنطينية . وإنما كانت قريش تمثل أهل الباطل فى الدفاع عنه ليبق « فتنة » على الأرض تشكك بنى الإنسان فى « الحق » وما يقضى به . وقد يكون فى صفوف قريش من يتفاوتون فى حماستهم للباطل ، بل قد يكون فيهم من يكرهون الباطل فى ذات أنفسهم ، ومن هؤلاء ـ مثلا ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان ابنه (أبو حذيفة) فى صفوف أهل الحق ، وكان الأب مع الآخرين ، لا تعصباً لباطلهم ولكن خجلا من أن لا يكون مع طبقته من وجهاء قريش وأشرافها ، وهذا « الحياء فى الحق » ضعف ، ورسالة الإسلام كما جاءت لإقامة الحق ، جاءت كذلك لإلغاء الحياء فيه .

إن « يوم الفرقان » لم يكن معركة حربية ، ولا خلافا على ما يختلف عليه الناس من متاع الحياة الدنيا ، ولكن كان إعلانا لمبادىء إنسانية ، وتثبيتاً للقواعد التى تقوم عليها تلك المبادىء .

« الحق » أمنية الإنسانية منذ وجدت ، ولن تكون للإنسانية أمنية أسمى وأعز من « الحق » حتى تقوم الساعة . والإسلام رسالة الحق المطلق كما تفهمه أصفى العقول وأنقاها وأنضجها وأطهرها ، وكل من أقام حقا فى الأرض فهو مسلم بقدر ما يقيم من حق ، فإذا أقام الحق كله كان المسلم الكامل .

ويوم بدر ، يوم الفرقان ، يوم ١٧ رمضان ، هو يوم تقرير الحق ، وأخذ العهد على نصرته ، (حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) . فإذا جددتم - يا إخوانى المسلمين - عهدكم مع الله على إقامة الحق إحياء لهذه الذكرى واقتداء بما كان عليه الرعيل الأول من أهلها (فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير) .

محب الدين الخطيب

المسلمون فى كفاحهم

المسلمون على جهالة بعضهم عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيبلغون مدى العواطف نوما أم يدركون سنا البروق جلوسا ؟
ليس الذى لبس السلاح كعاجز جعل التهيب والنكول لبوسا
لو ضن معتنق الحتوف بنفسه ما نال من دنيا الرجال نفيسا
العزم منطلق لعزمك واسع فاربأ بنفسك أن تكون حبيسا

أحمد محرم

شخصية الأزهر

في يوم الأربعاء ٢١ من رجب سنة ١٣٧٤ (١٦ مارس سنة ١٩٥٥) ألقى السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر المحاضرة التالية بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر :

* * *

حديثنا عن الأزهر لا يعدو أن يكون استذكاراً لصفحة تاريخية . ولهذا يبدو أنه حديث غير جديد ، وبخاصة بين الأسرة الأزهرية ، فهى عارفة بما يتصل بأزهرها . والمتحدث إليها فى شأنه كناقل التمر إلى هجر . ولكنى أنتهز من وقتكم هذه الفترة لاستذكر معكم فيها فقرات من تاريخ الأزهر فى ماضيه ، وأقف معكم فى ضوئها أمام الأزهر فى حاضره ، ولنستشف من خلالها حياة يترقبها الأزهر فى مستقبله . وفى هذه الحلقات الثلاث دورة حيوية يجب أن نلم بها وإن لم نستوعبها ، ولعل فى ذلك الإلمام تذكرة لمن غفل ، بأننا السابقون إلى ما لم نسبق إليه ، ولعلنا نتمثل نحن الأزهريين أننا جبهة ذات شأن ، تحملت منذ القدم رسالة الإسلام إلى الأجيال ، وأنها مسئولة عن تلك الرسالة جماعة وأفراداً . وعسى أن نهتدى إلى الحق فنقول إجمالا ما لنا وما علينا إلا ما يغلبنا عليه النسيان .

سادتى :

منذ تركزت راية الإسلام على مدينة الفسطاط أخذت الثقافة المصرية تصطبغ بصبغة جديدة ، وغدا المصريون يتلون من آيات القرآن الكريم ، ويتناقلون من أحاديث الرسول وآداب العرب ما لم يكن يجرى بينهم على لسان ، وصارت الدعوة المحمدية تفسح خطاها فى البقاع المصرية وما حولها ، كما ينساب الهواء فى الوادى الرحيب ، وصار الروح الإسلامى بروعته وحيويته يتغلغل فى الأنفس والقلوب ، كما يتغلغل ماء الحياة فى العود الرطب .

ذلك لأن القائمين على تبليغ الدعوة كانوا مؤمنين بها أصدق الإيمان ، مخلصين لها أكمل الإخلاص ، وبفضلهم قامت للإسلام فى مصر دولة فتية ، كما قامت فى نواح أخرى من الأمصار العربية ، غير أن مصر فيما يبدو كانت أكثر طواعية للإسلام ، لأن طبيعة المصريين

أساس من سواها وبخاصة حينما تتذوق الحق فيما تدعى إليه ، ولأن المصريين أهل علم وحضارة من قبل ، فهم بحكم وراثتهم يتوقون إلى العلم ، ويتشوفون إلى الحضارة . فلم يكن غريبا أن تبدو فيهم طواعية الإسلام أكثر من سواهم ، لأن الإسلام فى جوهره ومظهره وفى جملته وتفصيله ، علم وحضارة ، فهو يتجاوب مع الروح المصرى فى غير جهد ولا تكلف . ثم إلى جانب هذا كانت مصر — ولا تزال — بحسن موقعها ، وكثرة خيراتها ، تستهوى الفاتحين ، وتجتذب العلماء والرحال ، وبذلك ظلت فى عصرها الإسلامى بيئة علم ودين ، ومعرض تجارة ، ومسرح سياسة ، وبلاد أضياف ، حتى كأنها وطن مشترك بين أهلها وغير أهلها من أبناء الأقطار ، واقتضى هذا الاتصال أن تماوج بالثقافة الإسلامية ، يحملها إلى مصر رجال يغدون ويروحون ، ويتلقفها منهم مصريون يلتقون بهم حينما استقروا ، وأصبحت تلك الموجات الثقافية بحاجة إلى أن تتأقلم فى مصر ، وتتجمع فى محيط واحد ، يلم شعثها المتفرق ، ويشع من برجه ضوؤها فى جنبات هذا الوادى وما يتصل به من الأقطار . وبإنشاء موطن للثقافة ، تصبح مصر بعد مكة والمدينة مركزا ثالثا للدعوة الإسلامية .

ولعل مصر لخصوبتها وعذوبة نيلها وصفاء جوها وسهولة السفر إليها ، ولسماحة أهلها ، تكون أيسر مقاما على من يرابط فيها إلى جانب العلم حتى يتعلم .

سادتى :

كانت هـــذه الأمنية جديرة أن تتحقق منذ دخلها المسلمون العرب ، ولكن الحياة الاجتماعية فى الآونة الأولى لم تكن تتسع لهذه المنشأة ، ضرورة أن الحضارة الإسلامية كانت وليدة لم تبلغ بهم أن ينشئوا دورا للعلم ، على نحو ما عهدناه بعد ، ولما اتسع الأفق الإسلامى فى مدى القرون الثلاثة الأولى ، وأصبح من المسلمين رعيل ضخم فى بلاد المغرب ، وتفتحت أعين هذا الرعيل إلى بسط نفوذه ، ومد سلطانه ، وتأصيل حكمه ، لم يتردد هذا الرعيل فى أن مصر هى ملتقى رغباته ، ومهبط أمانيه ، وهى الوطن الذى يستحق أن يستوطن ، والمعقل الذى ينبغى أن يعسكر فيه ، وإذ تحقق لهؤلاء الفاطميين أن يتحركوا من المغرب ، ويدخلوا مصر ، ويجلسوا على أريكتها ، كان الخاطر الأول الذى استأثر بعنايتهم ، هو أن يقيموا للعلم داره ، ويرفعوا له فى مصر مناره ، وأن يجعلوا فاتحة عهدهم ، وأبرز مآثرهم ، إنشاء الجامع الأزهر .

ومن وقتنا هـذا فى منتصف القرن الرابع الهجرى أصبح فى مصر أسبق جامعة علمية إسلامية ، وانعقد بمصر فصل جـديد فى تاريخ الثقافات فى الدنيا ، تحت عنوان : الجـامع الأزهر ، وغدا لمصر فخر جديد لا يزاحمها فيه مزاحم ، وهو أنها بلد الجامع الأزهر .

نعم حسب الفاطميون أن مجدهم بالأزهر ، ومجد الأزهر فى مصر ، سيكونان من طريق المذاهب الشيعية ، فإن حياة هؤلاء كانت كلها ولا تزال ملونة باللون الفاطمى ، حتى اختاروا أن يشتقوا للأزهر اسمه من اسم فاطمة الزهراء بنت النبى محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ورضى الله عنها ـ ليـكون الأزهر باسمه وبدراسته أداة الوصل بينهم وبين السيدة فاطمة ، ولـكن الله أراد لمصر خيرا مما أرادوا ، فساق إليها صـلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٧ هجرية ، فقلب الأوضاع ، إلى أصح وجوهها ، وأحـل المذاهب الأربعة محل المذاهب الشيعية ، وأنشأ فى القاهرة مدارس كانت كأجنحة للأزهر ، ثم جاء الظاهر بيبرس فضم تلك الفروع إلى الأزهر ، وأصبح الأزهر على رأس الطريق التى ينبغى أن يسلـكها المسلمون ، وجعله عصبا قويا بين مواطن الإسلام كلها ، وبين الجماعات والوحـدات الإسلامية المنبثة فى الأقطار ، والتى تستظل بـكتاب الله وبالسنة النبوية الصحيحة ، والتى لا تجنح إلى الشقاق والخلف . وبهذا التوجيه أصبح الأزهر متصفا بالمعنى الحقيق لهذا العنوان الجميل ، لا بالمعنى النسبى الضيق الذى كان يتقيد به فى عرف الفاطميين .

سـادتى :

تجمعت الثقافات الإسلامية فى مصر فى البقعة التى شاء الله لهـا أن تحمل اسم الأزهر ، وقد صدق فيها الأثر المشهور « إن لله خواص فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص » .

وكان من سنن المجتمع الإسلامى فى الشرق أن يتوافد النـاس على الأزهر فى مصر ، ليتعرفوا أحكام دينهم من مصدرها الوثيق ، ورسخ فى الأذهان حقا أن الأزهر مشرق من مشارق الهداية بعد مكة والمدينة ، وحفل الأزهر تباعا بالأجيال من الناشئة الإسـلامية ، يقضون مرحلة من أعمارهم بين جنباته عاكفين على الجهاد العلمى ، حتى كان لهذه الحياة العلمية دوى فى آفاق الدنيا .

وكانت جلجلة الأزهر نافذة إلى قصور الملوك ، يستمعون إليه ، ويخشعون له ويعلقون

عليه صادق الأمل فى إصلاح الراعى والرعية. ساعد على ذلك طابع شخصى عرف به علماء الأزهر وطلابه، طابع التدين الصحيح، والعزة النفسية، والشجاعة فى الحق، والأمانة فى تبليغ الدعوة، وكان طلاب الأزهر يحذون حذو أشياخهم فى هذه المحامد، ويتخيرون من الشيوخ من تتضح فيه تلك الميزات، ويحرصون على تقليده، وربما قلدوه فى الحركات والسكنات. وهذا لقوة الجاذبية الروحية بين الشيخ وطلابه، وذلك هو الرباط الأدبى الذى ينشده العلم الحديث بين المعلم والمتعلم، أو كما يسميه أهل التصوف قديما بين الشيخ ومريديه، وظلت سيرة الأزهر هنا وهناك كعبير المسك تفوح من جانب علمائه وطلابه من حسن مسلكهم بين أهليهم ومواطنيهم، وفيما يشهده الطلاب الأغراب بيننا وينقلونه عنا بعد العودة إلى ديارهم.

وإلى هنا نستطيع أن نقرر فى اطمئنان أن الأزهر فى الحقبة السابقة من ماضيه إلى الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٢ بذل نصيبا مشهودا من النشاط العلمى، وثابر فى القيام برسالته حتى أنتج وربى أجيالا ضخمة من الناس تربية محمودة، منذ كان وحده حامل المشعل الثقافى فى العصور المظلمة، فكان من حقه على المسلمين أن يظفر منهم بتقديره، وأن يحفوه بالإجلال والتكريم، وقد فعلوا، فالأزهر أدى إليهم رسالته، وهم عرفوا له فضله، وقدروا له مكانته، وسيد الأزهر نفسه، فسيده الناس طائعين شاكرين. ومثله كمثل الشاعر فى قوله:

وأكرم نفسى إننى إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فإذا دخلنا فى العهد العثمانى، وجدنا الأزهر يستقبل فترة من حياته، لا هى من التاريخ الأول الذى تحدثنا عنه، ولا من التاريخ الحاضر الذى سنعرض له.

فقد انتقلت الخلافة الإسلامية من مصر بعد بغداد، واستقرت فى القسطنطينية، وأصبحت مصر حلقة ثانية وراء الخلافة، ووقف الأزهر وقفة المترقب لما يكون من الخلفاء العثمانيين.

ولم تكن الدولة العثمانية دولة علم ولا فلسفة، ولم يكن لها طابع أدبى موروث، ولا حاولت أن تضفى على رقعتها الجغرافية لونا علمياً خاصاً، كما كانت تحاول دولة الفاطميين مثلا، بل كانت وجهتها فى مصر وجهة استغلال مادى، وسيطرة عسكرية غاشمة، وسياسات

متأرجحة بين السكون والاضطراب ، وبقى الأزهر فى عهد الأتراك حاملا رسالته وحده ، دون أن يجد من الخلافة مؤازرة جدية ، تشق له طريقاً أفسح من طريقه الأولى فى المضمار العلمى ، ولكنه لم يسأم ولم يطو صفحته ، بل عرف كيف يحرص فى أناة وصبر على ثروة علمية ، كونها فى قرون سالفة ، وكيف يحرص على مجد أدبى ظفرت به مصر دون سواها من الامصار .

ونستطيع أن نتخطى هذه المرحلة الجامدة لمن يشاء الرجوع إليها فى تاريخ الحكم التركى وما وراءه من ذيول حكم محمد على وأسرته ، فقد يطول بنا ذلك ، دون حاجة إلى تفصيله .

وننتقل من ماضى الأزهر كله إلى حاضره الذى نشهده ونعيش فيه ، وهو الموقف الذى نقصد إليه ، ونود أن نتآزر فى الإحاطة به ، حتى نقف بالأزهر على باب مستقبل ملحوظ مرتقب .

سادتى :

لا يزال المسلمون على عهدهم بالأزهر ، أنه حصن الدين ، ومصدر الإرشاد ، ومعقل الوطنية الرزينة الصادقة ، ولا يزال الازهر حفيظاً على عهد المسلمين به ، ولكنه يحس فى نفسه بأنه يلاقى فى تبليغ رسالته شيئاً من العسر ، لم يكن يحس به من قبل ذلك ، لان حوله عوامل تقتضيه أن ينشط أكثر مما كان ، وهو يود فى شغف أن يستجيب لتلك العوامل دون أن يتعثر ، وحوله معوقات تحاول التضييق عليه ، وتحاول أن تحمل الناس على التنكر له ، والاستهانة بما يقوم به فى سبيل التهذيب والإصلاح .

وهو بين العوامل الأولى والمعوقات الثانية يجاهد وينصب فى جهاده . فما هى العوامل التى تحفز الأزهر على الجد والتحليق فى أفق أوسع من أفقه الاول ؟

ثم ما هى المعوقات التى يضيق بها الأزهر ويراها دخيلة عليه من حيث يفطن الأزهريون أولا يفطنون ؟

(ا) العوامل :

١ — كان الأزهر وحده مركز الثقافة فى مصر قديما ، ثم ما زال التعليم يتنوع ويتسع لدينا حتى أصبح الأزهر ركنا من أركان المركز الثقافى الفسيح ، وأصبح لزاما عليه

أن يجدد من شبابه العلمى ، وأن يمزج ثقافته الدينية بالثقافات التى لا يأباها الدين ، بل لعلها شطر جوهرى من أهداف الإسلام ، ولعل الأخذ بها ولو إجمالا يساعد الأزهر على إقناع الناس بأن الدين أسبق إلى احتضان العلم كله ، وبأنه دفع أهله نحو الطموح إلى الثقافات قديمها وحديثها ، لأن الإسلام هو المنهج الصحيح للتطور فى العقلية ، وفى مناحى الحياة الاجتماعية والأدبية ، فقعود الأزهر عن مسايرة النهضة يعتبر تنحياً عن قيادته التى حمل رايتها من فجر التاريخ .

وها هو ذا الأزهر - فيما نراه ويراه الناس - متنبه إلى ذلك ، وآخذ بحظه من النشاط المطلوب ، وفيه دراسات لمختلف العلوم ، وفيه برامج للتربية البدنية ، وله بعوث فى الغرب تنقل إليه ما يحتاجه من العلوم الحديثة ، وله بعوث أخرى فى الأقطار الإسلامية ، تبلغ رسالته ، وتقاوم الجهالة فى المحيط الإسلامى ، وفيه نخبة كريمة من حضرات المفتشين والمدرسين المثقفين ثقافة مدنية ، وهم يعتبرون عنصراً فعالا فى تلقيح الثقافة الدينية بالثقافة المدنية ، وتعتبر هذه النخبة أداة وصل بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم ، وعضداً قويا فى العمل معنا بإدارة الأزهر . ولهم من خلقهم وإخلاصهم وكفايتهم وتدينهم ما يكسبهم ثناءنا وشكرنا ، وحسبنا منهم أنهم معنا فى جد وإخلاص ، وحسبهم أنهم منا كأنفسنا .

٢ — عاش الأزهر صادق الوطنية ، ولكنه أخيرا فى ظل الحكومات الحزبية ، كان يضطرب كغيره من معاهد العلم ، وكانت تموج فيه الدعايات المختلفة ، فتشغل بعض أهله عن رسالتهم الأصلية ، فيما يبتغيه بعض الأحزاب إزاء البعض ، وكان الأزهر فى مجموعه مغلوباً على أمره ، وكانت الأكثرية من رجاله وأبنائه يربأون بأنفسهم وبأزهرهم عن هذه المغامرات . ولكنهم مأخوذون بذنب القلة منهم ، وهم يتطلعون إلى فرجة من هذه الضائقة ، ولسانهم يقول :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقد كان الله للأزهر إذ وصلته عناية الله أخيراً بعهد أغر ، فى ظل حكومة وطنية وهى حكومة مثالية ، فيما يشهد التاريخ المصرى ، إذ تتألف من كتلة متجانسة البيئة متجاوبة الميول ، فكلهم من البيوتات المصرية الصميمة التى برئت من الشوائب الدخيلة ، والتى نشأت أسرها فى أحضان الدين ، وشبت على التقاليد الوطنية ، وليسوا من سلالة الباشاوات الأتراك ...

حكومة اليوم تدين بإجلال الأزهر ، وتنظر إليه نظرة الثقة فيه ، والرغبة فى الانتفاع به ، وتتخذ منه عونا كبيراً فى إصلاح مافسد من الأخلاق ، وإحياء مادرس من روح التدين ، وهى لا تدفع بالأزهر إلى حزبية ، فقد بادت الحزبية ، وتكتلت الامة ، وإنما تهيب بالأزهر أن يجهر بدعوته الخيرة ، وأن يكون للرسالة المنوطة به ، وأن يرافق الثورة فى خطاها الفسيحة إلى كل غاية نبيلة ينشدها الإسلام من أهله فى العمل لوطنهم ودينهم ودنياهم .

وحكومة الثورة مصغية إلى توجيهات الأزهر فى غير عصبية طائفية ، ولا تحامل عنصرى ، والأزهر من ناحيته يدرك فى حزم ما يتطلبه الاتجاه الحكومى الجديد ، وما يتجه إليه النشاط الاجتماعى المتحفز . وهو يفطن إلى تعلق الرجاء به ، واتجاه الانظار إليه ، وهو - بما يبدى من نشاط نحو واجبه - جدير بتدارك مافاته فى عصر الحكومات الحزبية ويكون - بنشاطه العلمى وبحسن إنتاجه - برهن على مقدار نفعه ، وأوضح مدى الحاجة إليه ، ونبه الغافلين عن رسالته إلى أن الأزهر ضرورة حيوية لمصر ، وعصب قوى للامم الإسلامية جميعا .

٣ — إن الازهريين يرون بأعينهم أن كل جماعة من الجماعات المصرية تعمل على تكوين شخصيتها فى هيئة متماسكة يجمعها شعور عائلى ، ويربطها حب أخوى ، ويسودها الاهتمام بأن تكون فى طليعة الجماعات . وصحت هذه الظاهرة حتى فى الجماعات التى نعتبرها دون غيرها ، فإذا لاحظنا أن القضاة والأطباء والمهندسين والمعلمين والموظفين والمحامين والصحفيين والصيادلة وغير هؤلاء من الهيئات المحترمة قد انتظمت كل واحدة منها فى وحدة تسمى رابطة ، أو نقابة ، أو جمعية أو ناديا ، فإنا نلحظ كذلك أن المطربين والممثلين ومن هم دون ذلك ممن يسمون أهل الفن يخلقون لانفسهم شخصية ، ويفرضون على الشعب أن يعترف بهم ، وبأنهم يسدون فراغاً فى المجتمع ، فإذا كان هذا مسلما وأمراً واقعا ، فالازهريون - وهم الدعاة إلى الاتحاد والتضامن ، وهم بيئة واحدة فى ثقافتها وطابعها الدينى - أولى الناس بأن يكونوا قدوة هذه الجماعات فى التعاطف وتبادل الشعور الأخوى ، والتآزر فى اجتذاب الناس إلى ناحية الدين ، بالمظهر الصادق الذى كان يتعارفه الناس عنهم ، وبالبعد عما يثير الشبهة فيهم ، ويستفز الألسن حولهم ، وإنى لمسىء فى هذا ، إذ أرشد أهل الازهر إلى خصائصهم ، ولكنه التعاون على البر والتقوى ، أو هى الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

هذه إلمامة بالعوامل الإيجابية التي تهيب بالأزهر أن يحتفظ بأزهريته الماجدة .

وحينذاك يطيب لهم أن يقولوا في صدق :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

تلك عوامل النهوض . فما هي المعوقات التي يضيق بها الأزهر ؟ وما أحب أن أطيل فيها ، وحسبك من شر سماعه .

أولا : ان نفرا من بيننا لا يؤمنون بشخصيتهم ، ولا بقدسية الأزهر ، ولا أشربوا تقاليده ، ومع أنهم عاشوا بين جوانبه ، فقد تلونوا بألوان غيرهم ، وخرجوا عن وضعهم ، بعد أن اتخذوا من الأزهر شهادة مرور ليصلوا بها إلى العمل ، ثم لا ترى في مشربهم الأدبي ولا في طابعهم الشخصي أثرا للثقافة الدينية التي انتزعوا من الأزهر شهادتها ، وكأن هؤلاء ينكرون أنفسهم ، أو يتنكرون للناس ، فلا هم في عداد الأزهريين حقا ، ولا هم من طبقة غير طبقة الأزهريين . هم أشبه بالمتنكر لنسبه ، وقد لعن النبي من انتسب لغير أبيه ، وعندي أن الأزهري المنسلخ من قوميته الأزهرية المهذبة ليس أقل شؤماً على نفسه من المنتسب لغير أبيه ؟

لقد أسرف بعض هؤلاء في التنكر للأزهر ، فسايروا الطاعنين عليه ، ورددوا غمزات الغامزين فيه من أصحاب الأهواء والملاحدة ، وزعموا أن هذا التجاوب مع خصوم الأزهر سبق إلى المدنية ، وأنها عبقرية قفزت بهم إلى الأمام ، فأنت تراهم في المجالس يجرحون العلماء والأزهر كله ويستثنون أنفسهم فقط ، وأنت ترى بعضهم حينما يصدر الأزهر حكمه في أمر ديني يتطاولون ويعلنون المخالفة فيما يراه الأزهر ، مع أنهم لم يبلغوا من العلم مبلغ المدرس الصالح للتدريس ، وإنما يبلبلون الرأى العام الذى لا يعرف شأن هؤلاء المخالفين بين صفوف العلماء ، وبهذا الانشقاق يتيحون الفرصة للمتحللين من الدين ، فيقولون عنا ما يرضيهم ، وأنتم تشهدون أن النقطة السوداء تشوه الثوب الأبيض كله .

ثانياً — في مصر بعض صحف ومجلات تتجر باسم صاحبة الجلالة ، وفي مصر كتاب يؤجرون أقلامهم في كل ما يطلب إليهم ، وتلك الصحف ، وهؤلاء الكتاب ، يتناولون الاجر من أية ناحية تمدهم بمالها ولو كانت غير إسلامية ، فلا يتحرجون أن ينصبوا أنفسهم دائما لخصومة الأزهر وللغض من أهل الأزهر ، ولا يتحرجون من الجهر بالدعوة إلى نبذ

الآداب الإسلامية ، والسير فى بحبوحة الملاذ ، ويسمون ذلك تجديدا وتحرراً من الجمود ، ومسايرة للعصر ، وفهما لروح الزمن ، ومساواة للمرأة بالرجل ، تحقيقاً للعدالة الاجتماعية ، وهكذا من أساليب الخداع المغرية للأحداث ، ويفرح بذلك من يفرحون فى مقاومة الإسلام ، وزعزعة العقيدة ، ومجافاة الشريعة التى وضعت حصانة للعقول من الضلال ، وهديا للناس إلى مسالك الخير فى دينهم ودنياهم ، وفى كل شأن من شئون المجتمع .

فإذا أنكر الأزهر على دعاة المجون هذه النزعة الخبيثة رموه بالعزلة والجمود ، ونازعوه رسالته ، وزعموا أنهم يفهمون الدين خيراً مما يفهمه الأزهر ، وأن الأزهر ليس وصيا على الناس . وإذا صاحت امرأة برزة بدعوة ماكرة ، آزرها هؤلاء الكتاب ، وروجوا لها ، وأحاطوا بها ليذودوا عنها بأقلامهم الآثمة ، ومن الغريب أن هؤلاء المناوئين للأزهر ، والناقمين على الآداب الإسلامية ، محسوبون علينا من المسلمين ، فى حين أنهم لا ينكرون منكراً آخر مهما جزعت له الإنسانية ، وأنهم لا يرون فى طائفة أخرى من يتبجح ويتنكر لدينه كما يتبجح ويتنكر هؤلاء من جنود صاحبة الجلالة الصحافة ، فالأزهر كان يبتغى أن يجد من هـــذه الأقلام عونا له على رسالته ، ولكن المادة جذبتهم إلى ناحيتها ، وليس فى الأزهر مال يسد أفواههم . فليكفروا وراء المادة ، وإن الله الذى عصف بالجلالة الملكية سيعصف يوما ما بالجلالة الصحفية التى تكيد لدينه ، وتناوىء كتابه الكريم ، وسنة الله آتية بغلبة الحق على الباطل . إن الباطل كان زهوقا .

يا أبناء الأزهر !!

أحسستم من جديد بأن عهد الثورة عهد التجديد فى كل شىء لصالح الوطن والدين والعلم ، فحذار أن تتخلفوا ، وحذار أن تطرحوا أزهريتكم قربانا إلى مظهر يغريكم ، بل استمدوا من حيوية الإسلام صلتكم بالعهد الجديد ، وكونوا بأخلاقكم وكرامتكم فى طليعة الصفوف ، ولا يصدكم أن تروا كثرة من الناس غير حفية بالمظهر الدينى ، فأنتم على الحق ، والحق أحق أن يتبع .

يا أبناء الأزهر :

كنتم حملة الراية قديما ، ولا زالت فى أيديكم ، وأعيذكم بالله أن تلقوها ، وفى الأزهر شباب يعرفون الكرامة .

يا أبناء الأزهر :

لو لم يكن للأزهر مجد قديم لوجب أن تصنعوا له مجدا جديدا ، وقد أصبحتم فى ظل حكومة تناجى الشباب أن يتسلح بالخلق ، وأن ينشط فى العلم ، ويعتصم بالدين ، ويعتز بالوطنية ، فكونوا أول المستجيبين لهذه الصيحة ، وأقنعوهم بأنكم عند ظنهم ، واتركوا السفاسف من الحركات الهازلة التى لم يعد لها شأن بعد أن انهارت الحزبية التى خدعتكم زمناً طويلا عن العلم وعن الجد فى رسالتكم .

وقد رأينا منكم فى معرض الشباب الجامعى نموذجا سارا ، وسمعنا عنكم أكرم الأنباء فى حفاظكم على الدين ، واجتذابكم الشباب إلى مواقف الصلاة فى موعدها . وبهذا الوفاء لدينكم ، والحرص على واجبكم وتقاليدكم ، سترفعون من شأن الأزهر ، وستحفظون عليه من كرامته وهيبته ما هو جدير به .

ولا تكونوا كأفراد نشأوا فى أحضانه ثم كانوا حربا عليه ، وكانوا سهاما فى فؤاده .

يا أبناء الأزهـــر

إذا كنتم للأزهر فى رجولتكم ، كما كان الأزهر لكم فى تنشئتكم وتربيتكم ، فستظل شخصيته ناهضة فى كبريائه ، وسيعتز بكم فى صولته على خصومه ، وسيرتد الملاحدة والمأجورون عن مناوأته يائسين من الطعن فيه .

وسيقولون عنه ما تقولونه أنتم .

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا ينال طويل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

غزوة الخندق

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

— ٣ —

فوجئت قريش والأحزاب بالخندق فوقفوا دونه ، ثم أرسلوا ليهود بنى قريظة يحرضونهم على أن ينقضوا العهد بينهم وبين محمد ﷺ فأفلح مسعاهم وأصبح المسلمون فى مأزق خطير . . .

كيف الخروج من هذا المأزق ؟

فى هذا الوقت العصيب كان رسول الله عليه الصلاة والسلام غارقا فى التفكير فى هذا الأمر ، ضارعا إلى الله عز وجل أن يكشف الغمة ، ويزيل الكرب .

كان المسلمون بين عدوين ، وكان أمام الرسول حلان كلاهما مر :

الحل الأول : أن يقاتل جميع الأعداء فى الجبهتين فى وقت واحد ، وهذا ما لم يكن فى مقدوره بالنسبة لقلة قوته .

والحل الثانى : أن يقاتل عدوا ثم يميل على الآخر بعده ، وهذا الحل كذلك لا غناء فيه ، فإن انصرافه ناحية إحدى الجبهات لم يكن من الحكمة فى شىء ، لأن ذلك يضعف مركزه فى الجبهة الثانية ، ويشجع عدوه على النيل منه .

فكر النبي صلى الله عليه وسلم فى كل ذلك ، وقدر الموقف ، وانتهى إلى ضرورة الأخذ بالحيلة والمكيدة . فأراد أن يرسل إلى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هى انسحبت ، ولكن سعد بن معاذ وسادة المدينة اعترضوا على ذلك على ما يقال .

ثم إن نعيم بن مسعود الغطفانى أسلم وكتم إسلامه ، وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم متخفيا فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فرنى بما شئت.

فقال الرسول : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً فلا يقوموا لنا ولا يستمروا على حربنا .

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة - وكان لهم نديما فى الجاهلية - فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا : صدقت . لست عندنا بمتهم فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم. فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه . فقالوا : لقد أشرت بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموه عنى . قالوا : نفعل .

قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه « إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . . . » فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال :

يا معشر غطفان ، إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهموننى .

قالوا : صدقت . ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل ، فما رأيك ؟

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر . فاغدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بمقاتلى محمد حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ، أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقه لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : انا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . وقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق . ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم .

وهكذا نجحت دعوة نعيم بين الاحزاب ، فخذل الله بينهم ، وبعث عليهم ريحا شديدة ، وهطل المطر غزيراً ، وقصف الرعد ولمع البرق ، واقتلعت العاصفة خيامهم وكفأت قدورهم ، وأطفأت نيرانهم وبعث الله الرعب فى نفوسهم ، فخيل إليهم أن المسلمين عبروا إليهم ليستأصلوهم ، فقام أبو سفيان ونادى للرحيل ، فقام خلفه رجاله . وهكذا فعلت غطفان وسائر الاحزاب ، وما أصبح الصبح إلا وليس لها من أثر .

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب :

كانت دعوة نعيم بن مسعود عملا بارعا حقا ، وأهم أسباب نجاحها هو التوفيق فى التوجيه ، والتوفيق فى اختيار الوقت المناسب ، فما نجحت دعوة قط برجل واحد نجاح هذه الدعوة ، ولا انتهزت فرصة العناصر الطبيعية والعناصر التى تتألف منها جماعة الأعداء كما انتهزت هذه الفرصة ، فكل كلمة قيلت لطائفة من طوائفهم فهى الكلمة التى ينبغى أن تقال فى الوقت الذى ينبغى أن تفعل فيه فعلها ، وهذه هى دعوة الإضعاف والتمزيق كأمضى ماتكون .

والدعاية فى الحرب الحديثة من أهم عوامل النصر ، ولم يكن اهتمام الدول المتحاربة بها أقل من اهتمامهم بإعداد السلاح .

ونحن نعلم مقدار ما أنفقته هذه الدول فى الحرب الكبرى الثانية على وسائل الدعاية فى كل مكان ، وبين أغراضها العديدة غرضان أساسيان هما : ـ

١ — إقناع العدو والرأى العام بالقضية وبأنها حق .

٢ — إضعاف العدو عن القتال بإضعاف عزمه ، وإيقاع الشتات بين صفوفه .

وقد تكفل القرآن الكريم والحديث بالغرض الأول وتم ذلك على يد الدعاة .

أما الغرض الثانى فهو ما أراده النبى الكريم بدعوة نعيم بن مسعود ، وقد حالفها النجاح حتى بلغ منها برجل واحد ما لم تبلغه دول كبرى بفرق منظمة ، وأموال مبذولة ، ووزارات خاصة لهذا الغرض .

الخسائر :

وقد استشهد من المسلمين فى هذه الغزوة ستة ، وقتل من المشركين ثلاثة ، وكان انصراف الرسول ﷺ من الخندق يوم الاربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة خمس . أى أنه أقام فى الخندق أقل من الشهر .

الطعام والاسعاف :

كان الطعام يأتى من المدينة تحمله نساء المسلمين ، وكذلك كان الماء .

وكان فى مسجد المدينة خيمة فيها امرأة تدعى رفيدة كانت تداوى فيها الجرحى من المسلمين ، ممن لم يكن لهم من يقوم عليهم . ولما أصيب سعد بن معاذ بسهم فى الخندق حمله بعض المسلمين على حمار إلى هذه الخيمة ليداوى فيها .

أهم الدروس :

ويمكن أن نخرج من هذه الغزوة بثلاثة دروس مهمة وهى : ـ

١ — اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بالاستطلاع وتتبع أنباء الأعداء .

٢ — مفاجأة العدو بحفر الخندق .

٣ — استخدام الدعاية كسلاح ؟

محمد جمال الدين محفوظ

لغويات

محمد باع كتابُهْ ، يا علىّ انظر فى كتابُكْ ، يا زينب الزمى داركْ

وهذا أيضاً بحث فى العامية يلتحق بما أسلفته فى جزء شعبان من عامنا هذا . فقد تكلمت على الأساليب : « اشربُهْ ، منه ، عنه » وخرّجتها على نقل ضمة هاء الغيبة إلى ماقبلها ؛ وسقت على ذلك نصوص النحاة . والأمر مقصور عندهم على ما يكون ما قبل الهاء فيه ساكنا ؛ كما فى الأمثلة التى دونتها فى المبحث . فأما ما سطرته فى مبحث اليوم فإن ما قبل الهاء متحرك ، وليس هذا مألوفا فى العربية أن تنقل الحركة إلى المتحرك ، فإن معنى هذا إيثار حركة على حركة لغير موجب ، فلا يدخل هذا فيما سوغه النحاة ونسبوه إلى العرب . على أن تخريجه على توسع العامة فى أمر سلكه العرب ، وعلى انحراف فيه عما اشترطه أصحاب اللسان . ويجرى هذا كثيراً فى لسان العامة ، وقد تولدت عنه أساليب عامية كثيرة منشؤها التوسع والترخص . وترى فى العبارة الأولى : « محمد باع كتابه » توسعاً من جهة واحدة ؛ إذ فيه نقل حركة الهاء إلى متحرك ، وفيما بعدها توسع من جهتين ؛ إذ فيه نقل حركة ضمير غير الهاء إلى متحرك .

ويعنينى فى هذا الموطن أن أذكر أن هذا التوسع قديم . وعسى أن يكون لغة رديئة يشنؤها الرواة وينكرونها ، فقد روى لأعشى همدان هذا البيت :

من دعا لى غزيلى أربح اللهْ تجارتُهْ

بضم تاء « تجارته » وهى فى موقع المفعول ، فأنكر الأصمعى هذه الرواية واتهم راويها ابن دأب بالوضع والانتحال ، ونفى أن يكون أعشى همدان قال هذا وفيه خطأ بيّن . وتراه [1] يقول : « العجب من ابن دأب حين يزعم أن الأعشى قال هذا . سبحان الله ! يحذف الألف قبل الهاء فى اسم الله عز وجل ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته ، ثم يجوز

[١] انظر فى هذه القصة معجم الأدباء طبعة الحلبى ١٦/ ٦٤ ، والاغانى (بولاق) ٥/ ١٥٨ والموشح ١٩٢ .

هذا عنه ويروى عن مثله . وكان الأصمعى متزمتا فى اللغة ينكر كثيراً مما صح فيها . وكان عيسى بن دأب من أعلام الأدب والرواية ، وقد نادم المهدى والهادى ، وكان له الحظوة عندهما . وإذا كان هذا الشعر وضعه ابن دأب على ما فيه من الخطأ فقد كان هذا الخطأ معروفا فى أيامه فى لسان العامة - على الأقل - فهو يؤرخ لنا هذا الأسلوب . وعندى أن أقوم ما يخرج عليه هو نقل حركة الهاء إلى ما قبلها .

وفى بيت الأعشى ما ينتقد من جهة المعنى . وذلك أنه يطلب من يدعو له حبيبه أن يحضر عنده ليواصله . وهذا ابتذال للمحبوب ليس من مذهب الشعراء الغزليين ؛ فإنهم يصفون الحبيب بالخفر والتمنع والإباء ، ويصفون تجشم المشاق وارتكاب الصعاب للوصول إليه ، فكيف أن يدعى فيحضر عند المحب . ولا يدخل فى هذا الباب قول عمر بن أبى ربيعة :

من رسولى إلى الثريا فإنى ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فالرسول يذهب خفية إلى الحبيب ليحسن السفارة ويمهد السبيل للقاء وما يجرى هذا المجرى ، وفى هذا عزة الحبيب لا ابتذاله ؛ كما وقع فيه هذا الشاعر .

ويشبه هذا ما وقع فى أغنية مصرية قديمة فيها هذا البيت :

حبيبى حبيبى هاتوه لى ياناس

فقد حكى أن اللورد كرومر شهد مجلس غناء فسمع هذه الأغنية ، فسأل أن تترجم له . فلما وقف على المعنى قال : لا جرم أن هذا محب كسل ، إذ لا يدفعه حبه أن يسعى إلى حبيبه ، ويكلف الناس أن يجلبوه له ليستمتع به ، وذكر أن هذا مما نضح به كسل المصريين ، وقد أذكرتنى هذه الحكاية أن الأعشى كان يغشى فارس ، وأن كسرى سمعه ينشد الشعر فسأل عنه فقيل له : هذا شاعر العرب . فقال ما يقول ؟ فقيل له يقول :

أرقت وما هذا السهاد المؤرِّق ! وما بى من سقم وما بى معشق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال . فقالوا : ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عشق ، فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص . وكلا الرجلين أعجمى لا يفقه مذاهب العرب ، فصاحب الأغنية المصرية رجل تدلّه فى حبه وتحير فى أمره ، أعياه الوصول

إلى من يحب فلجأ إلى الناس ، وكسرى حصر دواعى السهر فى السقم والعشق والتلصص ، وهذا غير صحيح ، فدواعيه كثيرة . وكأنى بك تذكر أنى دافعت عما نقد به الأعشى ، وفى الواقع أن هذا دفاع ضعيف واهى القوى .

سلمته الكتاب . استلمت مبلغ خمسين دينارا

١ — المثال الأول يبدو سليما لا يجافى العربية ، ومع هذا فالذى فى المعاجم : سلمت إليك الكتاب . ففى القاموس : « وسلمته إليه تسليما فتسلمه أى أعطيته فتناوله » . وفى المصباح : « سلم الوديعة لصاحبها - بالتثقيل - : أوصلها ، فتسلَّم ذلك » . فقد بان من هذا أن الفعل يتعدى إلى الآخذ بحرف الجر (إلى أو اللام) . ويمكن تخريج هذا على تضمين التسليم معنى الإعطاء ، والتضمين باب واسع يقيسه بعضهم .

٢ — والمثال الثانى فيه أمران غير مألوفين فى العربية :

(ا) الأول استعمال الاستلام فى الأخذ ، أو مطاوعا للتسليم ، والذى فى اللغة فى ذلك التسلم ؛ كما سلف لك فى نصوص اللغويين ، وقد تنبه على هذا كتاب عصرنا ، فهجروا الاستلام إلى التسلم . وقد حدثنى الصديق الأجل الأستاذ أحمد نجاتى — مد الله فى حياته وأمتع به — أنه أول من نبه على هذا الخطأ ، فقد كان مدرساً فى مدرسة الناصرية فى سنة ١٩٠٦ أو سنة ١٩٠٧ وقدم إليه صك (وصل) ليكتب بخطه (يوقع) على تسلم مبلغ من المال لقاء عمل من أعمال الامتحان ، وفيه استلمت مبلغ ... فرج هذه الكتابة وضرب عليها ، وكتب تسلمت فى مكان استلمت . ورفع هذا إلى ناظر المدرسة فسأل الأستاذ فأبان له وجه ما فعل ، فأمر الناظر — وكان له شأن فى الدولة حينذاك — بامتثال ما رأى الأستاذ ، وعرف هذا وترسمه الكتاب ، وقد أصبح معروفا أن الاستلام فى اللغة لمس الحجر ، إذ هو مأخوذ من السلمة للحجرة ، والجمع السلام كالاكتحال من الكحل والادهان من الدهن ، ومنه استلام الحجر الأسود ، فهو لمسه باليد أو الفم لتقبيله ، ويرى بعضهم أن استلام الحجر الأسود من السلام وهو التحية ، ويؤيد رأيه هذا بأن أهل اليمن يسمون الحجر الكريم المحيا .

وقد بدا لى تخريج الاستلام بمعنى الأخذ — كما يستعمله العامة — على التوسع والتجوز

فالأخذ للشيء وتناوله يسبقه لمسه ، فلما كانت بينهما هذه العلاقة صح أن يعبر بأحدهما عن الآخر . وقد جاء فى بردة البوصيرى :

ولا التمست غنى الدارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم

فقال الشيخ خالد الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ فى كتابته عليه : « والالتماس : الطلب . والغنى : اليسار ضد الفقر . والدارين : الدنيا والآخرة ، ومن يده أى نعمته وإحسانه . واستلمت الندى أى أخذت العطاء » . وقال الشيخ إبراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ : « وقوله : إلا استلمت الندى أى إلا أخذت . فالمراد بالاستلام هنا الأخذ ؛ كما فى قولهم : استلمت معروفه ، على سبيل التجوز ؛ لأنه فى الأصل اللمس باليد أو الفم ؛ كما فى قولهم : استلمت الحجر » . وقد بدا لى فى بيت البوصيرى أن يحمل الاستلام على معناه المعروف فى اللغة ، وهو اللمس باليد أو الفم ، والندى على الجود والكرم لا العطاء والخير . يقول : إذا التمس الغنى من يده فإنه يلمس الجود فيها ويستلمه كما يستلم الحجر الأسود المحيا المقبّل . والخطب فى هذا سهل يسير .

(ب) والأمر الثانى استعمال المبلغ فى القدر من المال كما يستعمل عند الناس . يقولون لفلان علىّ مبلغ من المال ، وكأن وجه هذا أن المبلغ — وهو مصدر ميمى بمعنى البلوغ — أطلق على البالغ ؛ كأن المال بلغ كذا من العدد أو المقدار .

ويعنينى هنا أن أورد نصا لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . فهو يقول فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ١/٦٤ فى ترجمة جمال الدين بن العديم الحلبى : « وقرأت بخط البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع على آخر بمبلغ فأنكر . فأخرج المدعى وثيقة فيها : أقر فلان بن فلان ، فأنكر المدعى عليه أن الاسم المذكور فى الوثيقة اسم أبيه : قال له : فما اسمك أنت ؟ قال : فلان . قال : واسم أبيك ؟ قال : فلان . فسكت عنه القاضى وتشاغل بالحديث مع من كان عنده حتى طال ذلك ، وكان القارىء يقرأ عليه فى صحيح البخارى ، فلما فرغ المجلس صاح القاضى : يا ابن فلان ، فأجاب المدعى عليه مبادرا . فقال له : ادفع لغريمك حقه ، فاستحسن من حضر هذه الحيلة التى استغفل المدعى عليه ، حتى التجأ إلى الاعتراف » . وقوله : استغفل المدعى عليه أى تحين غفلته ، وعائد الموصول محذوف أى استغفل بها .

رأس الناس فى زمانه

عامر الشعبي سنة ١٠٥ ﻫ

روى الخطيب البغدادى بسنده ، وابن عساكر فى تاريخه ، عن أبى أسامة قال : كان عمر ابن الخطاب رأس الناس فى زمانه ، وهو جامع (للعلم) [١] . وكان بعده ابن عباس فى زمانه ، وكان بعد ابن عباس فى زمانه الشعبي . وكان بعد الشعبي فى زمانه سفيان الثورى .

وأخرجا خبرا آخر عن الزهرى (وحسبك به) قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن أبى الحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وأنت ـ أيها القارىء الكريم ـ تستطيع أن تقول فى التعليق على هذين : إن الإمام الزهرى أنصف هؤلاء الثلاثة المعاصرين الإمام الشعبي لجعل تفوقه وامتيازه فى دائرة معينة هى

وتذكرنى هذه الحكاية قصة سمعتها فى حداثتى عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله ـ ولا أحقّ هذه النسبة ـ فقد ادعى لديه ـ حين كان قاضيا ـ امرؤ على آخر بدين وأعوزته البينة ، فقال القاضى للمدعى : أين أعطيته المال ؟ فقال : تحت الشجرة الفلانية . فقال القاضى : اذهب فأحضر ترابا من هذا المكان ، وكان المكان قريبا ، وأرسل القاضى سراً إلى الرجل أن يبطىء فى العودة ولا يعجل وأمر غريمه أن يبقى فى مجلس القضاء وطال المقام على الرجل وأخذه الملل واستبطأ صاحبه ، واتجه إلى القاضى يشكو إليه هذه البطء ويصف أن الشجرة فى مكان قريب وما كان له أن يغيب هكذا ، فعد القاضى هذا اعترافا من الرجل وقضى عليه لغريمه ، ويروى من هذا كثير فى تاريخ القضاة ، تنبىء عن زكانتهم وفطنتهم ؟

محمد على النجار

---

(١) انفرد بهذه ابن عساكر .

الكوفة ، ولم يطلق الأمر كما أطلقه أبو أسامة الذى جعله سيد علماء زمانه ، بل سيد الناس على الإطلاق ، وإن كان الخطب فى هذه الثانية مما يهون أمره لأن من سبق العلماء فقد سبق الناس جميعا . على أن خبر أبى أسامة الأول قد يحمل على قوة الاعتداد بالإمام الشعبى وتفضيله على الأئمة مهما شاركوه فى مرتبة الإمامة ، فإنها مما يقال بالتشكيك كما يقول (أهل المنطق) .

ومهما يكن فإن الذى يعنينى فى الأمر أن أضع صورة فى نفس القارىء الكريم ، لهذا الإمام العظيم ، يدركه منها بوصف عام ، على أن أفصل له بعض النواحى التى أرجو أن يجد فيها الأسوة الصالحة والمثل الصالح ، فحسبك أيها القارىء من رجل يقرن بعمر وابن عباس من غير نكير ، ثم بسعيد بن المسيب والحسن البصرى اللذين أفضت لك فى الحديث عنهما بما كان عجبا .

حقاً لقد كان هذا الإمام أعجوبة من الأعاجيب ، يفتى وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شهود ، ويدرس العلم بحيث يسمعون فيعجبون .

ولقد رأى خمسمائة من الصحابة فأخذ عنهم : منهم على والحسن والحسين وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن جعفر وأسامة بن زيد وجابر ابن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم وغيرهم .

ولقد رآه ملك الروم فحسد عبد الملك بن مروان عليه حتى أغراه بقتله ، ولكنه ازداد استمساكا به وحرصاً عليه ، وهكذا العلم النافع وصفاء النفس ومواصلة الدرس .

نشأة الشعبى وحياته

ولد هذا الحبر العظيم لست خلت من خلافة عمر عام جلولاء كما حدث عن نفسه وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

ونشأ بالكوفة وهى يومئذ مركز للعلم يؤمه الصفوة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين ، واستمر بالكوفة لا يقطع ذلك إلا مدة فر فيها إلى المدائن هربا بدينه وعقيدته ونفسه من المختار الثقفى ، وبعض أسفار أخرى دل عليها ما تفرق من أخباره بلا تعيين ولا تحديد للمدة ، ولكن الكوفة كانت هى المركز والمقر له تشد الرحال إليها من أجله ، ويفد الناس إليها من كل فج للتضلع من فيضه ، ويوصى المقيم المسافر أن يعرج على هذا الخضم الزاخر .

قال أبو بكر الهذلى : قال لى محمد بن سيرين : إذا جئت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبى ، فإنه كان ليسأل وإن أصحاب رسول الله ﷺ لأحياء .

ولقد كان الإمام ابن سيرين قدم الكوفة من قبل ورأى الشعبى فى حلقته الجامعة وأصحاب رسول الله ﷺ بها يومئذ كثير . ورأى حب أصحاب رسول الله ﷺ له وحدبهم عليه ومقدار ما أفاد من علم ودين ، فنصح للناس باتباعه والأخذ عنه ، وكذلك العالم الربانى الصادق لا يحسد أخاه العالم ، وإنما يراه خير عون له فى تحقيق مهمة العلم والإصلاح . اللهم فتوفيقك وهدايتك .

وقد دلت أخبار الشعبى أن عبد الملك الخليفة استأثر به حينا من الدهر ، يحظى بمجلسه وينتفع بمذاكرته ، ويأخذ كل عن صاحبه . وإذا قلت ذلك فإنما أشهد لعبد الملك رحمه الله بشهادة يسجلها التاريخ له فقد ثبت أنه كان عالما جليلا وحافظا أديبا وراوية ناقدا [١] وقد اعترف الإمام الشعبى وهو الأديب الفاضل فقال : ما حدثته بحديث إلا زادنى فيه .

وجاء فى أخبار الشعبى أيضاً أن عبد الملك استقضاه كما استقضاه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز من بعد . وورد فى أخباره أن والى مصر أخا الخليفة عبد الملك طلبه من الخليفة ، فقبل أن يذهب إليه على أن يكون عنده شهرا ، ولم يرفض الإمام الشعبى ذلك ، وقد كتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز كتابا يقول فيه : « إنى آثرتك به على نفسى فلا يلبث عندك إلا شهرا أو نحو شهر » وهو اعتراف يدل على مبلغ ما كان فى أولئك القوم من حب للعلماء مهما تبلغ منزلة الواحد منهم وتنافسهم على الانتفاع بهم وإن كانوا هم على جانب من العلم خطير . فكلما زادت المنزلة العلمية فى المرء حرص على أن يضاعفها ، ولاسيما إذا كان العلم مما يحصن وضعه ، ويصلح أمره ، وما أحوج الأمراء إلى العلماء إذا أنصفوا .

وكل هذه الأخبار المتفرقة فى تاريخ الإمام الشعبى لا نعرف تحديداً لأزمنتها ولم نقف على تعيين أوقاتها .

ثم استأثرت رحمة الله بهذا الإمام فى سنة ١٠٥ للهجرة النبوية عن اثنتين وثمانين سنة .

---

[١] المجلة ـ وأقضية عبد الملك دونها مالك فى [الموطأ] على أنها أحكام متبعة . وكان تدوينه لها فى دولة بنى العباس .

من صفات الشعبي

أما ما عرف من صفاته الجسمية فقد كان ضئيلا نحيلا لأنه كما قالوا زوحم في الرحم وقال ابن قتيبة في المعارف : إنه ولد مع أخ له بعد أن بقى في بطن أمه سنتين .

وأما صفاته المعنوية فأهمها .

١ — العلم العجيب والعقل النادر والذكاء البالغ ، فأنت قد رأيت أنه قرن بعمر ابن الخطاب وابن عباس من سابقيه ، وقرن به سيد التابعين والحسن البصري ومكحول الشامي من معاصريه .

وحسبك من رجل : أبو حنيفة والأوزاعي من تلاميذه ، يذكره قرينه مكحول إمام الشام فيقول : ما رأيت أعلم بسنة من الشعبي ، ويعرف به أبو مجلد فيقول : ما رأيت فيهم أفقه منه . وينوه به بعد ذلك الشافعي فيقول : إنه في كثرة الرواية مثل عروة . ويوصى به الإمام البصري من يفد على الكوفة ليغتنم الفرصة للأخذ عنه .

ويتحدث هو عن نفسه فيقول ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني أحد حديثاً فأحببت أن أعيده ، ولقد نسيت من العلم ما لو عرفه أحد لكان به عالما ، وما سمعت منذ عشرين سنة رجلا يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه . ويقول ما أدرى شيئا أقل من الشعر ، ولو شئت لأنشدتكم شهرا لا أعيد . فسبحان من يمنح مثل هذا العلم ، وذلك الحفظ . وسبحان من وهب بعض النفوس من الإقبال والحرص والانقطاع مع الذكاء والصفاء ماتبلغ ذلك المبلغ الخطير . ذلك معنى لا يزاحم فيه الشعبي رحمه الله إلا قليلا .

وفي مناسبة علم الشعبي بالشعر والأدب وتحصيله وحفظه أستطيع أن أنبه القارىء الكريم إلى أنه كان فصيحا قويم اللسان مع ما دخل يومئذ من اللحن على علية القوم وأفاضل أهل العلم . وقد تنبه الأصمعي إلى ذلك المعنى فنبه عليه حين قال : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القِرِّية . على أن من الناس من ينازع في سلامة الحجاج من اللحن ويذكر دليله على ذلك فيما لا مجال لشغل القارىء به . وسترى بعض ذلك في هذه الكلمة عند مناسبته

٢ — كان رضى الله عنه حسن الاقتداء، حسن الاتباع، من كثرة ما أخذ من العلم النافع، ومن لقى من أصحاب السيد الرسول نجوم الاهتداء، ومن صفاء نفسه وهداية الله ولطفه وتعهده . وإذا اجتمع العلم النافع والوسط الشريف والمعدن الكريم كان جديراً مع التوفيق أن يهدى إلى الحق ويعلم الدقة فى الاعتدال . ومما أثر عنه رحمه الله أنه كان يقول : اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة . ولله أبوه ، فإن القليل الصادق المقبول ، خير من الكثير الباطل المرذول . والبدعة شر باطل، فالمزيد منها شر، والاستكثار منها غرور مهما قيل إنها دين أو عبادة .

٣ — كان فى مزايا الشعبي من العلم الغزير والخلق الفاضل واللسان الحلو والمنطق السائغ ما يترك أثره فى النفوس ويجعله موضع الإقبال والقبول، وكان الرجل يخرج فى حاجة أهله إلى السوق فيعرج على المسجد وإذا هو بالشعبي فينسى أمره حتى ينفض السوق، ثم يذكر حاجته فيقول للشعبي : أى مبطل الحاجات ! ولهذا كان ينشر علمه فى بيته وفى المسجد وفى السوق، فإذا رأى قوما جلس معهم وعلمهم وذكرهم . ولعلك إذا قرأت قصته مع ملك الروم علمت كيف يكون أثره حتى فى نفس عدوه، ولو كان ملكا تحف به الجنود .

وإجمال القصة : أن عبد الملك وجهه إلى ملك الروم إظهاراً لفضل الإسلام وعلمائه، فأعجب به ملك الروم واستبقاه مدة، ولم يكن ذلك لأحد عند ملك الروم قبله، وذلك أنه ما سأله عن شىء إلا كان التوفيق حليفه، ثم أرسل معه رسائل إلى عبد الملك فخرج بها من عنده، ثم استدعاه ثانية ودفع إليه ورقة ليوصلها وكتب فيها : عجبت لقوم يكون هذا فيهم ولا يملكونه . وإنما أراد أن يقتله عبد الملك، لأنه حسده عليه كما فهم ذلك عبد الملك، ثم ذهب بها إلى عبد الملك ولم يقرأها كما هو أدب الرسل ودأبهم، ولا سيما مع الملوك والخلفاء .

ولما قرأها عبد الملك عرضها على الشعبي فقال الشعبي على البديهة : إنما قال ملك الروم ذلك لأنه لم يرك . فقال عبد الملك : إنه حسدنى عليك فأراد قتلك .

٤ — كان فى الشعبي أدب وتواضع يتجلى فى ابتذاله نفسه لله والعلم مع تنافس الملوك عليه وكثرة المنجلين والوافدين . على أن الظاهر من أخباره وسيرته أنه كان مرنا جدا

مع الاحتفاظ بكرامة العلم . وكان أهدأ نفسا من مثل الإمام الحسن فلم يرو أنه اصطدم مع خليفة أو أمير . وسترى حكايته مع الحجاج لما أخطأ أمامه .

كان الشعبي مؤدبا مهذبا متواضعا رضيا محبوبا من جميع الأوساط ، لأنه ينزل كلا منزلته ، ويخاطب كلا على مقدار عقله . وهو مذهب يدعو إليه الدين ويأمر به ويتصل به التصوف فى بعض مسالكه .

وكان كثيراً ما يقول لا أدرى مع جولته . وقال له أصحابه يوما : إنا لنستحى من كثرة ما نسألك فتقول لا أدرى ، فيقول : إن ملائكة الله المقربين لم يستحوا حين سئلوا عما لا يعلمون فقالوا : « لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » وكان يقول : ليتنى أنفلت من عملى كفافا لا على ولا لى . ويقول : إنا لسنا بالفقهاء ولا بالعلماء ، ولكن سمعنا الحديث فرويناه ، وإنما الفقيه من ورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله . على أنه كان يتحدث بنعمة الله كثيراً كما مر بك فى الحديث عن علمه وحفظه ، مما يعد شكراً وحفزاً على العلم والجد فى طلبه وتزكية النفس به .

وذكر ابن عساكر فيما يرويه عنه أنه كان إذا سئل عن معضلة قال :

زباء ذات وبر أعيت صاحبها ، لو عرضت على أصحاب محمد ﷺ لأعضلت بهم [1] . وهذا اعتذار منه بحق ، وبيان لسبب إحجامه عن الإفتاء فى مثلها .

٥ — كان لطيفاً طيب النفس يستجم بشىء من المزح ويترخص فى ذلك بما ترخص به السيد الرسول صلوات الله عليه وسلف الأمة .

دخل عليه رجل مرة ومعه السيدة زوجه فقال : أيكما الشعبى ؟ فأشار إلى زوجه وقال: هذه ! وفى ذلك أيضاً لطف التعبير عن غباوة الرجل ، إلا إذا كان كلاهما مازحا . ومن لطيف ما ورد عنه أن الحجاج قال يوماً : كم عطاءك ! (بالفتح) فقال : ألفين ! فقال : ويحك كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . قال : كيف لحنت أولا ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، ثم أعرب فأعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير فأعرب . وهذا اللحن هو الذى نبهنك عليه حين سقت لك عبارة الأصمعى من أن الحجاج لم يلحن .

---

(١) الزباء : الناقة إذا كثر الشعر على حاجبها ، فهى تنفر كلما رأته وتتعب صاحبها .

وبعد فقد خشيت أن أوغل بك فيعتل عليك نشاطك . فإن الإمام الشعبى خضم عظيم . على أننى سأتعجل لك بشىء مما أثر عنه ، ربما كان فيه انتقال واستطراف مع أنه قليل يسير .

يروى أنه قال :

اقتصاد فى سنة ، خير من اجتهاد فى بدعة [1] . أحب أهل بيت نبيك ولا تكن رافضا . واعمل بالقرآن ولا تكن حروريا [2] وأطع الإمام ولو كان عبداً حبشياً . واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا تكن قدريا [3] . ما رأيت أغلظ رقابا [4] ولا أرق ثيابا [5] ولا آكل لطعام من قراء هذا الزمان . ليس حسن الجوار بكف أذاك عن الجار ، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار . وشتمه رجل فقال : إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

وروى ابن عساكر بسنده أن الشعبى كان إذا جلس مجلسا لم يقم منه حتى يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وأشهد أن الدين كما شرع وأشهد أن الإسلام كما وصف . وأشهد أن الكتاب كما أنزل وأن القرآن كما حدث . وأشهد أن الله هو الحق المبين . وإذا ذهب لينهض قال : ذكر الله محمداً منا بالسلام .

رحمه الله وسلف الأمة رحمة واسعة ، وجعل لنا فى سيرتهم الطيبة أسوة صالحة مصلحة .

محمود النواوى

---

[١] تقدمت فى الحديث عن اتباعه ، ولكن لها موضوعا مقبولا هنا .

[٢] يقول : لاتشتد فيه كالخوارج .

[٣] لاتنكر القدر .

[٤] كناية عن السمن وهو معيب فى القراء .

[٥] يريد الترف .

منبر المسجد الاقصى

رمز الفتوح

فى مقدمة ما يلفت نظر الزائر المتبصر فى المسجد الاقصى هـذا المنبر الضخم القائم إلى جانب المحراب وتحت القبة المـذهبة ، فإذا ما اقترب منه وجـده مصنوعا من خشب الابنوس لا من الرخام ، فإذا ما حقق فى تاريخه وجده يرجع إلى ثمـانية قرون . وهنا يقف متسائلا : كيف عاش الخشب كل هـذه المدة وما يزال على جانب عظيم من المتانة التى قد تبلى القرون والأجيال .

وإذا ما خفت دهشته ، استطاع أن يقرأ أسماء الذين صنعوه ، وهم أربعة من الحلبيين : سلمان بن معلى ، وحميد بن ظافر ، وأبو الحسن بن يحيى ، وأخوه أبو الفضل بن يحيى .

ثم يتساءل : هل صنعوه من أنفسهم أم بأمر أحد السلاطين ، فيجيبه التاريخ بأنه صنع بأمر الملك المجاهد نور الدين زنـكى الذى تفاءل بفتح القدس وأصبح يراه أمراً واقعاً لامحالة ، لمـا شاهد من ازدياد قوى الجهاد الإسلامى وما ترتب على ذلك من ضعف الصليبيين بعد فتحه مملـكة الرها التى تسمى الآن (أورفة) ، إلا أن الصليبيين انتبهوا فأعاقوا الفتح ، وعاجلت المنية هذا الملك العظيم فبقى فتح القدس لصلاح الدين يوسف بن أيوب وهو الذى كان من نصيبه نقل هذا المنبر إلى بيت المقدس بعد صنعه بعشرين عاما .

إن هذا المنبر رمز صادق للحروب الصليبية من وجهة النظر الإسلامية ، فقـد صنعه أربعة رجال من أعلام الفن العربى ، وكان طرد الصليبيين إلى فتح القدس من عمل رجال أربعة وهم : عماد الدين ، ونور الدين ، وأسد الدين ، ورابعهم وأشهرهم صلاح الدين . ولاننا فى ظرف مماثل ننتظر مثل هذا التطور :

لمـا داهم الصليبيون العالم الإسلامى كان فى منتهى الضعف والانحلال ، فـكانت مهمة آل زنـكى إيجاد بيئة جهاد تعـكس أشعتها على العالم الإسلامى ، وكان أول من قام بهـذا عماد الدين بن زنـكى الذى كان يلى مقاطعة الموصل ، فاتصل بالاكراد وضم إلى حاشيته من توسم فيهم الخير منهم وفى مقدمتهم أبناء شادى الذين حازوا إعجابه وتقديره : وهم أيوب ،

ونجم الدين ، وأسد الدين ، ثم لمع اسم يوسف بن أيوب الذى لقب بصلاح الدين وظهر عليهم جميعاً .

نجحت أعمال عماد الدين فضمت إليه الجزيرة الفراتية ، وأعطى رتبة « أتابك » أى الأمير الكبير ، فذاع صيته فى صدامه مع الصليبيين ، فوسع ملكه بضم حلب وأرمينيا ، وقد قرر فى ذهن من حوله سياستين : سياسة توحيد البلاد الإسلامية ، وسياسة الجهاد لطرد الصليبيين . ولحسن حظ الإسلام أن عماد الدين أنجب ولداً باسلا شهماً هو نور الدين الذى تولى أمر مملكته فور قتله ، وقد وجد نور الدين إلى جانبه رجال أبيه من الأكراد فولى قيادة الجيوش لأسد الدين شيركوه ، فقام هو وأخواه أيوب ونجم الدين وغيرهم بضم بقاع العالم الإسلامى وتوحيدها بكل الوسائل ، فدخلت فى حوزة نور الدين مدائن حماه وحمص ثم دمشق التى استقر بها وجعلها عاصمة المملكة ، وفيها أخذ يجمع كتائب الجهاد ، ثم توجه بها نحو الرها التى أقام فيها الصليبيون مملكة كانت تقض مضجع نور الدين فى قلب مملكته ، فتم له فتحها ، وأزال هذه البقعة السوداء من الشمال ، وأصبح يستعد لتطهير الجنوب والساحل .

وفى هذه الأثناء وقع الخلاف بين وزراء مصر الفاطميين (العبيديين) فاستنجد أحدهم ضرغام بالصليبيين واستنجد الآخر وهو شاور بنور الدين فأنجده نور الدين بجيش على رأسه قائده الأكبر أسد الدين شيركوه فهزم شيركوه الصليبيين وقتل ضرغام ، ثم انقلب شيركوه ، لخطمه أسد الدين وقضى عليه ، وتولى أمر مصر ، ثم توفى وكان نائب شيركوه ابن أخيه يوسف الملقب بصلاح الدين فتولى أمر مصر بعده ، وانتهت على يده دعوة الباطنيين التى كانت تتولاها الدولة الفاطمية ودعى للخليفة العباسى على منابر مصر وبذلك أعاد الله للعالم الإسلامى وحدته بحكمة نور الدين ورجاله .

ولما توفى نور الدين شهيداً سعيدا اتجهت الأنظار نحو صلاح الدين ، ولم يعش الملك الصالح طويلا بعد أبيه نور الدين ، وأفضى أمر الممالك جميعها إلى صلاح الدين ، وعلى يده تم طرد الصليبيين من القدس ؛ بعد أن مهد له ثلاثة رجال من قبله وكان هو الرابع ، وبات لزاماً على كل من يتكلم عن الحروب الصليبية أن يذكر الثلاثة الذين مهدوا وهيأوا لصلاح الدين . وبعد أن تم لصلاح الدين فتح القدس أمر بتطهير الأقصى وبنقل المنبر من حلب إلى بيت المقدس ، فكان بين صنعه فى حلب ونقله إلى بيت المقدس عشرون عاما .

كلمة الأزهر

فى الترحيب بالطلبة الفائزين فى مسابقة (نيويورك هرالد تريبون)

ألقاها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش

السيد وزير التربية والتعليم .

السادة الزائرون الأجلاء .

باسم الأزهر ، وباسم الثقافة الإسلامية التى يتعهدها الأزهر لأكثر من ألف عام ، يرحب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والأسرة الأزهرية كلها ، بحضراتكم أجمل ترحيب ، ويلقونكم أحب لقاء .

ونحن إذ نستقبلكم فى هذه القاعة من رحاب الأزهر ، فإنما نستقبل وفداً كريما أشرق علينا من جهات عدة . آخى بينها العلم ، وربطت بينها الثقافات الأدبية . وفى هذا ما يثير إعجابنا بهذه الأخوة الأدبية ، وتقديرنا لهذا المظهر الكريم . وسيشهد الوفد فى مصر شيئا من معالم حضارتها قديما منذ عهد الفراعنة ، وحديثا منذ العهد الإسلامى .

وجدير بالذكر أن نبين أن صلاح الدين كان يرى وجوب ضرب الصليبيين فى عقر دارهم فلم يوافقه ملك المغرب . كما ذكر ابن خلدون فى مقدمته وفى مقدمته قد وفى البحث عن الأساطيل .

وفى هذا عبرة لما نشاهد ونرى اليوم من التخاذل ، وظلت فكرة صلاح الدين وأمنيته أن ظهر العثمانيون فردوا للغرب الزيارة ، وشددوا عليهم الغارة فى البر والبحر وقرت بذلك عين صلاح الدين يوم تم فتح القسطينية التى كانت أحد أسباب الحروب الصليبية ، وفى تاريخ الإسلام ووثبات أهله عبرة وذكرى .

نابلس — إحسان النمر

وسيشهد كذلك ما نشطت إليه مصر فى ظل ثورتها المباركة ، من استكمال سيادتها غير مشوبة بسيطرة أجنبية .

وبفضل هذه الثورة ظلت مصر تسمع العالم كله أنها - كما سبقت إلى حضارات قديمة - معنية دائما بالحضارات الناشئة ، وأنها تستوحى تاريخها ، وتستمد من عزائم أبطالها ، وتضامن شعبها ، ما يفسح لها الخطى ، إلى أهدافها السامية ، ويحفظ لها مكانتها بين الشعوب الراقية .

وإنا لنقدر للسيد وزير التربية والتعليم أن أتاح لنا هذه الفرصة المشكورة ، وندرك ما فيها من توجيهات سامية .

١ - فقد لفت الأنظار إلى أن هذه الزيارة تحية إكبار للأزهر ، باعتباره أقدم جامعة علمية سبقت إلى نشر الثقافة ، وظلت على رسالتها حتى اليوم .

٢ - ولفت الأنظار إلى أن الأزهر وإن كان فى صبغته الخاصة هيئة دينية ، فإنه من الناحية العامة بيئة علمية ، والعلم كيفما كان صلة ورحم بين أهله ، وإن كانوا من أبعاد مترامية .

٣ - ولفت الأنظار إلى أن السادة الوافدين علينا - وهم طلاب علم ومعرفة - يعتبرون معنا كجنود فى ميدان واحد ، وكل منا ومنهم كوحدة فى جيش متحد ، يخفق عليه علم واحد ، وإن كان لكل من وحداته شارة تميزها عن سواها من الوحدات . إذ المنتمون إلى العلم النافع بصفة عامة إنما ينشدون جميعا للإنسانية أرقى مثلها ، وللحياة الاجتماعية خير مناهجها لتسعد الأمم وتسلم .

فشكراً للسيد الوزير على صنيعه ، الذى أتاح لنا وللوفد هذا اللقاء الكريم .

حيا الله بيننا رابطة العلم النافع ، وأدام بيننا المحبة والأمان . والسلام ؟

من علوم القرآن :

معنى الارض فى مختلف الايات

الأرض هى هذا الكوكب المظلم الذى يعيش عليه الحيوان الناطق والأعجم ، وقد ورد لفظ « الارض » فى القرآن بهذا المعنى ، وورد بمعان أخر بينها و بينه علاقة جامعة ، فيكون إطلاقه على الكوكب حقيقة وعلى غيره مجازاً . وسأورد أكثر الآيات التى ورد فيها لفظ « الأرض » سواء كان حقيقة أو مجازاً مبينا العلاقة بين المعنى الاصلى والمجزى ، مع ملاحظة أن هذه المعانى قد تكون جارية على بعض التفاسير دون بعض ، وقد تكون متحدة فى جميع التفاسير أو فى كثير منها ...

١ — قال الله تعالى فى سورة هود : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء » . المراد بالأرض - فى أول الآية وآخرها - الارض كلها ، أى الكوكب ، لأن الله تعالى يرزق كل دابة فى أى جزء من أجزاء هذا الكوكب الذى نعيش عليه ، وقد خلق الله تعالى الأرض جميعها والسموات . ومثل هذه الآية كل آية سبق فيها لفظ الأرض بلفظ الخلق كقوله تعالى فى سورة « فصلت » : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين » ، وكذلك كل آية سبق فيها لفظ الأرض بخطاب من الله تعالى لها كقوله تعالى فى سورة « فصلت » أيضاً : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » ومثل ذلك فى القرآن كثير ، كقوله تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » ، « من سورة لقمان » .

٢ — قال الله تعالى فى سورة الانبياء : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون » . المراد بالأرض فى هذه الآية الجنة على بعض التفاسير ، وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » تبديل معالمها دون

حقيقتها ، ويكون استعمال لفظ الأرض فى الجنة مجازا علاقته الجزئية ، لأن الجنة جزء من الأرض كلها ، أما إذا كان معنى تبديل الأرض تغيير حقيقتها فيكون استعمال لفظ الأرض فى الجنة استعارة ، لأن أرض الجنة تشبه أرض الدنيا من حيث جريان الأنهار فيها ونمو الأشجار والثمار منها ، وقيل المراد بالأرض أرض الدنيا ووراثة الصالحين لها بالحكم فيها بعد حكم غيرهم ...

٣ — قال الله تعالى فى سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها » . المراد بالأرض أرض فلسطين وبيت المقدس ، ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة الأنبياء أيضا فى شأن إبراهيم عليه السلام . « ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين » أى أرض بيت المقدس ...

٤ — قال الله تعالى فى سورة الإسراء : « وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها » . المراد بالأرض أرض المدينة ، ومثل ذلك فى بعض التفاسير قوله تعالى فى سورة العنكبوت : « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون » قيل المراد بالأرض أرض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك أيضا قوله تعالى فى سورة النساء . « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » . قيل المراد بأرض الله الواسعة أرض المدينة ، أما الأرض الأولى التى كانوا مستضعفين فيها فهى أرض مكة كما سيأتى ، ومثل ذلك قوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » . قيل المراد بالأرض أرض المدينة ، وقيل المراد بالأرض فى الآيات السابقة كلها الأرض كلها وهذا أرجح ، لأن الله لم يحدد للهجرة أرضا معينة ، وإنما ينبغى أن يكون المراد الأرض كلها . . .

٥ — قال تعالى فى سورة الرعد : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه » . المراد بالأرض أرض مكة ، ونقصها من أطرافها باستيلاء النبى صلى الله عليه وسلم عليها بالفتح ، ومثل ذلك الآية التى سبقت من سورة النساء « قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » المراد أرض مكة ...

٦ — قال الله تعالى فى سورة القصص : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض » . المراد بالأرض الأولى أرض مصر وبالأرض الثانية أرض مصر والشام ، ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة « غافر » : « وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » . المراد بالأرض أرض مصر ، وقوله تعالى فى سورة الأعراف : « قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » . المراد بالأرض أرض مصر . . .

٧ — قال الله تعالى فى سورة الكهف : « إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض » المراد بالأرض أرض الإسلام ، ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . المراد أرض الإسلام . . .

٨ — قال الله تعالى فى سورة النساء : « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » . قيل المراد بالأرض التراب ، والمعنى أن الذين كفروا يودون يوم القيامة أن يكونوا تراباً حتى لا يحاسبوا كما فى قوله تعالى : « ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » وقيل المراد بالأرض القبر ، والمعنى أن الكفار يودون يوم القيامة أن تسوى قبورهم بالأرض وتطمس معالمها حتى لا يتم بعثهم اعتقاداً منهم أنهم إذا طمست قبورهم لا يعثر عليهم فلا يحاسبون .

٩ — قال الله تعالى فى سورة المائدة عن اليهود : « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » . قيل المراد الأرض كلها وقيل أرض التيه .

١٠ — قال الله تعالى فى سورة إبراهيم : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » المراد بالأرض الأولى أرض الدنيا كلها وبالأرض الثانية أرض القيامة وهى أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين . وكذلك قوله تعالى فى سورة « الزمر » : « وأشرقت الأرض بنور ربها » المراد أرض القيامة .

١١ — قال الله تعالى فى سورة الرعد : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » المراد بالأرض القلب لأن الآية على تشبيه التمثيل ، شبه الله الحق والباطل بالماء والزبد الذى يعلو فوقه وبالمعادن فيذهب هباء ويبقى الماء والمعدن ، كذلك الباطل يذهب هباء كالزبد ويبقى الحق فى القلوب ، وتفسير الأرض بالقلب باعتبار ما يؤول إليه التشبيه .

١٢ — قال الله تعالى فى سورة نوح على لسان نوح عليه السلام يدعو على قومه : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » : المراد بالأرض أرض قوم نوح لا الأرض كلها على القول بأن طوفان نوح كان موضعيا لا عاما ، وأن نوحا عليه السلام أرسل إلى قوم مخصوصين ولم يرسل إلى جميع أهل الأرض . وهذا هو الصحيح . ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة هود « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى » المراد بالأرض أرض قوم نوح .

وقد تبين مما تقدم أن لفظ الأرض إما مستعمل فى الكوكب الذى نعيش عليه وهو استعمال حقيق ، وإما مستعمل فى أرض خاصة من جميع الأرض ، وهو استعمال على طريق المجاز المرسل علاقته الجزئية ، وإما مستعمل فى شىء آخر غير الأرض كإطلاق لفظ الارض على أرض الجنة وعلى القلب ، وهذا الاستعمال استعارة وهى مجاز علاقته المشابهة ؟

طه الزينى
من علماء الأزهر

بطل البرية كلها

قالوا : تحب العرب ؟ قلت : أحبهم يقضى الجوار بذاك والأرحامُ
فمحمد بطل البرية كلها هو للأعارب — أجمعين — إمام

محبوب الخورى الشرتونى

عموم التبعات
والواجبات الاجتماعية

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ؛ ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته . رواه البخارى ومسلم والترمذى .

الراعى والرعية : من الرعى والرعاية ، ومدار المادة فى الأعم الأغلب على أمرين : (١) التدبير والسياسة (٢) الحياطة والحفظ . وبكل من المعنيين فسرت الرعاية . فقال اللغويون : وقيل للحاكم والأمير : راع ، لقيامه بتدبير الناس وسياستهم ، والناس رعية ، وقال المحدثون فى « كلكم راع » أى حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعى ونظره .

المعنى :

لما كان الإسلام دين التضامن والوحدة ، والعمل والمسئولية ، وكان الناس فيه جميعا طبقة واحدة ، وجنسا واحدا ، ولكل منهم من الكرامة الاجتماعية ما قد يبلغ مبلغ الولاية والزعامة فى أحرج الأوقات ، وأشد الأحوال ، كما يصوره قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وذلك لأن الإسلام دين الفطرة الى لا تحتمل التكلف ، وتشريع الحقيقة التى لا تقبل الخيال .

لما كان الإسلام كذلك نظر إلى منزلة كل إنسان من المجتمع ، وميدان عمله فيه ، فوجد أن أرحب ميادين الحياة قد ينفسح عن أضيقها ، وأن أعلى منازلها قد ينبنى على أدناها ، وأن المجتمع كالجسد الواحد : يحتاج فى حياته وصلاحه إلى أقل عضو منه ، وكالبناء الشامخ : لا يبلغ مبلغه من الشموخ والرسوخ إلا بتساند اللبنات ، وارتباط الأجزاء . فناشد أدنى الناس منزلة فى المجتمع كالعبد ، وأعلاهم درجة فيه كالإمام ، وأشبههم حالا بالضعف والمعجزة الذاتية كالمرأة ، وأصلهم فى باب القدرة والتدبير الذاتى كالرجل ، أن يؤدى كل واحد منهم أمانة الله فيما خوله من أمر ، وما استرعاه من رعية ، وأن يعلم أن الله سائله ومحاسبه عن كل ما ولاه من الأمور .

وتفصيل الرعاية والمسئولية العامتين على الوجه الوارد فى الحديث اكتفاء أو تمثيل ؛ وإنما اكتفى بالملك والعبد، والزوج وزوجه . لأن الاولين هما طرفا المجتمع من حيث المنزلة، والآخرين طرفاه من حيث الضعف والقدرة الذاتية : فهو من التعبير بالأطراف مع إرادة الجميع ؛ ومن صريح معناه قوله صلى الله عليه وسلم . لا يسترعى الله تبارك وتعالى عبدا رعية ـ قلت أو كثرت ـ إلا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة : أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة » .

فالمسئولية واقعة على كل مسلم بمقدار ما ولاه الله من أمر ، وما يسر له من عمل . وهى متنوعة بتنوع هذه الأمور والأعمال . والوعيد على التنصل من هذه التبعات والواجبات أصل من أصول هذا الدين الحنيف فى القرآن والحديث ؛ وبيان وجوه الرعاية مدروس فى فنون كثيرة : كالفقه والتصوف والأخلاق؛ ولو أخذ الناس بهذا المبدأ الإسلامى القويم، فعرف كل إنسان أنه عضو عامل فى الأمة ، وأنه مهما قل شأنه، وضؤل قدره مقوم، من مقومات المجتمع ، ومكون من مكونات الحياة ، وأن له أثرا ـ وإن قل ـ فى كل ما للمجتمع من الخصائص والصفات ، لسعدت الأمة بكل فرد من أفرادها .

فسعدت بأئمة يقيمون فى رعيتهم حدود الله وأحكامه على سنن الشرع ، ولا يضعون الإحسان موضع الإساءة ، ولا الإساءة موضع الإحسان .

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ولا يألون جهداً فى تحصيل الخير لهم . ففى الحديث « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه ، أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أى بنى ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن شر الرعاء الحطمة [١] » ، فإياك أن تكون منهم . وليعلموا أن الله حملهم من هذه الأمانة التى عرضها على السموات والأرض والجبال فأشفقن منها ما لم يحمله غيرهم ، ولا يسأل عنه سواهم ، وأنه جعلهم فى مكان المثل والأسوة ، والإمامة والقدوة . فليتعهدوا أنفسهم ، وليتفقدوا شئونهم . فإن الناس لن يزالوا مستقيمين ما استقامت بهم أئمتهم وهداتهم . كما يقول عمر رضى الله عنه . وإن الله يزع [٢] بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، كما يقول عثمان رضى الله عنه وقد سأل عمر بن عبد العزيز الحسن البصرى رحمهما الله أن يكتب له صفة الإمام العادل ، فكان مما كتبه له فى صفته أنه قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح

---

[١] يعنى المسرف فى العنف وأصله من الحطم بمعنى الكسر . [٢] يكف ويمنع .

كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، وأنه هو القائم بين الله وبين عباده : يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم .

ثم سعدت برعية عامة لا تنزع يدا من طاعة ، ولا تشق عصا الجماعة ، ولا تعصى فى معروف ، ولا تخالف فى عسر ولا يسر ، ولا منشط ولا مكره ، ولا تألو جهدا فى النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين .

وسعدت بمربيها الذين يسطرون الأفكار والمبادئ على صفحات العقول ، ويغرسون الغرائز والمشاعر فى جبلات الفطر وسويداوات القلوب ، ويطبعون على المكارم والشمائل سجايا النفوس .

ثم سعدت بآباء راشدين يسوسون أمور أبنائهم وذويهم بالحكمة ، ويوفونهم حقوقهم المشروعة ، ويحببون إلى أبنائهم العلم والفضيلة ، ويرغبونهم فى العمل والبطولة ، ويقومونهم بالتأديب والتهذيب ما أمرهم الله أن يقوِّمهم إياه إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

وسعدت بنساء يحسن تدبير بيوت أزواجهن ، ويتقين الله فى أموالهم وأولادهم ، ويحفظن لهم غيبهم بما حفظ الله ، ويجعلن من بيوت الزوجية جنات ناضرات يستروح بنسائمها أولئك الأزواج المكدودون فى سبل الرزق ، المعنون بعناء العيش ، المحطمون تحت أعباء الحياة ، ويجعلن من بيوتهن مدارس لتدريب الأبناء والبنات على أساليب الحياة الصالحة ، والعيشة الراضية ، والأعمال النافعة ، والأخلاق الطيبة .

والأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

والوعيد شديد لمن استرعاه الله رعية فضيعها ولم ينصح لها ، وقد سبق بعضه . ومنه ما رواه معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ـ يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ـ إلا حرم الله عليه الجنة » .

ويأخذ المحدثون من هذا الحديث العظيم : أن الراعى ليس مطلوبا لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك . فينبغى ألا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه . ونستطيع أن نأخذ منه أيضا : أن على كل فرد من الأمة واجباً اجتماعياً يدور على دفع المضار عن رعيته ، وجلب المصالح لها فى حدود ما آتاه الله ؟

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

الاختلاط فى التعليم

نشرت صحيفة الأهرام كلمة فى « ما قل ودل » تعبر عن رأى والد فى اختلاط الجنسين منذ نعومة الأظفار بالتعليم لينشأ الأولاد والبنات على التقدير والثقة ، وإزالة الخجل والحيرة فى مرحلة التعليم الجامعى ، ثم كتبت الدكتورة درية شفيق بصحيفة الجمهورية مقالا تؤيد هذه الوجهة ذاكرة أن الاختلاط فى التعليم أساس الثقة والتكريم ، وأن الامم الراقية هى التى تجمع بين الجنسين فى دور التعليم والثقافة .

ولست أعجب من شىء كعجبى من تلك الحجج التى لا تكاد تقف على قدم ، ولا تثبت على دعامة قوية . فهل الاختلاط يمنع الحيرة ، ويزيل الاضطراب النفسى بدون تبادل العواطف والسقوط فى الزلات والمعاطب ؟ لو كان الأمر كما يريد دعاة الاختلاط ، لقلت الجرائم الخلقية فى بلاده ووقفت الغريزة الجنسية عند حدها . ولكننا نرى ونسمع كل يوم أحاديث يندى لها الجبين ، أساسها الاختلاط والاتصال .

لسنا نشك فى أن العلم قد تقدم ووسائله قد يسرت . ولكن الأخلاق من غير شك قد تأخرت ، ودعائم الأسر قد تهاوت ، ووشائج النبل قد انهارت . ومن الذى قال إن العلم والمعرفة والحضارة والمدنية الحقة أساسها الاختلاط المزرى ودعائمها الاتصال المردى غير الدكتورة ومن على شاكلتها من المقلدات والمقلدين ؟!!

لقد جربنا الاختلاط فرأينا آثاره ، وحملنا أوزاره ، وقلدنا غيرنا فصرنا تبعا وقد كنا سادة ، وآذانا التقليد وما كان أجدرنا بالتجديد . فهل نجرب الفصل بين الجنسين فى التعليم لنرى ما فيه من حسنات ، ونجنى ما فيه من خيرات ، ونحظى بتزويج البنين والبنات ؟ ولعل دعاة الاختلاط يرون معى أن من أسباب قلة الزواج هذا الاختلاط الذى يجعل الشباب يعبث بالفتيات ويفر من المسئوليات والتبعات . فالاختلاط يؤثر فى الأخلاق والعادات ويعرض الفتيان والفتيات إلى مزالق لا يسلم من ضررها المجتمع ولا ينجو من آثارها الوطن . وليس أدل على ذلك مما ذكرته صحيفة الأهرام فى ٢٥/٣/٥٥ أن سبعين ألفا من الاطفال فى أمريكا لا نسب لهم ، وأن السبب فى تلك الكارثة الاختلاط والاتصال . فماذا تصنع الدكتورة درية بهذا الجيش الجرار الذى نشأ ضحية الإثم والعار ؟ نعم ما ذا تصنع الدكتورة

وهى المفتونة بتقليد الغربيين ؟ أتريد لمصر مثل هذه الأوزار ؟ أم تريد للبلد مثل هذا الاستهتار ؟ أم تقول إن مثل هذه الأوزار ليس فيها ضرر ولا ضرار ؟

أغلب الظن أنها لاتستطيع الدفاع الحق عن تلك الحال ، فإنها لاتقبل الجدل ولا النضال . سبعون ألفا يضيعون باسم الاختلاط والمدنية ؟ يا لله . هل انقلبت الإنسانية إلى وحشية ، وهل تحولت المدنية إلى همجية ؟ وهل صارت الحضارة مرتعاً للعبث ؟ إنا لنربأ بالبشرية أن تنحدر وفيها دين يدعو للهدى ، وضمير يؤنب ذوى الغى والهوى ، ومثل للمكارم تحتذى ، وعقل يجنب الإنسان الردى . وإنى لأعجب لدعاة الاختلاط وهذا أثره الذميم فى الدول التى أقرته ، ولا يدعون إلى فصل الجنسين فى دور العلم وقد أخذت به دول غير مسلمة ، وأقره رجال التربية الروسيون بعد تجارب دائبة ، وأثبتوا أنه أصلح فى تربية الجنسين وأقوم فائدة فى تهذيب النفوس من الناحيتين الخلقية والعلمية .

إن نبى الإسلام قرر الفصل بين المتعلمين والمتعلمات فجعل للرجال أياماً وللنساء مثلها . أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قالت النساء للنبى عليه الصلاة والسلام : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك . فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن . فلو كان الاختلاط جائزا لما كانت به حاجة إلى أن يخصص لهن يوما .

لتطوِّف الدكتورة ما تطوف ؛ ولتنتقل حيث شاءت ، ولتجلب لنفسها من الآراء ما أرادت ، ما دامت تجعل تقليد الغرب أسمى أمنياتها . وقول الحق رجعية لأنه لا يوافق هواها . والشىء الذى لا ينبغى لها أن تقع فيه أن تدعو إلى الاختلاط باسم الدين والحضارة ، بعد ما ذاعت هذه الأغلاط وفسدت أخلاق الغرب وسرت عدوى الفساد فى كل الطبقات فاضطربت الأمور وساءت الأحوال .

ليس كل ما فى الغرب حقا يتبع ونوراً يسطع ، وليس كل ما فى الشرق باطلا يقطع ، وضلالا لا يدفع ، ولعل ذلك هو ما دعا جامعة الإسكندرية إلى التفكير فى إنشاء كلية خاصة بالبنات تقديرا لخطر رسالتها فى هذا العهد الذى يقـــدر المسئوليات ويسعى إلى الخير فى خطوات موفقات فى سبيل الوطن وإسعاد ذويه . فإلى وزارة التربية والتعليم كل ثناء وتكريم لسنِّ قرار الفصل بين الجنسين فى مراحل التعليم ، فهو قرار عظيم يستحق كل إجلال وإكبار ؟

محمد صابر عاشور
مدرس بمعهد دمنهور الدينى

ليلة القدر

هى ليلة وحيدة فى السنة ميزت عن جميع لياليها بعظيم قدرها ، ومن ثم سميت ليلة القدر ، يحتفل بها فى الملأ الأعلى احتفالا يتضمن من مدهشات الاعاجيب ما لا يحيط به إلا الحق تعالى ، غير أنه سبحانه يطلع على بعض ذلك من شاء من خلقه . والغالب أنه لا يكاشف بشئ من ذلك إلا الصالحون .

والحق الذى دل عليه القرآن والأحاديث المتكاثرة أنها لا تخرج عن رمضان ، والغالب اختصاصها بالعشر الأواخر منه ، وأرجى ليالى العشر أوتاره ، وأرجى الأوتار ليلة سبع وعشرين ، ثم ليلة واحد وعشرين ، وثلاث وعشرين . وذهب جمع من الصحابة إلى أنها ليلة سبع وعشرين ، منهم ابن عباس ، الذى دعا له النبى ﷺ بأن يفقهه الله فى الدين ، ويعلمه التأويل ، أى « تأويل القرآن » وقد استجيب فيه هذا الدعاء ، فقد كان رضى الله عنه من أفقه الصحابة وأعلمهم بتفسير القرآن حتى سمى « ترجمان القرآن » .

وحكمة إخفائها أن يجتهد الناس فى العبادة فى جميع رمضان ، كما أخفيت ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ليجتهد الناس فى جميعه ، وأخفى رضاه تعالى فى طاعته ، وغضبه فى معاصيه ، كى يعتنوا بجميع الطاعات ولا يستصغروا شيئا منها ، ويحذروا كافة المعاصى ولا يتهاونو بواحدة منها .

وحسبنا فى عظيم فضلها ، ورفيع شرفها ، قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » . قالوا : أى ثواب العمل فيها أفضل من ثواب العمل فى ألف شهر ، والروح : هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله جل وعلا : « من كل أمر » أى : من أجل كل أمر عظيم سار قدّره الله لأهل الأرض العابدين ، كقبول الطاعات ، واتساع الرزق ، والبشرى بحسن العاقبة ، وغير ذلك مما تلقيه الملائكة فى روع المتقين وقلوب المؤمنين ، فهى ليلة بر وإحسان ، وصلة وإنعام ، ولذا قال عز وجل : « سلام هى » أى : ما هى إلا سلام ، وأمن وأمان ، يمنع الله فيها أحداث الزمان ، وفيها تسلم الملائكة على

المؤمنين ويصافحونهم وهم فى عباداتهم ، وإن كان لا يحس ذلك منهم إلا كملتهم ، ويستمر كل ذلك من مغرب الشمس إلى مطلع الفجر .

قال العلامة ولى الله النووى فى شرحه على صحيح مسلم : « اعلم أن ليلة القدر موجودة ، وأنها ترى ، ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان ، كما تظاهرت عليه الأحاديث . وأخبار الصالحين برؤيتهم لها لا تحصى » .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعتكف (أى يمكث فى المسجد) العشر الأواخر من رمضان ، ويعتكف معه أزواجه الكرام ، رجاء الفوز بليلة القدر ، واهتماما بشأن رمضان فى أواخره ، إعلاما بأن المدار على الختام .

هذا وقد فسر بعضهم قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » بخلاف ما تقدم حيث قال : (إن الغرض من ذكر الألف ، هو التكثير لا التحديد ، وإن المعنى : أن ليلة القدر خير من شهور جد كثيرة ، بل قيل إنها خير من الدهر [١] ، وعلى هذا فالمراد خيريتها لا من حيث العمل فحسب ، بل من حيث أنها كانت ليلة نزول الكتاب الحكيم الذى تضمن من الخير للخلق والبر بالإنسانية ما لا يعلمه إلا الله تعالى . مع ما يفاض على العاملين فيها مما لا يكتنه كنهه ولا يحاط بقدره .

(وبعد) فإن أسعد أوقات العبد على الإطلاق وقت يتوب فيه إلى ربه ، ويرجع فيه عن غيه ، ويأخذ فى امتثال أوامر مولاه ، واجتناب كل ما عنه نهاه . وأبرك الأوقات على هذه الأمة وقت يعودون فيه إلى التمسك بدينهم ، والتشبث بمتابعة نبيهم ، إذ بهذا دون غيره يعود إليهم مجدهم العظيم ، ومدنيتهم الحقة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فإلى الله تعالى نرغب أن يقرب هذا الوقت العظيم ، وأن يوفق الأمة القائدين منها والمقودين ، إلى الألفة والوحدة ، ومتابعة الكتاب والسنة ، حتى يسعدوا السعادة الحقة فى الدنيا والأخرى ، إنه تعالى مجيب الدعاء ؟

محمد عبد المنعم محمد زهران
ناظر مدرسة المحمودية الابتدائية

---

[١] أى الزمان .

تعليقات

— ١ —

مع الثورة

فى مصانع الذخيرة

١ — وأخيراً : أعفتنا الثورة من البضاعة الكلامية ، ومن خطاب برلمانية للعرش ، كنا نسمع فيها بيانا وسحرا ، ونستشف من ثناياها أملا وبشرا ، ثم تمضى الأيام ، وتتلاحق الأعوام ، فلا نراها إلا قدرة على الخداع ، واستدراجا إلى الضياع .

وقد لجأتنا الثورة بما كنا نهفو إليه ، ولا نتوقع الحصول عليه .

وأشهد : لو أن واصفا ذرب اللسان وصف لنا ما رأينا فى تلك المصانع الحربية لما بلغ وصفه من الواقع إلا ما يبلغه التمثيل بوميض البرق لوهج الشمس الضاحية .

٢ — حملتنا السيارة إلى مصنع للذخيرة فى ضاحية من ضواحى القاهرة ، وبعد أن أمعنت بنا فى جوف الصحراء وقفت على مدخل بناء ليس شامخ الذرى فى تطاوله ، ولا أنيق الشرفات فى أبهته ، ولكنه فى بساطته من الخارج يهولك موقعه رهبة ووحشة ، ويوحى إليك مظهر الحراس من حوله ، وفى أبراجه مدججين بالسلاح على قدم وساق ، أن فى داخل المبنى سرا خطيرا ، وأن له حرمة تقوم على رعايتها تلك الثلة من نسور الجيش المصرى .

٣ — كان مأذونا لنا بالدخول والمشاهدة ، ومع ذلك كانت الدقة فى المناقشة ، والتحرى عن القصد والتأكد من صدق الغرض فوق ما كنا نظن ، وأبعد مما نتوقع .

ثم ما كدنا نجتاز أول باب حتى تلقانا ضابط كريم اللقاء ، مشرق الجبين ، وهو صاحب النوبة فى الإشراف على الحراسة وإدارة المصنع ، جلس إلينا فى ردهة متوسطة السعة ،

وبادلنا عبارات الترحيب ، ثم قام يطوف بنا فى جنبات هذه المدينة الصناعية المصغرة ، ويخرج بنا من بهو إلى آخر ، وفى كل واحد عمل يكمل بعضه بعضا ، ويختلف نوعه عما فى البهو الآخر ، والضابط الكريم يتعهدنا بالشرح التطبيقى لما تؤديه تلك الماكينات الكهربائية المنسقة فى أوضاعها ، والبارعة فى شكلها وعملها ، وشهدنا كيف تمر الأنبوبة النحاسية المستطيلة بتلك الأجهزة واحداً بعد آخر فيعمل كل واحد عمله فيها حتى تراها فى سيرها تنتهى إلى قطع فى حجم القلم أو أكبر أو أقل طبقا للغرض المقصود منها ، وأنت تراها فى النهاية أنابيب مخروطة ، وتراها بعد ذلك تمر فى سرعة خاطفة بأجهزة كهربائية أخرى وتخرج منها محشوة بالرصاص الذى يبهرك العمل فيه حين يصهر ، وحين يعبأ فى تلك الأنابيب ، وتكون مهيأة للوضع فى المدافع أو البندق أو المسدسات .

٤ — قضينا ساعتين فى أحضان ذلك المصنع البالغ خمسة وأربعين فدانا ... وأفدنا فى هاتين الساعتين ما ملأنا زهواً بمصريتنا الجديدة ، وإيمانا بأن الثورة خلقت مصر خلقا آخر .

وحقاً كان العجب يأخذ منا مأخذه لكل شىء يقع تحت أنظارنا هناك : نظاما ، وتنسيقا ، وروعة .

وهذا هو العامل المصرى الذى عاش مغمور الشخصية ، مقبوراً فى مصانع الحرف الضئيلة ، وفى تلك الخربات التى كانت تفنك بشبابه فى سبيل عيشه المنكود : يجلس اليوم إلى تلك المخترعات ويبدى من ذكائه وتمام استعداده للإنتاج ما يبهر الجاهلين بكفايته ، ويكبت الحانقين على نهضة مصر ، ولقد حسبنا أن هذا المشهد الذى أثار فينا ما أثار من كبرياء وعزة هو غاية ما أدركته الثورة الآن .

ولكن الرحلة امتدت بنا إلى مصنع آخر ، فكان آية جديدة تفوق ما شهدنا إبداعا واتساعا ، وفيها من ضروب الصناعة ما زاد فى عجبنا ، وضاعف من بهجتنا . وكشف لنا عن أسرار فنية يودعها المولى فى رؤوس العباقرة من عباده ، وتتجلى بها مواهبهم على صفحة هذا الكون . وإنها لشاهد صدق على أن الله استخلف عباده فى أرضه ليعمروها بجهودهم ، ويبرزوا كوامن إبداعه بنشاطهم . وإن كانت أدوات الحرب مشأمة ، ومدعاة التخريب ،

وليس فيها ما يبهج المحبين للسلام ، فقد كان من سنن الله فى خلقه أن يخلق من الشر خيرا ، وأن يكون الإرهاب بالتدمير وسيلة إلى التعمير ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ونحن لا نزعم أن ما أعجبنا به هو غاية ما هنالك ، ولكنه غريب فى اعتبارنا بالقياس إلى ما كنا فيه إلى سنتين مضتا ، وقد لا يكون غريبا عند من شاهدوا المخترعات الحديثة فى مثل هذا الضرب من الصناعة كسبك المعادن ، وخراطة الحديد ، ونجارة الأخشاب ، والنسيج ونحو ذلك .

نعم كانت صناعة الذخيرة معهودة فى مصر منذ أزمنة خلت ، ولكن ذلك شىء وما نشهده اليوم شىء آخر ، ولقد عشنا عيالا على الغير فى لوازم الجيش حتى لمسنا نتيجة الجهل بها والفقر فيها على أرض فلسطين ، وكانت المأساة المحزنة هى السبب الحافز على تلك الثورة الميمونة . وحقا كما قلنا إن الشر يكون أحيانا سببا فى الخير . على أن الاتجاه إلى التسليح والتأهب للدفاع ليس حتما وسيلة إلى الحرب ، وإنما هو فى النظرة الرشيدة للدفاع وحماية الوطن من عدوان المعتدين إذا اقتضى الأمر ، وتلك هى سنة الإسلام وتوجيهه « وأعـــدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

فثورتنا الرشيدة بما تبدى من الجد فى استصناع الذخيرة ليست عادية ولا باغية ، وإنما هى قائمة بحق الوطن وحق الدين جميعا .

ومما يزيدك رضا واطمئنانا أن الثورة لم يغب عنها فى هذه المصانع أن تأخذ عمالها بالتوجيه الدينى ، فأنت ترى أول ما يواجهك فى المصنع ذلك المسجد الأنيق الذى يبعث فى النفوس ذكريات التقوى بجانب ما تبعثه صناعة الذخيرة من ذكريات الحروب ، وفى اقتران الذكريين يتمثل الإيمان والقوة المادية .

وفى الحق ان الإيمان والقوة المادية هما مقومات الأمة ، وأحدهما من غير الآخر لا بقاء له ، وعلى هذا الأصل قام الإسلام غير باغ ولا عاد .

وتشهد للثورة ذلك التوجيه فى معسكرات الجيش ، فهى معنية بإنشاء المساجد فيها مقتنعة بأن غرس الشعور الدينى وتركيز روحه فى نفس الجندى والعامل ضمان لشخصية كل منهما

من آفة التداعى والميوعة ، ونهوض بهما إلى الوطنية المثالية التى تنآى بهما عن الأنانية وتحبب إليهما الإيثار والتضحية ، فإن يكن للثورة كبير الفضل فيما أبدت من ضروب الإصلاح على قصر العهد ، فإن من جوانب فضلها المشهود أنها لا تنساق إلى ما انساقت إليه الارستقراطية البائدة من الغفلة عن مؤازرة الدين ، والاعتزاز به ، والدعاية إليه .

وليس حتما بل ولا سائغا أن يساق الناس إلى الدين بالعنف والإكراه ، إذ الدعوة الإسلامية فى منهجها الأصيل دعوة سلمية من طريق الإرشاد والترغيب ، ولا يكون الإكراه والترهيب إلا حين تخفق الموعظة الحسنة عند غلاظ القلوب .

فإن تكن الثورة آخذة فى نشاطها بدعم الجانب الأدبى فهى آخذة بالأسلوب الإسلامى فى دائرة الهدوء والتريث المتزن ، وحسبك من زعمائها أنهم فيما عرف عنهم جميعاً لا يعرفون بشىء مما عرف عن حكام سابقين .

هذه لفتات نوجه بها الأذهان الغافلة إلى صنيع الثورة فيما تعده لخدمة الوطن وفيما تحرص عليه من دعم الأخلاق ، وتقوية المعنويات ، وانتشال الأمة من مساقط العهد البائد فى مراحله كلها ، إلى أكرم أوضاعها ، مما يتفق مع تاريخها ، وتقاليدها ، ودينها ، ويصل بينها وبين حياة جديدة تنشدها بريئة من اللوثات التى تعكر على سمعتها أو تشوب ذكراها .

وبعد - فقد كان من العبارات الصادقة التى جرت على لسان البعض منا حينما بهرته عجائب الثورة فى المصانع : (ماذا نقول : والله لقد نقلوا المانيا إلى مصر) وآخر يقول : (لو أنهم حجزوا مرتباتنا كلها للإنفاق فى إعداد الجيش لآمنا بما يصنعون ، ولا عدنا نقول : فيماذا ينفق الجيش ؟ ؟)

وذلك حق ، والأيام كفيلة بإظهاره ، وسيتضح الصبح لكل ذى عينين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

– ٢ –

الأزهر

ومزاعم السيدة درية شفيق

طربت السيدة درية شفيق وجهرت بفرحتها حينما روت إحدى الصحف أن الأزهر آخذ فى تمكين الفتاة من ثقافته الدينية ، وعامل على إعداد كلية نسوية تقوم على منهج إسلامى يسلك بالفتاة سبيلا أقوم فى صقلها ، وإعدادها للأمومة المثالية ، حتى تشغل حيزها إلى جانب الرجل .

وكان ولا يزال جديرا بالسيدة درية وسواها أن تطرب لذلك الاتجاه ، وأن تتعجله ، وأن تتمنى للأزهر توفيقا فيما تحدثت به بعض الصحف ، وألا يلتى فى سبيل التعليم النسوى ما لقيه آنفا من المعوقات .

ونحن نقدر للسيدة درية وغيرها ذلك التفاؤل ، ونعتبره مؤازرة أدبية فى تذليل الصعاب وإحقاق الأمل .

إذ ما من شك فى أن هذا نهوض بالفتاة إلى المكانة التى تخلفت عنها بعد صدر الإسلام ، حتى كأنها لم تكن شطرا من شخصية الرجل ، ولم تعد ذات أثر إيجابى فى تقويم المجتمع وقوامه .

ولكن الذى نقف عنده من غبطة السيدة درية هو زعمها للناس أن الأزهر - فيما أبداه من الحرص على تزويد الفتيات بالثقافة الدينية - مستجيب لما نادت به السيدة درية ، ونازل على إرادتها ، وأنه نشط إلى هذه الناحية بعد أن سبقته هى إلى الهتاف بإعطاء المرأة حقها .

وأحسب السيدة تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - أولا - لم يكن المسئول عن الحيلولة بين المرأة وتزويدها بالعلم النافع ما أمكن ، بل كان ذلك لأسباب بعيدة عنه ، وليست خاضعة لنفوذه .

وإذ لم يستطع الأزهر إعداد المعاهد النسوية لم يفته أن يبث دعوته الثقافية في الأوساط على اختلافها من كل نافذة تتاح له ، وأنه كما يشهد المنصفون يعلم ويكتب ويخطب ، ويذيع في الناس جميعا ، وأنه يحاضر السيدات المثليات في مجتمعات حافلة بهن في أماكن معدة لذلك ومتعددة .

والسيدة درية تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - ثانيا - قائم على ذلك قبل أن توجد هي في الدنيا بقرون وقرون ، فليس من الصدق واحترام الأفهام أن تزعم للناس في جرأة غير معهودة أن الأزهر استجاب لدعوتها ، وأنه أدرك بإرشادها أن المرأة نصف المجتمع .

فأبسط الناس معرفة بالتاريخ ، وصلة بتعاليم الإسلام ، يعلم أن الدعوة الدينية موجهة إلى الجنسين ، وأن المرأة المسلمة في صدر الإسلام تلقت الدعوة كما تلقاها الرجل ، وجلست في مجالس العلم كما جلس الرجل ، وأنها قامت بنصيبها من الرواية والتبليغ كما قام الرجل . . . فليس مقبولا أن تزعم السيدة أن هذا تنبه من الأزهر ، وأنه كان صدى لدعوتها هي : وهي بنت اليوم القريب .

والسيدة درية تعلم فيمن يعلم - ثالثا - أنها مع من يناصرها في ناحية ، والأزهر في ناحية ، فهي تدعو إلى جلوس المرأة مجالس الرجال ومع الرجال في كل شأن ، أو هي تدعو إلى ترجل المرأة ، وانخلاعها من خصائصها إلى خصائص الرجال .

والأزهر لا يتابع في هذه الدعوة أحدا ولو تظاهرت عليها دريات الأرض جميعا ، ولا يمكن أن يرى اللجاج حول هذا من الصواب في قليل ، ولا يستبيح أن يخرج بالمرأة عن دائرتها الكريمة التي هيأتها لها الفطرة ، ولا يستطيع الرجل أن يزحمها فيها ، كما لا تستطيع هي أن تساير الرجل في كل ناحية وإن تيسرت لها بعض النواحي .

وإنما يحرص الأزهر على تقويم شخصية المرأة تقويما أدبيا حتى لا تظل على نقصها ، وحتى تكون أصلح للحياة ، وأجدر بمزاوجة الرجل في المجتمع المنشود ، ويكون الرجل بها أوفر حظا ، وأكرم بيئة .

وذلك مكفول إذا تقاربا ثقافة مع بقائها على أنوثتها وبقائه على رجولته .

أما أن تكون امرأة في طبيعتها وطابعها ، وفي هندامها وزينتها ، وتكون رجلا مع الرجل

خارج البيت وفى مزاحم الرجال ، وفى الغياب عن خدرها ، والتجول والأسفار هنا وهناك ، فذلك بجفاف للفطرة وانتقاض على الحياء الذى هو حلية طبيعية للمرأة ، وتمائمت إلى مدنية نسوية مائعه ، سئمها أهلوها بعد أن خاضوا فيها طويلا ، ورتعوا فى إباحيتها ، ثم صدمتهم نتائجها ولفحتهم جمراتها .

وفى أحاديث العارفين بما هنالك ما يغنى عن الإسهاب ، وبقى لنا إلى توجيهات القرآن التى لا تعجب دعاة المساواة المطلقة ، والتى لو فطنوا إليها بعقولهم لأراحوا واستراحوا . فالقرآن يعفى المرأة من أمور خشنة عليها كالحرب والسعى على الرجل فى المعاش ، ويعفيها من واجبات دينية أخرى ترهقها أو تعرضها للابتذال .

والقرآن يذكر المرأة دائما فى موضع الرفق بها ، والتلطف معها ، والعطف عليها .

ويذكرها دائما على أنها خلقت زوجا وسكنا للرجل وقرة عين له ، وأنها مشتقة من جسده ، وأن بينها وبين الرجل مودة ورحمة ، فوظيفتها الأولى والأصيلة مرسومة فى إطار من الأنوثة المصقولة .

وبناء على ما أجملنا لا يكون الأزهر مع السيدة درية شفيق فيما هى جادة فيه ، إلا أن تكون هى قد هذبت من فكرتها ، وتريثت فى دعوتها ، واهتدت إلى ما يقول به الأزهر : غير أنها لا تريد الاعتراف بتقليده ، فهى تواجه الناس بدعوى السبق على الأزهر .

كذلك لا يكون الأزهر ، ولا يمكن أن يكون تابعا لها فيما تراه ، إلا أن نمحو التاريخ الطويل الذى عاشه الأزهر فى رسالته ، ثم نفرضه ناهضا من جديد ، وأنه خفض من كبريائه وشموخه ، ووقف .أ.موما واتخذ إمامه السيدة درية شفيق ، أو من ينفخ فى بوقها من أولئك الذين لا يصغون إلى القرآن ، ولا يكترثون بالتجارب ، ولا يستجيبون للضمير .

لا . لا . يا أماه ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



تفسير الطبرى

الجزء الأول — ٦٢٣ ص — دار المعارف بمصر

الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ — ٣١٠) علم من أعلام الرواية والفقه والتدوين فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع . وأكثر الذين أفادوا من علمه فى عصرنا إنما عرفوه على أنه صاحب التاريخ الذى حفظ لنا — منذ ألف سنة — عشرات الالوف من الآثار والنصوص عن عشرات من المراجع الأولى المختلفة المراتب التى أبادها أعــداء الإنسانية فى كوارث هولاكو والحروب الصليبية وما بعدهما . ولو لم يؤلف الإمام أبو جعفر الطبرى كتابه فى التاريخ لضاعت هذه النصوص ولضاع بضياعها علم غزير وتراث لا يعوض . وما يقال عن تاريخ الطبرى يقال أكثر منه عن تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) الذى قال فيه أبو عمر الزاهد غلام ثعلب « قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفا خطأ فى نحو أو لغة » . وإذا كانت هذه منزلة تفسير الطبرى فى النحو واللغة فماذا نقول فيما حفظه من النصوص المأثورة فى تفسير القرآن عن الصحابة والتابعين وسائر أهل القرون الثلاثة الاولى مما حوته كتب أعلام المفسرين المتقدمين فى الزمن على الطبرى ، وهذه الكتب العظيمة الخطر هى كذلك مما فقدناه فى الكوارث والأحداث التى نزلت بأوطان العروبة والإسلام ، ولو لم يؤلف هذا التفسير — وهو فى ثلاثين جزءاً — لكانت الرزية بفقد تلك الكتب أفدح مما نشعر به الآن . وكان تفسير الطبرى قد طبع مرتين قبل نحو نصف قرن إحداهما بمطبعة بولاق . لكنه فى طبعتيه لم يرزق العناية والعلم والصبر والبصيرة النيرة التى رزقها الآن بقيام رجلين من رجال العلم بتحقيقه وخدمته أحدهما الأستاذ محمود محمد شاكر الذى اضطلع بأعبائه دائباً صابراً منقباً مراجعاً ، فتولى تصحيح متن الكتاب وضبطه ومقابلته على ما بين يديه

من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجعته على كتب التفسير التى نقلت عنه ، وعلق عليه ، وبين ما استغلق من عبارته ، وشرح شواهده من الشعر ، وبذل جهده فى ترقيم آثاره ونصوصه . وقد استعان ببقايا مخطوطات الكتاب ، وهى أجزاء مفردة من الجزء الأول فى دار الكتب المصرية برقم ٤٢ م و ٤٣ م تفسير ، والجزء السادس عشر منه برقم ٢٧٨ تفسير ، ومخطوطة برقم ١٠٠ تفسير كانت فى ٢٥ مجلداً ضاع منها الجزءان الثانى والثالث ، وهى قديمة غير معروفة التاريخ ، وعلى ما فيها تكاد تكون أصح النسخ . ولذلك جعلها أماً لنشر هذا الكتاب . أما سائر المخطوطات فهى سقيمة ورديئة . وانتفع بكتابى (الدر المنثور) للسيوطى و (فتح القدير) للشوكانى فهما يكثران النقل عن أبى جعفر . أما ابن كثير فلم يقتصر على نقل الآثار بل نقل بعض كلام أبى جعفر بنصه فى مواضع متفرقة ، وكذلك فعل أبو حيان والقرطبى فى مواضع قليلة من تفسيرهما ، فعارض المخطوط والمطبوع من تفسير أبى جعفر بما نقل عنه فى هذه الكتب ، كما راجع كثيراً مما فى التفسير من الآثار على سائر الكتب التى هى مظنة لروايتها وبخاصة تاريخ الطبرى نفسه ومن فى طبقته من أصحاب الكتب التى تروى الآثار بالأسانيد . وما تكلم فيه الطبرى من النحو واللغة راجعه الأستاذ محمود شاكر على أصوله مثل (مجاز القرآن) لأبى عبيدة و (معانى القرآن) للفراء وغيرهما ، وتتبع شواهده ما استطاع فى دواوين العرب ونسب ما لم يكن منها منسوبا وشرح الأبيات وحقق ما يحتاج إلى تحقيق من قصائدها ، وبين ما وقف عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم مما استعمله الطبرى وخالفه النحاة المتأخرون فى اصطلاحهم .

إن هذا الجهد العظيم الذى بذله الأستاذ محمود شاكر فى خدمة تفسير أبى جعفر الطبرى مضافا إليه الفهارس التى سنشير إليها فيما بعد ، قد أكمله بجهود أخيه الأستاذ العلامة الشيخ أحمد شاكر ، فإنه نظر فى أسانيد أبى جعفر — وهى كثيرة جداً — فتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك ، ثم خرّج جميع ما فى الكتاب من أحاديث رسول الله ﷺ ، وقد يساهم فى غير ذلك من مؤازرة أخيه فى مراجعة بعض عمله الطيب والاستدراك عليه .

ومع أن الأستاذ محمود شاكر سيلحق بالكتاب عند انتهاء طبعه إن شاء الله فهارس عامة ، فقد تعجل فأفرد بعض الفهارس مع كل جزء : فجعل فهرساً للآيات التى استدل بها الطبرى فى غير موضعها من التفسير ، وفهرساً لألفاظ اللغة التى رواها الطبرى ، وكثير منها مما لم يرد

فى المعاجم أو جاء بيانه عن معانيها أجود من بيان أصحاب المعاجم ، وفهرسا للرجال الذين تكلم عنهم أخوه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر .

وهذا الجزء الأول الذى صدر الآن من تفسير أبى جعفر رحمه الله وأحسن إليه انتهى إلى آخر الآية ٤٣ من سورة البقرة ، وتكون بداية الجزء الثانى من تأويل قول الله عز وجل (تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وهومطبوع أنفس طبع وأكمله على ورق جيد . فنرجو الله أن يعين على إتمام الكتاب كله وهو المستعان وبه التوفيق .

كتاب البحث ، فى شرح كتاب (البعث)

لفضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغى — ٢٧٢ ص — مطبعة السنة المحمدية

كتاب (البعث) لأبى بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٣٠ — ٣١٦) العالم الحافظ ابن الإمام القدوة الحافظ . وكتابه (البعث) جزء جمع فيه واحداً وثمانين حديثاً فى أحوال الميت من وقت احتضاره إلى وقت قراره فى الآخرة وما يعرض له بين ذلك من أحوال وأهوال وخوف ورجاء وما يلقاه فى قبره وبعثه وحشره وامتحانه بالسؤال ومروره على الصراط وحاجته إلى الشفاعة والتماسه ذلك عند الأنبياء والمرسلين ، وما أعد الله لأوليائه فى الجنة من الألطاف والكرامات .

وقد عثر فضيلة الأستاذ أبو الوفا على مخطوطتين قديمتين منه بالمكتبة الأزهرية كتبت إحداهما فى أواخر القرن الرابع ، والثانية فى أواخر القرن السادس ، وعلى مخطوطة ثالثة بدار الكتب المصرية بخط إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن جماعة سنة ٨٥٧ . فقام بتحقيق الكتاب وتصحيحه وشرح كل حديث من أحاديثه ، بعد أن ذكر رجاله وتخريجه ودرجته ، وراجع لذلك كتبا سماها فى آخر الكتاب مع تعيين الطبعة التى اعتمد عليها فى النقل ، فجاء الكتاب كأجود ما ينبغى من العناية لأمثاله من كتب السلف التى نرجو أن يوفق فضيلته إلى نشر أمثالها ، وهى بين يديه ومن حوله فى المكتبة الأزهرية التى كان من أعظم خدمته لها تنظيمه الفهرس المفصل لكتبها فى خمسة مجلدات كبيرة . وإن قراء هذه المجلة من أعرف الناس بفضله مما يقرأونه له فى كل جزء من أجزائها .

الوسيط فى أصول فقه الحنفية

لفضيلة الأستاذ أحمد فهمى أبو سنه - ٢٦٤ ص - مطبعة دار التأليف

أصل هذا الكتاب بحوث القسم الثانى من كتاب (التوضيح) فى أصول الفقه لصدر الشريعة الحفيد المتوفى ببخارى سنة ٧٤٧ ، حل به غوامض كتابه (التنقيح) وكان قد نقح به كتاب (أصول فخر الإسلام البزدوى) بتنظيم مسائله وبيان مراده ضاما إليه ما احتاجه المقام من أصول السرخسى ومحصول الرازى ومختصر ابن الحاجب . ثم شرحه بكتاب (التوضيح) الذى عرض الآن فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد فهمى أبو سنة لبحوث القسم الثانى منه فخصها وأكملها ورتبها وبذلك يسر دراستها لتلاميذه من طلاب أصول الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بالأزهر وكتاب (التوضيح) يعتبر فى مذهب الحنفية حجة ، وقد خطا بأصولهم وفقهم خطوة واسعة نحو إحكام القواعد وتهذيب الفروع وقد خدمه فضيلة الأستاذ أبو سنة بهذا الوسيط فبسط بحوثه ، وحقق ما أشكل من مسائله ، واستدرك ما فاته مما لا يستغنى عنه المتفقه ، قال : وربما اقتضى الدليل أن أخالفه فى تصحيحه أو ترجيحه .

وقد حرص على الإكثار من إيراد الأمثلة الفقهية توضيحا للقواعد وتمرينا على تطبيقها وبياناً لمطابقة ما قاله الأصوليون لما رآه الفقهاء .

ومباحث القسم الثانى من التوضيح تناولت حروف المعانى والصريح والكناية والدلالات والأمر والنهى ودلالتهما وأقسام المأمور به والمنهى عنه وحسن الأفعال وقبحها وشروط التكليف . وقد وصف الكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى بأنه يحتل منزلة رفيعة من وضوح العبارة وجودة الترتيب والتصنيف وتحرير المباحث وتحقيق المشتبهات وتبسيط الغوامض فجزى الله المؤلف خيرا .

التفسير الواضح

لفضيلة الأستاذ محمد محمود حجازى — الأجزاء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ — دار الكتاب العربى

لا يزال القراء على ذكر مما سبق لنا كتابته على هذا التفسير المختصر الجامع الذى سد فراغا كان يشعر به جمهور المثقفين من شباب المسلمين لفهم كتاب الله عز وجل حتى وجدوا فى أجزائه التى ظهرت حتى الآن كفايتهم العاجلة ، وتمهيد السبيل أمامهم لفهم الكتب المطولة فى تفسير كتاب الله عز وجل .

وقد صدرت أخيراً الأجزاء الـ ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ منه . وقد علم القارىء أن المؤلف الفاضل اختص كل جزء من أجزاء القرآن الثلاثين بجزء من التفسير ، فلم يبق على تمام الكتاب غير الثلاثة الأجزاء الأخيرة ، وفق الله المؤلف ويسر له إتمامه وأحسن جزاءه

المواريث فى الشريعة والقانون

للأستاذ الشيخ رضوان شافعى المتعافى - ١٩٤ ص - المطبعة السلفية ومكتبتها .

هو شرح لقانون الميراث رقم ١٧ سنة ١٩٤٣ مع الفقه بعبارة سهلة وجداول ميسرة تساعد على الفهم وتربية الملكة ، ألفه فضيلة الاستاذ الشيخ رضوان شافعى المتعافى رئيس محكمة الجيزة الابتدائية الشرعية ، ورتبه على مواد قانون الميراث المعمول به الآن فى مصر ، وقسمه إلى ثمانية أبواب اشتملت على جميع أنواع الميراث . واستطرد فيه إلى ملاحظات واضحة فى بعض المواد والمذكرة الإيضاحية وبعض الموضوعات . وألحق به بحثا فى الوصية الواجبة التى صدر بها قانون سنة ١٩٤٦ فكان من تمام شرح قانون الميراث استيفاء شرح قانون الوصية الواجبة أيضا . وهو مطبوع طبعا حسنا على ورق جيد .

المرأة والاسلام

للأستاذ كمال أحمد عون — ٢٢٠ ص — مطبعة الشعراوى بطنطا

مؤلف الكتاب من أفاضل علماء الأزهر ، وكتابه من أجود ما قرأناه لأزهرى فى موضوعه ، فقد جمع بين العلم والبصيرة النيرة والشجاعة فى مواجهة الباطل بأسلحة الحق. وتدور بحوثه حول : المرأة فى التاريخ ، المرأة العربية ، هل تساوى المرأة الرجل فى القوة الجسمية ، مكانة المرأة فى الإسلام ، تعدد الزوجات ، مشروعية الطلاق ، المرأة فى الميراث والشهادة ، المرأة والحجاب ، المرأة والمسجد ، المرأة والأزهر ، المرأة والحياة العامة ، المرأة والحياة السياسية ، المرأة والشواطىء ، المرأة والاقلام المسمومة ، فى رياض القرآن . ولإعجابنا بالكتاب تمنينا لو أنه خلا من كلمة (مرحوم) فهى حكم بما لا يعلمه إلا الله ، وأفضل من ذلك صيغة الدعاء (رحمه الله) . وإننا ننصح لكل طالب أزهرى بأن يقتنى هذا الكتاب وأن ينهج نهجه فى الدعوة والتفكير .

الأدب والعلوم

الالتحاق بكليات الأزهر

لطلاب البعوث من البلاد الإسلامية

سنت مشيخة الأزهر نظاما جديداً لالتحاق طلاب البعوث من البلاد الإسلامية بالكليات الأزهرية الثلاث ، وهو يتضمن ما يأتى :

١ — يمتحن الطلاب الوافدون للالتحاق بالدراسة العالية بالأزهر — من حملة المؤهلات الشرعية التى لها قيمة علمية — امتحانا عاما فى المواد الأساسية يكشف عن مدى استعدادهم وتحدد لهم على أساسه السنة الدراسية التى يلحقون بها بحيث لا تجاوز السنة الأولى بالكليات .

٢ — لا تمنح شهادة العالمية مع الإجازة إلا لمن أتم الدراسة العالية بالأزهر قبل الالتحاق بأقسام التخصص .

٣ — الطلبة الذين يطلبون السماح لهم بمتابعة الدراسة فقط فى قسم من أقسام التخصص — لحاجتهم الخاصة إلى هذه الدراسة مع سبق حصولهم على شهادة عالية معتبرة من بلادهم ، وترى المشيخة الموافقة على طلبهم مراعاة لظروفهم — يمنحون عند تخرجهم إجازة من الكلية بإتمام هذه الدراسة ، لعدم سبق حصولهم على الشهادة العالية من إحدى كليات الأزهر .

تثقيف المرأة المسلمة

فى الأزهر

بحث فضيلة الأستاذ الأكبر مع كبار المسئولين فى الأزهر حاجة المرأة المسلمة إلى التفقه فى الدين ، وأن يتخرج من المسلمات طائفة تشارك فى العلوم الإسلامية ، فتنشأ لهن كلية خاصة بهن فى الأزهر تكون مهمتها إعداد فتيات صالحات دينيا واجتماعيا بمختلف الدراسات المؤهلة لذلك وتستمد هذه الكلية طالباتها من أقسام للبنات تلحق بكل معهد دينى . وإلى أن تستطيع هذه الأقسام إمداد الكلية بما يلزم من الطالبات اتجه الرأى إلى الاستعانة بوزارة التربية والتعليم فى أن

تتنازل للأزهر عن إحدى مدارسها الخاصة بهذا اللون من التعليم وهى مدرسة تقع فى حى الغورية بالقاهرة وبها نحو ٣٠٠ طالبة، ورؤى أن يتحدث فضيلة الأستاذ الأكبر إلى السيد وزير التربية والتعليم فى هذا الموضوع حتى إذا وافق الوزير أمكن ابتداء الكلية من أول العام الدراسى المقبل .

وسيعد لهذا المشروع منهج علمى سهل التناول قريب المأخذ يشتمل أيضا على بعض المهن النسائية وغيرها من مواد التدبير المنزلى ومواد الأمومة والتمريض ، وإذا تم ذلك تنشأ فى الأزهر (مراقبة عامة لشئون البنات) .

ندوة للطلاب فى الأزهر

دعت إدارة التربية الرياضية والاجتماعية بوزارة التربية والتعليم إلى ندوة عامة بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر حضرها أكثر من ألفى طالب وطالبة امتلأت بهم جوانب المدرج . واشترك فى الندوة الطلبة الضيوف الفائزون فى مسابقة نيويورك هيرالدتربيون وعددهم ١٦ طالبا ، كما اشترك فيها ١٤ طالبا مصريا فازوا بمسابقة الكتب المدرسية .

وقد رأس الندوة الصاغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم الذى كان فى استقباله أصحاب الفضيلة الشيخ الحسينى سلطان والشيخ صالح شرف والشيخ عبد اللطيف السبكى والشيخ محمد فهيم اسماعيل .

وافتتحت الندوة بكلمة من فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى باسم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نشرناها فى مكان آخر ، وقد رحب فيها بالضيوف فى أقدم جامعة ترعى التراث الإسلامى . ثم تحدث بعده السيد وزير التربية والتعليم فرحب فى كلمته باسم الثورة بالضيوف وتمنى لهم إقامة سعيدة .

ودارت فى هذه الندوة أحاديث وإجابات على أسئلة فيما بين الطلبة عما يجول فى أذهانهم من شئون التربية والتعليم والحياة الدراسية ، وكان الطلبة المتحدثون من سيلان والدانمارك ومصر وفنلندة وفرنسا وألمانيا وساحل الذهب والسويد وسويسرا والنروج والأردن وانجلترا وأمريكا ويوغوسلافيا ، فكان ذلك نموذجا لطيفا للتفكير فى مختلف الأوطان حول المعانى التى تجول فى أذهان الجميع .

قاعة المحاضرات بالأزهر

تعد قاعة الأزهر للمحاضرات من أضخم قاعات مصر لهذا الغرض ، وهى تتسع لنحو

أربعة آلاف مستمع ، ومزودة بآلة عرض سينمائى . وقد تم التفاهم بين المجلس الأعلى لرعاية الشباب والجامعة الأزهرية على الإفادة من هـــذه القاعة فى نشر النشاط المسرحى والسينمائى ، واستقر الرأى على أن تشترك كل من وزارتى التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والجامعة الأزهرية فى تنسيق برامج استغلال هذه القاعة لتحقيق هذه الأغراض .

رواق شرق السودان

تحقق مشيخة الأزهر رغبة الطلاب الوافدين من مديرية كسلا وما جاورها فى شرق السودان بإنشاء رواق خاص بهم يسمى (رواق شرق السودان) ، وسينتسب إليه الطلاب الوافدون من البلاد الواقعة بين حدود مصر الجنوبية شمالا والبحر الأحمر وحدود أريتريا والحبشة شرقا وخط وهمى مستقيم شمال مدينة كسلا يبدأ شرقا من حدود أريتريا والحبشة جنوبا ونهر عطبرة غربا . وإذا كان بين الأوقاف المرصدة على طلاب الأزهر وعلمائه أوقاف خاصة بأهالى هـذه الجهات أو بعضها فإنها ستصرف لأهلها على شروط الواقفين .

إعداد الأم الصالحة

وافق السيد وزير الأوقاف على إنشاء معهد لإعداد (الأم المسلمة الصالحة) عن طريق إعداد الفتاة عقب إتمامها مرحلة الدراسة الثانوية وتزويدها بدراسات فى التدبير المنزلى وواجبات الأم نحو أولادها وزوجها . عدا دراسات أخرى فى تربية الطفل والطهى وأشغال الإبرة . وسيقبل فى هذا المعهد ١٢٠ فتاة كدفعة أولى ويشرف على تنفيذ المشروع مدير الثقافة فى وزارة الأوقاف .

كلية إسلامية بالملايو
ومستشفى إسلامى فى بورما

قال القائمقام أنور السادات إن مسلمى الملايو أنشأوا أخيراً كليـة إسلامية فى بلادهم وإن الرئيس جمال عبد الناصر تبرع لهـذه الكلية بحوالى ألفى جنيه سنويا . وإن الأزهر سيوفد إليها اثنين من رجاله ليساهما فى التدريس بها وهما مصريان حاصلان على شهادة التخرج من الأزهر وشهادات من جامعتى لندن وكمبردج .

كما تبرع الرئيس جمال عبد الناصر بحوالى ألف جنيـه سنويا للمستشفى الإســـلامى فى بورما .

وعاظ للأقطار الشقيقة في شهر رمضان

وافق مجلس الأزهر الأعلى على انتداب ستة وعاظ أزهريين إلى السودان ، وخمسة للعراق ، للوعظ في شهر رمضان المعظم . واختيار واعظين للوعظ في قطاع غزة .

سنة الأزهر الدراسية

تحددت نهاية السنة الدراسية في الأزهر هذا العام بيوم الخميس ١٠ ذى القعدة (٣٠ يونيه) وبدء الدراسة في العام المقبل يوم السبت ٢٨ صفر ١٣٧٥ (١٥ أكتوبر) .

جامعة أردنية

سترصد المبالغ التي يجرى جمعها في أنحاء بلاد الأردن لمناسبة زفاف الملك حسين على الأميرة دينا ليستعان بها في مشروع بناء الجامعة الأردنية التي تتجه النية إلى إنشائها .

قانون نحن في حاجة إلى مثله

وافق مجلس العموم البريطاني على مشروع قانون يقضى بمنع عرض أو نشر القصص والمسرحيات التي تتضمن المواقف الجنسية العنيفة ، أو التي تصور بعض نواحي الشذوذ الجنسي ، أو التي تستهدف إلى إثارة الرعب الشديد في النفوس . وقد وضعت الحكومة البريطانية هذا القانون استجابة للرأى العام الذي ضج بالشكوى من هذه المسرحيات والقصص .

ذهب فرعوني

عثر أحد الأهالي ببلدة ميت رهينة من أعمال البدرشين على قربتين مدفونتين في حظيرة المواشي وكانتا مليئتين بالذهب الفرعوني . وتبين أن في تلك البقعة مقبرة فرعونية يوجد بها تابوت وبعض القطع الذهبية .

علوم الحديث ومصطلحه

اقترح مدير معهد الدراسات الاسلامية في حيدر أباد الدكن على الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إنشاء معهد أو جماعة تتألف من علماء الأوطان الاسلامية لدراسة علوم الحديث النبوى ومصطلحه ، لأن ذلك من أهم الأسس في التشريع الاسلامي وفهم الاسلام . وقد أحيل هذا الاقتراح على المؤتمر الاسلامي للنظر فيه .

أنباء العالم الإسلامي

استخدام قوة المسلمين

بحكمة ، وبلا حد

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه (تحرير مصر) الذى صدر فى الأيام الأخيرة :
عند ما أنظر إلى الثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وإلى الستين مليونا فى الصين ، وإلى ملايين المسلمين فى الملايو وسيام وبورما ، وإلى المائة المليون من المسلمين فى باكستان ، وإلى مثلهم فى الشرق الأوسط ، وإلى الأربعين مليون مسلم فى الاتحاد السوفيتى ، وإلى غير هؤلاء وأولئك من ملايين المسلمين المبعثرين فى مشارق الأرض ومغاربها ـ عند ما أنظر إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمع بينهم عقيدة واحدة ، أشعر بضخامة الاحتمالات التى يمكن تحقيقها عن طريق (التعاون) بين (جميع هؤلاء المسلمين) ، تعاونا لا يتجاوز نطاق ولائهم الطبيعى لأوطانهم ، ولكنه يهيء لهم ولإخوانهم فى العقيدة (استخدام قوتهم بحكمة وبلا حد) .

إن لدى شعوب الشرق الأوسط ثلاثة مصادر رئيسية للقوة يجب أن نستخدمها بكل ما لدينا من وسائل ، وهذه المصادر الثلاثة هى :

١ ـ أننا شعوب متجاورة تربط بينها جميع الروابط المادية والأدبية الممكنة .

٢ ـ أرضنا نفسها وموقعها على الخريطة ، ذلك الموقع الاستراتيجى الذى يعد مفترق طرق العالم .

٣ ـ البترول عصب المدنية المادية الذى بدونه تتوقف جميع الآلات عن عملها . ان تكاليف إنتاج برميل البترول فى أمريكا الشمالية ٧٨ سنتا ، وفى أمريكا الجنوبية ٤٨ سنتا ، أما فى البلاد العربية فإن هذه التكاليف لا تتجاوز ١٠ سنتات ، ان مركز الإنتاج العالمى للبترول قد انتقل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى البلاد العربية التى لا تزال بكرا ، ونصف ثروة العالم من البترول تحت أرض البلاد العربية ، وإن متوسط الإنتاج اليومى للبئر الواحدة هو ١١ برميلا فى الولايات المتحدة و٢٣٠ برميلا فى فنزويلا ، و٤٠٠٠ برميل فى البلاد العربية .

ترى هل أوضحت الآن مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟ أرجو أن أكون فعلت ...

إلى مؤتمر باندونغ

فى الساعة الواحـــدة من صباح السبت ١٦ شعبان (٩ أبريل) غادرت مطار القاهرة الدولى إحدى طائرات شركة الخطوط الجوية الهندية مقلة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس وفد مصر إلى المؤتمر الآسيوى الأفريقى فى باندونغ باندونيسيا ، ورافق الرئيس فى سفره أعضاء وفد مصر فى المؤتمر وهم السادة : الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد ، والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ، والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، والأستاذ محمد أبو نصير نائب وزير التجارة والصناعة ، والأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأستاذ مصطفى كامل أستاذ القانون الدستورى بجامعة القاهرة ، والأستاذ عبد الله العريان المنتدب فى الإدارة القانونية بوزارة الخارجية . وينضم إلى وفد مصر هناك الأستاذ على فهمى العمروسى وزير مصر المفوض فى أندونيسيا وقائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية على أن يلتحق بالرئيس فى كراتشى . وللوفد سكرتارية فنية وحرس وكتبة وممثلون للصحافة والإذاعة .

وقد مر الرئيس بكراتشى فاستقبل فيها استقبالا منقطع النظير ، وكذلك كان استقباله فى الهند وبورما . وفى يوم السبت ٢٣ شعبان (١٦ ابريل) وصل الرئيس جمال عبد الناصر والوفد المصرى إلى جاكرتا ثم إلى باندونغ ، وبالرغم من أن الامطار الموسمية الغزيرة كانت تهطل على المستقبلين فإنهم ظلوا ساعات ينتظرون وصوله ، واستقبله مع رجال الجمهورية الاندونسية ألوف كثيرة من الشعب.

وسنصف فى الجزء الآتى هذا المؤتمر الذى يمثل الأمم المستعمرة أو التى كانت مستعمرة وهى الشطر الاعظم من أمم الأرض ونشير إلى أعماله وقراراته إن شاء الله .

المؤتمر الاسلامى

قال القائمقام أنور السادات عقب عودته إلى مصر من رحلته فى الأقطار الإسلامية : تقرر تأليف (المجلس الأعلى) لمؤتمر الإسلامى من الملك سعود رئيسا والسيد غلام محمد الحاكم العام لباكستان والسيد جمال عبد الناصر ، وستوجه الدعوة إلى المؤتمر الاسلامى إلى جميع المسلمين فى العالم ، وستتبرع كل من مصر وباكستان والمملكة السعودية بمائتى ألف جنيه كل سنة لتحقيق التعاون بين المسلمين . ولن يكون للمؤتمر الإسلامى شأن بالسياسة وسيكون مؤتمر عمل لرفع مستوى المسلمين فى جميع بقاع الأرض .

إدانة إسرائيل فى بغيها على غزة

وصفنا فى الجزء الماضى (ص ٨٣٠) البغى الدنىء الذى وقع من إسرائيل على قطاع غزة . وقد نظر مجلس الأمن يوم ٥ شعبان (٢٩ مارس) فى هذا الحادث، وكانت الجلسة برئاسة مندوب تركيا سليم صارى بر، فقال سر بيرسون ديكسون مندوب بريطانيا استناداً إلى الأدلة الماثلة أمام المجلس : إن عدوان إسرائيل كان مدبراً، وكان عملية عسكرية أقدمت عليها إسرائيل عمداً. ويجب أن نذكر بالفضل موقف مصر على ما أظهرته من ضبط الأعصاب، وكان من السهل جداً على مصر أن ترد على العدوان المسلح بعدوان مسلح مثله . وقال هنرى كابوت لودج مندوب أمريكا : لقد أوضحنا فى هذا المجلس فى ثلاث مناسبات سابقة وفى شكل قرارات أو تصريحات أن هذه الإجراءات الانتقامية التى تقوم بها إسرائيل لا تتمشى مع التزامات الدول بميثاق الأمم المتحدة، ونحن نواجه الآن الحادث الرابع وهو أخطر الحوادث إطلاقاً لأنه كان مدبراً . وقال هنرى هوبينو مندوب فرنسا : إن لجنة الهدنة المشتركة أدانت إسرائيل فى حادث غزه، وكان مجلس الأمن قد أصدر فى سنة ١٩٥٣ قراراً بإدانة إسرائيل فى مذبحة (قبية) التى ذهب ضحيتها أكثر من ٥٠ عربيا ، ولعل إسرائيل تدرك أن قرار مجلس الأمن فى هذه المرة يعتبر إنذاراً . ولاحظ لزلى موزو مندوب نيوزلندة أن المندوب الإسرائيلى لم يشر بشىء إلى معاقبة المسئولين عن هذا الحادث، ولا إلى تعويض مصر عن الخسائر التى لحقتها، وهو شىء يحق لمصر أن تطالب به . وقال سوبوليف مندوب روسيا : إن هذا العدوان الإسرائيلى يعد خرقا لميثاق الأمم المتحدة ولاتفاقية الهدنة، ويجب مع استنكار هذه الأعمال أن تتخذ الإجراءات التى تكفل عدم تكرارها فى المستقبل .

وأجرى الاقتراع، فوافق أعضاء المجلس بالإجماع على إدانة إسرائيل .

وتكلم مندوب مصر الأستاذ عمر لطفى فقال : إن قرار المجلس بإدانة إسرائيل غير كاف، ويأمل أن يحمل هذا القرار السلطات الإسرائيلية على التفكير فى الكف عن الأعمال الحربية .

اللصوص وأصحاب البيت

بلغ عدد المدن والقرى العربية التى نسفها اليهود وشردوا أهلها ١١٨ مدينة وقرية فى فلسطين . وجاء فى الكتاب السنوى الذى أصدرته حكومة إسرائيل عن إحصائيات سنة ١٩٤٥ أن عدد العرب الموجودين الآن فى الأراضى الفلسطينية التى يحتلها اليهود بلغ حوالى ١٧٧ ألفاً ، منهم ١٢٠ ألف مسلم و ٤١ ألف مسيحى و ١٦ ألف درزى .

الفهرس

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة فى غرة شوال ١٣٧٤ - ٢٣ مايو ١٩٥٥ - الجزءان ١٧ و ١٨ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المال - فى نظام الاسلام

تحصيله ، وادّخاره ، وطرق التصرف فيه

قالت مجلة (لايف) الأمريكية فى جزئها الأخير الصادر قبيل كتابة هذا المقال :

« إن الإسلام أكثر من مجرّد دين رسمى ؛ إنه مذهب فى الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها فى العالم الغربى » .

ومن حق المسلمين على صحافتهم أن تتحدّث إليهم - بين حين وآخر - عن الإسلام من حيث هو مذهب فى الحياة ، ومن حيث هو قوة دافعة ، ليوجهوا مجتمعهم فى سننه التى باعد الاستعمار بينهم وبينها ، وليوحّدوا اتجاههم نحو أهدافه بعد أن فرقت بينهم السبل .

وأول ما يتبادر إلى الأذهان من نظام الإسلام نظامه فى المال ، لأنه شغل الناس الشاغل فى الحياة ، وهو مطلوبهم الذى يكدحون للإكثار منه ، ومن الخير أن يعلموا حكم الإسلام على ما هم فى سبيله من ذلك ، ليكون كدحهم موافقا لمناهج الإسلام ، فيجمعوا بين الحسنيين : سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة .

إن الإنسانية لا تعرف نظاما أدق ولا أنبل من نظام الإسلام فيما يوجبه على المسلم من تحرى الحق والنزاهة فى الحصول على المال ، ليكون من وجهة النظر الإسلامية مالا « حلالا » . والمأثور فى ذلك عن صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ من الأوامر والتوجيهات ، وأساليب تطبيقها فى سيرة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ، قد حفلت صفحات كتب الفقه الإسلامى والآداب الشرعية بالأحكام المستمدة منها والمستنبطة من نصوصها ، مما لا يتسع للإفاضة فيه مقال فى مجلة .

والحقيقة الأولى من حقائق نظام الإسلام فى المال أنه يحارب مبدأ اعتباره (غاية) ، لئلا يؤدى ذلك بالناس إلى إسراف فى تحصيله وادخاره طلباً لما يسميه الناس (غنىً) ، والغنى لفظ مبهم ليس له مدلول ثابت ولا حدود معينة ، فكل غنىٍّ فقير بالنسبة إلى من هو أغنى منه ، وكل فقير غنى بالنسبة إلى من هو أشد منه فقرا . فالكدح لأجل الغنى - باعتبار أن المال غاية - يستحيل أن يبلغ بجميع الكادحين فى سبيل ذلك إلى غاية يصير فيها كل كادح أغنى من كل غنى ، ومآل ذلك إلى أن يبقى كل كادح أفقر ممن هو أغنى منه ، وبذلك تصبح جهود الإنسانية ضائعة فى سبيل مطلب سخيف يجرى الناس من ورائه فى مثل الدوّامة التى لا راحة لمن اندفع معها فى حركتها ، فكلما أمعن جريا معها ازداد بذلك بعدا عن السعادة ، وحرم الشعور بهناءة الاستقرار .

إن (الغنى) بطر وطغيان ، و (الفقر) كاد أن يكون كفرا . وأكثر ما تنشأ العداوات بين الناس - بل بين أفراد الأسرة الواحدة - عن حب المال ، واعتباره غاية ، والتنافس فى ادخار ما يزيد منه على مقدار الحاجة . وقد يطغى هذا التنافس بين الناس فيبغى بعضهم على بعض حتى فى حاجاتهم وضرورياتهم . وإذا سنّ المجتمع أنظمة لنفسه تخفف من بغى الناس بعضهم على بعض فى سبيل المال ، فإن مجرد اعتبار المال غاية يجعل الحياة تافهة ، ويدفع بأهلها إلى نشاط آلىّ مزعج ، ثم هو يذهب بالوقت فى غير مذاهب السعادة التى يطمئن إليها العاملون القانعون .

لذلك اعتبر الإسلام المال (وسيلة) : فهو وسيلة الفرد إلى استيفاء حاجاته الضرورية فى الحياة . ووسيلة الأسرة إلى هناءتها فى ستر وعافية واطمئنان ، بل وسيلتها كذلك إلى ضمان امتدادها فى خطوات متواصلة نحو السلامة والبقاء بنشاط وقناعة ورضا . ثم هو وسيلة الجماعة والدولة إلى قيام النظام الصالح فى المجتمع ، وتوفير مرافقه العامة والمشتركة ، وإلى دفع الطوارىء التى قد تهدد هذا المجتمع فى نظامه وأمنه وسلامته .

فالمـال إذن ـ باعتباره وسيلة ـ ضرورى للفـرد ، وقد حض عليه الإسلام بترغيب أهله فى السعى والعمل والـكسب الحلال وضمان حق التملك الفردى . وضرورى للأسرة ، وقد سن لها الإسلام نظام النفقات ، وأرشد إلى فضيلة التواسى بالمعروف بين الأقارب . واحترم الإسلام أمنية الامتداد فى الأسرة فسن لهم نظام التوارث . ثم إن المال ضرورى للجماعة والدولة ، ولذلك سن الإسلام نظام الزكاة واعتبرها عبادة من العبادات المحتمة كالصلاة والصيام والحج . وإذا كانت الوسائل تقدر بقدرها فإن هناك فروقا دقيقة بين نظر الإسلام إلى المـال من حيث هو وسيلة للاستعمال الفردى ، وبين نظره إلى ما زاد منه على قدر الحاجة ، باعتباره أمانة تحت يد صاحبه ليكون فى سبيل الله والمصالح العامة . فما هى الحدود الفاصلة بين هذا وذاك ، بل ما هى الحدود الفاصلة بين اعتبار المـال وسيلة واعتباره غاية ؟

قال الإمام النووى فى ترجمة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى من كتابه (تهذيب الأسماء) : كان مذهب أبى ذر أنه يحرم على المسلم ادخار ما زاد عن حاجته . وقال الحـافظ أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة أبى ذر من (الاستيعاب) : وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش مذموم فاعله . وأن آية الوعيد فى سورة التوبة « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » نزلت فى ذلك . وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم ، وحملوا آية الوعيد على ما نعى الزكاة .

إن أبا ذر كان مسيح هذه الأمة المحمدية ـ كما وصفه بذلك أستاذه الأعظم معلم النـاس الخير صلى الله عليه وسلم ـ وقد سبقه إلى مثل هذا المذهب المسيح عيسى بن مريم سلام الله عليه يوم قال : « لأن يدخل الجمل فى سم الخياط أهون من أن يدخل غنى ملكوت السماوات » .

وهـذا الاختلاف بين أبى ذر وإخـوانه من الصحابة فى تحديد الحد بين كون المـال (وسيلة) وكونه (غاية) قد احتدم فى خلافة أمير المؤمنين عثمان ذى النورين ، وكان أمير المؤمنين عثمان نفسه من أغنياء الصحابة ، فـكان غناه يسع الأمة فى مجاعاتها وأزماتها ، وكان غناه يسع جيش المسلمين فيحمل رضى الله عنه على رواحله كل من لا راحلة له من مجاهدى الصحابة ، فضلا عن زكاة أمواله التى كان يزخر بها بيت مالهم فى كل عام ، ومالا

يحصى من صدقاته التى يجهل الناس منها أكثر من الذى يعلمونه . بل أمير المؤمنين على أيضاً كان فى الشطر الثانى من حياته من أغنياء الصحابة ، قال ابن حزم : كان من جملة عقار على ينبع ، كانت تغل له كل سنة ألف وسق تمر سوى زرعها . وروى محمد بن كعب القرظى — وكان من ثقات التابعين عالماً كثير الحديث ورعا — أن عليا رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى على عهد رسول الله ﷺ أربط الحجر على بطنى من شدة الجوع ، وإن صدقة مالى لتبلغ اليوم أربعين ألفاً . وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة كان من أصحاب الملايين ، وكان كأخويه عثمان وعلى يغذّى بيت المال بزكاة أمواله ، ويدخل السرور على البيوت المستورة بما يغدقه عليها من صدقات غناه ومبراته . لكن أغنياء الصحابة كانوا — مع ما يؤدونه من زكاة أموالهم ، وما يتصدقون به على رقيق الحال من أبناء أمتهم — يعيشون فى بيوتهم عيشة وسطا ، ويرون أن ما زاد عن حاجتهم فى هذه العيشة الوسط كأنه أمانة لله تحت أيديهم يدخرونه فى أيام الرخاء لأيام الشدة فيبذلون منه حينئذ بسخاء وكرم لسد حاجات المجتمع الإسلامى كلما رأوا مصلحة الملة فى حاجة إلى هذا المدد الغزير من أموالهم المباركة فى سلم الأمة وفى حروبها .

فهؤلاء الأغنياء من الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا على خلاف مع أخيهم أبى ذر الغفارى فى أن نظام الإسلام فى المال (وسيلة) ، ومنع كل المنع من أن يكون (غاية) . لكنهم اختلفوا معه على تحديد معنى الوسيلة ، فأبو ذر يمنع الادخار من حيث هو ويعتبره كنزا تكوى به جباه أصحابه يوم القيامة ، بينما إخوان أبى ذر حملوا هذا الوعيد على المقصرين فى القيام بواجبات الادخار وأعباء الغنى ممن يتجاهلون معنى الأمانة فيما زاد من المال عن الحاجات الشخصية ، فيذهبون فى ذلك مذاهب أهل السرف والبذخ ، ويستعملون فضول أموالهم فى غير المواضع التى يرون أن فيها مرضاة الله .

نحن هنا الآن أمام الحقيقة الثانية من حقائق نظام الإسلام فى المال ، وهى أن المسلم مطالب بأن يعيش عيشة معتدلة من غير سرف ولا تقتير ، وأن عليه ـ وعلى من هم تحت ولايته من بنيه وذويه ـ أن يحاذروا اعتياد ما يستطيعون الاستغناء عنه من الكماليات ، لئلا يصبح ـ بحكم العادة ـ من الحاجيات ، فيفقدوا عنصرا من عناصر حريتهم التى كانوا عليها عند ما كانوا ينعمون بنعمة العافية من العبودية لحاجة جديدة كانوا عنها فى غنى .

إن (التحرر) من الـكماليات والتوافه مصدر كريم من مصادر السعادة ، كما أنه اتجاه حكيم للأمة التى تؤثر القوة على الضعف . وهذا ما أراد أمير المؤمنين عمر أن يحمل المسلمين عليه يوم كان يقول لهم : « اخشوشنوا ، فإن النعم لا تدوم » . بل إن هذا (التحرر) مرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وكأنى بالإمام محمد بن إدريس الشافعى يستعرض هذه المعانى كلها فى ذهنه وهو يمر بالذى يتوضأ على شاطىء النيل من مدينة الفسطاط ، فينهاه عن الإسراف بالمـاء على وضوئه . وما كان الإمام الشافعى يخاف على ماء النيل أن ينقص بإسراف المتوضىء فى وضـوئه ، لـكنه كان يخاف على المتوضىء نفسه أن يعتاد الإسراف فى مأكله وملبسه إذا اعتاد الإسراف بالمـاء فى وضوئه ، والإسلام يكره لأهله أن يسرفوا وقـد نهانا الله سبحانه عن ذلك بنص التنزيل « ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين » . والمسلم إذا عالج هذا التحرر فى نفسه من السرف وطغيان الـكماليات فإنما يعد نفسه بذلك لاحتمال الأعباء ومواجهة المصاعب عند وقوعها . والمسلمون الأولون ، فى استجابتهم لهداية الإسلام فى التحرر من الـكماليات ـ بقدر الطاقة ـ كانوا على سابقة من ذلك فى سجايا عروبتهم ، إذ كان الاستغناء عن وسائل الترف من أشرف معانى (التحرر) عندهم ، فـكانوا يذهبون بفطرتهم إلى أن (المدينة) سجن ، و (المدنية) قيد ، وقد اشتقوا اسميهما فى لغتهم من مادة (دان . . يدين) وهى تنطوى على معانى الخضـوع والخنوع ، وذلك ممـا ينافى مذهبهم فى الحيـاة التى لا يرونها سعيدة إلا إذا ضمنت لهم الحرية النبيلة الـكريمة بأوسع دوائرها . وفى زمان أبى ذر استقدم معاوية إلى قصره على ضفاف بردى حرَّة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتـكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولى عهده ، فـكان من أمر هذه السيدة الحـكيمة — وهى ميسون بنت بحدل القضـاعية — أن ضاق صـدرها فى قصر الخضراء بالترف الذى استعبد له أهل المدن ، مما يجافى طباع العربى والعربية ، ونحن لا نزال إلى اليوم نترنم بقولها :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلىّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى أحب الى من لبس الشفوف

هذه النظرة الفطرية السليمة إلى الحياة ، منضماً إليها معان أخرى كثيرة من المعانى السامية ، هى التى أهلت العرب لفهم أنظمة الإسلام ، والعمل بها ، والنهوض بأعباء رسالته ،

وتحقيق أهدافه ، والتمهيد للإنسانية العليا ، مما ننوء نحن الآن بمثله ، لأننا أثقلنا كواهلنا وأوقرنا ظهورنا بالعبودية لهذه الكماليات والتوافه ، فترخصنا فى كثير من شروط الإسلام للكسب الحلال ، وتجاوزنا حدوده فيما نأخذ وما ندع ، فبطأت بنا خطواتنا عن مواصلة السير إلى السيادة والسعادة فى قافلة الإسلام التى كان يسير بها أبو بكر وعمر إلى أهداف الإسلام القصوى .

المال سلاح ، وكما أن لاقتناء السلاح وحمله « رخصة » وشروطا ، فإن لتحصيل المال والحصول عليه إرشادات وشروطا . وكما أن السلاح لا يستعمله الفرد فيما يتعلق بشخصه إلا فى حالة الدفاع عن النفس ، فالمال فى النظام الإسلامى ينبغى لحامله أن يستعمله فى ضرورياته وحاجياته بأضيق حدودها ، متذكراً دائما الهداية القرآنية فى وصف المسرفين ومقت المبذرين . ثم يكون هذا المال بعد ذلك ـ كما يكون السلاح ـ قوة للجماعة والدولة فى استتباب أمنها وطمأنينتها ، وفى الدفاع عن حوزتها .

إن العامل بالأجر اليومى فى زماننا إذا كان يدخن التبغ ويسرف فى تناول الشاى ، ثم استطاع أن (يتحرر) منها ، كم ترى يستطيع أن يقتصد من نفقته فى السنة الواحدة فيرده على زوجه وولده وذويه غذاء وكساء ؟ ولعله يستطيع أن يدخر من ذلك فى عشرات السنين ما يبنى لهم منه مسكنا صحيا بسيطا يكون خير ذخر يتركه لهم إذا انتهت مدة حياته معهم ، زد على ذلك ما يحفظ على صدره وجوفه من صحة وسلامة وقوة . ولو أن الكثيرين من عمالنا وأشباه العمال فى كسبهم المحدود تربوا على مبدإ (التحرر) من الكماليات والتوافه على هذا الوجه لكانوا بذلك سعداء فى أخلاقهم ومعيشتهم ، وحسن التصرف فى مواردهم ، ومواجهة المسئوليات بيسر وراحة بال . ولن يفوتهم بهذا التحرر إلا زوائد مضرة بالصحة والخلق ، وعادات سخيفة تدل على الإسفاف ، وليس فيها ما يسمن أو يغنى من جوع . وكم ترى تنفق مصر كل عام ثمنا لما تستهلكه من جوارب النايلون التى لا تدفىء ولا تستر ؟ أليس المال الذى ينفق عليها يذهب حراماً ؟ وهل لو كنا نتصرف فى أموالنا تصرفا إسلاميا نخسر كل هذه الأموال على هذه الجوارب السخيفة ؟

مبدأ التحرر من الكماليات والتوافة ، والاقتصار على ما لا بد منه ، من أسمى المبادىء التى دعا إليها المسيح عيسى بن مريم فى دنيا التوراة ، ودعا إليه مسيح المحمديين أبو ذر

الغفارى فى دنيا القرآن . على أن الإسلام نفسه جاء ديناً وسطا : فلم يحاول مقاومة الطبيعة ، بل عالج تقويمها ، وسدّد اتجاهاتها ، وأرشد الإنسانية إلى الاعتدال فى كل شىء : الاعتدال فى الثروة والغنى ، الاعتدال فى الفقر والزهد ، الاعتدال فى الحب ، الاعتدال فى البغض ، الاعتدال فى الراحة ، الاعتدال فى النشاط وبذل الجهد . بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى فى الدين : « لا رهبانية فى الإسلام » ، « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق » ، « الدين يسر ، ولن يغالب الدينَ أحدٌ إلا غلبه » ، « إياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من قبلكم بالغلو فى الدين » .

لو كان من السهل مقاومة الغنى إلى الحد المأثور عن المسيح عيسى بن مريم لما خالف ذلك بعض عظماء كنيسته فى مآكلهم وملبسهم ومسكنهم ودياراتهم . وقد أدرك هذه الفجوة الواسعة بين النظرية وتحقيقها بالعمل كثيرون من عقلاء المسيحيين ، ومنهم جبران خليل جبران فعقد لها فصولا وأقاصيص بل أفرد لها كتبا يتمتع المتأدبون بقراءتها . وإذا كان العمل بهذا المبدأ لم يطقه القائمون على تراث المسيح والمنتصبون للدعوة باسمه ، فأولى بمعاصرى أبى ذر أن يروا فى اعتدال النظام الإسلامى ما هو أكثر ملائمة للحياة . وحبذا لو كان ميسورا للبشر الأخذ بطريقة المسيح عيسى بن مريم ومسيحنا المحمدى أبى ذر ، إذن لانقطع بذلك كثير من أسباب الشرور ، وكان يكون الرضا بهذه القناعة سعادة لا يدرك لذتها إلا من ألف هذه الطريقة وارتضاها ، وقليل ماهم ... بل أين هم ؟ . . .

ولا يطمعن دعاة الباطل الشيوعى أن يجدوا من أبى ذر و دعوته وطريقته متكأ لهم فى تاريخ الإسلام ، فإن جبابرتهم المتبوئين قصور الكرملين - حتى لو انضووا إلى ملة حبيب أبى ذر ومعلمه الأكبر صلوات الله عليه - يراهم أبو ذر حصب جهنم ، ويعتبرهم من فراعنة الإنسانية وطغاتها . والذين يتصيدون فى الماء العكر ليستفيدوا من اختلاف وجهتى النظر بين أبى ذر ومعاوية رضوان الله عليهما ، يجب أن يعلموا أن معاوية كان من صالحى البشر فى سيرته ومعيشته ، وهو مصباح من مصابيح الإسلام ، لكن جاء بعد شموس من نفوس الخلفاء الراشدين الذين ضن الدهر على بنى الإنسان بأمثالهم ، فما كان للمصباح مهما تألق نوره أن يكون كما يجب أن يكون فى جانب تلك الشموس التى ملأت الأرض هداية ونورا . وإن سيد الزهاد فى عصره أحمد بن حنبل الذى يفهم معنى الزهد وعالجه فى نفسه وفى الناس قد ضرب الأمثال بسيرة معاوية لما ينبغى للناس الاقتداء به من مذاهب الزهد ، وإن القارىء ليجد

هذه الأمثال من زهد معاوية فى (كتاب الزهد) الذى ألفه الإمام أحمد بن حنبل ليكون به القدوة والأسوة للناس .

وقد آن لنا أن نشير إلى منزلة المال فى نظام الإسلام ، وأن له فى تصرف المسلمين به حالتين : إحداهما ما يتعلق منه بمعيشة المسلم الشخصية ، وقد مضت سنة النبى ﷺ وأصحابه ومن سار سيرتهم من التابعين وسائر المسلمين على أن يقتصر المسلم من المال على الضرورى لحاجته ، وأن يحرر نفسه مما لا حاجة لها به من الكماليات . وهذا عمر بن عبد العزيز كان له السلطان الأعلى على الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند فى جناح الدنيا الأيمن ، وعلى شمال إفريقية وبلاد اسبانيا فى الجناح الأيسر ، وكانت تجبى إليه أموال هذه الممالك وعشورها وخراجها ، فكانت مائدة طعامه فى بيته أقل نفقة من مائدة موظف فى الدرجة السابعة من أهل زماننا ، وكان يفعل ذلك لأنه أراد أن يكون مسلماً فى معيشته الشخصية وأن يتصرف فى المال بما أرشده إليه النظام الإسلامى .

والحالة الثانية أن يكون تحت يد المسلم مال — إما من مال الدولة ، أو من مرافق الأمة ، أو مما دخل فى ملكه الشخصى من ميراث أو كسب حلال إلا أنه زائد عن حاجته — فمثل هذا المال : سواء كان من أمانات الله ، أو هو من مواهب الله (وما كان منه من مواهب الله فسواء كان بشكل مصنع ، أو متجر ، أو أرض زراعية ، أو عقار ، أو نقود كثرت أو قلت) فإن نظرة الإسلام إلى ذلك أنه أمانة لله تحت يد المسلم ، وأنه محاسب على حسن تصرفه فيه أضعاف ما كان محاسبا على كيفية حصوله عليه . وهذا التصرف يختلف بحسب الزمان وظروفه ، والبيئة وحاجاتها العامة . ففى العصور التى لم يكن للمال فيها كل الأهمية التى له اليوم عسكريا واقتصاديا كان أغنياؤنا يتصرفون فى الزائد عن حاجتهم من مواردهم بما يسمى فى تاريخنا بالكرم والجود ، فكانوا ينفقونه - على من يلجأ إليهم ويعلق أمله على كرمهم - بسخاء لا يكاد يصدَّق . وكانوا يتصيدون الفرص السانحة للجود بما تحت أيديهم من الأموال كالذى نقرأه فى صفحات أخبارهم . وذلك لأنهم كانوا يرون أن تضخم المال فى الأيدى القليلة يحبسه عن التداول حتى يصل إلى الأيدى المحتاجة إليه ، فكانوا لا يكتفون بإخراج زكاته ، ولا بتنويع الصدقات الأخرى : الدائم منها كالأوقاف الجارية ، والمنقطع منها كالذى يعطى فى مختلف الوجوه وشتى المناسبات ، بل يجعلون الكرم والعطاء

منفذا ثالثا للخلاص من الأموال الزائدة ابتغاء مرضاة الله ، وجريا على سنة العرب فى الكرم، وعلى حكم الإسلام فى الاعتدال الاقتصادى ، حتى تضيق الفجوة بين الفقر والغنى .

إن المبدأ الذى كان هؤلاء يعملون به صحيح ، والطريقة التى يحققون بها هذا المبدأ كانت ملائمة لزمانهم . أما اليوم ، فالمـال أصبح قوة أساسية يتوقف على حسن سياستها عز الملة ويكون بعكسه ذلها ، فالاكتفاء منه بمقدار الحاجة على نفقتنا الشخصية لا يزال واجباً علينا فى ديننا كما كان يفهمه عمر بن عبد العزيز . ولكن اختلف أسلوب التصرف فيما زاد من هذا المـال عن حاجتنا الشخصية ، فأصبحنا فى موقف الامتحان من الله عز وجل بحسن التصرف فى هذه الزيادة ، ومن العبادة أن تستعمل فى تأسيس المصانع وتثمير الأموال والإكثار من المرافق بشرط أن تكون (النية) فى ذلك تحسين حال المسلمين وتيسير أمورهم والنهوض بمستواهم الاجتماعى والاقتصادى والعلمى والعمرانى والحربى .

وأحب أن أنوه فى هذه العجالة بمكانة (التعاون) فى الإسلام : فالمسلمون مأمورون به أمر إيجاب ، بما لا يقل عن سائر ما أوجبه الإسلام عليهم مما نعده دينا . كل خير ، وكل مصلحة مشروعة ، تضيق جهود الأفراد عن تحقيقها ، فالمسلمون مأمورون بتحقيقها من طريق (التعاون) . وفى هذا الزمان الذى ازداد فيه اعتبار قوة المـال وحاجة المسلمين إلى استكمال مرافقهم الصناعية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والحربية صار من الواجب عليهم التوسع فى نظام التعاون ، ولو أدى بهم إلى أن تكون أممهم أمماً تعاونية ، ودولهم دولا تعاونية ، مع تعديل أنظمة التعاون بسنن الإسلام وتوجيهاته كلما رأوا حاجة إلى ذلك .

الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة ، فالمسلم يجب عليه فى كل ما يحاوله من سياسة المـال ومكابدة العمل أن ينشد « الحلال » ويتحراه ، ويحذر « الحرام » ويطهر يده وذمته منه ، وأن يكون موقفه من الأمور المشتبهة موقف النصوح الحكيم الذى يلطف من حدة الشر ويحاول توجيهه إلى الخير ، وأن يستعمل المـال فى خير الملة ، ويلاحظ فى كل تصرفاته مرضاة الله والنهوض بأمته وتوفير أسباب الخير لها مجتمعة ، ولأبنائها فرادى ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٢٩ —

الوجوه البيض فى اليوم الآخر

« وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون »

١ — أية وجوه تلك التى عرضت لها الآية بالثناء ، وذكرتها فى أعذب قصص ، وأطيب رجاء ؟؟ .

أهى الوجوه التى كانت فى الدنيا تتناولها يد الماشطة حتى تُهذب من قبحها ، وتنسقها بالخضاب حتى تصقل إهابها ، ثم تتركها مسرحا للعيون الخائنة ، ترشقها بالنظرات الآثيمة ، وخدعة يلوح بهـا الشيطان ، ويدعو إليها الغواة ، ويجمع حولها الفساق ؟؟

أم هى الوجوه التى نسقتها يد القدرة فكان يشع البهاء من قسماتها ، ويشرق الحسن من طلعتها ، ثم هى لا تعرف لله نعمة ، ولا تخشى له جانبا ، ولا تسجد بين يديه سجدة المؤمنين الشاكرين ؟؟

لا هذه ، ولا تلك . فإن الله لا ينظر فى الناس إلى صورهم ، ولا يقدرهم بأجسامهم ، ولكن ينظر إلى قلوبهم ، ويزنهم فى الآخرة بأعمالهم .

ورب إنسان بين الناس أشعث أغبر ، ولكنه على صلة بالله ، فهو عند ربه بر مشكور ، وله فى الآخرة حظوة ممدودة ، ومنزلة مشهودة .

٢ — فمن هم أولئك الذين وصفهم القرآن ببياض الوجوه ، وبشرهم بأنهم سيكونون فى رحمة الله خالدين ؟؟

جواب ذلك فى سياق الآيات فقد بينت سوابقها :

ا — أن هناك دعوة إيجابية توجهنا إلى الكمال الذاتى : نأخذ به لأنفسنا ، ثم ننشده فى غيرنا .

ب — وأن هناك دعوة سلبية تصرفنا عن الشر الذى وقع فيه غيرنا .

ثم انتهت بنا الآيات إلى الغاية التى يكون فيها بياض الوجوه أو سوادها .

٣ — ا — فالكمال : فى أمور ثلاثة (١) فى تقوى الله حق تقاته (٢) وفى التسلح بالدين دائماً فى السر وفى العلانية حتى لا يفجأنا الموت إلا على الإسلام (٣) وفى التضامن على الحق والاعتصام بحبل الله والرجوع إلى شريعته فى كل ما يعرض لنا من الخلافيات ، حتى لا يتفرق جمعنا ، وتضعف شوكتنا ، ويقبح معاشنا فى دنيانا .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

٤ — وكمالنا فيما ننشده للغير فى أمور ثلاثة (١) أن ندعوهم إلى الخير (٢) ونأمرهم بالمعروف (٣) وننهاهم عن المنكر . وهذه رسالة المصلحين ، بعد أن صلحت حالهم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . ويأمرون بالمعروف . وينهون عن المنكر)

ونحن فى حوزة هذه الآيات نكون على الكمال المنشود للإسلام فى أهله ، البارين بأنفسهم وبدينهم وبغيرهم . وما من شك فى أن الإنسانية لا تتمثل فى شاكلة خير من هذه الشاكلة ، وأن من كان فى هذا الوضع الرفيع من أوضاعها التى رسمها الإسلام يكون على سبيل راشدة ، لاستمداده التوجيه من مناهج الكتاب والسنة ، وتلك سبيل الهداية التى لا تكلف المرء جهداً ، ولا تبعده عن شيء من الخير ، فنصيبه فى الدنيا مكفول ، وحظه فيها ناهض ، وشأنه فى الآخرة موكول إلى وعد الله الصادق (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)

هذا التوجيه ظهر عمليا فى مسلك المسلمين أول عهدهم ، وظهرت آثاره فى نجاحهم يوم تمت لهم السيادة واتسعت لهم الرقعة ، وظهرت منهم المثالية فى سياستهم وعدالتهم ونجحهم الذى بهر التاريخ ؛ ثم ضعف بقدر ما ضيعوا وفرطوا .

وبهذا التوجيه والأخذ به لا نكون كالذين بلغتهم دعوة ربهم فركبوا رءوسهم ، وتفرقت عقيدتهم ، وأصبح كل منهم فى زاوية من زوايا الباطل ، وتمكنت بينهم الخصومات الدينية حتى شغلتهم جميعاً عن تتبع الحق فى ذاته ، وعن الرضوخ للصواب حتى لو بان لهم وشخص أمام عيونهم .

٥ — ب — وأولئك هم الفريق الآخر، الذى دفعتنا عن متابعته الدعوة السلبية فى صدر الآيات « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » . هذا الفريق هو الذى سلك مسلكا معوجا عن صراط الله ، وانحرف انحرافا غاويا ، وهم الذين كبر عليهم أن يحيدوا عن العصبية ، وأبوا أن يزنوا الأمر بميزان النصفة والاعتدال : فمنهم من تحلل من دعوة الله إلى التدين ، ولم تخضع وجوههم لله بالإيمان والتعبد ، فحمّلوا أنفسهم ظلماً ، وأورثوها غضبا . ومنهم من تدين ، ولكن فى غير مطاوعة للدين الحق الذى ركن إليه ، فلم يتابع رسوله فى الإيمان بالرسل، والرجوع إلى الله الحق فى كل ما جرى على ألسنة الرسل من الحق . ومنهم من ظن نفسه تام العقيدة ، كامل الإسلام، وهو فى نفسه حرب على العقيدة ، خصم لدينه بما يأتى وبما يدع ، وهو حجة سيئة لمن تتبع الإسلام فى عمل أهله ، ولمن يحاسب المسلمين على احترامهم لدينهم ، ويظن أن ضعف التدين عند الأشخاص يعتبر ضعفا فى الدين ذاته . هؤلاء جميعا ـ والله المعيذ ـ هم الذين يحشرون يوم القيامة على حالة تخالف حالة الأولين .

٦ — هذان فريقان : قال عنهم القرآن : « يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه » .

وقد بين لهم القرآن جميعا ما يأخذون وما يتركون ، فإذا ما قطعوا سبيل الحياة ، وانتهوا إلى غايتها ، ووقفوا من ربهم موقف الجزاء ، كان طبيعياً فى نظر العقل ، وكان عدلا فى نظر الدين ، أن يفرق الله بينهم فى المقام والمظهر ، وأن يميز بين خبيثهم وطيبهم ، ليلمس كل منهما نتائج سعيه فى دنياه ، ويرى مصيره الذى ارتضاه ، وليعلموا جميعاً أن وعد الله حق، وأنه كان قولا فصلا ، ولم يكن بالهزل .

فبياض الوجوه فى تلك المواقف ليس بياضها الذى كان عرضاً فى الحياة وكانت به فتنة فاتنة ، فقد يكون ذلك قبحاً هناك .

وإنما بياض اليوم هو وضاءة وصباحة من أثر الإيمان ، وهو روعة وبهجة لحسن مآلهم عند ربهم ، واطمئنانهم على أنفسهم ، وظفرهم بما وعدهم من المثوبة وحسن القبول .

٧ — هذه الوجوه هى التى تردد فى القرآن ذكرها ، وتعدد فى الآيات وصفها ، وتنوع الثناء عليها ، وتأكد الوعد لها ، فإن الله يقول عنها : « وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، فى جنة عالية » ، ويقول : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » .

أرأيت أن هذه الوجوه التى وصفت بالبياض : هى التى تكون ناضرة فى النعيم ،

مغمورة بالرضا، وهائمة بالنظرات إلى الذات الأقدس.. هي التي تعرف فيها نضرة النعيم، وهي التي تسقى من رحيق مختوم، لم يسبقها إليه أحد، ولم تخالطه آفة ولا شائبة ولا نقصان .

هؤلاء هم المتقون الذين سيكونون فى جنات وعيون، وسيكونون فى مقام أمين، وسيكونون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. هم هؤلاء، وليسوا هم الذين يريدون علوا فى الأرض أو فساداً ولا الذين يتبتلون عن الدنيا رياء أو يتصنعون الزهادة فيها تحايلا، وإنما هم الذين يبتغون الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، وهم الذين ساروا على النهج الأقوم فى عقائدهم، وأعمالهم، وفى مودتهم المسلمين ومعاملاتهم مع الغير .

٨ — وليسوا أولئك الذين قال فيهم : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » .

٩ — نعم كفروا بعد الإيمان، فقد كانوا مؤمنين منذ أدركوا مافى الحياة من أمارات القدرة، وشاهدوا ما فيها من مظاهر الإبداع لمن أنشأ ذلك بقدرته، وكانوا مؤمنين منذ عرفوا لأنفسهم عقولا يهتدون بها، وحواس يدركون بها، ثم لم يستخدموها فى الاهتداء، حتى تعطلت عن صواب الإدراك، وسخروها فى غير ما خلقت له . .

وكانوا مؤمنين يوم دعاهم رسلهم، وترادفت الدعوة على ألسنة الرسل ففرقوا بينهم، وآمنوا ببعضهم وكفروا بالبعض، وما هكذا يكون الإيمان بما جاء من عند الله .

كانوا مؤمنين لو لم يتخيروا لأنفسهم الضلالة، ويسلكوا سبيل الغى . هؤلاء أصحاب الوجوه السود، وهم أصحاب الوجوه الباسرة العابسة التى تقف هناك مكتئبة محزونة، تتوقع ما ينزل بها من كل داهية فاقرة ـ تقصم فقار الظهر ـ وما سيحل بها من الهوان .

هؤلاء هم أصحاب الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة. والخشوع ومابعده أوصاف المتواضعين العاملين فى طاعة الله، ولكنها هنا للتبكيت والتوبيخ والتحسير لأنهم لم يكونوا كذلك، فهو يعيرهم بذكر أوصاف لم تكن لهم .

وبعد ـ فهل ذلك خاص بمن كفر ؟ ؟

لا . . ذلك شأن العابثين بدينهم، ولو كانوا فى ظنهم غير مأخوذين، فلكل امرىء نصيبه، وجزاؤه على ما انتهك من حرمات الله، ولو كان فى عداد المسلمين، وليس من عذاب الله مهرب ولا ملجأ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .

ورحمة الله قريب من المحسنين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



بلوغ الدعوة المحمدية

عموم الدعوة المحمدية وخلودها ـ أمة الدعوة والإجابة ـ كاتمو الحق وهم يعلمون ـ صيحة مدوية ـ من بلغتهم الدعوة محرفة ـ ويل للمقصرين فى الدعوة ـ ضيعة الحق ـ إحالة إلى مراجع ...

* * *

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : والذى نفس محمد بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار . رواه مسلم .

* * *

مما اختص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن بعثه إلى الناس عامة ، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، ومن هنا كانت تتجدد الرسالات وتتعاقب ، بتجدد الأجيال وتعاقب الامم ، وربما يُبعث فى العصر الواحد أكثر من رسول واحد . وأما رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فهى خاتمة الرسالات ، وشريعته خاتمة الشرائع ، ودعوته عامة شاملة باقية إلى يوم النشور .

وإذاً فالناس من أول يوم بعث فيه صلوات الله عليه وسلامه ، مدعوون بدعوته ، مأمورون بشريعته .

فأما من بلغته منهم هـذه الدعـوة ــ فى حياته ﷺ أو بعدها ــ فسكن

إليها واستجاب لها ، فهو من أمة الدعوة والإجابة معاً ؛ وأما من أباها وأعرض عنها ، فقد دَحَضت حجته ، وسقطت معذرته ، وحقت عليه كلمة العذاب ، فكان من أصحاب النار ، وبئس القرار .

* * *

هذا شأن من سمع بالنبي ﷺ ، فاستجاب له ، أولم يستجب .

وأما من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم قط ، ولم تبلغه دعوته - كائناً ما كان الحائل بينه وبين هذه الدعوة - فهذا معذرته معه ، ويشهد ببراءته ومعذرته النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فى حديثه هذا ، بل يشهد ببراءته ونجاته ربه عز وجل إذ يقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » .

ففى الآية الأولى شهادة منه عز وجل بأنه لا يعذب أحداً من عباده إلا بعد إقامة الحجة عليه ، بإرسال رسول إليه ، كما قال سبحانه : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وتأويل الرسول بالعقل ، مما يأباه بل ينفر منه العقل والنقل !!

وفى الآية الثانية شهادة منه سبحانه - وهو أكبر شىء شهادة - بنبوة من أوحى إليه هذا القرآن لينذر به قريشاً وسائر من بلغه القرآن وسمع به ، فأما من لم يبلغه القرآن ولم يسمع به ، فليس من المنذرين ، وعذره - كما قلنا - معه .

* * *

وتقديم قريش فى الخطاب والإنذار والإعذار ، من الأمور الطبيعية البدهية ؛ لأنهم - على اختلاف درجاتهم - أقرب الناس إليه ، وأولى الناس به ؛ أهله وعشيرته وأعرف الناس بسيرته ، بلغتهم نزل القرآن ، وبين ظهرانيهم نشأ وتربى عليه الصلاة والسلام ؛ فلم يكن عجبا أن يبدأهم بالإنذار ، ثم يقفّى بغيرهم من أهل القرى والأمصار . بل العجب كل العجب أن يكون الأمر على غير ذلك !

* * *

فرسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إلى الناس كافة ، وخلود شريعته إلى يوم الخلود ؛ ووجوب تبليغها إلى ذلك اليوم الموعود . . . كل أولئك من أصول الإسلام الأولى ، التى لا يسع مؤمنا بالله واليوم الآخر أدنى تردد فيها .

* * *

عرف هذا الحق واهتدى به من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .

وعرف هذا الحق واهتدى به فريق من أهل الكتاب وعلمائهم ، كعبد الله بن سلام ، وكان من أحبار اليهود ، وتميم الدارى ، وكان من رهبان النصارى ، حتى ليؤثر عن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه أنه لما أسلم قال له عمر رضى الله عنه : أتعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه فى سمائه إلى أمينه فى أرضه بنعته فعرفته ، وابنى لا أدرى ما كان من أمه . ويروى أن الفاروق رضى الله عنه قبل رأسه حين سمع منه ذلك ! وكأنه رضى الله عنه ـ وقد فرح بعلم عبد الله وإيمانه ـ كان أشد فرحاً بصدق قول الله جل ثناؤه : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

* * *

وكأنى بالرسول ﷺ ـ وهو يحدث بحديثه هذا ـ يقصد أول ما يقصد إلى هؤلاء الجاحدين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ! سواء منهم من جحد رسالته جملة وتفصيلا ، ومن جحد عمومها إلى الناس كافة ، وزعم أنه رسول الله إلى العرب خاصة ؛ لأنه نبى أمى والعرب قوم أميون ، وقد قال هو نفسه : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . . . فاتخذ بهذا الزعم الضال المضل الكاذب المنافق ـ طريقاً وسطاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، وضل ضلالا بعيداً . .

يقصد الرسول ﷺ أول ما يقصد إلى هؤلاء الحاسدين الجاحدين ، فيرسلها صيحة عالية مدوّية ، مقسما بالقاهر فوق عباده ، القائم على كل نفس بما كسبت ، من بيده نفسه وأنفس العباد جميعاً ، انه لا يسمع نداءه كائن من أمة الدعوة إلى يوم الفزع الأكبر ، ثم يموت غير مجيب له إلا من كان من أهل النار خالداً مخلداً فيها أبداً .

* * *

وإذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يغن عنهم كتابهم من الله شيئا ، بعد رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فإن من عداهم ممن ليسوا بأهل كتاب أولى بأن يؤمنوا به ويعزروه وينصروه ويتبعوا النور الذى أنزل معه ، ويستمعوا له وهو يتلو عليهم « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

* * *

ولسنا بعد بيان الله ورسوله بحاجة إلى أن نعيد ما قلناه فى مناسبات عدة : إنه لن يؤمن بالله من لم يؤمن برسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لن ينفعه عند الله ولن ينجيه من عذابه ما قدم لهذه الإنسانية من حسنات شتى ... وكيف ، وأساس القبول أن يعرف العامل من عمل عمله لأجله ؟ ولن يعرفه إلا من طريق رسوله الذى أرسله داعيا إليه بإذنه ، ولو أن عملا ينجى من عذاب الله أحداً غير مؤمن لكان عمه الذى أسلفنا من حسناته الجسام ما أسلفنا أولى بذلك وأحرى ؛ وإن يوما من أيامه فى الشعب مع ابن أخيه لأرجح وزنا ، وأكبر شأناً مما قدم هؤلاء الكاشفون والمخترعون للناس فى حياتهم الدنيا . وحسبهم أن الله يعجل لهم فى هذه العاجلة ثواب ماقدموا للناس فيها ، جزاء وفاقا . ولا حرج على فضله أن يخفف عنهم من عذاب الجحيم شيئا ، وإن كانوا خالدين فيه أبدا .

* * *

بقى من بلغتهم الدعوة المحمدية مشوهة بالأباطيل والمفتريات ، وكثير ماهم ، والظاهر كما قال جمع من الفضلاء المعاصرين [1] ان هؤلاء فى حكم من لم تبلغهم الدعوة ، اللهم إلا أن تلوح لبعضهم شمس الحقيقة من خلال سحب الكتمان والتلبيس ، ثم يعمى عنها ويعرض عن النظر فيها مع قدرته على ذلك ؛ فإنما إثمه على نفسه .

وهذا لا يعفى الأمة الإسلامية — ولا سيما أولى الأمر منها — من تبعة المؤاخذة والتقصير فى تبليغ الدعوة المحمدية ، ما استطاعت إلى التبليغ سبيلا .

---

(١) منهم أستاذنا الكبير محمد عبد الله دراز فى كتابه : « المختار من تيسير الوصول » وقد انتفعنا به فى شرح هذا الحديث .

والعجب أنا لانغار على دعوتنا وهى دعوة الحق ، معشار ما نرى ونسمع من نشاط الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين ، وينفقون فى محاربة دعوتنا كل عام مئات الملايين ! ! فيا ضيعة الحق بين الغفلة والجهالة ! !

* * *

أما بعد ، فلهذا الحديث صلة وثيقة ببحث « جزاء الصالحات » الذى بدأناه فى الجزء الثانى من عامنا هذا ، كما له صلة وثيقة كذلك بالبحث فى « أهل الفترة » ، وكنا وعدنا القراء بأن نتحدث إليهم فيها ، إجابة لرغبات جاءتنا من العراق . . . غير أنا وجدنا من سبقنا إلى الإفاضة فى هذا البحث ، قديما وحديثا ، مما يجعل كلامنا بعده حديثا معادا .

فإلى هؤلاء الذين رغبوا ملحين أن نتكلم فى أهل الفترة عامة ، وأبوى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ـ نسوق هذه المراجع السهلة اليسيرة :

١ ـــ روح المعانى للعلامة الآلوسى العراقى فى تفسير قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

٢ ـــ مجلة الأزهر فى مجلدها الثامن ص ٦٠٦ فى « الدعوة إلى الله تعالى وأهل الفترة » للأستاذ الجزيرى ، محرر السنة حينئذ .

٣ ـــ مجلة لواء الإسلام فى جزئها الأول ، جزء رمضان المبارك ، من عامنا هذا ، وقد تناولت فى ندوتها بحثا فى الدعوة والفترة مستفيضا .

أما نحن فقد اكتفينا إذ كفينا . والسلام على من اتبع الهدى ، ومن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ؟

طه محمد الساكت

الآلام

ما أشبه آلام الإنسان بألم الطفل المدال : تراه يحزن لكثرة ما يفرح ، ويحوّل ابتسامه دموعا فى عينيه فيتغير فى صورته دون أن يتغير فى معناه ، فيضحك باكيا . ويشكو فتكون شكواه طريقة مرح فى غير شكلها . ويكون فى نفسه معنى واحد ، ولكن وجهه الغض اللين يضع لهذا المعنى أساليب مختلفة هى أنواع من ألعاب الطفولة .

مصطفى صادق الرافعى

الدخيل وكتب التفسير

— ٩ —

... ومن الإسرائيليات والموضوعات التى اشتملت عليها كتب التفسير كثير مما يتعلق بأحوال المبدأ والمعاد وأسرار الوجود وأسباب الكائنات، مما جاء بعضه مرفوعاً وبعضه موقوفاً على الصحابة والتابعين. وذلك مثل ما ذكروه فى عمر الدنيا وأنه سبعة آلاف سنة وأن النبى ﷺ بعث فى آخر الألف السادسة، فقد ورد ذلك مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حكم عليه الإمام أبو الفرج ابن الجوزى بالوضع ووافقه غيره، كما جاء بعضها موقوفاً على ابن عباس رضى الله عنهما، وقال السيوطى فيها: إنها صحيحة، وعلى تسليم الصحة إلى ابن عباس فهى من الإسرائيليات التى تحملها ابن عباس وغيره عن مسلمة أهل الكتاب، وهذا لا ينافى كونها باطلة فى نفسها. وتحديد عمر الدنيا بهذا القدر من مفتريات اليهود ومزاعمهم الكاذبة، حتى لقد كانوا يقولون: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة»، عن كل ألف من عمر الدنيا يوم من أيام الآخرة، وقد أكذبهم الله سبحانه فى هذا حيث قال: «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون» [سورة البقرة الآية ٨٠].

وماذا يقول المنتصرون لمثل هذه الروايات الباطلة أمام ما ثبت من الأدلة المتكاثرة على أن عمر الدنيا أضعاف ذلك وأن التمسك بمثل هذه الروايات باسم الدين أضر على الدين من طعن أعدائه فيه. ولو أن النبى ﷺ بعث فى آخر الألف السادسة لكانت القيامة قد انقضى زمنها، فظهر أن الواقع والمشاهدة يكذبان ذلك. ومن ذلك ما ذكره الثعلبى وذكر نحوه القرطبى عند تفسير قوله تعالى: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا» [الإسراء الآية ١٣]، فقد ذكر حديثاً عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام خلق شمساً من نور عرشه، فأما ما كان فى سابق علم الله أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل

الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان فى سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه خلقها مثل الشمس فى الضوء ، وإنما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما ، ولو تركهما الله كما خلقهما فى بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، ولكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه ، ولكان الصائم لا يدرى متى يصوم ومتى يفطر . . . فأرسل جبريل فأمرّ جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله : (وجعلنا الليل والنهار آيتين) . فالسواد الذى ترونه فى وجه القمر إنما هو أثر ذلك المحو . وفى إسناد الثعلبى نوح بن أبى مريم وهو وضاع كبير ، وقد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع [1] وفيه من الركاكة اللفظية والمعنوية ما يشهد بذلك . ومما يشهد باختلاق مثل هذه المرويات أن رسول الله ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل . ولما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر ؟ أجاب بالفائدة فقال : « هى مواقيت للناس والحج » ، وهو من الأسلوب الحكيم ، إذ توجيه الناس إلى الاعتبار بالغاية والفائدة خير وأجدى من بيان السبب والعلة ، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل كما يصنع أهل الفلك والهيئة .

وترك مثل هذا للزمن كى يتوصل إليه البشر بعقولهم واجتهادهم وبحثهم أولى ، ولا سيما وأنه لا يتوقف على معرفة الناس لمثل هذه التفصيلات الفلكية فائدة دينية ، بل قد يكون فى ذكرها على ما هو المعروف فى علم السنن الكونية فتنة لبعض العقول الضعيفة التى لا تستسيغ مثل هذه التفصيلات فى هذا الزمن ، والإسلام فى مثل هذا حكيم كل الحكمة ، وصدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث يقول : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » . والقرآن والسنة حينما يتعرضان للآيات الكونية سفلية أو علوية يكون مقصدهما الأسمى انتزاع العبرة والاستدلال بما أودع فيها من الدلائل على وحدة الصانع جل وعلا وقدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته العلية واستحقاقه للعبادة ، والقرآن لم ينزل ليكون كتابا تبسط فيه قواعد العلوم الدنيوية وتفصيلاتها على غرار ما يصنع فى كتب الهيئة والفلك وسنن الكائنات والتاريخ وغيرها ، وإنما نزل ليكون كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، وليكون المعجزة العظمى والآية الباقية للنبى على وجه الدهر ، فهو

---

(١) اللآلىء جزء أول ص ٢٤ وما بعدها .

لا يمس من الكونيات والعلوم والمعارف إلا القدر الذى يفيد فى هذه المعانى السامية التى لأجلها نزل.

ويعجبنى فى هذا المعنى ما ذكره الآلوسى عن بعض الفضلاء حيث قال: « إنه لم يجىء فى ترتيب الأجرام العلوية والسفلية وشرح أحوالها كما فعل الفلاسفة عن الشارع شىء، لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة فى نظره عليه الصلاة والسلام، وليس المهم إلا التفكر والاستدلال بها على وحدة الله وكماله جل جلاله » [تفسير الآلوسى جزء ١٣ ص ٩٩].

* * *

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين فى غروب الشمس وأنها إذا غربت ابتلعها حوت، ومايذكرونه فى تعليل برودة مياه الآبار فى الصيف وسخونتها فى الشتاء، فقد روى - زوراً - أن خزيمة بن حكيم السلمى سأل رسول الله ﷺ عن سخونة الماء فى الشتاء وبرودته فى الصيف، فقال: إن الشمس إذا سقطت تحت الأرض سارت حتى تطلع من مكانها فإذا طال الليل كثر مكثها تحت الأرض فيسخن الماء لذلك، فإذا كان الصيف مرت مسرعة لا تلبث تحت الأرض لقصر الليل فثبت الماء على حاله باردا، وذلك ومثله مما لا نصدقه ولا يعقل وروده عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وما كان ليتكلم كما قلت آنفا فى الآيات الكونية والفلكية بهذا التفصيل.

وفى هذا التعليل من التهافت والسذاجة ما لا يليق بعاقل فضلا عن أعقل العقلاء، وهو تعليل باطل ولا يتفق هو والمقررات العلمية الثابتة التى كشف عنها تقدم العلوم والمعارف البشرية، والإسلام قد منى فى عصوره المختلفة بأناس يتسمون باسمه وهم يحملون له فى نفوسهم المريضة الضغن والحقد والكيد: كالباطنية وأضرابهم، وقد تفننوا فى الكيد له واحتالوا فى ذلك ماشاء لهم الاحتيال، ولم يمكنهم أن يدخلوا فى القرآن ما ليس منه، فسلكوا فى تفسيره وتأويله المسالك الفاسدة، وأيدوا تفسيراتهم الباطلة بنسبة مثل هذه الخرافات إلى المعصوم ﷺ، ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه ودينه قيض لهم من علماء الأمة من كشف اللثام عن أباطيلهم المقنعة، وهكذا شاءوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مشكلة

أوقات الفراغ

من المفهوم أن نظام الحياة فى المجتمع اقتضى ألا يواصل الافراد العمل ليل نهار لا يستريحون ولا يهدأون ، فخصصت للعمل ساعات ولراحة الافراد ساعات أخرى ، تتمثل فى العادة فى أوقات الأصيل والمساء والليل من كل يوم إذا كان العمل فى صبيحة النهار وضحاه ، فضلا عن أيام العطلات الأسبوعية والدورية وأيام الأعياد وعطلات المناسبات . وهذا التخصيص وذلك النظام لا يقتصران على طبقه الموظفين فحسب ، بل يتعداه إلى جميع الطبقات فى الامة من تجار وصناع وغيرهم ، كذلك نجد بعض فئات تتمتع بيحبوحة من أوقات الفراغ أكثر من سواها من الفئات ، ومثال ذلك التلاميذ وطلاب العلم فى المدارس والمعاهد والجامعات ، وفضلا عن ذلك نجد فى البلاد الزراعية طبقة الزراع والفلاحين التى تعمل فى مواسم الزرع ، ثم يعتورها فراغ طويل لمدة قد تطول إلى حين الحصاد ، ذلك الفراغ الذى يطلق عليه علماء الاقتصاد اسم البطالة المقنعة أو الغير المنظورة .

وقد تبدو المسألة بسيطة لأول وهلة ؛ لأن الإنسان يعتقد أن هذه الاوقات قد خصصت لراحة الشخص ولسعادته ، ولكن المسألة تتعقد وتتضح أهمية بحثها ، إذا تبينا أن الوسائل الكفيلة بإراحة الشخص وإفادته من أوقات فراغه تلك هى وسائل قاصرة فى الكثير من الأحيان عن الوصول إلى الهدف الذى يراد منها ، ومما يزيد فى خطورة المسألة العلم بأن أوقات الفراغ وكيفية قضائها تؤثر تأثيراً كبيراً على العمل والإنتاج ، وبالتالى تتأثر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بمدى الإفادة من هذه الأوقات وكيفية استغلالها وتوجيهها لإسعاد الفرد والمجتمع . وقد لا نجد تدليلا على مدى خطورة أوقات الفراغ وأثرها فى أوضاع المجتمع خيراً من التذكير بأن إحدى الوزارات فى فرنسا قد ألفت ذات مرة بشأن علاج مشكلة أوقات الفراغ بالنسبة لطبقة العمال .

ولما كان العمل والإنتاج من اختصاص السلطة العامة والمنتجين وأرباب الأعمال ، فقد اهتم هؤلاء بتنظيم العمل تنظيما شاملا ، ولكنهم تركوا أوقات الفراغ للأفراد ينظمونها وفق هواهم وأمزجتهم ، لأنهم اعتقدوا أنها مخصصة للراحة والسعادة والهناء العائلى ، وتلك أمور شخصية تتعلق بالحرية الفردية المكفولة للفرد فى المجتمع ، وكان من نتيجة هذه الفكرة الساذجة أن عجز الأفراد عن الإفادة من أوقات فراغهم واستغلالها ، وبالتالى ظل تأثيرها فى العمل والإنتاج ورقى البلاد قاصراً ضئيلا ، واتبع الناس فى مختلف فئاتهم وطبقاتهم وسائل ملتوية لقضاء هذه الأوقات ، بل أصبحت هذه الأوقات بالنسبة لكل منهم بمثابة مشكلة خاصة يرزح تحت عبئها ويحاول قضاءها بأى نهج وعلى أى وجه وفى أى نطاق ، وليس من ضابط ولا موجه ولا هاد سواء السبيل .

* * *

ومن هنا وجدت المقاهى المزيد من روادها يوماً بعد يوم ، من الهاربين من بيوتهم الراغبين فى قضاء فراغهم فى لعب النرد والطاولة ، أو فى الجلوس لمتابعة الرائحين والرائحات والغادين والغاديات حتى يمر من الليل نصفه ، فيقومون إلى مراقدهم فى ملل وسأم وقد شربوا الكثير من المثلجات أو المكيفات . ومن هنا كذلك ازداد الإقبال على الخمور ؛ لأن الشخص من هؤلاء إذا شرب واستطاب استطاع أن يقضى فراغه بعقل مخمور وجسم مكدود فينعم بالخمر والكد ويهرب من الواقع إلى الخيال ، ومن هنا ازداد الإقبال على المخدرات وتعاطيها فضلا عن الخمور لأن فى تعاطيها كما يتوهم الناس التمتع بعالم من الأحلام . وكثيراً ما يلجأ الشبان فى قضاء تلك الأوقات إلى أحلام اليقظة يقضون فيها أوقاتهم دون وعى وينعمون فيها بما يهيؤه لهم الخيال من تحقيق الآمال البعيدة والأمانى العذاب ، حتى إذا صحوا إلى أنفسهم أو انهمكوا فى أعمالهم وتمثل أمامهم الواقع المرير ، اضطربت منهم النفوس وشردت العقول واستقبلت بعضهم مستشفيات الأمراض العقلية إذا أودت أحلام اليقظة بما بقى من عقولهم ، واستقبلت لآخرين أبواب السجون إذا طرقوا ـ بما تسبب لهم من اضطراب وقلق ـ أبواب الإجرام والتخريب .

وانتهز المغرضون فرصة هذه الفوضى ، فكتبوا الأقاصيص الرخيصة ونشروا الحكايات المثيرة ليقبل عليها من هنا وهناك هؤلاء الشبان وبخاصة العمال وأنصاف المثقفين لقضاء فراغهم فى قراءتها واستيعابها وتمثيلها فى حياتهم وتقليد أبطالها فى الخلاعة والمجون والفوضى والإفساد ، وانصرف الشبان يقضون عطلاتهم الطويلة فى التسكع فى الطرقات

ومغازلة النساء ، وهب الكثير من المراهقين يجدون بغيتهم فى التسلط وحب الفوضى وإظهار البأس والاستهتار والتخريب ، فى مشاهدة الأفلام البوليسية التى يهتمون كل اهتمام بحركات أبطالها المجرمين وضرباتهم وخروجهم على الأوضاع ووسائلهم فى الإجرام والإفساد ، فيتشبعون بهذه الحركات والضربات وتلاقى هوى فى نفوسهم وغرائزهم ، فيحاولون تقليدها واحتذاءها فى حياتهم . أما الفلاح الذى أسلفنا أن أوقات فراغه أطلق عليها الاقتصاديون اسم البطالة المقنعة ، فوسائله فى قضائها قاصرة ، فهو يقضيها فى كسل وخمول ، تراه ينام تحت نخلته ليل نهار ، لا يدرى ما يفعل سوى طعام يأتى عليه واحتساء شاى أسود اللون يتلذذ به ونوم فى الظل مدة من النهار يغط فيه ! وهناك طبقة العمال التى تكون فى أوقات فراغها نهباً للبؤس والشقاء والتسكع هنا وهناك فى الدروب والمنعطفات ، ناهيك بما يسببه كل ذلك من ارتكاب جرائم الأموال من نصب وسرقة وجرائم الاعتداء على النفس بسبب كثرة المشاجرات والمشاحنات التى يسببها تعطل الكثيرين منهم فى أوقات الفراغ .

* * *

على أن تلك الفكرة الساذجة حول ترك أوقات الفراغ للأفراد يقضونها حسب هواهم دون تدخل من الحكومات لتنظيمها وتنظيم قضائها وإيجاد الوسائل الفعالة لاستغلالها والإفادة منها ، قد أضحت فكرة غير ذات موضوع ، وصارت مسألة أوقات الفراغ مسألة حيوية هامة ، تهتم بها الحكومات وتضع لها البرامج ولا تتجاهلها فى مشروعاتها القومية وفى توزيعها للإنفاق القومى فى شتى نواحى الحياة .

ويمكن القول بأن هذه الفكرة الحديثة تقضى بأن على الدولة واجباً بأن تهيىء السبيل لقضاء وقت الفراغ فى متعة وسعادة يفيد منها الشخص جسميا وروحيا ، ليستطيع أن يتابع عمله وقت العمل بجد وحماسة وروح معنوية عالية . ومن الحلول التى تتبع بالنسبة لطبقة العمال ، تخفيض أجور السكك الحديدية فى أيام العطلات الأسبوعية لهم ولعائلاتهم بين مناطق عملهم والضواحى حيث يقضون هذه العطلات ، مع تنظيم هذه الضواحى وإنعاش حالة حدائقها ومتنزهاتها وخفض أثمان المشتريات فيها ، بل وتوزيع بعض الحلويات والمرطبات بأثمان زهيدة ، حتى يستطيع العمال وعائلاتهم أن يستمتعوا بوقت طيب يحسون فيه برد السعادة فيعودوا إلى العمل بنفس وروح جديدين يبعثان الحياة فى الإنتاج ويزيدان من قدرة وطاقة العمل ، والمفهوم أن مثل هذه الإجراءات معناها بالأسلوب الاقتصادى

رفع مستوى معيشة طبقة العمال ؛ لأن خفض أجور القطارات وتهيئة المتنزهات وخفض أثمان الحلويات والمرطبات معناه فى الواقع زيادة أجورهم زيادة غير منظورة ، وهذه ترفع مستواهم المعيشى كما لا يخفى !.

وساهمت الشركات والمشروعات الكبيرة فى تنظيم أوقات فراغ العمال ، فأشاعت فى نفوسهم الروح الرياضية والجماعية ، وهيأت لهم كافة وسائل الترفيه ، فأنشأت الأندية وقاعات السينما وحمامات السباحة وضروب التسلية والرياضة الأخرى ، وتعمل فى الوقت نفسه على تهيئة السبيل لممارسة هوايات مفيدة ومهن خفيفة حسب ميل وهوى كل عامل ، وكذلك زوجات العمال يتدربن على أشغال الإبرة والحياكة وتشرف عليهن مشرفة اجتماعية مثقفة توثق صلاتها بهن وبعائلاتهن أوثق الاتصال لتوجه حياتهن وأسرهن التوجيه الحسن.

أما التلاميذ والطلاب فقد عملت الحكومات على توجيههم فى أوقات فراغهم التوجيه السليم ، فأنشأت لهم أندية خدمة الشباب ، وافتتحت المدارس للتلاميذ أندية للنشاط الاجتماعى والثقافى والرياضى ، تحتوى براجها على حفلات السمر والتسلية ، وتقديم الأفلام السينمائية الثقافية والجغرافية ، والقيام بالرحلات المختلفة لزيارة معالم الأقطار والآثار والوقوف على المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية ، وفتح المكتبات وقاعات المطالعة وبث روح القراءة فى التلاميذ للاطلاع على الكتب الأدبية والدينية والثقافية والقصص الممتعة .

* * *

وتعمل الحكومات فى الوقت الحاضر على زيادة رفاهية الشعوب ، وذلك بإيجاد وسائل التسلية والمرح لقضاء أوقات فراغ الأفراد ، فأخذت تنشىء المتنزهات والمسارح ، وتضاعف الإنتاج السينمائى الذى يلاقى رواجا كبيراً ، وله تأثير قوى فى الناس ، الأمر الذى يدعو إلى توجيهه وجهة التثقيف والتهذيب ، وأن تكون أهدافه ترقيق المشاعر وتهذيب الوجدان وزيادة المعلومات وتوجيه الشعب وإرشاده القومى .

وأما القراءة فهى وسيلة ناجحة ومهمة كل الأهمية لشغل أوقات الفراغ ، وتعمل المجالس البلدية فى بعض البلاد الراقية على إنشاء المكتبات العامة فى المدن والقرى ليغشاها الجمهور للقراءة والاستعارة ، وتحشد فيها المئات من الكتب الشعبية لينتفع بها الجمهور بالمجان ، وتنشىء السلطة العامة هيئة تشرف على مايصدر من كتب ودوريات من مهامها توجيه

الإنتاج الفكرى والأدبى وجهة جديدة تحقق للشعب الرفاهية فى القراءة الممتعة والثقافة الواجبة والأفكار الناضجة وتقوية الشعور القومى وبث الروح المعنوية واستثارة الغرائز الحيوية فى الشعب للعمل والإنتاج . ويلحق بالكتب والدوريات محطات الإذاعة ، ففى سبيل تهيئة الوسائل الفعالة لإفادة الفرد والمجموع من أوقات الفراغ يجب تنظيم الإذاعة وتقديم البرامج الحافلة التى تمتع الأفراد بسماعها وتغذى روحهم وإحساسهم بالغناء الرقيق والشعر القوى والفكاهة الخفيفة ، وتطعم ثقافتهم بالجديد المفيد من المعلومات والأنباء والأفكار .

وفيما يتعلق بالفلاحين والزراع ، فإن الفكرة الحديثة تقضى بالإفادة المطلقة من أوقات فراغهم بدل ضياعها هباء فى ظلال النخيل وغطيط النوم ، ويكون ذلك عن طريق بعث الصناعات الريفية والاهتمام بها لزيادة الإنتاج القومى ، وإنشاء الأندية الريفية التى تقدم لهم الإرشادات الزراعية والصحية والأفلام التوجيهية الممتعة ، والعمل على محو الأمية بينهم وتخصيص برامج لإرشادهم بالإذاعة اللاسلكية !؟

أحمد طه السنوسى

السواجع

قل للسواجع فى الغصون ترنمى وصلى فنونك بعد طول تجاف
العرس حولك والعروس ازينت لم يبق غيرك ، فأذنى بزفاف
زيدى على النسق القديم ، وجددى نسقا يجدد هزة المشتاف
زمن القديم مضى، وليس بمنصف من لا يزيد ذخائر الأسلاف
الفن وجدان العصور ، وصورة مما يسيغ العالم المتنافى
حذق المنقب يستقل بما انطوى من سره ، وبراعة الكشاف
صلف المبرز فى مذاهب غيره إذعان ممتهن ، وعجز مضاف

أحمد محرم

أعلام الإسلام

ابراهيم بن أدهم

البطل الزاهد الشهيد

روت كتب المتصوفة عن إبراهيم بن أدهم أسطورة جذابة بهيجة ، فقد جعلته أميرا من أعرق بيوت الملك بفارس تحيط به أبهة السلطان وجلال التاج ، ويسير فى موكب فخم وحوله الفرسان والحراس ، وقد اشتغل بمباهجه وملاهيه عن شئون الملك ومشاغله ، فما تفقد كتيبة زاحفة وما أسكن ثورة هائجة ، بل كان يتقلد سيفه ويهيئ أقواسه ونباله ويركب جياده السريعة ، ثم يتوغل فى البيداء الشاسعة ليصارع الآرام والوعول ويتعقب الثعالب والوحوش ، فإذا أتعبه الصيد وأضناه الكر والهجوم نصبت له خيمة مطرزة وتجمع حوله أصدقاؤه وندمانه فتساقوا كئوس الرحيق وسمعوا أعذب الالحان ورقصت أمامهم القيان حتى إذا قضوا أربا من الراحة والمتعة رجعوا إلى « بلخ » فى موكب حاشد وجمع عظيم .

وشاءت الأسطورة أن تقول إنه خرج يوم جمعة إلى الصيد ، وحوله حاشيته فى يوم مجموع له الناس ، وكان مؤذن الجمعة ينادى إلى الصلاة ، فما اهتم بفريضة ربه ومضى إلى ملاعبه يترنح فوق جواده والناس يتهامسون فى غضب عن هذا الخليع الماجن الذى يجيب داعى الشيطان فى وقت تتفتح فيه أبواب الرحمة فى السماء ، ويمضى الفارس إلى صيده فيصرع الظباء ويتوغل فى الغاب متحرشا بوعوله ويعافيره ، حتى إذا بلغ منه الجهد مبلغه ركن إلى صخرة عالية لجلس يستريح منفردا عن أصحابه ، وإذا هاتف يملأ عليه سمعه ويناديه : يا إبراهيم ، ما لهذا خلقت . يا إبراهيم ما بهذا أمرت . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ثم ينقطع الهتاف وقد تغلغل صداه فى أعماق الأمير الفارس فغير مجرى حياته تغييراً حاسما وحول أفكاره من طريق إلى طريق ، فرجع إلى حاشيته منكسرا

ذليلا ، وودع رفاقه توديعاً حاراً وهام على وجهه يضرب فى فجاج الأرض وتتقاذفه المطارح النائية ، ووجد راعيا للغنم فخلع عليه حلته الجميلة وقد رصعت بخالص الذهب وزينت بأنضر اليواقيت ، وأخذ منه كساءه الصوفى الخشن ، وعصاه الخشبية الطويلة ، ومضى يطوف بالأرض زاهدا متورعا ، فحج البيت الحرام ، وطوف بالعراق والشام ، وألقى مواعظه الدينية المؤثرة ، وصحب الأئمة من الفقهاء والعلماء حتى وافاه الأجل وقد بلغ من الورع والتصوف والمحبة مبلغاً يضعه فى قمة الزهاد وذروة الناسكين .

* * *

تقول كتب المتصوفة هذه الأسطورة ، وينقلها كاتب عن كاتب مضيفاً إليها ما يسمح به خياله من تهاويل ، وقد يستعين بأبيات شعرية يزعم أن إبراهيم قرأها على جدار أو قبر أو نظمها فى سكرة هيام . ويجىء المستشرقون فيبحثون هذه الأسطورة ويتساءلون ، هل كان لعائلة أدهم سلطان فى إمارة بلخ ؟ وهل عرف تاريخ الفرس أحدا من ملوك هذه العائلة سواء « ببلخ » أم غيرها من المقاطعات ، فإذا صمت التاريخ عن الإجابة الشافية حكموا أن هذه الأسطورة قد صيغت على منوال قصة « بوذا » إذ فر من سلطانه وترك الإمارة والقصر ، لينشر مذهبا ويملأ قلوبا . ثم يتوسعون فى ذلك فيعقدون صلة وثيقة بين التصوف الإسلامى والتصوف الهندى ، ويردّون كل زهد فى الإسلام إلى عناصر أجنبية طرأت عليه وأثرت فيه دون أن يكون منبعها الأصيل كتاب الله وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويمضون فى طريقتهم إلى أبعد مدى فيقرنون الشبيه بالشبيه ، ويلائمون بين تنسك « بوذا » الهندى وعزلة ابراهيم الفارسى .

ولئن ثبت للباحث فى تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لاتنبع من الإسلام ولاتتصل بأسبابه فى شىء ، فإن هذا البعض لاينتمى إليه ابن أدهم فى قليل أوكثير ، فقد كان بعيدا عن أحوال الجذب والتواجد والهيام . ولم يتطرق إلى البحوث النظرية كافعل الحلاج والسهروردى وابن عربى بل كان تصوفه زهدا خالصا يترسم فيه مبادىء الإسلام ، فهو يتمسك بالنصوص القرآنية ويروى الأحاديث النبوية ، ويصدر تعاليمه لمريديه فى نطاق قرآنى تدعو إليه الفطرة الإسلامية وتتقبله العقول فى غير عناء كبير

أما نشأة إبراهيم فيمكننا بمراجعة الروايات المختلفة فى تاريخه وترجيح ما تقوم عليه الأدلة الوثيقة أن نجزم بأنه عربى قح ، نشأ فى سلالة عربية خالصة ، فحين زحفت الجيوش

الإسلامية فى فتر متعاقبة إلى خراسان وتم فتحها على يد الأحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم الباهلى ، أخذت الأسر العربية تنزح إلى هـذا الإقليم الخصيب ، وتنتشر بذراريها فى بلاد ما وراء النهر ، ومن هذه الأسر الكثيرة أسرة الصوفى الزاهد إبراهيم بن أدهم بن منظور ابن زيد بن جابر التميمى العجلى ، فقد نزح أجداده إلى بلخ فى وقت يتعذر تحديده ووجدوا من رخاء العيش ما مكن لهم فى الثروة فرزقوا نصيباً موفوراً من المـال ، ونشأ أبناؤهم نشأة مترفة ناعمة فوجـدوا القصور والضياع والعبيد ، وغمـروا أنفسهم بالمتاع والبهجة ، وكان والد إبراهيم رغم ثرائه الواسع صالحاً خيراً يتبع العبّاد والزهاد ويحج البيت الحرام فى أكثر الأعوام ، وقد أورث فتاه إبراهيم مالا طائلا وجاهاً مديداً فترعرع فى أفياء النعيم، وسحب مطارف البهجة فى شبابه ، ثم أذن الله له بالفوز فطاف عليه طائف من تنسك والده وتقواه ، ثم اتسع فى زهده شيئاً فشيئاً حتى تيقن أن المـال ظل زائل ومشغلة للنفس ، فعزف عن بريقه الخادع ، واحتقر ما يغرق فيه من متعة وجاه ، ثم تجرد عن الزينة والزخرف بعد أن فكر ودبر ، واستأذن أباه فى الرحيل عن خراسان إلى العراق ، وكانت أشواقه تدفعه إلى مكة مهبط الرسالة فترك العراق إلى أم القرى ووجد بها كثيراً من أئمـــة الفقه والحديث والتصوف ، فاصطحب الفضيل بن عياض وسفيان الثورى ومالك بن دينار وغيرهم ممن لقيهم فى رحلاته الكثيرة حتى امتلأت نفسه اطمئنانا وسكينة ، وأفعم قلبه نوراً وعرفانا .

* * *

ولم يكن إبراهيم بدعا فى تنسكه ، فقد كان معاصره شقيق البلخى ذا دنيا واسعة وجاه عريض ، فاعتزل الثروة والضياع وتكلم فى التصوف والزهد ، وكأن أحدهما اقتدى بصاحبه ، وهما من بلدة واحدة ، فسار على منواله ممـا يعز وجوده بين أرباب الثراء .

ولقد كان لإبراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالا ملموساً للجميع ، فقد زهد زهداً خالصاً فيما يملك ، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا فى تيارها الخادع . وكان من تمـام رسالته أن يأكل من عمل يده ، فلا يدع نفسه عالة على عشـاقه ومريديه ، وقد اشتغل بستانيا أجيراً يكدح يومه الطويل ليقتات من طريق حميد ، وهنا يظهر تأثره بتعاليم الإسلام ، فهو دين عملى ينبذ التواكل ، وليست فيه رهبنة تدفع صاحبها إلى العزوف والانطواء ، لذلك نجد ابن أدهم يتشدد فى تحرى المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول : أطب مطعمك ولا عليك ألا تقوم

الليل أو تصوم النهار ، كما كان يرفض رفضاً باتاً أية هدية تقدم إليه لما يندرج تحتها من معانى التواكل والخنوع ، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه ابراهيم لعطف الغنى على الفقير بما يزيد عن حاجته ، ولاجتهد الفقير فى تحصيل رزقه دون أن يمد يده لإنسان ، وبذلك يستشعر معانى العزة والكرامة ويعيش فى ملإه عالى الرأس مرتاح الضمير .

وقد تنبه إلى ما انتشر لدى المتواكلين من انقطاع للعبادة وانتظار للعطاء ، فعد ذلك تسولا سافراً تنأى عنه الرجولة ويمقته الإسلام ، فقال : المسألة مسألتان : مسألة على أبواب الناس ، ومسألة يقول الرجل فيها : ألزم المسجد وأصلى وأصوم وأعبد الله ، فمن جاءنى بشىء قبلته ، فهذه شر المسألتين . وهذه النصيحة الحازمة تفضح هؤلاء المترهبين فى دين لا يعرف الرهبنة ، فهم شر من المتسولين لأنهم يسترون تسولهم البغيض بستار من التبتل والعبادة ، مع أن الإسلام يرى فى سعى المؤمن لرزقه من طريق الحق عبادة خالصة يكافأ عليها بالمثوبة عند الله ، ولن يضير المسلم أن يكون فقيراً كادحاً ، وإنما يضيره أن يتصيد المال دون جهد يبذل أو سعى يتاح ، ونحن لا ندعو غنياً إلى اعتزال ماله كما فعل ابن أدهم ، ولكننا نتخذه مثلا لقوة الإرادة وكبت الأهواء وخذلان النفس فى مضمار عنيف تتجاذبه المطامع والمغريات ، كما يصور لنا هوان المال وضعته لدى النفوس النبيلة ، فلا تتكالب عليه فى عنف أو تبخل بحق الله فيه ، ومن يدرى لعل ابن أدهم قد تخلص من ثروته لوجود شبهة فى عقله ، من طريقة جمعه ، لحسم الشك باليقين .

ولم يطل مقام ابراهيم بمكة فارتحل ثانية إلى العراق ، وقابل أبا جعفر المنصور ببغداد ووعظه فى غلظة ، ثم توجه إلى الشام واتخذها موطنا دائما ، ولكن لواعج الحنين كانت تعصف به إلى موطنه بخراسان ، فيسائل أصحابه عن بلخ ويرحب بمن يفد إليه من فارس ، وما زالت الأوطان مألف القلوب إذا شط المزار .

* * *

كانت إقامة ابن أدهم بالشام خيراً وبركة على أهل مدينة صور ، فقد خالطهم وصادقهم ، واندمج فى مجتمعهم يشير بالرأى ويقدم النصيحة وينبسط إليهم فى شئون الحياة ، حتى جن به العامة وعظموه تعظيما كبيراً ، ورووا عنه الخوارق الكثيرة ا وهى فى كثرتها الزائدة تدل على سمو قدره ، وارتفاع أوجه .

هذا ـ وقد كان الأوزاعى إمام أهل الشام يكبر إبراهيم ويشيد بلباقته ويعجب باندماجه فى قومه وخبرته بالنفوس ودعوته إلى الله بالحكمة والقدوة ، فهو المثل الحميد لصاحب الورع فى الإسلام ، وقد كان حبه لله حباً إسلامياً خالصاً يبرأ مما اختلط بالتصوف بعد ذلك من مذاهب فلسفية حلولية واتحادية ، فهو شبيه فى زهده وعبادته بالحسن البصرى ورابعة العدوية وأضرابهما ممن خلص لهم الزهد الإسلامى خلوصاً طاهراً ، فطريقتهم إلى الله كتابه الواضح وهدى نبيه الكريم .

وكان ختام حياته مقطعاً رائعاً لجهاده الكريم ، فقد أغار الروم على بعض الثغور الإسلامية فحمل سيفه وارتحل إلى الميدان ، ذائداً عن ممالك الإسلام ، وصمد للكفاح والنضال حتى رزق الشهادة فى معركة حامية سنة ١٦٠ هـ ، وحزن عليه المسلمون حزناً شديداً فحملوه إلى (صور) ودفن بموضع يختلف المؤرخون فى تحديده ، وقد حكى ابن بطوطة أنه زاره فى مدينة (جيلة) وقد أقيمت حوله زاوية يعمرها الصالحون ، كما رثاه ابن أخته محمد بن كناسة الكوفى رثاء حزيناً يرسم شمائله العاطرة ويبكى جلاله الصريع .

محمد رجب البيومى

حيي بن أخطب فى ساعة الموت

لما أتى بحيي بن أخطب ـ مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ـ ليقتل بعد غزوة بنى قريظة ، نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل .

ثم أقبل حيي على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل .

ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي .

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

كلنا مكفوفون

أخى المكفوف البصير ...

سلام عليك من أخ لك مبصر كفيف . إنه لا يقول هذا مصانعة لك أو مجاملة أو مخادعة ، بل يقوله حقيقة واقعة ، وإن كانت مستترة مبرقعة ؛ فكلنا فى هذه الحياة مكفوفون ، وإن اختلفت جهة الكف [1] لدى بعضنا عنها لدى البعض الآخر ؛ وكلنا فى هذه الحياة يجب علينا أن نبصر ، وأن نجاهد هذا الكف بكل ما استطعنا من حيلة ، وبجميع ما أطقنا من وسيلة ، حتى نكون فى مجتمعنا بصراء على الرغم مما يعترض سبيلنا من كف فى هذا الجانب أو ذاك .

نعم ، كلنا فى الحياة مكفوفون يجب أن نبصر ؛ فالناس يأتون إلى هذه الحياة العريضة الواسعة ، وليس عندهم كل المقدرة التى تكفل لهم الانتصار على متاعبها ومصاعبها ، وليس لهم كل الوسائل الرشيدة المهيأة لكى تبلغ بصاحبها غاية مايصبو إليه ؛ بل كل منهم فيه ناحية أو أكثر من نواحى النقص والقصر ، سواء أكان هذا النقص حسيا أم معنويا ، باطنا أم ظاهرا ، وهذا الوجه من وجوه النقص هو كف للمرء عن بلوغ الهدف فى ميدان ذلك النقص لو لم يوجد ، والكف فى أصل اللغة منع وحرمان وصد عن شىء وحجب عن وجهة ؛ ومن ثمَّ لا تكون هناك مبالغة ولا مجاملة إذا قلت لك : إننا مكفوفون يجب أن نبصر ...

* * *

فى الناس من ينشأ وهو قوى البدن مفتول العضل موفور الصحة ، ولكنه هزيل العقل ضحل التفكير ، فهو إذن مكفوف فى عقله ، ويجب عليه أن يبصر فى هذا الميدان العقلى ، فيتثقف ويتعلم ويحصل مابه يكون قويم التفكير سليم التدبير ...

وفى الناس من ينشأ وهو قوى العقل واسع الفكر ، ولكنه ضعيف فى خلقه ، مرذول فى طباعه ، مذموم فى خصاله ، قد علت روحه غشاوة من استغلاق الشعور وبلادة الطبع وسوء الخلق ، فهو مكفوف من غير شك فى هذه الناحية ، ومن الواجب عليه أن يبصر فيها ،

---

(١) فى المعاجم اللغوية أن الكف يدل على الحجب ، والمنع ، والنقص ، والقصر . انظر اللسان والأساس والقاموس .

حتى يبصر قلبه كما أبصرت عينه ، وحتى تضىء روحه كما أضاء عقله ، وإلا ضاع أكبر الفائدة من هذا العقل الواسع الذى يغتر به ، دون أن يكون له قوام من مكارم الأخلاق .

وفى الناس من ينشأ كثير المال مطمئن الأحوال عزيز الجاه فى المجتمع ، ولكنه لم يرزق نعمة الإحساس بما حوله من مشاهد الطبيعة ومباهج الكون وأسرار الحياة . . . لم يرزق الاستجابة الوجدانية لما فى الحياة من آيات الروعة والجمال . . لم يرزق المشاركة العاطفية مع تلك الروح الكونية السارية خلال الحياة ، لا نراها بأعيننا ، ولا نلمسها بأيدينا ، ولكننا نشعر بها بقلوبنا الشاعرة وأرواحنا اليقظة وعواطفنا المتقدة ؛ فمثل هذا الرجل مكفوف فى ذوقه وإحساسه ووجدانه ، وهو محتاج كل الاحتياج إلى أن يبصر فيها ليستطيع التمتع بما فى الحياة ، وإلا كان ميت الأحياء ...

وهناك القوى الجسم الأمى العقل ، فهو مكفوف فى ناحية العلم ، يحتاج إلى أن يبصر بالمعرفة ، وهناك المبصر فى عينه ، المكفوف فى قلبه ، وهناك المبصر فى حسه المكفوف فى نفسه ، وهناك السليم فى عينه السقيم فى شمه أو ذوقه أو لمسه أو سمعه ، وهناك غير هؤلاء من الذين قضى عليهم نقص البشر أن ينالهم الكف فى ناحية من النواحى أو فى أكثر من ناحية ، وإن تمتعوا بالإبصار الحسى أو المعنوى فى سواها ؛ وكلهم بحاجة إلى أن يعالجوا هذا الكف ليبصروا . . .

فأنت إذن ترانى أنى لم أكن مجاملا ولا مخادعا حينما قلت : كلنا مكفوفون ، وكلنا يجب علينا أن نبصر ...

لو أحسن المرء محاسبة نفسه ومراجعتها لقال لها : ما أكثر الجهات التى أصابنى فيها كف حسى أو كف معنوى ...

هل اطلع عقلى على كل ما يجب - أو ما يمكنه - أن يطلع عليه حتى أستطيع الحكم بتبرئته من الكف عن بعض المعلومات ؟ ...

هل استطاع أدبى أو خلقى أن يحفظ حقوق الناس ، فلا يفرط فى شىء منها ، ولا يسىء إلى محاسن الأخلاق فى بعضها حتى يمكننى أن أنزهه عن الكف والحرمان من الإحسان فى بعض هذه الوجوه ؟ ...

هل تناول إحساسي الشاعر المتذوق كل ما يحمل أن يتناوله بالإدراك والسبر والتمتع، حتى أطهره من لون ما من ألوان الكف في بعض هذه الجهات ؟! ...

ألا ما أقل ما عرفناه، وما أكثر ما جهلناه! ... ما أضيق ما رأيناه، وما أوسع ما لم نره! ... ما أخف ما أديناه من الواجبات، وما أثقل ما فرطنا فيه! ... ما أكثر الوجوه التي أصابنا فيها الكف، حتى ليصح أن يقال عنا: إننا مكفوفون معرقون في كف الحس وكف النفس؛ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه! ...

* * *

هاهو ذا السكير مثلا يدمن الخمر حتى تستبد بعقله ورأسه وجسمه، وتستبد بماله وحقوق أسرته، وتهبط به مبنى ومعنى - إلى الدرك الوضيع، وإلى أسفل سافلين؛ ولقد تتطلع إليه فتراه حديد البصر، عريض البدن، طويل القامة، ضخم الهامة؛ ولعلك لا ترى في ظاهره ما يقطع بالعلة أو المرض، ولكنك لو خبرت أمره الجسمي والاجتماعي لوجدته مكفوفا من هنا، ومكفوفا من هناك، ومكفوفا من هنالك ...

إنه مكفوف لا يدرك المصير الوخيم الذي يسير إليه، ولا يرى الهاوية السحيقة التي تردى فيها أو سيتردى عما قليل؛ وهو مكفوف لا يشاهد تلك الأنياب الشيطانية الرهيبة التي تنهش في لحمه وعظمه وفهمه، حتى تتركه شبحاً محطماً، أو نهباً مقسما بين العلل والأوجاع؛ وهو مكفوف عما تسببه له بنت الحان من مصائب في حاضره ومستقبله ومصائب في عرضه وشرفه، ومصائب في أصدقائه وخلانه؛ ولو عرف السكير مثلا ما يدار ويحاك ويفعل من حوله، في بيته وماله وسمعته، وبين معارفه وأصدقائه، وبين الكائدين له والحاقدين عليه، لأدرك أي إدراك أنه مكفوف، مكفوف، مكفوف!!

لكأن محمدا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قد رمز إلى قريب من هذا حين قال: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»، لأن المرء لو أدار طرفه إلى عيوبه ونقائصه، والجهات التي أصابه الكف والحرمان منها، لوجد له من ذلك شاغلا أي شاغل، ولم يبق لديه متسع من وقت أو جهد لكي يتطلع إلى عيوب سواه . . .

بل كأن القرآن المجيد قد رمز إلى مثل هذا حين قال: «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»، لأن المرء إذا جعل تقويم نفسه همه فقد شغلها بعمود الأمر وسناده،

وإذا ما عنى كل واحد بإصلاح نفسه فقد صلح المجتمع كله ، لأن المجتمع بناء يتكون من لبنات هى تلك النفوس ؛ ولو أن كل نفس تناولت جهة الكف التى أصيبت بها فعالجتها وأصلحت أمرها ، لتسامى شأن المجتمع وعلا . . .

* * *

وأنت يا أخى المكفوف قد شاءت لك الأقدار أن تختبرك ببصرك فذهبت به ، وبذلك أصابك الكف عن رؤية المشاهدات ، وإنه لنقص حسى ما فى ذلك شك ، وإنه لحرمان من مطلوب محبوب ما فى ذلك ريب ، ولكن ، هل يدعوك ذلك إلى اليأس ؟ . . . هل يحرمك ذلك من كل شىء ؟ . . . هل يدعوك هذا النقص الحسى فى جهة واحدة إلى إلقاء السلاح وإعلان التسليم فى الجهات الأخرى ؟ ! . . .

لا لا أيها الصديق . . . إذا كان بصرك قد كُف ، فهناك كثير من حواسك وأدوات إدراكك وإنتاجك ونشاطك لا تزال لديك صالحة للاستعمال والاستغلال وحسن التعويض ، والمعول على براعتك وتفننك ومحاولتك .

عندك يا صاحبى حاسة اللمس ، تستطيع بها الكثير والكثير ، وإن من وراء أصابعك عيناً تبصر وترى ، فأنت بهذه الاصابع تستطيع أن تكتب وأن تقرأ وأن تميز بين مختلف الأشياء . . . « ويد الضرير وراءها عين ترى » .

ألا تعرف يا صاحبى أن هناك من المكفوفين من يستطيع أن يعرف عن طريق اللمس باليد نفسيات من يلمس أيديهم ، وأن يعرف أن صاحبة هذه اليد شقيقة لصاحبة تلك اليد ؛ إلى غير ذلك من غرائب اللمس ؟ ! . . .

وعندك حاسة السمع تستطيع أن تدرك بها الكثير ، وأن تحصل بها الكثير ، وأن تتثقف عن طريقها بالكثير .

وعندك حاسة الشم يمكنك أن تأتى عن طريق تدريبها وحسن استغلالها بالعجائب والغرائب ، ولعلك سمعت عن ذلك العالم النباتى المكفوف البصر الذى يستطيع أن يميز بين الآلاف من أنواع الأزهار والرياحين عن طريق لمسها وشمها ؟ ! .

وهل جاءك نبأ المكفوفين الذين يقرأون بألسنتهم أو بشفاههم على طريقة (برايل) ؟ تلك الطريقة الخاصة بقراءة المكفوفين وكتاباتهم .

لا يجول بخاطرك أبداً أنك فقدت كثيراً ، فقد ذهب منك القليل ، وبقى بين يديك الجليل ، وأنت بحسن تصرفك واستغلالك تجعل نفسك وغيرك لا يحسون بأنك فقدت شيئاً ؛ فلا تيأس وحاول ! . . .

لقد كان أجدادنا العرب يسمون المكفوف باسم « البصير » ولعل ذلك كان منهم تفاؤلا وتيمنا ، كما سموا المهلكة « مفازة » واللديغ « بالسليم » ؛ وأكاد ألمح فى تسمية المكفوف باسم « البصير » رمزا إلى التحريض على المحاولة وعدم الاستنامة العاجزة لذلك النقص الحسى المحدود ؛ وإن المكفوف البصير ليستطيع بنشاطه ومثابرته أن يكون « بصيراً » يبصر بيديه ، ويبصر بسمعه ، ويبصر بشمه وذوقه . ويبصر بقلبه وروحه ؛ وصدق القرآن الكريم : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

أيها الصديق المكفوف البصير . . . لايزال الطريق أمامك مفتوحا ، ولا زالت قدماك قادرتين على الخطوات ، فلا تكف عن المسير . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

الكتاب

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

ما رأيت بستاناً يحمل فى ردن ، وروضة تنقل فى حجر : ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء . ومن لك بمؤنس لاينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى . آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة . ولا أعلم جاراً آمن ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملالا ولا إبراما ، ولا أبعد مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال ـ من كتاب .

غزوة بنى قريظة

« لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها »

نقض يهود بنى قريظة العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق ، فكانت طعنة من الخلف لا تأتى من شجاع .

نقضوا العهد فى وقت كان الرسول فيه مواجها لعشرة آلاف من أعدائه جاءوا من كل مكان للقضاء عليه ، وكان مطمئنا إلى ما بينه وبينهم من ميثاق ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه .

ولقد كان اليهود الخونة على أهبة النزول إلى المدينة والفتك بالمسلمين ونسائهم وعيالهم لولا لطف الله ، فكان ما دب فى صفوف الأحزاب من خلاف بما دعاهم إلى الارتحال . . وبذلك فوت الله عليهم سوء نيتهم ، فكان لا بد من القضاء على بنى قريظة بما صنعوا ، فأمر الرسول مؤذنا فأذن فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة .

وأرسل عليا فى المقدمة حاملا اللواء وكان على حاله من يوم الخندق ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وحاصر المسلمون بنى قريظة وهم فى حصونهم ، وهذه الحصون لم تكن بالشكل الذى نعرفه ، وإنما هى منازل تمتاز عن غيرها بضخامة الجدار وارتفاعه . وكان مع اليهود حيى ابن أخطب وفاء بوعده لهم فى غزوة الخندق [1] .

واستمر الحصار خمسة وعشرين يوما كان القتال فيها تراشقا بالنبل والحجارة ، وكان الحصار شديدا محكما لم يجرؤ معه أحد من اليهود أن يخرج من حصنه .

---

(١) حيى بن أخطب هو الذى دبر فكرة جمع الأحزاب وألب الألوف المؤلفة على الإسلام وصاحب رسالته ، فلما رأى حيرة الأحزاب وترددهم أمام الخندق ذهب إلى بنى قريظة ليستميلهم إلى جانبه فينقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يبقى معهم إن رجعت الأحزاب ولم يصيبوه .

ولما أدرك كعب بن أسد ـ سيد بنى قريظة ـ أنهم واقعون لا محالة فى يد المسلمين ؛ عرض على قومه حلا لهذا المأزق وحقنا للدماء أن يعلنوا إسلامهم ، فرفضوا وقالوا : لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره .

فعرض عليهم أن يقتلوا نساءهم وعيالهم وأن يخرجوا إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم يتركوا وراءهم ما يخشون عليه حتى يحكم الله بينهم وبينه ، فإن هلكوا لم يتركوا وراءهم نسلا يخشون عليه ، وإن ظفروا اتخذوا النساء ورزقوا الولد .

فرفضوا ذلك أيضا وقالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ فعرض عرضاً آخر قائلا : إن الليلة ليلة السبت وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة .

قالوا : نفسد سبتنا ! ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا ؟ وقر رأيهم على أن يرسلوا شأس بن قيس إلى الرسول ﷺ يعرض عليه أن يرتحل بنو قريظة عن المدينة إلى أذرعات بالشام تاركين وراءهم ما يملكون .

فأبى رسول الله وهو القائل : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

والمرة الأولى كانت مع يهود بنى النضير ، الذين غدروا بالرسول بعد أن فرغ من غزوة أحد ، فدبروا مكيدة لقتله عليه الصلاة والسلام ، غير أن الله حفظه إذ كشف له ما بيتوا ، فبعث إليهم أن اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى بها ، وقد هممتم بما هممتم من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه .

وخلاصة الأمر أن يهود بنى النضير خرجوا ولم يتركوا وراءهم إلا السلاح .

غير أنهم ما لبثوا أن انقلبوا على الرسول بعشرة آلاف مقاتل حرضوهم عليه من كل مكان فى غزوة الخندق . وهذا هو السر فى رفض الرسول طلب يهود بنى قريظة أن يرتحلوا إلى الشام .

فبعثوا (أى يهود بنى قريظة) إلى الرسول أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا ؛ وكان أبو لبابة مناصحا لبنى قريظة وهو من الأوس وكان بنو قريظة حالفين لهم .

فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقالوا : ياأبالبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه (يعنى أنه الذبح) .

فاستنجد بنو قريظة بالأوس حلفائهم أن يشفعوا لهم لدى الرسول، فعرض عليهم أن تختار بنو قريظة رجلا من الأوس ليكون حكما . فاختاروا سعد بن معاذ لذلك ، وكان فى هذا الوقت جريحا اثر معركة الخندق . فذهب جماعة من المسلمين لإحضاره من المسجد حيث كان يداوى فى خيمة رفيدة التى كانت تستقبل الجرحى من المسلمين .

فلما قدم أخذ من الطرفين عهدا باحترام حكمه والنزول عليه ، ثم حكم بأن يقتل الرجال، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .. فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحكم قال : « والذى نفسى بيده ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون وبه أمرت ، ثم خرج إلى سوق المدينة وأمر لحفرت بها خنادق ثم جيء باليهود فضربت أعناقهم ودفنوا فيها وكانوا حوالى الستمائة . وهكذا كان جزاؤهم مثل ماعرضوا المسلمين له لو انتصرت الأحزاب فى واقعة الخندق ؟

محمد جمال الدين محفوظ

السؤال عن العلم

مما أثر عن حكماء هذه الأمة فى طلب العلم والسؤال عنه الكلمات الآتية :

* خير خصال المرء السؤال .
* إذا جلست إلى عالم فسل تفقها ، ولا تسل تعنتا .
* قال الحسن البصرى : من استترعن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله .
* وقال : إنى وجدت العلم ضائعاً بين الحياء والستر .
* قال الخليل بن أحمد : منزلة الجهل بين الحياء والأنفة .
* قال على بن أبى طالب : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان .

القصاص فى الاسلام

كتاب جديد ألفه العالم الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصى ، وللأستاذ الشرباصى مؤلفات كثيرة ، كان من حسن الحظ أن طالعتها كلها إبان ظهورها ، ولكننى حين قرأت هذا الكتاب وجدته يختلف عما ظهر للمؤلف قبله من كتب ، ووجدتنى شديد الرغبة فى التحدث عنه .

وأول ما يطالعك من محاسن الكتاب ما يبدو فيه من المجهود الكبير المبذول فى تدوين مباحثه ، وهذا العدد الضخم من المراجع القديمة والحديثة التى استعان بها المؤلف ، وأحسن الأخذ منها .

ولقد رأينا بعض المؤلفين المحدثين يسطون على ما كتبه الآخرون ، وينقلونه نقلا دون تبصر أو زيادة عليه ، حتى دون أن يذكروا ما لأصحابه من فضل ، ولكن الشرباصى نظر فى هذه المؤلفات ، وأطال النظر فيها ، وناقش بعض الآراء ، وانتهت به المناقشة إلى تأييدها حينا ، وإلى مخالفتها حينا آخر ، مع إقامة الدليل ، وتوضيح الحجة ، فى التأييد أو المخالفة .

وليس عيبا أن نأخذ عن غيرنا ، ولكن العيب أن نأخذ عنهم ونتجاهلهم ، ونوهم الناس أن هذه آراؤنا وثمرة بحثنا وتفكيرنا ، أو ننقل عباراتهم دون أن نمعن النظر فيها ، ونميّل بين الآراء ، ونضيف إليها جديداً ، وهذا ما برىء منه الأستاذ أحمد ، فهو يسند الرأى لصاحبه ، ويؤيده أو يعارضه بالبرهان العلمى السليم ، ولعمرى ان هذا لهو المنهج الحق فى البحث والدرس .

والكتاب يتحدث عن موضوع خاص من موضوعات الفقه الإسلامى ، وقد يكون من الإنصاف أن نقول : إن المؤلف وفىّ هذا الموضوع حقه من كل نواحيه ، وحشد فيه من آراء السابقين والمعاصرين ما جعله ـ فيما أرى ـ مرجعا فى هذا الموضوع .

وقد أعجبتنى فى هذا الكتاب مباحث كثيرة ، ولكنى وقفت ـ بخاصة ـ عند حديثه عن عقوبة الإعدام ، وعرض آراء المعترضين عليها ، والمؤيدين لاستمرارها ، وكان من حسن تأنيه رده ـ فى مقدمة الكتاب ـ على الداعين إلى علاج المجرم بدلا من عقابه ،

لأن المجرم - زعموا - أحوج إلى العلاج منه إلى العقوبة ، فرد المؤلف على هذه النقطة بالذات بأن الإسلام كله وحدة ، وأنه يجب ملاحظة أصوله كلهادفعة واحدة ، فإنه أدق ظام لحياة جماعة فاضلة ، فلا ينظر إليه - فقط - من بعض الزوايا ، وتغفل تعاليمه الأخرى ، فيكون الخطأ ، وتكون البلبلة فى الآراء والنظرات ، وذلك حيث يقول : « والإسلام لا يضيق ذرعا بتيسير الأسباب لعلاج المجرم إذا أمكن الجمع بين علاجه وعقابه المشروع ، ولو تذكرنا أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأنه يجب الأخذ به فى جميع النواحى حتى يمكن خلق المجتمع الإسلامى المنشود ، وأنه قد اشترط للمجتمع شروطا كثيرة كالعدالة والمساواة والأخوة والتعاون والإحسان والتكافل الاجتماعى بشتى صوره ، وأنه يعتبر اختلال هذه الشروط بابا لاعتبار الشبهة فى الجريمة .

أقول لو تذكرنا ذلك لأدركنا أن الإسلام لم يفته الاحتياط لمثل هذه الثغرات أو الدوافع التى يتحدثون عنها ، وأنه قد عالجها وقطع الطريق عليها قبل أن توجد أو تولد ، وكأن الإسلام يأخذ فى هذا المجال بالنظرية القويمة المسلمة « الوقاية خير من العلاج » .

هذا . وإن كنت أخالف الأستاذ فى أن القاتل بلغ حالة لا يصلح معها للتهذيب .

والكتاب جذاب لا يكاد قارئه يبدأ فيه حتى يجد فى نفسه رغبة ملحة فى مواصلة القراءة . ومرجع ذلك - عندى - أن المؤلف لم يقصره على الأحكام الفقهية التى لا تلذ قراءتها إلا لذوى الميول الخاصة ، وإنما جعل ينتقل من فقه إلى أدب إلى تاريخ إلى لغة إلى بيان ، مع أسلوب واضح ، وعبارة سلسة ، وعرض جذاب ، وأفكار متسقة .

ومما أعجبنى فى الكتاب ، هذه البحوث المستفيضة فى الموازنة بين الآية الكريمة (ولكم فى القصاص حياة) والقول العربى المشهور (القتل أنفى للقتل) فقد وفى البحث حقه ، وجمع كل ما قيل فيه أو أكثره ، وأضاف إليه من عنده جديداً ، أعجبنى منه المقارنة بين النصين من الناحيتين النفسية والا ، جتماعية ومما قاله عن الأولى : « ومن الفروق بين الآية والمثل أن الآية صدرت بلفظة (القصاص) والقصاص إنصاف ، والنفس البشرية تحب هذا الإنصاف وتبحث عنه ، وتعجب به ، وتهتف لمحققه ، وفى الآية كذلك كلمة (الحياة) والحياة كلمة عميقة جذابة » .

ومما قاله فى الناحية الثانية : « ومن الفروق الاجتماعية أن المثل عند سماعه يثير فى نفوس الجماهير مشاعر الانتقام ، وأحاسيس الثأر ، ويحرك فيهم الميل إلى النزال والقتال للوصول إلى القتل . . . وأما الآية الكريمة فإنها تقف بالجماعات كما تقف بالأفراد على بابى الرغبة والرهبة ، تصدهم — رغباً ورهباً — عما لا يليق بهم من الاعتداء على حياة فرد أو جماعة » .

* * *

ولا يمنعنى الإعجاب بالكتاب ، واللحظات الممتعة التى قضيتها فى قراءته من مراجعة مؤلفه فى بعض الأمور ، فالإخلاص للحق يدفعنا إلى المحاسبة ، وليس المؤلف ولا الناقد ليس واحد منهما ملكا لنفسه ، وإنما هما — ومعهما النص المنقود — ملك الجماعة .

علل المؤلف اختيار كلمة القصاص فى الآية الكريمة ، وإيثارها على كلمتى (الثأر) و (القتل) بأن : « الثأر يذكر بالدم والعداوة والأحقاد والإسراف » وبأن القتل أيضاً « يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن » أما القصاص ففيه « مساواة وعدل وإنصاف » .

وقد علل الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إيثار كلمة القصاص على كلمة القتل بقوله : (من إعجاز لفظة القصاص هذه أن الله تعالى سمى بها قتل القاتل ، فلم يسمه قتلا كما فعلت الكلمة العربية ، لأن أحد القتلين هو جريمة واعتداء ، فنزه — سبحانه — العدل الشرعى حتى عن شبهه بلفظ الجريمة ، وهذا منتهى السمو الأدبى فى التعبير) .

وأقول : إن الأستاذ المؤلف قد رمى بعيداً ، وكذلك فعل الرافعى ـ رحمه الله ـ من قبل ، ولعل أقرب طريق للبرهنة على ذلك أن نذكر تعاريف الكلمات الثلاث لنرى أنه لا تصلح إحدى اللفظتين ـ لغويا ـ مكان كلمة القصاص .

(فالقصاص) معناه الأصلى المساواة والتعادل كما ذكر المؤلف ، وهو ـ كما ذكر الرافعى ـ يشمل أخذ الدية والعفو وغيرهما ، أو بمعنى أدق هو معاقبة الجانى بما جنى فيشمل القتل بالقتل والجرح بالجرح . و (الثأر) له تعاريف نقلها المؤلف عن كتب اللغة ، فهو الدم أو الطلب بالدم ، أو القاتل أو الطالب بالدم ، وأما (القتل) فهو إزهاق الروح ، أو كما يقول الأصفهانى فى مفرداته : إزالة الروح عن الجسد كالموت . فواضح أن كلمة الثأر لا تؤدى معنى كلمة القصاص ، وكذلك كلمة القتل ، فاختيار القصاص إنما هو للفوارق اللغوية .

ويسوق المؤلف قول المفسرين لقوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » ، ثم يذكر تفسيرين آخرين ، يرى أن الآية تحتملهما ، وهما - فيما يقول - من نظره الخاص ، وأرى أن أحدهما غير صالح ، فهو يقول : « واجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف فى هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة حتى لا يناله ذلك العقاب الأليم ، وهناك قراءة تؤيد ذلك وهى « فلا تسرف » أى يا أيها القاتل لا تسرف فى القتل ولا تقدم عليه بهذه الجرأة ، فيكون ذلك نهيا عن القتل ابتداء - لأننا جعلنا لورثة من تقتله أيها القاتل المعتدى سلطانا رادعا بالغا هو القصاص ، ولأنه كان منصورا بمعونة السلطان ، ومساعدة جماعة المسلمين » .

وواضح أنه يجعل الضمير فى قوله تعالى : « فلا يسرف » للقاتل ، وفى قوله عز وجل : « إنه كان منصورا » لولى الدم ، وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم ، على أنى لا أدرى من أين جاءت النصرة (بجماعة المسلمين) .

وقد ذكر المؤلف فى صلب الكتاب أن يهود كانوا يوجبون قتل القاتل ، ولا يرضون الدية ، وأن المسيحيين كانوا يوجبون أخذ الدية لا غير ، ثم ينقل فى هامش الصفحة نصوصا تدل على أن أهل التوراة كان عندهم القصاص أو العفو ، وأن أهل الإنجيل كان عندهم العفو لا غير ، ثم يترك هذا الأمر دون أن يلقى عليه أضواء التحقيق والترجيح ، بل ان ينبه على هذا الاختلاف ، حتى لربما ظن القارىء العادى أن ما فى الهامش يؤيد ما فى صلب الكتاب ، وليس يكفى فى البحث المتخصص أن يذكر مثل هذا التعارض ، بل لا بد من التحقيق مهما كلف الباحث من مشقة وجهد .

وقد دعت كثرة النقول التى حرص عليها المؤلف إلى أن يكرر المسألة الواحدة ؛ فهو يذكرها أولا ثم يعيدها فى نص من النصوص ، وقد يعيدها فى نص أو نصوص أخرى ، وكان واجب الاقتصاد العلمى يقتضيه أن يقتصر من كل نص على الجديد فيه ، لا سيما فى القضايا المشهورة ، فإذا كانت القضية تحتاج إلى تدعيم وتأكيد ، بذكر أكثر من نص ، أمكن أن يقتصر على أوفى النصوص ، ثم يشير إلى العلماء الذين يؤيدون هذا الرأى ، وإلى كتبهم - إذا شاء - التى وردت فيها نصوص مشابهة .

وعندى أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد حتى دعاه ذلك إلى

أن يثبت خطبة ألقاها فى مسجد من المساجد فى يوم جمعة، والذى أراه وجوب إخلاء البحث العلمى من مثل هذا الأسلوب، والاقتصار على تبيان الآثار السيئة التى تترتب على مجاوزة حدود الشرع، دون إلباس هذا البيان الثوب الوعظى.

وقد ذكر المؤلف فى سبب نزول قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... الآيتين) أنهما (نزلتا فى مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، حينما بلغ الحزن برسول الله مبلغه بقتله، فتوعد الرسول قاتليه بأن يبطش بهم ويثأر له فى توسع، فنزل القرآن يأمر بالعدل والإنصاف والقصاص بلا اعتساف).

وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول ـ وهو كذلك ـ ذلك أن حمزة رضى الله عنه قتل فى غزوة أحد، بيد كانت كافرة، فى حرب مشروعة، فإذا توعد الرسول بأن يبطش بقاتليه لم يكن مما ينكر عليه، وليس ما يفعله بالكفار فى حرب أخرى مما يدخل تحت القصاص، وللنبى أن يبالغ فى تقتيلهم، وإذلالهم، وليس فى ذلك ما ينهى عنه، مادامت آداب الحرب مرعية، ولعلى لا أبالغ أن هذا الأمر يكاد يكون بديهيا، فكيف مر على المؤلف دون أن يلقى إليه بالا؟!

* * *

وبهذه المناسبة أذكر أن أكثر العلماء السابقين على أن كلمة (حياة) فى الآية الكريمة، تشمل أنواعا من الحيوات، حياة القاتل، وحياة المهموم بقتله، وحياة ذويهم ممن كانوا سيقتلون لو لم يشرع القصاص، كما هى العادة من تعديهم القاتل إلى غيره من ذوى قرابته، وفى ذلك يقول الطبرسى فى تفسيره (مجمع البيان): «فيه قولان: أحدهما أن معناه فى إيجاب القصاص حياة، لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع، فكان ذلك سببا للحياة، عن مجاهد وقتادة، وأكثر أهل العلم، والثانى أن معناه: لكم فى وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل، عن السدى، والمعنيان جميعا حسنان».

فالقصاص سبب فى حياة من يهم بقتل إنسان، ثم يتذكر أنه سيقتل فيرجع، وسبب لحياة المهموم بقتله، وسبب لحياة آخرين، لأنهم كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فالتنوين للتعظيم، إذا أريد أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، أى لكم

فى القصاص حياة عظيمة ، قال الزمخشرى : « وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل » أو يكون التنوين للنوعية ، أى نوع من الحياة ، « وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه ، فارتدع سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود ، فكان القصاص سبب حياة نفسين » كما يقول الزمخشرى فى كشافه .

لكن بعض الباحثين المحدثين يرى أن تنكير حياة ، جاء لأن الذى يحيا بالقصاص فريق خاص من الناس وهم المهموم بقتلهم ، أما القاتل فلا يستفيد من القصاص حياة ، ويقول : إن بعض وجوه الإعراب أصبحت شبهات دينية ، وإن بعض العلماء فهموا اللغة فهما آلياً محضاً ، فأعان كل ذلك على جريرة كبيرة هى ترك مواجهة الصورة اللغوية والفنية ، ودليله على ذلك أن التنكير فى حياة لا يفيد أن غير المهموم بقتله يستفيد حياة من القصاص — كما زعم العلماء — وفى ذلك يقول : « لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله فى مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص ، وصار كأنه قد حيي فى باقى عمره ، وإذا كان المعنى على حياة فى بعض أوقاته وجب التنكير .

ثم إن الحياة لا يستفيد منها الجميع ، إذ ليس بواجب ألا يكون إنسان فى الدنيا إلا وله عدو يهم بقتله ، ثم يردعه خوف القصاص ، فمن لم يهم إنسان بقتله فكفى ذلك الهم ، فليس ممن حيي بالقصاص ، والذى هم بالقتل فلم يقتل خوف القصاص لم يستفد حياة ، وإنما الذى استفاد المقصود قتله ، ذلك أن هذه الحياة إنما هى لمن كان يقتل لولا القصاص ، وذلك محال فى صفة القاصد للقتل » . فهو ينكر أن يكون من هم بالقتل فلم يقتل ، ممن حيي بالقصاص ، هذا الذى عليه مجاهد وقتادة وأكثر أهل العلم .

والسر فى هذا الإنكار أنه لم يمعن النظر ، فلو درى أن المراد : ولكم فى مشروعية القصاص حياة ، لما وقع فيما وقع فيه ، إذ فهم من القصاص وقوع القتل على القاتل ؛ وهو نظر ضيق ، لأن كلمة القصاص معرفة بأل التى تجعلها كلمة عامة ، أى لكم فى هذا الجنس من العقوبات حياة ... والعلم كله لله ؟

على العمارى

كلنا سواء!!!

قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص وأنا من المعدن الرخيص ، ولكننا مع هذا نسير معاً ونتساوى فى بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر فينا الغنى المترف الذى ولد وفى فمه ملعقة من الذهب الإبريز كما يقول الإنجليز ، وفينا الفقير المعدم الذى استقبل الحياة فى كهف مظلم وخرقة بالية ، ولقمة عيش بغير إدام ، ولكن هذا الفقير يستطيع أن يقول لهذا الغنى ما قالته الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معاً ونعمل معاً لأننى فى فقرى وقيامى بعملى أخدم المجتمع مثلما تخدمه أنت فى غناك !!

وقرأت قصة طريفة خلاصتها أن بعض السلاطين علم أن ابنه الأمير الوحيد يريد أن يكون خياطا يقضى كل وقته فى صنع الملابس للفقراء والمحتاجين ، فغضب السلطان وأحضر الأمير وقال له : كيف تكون أميراً وتعمل خياطا ؟ هذا عار لا أقبله أبدا ، فقال الأمير : ولكن الخياط يا أبى لا يقل أهمية عن السلطان ! فازداد غضب السلطان وقال لابنه : إذا استطعت أن تثبت لى أن الخياط نافع كالسلطان تركتك تفعل ما تشاء ، وإذا لم تستطع فلن أسمح لك أبدا بممارسة الخياطة مدى الحياة ، وأمامك عام كامل لتأتينى فيه بالبرهان والدليل ! فارتدى الأمير ثياباً قديمة ووضع الإبرة والخيط والمقص فى منديل قديم وسار حتى وصل إلى دكان خياط وعرض عليه أن يعمل عنده فوافق وأخذ الأمير يعمل عنده ثلاثة أيام ، ولكنه فى آخر اليوم الثالث أبدى رغبته فى ترك العمل والانصراف ، فأراد الخياط أن يستبقيه لأن عمله حسن وخلقه جميل وسلوكه طيب ، إلا أن الأمير أصر على الرحيل ، ودعا الخياط إلى وليمة كبيرة يقيمها فى البساتين العامة بعد ستة أشهر فوعده بتلبية الدعوة . وانصرف الأمير وذهب إلى خياط آخر وعمل معه ودعاه إلى وليمة ، وهكذا فعل مع غيره . وما انتهت الأشهر الستة حتى كان قد عمل مع جميع الخياطين فى المدينة ودعاهم جميعاً إلى الوليمة ، وأخذتهم الدهشة عندما رأوا العامل الذى تنقل بين حوانيتهم ليكون خياطا هو الأمير نعمان الذى يرتدى ملابس الأمراء . وبعد ما أكلوا وشربوا قال لهم : يسرنى أن

أدعوكم إلى نزهة طويلة تستغرق ستة أشهر نقضيها فى البحار على ظهر باخرتى العظيمة ، فلبوا طلبه وساروا متنقلين فى البحار .

فلما رجعوا إلى المدينة بعد انقضاء الرحلة وجدوا أهلها جميعاً فى ثياب رثة قديمة ممزقة ، وهم يصيحون ويصرخون : أين كنتم ؟ نريد ملابس جديدة . وذهب الأمير إلى القصر فوجد السلطان حزيناً ، ولما رآه قال : لقد بليت ملابسى الملكية وأصبحت غير لائقة بسلطان عظيم مثلى فابتسم نعمان وقال لأبيه : أرأيت الآن يا أبى كيف كانت نتيجة اختفاء الخياطين من المدينة ؟ فقال السلطان باسماً : الحق معك يا بنى ، لقد تأكدت الآن أن الخياط لايقل أهمية عن السلطان ! ومن ذلك اليوم والأمير نعمان يخيط الملابس للفقراء والمحتاجين وهو مسرور سعيد ؟

هذه قصة جاء بها الخيال من غير شك ، ولكن الحقيقة واضحة فى مراميها ومعانيها ، فالأمة تتكون من أقاليم ، والإقليم يتكون من عدة بلاد ، والبلد مؤلف من أسر ، والاسرة تتألف من أفراد ، ولكل فرد فى الأمة بل فى الحياة مهمة يقوم بها وعمل يؤديه ، فكل عمل يقوم به المواطن عظيم ، وإن بدا فى عين الأغرار حقيراً مهيناً ، فلقد أضرب الكناسون يوماً عقب بعض الأعياد الكبرى فى القاهرة ، فلا تسل عمّا دهم الشوارع من القمامة ، وأزكم الأنوف من الزهومة ، وأقذى العيون من بشاعة القاذورات ؟ وقلنا : يا لله ، أيؤدى الكناسون للمدينة هذه المهمة الكبيرة ؛ فماذا يحدث إذن لو أضربوا أسبوعاً أو عشرة أيام ؟ ثم لماذا أكتب هذا ؟ لأن بعض الكبراء عندنا يتعالون على بعض العمال كأنهم ليسوا مثلهم لآدم وحواء ، ويتعامون عن حقوق الخدم كأنهم من ذهب إبريز وهؤلاء من طين جاف ، مع أن الله تعالى يقول : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

محمود محمد بكر هلال
رئيس اتحاد خريجى الأزهر بمديرية جرجا

دعـــــــوة الاسلام
هى دعـوة القوة والسلام

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر الأيام الاولى من رمضان ، وهو يتنقل بين مختلف الأقطار من أعماق هذا العالم الإسلامى ، فشاهد بعينيه أثر دعوة الإسلام فى مئات الملايين من قلوب أهله التى أعلن الاستعمار فشله وعجزه عن تحويل قوة إيمانها إلى ضعف ، وعن إحالة فطرتها السليمة الطيبة إلى ما أراده لها المستعمرون من فساد ، فكان من إلهامات المعانى السامية التى يوحى بها رمضان إلى أهل البصيرة ، ومن بقايا معانى الخير التى تزخر بها قلوب مئات الملايين من المسلمين ، هـــذا البيان البليغ الذى خاطب به الرئيس جمال عبد الناصر إخوانه المسلمين فى مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى :

* * *

فى أخريات القرن السادس الميلادى ، وقبل أن يغمر نور « محمد » الرسول (صلوات الله عليه) أرجاء البشرية ، كان العالم فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب ، يتعثر فى خطا الرجعية ، ويئن من وطأة الجور والاستعباد ، ويبعد كثيرا عن تعاليم المسيحية السمحة ، ويعكف معظمه على عبادة الوثن ، ويعبد بعضه النار أو الكوكب السيار .

فشعوب بأسرها تستذلها فئة من الرجال قد يلقبون بالأباطرة حينا ، والقياصرة حينا آخر ، وعوالم بجموعها تضللها فئة أطلقت على نفسها رجال الدين ، واتخذت من هذا اللقب ستارا تنوّم به هذه الجماهير حتى لا تفيق من سباتها ، وتزيح العصائب عن أبصارها .

وحروب بعضها فى اثر بعض تثار إشباعا لنهمة الغزو والفتح فحسب ، حتى بات العالم على شفا الهاوية ، وكادت تدور عليه الدائرة . ولكن رحمة الله التى وسعت كل شيء قضت ولا راد لقضائها أن تهدى هذا العالم الضال ، وترده إلى الهداية والاستقرار ، فاختارت « محمدا » العربى اليتيم الفقير الناشيء فى جوف الصحراء ليكون النبى الملهم ، والرسول الموحى إليه ، ليرد البشرية إلى السلام والطمأنينة ، وإلى التراحم والتعاون ، والإيمان واليقين .

وكانت رسالة من أشق الرسالات وأخطرها فى هذا الجو العاصف الذى كان يجتاح العالم حينذاك ، ولهذا التخلف المزرى الذى اتسم به البشر آنذاك ، ولكن الخلق العظيم الذى تخلق به الرسول الكريم ، والصبر الجميل الذى تحلى به طوال حياته ، والقوة الخارقة فى الإعداد والتنظيم ، وما كان يمتاز به من بلاغة ومنطق سديدين ، كل أولئك مكن لرسالته وأصل لدعوته ، فآمنت به هذه الملايين من البشر إيمانا زاخراً لا يخبو ولا يفتر .

ولقد استطاع الرسول الكريم أن يجعل دعوته مثلا لكل الدعوات ، ومناراً لمن أتى بعده من المصلحين ، فقد كان خاتم الأنبياء ، وآخر الموحى إليهم من المرسلين ، فجعل من حياته دستوراً للحاكمين ، ومن سيرته نوراً يهتدى به الأحياء على مر الأجيال والأعوام .

لقد كانت حياته متناهية فى البساطة ، غاية فى السمو والترفع ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان فى ذلك مضرب الأمثال .

وكانت سيرته حافلة بألوان التضحيات فضحى بنفسه مرات ومرات ، ضحى بها عند إعلان دعوته ، وإصراره عليها ، وعدم الرجوع عنها ، على قلة الناصر والمعين ، وضآلة المال والنشب ، وضحى بها فى الغزوات التى دافع فيها عن كيانه بل كيان دعوته .

وكانت دعوته من أقوى الدعوات لأنها لم تجعل حجاباً بين العبد وربه ، ولا وساطة بين الإنسان ومعبوده ، فالله أقرب إلى مخلوقه من حبل الوريد ، فقضى بهذه الدعوة على كل وساطة وكهانة وادعاء .

وبساطة الدعوة كانت العامل الأول فى هذا القرب العجيب : فكل إنسان يستطيع فى يسر أن يفهم مرامى الدين ، ويقوم بفرائضه فى غير عنت أو إرهاق .

وأظهر ما فى الدعوة الاتحاد والتعاون : فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن ، أنى كان هذا المسلم أو المؤمن ، فالفرقة ضعف ، والخروج على الجماعة خذلان .

حقاً ان فى الدعوة الإسلامية دروساً وعبرا . فلم لا نتخذ منها واعظاً ومرشداً ؟ لم يشق بعضنا عصا الطاعة على بعض ؟ ولم نفترق فى سياستنا وأهدافنا ومثلنا ؟ لم لا نهتدى بهدى الإسلام عندما نضل الطريق أو تشتبه علينا الأعلام ؟ لم يكون بعضنا حربا على بعض ؟ لم ننساق فى سبيل غير سبيل الأخوة الصادقة والعصبية المتكاتفة والجماعة المتآزرة ؟

ألم تكفنا هذه القرون السوالف التى صرنا فيها إلى حطام ؟ ألم تنل منا العوادى لما كان بيننا من فرقة ؟ ألم نستذل وقد كنا سادة الدنيا وكرامها ؟

أيها العرب ، أيها المسلمون ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بأن تكونوا يداً على من عاداكم ، مسالمين لمن سالمكم ، ولا تفرقوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون ، وليست هذه العبارة ألفظها من الشفاه ، أو يرددها اللسان ، ولكنها نابعة من قلبى المؤمن إيماناً عميقاً بدعوة الإسلام التى هى (دعوة القوة والسلام) ، فهل تضعون أيديكم فى يدى ؟

وهل تلبون هذه الدعوة الحارة من قلب مؤمن بالعروبة والإسلام ؟

ولن يكفينى أن بلغت ، وأشهدت الله على أن بلغت ، ولكنى سأسعى ما حييت بكل ما فىّ من جهد وعزم وإيمان ، لتصبح هذه الدعوة حقيقة لا ريب فيها . والله على ما أقول شهيد .

جمال عبد الناصر

أحاديث الأستاذ الأكبر

وجوب التحرى لرؤية هلال رمضان

السعى لتوحيد القيام بعبادة الصوم فى البدء والنهاية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله : محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه العظيم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنه يسرنا فى مطلع هـذا الشهر العظيم ، شهر رمضان المبارك ، أن نتوجه إلى إخواننا المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، بالتحية الطيبة والتهنئة الخالصة باستقبال شهر الصيام الذى يجب أن نحتفل به ، وأن نحيي فيه نزول القرآن الكريم ، الذى أنزله الله لعباده خيرا ورحمة ، وجعله هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور ، وأرشدهم بتعاليمه إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة ، وبصرهم بنصحه ومواعظه ليطهروا نفوسهم ، ويصلحوا بعبادته شئونهم ، ويأخذوا بأنفسهم فى الجادة والطريق القويم .

تحرى رؤية الهلال :

وإن أول ما يجب أن يعنى به المسلمون لاستقبال هذا الشهر العظيم أن ينهضوا لتحرى رؤية الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وأن يبذلوا جهودهم ويتعاونوا فى القيام بهـذا الواجب الدينى الخطير ، ولا ينبغى أن يتهاونوا فى أمر ترصد الهلال ، ويركنوا إلى الكسل بالاعتماد على حساب الفلكيين ، فإن إثبات الهلال بالرؤية أمر حتمه الدين الإسلامى الحنيف ، ورسول الله ﷺ يقول : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

آلات الرصد الحديثة :

ولقد يسر الله أمر الرؤية فى هذا العصر بما اخترعه العلماء من الآلات الحديثة التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى مهما كان صغيرا دقيقا .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحرى الهلال برؤيته بالعين المجردة، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عن وسائل أخرى، رحمة بهم وتخفيفا عليهم، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه ما دامت موفورة ميسرة.

ينبغى للمسلمين فى جميع أقطار الأرض أن ينشطوا لهذا الأمر، وأن يستخدموا كل ما يستطيعون لرصد هلال رمضان وإثباته بالرؤية، وأن يهتموا بشريعة الصيام، التى هى أحد أركان الإسلام.

اهتمام الناس بالرؤية فى الماضى:

وإنى ألاحظ أنه منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت، كان اهتمام الناس بتعرف الهلال وترصده، والعناية برؤيته، أكمل وأقوى مما هم عليه فى الآونة الحاضرة، وقد كانت المنارات والمآذن، فى المدن والقرى، لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرغت نفسها، وأقبلت بوحى من دينها، لترصد الهلال، وليكون لها شرف رؤيته والشهادة بثبوته.

إحراز شرف الرؤية:

وإنى كنت فى هذا العام مصمما العزم على الذهاب بنفسى إلى مرصد حلوان قبل الغروب فى هذا اليوم (الجمعة) لأحرز هذا الشرف العظيم، شرف أن أكون من شهود إثبات هلال رمضان، وعملت من أجل ذلك على الاتصال بمصلحة الأرصاد الجوية، لأتعرف الأحوال التى قد تثبتها هذه الأرصاد عند وقت الغروب من ذلك اليوم، كما عملت على الاتصال بالقائمين بالأمر فى مرصد حلوان، ليوفروا لى الوسائل الميسرة لرؤية الهلال، ولكن عارضا قويا حال بينى وبين تنفيذ هذا الذى عزمت عليه، فعهدت إلى جماعة من العلماء والموظفين فى مشيخة الأزهر أن يذهب منهم نفر إلى مرصد حلوان، وآخر إلى سفح الأهرام، ونفر ثالث إلى أعالى القلعة، وسيكونون جميعا مزودين بمعلومات فلكية عن موقع الهلال ومنزلته ومدة مكثه فوق الأفق بعد غروب الشمس، وسيكون أيضا كل فريق منهم مجهزا بمنظار معظم وبآلات حديثة مما يستخدم فى المراصد.

وأرجو أن يوفقهم الله لرؤية هلال هذا الشهر المعظم، كى يتيسر الاتصال بأهل الأقطار الأخرى، ونعمل على توحيد القيام بهذه العبادة، عبادة الصوم فى البدء والنهاية.

والله ولى التوفيق؟

صوموا لرؤيته...

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم رسل الله ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فإن الرسول العظيم الذى بعثه الله هادياً ورحمة للعالمين ، قد علمنا مما علمه الله ، وبصرنا بما هدى إليه من هدى الله ، وأرشدنا فى شعائر ديننا ، ومقومات عباداتنا ، إلى ما تصلح به وما ينبغى الاعتماد عليه .

وإن من خير ما أرشدنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام ، واستقبال شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . فقد ربط ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وهذه الرؤية هى التى تفيد العلم الجازم ، واليقين الذى لا شك فيه بثبوت شهر الصيام .

أما إذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعة ، بأن كان القمر لم يتم دورته بعد ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون الرؤية ، فقد أرشد النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما يتبع فى ذلك ، فأمر بإكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ فى حاجة إلى تفقد الهلال فى اليوم التالى لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمراً مهماً يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التى تقع كثيراً بين أهل الأقطار الإسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام .

ذلك أن بعض هذه الأقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال ، فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقق الرؤية فى بعض الأقطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صومهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم فى أداء عبادة من أهم العبادات ، وفى إقامة شعيرة هى من أعظم أركان الدين ؟

حتماً ان موقع البلاد على الكرة الارضية مختلف شرقاً وغرباً ، وشمالا وجنوباً ، واختلاف هذه المواقع ولا سيما عندما ينظر إليها بالقياس إلى الخطوط الطولية للكرة الارضية ، يوجب بالضرورة اختلافاً وتفاوتاً فى المواقيت ، فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين بساعة وساعتين وثلاث ساعات وأكثر من ذلك على حسب التباعد بين الجهتين شرقاً وغرباً . ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإفطار والإمساك فى جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يفرغ ناس من الإفطار وصلاة المغرب فى يوم من أيام رمضان على حين أن ناساً آخرين لا يكونون قد فرغوا بعد من صلاة ظهر ذلك اليوم ، وأن أهل بلد يمسكون عن الطعام والشراب فى فجر يوم ، على حين أن أهل بلد آخر يكونون حينئذ فى وقت الضحى أو الظهر من ذلك اليوم .

لكن اختلاف مواقع البلدان لا يمكن أن يكون له الأثر البالغ فيما يرجع إلى إثبات الاهلة ، ولا يمكن أن يكون التفاوت بين الاقطار الشرقية والغربية بمقدار يوم كامل ، فهلال رمضان من هذا العام ربما لا يتمكن بعض أهل الشرق من رؤيته بعد غروب الشمس من يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان ، لغروبه قبل غروب الشمس عندهم ، فى حين يستطيع رؤيته أهل مصر أو أهل تونس أو الجزائر أو مراكش ، فالهلال هو من غير شك هلال جديد : هو هلال رمضان ، كما أن يوم السبت التالى لا شك أنه هو يوم السبت لا يوم الجمعة عند جميع أقطار الارض . فما المانع من اعتبار أن الهلال الجديد الذى ظهر لأهل المغرب هو هلال رمضان لاهل المشرق أيضاً ؟!

إنه لا شبهة فى أن الهلال هلال رمضان ، وأنه قد ولد قبل مضى يوم كامل على أهل المشرق الذين لم يروه فى أول ليلة ، ولذلك هم يرونه فى الليلة التالية أكبر حجما ، وأعلى فى الأفق منزلة مما كان فى الليلة الأولى عند أهل المغرب الذين رأوه فيها .

ومن هنا اختار كثير من العلماء عدم التعويل على اختلاف المطالع فى إثبات الهلال ، وهو ملحظ قوى ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الأمم الإسلامية فى جميع أقطار الارض

وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التأليف والتقريب وتوحيد الكلمة .

وهذا الملحظ القوى لا يتنافى مع مادل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية المتكافلة المتساندة فى إقامة شعائر الدين وإيجاب الصوم على المكلفين متى تحققت رؤية الهلال ، فيكفى إذن لإيجاب الصوم على أهل قطر أن تثبت رؤيته ولو فى قطر آخر ، فإن الحديث لم يقل : لا يجب الصيام إلا على من رأى هلال رمضان . . وإذن فلا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد شرقى وآخر غربى فى قطر واحد .

هذا ، ولا ينبغى أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » معناه فمن رأى هلال رمضان فليصمه ، وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام ، فإن الشهود فى الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء فى إيجاب الصوم ، وإنما هو الحضور ، والمعنى من حضر شهر رمضان وأدرك زمنه فى حالة أهليته للتكليف بالصوم ، فعليه أن يصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطالع واعتبارها أو عدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون من بدع القول أن يرجح أحد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع نظراً لما أشرنا إليه من أسباب هذا الترجيح .

نسأل الله للمسلمين جميعاً أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ، ويرفع شأنهم ، ويعز سلطانهم . والله ولى التوفيق والسداد ؟

عود الى تقرير الرأى

فى مسألة إثبات الأهلة

فى حديث الصيام الذى نشرته لنا جريدتا الأهرام والجمهورية فى أول يوم من شهر رمضان الحاضر — قلنا : إن اختلاف مواقع البلاد على الكرة الأرضية شرقا وغرباً له أثر كبير فيما يرجع إلى مواقيت الصلوات اليومية ، وكذلك فى تحديد وقت الإفطار ووقت الإمساك فى شهر رمضان .

وقلنا أيضاً : إن اختلاف هذه المواقع ليس له الأثر البالغ فيما يرجع إلى ثبوت الأهلة ، وأردنا من ذلك أن التفاوت بين البلاد فى المطالع لا يمنع من توحيد بدء الصيام فى جميع الأقطار ، اعتماداً على تحقق رؤية الهلال فى قطر من هذه الأقطار .

ولكن قد يقول قائل : إن هذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال وعلى الأقطار الواقعة غربيه فلا يمكن أن يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى فى الجانب الشرقى منه : فإذا رؤى الهلال فى مصر فى ليلة فإن هذه الليلة من وقت غروب الشمس تكون من الشهر الجديد بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش من بعد غروب الشمس عندهم أيضاً ، بل إن رؤية الهلال تكون فى هذه الأقطار أيسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق الافق هنالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس أكثر مما يكون فى مصر ، لكن تلك الليلة التى تحتسب جديدة لمصر وللبلاد الواقعة غربيها لا تكون جديدة لأهل الأقطار الشرقية : كفارس وباكستان وأندونيسيا ما دام الهلال لم يكن قد انفصل فى سمائهم عن حالة المحاق ، أو مادام الهلال لم ير عندهم بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا . ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرقى قطر رأى أهله الهلال تختلف إلى حد ما عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر ؛ لكن هذا الاختلاف لا يمنع

— على أية حال — من الاخذ بفكرة توحيد البدء بالصيام . وهى فكرة قد ذهب إليها كثير من العلماء الاعلام وأئمة الفقه الإسلامى .

وكل ما هنالك من فرق بين قطر شرقى وآخر غربى — بالنظر إلى نقطة معينة يكون أهلها قد رأوا الهلال — هو بضع ساعات من الليل تحتسب لأهل البلاد الشرقية من الشهر القديم ، على حين تكون عند أهل مركز الرؤية وما فى غربيه من الشهر الجديد . أما ما بعد هذه الساعات من الليل فإنه يكون من الشهر الجديد بالنظر إليهم جميعا .

وإذاً يجب صوم النهار التالى لليل الذى تحققت فيه رؤية الهلال فى قطر من الأقطار : يجب صومه على أهل ذلك القطر ، وعلى أهل كل قطر وكل بلد اشترك مع قطر الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، وذلك بإدراك جزء منه قبل طلوع الفجر .

أما الأقطار التى لا تشارك قطر الرؤية أو بلد الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، فإنهم يكونون حينئذ فى نهار قديم من غير شك : هو نهار آخر أيام شعبان ، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها إذا صاموا النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

أمّا ما قد يقال من أنه ينبغى الانصراف - فى إثبات الهلال - عن الرؤية والاكتفاء فى ذلك بحساب الفلكيين ، وأن هذا هو الذى يحل الإشكال ويمنع الاختلاف الذى يقع كثيراً بين الأقطار فى إثبات هلال رمضان ، فنحن لا نوافق عليه ، ولا ينبغى المصير إليه لأمرين :

« الأول » أنه مخالف لما نص عليه الحديث النبوى الصحيح من ربط الصيام بالرؤية التى هى المشاهدة الحسية اليقينية ، ووجوب الاعتماد عليها فى تنفيذ فريضة الصيام .

« الثانى » أن الاعتماد على الحساب الفلكى — الذى يراعى فيه اختلاف أوضاع القمر حسب اختلاف مواقع البلاد فى أى بقعة من بقاع الأرض — لا يحل الإشكال ،

ولا يمكن أن يتوحد به بدء الصيام فى جميع الأقطار ، فإن التفاوت بين حساب وحساب هو كالتفاوت بين رؤية ورؤية .

وإذاً لا مناص — حين يراد توحيد بدء الصيام فى جميع الأقطار الشرقية والغربية — من اعتماد الرؤية التى تتحقق فى بعض البلاد ، والاكتفاء بها فى وجوب الصوم على سائر الأقطار ، لا فرق بين ما هو واقع منها شرقى مركز الرؤية وما هو واقع غربيه .

فإذا اهتم المسلمون فى الأقطار كلها بهذا الأمر الدينى العظيم ، وبذلوا عنايتهم فى التماس الهلال وتحرى رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واتفقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان بما تحقق من رؤية هلاله بالأعين المجردة أو بالأجهزة الحديثة الموضحة المكبرة — إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فإنه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

وبهذا يتم العمل بالحديث النبوى : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » من حيث انه يوجب الصوم على المسلمين إذا تحققت رؤية الهلال ، ولم يقصر وجوب الصوم على أهل الرؤية وحدهم .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، إنه سميع مجيب ؟

أحكام الصيام

فى المناطق القطبية وما يقرب منها

قال الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

بين الله تعالى فى صدر هذه الآية منزلة شهر رمضان وجلال مكانه بين أشهر السنة ، من حيث انه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، فأنزل فيه أول ما أنزل من القرآن الذى هو فى جملته هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، فليس هو من إنشاء محمد وابتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقريته وذكائه ، وإنما هو كلام الله ووحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد ﷺ ودليلا باقياً على صدقه فى دعواه أنه رسول الله إلى الناس ، لينقذهم من الشرك والضلال والزيغ والانحراف ، وليقضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شىء من هداية القرآن فى جملته .

وهو فى تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، فى باب الهدى والإرشاد ، والتفرقة بين الحق والباطل : يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته ، داعياً إليه ، آمراً باتباعه والتمسك بأهدابه ، ويكشف عن الباطل ومساويه ، ناهيا عنه محذراً من مفاسده وأضراره .

وقد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذى هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف - شرف اختياره لتنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها - يجب أن ترعى حرمته ، وأن تحيا دائماً ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهى شريعة تناسب حال القرآن ودعوته ، وتتفق مع أهدافه وغاياته والحكمة من إنزاله ، فإن القرآن هدى ونور ، يحث على التقوى والرحمة ، وعلى العدل والمساواة ، وإحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول وإخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والغش والنفاق .

وكذلك الصيام وحكمته ، فإنه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمرن النفس على الجلد والصبر فى مكافحة الشدائد والملمات ، وعلى جمع الهمة وبذل الجهد لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

فالصوم أحسن مبصر بحكمة نزول القرآن، وخير مساعد على الاهتداء بهديه، والانتفاع بتعاليمه وإرشاداته.

* * *

وقد بينت الآية الكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم. وشهر رمضان هو أيامه التى عدتها ثلاثون أو تسعة وعشرون، وليس هو الهلال. والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما قد يظن بعض الناس، فإن نزول القرآن لم يكن فى هلال رمضان، وإنما كان نزوله فى أوقات من ليل أو نهار.

ولأن الذى يصام ليس هو الهلال، وإنما هو تلك الأيام. هذا إلى أن الصيام واجب عام وليس مقصوراً على من رأى الهلال، فمن رأى الهلال ومن لم يره فى وجوب الصوم على سواء.

فشهود الشهر إذاً معناه الحضور فيه، تقول: شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة، وتقول إشهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين، فليس الشهود فى ذلك كله على معنى الرؤية والإبصار، وإنما هو على معنى الحضور والوجود فى تلك الآونة والمشاركة فى تلك الأعمال.

وعلى هذا يكون الصوم واجباً على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعاً.

وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف، وهم العقلاء البالغون، فلا يجب الصوم على صبى دون البلوغ، كذلك لا يجب على مجنون، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعاً عنه القلم، حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إليه وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاته من الصيام، كما لا يكلف بقضاء ما فاته من الصلوات، فإن وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب، وذلك غير متحقق فى المجنون، فهو والصبى غير المكلف على السواء.

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضاً مرضاً لا يستطيع معه الصوم أو لا يستطيعه إلا بجهد جهيد، أو كان الصوم عاملا على زيادة مرضه أو تأخر برئه منه

فإنه يكون معفى من وجوب تنجيز الصيام فى وقته المحدد ، ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاته بعد زوال المانع ، فيصوم أياماً بعدد ما فاته ، فإن لم يدرك أياماً يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعاً أن يصوم ، بل استمرت به العلة والضعف حتى مات فلا يؤاخذ بشىء مما فاته من صيام .

وليس على هذا المريض الذى أعفى من وجوب تنجيز الصوم شىء من الفدية التى تجب على غيره فى بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فإن لم يستطع أداءه فى حالة المرض وجب أن يقضيه فى حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويزول فلا ينتقل الوجوب إلى شىء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه فى الخروج عن عهدته .

وكذلك المسافر - الذى يقطع مسافة السفر الشرعية - له أن ينتفع بهذه الرخصة : رخصة الفطر ، على أن يقضى ما فاته بعد إقامته بصيام عدة ما فاته من أيام أخر ، لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيراً وأفضل كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حد الإجهاد والإعياء ، فى هذه الحالة يكون كالمريض وينبغى له الفطر وعليه القضاء .

أما الذى يطالب بالفدية : وهى إطعام مسكين يوما كاملا عن كل يوم يفوت صومه ، فهو الهرم الذى لا يستطيع الصوم إلا بجهد يستنفد طاقته ويبذل فيه غاية الوسع ونهايته . فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام لأنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته لأن المانع عنده من أداء الصوم فى وقته ليس من الموانع التى من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم يزداد فيه صاحبه كل يوم ضعفاً على ضعف ، فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن يوم ، وذلك بر ونفع يعود على الجماعة بسد حاجة واحد من الفقراء المساكين يوما كاملا ، يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم بيوم ، ما دام ليس هناك إثم ولا عدوان . وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جداً من كتاب الضمان الجماعى والتكافل الاجتماعى الذى أتى به الإسلام .

وقد بين فى آية سابقة على التى قدمناها أول الكلام — نوع الفدية ومن تجب عليه وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فإن المراد بالذين يطيقون الصيام هم الذين يبذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ، وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال .

والذى يؤيد أن المراد بالإطاقة فى الآية هو هـذا المعنى الذى أشرنا إليه ما ورد فى قراءة أخرى تقول : « وعلى الذين يطوقونه » فإن التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعتريه بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته وهو الهرم ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين ، وبهذا تلتقى القراءتان ، والقراءات كما قال العلماء يفسر بعضها بعضاً .

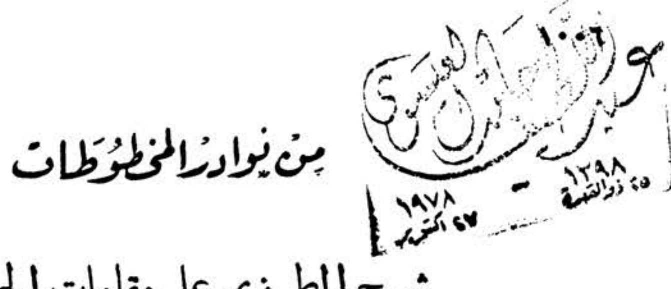
ويلحق بالهرم الضعيف عن احتمال الصيام فى وجوب الفدية والاكتفاء بها عن الصوم من كان مريضاً مرضاً مزمناً من شأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهما طال أمده . ويستخلص من هذا التشريع الحكيم — الذى حاطه الله بالتيسير على العباد ، فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر عليهم — حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التى يكون فيها النهار طويلا جداً ، وهى البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فإنه ما دام عندهم ليل ونهار ، فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فمن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فإنه يسوغ له الفطر ويجب عليه قضاء ما فاته فى أيام يستطيع فيها ذلك ، إن الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان فى منطقة تمكث فيها الشمس زمناً طويلا من غير غروب أو فى منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فإنه يقدر لصيامه فى كل أربع وعشرين ساعة مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فوائد الصوم الروحية والبدنية التى من أجلها كتب الله الصوم على العباد ، ولا ينبغى القول بسقوط هذه العبادة عنه فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزمنة فى كل أربع وعشرين ساعة كى ينتفع أيضا بثمرات هذه العبادة التى هى أهم أركان الإسلام ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر



من نوادر المخطوطات

شرح المطرزى على مقامات الحريرى

رزق الحريرى شهرة بين كتاب العربية لم تتح لغيره ، كما رزقت مقاماته شهرة لم ينلها كثير من كتب الأدب العربى على كثرتها وتنوع موضوعاتها ، ولقد سبق الحريرى غيره فى إنشاء المقامات ، كما حذا غيره من المتأخرين حذوه ، فلم يفضله من سبقه ، ولم ينسخ شهرته من تأخر عنه . ومقاماته حرية بالمنزلة التى أنزلها إياها تاريخ الأدب ، ويكفى أن يشهد لها الزمخشرى صاحب الكشاف فيقول .

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
ان الحريرى حرى بأن تكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى ولو سروا فى ضوء مشكاته

ويشهد لها المطرزى فيقول : « إنى لم أر فى كتب العربية والأدب ، وفى تصانيف العجم والعرب ، كتابا أحسن تأليفاً ، وأعجب تصنيفاً ، وأغرب ترصيفا ، وأشمل لعجائب العربية ، وأجمع للغرائب الأدبية ، وأكثر تضمناً لامثال العرب ، ونكت الأدب ، من المقامات التى أنشأها الإمام جمال العصر وكمال الدهر أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى »

وقد لقيت مقامات الحريرى قبولا من أدباء عصره ، فأقبلوا عليها دراسة وتحصيلا ، وتفهما وتفهيما ، ولما كان الحريرى قد ضمن مقاماته كثيراً من أمثال العرب وأخبارهم ، كما ضمنها كثيراً من المسائل النحوية والخصائص اللغوية ، احتاجت إلى شرح يكشف ماغمض من هذه المسائل ، فانتدب لشرحها كثير من العلماء فشرحوها شروحا كثيرة قديما وحديثاً ، وشرحها بعض المستشرقين من علماء الغرب شروحا مستفيضة ، وقد طبعت بعض شروحها وتداولها الأدباء ، ومن أشهر ما تدوول مما طبع شرح الشريشى عليها .

ومن الشروح القديمة التى كان يتداولها العلماء شرح العلامة المطرزى عليها ، وهو

موضوع كلمتنا هذه ، وإنه فى نظرنا من أجل الشروح وأدقها وأوفاها بالمراد فيما تصدى له من بيان غرائب ما فى المقامات من مسائل النحو واللغة والأدب ، ذلك أن المطرزى من علماء العربية المتقدمين الذين عرفوا بالتضلع فى النحو واللغة والأدب ، فتناوله لمسائلها تناول المتصنع الخبير والخريت الماهر الذى يصل إلى غايته من أقرب الطرق ، ويلبس المعانى أثوابها المناسبة الموفية بالغرض .

ولقد قدم المطرزى لشرحه بمقدمة ذكر فيها بعض قواعد البلاغة لتكون معياراً يزن به القارىء مقامات الحريرى ، ويعرف مكانها من كلام الفصحاء ، فتكلم عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه ، وعن الفصاحة والبلاغة ، كما تكلم على بعض أنواع البديع كالتجنيس والاشتقاق ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يلزم ، إلى غير ذلك من مسائل البلاغة التى اصطنعها الحريرى فى مقاماته ليعطى القارىء فكرة عنها حتى يكون على ذكر لما يرد فى شرحه منها ، وضرب لكل منها مثلا من كلام الفصحاء ومن المقامات نفسها ، كما تعرض لشرح معنى المقامة ، وشرح معنى المثل ، واعتمد فى أكثر ذلك على كتب عبد القاهر بل على عباراته ذاتها ، ويقول فى ذلك : ولما فرغت من شرح هذا الكتاب وفَسْره وعبرت بسفينة التوفيق إلى ساحل بحره ، بعد أن خضت فى غمار عمانه ، وغصت على لآليه وجمانه ، وميزت بين ضعيفه ومتينه ، ووقفت على غثه وسمينه ، وعرفت لُجينه من لجينه ، وهجانه من هجينه ، أردت أن أطلعك على مستملحه ومستحسنه ، ومستقبحه ومستهجنه ، وأعطيك محك النقد ، وأرمى إليك زمام الحل والعقد ، وأنصب لك معيار التمييز حتى تفصل بين الخشب والإبريز ، وليس لى أن أوقفك عليه أو أوصلك إليه ، إلا بأن أكشف نقاب البلاغة ، وأوضح أسباب الفصاحة .

والمطرزى وإن غلب عليه النحو واللغة إلا أن له فى الأدب قدماً راسخاً ، وقلماً قوياً رائعاً ، وذوقاً لطيفاً فذاً ، فلا تروقه الصياغة اللفظية ، ولا يحمدها إلا إذا استجرها المعنى واقتضاها المقام . ويقول : واعلم أن هذه الأجناس التى ذكرنا لا تحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ، ولا تستلذ حتى تكون عذبة الإصدار والإيراد ، سهلة سلسة القياد . . . ولا تملح حتى يوازى مطبوعها مصنوعها ، وإلا فما قلق فى أماكنه ، ونبا عن موقعه ، فبمعزل عن الرضا عند علماء البيان ، وبمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم ، فإذا أردت أن تستوفى

أقسام المحاسن ،وتجتنب أنواع المشاين، فأرسل المعانى على سجيتها ، ودعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولا تلبس من المطارف إلا ما يزينها .

وبهذه الروح الأدبية والقلم القوى تولى المطرزى شرح المقامات، ولم يسترسل فى شرح أكثر ألفاظها كما صنع غيره . ولكنه تناول بالشرح ما غلب عليه الغموض والغرابة من ألفاظها وعباراتها وإشاراتها بالقدر الذى يكشف عن المعنى، وتجنب الحشو والاستطراد، وجمع بعض موضوعات العلوم ، وغلبت عليه ثقافته اللغوية والنحوية فتعرض لبعض مسائل النحو واللغة والبلاغة ، وحاول فى شرح الألفاظ اللغوية أن يرجع بها إلى معانيها الأصلية ليعقد الصلة بينها وبين المعنى المراد ، كما حاول أن يكشف عن معانى الاستعارات والكنايات بالطرق الفنية المعروفة لأرباب هذه العلوم ، وفى كل ذلك برزت ثقافة المطرزى اللغوية والنحوية .

وشرح المطرزى على المقامات شرح موجز اقتصر فيه على ما يحتاج إلى الشرح منها كما ذكرنا . ويقول فى تعليل ذلك : ولما خرج ـ كتاب المقامات ـ مقبول النظام، متداولا فيما بين الأنام ، أكب أبناء زماننا على تحصيله ، وواظبوا على تفهم جملته وتفصيله ، غير أن أكثرهم ربما خبطوا فيه خبط عشواء ، إذا وقعوا منه فى معضلة عمياء ، ولا يهتدون إلى سواء السبيل ، بل يترددون فى تيه بلا دليل ، فأردت أن أخوض فى عبابه ، وأروض لبعض طلابه ، ما تعسر من صعابه ، وأسهل مسالك شعابه ، وآتى كل معمى من بابه ، وأستكشف كل غامض ، وأستخرج سر كل حلو وحامض ، وأفصل ما أجمل ، وأبين ما أغفل ، وأحل ما أشكل ، بعد أن تصفحت قوانين الأدب ، وقلبت دواوين العرب ، ونفضت أوعية الحكايات ، وقطعت أودية الروايات ، مع مراجعة الشيوخ الذين عضوا فى العلم بنواجذهم ، ورموا غرض الإصابة بنوافذهم ، لحين صمم عزمى ، وصاب سهمى ، حكيت من مقالاته ، ما غلب على ظنى أنه من مشكلاته ، ففسرته بتفسير كاف ، وحللت عقده ببيان شاف .

وإنا نورد هنا أنموذجا من هذا الشرح . قال فى شرح بعض عبارات المقامة الأولى :

« هدرت شقاشق ارتجاله » هى جمع شقشقة وهى فى الأصل لهاة البعير يخرجها من فيه

إذا هدر . قال الغورى : ولا يعرف منه فى غير تلك الحال . ثم لما شبه الفصيح بالجمل الهادر شبه لسانه بالشقشقة . وارتجال الخطبة أنه يتكلم بها من غير أن يكون هيأها من قبل ، وكأنه من ارتجال الفرس أو من ترجيل الشعر . « السادر » هو الذى تاه فى غيه وتحير . وقيل : هو الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ، من السدر وهو فى الأصل تحير البصر ، ومنه السمادير وهو ضعيف البصر عند السكر والدوار ، والميم زائدة . « الغلو » العلو والسرف ، يقال : خفض من غلوائك . وقال ابن فارس : وهو أنه يمر على وجهه جامحا . وأنشد :

لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها

وغلو الشباب : أوله . وهذا التركيب يدل على الارتفاع ومجاوزة القدر ، ومنه الغلو فى الأمر والغلاء فى السعر والمغالاة والغلا فى الرمى وتغالى النبت لارتفاعه ، وأما الغالية من الطيب فإنما سميت بذلك لأنها غالية فى القيمة ، وهى من الصفات الغالبة . « السادل ثوب خيلائه » يقال سدل الستر إذا أرخاه ، وستر مسدول ومنسدل وأرخى الليل سدوله وسدل وستر أخوات ، والخيلاء فعلاء من الخال وهو الكبر ، ومنه قول الشاعر :

فخل وإن كنت للخال فاذهب فخل

واختال فى مشيته وتخيل وخايله فاخره ومنه سميت الخيل لاختيالها فى المشى .

وقد لقى هذا الشرح قبولا من العلماء ومدحه بعضهم فقال :

مثل المطرز للحريرى مثل المطرز للحرير

وشى حدائق لفظه بزواهر الشرح النضير

فغدت دياجى المشكلا ت تضىء كالصبح المنير

وقد سمى المطرزى شرحه بالإيضاح . والمطرزى هو النحوى اللغوى الأديب أبو الفتح أو أبو المظفر ناصر بن عبد السلام بن على المطرزى ، أخذ عن الزمخشرى وبرع فى النحو واللغة والفقه على مذهب أبى حنيفة ، وكان خليفة الزمخشرى وكان معتزليا ، له المقامات والمغرب فى لغة الفقه ومختصر الإصلاح لابن السكيت .

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من هذا الشرح تقع فى ١٧٨ ورقة من الحجم المتوسط ، تمت كتابته سنة ١١٢٩ هـ بخط شهاب الدين أحمد المنصورى خادم الشريعة بمدينة المنصورة من نسخة شيخه عبد الجواد الشربينى التى كتبها بخطه سنة ١٠٦٥ ، وبدار الكتب نسخة أقدم



أوْرِنى الكتاب، ورَيِّنى القلم

لقد سمعت هذا الأسلوب منذ دهر فى حداثتى من رجل ذى شأن يملى على آخر، فيقول فيما يمليه : « أورانا ... » وأنكرت يومئذ هذا، وقلت : أفلا يدرى هذا الرجل أن الصواب أرانا، وهو من الظهور بحيث لا يخفى على من له إلمام بالعربية، وكانت دهشتى بالغة أمدها حين قرأت فى أساس البلاغة للزمخشرى : « وسمعتهم يقولون : أورنيه . وهو من الورْى، أى أبرزه لى » . فالزمخشرى يروى ما أنكرته ويقره فى معجمه . والقارىء يرى الزمخشرى ليبقا بنفى ما يقدح فى العبارة بإخراجها من مادة الرؤية إلى مادة الورى، ويرى من القرابة فى المعنى ما يصحح هذا الاشتقاق، فورى الزناد خروج النار منها بقدحها، ويقال من هذا أورى النار أى أخرجها من الزناد وأبرزها منها وأنبطها، وإذن ففى المادة معنى الإبراز والإظهار، فمن هذا جاء أورنيه أى أبرزه لى، وهو ما سمعه الزمخشرى من معاصريه وصححه بهذا التخريج، وإذا ساغ للزمخشرى أن يسوغ ما سمعه فلنا أن نسوغ ما نسمعه فى عصرنا فى هذا المعنى، وهو : ورّينى القلم أى أبرزه لى . ولا فرق بين الاستعمالين إلا أن فى الأول التعدية بالهمزة، وفى الثانى التعدية بالتضعيف، والتعديتان تتعاقبان وتتواردان .

ويطيب لى أن أذيل كلام الزمخشرى بهذه النظرات :

من هذه النسخة . وإن هذا الشرح جدير بعناية العلماء والناشرين، وبه على اختصاره كثير من دقائق اللغة والنحو، وحاجة الخاصة إليه أشد، وفائدتهم به أكمل .

وللمطرزى فى كلمة الختام عبارات تحتاج إلى إغماض الطرف إذ يقول : « إنه لم يسبق إليه أحد فأحذو بمثاله، وأنسج على منواله، بل جمع مخترع، وصنع مبتدع » . فلقد شرحت المقامات قبله شروحا كثيرة كما ذكر صاحب كشف الظنون .

وقد ولد المطرزى سنة ٥٣٨ وتوفى سنة ٦١٠ هـ ؟

أبو الوفا المراغى

١ — اعتمد الزمخشرى على سماعه من معاصريه . وقد كان مجاورا بمكة وفيها بقية من العرب على إرث من العربية ، وكان ذلك معروفا من شأنه وخلقه ، تراه مبثوثا فى كتبه . ففى الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة طه : « إنه لكبيركم الذى علمكم السحر » « لكبيركم : لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم ، أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم : أمرنى كبيرى ، وقال لى كبيرى كذا ، يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شىء » . قلت : وأهل مصر يسمون معلم القــرآن سيدنا ، وفى الأساس فى مادة (ش ق ق) : « وسمعت بمكة من يقول لحامل الجوالق : استشقّ به ، أى حرّفه على أحد شقيه حتى ينفذ البابَ » . وفى مادة (ط ن ف) : « وأهل مكة يبنون حول السطح جديرا يسمونه الطَّنَفَ والجدير تصغير الجَدْر وهو أصل الجدار[1] . وفى مادة (ض ى ع) : « وسمعت منهم من يقول لبغلة : ما ضيعة هذه المجيفينة إلا قَضْب الأمراس » . والضيعة هنا الحرفة والصنعة ؛ كما فى قولهم : كل رجل وضيعته . والمجيفينة تصغير المجنونة ، والأمراس جمع المَرَس وهو الحبل . وقضبها : قطعها ، يقول : إن هذه البغلة مولعة بقطع الحبال كأنما حرفتها ذلك . وقد كتب فى طبعة الأساس : قصب الأمراس فالتوى علىّ المعنى حتى تنبهت على التصحيف . وفى الأساس : « وشدّه بالمرس وهو الحبل . وهو يقضب الأمراس من مرحه » .

٢ — المتبادر من « أورنيه » أنه من الرؤية ، وعلى هذا يكون لحنا ؛ كما كنت أعتقد من قبل . ولكن الزمخشرى أخرجه من اللحن بالتخريج السالف ، وكان يسعه أن يرميه بالخطأ ويستريح . ويشهد هذا لما أحاوله فى بعض الحين من تصحيح الأساليب العامية . وقد عاب علىّ ذلك بعض الباحثين .

٣ — قد يناقش تخريج الزمخشرى بأن الوارد فى اللغة أورى النار أى أبرزها والفعل فيه متعد لواحد ، والعبارة التى سمعها « أورنيه » الفعل فيها متعد لاثنين ، وهذا يقدح فى تخريجه . ويجاب بأن الأصل : أوره لى ، لحذف الجار وأوصل الضمير ، وهو ما يعرف عندهم بالحذف والإيصال ، وهو عندهم شائع مستفيض ، وإن نوزع فى قياسه . وأذكر هنا أن الزمخشرى ولد سنة ٤٦٧ ، وتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

---

(١) المجلة — ومما تحفظه عن الزمخشرى من لغة الحجاز فى عصره أنه كان راكبا شقدفا كبيرا ، فسأل الاعرابى الذى يتولى أمر الشقدف عما يسمون به الشقدف الكبير، فأجابه : نسميه « شقنداف » فاستدل به الزمخشرى على أن زيادة الحروف فى بناء الكلمة تدل على زيادة فى معنى مدلولها .

التواجد = الحضور

يستعمل التواجد فى هذه الأيام فى معنى الحضور والوجود . وأسمع كثيرا فى الإذاعة : فى وزارة الحربية الوظيفة الفلانية ، فمن أرادها فعليه التواجد بالمكان الفلانى .

والتواجد ذكره الزبيدى فى مستدرك التاج فقال : « تواجد فلان : أرى من نفسه الوجد » . والوجد مصدر وجد بفلانة إذا هويها . ويأتى أيضاً مصدر وجد إذا حزن . فالتواجد تكلف الوجد بمعنى الحب أو الحزن . ولا يأتى فى معنى الوجود .

وقد استعمل الصوفية الوجد والتواجد فى معان خاصة لهم ، فدخلا فى مصطلحاتهم . وفى كشاف التهانوى : « الوجد : مصادفة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزنا أو سروراً يغيره عن هيئته أو يغيبه عن أوصافه بشهود الحق » . ويقول الغزالى فى كتابه : « الإملاء على مشكلات الإحياء » المطبوع على هامش الإحياء : « التواجد : استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من أهل الوجد » . فالتواجد تكلف الوجد لا الوجود . ويحسن بعد هذا العدول عن هذه الكلمة إلى العربى المعروف كالحضور والوجود .

الملبس

الملبّس معروف عند الناس لضرب من الحلواء . وينطقون به بكسر الباء . وقد وقفت فى خطط المقريزى على تاريخ إبداعه وأولية صنعه . ويؤخذ منه أنه فى الأصل لب الفستق الملبس بالسكر الأبيض . فهو إذا فى وضعه الأصلى بفتح الباء . وقد ذكر معه المقريزى ضربا من الكعك كان يحشى بالسكر ، وكان يسمى : افطُن له . وإنى أسوق هنا كلام المقريزى . وهو فى الحديث عن ابن ميسر أحد قضاة مصر فى عهد الفاطميين بمناسبة الكلام على جوسق ابن ميسر فى الجزء الرابع : « وكان فيه كرم . سمع بأن المادرائى عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمى : (افطن له) فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الأبيض الفانيذ المطيب بالمسك . وعمل منه فى أول الحال شيئاً عوض لبّه لبّ ذهب فى صحن واحد ، فمضى فيه جملة ، وخطف قدامه ، تخاطفه الحاضرون . ولم يعد لعمله ، بل الفستق الملبس . وهو أول من أخرجه بمصر . وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرائى أنه عمل

هذا الأفطن له ، وجعل فى كل واحـد خمسة دنانير ، ووقف أستاذ على السماط فقال لأحد الجلساء : افطن له . وكان على ذلك السماط عدة صحون من ذلك الجنس ؛ لـكن ما فيها ما فيه دنانير إلا صحن واحد . فلما رمز الأستاذ لأحد الجلساء على سماط المـادرائى بقوله : افطن له وأشار إلى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له فحصل له جملة . ورآه الناس وهو إذا أكل يخرج شيئا من فمـه ويجمع بيده ويحط فى حجره . فتنبهوا وتزاحموا عليه . فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له » . والفانيذ ضرب من الحلوى يعمل بالنشا ، وهو بدل من السكر ، يريد أنه ليس ملبسا بالسكر الخالص ، وهو يوافق الملبس فى عصرنا . والأستاذ : الخصى يقوم بالخدمة ، ويقال للماهر فى صنعته . وكانت وفاة ابن ميسّر صاحب الملبس فى سنة ٥٢٦ ﻫ .

وقف وقفة الشجاع

وقع السؤال عن ضبط « وقفة » فى هذا المثال ، هل هى بكسر الاول أو بفتحه . وإنى أجيب اليوم ولم يستبن لى الأمر بصورة تثلج الصدر وتورث اليقين ؛ إذ لم يتوافر لى ما يبين عن الجلية فيه . وأرجو أن أوفق فى مستقبل الأيام إلى مزيد من العلم به فأوافى به القـراء إن شاء الله .

وأرى أنه إذا أريد الهيئة كسر الاول . وذلك إذا كان لصاحب الحدث هيئة خاصة فى تعاطيه ومعالجته ، وإذا لم يرد ذلك فتح الاول . وهو فى الأول اسم هيئة ، وفى الثانى اسم مرة ، واسم المرة هنا يلتحق بالمصدر النوعى بإضافته أو وصفه ، وإن كان المعروف فى النوعى أن يأتى فى المصدر العام ؛ نحو قوله تعالى : فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

ومثال الاول الذى فيه الـكسر أن تقول : وقف وِقفة نابليون ، وقد عرف أن له حالة خاصة فى الوقوف والشخوص فقد كان يضع يديه وراء ظهره ، وفى مناظر الخيالة (السينما) يشاهد شرلى شبلن ذا وقفة خاصة ، فإذا قيل : وقف وقفة شرلى شبلن كان ذلك بالـكسر . ومن هذا قول البحترى فى مدح المتوكل :

ومشيت مشية خاشع متواضـع ... لله لا تزهى ولا تتكـــبر

والفتح يكون فى نحو قولك : نظر إلىّ نظرة الحب أو الموجدة . ومنه قوله تعالى فى سورة الحاقة : « فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية » . وفى الأساس : « ثوب مطوى ، وأثواب مطوّاة ، وطواه طية واحدة ، وطَية حسنة » والذى يدخل فيما نحن فيه المثال الأخير ، وقد ضبط فيه بالفتح . ويقول البحترى فى مدح أبى الخطاب :

ودع الخطوب فإنه يكفيكها من حيث واجهها أبو الخطّاب
خرق إذا بلغ الزمانُ فِناءه نكصت عواقبه على الأعقاب
نصر السماحَ على التلاد ولم يقف دون المكارم وقفة المرتاب

الخرق الكريم الذى يتخرق فى الكرم ولا يراعى القصد ولا يلزم الكيس والعقل . والتلاد : الأموال . يقول : إنه آثر الكرم على المال ، وكأنما تدعوه الأموال أن يضن بها فنصر السماح عليها إذ أجاب داعيه ، والظاهر أنه يجوز هنا الفتح والكسر على حسب إرادة المرة أو الهيئة ، وكذلك جاء قول جساس - على ما فى شعراء النصرانية ١ / ٢٤٩ — :

إنى ورب الشاعر المغرور وباعث الموتى من القبور
وعالم المكنون فى الضمير إن رمت منها معقر الجزور
لأثبنَّ وِثبة المغــير الذئب أو ذى اللبدة الهصور
بصارم ذى فتن مشهور

وقد ضبط فيه « وثبة » بكسر الأول على أنه للهيئة ، ولا يتعين هذا ، بل يجوز فتحه على أنه للمرة . ومما جاء فيه الكسر قولهم : مات ميتة سيئة ؛ إذ ليس المراد المرة بل الهيئة والحالة ، وفى اللسان : « والميتة : الحال من أحوال الموت كالجلسة والركبة . يقال : مات فلان ميتة حسنة ، وفى حديث الفتن ، فقد مات ميتة جاهلية ، هى بالكسر حالة الموت ، أى كما يموت أهل الجاهلية من الضلال والفرقة » وفى الأساس : « مات موتة لم يمتها أحد ، ومات ميتة سوء » وتراه يسوغ الموتة هنا ، والغرض منها الحالة اعتماداً على إفادة الحالة من الوصف ، ومقتضاه أنه يقال : مات موتة سوء ، وفى تصحيح التصحيف للصفدى : « ويقولون : موتة سوء ، والصواب : ميتة سَوْء » .

محمد على النجار

البطل الفاتح

ســــــــعد

كان سعد بن أبي وقاص من أعلام الفاتحين فى صدر الإسلام ، وكان أول من أراق فى الإسلام دماً ، وأول من رمى فى سبيل الإسلام سهماً . وقد سبق الفتيان إلى الإسلام . فأسلم وهو فى التاسعة عشرة من عمره بدعوة الصديق أبى بكر ، وقد أخذ الإسلام بقوة ، وتعصب له طفرة ، كأنه فيه ذو نسب عريق ، فهو له صديق أى صديق ، ما حاد عن الحق قيد شعرة ، ولا أدركته فى إيثاره ونية ولا فترة ، فاستحق أن يكون أحد العشرة المبشرة . وهم الذين صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فيهم :

« أبو بكر فى الجنة . وعمر فى الجنة . وعثمان فى الجنة . وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة . وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة . وسعد بن أبى وقاص فى الجنة . وسعيد بن زيد فى الجنة . وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » .

وقد جعله عمر بن الخطاب فى الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهم أصحاب الشورى فى الخلافة بعد عمر .

وبعد فما ظنك برجل يفديه رسول الله صلوات الله عليه بأبويه فيقول : « ارم فداك أبى وأمى ! » إن هذا لشىء عجيب .

وما ظنك برجل يفتخر به رسول الله صلوات الله عليه فيقول : « هذا خالى ، فليأت كل رجل بخاله » . وهل تجمع السعادة لإنسان ، فى أكثر مما جمع النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته لهذا الإنسان : « اللهم استجب دعوته ، وسدد رميته » فهو يسأل الله سبحانه ما شاء ، لنفسه ولمن شاء ، ويناضل حيثما كان ، مع كل خصم للإيمان . اللهم إن هذا نمط يجدر أن يقف المؤمن عليه ، وأن يحوم بروحه وعقله حواليه ، عسى أن يتجدد فى قلبه إيمانه ، وأن يزيد فى الله والعمل الصالح صدقه وإيقانه ، فيسلم من ورطات الهوى والشهوة ، ويكون فى الدنيا والآخرة من الفائزين .

ذلك أيها القارىء الكريم هو الصحابى الجليل سعد بن مالك « أبى وقاص » ابن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب [1] ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس .

جمع له الشرف من عبد مناف فى أبيه ، ومن عبد شمس فى أمه . ونشأ خصيب الاستعداد ، سليم الفطرة ، قوى النزعة ، لا يخالط نفسه الكريمة خبيث من جفاء الجاهلية وتضلالها ، على شدة شكيمته ، وصلابة عوده . لقد كرمه الله سبحانه فوهب ما منحه من قوة وصلابة لله وللحق ، وكذلك يهدى الله لنوره من يشاء ، فيوجه غرائزه وصفاته لما ينفع صاحبه وينفع الناس ، ويحقق خلافة الله الحق فى الأرض .

لقيه أبو بكر فى بعض جهات مكة المكرمة - وهو فتى قد سلخ ثمانية عشر عاماً على ما يختلف المؤرخون فى ذلك - فحين دعاه إلى الإسلام وأظهر له ما فيه من حق وسعادة للأنام ، سارع إلى النبى صاحب الرسالة يسأله ما خطبه ، وما الذى جاء به ، وكأنما كانت روحه الصافية تنبو بهذا الباطل الذى تعج به بطحاء مكة . وكأنما كان يعتلج فى نفسه ، ويصطخب فى دخيله ذلك الشجار بين باطل التقاليد الموروثة ومنطق الحق ، والخصومة بين ضلال يموهه تضافر الأشراف على نخوة الجاهلية ، وهداية يهديها واهب المواهب كلها إلى نفس يريد ليطهرها فتسرى فيها مسرى النور ، وتختلط بها اختلاط الحر بالمقرور . فما هو إلا أن وقع على ذلك النور فتشبث به ، ينشد فيه ضالته ، فيشفى به ما فى صدره . فأخذ الإسلام من صاحب الدعوة ، واحتضن الإيمان الصادق ، والدين الخالص ، من منقذ العالم صلى الله عليه وسلم .

* * *

ولقد كان مما يحدوه ويدفعه ويسوقه إلى هذا الدين الجديد ويرشحه ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه كان فى ظلمة لا يبصر ، ثم أضاء له قمر ، فبدد ذلك الظلام ومحاه ، وأراه قصده وهداه ، ثم نظر فإذ أمامه أبو بكر وعلى وزيد بن حارثة ، وكأنه يسألهم : متى انتهيتم إلى هنا ؟ قالوا الساعة . فلما عرض عليه أبو بكر الإسلام كان متهيئاً له تهيؤاً قريبا ، فلقى النبى صلى الله عليه وسلم ، فى شعب « أجياد » يدعو إلى هذا الدين الكريم مستخفيا ، فآمن به ، وكان أول من أسلم من الفتيان .

---

[1] ويقال لسعد إنه خال النبى صلى الله عليه وسلم لقرابته من السيدة آمنة ، وأقارب الام أخوال

فسعد مسلم نشأه الإسلام معه ، وصنعه محمد ﷺ على عينه فقومه ، يسير مع هذا الدين جنباً إلى جنب ، ويصير حيث يصير الحق والتقوى من غير تردد ولا فشل . دخل فى الإسلام فاختلط بلحمه ودمه ، ووهب نفسه لعبادة الله وحده ، والجهاد فى سبيله . وكان أول محنة جرت عليه فجازها ناجحاً موفقا التواء أم كان أبر الناس بها ، وأعرف ما يكون لحقها ، لقد كان امتحاناً قاسياً جباراً ، ولكن سعداً ضرب فيه المثل للمؤمن الحازم الموفق الذى لا تحكم فيه العاطفة ، وهو الرجل الذى عصمه الله من نزق الجاهلية وطيشها ، ووجهه وجهة الجد فى حياته ، فبينما الشبان يعكفون على لهوهم وميول شبابهم يروونها إذا هو عاكف على النبال يصطنعها ويبريها ويثقفها ، فهو فوق العاطفة وحكمها .

استمع إليه يحدثك عن أمره ، وعن خطبة بينه وبين أمه .

قال سعد : لما أسلمت وكنت رجلا باراً بأمى . قالت : يا سعد ، ما هذا الدين الذى أحدثت ؟ لتدعن دينك أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ، فقلت : لا تفعلى يا أمى ، فإنى لا أدع دينى . ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت . فقلت : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين لشىء ، فلما رأت ذلك أكلت وشربت ، فأنزل الله سبحانه : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً » .

وهكذا يؤيد الله الصادق . وهكذا يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت .

أرأيت أيها القارىء الكريم لو أن سعداً ساير هذا الحب العميق والبر الموغل ، فأشرك بالله سبحانه ، وعدل عن الحق الذى ظفر به ، ولو مرضاة لأمه وإبقاء على حياتها ، أما كان ذلك خسرانا أى خسران ، وتميعا فى الحياة لا يستقيم عليه شأن ؟ ولكنه الثبات فى الحق ، والعزيمة على الرشد والصبر على الخير ، ثم يقضى الله ما يشاء بحكمته راضيا مرضياً .

وهكذا فليكن المؤمن فى صلابته وثباته على الحق .

وهذا درس عملى لكل مؤمن يسام خطة الباطل ، ويراد على غير الهدى .

* * *

أول دم أريق فى الإسلام . وموقف سعد فى أحد

موقفان عجيبان من مواقف هذا البطل المجاهد الذى خلق ليكون بطلا مجاهدا مستبسلا مضحيا لا يفكر فى العواقب ، ولا يرضى لنفسه إلا أكرم المواقف .

الموقف الأول : بينما المسلمون الاولون يستخفون بعبادة الله سبحانه وتعالى ويسترون على أنفسهم ويفرون بدينهم ويهابون القوة فى من لا يخافون الله من جبابرة الأرض ، إذا سعد يعبد الله مع بعض صحابته من المستخفين الذين يتبعون خطة الإسلام وسياسته ، ولكنه حين يواجه يدافع عن نفسه وصحبه ، ويضرب الباطل فى عصابته ، لا يفر ولا يهرب من وجهه . حدث التاريخ قال :

كان سعد فى نفر قليل من أصحابه يصلون مستخفين والمشركون يتعقبونهم ، ويقتفون آثارهم ، فسمعوا أن سعدا ورفقته يعبدون الله فى شعب يلوذون به ، فصاروا إليهم ، وسفهوا أحلامهم ، وعابوا إسلامهم ، واشتد الحوار ، ثم قام الشجار ، والتحم الفريقان ، فأخذ سعد بلحى جمل[1] فتناول به رجلا من قريش فشجه ، فكان أول دم أريق فى الإسلام .

فماذا أصاب سعدا بعدها ؟ لقد خسرت فئة الضلال ، وكان سعد هو سعد الذى يسير فى طرق مكة وشعابها لا يبالى أحدا ولا يجرؤ عليه مخلوق فيها . وهكذا تكون عاقبة الإقبال ومغبة الكرامة والقوة التى سجلت لسعد أنه « أول من أراق دما فى الاسلام » .

الموقف الثانى : مقامه فى أحد الذى فدى فيه الرسول صاحب الدعوة العظيمة بنفسه ففدّاه صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه ، ويالها من كرامة ومنزلة .

قالوا : إن سعدا فى أحد لما مس المسلمين قرح قد مس المشركين قرح مثله ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد اقتحم عليه المشركون وهموا بقتله وقد جرح وجهه وكسرت رباعيته ، وكان موقفه موقفا لم يعرف لأحد سواه ، فقد أرجف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فذهب سعد إليه كالأسد المصور ، ونحى عنه من حوله من المشركين ، ووقف أمامه يناضل عنه يمينا وشمالا ، ويدفع عنه (والله معه) كل من يهم أن يناله بأذى فى كل ناحية وهو رابط الجأش ،

---

(١) اخذ بفك جمل ميت .

قوى الحس فى موقف تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتشيب النواصى من أهواله. وكان أن نجى الله رسول الله بإخلاص سعد وجلده ووفائه لمن أنجاه من الشرك ، وأنقذه من ظلمات الجهل والكفر . وكان أن نال من الله ورسوله وسام التفدية بأبوى النبي حين بلغ من إعجاب النبي غاية ما يكون الإعجاب ، فما يشعر الناس إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بهذه النفحات المباركة « ارم يا سعد . ارم أيها الغلام القوى. ارم فداك أبى وأمى ». وبعد- فما أنت يا سعد وكل هذا التكريم؟ ولكنه الجزاء العدل ، والإحسان والفضل لمن أحسن كل الإحسان . فليهنك ياسعد ، ثم ليهنك يا سعد ، أنك مفدى بأبوى سيد المرسلين ، ثم أن تجد بركة رضاه عمليا . فإنه بعد أن جمع له أبويه ، وضع حظ الدنيا والآخرة فى يديه ، فقال : « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » فما دعا لنفسه ولا لأحد أو عليه إلا أجاب الله دعوته ، وما رمى سهما إلى رميته إلا أصاب رميه . وقد شهد سعد مع النبي ﷺ بدراً والخندق وغيرهما من مشاهد الإسلام ، فما كان إلا شرفا ونجدة ودفاعا صادقا .

وقد بلغ من تقديرة لجهاده واعتداده به أنه لما حضرته الوفاة دعا بجبة خلق من الصوف فقال : « كفنونى فيها ، فإنى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على ، وإنما كنت أخبئها لهذا » ولعل مما دعا سعدا إلى حفظ هذه الجبة بعينها أنها شهادة له بغزوة بدر ، وهى الغزوة المشهودة التى تشرف الإسلام وأهله ، والتى غفر الله لجميع من حضرها واطلع عليهم فقال: يا أهل بدر اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم .

وفى القادسية :

ويسجل التاريخ لسعد يداً بيضاء أخرى على الإسلام فى غزو الفرس خارج الجزيرة العربية وهم قوم أولو بأس شديد ، ولهم من العدد والقوة ما كانوا يسخرون بسببه بالمسلمين ويقسمون قبل بدء القتال بالشمس والقمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم أجمعين . لقد كانت واقعة القادسية من أعجب آيات الله وأقوى دلائله على أنه يؤيد هذا الدين بمن يختار من عباده المؤمنين الصابرين ، فيخرق لهم العادات ، ويؤيدهم بشتى الكرامات .

يقول المؤرخون : إنه لما آلت الخلافة إلى الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب كانت

الجيوش الإسلامية قد أوغلت فى بلاد الفرس والروم ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه وجه جيشاً إلى أطراف العراق بقيادة خالد بن الوليد ، ومعه المثنى بن حارثة ، فانتصر على الفرس واستولى على الحيرة والأنبار ، ولكن العرب تقهقروا بعد ذلك أمام جيش الفرس الكثيف الذى أعده يزدجر الثالث آخر ملوك بنى ساسان بقيادة رستم ... وكتب المثنى ابن حارثه إلى عمر بالأمر ، فوجه همه إلى ذلك حتى لا يرجع الإسلام القهقرى ، وقد كان أبو بكر أسلمه إليه منتصرا متقدما .

لهذا أراد عمر أن يقود الجيش بنفسه ، ولكن الصحابة أشاروا عليه أن يبعث رجلا من كبارهم ومن ذوى الكفاية العظيمة وأصحاب الدربة المشهودة ، وأشاروا عليه بسعد ابن أبى وقاص ، فصادف ذلك من نفسه كل الرضا . وكان مما ادخرت الايام لسعد أن ينقذ كرامة الإسلام فى أخطر المواقف مع فارس . فقد اختاره عمر وأوصاه بتلك الوصية الكريمة : « يا سعد ، يا ابن أم سعد ، لا يغرنك فى الله أن يقال : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن . إنه ليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم فى دين الله سواء ، يتفاضلون بالتقوى ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه » .

هكذا كانت وصية عمر أمير المؤمنين المؤيد بالحق ، لأمير الجيش سعد الموفق المظفر ، يريد أن يخلصه لله والجهاد الصادق . وتقول الأخبار : إنه أوصاه أن يترفق بالمسلمين ولا يشق عليهم ، وأن يريحهم كل جمعة يوما وليلة ، وأن يذكى العيون بينه وبين العدو ، وأن يتخذ من قواده من يطمئن إلى نصحه . وانتفع القائد العظيم بهذه النصيحة الخالصة . ثم لا أطيل عليك بما استقصته كتب التاريخ من وقائع القادسية ، ولا أتجاوز أن سعدا خرج من هذه الموقعة بنصر عجب ، حتى قيل إنه أسر بنت كسرى وقتل عددا هد كيان الفرس ، حتى دخل الإسلام كثير من دهاقينهم ، ثم اختط الكوفة التى كانت حينا من الدهر قصبة العراق ومن أعظم مراكز الثقافة فى الإسلام . وولى عمر سعدا الكوفة زمنا ، ثم عزله لوقوع بعض الفتن التى يضيق المقام بتفصيلها ، ولكن عمر لما طعن من المجوسى أوصى لسعد بما يعرف حقه . فضله فقال : « إن ولى سعد الخلافة فذاك ، وإلا فإننى أوصى الخليفة أن يستعمله ،

فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وكانت وصية كريمة ردت إلى سعد اعتباره . ولقد كان فى غنى عن ذلك ، بما سار مسير الشمس من فضل سعد ، ولكنه كالاعتذار من الخليفة والاستغفار فى أخطر موقف ، وهو حال الاحتضار . وعمل بهذه الوصاة الكريمة الخليفة الصالح المصلح عثمان بن عفان فولاه الكوفة وأطلق يده فى شئون العراق لما يعلمه من بصره بأمورها وحسن تدبيره وسياسته .

خاتمة سعد :

اعتزل سعد أمور الناس بعد الفتنة بشهادة عثمان ، وعكف على التلاوة والعبادة ، ولم يقبل أن يشترك مع طائفة ، وكانت سنه ترشحه لذلك ، وعقله ودينه يأخذه بأمر الحزم والحيطة

أراده بنوه وذووه أن يطلب الخلافة فأبى ، ثم طمع فيه معاوية فحاول أن يضمه إليه ورفض . ومن المؤرخين من يقول إنه وجه إليه بأبيات منها :

أيدعونى أبو حسن على فلم أردد عليه بما يشاء
أتطمع فى الذى أعيا عليا على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا وميتا أنت للمرء الفداء

والله أعلم بصحة ذلك ، وإنما الذى ثبت أن سعدا رفض أن ينضم إلى فريق وآثر العافية من الفتنة وأن يلقى الله تقيا برا ، كما كان طول الدهر تقيا برا ، على أن هذه الرواية إن صحت تدل على أن معاوية كان حريصا على مرضاة سعد والتماس البركة والطمأنينة فى انضمامه إليه ، ولكنه أبى احتياطا لدينه ، ولم يزل فى عكوفه على الطاعة وعمل التقوى حتى اختاره الولى الكريم إلى جواره البر الرحيم ، فكانت وفاته رضى الله عنه سنة ٥٥ خمس وخمسين للهجرة عن اثنتين وسبعين سنة وهو مطمئن إلى لقاء الله ، واثق بإحسانه ورضاه ، كما كان يهنئه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والخيرة من الصحابة الأكرمين ، حتى قيل إن ولده مصعبا لما بكى عند موته قال له : يابنى ما يبكيك ؟ إنى أقسم على ربى أنه لا يعذبنى .

رحمك الله يا سعد ، لقدكان مثلك فى صالح عمله ، واطمئنانه إلى مسلكه ، جديرا أن لا يظن بالله إلا خيرا ، وأن تقسم على ربك ـ وأنت القريب والصالح المجاب والمستجيب ـ ألا يعذبك الله . وكيف لا وأنت من العشرة المبشرين ، من سيد المرسلين . نفع الله المسلمين بذكراك ، بقدر ما رضى عنك وأرضاك . آمين ؟

محمود أمين النواوى

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قدمنا فى جزء رجب ذكر « الأوزان والنقود والأكيال » التى كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام ومستعملة فيما بينهم ، وقلنا إنها كانت من صنع دول « مصر والشام وفارس » لا من صنع حكومات العرب ، وقد جاء الإسلام فأقر استعمالها للعرب كما أقر لكل قوم عرفهم منها ، ولكن لا مطلقا بل فى معاملات الناس فيما بينهم فقط .

وأما حقوق الله المعينة كأنصبة الزكاة والديات والكفارات فعين الشارع لفرزها عرف (أهل المدينة) فى الأكيال وعرف (أهل مكة) فى النقود والأوزان .

وقد أتينا بجملتها فى الجداول الثلاثة المتقدمة معينة بوحدة الوزن والكيل (الحجم) المعلومة الآن لجميع العالم وهى (الجرام) المساوى وزن مكعب سنتيمتر من الماء الصافى ليمكن تحويل هذه المقدرات الشرعية إلى أى وزن أو نقد أو كيل فى أى اصطلاح لأى دولة ، إذ وزن الماء وحجمه لا يختلف زمانا ولا مكانا بخلاف وحدة الحب من القمح أو الشعير أو الخرنوب والعدس والخردل فإنها لا تحفظ وزنا ولا حجما .

وهنا نفى بما وعدنا به من تبيان ما اختير من هذه الأوزان والنقود والأكيال لتقدير هذه الصفقات الشرعية فى حياة الرسول ﷺ ، وفى زمن خلفائه الراشدين، وما طرأ عليه تصغير أو تكبير فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفى عهدى الخليفتين معاوية وعبد الملك ، وما استقر عليه رأى الأئمة الأربعة واستمر العمل عليه إلى الآن (سنة ١٣٧٤ هـ) فنقول وبالله التوفيق :

اتفقت روايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء على أن نصاب الفضة الموجب للزكاة كان يعد عدا من أشهر الدراهم النقدية وأكثرها استعمالا (زمن النبوة وخلافة أبى بكر) كما اتفقت على أن هذا الأشهر كان على نوعين « درهم أصغر » وزنه (٤ دوانق) و«درهم أكبر»

وزنه (٨ دوانق) وإن كان فى بعض الروايات زيادة نوع ثالث وزنه (٦ دوانق) لكنه لا يعد خلافا إذ أنه الوسط وأشهر من الدرهمين السابقين .

وإنما الأمر الذى اختلفت فيه الروايات حقا ، حاصله : أكان النصاب أعنى (الـ ٢٠٠ درهم) تعد عدا من الأصغر فقط أو الأكبر فقط أو الأوسط فقط على سبيل اختيار العاملين على الزكاة . . . ؟

أم كانوا يعدون من كل من النوعين (نصف الـ ٢٠٠) ومن كل من الثلاثة الأنواع (ثلث الـ ٢٠٠) . . . ؟

والجواب الذى لم يصح غيره أن كلا من هـذين الوجهين قد ورد أنه كان معمولا به إلى قرب نهاية خلافة عمر رضى الله عنه على سبيل اختيار العاملين أيضا ، ولم يصح أن أحدهما كان المختص بالعمل حتى أمر عمر فى آخر مدته بحصر العمل فى الوجه الثانى . ومحصله تحديد الدرهم الوسط عيارا لعد النصاب أى الـ ٢٠٠ درهم ، فكانت النتيجة أن يكون وزن درهم الزكاة فى آخر مدة عمر وكل مدة عثمان (٦ دوانق) أعنى (٢ر٨٣٢ جرام) كما دلت عليه الروايات وآثار المتاحف إذ أن المراد بالدانق هنا الدانق الرومانى القـــديم الوازن (٤٧٢ر٠ جرام) . . .

وبناء عليه يكون وزن كل من الدراهم الثلاثة هكذا :

٨ × ٤٧٢ر٠ = ٣ر٧٧٦ جـرام

٤ × ٤٧٢ر٠ = ١ر٨٨٨ جـرام

٦ × ٤٧٢ر٠ = ٢ر٨٣٢ جـرام

ومن هنا يتبين أن عمل عمر لم يتجاوز اختيار الوسط من هذه الدراهم الثلاثة عياراً لجباية الزكاة توحيداً للعمل . وهو الدرهم الأخير . على أنه داخل فيما أقره النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه الجباية الداخلة فى تخيير العاملين فى حياته ، وأحـــد ما صدقات الأمر المطلق . . .

والجدول الآتى يوضح أشهر دراهم النقد التى اختيرت لتقدير الصفقات الشرعية زمن التشريع وكذا الوحدات التى كانت تتركب منها إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين ومقادير كل بالجرام .

أشهر دراهم النقد ووحداتها عند العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين										
أسماء النقود والأوزان	الوزن بالجرام	النسب								
		في حبة عبري قديم	في حبة رومانى قديم	في حبة عبري جديد	في قيراط رومانى قديم	في قيراط رومانى جديد	في دانق رومانى قديم	في درهم طبري عتيق	في درهم طبري بزرني	في درهم بغلي صغير
درهم بغلي صغير	٢٫٧٧٦	٨٥ ١/٣	٨٠	٦٤	٣٠	١٩٫٢	٨	٢	١ ١/٣	١
درهم طبري بزرني	٢٫٨٣٢	٦٤	٦٠	٤٨	١٥	١٤٫٤	٦	١ ١/٢	١	
درهم طبري عتيق	١٫٨٨٨	٤٢ ٢/٣	٤٠	٣٢	١٠	٩٫٦	٤	١		
دانق رومانى قديم	٠٫٤٧٢	١٠ ٢/٣	١٠	٨	٢ ١/٥	٢٫٤	١			
قيراط رومانى جديد	٠٫١٩٦٧	٤ ٤/٩	٤ ١/٦	٣ ١/٣	١ ١/٢٤	١				
قيراط رومانى قديم	٠٫١٨٨٨	٤ ٤/١٥	٤	٣ ١/٥	١					
حبة عبري جديد	٠٫٠٥٩	١ ١/٣	١ ١/٤	١						
حبة رومانى قديم	٠٫٠٤٧٢	١ ١/١٥	١							
حبة عبري قديم	٠٫٠٤٤٢٥	١								

ثم فى خلافة معاوية أشار عليه زياد بزيادة وزن الدرهم فزاده إلى (٢ر٨٥ جرام) وكان يريد زياد من معاوية أن يجعله (٦ دوانق) كل دانق (٠ر٤٩٢ جرام) وهو دانق رومانى جديد ولذا ضرب هو أى زياد فى الكوفة درهما يساوى $\frac{٢٥}{٢٤}$ من درهم عمر فكان $\frac{٢ر٨٣٢ + ٢٥}{٢٤}$ = ٢ر٩٥ جرام .

ثم فى عهد عبد الملك بن مروان أشار عليه الحجاج بأن يقر فعل زياد فجعل وزن الدرهم (٦ × ٠ر٤٩٢) = ٢ر٩٥٢ جرام وصار النصاب الموجب للزكاة (٢ر٩٥٢ فى ٢٠٠ = ٥٩٨ر٤) جرام بعد أن كان فى زمن عمر (٢ر٨٣٢ فى ٢٠٠ = ٥٦٦ر٤ جرام) وفى زمن معاوية (٢ر٨٥ فى ٢٠٠ = ٥٧٠ جرام) .

ثم شدد عبد الملك بألا يتبع غير ما أقره حتى فى معاملات الناس ، واستمر العمل عليه مدة الدولة الأموية وكذا العباسية ، فوافق عليه الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد) رضى الله عنهم واستقر العمل عليه إلى الآن .

والأمر الذى يجب التنبه له دائماً أن وحدات الأوزان التى كانت مستعمله عند العرب لآخر عهد الخلفاء الراشدين هى وحدات النظام الرومانى القديم ، وأما بنو أمية فقد استعملوا وحدات مختلطة من النظامين الرومانيين القديم والجديد ومن وحدات استنتجوها من النظام الجديد كما فى هذين الجدولين .

(نظام رومانى قديم)

اسماء الأوزان والنقود	الوزن بالجرام	الوزن بالحبة
مثقال	٤ر٧٢	١٠٠
دينار	٤ر٢٤٨	٩٠
درهم بغلى	٣ر٧٧٦	٨٠
درهم طبرى	٢ر٨٣٢	٦٠
درهم عتيق	١ر٨٨٨	٤٠
دانق	٠ر٤٧٢	١٠
قيراط	٠ر١٨٨٨	٤
حبة	٠ر٠٤٧٢	١

(نظام بنى امية)

اسماء الأوزان والنقود	الوزن بالجرام	الوزن بالحبة
مثقال ودينار	٤ر٢٢	٨٥ ٥/٧
درهم عبد الملك	٢ر٩٥٤	٦٠
دانق زياد	٠ر٤٩٢	١٠
قيراط عبد الملك	٠ر٢١١	٨ر٥ ٥/٧
قيراط رومانى جديد	٠ر١٩٦٧	٤
حبه رومانى جديد	٠ر٤٩٢	١

فإن زيادا فى عهد معاوية كان قد استنتج درهما للزكاة من النظام الرومانى الجديد إذ وجد حبته تساوى (٠٤٩٢ر٠ جرام) فجعل الدرهم (٦٠) منها كما أن درهم عمر المشهور (٦٠) من وزن الحبة الرومانى القديم ولم يطاوعه معاوية فيما أراد . . ولكن الحجاج أمكنه إقناع عبد الملك بهذا الرأى فنفذاه كما كان (دينار الزكاة) فى زمن النبوة والخلفاء الراشدين (٤ر٢٥ جرام) فأنقصاه إلى (٤ر٢٢ جرام) ثم قسماه إلى عشرة قراريط كل قيراط (٢١١ر جرام) ثم جعلوا وزن هذا الدينار مثقال وزن للنقود فأطلق عليه الاسمان (مثقال ودينار) وبذلك تم لهم مطابقة القاعدة الرومانية القسطنطينية (كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل) مع أنهما لمثقال ودرهم أنشأهما وحدتين لرطله المسمى أخيراً بالرطل البغدادى، ولما كان وزن هذا المثقال ٤ر٥٣ جرام كان وزن الدرهم $\frac{٤ر٥٣ \times ٧}{١٠}$ = (٣ر١٧١ جرام) وهما للوزن والكيل لا للنقود ولذا لم يضربا نقداً أصلا .

والخلاصة أن نصاب الذهب قد جرى عليه تقديران : (أولهما) أن وزنه كان زمن النبوة والخلفاء الراشدين (٢٠ × ٤٫٢٥ = ٨٥ جرام) ، (ثانيهما) أن وزنه صار بعد إنقاص درهم الزكاة (٢٠ × ٤٫٢٢ = ٨٤٫٤) من عهد عبد الملك والخلفاء بعده والأئمة الأربعة ...

وأما نصاب الفضة فقد جرى عليه تقديرات أربعة :

التقدير الأول : أيام النبوة وخلافة أبي بكر وأوائل خلافة عمر إذ كان العاملون على الزكاة مخيرين فى عد النصاب من الدراهم على وجهين : (الوجه الأول) كان لهم فيه الخيار أيضا فى عد جميع المائتى الدرهم من أحد الدراهم الثلاثة المشهورة كما فى الجدول ... (الوجه الثانى) اعتبار الدرهم الثالث أعنى رقم ٣ فى الجدول عياراً للنصاب بمعنى أن يكون النصاب دائماً مساوياً للوزن (٥٦٦٫٤ جرام) بحيث يكون عدد دراهم النصاب من الأول (١٥٠ درهما) ومن الثانى (٣٠٠ درهم) ومن الثالث ٢٠٠ درهم .

« جدول الأنصبة من الدراهم الثلاثة »

رقمه	عدد دراهم النصاب	وزن الدرهم بالجرام	وزن النصاب بالجرام
١	٢٠٠	٣,٧٧٦	٧٥٥,٢
٢	٢٠٠	١,٨٨٨	٣٧٧,٦
٣	٢٠٠	٢,٨٣٢	٥٦٦,٤

التقدير الثانى لنصاب الفضة حصل فى آخر خلافة عمر إذ أمر أن يكون العمل فى جباية الزكاة على الوجه الثانى فقط .

ذلك أنه وجد الدرهم الثالث الوازن (٢٫٨٣٢ جرام) أغلب الدراهم استعمالا ووزنه وسطا بين الأول والثانى هكذا $\frac{٣٫٧٧٦ + ١٫٨٨٨}{٢} = ٢٫٨٣٢$ جرام

أو $\frac{٣٫٧٧٦ \times ١٫٨٨٨ \times ٢٫٨٣٢}{٣} = ٢٫٨٣٢$ جرام على اختلاف الروايات ، فأمر بجعله عيارا لنصاب الزكاة وسائر الصفقات الشرعية توحيداً للعمل ولذا سمى (درهم عمر) .

التقدير الثالث : فى خلافة معاوية إذ كبّر هذا الدرهم إلى (٢٫٨٥ جرام) بإشارة زياد كما تقدم فصار النصاب (٢٠٠ فى ٢٫٨٥ = ٥٧٠ جراما) .

التقدير الرابع : في خلافة عبد الملك إذ كبّر الدرهم أيضا إلى (٢ر٩٥٤) جرام فصار النصاب (٢٠٠ × ٢ر٩٥٤ = ٥٩٠ر٨ جرام) .

ثم استمر العمل بهذا الدرهم زمن الدولتين الأموية والعباسية فوافق عليه الأئمة الاربعة واستقر وزنه درهما شرعياً إلى الآن سنة ١٣٧٤ هجرية .

وإتماماً للفائدة رأيت أن أحول هذين النصابين المستقرين في الإسلام للذهب والفضة إلى الدرهم والجنيه والريال المصرية المستعملة الآن بمصر تطبيقاً للعلم على العمل بالأرقام .

ولما كان للفقهاء رأيان (أولهما) اشتراط خلوص الذهب والفضة من النحاس . و(الثاني) عدم هذا الاشتراط ما دام لم يخرجهما الخلط عن طبيعتهما ، كان لزاما لهذا التحويل أن نعرف مقدار هذا الخلط في النقود المصرية الآن لتحقق هذا الشرط على الرأي الأول .

ولذا عمدت إلى التحري عن عيار هذه النقود من (مصلحة الدمغ والموازين) الحكومية بالقاهرة بباب القاضي بالجمالية . وبيانها في هذا الجدول :

وزن النقود المصرية وعيارها منقول من إدارة دمغ المصوغات بمصلحة الدمغ والموازين الحكومية ١٩٥٤

أسماء النقود	جنس المعدن	وزن الوحدة بالجرام	العيار	ملاحظات تاريخية بالإجمال
جنيه	ذهب	٨,٥	٧/٨	بوزن الدينار الفارسي العتيق وكان ضعف دينار الإسلام
نصف جنيه	ذهب	٤,٢٥	٧/٨	بوزن الدينار العربي وكان دينار الزكاة في صدر الإسلام
ريال	فضة	٢٨	٥/٦	كان أوقية وزنه ونقد روماني على جبهته العتيق أصله ٢٢ر٢٨ جرام
نصف ريال	فضة	١٤	٥/٦	كان درهم نقد روماني (نص) ومكي (نصف) أصله ١٦ر١٤ جرام
ربع ريال	فضة	٧	٥/٦	كان درهم مصر جبهته نقشها عمرو أصله ٨٠ر٧ جرام
عشر ريال مدور	فضة	٢,٨	٥/٦	كان شبه دراهم الزكاة وفضته على عيار النصاب أصله ٢٢ر٨٢ جم
عشر ريال مسدس	فضة		٥/١٠	استحدث قريبا بعد ارتفاع ثمن الفضة وسمي ([illegible])
نصف عشر ريال	فضة	١,٤	٥/٦	قريب جدا من الدراهم الصغيرة القديمة وسمي (قرش صاغ)

مع العلم بأن جملة الذهب الخالص في الجنيه المصري على هذا العيار يكون قدرها هكذا :

(٨ر٥ × ٧/٨ = ٧ر٤٧٢٥ جرام) .

وبناء عليه يكون عدد النصاب بالجنيهات على رأي من يشترط خلوص الذهب

هكذا $\frac{٢٠ \text{ في } ٤ر٢٢}{٧ر٤٧٢٥} = \frac{٧٤ر٤}{٧ر٤٧٢٥} =$ ١١ر٣٤٦ جنيها مصريا .

وأن الفضة فى الريال المصرى الآن تساوى (٢٨ فى ٥/٦) = ١٤٠/٦ = ٢٣⅓ جراماً)
وبناء عليه يكون عدد نصاب الفضة بالريال المصرى (٢٠٠ × ٢٫٩٥٤) ÷ ٢٣⅓ = (٩٠٠٫٨ × ٣)/٢٠ = ١٧٧٢٫٤/٧٠ = ٢٥٫٣٢ ريالا مصرياً سنة ١٣٧٤ وهكذا حساب سائر الصفقات كما فى هذا الجدول .

تقدير الصفقات الشرعية من الذهب والفضة بالأوزان والعملة المصرية الآن ١٩٥٤

أسماء الصفقات	الوزن الشرعى			القيمة بالجنيه والريال			
	بالمثقال وزنه ٤٫٢٢ جرام	بالدرهم ٢٫٩٥٤ جرام	بالجرام	لمن لا يشترط خلوص الذهب والفضة ووزن الجنيه ٨٫٥ جرام ووزن الريال ٢٨ جرام		لمن يشترط خلوص الذهب والفضة وبعيار الجنيه ٧/٨ وبعيار الريال ٥/٦	
نصاب الذهب	٢٠	٢٨ ٤/٧	٨٤٫٤	٩٫٩٢	جنيه	١١٫٢٤٦	جنيها
نصاب الفضة	١٤٠	٢٠٠	٥٩٠٫٨	٢١٫١	ريالا	٢٥٫٣٢	ريالا
الدية ذهب	١٠٠٠	١٤٢٨ ٤/٧	٤٢٢٠	٤٩٦ ٨/١٧	جنيها	٥٦٨٫٢٥	جنيها
الدية فضة عند غير أبى حنيفة	٨٤٠٠	١٢٠٠٠	٣٥٤٤٨	١٢٦٦	ريالا	١٥١٩٫٢	ريالا
الدية فضة عند أبى حنيفة	٧٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٩٥٤٠	١٠٥٥	ريالا	١١٢٧ ٤/٧	ريالا
أقل المهر عند أبى حنيفة	٧	١٠	٢٩٫٥٤	١٫٠٥٥	ريالا	١٫٢٦٤	ريالا

وأما صفقات الحبوب والثمار وتقديرها بالكيل الشرعى وبأجزاء الإردب المصرى ومقادير زكاة الفطر على جميع الآراء فموعدنا مقال آخر إن شاء الله تعالى ؟

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بكلية الشريعة

عواقب الانهماك

فى طلب الدنيا

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ؛ ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له .

رواه الترمذى

وعن عبد الله بن مسعود : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : من جعل الهموم هما واحداً ـ همّ المعاد ـ كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أودية هلك .

سنن ابن ماجه

وفى المجازات النبوية قطعة من هذا الحديث بلفظ : من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه .

* * *

اللغة والبيان : يقال : هم بالشىء يهم هما ، إذا نواه وأراده وعزم عليه ، ويؤيد هذا التفسير رواية أخرى لابن ماجه بلفظ : من كانت الآخرة نيته ؛ وتقول : جمع الله شمله ، أى ما تشتت من أمره ، وفرق الله شمله ، أى ما اجتمع من أمره . وفى حديث الدعاء : أسألك رحمة تجمع بها شملى . والسدم بزنة الندم : هو الهم ، فعطفه عليه تفسير ، وقيل هو الهم مع ندم ، وقيل غيظ مع حزن ، وقيل هو الحرص والولوع بالشىء ، والعاشق السدم بكسر الدال : هو الشديد العشق ، وكل ذلك يراد ، وكله يكون لمن تكون الدنيا همه ونيته ، ومعنى تشعبت به أنها فرقت همته ونيته .

وفى إتيان الدنيا راغمة لمن كانت الآخرة همه تشبيه لتيسر أحوالها وانقيادها له بالرغم

الذى هو ذلة الذليل للعزيز ومطاوعته له كما يريد ، وفى المجازات النبوية أن قوله عليه الصلاة والسلام « من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه » مجاز والمراد به أن من جعل الدنيا همه ، وقر عليها باله ، وأعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، وأقبل على تثمير الأموال ، واستضخام الأحوال ، عاقبه الله على ذلك بأن يزيده فقر نفس ، وضرع خد ، فلا تسد مفاقره[١] كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما أثل[٢] وثمر . فكأنه يرى الفقر بين عينيه ، فهو أبدا خائف من الوقوع فيه ، والانتهاء إليه ، فلا يزال آكلا لا يشبع ، وشاربا لا ينقع ، فمعه حرص الفقراء ، وله مال الأغنياء . وقوله عليه الصلاة والسلام « جعل الله فقراً بين عينيه » مبالغة فى وصفه بتصور الفقر فكأنه قريب منه ، وغير غائب عنه ، والأشبه بتأويله هذا أنه من قبيل التمثيل : تمثيل هذا الأمر المعنوى فى شدة استحضار النفس له واشتغالها به ، بحال ما يروع الإنسان ويفزعه من الأمور الحسية التى يشخص لهولها البصر ، ويتعلق بمخوفها النظر . وهذه الطريقة فى تمثيل الأمور المعنوية بالأمور الحسية وفى المبصرات بخصوصها نظير قول القائل ، وإن اختلف الغرض والمعنى :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب[٣] عن ذكر العواقب جانباً

وأما قوله ﷺ « ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أودية هلك » فالأيسر فيه أنه تمثيل لحال هذا الذى استهوته همومه الكثيرة المتفرقة ، ومطامعه المختلفة المتنوعة ، فحملته على طلبها من كل وجه ، والتوسل إليها بكل وسيلة ، ثم لم ينل منها ما يبل غلته ، ولا ما يشفى علته ، ولم يكن حظه إلا الشقاء والحيرة ، والندامة والحسرة ، بحال من تفرقت عليه الأودية والشعب ، وضلت به المذاهب والسبل ، فكلما سلك مسلكا بداله فأم غيره ، وكلما انتهج منهجاً تحير فانتهج سواه ، فلا يصل إلى غاية ، ولا ينتهى إلى نهاية ، إلى أن يهلكه كده وتعبه ، ويقضى عليه سعيه ودأبه .

وقوله ﷺ « لم يبال الله فى أى أودية هلك » كناية عن هوانه على الله ، وحقارته عنده ، وأن الله لا يعبأ بمثله .

---

(١) حاجاته ، (٢) جمع وادخر

(٣) أعرض

المعنى :

هـذه قسمة عادلة قسمها الله لأحوال خلقه فى ذوات نفوسهم ، وصفات قلوبهم ، قبل أن يزّيل بينهم فى أحوال معادهم ، ويفرق بينهم فى مآبهم وجزائهم ، أن لا يستوى أصحـاب الهمم العالية ، والعزائم الماضية ، من طلاب ما عندالله والدار الباقية ؛ وأصحاب الهمم الدنيئة ، من طلاب المطامع والمآثم ، فى هـذه الدار الفانية ، الذين جعلوا الدنيا مبلغ همهم ، وغاية سعيهم ، ومنتهى أمرهم . فهم لهـا يعيشون ، وعلى متاعها يعكفون ، وفى دنا ياها يسابقون ويتنافسون . وذلك مصداق قوله تعـالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، فأما الأولون فإن لهم عند الله أن يصلح بالهم وأعمالهم ، ويسدد لهم خطواتهم ويبين سبلهم ، فلا تشعب بهم المسالك ، ولا تنقطع بهم الأودية والمفاوز[1] ، ولا يتفرق عليهم أمر ، ولا يتصدع لهم شمل ، ولا يحبط لهم عمل ، ولا ينقطع لهم أمل . بل لا يزالون يهديهم الله بنوره ، ويسدد خطواتهم بتوفيقه ، فإذا عثر أحدهم عثر ويده بيد الرحمن كما ورد فى ذوى المروءات ، وأنقذه الله كما ينقذ أهـل المكرمات ، من ذوى الهمم العاليات ، والنفوس الأبيات . ثم لا يجدون فى قلوبهم إلا الغنى الذى لا يغلبه فقر ، والرضا الذى لا يزلزله بلاء ، والسعادة التى لا يمحوها شقاء ، ولا تعصف بها أعاصير المحن ، ولا نوزال القضاء .

وأما الآخرون من أصحاب الهمم الدنيئة والمطامع الرديئة من عشاق الدنيا وعبّادها ، والمولعين بزخرفها ومتاعها ، فأولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ تراهم هائمين فى كل واد ، متطلبين لأسباب الفساد ، والعلو على العباد ؛ لا يذكرون لله نعمة ، ولا يخشون منه غضباً ولا نقمـة ، ولا يرجون لقاءه ، ولا يتقون بلاءه ، فلا يبصرهم بنوره ، ولا يهديهم إلى سبيله ، ولا يعـد لهم إلا الضلالة والحيرة ، والندامة والحسرة ، فلا يجدون غنى مهما جمعوا ، ولا رضا مهما أوتوا ، فقرهم بين أعينهم ماثل ، وهلعهم فى قلوبهم نازل ، لا يزالون فاقدين كلمـا وجدوا ، موحشين كلمـا أنسوا ، لا يجتمع لهم شمل ، ولا يلتئم لهم صدع ، ولا يستقيم لهم أمر ، ولا يصلح لهم بال ،

---

(١) جمع مفازة ، الطريق المهلكة المخوفة .

ولا يستقرون على حال ، ولا يخرجون من ضلال إلا إلى ضلال . استغنوا عن الله فاستغنى الله عنهم ، ولم يستقيموا على سبيله فلم يعبأ الله بهم ، والله هو الغنى الحميد . وكيف لا يكونون كذلك ، وقد خانوا أمانة الله فى أعناقهم ، وأعرضوا عن حكمته فى خلقهم ، إذ يقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وذلك هو الحق الأول فكيف يوفق الله جاحديه ، أو يهدى إلى خير منكريه ؟! وقد ورد بيان ذلك الحق فى التوراة أيضا : ففيها على مارواه سلفنا : « يابن آدم ، خلقت الأشياء من أجلك ، وخلقتك من أجلى ؛ فلا تهتك ما خلقت من أجلى فيما خلقت من أجلك » فالفرق بهذا بين الموفقين والمخذولين هو أن الآخرين اتخذوا الوسيلة غاية ، والطريق مقصداً ونهاية . فانقطع بهم ولم يصلوا ، وضلوا فيه وأضلوا .

وقد كان عيسى عليه السلام يعجب ممن هذا شأنهم فيقول : « تعملون للدنيا . وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة ، وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ؟! » ومن المواعظ البالغة فى ذلك ما ورد فى أثر إلهى ، أن الله عز وجل يقول : « ابن آدم . اطلبنى تجدنى . فإن وجدتنى وجدت كل شىء ، وإن فتك فاتك كل شىء ، وأنا أحب إليك من كل شىء » ومن مثل هذا القبس المضىء اقتبس معاذ بن جبل رضى الله عنه قوله : « يابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج ، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما ، وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة ، وأنت من الدنيا على خطر » . وعن هذه الموارد صدر الحسن رحمه الله فى قوله : « أهينوا الدنيا ولا تكرموها فإنها والله أهنأ ما تكون حين تهان » .

ألا وإنه من رحمة الله بعباده كما كان قسما عدلا وقضاء فصلا ، أن لا يعطى الطمأنينة والرضا ، والقناعة والغنى . والكرامة والتوفيق ، والعزة والتيسير ، إلا لهذه القلوب التى أقبلت عليه بعزائمها ، وأخلصت له نياتها ، فإن ذلك عون لها على رشدها ، وتجديد لعزائمها ، وتأييد لسعيها ، وتثبيت من أنفسها ، وتزكية لإيمانها ؛ وأن لا يعطى هذه القلوب المتعلقة بالدنيا ، الحريصة على متاعها ، المتفانية فى مطامعها وشهواتها إلا الهلع والجزع ، والهم والسدم ، والغيظ والندم ، والحسرات والأحزان ، لتكون الحالتان عبرة للمعتبرين ، وتبصرة للمستيقنين ، وذكرى للذاكرين « وما يعقلها إلا العالمون » .

قضية شمال القوقاز

والمؤتمر الاسلامى

ينتظم كفاح شمال القوقاز ضد الاستعمار الروسى القيصرى فى دورين خطيرين حتى فترة الاستقلال سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) ويمتد الدور الأول من سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م)

ويبدأ باتحاد شعوب شمال القوقاز بزعامة الإمام الشيخ منصور الذى أعلن الجهاد الإسلامى على روسيا القيصرية ، وانتصر فى بعض المواقع الحربية ، واستولى على قلعة (أنابه) وحارب الروس نحو عشر سنوات حتى وقع أسيرا سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ثم توفى فى المنفى [١] . ثم ظهر الإمام الثانى محمد غازى وحارب الروس نحو ثلاث سنوات ثم استشهد فى ميدان

(١) المجلة — فى هذه السنة ١٢٠٦ هـ عقدت معاهدة صلح ياسى بين كترينة الثانية والسلطان سليم وتحصلت روسيا بها على القرم .

ألا وإن من أحكم الحكمة ، وأرحم الرحمة ، ما ختم به الحديث الأول من أن العبد بالغاً ما بلغ سعيه لن يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له ، ولم يبق بعد ذلك من فرق بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة إلا أن طالب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب مع الرضا والقناعة ، وطالب الدنيا يأتيه بتعب وشدة مع الفقر والضراعة . وفى هذا يقول بعض السلف : فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة ، وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة . وما أبدع قول الخليل بن أحمد :

والرزق عن قدر لا الضعف ينقصه [١] ولا يزيدك فيه حول محتال

محمود فرج العقدة
مدرس بكلية اللغة العربية

(١) حيلة .

الحروب وخلفه الإمام حمزة بك ولم يستطع محاربة الروس أكثر من سنة واحدة حتى وقع شهيدا فى ميدان القتال .

ومن بعده ظهر الامام الشيخ شامل الذى حارب الروس أكثر من ٢٥ سنة وكبدهم خسائر فادحة حتى انتصر سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م)، وهناك رواية مشهورة هى أنه قال ـ معتزا بالنصر ـ لوفد روسيا الذى جاء طلبا للهدنة : إنه سوف لا يلقى السلاح حتى يفتح موسكو وينشر فيها دعوة الإسلام .

* * *

ومن أشهر الزعماء الذين قادوا الحروب فى عهده الشيخ شعيب والحاج كراندوق بك ومحمد أمين والحاج مراد ، وأخيرا حشدت روسيا قوات كبيرة تعدادها (٣٠٠ و ٠٠٠) جندى لاحتلال القوقاز نهائيا فوقع الإمام الشيخ شامل أسيرا سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م)، واستمرت الحروب من بعده حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) .

ولقد وقف المسلمون المجاهدون فى هذا الدور الحربى بشجاعة فائقة حصنا منيعا ضد خطر الاستعمار من الشمال على العالم الإسلامى ، كما سجلوا أعظم صفحات البطولة والجهاد فى المعارك الطاحنة بين الطرفين ، والتى سجلت تفصيلاتها فى كثير من الكتب بمختلف اللغات الاوربيـــة .

ومن أشهر تلك المعارك معركة (رادى يورت) سنة ١٢٣٤ هـ (سنة ١٨١٩ م) فقد أرسل الجنرال يرملوف قائد الحملة الروسية إنذاره بإخلاء البلد المذكور فرفض المواطنون الانذار واستعدوا للدفاع ، فتقدمت القوات الروسية لمحاصرة البلد بمدفعيتها الثقيلة والاسلحة الخفيفة ، وفى بداية المعركة كانت خسائر الروس فادحة . . ولكن بعد ما فتحت المدفعية عدة ثغرات حول أسوار البلد بدأت الوحدات العسكرية تشتبك مع المجاهدين الوطنيين بالسلاح الأبيض ، فوقعت الملحمة بالخناجر الطويلة وحراب البنادق ، وقتل معظم أهل البلد ، واشتعلت النيران ، وعندما رأى بقية المجاهدين سقوط البلد أخذوا يقتلون أولادهم ونساءهم ببقية ذخيرتهم حتى لا يقعوا فى يد العدو كما أن السيدات صرن يلقين بأنفسهن فى النيران دفاعا عن الوطن والشرف .

هـذا ملخص ما جاء فى التقرير الحـربى الذى أرسـله الجنرال يرملوف إلى الجهات الرسمية فى موسكو .

ثم يبدأ دور الثورات الوطنية ضد الاحتلال الروسى من سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) الى آخر الحكم القيصرى الروسى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧) .

وبعد انتهاء الحروب النظامية فى الدفاع عن البلاد بدأت الثورات فى معظم المقاطعات، ولذلك لم يستقر الحكم الروسى فى البلاد، ولـكن هاجر كـثير من قبائل شمال القوقاز الى تركيا وبعض البلاد العربية حرصا على حرية عقيـدتهم وللمحافظة على التعليم الدينى للجيل الجديد ولإنقاذه من الاستعمار الثقافى عـلى أمل أن يـكون فى المستقبل نواة التحرير . . ومن أشهر الثورات فى هذا الدور ثورة سنة ١٢٩٤ هـ [١٨٧٧] م التى قامت بقيادة محمـد غازى وانتهت بخسارة فادحـة من الطرفين وكان ذلك إبان الحرب الروسية التركية .

وبعد ذلك انتهزت البلاد فرصة الحرب الروسية اليابانية سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وأعلنت الثورة بزعامة الثائر الحربى المشهور (زليمخان) الذى قاد حرب العصابات ضد الاحتلال نحو عشر سنوات، ولم تهدأ الحالة فى البلاد حتى فترة الاستقلال (١٣٣٦ هـ ١٩١٨) (١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م)

* * *

وبعد جهاد مسلح نحو قرن ونصف بملايين الشهداء انعقد المؤتمر الوطنى لشمال القوقاز فى آخر رجب سنة ١٣٣٦ (١١ مايو سنة ١٩١٨) وأعلن الاستقلال . وهو يوم خالد فى تاريخ القوقاز جدير بالاحتفال. وارتفع فيه العـلم الوطنى فى سماء الحرية .

وقامت برئاسة الزعيم عبد المجيد جيرموى (جمهورية شمال القوقاز) وهى تتألف من شعوب الداغستان شرقا والشيشان والاستين بالوسط والشركس غربا، وعدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة ومساحتها نحو ١٧٦ ألف كيلو متر مربع. وهذه البلاد من أجمل وأغنى بلاد العالم .

واتخذت العاصمة (فيلادى قفقاس) وبدأت الحكومة الوطنية بمشروعات هامة

وبتكوين الجيش باسم الجيش الاسلامى القوقازى. واعترفت معظم الدول الكبرى باستقلال جمهورية شمال القوقاز وتبادلت معها انجلترا وفرنسا التمثيل السياسى، كما اعترفت باستقلالها روسيا السوفيتية التى قامت عقب الثورة الشيوعية سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧) بسقوط النظام القيصرى فى روسيا.

ثم اختير عبد المجيد جيرموى رئيسا لوفد شمال القوقاز إلى مؤتمر الصلح فى باريس. وتألفت الحكومة الوطنية برئاسة الزعيم (بشماخوكوسرك) وبدأت بتنظيم أمور الدولة. وبعد ذلك وقعت البلاد مسرحا للمعارك الحربية بين الجيش الاحمر والقوات القيصرية وتعرضت بسبب ذلك لخسائر فادحة.

وآخر حكومة وطنية لفترة الاستقلال تألفت برئاسة الجنرال ميكائيل خليل ولكن بعد انكسار القوات القيصرية نهائيا بدأ تدخل الجيش الأحمر من جديد. ثم قامت حركة الدفاع الوطنى برئاسة سعيد شامل ولكنها لم تستطع مقاومة الجيش الأحمر وانتهت بإعدام الزعماء الوطنيين وفى مقدمتهم الإمام نجم الدين. ثم التجأ رجال الحكومة إلى تركيا وبعض دول أوربا.

وأخيرا — فترت المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الشيوعى ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢) الى الآن

* * *

بالرغم من اعتراف روسيا السوفيتية باستقلال شمال القوقاز وإذاعته تكراراً من موسكو أرسلت الجيش الأحمر لاحتلال القوقاز ثم قسمت شمال القوقاز إلى سبع جمهوريات صغيرة من الحكم الذاتى وألحقت بموسكو.

ثم ضربت الستار الحديدى ونظمت حركة الاستعمار الثقافى ضد الدين والوطنية، وصبغت التعليم المدنى بالنظام الجديد، وألغت التعليم الدينى، وحولت مئات المساجد إلى مرافق أخرى، واستولت على أهم موارد البلاد.

ولكن لم تنجح الوسائل الجديدة فى القضاء على المقاومة الوطنية.

* * *

ومن أهم حركات المقاومة فى هذه الفترة الأخيرة ثورة سنة ١٣٥١ (١٩٣٢) التى استمرت نحو سنتين بقيادة جمعية شمال القوقاز المستقلة التى أصدرت بيانا تشرح فيه مظالم الاحتلال الشيوعى وتناشد دول أوربا والعالم أجمع بالعطف على قضية بلادهم حتى تستطيع التخلص من العدوان الشيوعى بعد اعترافهم باستقلال البلاد رسميا، ونشر ذلك البيان فى صحف بولونيا وفرنسا وبعض بلاد أخرى. وفى سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢)، قامت ثورة شعبية ضد قوات الاحتلال الشيوعى أثناء الحرب الروسية الألمانية الأخيرة واستمرت الثورة نحو سنتين ولكن بعد انسحاب المانيا إلى أوربا وقعت البلاد مرة أخرى تحت الحديد والنار، وأذيع على العالم فى ٢٥ رجب ١٣٦٥ (٢٥ يونيه ١٩٤٦) كما نشرت الصحف قرارات الكرملين بالغاء جمهوريات شمال القوقاز ومنها: جمهورية شيشان ـ أنجوش والقرجاى ـ البلقار والقرموق فضلا عن القرم المجاورة، وبلغ عدد المنفيين إلى سيبريا نحو مليونين من المسلمين المشردين. وتدل هذه القرارات على أن الثورة كانت شعبية عامة، وإلا لحوكم بعض الثوار وبقيت الجمهوريات كما هى. وهذه الثورة فى نظر الشيوعيين خروج على الاتحاد بالتعاون مع العدو، ولكنها فى نظر الأحرار الوطنيين دفاع عن حق تقرير المصير على أساس الاستقلال المعترف به سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ ضد العدوان الشيوعى القائم.

وبعد هذا البيان العام فى الوقت الذى تقف فيه مصر الثائرة لصالح الشعوب ضد الاستعمار بجميع مظاهره، كما أعلن فى مؤتمر باندونج الأخير، تتمثل المطالب القومية لشمال القوقاز بواسطة المؤتمر الإسلامى فيما يأتى:

أولا: مطالبة الدول الإسلامية والعالم أجمع بالاهتمام بقضية شمال القوقاز فى هيئة الأمم المتحدة.

ثانيا: تأليف هيئة تحرير شمال القوقاز للقيام بالدعاية بإصدار مجلة صوت القوقاز الشمالية.

ثالثا: إعادة المنفيين إلى وطنهم وإبعاد الروس الذين أسكنوا محلهم إلى بلادهم الأصلية.

رابعاً: إعادة جمهورية شمال القوقاز المستقلة سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨)

منير أرسلان

ممثل الدفاع الوطنى لتحرير شمال القوقاز

تعليقات

- ١ -

رسالة الأزهر

خطب حاكم الباكستان فى استقباله لوفد مصر ، فكان من أبرز كلماته إشادته بالأزهر ، وامتداحه لمصر لأنها بلد الأزهر .

ثم خطب وزير مصر وبطلها — جمال — فكان من كلامه أن مصر تفخر بالأزهر وتقدر له فضله ، وأن من أمارات اعتزازها به أن مع الوفد وزير الأزهر — الباقورى — هذا - ولم يكن حاكم الباكستان مجازفاً فيما أثنى ... ولم يكن زعيم مصر مسرفا فيما قال ، فللأزهر من الشأن ، ولمصر من المجد به ما يجرى صدقا على كل لسان .

ويا ترى !! لو لم تكن مصر بلد الأزهر ، فماذا كان حظها من الثقافة يوم كانت منابع العلم جافة فى بقاع الشرق - عدا مكة والمدينة - وماذا كان نصيبها من المجد الأدبى ، والزعامة الإسلامية ، يوم كان المجد الأدبى نازحا من الآفاق ؟؟ أحسب أنها لم تكن تزيد فى مجدها على أية دولة من الدول التى تغبطها على أزهرها ، ولا تطاولها فى الفخر بشىء مثله اليوم .

ولا أستثنى من ذلك بلداً غربيا من عواصم الثقافات الحديثة ، فكلها مسبوقة بمصر والحمد لله ... ورسالة الأزهر فى حياته الطولى هى رسالة السماء : رسالة الإسلام ولغته ، يبثها الأزهر بجهوده الموصولة ، ويرعاها بحراسته اليقظة ، ويصبر على ما يصيبه فيها من عنت أو شظف .

وإذا كان فى مصر - بالذات - وفى الشرق العربى كله من يعرف حلالا وحراما ، ومن يعرف قراءة وكتابة ، ومن هم فوق ذلك حظا من العلم ، فإن هذا فى أكثره من فيض الأزهر ، أو هو رشح من معينه ، أو هو قبس امتد من برج الأزهر ، وسار فى اتجاهات مختلفة حتى

أضاء الأصقاع البعيدة ، وبصر الناس فى ضوئه أن هذه إشراقة من الأزهر ، فليس كثيراً على مصر أن يشيد بأزهرها من يشيد فى الباكستان أو سواها .

وستظل ألسنة الخطباء ، وأقلام الكتاب ، وقصائد الشعراء ، تتغنى كلها بمجد مصر وبفضل الأزهر ، وسيظل صوت الأزهر نديا فى دور القضاء الشرعى ، وفى غرفات التدريس ، وحلقات العلم ومجالس الوعظ ، ومكاتب التحرير فى الصحافة ، وسيظل صدى تعاليمه على كل لسان من ألسنة المسلمين ، وغصة فى حلوق من شانئيه .

ولكن الأزهر ـ مع هذا ، وعلى بعد صيته ، وأصالة مجده ـ لا يعدم فى مصر من يخاصمه لغير سبب مفهوم فبينما نجد الأزهر كالرائد الأمين الذى لا يكذب أهله فيما يحمل إليهم من نبأ ، أو يوافيهم به من علم ، نجد أفرادا من الكتاب يزعمون الغض من شأنه ، ويحاولون تزهيد الناس فيه ، والمساس بسمعته . فما هى جناية الأزهر عند كتابنا هؤلاء ؟ ؟

الأزهر ينقل إلى الناس من كتاب الله وسنة رسوله ما يهذب طباعهم ، ويؤدب نفوسهم ، ويصلح أخلاقهم ، وهو يغار على رجولتهم من التخنث ، وعلى أنوثتهم من التبذل .

فيوقظ فى الرجولة نخوة الغيرة ، ويبعث فى الأنوثة كبرياء الترفع ، ويحوط الأعراض بسياج من تعاليم الله ، حتى لا تنهار الكرامات ، ويضطرب الأمن فى المحارم والبيوت ، ويكون المسلمون بعد اجتيازهم تلك المراحل فى حياتهم العلمية والدينية أسوأ حالا من عصور الجاهلية الأولى .

الأزهر يبلغ الناس عن ربهم وعن رسوله كل ما يرفع مستواهم ، ويشد الروابط بينهم . ثم هو يربطهم بربهم ، فيدعوهم إلى عبادات صحيحة ، ويربطهم بأنفسهم فى معاملات مشروعة ، ويركز فيهم الآداب ، ويرجع بهم إلى الحياء ، ويقاوم فيهم الأنانية والطغيان والإباحية . ورسالة الأزهر فى جملتها وتفصيلها رسالة دين ودنيا : غير أنه الدين الحق والدنيا الكريمة ، الدين الذى لا تنال منه شبه المفسدين ، والدنيا التى لا تخالطها المآثم ، ولا تنال منها همزات الشياطين .

هذه رسالة الأزهر فى إجمال ، فما بالنا نجد لهذه الرسالة خصوما يتحاملون على الأزهر ولا يترفقون به فى مطاعنهم ، وكلما وجدوا متسعا فى صحيفة ، أو مناسبة فى ندوة ، أو نزعة

طائشة ممن لا يرجعون إلى ضمير أذكوا نار الخصومة ، ووسعوا منافذها ، وباعدوا وأسرفوا ، على حين أنهم يرون بأعينهم ، ويسمعون ويقرأون ما هنا وهناك من مخزيات ، فلا نرى لهم نكيرا ، ولا نسمع لهم تأففا .

يود الأزهر أن يجد من تلك الأقلام عونا له فى رسالته ، ليظفروا بنصيب من الفضل فى البناء ، أضعاف ما يصيبهم من الأجر على الهدم ، إن كانوا حقا يسهمون فى الإصلاح ، ويخلصون فى التوجيه ، ويود الأزهر أن نكون عند كلمة سواء ، فلا إسفاف بتعيير الأزهر أنه جامد أو أنه رجعى ، أو أن أهله كانوا يأكلون الفول والطرشى ! كما أذاع بعضهم هذا فى أول رمضان وما إلى ذلك من الأساليب الهزيلة التى لا تروق عند القراء والسامعين .

يحاول الأزهر أن يتصون ويتغاضى عن منازلة هذه الأساليب ، ولكن غواتها يدأبون عليها ، ويحاول الأزهر أن يدفع كل كلمة شائنة فى وجه صاحبها وفى حينها ، ولكنه لا يجد متسعا لما يكتبه ، ثم هو لا يجد معذرة عند من يطلبون إليه أن ينشر ما يدفع به إفك الأفاكين .

* * *

وشر من هذا كله : أن أفرادا من أبناء الأزهر يطاوعون هذه الفتنة ، ويتقربون إلى دعاة التجديد ، وأنصار التحلل ، ليقال عنهم : سبقوا غيرهم ، وبذوا سواهم ، وطلعوا علينا بالجديد من بين الأزهريين .

يكتب هؤلاء ـ من أبناء الأزهر ـ غمزا فى الأزهر بأنه جامد ، وأنه أغلق باب الاجتهاد ، وأنه متريث فى رسالته ، وأنه كذا وكذا مما لا يصدق ولا يليق ، فمن أين لهؤلاء نبوغهم وهم صنيعة الأزهر الجامد المتخلف ؟؟ خير لهم أن نسمع لهم صوتاً إيجابياً فيما ينفع ، وخير لنا ولهم أن نرى لهم اجتهادا فى الفقه إن كانوا أهلا ، ثم لننتظر أيعترض عليهم الأزهر فيما ينتجون ؟؟ ولكن لا ضير على الأزهر من أولئك ، فقد غلبتهم طبائعهم على ثقافتهم ، فأحبوا الظهور ، ولاحت لهم آمال فهم يتصيدونها بحبال من أديم الأزهر غير مشفقين ولا أوفياء (ولكل امرىء ما نوى) .؟

– ٢ –

مع الثورة

فى الصحراء الناضرة

كان من أعاجيب الثورة أن تكشف لنا عن وجه جديد من وجوه الإصلاح الذى لم يكن يتعلق به الأمل ، ولا يتجه نحوه الخاطر : فهناك فى مديرية التحرير ، وبعد أن تقطع السيارة أميالا طوالا فى طريق مصر الغربى ، ثم أميالا طوالا فى جوف الصحراء الليبية ، يقف المرء مشدوه الخاطر ، مسحور العين ، بين مروج خضراء ، وأشجار مصفوفة ، وطرق مصقولة . وهذا المنظر فى عرض الفلاة المبسوطة ينسيك أنها البياب القفر التى طويت فى رحلتك من جنباتها أشواطاً مترامية ، دون أن ترى فيها أثراً من آثار الحياة فى القرون الخوالى ، وينسيك أن هذه البلاقع الجرداء عارية حتى من مرابض الوحوش ساعة هجوعها ، ومن أوكار الطيور حين سكونها ، فكيف بالإنسان يعمرها ، وليست على مقربة من ماء ، ولا ذات صلة بالأحياء ؟! ولكن عين الثورة لم تتجاوز هذه الصحراء فى غير وعى ، وعزيمة الثورة لم تقف دونها فى تهيب ، فسرعان ما هيمنت أسود الثورة على تلك الرقعة التى تحاشتها أسود العرين والغاب ، وسرعان ما فتحت الثورة فيها السبيل ، وعبدت فيها الطريق إلى تلك البقعة التى سمتها « مديرية التحرير » .

* * *

وهناك ترى الهندسة البارعة خلقت فى جوف الفلاة حياة فتية جديدة ، ورسمت عليها دنيا خصيبة بهيجة ، وهيأت للعيون أن تتقلب فى مباهج الطبيعة ، وللنفوس أن تتروح

فى ظلال المنشآت ، وأفسحت لغيرنا من فصحاء البيان أن يقول ، وللشاعر الموهوب أن يحلق ويجول .

كم يبهرك ما ترى حين تتخطى الفلاة وما بها من وهج الشمس اللافحة إلى ترعة جارية تستقبلك خارج القرية - أم صابر - وعلى متن هذه الترعة طريق محفوفة بالأشجار الناشئة ، تصطف فى مطلع القرية كأنها الحسان فى موكب العروس .

تهز نفسك من روحة الماء ونضرة الشجر نشوة تبدد ما ألم بك من جفوة الصحراء ، وتنعش فيك الوعى واليقظة إلى ما أنت قادم عليه من ألوان الحياة الفتية ، فى بقعة كانت مواتا طوال أيام الحياة .

فإذا ترسلت فى خطاك ، ووقع نظرك على أم صابر ، فإنه واقع - أولا - على المراعى الخصبة ، وفيها الأبقار متحاذية فى موقفها ترتع فى بحبوحة ودعة ، وخيل إليك أنها تعيش هنا من سالف الزمن ، لا من أشهر معدودة ، وتمثل لك قول الله تعالى : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

ونظرك واقع - ثانيا - على حظائر الماشية التى أعدت لمبيتها خارج المساكن ، حتى لا يجتمع الفلاح ودابته فى حيز واحد ، كما كان بلاؤه فيما سلف ، وحتى يستطيع أن يتذوق متعة السكن الحديث الذى تهيأ له ، معزولا عن مرابض الأغنام وسواها ، مستوفيا أسباب الرفاهية .

فإذا تجاوزت ببصرك مصاف الأنعام فى مراعيها إلى مبانى القرية لفتتك بهجة المسجد الأنيق فى موقعه من جبهة القرية ، واسترعتك مئذنته الشامخة ، وللمآذن وحى يتغلغل فى القلوب ، ويثير فيها عظمة الإسلام ، ويرمز إلى أنه دين النهوض إلى الغايات السامية ، والتطلع إلى مراقى الحياة ، ودين المناجاة لبارىء السموات وجاعلها سقفا مرفوعاً لهذه الدنيا وما اشتملت عليه من عجائب الله .

يقع ذلك المسجد على رحبة تلتقى فيها شوارع ممدودة إلى داخل القرية ، وعلى جوانب

هاتيك الشوارع أقيمت المساكن المنسقة الحديثة التى أعدت لسكنى المواطنين ، وما أحب أن أستوعب المشاهد الرائعة التى احتوتها قرية أم صابر فإن ذلك سيطول .

وحسبك أنها قطعة من النظام استوفت مباهج الفن وشرائطه الكفيلة بالحياة الهنيئة ، وأن فلاحنا الذى سيختارونه للمقام بها واجد فيها من الوسائل الحديثة والمرافق اللازمة ما ينسيه شقوة الأرياف التى حجبت مواهب الكثير من القرويين ، وكبتتهم فى آفاق ضيقة ، وحالت بينهم وبين مظاهر الحضارة ، بل وبين ضرورات الحياة التى يكون بها الإنسان مدنياً بعض الشىء ، حتى صار يضرب المثل فى التأخر بالفلاح على لسان الذين لا يعرفون للفلاح فضله ، ولا يقدرون له شأنه فى الحياة المصرية من كل ناحية . حتى جاءت الثورة الرشيدة فكان تهافتها قبل كل شىء على الإشادة بالفلاح ، واجتذابه إلى الأمام ، وإحلاله محله اللائق فى مقدمة الصفوف .

* * *

وما أحب كذلك أن أستوعب المشاهد فى المصانع الجادة فى عملها هناك بالأدوات الحديثة فى الزراعة والصناعة بأيدى الفتيان المصريين ، مما يروع أولئك الذين يستكثرون على المصريين أن يسهموا فى الحضارة ، أو يرفلوا فى مناعمها ، وقد كانوا أسبق الناس إليها قديماً ، وما حجبهم عنها أخيراً إلا سحابات تراكمت فى سبيلهم ، ولكن المدنية ظلت كمينة فى مواهبهم وفى عزائمهم ، حتى جاءت الثورة فأيقظت المشعل أمام الشعب ومكنت له أن يسير .

فإذا روعى أن هذه الوثبة الفجائية من وثبات الثورة الموفقة دفعت بالأمة إلى حياة جديدة فى ذلك المكان القصى ، وأنها أنتجت فى أشهر قليلة ما لم يسبق مثله فى أمد طويل ، أمكن فى سهولة أن نؤمن إيماناً حقاً بأن هذا خير تحققت بواكيره ، وأن ما بعد ذلك من النجاح المأمول سيطرد حتى لا يقف عند تحديده بالوصف .

وإذا كانت مصر بين الشعوب أمة كرمها الله بتشريعه الدينى ، وجعلها من قديم وطن

دين وتدين ، لا وطناً بدائياً ، كما جعلها ذات تاريخ مجيد : فما كان يليق بها أن تتقاعد عن مواصلة جهادها حتى تجدد لنفسها تلك السيادة التى توفرت مبادئها فى دينها وتاريخها وجغرافيتها . وهى بذلك تكون متمشية مع دينها فى دعوته إلى العمل وبناء المجد . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ، (ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) ، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فذلك توجيه إلى المجد ، والتحفظ من مطامع العدو ، وليس حضا على العدوان ، والمناوأة الباغية .

وإذا توفرت للأمة على يد الثورة شخصية مهيبة ، وعدالة سابغة ، وأمن لها وأمن من شرها ، فتلك هى الأمة الإسلامية التى لقنها رسولها مبدأ السيادة الكاملة فى أيسر تعبير : (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) .

* * *

ولعل ثورة مصر واصلة بالأمة عما قريب إلى تلك الغاية ، حتى نرى التعمير فى مديرية التحرير قد استوعب تلك المساحات التى تناولها التخطيط الجغرافى لمشروع الثورة هناك ، ونرى البلاد المزمع إنشاؤها فى مديرية التحرير قد اكتمل عدها فى ثمانية عشر مركزاً ، وفى كل مركز ثمان عشرة بلدة ، ورقعة كل بلدة ألف فدان ، ثم ينتقل التعمير إلى مثل هذا حتى يتمثل المشروع المأخوذ فيه فى مليون ومائة ألف فدان .

وإن العزائم التى خلقت بمعونة الله فى جوف الصحراء الغربية هذه الدوحة الجديدة لخليقة أن تدرك أملها (وأول الغيث قطر ثم ينهمر) .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الكتب

المنتقى من منهاج الاعتدال

وهو مختصر الحافظ الذهبي لكتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية
بتحقيق وتعليق محب الدين الخطيب - ٩٥٢ صفحة - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

* * *

في سنة ١٣٢١ — ١٣٢٢ هـ صدر عن المطبعة الأميرية ببولاق كتاب جليل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨) في أربعة أجزاء عنوانه (منهاج السنة) فتداولته أيدي العلماء ، وأقبلت على اقتنائه دور الكتب ومعاهد العلم في الشرق والغرب مدة نصف قرن حتى صارت نسخه أندر من الكتب المخطوطة . وكان معلوماً أن الحافظ أبا عبد الله محمد ابن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨) وهو أحد كبار تلاميذ شيخ الإسلام قام باختصار هذا الكتاب في حياة مؤلفه ، وكان المظنون أن هذا المختصر من تراث الإسلام المفقود ، لأننا لانجد له ذكراً في فهارس دور الكتب الكبرى في العالم الإسلامي وعواصم الغرب .

ولما زار عين أعيان الحجاز العلامة الجليل الشيخ محمد نصيف الديار الشامية في العام الماضي متردداً على خزائن كتبها ، اكتشف نسخة مختصر الذهبي لهذا الكتاب مكتوبة سنة ٨٢٤ أي بعد وفاة الذهبي بست وسبعين سنة ، وهي من بقايا مكتبة عثمان باشا الدوركي الأصلي الحلبي المولد المتوفى بمكة المشرفة سنة ١١٦٠ ، وهذه المكتبة قد ضمت أخيراً إلى (دار مكتبات الأوقاف الإسلامية) في حلب ، وعنوان مختصر الذهبي (المنتقى من منهاج الاعتدال) ، وهو في مكتبة حلب برقم ٥٧٩ ، فبادر الشيخ محمد نصيف إلى استنساخه بالتصوير الشمسي ، وأرسل صورته الشمسية إلى رئيس تحرير هذه المجلة ، فقام بتحقيق الكتاب ومعارضته بأصله المطبوع في بولاق والتعليق عليه بما يزيد تحقيقاته إيضاحاً وتبييناً.

إن هذا الكتاب خزانة حافلة بتحقيق مذاهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى أهم مسائل أصول الدين، ثم هو تاريخ علمى للحركة الفكرية والعقدية من صدر الإسلام إلى أن تشعبت المذاهب والطوائف والنحل. وفيه مقارنات دقيقة بين هذه المذاهب المتشعبة وتحقيقها ووزنها بموازين الكتاب والسنة المحمدية فى الصحيح من دواوينها ومراجعها، مع بيان مواقف الصحابة وأهل القرون الثلاثة الأولى فى الإسلام، وسائر ما تعرض له ابن مطهر الحلى (٦٤٨ — ٧٢٦) من بحوث ومسائل فى كتابه (منهاج الكرامة) ، فأبان شيخ الإسلام ابن تيمية وجهة النظر الإسلامية فى كل بحث من تلك البحوث، وكل مسألة من تلك المسائل.

وكان أصل المختصر فى مخطوطة حلب فى ٣١٠ صفحات، فجاء مع التعليقات ومقدمة رئيس تحرير هذه المجلة والفصل الختامى فى نحو ضعف الأصل. وقد زين بصورة شمسية للورقة الاولى من الأصل المخطوط، ثم بصورة أخرى للورقة الأخيرة منه، وألحق به فهرس لموضوعات الكتاب تناولت كل ما انطوت عليه صفحاته واحدة فواحدة.

ومما لا ريب فيه أن هذا المختصر سيستغنى به عن أصله كل من لم تتح له فرصة اقتناء الأصل، بل إن فى تعليقاته من الزيادات والفوائد ما لا يوجد فى الأصل، لأنها مستقاة من مراجع كان بعضها غير معروف فى عصر تأليف الكتاب واختصاره. فنلفت إليه أنظار جميع المشتغلين بتاريخ الإسلام، ودراسة مقالات الإسلاميين، والمقارنة بين المذاهب فى أصول الدين، فإنه مرجع عظيم فى ذلك كله. والله الموفق.

التفكير الفلسفى فى الاسلام

للدكتور عبد الحليم محمود - الجزء الأول - ٢١٥ ص

من سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية

الدكتور عبد الحليم محمود - أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين - من المفكرين الممتازين فى البحوث العقلية والنفسية فى الإسلام. وقد صدر له قبل الآن تحقيق كتاب المنقذ من الضلال لأبى حامد الغزالى، وفلسفة ابن الطفيل ورسالته «حى بن يقظان»، ورسالة التصوف عند ابن سينا. وكتابه الجديد «التفكير الفلسفى فى الإسلام» يقع فى سبعة

فصول أولها عن الجو الذى نشأ فيه الإسلام . فتكلم عن الحنفاء والحكماء من العرب فى الحقبة الأخيرة من عصر الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبى الصلت ، وورقة ابن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رئاب ، وعامر بن الظرب ، وقس بن ساعدة ، والحمس من قريش ، وحلف الفضول . ونبه المؤلف إلى أخطاء شائعة عن العرب قبل الإسلام ومنها نبزهم بالوثنية وعبادة الأصنام . والحق أن أقطار الأرض قبل الإسلام كانت أعرق فى الوثنية من جزيرة العرب التى طرأت عليها الوثنية من عهد عمرو بن لحى الخزاعى ، وكانت قبله على ميراث من دين إبراهيم وإسماعيل . ثم أجمل المؤلف القول على الأديان فى جزيرة العرب ، وأورد بعض آراء العلماء عن العرب كالذى ذكره الجاحظ فى صدر كتابه البيان والتبيين

وفى الفصل الثانى تحدث المؤلف عن القرآن ، ومهمة الرسول ﷺ ، والقيمة الذاتية للدعوة الإسلامية . . الخ ، وفى الفصل الثالث تكلم على الفرق والأحزاب الدينية فى الإسلام وان الفرقة الناجية هى التى التزمت ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

أما ما ذكره المؤلف من التفصيل فى أمر بعض الفرق وهل هى حزب أم فرقة ، فإن كثيراً من الفرق تطور مدلول عنوانها مع الزمن ، فاختلف الحكم عليها بحسب ما صارت إليه وقتاً بعد وقت ، فإن لها فى كل وقت حكما تبعاً لتطورها ، فى قربها لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه أو بعدها عن ذلك .

وفى الفصل الرابع تكلم المؤلف على مذهب السلف ، وإن ما ظنه المؤلف اختلافا بين مدرسة الأشعرى ومدرسة ابن تيمية سينجلى له متى توسع فى دراسة الموضوع فى مراجعها فيتبين له أن الإمام أبا الحسن الأشعرى — كما اعترف فى كتابه مقالات الإسلاميين — لا يختلف فى شىء عما كان عليه الإمام أحمد وتلاميذه وابن تيمية ومدرسته فكلهم تقيدوا بالنصوص الإسلامية والتزموا ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه .

وفى الفصل الخامس تكلم المؤلف على التفكير فى عهد الصحابة ، وفى الفصل السادس على الاختلاف فى الإمامة ، وختم الجزء الأول بالفصل السابع منه عن بدء الاختلاف فى الأصول . وقد حاول المؤلف أن يكون منصفا فى أحكامه ، غير أن هذا البحث يحتاج إلى مراجع أوسع من التى كانت بين يديه ، ونعتقد أنه بروحه الطيبة وبحثه العلمى وتوسعه فى المراجع سيكون الجزء الثانى من كتابه أدسم وأغزر فائدة وأصح أحكاماً . والله الموفق .

نظام المواريث — فى الشريعة الاسلامية

للأستاذ عبد العظيم جوده فياض - الطبعة الثانية ٣٢٠ ص - دار الكتاب العربى

أصدر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العظيم جوده فياض الصوفى المدرس فى كلية الشريعة الطبعة الثانية من كتابه (نظام المواريث فى الشريعة الإسلامية - على المذاهب الأربعة) .

وهو من أوفى الكتب وأجودها ترتيبا وتنظيما لأحكام المواريث فى المذاهب الإسلامية المنتشرة ، وقد امتازت هذه الطبعة بزيادة التنقيح ، وبالعناية بقانون الوصية الواجبة وشرحه ، وبقانون المواريث الجديد ومذكرته التفسيرية .

وقد التزم المؤلف ذكر الحكم مقرونا بدليله ، باسطا بعض ما اختلف فيه الفقهاء ووجهة نظرهم فيما اختلفوا فيه ، لتتربى فى الطالب ملكة البحث والنقد . وشرح أحكام المواريث وفق ما كان العمل جاريا عليه قبل تعديل القانون - وهو المنهاج المقرر على الطلبة فى كلية الشريعة - وبيان ما طرأ من التعديل على تلك الأحكام فى القانون الجديد ، ليلم القارىء بما كان عليه أولا فيسهل الرجوع إليه عند الحاجة . كما عنى بمعرفة المذاهب والأصول التى أخذ بها القانون ، والغاية التى دعت إلى التغيير والتعديل ليكون بمثابة ضوء يلقى على ما قرر من أحكام وشرح الناحية العملية شرحاً منظما ينير للقارىء طريق تطبيق العلم على العمل .

والكتاب مقسم إلى تسعة أبواب ، تنتهى بخاتمة انطوت على فوائد : احداها مجمل القواعد لقسم التركات ، والثانية حل مسائل الميراث والمناسخات بطريق الشباك ، والثالثة أسئلة وأمثلة وتمرينات ، والدلالة على مواضع الجواب عليها فى متن الكتاب .

تقويم جامعة القاهرة

أصدرت جامعة القاهرة تقويمها لسنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ مطبوعا بمطبعتها فى ٢٤٠ صفحة وفيه كل مايهم الجمهور معرفته عنها منذ نشأتها الى أن انتهى بها التطور لما هى عليه الآن فى كلياتها ومبانيها وادارتها ومجالسها ونظامها الدراسى والتأديبى . وبعد التفاصيل الكافية عن كل كلية تحدث التقويم عن مكتبات الجامعة ومطبعتها وحفائرها ومتاحفها وسائر مرافقها وأورد احصاءات للطلبة ودرجاتهم وجنسياتهم ودياناتهم ، فكان بذلك مرجعا وافيا للحاضر والمستقبل .

الأدب والعلوم

مدارس تحفيظ القرآن

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتأليف لجنة برياسة فضيلة وكيل الجامع الأزهر لوضع النظم الدراسية التى تتبع فى الجمعيات والمدارس والمكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

ميزانية الأزهر

أقر مجلس الأزهر الأعلى مشروع الميزانية الجديدة للأزهر، وهى تقدر بمبلغ ١٩٤٩٩٤٠ جنيهاً بزيادة قدرها ٢٠٧١٤٠ جنيهاً عن العام الماضى . وقد تضمن مشروع هذه الميزانية تنفيذ كادر هيئة التدريس الذى اعتمد له فى الميزانية ١٢٥٧٠ جنيهاً ، ويقضى هذا الكادر بمنح أعضاء هيئة التدريس بالكليات المرتبات الجامعية التى يستحقونها عن ألقابهم العلمية التى منحوها فى مارس سنة ١٩٥١ .

وتضمن المشروع إنشاء معهدين جديدين أحدهما فى فاقوس والآخر فى أبو كبير ، وضم معهدى ملوى وبنى عدى الأهليين إلى الأزهر ، واعتمد لهذه المعاهد ثلاثون ألف جنيه .

وتضمن المشروع ثلاثة آلاف جنيه لتأثيث قاعة المحاضرات الأزهرية وشراء مكبرات الصوت وللأجهزة ، وستة آلاف جنيه لسبعة مدرجات ، وسبعة معامل بالمعاهد الثانوية .

وتضمنت الميزانية إنشاء معهد جديد فى الواحات تحقيقا لرغبة أهاليها ، واعتمد لتأسيسه ثلاثة آلاف جنيه . كما اعتمد مبلغ ٧٧٠٠ جنيه لتعزيز معهد غزة .

وتضمن المشروع ٣٧ ألف جنيه لنشر الثقافة الإسلامية و ٢٠٠٠ جنيه لبعثة الحج والزيارة والبعثات الأخرى .

معهد للآداب الإسلامية
فى بكين

أذاع راديو بكين أنه سيقام معهد لدراسة الآداب الإسلامية فى بكين خلال العام الدراسى القادم .

وستتولى الإشراف على المعهد (الرابطة الإسلامية) فى الصين ، وسيعين السيد مايووى

من كبار المسلمين فى الصين ووكيل الرابطة مستشاراً للمعهد .

وقال الراديو : إن اللغة العربية والقرآن سيكونان أهم المواد التى ستدرس فى المعهد .

الامتحان فى مادة الدين

بالمدارس السورية

صدر فى القطر الشقيق سوريا مرسوم رقم ٩٣٧ بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٥٥ وهو يقضى بإضافة مادة الدين إلى الامتحانات المحـــددة فى المراسيم التى تضمنت أنظمة الامتحانات العامة للشهادات الرسمية ، وستعتبر مادة الدين كسائر مواد الدراسة الأخرى فى جميع أحكامها .

المصطلحات العلمية والمسميات الادارية

فى الدول العربية

من التوصيات التى قررها مؤتمر العلوم الإدارية للدول العربية توحيد المصطلحات العلمية والمسميات الإدارية فى البلاد العربية عن طريق تبادل الاساتذة والمحاضرين والمؤلفات بين الدول العربية ، وعقد المؤتمرات الدورية لهذه الغاية .

ويرى المؤتمر أن التقارب فى المناهج والنظم الإدارية أمر ضرورى لكفالة التعاون الصحيح بين أجزاء الامة العربية وتحقيق أمانيها ، فأوصى باتخاذ أكبر قدر مستطاع من هـذا التقارب مع مقتضيات الظروف المحليـة .

وأوصى المؤتمر الجامعة العربيـة بإصدار مجلة إدارية لنشر البحوث والوثائق الخاصة بالإدارة العامة فى البلدان العربية .

أسماء العلماء

على بعض شوارع شبرا

أطلق فى هـذا الشهر على بعض الشوارع فى أرض شريف بشـبرا أسماء بعض أعلام المسلمين ، ومما لفت الأنظار من هذه الاسماء اسم : شارع ابن تيمية ، وشارع الشيخ طاهر الجزائرى ، والشيخ عبد القـادر الرافعى ، والشيخ عبد الـكريم سلمان ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ حسن السقا ، والشيخ الظواهرى ، والشيخ مأمون الشناوى ، والشيخ أحمد رافع . الخ .

كتبنا باللغات الاوربية

قامت اللجنة الدولية لترجمة الروائع الادبية بترجمـة رسالة (أيها الولد) للغزالى إلى اللغة الفرنسية وكانت قـد ترجمت من قبل إلى الإنجلـيزية والاسبانية . كما ترجمت كـتاب (البخلاء) للجاحظ ، وكتاب (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا . وقـررت أخـيراً ترجمة كـتاب (التاج فى أخلاق الملوك) للجاحظ .

أنباء العالم الإسلامي

مؤتمر باندونغ

وثيقة استنكار الاستعمار

اشتركت فى مؤتمر باندونغ فى أندونيسيا ٢٩ دولة من آسيا وأفريقيا يزيد عدد شعوبها على نصف شعوب العالم ، وقد استمرت جلسات المؤتمر الاسبوع الأخير من شعبان (١٨ - ٢٤ أبريل) وترأسه السيد على ساستروأميدجوجو رئيس وزراء أندونيسيا ، وأصدر فى اليوم الأخير بيانه الرسمى بالإجماع مقرراً فيه تحقيق التعاون السياسى والاقتصادى والثقافى فيما بين الحكومات المشتركة فى المؤتمر وبينها وبين سائر أمم العالم ، واستنكر المؤتمر فى بيانه (الاستعمار) و (سياسة القوة) ودعا شعوب الأرض إلى السلم والتعاون . ويعد بيان مؤتمر باندونغ وثيقة تاريخية لم يسبق لها نظير فى تاريخ الإنسانية . وهو مؤلف من خمسة آلاف كلمة تدور حول التعاون الاقتصادى والثقافى وحقوق الإنسان وتقرير المصير ومشاكل الشعوب المبغى عليها من الاستعمار كشعوب عرب شمال أفريقيا والشعب العربى الفلسطينى وموقف اليمن فى قضية عدن والمناطق الجنوبية من اليمن .

وبعد انتهاء رئيس وزراء أندونيسيا من تلاوة البيان والموافقة عليه بالإجماع بدأ رؤساء الوفود يلقون كلماتهم الختامية ، وكانت المدة المحددة لكل كلمة خمس دقائق ، والطابع العام لهذه الكلمات تأكيد التضامن الآسيوى الأفريقى ، والإعراب عن الأمل فى أن يحمل هذا التضامن فى المستقبل ثماراً أكثر فى حقول السلام والحرية والتعاون الدولى .

ومما قرره المؤتمر عقد مؤتمر اسيوى افريقى ثان سيعين موعد انعقاده ومكان اجتماعه فيما بعد .

خمسة شروط

للسلام العالمى

قدم الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر باندونغ خمسة شروط قال إن توفرها ضرورى لصيانة وحماية السلام العالمى وهى :

١ — نجاح الجهود التى تبذلها هيئة الأمم المتحدة ولا زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسليح ، وكذا القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل .

٢ — تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه، واحترامها نصوص الميثاق فى كل ما تصدره من قرارات .

٣ — احترام الدول لالتزاماتها الدولية وحقوق الإنسان .

٤ — وقف ألاعيب الدول الكبيرة للضغط السياسى على الدول الصغيرة فوراً .

٥ — تصفية الاستعمار، وهو سبب الاحتكاك بين الدول والقلق فى العالم .

ونوه فى خطابه بالتعاون الاسيوى الافريقى، وأن تعاون الدول الاسيوية والافريقية من أقوى العوامل التى تؤدى إلى تقدم الشعوب وحماية حقوقها . وندد بالخطر الجسيم الذى يتعرض له العالم اليوم، وهو خطر الحرب وما يمكن أن تكلفه الحرب للإنسانية من أرواح البشر .

الثورة فى الجزائر

بعد مكابرة طال أمدها أخذت سلطات الاستعمار الفرنسى فى الجزائر تعترف بتفاقم خطر الثورة الجزائرية على الاستعمار، وأشد ما يقع الآن من نشاط هذه الثورة فى شمال مقاطعة قسنطينة حيث يضايق الثوار القوات الفرنسية والقرى بهجماتهم الجريئة ليل نهار .

وتعترف وزارة الداخلية الفرنسية بأن أربعين ألف جندى قد رصدوا لمقاومة ضغط الثورة فى حملات لا هوادة فيها على جيش الوطنيين المسلمين المدربين أحسن تدريب . وعلى رأس المجاهدين الجزائريين خبراء تمرسوا فى الخارج على أعمال التخريب والإرهاب، ولم يذكر وزير الداخلية الفرنسية اسم أى بلد أجنبى، ولكنه أعلن أن كل قرية ستكون لها حامية من رجال الجندرمة . وبالفعل نقلت وزارة الداخلية الفرنسية ألفين من رجال الجندرمة بالطائرات إلى الجزائر للاستعانة بهم فى مقاومة الثورة التى تفرغ لمقاومتها من قبل أكثر من أربعين ألف جندى . وفى المعارك الأخيرة التى وقعت بين قوات الاستعمار الفرنسى وتشكيلات الجهاد الوطنى فى جبال الاوريس كانت طائرات الهليكوبتر تنقل جرحى القوات الفرنسية من مناطق الثورة إلى مدينة بسكرة .

وقد زار الحاكم العام الفرنسى للجزائر منطقة الخطر وتباحث مع قائد القوات المحلية . وكانت غرفة قسنطينة التجارية قد دعت إلى اجتماع لها فى هذه الأيام، فاضطرت إلى إعلان إرجاء اجتماعها إلى أجل غير مسمى « لأنها لا تستطيع عقد جلساتها فى الظروف الحاضرة » .

ثورة طهران على البهائية

قامت مظاهرات عدائية فى طهران على البهائية وكانت الجماهير تهتف مطالبة بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد . وقد فرقت قوات البوليس المتظاهرين ، غير أن هؤلاء تمكنوا من الاستيلاء على الهيكل . وكان الزعيم السيد فلسفى قد دأب على حث الشاه على مقاطعة البهائية ونصح بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد .

تمويل المشروعات الإنتاجية

أعلنت الحكومة المصرية إلغاء النظام القائم لتغطية ما يصدر من البنكنوت ، لأنه « نظام شاذ لا يوجد له مثيل الآن فى الدول الأخرى » ، وإصدار أذون جديدة من نوع واحد تحل محل الأذون الحالية ويسمح باستخدام حصيلتها للتمويل قصير الأجل فى شتى النواحى الإنتاجية واتفقت الحكومة ـ فى الوقت ذاته ـ مع البنك الأهلى المصرى على أن تحصل عند الاقتضاء على ما لديه من أرصدة استرلينية حرة لتمويل مشروعاتها الإنتاجية مقابل سندات لمدة ١٥ سنة . وبذلك وفرت الحكومة نحو ٢٥٠ مليون جنيه لتمويل مشروعات السد العالى وإنتاج السماد والحديد والصلب والسكك الحديدية .

وصدر قانونان : أولهما بالإذن لوزير المالية فى إصدار سندات بمصر فى حدود مائة مليون جنيه ، والثانى بالإذن فى إصدار أذون على الخزانة بمصر بما لا يجاوز مائة وخمسين مليونا من الجنيهات .

واتفق مع البنك الأهلى كذلك على أن يخصم البنك أى أذون صادرة بغرض تمويل مشتريات الحكومة من القطن فى حدود ٤٠ مليون جنيه . وأعلن وزير المالية أننا فى مركز يسمح لنا بالاختيار الحر تجاه ما يعرض علينا من القروض من الهيئات الخارجية ، خاصة وان لدينا احتياطيا يبلغ نحو ٢٧٠ مليون جنيه من الذهب والعملات الأخرى .

وستعفى الأذون الصادرة طبقا للقانون الجديد ، وكذلك فوائدها ، من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة حالية ومستقبلة .

الأموال الأمريكية لإسرائيل

فى شهر فبراير الماضى أعلن الدكتور لنكولن هيل مدير بعثة المساعدات الفنية الأمريكية بإسرائيل أن أمريكا قدمت إلى إسرائيل فى السنوات الثلاث الماضية ، من المساعدات الفنية الأمريكية ، نحو ٣٢٦ مليون دولار . وهى هبات لاترد . إلى جانب ٢٥ اتفاقا رسميا آخر عقدتها أمريكا مع ربيبة نعمتها لمساعدتها على تنفيذ مجموعة ضخمة من مشروعات الإنشاء والتعمير : من نقل

وتدريب مهنى واستغلال المحاجر والبوتاس وغير ذلك.

وفى ٢١ مارس الماضى عرف من تقرير رسمى عن المعونة الامريكية أن أمريكا قدمت ثلث حاجات اسرائيل من العملة الصعبة، وكانت هذه المعونة هبة مجانية نقدية. أما الهبات غير النقدية فسدت ٤٠ ٪ من ميزانية اسرائيل للتنمية الاقتصادية. وهذه المعونة مستمرة من أمريكا لمدة سنتين.

وبلغ مجموع ما بيع فى أمريكا من سندات القروض الاسرائيلية حتى أول مارس الماضى ١٤٥ مليون دولار قررت الحكومة الامريكية إعفاءها جميعا من الضرائب.

وقبل نحو شهرين تحدث سفير أمريكا الجديد باسرائيل - فى مأدبة صداقة أمريكية صهيونية أقيمت بتل أبيب - فقال: إننى أؤكد لكم - لا بالكلام، بل بكل عمل ممكن - أن الولايات المتحدة ترغب رغبة مخلصة أن يستمر تقدم إسرائيل كشريكة للعالم الحر، وأن ترى هذا التقدم يسير بسرعة.

يهود البلاد العربية وإسرائيل

انعقد فى بيروت مؤتمر المكاتب الاقليمية لمقاطعة إسرائيل، ومن أهم المقترحات التى تقدم بها ممثلو المكتب الاقليمى المصرى اقتراح إقرار توصية بحظر دخول اليهودى العربى الجنسية أو الذى يتمتع بإقامة فى أى بلد عربى، إذا ثبت نشاطه واتصاله بإسرائيل، إلى أى بلد عربى، وأن يحرم من جنسيته العربية، ويسحب منه جواز الإقامة فى أى بلد من هذه البلدان. وسيعرض هذا الاقتراح - مع سائر توصيات المؤتمر - على مجلس الجامعة العربية فى اجتماعه القادم.

أكبر ناقلة للبترول

« الملك سعود الأول »

مرت بقناة السويس فى الأيام الأخيرة ناقلة البترول السعودية « الملك سعود الأول » فى طريقها من هامبورغ حيث تم صنعها فى أحواض شركة « هوالدت » لبناء السفن، قاصدة البحر الأحمر، فالخليج العربى، لتساهم فى نقل البترول من الموانى السعودية إلى فيلادلفيا بالولايات المتحدة.

وهذه السفينة الجبارة تعد أكبر ناقلة بترول فى العالم، ورابعة سفن العالم كله بعد السفائن الثلاث « كوين مارى » و « كوين أليزابث » و « تورماندى ».

ولما دخلت ميناء بورسعيد ترفرف عليها الراية السعودية استقبلتها جميع السفن الراسية فى الميناء باطلاق صفاراتها تحية لها وترحيباً بمقدمها إلى المياه المصرية، فتدفقت الجماهير إلى الميناء على أصوات صفارات السفن لمشاركتها فى تحية هذه السفينة العربية العظمى، واشتدت

حماسة الجماهير عند ما رأوا راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تخفق على السفينة ، فأخذت تردد الهتافات بحياة الملك سعود والمملكة الشقيقة ، وفى المساء أقيمت على ظهر السفينة حفلة استقبال كبرى للزائرين ، وفى مقدمتهم محافظ القنال ورجال السلطات المصرية وعدد كبير من الموظفين والتجار والأعيان ورجال الملاحة ، وستقام للسفينة حفلة حافلة فى جدة يحضرها جلالة الملك سعود ورجال دولته ، ثم تستأنف رحلتها إلى الخليج العربى ومنه إلى فيلا دلفيا .

مراقبة الزوجات

فى جلسة محكمة الجنايات الختامية التى نظرت فيها قضية قاتل زوجة مأمور الضرائب ترافع الأستاذ فاروق غلاب المحامى عن القاتل ثم اختتم مرافعته قائلا :

« ان المتهم لا يستحق السجن ، ولكنه يستحق إكليلا من الفخار لتلقينه درسا مفيداً للأزواج فى مراقبة زوجاتهم » .

الاختلاط

تتوالى النذر أمام أنظار المسلمين معلنة سوء عواقب اختلاط النساء والرجال غير المحارم ، وأن الإسلام كان على صواب فى تحريم ذلك على المسلمين ، وأن دعاة السفور والاختلاط كانوا كذابين وغشاشين فى الدعوة إلى هتك الحجاب الإسلامى ، وإلى تسمية الإسلام « رجعيا » بمنعه النساء المسلمات من مجالسة غير محارمهن من الرجال للمسامرة والمباسطة ولغير ضرورة شرعية . وفى كل يوم يحدث حادث جديد تنهدم به بيوت وتتقوض دعائم أسر وتسفك فيه دماء رجال ونساء بسبب المضى فى تحقيق دعوة السفور والاختلاط ، وخذلان الإسلام وتشريعه الذى يقيد الاختلاط بأن يكون محصوراً بين ذوى المحارم لاغير .

نقول هذا لمناسبة الدماء التى سفكها طالب الطب فى بيت زميله الذى كان يزوره ليخالط أمه ويرتكب معها الفاحشة ، ثم تحولت عنه إلى زائر آخر من زملاء أولادها ، وترتب على ذلك إطلاق الرصاص وسفك الدماء وخراب البيت وفضيحة ناس كان ينبغى أن يعيشوا فى ستر وكرامة .

وصدقت المرأة التى قالت للأستاذ زكى عبدالقادر فيما أعلنه عنها بيوميات الأخبار « ان المرأة والرجل ليسا شيئاً آخر غير سالب وموجب ، غير جنسين يختلطان ويلتقيان ، فاذا هما كبريت ونار » .

وكل أب ، وكل زوج ، وكل أخ يسمح لإناثه بالاختلاط الذى لا يبيحه الإسلام ، اعتقاداً منه بأن السفور مدنية والحجاب رجعية ، هو رجل مفرط فى عرضه عرف ذلك أو جهله .

الفهرس

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

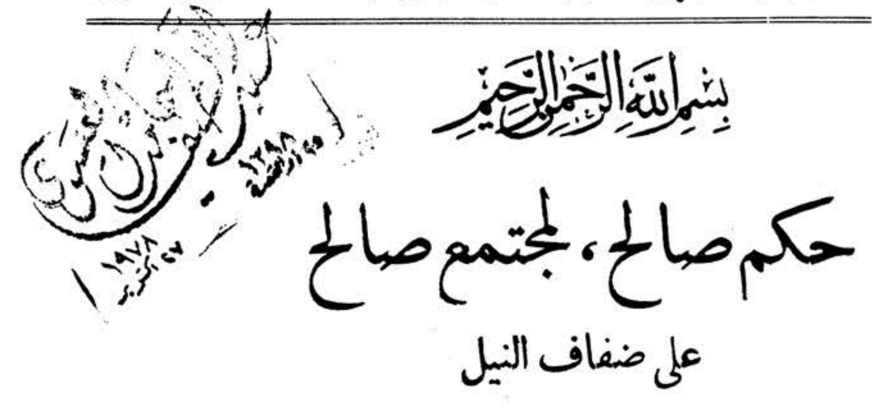
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة في غرة ذي القعدة ١٣٧٤ - ٢١ يونيه ١٩٥٥ - الجزءان ١٩ و ٢٠ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم



حكم صالح، لمجتمع صالح

على ضفاف النيل

تنعم مصر الآن بكل الأسباب التي تعين على قيام المجتمع الصالح، وعلى أن يتمتع ذلك المجتمع الصالح بنظام وطيد للحكم الصالح، فما الذي يمنع مصر من إصلاح مجتمعها، ومن إقامة نظام الحكم الصالح له؟!

هذا النيل يجرى بالخير والرزق والبركة في أرض مصر من أعلاها إلى أدناها، فيملأ أرضها رياً وحياة وجمالا. ثم يفيض بما تزهد به مصر من فيض ريه وحيانه وجماله، فتنحدر لجج منه كالجبال في البحر المالح، ولو شاءت مصر لضنت بقطرة منه أن تذهب في البحر بلا فائدة.

وهذه الأيدي العاملة في مصر تزدحم مصر بأصحابها ازدحاما هو خير ذخر لها فيما ترسمه من خطط للتصنيع، وما تنتويه للمساحات الزراعية من توسيع. ثم إنه ردؤها القوى لإنماء جيشها وحماية حماها.

والذكاء فى مصر تضرب به الأمثال بين الأمم ، وهو – كالنيل – هبة من هبات الله التى تزخر بها مصر ، وكان من حق هـذه النعمة الإلهية علينا أن نحسن استعمالها فى إقامة المجتمع الصالح ، لننعم بعد ذلك بالحكم الصالح ، فنكون فى طليعة الأمم نشاطا وعملا وإنتاجا وكسبا وتمتعا بالحلال الزكى الطيب .

كنا نشكو الاستعمار وكابوسه الثقيل يوم كان يتحكم فى مواردنا وينابيع ثروتنا وسوء توجيهه لجهودنا ، حتى رفعه الله عنا .

وكنا نشكو الإقطاع الزراعى واستئثار القلة من أهله بالأرض التى هى مصدر الرزق من دون العاملين فيها ، فعدل الدهر بين العاملين فى الأرض والذين كانوا يمتصون جهودهم ، ويستأثرون بثمرات عملهم .

كنا نشكو تكتل أذكياء المتعلمين بشكل أحزاب صرفت هذا الوطن عن أهدافه ، فكانت – كما قال عنها جمال عبد الناصر – « الداء الذى حوّر معنى الحرية : من حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية » ، فأزال الله الأحزاب وأراح الأمة من أنانيات زعمائها وفتنتهم وفساد قلوبهم .

والآن وقد أوشكت « فترة الانتقال » أن تنتهى إن شاء الله بانتهاء هذه السنة الشمسية ، فقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر - فى مأدبة الإفطار التى أقامها له ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من سلخ رمضان الماضى - أن الثورة الاجتماعية تطلب أن تقوم حياة الغالبية فى مصر على عدالة اجتماعية تتحرر بها الأرزاق ، ويشعر كل فرد أنه يعيش فى وطن تتكافأ فيه الفرص ، فيستطيع أن يقول ما يريد أن يقول ، ولا يحيا مهدداً فى رزقه ولا فى أولاده ولا فى مستقبله . ولابد لتحقيق ذلك من إقامة مجتمع اشتراكى فى هذا الوطن حتى يحكم هذا الوطن باسم الأغلبية ، وليس باسم الأقلية . وإقامة العدالة فى وطن تمكنت فيه عوامل الشر يحتاج إلى إجراءات استثنائية حتى يمكن أن يقوم الوضع فى هذا الوطن عند هدف واحد هو إقامة مجتمع اشتراكى تتقارب فيه الفوارق .

هذا الكلام الذى عرضته فى الفقرة الأخيرة يكاد يكون كله من كلام الرئيس جمال عبد الناصر ، مما تحدث به إلى ضباط القوات المسلحة ليلة القدر من رمضان الماضى ، وذاع عقب ذلك فى أرجاء العالم ، وقد دعا جمال عبد الناصر ذوى الرأى فى الأمة إلى إبداء

آرائهم فى المجتمع الصالح الذى يراد إقامته فى مصر من أول السنة الشمسية القادمه ، وفى الحكم الصالح اللائق به ، فامتلأت صفحات الصحف بمقالات أساتذة القانون وأعلام الفقه الدستورى ، وكلها ترجع إلى هذه النظم الأجنبية عنا ، وتنميق الفصول الإنشائية والتفصيلات الدراسية عن أنواعها وتطوراتها : من ديمقراطية سياسية إلى ديمقراطية اقتصادية واجتماعية ، وعن صنوف الانتخابات وتحكيم العوام والأميين فى اختيار الخاصة والممتازين ، وهل يكون ذلك بانتخاب مباشر أو بالانتخاب ذى الدرجتين أو الانتخاب النسبى أو الانتخاب بالقائمة . وهل لا بد لذلك من قيام الأحزاب ، أم يمكن الاستغناء عنها بأخذ « العينات » أو بغير ذلك . وهناك مقالات الاعتذار عن فشل هذا التمثيل وأساليبه وإفلاسهما عندنا فى الماضى وعيوبهما المفضوحة فى الشرق والغرب من أوربا إلى أمريكا . ولم تعدم الصحف كلمات حق أرسلها بعض أهل البصيرة لنقض ما تحدث عنه سدنة الفقه الدستورى الأجنبى دفاعا عن مسطوراته وأساطيره ، فتحدث الأستاذ السيد سنى اللقانى عن المجالس النيابية وأعلن أنها لا تصلح - بتكوينها - للتشريع ، ولم تكن يوما من الأيام فى أى بلد من بلاد العالم مصدر ابتكار أو تشريع ، بل ظلت رسالتها مقصورة على إقرار التشريعات أو رفضها بعد نقاش غالبه هزيل . كما أعلن الحقيقة المشاهدة فى الشرق والغرب ، وهى أن أعضاء المجالس النيابية وليدو الصدفة المجردة ، واختيارهم إلى مصاف النيابة لم يكن مرده - يوما من الأيام - إلى حذق ، أو مهارة ، أو حنكة ، أو دراية ، أو تفوق فى العلوم والفنون . بل مرده إلى حزبية ، أو نفوذ ، أو ثراء ، أو اتصاف بالتصدق والإحسان ، أو مقدرة فى مجال الخطابة والمساجلة ، وكثيراً ما يكون الدجل والشعوذة من أسباب النجاح فى هذا المعترك . والمدهش حقا أن مستوى الكفاءة فى برلمانات العالم أخذ فى الهبوط ، فى الوقت الذى تعددت فيه التبعات ، وتشعبت المسائل العامة وتعقدت حتى شملت من الاقتصاديات والاجتماعيات ما لم يكن للناس به عهد ، وما لا يقوى عليه إلا كل محترف ماهر متفرغ . وقال عن الانتخاب : إنه يجمع إلى مثالبه - التى منها الحزبية - أنه لا يخرج طائفة تمثل الأمة بالمعنى الذى يستفاد من هذا اللفظ . ولاقتناع واضعى الدساتير بأن الانتخابات لا تأتى بالذين يجب أن يمثلوا الأمة تذرعوا بحلول أخرى كإقامة مجلس ثان يعين بعض أعضائه بالاسم وهم من طراز لم تكن

الانتخابات لتدركه أو تزكيه . فمجلس الشيوخ قصره الشارع على طائفة المعمرين ليملأ ما حسبه فراغا لا يسده الانتخاب الطليق .

ويقول الدكتور محمد عبد الله العربي : ان هنالك أزمة جارفة فى النظام البرلمانى اجتازها العالم فى خلال القرن العشرين ، حتى زهد كثير من الشعوب فى هذا النظام ، وتطلعت فى ظلمة اليأس إلى دكتاتورية صالحة تتركز فيها المسئولية وتقيها مساوىء النظام البرلمانى ، فالنظام الانتخابى يتطلب صفات فى المواطن قلما توافرت فى كثير من الدول التى اقتبست هذا النظام ، بل لا تزال إلى الآن ناقصة فى أرقى الدول ، وأساليب الانتخاب وإجراءاته قد ثبت عجز أكثرها عن الوصول إلى حقيقة رأى الأغلبية . والنظام الحزبى اصطنعه كثير من الدول التى استوردت النظام البرلمانى ، وكان من أثر هذا الاصطناع أن صارت الأحزاب فى كثير من هذه الدول أشبه بعصابات تتكافح من أجل مغانم الحكم ، واقترن انتصار كل حزب منها بكل المفاسد البشعة فى الحياة العامة وفى الأداة الحكومية . وكان تعدد الأحزاب النكبة الكبرى التى أصابت جهاز الحكم ، وحرمته من الاستقرار ، وأعجزته عن إمكان التزام سياسة قومية رشيدة ، وكان مبعث التعدد فى الغالب خلافات نظرية جوفاء أو تزاحم على الزعامات فيها . هذه بعض العلل التى أصابت النظام البرلمانى حتى فى أرقى الدول ، وقد كابدنا فى مصر هذه المساوىء مجتمعة ، فكان نظامنا الحزبى أسوأ مثال للنظام الحزبى فى أية دولة برلمانية . والدكتور العربى لا يقول هذه الحقيقة الآن بعد أن سخط الله على الأحزاب فى مصر وأنزل عليها صواعق غضبه ، بل سبق له تسجيل ذلك فى كتابه (سياسة الاتفاق الحكومى فى مصر إلى سنة ١٩٤٨) وهو كتاب طبع ونشر قبل سبع سنوات وشرح فيه الضرر البليغ الذى عاد على جميع المرافق العامة من اندفاع الأحزاب فى خدمة مطامعها وأنانياتها ومآربها الحزبية .

وبعد فإن القائمين على شئون مصر عزموا على إنهاء فترة الانتقال التى كانت مقدرة بثلاث سنين ، وقد أطلقوا للأقلام حريتها فى أن تشير على مصر بالنظام الصالح الذى يليق بها بعد فترة الانتقال ، والمستشار مؤتمن ، ومن الخيانة لله وللأمة أن يكتم المستشار ما يؤمن به من حق إذا سئل عما يعلمه .

والذى أعلمه أنا أن نظم الحكم فى أمة لا تستعار لها من أمم أخرى ، وقد أقمنا البراهين فى هـذا المكان من هذه المجلة مرات كثيرة على أن الذى تأخذه أمة من أمة هو الصناعات والعلوم العالمية المحضة ، أما مايتصل بسجايا كل أمة وما له مساس بكيانها وثقافتها ومواريثها فيجب أن يكون منها ولها ، ويجب أن تتفرغ عقول ذوى العقول منها ، ودروس أهل الدرس والعلم من أبنائها ، لمداواتها بأدويتها ، ومعالجتها بما يوافق أمزجتها ، واستنباط أنظمتها من سننها المحترمة عندها ، ومن مواريث التشريع التى تؤمن هى بها .

لما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت وزارة تشرشل غير حزبية ، وكان حزب العمال يشترك معه فى الحكم ، وكان اتلى يرجو إذا أجريت انتخابات جديدة أن يفوز حزب العمال بالانفراد فى الحكم والتخلص من تشرشل ، فكان يلح بتجديد الانتخابات ، ويعتذر تشرشل بتعذر إجرائها لأسباب متعددة منها أن نسبة كبيرة من الناخبين موزعة فى الجيوش المعسكرة فى خارج البلاد ، فطلب منه اتلى أن يجرى استفتاء ، فكان جواب تشرشل : ان « الاستفتاء » نظام أجنبى (أى أمريكى) ، وليس من الخير لبريطانيا أن تطرأ عليها نظم غريبة عنها .

نعم ، ليس من الخير لأمة لها مواريث من نظمها وتشريعاتها أن ترتمى فى أحضان النظم الأجنبية عنها وتتنكر لمواريثها فى الإدارة والتشريع والحكم . وهذا النظام الأجنبى السخيف الذى يقول بتحكيم العوام والأميين فى اختيار الخاصة والممتازين قد بدت عيوبه فى كل مكان ، وقد استشهدنا على ذلك بما نقلناه آنفا من أقوال غير واحد من علماء القانون الدستورى . وعندنا نحن نظام « أهل الحل والعقد » ، ولا أحب التوسع فى الحديث عنه لأنه كسائر أنظمتنا يقوم على « الأخلاق » ، ونحن أمة قد أفسد أخلاقها الاستعمار وأزمنة الانحطاط التى تقدمت عليه وكانت من أسباب وقوعنا فى مصائبه . فمن الخير لهذه الأمة ، بل من حقها على كل من يلى شيئاً من أمورها أن يرد عليها أخلاقها ، وأن ينقذها من بقايا الاستعمار الفكرى الذى لايزال متسلطا على مدارسنا وجامعاتنا فى مناهجها التى تأبى أن تعترف بثقافتنا الصميمة وكياننا الأدبى ومواريثنا العلمية والتاريخية ، ولا تزال ترى أن التقدم كل التقدم والترقى كل الترقى فى إبعاد هذه الأمة عن دينها وماضيها ، وفى أن تصبغ بالصبغة الأجنبية فى ثقافتها وميولها واقتناعاتها وإيمانها وتشريعها . فهذا النظام النيابى الفاشل المفلس الذى كنا ضحيته فى الماضى ، ولا يزال الجامعيون ورجال القانون مؤمنين به ، هو فرع من هذا

الأصل الذى تسير عليه جامعاتنا ، وهو الإلحاح فى فصلنا عن ماضينا ، وصبغنا بالصبغة الأجنبية التى رسم لنا الاستعمار خططها من أواخر القرن التاسع عشر فآمن بها الكثرة الكاثرة من تلاميذها الذين يتبوأون الآن مقاعد التدريس والتوجيه ، وإن الشر كل الشر فى مواصلة السير على هذا الطريق الذى لن نكون به إفرنجا كالإفرنج ، ولن نبقى به عربا مصريين مسلمين كما ينبغى أن يكون العرب المصريون المسلمون .

إن تعليمنا الجامعى يجب أن يكون للعلم العالمى المحض فينقله إلى مصر وإلى الشعوب العربيه والأمم الإسلامية نقلا كاملا بأرقى ما وصل إليه فى بلاد العلم . ومن سعادة مصر والشعوب العربية والأمم الإسلامية أن يكثر فيها خريجو كليات الهندسة والزراعة والطب والعلوم الطبيعية والكيماوية والفنون الحربية والمدارس الصناعية . أما الفلسفة والآداب والتشريع والثقافة فيجب أن تنقذها حالا من الإقطاع الاستعمارى ، وأن نصبغها بلا تردد بصبغتنا ، فنرد إلى شبابنا المتعلم إيمانه بقوميته ومليته وتاريخه وكيانه ، ونجنده لهذه الدراسات التى سنرجع إليها فى نظام حكمنا وأساليب إدارتنا وتطور تشريعنا . وكل ما نحاول فى أول السنة الشمسية القادمة العمل به من أنظمة الحكم فسيكون هو نفسه فترة انتقال أخرى ، وسنعمل به مؤقتا إلى حين ، أى إلى أن يرجع لجامعاتنا إيمانها بقوميتها وبماضى هذه القومية وتشريعها الأصيل .

وهذا أيضاً لايكفى إلا إذا كان مقرونا بالأخلاق ، وما دامت دور الصحافة والنشر دائبة على هدم الدين والأخلاق ودفع الأمة فى طريق التحلل وشغل عقول القراء بالشهوات والبعد عن صلابة الرجولة وسلامتها فلن ينفع هذا البلد تشريع ولا نظام حكم ولن ينجح فيها ولا عمر بن الخطاب لو أنه تولى حكمها ، لأن عمر بن الخطاب إنما نجح فى إقامة الحكم العادل السليم الرحيم ، وإنما نجح فى تحرير الأمم وإنقاذ الممالك من الاستبداد والظلم ، بالأخلاق التى امتاز بها رجال من أهل الإيمان والدين استعان بهم وأعانوه ، فكانوا المثل الأعلى للحكم الصالح .

يقول البكباشى حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية فى كلمة له بمناسبة عيد الفطر : « قبل اليوم بأكثر من عشرة قرون ظهر الإسلام يدعو بقوة إلى التعاطف الإنسانى ، وإلى الطهارة فى النفوس والقلوب ، وإلى الإخاء والحرية والمساواة ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون . ودعوة الإسلام دعوة اشتراكية بحتة ، ولكنها تختلف

عن الاشتراكية بمعناها الذى يقتصر على الناحية المادية وحدها ، فإن الإسلام يدعو إلى الاشتراكية الروحية الوجدانية ، وأن يشارك أغنياء المسلمين فقراءهم ، وأن تقوم هذه المشاركة على أساس من التعاطف والتآخى . كما تختلف اشتراكية الإسلام عن اشتراكية الغرب بأنها تخضع المصالح الفردية لدواعى الحاجة الاجتماعية ، وتقارب بين الطبقات دون إلغاء هذه الطبقات ، وتسوى بين الأفراد عن طريق تحسين حال الطبقات الفقيرة ، أى أنها تعلى المجتمع والفرد معاً فى جو من المحبة والمساواة والسلام والعدل ، ولا تسعى لخدمتها عن طريق الضغط وكبت الحريات وإذلال رأس المال » .

ليكن نظام الحكم الذى سنستقبله فى العام الآتى مايكون ، فكل عمل طيب يقره الإسلام ، وكل عدل وإصلاح فهو من الإسلام . أما نظام الحكم الحقيقى الذى يجب أن يكون لنا إلى الأبد فلا يقوم إلا على علم بماضينا وثقافتنا واشتراكيتنا وأساليب حكمنا ، وهذا يتوقف على تجديد جامعاتنا لإيمانها ، واقتصارها على العلم المحض فى أخذ ما تأخذه عن الغرب ، وتعاونها مع الأزهر وعلماء الإسلام فى فهم الإسلام وتاريخ المسلمين وفقهم وسننهم وأنظمتهم ، وكلما عجلنا فى إصلاح جامعاتنا والمدارس التى تغذيها بطلابها ، كان ذلك خيراً للبلد وأقرب لليوم الذى نعرف به تشريعنا وأنظمتنا الصحيحة .

ونظام الحكم الحقيقى الذى يجب أن يكون لنا إلى الأبد لا يقوم فى الدولة إلا على أخلاق قويمة فى المنزل والسوق والمجتمع . وما دامت صحفنا ودور النشر عندنا تبتهج بكل زنديق مفتون هادم للإسلام فتعلى قدره وتوهمه أنه مصلح وأنه على صواب فيما يعمل ، وما دام نصف صفحاتها مشحوناً بالحديث عن الفاحشة وتصوير السيقان ومهيجات الشهوات والغرائز ، فلن تكون لنا أمة ذات أخلاق ورجولة تستحق أن تعيش فى المستوى الكريم بين الأمم .

أنقذوا الأمة من إقطاعيات الدعوة إلى الفاحشة .

أصلحوا مناهج المدارس والجامعات وجددوا لها إيمانها .

أعدوا للحكم الصالح عدته من النفوس والدروس وإيمان الامة بنفسها . وكل حكم يقربنا بعد ذلك من هذه الغاية فهو حكم مقبول وعاقبته إلى خير إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

– ٣٠ –

أباطيل العمل، وكواذب الامل

> لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم

١ — تمهيد :

للجانب الخلقي منهج فسيح فى نسق الكتاب العزيز ، إذ القرآن باعتباره دستوراً إصلاحيا سماويا يحرص على النهوض بالإنسان إلى المثالية الحقة ، أو المثالية التقريبية إذا وقفت دون الأولى موانع ، أو لم تتهيأ لكل امرئ بواعثه فى التطلع إلى مرقاتها العليا . فعند ذلك يكون الكمال النسبي غاية مرجوة بقدر الإمكان .

ومتابعتنا للآيات التى عرضت للتهذيب ، واتجهت إلى التربية ، تهدينا إلى أساليب عدة ، انتهجها القرآن فى اجتذاب الإنسان إلى ناحية الخير لنفسه ، ولمجتمعه ، بل وللمجتمع العام .

وإذا كانت مباحث المصلحين من الفلاسفة وسواهم فيما كتبوا أحاطت بكل ما اهتدوا إليه من عيوب فى الخلق ، ومن توجيهات إلى إصلاحه ، وإذا كانوا غالبا على صواب فى كثير مما كتبوا وفيما نصحوا ، فلن يكون لهم ما للقرآن من كل ناحية ، ولن يسبروا الغور الذى يسبره القرآن ، فإن حديثهم — إيجابا كان أو سلبا — مستمد لدى الفلاسفة من التجارب ، ومن هدى العقول ، ومن تجاوب فكرة مع فكرة .

وذلك كله ـ وإن بلغ مبلغ الاستحسان ـ محدود فى نطاق الفكر البشرى .

والبحث الفكرى قد يطابق الزمن فى بعض مراحله ثم لا يساير الزمن بعد .

أما حديث القرآن عن الخلق فهو حديث العالم بالنفوس ونزعاتها ، وهو فى توجيهاته

يضرب الأمثلة من الواقع الذى تورط فيه النـاس ، وجرت أحـداثه على مسرح الحياة ، وكان له من الأثر قديما ما يجدر بنـا الاعتبار به ، فإن سنة الله فى خلقه لا تتبدل ، ضرورة أنها ليست وليدة التجارب ، وإنمـا هى أقدار علوية لا تدركها مواهبنا ، ولا تدفعها قوانا... ثم الفلاسفة المصلحون يمتدحون ما يمتدحون، ويعيبون ما يعيبون من الأخلاق، بالقياس إلى ما يعرفون من أضرار تنجم عن مساوئ الخلق ، أو منافع تقترن بمحاسنه ، وما أوتى الناس من العلم إلا قليلا .

ولكن القرآن أفسح من ذلك مجالا ، دون مقارنة أو تشبيه ، والقرآن لا يقف من إصلاح الأخلاق موقف القصص فحسب ، بل يرتب على الحسن والقبيح من أخلاق الناس وأعمالهم جزاء أخرويا ، ويفسح فى ترغيبهم وترهيبهم .

ويحبب إليهم الخير وإن قل ، ويباعدهم عن الشر وإن قل . فى الخير يقول : - إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - وفى الشر يقول : - كل نفس بمـا كسبت رهينة . ومن يعمـل مثقال ذرة شراً يره .

ووعده فى الخير وعد من لا يضن بالفضل يسبغه على حسنى الخلق وإن تجاوز كفاءهم أضعافا مضاعفة ، إذ الفضل بيده يؤتيه من يشاء .

ووعيده فى الشر إيعاد من يقدر على الإنجاز غير مزاحم فى سلطانه ، ولا مغلوب على أمره ، إذ الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ، وهو القاهر فوق عباده . .

٢ — وبعد هذا التمهيد نلتفت نحو الآية التى تخيرناها موضوعا لحديثنا اليوم . . ففيها ألوان من الخلق والمسالك يعيبها القرآن على أهلها ، ويرغب إلينا أن نتحاشاها لنسلم مما لم يسلموا منه ، ولا نكون معرضين لمـا استقبلوه فى أخراهم .

كان من أولئك : -

(١) أن ينزعوا إلى الشر . (٢) وأن يفعلوه فرحين به .

(٣) وأن يصدفوا عن الخير كراهية له . (٤) ولكنهم ينتحلون فعله ، ويلتمسون الثناء عليه زوراً .

وإذا كان النزوع إلى الشر ، واقتراف السيئات مع الناس ، مما يعاب خلقا ، أو يذم دينا ، فأنكى من ذلك وأقبح منه أن يكون المسيء شاعراً بنقيصته ، ولا يحاول الكمال بل ينتحله ، ويدأب على المخادعة ليغتصب الثناء ، ظانا أن هذا نصيب يكفى لاحتسابه من ذوى المروءات وأهل الخير . ولأن هذه المخادعة شين شائن فضح القرآن أمر المتخلقين بها ، وندد بهم فى أسلوب لاذع مزعج .

فأنت تراه فى تنديده يجمل الحديث فى مخازيهم فلا يذكرها تفصيلا ، وإنما يصفهم بنزعاتهم التى هى جنوحهم إلى الشر وفرحهم به ، ورغبتهم إلى المدح بما لم يفعلوا . ثم يصب عليهم غضبه ، ويقسو فى تهديدهم بالعذاب ، والعذاب الأليم .

وأنت تراه لم يوجه إليهم خطابه فى هذه الآية - لاتحسبن الذين الخ . ولم يفرضهم على مقربة ، ولا على مسمع من كلامه ، بل افترضهم غائبين لا يرغب فى هدايتهم ، ولا ترجى منهم مطاوعة .

فساق الحديث عنهم إلى رسوله ومن يصلح للخطاب من المستجيبين مساق التنصيص على معايبهم ، ومساق العبرة لمن ينصت إلى الدعوة ، وينتهز العبرة فيأخذ منها لنفسه . وساق الحديث عنهم مساق التصحيح لما يتوهمه الواهم فى شأن هؤلاء الفرحين بالسوء : من أن أمرهم قد لا يفحش ، وأن خطرهم قد لا يعظم ، فنهى النبى - صلوات الله عليه - ومن يستجيب له أن يخطر ببالهم ذلك الوهم ، أو يهون عندهم ذلك التخلق بما ورد فى الآية : —

« لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم »

وليس بلازم أن يكون النبى - صلوات الله عليه - قد احتسب لهم النجاة من العذاب حتى يحتاج إلى النهى الحاسم ، ولكن الله - تعالى - يبادر نبيه والمؤمنين بما يدفع ذلك الوهم عن خواطرهم قبل حصوله : مسارعة إلى تأديب المسلمين ، وتنزيها لهم عن تلك النقائص ، وتكميلا لتربيتهم ، وترغيبا لهم فى الترفع عن تلك الخصال التى أودت بأصحابها .

ولعل فى تكرار النهى ثانيا بقوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، وتكرار التهديد ثانيا للمسيئين بقوله : « ولهم عذاب أليم » أقول : لعل فى ذلك توكيداً لما نفحتنا به الآية الكريمة من آداب وتربية .

وكانت خصال أولئك المقبوحين بادية فى أمور منها : أن المنافقين كانوا يعتذرون عن الخروج إلى الغزو بأعذار مختلفة ، ثم يزعمون فى أنفسهم أنهم صادقون عند الرسول . ومنها : أن بعض اليهود كانوا يتوددون إلى المسلمين ، وكان النبى يسألهم عن أحكام فى كتبهم ، فيكتمون الحق لأنه يكون حجة عليهم ، ويجيبون بغيره ظانين أن أمرهم محجوب عن الرسول ، وأنهم مصدقون عنده فيما قالوا . ومنها : أن رؤساء اليهود كانوا يسألون علماءهم عن أوصاف الرسول العربى الذى تحدثت عنه التوراة ، وهى هى : أوصاف محمد بن عبد الله ، فكانوا يجيبون رؤساءهم بغير الحق ، وينفون عن محمد ما يعرفونه حقا فى كتبهم - فلما جاءهم ما عرفوا : كفروا به .

هذه نقائص كانت فاشية فى ذلك الزمن ، فصلحت كلها أن تكون سبب نزول الآية التى بين يدينا الآن والتى هى جانب من المنهج الإسلامى الخالد خلود الزمن . .

ونحن نرى فى مجتمعنا الحاضر صوراً لهذه المآسى الخلقية : فالكاذب ، والغاش ، والدساس ، والخائن ، والشحيح ، والحقود ، والظالم ، والفاسق . . وكل ذى نقيصة فى خلقه أو دينه ، يدأب على نقيصته ، ويغضب إذا وصفته بوصفه الحق ، ويود أن يذكره الناس بخير من وصفه ، وهذا إمعان فى القبح ، وإسراف فى الخداع ، لأن معرفة النقيصة كمعرفة الخطر فى مكان معين ، فهى تمكن من إصلاحه ، أو ترشد إلى تجنبه ، وتحمى الناس من الوقوع فيه ، ولكن محاولة التستر بالمدح الزائف تخفى عن الناس موطن الخطر ، وهذا أقرب السبل إلى البلاء بالمسىء والوقوع فى شره .

لذلك كان النفاق فى الدين شراً من الكفر ، وإن كان الكفر أسوأ السوء .

وكان المنافق أسوأ عذابا من الكافر ، لأن المنافق تحت ستاره أشد نكاية من الكافر السافر . وما النفاق فى الأخلاق إلا لون من ألوان النفاق فى الدين ، ولك أن تقول : إن الأخلاق مرآة صادقة فى تبيان ما خفى من قوة الدين .

وهذه إرشادات القرآن ، فهل من يستجيب ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



شهران لا ينقصان *

أكرم الشهور عند الله — أحب الأيام إلى الله — أعظم ليلة وأجل يوم — بشارة إكمال الدين — عدة رمضان فى عهد النبوة — مبنى الشريعة على الأمور الظاهرة — حكمة بالغة فى سد الذرائع .

عن أبى بكرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : شهران لا ينقصان ، شهرا عيد : رمضان وذو الحجة . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أكرم الشهور عند الله شهران : شهر رمضان ، وشهر ذى الحجة . جعلهما الله أعظم مواسم الخير ، وأجل مغانم البر ، وفضلهما على سائر الشهور تفضيلا ... جعلهما كليهما ميقاتين لركنين من أركان الإسلام : الصوم ، وحج البيت الحرام ؛ واصطفى من كل منهما ثلثا فضله على سائر الليالى ، والأيام :

فأما ثلث رمضان فهو العشر الأخير منه ، ولياليه أفضل ليالى العام كله ، وحسبك أنها شرفت بليلة القدر ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، وهى الليلة المباركة التى أنزل

(*) كتبنا فى هذا الحديث إجابة لرغبة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن ، وكيل الجامع الأزهر سابقا .

فيها القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وقد ندب النبي ﷺ أمته أن يلتمسوها فى الوتر من هذه الليالى العشر ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره ، ويجتهد فى هذا العشر الأخير منه ما لا يجتهد فى غيره ، وكان يعتكف فى مسجده هذا الثلث الأخير من كل رمضان ، فلما كان العام الذى انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى اعتكف ثلثيه : الثانى والثالث منه ...

وجعل الله لأمة محمد ﷺ ختام هذا الثلث الأخير عيداً كريما هو عيد الفطر ، فرض عليهم فيه أن يفطروا تحقيقاً لبشارة النبي ﷺ لمن صام رمضان إيمانا واحتسابا بأن له فرحتين يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه ، وما أجل الفرحة الأخرى وأعظمها ...

* * *

وأما ثلث ذى الحجة فهو العشر الأول منه ، وحسبك أن أيامه أحب الأيام إلى الله تعالى بشهادة الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام ـ يعنى أيام العشر ـ قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشىء !! وكفى هذه الأيام شرفا أن جعلها الله تعالى خلاصة الأشهر الحرم ، فيها موعد الهجرة إلى بيته ، والجهاد فى مرضاته ، وتعظيم شعائره وحرماته ، وفيها يوم النحر أعظم الأيام على الإطلاق ، كما أن ليلة القدر أعظم الليالى على الإطلاق ، وفيها يوم عرفة وهو يلى يوم النحر فى الفضل ، وقد صح أن صيامه يكفر ذنوب سنتين ، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه فى يوم عرفة ، وفيه يباهى الله ملائكته بأهل الموقف وقد جاءوا شعثا غبرا خاشعين لله ، راجين فضله ورضاه .

* * *

وإذا كان الله جلت آلاؤه قد أنعم على الأمة المحمدية بإنزال القرآن فى ليلة القدر ، فلقد أنعم عليها إذ بشرها بإكمال دينه ، وإتمام نعمته ، فى يوم عرفة . روى البخارى وغيره أن يهودياً جاء إلى عمر رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، آية تقرءونها فى كتابكم لو علينا

معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال : أى آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فقال عمر : إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم جمعة ونحن واقفون معه ، فأفحم اليهود عليهم لعنة الله ، بأن الله تعالى أنزلها فى عيدين لا فى عيد واحد [١] .

* * *

وإذا كان الله سبحانه قد تفضل على المؤمنين بعيد الفطر فى ختام العشر الأخير من شهر رمضان ، فقد تفضل عليهم بعيد النحر فى ختام العشر الأول من شهر ذى الحجة .

ولعظيم فضل هذه الأيام ذهب أكثر السلف والخلف إلى أنه تعالى أقسم بلياليها تشريفاً لها إذ قال : « والفجر ، وليال عشر » وقيل : إنها العشر الأخير من رمضان ، وقيل : هى العشر الأول من شهر الله المحرم .

وجملة القول أن الله اصطفى من شهور العام شهرى الصيام والحج ، واصطفى من الليالى أواخر الأول ، كما اصطفى من الأيام أوائل الآخر ، « وربك يخلق ما يشاء ويختار » [٢] .

* * *

هذا الفضل الثابت لهذين الشهرين الكريمين ، بشهادة المعصوم صلوات الله عليه ، لا يعتريه نقص ولا ضعف ، تمت عدة كل منهما معا ثلاثين يوما ، أو نقصت عدة كل منهما فكانت تسعة وعشرين يوما ، أو تمت عدة أحدهما دون عدة صاحبه .

وإذاً فمن ضعف التأويل أن يقال : إنهما لا ينقصان فى عدتهما معا ، فلا يكونان كلاهما تسعة وعشرين ، وأضعف من هذا وأسخف أن يقال : إنهما أو إن أحدهما ثلاثون دائماً ! فالحس يدفع هذا ويكذبه ! .

---

(١) كتبنا فى هذا الحديث بعنوان « عيد الدستور » فى ج ٨ م ٢٢ كما كتبنا فى « أحب الأيام إلى الله » فى ج ١٠ م ١٨ .

(٢) بسط هذا البحث ووفاه بما لم يسبق إليه صاحب « زاد المعاد » فى أوله ، فتزود منه .

ولقد صام رسول الله ﷺ تسع رمضانات ، إذ كان فرض الصيام فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة ، وكان صيامه تسعة وعشرين أكثر من صيامه ثلاثين ، حتى قيل إن صيامه ثلاثين كان عامين ليس غير . ويأبى الله - كعادته مع نبيه دائما - إلا أن يصدقه بالعمل قبل القول ، ليزيد الذين آمنوا إيمانا ، ويزيد الذين اهتدوا هدى .

ومن الهدى النبوى العملى ماجاء فى قصة « التحريم » المشهورة التى انتهت بحلفه ﷺ ألا يدخل على أزواجه شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها ، فقالت له : يا رسول الله ، إنك كنت أقسمت ألا تدخل علينا شهرا ! وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا !! فقال : الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة .

يقرر بهذا الصنيع صلوات الله وسلامه عليه أن أحكام الشريعة الغراء لاتتأثر ولا تتغير بنقص العدة فى غير هذين الشهرين العظيمين ، فأولى ألا تتأثر ولا تتغير فيهما وهما شهرا عيدين كريمين ، لاجرم أن ناقص العدة منهما وكاملها سواء فى الحج والصيام وسائر الأحكام ، كما هما سواء فى الفضل والجزاء والرضوان . . . « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

* * *

وثمّ حكمة جليلة أشار إليها صاحب « حجة الله البالغة » ولم أجد من تنبه لها سواه ... أشار رحمه الله إلى أن مبنى الشرائع على الأمور الظاهرة عند الأميين دون التعمق فى حساب النجوم وذلك قوله صلوات الله عليه : إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب ؛ وقوله صلوات الله عليه وسلامه : شهرا عيد لاينقصان ، قيل لاينقصان معا ، وقيل لايتفاوت أجر ثلاثين وتسعة وعشرين ، وهذا الأخير أقعد بقواعد الشرع ، كأنه سدّ أن يخطر ذلك فى قلب أحد . ومن المقاصد المهمة فى باب الصوم سد ذرائع التعمق ورد ما أحدثه المتعمقون ، فلقد كانت هذه الطاعة شائعة فى اليهود والنصارى ومتحنثى العرب [بل كانت ولا تزال شائعة فى الوثنيين والهنود إلى اليوم] فتعمقوا وابتدعوا وزادوا ونقصوا واتبعوا أهواءهم !! فحذر صلوات الله وسلامه عليه أمته أن يزيدوا أو يتكلفوا ، إذ بيّن أحسن بيان وأجمله بأن شهرى الصيام والحج - وكلاهما من العبادات العريقة فى القدم - كاملان فى الفضل والمثوبة وإن نقصت

عدتهما ، فليسا بحاجة إلى تكملة أو زيادة ، فإن التكملة من عند العباد غلو فى العبادة وافتراء على المعبود ، وذلك منشأ الضلال وسبيل النكال ، والعياذ بالله تعالى .

وهذه الإشارة التى أشار إليها صاحب « حجة الله البالغة » وتصرفنا فيها بالبسط والإيضاح - أثر من آثار بصره بالسنة وفقهه فى الدين ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . . .

* * *

ذلك ، ولا نرى حاجة إلى البحث فى رؤية الهلال ، وتحريها بمختلف الطرق ، فقد كفانا مؤنة هذا البحث علماء أجلاء ، وفى طليعتهم أستاذنا الأكبر فى أحاديثه بالجزء الماضى من هذه المجلة ، وحسبنا أن نقول كما قال فى هذه الأحاديث : « وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحرى الهلال برؤيته بالعين المجردة . . . رحمة بهم وتخفيفاً عليهم ، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة ميسورة » ومن الله العون والهداية . ؟

طه محمد الساكت

مفاخر العرب

قال خاتمة أدباء الأندلس لسان الدين بن الخطيب : العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، إنما فخرها عدو يُغلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذى فوق التراب تراب . وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، ، والأعراض تجلى وتصقل .

الأزهر فى ميدان جديد

غبطة وتقدير

استقر فى أذهان كثير من النـاس أن نشاط الأزهر العلمى ينحصر فى نطاق العلوم الدينية ، وليس له فى غيرها من فروع المعرفة مجـال . ولعل عذرهم فى ذلك أن الأزهر هو المعهد الدينى الذى يقوم على علوم الشريعة الإسلامية ، ويؤمه المسلمون فى سائر أنحاء العالم لينهلوا منه ويتزودوا من ثقافته الإسلامية . وهذه الفـكرة فى حاجة إلى التعديل ، فقد أدى الأزهر إلى جانب رسالته الدينية رسالات أدبية ولغوية وفلسفية يلمس العارفون أثرها ، ويقدرونها قدرها . وأرباب المعرفة وحملة الأقلام من رجال الأزهر قديما وحديثا ليسوا فى حاجة إلى التنبيه إليهم والتنويه بهم ؛ فهم معروفون بمآثرهم وآثارهم ، ومنهم رجال تعرفهم الجماعات العلمية بمصر وغيرها ، وتعرفهم الصحف وتقع على كواهلهم أعباؤها الأدبية ، ويعرفهم كبار الأدباء الذين تغمر الأسواق بمؤلفاتهم وتحقيقاتهم ، إلا أن من سوء الحظ أن تقضى الأحوال بإخفاء مواهبهم ، ويتشبع غيرهم بمجهوداتهم وأفكارهم .

ومع أن الأزهر شارك وما يزال يشارك فى النهضة الفـكرية دراسة وتأليفا ، فإن مما يؤاخذ به أنه لم يحاول التنويه بمجهوداته والإعلان عن أعماله كما يحاول غيره ، فخال بعض الناس أنه تخلى عن واجبه فيها وفر من ميدانها ، بل كاد يتهمه بعضهم بالعقم والجمود .

نعم إن مشاركة الأزهر كانت ضيقة النطـاق ، ولـكنها منذ نحو ربع قرن ، وبعد أن نهض الأزهر نهضته الأخيرة بفضل المصلحين من شيوخه ، وبعـد أن نقحت مناهجه واصطنع بعض وسائل التربية الحـديثة ، وبعد أن ازداد اتصاله بالهيئات العلمية فى مصر والخارج بواسطة بعثاته العلمية إلى بعض الأقطار الأوربية ، ازداد نشاطه وبرزت مشاركته ، وأخذ رجال الفـكر فى مصر وغيرها يحسون أثر هـذه المشاركة ، كما أخـذ نشاطه طريقه إلى فروع العلم المختلفة ، وكان لبعض رجاله أثر فى الترجمة والتأليف والنشر ، وتعرف دور النشر فى مصر كما تعرف الجماعات العلمية لرجال الأزهر كثيراً من الـكتب المؤلفة والمترجمة

فى الفلسفة والتاريخ واللغة والاجتماع ، وتعرف الجامعات فى مصر وغيرها من رجاله من شغلوا بعض المناصب العلمية فيها فنهضوا بأعبائها فى ثقة وجدارة .

ولقد كان فيما قرره المجمع اللغوى من إجازة العالم الأزهرى الأستاذ سيد صقر على تحقيقه العلمى لكتابى « مشكل القرآن » و « إعجاز القرآن » ، والعالم الأزهرى الأستاذ محمود الشرقاوى على كتابه « دراسة لتاريخ الجبرتى » دليل على اشتداد النشاط الأزهرى ، وامتداده إلى الألوان الثقافية المنوعة . وإن الأزهر ليغتبط أشد الاغتباط بهذا التقدير العلمى الجليل ، لا لأنه موجه إلى الأستاذين الفائزين ، بل لأنه موجه إلى الأزهر ، فإذا هنأنا الأستاذين من صميم قلوبنا بهذا الفوز العلمى ، فإن الأزهر فى مجموعه أولى منهما بتهانينا واغتباطنا ، لأن هذا النجاح مظهر من مظاهر حيويته ونهوضه ، قد يخرس ألسنة الغامزين له الجاحدين لفضله ، على أنا نلفت النظر إلى أن اقتحام الأستاذين لهذا الميدان ـ وهو ميدان النشاط الفكرى والتحقيق العلمى ـ ليس جديداً على الأزهر كما يتبادر إلى بعض الأذهان ، فرجال الأزهر فرسانه المعلمون من قديم ، وأكثر الكتب العلمية التى لها مكانها من التحقيق العلمى هى من عملهم الخالص أو مما لهم مشاركة فيه . والكتب التى لا تحمل طابع التحقيق الأزهرى لاتحظى من نفوس الدارسين بالثقة العلمية الكاملة لا فى مصر ولا فى غيرها .

والجديد فى عمل المجمع اللغوى هو الإعلان عن جهود الأزهر فى هذا الميدان .

وقد كنت أحب أن أقدم الأستاذين الفائزين بجوائز المجمع اللغوى إلى قراء مجلة الأزهر ، لولا أن الصداقة سبيل الظنة فى الحديث ، فمعذرة إليهما . على أنهما قد يكونان فى غنى عن التقديم ، فقد عرف القراء الأستاذ الشرقاوى صحفيا مرموقا فى جريدة البلاغ نحو خمسة عشر عاما ، كما عرفه قراء الأهرام بما تنشره له من مقالات فى مختلف الشئون . وقد عرف العلماء الأستاذ سيد صقر بتحقيقه العلمى فى المجلات العلمية فى مصر وغيرها ، وبنشاطه الدائب فى الميدان الفكرى ، وبمشاركة الجماعات العلمية فى النشر والترجمة والتأليف .

وبعد ـــ فللأزهر وللأستاذين خالص تهانينا وموفور تقديرنا ؟

أبو الوفا المراغى

مشاكلنا العلمية

كلمة حكيمة لسيدنا على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — يجب أن تكون دائماً على ألسنتنا و فى قلوبنا : « علموا أبناءكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم » ، وإذا كانت حاجة الأبناء على عهد سيدنا على إلى التعليم الذى يناسب زمانهم ، فإن حاجة الأبناء - الآن وفى كل جيل - إلى ما يناسب زمانهم من أنواع المعارف .

من هذه النقطة الواضحة البسيطة يجب أن نبتدئ ، ويجب أن نفكر ، ويجب أن نعمل ، نبتدئ عملنا العلمى ، ونفكر فى مستقبل أبنائنا ، ونعمل على أن نساير الزمن الذى نعيش فيه ، وإذا آمنا بأن هذا هو الصواب ، قلَّ بيننا الخلاف ، وأصبحنا على بينة من أمرنا .

ولا شك أننا نشعر بركود علمى فى محيطنا الأزهرى ، ونحس بفراغ هائل ، ذلك أن الدراسة عندنا لا تزال كما كانت عليه فى حلقات البصرة والكوفة ، وفى مساجد بغداد ودمشق والقاهرة منذ ألف سنة ، ولا يزال أكثر علمائنا يدورون فى هذا المحيط ، يحفظون ويلقنون طلابهم ما حفظوا ، ولا يشعرون أو لا يريدون أن يشعروا أن الدنيا حواليهم تدور ، وأن المطابع تلد كل يوم جديدا فى الفن والعلم والأدب ، وهذا لا يعنى أن روح العصر لا تجد لها مكانا بيننا ، فإن فينا بحمد الله خيرا ، ولكن يعنى أن الطابع العام فى الدراسة هو التبعية الكاملة للدراسة والتأليف فى تلك العصور البعيدة .

والمشكلة الخالدة أننا نجد قوما مسرفين فى تمجيد الجديد ، وتنقص كل قديم ؛ ونجد بجانبهم قوما مغالين فى تقديس القديم ، وتنقص كل جديد ، وقديما قال الجاحظ : إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه لا يريد أن يفلح ، وكان يرى أن لذلك (مضرة شديدة ، وثمرة مرة) . ذلك أن هذه الكلمة لو استقرت فى أذهان العلماء لما كان لها صدى إلا اختلال العلم ، واضطراب المعارف ، ولذلك كان الشيخ عبد القادر الجرجانى يرى أن هذه الكلمة وأشباهها سبب البلاء ، وقد جهد جهده فى كتابته يحذر من التواكل العلمى ، ويدعو إلى عدم الوقوف عندما قال السابقون ، وعنده أن العلم كمعدن التبر ،

لا يمنع استخراج السابق منه الشيء الكثير ، أن يطلب فيه اللاحق ، وأن يأخذ منه قدرا ، مهما كان قليلا .

والعلم لا يتقدم بالإسراف فى الرأى الذى يرتئيه العالم ، فهو لا ينتفع بتنقص القدماء ، وبخسهم حقهم ، كما لا ينتفع بالتنكر لكل جديد ، وما أظن واحداً من هذين عمل العالم المخاص ، فلقد رأيت السابقين ـ حين يريدون أن يضيفوا إلى آثار أسلافهم شيئا ، بل حين يريدون أن ينبهوا إلى أخطائهم ـ يقدمون بين يدى ذلك الثناء عليهم ، وينفون أن يكونوا قصدوا إلى شىء من الطعن عليهم ، ومن ذلك قول صاحب القاموس المحيط فى مقدمة ديوانه : (ونبهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهرى خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ، ولا قاصد بذلك إزراء عليه) وكذلك قال السكاكى حين وضع للبلاغة قواعد ، ورتب لها شواهد ، فإنه أثنى على جهود السابقين الذين (فعلوا ما وفت به القدرة) ـ كما يقول ـ ولا أتردد أن أقول : إن هؤلاء الذين لا يفتأون يغضون من شأن الأسلاف لا يريدون أن يفلحوا بل لا يريدون أن يجددوا ، كما أقول : إن أولئك الذين يدافعون بالحق وبالباطل عن كل شىء قديم وصل إلينا ، ويحجرون على العقول ، لا يريدون أن يفلحوا ـ كما يقول الجاحظ ـ بل لا يريدون أن يشعروا الناس أنهم أحياء ! .

ومن المؤسف ـ حقا ـ أن نجد بيننا من كل فريق أقواما ، فنرى من لا يزال يعتقد أنه ليس بعد ما قال الأقدمون قول ، ولا يمتدحون جديداً ، بل لا يخلون جديداً من عيب وذم ، وإذا حدثتهم عن بحث جديد ، أو عن فكرة جديدة . قالوا لك : جنبونا ترهاتكم ، ومن تورع منهم يقول : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك . وهذه العقيدة عندهم حرمتهم وحرمت العلم من خير كثير ، فإنها صرفتهم عن النظر فى شىء مما يقوله الآخرون ، وكان واجب العلم والرأى يقتضيهم أن ينظروا فيما يقوله الناس فربما وجدوا فيه ما يفيد .

كما أننا نجد من فتن بالجديد كل الفتنة ، فهو يعيب على القدماء بعلم وبغير علم ، وتراه فى سبيل الانتصار لرأيه ، أو للرأى الذى يشايعه ، يرتكب ما يجافى أبسط قواعد العلم .

فنحن ـ إذاً ـ فى حاجة إلى من يسلك الطريق الوسط ، ولن يكون هؤلاء إلا من بين

الذين تعمقوا فى الدراسات القديمة ، ونظروا فى الدراسات الحديثة ، واطلعوا عليها فى منابعها الأولى ، مع الحيدة التامة والبعد عن التشيع . وأرى أن خير من يصلح لهـــذه المهمة هم الأزهريون ، ولـكن على شريطة أن يجيدوا لغة أجنبية أو أكثر ، وأن يدرسوا بجد وإخلاص ، ولذلك أعتبر ما اعتزمه الأزهر من إدخال اللغات الأجنبية بين دراساته من أقوى الخطوات فى نهضة الدراسات الإسلامية والعربية ، ولـكن لا ينبغى أن نـكتفى بأن نعلم الطالب مبادىء أو قريباً منها ، بل لابد أن نضع فى بعض المراحل منهجا يهيىء لعدد غير قليل من الطلاب إجادة لغة أو أكثر ، كما لا بد أن نظل نحثهم ـ ما دمنا مؤمنين بفائدة هـذا الدرس ـ على الاستزادة والتعمق .

وشىء آخر على أكبر جانب من الأهمية ، هو التوسع فى إيفاد البعوث الدراسية إلى الممالك الأخرى ، فما أظن أحـداً ممن يعنيهم الأمر يجهل مدى ما يعود على العلم من خير نتيجة لهذا العلم ، وما أظن أحداً كذلك يجهل مقدار ما أداه رفاعـة الطهطاوى وزملاؤه الأبرار من فضل وخير لهذه النهضة الحديثة .

* * *

وأعود إلى دائرتنا الضيقة لنرى ما فيها مما يجب أن نعالجه ، وأول ذلك هذا العزوف الملحوظ عن مباحث الآخرين ، سواء فى قراءتنا الخـاصة ، أو فى مناهجنا الدراسية ، واكتفائنا بمـا بين أيدينا من كتب السابقين ، وقديمـاً قال العالم الزاهد أيوب السختيانى : « إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، جالس الناس » ، وطالمـا عادى بعضنا بعض الآراء ، حتى إذا اطلع عليها فى مصادرها ، وعرف ما اعتمد عليه أصحابها من حجج وبراهين ، آمن بها ، ودعا إليها . وقديماً أسرف السكاكى فى مخاصمة القول بأن إعجاز القرآن يدرك بالذوق ، ثم عاد فى نهاية المطاف ليقول : « طالمـا سحبنا الذيل فى إنكاره ، ثم رددنا الذيل ما ان ننـكره » .

ومن العجب أن كثيراً من المسائل تناولها القدامى أو المحدثون بالنقد ، ومع ذلك لا نزال نلقنها أبناءنا ، لأنها أثبتت فى الـكتب التقليدية التى فرض الزمن علينا دراستها ، بل العـكوف على دراستها ، ولا نرى محاولة جديدة للانتفاع بهذه النقود ، وليس حقاً أن كل ما توصل إليه المحدثون بعيد عن الصواب ، فلماذا لا ننظر فيما اهتدوا إليه ، وندخله فى دراساتنا .

ونحن نجهل الكثير مما يدور حولنا ، حتى أخص الأمور التى تتعلق بنا ، وإذا كنت مغالياً فى هذا ، فأنى أسأل : كم منا يعرف شيئاً يذكر عن البهائية ، والقاديانية ، وكم منا يعرف ما هو المذهب الوجودى ؟ بل كم منا يعرف شيئاً يذكر عن الأدب فى العراق ، وفى سوريا ، وفى لبنان . بل أقرب فأقول : كم من دارسى النحو العربى من يعرف شيئاً عن المجامع اللغوية ، وعن أعمالها فى الدراسات اللغوية . ألسنا نحاسب الطلاب على ما فى القاموس ، ألسنا حين نصحح دفاتر الإنشاء أو البحوث العلمية نجعل أكبر عمدتنا على ما قال ابن منظور أو الفيروز ابادى ؟ مع أن الدراسات اللغوية تقدمت تقدماً محسوساً ، وخطت خطوات واسعة ؛ وأجازت المجامع اللغوية فى مصر والعراق والشام كثيراً من الألفاظ والتراكيب التى لم تتعرض لها القواميس . ألم يكن من الخير ، بل من الواجب أن ندخل فى صلب دراستنا المنهجية عمل هذه المجامع ؟

* * *

لقد قال الزركشى عن العلوم : « أما الحديث والفقه فقد نضج واحترق ، وأما علم النحو والأصول فقد نضج وما احترق ، وأما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا احترق » وهذا القول لا يعجب الكثيرين ممن يرون آلاف المؤلفات فى النحو والأصول والبلاغة والتفسير ، ويرون أن كل هذه العلوم نضجت واحترقت وأكلت أيضاً ، ولكن الذين يؤمنون بالعقل البشرى ، ويرون أمامهم ما أنتج من مخترعات ، لا يستطيعون أن يوافقوا الزركشى ، إلا على ما قال فى التفسير والبلاغة ، ويرون أن كل العلوم فى حاجة متجددة إلى الحطب الجزل ، والنفخ القوى ، حتى تسير إلى النضج ؛ أما الاحتراق فدون ذلك آماد .

لقد كانت خطوة موفقة ـ ولا شك ـ ما ابتدأ فيه الأزهر من دراسة المعاملات الجديدة ، وبحثها على أضواء جديدة من حاجات المجتمع ، مع الاستنارة فيها بالأصول المقدسة فى الشريعة الإسلامية ، ولكن لا نرى إلا أن هذه خطوة يجب أن تتبعها خطوات ، فإن كثيراً من مسائل العلوم فى حاجة إلى هذه الروح لتفى بحاجات المجتمع .

ولنضرب مثلا ببعض العلوم ، وببعض المسائل :

فى العربية علم اسمه علم البديع ، تبجح عبد الله بن المعتز بأنه استخرج فنونه من كلام العرب ، وشمخ بأنفه قائلا : وما جمع قبلى فنون البديع أحد ، وظل العلماء بعده يستخرجون

هذه الفنون ، ونبغ فى ذلك ـ بصفة خاصة ـ العلماء المصريون ، حين أعوزهم أن يقولوا فى العلم شيئاً ذا بال ، وكان السابقون يرون أن البديع علم عرضى ، يفيد الكلام تحسينا زائداً ، إذا خلا من التكلف ، وكان أكثر أصحاب الذوق منهم يعيبون الإكثار من هذه الفنون ، لخطوا من أبى تمام ، ورفعوا من البحترى . فماذا صنعنا نحن ؟ رأينا من يجاهدون ليرفعوا من شأن البديع ، وليجعلوا التحسين فيه ذاتيا ، وآمنا نحن بذلك ، ففرضنا دراسة البديع على طلابنا ، مع أن النظرة العجلى ترينا أن مراعاة المحسنات البديعية قد أضرت ضرراً بليغاً بالآثار الأدبية ، فقد انصرف عبادها عن تجديد المعانى وابتكارها ، وتوضيح العبارة وانسجامها ، والاقتصاد الذى هو لب البلاغة ، إلى أمور شكلية ، ولا أشك أنك حين تجد كثرة البديع ، تفقد حرارة العاطفة ، وصدق التعبير ، وسمو المعنى .

* * *

وهذا النحو ، صرفنا النظر فى علله ، وشواذه ، وفلسفته ، وتخريج شواهده ، عن العمل على إقامة الألسنة ، وتهذيب القواعد ، وتيسير المسائل ، حتى أصبحت دراسة النحو أبعد الدراسات عن الغاية المرجوة منها . وعجيب ألا نستفيد شيئاً مما كتبه الباحثون فى هذا الحقل ، كأننا نعتقد أن كل ماقالوا زور وبهتان .

* * *

ومسألة واحدة فى علم البيان أسوقها كشاهد على تعبدنا بما قال القدماء ، دون تفكير جدى فى مدى الصواب أو الخطأ ، أو حتى دون انتفاع بما أشار بعضهم إليه من نظر صحيح .

وصل إلينا تعريف الكناية على هذه الصورة « لفظ أطلق ، وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الحقيقى » ، وطال الخلاف ، هل المراد لازم المعنى ، أو ملزومه ، فى حين أنك لو رحت تطبق هذا التعريف على أنواع الكناية لوجدت عجبا ، أليسوا يقولون « مع جواز إرادة المعنى الحقيقى » فهل يصدق هذا الكلام ؟ قالوا : إن بعض أنواع الكناية عن صفة ، ربما لايمكن فيه إرادة المعنى الحقيقى ، حتى قال ابن يعقوب المغربى ، وهذا أكثر من أن يحصى ، ثم لجأوا إلى الفلسفة ليصححوا التعريف .

ولكن هل يصدق ذلك على الكناية عن نسبة ؟ وهل يصدق عن الكناية عن ذات ؟ إنهم يمثلون — مثلا — للكناية عن نسبة ، بقولهم : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج ، وما إلى ذلك ، فهل يمكن فى هذه الأمثلة

وما أشبهها إرادة المعنى الحقيقى ، أو حتى جواز إرادته ؟ إنه من الواضح أن المعنى الحقيقى لا يمكن أن يراد ، وقد ذكر ابن السبكى فى كتابه عروس الأفراح أن الجرجانى يجعل هذا النوع من قبيل المجاز الإسنادى ، قال : وأنشد عليه قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو فى سجن الحجاج :

أصبح فى قيدك السماحة والمجـ ـد وفضل الصلاح والحسب

وجعل منه ، إلا أنه فى النفى : يبيت بمنجاة من اللوم بيتها .

قلت : وليت الشيخ عبد القاهر سلك هذا المسلك الذى توهمه ابن السبكى ، إذن لكان إلى الصواب أقرب ، ولكن عبد القاهر - كما هو واضح من كلامه فى دلائل الإعجاز [١] - يجعل ذلك من قبيل الكناية .

أما أمثلة الكناية عن ذات فظاهر أنها من قبيل ذكر الصفة ، وحذف الموصوف ، وقد صرح بذلك الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » حيث يقول : « أراد السفينة ، وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات ، فتنوب منابها ، وتؤدى مؤداها ، بحيث لا يفصل بينها وبينها فاصل ، ونحوه « ولكن قميصى مسرودة من حديد » . أراد ولكن قميصى درع ، وكذلك « ولو فى عيون النازيات باكرع » أراد ولو فى عيون الجراد ، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه ، ومثل ذلك فى المفصل .

قلت : ومثله مجامع الأضغان ، وبحيث يكون الرعب والأمن ، وما أشبه ذلك من أمثلتهم . ألست ترى بعد ذلك ، أن هذه الكلمة (مع جواز إرادة المعنى الحقيقى) لاموضع لها فى التعريف ؟ ولكننا من المغرمين بالمحافظة على الآثار !

وفى بعض كتب البلاغة أن من الكنايات : « إياكم وخضراء الدمن » كناية عن المرأة الحسناء فى منبت السوء ، وأن العرب يكنون عن المرأة بالنعجة ، وبالشاة ، وبالقارورة ،

---

[١] ٢٣٨ ط المنار الثانية .

وكل هـذا واضح أنه من قبيل الاستعارة ، والقرينة فيه ـ عادة ـ تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيق ، أليس خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنجشة حين وجده يحدو الإبل وعليها الهوادج فيها النساء ، بقوله : يا أنجشة رفقا بالقوارير ، قرينة على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يرد إلا النساء ، وقل مثل ذلك فى بقية الأمثلة .

وإذن فليست كل كناية بل ليس كثير من الكنايات مما يصدق عليه تعريفهم هذا ، بل لا يصدق التعريف إلا على نوع واحد من أنواع الكناية الثلاثة ، وفى بعض الأحايين ، فهل فكرنا منذ مئات السنين فى شىء من هـذا ؟ الجواب ـ مع الأسف ـ لا .

ولو رحت أعدد الأمثلة لضاق المجال ، ولكن خلاصة ما أريد أن أرمى إليه ، أن نعيد النظر فى موروثاتنا ، مع إيماننا بأن فيها خيرا كثيرا ، وأن نلتفت إلى ما جد فى عصرنا من بحوث ولو كان أصحابها من المشهورين عندنا بالتعصب على الأسلاف ، وأن نعلم أبناءنا العلم الذى يجعلهم قادرين على الخوض فى هذا المعترك الصاخب ، فإنهم كما يقول سيدنا على كرم الله وجهه (خلقوا لزمان غير زماننا) .

والويل للمتخلفين ؟

على العمارى

فى أوربا الاسلامية

أول مدرسة للطب أنشئت فى أوربا هى التى أنشأها أمير المؤمنين الناصر الأموى فى قرطبة ، وقد امتلأت اسبانيا بالمدارس لجميع فروع العلم على عهد العرب ، بل يقال إن جامعة مونبليه الطبية فى جنوب فرنسا كان الفضل فى تأسيسها للعرب .

وكان عبد الرحمن بن بدر ـ وزير الناصر ـ يكتب المراسيم والأوامر الرسمية فى داره ، ثم تطبع منها نسخ كثيرة بطريقة خاصة أتقنوها فى زمانهم ، وترسل إلى العمال مطبوعة ، وكان ذلك قبل غوتنبرغ الألمانى الذى يعزى إليه اختراع صناعة الطباعة .

على رسلكم ياقوم

إن من الظواهر العجيبة - التي يأسف لها كل غيور على دينه وعلى وطنه وعلى المثل الأخلاقية الفاضلة ، والتي هي في حاجة ملحة إلى شيء من الدرس والبحث من المتخصصين في الدراسات النفسية والاجتماعية والأخلاقية - أن يصاب المجتمع المصري والإسلامي بفئة من الناس لا ترعى للحق ذماما ، ولا تقيم لتكاليف الدين وزنا ، ولا تراعي الأخلاق الكريمة ومقومات الأمة عهدا ، ولا تراقب الله في الإبقاء على ما بين أفراد الأمة وطوائفها من رباط الحب والمودة والتعاطف والتراحم .

هذه الفئة من الناس إن بدا لها رأي فطير ، أو خطرت لها فكرة من الفكر الخاطئة ، أو استهواها مذهب من المذاهب الهدامة الفاسدة ، سارعت إلى إعلانه بشتى الوسائل والأساليب ، وركبت في سبيل ذلك كل صعب وذلول ، ولا عليها بعد هذا إن هدم حقاً أو أقام باطلا ، أو صادم عقيدة ثابتة ، أو كان فيه تجن على دين أو خلق فاضل ، أو كان فيه قضاء على مقومات الأمة وما ارتضته لنفسها من آداب أصيلة وما تواضعت عليه من عرف سليم .

ولو أن هذه الفئة من الناس تصدر فيما تكتب أو تذيع أو تنشر عن عقيدة وحق وخير لأمكن إرجاعها إلى جادة الحق والإنصاف ، ولكنها اتخذت إلهها هواها ، وامتلأت جنوبها بالغرور ، وعقولها بالشبهات ، فمن إرجاعها عن ضلالها البعيد إلى طريق الهدى والحق والاعتدال .

وأعجب من ذلك لو أن غيورا على دينه ووطنه ومقومات أمته أهاب بهم أن يعدلوا عن هذه الطرق الملتوية إلى طريق الرشاد والاستقامة ، وأن لا يلغوا من هذا المشرب الآسن الذي اعتادوا الولوغ فيه ، رموه بكل مقالة حمقاء ، وألصقوا به كل تهمة هو براء منها ، وحاولوا أن يسلخوه من دينه ووطنيته بل وإنسانيته .

هذه الفئة من الناس التي تشرع أقلامها لكل رأي غير نضيج وكل فكرة فائلة

وكل حماقة طائشة ، وتلبس لكل حالة لبوسها ، وتكون كأبى براقش كل يوم لونه يتغير ، هى أضر على الأمة من أعدائها ، ولن ينال العدو من الأمة ما ينال هؤلاء منها ، لأنهم يدسون السم الزعاف فى الدسم ، ويحتالون ما وسعتهم الحيلة على أن يلبسوا الباطل ثوب الحق والغواية ثوب الرشاد ، ويلبسون الناس مسوح المصلحين الناصحين ، فيغتر السذج بظواهرهم ويفتتنون بآرائهم .

إن على ولاة الامور أن يضربوا على أيدى هذه الفئة العابثة بدين الامة وأخلاقها ومقومات شخصيتها ، والتى تحاول جاهدة أن تفسد ما صلح من فطرة هذه الأمة ، وأن تلحد بها عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان . وإن على الشعب أن يكون على حذر من هذه الفئة التى ابتغت الشهرة من طريقها الدون ، طريق « خالف تعرف » ، وأن يميتها فى مهدها ، وأن يفوت عليها أغراضها ، ولا يلقى بالا لما تنفث من سموم وآراء ضارة ، فالشعوب كانت ولا تزال هى الموجهة للمجتمعات إلى ما ينبغى أن تكون عليه من صلاح واستقامة .

ومن عجيب أمر هذه الفئة أنها تأبى فى بعض ما تذهب إليه إلا أن تؤيد باطلها بآيات من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبشىء من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فتحرف فى آيات الله وفى أحاديث رسوله ما شاء لها الهوى أن تحرف ، وتفهم الكلام العربى الفصيح بعقول وأذواق أعجمية ، فإذا ما بين لهم العلماء بالكتاب والسنة الخبيرون بأساليبها العارفون بالشريعة وقواعدها ومقاصدها المحمل الصحيح مدعما بالحجج والبراهين ، تصاموا إلا عن باطلهم ، ولووا رءوسهم إعراضاً وتكبراً ، وادعوا أنهم أعلم بالكتاب والسنة من رجالهما الذين أفنوا أعمارهم فى تفهمهما ، ورموا الناصحين لهم بالكهنوتية والحجر على العقول والجمود والرجعية ، إلى آخر ما تنضح به نفوسهم من ألفاظ دأبوا على تردادها .

لا لا ، ياقوم ، ماهكذا تورد ياسعد الإبل ، ولا هكذا يكون الحجاج وتناول النصوص الشرعية . وإذا كان لكل شخص أن يتكلم فيما لا يعلم ولا يحسن القول فيه ، ففيم كان التخصص فى العلوم والمعارف ، ولكل علم وفن أهله والعارفون به ، « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

لا أريد أن أسوق الأمثلة فذلك أمر يطول ، ولكنى سأذكر مثالا واحداً يتبين منه مدى فهم هؤلاء الكتاب للنصوص الشرعية .

* * *

كتبت كاتبة معروفة تدعى بغير بينة أن تعدد الزوجات فى الإسلام ممنوع ، وسمعت كاتبا معروفا فى ندوة إذاعية يقطع بأن التعدد محرم ، وحجتهما فى هذا أن الله سبحانه وتعالى قال فى صدر سورة النساء « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » ثم قال بعد ذلك فى السورة نفسها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » وخرجا من الآيتين بأن التعدد ممنوع ، لأن العدل غير ممكن ولا مستطاع . ومثل هذا الفهم الذى هو أقرب إلى العبث والهزل مما ننزه عنه كتاب الله ، وليت شعرى كيف يتفق مافهموه من الآيتين هو وقول الله تعالى : « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وما كان عليه السادة من خيار هذه الأمة من الصحابة ومن جاء بعدهم من تجويز التعدد والجمع - بالفعل - بين أكثر من واحدة ؟ فهل السلف الصالح كلهم كانوا مخطئين ، وهؤلاء هم المحقون ؟ !!!

والحق أن العدل فى الآية الأولى هو العدل فى النفقة والسكنى والبيتوتة ، وهو الذى ينبغى تحققه لمن رام التعدد ، وهو داخل فى نطاق الاستطاعة لامحالة . وأما العدل فى الآية الثانية فالمراد به العدل فى المحبة والميل القلبى ، ومثل ذلك غير مستطاع لأنه أمر غير اختيارى ، فلذا لم يكلفنا الله به . وهذا الذى ذكرناه هو الذى تدل عليه السنة القولية والعملية التى هى مبينة للقرآن وشارحة له ، وقد ثبت فيما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى الميل القلبى ، فكأن الله سبحانه يوصينا فى الآية الثانية أن لانسير وراء الحب القلبى والميل النفسى فنجور على إحدى النساء فيما يجب لها من نفقة وسكنى وبيتوتة ، فهذا هو التفسير الصحيح للآيتين .

* * *

وثالثة الأثافى أن تمتد هذه اللوثة إلى بعض أبناء الأزهر المعمور الذى سلخ من عمر الزمان مئات السنين وهو منارة الإسلام ، ومثابة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ،

والقائم على حفاظ الشريعة الغراء واللغة العربية لغة القرآن ، فنجدهم لايقومون بالأمانة التى استحفظوا عليها ، ويؤثرون رضاء الخلق على رضاء الحق ، فانزلق ذلك البعض إلى مزالق لايؤمن شرها ولا تحمد عقباها ، وقد حداهم إلى هذا الرغبة فى تحصيل الشهرة الكاذبة ، وأن تضفى عليهم الألقاب الجوفاء الفارغة ، كأن يقال عنهم إنهم مجددون وعصريون وغير جامدين ، إلى غير ذلك من الألقاب التى لاتستهوى إلا صغار النفوس ورقاق الدين .
ولو أنهم كانوا ذوى بصيرة لوقفوا عند معالم الحق ، ولأدركوا أن طلب الجاه من هذا السبيل ماهو إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، وأن هذه الألقاب التى يضفيها عليهم قوم لاحظ لهم من دين أو خلق أو علم أصيل هى إلى النبز أقرب منها إلى التعظيم .

* * *

يحسب هؤلاء عبرة وذكرى أن يعلموا أن إماما من أئمة السلف الصالح وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يبغض الشهرة ما استطاع ، ويحب أن يكون فى غمار الناس ، وكثيراً ما كان يتأفف مما ناله من الشهرة ويقول : « طوبى لمن أخمل الله عز وجل ذكره » ، وكان يرى أن الجاه العريض والسعادة الحقة إنما هما فى التقى والوقوف عند حدود الله والحرص على رضائه ولو سخط عليه الناس كلهم ، وأن لا تأخذه فى الحق لومة لائم . فماذا كان عاقبة هذا الإمام الجليل الذى كان يفر من الشهرة وهى تلاحقه ؟ لقد رفع الله سبحانه وتعالى شأنه ، وأعلى فى الأولين والآخرين ذكره ، وحظى بمنزلة لم تنلها الملوك ، ولا تزال مواقفه الخالدة فى محنته شذى يتضوع على كل لسان ، وذكرى مجيدة تتجدد على توالى العصور والأزمان .

* * *

يا أبناء الأزهر المعمور ، أنتم بمثابة النجوم التى يهتدى بها السارى فى ظلمات الحيرة والجهالة ، وإذا أعتم النجم فبماذا يهتدى السارى ؟ وأنتم الذين يستشفى الناس بآرائكم ، وإذا انحرفت الآراء واعتلت فبماذا يستشفى الناس ؟ وأنتم ملح المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وإذا فسد الملح فماذا يصلحه ؟ وقديماً قيل صنفان إن فسدا فسد الناس العلماء والأمراء ! ! ! وأنتم صمام الأمان الذى يق الأمة الإسلامية غوائل الأفكار الخاطئة والمذاهب الهدامة والآراء المبتسرة ؛ وإذا تخليتم عن مهمتكم سرى التحلل والفساد إلى هذه الأمة ونخر فى عظامها سوس الإباحية والاستهتار ؛ فكونوا كما كان أسلافكم الأماجد ، وقفوا فى هذه التيارات الجارفة بصلابة عقيدتكم ولا يضيركم أن يقال عنكم إنكم جامدون

ما دمتم تترسمون الهداية والحق ، فلئن كان الوقوف عند حدود الشريعة والانتصار للحق والاعتزاز بالفضائل جموداً فأحبب به من جمود ، وإن كان التحلل من الأديان ونبذ الحق ظهرياً والانحدار فى مهاوى الرذيلة تجديداً وتقدماً فما أبغضه من تجديد وتقدم !

* * *

يا أبناء الأزهر ؛ إن الكلمة من أحدكم قد يضل بها الألوف من الناس ، فلا تصدروا أحكامكم إلا عن حق وهدى وروية وتثبت ، ولئن كان فى الأمة فئة قليلة تنازع الأمر أهله ، وتتطاول عليكم بألسنة حداد ، وتحاول ما استطاعت أن تغض من شأنكم ولا تسمع لقولكم ، فإن جمهور الأمة لا يزال يعلق عليكم الآمال الكبار ، ولا يزال يحلكم من نفسه محل القدوة ، ولا يزال المسلمون فى كل صقع وقطر ينظرون إليكم على أنكم ورثة الأنبياء ونجوم الهداية ومصابيح الرشاد ، فراقبوا الله فيما تقولون وما تفعلون ، وأنتم خير من يعلم قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » رواه مسلم .

هذه كلمة قصدت بها التحذير والتذكير ، وصدق العلى العظيم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »

اللهم إنى قد بلغت . اللهم فاشهد ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

عواقب الانهماك فى طلب الدنيا

جاء فى متن الحديث المشروح تحت هذا العنوان بالجزء الماضى وفى شرحه « لم يبال الله فى أى أودية هلك » وصحتها أوديته .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه »
(قرآن كريم)

الى أين ??? شاطىء النجاة

(العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)
جوستاف لوبون

توفر للدين الإسلامى من الإمكانيات الروحية والمادية ما استطاع بها أن يصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المتناحرة ، ويكون من شتاتها جميعا قوة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هـذا الدين . والإسلام دين يربى معتنقيه التربية القويمة ، ويصوغهم على صفات الكمال الإنسانى ، ويهيئهم لمواجهة مشاكل الحياة ، ويمكنهم من معالجة الأمور بما يناسبها .

استقر الأمر للدولة الإسلامية بعد أن انتشر الإسلام فى الشرق والغرب ، ودخل أهل البلاد المفتوحة فى هذا الدين القويم ، فرجع المسلمون إلى عقولهم يستوحونها الحكمة والمعرفة ، وينطلقون بها فى ميادين البحث والعلم ، ويحلقون بها فى سماء النشاط الفكرى المادى والروحى ، فبحثوا فى العلوم الدينية والمعارف الإنسانية ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، فى جميع ما أنتجته العقول البشرية السابقة من كلدانيين وهنود ويونانيين وفرس وغيرهم .

وإذا بدأت حركة البحث الفكرى دينية على عهد النبى ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين فذلك أمر طبيعى اقتضته فطرة الوجود وسنة التدرج ، فالدين قد ملك على القـوم قلوبهم ومشاعرهم ، فهو سبب وحدتهم ، ومنبع نهضتهم ، وسر وجودهم .

وقد أقبل كبار الصحابة الذين وزعوا على الأمصار ومن تتلمذ عليهم من التابعين الذين دخلوا فى الإسلام من الشعوب المفتوحة على القرآن والحديث بالتفسير والشرح والتمحيص ، يدونون المعانى ، ويستنبطون أحكام ما يعرض لهم من معاملات اقتصادية ، ونظم سياسية ،

ومبادىء اجتماعية ، فى هذه الدولة المترامية الأطراف ، التى صاغت حضارتها فى إبداع على أكمل نظام .

وقد وسع الإسلام بأصوله الواضحة ، وقواعده السليمة ، وتعاليمه السمحة القويمة ، هذه الحركة الفكرية المتحررة من أغلال التقليد والتقييد ، ذلك لأن الإسلام يتسع لبحث الفكر ولا يضيق ذرعا بمبتكرات العلم ومبدعاته . كيف لا وهو الدين الذى أخذ بيد الفكر من مواطن الرعونة والغفلة والإهمال إلى أماكن الروية والعمل والاستبصار .

وإن دينا من أعظم مزاياه أن النص المقطوع به لا يتعارض قط مع العقل فى اتجاهه السليم.

وإن دينا لا يكتفى من معتنقيه بتصديق المقلد ، وإن دينا يرى أن الحكمة فى متناول الإنسان ، وأنها من نصيب البشر « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

إن دينا هذا شأنه لخليق أن يستمتع العقل فى ظلاله بالحرية الكاملة فى البحث والتفكير .

لذلك شق الإسلام طريقه إلى القلوب والعقول بالحجة والبرهان دون التجاء إلى السطوة والصولجان . فلا تجده يكلف الإنسان عقيدة من العقائد دون أن يتبعها الدليل الذى يأخذ عليه طريق المكابرة والعناد . فلا يسعه إلا التصديق والإذعان ، فكتاب الإسلام حين يلقى إليك بعقيدة التوحيد فى قوله : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (١) » يقرنها بالدليل مباشرة إذ يقول « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (٢) » .

ولو تتبعنا القرآن دستور الإسلام ، لوجدناه ينعى باللائمة المرة على من يهمل عقله ، ويعيش دون العناية بهذه الجوهرة الغالية ، وتلك الهبة الربانية السامية ، فقد أبرزه فى أبشع صورة إذ يقول « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٣) » ، « ومثل الذين

(١،٢) البقرة ١٦٣ ، ١٦٤ (٣) الانفال ٢٢

كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون [١] ، كما أوضح بالكثير من آياته شدة عنايته بالعقل وعظيم اهتمامه بشأنه . استمع معى إلى بعضها وتأمل ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون [٢] ، ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور [٣] ، ، أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور [٤] ، ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [٥] ، ، قل سيروا فى الأرض ثم انظروا [٦] ، ، أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء [٧] ، ، فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم [٨] ، ، فلينظر الإنسان مم خلق [٩] ، ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون [١٠] ، ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [١١] ، .

إن هذه العناية بالعقل لأن العقل قد بلغ أشده فى ظلال الإسلام ، واستوى على عرش الفكر ، وتمكن من زمام البحث ، فلم يعد طفلا يكتفى بالتلقينات ويقنع بالمسلمات . لذا جاء الإسلام مؤسسا دعائمه على العقل ، متمشيا فى تشريعاته مع الطور الفكرى الذى وصلت إليه الإنسانية فى عمرها المديد ، فقد بلغت الإنسانية منتهى النضج الفكرى ، ووافاها الإسلام عند الكمال ، فهو لذلك دين الإنسانية الكاملة .

ومهما ارتقت وسائل البحث العلمى ، ونظم الحياة المادية ، ومهما ابتدع العلم الحديث من عجائب وأحدث من مبتكرات ، فإن الإسلام لا يمكن أن يجافيها بل هو يشجع الباحثين

---

[١] البقرة ١٧١ . [٢] النحل ٧٨ . [٣] الملك ٣ . [٤] الحج ٤٦ . [٥] الأعراف ١٧٩ .
[٦] الأنعام ١١ . [٧] الأعراف ١٨٥ . [٨] عبس ٢٤ ـ ٣٢ . [٩] الطارق ٥ .
[١٠] المؤمنون ١٢ — ١٤ . [١١] العنكبوت ٤٣ .

على التفنن فى الابتكار والإتقان لما فيه خير الإنسانية ورفاهيتها - « علم الإنسان ما لم يعلم » « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » « ويخلق ما لا تعلمون » .

أقول لن يقف الإسلام مناهضا لحركة البحث ، أو عقبة كأداء فى سبيل الفكر ، كما وقفت الكنيسة فى ما ضيها أمام كثير من الحقائق والمخترعات .

فقد سجل التاريخ صوراً قاتمة من الكفاح المرير بين رجال الكنيسة وجمهرة المكتشفين والمخترعين وأتباع كل ، مما أوجد العقدة النفسية بين الدين والعلم ، وأرث نار العداوة بينهما . ولا زلنا نصطلى نارها ، ونحاول تهدئتها حتى الآن . وهاك بعض هذه الصور المفجعة للعبرة والمقارنة :

لم تكتف الكنيسة بالمقاومة القولية ، والمصاولة بالحجة والبرهان ، لانها تعلم أن قوتها ستنهار فى هذا الميدان . لذا لجأت إلى طريق القسوة والعنف ، وتفننت فى أنواع التعذيب والتنكيل فى النفس والمال والاهل والاتباع ، وأوقعت المحكمة المقدسة بين الناس فى أوربا من الرعب ما خيل لكل من يلمع فى رأسه شعاع من نور الفكر أو بصيص من خواطر البحث ، أن رسول الشؤم يترصده ، وأن السلاسل والاغلال أقرب إلى عنقه ويديه من ورود الفكرة العلمية إليه .

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها سنة ١٤٨١ - ١٥٠٨ م على ٣٤٠ أربعين وثلثمائة ألف نسمة باسم مقدسات المسيحية : منهم مائة ألف حرقوا بالنار أحياء - يقول أحد مؤرخى أوربا مصورا الحالة النفسية الهالعة فى ذلك العهد « يكاد يكون من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه » وحاربت الكنيسة كروية الارض ، وكشف أمريكا ، والحقن تحت الجلد ، وتخدير النساء عند الولادة ، وغير ذلك . والمؤلم أن تستند الكنيسة فى هذه المقاومة إلى نصوص من الكتب المقدسة - كأن الأديان إنما هى لعنة الإله على الإنسان ، وليست هداية الله للبشر يهدى بها من استنار بضوئها إلى تحقيق السعادة لنفسه ولبنى جنسه فى العاجلة والآجلة .

نكتفى بهذا الإجمال تاركين العقل الإنسانى فى غيابات سجون أوربا يرسف فى السلاسل والاغلال لنرى العقل الإنسانى فى ربوع الشرق وفى رحاب الإسلام ، وتحت ظلاله الوارفة ، وشمسه المشرقة .

ماذا وجد العقل فى الدين المحمدى ؟

وجد العقل فى دستور الإسلام منبها له من سباته العميق ، وحاثا إياه على العمل والتبصر، ومهيئاً له كل وسائل البحث والمعرفة . ولا يسعنى للبرهنة على هذه الحقيقة - بعد ما قدمت من آيات دستور الإسلام ، وما نعلمه من سنة رسول الإسلام وقيادته للحركة العلمية ، وحضه أتباعه على التزود من العلوم والمعارف - إلا أن أضع أمام ناظريك الحالة العلمية فى ربوع الإسلام وتحت راية القرآن ، فهى الميزان الصادق ، والفيصل القاطع فى هذا المقام ، لأن الحالة العلمية هى النتيجة الطبيعية لحرية البحث الفكرى .

ازدهرت العلوم المدنية ، وأخذت حظها من النضج والبحث الفكرى والتجريبى تحت راية الإسلام ، لا فرق فى معاملة الباحثين والمفكرين بين مسلم وغيره ، وأول من توجه إلى هذا الميدان أبو جعفر المنصور وأوصلها هارون الرشيد إلى أوربا المظلمة ، فلما كان المأمون لم يبق شىء من الكتب والأبحاث العلمية باللغات الاخرى : إغريقية أو فارسية ، سريانية أو هندية ، إلا وترجم إلى اللغة العربية ، وبهذا وضع العرب المعارف البشرية منذ نشأتها بلغتهم تحت أبصارهم وبصائرهم .

وأقبل العلماء على هذه العلوم بالشرح والتحليل ، والاستنباط والتأويل ، واجتازوا دور الفهم والتقليد سراعا إلى دور الابتكار والتجديد . فأنشأوا المدارس والمراصد ، والبيمارستانات ، وألفوا الكتب والموسوعات وأودعوها جهودهم الجبارة فى خدمة المدنية والعلم ، وقدر الباحثون دور علماء الإسلام فى سلم التطور الفكرى بأنه حلقة الاتصال بين القديم والحديث ، وكذب أن العرب حيلة على اليونان ، وإنما نظر المسلمون فى علوم اليونان فأكملوا الناقص منها ، وشذبوه من الأدران العالقة به ، وأخرجوا منه ومن غيره علما جديداً أنضجوه بعقليتهم الجبارة وفطرتهم العربية الإسلامية السليمة . فكتاب القانون الذى ألفه الرئيس ابن سينا كان شريعة الطب فى العالم طوال ستة قرون ، واستمر عمدة التدريس فى جامعات فرنسا وإيطاليا حتى منتصف القرن التاسع عشر . وهم أول من عين موضع إخراج الحصاة كآخر اكتشاف وصل إليه الطب الحديث . وما وصلوا إليه من معرفة فى الفلك والجبر والحساب ناطق بفضلهم ، فقد رصدوا الأفلاك وابتكروا آلات

الرصد . وقالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورها ولا تزال المصطلحات العربية في هذه العلوم حتى الآن ، وبحوثهم في الحيوان والنبات والكيمياء أصول هذه العلوم . وأما النواحي الفكرية الفلسفية (الميتافيزيقية) فإن علماء الإسلام فيها هم الأعلام الذين لايشق لهم غبار . وجدير بالذكر أن أبحاث ابن رشد أثارت ثائرة العالم المسيحي (الأوربي) آنذاك حيث كان غارقا في بحر الظلمات .

وما كان هذا الإنتاج المادي والروحي إلا لأن الإسلام أطلق لمعتنقيه العنان في هذه الأبحاث ، وشجعهم على الإجادة بما كافأهم من مكافآت مادية وأدبية .

وقد سجل التاريخ صوراً رائعة تنطق بمؤازرة الإسلام للعلم والنهوض به ، ورفع مكانة العلماء والعناية بشأنهم وتقدير جهودهم ، وما نبأنا التاريخ مرة واحدة أن الإسلام حارب حقيقة أو قاوم اختراعا جديداً .

كيف والإسلام دين العلم ، ورسول الإسلام يقول عنه القرآن « وقل رب زدني علما » ودستور الإسلام يسمو بمكانة العلماء في قوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وما رضي الإسلام بتشجيع معتنقيه فحسب وإنما وسع العلماء والباحثين من غير المسلمين كذلك . يقول المستر درابر « إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ، ورقوهم إلى أعلى المناصب في الدولة » .

فالإسلام دين لايعرف إلا الحق ، فهو يقدر العالم لعلمه دون اعتبار لنسب أو نشب أو دين أو جنس أو لغة ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها - يقول أحد خلفاء المسلمين : « العلماء هم صفوة الله من خلقه ، ونخبته من عباده ، لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل الفضائل الإنسانية . هم ضياء العالم ، ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية » هذا تقديره الأدبي للعلماء أما المكافآت المادية فقد كان يعطي أحدهم وزن مايترجم ذهبا .

وفي ظلال هذه الرعاية « أثمر العقل ثمراته التي حفلت بها الأرض في ظلال القرآن وتحت راية السنة المطهرة ، وخلف العلماء هذا التراث الخالد الذي نعتز به وتعتز به البشرية قاطبة » .

ويقول درابر « إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » .

من كل هذا نقرر فى وضوح أن الإسلام كدين ودولة معاً لم يعاد العلم ولم يحجر على الفكر . وإنما أطلق للعقل والبحث العنان ، وشجع العلماء والباحثين على الابتكار والإتقان ، فما جمع المجامع العلمية ، وما استعدى السلطة الزمنية على إخماد الحركة العلمية . وإنما بذلت الأموال ، وأغدقت الأعطيات على العلماء والباحثين .

فهل كان الدين آنذاك فى زوايا النسيان والإهمال ، أم كانت له الدولة والسلطان ، إن عصراً أنجب أئمة المسلمين المجتهدين والحكماء والعباقرة والمفكرين ، وكان من خلفائه من يغزو عاماً ويحج عاماً لايمكن إلا أن يكون الحق فيه صاحب القهر والسلطان .

فإذا وسع الدين الإسلامى فى تلك العصور هذه الحركة العلمية والفلسفية المتحررة فى المادة والروح فى المحسوسات والمعقولات ، وكان من نتاجه هذا التراث الضخم من المعارف الإنسانية ، فهل لا يستطيع الدين — وقد صاحب تلك العصور الخوالى واعتبر بتلك الحوادث على مر الدهور — أن يعيد سيرته الأولى فيتلاءم مع توأمه العلم ، ويتعاونا معاً على رفع مستوى البشرية ، وتحقيق أسباب السعادة المادية والروحية فى العاجلة والآجلة لأبنائها ، والرقى بهم إلى مواطن الطهر والكمال . هذا هو الظن بالإسلام فإنه شرعه الرحمن ، وما أنزله إلا رحمة للعالمين ، وتشريعه هو ذلك التشريع الرحب الفسيح الذى يتسع للناس جميعا مهما اختلفت لغاتهم ، وتباينت أصقاعهم ، وتفاوتت عاداتهم وتقاليدهم ، لأنه لا يكلف الإنسان إلا بما يطيق « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقد تضمن دستور الإسلام الأصول العامة والقواعد الشاملة التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأجناس ، وترك التفصيل والتطبيق لما يلائم الصالح العام لكل شعب فى عصر من الأعصار .

فالإسلام شريعة البشرية عامة ، نظم حياتها ووضع لها التشريعات القويمة وضعا بديعا متناسقاً ، فلا عداء ولا صراع ولا تفريق ولا تضارب بين المادة والروح ، ولا بين العلم والدين ، ولا عبادة للمال ولا إنكار لقيمته ، ولا تخريب للدنيا كما لا جحود للآخرة ، بل توافق وتعاون وانسجام . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين[1] » .

إن العلماء والمفكرين الإسلاميين قد ضربوا للعالم أصدق المثل العملية على هذا التعاون

---

[١] القصص ٧٧ .

بين العلم والدين ، ودونت أسفارهم مثلا رائعة للتضامن بين المادة والروح . وهاك مثلا طريفا ضربوه لإيضاح هذه الصلة :

« أعمى يحمل مقعدا ، يأويهما صاحب بستان ، ويبيح لهما أن يأكلا من ثماره ومشتهياته دون العبث بمحتوياته ، تحت مراقبة وإرشاد حارس البستان ، فإن أطاعا وامتثلا دامت لهما حياة الرغد فى البستان ، وإلا استحقا الطرد والحرمان . هذا الأعمى هو المادة ، والمقعد هو النفس (الروح) ، وحارس البستان هو العقل ، والبستان هو الدنيا ، وثماره طيبات الدنيا ومشتهياتها ، وصاحب البستان هو الخالق العظيم سبحانه وتعالى . وهم فى هذا يشيرون إلى أن المادة تستطيع أن تتعاون مع الروح فتنعم بثمرات الدنيا ومشتهياتها إذا هى استرشدت (العقل) وأطاعت الخالق (الدين) وبهذا تتحقق لها السعادة فى دنياها ، وتوفى جزاءها الكريم فى أخراها . أما إن أهملت المادة الروح وعصت الخالق ، وخرجت على أوامره (الدين) فقد تخبطت فى تصرفاتها ، وأغضبت خالقها ، وحق عليها الشقاء ، وسارت كالأعمى خرج على المقعد وغافل حارس البستان ، فصار يعيث فى البستان فسادا ، وهو لا يدرى أنفعا جلب لنفسه أم ضرا أصاب « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

وهكذا يتبين أمامنا ما ضربه أسلافنا من المثل العالية فى التضامن بين المادة والروح ، والتناصر بين العلم والدين . فهل نستطيع أن نضرب مثلا جديدة فى هذا السبيل ، دون تطاحن أو مروق ، فتنمحى تلكم الصرخات المدوية ، وتتلاشى هذه الصور القاتمة التى تهدد البشرية بالفناء والدمار .

إن السير فى طريق المادة والخضوع لسلطانها مود بالعالم إلى الشقاء والفناء ، وإن الأمم التى أسست حضارتها على أسباب المادة تحتل المظاهر المادية عندها جميع نواحى النشاط الإنسانى ، أما الأخلاق فمنزوية فى مكان مظلم من الحياة سحيق ، إن الفرد من رعاياها يعبد البنك ستة أيام فى الأسبوع وينطلق اليوم الباقى من حياته للانغماس فى الملذات والشهوات ، « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » . « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[1] » .

---

[١] الروم ٧

لهذا ننادى العقلاء وبناة الأمة والناهضين بالشعوب الإسلامية مبصرين ، أن انخلاع المسلمين عن تعاليم دينهم ، ومجافاتهم القيم الرفيعة التي أتى بها الإسلام ، وهجر الفضائل التي ورثتها البشرية ، ونبذ الآداب الخلقية السامية التي قررتها الفطر الإنسانية السليمة على مر الأجيال ، لا ينبغي أن تقام عليه مدنية المسلمين وحضارتهم في القرن العشرين ، بل يجب أن نحرص على مقدسات الإسلام .

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى   ونصنع مثل ما صنعوا

وكذب أن الدين مخدر للشعوب ومعوق للأمم عن النهوض ، فالإسلام قد أيقظ شعبا وأنهض أمة ، وأنشأ دولة وحضارة .

وأخيرا أقول : إن صوت الإسلام يدوى فى الآفاق ينادى أتباعه جميعا :

أيها الماديون جوسوا خلال المادة ، وتلصصوا بين خلاياها ، واخترقوا جدرانها ، وأميطوا اللثام عن خفاياها ، واهتكوا ستورها ، وابحثوا ما تهيأت لكم وسائل البحث ، وامتطوا الهواء وفتتوا الذرة وحطموها ، وأخرجوا للبشرية ما تستطيعون مما أبدع الخالق فى ملكوت السموات والأرض ، واستنيروا بهدى الروح ، واستضيئوا بضوء السماء ، وإياكم والتوجه بمخترعاتكم إلى إيذاء البشرية وضررها ، بل إلى ما ينفع الإنسانية ويهجها « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [1] » .

أيها الروحانيون ، يا سدنة الأخلاق ، ويا دعاة الفضيلة ، ويا عشاق المثل العليا ، ابذلوا الجهد ، وأنيروا السبيل ، وأحيوا القول بالعمل ، كونوا مثلا حية عملية لما تقولون ، فقول بلا عمل شجرة بلا ثمر « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » . خذوا من الحياة المادية بنصيبكم ، واقتدوا بنبيكم عليه الصلاة والسلام ، فهذا دستور الإسلام « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون [2] » .

إنكم إن أجبتم جميعا الدعاء ، ولبيتم النداء ، تحقق لكم وعد السماء ، نصر من الله وحسن الجزاء ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ؟

محمد أبو المكارم
الواعظ العام

---

[١] الزلزلة ٨،٧   [٢] التوبة ١٠٥

في ميـــــدان النقد

يغلب على النقد الضحل المبتسر فى العصر الأخير صبغتان : الأولى هى الإفراط فى التقريظ ، والأخرى هى الإفراط فى التجريح ، وبين هاتين الصبغتين الجائرتين يضيع النقد البصير القاصد الحكيم ... هذا شخص يتناول كتاباً لصديق فيكيل له الثناء كيلا ، وذاك آخر يتناول كتاباً لخصم أو عدو ، فيحرص على اتهامه بالحق والباطل ، وتتعامى عيناه عن الحسنات وتبرعان فى استنباط السيئات ، وقديما قال شاعرنا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　كما أن عين السخط تبدى المساويا

والدارس لتراثنا الأدبى لايرى كثيراً ذلك النقد الموضوعى المنصف ، الذى يتناول الأثر العلمى أو الأدبى بالدرس والتحليل ، فيقول ماله وما عليه ، من غير أن يجعل للذاتية أو العاطفة أو الهوى أو الصداقة أو العداوة مدخلا فى منهجه أو عرضه أو حكمه ؛ بينما يرى عشرات أو مئات من المقالات التى أملاها الود الضالع أو الغيظ الجامح ، فإذا هى « تعميمات فضفاضة » أو « كليات واسعة » فى باب المجاملة أو باب التجريح .

ومن واجب العلماء والأدباء والناقدين أن يتواصوا بالأسلوب العلمى الموضوعى المجرد حين يصفون الآثار العلمية أو يحكمون عليها ، حتى يصير الأثر النقدى أثراً أدبياً أو فنياً ، تلذ قراءته وتعزز فائدته ، بما فيه من أفكار وآراء ونظرات ؛ وأن يتزاجروا عن النقد المجامل أو المتحامل ، فإنه إن دل على شىء فإنما يدل على نضوب الذهن وفراغ الفؤاد ، اللهم إلا من هوى مستبد أو حقد جموح ، وحسبنا ما ابتلينا به فى باب النقد من تلك الأحكام العامة العائمة التى استعلن أمرها فى مثل يتيمة الدهر وسلافة العصر وخلاصة الأثر والذخيرة والخريدة وقلائد العقيان ، وذلك فيما يختص بأوصاف الشعراء والأدباء .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته للناقد العالم الأستاذ على العمارى فى مجلة « الأزهر » الزهراء من نقد لكتابى « القصاص فى الإسلام » ، فقد حاول فى هذا النقد - كما يبدو - أن يكون موضوعيا ، وقد أشعرنا أنه يريد أن يقول ما للكتاب وما عليه ؛ وإذا كان العمل ما لم يوافق الرغبة على طول الطريق ، فحسب المرء رغبته ومحاولته ، و« إنما الأعمال بالنيات»

وهو من غير شك محمود على نيته الطيبة ، ومشكور على ما ساق فى الكتاب وصاحبه من تقدير وتكريم .

لكن الحقيقة بنت البحث ، وهو قد أثار مسائل يحتاج فيها إلى المراجعة ، لاحبا فى المراجعة ، ولا حرصا على الغلبة ، ولكنه الوفاء للحق ، وهو قبل رضا الزميل .

عاب الناقد علىّ وعلى فقيد العربية والإسلام المرحوم الرافعى ـ وأكرم بها من مشاركة ! ـ تعليلنا لاختيار كلمة « القصاص » فى الدلالة على الانتصاف الواجب من القاتل ، ورأى أن الفوارق اللغوية هى التى تؤدى إلى اختيار كلمة القصاص ؛ ولولا علمى باستقامة الناقد لحسبت ذلك منه مغالطة ، إذ قد شغلت من الكتاب ست صفحات [1] فى تبيان تلك المعانى اللغوية الكثيرة لكلمات « الثأر والقتل والقصاص » ، وإيضاح الفروق بينها ، ثم عقبت قائلا :

« ومن هذا نرى أن المعنى الأصلى لكلمة (القصاص) هو المساواة والتعادل ، ولذلك كانت هذه الكلمة أحسن الكلمات الثلاث للاستعمال فى موضوعنا هذا الذى نتعرض له ؛ فلا يحسن أن نقول (الثأر) ، لأن الثأر يذكر بالدم والعداوة والأحقاد والإسراف . ولا يحسن أن نقول (القتل) لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن ، بل نقول (القصاص) لأنه مساواة وعدل وإنصاف » [2] .

والمشاهد أن كثيرين يذكرون كلمة « الثأر » ويريدون بها القصاص ، وأن كثيرين يذكرون كلمة « القتل » ويريدون بها أيضاً القصاص ، فكان لابد للمؤلف من أن يبين الخطأ اللغوى والاستعمالى فى هذا المجال ، لينتهى بما يجب لغوياً وبيانياً وهو إيثار كلمة « القصاص » .

وقد تعرضت لتفسير قوله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » ، وذكرت فيها ثلاثة تفسيرات ، ولكن الناقد لم يرقه أحدها ، وهو الذى صورته بالعبارة التالية :

---

(١) كتاب القصاص فى الاسلام ص ١٣ — ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

« إن المقتول ظلما لا يذهب دمه هدراً ، بل أعطينا ولى دمه النصرة عن طريق السلطان الشرعى للاقتصاص من القاتل ، فواجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف فى هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة ، حتى لا يناله ذلك العقاب الأليم ؛ وهناك قراءة تؤيد ذلك ، وهى : (فلا تسرف) أى : أيها القاتل لا تسرف فى القتل ، ولا تقدم عليه بهذه الجرأة المشاهدة — فيكون ذلك نهيا عن القتل ابتداء — لأننا جعلنا لورثة من تقتله أيها القاتل المعتدى سلطانا رادعا بالغا هو القصاص ، ولأنه كان منصورا بمعونة السلطان ومساعدة جماعة المسلمين ».

ويعلق الناقد على هذا التفسير بقوله : « وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم » ونحن لا ندرى لماذا لا يتفق هذا مع النص الفصيح ؟ . وما المانع منه والكلام معه واضح جميل المعنى ، وقراءة (فلا تسرف) قراءة صحيحة ، قبلها كرام المفسرين واحتجوا بها ، وذكروا وجه المعنى فى الآية عليها مع ما ذكروا من وجوه ، ولا يبعد أن يكون هناك من اختار هذا الوجه أو اقتصر عليه ؟ ! ... وماذا نفعل ولا يمكن تفسير الآية على هذه القراءة إلا بهذا ؟ .

ثم إن المعنى على هذا الوجه بديع ، والتعبير معه لا خلل فيه ولا اضطراب ، بل فيه تنويع وتكثير ... وكأن الله تعالى يقول — وهو أعلم بمراده — : من قتل مظلوما فقد شرعنا للطالب بدمه نصرة وقوة ، فاحذر أيها القاتل ، ولا تسرف فى القتل ، وتذكر أن من تريد قتله ليس ضعيفا ، بل هو منصور بقوة الإمام وقوة المسلمين من ورائه ...

ويتساءل الناقد عقب ذلك قائلا : « على أنى لا أدرى من أين جاءت النصرة بجماعة المسلمين » . وقد يقال له إن عدم درايته لا يمنع دراية سواه ؛ على أن « النصرة بالجماعة » حقيقة أولية شائعة الإدراك ؛ ألم يقل القرآن الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى » ؟ . ألم يقل الرسول العظيم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ؟ . ألم يأت الأثر الحكيم : « المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه » ؟ . ألم يذع المبدأ الاجتماعى القويم : « الفرد للمجموع والمجموع بالفرد » ؟ ! ... وما الأمة يا صاحبى ؟ . ومن أين يستمد الحاكم سلطته ، والقانون قوته ، والمنفذ قدرته ؟ .

الأمة مجموعة من الأفراد، فيهم ملكات ومواهب وطاقات وقدر، ولهم حقوق وعليهم واجبات، وهؤلاء الأفراد يصطلحون على مبادئ وقواعد، ويكلون تنفيذها إلى راع أو وال يعطونه من هيبتهم وسلطتهم وطاقتهم، فهو بهم يصول ويجول، وباختيارهم وتفويضهم يحكم ويفصل؛ وهل يقيم الوالى الحدود والقصاص، ويفصل فى الخصومات، ويأخذ الحقوق لأهلها، ويقف الباغين عن بغيهم إلا بنصرة هذه الجماعة (وهى الأمة) بسواعدها وأموالها وجيشها وشرطتها وقضاتها ومنفذى الأحكام فيها؟! ... وماذا يبقى للفرد — ولو كان واليا — من سلطان أو اقتدار إذا خذلته الجماعة؟!.

ويأخذ الناقد على الكتاب أنه يكثر من النقول أحيانا فى الموضوع الواحد، وهو يرى أن المسألة إذا كانت تحتاج إلى تدعيم وتأكيد فيمكن الاقتصار فيها على أوفى النصوص؛ وقد تكون هذه خطة جديدة للناقد يعمل بها أو يدعو إليها، ولكل امرئ فى مناهجه قسط من الحرية والاختيار، ولكن المتعارف عند الباحثين والعلماء أن المسائل التى تكون موضع شك أو خلاف أو اضطراب تحتاج إلى تتابع النصوص — تتابعا معقولا بطبيعة الحال — لأن تعدد الشواهد والأدلة مما يساعد على إزالة الشبهات، ويؤكد الحكم المراد، وفى بحوث السابقين واللاحقين أمثلة أكثر من أن يراد لها إحصاء.

ومع هذا كنت أود لو حدد الناقد تلك المواطن التى تعددت فيها النصوص - ولو بذكر الصفحات - حتى يمكننا متابعته فى نقده، وحتى نستفيد من رأيه إذا استقام، ووجدنا له مجال التلقى والتطبيق.

ويقول «فضيلة» الناقد: «وعندى أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد، حتى دعاه ذلك إلى أن يثبت خطبة ألقاها فى مسجد من المساجد فى يوم جمعة».

أى عيب فى ذلك يا (صاحب الفضيلة)؟ ... وأى تعارض أو تناقض بين البحث العلمى وبين كلمة تذكير فى صميم موضوع البحث العلمى تساق فى موطنها؟ إن بحثى فى كتابى عن القصاص بدليل اسمه (القصاص فى الإسلام) والخطبة التى تشير إليها موضوعها القصاص، وهدفها تعليم الناس أن يقتصروا على الاقتصاص العادل فى دنياهم، وأن لا يطغوا أو يتجاوزوا الحدود، أو يأخذوا بريئا بذنب مجرم: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»؛ وفى هذه الخطبة نصوص من القرآن ومن السنة ومن التاريخ الإسلامى ومن أقوال الأئمة الأعلام تدور كلها حول القصاص وهو موضوع الكتاب؛ وفيها نظرات وخطرات اجتماعية

تدخل فى صميم (القصاص فى الإسلام) فأى تعارض إذن بين هذه الخطبة وبين البحث العلمى الذى كنت فيه ؟

معذرة فقد نسيت ! ... جاء التعارض من (الوعظ والإرشاد) الذى لا يرضيك ؛ ومعذرة إلى أهل الوعظ والإرشاد ! وماذا فى الوعظ والإرشاد من غضاضة يا صاحبى ؟ وهل المعرفة فى حقيقتها إلا وعظ وإرشاد ؟ وهل للبحث العلمى من ثمرة أكبر من ثمرة الإرشاد إلى الحق ، والتنبيه على الباطل ، والتحذير من الضلال ؛ سواء أكان هذا الضلال فى باب العبادة أم فى باب الصناعة أم فى باب التجارة أم فى أى باب من أبواب الحياة ؟

وأخيرا يعرض الناقد لما ذكرته فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... » من أنه نزل فى مقتل سيد الشهداء حمزة ، ويعلق الناقد على ذلك بقوله : « وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام ، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول » . ولو أننى اقتصرت على ذكر هذا السبب من أسباب النزول لكان للناقد الحق فى قوله ، ولكننى قلت ما نصه : (وروى فى سبب نزول الآيتين أكثر من رواية ، وتجد ذلك مبسوطا فى الجزء الثانى من التفاسير المطولة كالطبرى والآلوسى والقرطبى) . ثم ذكرت أربع روايات فى سبب النزول ، ولو ذكرتها بلا تعليق أو ترجيح لكان للناقد بعض الحق فى اعتراضه ؛ ولكنى بعد أن ذكرت مختلف الروايات قلت :

ومهما كان خصوص السبب الذى نزلت الآيتان عند قيامه ، ومهما قيل عنه من تأييد أو تفنيد ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء ، ولذلك يذهب البعض إلى تعليق سبب النزول بالمقصد العام لشريعة الإسلام ، وهو تغيير الأحكام الباطلة الجائرة التى كانت موجودة قبل الإسلام [1] » .

ومهما يكن من مدى الاختلاف فى الرأى بينى وبين الناقد الفاضل فإنه مشكور على تقديره وعنايته ، ولعلى لا أثقل حين أكرر الدعوة إلى نقد موضوعى متجرد لتجلية الحقائق وتصحيح القيم ، وظنى أن أمثال الناقد ممن لهم فكرهم وبيانهم قادرون على المضى فى هذه السبيل بعد أن استبانت حاجتنا إلى نقد التمحيص والتبصير ، وبعد أن طالت شقوتنا بألاعيب المجاملة وسهام التجريح : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) كتاب القصاص فى الاسلام ، ص ١٥٩ .

حول مقال

نظرات فى كتاب

المصلحة فى التشريع الاسلامى

لأخى الفاضل الاستاذ أحمد الشرباصى مكانة فى نفسى تجعلنى أتابع كل ما يكتبه فى تقدير له ، ومن ثم رحبت أيما ترحيب بمقاله الذى نشرته له مجلة « الأزهر » الغراء فى عدد رمضان الماضى ، وسرنى منه أنه اختار نقد كتاب لى موضوعا لهذا المقال ، ثم لم يدهشنى أنه خص بنقده تحقيق لرسالة الطوفى فى هذا الكتاب ؛ فأنا أعلم أنه مشغول منذ أعوام بتحقيق كتاب من خير كتب الطوفى هو « الإكسير فى قواعد التفسير » ، وأعلم أنه بحكم هذه الصحبة الطويلة للطوفى حريص على أن ينتصف له ، ويدافع عن كتبه .

ولما كنت أعلم أن بين أخى المحقق وبينى من الود ما يسمح لى حين يخطىء أن أقول له لقد أخطأت وأنا آمن غضبه وعتبه معا ، فإننى أهدى إليه هذه النظرات فى مقاله ، وأنا واثق من أنه سيتقبل بروح الباحث المنصف ما فيها من إنصاف للحقيقة ، ودفاع عن الحق .

١ ــ قال فضيلته إننى اعتبرت النسخ التى اعتمدت عليها فى نشر الرسالة أربعا ، مع أن الثالثة والرابعة منها مطبوعتان لا يسوغ الاعتماد عليهما . وأحب أن أطمئنه على أننى لم أعتمد على المطبوعتين فى تحقيق ، لا لأنهما مطبوعتان فحسب ، ولكن لأنهما تجريد من الرسالة ، فليستا فى عرف التحقيق العلمى أصلين ، ولا يمكن أن تعتبرا كذلك ، ولكى يتأكد له هذا ، ينبغى أن يرجع إلى نقدى لهما فى الكلمة التى قدمت بها التحقيق ، بعنوان « بين يدى النص » فسيجد أننى سجلت نواحى النقص فيهما ، وسيدرك أننى إنما أوردت فى مواطن من التحقيق بعض ما ورد فيهما للموازنة ، دون اعتماد عليهما .

٢ — وخطأ فضيلته كلمة (العوائد) جمعا للعادة، ثم تساءل لماذا لم أفرق بينها وبين العادات ؟ ولماذا لم أختر كلمة (العادات) لأنها هى المناسبة هناك ؟

ولى على هـذه التخطئة ملاحظتان جديرتان باهتمام ناقد باحث فى مثل علمه وفضله ، أولاهما أن كلمة (العوائد) هى التى وردت فى المخطوطتين [كما نبهت فى الهامش] ، ولهـذا وجب أن تبقى ما دام هناك وجه لتصحيحها ؛ بناء على ما قرره هو .

والثانية أن الـكلمة صحيحة بمعنى العادات ، فهى — مثلها — جمع للعادة ، وقـد ذكر ذلك صاحب المصباح المنير حيث قال : « والعادة معروفة ، وجمعها عاد وعادات وعوائد » .

٣ — وأخذ على فضيلته أننى لم أشرح كلمة (العترة) ، عندما قررت أن فى النسختين المطبوعتين بعـد دليل إجماع العترة زيادة هى (عند الشيعة) ، ثم أورد ما ذكره صاحب الأساس شرحا للـكلمة .

وكنت أحب أن يذكر أننى لم أكتب رسالتى لأوساط المثقفين ، ممن يحتاجون إلى شرح هذه الـكلمة ، وأن القيد الذى زاده القاسمى لا وجود له فى المخطوطتين ، فلا قيمة له ، وأن منهجى فى التحقيق — وقد بينته هناك — ليس فيه شرح لمفردات ، بدليل أننى لم أشرح كلمة واحدة فى النص كله ، مع أنه يقع فى نحو ثلاث ملازم ، ومع أن فيه كلمات كثيرة يحتاج أوساط المثقفين إلى شرحها .

٤ — ويقرر فضيلته أن اللغة مبنية فى صورها البليغة على الإيجاز والاختصار ، حين يأخذ على أننى زدت كلمة (أهل) على دليل إجماع المدينة ؛ ليصبح (إجماع أهل المدينة) . أما أنا فأستميح الصور البليغة فى اللغة عذرا ، إذا أصررت على إبقاء الـكلمة التى زدتها ، ولنفس السبب الذى ذكرته هناك ؛ ذلك أن هذا التعبير اصطلاح للأصوليين ، فليس من حق أحد — حتى الطوفى — أن يتصرف فيه ، ومن البدهيات أنه لا مشاحة فى الاصطلاح !

٥ — ويورد فضيلته من رسالة الطوفى كما حققتها هذه العبارة [ثم إن قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » يقتضى رعاية المصالح إثباتا ، والمفاسد نفيا ؛ إذ الضرر

هو المفسدة ، فإذا نفاها الشارع لزم إثبات النفع الذى هو المصلحة ؛ لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما ، ثم يأخذ على أنى زدت فيها كلمة (المفاسد) ، وأنى ذكّرت ضمير (نفاها) مع أنه يمكن رجعه إلى المصلحة .

والذى أحب أن أذكره هنا أن الطوفى هو الذى أورد العبارة هكذا ، وأن كلمة (المفاسد) واردة فى جميع النسخ ، وأن ضمير (نفاها) بقى فى الرسالة مؤنثا كما ورد فى النسخ ، وإن كنت قد رجحت فى الهامش تذكيره ، وأن هذا الضمير لا يمكن بحال أن يرجع إلى المصلحة ؛ لأن العبارة لا تصح إلا بإعادته إلى المفسدة ، أو إلى الضرر إذا كان مذكرا ... وليرجع فضيلته إذا شاء إلى هذا الموضع فى الرسالة ؛ فسيتأكد له كل هذا الذى ذكرته .

٦ — وفى النسخة (ا) من المخطوطتين ورد دليل (العرف) بلفظ (العرفة) ، فلما آثرت عليها ما ورد فى النسخة (ب) لأنه هو الصحيح — أخذ على فضيلة الناقد أنى خطأت كلمة (العرفة) وقال إن العرفة معناها المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفة ...

وأنا أقرر أنه لو وردت الكلمة بلفظ (العرفة) فى المخطوطتين معاً — لا فى واحدة فقط — لصححتها إلى كلمة (العرف) دون تردد ؛ إذ ورود العرفة فى اللغة بمعنى المعرفة لا يعنى تسويغ استعمالها بمعنى (العرف) ، وهى - بعد - اصطلاح لا مشاحة فيه ، فكيف نغيره ؟

٧ — ويأخذ على فضيلة الناقد أنى قد حذفت لام التعليل من قول الطوفى : « حجة الأولين أن الله عز وجل متصرف فى خلقه بالملك فلا يجب عليه شىء ، ولأن الإيجاب يستدعى موجبا أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل » . قائلا إن بقاء اللام ممكن على أن يكون الكلام من عطف الجمل المستقلة مع التصرف فى التعبير ...

وأنا أسأل فضيلته : أين هى الجملة المستقلة التى يمكن عطفها إذا بقيت اللام ؟ وأين هى الجملة المعطوف عليها ؟ وكيف يمكن تخريج العبارة على هذا النحو العجيب ؟

٨ — واختلفت المخطوطتان فى عبارة الطوفى هى : « وجه الاستدلال به أنه ورد بألفاظ متعددة بلغت درجة التواتر المعنوى » ، فوردت فى إحداهما [بلغ التواتر] ، ووردت

فى الاخرى [بمبلغ التواتر] ... ولما صححتها على النحو الذى أوردته هنا . أخذ على فضيلة الناقد هـذا التصحيح ، وزعم أن ما ورد فى النسخة الثانية هو ما جاء فى الاصل ، ثم قال إنها صحيحة بتقدير : وروايات متعددة هى كائنة بمبلغ التواتر ...

وأنا أعيذ أسلوب الطوفى أن يكون فيه عبارة [هى كائنة !] ، وأسجل أن الأصلين مختلفان فى هذا التعبير ، وأن ما آثرته هو ما يتفق وأسلوب مصطلح الحديث ...

٩ ـــ وورد حديث « يد الله مع الجماعة » بلفظ (على الجماعة) فى رسالة الطوفى ، فلما أبدلت مع بعلى فيه ـ نقد المحقق الفاضل هذا التصرف منى ، وزعم أن رواية الترمذى هى « يد الله على الجماعة » ، وأنها إحدى روايتين للطبرانى ... وقد رجعت إلى سنن الترمذى فإذا الحديث فيها كما صححته ، لا كما ذكره الصديق . ويستطيع فضيلته أن يرجع إلى ص ٢٥ ج ٢ من السنن ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ ... أما الطبرانى ، فإن له ثلاثة معاجم لم يذكر الصديق مكان الحـديث فيها ، وكم كنت ـ وما زلت ـ أرجو أن يفعل . على أن الترمذى أوثق منه ، وقد روى الحديث فى موضعين من الصفحة التى ذكرتها بمع لا بعلى .

١٠ ـــ ونقد الصديق تصحيحى لكلمة (السنة) فى عبارة [أما أحمد بن حنبل فكان أحفظ الناس للسنة] . وزعم أنها وردت فى الأصل (لسنة) ... وأنا أرى أن تصحيحها على النحو الذى صححتها به أقرب ؛ لأنه لا يحتاج إلى أكثر من وصل الألف باللام ، ثم لأنه أوضح وأدل على المراد به .

وبعد ، فلى عتب على الصديق الفاضل أنه جعلنى ناشرا ـ لا محققا ـ ثلاث عشرة مرة فى مقاله ، ثم تفضل فاعتبرنى مؤلفا عند ما أصلحت حـديث « يد الله مع الجمـاعة » ... ومعاذ الله أن أسىء بالصديق الفاضل النية فى كلمة أعتقد أن قلمه قد سبق بها ؛ فكم تتجنى الأقلام على حملتها ، وكم تنتصف لنفسها من الذين لا يرعونها ؟

مصطفى زيد
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

لغويات

جميل هو الوفاء ، نفوس عالية تلك التى يحملها الأُباة

يتردد هذان الأسلوبان فى هذه الايام ، وتتردد أساليب تقرب منهما ، وهى هنا تخريجهما على قواعد العربية .

١ — فالأسلوب الاول فيه الإضمار قبل الذكر . وهذا خلاف أصل الإضمار ، فحلقته أن يكون بعد الذكر . وقد جاء الخروج على هذا الأصل فى أحوال مدونة فى النحو . ويتخرج الأسلوب على أحد أوجه ثلاثة :

(ا) أن يكون ترتيب الجملة مقلوباً . وأصلها : الوفاء هو جميل . فالوفاء مبتدأ أول ، و (هو) مبتدأ ثان ، و (جميل) خبره ، والجملة خبر (الوفاء) . وسوغ الإضمار قبل الذكر تقدم المرجع فى الرتبة .

ويشبه هذا التخريج ماقيل فى بيت أبى العلاء المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجـ ب إلا من راغب فى ازدياد

فقد قيل : إن أصل الترتيب : الحياة كلها تعب . فالحياة مبتدأ أول ، و (كلها) مبتدأ ثان ، و (تعب) خبره . ولا يكون (كلها) توكيداً للحياة إذ كان التوكيد لا يتقدم على المؤكد - بفتح الكاف - .

(ب) وأن يكون (هو) مبتدأ ، و (الوفاء) بدل منه ، و (جميل) الخبر . والإضمار قبل الذكر فى هذا الموطن مما يقبل ويستساغ .

(ج) وأن يكون ترتيب الجملة فى الأصل: الوفاء جميل هو. فالوفاء مبتدأ ، و (جميل) خبره ، و (هو) توكيد للضمير المستتر فى (جميل) . وهذا كما فى قول جميل .

فإن يك جثمانى بأرض سواكم فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

فأجمع توكيد للضمير الذى كان فى الخبر ، فلما حذف الخبر انتقل إلى الظرف واستتر فيه .

وقد خرج على هذا الوجه قول أبي العلاء السابق : « تعب كلها الحياة » ، قيل : إن ترتيب الكلام : الحياة تعب كلها . فالحياة مبتدأ ، و (تعب) خبره ، و (كلها) توكيد للضمير المستكن فى (تعب) على تأويله بالوصف أى متعبة . على أن الكسائى والرمّانى وجماعة من النحويين يرون تحمل الجامد للضمير وإن لم يؤول بالوصف . ويرى الخوارزمى فى كتابته [1] على سقط الزند أن « كلها » بدل من الضمير المستكن فى (تعب) ، والأظهر أن يكون توكيدا كما ذكرت ، إذ الأكثر فى هذا اللفظ أن يكون تابعا ولا يستقل .

ومما يقرب من هذا الأسلوب الأول ماقرأته فى إحدى المجلات : « كم هو كبير الفرق بين الحياة التى كان يحياها الرسول ﷺ وصحابته فى دنياه المحدودة إذ ذاك ، وبين الحياة التى كان يحياها صحابته الأكرمون من بعده » . وهذا يجوز فيه أن يكون أصل التركيب : الفرق هو كبير . فالفرق مبتدأ أول ، وجملة (هو كبير) خبره . ويجوز أن يكون (هو) مبتدأ ، و (كبير) خبره ، و (الفرق) بدل من (هو) . وفى هذا الوجه الفصل بين البدل والمبدل منه . وهذا سائغ ، إذ كان الفصل بالخبر وهو غير أجنبي . ومما ورد فيه الفصل بين البدل والمبدل منه قوله تعالى : « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا » ، ففى بعض الأوجه أن (قليلا) بدل من (الليل) مع الفصل بالاستثناء .

٢ — والأسلوب الثانى لا ينكر النحوى منه شيئا . فليس فيه سوى تقديم الخبر ، وهذا شائع مستفيض .

ومما يقرب منه ما ورد فى شروح سقط الزند (الموضع السابق) منسوبا إلى جار الله :

يا حبذا الدنيا وطيب نسيمها ... لو دامت الدنيا لقائل حبذا

قالوا : أذىً هذه الحياة وكلهم ... لهج بأن يبقى له هذا الأذى

ومما يقرب منه أيضاً أن يقال : إنها قصيرة تلك الأيام التى قضيتها فى السرور . فيجوز أن تكون « تلك الأيام » بدلا من الضمير فى (إنها) وعلى ذلك يقرأ بنصب (الأيام) ، ويجوز أن يكون الضمير فى (إنها) ضمير القصة ، على حد قوله تعالى فى الآية ٩٧ من سورة الأنبياء (فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) وتكون جملة « قصيرة تلك الأيام » خبر ضمير القصة ، وفيها تقديم خبر المبتدأ كما فى الآية الكريمة .

---

(١) شروح سقط الزند ٩٧٨ .

أنعم بك وأكرم

أنكرت الصيغة الأولى من هذا المثال؛ إذ فيها صوغ التعجب من نعم وهو فعل جامد لا يأتى منه التعجب، ويقول الأشمونى فى شرحه للألفية فى الكلام على شروط ما يصاغ منه التعجب: «الثالث أن يكون متصرفا، فلا يبنيان من نحو نعم وبئس، وشذ ما أعساه وأعس به». على أنى رأيت فى شرح الرضى للكافية فى مبحث التعجب: «وقد يبنى من غير متصرف؛ نحو ما أنعم وما أبأس». وإذا ساغ ما أنعم فإنه يسوغ أنعم به؛ إذ الصيغتان سواء. ولم أر هذا لغير الرضى. وقد كان واسع الاطلاع على آثار النحويين، والظن أنه يئول فى هذا إلى سند وثيق.

ما أن قدم محمد حتى أقبل عليه المهنئون

سمعت كثيراً من المثقفين ينطقون مثل هذا الأسلوب بفتح همزة (أن)، والصواب كسرها، وذلك أنها إن النافية فى نحو قوله تعالى «إن أردنا إلا الحسنى»، وقوله: «إن الكافرون إلا فى غرور»، وقد جاءت بعد (ما) النافية مؤكدة لها كما يؤكد اللفظ بمرادفه. ومن موارد استعمالها قول النابغة فى اعتذاره للنعمان:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن أتيت بشىء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطى إلىّ يدى

وقد يقول قائل: ما تنكر أن تكون (أن) بفتح الهمزة هنا مزيدة على حد زيادتها فى قوله تعالى فى الآية ٩٦ من سورة يوسف «فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا»، والجواب: أن مواضع زيادة (أن) محدودة مدونة ليس هذا الموضع منها.

على ضوء ما تقدم من البيان يصح كذا

ابتدع هذا الأسلوب فى عصرنا. ورأيت بعض حذاق الكتاب يقولون: فى ضوء ما تقدم ... فتراهم آثروا التعدية بالأداة (فى) على (على). وكنت أستحسن هذا بأن الشأن فى الضوء أن يعلو ولا يعلى، فلا يجمل فيه حرف الاستعلاء. وقد شد من هذا

وو كده ماجاء في ذيل الأمالي ٩٩ : « دخل رجل على عمر بن فرج ، فتنصل إليه من ذنب له ، فرضى عنه ؛ فلما خرج قال : يا غلام خذ الشمعة بين يديه ، فقال : دعني أمش في ضوء رضاك ، فاستحسن ذلك منه وأمر له بصلة حسنة » .

ومما جاء فيه هذا الاستعمال قوله تعالى : يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه . فقوله : مشوا فيه أي في البرق ، ويقول أبو حيان في البحر المحيط : « أي مشوا في نوره ومطارح لمعانه » . فترى التعدية بفي لا بعلى .

الأطيان الزراعية

الطين : التراب المختلط بالماء . هذا معناه في اللغة ، واشتهر الطين في الأرض المزروعة ، لأنها تربة يمتزج بها الماء . فيقال : يملك فلان من الطين كذا فدانا . وهذا الاستعمال مولد لم يعرض له - فيما أعلم - مؤلفو المعاجم . وقد وجدت في طبقات الشافعية (٤ / ٢١٩) للتاج السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ في الكلام على زيد بن عبد الله البقاعي « وكانت معيشته من أطيان له باليمن ، فاتجر وحصل مالا كثيراً بالمقارضة » .

كابول = كابل

كابل قصبة أفغانستان . وتردد ذكرها هذه الأيام في صحف الأخبار . وجرى الكتاب على رسمها (كابول) فيقرؤها القارىء بمطل الضمة ومدها كما في محمود ومسعود . وجرى العرب على كتابتها (كابل) والنطق بالضمة مختلسة غير ممطولة . وقد أنشد ياقوت في معجم البلدان لفرعون بن عبد الرحمن التميمي :

وددت مخافة الحجاج أني ‌ ‌ بكابل في است شيطان رجيم

وأورد للأعشى وعنى بكابل أهلها :

ولقد شربت الخمر تر ‌ ‌ كض حولنا ترك وكابُل
كدم الذبيح غريبة ‌ ‌ مما يعتق أهل بابل

وقد أُتى كتاب العصر أنهم ينقلون اللفظ عن الكتابة الغربية ، والحركة عندهم ترسم بالحرف ، كما هو معروف [١] .

فقط أرجو منك كذا

الوارد فى الاستعمال أن تأتى « فقط » فى أعقاب الكلام ، فتقول : أرجو منك كذا فقط . ويقول الحريرى فى المقامة الثالثة والعشرين (الشعرية) :

من ذا الذى ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

والكلمة مركبة من الفاء وقط ، ويقول السعد فى المطول : « قط اسم فعل بمعنى انته . ويصدر كثيراً بالفاء تزيينا للفظ ، كأنه جزاء شرط محذوف أى إذا كان كذلك فانته عن الآخر » . وإذا كان الأمر فى هذه الفاء أنها تشبه فاء جواب الشرط فإنه لا يصح أن تكون فى صدر الكلام كما لا يتصدر الجواب المقرون بالفاء ، وهى أيضاً تشبه فى صورتها فاء العطف ، وهى لا بد أن يتقدمها المعطوف عليه ، وعلى هذا يبين خطأ المثال المسطور وهو مما شاع فى هذه الأيام .

وقد نزع بعض الباحثين فى جواز التقديم إلى منزع غير سديد . فقد زعم أن (فقط) أضحت أداة للحصر كإنما ، فيجوز تقديمها من هذه المشابهة ، وزعم مرة أخرى أنها تشبه خلا الاستثنائية ، وقد تقدمت فى قول الشاعر :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما   أعد عيالى شعبة من عيالكا

والأمر وراء ما زعم ، فإن وجود الفاء يوجب سبق كلام عليها ؟

محمد على النجار

---

(١) المجلة — ومن عواقب نقلهم بضاعتهم كلها عن الغرب كتابتهم اسم مدينة (دهلى) برسم (دلهى) ، وهى على ألسنة أهلها بلام مشددة تجاورها هاء تكاد تكون مختلسة لا يشعر السامع إن كانت قبل اللام أو بعدها ، فكان العلماء الاسلاميون من أهلها يكتبونها برسم (دهلى) والانجليز يرسمونها (دلهى) كما اختلفنا معهم فى رسم (الاسكندرية) فهم يرسمونها (الكسندريا) وبقدر ما يكون غريبا تسمية مسلمى الهند الاسكندرية باسمها الانجليزى فمن الغريب بقدر ذلك تسمية كتابنا مدينة (دهلى) باسمها الانجليزى . ترى أليس هذا من بقايا الاستعمار الثقافى ! ؟



الاجتهاد والتقليد

يثير البحث حول الاجتهاد والتقليد الفينة بعد الفينة فريق من الناس ظانين أن الاجتهاد والتقليد ليس لهما حدود ولا سور حصين يمنع تسلق كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط .

وقد يخيل أحيانا لبعض الناس أن معالم الاجتهاد قد زالت ، وأن طريقه قد انطمست ، فيخترع لنفسه طريقا يرسمها ، ويحددها بالاجتهاد ، ويبنى أحكامه عليها ، ومثل هـــذا - ولا شك - قد حاد عن الجادة ، وانحرف عن المحجة ، وتاه فى بيداء الوهم والخيال . فهو طبيب يعالج المرضى بلا علم ولا تجربة ، لم تتهيأ له الوسائل لمهمته ، ومثل هذا كالنبت الخبيث لا ينبت إلا فى الأرض الخبيثة ، فأولى للمجتمع الصالح والبيئات العلمية الحيـة أن تتخلص منه حتى تتق عدواه ، وتحفظ الناس من شروره وبلواه ، فهو ضرر لا نفع فيه ، وشر لا خير فيه ، وداء عضال لا دواء له ، وعبء ثقيل لا يستطاع حمله .

وقد آثرت لهذه المناسبة كشف طريق الاجتهاد ، وطريق التقليد ، وتبيين محل الاجتهاد ، ومتى يكون التقليد ومتى يصح ، وتفصيل شروط الاجتهاد والتقليد ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة من أمرهم ، ويسيرون على طريق سوى حتى لا تلعب بعقولهم الأهواء ولا تهزهم أعاصير الأدعياء .

ولما كان تفاوت الناس فى فهمهم وإدراكهم للأمور حالة طبيعية لا اختلاف فيها ولا امتراء ، لزم من ذلك تفاوتهم فى إدراك الأحكام ، والوقوف على مصادرها الشرعية ، فمنهم من يصل إلى الحـكم بعد بحث فى النصوص ومدلولاتها والألفاظ ومعانيها ، وهؤلاء يسمون المجتهدين ، ومنهم من لا يستطيع النظر فى النصـوص ، ولا الوصول إلى إدراك الأحكام ، وهؤلاء يسمون المقلدين . والاجتهاد فى اللغة مأخوذ من الجهد - بضم الجيم - وهو المشقة والطاقة ، وعند الأصوليين استفراغ الوسع فى طلب الظن بحكم من الأحكام الشرعية على وجه يدرك المجتهد من نفسه العجز عن المزيد عليه ، فالمجتهد هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى .

وليس خافيا على كل من مارس فنـا من الفنون ، أو علما من العلوم ، أو حرفة من الحرف ، أن وصف الممارس لهذه الأشياء بصفة منها لا يصل إليه إلا بعد طول معاناة

ومزاولة ، ورياضة طويلة لهذا الفن أو العلم ، ولا بد أن تحصل لصاحب الفن تجارب عديدة ، وتعرض له مشاكل كثيرة يحاول بنفسه وضع الحلول لها ، ويلم بكيفية معالجتها ، وهذا بعينه ما اشترطه الأصوليون فى المجتهد إذ قالوا : « لا بد للمجتهد من حصول ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها » .

ومن هذه الجملة القصيرة فى مبناها ، الغزيرة فى معناها الذى يوحى به الواقع والحس والمشاهدة ، يتبين أنه ليس من الحكمة ولا من العقل أن يذهب مريض يلتمس العلاج عند من لا يعرف الطب ولم تكن عنده ملكة به ، بل ليس من الحصافة أن يذهب من يبغى نوعا خاصاً من التجارة إلى من لا يحذقها ، ولم تكن هذه التجارة الخاصة ملكة له ، وهذه قضية قد فرغ منها عند أولى الأحلام والنهى ، وعند من يعرفون الأمور على وجوهها من أهل العلم والعرفان ، وضابط هذا كله ما أرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وبعد هذا نعود إلى الميدان الفسيح الذى يتبارى فيه المجتهدون ، وتنحصر فيه دائرة أبحاثهم وجولاتهم ، وذلك المجال هو الآن وبعد عصر النبوة : الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، والقياس . فهى محل البحث للعقول المستنيرة التى توفر لأهلها شرائط الاجتهاد ، وقد سلك هذا الطريق أقوام تمرست عقولهم ، وتدربت أفئدتهم على أساليب اللغة العربية ، وفهم أوضاعها ، ودلالات ألفاظها الصريحة والظاهرة ، والخفية ونحوها ، وألموا بالسنة الصحيحة إلماما يؤهلهم لدرجة الاجتهاد ، وأحاطوا بمواقع الإجماع إحاطة تكفهم عن البحث والاجتهاد فى الأحكام التى أجمع عليها ، ونضجت قرائحهم نضوجا يسمو بهم إلى إدراك الحكم فى تشريع الأحكام المنصوص عليها ، وإدراك الارتباط والجامع بين هذه الأحكام وغيرها من الحوادث التى لم ترد نصوص فيها ، ثم تفهم ما نص عليه فى ما لم ينص عليه ونقله إليه .

وبذلك المنهاج الواضح ، والدستور المحكم ، والضابط الشامل ، يظل معين استنباط الأحكام متدفقاً متفجراً لا ينضب ، ولا يجف ماء حياته ، ولا تفنى عناصر وجوده ، ولا يغلق بابه أمام من طرقه ، ولا يحرم من استعطاه . وقد تعرضت الكتب الأصولية لبسط شروط المجتهد ، وتحديد كل شرط منها ، حتى لا يتسابق فى ميدانه من يكبو جواد عقله ، ويخبو أوار فكره ، وتتبلد قريحته . وأول هذه الشروط وأحراها بالتدبر والإمعان ،

معرفة قدر صالح من اللغة يمكن المجتهد من فهم لغات العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية ، والألفاظ الاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعام ، والخاص ، والمطلق ، والمقيد ، والمجمل ، والمفصل ، ولحوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالتضمن ، وما يدل بالاستتباع ، والذى دعا الأصوليين إلى تحميل هذا الشرط كل هذه القيود ، وإحاطته بهذه السلسلة صعبة الحلقات إنما هو أخذ العدة ، واستيفاء الوسائل التى تشبه الآلة لكل صنعة من الصنائع ، وكل حرفة من الحرف ، أو مهنة من المهن ، وقد قيل: « من لم يحكم الآلة والأداة ، لم يصل إلى تمام الصنعة » ، ويذهب الغزالى فى مستصفاه إلى أن عدد آيات الأحكام التى يلزم المجتهد معرفتها خمسمائة آية ، ولم يشترط حفظها عن ظهر قلب بل يكفى أن يكون المجتهد عالما بمواضعها بحيث يستطيع أن يحصل على الآية التى يحتاج إليها فى وقت الحاجة ، وهذا الشرط يبدو هينا سهلا ، وعسيراً صعباً ، فى وقت واحد . فهو يبدو يسيراً سهلا لمن لم يحط خبراً بلغة العرب ، ولم ير بحارها الزاخرة ، وأمواجها المتلاطمة التى لا يستطيع أن يسير فوق لجتها إلا كل ربان ماهر خبير بمسالك البحار ، فمثل هذا الدخيل على لغة العرب مأفون العقل يخبط خبط العشواء لا يدرى مواضع أقدامه ، ولا مزالق أخطائه . ويبدو هذا الشرط عسيراً صعباً ، وفرساً شموساً لا يستطيع اعتلاءه إلا كل فارس اشتدت شكيمته ، وقويت عزيمته ، وأحاط خبراً بلغة العرب ، وتمرس بأساليبها ، فسلس له قيادها ، وجلس على أريكتها ، وأخذ بناصيتها ، يفهم تصريف القول ، وتنوع الأساليب ، ويميز بين الصريح منها والكناية ، ويلم بجيد التعابير ، ورفيع الأساليب ، ومثل هذا يعرف أين يضع قدمه ، وأين يسير ، وكيف يفهم ، وكيف يعبر ، وكيف يجيد الخطاب ويتصرف فى القول ، وقد أطلنا بعض الإطالة فى هذا الشرط لنضع حداً فاصلا ، وأعلاما واضحة ، بين رأيين اشتجرت بينهما الخصومة ، واشتد الجدل ، وحمى الوطيس ، حتى أدى النزاع بينهما إلى الحيرة والاضطراب ، وبلبلة الأفكار فى أمر الاجتهاد ، وفتح بابه أو غلقه ، ووجود مجتهد فى كل عصر أو عدم وجوده ، وبالتالى أدى إلى أن الحوادث الطارئة والنوازل المستجدة ، هل تستطيع الشريعة الإسلامية أن تحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاد المجتهد على فرض وجوده فى كل عصر وزمان ، أم تقف الشريعة مكتوفة الأيدى ، عاجزة عن أن تحكم فى هذه الحوادث لعدم وجود مجتهد يستطيع أن يحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاده .

وثانى الشروط معرفة تفسير القرآن خصوصا مايتعلق منه بالأحكام، وما ورد من الآثار فى معانى الآيات وما روى عن الصحابة المعتبرين من أهل التفسير، وكيف سلكوا مناهجها، وأى معنى فهموا من مدارجها. ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص، قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد، فإن من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن، وقد كان يعد من أهل الاجتهاد.

ثالثها: — معرفة الأحاديث، والفرق بين الأحكام، فمعرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة، عدولها وثقاتها، ومطعونها ومردودها، والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ورد فى حادثة خاصة، وما هو خاص عمم فى الكل حكمه، ثم الفرق بين الواجب، والندب، والإباحة، والحظر، والكراهة، حتى لايشذ عن وجه من هذه الوجوه، ولا يختلط عليه موضوع بموضوع، كل ذلك لازم للمجتهد ليكون محيطا بالسنة على وجه يمكنه من الاجتهاد. واكتفى الغزالى من السنة بمعرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام، ولم يشترط حفظها بل تكفى استطاعة الرجوع إليها عند الحاجة، وقيل يكفيه من السنة خمسمائة حديث، وضعف هذا القول بأن الأحاديث التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة، وقال ابن العربى فى المحصول هى ثلاثة آلاف، وقال أحمد بن حنبل: الأصول التى يدور عليها العلم عن النبى ﷺ ينبغى أن تكون ألفاً ومائتين. وقال الغزالى وجماعة من الأصوليين: يكفيه مثل سنن أبى داود ومعرفة السنن للبيهقى مما يجمع أحاديث الأحكام. ونازعه النووى قائلا: «لايصح التمثيل بسنن أبى داود فإنها لم تستوعب، وكم فى البخارى ومسلم من حديث حكمى ليس فيها!! كما نازعه ابن دقيق العيد قائلا: «إن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبيل الإفراط أو التفريط، والحق الذى لاشك فيه ولا شبهة أن المجتهد لابد أن يكون عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة التى صنفها أهل الفن كالأمهات الست، وما يلحق بها، والكتب التى التزم مصنفوها الصحة. ولا نشترط فى هذا أن تكون محفوظة له، مستحضرة فى ذهنه، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عند الحاجة إلى ذلك لتمييز الصحيح منها، والحسن، والضعيف. وكذا يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال، وما يوجب الجرح، وما لايوجبه من الأسباب، وما هو مقبول منها، وما هو مردود، وما هو قادح من العلل، وما ليس بقادح.

رابعاً : معرفة مواقع إجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة إجماع ، وليس بلازم أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع .

خامساً : أن يكون قادراً على الوصول إلى مواضع الاقيسة ، وكيفية النظر فيها ، من طلب أصل فى أول الامر ، ثم طلب معنى يستنبط منه علة الحكم فيعلق الحكم عليه ، وبذلك يستطيع إلحاق الفرع بالأصل لوجود العلة المشتركة بينهما .

فهذه الشروط الخمسة لا بد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع ، ويجب على العامى تقليده ، فلو ثبتت الاحكام بغير هذا الطريق ، كانت أحكاماً مرسلة تابعة للهوى ، ليست صادرة من الشارع ، فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم الذى أدى إليه اجتهاده سائغاً فى الشرع ، ووجب على العامى تقليده والاخذ بفتواه .

ومن غريب أمر المثقفين فينا أنهم يضعون حواجز منيعة ، وحدوداً مكينة ، وأسواراً ثابتة ، لكل علم ، ولكل فن من الفنون التى يقوم بالتخصص فيها طائفة معينة ، فتراهم يرمون بالجهل والادعاء كل من حاول الخوض والتكلم فى علم لم يكن من أهله ، ولا متخصصاً فيه ، على حين أن الخوض فى العلوم الشرعية أصبح مباحاً لمن ليس من أهله ، ولم يكن متخصصاً فيه ، بحجة أن الشريعة مباحة للجميع ، وليست قاصرة على من يسمون رجال الشرع ، ورجال الدين . وهذه مغالطة صريحة ، ومحاجة غريبة لم تسلك مسلك المعقول ، ولم تسر على طريق المنطق . فالشريعة مباحة لكل أحد ، وكل فن من الفنون مباح لكل أحد ، إذا ما توفرت له شروط الدخول والبحث فى هذا الفن أو العلم . فالطب مباح للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، فهل يجوز لدجال غير ملم بالطب أن يتعرض لعلاج المرضى ، أو يجوز لمن لم يتدرب على الفنون العسكرية أن يخرج إلى ميدان القتال ، والدفاع عن الاوطان ، وهل يقول عاقل بذلك ؟ أم يجب الحجر على الطبيب الدجال ، والجاهل بفنون الحرب ، من أن يمارس كل منهما ما يريد أن يمارسه ، وأن يعمل ما يريد عمله ؟ ؟

ولعل من فى قلوبهم حب الشهرة ، والظهور والتكلم والكتابة والقول فى كل ميدان ، أن يلتزموا الحدود ، وأن يعملوا بقول الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

عبد الله المراغى

حول سكينة بنت الحسين

مهلا أيها الكتاب !!

لعمرى لقد أيقظت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان

يتبرع بعض الكتاب باقتراحات خاطئة يزفونها فى جلبة ورنين ، وقد تجد من يتبين زيفها من العقلاء ، فينبذها دبر أذنه ، ولكنها تصيب ارتياحا من أناس يستمعون القول فلا يفرقون بين صائبه وخاطئه ، بل ربما تحمسوا إلى تأييد ما يقرءون ، دون روية واتئاد .

فقد قرأت فى مجلة الثورة الصادرة فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٥ ما يلى :

« اقرأ قصة سكينة بنت الحسين فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وسوف تؤمن معى بأن حوادثها العاطرة تصلح أن تكون « فيلما ناجحا » ، وحاول أن تكتب هذه القصة للسينما ، مادام مخرجونا لايجدون الوقت للبحث عن هذه الروائع ، فى بطون الكتب » .

أقول : قرأت هذا الاقتراح فى حينه ، وتغاضيت عن التعليق عليه ليموت فى مهده ، دون أن يثير بعض اللغط والتساؤل .

ولكن علمت أن بعض المؤلفين قد احتضن الفكرة ، وسعى إلى كتابة هذا الفيلم السينمائى الناجح !! فكان لابد من التصحيح والتوجيه .

وأول ما يجب أن يكون مفهوما لدى صاحب الاقتراح الحصيف ، أن هناك فرقا شاسعاً بين كتب الأدب وكتب التاريخ ، فكتاب الأغانى - وهو أحد أمهات كتب الأدب فى المكتبة العربية - يروى جميع مايتصل بالشعراء من حق وباطل ، لأن جامعه يهتم بالأثر الأدبى وحده ، ولا يعنيه إن كان الشعر منتحلا ، أو كانت القصة مختلقة ، بل إنه ليعرف الشعر المنتحل ، ويرويه لأثره الفنى ، ودلالته على التطور الأدبى ، وقد يروى أبو الفرج

قصة عن شاعر ، تزوج الغول وحادث العنقاء ، وحارب الشياطين ، متشبعاً ذلك بما تنوقل في موضوعه من شعر كثير . وصاحب الأغانى - كمفكر عاقل - يعلم بديهية هذه الأكاذيب ، ولكنه يسجلها أدبا يمتع الخيال ، ويذهب مع الفن فى أجوازه المترامية ، وعلى القارىء أن يضع الموازين ، فيفرق بين الوهم والواقع ، والحقيقة والخيال .

ولو أن شاعراً معاصراً نظم قصيدة فى الأطباق الطائرة ، وطار بأجنحة الخيال ، فذكر أحاديثه مع سكان المريخ ، ووصف ماشاهد فيه من مدن وأنهار وجبال ، ثم قدم قصيدته للقراء ، لأصبحت أدبا تتناقله كتب الفن وتسهب فى تحليله وتسجيله ، ولكن هذا الأثر الأدبى لا يكفى لإثبات سكان فى المريخ لمجرد نظمه فى شعر يؤثر ويذاع .

على أن كتب التاريخ القديمة فى المكتبة العربية لم تسلم من الأخبار الضعيفة التى يزدحم بها كتاب الأغانى ، فمؤلفو التاريخ - ولا سيما الذين يكلون قارىء الخبر إلى سنده - يجمعون ما يروى عن الحادثة من أخبار صادقة وكاذبة ، تاركين للقراء أن يقوموا بالموازنة العادلة بينها بأقدار رواتها ، وعليهم أن يتسلحوا بأدواتها الصحيحة من معرفة لتواريخ الرواة ، وتتبع لنتائج الحوادث ، وإدراك للبواعث المختلفة ، فإذا تم ذلك للباحث المؤرخ استطاع أن يفرق بين الدخيل والأصيل فيأخذ هذا ويدع ذاك .

يقول الكاتب الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب فى مجلة الأزهر (صفر ١٣٧٢ ﻫ) من بحث له عن كتاب الطبرى فى التاريخ :

« إن مثل الطبرى ومن فى طبقته من العلماء الثقات المتثبتين - فى إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن ، إذا أرادوا أن يبحثوا قضية ما فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتمادا منهم على أن كل شىء سيقدر بقدره ... إلا أنهم يردون كل خبر معزو إلى راويه ، ليعرف القارىء قوة الخبر أو ضعفه من منزلة راويه العلمية ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة » .

فإذا كانت كتب التاريخ تحتاج إلى هذا العلاج الدائب الذى لايهتدى إليه غير المهرة من النطس المتضلعين ، فما ظنك بكتب الأدب القديمة وكثير مما تحتضنه مختلق واضح التلفيق .

أعرف أن الكاتب العربى الأستاذ توفيق الفكيكى قد ألف كتابا عن سكينة بنت الحسين

أدحض فيه روايات الأغانى بما يسنده البرهان ويؤيده الدليل ، ولم أقرأ الكتاب بعد لعدم اهتدائى إليه ، ولكنى قرأت للأديب الناقد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بمجلة الثقافة (عدد ٥٩٩) نقداً أدبياً عنه يقول فيه :

« إنه - المؤلف - لم يستند فى الدفاع إلى العاطفة وحدها ، ولكنه جعل من القضية مسألة علمية يناقشها بالدليل ، ويقارعها بالحجة ، ويناهضها بتضارب الروايات ، حتى يحكم على القضية كلها بالانهيار .

ولقد اتبع المؤلف فى كتابه طريقة المحامين فى الدفاع عن المتهمين ، فإن اختلاف الروايات فى التحقيق الجنائى ، قد يكون سبباً إلى سقوط الاستدلال فى الاتهام ، وكذلك فعل صاحبنا الأستاذ الفكيكى فى قضية السيدة سكينة ، فأثبت من اختلاف الروايات فى الخبر الواحد ، دليلا على فساد الخبر كله ، ويتبع ذلك الفساد ثبوت البراءة للمتهمة البريئة !!

ونحن — فوق ما تقدم — نجد إلى جوار ما ذكره صاحب الأغانى عن السيدة سكينة كتباً أخرى لها مكانتها العلمية ، تذكرها بالعفاف والتصون ، ونتساءل مندهشين عن إيثار كتاب الأغانى وحده بالترجيح والوثوق ، فلا نجد سبباً يرتضيه المنطق البرىء ، وليت شعرى إذا كانت روايات أبى الفرج عن السيدة مضطربة متناقضة فكيف ترجح - عند هؤلاء - روايات غيره ، وهى بمنأى شاسع عن التناقض السافر ؟! أيكون للنزوات الذاتية مساس شائن بهذا الترجيح المريب ؟ أم نسكت فلا نقول !!

لقد اعترف الدكتور زكى مبارك بأن كتب التصوف ترتفع بالسيدة إلى منزلة طاهرة سامية ، ومع هذا الاعتراف الدال على اطلاعه الشامل فقد آثر روايات الأغانى ، وتعمد أن يقول - عن السيدة الطاهرة فى كتابه حب ابن أبى ربيعة ص (١٨١) : « إنها كانت فى عفافها نزقة طائشة تؤثر الخفة على الوقار ، وكان على الدكتور - وقد آثر روايات أبى الفرج وحدها - أن يدحض ما قرأه فى كتب التصوف ، ليستقيم له البحث الأدبى فى ميزانه النقدى ، ولكنه لم يستطع ذلك فى قليل أو كثير ، ومهما حاول سواه فلن يستطيع !!

لقد كان على المقترح المنصف أن يذكر البيئة الشريفة التى ترعرعت فيها السيدة الطاهرة ، وأن يذكر عناصر التربية القويمة التى تعهدتها خير تعهد فى نشأتها الكريمة ، ثم يتأمل هذا

التضارب الصارخ فيما اختلقه الرواة ، مستشفا حوافزه وبواعثه ، وبذلك يكون قد خدم الحقيقة العلمية دون أن يتحيف سيدة طاهرة ، نشأت فى بيت أذهب الله عنه الرجس ، وطهره أكمل تطهير .

كان على كل من خاض فى إفك السيدة سكينة أن يفعل ذلك ، ولكنه - لحاجة فى نفس يعقوب - يتجاهله ويذهب مع الذين لا ينسون أوربا الماجنة فيما يهرفون به من الأباطيل ، فيزعمون أن « صالون » السيدة سكينة قد سبق صالونات فرنسا ، التى خرجت كثيراً من الأدباء والشعراء ، وأن السيدة سكينة تزعمت الأزياء فى عصرها ، فعرفت بالطرّة السكينية ، كما عرفت فرنسا بالطرة الباريسية !!

أى كلام هذا ؟ ؟ ، وأى عاقل منصف يوازن بين المجتمع الحجازى الطاهر فى صدر الإسلام ، ومجتمع فرنسا الداعر فى عهود التدهور الخلقى ، والانحلال الإباحى . أجل ! لقد ظهر بالحجاز لعهد سكينة بعض المترفين المتآلفين على التهاون ، فصحبوا الشعراء ، ولزموا القصف والغناء ، كما يظهر أمثال هؤلاء فى كل زمان ومكان ، وليس فى ظهور هذه العصابة الطائشة ما يحتم أن يكون المجتمع الحجازى صورة مشابهة لما يجرى فى فرنسا الإباحية من تدهور وانحلال ، ولعل هؤلاء الذين يعقدون هذه المقارنات المغرضة بين المجتمعين ، يظنون أنهم - لشغفهم بفرنسا - يرتفعون بمكة والمدينة إذ يقرنان مع باريس !! وتلك كارثة ، يند فيها العزاء .

إننا لفى حاجة ماسة إلى أن نفهم ديننا الذى نجهل كل شىء عن صاحبه ومجتمعه الأول فى صدر الإسلام ، فنصلح عقولنا التى غلفها الضلال ، وسترها الظلام ، ثم نتأمل تاريخنا الفسيح المتشعب بعين النصفة والتحقيق ، وبعد ذلك كله يجوز لنا أن نمسك القلم معجبين ، فنسطر ما يعن لنا من الاقتراحات !!

ولكن متى يكون ذاك ؟

محمد رجب البيومى
المدرس بأبى تيج الثانوية

فضيلة الاخلاص فى العمل

والسعى على الرزق

عن عامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص فى إبله فجاءه ابنه عمر ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فنزل فقال له : أنزلت فى إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ ! فضرب سعد فى صدره . فقال : اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » رواه مسلم وأحمد . واللفظ لمسلم .

تقديم :

الغنى بمعنى الثراء ليس مناطا للحمد فى ذاته فى الإسلام ، ولهذا قال النووى : المراد بالغنى غنى النفس . هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكن الغنى غنى النفس » وقال : وأشار القاضى (عياض) إلى أن المراد بالغنى المال ، ولم يتعقبه .

والناظر فى سياق هذا الحديث واستشهاد سعد به يرى أن المراد بالغنى هو مثل هذا الذى يشتغل سعد به من الأخذ بالأسباب والسعى على الرزق ، وهذا أيضا هو موضع إنكار عمر على أبيه وتعجبه منه ، ولعله هو مراد القاضى على نوع من التوسع والمجاز ، فإنه لا ينبغى أن يكون مراده المال فى ذاته أو على إطلاقه لما علمت ، ولقول الأول :

لعمرك ليس المال من حيلة الفتى ولكن أحاظ [1] قسمت وجدود

ويمكن أن يكون مراده خصوص المال الصالح اللازمه من الشكر ، وحسن التصرف .

وفسر النووى « الخفى » بالخامل المنقطع للعبادة ، والاشتغال بأمور نفسه ؛ والخمول ضد النباهة لا ما اشتهر من معناه ، وهو الكسل ؛ وبيانه على هذا الوجه يجعله كناية عن الإخلاص فى العمل ، والانقطاع له ، والهرب من الشهرة والمباهاة والفخر ؛ ومراده بالاشتغال بأمور نفسه ، الاشتغال بإصلاحها ، لا ما يتبادر من العبارة من مثل الأثرة والحرص .

---

(١) جمع حظ على غير قياس وهو النصيب من الخير ، والجدود مثلها فالعطف تفسيرى .

المعنى :

الإسلام وسيلة وغاية ، وجهاد ونية ، وعمل وإخلاص . أمر أهله بالسعى على الرزق كما أمرهم بالتقوى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » وقدم مرتبة العاملين الكادحين على الرهبان المتبتلين . ففى حديث الذين أثنوا على أخيهم بصيام النهار ، وقيام الليل ، حين سألهم النبى ﷺ عمن يعوله ؟ فقالوا : كلنا — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : « كلكم خير منه » وذلك أن القوى فى هذا الدين خير من الضعيف ، والمستعين بالله أفضل من العاجز ، والحريص على ماينفعه أشرف من المفرط ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمتوكل الآخذ بالأسباب على أدب مع الله سبحانه وتعالى ليس كالمتواكلين التاركين للأسباب ، والآكل من كسب يده على مرتبة من الحلال الطيب هى مرتبة الأنبياء والمرسلين ؛ والعاملون المخلصون هم القائمون بحق استخلاف الله إياهم فى الأرض ، وهم الصالحون لوراثتها ، بما أوتوا من همة وقوة ، وعزيمة وفتوة ، وصدق وإخلاص .

وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فعن عائشة وقد سئلت عن عمل رسول الله ﷺ فى بيته ؟ : كان يكون فى مهنة أهله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى حتى إذا ما ولى الخلافة خوطب فى ترك التكسب لأجل شغله بالخلافة ، فقال : فمن أين أطعم عيالى ؟ ففرضوا له مايكفيه ، وكان من عادة عمر رضى الله عنه أن يسأل من يقدم عليه عن حرفته ، فإن لم يجد له حرفة سقط من عينه ، وقد كان هو يهنأ إبل الصدقة بيده [1] وقال ابن الجوزى : وكان سادة الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال .

وقد كان ذلك من أعون الأمور على نشر الدعوة ومعونة الداعى صلى الله عليه وسلم ، ففى الحديث : « ما نفعنى مال كمال أبى بكر » وتجهيز الغزاة ؛ إلى ما فيه من إصلاح حال الرجل وحال أهله ثم سائر إخوانه من المسلمين ، وفى الحديث « نعم المال الصالح للرجل الصالح » وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لأنس بكثرة المال والولد ؛ وكان سعيد بن المسيب

(١) أى يطليها بالهناء وهو القطران علاجا للجرب .

رضى الله عنه يقول : لاخير فيمن لايطلب المال : يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، ويصل به رحمه . فإن مات تركه ميراثا لمن بعده .

وإذا علمت هذه المقاصد الشريفة التى من أجلها شرع الإسلام العمل والكسب ، علمت أن الاشتغال بجمع المال ليس على مايريد منه السفهاء من الفخر والمباهاة والعلو فى الأرض والفساد فيها ، وعلمت وجه الجمع بين الغنى الذى فى الحديث والزهد فى الإمارة على ما أبداه سعد ، والإمامة المذمومة ليست تقديم الأمه لأرشدها ليلى أمرها ، بل تقديم المرء نفسه سائلا أو متعرضاً لها ، كهذا الذى أراده عمر بن سعد من أبيه ، فإن الأولى معانة ميسرة ، والثانية مخذولة معسرة ، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ؛ على أن من أصول هذا الدين أن لا يعطاها من سألها أوحرص عليها ، فقد سأل رجلان النبى ﷺ أن يؤمرهما على بعض ما ولاه الله عز وجل فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحداً حرص عليه » .

وويل للضعفاء منها . ففى الحديث : « إنها نعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة » ، « وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا على من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » ، وقد قال النبى ﷺ لأبى ذر : « إنى أراك ضعيفا ، وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ؛ لاتأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم » .

ولشدة الابتلاء بالإمارة والامتحان بها أعظم الله مثوبة من اختيروا لها ممن جاهدوا أهواءهم فعدلوا وأقسطوا ، ونصحوا لله ولرسوله ولكتابه والمؤمنين ؛ وقد تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة ، فإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله الإمام العادل ، وقال ﷺ : « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

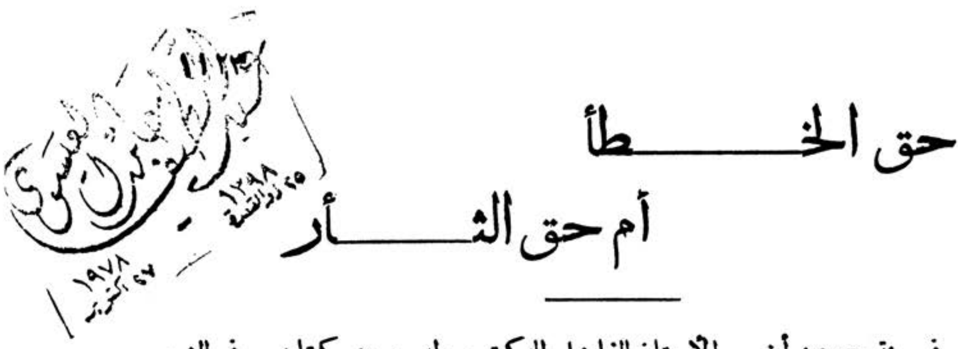
ولقد كان سعد جديراً بهذه المنزلة من الورع والخشية ، والاحتياط لنفسه ، وحسبه من الفضل أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأنه أول من رمى بسهم فى الإسلام ، وعن على رضى الله عنه : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد [يعنى فى التفدية] غير سعد ابن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى ، ودعا له النبى ﷺ فقال : اللهم استجب دعوته ، وسدد رميته ، وقال : هذا خالى فليرنى امرؤ خاله .

أما عمر ابنه فقد كان أهلا لأن يستعيذ منه أبوه ، ولقد صدقت فيه فراسته ، فقد أدى به الطمع فى الإمارة أن وليها لعبيد الله بن زياد على الرى وهمدان ، فكان أن ابتلى بالدخول فى أكبر فتنة ، إذ أمره حين قدم الحسين رضى الله عنه إلى العراق أن يخرج إليه فيقاتله ، وهدده إن لم يطعه بعزله وهدم داره فأطاعه ، وكان على رأس الجيش الذى قتل الحسين رضى الله عنه . ثم انتقم الله منه إذ قتله المختار الثقفى وقتل ابنه حفصاً حين غلب على الكوفة فى عنفوان الدولة الأموية . وكان اعتزال سعد الناس بعد مقتل عثمان رضى الله عنه .

أما بعد : فإن المسلمين ما تأخروا ولا تخلفوا إلا حين حرصوا على الإمارة ، فجعلوها الغاية من طلب العلوم ، ومزاولة الأعمال ، والميزان الذى يزنون به قيم الناس وأقدار الرجال ؛ فخفت موازينهم ، وذهبت أقدارهم ، وحبطت أعمالهم ، وضل سعيهم ، وافتقر سوادهم ، وأقفرت بلادهم ، وتقدمت عليهم أمم قبست قليلا من نورهم ، وتعلقت بأثارة من مبادىء دينهم ، فأوتيت مفاتيح خزائن الارض لأنها صارت أصلح لعمارتها ، وأقدر على الانتفاع بها ، وأصبح علما بما أودع الله فيها ؛ وكفى بحالنا وحالهم : وقد تأخرنا من تقديم ، وتقدموا من تأخير ، دليلا على اتساع مسافة الخلف بيننا وبين ديننا ، وتنكبنا عن صراط ربنا وتنكرنا لسنة نبينا . ألا وإنه لا سبيل لنا إلى الخلاص مما نحن فيه حتى نقدم العلم المثمر ، والعمل المجدى ، على الفخر الباطل ، والجاه الكاذب ، والغرور المفتون ، وأن يعرف طلاب الرياسة والزعامة ، والمنصب والجاه ، أنها أمانات ثقال ، وأنها على غير أهلها ندامة ووبال ، وأن الشرف ليس فى طلبها بل فى الصلاحية لها مع الزهد فيها ، والإعراض عنها .

مثل المجد الذى تطلبه ... مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعاً ... فإذا وليت عنه تبعك

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية



حق الخـــــطأ
أم حق الثـــــأر

١ — فى سنة ١٩٢٦ أخرج الأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين كتابه « فى الشعر الجاهلى » مستنداً فى تقرير معلوماته إلى آراء المستشرقين والمبشرين ، أو آراء المبشرين العاملين على هدم الكيان الإسلامى وتحليل الخصائص القومية فى الأمم الإسلامية بالحيلة الظاهرة والغيلة الباطنة .

وكتاب كهذا ، يولد من تفكير المبشرين ونظرياتهم ، لابد أن يكون منساقا وراء الغرض الأصلى من عمل المبشرين وهو الهجوم على الإسلام .

وبرغم أن مراتب الهجوم على الإسلام تتفاوت ، إلا أن الكتاب الذى وضعه الدكتور الفاضل كان فى الطرف الأقصى والأعنف من مراتب الهجوم ، فاختار - لأمر ما - ميدانه نصوص القرآن الكريم ، والتهكم الجرىء على نسب النبى ﷺ ، وكان فى أسلوبه فى هذه النواحى أقل « ظرفاً » أى تهذيبا من المبشر المسمى « بهاشم العربى » الذى تتطابق أقواله مع أقوال الدكتور طه حسين فى بعض المواضع - كما ثبت ذلك فى قرار النيابة التى تولت التحقيق معه فى ذلك الوقت .

قال الدكتور الفاضل فى كتابه المذكور ص ٢٦ « للتوراة أن تحـــدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من (الحيلة) فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى » .

وقال ثانيا فى ص٢٧ : « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون صفوة بنى هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن تكون قصى صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الإنسانية كلها » .

وبهذا التهكم المسموم الذى يشتمل فى خلاله حقد أجنبى يتحدث الدكتور ـــ الأستاذ ـــ عن نبى الإسلام .

وكان لا بد أن يقدم الدكتور المحقق ، بسبب هذا الهجوم غير المبرر ، الذى استعمل فيه أدوات المبشرين ، إلى النيابة العامة ، وقد ناقشته النيابة فى أقواله فكانت الفضيحة التى يندى لها جبين العلم والحقيقة .

وقد سجلت عليه النيابة هذه الفضيحة التى يجب ألا ينساها الناس فى العبارات الآتية :

قال النائب العام السيد محمد نور فى تقرير النيابة المؤرخ فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ المطبوع فى مطبعة « الشباب » ص ٧ :

« ... ولكن الأستاذ المؤلف وضع السؤال وحاول الإجابة عليه وتطرق فى بحثه إلى الكلام على مسائل فى غاية الخطورة صدم بها الأمة الإسلامية فى أعز ما لديها من الشعور ، ولوث نفسه بما تناوله من البحث فى هذا السبيل بغير فائدة ، ولم يوفق إلى الإجابة ، بل قد خرج من البحث بغير جواب » .

وقال فى موضع آخر ص ٩ :

« ... ولا يضيرها أن الأستاذ المؤلف ينكرها بغير دليل ، لأن طريقة الإنكار والتشكك بغير دليل طريقة سهلة جداً فى متناول كل إنسان عالما كان أو جاهلا .

على أننا نلاحظ أيضاً على المؤلف أنه لم يكن دقيقا فى بحثه ، وهو ذلك الرجل الذى يتشدد كل التشدد فى التمسك بطرق البحث الحديثة » .

وأعظم من ذلك فضيحة ما جاء فى ص ١٠ ـ وقد ادعى الدكتور الباحث فى بعض المواضع أنه يستند إلى النقوش والنصوص ، فلما سئل عن إيراد شىء من النصوص المؤيدة لدعواه قال : « فأما إيراد النصوص والأمثلة فيحتاج إلى ذاكرة لم يهبها الله لى ، ولا بد من الرجوع إلى الكتب المدونة .

فسألته النيابة مرة أخرى عما إذا كان يستطيع أن يقدم المراجع التى أشار إليها ، فقال بالحرف الواحد : « أنا لا أقدم شيئا » .

ولماذا ؟ ألأن مرجعه الوحيد هو مقالة ذلك المبشر السالف الذكر ، نخشى أن يزداد سره افتضاحا ؟!

ومن ثم فقد دمغته النيابة — زيادة على ما تقدم — بالعجز عن الاستدلال ، وأن كلامه فى مسألة بعينها « خيال فى خيال » ، وبأن استدلاله فى هذه المسألة لا يخرج عن العبارات الآتية : « فليس يبعد أن يكون » . « فما الذى يمنع » . « نحن نعتقد » .

أى من الكلمات التى لا يقدم على استعمالها فى البحث والاستدلال صغار المتعلمين .

وبلغ نقد النيابة مداه حين وصفت الأستاذ المؤلف بأنه أخطأ فيما كتب ، وأخطأ فى تفسير ما كتب !! (ص ١٧) .

٢ — أردنا أن نقدم للقارىء هذه الصورة الواضحة من تاريخ الدكتور طه حسين العقلى والعلمى ، لا نريد التشنيع عليه وإنزال منزلته من نفوس بعض المغترين به ، فليس ذلك من شأننا ، وقد يكون لهذا الأديب الواسع الخيال ميزات أدبية لا تنكر ، ولكننا أردنا فقط أن نضع شخصيته تحت ضوء التحليل النفسى ، فإذا علمت أن الذى سبب للدكتور الطموح الشغوف بالشهرة والمكانة ، هذه الفضيحة القارعة ، فى أعز ما يملك إنسان يحيا على حساب القلم والفكر ، فإذا هو يصاب فى قيمة علمه وفكره ونزاهته فى الحكم ، ويتبين أنه ظل لغيره فيما طلع به على الناس من بحث وتجديد ، إذا علمت أن الذى أوقع به هذه الهزيمة إنما هم علماء الأزهر ، ثم لم تكن هذه أول هزيمة له منهم بل سبقتها هزيمة أخرى صدمت الطالب الحساس المزدهى فى مطلع شبابه ، وتركت فى أعماق نفسه جرحا ناغرا لا يبرأ أبدا ـ يتبين لك من هذه العوامل الفعالة الشديدة الإيغال أن الدكتور يعانى من ناحية الإسلام والأزهر « عقدة نفسية » شديدة التسلط على عقله وسلوكه وقلمه فى كل ما يتصل بهذه النواحى ، فلا يملك من طغيان هذه العقدة أن يكون قادراً على النزاهة ، أو إرادة النصح لا للأزهر ، ولا للأمة ، ولذلك يجىء كل ما يكتبه عن الأزهر والإسلام طياشا متخبطا بعيداً عن السداد .

وكذلك جاء مقاله الذى يدافع به عن مدرس تاريخ ألقى بفتوى خاطئة فى موضوع الصوم ، وراح يهاجم مشيخة الأزهر هجوما عنيفاً محموما بغير علة منطقية أو سبب ظاهر ، حتى وبغير اهتمام بدرس الموضوع من أوائله ، وسماه « حق الخطأ » فسميناه نحن « حق الثأر »

لأن الدكتور يرى أن كل محاكمة هى محاكمته ، وكل فضيحة علمية أو أدبية هى فضيحته بالذات فيهب للثأر والانتقام ، كما قال الشاعر الحماسى :

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعنى فهذا كله قبر مالك

والآن ـ وقد ألقينا فى يديك المعاذير لرفع الثقة بكلام الدكتور طه حسين ، وعدم التعويل على آرائه فى هذه الناحية التى تستيقظ فى الاحتكاك بها هزائمه القديمة ، وتتحرك جراحاته الساكنة ، فلنتقدم معك فورا ، إلى نقض مقالة الدكتور نقضا تفصيليا :

٣ ـ يتلخص مقال الدكتور الكبير ـ بعد تجريده من الإضافات والتكرار وما لافائدة منه ـ فى خمسة عناصر :

(ا) زعمه أن صاحب الفتوى إذا كان مخطئا فلا مؤاخذة على الخطأ فوق أنه مجتهد ، والمجتهد المخطىء له أجر واحد ، والمصيب له أجران ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم » كما استند لمبدأ التيسير لا التعسير ، ومبدأ رفع الحرج ، المنصوص كل منهما فى القرآن .

(ب) زعمه أن مؤاخذة المخطئين فى آرائهم مبدأ لم يكن يعرفه المسلمون ولم يكونوا يأخذون به .

(ج) رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد أخذ صاحب الفتوى بالرفق واللين ، ونصحه بالحكمة والموعظة الحسنة .

(د) اغتمازه لعلماء الأزهر بهذه المناسبة لطوعيتهم للملكية السابقة .

(هـ) استعداؤه الحكومة على الأزهر ، ودعوتها لإيقاف المحاكمة التى قررت بشأن صاحب الفتوى ، حذرا من فتنة ـ كما زعم ـ يتطاير شررها ، لاسيما وهناك على حدود أرض الوطن أحداث تجرى .

هذا بالضبط ـ ومع القيام بعملية تصيد مرهقة وسط بحر لجى من الألفاظ المرصوصة ، والعبارات المكررة ، والشواهد غير المطابقة ـ هو مايمكن استخلاصه من مقال الدكتور العلامة . وإليك الجواب عنه ، عنصراً عنصراً .

٤ ـ فأما عن العنصر الأول : فالزعم بأن الخطأ على الإطلاق ليس فيه مؤاخذة ،

غير صحيح واقعاً وقانوناً ، فإن الناس فى الخطأ رجلان : رجل يزاول عملا مشروعاً له ، كالفقيه المختص ، والطبيب المؤهل ، يفلت الصواب من أحدهما فى بعض أمره ، ويقوم الدليل المعتبر على نفى الإهمال والتقصير وسوء النية عن كليهما ، فترفع المؤاخذة عنهما قانوناً وشريعة ، ولكنهما برغم ذلك يصيبان من عدم ثقة الجمهور بهما وإعراضه عن صناعتهما ما يعتبر - فى سمعتهما وأسباب ارتزاقهما - من أشد العقوبات نكالا بهما .

ورجل هجام لا يعرف قدر نفسه ولا حدود اختصاصه ، فيقتحم على ما ليس له ، ويتكلف ما ليس من شغله ، كالدكتور طه حسين مثلا ، لو تكلف أن يبدى رأياً فى الطبوغرافيا أو الرياضة التطبيقية أو أصول الفقه ، فأخطأ فى هذا الرأى ، فلا شك أنه يكون مؤاخذاً من فرعه إلى قدمه ، فلو ترتب على هـذا الرأى ضرر مادى ، كخسارة عسكرية ، أو ضلالة الطلاب فى مزاولة مسئولياتهم . فليس ينكر أحد أن مثل هذه الحالة - على فرض وجودها - تستوجب المؤاخذة المادية قانوناً وشرعاً .

وأنواع الخطأ التى يؤاخذ فيها القانون والشرع كثيرة جداً : منها الخطأ فى الصوم ، والخطأ فى القتل ، والخطأ فى صدام سيارة الدكتور طه حسين - لا قدر الله - من شخص يقود سيارته فى غير الاتجاه الصحيح ؛ إلى أشياء كثيرة من هذا القبيل ، فليس الخطأ بإطلاق معفواً جملة من المؤاخذة كما يريد أن يوهمنا الأديب الواسع الخيال .

وأما صاحب الفتوى الخاطئة ، فليس بمجتهد على كل حال ولا يثبت له حكم المجتهدين ، من أمثال أبى حنيفة ومالك ، ولا من دونهم فى ذلك درجات ، فالاجتهاد — كما نقول — هو نهاية الكفاية الفقهية والتشريعية ، وهى رتبة لا يتسلق إليها إلا الشوامخ العباقرة من أهل العلم والاستعداد والدرس ، وصاحب الفتوى لا يجاوز علمه فى الفقه حظ طلاب الأقسام الثانوية فى الأزهر ، من الوجهة الرسمية التى لا شك فيها ، فقد تخرج فى كلية أصول الدين ، ووظيفتها درس الفلسفة والعقائد وما إليها وليس لها صلة بدراسة الفقه والشريعة .

ومما يجب أن يعلمه القارىء جيداً هو أن الفلسفة الإسلامية والشريعة الإسلامية مادتان منفصلتان تمام الانفصال ، والمسافة بينهما كالمسافة بين كلية الآداب حيث تدرس الفلسفة واللغات وكلية الحقوق حيث تدرس القوانين والشرائع .

ثم تخصص صاحب الفتوى بعد ذلك فى التاريخ فلم يكن علمه بالشريعة أكثر من علم الدكتور طه حسين فكلاهما رجل تاريخ !

ولا يتوهمن القارىء ـ كما يقع ذلك أحيانا ـ أننا نمنع المؤرخ ، والطبيب ، والمهندس ، وكل مسلم ، من البحث فى الدين وتعرف حكمه وأحكامه . كلا ، إنما ينصب كلامنا فى هذا الموضوع على نقطة معينة ، هى أن حق الاجتهاد فى أحكام الدين واستنباط أحكام لم تكن مسبوقة ، حق خطير شديد الخطورة ، لا يعطى إلا لمن تأهل له ونال رتبته عن درس وتخصص .

هذه شبهة خفيفة أزلناها ، وأما فيما وراء موضوع الاجتهاد فإننا ندعو جميع المسلمين من كل مستوى وحرفة ، للبحث فى أحكام الدين وتعرف مسائله . فإن شيوع مثل هذه المعرفة النافعة ، يقطع على « المهوشين » طريقهم عند الجمهور ، وكانت تغنينا عن هذه الزوبعة الجوفاء التى أثارتها فتوى بينة الخطأ لقوم يعلمون .

فأما الآية الكريمة : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » فقد وردت فى بيان حكم الأدعياء فقط ، وهو نوع خاص من الخطأ عفا الشرع عنه ، كالخطأ المعفو عنه فى الأيمان المبين بقوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » فليست الآية عامة الحكم فى كل خطأ يقع ، ولو كان من طراز استعمال أفكار المبشرين فى نفى القواطع الإسلامية ، أو الإعراض عن الإجماع فى تحديد مواضع الفطر فى الصوم . كلا ـ أيها الباحث العلامة ! ـ ولكنها خاصة بموضع بعينه وهو مسألة الأبناء الأدعياء لا غير .

ثم لا ينفع الدكتور أيضا فى دفاعه ـ المتهافت ـ الاستغاثة بمبدأ التيسير ، ورفع الحرج فى الشريعة . لأن النظر لهذا المبدأ مشروط بعدم المصادمة للتكليف ، وما يتضمنه من مشقة فى العمل ، وقهر للنفس بالتزام الأمر والنهى .

وأما عن العنصر الثانى ، وهو زعمه أن المسلمين لم يسبق لهم مؤاخذة المجتهدين المخطئين ، فهذه كلمة مرددة يقول بها غير واحد من كتابنا ، فلا بد من إزالة الشبهة العالقة بها ، وذلك أن الذى صدر من صاحب الفتوى الخاطئة ، ليس من قبيل الاجتهاد ، بل هو من قبيل الابتداع ، وكما عرف المسلمون الأولون بالمسامحة عن الخطأ الناشىء عن الاجتهاد فقد عرفوا بالإنكار الأشد فى الخطأ الناشىء عن الابتداع من أول يوم نادى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

وقد بينا أن صاحب الفتوى ليس من أهل الاجتهاد ولا يبلغ أن يكون هدبا فى ثوب

أحدهم، ونزيد الأمر بيانا بما قرره الإمام الغزالى فى المستصفى : من أن الاجتهاد إنما يكون فيما لا يصطدم مع نص قاطع أو إجماع ثابت، والفتوى الخاطئة لم يقل بها أحد من علماء الملة قبل صاحبها .

وإذ ثبت أن هذه الفتوى ليست من قبيل الاجتهاد فقد تعين أن تكون ابتداعا ظاهراً، وقد استفاض فى أوائل الأمة الإسلامية، وتتابع ذلك فى عصورها، الإنكار على المبتدعين ومؤاخذتهم، بما يرد بدعتهم ويجنب العامة شرهم .

وقد عزر عمر بن الخطاب رجلا مبتدعا كان يلقى فى زمنه على المسلمين شبهات وأغاليط ونفاه من الأرض .

وسأل رجل الإمام مالكا عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى »، فقال : السؤال عنه بدعه . وأشار بجلد السائل عدداً من الجلدات .

فهذا — أعزكم الله — هو فقه المسألة التى يلج بها الدكتور طه حسين وغيره ، ممن تشتبه عليهم الأمور .

وأما عن العنصر الثالث، وهو رجاؤه أن لو كان شيخ الأزهر قد نصح لصاحب الفتوى بالرفق والأناة قبل الشروع فى محاكمته، فهذا كلام حق ولا يليق من شيخ الأزهر - أى شيخ للأزهر - غيره، فهل علم الدكتور الفاضل أن الاستاذ الاكبر قد سبق إلى ما أشار به، وأن صاحب الفتوى قد جمح جماحا بعيدا . وقال عن اللجنة العلمية التى كونت لمباحثته علميا إنه لايعترف « بالكهنوت »، وإن إعراضه عن هذه اللجنة العلمية ثابت فى محضر مؤيد بتوقيعه .

إن الذى يبدو لى من سلوك صاحب الفتوى الخاطئة أنه كان مزهوا بالشهرة إلى درجة ضيعت عليه كثيرا من مزايا التبصر والأناة .

وأما عن العنصر الرابع - وهو اغتمازه لعلماء الازهر فى علاقتهم بالقصر ، فقد كنت أظن أن الدكتور الألمعى أكثر حصافة من أن يمس هذا الموضوع بالذات ، فما زالت مواقف تزلفه للملك السابق مذكورة مشهورة، وما يوم حليمة بسر، كما يقول المثل العربى القديم، وما زالت مدائحه الملكية التى أفرغ فيها أعلى أساليب البيان وأروع صور البلاغة مسموعة تدوى فى آذان الناس حتى اليوم .

وأشهد، لو أن مثالا عبقريا أراد أن يصنع تمثالا لأديب ممتاز يقف منكس الرأس بين يدى ملك، لما وجد نموذجا أصدق فى الدلالة على غرضه من الصور التى كانت تنشرها

الصحف فى ذلك العهد للدكتور طه حسين ، وهو ماثل فى الحضرة الملكية ينادى صاحبها من دون الناس جميعا « بصاحب مصر » وهى كلمة جارمة ، لم يكن يهتدى إلى استعمالها أعرق الملكيين ملكية ، وأشدهم على وراثة الملك إصرارا .

وأما عن العنصر الخامس - وهو استعداؤه الحكومة على مشيخة الازهر ، وإغراؤها بالتدخل فى موضوع دينى يهز مشاعر المسلمين ، فنلفت نظر الدكتور الطيب القلب ، إلى أن هذه الجماعة من الشبان الذين يتولون حكم مصر اليوم طراز آخر غير طراز السياسيين الذين يعهدهم ، فليس تجدى فى التأثير على اتجاهاتهم وتصرفاتهم أساليب الخداع والمكر التى كانت تجدى مع غيرهم ، وانهم قوم يتجهون إلى إدارك الواقع إدراكا مباشرا فلا يفلح عندهم « شغل النمر » .

إن هؤلاء الحكام أذكى وأحصف من أن يغضبوا المسلمين جميعا فى مسألة دينية معلومة للعامة والخاصة على سواء من أجل مرضاته أو مرضاة صاحب الفتوى الخاطئة .

إن التهويل بالخطر الجاثم على حدود الوطن والخوف من حدوث فتنة يتمادى شرها فى أنحاء العالم الإسلامى ، لا يقتضى من الوجهة السياسية الخالصة ، إرضاء فرد واحد مخطىء على حساب الملايين المعتزة بدينها والمتمسكة بما تلقته من أحكام فقهها ، فليس رجل ينصح الحكومة بهذا الرأى القائل يكون صادق النصح لها .

ومهما يكن من شىء فالواجب على الدكتور أن يلتزم الحدود الادبية فربما كان ذلك أنسب له ، أما أن يقحم نفسه كمستشار سياسى على الحكومة فيما يجب أن تفعل ، وما لا يجب أن تفعل ، فهذا قد يفسر على أنه نوع من سوء الظن بكفايتها فى العمل والمعرفة بحقائق الامور .

وعلى الدكتور طه حسين ، أن يتذكر فى مثل هذه المقامات دائما ، أن الذين يحكمون مصر اليوم غير الذين كانوا يحكمونها بالأمس ، فلا يكلف نفسه فى خداعهم شططا ؟

محمد سعاد جلال

حاصل على العالمية من درجة أستاذ

فى الفقه والاصول - ومدرس بالازهر

الدعوة إلى هدم
ركن من أركان الاسلام

لما تداعت الأكلة على قصعة الإسلام فيما بين الحربين العالميتين ، واستبشر بعض أهل الزيغ والزندقة بما حدث فى تركيا بعد إلغاء الخلافة ، رأينا صحفاً تتولى مهمة التحريض على أن نعمل نحن هنا كما عمل الترك هناك ، وأقلاماً تمثل دور الإيحاء بمواصلة الخطوات فى هذا الطريق الخبيث . وظهر إلى جنب هـذا العنصر من أهل التحريض والإيحاء عنصر آخر من أهل الطمع فى الكسب العاجل والظهور المصطنع على أكتاف الدين ، بل الدين الإسلامى على وجه التخصيص . ومع كل ذلك لم تبلغ الحماقة لا فى تركيا ولا فى مصر إلى حد المجاهرة بمهاجمة ركن من أركان الدين بالإنكار والتعطيل والهدم ، كما وقع فى رمضان الماضى عند ما أحجمت صحيفة أسمها غير مسلمين عن نشر ما تجرأت صحيفة أخرى يتسمى أصحابها بأسماء المسلمين على نشر مقال لساذج مسكين التمس الشهرة والظهور بدعوة المسلمين إلى التحلل من فريضة الصيام ، وإباحة الفطر فيه لغير الذين أباحه الله لهم ، بل لكل من شاء بلا استثناء ، وأن يجاهروا بذلك لينهار به ركن من أركان الإسلام الخمسة التى لا يكون المسلم مسلماً إلا بها .

ومن العجيب أن متعجل الشهرة والظهور بهذا البغى على المسلمين وشريعتهم ، لم يعرف عنه أنه تلقى دروس الفقه الإسلامى إلا بالقدر المقرر للدراسة الثانوية ، وأعجب من ذلك أنه يعيش من تدريس التاريخ وقد تبين أنه يجهل تاريخ أمير المؤمنين عثمان ذى النورين صهر رسول الله ﷺ المبشر بالشهادة والجنة ، كما يجهل معاذير سبط رسول الله الحسين ابن على رضى الله عنهما فى حركته من الحجاز إلى العراق بتحريض الذين كاتبوه وأوهموه أن الأمر مستتب ميسر ولن يكون فيه قتال ولا فساد ، فسوّد مدرس التاريخ الداعى إلى المجاهرة بإبطال الصيام فى الإسلام صفحات فى مجلة ذات ألوان تطاول فيها على مقام ذى النورين وثانى السبطين بما يجهله من حقائق تاريخ الصدر الأول للإسلام ، فدل بذلك على أنه جاهل بالتاريخ الإسلامى أكثر من جهله بشريعة الإسلام .

ولما كان من الخطر على طلبة الأزهر أن تستمر صلتهم بهـذا المدرس المتنكر لتاريخ

الإسلام وشريعته ، دعته المشيخة إلى إبداء وجهة نظره وذكر الشبه التى عرضت له أمام لجنة من شيوخه علماء المذاهب الأربعة فى يومى ١٨ و ٢٤ رمضان (١١ و ١٧ مايو) ، فكان موقفه بين يدى اللجنة فى المناقشة الفقهية كموقفه بين يدى الله فى الدعوة إلى تعطيل شريعته ، والانحراف عن أحد طرق عبادته . وحينئذ اضطر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى أن يحيل هذا المتمرد على مناهج التدريس إلى مجلس تأديب - كما هو المتبع فى جميع وظائف الدولة ، وكما تقضى به أنظمتها - وعين لذلك يوم ٢٨ شوال (١٩ يونيه) كما يرى القارىء فى قرار الاتهام المنشور بعد هذا ، وما كاد مثير هذه الفتنة يشعر بعواقب ما انزلق فيه حتى قابل ذلك بثالثة الأثافى فكذب على أساتذة الكليات الأزهرية وافترى عليهم أنهم عقدوا فى يوم ٩ شوال (آخر مايو) مؤتمراً أيدوه فيه وعارضوا المشيخة فى إنشاء هيئة تأديبية لمحاكمته وعدوا ذلك اضطهاداً ومحاكمة فى مسائل العلم والدين ، وبلغت الجرأة به وبمن اتخذوه مخلب قط أن نشروا بياناً موقعاً عليه بأسماء ثمانية من المدرسين بزعم أنهم كانوا فى المؤتمر الموهوم وأنهم يتكلمون باسمه ، مع أن أحد الموقع بأسمائهم على البيان موجود فى خارج الجمهورية المصرية فى بعثة أزهرية ، وبادر الآخرون إلى إعلان أن ما نسب إليهم كذب وتزوير وغش وأنهم اتخذوا الإجراءات القانونية لحفظ سمعتهم الدينية ومركزهم العلمى .

ولما تمادى البغى على الشريعة الإسلامية وأهلها حتى بلغ هذا المبلغ هبت كليات الأزهر ومعاهده وجبهة علماء الأزهر لاستنكار هذه الأساليب الوضيعة . وفى صباح يوم ١٧ شوال (٦ يونيه) عقد فى جامع شركس مؤتمر جامع لعلماء مساجد القاهرة حضره مدير الثقافة فى وزارة الأوقاف ومدير التفتيش الدينى ووكيل المساجد والمفتشون وجماهير الخطباء والأئمة والمدرسين ، وبعد خطب وكلمات ومناقشة استمرت إلى قبيل صلاة الظهر أصدر المؤتمرون بيانا عاما أعلنوا فيه أن هناك خطأ فى الفهم الشائع لحرية الرأى حتى صارت تطلق على من شاء أن يشوه الحقائق وأن ينشر الأكاذيب ، فإذا رأى من يعنيهم الأمر أن يتدخلوا لتصحيح الخطأ وبيان الحق من الباطل - وخاصة فيما يتصل بدين الله - صاح المغرضون : إن حرية الرأى فى خطر ! وإذا رأت الجهات المسئولة أن تناقش المخطىء قامت فى وجهها زوبعة مفتعلة من بعض الكتاب . وإذا كان المحامى المخطىء يحول إلى مجلس تأديب ، والطبيب المخطىء يحول إلى مجلس تأديب ، فهل يحمى المدرس الدينى المخطىء من أية مؤاخذة

بعد أن ينكشف للعامة والخاصة أنه يخبط فى الإسلام خبطاً منكراً ؟ وهل مجلس التأديب فى الأزهر إلا مناقشة فى الرأى وتمحيص للحق ومقابلة الحجة بالحجة ؟ إن تزوير الفتوى كتزوير النقد جريمة يجب مكافحتها . وقد طالب المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعامل بصرامة كل من تسول له نفسه العبث بتعاليم الإسلام ، ثم قرروا أخيراً الإعداد لمؤتمر جامع يضم علماء المساجد فى أنحاء الجمهورية لمكافحة الأفكار المسمومة التى تهد كيان الأمة وتعوق نهضتها الحاضرة .

وقبل ذلك فى يوم ١١ شوال (٢ يونيه) توجه إلى منزل المدرس محضر من محضرى محكمة بولاق - بناء على طلب صاحبى الفضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا والشيخ محمد مبارك أحمد مفتش الوعظ بوزارة الشئون الاجتماعية ، ومحلهما المختار بمكتب الأستاذ الدكتورمصطفى الحفناوى المحامى - وكلفه بالحضوربجلسة الجنح أمام محكمة بولاق فى يوم الاحد ٢٦ من يونيه لمحاكمته بالمواد ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٣٠٢ و ٣٠٦ من قانون العقوبات والمادة ٩٨ ب من المرسوم بقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٤٦ وقد طلب المدعيان فى كتاب موجه إلى وزير العدل اتخاذ اللازم لسماع أقوالهما فى دعوى ترفع لدى المحكمة الشرعية بطريق الحسبة وموضوعها طلب التفريق بين المدرس وزوجته باعتباره مرتدا لأسباب مذكورة فى إعلان الدعوى .

ولما كان لهذه الفتوى الإلحادية هذا التأثير فى مصر كان لها تأثير أشد وأخطر فى العالم الإسلامى ، ويرى القارىء فى هذا الجزء نموذجا لذلك من الكتاب الوارد على المشيخة من الهند وجواب المشيخة عليه .

وفى يوم ٢٠ شوال (١١ يونيه) وجه فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف كلمة نصح وإشفاق إلى المدرس الذى أثار هذه الفتنة قال له فيها : إن الذين يتظاهرون بالدفاع عنه اتخذوه كبش الفداء وحبالة الصيد ، وإنهم لا يهمهم أن يكون من الأبرار أو الفجار، وما إغراؤهم له إلا ليشفوا صدورهم من نغل ، ويسعوا وراء فاشل من أمل . ثم قال له : كن شهما صريحا ومؤمنا مخلصا ، وأذعها كلمة مدوية فى شجاعة وإقدام : إنى أخطأت ، وما أنا أول مخطىء ، والرجوع إلى الحق شعار المؤمن ، والإصرار على الباطل ضعف وخور وذلة . وقد تظاهر المفتون بالاستجابة لهذه الدعوة ، لكن بأساليبه الملتوية التى أفقدته عطف المحرضين ، وزادته بعدا عن أهل الدين ، ثم حضر فى اليوم المحدد لمحاكمته ومعه ثلاثة محامين طلبوا التأجيل للاطلاع على عناصر الدعوى فأجلت أسبوعا .

قـــــرار

باحالة الشيخ عبد الحميد بخيت

المدرس بكلية أصول الدين إلى مجلس التأديب

نشرت جريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر فى يوم الاثنين ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (٩ من مايو سنة ١٩٥٥) مقالا للشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه » .

ومن حيث انه جاء فى هذا المقال أخطاء فى أحكام شرعية من شأنها التضليل والدعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصوم .

وبعد الاطلاع على قرارنا بتاريخ ١٧ من رمضان سنة ١٣٧٤ الموافق ١٠ من مايو سنة ١٩٥٥ بتأليف لجنة علمية للتحقيق مع المذكور فيما جاء فى هذا المقال .

وبعد الاطلاع على محضرى التحقيق الذى سئل فيه المذكور فى الجلستين المنعقدتين فى ١٨ و ٢٥ من رمضان سنة ١٣٧٤ الموافق (١١ و ١٧ من مايو سنة ١٩٥٥) .

وبعد الاطلاع على المادة (١٣١) من القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة .

وعلى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية خاصا بمجلس تأديب أعضاء هيئة التدريس .

قـــــرر

أولا : إحالة الشيخ عبد الحميد بخيت المدرس بكلية أصول الدين على مجلس التأديب المنصوص عنه فى المادة (٤٥) من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية لمحاكمته تأديبيا على ما جاء فى المقال الذى نشر له فى جريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٩٥ من السنة الثالثة الصادر فى ١٦ من رمضان سنة ١٣٧٤ (الموافق ٩ من مايو سنة ١٩٥٥) بعنوان « إباحة الفطر فى رمضان وشروطه » من المخالفات الصريحة لأحكام الصوم التى تكاد تكون معلومة من الدين الإسلامى بالضرورة . وهذه المخالفات هى :

١ — قوله فى المقال سالف الذكر : ومن هنا رخص الله فى الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الأذى .

٢ — وقوله : فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينا فإن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم .

٣ — ومنها أنه يدعو المفطرين لعذر إلى المجاهرة بالإفطار مع أن الشريعة ندبت من كان له عذر فى الإفطار ألا يجاهر الناس بالفطر حرصا على حرمة الشهر واحترام التقاليد الدينية وشعور الصائمين .

٤ — ومنها تضليل عامة الناس بذكر الأحاديث التى ساقها ليوهم القراء أنها أدلة شرعية على ما ادعاه من إباحة الفطر لأدنى ألم مع أن الأحاديث التى ساقها كلها واردة فى السفر والجهاد فى سبيل الله . ولا شك فى إباحة الفطر للمسافرين مع وجوب القضاء عليهم .

٥ — ومنها أنه أفتى المفطرين بعذر بأن الذى عليهم هو الفدية ، وسكت عما يجب عليهم من القضاء ليوهم أنه ليس عليهم قضاء ، وهذه فتوى لم يقل بها أحد من المسلمين .

٦ — ومنها أنه أمعن فى تضليل القراء بقوله حكمة مشروعية الصوم هى كما قال الله فى القرآن الكريم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » . حقيقة ان هذه الآية الكريمة اشتملت على حكمة إباحة الفطر للمسافر

والمريض وهى أن الله أراد بهم اليسر ولم يرد بهم العسر ، ولكن المتهم يأبى إلا أن يمعن فى التضليل فيستعمل الآية فى غير موضعها ليؤيد بها مدعاه .

٧ — ومنها قوله : إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به القادرين عليه الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر .

وعلى العموم فإن كل ما جاء فى هـذا المقال يعتبر فى جملته وتفصيله دعوة إلى التحلل من ركن من أهم أركان الإسـلام وهو الصوم ، أو على الأقل إحداث شك وبلبلة أفـكار عند المسلمين فى وجوب القيام بهذه الفريضة الشرعية ، فإن الناس قد يعتقدون أن ما تضمنه ذلك المقـال فتوى شرعية يصح الاعتماد عليها من حيث انهـا صادرة من عالم من علمـاء الازهر .

ثانياً ـــ حددنا يوم الأحد ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٤ (الموافق ١٩ من يونيه ١٩٥٥) لمحاكمته على ما نسب إليـه وكلفناه بالحضور أمام مجلس التأديب الذى سينعقد فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم المذكور بالإدارة العامة للجامع الأزهر .

ثالثـا ـــ على إدارة المستخدمين تنفيذ ذلك وإعلان المتهم بهذا القرار بالطرق القانونية قبل انعقاد المجلس بخمسة عشر يوما .

تحريراً فى { ١٠ شوال سنة ١٣٧٤
أول يونية سنة ١٩٥٥ }

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

بين الأستاذ الأكبر والسيد محمد حبيب الله

The Roctor of Al-Azhar University,
Cairo—Egypt

صاحب الفضيلة الأستاذ المبجل شيخ الجامع الازهر : القاهرة — مصر

Most respected sir,

Assalamu Alaikum.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

It is with profound sorrow I have to write you that I am shocked to read the newspaper report about the remarks made by sheikh Abdul Hamed Bakheet, professor of Islamic History at Al-Azhar, wherein he is reported to have said that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

فأكتب لفضيلتكم وأنا فى غاية التأثر والألم لاعبر لكم عن الصدمة التى صدمتها عند قراءة ما نشرته الجرائد عن آراء الشيخ عبد الحميد بخيت أستاذ التاريخ الاسلامى بالأزهر .

وقد جاء فى هذه الجرائد أنه صرح بأن الصيام فى شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

I have the greatest respect for Al-Azhar and its Ulemas, but it pains me to read such a shocking report which is quite contrary to the teachings of Islam. This report has caused a stir in our town, and, I fear we may be mislead and our "Imam", God forbids, may be shaken

ونحن نكن أعظم التقدير للأزهر وعلمائه وقد حز فى نفوسنا وآلمنا أن نقرأ بيانا مذهلا كهذا البيان الذى يتعارض تمام التعارض مع تعاليم الاسلام . وقد أحدث نشره رجة عنيفة فى مدينتنا واخشى أن يؤدى الى تضليل الناس وأن يجعل موقف الامام عندنا فى غاية الحرج .

I approached the local Molvis and Ulemas and they have given the verdict that fasting during Ramzan is obligatory for every Muslim. But it has not satisfied my quest for more knowledge about fasting, and hence, I approach you for a clear guidance.

وقد اتصلت بأئمة المنطقة وعلمائها فأصدروا فتواهم بأن الصيام فى شهر رمضان واجب على كل مسلم . ولكنهم لم يحققوا طلبى فى معرفة بيانات أكثر عن موضوع الصيام . ولهذا فانى أتقدم الى فضيلتكم للحصول على بيان وإرشاد تام الوضوح عن هذا الموضوع .

Please kindly clear the doubt and enlighten me with your knowledge whether fasting is obligatory

فأرجو أن تتفضلوا بازالة الشكوك وانارتنا بعلمكم فتبينوا لنا بالتفصيل ما إذا كان الصيام

واجبا أو غير واجب كما يرى الشيخ العالم عبد الحميد بخيت . وأرجو أن يصلني رد عاجل من فضيلتكم ولكم جزيل الشكر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاجلال .

١٥ مايو سنة ١٩٥٥

أمضاء [د . محمد حبيب الله]

ملحوظة : أرسل مرافقا لهذا قصاصة الجريدة للاطلاع عليها .

ترجمة القصاصة المرافقة لهذا الكتاب

صيام رمضان غير واجب — رأى أستاذ بالقاهرة

القاهرة فى ١٢ مايو

أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتأليف لجنة من أربعة من علماء الكليات بالأزهر للنظر فيما ادعاه أحد الأساتذة من أن الصيام فى شهر رمضان غير واجب على المسلمين .

فقد كتب الشيخ عبد الحميد بخيت مؤخرا وهو أستاذ التاريخ الاسلامى بالأزهر أقدم مركز للدراسات الاسلامية « اننا نرى كل يوم مئات الأفراد من الناس الذين لا يقدرون على أداء رمضان يمضون الى الاماكن النائية حيث يأكلون ويشربون » .

وأضاف « أنه لا يجب أن يراعى الصوم إلا من يقدر عليه أما الذين لا يستطيعون الصيام فيمكنهم تبرئة ذمتهم أمام الله باطعام الفقراء أو التصدق عليهم » .

وقد استنكر علماء الازهر بشدة آراء الاستاذ المذكور . [رويتر]

or non obligatory as contended by the learned sheikh Abdul Hamid Bakheet.

Thanking you and awaiting an early reply.

With respects.

Your most faithfully,

D. Mohamed Habibulla

P.S. I am herewith enclosing the newspaper cutting for your kind perusal.

Ramzan fast not ohligatory

Cairo professor's contention.

Cairo, May 12.

The Rector of Al Azhar University has ordered the setting up of a committee of four from the University's Ulemas to look into a profassor's claim that fasting during Ramzan month is not obligatory for a Muslim.

Sheikh Abdul Hamid Bakhaet, professor of Islamic History at Al Azhar, the oldest seat of Muslim learning, wrote recently, "Every day we see hundreds of people who are unable to keep Ramzan go into isolated places where they eat and drink".

"Fasting should be observed only by those who can stand it. Those who cannot fast, may acquit themselves before Allah by feeding the poor or giving rhem money", he said. Ulemas at Al Azhar University strongly objected to the professors remarks-Reuter.

Mr. D. Mohamed Habibullah
Muslimpur, Vaniyambadi
N. A. Y. INDIA.

Respected Sir,

Assalamu alaykom wa rahmatullahi wa barakatoh.

We have received your letter dated 15-5-1955, expressing your profound sorrow and indignation, at what has been published by the newspapers, about Sheikh Abdul-Hamid Bakheet, teacher of History in Al-Azhar. You state in this letter that his contention has caused a stir, great perplexity and confusion in the mind of the Muslim people, for it was understood from this article that fasting is not obligatory in the Islamic Religion.

We beg to inform you that the writer of this article is not competent or specialisd in the Islamic Jurisprudence, his study of Fiqh or Islamic Law ended with the secondary section. He has not learnt Fiqh in the Higher Education and he specialised and obtained his degree in History. The contention attributed to him in the newspapers on this subject has no foundation or credit at all, is unworthy of consideration and must be neglec-

السيد الفاضل محمد حبيب الله

مسلمبور — فانيامبادى [الهند]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

فقد تلقيت كتابكم ، الذى تبدون فيه استنكاركم واستياءكم ، لما نشرته الجرائد عن الشيخ عبد الحميد بخيت ، مدرس التاريخ بالأزهر ، وتذكرون أن ذلك المقال قد أحدث رجة عنيفة ، وبلبلة فى أفكار المسلمين، حيث فهم منه أن الصيام غير واجب فى الشريعة الاسلامية .

وأفيدكم أن كاتب هذا المقال ليس من المتخصصين فى الشريعة الاسلامية ، وأن دراسته فى الفقه الاسلامى قد انتهت بالدراسة الثانوية ، فهو لم يزاول الفقه فى التعليم العالى ، وكان تخصصه فى التاريخ . وأن ما نشرته الجرائد له فى هذا الموضوع لا يعول عليه ولا يؤبه له ، وقد أحيل إلى محاكمة تأديبية ، بتهمة التضليل والدعوة إلى التحلل من فريضة معلومة من الدين بالضرورة .

ted completely. This teacher has been summoned to a disciplinary trial, with charge of misleading and inciting people to dispense with this prescription, necessarily known in the Islamic religion and recognised by all Muslims.

Al-Azhar Rector will preside the Discipline Council composed of the Vice-Ministsr of justice, the three Deens of Al-Azhar Faculties and two members of the Higher Council of Al-Azhar.

As for the rules prescriped by Allah on this point, we beg to state that the fast of Ramadhan is an absolute injunction and one of the four fundamental Islamic Institutions called the billars of Islam, after the recognition of one God and that Mohamed is his last prophet. Who soever denies that fast is obligatory is unanimously considered kafir, i.e. non Muslim.

Muslims are allowed to break the fast, in the case of disease or journey, with charge of fasting like number of other days, as the Almighty God has said in the Holy Quran : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .

The interpretation of the second paragraph of this verse is as follows : " Whoever is diseased or on a journey is allowed not to fast during the days of disease or journey, with charge of fasting

ويقوم بهذه المحاكمة هيئة يرأسها شيخ الجامع الأزهر ، وأعضاؤها وكيل وزارة العدل وشيوخ الكليات الثلاث واثنان من أعضاء مجلس الأزهر الأعلى .

أما حكم الله فى المسألة ، فان الصيام فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الاسلام الاربعة ، بعد الشهادتين والذى ينكر فرضيته كافر بالاجماع

ثم أنه يباح الفطر بعذر المرض أو السفر مع وجوب الاعادة ، كما قال الله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

afterwards the number of days he has not observed ".

Excepted of this rule are the old weary and declining person and the one who is attacked of an incurable disease. These two kind of persons who do not expect to be able one day to fast - when they do not fast, being unable to keep it - are required to effect a redemption, by feeding a poor person for each day. This is the case meant by this verse of the Holy Quran :
« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »
which means the persons who exhaust their strength in keeping it. This verse is also read :
« وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين »
i. e. those who find the fast as a heavy collar on their neck, because it is extremely hard and unbearable for them.

غير أن الهرم والمريض مرضا لا يرجى برؤه — وهما اللذان لا ينتظر أن يأتى عليهما زمن يستطيعان فيه قضاء الصوم ، عليهما — فى حالة الفطر للعجز عن الصوم — الفدية ، وهى إطعام مسكين عن كل يوم . وهذا هو المقصود بالآية الكريمة : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أى يبذلون فيه غاية طاقتهم وآخر وسعهم ، وقد قرىء : « وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين » أى يكون — لما فيه من العسر والحرج عليهم — كالطوق فى أعناقهم .

The Muslims are unanimous that the persons, allowed not to fast for one of the above-mentioned reasons, are not authorised to break the fast in public, by consideration of Muslim feelings and respect of the genral execution of this fundamental ordinance.

وقد أجمع المسلمون على أنه لا ينبغى أن يجاهر المعذورون بإفطارهم احتراما لشعور المسلمين ومحافظة على مظهر هذه الشعيرة الكريمة .

This is the clearing required, and we hope that this statement will bring things back in the right order, clear your doubts and calm your souls. We implore the Almi-

هذا ونرجو أن يكون فى هذا البيان ما يقر الأمر فى نصابه ويطمئن نفوسكم ، والله نسأل أن يحفظ الاسلام ويرد عنه كيد أعدائه وأن يجمع كلمة المسلمين

على إقامة شعائر الدين والعمل بكتابه المبين ، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المتقين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ؟

شيخ الجامع الازهر

عبد الرحمن تاج

١٤ من شوال سنة ١٣٧٤
٥ من يونيه سنة ١٩٥٥

ghty God to preserve and protect Islam against the intrigues of its enemies and to unite Muslims in the execution of their religious ordinances and in pursuing His Clear Book. Would Allah grant peace and blessing to our Prophet Mohamed, leader of pious and chief of Allah' Messengers, to his relatives and to all his companion.

Wassalamu alaykom wa rahmatullah wa barakatoh.

The Rector of Al-Azhar

حرية الرأى

وحدودها فى المقطوع به من الشريعة

لمن حق الاجتهاد والفتوى ؟

نشر الشيخ عبد الحميد بخيت فى جريدة الأخبار يوم الاثنين ١٦ رمضان كلمة عنوانها إباحة الفطر فى رمضان وشروطه . ولوقوعه بإبداء هذا الرأى فى الخطأ الفاحش والزلل الجسيم بادرت مشيخة الأزهر بالإنكار عليه ونبهت المسلمين إلى خطئه ، وقررت التحقيق معه ثم أحالته إلى مجلس التأديب الأعلى كما هو حقها شرعا وقانونا .

وقد ناصره فريق من الكتاب منهم الحقوقيون وحملة القانون ومدرسوه وأنكروا على مشيخة الأزهر محاكمته : منهم من احتج على ذلك بأنه لا كهنوتية فى الإسلام ، ومنهم من احتج بأن فى محاكمته حجراً على حرية الفكر، ومنهم من قال : إن الدين صلة بين العبد وربه ، ويعنى أنه لا شأن لأحد فيمن يتدين ويتصل بربه كما يشاء ويقول فى الدين ما يشاء .

ولما كانت حملة هؤلاء الكتاب لا تخص مسألة الشيخ بخيت ، بل يمكن أن تظهر فى الدفاع عن كل من يتهجم على الدين والوقوف فى وجه من تصدى للدفاع عنه والتهويش عليه — ولو أثمرت وانتصرت وتقرر ما يقولونه فى نفوس العامة لانحلت عرى الدين - لاقدر الله - ولم يتمكن حراسه من الدفاع عنه — رأيت من واجبى أن أبين للمسلمين حقيقة الواقع فى مثل هذه المسائل كما اتفق عليه سلف الأمة وخلفها ، ليكونوا على بينة من أمر دينهم ويميزوا الحق من الباطل فيما يقال ويكتب فى شأنه .

بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الناس كافة فى وقت انتشر فيه الفساد ، وساد فيه القلق والفوضى والاضطراب ، وزاد الهرج والمرج بين الناس يموج بعضهم فى بعض على غير هدى ، فكان إرساله رحمة للعالمين كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وشرع سبحانه وتعالى على لسانه ﷺ شريعة تكفلت بصوالح الخلق فى الدنيا والآخرة ، وبانتظام معاشهم ومعادهم ، وهذه الشريعة قسمان : أحكام اعتقادية أصلية المقصود منها اعتقادها والتصديق بها حسبما دل عليه البرهان العقلى القطعى وأيده

ما جاء فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة . والثانى : أحكام عملية المقصود منها العمل من المكلفين ، وكل مكلف لا تخلو أفعاله التى تصدر عنه باختياره عن حكم لله تعالى من الوجوب أو الحرمة أو غيرهما من باقى الأحكام الشرعية ، فالواجب الشرعى ما يثاب على فعله ويستحق العقاب على تركه ، والمحرم شرعاً ما يستحق العقاب على فعله ويثاب على تركه إن توجهت نفسه إليه ثم كفها عنه .

وقد شرع سبحانه وتعالى عقوبات فى الدنيا للمخالفين للأحكام الشرعية الحتمية : شرع فى بعضها - وهو المهم منها - حدوداً معينة يقيمها على المخالف ولى الأمر من المسلمين ، وشرع فى الباقى تعازير كما يراه ولى الأمر ، وأوعد سبحانه وتعالى المخالفين بالعذاب الشديد فى الدار الآخرة .

وقد نصب الشارع على هذه الأحكام أدلة منها الواضح الجلى ، ومنها الدقيق الخفى ، لذلك تنوعت هذه الأحكام إلى ثلاثة أنواع :

الأول أحكام يقينية قطعية نقلت إلينا بالتواتر القطعى بنقل الخلف عن السلف جيلا بعد جيل من عهد النبوة إلى الآن ، فلم يختص بعلمها الخاصة بل اشترك فى العلم بها العامة والخاصة ، فكان العلم بأنها من دين الإسلام علماً ضرورياً لا يختلف فيه اثنان ، وذلك كفرض الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة وحج بيت الله الحرام وحرمة قتل النفس بغير حق والزنا وشرب الخمر والربا وغير ذلك مما هو معلوم .

وهذا النوع من الأحكام يختص بأمرين :-

الأول : أن من أنكر وجحد من المسلمين حكما من هذه الأحكام المعلومة من دين الإسلام بالضرورة يكفر ويرتد عن دين الإسلام ، لأنه بجحده هذا الحكم المعلوم قطعا أنه جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كذب الرسول كفر لأن الإيمان هو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم .

وأحكام المرتد عن الإسلام فى الشريعة الإسلامية معلومة : منها القتل إن أصر على ردته يتولاه ولى الأمر من المسلمين .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل قتل امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق » وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » .

ومنها التفريق بينه وبين زوجته ، وغير ذلك مما هو مقرر فى الفقه .

الامر الثانى : أن هذا النوع من الاحكام لا مجال للاجتهاد فيه ولا يتصور ، لان الاجتهاد استفراغ الوسع فى استنباط حكم شرعى غير معلوم . وهذا الحكم معلوم للخاصة والعامة .

النوع الثانى : أحكام شرعية أجمع عليها أئمة المسلمين لم يخالف فيها أحد ، لكن اختص بالعلم بها الخاصة دون العامة ، ومن أمثلتها استحقاق بنت الابن السدس مع البنت . وهذا النوع من الاحكام كالنوع الاول لايجوز لمجتهد يأتى بعد الإجماع أن يخالفه ، لأن خرق الإجماع حرام ، إلا أن الأئمة لم يتفقوا على تكفير منكره ، والصحيح أنه لا يكفر ، وإنما يأثم ويفسق إن علم به ، ولا يجوز العمل بخلافه .

النوع الثالث : أحكام شرعية دقت أدلتها وخفيت ، ولذلك اختلفت أنظار الأئمة المجتهدين فى استنباطها وتنوعت المذاهب ، وليس فى هذا الاختلاف فى هذا النوع من الاحكام من حرج ، كما أنه ليس من الاختلاف المذموم المنهى عنه .

أولا : لانه وقع مثله فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة وأقرهم عليه .

ثانياً : لانه ضرورى لا يمكن التفصى عنه ، لأن المجتهد إذا أفرغ وسعه واستنبط الحكم من الادلة واطمأنت نفسه إليه لايجوز له مخالفته اتباعاً لغيره .

ثالثاً : لاضرر فيه وإنما فيه فسحة وتيسير على العباد ، وقد اتفق الأئمة المعتبرون على أن كل مكلف غير مجتهد عمل بما تحقق أنه استنبطه أحد الأئمة المجتهدين يخرج عن عهدة التكليف ، سواء قلنا إن كل مجتهد مصيب وإن حكم الله فى الحادثة الواحدة يتعدد ، أو إن المصيب فيها واحد والباقى مخطىء وإن حكم الله لايتعدد ، وإن له فى كل حادثة حكما واحداً ، لانه لايترتب على هذا الخلاف إلا أنه على الرأى الثانى يكون للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحد ، والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم المصيب فى الواقع من المخطىء . وهو الذى يمنح بفضله الأجرين للمصيب والأجر للمخطىء .

من له حق الاجتهاد

ومن عرف دقة الادلة ظهر له بوضوح تام أنه لا يستطيع استنباط هذه الاحكام أى واحد ، وإنما الذى يستطيعه هو المجتهد . وله شروط ضرورية مبينة فى أصول الفقه : منها أن يكون فقيه النفس ، عالماً بعلوم اللغة العربية وأصول الفقه وبمتعلق الاحكام

من الكتاب والسنة ، محيطاً بمعظم قواعد الشرع ممارساً لها ، حتى يكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ، خبيراً بمواقع الإجماع كي لا يخرقه ، واقفاً على الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغير ذلك مما تنوء بحمله الجبال .

وهل يمكن وجود هذا المجتهد الآن أو لا يمكن ؟ وعندي أنه لو وجد لا تظهر له فائدة في الأحكام التي استنبطها فحلا الأئمة المجتهدون إلا ترجيح بعض المذاهب ، لأنه لا بد أن يوافق أحد المجتهدين ، ولا يجوز له مخالفة الجميع فيما اتفقوا عليه ، وإلا عد خارقا للإجماع وهو لا يجوز . نعم ، تظهر له فائدة في استنباط الأحكام في الأمور المستحدثة التي لم ينظرها المجتهدون السابقون ولا أتباعهم ، لأنها لم تكن في زمانهم ، وهذا من ضروريات الشريعة ، وفي ظني أن هذا ليس بعسير ، لأن ما مهده الأئمة السالفون من الضوابط والقواعد يمكن العالم باللغة العربية المتبحر في علم الفقه وأصوله المطلع على طريقة استنباط الأئمة السابقين أن يدرج هذه الأمور المستحدثة تحت ضابط أو قاعدة شرعية تشملها أو إلحاقها بنظائرها ، والشريعة لا تخلو عن ذلك .

من له حق الافتاء

ثم من مارس الفقه وأصوله اتضح له أن بيان الأحكام الشرعية التي دونت ، وإفتاء الناس بها ، ليس من حق كل أحد ، لأنه لا يستطيعه على وجهه الصحيح إلا من تلقى علوم الشريعة أصولا وفروعا ووسائلها باستيعاب ، وراجعها المرة بعد المرة بتدريس أو نحوه ، حتى أحاط بدقائقها وألم بظاهرها وخفيها ، ووقف على مداركها وأدلتها ، وإلا لم يأمن من الوقوع في الزلل والإفتاء بالخطأ فيضل ويضل غيره ، وقد قال الله تعالى - وهو يذكر الشيطان - : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » ، أي يأمركم الشيطان أن تقولوا هذا حلال وهذا حرام من غير علم ، وذكر سبحانه وتعالى « أن تقولوا على الله مالا تعلمون » بعد ذكر الفحشاء مع أنه من جملتها لأنه أعظم أنواعها ، فالتهجم على الفتوى أمر عظيم الخطورة .

وكان الواجب أن يصون القانون العام للدولة الشريعة الإسلامية ويحميها من عبث العابثين ، ويحدد من له حق بيان أحكامها ، كما صان صناعة الطب ، فإن الخطر على دين الأمة كالخطر على أبدانها .

إذا علمت ما بيناه من أنواع الأحكام الشرعية وخصائص كل نوع علمت أن كل من أبدى حكما خلاف ما علم أنه من النوعين الأولين - وبخاصة النوع الأول ، وبالأخص إذا نشره ودعا الناس إليه - وجب على المسلمين على الأقل زجره وردعه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن رأيه وتزول آثاره السيئة ويحصل الاطمئنان بأن لا يعود هو أو أمثاله إلى مثل هذا الرأى . ولا يجوز لمسلم أن يدافع عنه ويؤيده . أما النوع الثالث فقد وسع الله فيه على عباده ، فكل مكلف لم يصل إلى درجة الاجتهاد وجب عليه أن يتبع فى تلك الأحكام المختلف فيها من تطمئن إليه نفسه من الأئمة المجتهدين وليس لأحد الإنكار عليه فى هذا الاتباع .

الرد على المناصرين للشيخ بخيت

هذا - ويتعين علينا تفنيد حجج من ناصر الشيخ بخيت فى رأيه المعروف . أما قولهم : « لا كهنوتية فى الإسلام » فإن أرادوا بالكهنوتية وجود رؤساء دين يحللون ويحرمون ويؤثمون ويعاقبون أو يعفون ويغفرون بآرائهم وأهوائهم من غير استناد إلى الشريعة ، فهؤلاء لا يوجدون فى الإسلام قطعا . وإن أرادوا وجود علماء يعرفون الأحكام التى شرعها الله وهم مكلفون ببيانها للناس على الوجه الصحيح ورؤساء - هم أولياء أمور المسلمين - يحرسون الإسلام من عبث العابثين ويقيمون الحدود على المخالفين ويؤدبون المعتدين على الإسلام وأحكامه ، فهذا موجود ومشروع فى الإسلام ، وفقدهم وانقراضهم إيذان بقرب قيام الساعة .

وأما حرية الرأى والحجر على الأفكار فليس مما نحن فيه ، لأنى لا أظن أن أحدا يعقل أن تعدى الحدود المقررة شرعا أو قانونا يدخل فى نطاق حرية الرأى ، وأن زجر المعتدى وتبيين خطئه داخل فى نطاق الحجر على الأفكار ، وإلا لجاز أن يقول كل واحد ما شاء فيما شاء ، ولا شك أن هذه هى الفوضى بعينها .

وأما القول بأن الدين صلة بين العبد وربه فهو كلمة حق إلا أن هذه الصلة يجب أن تكون كما حددها الرب سبحانه وتعالى وبينها على لسان نبيه ﷺ ، أما الصلة بغير ذلك فليست صلة ، وإنما هى انقطاع وبعد عن الله تعالى وتمرد عليه وعصيان ، لأنه لم يمتثل أمره ونهيه فى تحديد تلك الصلة ، وذلك واضح . والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

عيسى منون
عضو جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى
وشيخ كلية الشريعة سابقا

تعليقات

— ١ —

براءة الأزهر ومعذرته الى المسلمين

وإخوان تخذتهمو دروعا فكانوها ولكن للأعادى
وأبناء تخذتهمو سهاما فكانوها ولكن فى فؤادى

* * *

١ — فى الوقت الذى يضاعف الأزهر فيه نشاطه فى دعوة الناس إلى ربهم .

وفى الوقت الذى يغمر المسلمين فيه شعور بالجذل لقيامهم بصوم رمضان ، وهم على شغف بالتوفيق فيما يتطلبه دينهم ، وعلى أمل فى القبول والرضوان من ربهم ، يخرج من صفوف الأزهريين إنسان استبد به شيطانه فغلب عليه النزق ، وغاب عنه الرشد ، ودعا الناس إلى التحلل من فريضة الصوم متى شعروا بشىء من الضيق أو الأذى ولو قليلا .

وأعلن فى الناس أن الصوم لم يفرض إلا على الشغوفين به الذين يؤدونه فى غير ضجر أو برم .

ودعا الناس إلى المجاهرة بالفطر زاعما إليهم أن المجاهرة بالفطر تعتبر شجاعة دين وقوة إيمان الخ .

والناس حينما يسمعون صيحة كهذه من أزهرى يزعم لهم كذبا أنه دكتور ، وأنه ارتقى إلى درجة أستاذ فى الكلية ، يساورهم القلق والريبة فيما كانوا مطمئنين إليه من عمل ، أو يساورهم الوجل أن يكون الأزهر - وهو منار هدايتهم - قد نكص عن رسالته الحقة ، أو انتابته لوثة خرافية ظهرت على لسان واحد ممن يعيشون فى ظلاله .

وكم يكون لهذا الاضطراب من أثر على الناس فى حياتهم الدينية إذا ظلوا يفهمون أن

المتحدث به شخصية بين الازهريين ، وأنه يحمل لقب دكتور وأستاذ ، وأنه من أهل الفتوى فى العلم والدين ؟

٢ — ولكن الأمر فى حقيقته على غير هذا كله . . . إذ الأزهر يستقبل من الشباب أخلاطا تختلف بيئاتها ومشاربها ، فإذا ما درجوا فى ظلاله وأخذوا شيئا من تعاليمه ، بدأت تختلف نظراتهم إلى الحياة ، وتتباين وجهاتهم العلمية ، ولا يمكن أن تظل هذه الأخلاط فى وضع متحد ، ولون واحد ، وهم كالزرع يسقى بماء واحد ، ولكن الله يفضل بعضه على بعض فى الأكل .

والثقافة الدينية كالدواء تعالج به النفوس ، ولكنه قد ينجع ويصلح فى جسم ، ولا يصلح فى جسم آخر ، وإن كانت العلة واحدة .

والأزهر لا يجهل أن فى أحضانه أناسا يحسبون عليه ، وهو لا يعتد بهم من أبنائه الأوفياء بعهده ولا من رجاله الأمناء على رسالته ، ولكنه لا يتمكن من نبذ هؤلاء الشواذ خارج حظيرته ، لاحتمائهم بالقانون بعد أن أصبحوا فى عداد موظفيه . فهو يتأذى منهم ولكنه يصبر عليهم ويصابرهم حتى تحين فرصة تمكن له أن يلفظهم بعيدا عنه ، ويبرأ منهم إلى الله ، وإلى المسلمين .

وحديث الناس فى الفترة التى تمر بنا الآن يتناول الشيخ عبد الحميد بخيت مدرس التاريخ فى كلية أصول الدين .

وقد فعل هذا المدرس فعلته فيما دعا الناس إليه غير مكترث بدين ، ولا قانون .

فلما طلبت إليه مشيخة الازهر أن يدلى بوجهة نظره فيما نشره من أحكام خاطئة ضلل بها كثيراً من الصائمين ، امتنع عن التحدث إلى اللجنة العلمية التى شكلت للبحث معه زاعما أن القوانين لا تقف فى سبيل الرأى ، ولو كان كرأيه مروقا من الدين وفتنة للناس .

والناس بحاجة إلى العلم بشىء عن هذا الشيخ ليتبينوا ضآلة شخصه وفساد رأيه . وهو إنسان بخلت عليه الاقدار بكثير من مميزات الإنسان ، ثم هو متوسط الثقافة فى التاريخ فحسب دون الفقه أو سواه ، وهو مع ذلك مأخوذ بحب الظهور ، ومفتون بأن يقال عنه فلان ... فلما وجد نفسه غير ذى شأن بين المثقفين دفع بنفسه إلى موقف الإفتاء فى الدين مصيباً كان أو مخطئاً ، وهو على أى حال سيظفر بأن يقال أفتى فلان : محقا كان أو مبطلا .

وربما كان الخطأ أحب إلى نفسه ليثير استياء الناس منه ، وكثرة حديثهم عنه ، وقد فعل .

كما أنه فى سبيل ظهوره لا يكفيه أن يكون شيخا محسوبا من علماء الأزهر ، بل يخلع على نفسه ألقابا وهمية ، ليوهم الناس بأنه ذو مكانة فى العلم ، وليأخذوا عنه غير متشككين .

هذا هو الشيخ عبد الحميد بخيت الذى أثار زوبعة حول نفسه منذ وقف من دينه موقف المعتدى ، ووقف من الناس موقف الفاتن المضلل ، والذى دفع بالأزهر اليوم أن يقف من المسلمين موقف الاعتذار عن ورطة ليس للأزهر فيها جناية .

وهناك شخص آخر نشأ فى الأزهر ويعيش اليوم بعيداً عنه ، وقد كان ذلك الآخر على شىء من التقوى أول أمره ، ولكن الرغبة فى وفرة الاموال ، وبسطة العيش ، دفعت بهذا الأزهرى الآخر إلى الانحراف ، ثم إلى مهاجمة الأزهر ، ثم إلى الانتقاض على أحكام الدين ، ودعوة الناس إلى الإباحية فى غير تريث ولا اقتصاد .

ومن كان يظن أن أزهريا خطابيا سفياً ذا لحية وذا عمامة مرخاة على كتفيه يطعن على الأزهر فى كل ما تعلمه هو ، ويطعن على الأزهر كله حتى فى أرضه وحوائطه وسقفه ثم يتدرج فى انحرافه حتى يقوم بالدعوة إلى الرقص وإلى الحب الماجن ؟!! .

بل إلى الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء وإلى ما هو أخش من ذلك فى باب التحلل من أحكام الله جملة وتفصيلا ، وتبين من أمره أنه كان يعبد الله على حرف فلما أصابته الفتنة انقلب على وجهه ، وهذه ضلالات أصبحت تذاع وتتفشى بيننا فى غير حرج ولا حياء ، بل هناك مجلات معروفة وقفت جهودها ونصبت نفسها لاجتذاب الشباب إلى ناحية الخلاعة والمجون الوضيع والتنصل من كل نزعة كريمة .

وبعض الناس يظنون أن الأزهر مقصر فى هذا كله . ولكن الأزهر لا يملك سلطة يهيمن بها على أنصار الفتنة ودعاة الرذيلة من كتاب ومجلات وصحافة غمرتها أموال الهيئات المعادية للإسلام بالذات ، وللأزهر وعلمائه بالتبع ، ورسالة الأزهر فى دعوته محاجة إلى سلطان قاهر ، وشكيمة قوية تكبح هذا الاسترسال فى الفساد الجهرى فى الدين والخلق والآداب العامة .

وإذا كان فى الناس من يأسى على انحراف أفراد من الأزهريين كالشيخ بخيت والشيخ خالد ، فمعذرة الأزهر إلى هؤلاء الذين يبخعون أنفسهم غيرة وأسفا أنه غير متمكن تماما من الوقوف فى وجه المتبجحين والاخذ برقابهم .

وليذكر الناس أن انحراف أزهرى عن أزهريته، وفتنة أزهرى فى دينه، مثل من الأمثلة الحية فى باب العبرة بمن يضله الله على علم، وقديماً كان إبليس يعيش مع الملائكة، ثم فسق عن أمر ربه، فكان فتنة لنفسه وللغاوين من الناس. ولله فى خلقه شئون.

— ٢ —

من أمثلة الخير

طبيب معهد المنصورة « الدكتور السيد محمد عبده الجيار » من أسرة عريقة بالمنصورة سوى أسرة الجيار المشهورة بالمطرية دقهلية التى منها الدكتور حلمى الجيار. ولأسرة الدكتور محمد عبده الذى نتحدث عنه مصاهرة وروابط قوية بأسرة الشناوى المشهود لها فى المنصورة بكثير من المروءات والمحامد، وفى مقدمتها بناء المعهد الدينى الذى لهم فى إقامته أكبر نصيب من الفضل، والذى نافست به المنصورة جميع المؤسسات العلمية التى أقيمت فى العواصم المصرية أخيراً.

ويبدو أن الروابط التى جمعت بين أسرة الجيار هذه وأسرة الشناوى ليست مجرد المواطنة فى بلد واحد، ولا مجرد التشابه فى اليسار المالى، فكثيراً ما نرى أسراً متباغضة لتزاحمها على السيادة فى بلد واحد، أو للتنافس بينها فى اليسار.

ولكن الرابطة التى جمعت بين الأسرتين وعقدت بينهما النسب والمصاهرة هى اتحاد المشرب، واتجاه كل من الأسرتين إلى الخير والمروءات.

والحديث النبوى يقول: « الأرواح جنود مجندة: ماتعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف ».

وهاتان الأسرتان تعارفتا على الخير، وفى سبيل الخير. ومما سمعته عرضا فى زيارتى لمعهد المنصورة عن والد الدكتور محمد عبده الجيار أن له يداً سابقة فى كثير من المبرات الخالدة، وأن له أرصاداً على جهات باقية، ويقوم عليها أبناؤه وهم الدكتور وإخوته:

من تلك المبرات أنه تقدم إلى وزارة الأوقاف قبل وفاته بأربعة آلاف جنيه لإقامة مسجد بالمنصورة فى حى فقير من المساجد، وقد تريثت الوزارة فى التنفيذ لسبب ما. وبعد ذلك نشط الدكتور محمد إلى تنفيذ ما كان والده حريصاً على تنفيذه، وقد استجابت وزارة الأوقاف لدعوته وآزرته مؤازرة مشكورة، وهاهوذا المسجد يشاد اليوم على أحسن مايرجو المصلحون.

هذه إحدى الذكريات الطيبات للمرحوم الحاج عبده الجيار ، وقد ورث عنه أبناؤه هذه النزعة وزادوا عليها .

ويتضح ذلك فيما يبذله الدكتور الشاب من مروءات أدبية مع أسر العلماء ومع الطلاب ، ومع سواهم من فقراء المنصورة ، فهو كطبيب يقدم للإنسانية خدمات مشكورة فى مجاملة هؤلاء عن طيب خاطر ، وتمام رضا وتعفف ، كما يجامل الإنسانية كثيراً على حساب ماليته الخاصة .

وقد حضرت له موقفاً كريماً يشهد بصدق ما سمعته بعد انصرافه عنا ، وهو أنه أحس بحاجة المعهد إلى أجهزة تليفونية تصل بين أجنحة المعهد المترامية ، وتمكن لشيخ المعهد أن يتصل بكل ناحية فيه حيث يكون جالساً أو مشغولا .

والدكتور يعلم أن الروتين الحكومى قد لا يطاوع الرغبة ، أو لا ينجز هذه الحاجة مع ضرورتها لمصلحة العلم والدراسة والنظام بالمعهد ، فلم يسعه إزاء هذا إلا أن يتقدم إلى المعهد بما يحتاجه على حسابه الخاص كهدية يجامل بها العلم ، ويتقرب بها إلى الله .

ومثل آخر : أن السيدة شقيقة الدكتور وحرم السيد محمود الشناوى كانت فى العام الماضى بمصيفها برأس البر ، وفى يوم جمعة لحظت أن بعض الحريصين على صلاة الجمعة لم تسعفهم المواصلات لإدراك الصلاة فى مكانها البعيد عن مجتمع المصطافين . فأثار استياؤها لذلك شعورا كريما لديها ، وحفزها على القيام لفورها بالشروع فى بناء مسجد لائق بالطبقات الكريمة التى تقصد إلى هذا المصيف .

وكم تردد على هذه الجهة من شخصيات ومن أسر ، ولكن شعور الخير لم يبلغ من أحدهم ما بلغه من السيدة أخت الدكتور وعقيلة السيد محمود الشناوى . ولئن كان هذا عملا جزيلا فليس كثيرا على سيدة من بيوتات المجد والمروءة والتقوى ، وجزاؤها على هذا ونحوه عند من لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولعلها تكون قدوة لرجال ونساء ينفقون أموالهم وحياتهم وجهودهم فى غير هذا السبيل ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء



تفسير الطبرى

الجزء الثانى بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦١٥ ص — دار المعارف بمصر

قمنا قبل شهرين بالتعريف بالجزء الاول من هذا الكتاب النفيس الذى يعد فى الذروة العليا من تراث الاسلام . وقد ابتهجنا بعد ذلك بالنشاط المحمود فى طبع الكتاب عندما وصل إلينا الجزء الثانى منه ، وفيه من مظاهر العناية والتحقيق والخدمة العلمية الممتازة كل ما وصفنا به الجزء الاول . قال الأستاذ محمود شاكر : وقد فاتنى أن أذكر فى مقدمة الجزء الأول أنى وضعت على هامش هذه الطبعة من التفسير ما يقابلها من مطبوعة بولاق. فأثبت الجزء والصفحة معاً لطول ما تداول الناس مطبوعة بولاق ، ولكثرة الإشارة إليها فى الكتب . وحرصت أيضاً كل الحرص على أن أثبت فى التعليق كل ما أحال عليه الطبرى من سالف كلامه حتى يسهل على الباحث والقارىء أن يتابع ما قاله أبو جعفر ، فلا يسقط عليه شىء من معانيه . فإن الكتاب يطول ، وأبو جعفر يختصر ، والإحالة تكثر ، ومن الصعب أن يستدل قارىء كتابه على المواضع التى يحيل عليها .

وفى هذا الجزء الثانى من جامع البيان تفسير الجزء الثانى من كتاب الله أى من الآية ٤٣ من سورة البقرة إلى الآية ١٢٣ . وفيه ـ من الآثار التى أشرف العلامة الشيخ أحمد شاكر على النظر فى أسانيدها وتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك — من الأثر رقم ٤٨٠ إلى الأثر رقم ٩٠٦ ، مع تخريج جميع أحاديث رسول الله ﷺ على ما شرط على نفسه فى الجزء الأول .

وازدان آخر هذا الجزء بمثل ما ازدان به سابقه من الفهارس التى هى كالدليل والترجمان لمدينة العلم ، وإن فهرس مباحث العربية والنحو يساوى وحده كتابا فى بابه لا يعدله غيره . والحق أن تفسير الطبرى بعث بالحياة بعثاً جديداً لم يرزق مثله لا فى عصور الكتابة والنسخ ولا بعد أن نعمنا بنعمة الطباعة ، فليس لنا إلا الدعاء بأن يمن الله بتمامه .

الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية

للسيد محمد زكى مجاهد - ٣ أجزاء - ٥٥٠ ص - دار الطباعة المصرية ومطبعة حجازى بمصر

كان فى المكتبة العربية فراغ لكتاب يحتاج اليه الناس فى معرفة الخطوط الرئيسية لحياة الذين توفاهم الله فى هذا القرن الرابع عشر الهجرى من أعلام العرب والشرقيين المعاصرين، فانصرف مؤلف هذا الكتاب لملء هذا الفراغ بمراقبة الصحف والمجلات والكتب التى ترجمت لكل من انتقل إلى الدار الآخرة بين سنتى ١٣٠١و١٣٦٥هـ، وتحدثت عن حياتهم، فلخص ذلك وجمعه فى كتاب قسمه ١٦ قسما تستوعبها خمسة أجزاء صدر منها حتى الآن ثلاثة: فى الجزء الأول القسم الأول وهم الذين توفوا خلال هذه المدة من الملوك والأمراء وعددهم ٦٠، والقسم الثانى وهم المتوفون فيها من الوزراء والسفراء وعددهم ١١٧، والقسم الثالث لزعماء الحركة القومية وعددهم ٣٨. وهذا الجزء الأول فى ١٩٠ صفحة.

وفى الجزء الثانى تراجم القسم الرابع وهم أعلام الجيش والبحرية، وعددهم ١١٨، والقسم الخامس وهم علماء الإسلام فى مصر والأقطار العربية الشقيقة والإسلامية وعددهم ١٨٣. وعدد صفحات هذا الجزء ١٩٨.

وفى الجزء الثالث القسم السادس للقضاة والمحامين ويحتوى على ١٤٦ ترجمة، يليه القسم السابع لتراجم المنتسبين إلى الطرق الصوفية وعددهم ٥٤، فالقسم الثامن لوفيات المشهورين من أبناء النحل غير الإسلامية وعددهم ٥٨. وهذا الجزء فى ١٦٧ صفحة.

وبقى لتمام الكتاب جزءان سيتضمنان تراجم من مات فى هذه المدة من الأدباء والمؤرخين، ورجال الصحافة، والأطباء، ورجال المال والأعمال، وشهيرات النساء.

والتزم المؤلف أن لايكون له رأى أو ملاحظة فى التراجم التى يثبتها، بل ينقل الخطوط الرئيسية من حياة كل من ترجم له، ويختم الترجمة بذكر المصدر الذى أخذها عنه.

وكنا نتمنى لو عنى بالتصحيح المطبعى أو وكله إلى من يجيده من خارج المطبعة، فقد وقع فى الكتاب ولا سيما فى جزئه الثالث من التحريف ما كان يحسن أن ينزه عنه.

رحلة إلى السودان

للأستاذ محمد شاهين حمزة - ٢٣١ ص - مطبعة الرغائب

ذهب النائب السابق الأستاذ محمد شاهين حمزة - صاحب مجلة الرابطة الإسلامية - إلى السودان فى العام الماضى ليقوم بدراسة استعراضية لهذا القطر الشقيق باعتبار أنه الوطن الثانى للمصرى، بل باعتبار أن المصريين سودانيون بيض وأن السودانيين مصريون سمر، وكتب فى ذلك كتاب رحلة أطلق فيه القلم لكل ما لاحظه فى تلك الديار من قديمها إلى حديثها، ومما لاحظه أن المصرى يحب السودانى وكفى، لكن حب السودانى للمصرى لا يقف عند حد الحب، إنه يعنى بمصر ويلم بمختلف شئونها إلماماً واسعاً، ويتغلغل فيها تغلغل صاحب الشأن الأول. واخترنا من الكتاب هذه الملاحظة، لأننا نرى هذا الكتاب وأمثاله إذا ازداد انتشاراً فى مصر يزيد فى معلومات القراء عن السودان، فيكون ذلك علاجاً لهذه الناحية من الضعف التى كثر التحدث عنها فى البلاد الشقيقة، فما من قطر عربى أو إسلامى إلا ويعرف شبابه عن مصر ما لا يعرف مثله فى مصر عن تلك الأقطار. فهذه الرحلة إلى السودان تسد بعض هذا الفراغ وتجعل محبة المصرى للسودان غير مقصورة على الحب وكفى، بل تتعداها إلى مثل محبة السودانى لمصر بما ينشأ عنها من عناية وإلمام بأحوال القطر الشقيق وروابط أهل شمال النيل بأهل جنوبه، فيزداد التعاون بين البلدين على المصالح المشتركة والأهداف المتحدة.

السجل الثقافى - لسنة ١٩٥٢

أهدت إلينا إدارة التسجيل الثقافى بوزارة التربية والتعليم نشرتها الخامسة لسنة ١٩٥٢ عن حركة الثقافة فى مصر ممثلة فيما يصدر عن المطابع ودور النشر من الكتب المؤلفة والمترجمة وكتب السلاسل، وفى الرسائل الجامعية، ودور الكتب العامة ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة، وفى الصحف والمجلات، والبحوث والمحاضرات والإذاعة، والهيئات الثقافية والعلمية والفنية، والمؤتمرات، والتعاون الثقافى، والمهرجانات والمسابقات، والمتاحف والحفائر والمعارض، وأخيراً فى المسرح والسينما.

وقد جاء هذا المجلد الخامس من السجل الثقافى فى قريب من ٧٠٠ صفحة من القطع الكامل.

الأدب والعلوم

الدارسون الاجتماعيون في الأزهر

أعدت الإدارة العامة للأزهر البرامج الخاصة بالدارسين الاجتماعيين الذين ألحقوا بمعهد الدراسات الاجتماعية خلال هذا العام من طلبة الأقسام العالية بالكليات الأزهرية للانتفاع بخبرتهم الدينية والاجتماعية فى الهيئات الريفية خلال إجازة الصيف .

وقد روعى فى اختيار هؤلاء الدارسين التمكن من العلوم الدينية مع تلق دراسات اجتماعية على طائفة من الاخصائيين طوال العام ، وذلك لإمكان حل مشكلات الاهالى فى الريف ، وتوجيه الناس إلى الصالح العام على ضوء التطبيق العملى للدين .

مكتبة المسجد

كانت المساجد الإسلامية إلى عهد قريب جدا تؤدى مهمات ثلاثاً : فهى مسجد للعبادة ، ومدرسة للدروس العلمية للكبار ليلا إن لم تكن للصغار أيضاً نهارا ، ومكتبة .

وقد أرادت وزارة الاوقاف أن تجدد نشاط المساجد فى المطالعة فعزمت على إنشاء مكتبة فى كل مسجد تحوى عدداً من الكتب الإسلامية والثقافية والاجتماعية التى تيسر المعرفة للشباب فى الريف خلال فترة الصيف وتكون مرجعاً للمسائل الدينية المهمة ، وقد اعتمدت الوزارة لتنفيذ هذا المشروع خمسة آلاف جنيه مبدئيا .

مكتبتان مصريتان فى طرابلس الغرب وبنغازى

قررت وزارة التربية والتعليم المصرية توثيق روابط العروبة والإسلام بين مصر وليبيا بإقامة مكتبتين مصريتين إحداهما فى مدينة طرابلس الغرب ، والأخرى فى مدينة بنغازى ، ورصدت لذلك اعتماداً بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه ، وأوفدت مدير المكتبات المدرسية فى الوزارة إلى ليبيا ، فقام بمعاينة المكتبتين ووضع التصميم الداخلى والخارجى لها ، وينتظر أن يتم افتتاحهما خلال هذا الصيف ، وسيكون فيهما - مبدئيا - أربعون ألف كتاب .

المكتبات المدرسية

أدرجت وزارة التربية والتعليم فى مشروع ميزانيتها الجديدة تسعين ألف جنيه للمكتبات المدرسية حتى تتمكن من البدء فى تزويدها بما تحتاج إليه من أثاث وكتب .

واقترحت اللجنة التى بحثت موضوع المكتبات المدرسية تنظيم مسابقة لتأليف كتاب عن المكتبة . كما اقترحت أن يؤخذ النشاط المكتبى فى الاعتبار عند التفتيش على المدارس .

وينتظر أن يحصل رسم للمكتبات المدرسية ابتداء من العام الدراسى المقبل .

العربية فى مدارس السودان

كان من خطط الاستعمار فرض اللغة الانجليزية على مدارس السودان فى تعليم العلوم ، ولما تولت الأيدى السودانية مباشرة الإدارة فى القطر الشقيق أوصت لجنة دولية بأن يكون تدريس العلوم فى المدارس السودانية بلغة البلاد (العربية) ، وقد تألفت فى وزارة المعارف السودانية لجنة لبحث هذا الأمر ، وستنظر اللجنة فيما إذا كان من الأصلح تأليف كتب جديدة باللغة العربية للمدارس الثانوية أو الاكتفاء بالكتب التى تدرس فى البلاد العربية .

جغرافية السماء

تمكن علماء الفلك فى كليفورنيا من الاستعانة بآلات التصوير التلسكوبية فى تصوير السماء وما فيها من كواكب ونجوم فالتقطوا حوالى ١٢٤٦ صورة حجم كل منها ١٧ × ١٧ بوصة ثم جمعوا تلك الصور جنباً إلى جنب وكونوا منها أول خريطة جغرافية دقيقة للسماء . وقد أمكن الآن تصوير شهب وكواكب بآلات التصوير التلسكوبية يقدر علماء الفلك أنها تبعد عن الارض مائتى مليون سنة ضوئية . وقد بدأ التقاط هذه الصور من سنة ١٩٤٧ من الرصد القائم فوق قمة جبل هاملتون ، وستستمر الابحاث نحو ٣٠ أو ٤٠ سنة أخرى ، وينتظر أن يصبح فى الامكان وضع أول خريطة جغرافية كاملة للسماء فى نطاق ما تسمح به آلات التصوير التلسكوبية فى مستواها الحاضر .

مَعْلَمة

لا « موسوعة »

« الانسكلوبيديا » عنوان باللغات الافرنجية للمرجع العلمى العام إما فى جميع العلوم أو فى نوع منها ترتب المواد فيه على حروف الهجاء كالمعاجم . وأول من ألف فيه بالعربية حديثا آل البستانى فترجموا هذا اللفظ بعنوان

« دائرة المعارف » ، وتبعهم فى ذلك الأستاذ فريد وجدى ، وكذلك فعلت اللجنة الجامعية التى تترجم كتاب المستشرقين فى الأعلام والمذاهب والشئون الإسلامية فسموه « دائرة المعارف الإسلامية » .

وللعلامة طاشكبرى زاده كتاب من هذا القبيل فى مختلف العلوم سماه (موضوعات العلوم) ، ولما كانت إحدى مكتبات القسطنطينية تدون فهرسا لمحتوياتها أملى أحد موظفيها اسم هذا الكتاب على أحد الكتبة بلفظ (موظوعات العلوم) لأن الأعاجم يلفظون الضاد بقريب من لفظ الظاء ، فسمع الكاتب الظاء سينا فكتب اسم الكتاب (موسوعات العلوم) وسمع الشيخ إبراهيم اليازجى صاحب مجلة الضياء باسم هذا الكتاب وموضوعه فخيل إليه أن كلمة « موسوعات » تؤدى معنى « دائرة المعارف » فأعلن ذلك فى مجلته ، وأخذ به أحمد زكى باشا وغيره ، فشاعت كلمة « موسوعة » و « موسوعات » لهذا النوع من الكتب ، وهى تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت .

وكان العلامة أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملى وغيرهما يرون تسمية دائرة المعارف باسم « مَعْلمة » لأنه أصح وأرشق وأدل على المراد منه ، وحبذا لو اصطلحت دور الكتب فى فهارسها ومكاتباتها الرسمية على استعمال هذا اللفظ ، بل ان قسم دوائر المعارف فى المكتبة التيمورية أخذ فيه بهذه التسمية « قسم المعالم » على وزن « المعاجم » ، فأى ما نع يمنع من تعميم ذلك وإشاعته ؟ .

معلمة زراعية

اقترح معهد البحوث القومى على مجلس الإنتاج القومى منح جمعية خريجى المعاهد الزراعية مبلغ خمسة آلاف جنيه لوضع مَعْلمة (دائرة معارف) زراعية لتكون مرجعاً فى كل شأن من شئون الزراعة فى علومها ومادتها وأدواتها .

وحبذا لو تيسرت أسباب تأليف معلمة فقهية ، ومعلمة طبية ، ومعلمة هندسية . الخ فإن ذلك يكون توطئة وتمهيداً لتأليف المعلمة العربية الكبرى فى جميع العلوم ، وهى الامنية التى تأخرنا فى تحقيقها ، ولا سبيل إلى إتقانها إلا إذا تقدمتها أمثال هذه المعالم فى مختلف فروع المعارف العربية والإسلامية والإنسانية .

أنباء العالم الإسلامي

لو تجددت حرب فلسطين

حضر إلى مصر الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين فى فلسطين ، واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ليقول له « إن الحالة فى غزة أصبحت خطيرة ، ويخشى أن يقوم اليهود بمحاولة للاستيلاء على القطاع » ! فرد عليه الرئيس بقوله :

« أحب أن تعرف موقفى من الآن . إن هذا إذا حدث فإن معناه الحرب . وإذا بدأت الحرب فى هذه المرة لن تكون كحرب سنة ١٩٤٨ ، لأنى فى هذه المرة لن أقف مكتوف اليدين ، ولن تستطيع أية قوة أن تحد من حريتى فى التصرف ، ولن أسمح لجيش مصر بأن يقع فى أحابيل قرارات هدنة أو وقف قتال تصدر من نيويورك وتطاع من ناحية واحدة فقط .

صندوق بارود فى غزة

تحتفل الأمم المتحدة بعد بضعة أيام بالذكرى العاشرة لإنشائها فتعقد لذلك اجتماعات مهمة فى مدينة سان فرانسيسكو . وقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر ـ عن طريق وليم راندلف هيرست ـ الصحفى والناشر الأمريكى ـ نداء إلى هيئة الأمم بشكل حديث قال فيه : إن الحالة فى قطاع غزة أشبه بصندوق البارود ، وقد ينفجر هذا الصندوق فى أى وقت ، فتنتشر منه حرب عامة بين العالم العربى وإسرائيل . والطريقة الوحيدة لتجنب أى اشتباك قد يؤدى إلى اندلاع نيران الحرب فى الشرق الأوسط هى أن تقبل إسرائيل بسرعة الاقتراح المصرى الخاص بإنشاء منطقة منزوعة السلاح على جانبى خط الهدنة . إن حوادث الحدود يتكرر وقوعها يومياً تقريبا منذ أن وقع حادث غزة فى أواخر فبراير الماضى . ولقد سبق أن أنذرت إسرائيل بأن أى هجوم منها مثل ذلك الهجوم سيكون معناه نشوب الحرب . فالحالة حرجة للغاية وخطيرة .

الجلاء عن مصر

فى مرحلته الثالثة

انتهت فى الأيام الأخيرة المرحلة الثانية من المراحل الخمس لجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس تنفيذاً لاتفاقية الجلاء ، وقد جلا حتى الآن ٣٤٥٠٠ جندى بريطانى بزيادة قدرها ٤٠٠٠ عن النسبة المقررة فى الاتفاقية . وفى مثل هذه الأيام

من العام القادم يكون قد تم الجلاء إن شاء الله بمراحله الخمس فلا يبقى على الأرض المصرية جندى واحد من جنود الاحتلال الذى قضت عليه اتفاقية الجلاء

نظام الحكم

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مأدبة الإفطار التى أقامها ضباط القوات المصرية المسلحة لتكريمه فى نادى الضباط بالزمالك، وقد اشترك فى الإصغاء إلى هذه الخطبة نحو ثلاثة آلاف ضابط، وقد أعلن فيها الاهداف الستة التى قامت الثورة لتحقيقها، وهى :

١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه .

٢ - القضاء على الاقطاع .

٣ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٤ - إقامة عدالة اجتماعية شاملة .

٥ - إنشاء جيش وطنى قوى .

٦ - إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وأعلن أنه فى بداية العام القادم (١٩٥٦) سيقوم فى مصر برلمان شعبى قومى يعمل للوطن والاغلبية، ولا يعمل لرأس المال أو الاقطاع أوتحت ضغط أية قوة خارجية، شرقية كانت أو غربية .

وأطلقت حرية القول والنشر فى الصحف فى موضوع نظام الحكم ليبدى أهل الرأى آراءهم فى ذلك كما يشاءون، وصدر أمر عسكرى برفع الرقابة على الصحف فى هذا الموضوع بالذات .

الرقابة على الصحف

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمراً عسكرياً بإضافة فقرة جديدة إلى الامر رقم ٣٩ المعدل بالأمرين ٥٢ و ٩١ بشأن الرقابة وهذا نصه : « لايجوز أن تفرض الرقابة طبقاً للفقرة السابقة على أية صحيفة بالنسبة لكل مايتعلق بنظام الحكم بعد فترة الانتقال » .

توزيع مياه النيل

أمضى السيد اسماعيل الازهرى رئيس وزراء السودان وبعض زملائه الايام الأخيرة من رمضان فى مصر، وجرت مباحثات مصرية - سودانية لتوزيع مياه النيل، وقد تم الاتفاق بين مصر والسودان حول الأسس التى سيتم بها توزيع مياه النيل بين البلدين، وقال الصاغ صلاح سالم : إن ذلك الاتفاق يعتبر مرضيا للطرفين، وإن الارقام والتفصيلات الفنية قد تركت لتكون موضع دراسة الفنيين فى اجتماع يعقد فى الخرطوم. وإن هذه المباحثات قد أزالت الغيوم التى تلبدت فى جو العلاقات المصرية السودانية فى الأشهر القليلة الماضية .

موظفو الحكومة المصرية

يقدر عدد موظفى الحكومة المصرية الآن بأربعمائة ألف موظف تقريبا ، وهم يتقاضون سنوياً مايقرب من ٩٨ مليون جنيه ، ويعنى ديوان الموظفين - بالاشتراك مع مصلحة الإحصاء والتعداد - بإخراج أول إحصائية دقيقة عن عدد موظفى الحكومة المصرية ومستخدميها وعمالها ، وينتظر أن يتم ذلك بين أكتوبر ونوفمبر من هذه السنة .

منجم نحاس فى سيناء

أسفرت أعمال الكشف عن الثروات المعدنية فى شبه جزيرة سيناء عن اكتشاف منجم للنحاس بمنطقة الرقيطة . وتمتد عروق النحاس فى هذا المنجم من منطقة خليج السويس إلى خليج العقبة . وقد سبق لقدماء المصريين أن عملوا فى أجزاء من هذا المنجم الضخم ، وسيقوم بعض الخبراء الفنيين فى مصلحة المناجم والمحاجر - مع بعض خبراء النقطة الرابعة - بأبحاث جيولوجية لمعرفة القيمة الاقتصادية لهذا المنجم .

جهاد الجزائر

بدأت الدوائر المسئولة فى فرنسا تستعد لحرب طويلة الأمد فى شمال إفريقية كالحرب التى استمرت سبع سنوات فى الهند الصينية وانتهت بكارثة (دين بين فو) . وتلاحظ هذه الدوائر أن الحرب فى الهند الصينية بدأت بنفس الطريقة التى تدور بها المعارك فى الجزائر والمغرب الأقصى ، وهذا مما دعا رئيس وزراء فرنسا إلى المبادرة بإرسال أكبر عدد ممكن من القوات الفرنسية إلى الجزائر للقضاء - بزعمه - على حركة الجهاد فى أقرب وقت . وقد أعلن وزير الداخلية الفرنسى أن عدد القوات التى ترابط الآن فى الجزائر يبلغ ١٤٠ ألف جندى بكامل معداتهم ، هذا غير عشرة الآلاف من الاحتياطى الذين يقيمون فى الجزائر وقد استدعتهم الحكومة إلى حمل السلاح فورا ، ومن ناحية أخرى بدأت وزارة الدفاع الفرنسية بسحب ٥٠ ألف جندى من قواتها التى ترابط فى الهند الصينية ، وتسحب منهم فرنسا عشرة آلاف جندى فى كل أسبوع وتوجههم فوراً إلى الجزائر وتتم هذه العملية فى سرية تامة .

الحكم الذاتى لتونس

تم فى باريس التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق الجديد بين فرنسا وتونس ، وهو يكفل لتونس الحكم الذاتى بواسطة جمعية وطنية ، على أن تبقى شئون الدفاع والخارجية فيها بيد فرنسا ، كما تقرر أن العربية وحدها هى اللغة الرسمية لتونس ، وأن تضم المجالس البلدية أعضاء فرنسيين بموافقة الباى

وينقل اختصاص المحاكم الفرنسية إلى المحاكم الوطنية فى مدى عشرين عاما تتولى الفصل خلالها فى القضايا التى بين فرنسيين وتونسيين محاكم مختلطة ، وتتولى الحكومة التونسية الإشراف على البوليس إلا فى المدن الكبرى ومناطق الحدود وقاعدة بنزرت البحرية ومدينة فيرفيل .

الانجليز فى عمان

زحفت القوات البريطانية فى مسقط على منطقة الفهود فى طرف إمامة الاباضيين فى عمان وركزوا فيها أعمالهم ونشروا فيها خبراءهم للبحث عن البترول بدعوى أن السلطان تيمور سلطان مسقط السابق منح إحدى الشركات الانجليزية امتيازا بالتنقيب عن البترول والغاز الطبيعى وغيرهما من المنتجات . ومع أن سلطان مسقط لا يملك منح امتيازات فى منطقة عمان فإن الامتياز المزعوم محدد بمدة انتهت ، فلاحجة للانجليز فى عملهم إلا حجة القوة ومنطق الاستعمار .

الاعتداء على العرب فى أوطانهم

وضربهم بالقنابل عمل إنسانى !

قال اللورد لويد وكيل وزارة المستعمرات البريطانية فى تصريح ألقاه فى مجلس اللوردات: إن الغارة التى قامت بها قاذفات القنابل البريطانية فى الشهر الماضى على بعض القرى فى إحدى سلطنات غرب عدن دمرت قرية وخمس مجموعات من الأكواخ وقلعتين انتقاما منهم لأنهم رفضوا دفع الغرامة التى قضى عليهم بها حاكم عدن . قال : وإن هذه أنجع وسيلة وأكثرها (إنسانية) لمعاقبة سكان القرى الذين يرفضون دفع الغرامات المشتركة وإن هذه العقوبة تطبق على محمية عدن منذ سنين عديدة .

ولا ندرى لماذا يسمون منطقة عدن (محمية) إذا كانت غير محمية من بغى المتمدنين الذين يتبجحون بهذا الإجرام حتى فى مجلس لورداتهم .

ويقول وكيل وزارة المستعمرات إن أهالى القرى التى بغى عليها أهل البغى بقاذفات قنابلهم كانوا قد انسحبوا من بيوتهم لما جاءهم النذير بهذا العدوان فاقتصر العدوان على خراب بيوتهم ، وسلمت أجسادهم ، كما يدعى وكيل وزارة المستعمرات .

حجاج مصر

بلغ عدد الذين سددوا رسوم الحج من الحجاج المصريين بالبواخر ٣١٥٤٧ حاجا وبالطائرات ١٠٢٧ حاجا ، بزيادة ١٢٠٧٤ حاجا عن العام الماضى .

التوسع الزراعى

فى المملكة العربية السعودية

تعتمد الزراعة فى المملكة السعودية على آلات الرى وعلى الآبار الارتوازية ، وقد بلغ عدد ما استوردته واستعملته إلى الآن من آلات الرى نحو عشرة آلاف آلة . ويوجد لدى الحكومة فى الوقت الحاضر ١٦ آلة لحفر الآبار الارتوازية وستستورد ست آلات أخرى من النوع الكبير ، وقامت خلال ١٤ شهراً بحفر ١٤٨ بئراً ارتوازية نجح منها ١٠٨ آبار تعطى قدراً كافياً من المياه العذبة .

وتقوم الحكومة السعودية الآن بإنشاء السدود للاستفادة من تخزين مياه الأمطار والسيول ، وقامت شركة سعودية بإصلاح سد المدينة ، وأتمت وزارة الزراعة السعودية دراسة سدود منطقة جيزان بالاشتراك مع هيئة الأغذية والزراعة وسيبدأ تنفيذ المشروع قريباً . وقامت وزارة الزراعة بتنفيذ سد عكرمة بمنطقة الطائف ، وتدرس الآن إقامة سد فى وادى حنيفة وسدود أخرى فى الرياض .

ويقول الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ وزير الزراعة السعودية ـ فى زيارته الأخيرة لمصر : إن الأراضى القابلة للزراعة فى المملكة تقدر بنحو ثلث المساحة الكلية إذا توافرت لها المياه ، ويدرسون مشروعاً لتشجير وزراعة الأراضى الواقعة على الطريق بين الحرمين . وقد أنشأت الحكومة مصنعين لتعبئة التمور على أحـــدث الطرق أحدهما فى المدينة والآخر فى الأحساء ؛ واستوردت من مصر والبلاد العربية الأخرى ٤٠ ألف شتلة من الموالح وأنواع الفواكه الأخرى والخضر . وبدأت المملكة السعودية تعنى بتربية الحيوان وأنشأت بعض محطات لتربية الدواجن إلى غير ذلك مما لم يكن لهذه البلاد عهد بمثله من قبل .

مرافق النظافة فى الحج

كانت الحكومة المصرية قد تقدمت إلى الحكومة السعودية بمشروع يكفل إنشاء مرافق الطهارة فى مجامع الحج ، وذلك بإقامة مغاسل وأماكن وضوء ومراحيض فى الأماكن التى يزدحم فيها الحجيج بمكة ومنى وجبل عرفات والمدينة ، وقدرت نفقات ذلك بمبلغ ٢٧٠ ألف جنيه ، وكانت الحكومة المصرية ترغب فى أن يكون ذلك تبرعا منها للأراضى الطاهرة . فلما عرض المشروع على جلالة الملك سعود استحسنه وأمر بتنفيذه فوراً على حساب الحكومة السعودية وحدها مكتفيا من الحكومة المصرية بالمساهمة فى رسوم التصميمات والمعاونة ببعض المهندسين الذين يشرفون على التنفيذ .

تليفون الحجاز

مصر — سوريا

افتتح يوم آخر جمعة فى شوال أول خط تليفونى بين مصر والمملكة العربية السعودية وجرى أول حديث تليفونى فيه بين الملك سعود فى قصر الحوية بالطائف والرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة ، واستغرق الحديث ربع ساعة . وفى اليوم التالى تحدث الملك سعود مع رئيس جمهورية سوريا ورئيس وزرائها فى دمشق .

تحريم الخمر بالهند

ينص دستور الهند على تحريم الخمر فى جميع أنحاء تلك البلاد ، وكانت سياسة الدولة ترمى إلى تطبيق هذا المبدأ بالتدريج ، فكان العمل به جاريا منذ عدة أعوام فى بومباى ومدراس وبعض الولايات الأخرى . وتقرر الآن تطبيقه فى ولاية دهلى عاصمة البلاد ابتداء من يوم ذكرى مولد غاندى (٣ يونيه) فيمنع تعاطى المشروبات الروحية فى الملاهى ، والمقاهى ، والأندية ، وسائر المحال العامة - باستثناء الفنادق الكبرى التى يقيم فيها الأجانب ويستثنى من أحكام هذا القرار الدبلوماسيون والأجانب والذين تقضى لهم الضرورة الطبية . وبعد ثلاثة أعوام سيكون المنع من تعاطى الخمور منعا شاملا .

ما بين الصفا والمروة

عزمت الحكومة السعودية على تيسير السعى لحجاج بيت الله الحرام فيما بين الصفا والمروة بإغلاق جميع الدكاكين المتصلة بهذا الطريق أثناء الموسم القادم ، حتى إذا انتهى الموسم شرعت فى هدم هذه الدكاكين والمبانى القائمة حول الحرم المكى .

أمريكا والحلف العربى

دلت الاتجاهات الأخيرة على أن الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تتراجع عن الاستمرار فى تنفيذ سياستها فى الشرق الأوسط لإقامة منظمة للدفاع عن مصالحها بعد أن فشلت سياستها فى الضغط على بعض الدول العربية للانضمام إلى حلف تركيا - العراق ، وهو الحلف الذى كانت أمريكا تعتزم الانضمام إليه . ويقال إن الحكومة الأمريكية أرسلت إلى سفيرها فى سوريا تعليمات بوقف المحاولات التى كان يبذلها لضم سوريا إلى حزام الدفاع الشمالى . وفى أخبار واشنطن أن أمريكا رفضت عقد حلف دفاعى مع اسرائيل ، وقيل إنها أخذت تتجه إلى توثيق التعاون مع الحكومة المصرية وتأييد الحلف العربى الجديد الذى يضم مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن بعد أن أيقنت أن ذلك أكفل لمصلحة الغرب .

فهرس

المجلد السادس والعشرين

(لسنة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م)

(أ)

(ج)

(ح)

(خ)

(د ـ ذ)

(ص ـ ض)

(ط)

(ع ـ غ)

(ف)

(ن)



مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر

فى غرة كل شهر عربى

تطلب المجـلة فى الخارج

من

شركة فرج الله للصحافة والتوزيع

شارع ابراهيم باشـا بالقاهرة

الثمن ٤٠ مليما

مطبعة الأزهر